

مُزَيَّرَةٌ  
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْشِي

العنوان  
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة  
تأليفه ١٣٧٨

# مَجَلَّةُ الْأَنْهَارِ

مَجَلَّةٌ شَهْرِيَّةٌ بِعَامِيَّةٍ  
تَقْدُرُ عَلَى أَنْ تَزِيَّجَ الْأَنْهَارَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَرَبِيٍّ

بِإِذْنِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِيَّةِ

الاشتراك السنوي  
في وادي النيل ٤٠٠  
الطبعة وادي النيل ٤٠٠  
للمدارس والمدرسين بالقرى ٣٠٠  
بمصر والمدارس ٥٠٠  
للطبعة خارج مصر ٣٠٠  
للمدارس والمدارس ٤٠٠

الجزء الأول - القاهرة : المحرم سنة ١٣٧٨ - يوليو ( تموز ) سنة ١٩٥٨ - المجلد الثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في عامنا الجديد

١٤  
١٣٧٨  
درمات



ونسبحه «عاماً» تبعاً لما اصطلح الناس عليه من قياس أعمار الأمم بدورات ألفك ولو أنصفنا العهد الذي نهيش فيه من ستة أعوام ، معتبرين السنة بما تنطوي عليه من أحداث ، وما تقطعه الأمة فيها من مغاور نحو الهدف الأعظم ، لاعتبرنا العمل الذي عملنا به عصرنا كاملاً . وكَم من أمة تفتنى لو تقدمت نحو أهدافها العظمى في عصر كامل ، ما تقدمنا نحن نحو هدفنا الأعظم في العام المجري الذي ودعناه ، لنستقبل أحياه الله . واحتفلنا بمولده ، وبذكرى هجرة قدوتنا الأعلى صلوات الله وسلامه عليه .

توارث علينا نعم الله وآلاؤه في العام المنصرم كالمين الثرة الدافقة بالحياه والبركة والقوة ، وكان من أبرك هذه النعم امتداد يد الشام ليد مصر - بصدق وإخلاص وإيمان - للانحد والتعاون على تحقيق رسالة المروية والإسلام والتعايش السليم . وكان المتعمدون على الله من صنائع الاستعمار في العراق يريدون أن يظهروا العراق بمظهر الموقر لتلك الرسالة الإلهية ، فقصم الله ظهورهم ، وجعلهم عبرة ونكالا لسكل متمرذ جبار . وها قد امتدت يد العراق الأصيلة ، للتعاون مع يد مصر والشام ، على توجيه القافلة في صراط الله المستقيم ، فكان لنا من نعم الله السابقة في يوم واحد ، ما كنا نرجو أن يكون في أعوام طويلة ، وإن تمدوا نعمة الله لا تحصوها ...

وفي فاتحة العام الجديد نضرب إلى الله سبحانه أن يديم علينا آلاءه متوالية نامية ، وليذكر بمضنا بعضاً بأن النعم تدوم بالشكر عليها ، وأصدق أساليب الشكر على النعم حسن استعمالها ، والتقرب إلى الله بطاعته والتفاني مرضاته . وإلى اللقاء على هذه الصفحة في العام الآتي إن شاء الله ما

« المجلة »

## صاحب ذكرى العجزة في بعض ما امتاز به على جميع رسل الله

امتازت الرسالة المحمدية ، على جميع ما تقدمها من رسالات الله إلى الناس ، بامتيازات لا تزال العقول تقف منها على الشيء بعد الشيء ، ما تعاقب الفسكير ، وما تجددت ذكريات صدر الإسلام ، وما تحزى الهشم حقائق الأشياء معترفين بها ومفتبطين .

وقد سبق لي في مقال « الجليل المثالي » [١] أن استعرضت شعوب التاريخ ، وتلاميذ الأنبياء والحكماء والمصلحين : من موسى ، إلى كونغ فوتس ( الذي يسميه الإفرينج كونفوشيوس ) ، إلى حواربي المسيح ، فانتهدت المقارنة بين تلك الأجيال والجيل المحمدي إلى أن الإنسانية - من أقدم أزمانها ، وفي مختلف أوطانها - لم تشهد « الجليل المثالي » إلا مرة واحدة حين فوجئت بأقبال تلاميذ عهد طيها من صحارى أرض العرب ، يدهون إلى الحق والخير ، بالقوة والرحمة - قوة الأخلاق وهي من عناصر إيمانها ، ودعوة الرحمة وهي روح ذلك الإيمان - فكانت المفاجأة عجيبة بمصدرها ، وكيفية ، وأطوارها . ثم كانت عجيبة العجائب بنتائجها التي لا تزال إلى اليوم من معجزات التاريخ . وإن الإنسانية وقد وقفت يومئذ تسأل ، ولا تزال إلى اليوم تسأل : أين كان هؤلاء ، وكيف تكونوا على حين ضلة من الأمم ؟ وما هذه الرسالة التي يحملونها ، وكيف نبحت ، وما هي وسائل نجاحها ؟ سلسلة من الأسئلة ، لا يكاد الناس يتساءلون بأولها ، حتى يفاجئوا بما ينسبهم تاليه أوله . . .

إن تلاميذ صاحب هذه المعجزة وحدهم - دون غيرهم من أهل الكتب السماوية في رسالات الله - قد حفظوا للإنسانية كتابهم الإلهي كما أوحى به إلى رسولهم ، فكانوا يذخرونه في صدورهم : الآية مع الآية ، والسورة بعد السورة ، ويكتبون ذلك في الرقاع والمصنف والمخاف ، ثم يجمعونه ويرتبون آياته في سورها كما كان يعلمهم الهادي الأعظم .

[١] مجلة الأزهر ، جزء جادى الاخرة سنة ١٣٧٣ : ص ٦٤١ - ٦٥٠ .

فكان للإنسانية مصحف التنزيل الإلهي بخارج حروفه يومئذ ونبراتها ، وإمالاتها ومدودها ، وغتها وإشمامها وإدغامها ، بدقة وأمانة لم يسبق لها نظير في أمة من الأمم . ثم تناقلوا ذلك بالتلقي والتلقين ؛ حافظوا عن حافظ ، من الهم إلى الهم ، كما لا يزال نرى بأعيننا ونسمع بأذاننا إلى زماننا هذا ، وسبق ذلك ما دام في الأرض بشر ، حتى لقد اعترف أننا الشانين - فضلا عن جواهر المسابرين - بأنه لم يحفظ نص ، على تعاقب الأجيال ، من آدم إلى الآن ، كما حفظ هذا القرآن الحكيم . ولا تستطيع ملّة من الملل التي كانت قبل الإسلام أن تدعى لكتابها مثل هذه المزية ، ولا قريبا منها ، ولا أدنى من ذلك ؛ ما دامت للتاريخ مقاييس ، وللعقول أنظمة وقواعد ، وللعلوم سنن وضوابط .

وكما كانت للقرآن هذه العناية الدقيقة من نفوس الجيل الحمدي ، كذلك كان لهم الشغف العظيم بحفظ كل ما يتصل برسالة الهادي الأعظم من سيرته وأحواله وأقواله وأفعاله وتوجيهاته وتصرفاته . وإن سيرته - صلوات الله عليه - وأحواله ، وأقواله ، وتوجيهاته ، وتصرفاته خزينة وثائق ونصوص كان من أعظم الخير للإنسانية أن تحفظ ، وأن يتواصى الناس بالعمل بها . وقد بلغ من اهتمام ( غير المسلمين ) بهذه الخزانة الثمينة من وثائق الإنسانية أن عمدوا إلى كل لفظة من ألفاظها بجمعها معجماً مفهوماً سيكون بأضعاف حجم ( النهاية ) لأبي السعادات بن الأثير ، لا يذكرها معاني الغريب من ألفاظ السنة ، بل ليدلوا على مكان كل لفظ من ألفاظها بالجزء والصفحة ، أو بالكتاب والباب ، من صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ومسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد . فاذا كشف الباحث عن أى لفظة من أى حديث فسيجد في هذا المعجم مكان استعمالها في هذه الأمهات العظيمة من كتب السنة المعتمدة . وقد بدأ بتأليف هذا المعجم المفهرس أ . ي . ونسك المولندي إلى أن مات ، فقام على المضي فيه صديقه وتلميذه ي . ب . منسك إلى أن مات ، فواصل عملهما من بعدهما ك . أدرياني و . ب . دي هاس و . ي . ب . فن ، ويساعدهم على إكمال طبعه بالإعانات المالية المجامع العلمية البريطانية والدينيركية والسويدية واليونسكو والميثة الهولندية للبحث العلمي البحث والاتحاد الأسمى للجامع العلمية . وآخر ما علمت قد طبع منه بمطبعة بريل في لندن بهولندا سنة ١٩٥٦ الجزء الثالث والمشرون إلى حرف العين ( مادة : عدو ) ، وهذا المعجم شهادة عملية من الإنسانية على أهمية هذا التراث المخلد في تاريخ العلم والتشريع والتوجيه الإنساني .

إن كتاب الله المنزل على خاتم رسوله ، والذخيرة الإنسانية التي آذغرها لتلاميذ محمد لأجيال المسلمين من أقوال الهادى الأعظم وأفعاله وتوجيهاته ، تتألف منهما رسالة الإسلام . ولتحقيق هذه الرسالة وتعميمها وتخليدتها ، هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى دار الهجرة والنصرة ، وسرى في اللغات الآتية - وهى لغات - وجزء خاطفة بقدر ما يتحمله المقام - كيف عنى الصحابة بحفظ السنة المحمدية وتحمل أمانتها لتلاميذهم من التابعين ، إلى أن تولى رجال التدوين تسجيلها فى أصح ما يمكن للبشر أن يدونوه من تراث الإنسانية التاريخى والأدبى .

روى أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى فى صحيحه ( كتاب المظالم ٤٦ ، الباب ٢٥ ) عن عبد الله بن عباس أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال له : « كنت وجارى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد - وهى من عوالى المدينة - نقابون أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فينزل هو يوما وأنزل يوما ، فإذا نزلت جثته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره ، وإذا نزل فعل مثله » .

وقال البراء بن عازب الأوسى : « ما كل حديث سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يحدثنا أصحابنا وكنا مشتغلين برعاية الإبل ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون ما فاتهم سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسمونه من أقرانهم ومن هو أحفظ منهم ، وكانوا يشددون على من كانوا يسمعون منه » .

وكان من حرص الصحابة على حفظ السنة المحمدية والتثبت منها وتعميم العلم بها ، أن الواحد منهم لا يقتصر على ما سمعه بنفسه ، بل ينشر ما حدثه به إخوانه . وقد رأيت كيف كان عمر يتناوب مع جاره الأنصارى النزول من عوالى المدينة إلى مجالس الرسول صلوات الله عليه ، ورأيت قول البراء بن عازب إن الصحابة كانوا يطلبون ما فاتهم سماعه من رسول الله فيسمونه من أقرانهم ومن هو أحفظ منهم ويشددون على من كانوا يسمعون منه . وأورد الحافظ ابن حجر فى ترجمة عبد الله بن أنيس من كتاب الإصابة عن الإمامين أحمد والبخارى وغيرهما أن الصحابى ابن الصغابى جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما قال : بلغنى حديث فى القصاص وصاحبه بقرعة ، فرحلت إليه مسيرة شهر .

وروى الإمام النووى شارح صحيح مسلم فى كتابه ( بستان العارفين ) ص ٤٣ بسنده إلى جابر بن عبد الله أنه نرج على بهير له يحوب الآفاق فى البحث عن صحابى بلغه أنه سمع



من النبي صلى الله عليه وسلم حديث « من ستر على أخيه المؤمن فكأنما أحياء » ولما دخل البلد الذي قيل له إن ذلك الصحابي مقيم فيه أرشده بعضهم إلى منزل أحد الصحابة ، فلما سأله عن الحديث قال له : لست أنا ذاك ، ولكن ذاك رجل يقال له شهاب ، فخطروا على بال جابر أن يسأل حاكم البلد - واسمه مسلمة - عن شهاب هذا ، فأتى بيت الحاكم وقال للبواب : قل للأمير ينزل إلى - فدخل البواب على الأمير وهو يتشم ، فقال له الأمير : ما شأنك ؟ قال : رجل على بعير قال « قل للأمير ينزل إلى » . فقال الأمير : ألا سألته من هو ؟ فرجع البواب فسأله ، فقال له : أنا جابر بن عبد الله الأنصاري . فرجع إلى الأمير وأخبره . فوثب الأمير من مجلسه فأشرف عليه وقال : اصعد . فقال جابر : ما أريد أن أصعد ، ولكن حدثني أين منزل شهاب ؟ قال : اصعد فأرسل إليه فيقضي حاجتك . قال : لا أريد أن يأتيه رسولك ، فإن رسول الأمير إذا جاء رجلا راعه ذلك ، وأنا أكره أن يروى رجل من المسلمين بسببي . فنزل الأمير يمشي مع جابر بن عبد الله حتى أتى شهابا فسمع منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ستر على أخيه فكأنما أحياء » .

هذه صورة من عناية أصحاب رسول الله في حفظ أمانة السنة ، والسفر في الصحاري وقطع المغاوير لتلقى الحديث الواحد من فم الذي سمعه مباشرة من رسول الله . ومثل هذه الجهود للحصول على الحديث الواحد قبل أن يضيع بوفاة صاحبه ، دليل على عظيم عناية الصحابة بالنصوص الصادرة عن نبيهم صلوات الله عليه ، وبذل الجهد في نشرها وتعميمها .

قال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ( ٣٢١ - ٤٠٥ ) في كتابه ( المدخل إلى كتاب الإكليل في أصول الحديث ص ٧ - ٨ ) وقد ألف قبل أكثر من ألف سنة : « روى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة أربعة آلاف رجل وامرأة محبوبه نيفا وعشرين سنة : بمكة قبل الهجرة ، ثم بالمدينة بعد الهجرة ، حفظوا منه أقواله وأفعاله ، ونومه ويقظته ، وحركته وسكونه ، وقيامه وقعوده ، واجتهاده ، وجهادته ، وصيرته ، وسراياه ، ومغازيه ، ومراحه وزجره ، وخطبته ، وأكله وشربه ، ومشيه ، وسكونه ، وملاعبته أهله ، وتأديبه فرسه ، وكتبه إلى المسلمين والمشركون ، وعهوده ومواثيقه ، وألحاظه ، وأنفاسه ، وصفاته . هذا سوى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة ، وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام ، أو تحاكموا فيه إليه » .

وفي عصرنا هذا ، ألقى علامة مسلمي الهند السيد سليمان الندوي رحمه الله ثمانين محاضرات على الجوامع من جميع الأديان في جامعة مدراس الهندية ، قارن فيها بين الرسالة المحمدية ورسالات جميع الأنبياء والمصلحين ، وأعلن أن محمدا وحده هو ( الإنسان

(التاريخي) الذي صرف الناس دخائله وظواهره وجميع أحواله، وحفظوا عنه ما لم تحفظه أمة عن أحد غيره من الأنبياء والقادة . ومما قاله ( الرسالة المحمدية ص ٧٧ - ٧٨ ) : « إن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لأصحابه ولن يحضر مجالسه أن يبلغوا عنه لمن غاب عنها ، وهذا الإذن عام لما يكون عنه في بيته وبين أهله وعياله ، أو ما يصدر عنه في حلقته مع أصحابه ، أو ما يقفون عليه من أعماله وأقواله ، عند تعبد في مسجده ، أو قيامه على منبره خطيباً ، أو جهاده في ساحه الحرب تجاه أعدائه وهو يسرى صفوف المجاهدين في سبيل الله ، أو إذا خلا إلى ربه في حجرة منزلة في بيته بعد الله ويتضرع إليه ، فكان أزواجه وأصحابه يتحدثون جميعاً بكل ما يصدر عنه من قول أو عمل . ثم إنه كان تجاه مسجده صفة بأوى إليها فقراء الصحابة ، ولم يكن لسائرهم عمل غير محبة النبي ولزوم مجالسه ليحفظوا عنه ما يقول وما يعمل ، ثم يروونه للناس بناية وأمانة . وقد بلغ عدد أهل الصفة هؤلاء سبعين رجلاً كان منهم أبو هريرة الذي لم يكن صحابي أكثر منه حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء السبعون كانوا كأنهم جواسيس الحكومة وعيونها في نشاطهم وإخلاصهم لما يسمرون الله له من حفظ كل ما يستطيعون حفظه مما يدخل في موضوع الحديث النبوي . وإذا ارتحل الرسول عن المدينة في ضرورة أو حج كانوا معه ، وكذلك غيرهم من الصحابة ، حتى لم تخف عنهم خافية من أمره . ولما كان فتح مكة كان معه من أصحابه عشرة آلاف ، ولما سار إلى تبوك كان في معسكره ثلاثون ألفاً ، ولما حج حجة الوداع حج معه في تلك السنة مائة ألف مسلم ينطبق عليهم عنوان « الصحابة » . وما منهم إلا من يحرص على الوقوف على شيء من هداية نبيه صلى الله عليه وسلم أو أي أمر من أموره فيتحدث عنه . بل هو الذي أمرهم أن يبلغوا عنه ما يسمعون منه أو يرون من تصرفاته . فما فلنكم به بعد ذلك ، هل يخفى عن التاريخ وجه من وجوه حياته أو ناحية من نواحيها ؟ هذا من جهة أصحابه ، وأما أعداؤه فانهم أفرغوا جهدهم واستنفدوا سعيهم ليقفوا على دخيلة من دخائله وليردوا خذوه بحقيقة يعلمونها عنه ، فلم يستطع أحد منهم أن يجد له ناحية ضعف . وأقصى ما استطاع أعداؤه في كل زمان أن يقولوه : إنه سل سيفه للقتال ، وإنه كان كثير الأزواج ، وقد تبين لهم أن حياته الطاهرة هي الصحة من كل نقص . »

إن محمداً صلى الله عليه وسلم هو النبي الوحيد من أنبياء الله الذي كانت حياته كلها مكشوفة للتاريخ : في منزله ، وفي المجتمع . ويقول المؤرخ الإنجليزي جيبون إن محمداً كان من حياته في امتحان نجح فيه النجاح الأعلى دون غيره من عظماء الأرض . والمنصفون من غير المسلمين قالوا في نبينا مثل هذا وأكثر منه . وقد كان من رسالته صلوات الله عليه أن يبين القرآن للناس ، فالسنة والحديث مجال هذا البيان ، ومن كمال هذا البيان

الوضوح البليغ في عرضه وتبليغه . روى الإمام أحمد عن وكيع عن سفيان عن أسامة عن الزهري عن عمرو بن عائشة قالت : « كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلا ، يفهمه كل أحد ، ولم يكن يسرد سردا » . ورواه أبو داود عن أبي شيبة عن وكيع . وكان ذلك ليحسنوا وجهه منه ، وتبليغه للناس ، وقد كانت أواصره قطعية في حجة الوداع : « ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه » ، « فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

من هنا نشأ الحديث النبوي ، فيما بين صاحب الرسالة والذين أرسله الله إليهم . ومن هنا كان لصاحب هذه الهجرة الامتياز على جميع رسل الله في حفظ تراثه العظيم الذي لو اعتبرناه مادة من مواد التاريخ لما رأينا في مواد التاريخ الأخرى ما يدانيه في الصحة وتحري الأمانة في نقله من جيل إلى جيل . وإذا كان الذين يطيلون السنتهم بالتشكيك فيما صح عند المسالمين من حديث نبهم يحاربون مواد التاريخ الأخرى ، فلا يلزمونها بما يلزمون به الحديث النبوي ، فلا شك أن ذلك منهم إما عن جهل بما امتاز به تمحيص الحديث النبوي على كل حديث غيره ، والجاهل لا يبنئ له أن يتعرض لما هو جاهل به . أولأنهم مدفوعون إلى ذلك بإحنة أو مخيطة ينطوون عليها للإسلام وصاحب رسالته وجهود أسنه ، فهم إذن أعداء ، والعدو لا يقبل قوله فيمن يماديه . أما المدعوص فعلا على رسالة الإسلام من الأحاديث الموضوعة والواهي ، فعليه هذا الشأن من أسلافنا وأئمتنا هم الذين فضحوه وأعلنوا سقوطه وألقوا السكتب فيه وفي الذين اجترعوا على وضعه من أعداء أو جهلاء ، فالتذرع بالموضوعات والأحاديث الواهي للتشكيك في الأحاديث الصحيحة والحسنة لا يجوز صدوره عن رجل يحترم التاريخ ، لأن حفظ الحديث النبوي والسنة المحمدية من التمحيص والتحري أسمى من حفظ كل ما يحترقه الناس ويعتمدون عليه من مراجع التاريخ في جميع أم الأرض . والفضل في تمحيص الحديث ، وتمييز الطيب منه عن الخبيث يرجع إلى أئمتنا وعلماء حديث نبينا ، وإنهم قد أحاطوا بذلك واستقصوه ولم يتركوا بمداهم مقالا لقائل ، من عالم أو جاهل .

ومما لفظوا به ولا كته السنتهم من أساليب التشكيك أن الحديث نقل من جيل الصعابة إلى تلاميذهم من التابعين بالحفظ والتلقي والتلفيق ، لا بالكتابة والتدوين . وهل اختار الله لحفظ القرآن إلا طريقة التلقي والتلفيق قبل الكتابة والتدوين ؟ وليخجل هؤلاء من مصداقي صادق الرافعي وهو يقول لهم : كانت العرب أمة أمية لا يقرمون إلا ما تحطه

الطبيعة ، ولا يكتبون إلا ما يلقنون من معانيها . فيأخذون منها بالحس ، ويكتبون باللسان في لوح الحافظة ، فكان كل عربي - على قدر وعيه وحفظه - كتاباً أو جزءاً من كتاب . وكانت كل قبيلة بذلك كأنها سجل زمني في إحصاء الأخبار والآثار . ولو أن الكتابة كانت فاشية فيهم ما عدلوا إليها ، ولا استفنوا بها عن الحفظ . لأن سبيل تلك المصانف الطبيعية أن تجئ من أداة طبيعية أيضاً ، حتى تكون عند الخاطر إذا خطر ، والمأجس إذا بدر . وليس لذلك غير اللسان .

وقال أبو عمرو بن عبد البر في جامع بيان العلم ( ١ : ٦٩ ) بعد أن استعرض أقوال الذين كانوا يمتعون من كتابة الحديث في الصدر الأول : ومن ذكرنا قوله في هذا الباب فأنما ذهب في ذلك مذهب العرب ، لأنهم كانوا مطبوعين على الحفظ ، مخصوصين في ذلك . والذين كرهوا الكتابة - كابن عباس والشعبي وابن شهاب والنخعي وقتادة ومن ذهب مذهبهم ، وجبل جبلتهم - كانوا قد طبعوا على الحفظ ، فكان أحدهم يخرى بالسمة ( أى يحفظ من السماع مرة واحدة . وبعد أن ضرب المثل على ذلك قال ) : وهؤلاء كلهم عرب ، وقال : التي صلى الله عليه وسلم : « نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » . وهذا مشهور أن العرب قد خصت بالحفظ : كان أحدهم يحفظ أشعار بعض من سمعه واحدة . ومن أقوالهم « حرف في تآمورك خير من عشرة في كتبك » . والتأمور : حلفة القلب .

وروى أبو حاتم عن الأصمعي أن يونس بن حبيب سمع رجلاً يثبث :

استودع العلم قرطاساً فضيعه      وبئس مستودع العلم القراطيس

فقال يونس : فآله الله . أشد حيانته للعلم إن علمك من روحك ، وإن مالك من بدنك ، فمن علمك صيانتك روحك ، ومن مالك صيانتك بدنك .

وانشد عمر بن أبي ربيعة المخزومي عبد الله بن عباس قصيدته :

أمن آل نعم أنت غاد فبسكر      غداة غدا ، أم رائج فمجر ؟

وهي تقرب من سبعين بيتاً ، وكان نافع بن الأزرق الخارجي يسمع ، فلما انتهى عمر بن أبي ربيعة من إنشاد قصيدته قال ابن الأزرق : لله أنت يا ابن عباس ، أ يضرب الناس إليك أكباد الإبل يسألونك عن الدين . ويأتئك غلام من قریش يثذك صفها

فقسمه ؟ قال ابن عباس : والله ما سمعت سفيان . قال ابن الأزرقي : أما أنشدك :  
 رأيت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيخزي ، وأما بالعشي فيخسر ؟  
 قال ابن عباس : ما هكذا قال ، إنما قال « ... فيضحى ، وأما بالعشي فيخسر »  
 فقال ابن الأزرقي : وتحفظ الذي قال ؟ قال ابن عباس : والله ما سمعتها إلا صاعتي هذه ،  
 ولو شئت أن أردّها لرددتها . قل نافع : فارددها . فأنشده ابن عباس القصيدة وهي  
 صبعون بيتاً . قال الحافظ بن عبد البر : وليس أحد اليوم على هذا ، ولولا الكتابة لضاع  
 كثير من العلم .

وهكذا لما كان الصعابة ومن لم مزبة الحفظ من تلاميذهم يكتفون بالحفظ ، كان  
 من مصلحة السنة والحديث النبوي أن يطلق الراوي عن يثقي به وبأخلاقه من الحفاظين ،  
 وأن يلقن الأستاذ من يثقي بأمانته ووجهه من المتعلمين . فلما ضعف الحفظ حصل محله  
 التدوين والكتابة . ومع ذلك فإنه في الدور الذي امتاز أهله بالحفظ كانت توجد الكتابة ،  
 وفي الدور الذي غلبت فيه الكتابة بقي كثيرون من المتأخرين بالحفظ إلى زماننا هذا ،  
 ولولا أن يتسم بنا القول لضربنا الأمثال والشواهد التاريخية على ذلك .

أما الكتابة في العصر النبوي فالشواهد عليها كثيرة ، منها ما رواه الإمام أحمد في  
 مسنده ( ٢ : ١٩٢ الطبعة الأولى ) ومثله في ١٦٢ ، وأبو داود في سننه ( ٢ : ٢٢ ) والحافظ  
 ابن عبد البر في جامع بيان العلم ( ١ : ٧١ ) عن يوسف بن مارك عن عبد الله بن عمرو بن  
 العاص قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه  
 فنهتني قریش عن ذلك وقالوا : تكتب ورسول الله يقول في الغضب والرضا ؟ فأمسكت  
 حتى ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اكتب ، فوالذي نفسي بيده  
 ما أخرج منه إلا حق » وأما بإصابه إلى فيه .

وكان ابن فاتح مصر يسمى ما كتبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ( الصادقة ) ،  
 انظر طبقات ابن سعد ( ٢ : ١٢٥ القسم الثاني طبعة ليدن ) وتأويل مختلف الحديث  
 لابن قتيبة ( ص ٩٣ ) وجامع بيان العلم لابن عبد البر ( ١ : ٧٢ ) . ومن الصادقة كان يروي  
 عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . والذين يرون الحفظ أثبت من الكتابة كانوا يرون  
 أحاديث عمرو بن شعيب دون المحفوظ .

وكان عبد الله بن مسعود يكتب . أخرج الحافظ ابن عبد البر في جامع بيان العلم ( ١ : ٧٢ )

عن مسعر عن ممن قال : أخرج لي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف لي أنه بخط أبيه بيده . وكان لسعد بن عباد كتاب أو كتب . روى الإمام أحمد في المسند ( ٥ : ٢٨٥ الطبعة الأولى ) عن اسماعيل بن عمرو بن قيس بن سعد بن عباد عن أبيه ( عمرو بن قيس بن سعد ) أنهم وجدوا في كتب - أو في كتاب - سعد بن عباد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد . وفي ترجمة عبد الله بن عباس من كتاب الإصابة لحافظ ابن حجر : روى محمد بن هارون الروياني في مسنده عن عبد الله بن علي ابن أبي رافع قال : كان ابن عباس يأتي أبا رافع فيقول : ما صنع النبي صلى الله عليه وسلم يوم كذا ؟ ومع ابن عباس من يكتب ما يقوله أبو رافع . وفي طبقات ابن سعد ( ٥ : ٢١٦ طبعة ليدن ) عن موسى بن عقبة ( صاحب المغازي المتوفى سنة ١٤١ ) قال : وضع عندنا ابن كريب مولى ابن عباس حل يسير من كتب ابن عباس . قال : فكان علي بن عبد الله ابن عباس إذا أراد الكتاب بعث إليه : ابعت إلى بصحيفة كذا . والصحيفة عندهم الكتاب المحتوى على كرايس . وفي كتاب الأدب المفرد للبخاري ( رقم ١١٣١ طبع السلفية ) صورة كتاب من زيد بن ثابت إلى معاوية في خلافته عن ميراث الجد والجدة ، أورده البخاري لبيان آداب المراسلة بين الصحابة رضوان الله عليهم . وتاريخ كتاب زيد بن ثابت إلى معاوية يوم الخميس لثنتي عشرة بقية من رمضان سنة ٤٢ . وفي ( توجيه النظر ) لشيخنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله ( ص ٨ ) أن زيد بن ثابت ألف كتابا في علم الفرائض . وظهر بن عبد الله مذك صغير أورده مسلم في كتاب الحج من صحيحه مطولا . وله صحيفة ( كتاب ) ذكرها ابن سعد ( ٥ : ٢٤٤ طبع ليدن ) في ترجمة جاهد ، وذكر أنه كان يحدث عنها . وفي جامع بيان العلم لابن عبد البر عن الربيع بن سعد قال : رأيت جابرا يكتب عند ابن سابط في الواح . ونقل ابن القيم في كتاب القياس في الشرح الإسلامي ( آخر ص ٨ ١ طبع السلفية سنة ١٣٧٥ ) عن الترمذي أن قتادة كان يحدث عن صحيفة سليمان اليشكري التي كتبها عن جابر بن عبد الله . وأبو هريرة صار يكتب ما حفظه قبل أن ينساه ، وكان قبل ذلك لا يكتب حتى أنه قال « لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا مني ، إلا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كتب ولم أكتب » ( جامع بيان العلم ١ : ٧٠ ) . فلما صار أبو هريرة يكتب بعد ذلك جعل يعتمد على كتابته . قال الفضل بن حسن بن عمرو الضمري : تحدثت عند أبي هريرة بحديث فأنكره ، فقلت له : إني سمعته منك ، فقال : إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي . فأخذ بيدي إلى بيته فأرانا كتبيا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

قد أخبرتك أنى إن كنت حدثك به فهو مكتوب عندى . والذين يشككون أمة محمد صلى الله عليه وسلم بما حفظه عنه أبو هريرة من الحديث النبوى يتجاهلون أن الذين روى عن أبي هريرة كان فيهم أقطاب التابعين وأعلام الإسلام كسميد بن المسيب والحسن البصرى ومحمد بن سيرين وهذه الطبقة ، وهؤلاء ممن خالطوا أبا هريرة وعرفوه في السراء والضراء ، وكانوا أحرص على حديث نبيهم وشريعته من أن يستفوها إلا من أصفى وأظهر يتابعها ، وهم - بمعاصرتهم وواسع علمهم بالسنة المحمدية ، وصدق أئمتهم للإسلام - أحرص بصديق أبي هريرة من كل من يعصى الله - بعد أربعة عشر قرناً - بالبنى على هذا الصحابى الحافظ الصادق الذى يريد منا هؤلاء أن نعطل ما حفظه رضى الله عنه من سنة نبينا وأحكام شريعتنا ، فاقه حسبيهم ... ورأيا من يطمعن فى أحاديث أبي هريرة يتابع أهواء مؤلف يسىء القول فى من هو أعظم من أبي هريرة ، فهل يريد مقلده أن يلقى الله بقاله السوء فى أبي هريرة وحده ، أم بمن هو أعظم منه أيضا ؟

إن صاحب ذكرى الهجرة صلوات الله عليه إنما عاش ما عاش بمكة ، ثم نجشم ما نجشم للهجرة بأصحابه منها إلى المدينة ، ليحفظ للانسانية أمانة القرآن الحكيم ، وأمانة بيانه بالسنة المطهرة والحديث النبوى . وقد كان الصحابة والتابعون والتاسعون لهم بإحسان يبذلون من مهجهم وجهودهم لحفظ هاتين الأمانتين كما كانوا يبذلون منهما فى واقف الجهاد ، ولا نعرف فى كل ما نعرفه من محفوظ الخلف من السلف - فى تاريخ أو أدب أو علم أو سياسة - شيئا حيط بالصيانة والعتاية كما حاط بهما علماء الإسلام هذه الشريعة المطهرة ونصوصها الأولى . وهذه الميزة من أهم ما امتاز به صاحب ذكرى الهجرة على جميع أنبياء الله ، ومن أهم ما امتاز به الجليل الذى تولى تربيته هذا الرسول الكريم . وإذا شك أحد فى صحة ما صح عند أئمتنا من حديث نبينا فأجدر به أن يشك فى صحة كل ما نقلته الأمم من تاريخها وحكمتها وتراثها الإنسانى ، ولا يجرؤ على ذلك إلا مستوه ، أو عدو لا يستحي .

## العام الهجرى

في آخر لحظة من شهر ذى الحجة ، وأول لحظة من شهر المحرم ، يطوى سجل عام من أعوام التاريخ الهجرى ويفتح سجل آخر ، هذا السجل الذى طوى قد حوى أحداثاً للأمة العربية يقرأها منهم المبصر والكفيف ويطالعها الأعمى والقارىء ، ويتأمل فيها العالم والجاهل ، وقد صار هذا السجل الخاص جزءاً من ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين جزءاً من السجل العام للتاريخ الهجرى ولن تمتد إلى هذا السجل يد المحو والإثبات لا من الخالق القوى القادر ولا من المخلوق الضعيف العاجز ، فهو أشبه باللوحة المحفوظة عند الله وكل ما يستطيعه المخلوق أن يعتز بما فيه خاصة المفلاء المطلمين عليه ، فإن رأوا الفساد والشرفيات ، أمكن أن يمتنعوا حصوله فيما هوأت ، وتلك حكمة الحكماء والأثر الصالح لتفكير المفلاء ، يستمرصون الأحداث ، ويبحثون بتدقيق ما دعا إليها وما نتج عنها وما يعود عليهم وعلى شعوبهم من بقائها ، كما يبحثون أنجع السبل لملاقاة ما قد يكون لها من أخطار ويسارعون لوضع الخطط الكفيلة للتخلص من شرورها ويعملون على تجنب البشر وبلاتها ، وبمقدار حظ الأمة من هؤلاء المفلاء يكون حظها من الخير والرق والفلاح ، ولنا أعظم الرجاء عند الله أن يكون للمسلمين عامة وللعرب خاصة من هؤلاء الأختيار العدد الوفير ، وأن يوفقهم الله ويوفق الأمة معهم لبلوغ أعلى الدرجات في العلم والقوة وإسعاد الخير للمسلمين والناس أجمعين .

ويجدر بنا قبل أن نستعرض بعض ما قد سطر في سجل العام الذى انقضى من أحداث ، أن نذكر الناس بحدثن الهجرة والتاريخ الهجرى فتقول :

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من أول نبوته ثلاث سنين يدعو إلى الإسلام سرا ثم أعلن الدعوة في الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين يوافق موسم الحج كل عام ومواسم عكاظ ومجنة وذى الحجاز ، يدعو الناس إلى الإيمان بالله ، وأن يعموه حتى يبلغ رسالات ربه ولم يلبث ، ويعرض نفسه على القبائل فلم يجد من ينصره ، وكان الأوس والخزرج يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة أن نبيا من الأنبياء مبعوث في هذا الزمان ومبخرج فقتله . فلما قدموا للحج ورأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الله عز وجل وتاملوا أحواله قال بعضهم لبعض والله إن هذا للذى توعدكم به يهود المدينة فلا يستفتكم إليه فلقبهم النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة في الموسم وكانوا ستة من الخرج فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا ، ثم رجعوا إلى المدينة فدعوا إلى الإسلام فيها حتى لم يبق



بها دار إلا كان فيها ذكر للإسلام ، وفي العام التالي أقبل منهم اثنا عشر رجلا فبايعوا رسول الله على السمع والطاعة وأن ينصروه إذا قدم عليهم ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم ولم يلحقه . وفي العام الثالث قدم منهم سبعون أو خمسة وسبعون فبايعوا رسول الله على مثل ما تقدم بيته العقبة الكبرى ، وأمر رسول الله بعدها المسلمين بالهجرة إلى المدينة ومكث ينتظر الإذن له ، وأذن له بالهجرة وأن يستصحب معه أبا بكر رضى الله عنه وكانت المدة التي أقامها بمكة بعد الرسالة ثلاثة عشر عاما .

فخرج من مكة لسهل ربيع الأول ووصل المدينة لا تقي عشرة خلت منه ، فطلقه الأنصار بسلاحهم وكبروا فرحا بقدومه وأحذقوا به في مسيره حتى نزل بقاء ، فأقام أربع عشرة ليلة أصح فيها مسجد قباء ، ثم ركب إلى المدينة ، ولم تزل ناقته سائرة لا تمر بدار من دور الأنصار إلا رغبوا إليه في النزول طيبهم وأمسكوا بحطام الناقة فيقول دعوها فإنها مأمورة حتى وصلت إلى موضع مسجده وبركت ، ولم ينزل عنها فتمضت وصارت قليلا ثم التفتت فرجعت وبركت في موضعها الأول فنزل عنها وكان سرور الأنصار بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحيط به الوصف وفي ذلك يقول قائلهم :

نوى في قريش بضع عشرة حجة	يذكر لا يلقى حبيبا مواليا
ويعرض في أهل المواسم نفسه	فلم ير من يؤدى ولم ير داعيا
فلما أتانا واستقرت به النوى	وأصبح ممرورا بطيبة راضيا
وأصبح لا يخشى ظلامه ظالم	بيد ولا يخشى من الناس باخيا
بذلنا له الأموال من جل مالنا	وأهستا عند اللوغى والتأسيا
نعادى الذى عادى من الناس كلهم	جميعا وإن كان الحبيب المصافيا
ونعلم أن الله لا وب غيره	وإن كتاب الله أصبح هاديا

ويفيض المؤرخون في حديثهم عن الهجرة ، والباحث عليها ، وما كان لها من آثار سياسية وغير سياسية .

وإنما الذى يعتنينا كرجال دين أن نبين أن هجرة رسول الله وأصحابه ما كانت فرارا بالدين لما كان عهد وخيرة أصحابه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من النخبة الطاهرة يخشون أن يفتنوا في دينهم أو أن تربح قلوبهم بالاضطهاد والعذاب بعد إذ هداهم الله للإسلام فيفروا بدينهم فرقا وفرقا ، أجل ما كان عهد والمضطعون الأخيار من صحابته قد هاجروا فرارا بدينهم ولسكنهم هاجروا ليكونوا في موضع المهاجم بدعوة الإسلام حتى تمكنهم أرض الجزيرة العربية ، ثم تنتفض فتعبر البحار والمحيطات إلى ما شاء الله من الأقطار

والآفاق ، وكان مجد وأصحابه يرون بنور الله فهو أمينهم التي بها يبصرون وأذانهم التي بها يسمعون وأطرافهم التي بها يبطشون ويمشون ، وقد حقق الله كل ما كانوا يرجون فبعد أن كان يدخل الإسلام الفرد أو الاثنان والمتخفي الخائف أو الظاهر المستجير بدل الله كل ذلك وجاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وانتشر نور الإسلام مع نور الشمس فأضاء الماهر والخراب ، وانبسط سلطان التوحيد حتى على معابد الأوثان وبيوت التيران وتجنر الشرك في الهواء ونضب معين الضلال في الأرض وزلزل المضلون والجاحدون وبطل ما كانوا يعملون ، فقلبوا هتلك وانقلبوا صاعرين ، وقالوا آمنا برب العالمين .

ذلك حدث الهجرة - أما حدث التاريخ الهجري فنجمه فيما يأتي :-

روى الثقات من المؤرخين أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رفع إليه صك محله ( أى وقت حلوله ) شعبان فقال عمر أى شعبان هو - الذى مسمى أم الذى هو آت أم الذى نحن فيه ، ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لم ضعوا للناس شيئا يعرفونه ( أى يعرفون به التاريخ ) فقال قائل اكتبوا على تاريخ الروم فقيل إنه يطول فإنهم يكتبون من عهد ذى القرنين وقال قائل اكتبوا على تاريخ الفرس كلما قام ملك طرح ما كان قبله وقال علي بن أبى طالب كرم الله وجهه نكتب منذ خرج النبي صلى الله عليه وسلم من أرض الشرك فاجتمع رأيهم رضوان الله عليهم على هذا مع اختيار اللفظ الجزل المختصر : من الهجرة : ثم نظروا كم أقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فوجدوه قد أقام بها عشر سنين فكتب أول التاريخ على هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك لسنتين ونصف من خلافة عمر رضى الله عنه ، وكانت مدة خلافة أبى بكر رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال ، فيكون أصحاب رسول الله قد بدءوا التاريخ الهجري بعد الهجرة بمدة أربعة عشر عاما وتسعة أشهر وعشر ليال .

والتاريخ الهجري المنسوب إلى الهجرة لا يبدأ من الهجرة وإنما يبدأ من عامها لأن الهجرة كانت في ربيع الأول كما قدمنا ، ومبدأ العام هو المحرم .

ويجدر بنا بعد أن ذكرنا حدث الهجرة ، والتاريخ الهجري أن نذكر بعض أحداث العام الماضى لناخذ منها العظة والعبرة ، ونسترشد بها في العام الآتى وما بعد الآتى فنقول : أخطر أحداث العام الماضى وأعظمها الوحدة بين مصر وسوريا وما أفاء الله عليهما من نعمة الاستقلال بعلم واحد والاندماج في جمهورية إسلامية واحدة تتأزر على النهوض بالإسلام والعروبة وتبذل النفس والنفيس لتحقيق كرامتها وعزتها ، ولنا على يقين بأن الشعب السورى عريق التدين قوى الإيمان شديد الحفاظ على الأهراض يعطى الأسرة

حقها من العناية والرعاية ، كما يمنح المتجرو المصنع كل ما يحتاجان من مجهود ونصب ، وهو مع هذا عزيز الجانب قوى الشكينة لا يرضى بالضم كما لا يرضى بالحر ، فهو يحق شجب للدين والدين .

وكم حمدنا الله على التوفيق لهذه الوحدة ودعواته مخلصين أن تكون خيرا وبمذا للشعبين العظيمين ومبعث عز وكرامة للإسلام والعروبة ، وتباشير الصباح الصبوح قد ظهرت لذي عينين .

ولنا هنا رغبات نسأل الله أن يوفقنا فيها وأن يمنح أولى الأمر التوفيق لتحقيقها ولكن قبل أن نذكرها يجدر بنا أن نذكر ما صرح به الرئيس الماهر الحازم جمال عبد الناصر أن الثورة لا تدعى العصمة بالنسبة للجميع ما باشرته من أعمال وأن علينا أن نصصح ما قد يكون من أخطاء ويكفى الثورة ورجالها أنه خطأ كذلك نذكر ما أعلنه السيد أنور السادات في المؤتمر الشعبي بقنا أن الرئيس : جمال عبد الناصر يطلب من كل مواطن أن يبلغه عن الخطأ ويقترح طريق الإصلاح وحل ذلك بقوله لأن الرئيس ورفاقه في الحكم لا يمكنهم الإحاطة بكل شيء .

وقد رأينا رجال الدولة في مصر وسوريا يبذلون الجهود في سبيل توحيد القوانين ولو على سبيل التدرج ، وتوحيد القوانين بين القطرين اللذين أصبحا يكونان جسما واحدا هو الجمهورية العربية المتحدة أمر طبعى وصن سياسى ممتاز ، ولكن هل المراد بتوحيد القوانين أن تسرى قوانين مصر على سوريا أم قوانين سوريا على مصر . المنطق والعقل والحزم في السياسة أن يبحث ذوو البصيرة والنور والعرفان في القانون لما كان خيرا من غيره اتبع في القطرين سواء أ كان مصر يا أم سوريا بل من الحزم أنه إذا ظهر في القانون المختار بعض النقص أن يمدل بما يتلافى ذلك النقص .

ولهذا نرجو ورائدنا الإخلاص لله وللدن والوطن أن يعاد النظر في قانون توحيد القضاء الذى هو في الواقع إلغاء للمحاكم الشرعية وتحويل للفصل في الأحوال الشخصية إلى جهة غير جهة رجال الدين وقطع لصلة الأزهر بهذا الفرع من القضاء وهو به أجدر .

وقد امتلأت المجالس بالاعتراف بأنه لا يحسن القضاء في الأحوال الشخصية غير رجال كلية الشريعة من الأزهر ولهذا جرى العمل في وزارة العدل على أن القضاء المنفرد في المحاكم الجزئية لا يباشره إلا القاضى الشرعى وفي القضاء الكلى والعالى يباشره القاضى

الشرعى بجوار القاضى الوطنى مع الاستعانة بمذكرات عضو النيابة الذى يجب أن يكون من رجال القضاء الشرعى ، وهذا يعطى صورة قوية للوضوح للشعور بضعف القاضى الوطنى فى ناحية الأحوال الشخصية وإن رجال القضاء الشرعى كأما يقومون الآن بدور الأستاذ لتعليم القاضى الوطنى هذا الفرع من القضاء - ولكن الواقع من ناحية أخرى أن هذا الدرس فى المحكة لا يخرج القاضى الذى يجب أن يكون فى مستوى القاضى الذى درس هذه الناحية فى التعليم الابتدائى والثانوى والعالى وفى تخصص القضاء فى مدة خمسة عشر عاما .

وإننا لنهيب بلجنة التنظيم للقضاء وعلى رأسها رئيس محكمة القضا وهو رجل عليم بالقوانين عنك فى القضاء دقيق فى البحث والتحرى عن أحكم السبل الموصلة للعدالة أن تختار القاضى ذا القدوة البارزة على الفصل فيما يرفع إليه من قضايا الناس فى الأحوال الشخصية ، ونحن مطمئنون إلى أنها لن نجد ذلك القاضى إلا فى كلية الشريعة بالأزهر أو كلية الشريعة بسوريا .

ونسود من ناحية أخرى فنقول : إن الأزهر يرحب بكل إصلاح وتنظيم يرفع من شأن هذا القضاء ويدعم أركانه ويفسح المجال للعدالة .

وإذا كان للجنابات دائرة وللمنح دائرة وللأحوال المدنية دائرة وللأحوال التجارية دائرة ، فلماذا لا يكون للأحوال الشخصية دائرة يباشر الفصل فيها القضاة من كلية الشريعة ليسجلوا كما سجل أسلافهم من الأزهر تاريخا قضائيا مجيدا وليظهروا كما أظهر أسلافهم أفكارا مترنة نيرة تعتبر نبرا مافى العدل والإنصاف وقديما قيل أعط القوس باريها . على أنه إذا كان أولو الأمر قد ارتاحوا إلى الوضع الحال الذى يسير على أن يباشر هذا الفرع من القضاء القاضى الشرعى وحده فى القضاء المنفرد ويباشره مع غيره فى القضاء المشترك فلا مانع من بقاء هذا النظام واستمراره وذلك إنما يكون بقاء تخصص القضاء بكلية الشريعة .

ولا يصح الاكتفاء بهذا النظام على أن ينتهى باتهاء مدة الخدمة لرجال القضاء الشرعى الحاليين ثم يفرد بالقضاء بمدتهم القضاة من خريجي كلية الحقوق فإن فى ذلك هدم صرح شامخ من العلم والفقه الإسلامى يقدره حق قدره علماء القانون وفى مقدمتهم رئيس لجنة تنظيم القضاء ، كما أن فى ذلك تعريض العدالة لخطر وشيك الوقوع .

ورئيس لجنة تنظيم القضاء الذى يرى تخصيص القاضى بناحية فى جميع مراحل القضاء لاشك أنه يرى أن من مصلحة العدالة تخصيص قاض بالأحوال الشخصية وأنه لا يصح

أن يملأ ذلك المركز إلا من مارس الأحوال الشخصية في الدراسة نحسة عشر عاما ثم في الكتابة بالحكم ثم في عمل الموظف القضائي .

بهذا نتوجه إلى رجال الثورة وإلى الصابرين الحرة لرجال تطبيق القضاء . بن مصر و سوريا ، وإلى كل ذي رأى حروافه الضيور على ديه وعلى العدالة نسأله أن يلهم الجميع الصواب ويوفهم لإعلان كلمة الحق إنه سميع عجب .

ومن أهم أحداث العام الماضي وأخطرها زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لجمهوريات الاتحاد السوفيتي تلك الزيارة التي زادت أواصر الصداقة بين الجمهورية العربية وجمهوريات الاتحاد السوفيتي توثقا وقوة ، وأعلن فيها كل منهما لصاحبه الحب وبإدله الود والإخلاص ، ووقعت بينهما اتفاقات تجارية وتصديق ، ودأت فعلا ترد إلى مصر آلات المصانع وتلاحق ، وبغد الحمرء والعنبون على الجمهورية العربية وفي تفدير رجال المال والأعمال أنه لا تمضي فترة وجيزة إلا وتكون الجمهورية العربية قد شغلت المركز اللائق بها في التصديق والتجارة والزراعة ، وتصبح من الدول الكبرى في الشرق ، وهذه بعض آثار تلك الصداقة هذا إلى مساندة روسيا التي تعتبر الدولة الأولى في العالم لجمهوريتنا في ميادين السياسة و مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة وفي ميادين الحرب الباردة وفي كل موطن تحتاج فيه الجمهورية العربية بشطريها إلى سند قوى ومعين مخلص يساعدها في درء قوى الشر والعدوان عنها .

وليست هذه الزيارة الكريمة تستدعي التجرد من مبادئنا وخلم ديننا والتفحص بالمبادئ الشيوعية بل ولا تستدعي الصداقة بيننا وبينهم ذلك ولكن آثارها كما قلنا مبادلة الحب والإخلاص ، وإكل مبادئه وعقيدته بل ولكل سياسته ، ولهذا ما ترك الرئيس جمال عبد الناصر فرصة تمر إلا أعلن فيها سياسته الحياضية ورفع صوته جمهوريا في خطبه باستمراره الشديد بسياسة الحياض الإيجابية على رهوس الأنتهاد وعلى العالم أجمع ، تحت سمع وبصر أصدقائه الروسين ، وقد عظم بذلك في نظرساستهم وقدره حتى قدره بشخصيته الفذة المستقلة ، وهو والحق يقال ، سافر إلى روسيا وقلبه يفيض بالإيمان بربه والتمسك بدينه ومذهبه في سياسة الحياض الإيجابية والحرية التامة في الرأي والاستقلال في السياسة ، ثم عاد كما ذهب وقلبه مطمئن بالإيمان ومذهبه السياسي أقوى وأوثق وصلاته برجال السياسة في العالم أوسع وأشمل .

قلله الحمد أعظم الحمد على هذه النتيجة الباهرة السعيدة ، فقل للذين يخشون علينا الشيوعية من اتصالتنا بروسيا ، اطمئنوا فالرئيس الحازم ورفاقه من رجال الثورة أقوياء الإيمان بربهم وثيقو التمسك بدينهم ويحتفظون لجميع الأديان السماوية بحقها ، ويمسحون الحرية لمن يدين بها كما يسمح بذلك الإسلام ، قل للذين يخشون علينا الشيوعية من اتصالتنا

بروسيا اطمئنوا على دينكم ودولتكم ، فسادم الأزهر قويا يؤدى رسالته ، وما دام الأزهر هزير الجانب فلا خوف على الجمهورية العربية بشرطها ولا على سائر بلاد العربية من الشيوعية والمذاهب الهدامة وإني أسأل الله من أعماق قلبي أن يديم الأزهر في مصر قويا على المكافحة وضاما يتسع نوره على جميع الأقطار الإسلامية والعربية إن ربي لصميع لدعائه .

وآخر الأحداث الخطيرة في العام المعجى المنقضى حدث الثورة العراقية وهو بحق مسك الختام لحوادث هذا العام .

ففي الساعة الثالثة صباحا من يوم الاثنين المبارك السادس والعشرين من ذى الحجة سنة ١٣٧٧ هـ ( ١٤ يولية سنة ١٩٥٨ م ) بدأ زحف الجيش العراقي الباسل بقيادة فريق من الضباط الأحرار يتقدمهم الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ولم تمض أكثر من ساعة حتى كانت الثورة قد سيطرت على جميع المرافق الهامة .

وفي الساعة الرابعة أعلن مذيع محطة بغداد ما يأتي :

في ليلة ١٤ يولية سنة ١٩٥٨ م بدأ الزحف المقدس - الجيش العراقي الباسل - بنفض عبء الاستعمار عن كاهله - أفاق العرب من نومهم - سطعت أنوار الحرية - عمت الابتسامات ألساء الشعب - كان تحرير العراق حلما أصبح الآن حقيقة .

ثم أعلنت إذاعة بغداد أن الجيش قرر انتهاء عهد الملكية وبدء الحكم الجمهوري - وتألّف مجلس سيادة برئاسة الفريق الركن نجيب الريسى ويتمتع هذا المجلس بسلطات الجمهورية ويقوم باختيار الرئيس - وتألّف مجلس وزراء برئاسة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم . واستمرت الثورة تمتد إلى بلاد العراق وتستولى على المرافق ودور الحكومة ومكائن الجيش وما أن انتصف النهار حتى كانت جميع بلاد العراق قد بدت الثورة يدها على جميع ما فيها واستقرت فيها الحال وتبادل الناس التهانى وبدأ سيل التهانى من هيئات الشعب وأفرادهم من جميع الطبقات ينساب على قائد الثورة ومجلس السيادة ، وباركت الشعوب العربية كلها ثورة العراق وعمها السرور بتأييدها ونجاحها لأن في نجاحها انتصارا رائعا للقومية العربية . ولكن دول الاستعمار أذهلها البأ وكانت تغفل أنها سمحت في العراق حركة التحرر الوطني وخيل إليها أن السكون الذى ساد العراق هو سكون الخضوع والامتثال ولكن خاب ظنهم فقد كان هذا السكون سكون التحفز والانتفاض لإزالة الحكم الذين وصعهم الاستعمار لحكم الشعب لمصلحته في سبيل المافع الشخصية والذين جهدوا لإخراج الشعب العراق من محيط القومية العربية المتحدة فدانت دولة عملاء الاستعمار فهمهم من قضى نحبهم ومنهم من ينتظر « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتغز من تشاء وتذل من تشاء » بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » .

أجل إن هذا الحادث من أخطر أحداث هذا العام ، وهو منها كما قد قدمنا مسك الختام إذ تألق في تاج القومية العربية نجم جديد ، ورجاؤنا في فضل الله أن يتلوه نجم بعد نجم للدول العربية حتى تتم وحدتها ويرتفع علمها الموحد مرصعا بالنجوم لكل دولة منها نجم يتألق في الأفق ويبدأ الإسلام غربيا حيث قام كل أرواد قلائل ثم أخذ يزداد شأنه إلى أن انبسط سلطاناه في مدة وجيزة على كثير من آفاق المعمورة كذلك تعود جدته ويقوى شأنه ثانيا شيئا فشيئا ولا تزال دويلاته ودوله تتحرر وتقوى وتجمع وتتحد حتى يعود في مدة وجيزة سلطاناه وينبسط على ما كان ينبسط في المعمورة أو يزيد وبضئ نوره في الآفاق على ما كان بضئ أو يزيد وتتحقق بذلك غرابة الإسلام في عودته كما تحققت في مبدئه ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول بدأ الإسلام غربيا وسيعود غربيا كما بدأ .

وبعد : فإن مجلة الأزهر تفتتح باسم الله عامها الثلاثين في الدعوة إلى الله ودره الشبهات عن الدين وهدم ما يشيده الملحدون حتى يظهر وجه الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، كما خلقه الله صبوحة وضاء يجذب قلوب العالمين ويهديهم الصراط المستقيم ، وذلك أول واجبات مجلة الأزهر لتطعن إلى دخول الناس في الإسلام أو اجابا إذ هو الدين عند الله ، ومن يتبع غير الإسلام ديننا قلن يقبل منه .

وكذلك تحرص مجلة الأزهر في أداء الواجب المقدس نحو هداية الناس إلى الدين على إرشادهم للتحلق بالخلق الإسلامي الكريم ، وبذل المستطاع في تهذيب النفوس وتكميلها بالفضائل وتطهيرها من الرذائل حتى يتحقق بعد توحيد الله المقصد الأسمى الذي صرح به صاحب الرسالة في قوله ( إنما بسنت لأتمم مكارم الأخلاق ) .

وكما تؤدي ذلك مجلة الأزهر ، تؤدي معه بدقة واجبا نحو الامة العربية لغة الكتاب والسنة ، ومفتاح كنوز الدين .

ولا تدخر جهدا في القصص الحق عن رجال التاريخ الإسلامي ونشر كل ما ترى في نشره مصلحة تعود على الإسلام والمسلمين .

وبحمد الله جزيل الحمد على توفيق مجلة الأزهر لأداء واجبها كاملا ، ونرجوه أن يديم لها التوفيق في المستقبل من أيامها ، وأن يمدحها بعونه حتى نرى صورتها أتم وأكمل وأبهج وأجل . ونرجو جزيل الشكر لمن وفقهم الله لمساعدة المجلة على أداء رسالتها بأفلامهم وعلمهم وثقاتهم ، ونرجو الله أن يوفقهم في المستقبل للمشاركة وحمل ألوية الدعوة إلى دين الله ، والله المستعان ما

عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

# نفاية القرآن

- ٦١ -

## موقف الحق من الباطل الحاضر أشبه بالماضي

« وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر : أتتخذ أصناما آلهة ؟ إني أراك وقومك في ضلال مبين . »

إبراهيم الخليل كان في الطبقة العاشرة من أحماد نوح عليهما السلام . وبعد الطوفان بفترة غير وجيزة ، عمرت الأرض ثانيا بدمية كاثرة لمن كانوا مع نوح في سفينة الناجية من الغرق ، وظهر عمراتها كذلك بكائنات أخرى من حيوان وأطياف ، كانت مع نوح في السفينة ، ثم عاشت برعاية الله بعد ذلك ، تغدو وتروح في فجاج الأرض وسمائها .

وقد شاء الله لحيله إبراهيم ، أن يكون كالنوحه اليانعة ، تنفع الناس بنسبائها في الجور الهجير .

بعث الله إبراهيم ليحدث الحياة الروحية في معشره ، ولينثر من صوء المعرفة ما يبدد جهالة قائمة وقائمة فيهم ، وليجتاح وثنية ناجمة فيهم . والدعوة إلى الحق لا يهل ترويحها ، ولا تستغنى أبدا عن جهود شاقة في سبيلها ، ولا عن مصابرة للغواة الذين يخاضعونها ، ويتبحسون في مقاومتها ، ويؤثرون أن يرتعوا دائما في وادي الباطل .

وإذا كانت الأنفس غير مطبوعة من أول أمرها على المعرفة ، ولا جانحة إلى الزهادة في شهواتها ، فلا عذر لها في العكوف على النفي بعد أن يجيئها الناصح الأمين يستنصها إلى الخير ، دون أجر على هذا ، ويصبرها في التوجيه والإرشاد دون حرج عليها : إلا أنه تهذيب لهم ، وتطهير لدعائهم ، وتقويم لحياتهم في ضوء المعالم التي يحملها من عند الله .



وهذا إبراهيم عليه السلام - يرى من قومه ومن أبيه - آزر - شركا بالله ، وعبادة الكواكب أو الأصنام في إصرار على ذلك .

فيوجه إلى أبيه كما وجه إلى غيره ، ويخص أباه بشيء من الإقناع ليكون في ذلك استدراجاً للآخرين إذا لحظوا أن تيسير الوثنية أمر يشملهم كما يشمل أباه إبراهيم أو لحظوا أن وراء الدعوة خيراً يريدونه لهم كما أرادته لأبيه آزر .

دعا إبراهيم أباه إلى توحيد الله ، وساجله الحديث غير مرة حتى داخله اليأس من مطاوعته ، ولمس منه الزهادة فيما تصح به ، اشتد عليه في الجدل وأغاظ في الإنكار ، وقال له : « أمتخذ أصناماً آلهة ؟ » وكأنه سمع جواباً غير حميد ، وصادف نقاشاً غير لين ، فقال له : « إني أراك وقومك في ضلال مبين » .

ومن سنن الأنبياء والمصلحين أن يترقبوا بالناس في دعوتهم ، ليتأقنوا ، ويهتدوا عليهم ترك ما اعتادوا ، والأخذ بما لم يعتدوا ، ولكن إذا لقيت الدعوة مكاره ، وصادفت جهوداً ، واقتضى الحال أن يصارح الداعي أهل الباطل بباطلهم في أعنف ما يكون من القول حينذاك لا يقال : إن الداعي أغلظ في دعوته ، أو قسا في لهجته ، فإن الداء الدفين يحتاج إلى استئصال ، ولا يتعلمه غير العلاج الحاسم بعد أن يكون الرفق غير مجدي فيه .

وهنا لا يكون إبراهيم إلا داعياً رفيقاً بأبيه حينما صارحه بقوله : « إني أراك وقومك في ضلال مبين » ! والرفق في الدعوة ، مع الأخذ بجانب من الشدة حين الحاجة إليها هو المنهج المشروع في تبليغ الرسالات ، وهو المنهج المفروض على كل ذي دعوة يواجه الناس في شأن ديني أو دنيوي .

وهو المنهج الذي يلائم الفطرة ؛ لأن الإنسان إذا نشأ على نزعة ، أو شب على عادة فهي أحب إليه من سواها حتى يردعه عنها رادع في لين أو قسوة ، وذلك مفروض منه . . . هذا : وقد كانت محاولة إبراهيم أن يجارى قومه في تنديد الكواكب ، حتى يبدو من شأنها ما لا يتفق مع صفات الألوهية المزعومة عاد بالإنكار على قومه فيما اعتقدوا من باطل نحو هذه الكواكب : رأى بالليل كوكبا واحداً ، فقال هذا ربي ، فما لبث الكوكب أن أفل ، وخبا نوره فسارع إبراهيم وقال على مسمع من القوم : لا أحب الآفدين ، يعني لا يصلح هذا أن يكون ريباً ، .

ثم رأى القمر ساطع النور فقال « هذا ربى ، فابك القمر أن تضال . وأول ، فأعلن إبراهيم أنه بحاجة إلى الهداية للحق وأن القمر لا يصلح أن يكون ربا .

وقال « لست لم يهدنى ربى ، لا كونى من القوم الضالين ، وفى هذا النجم إشعار للناس بمسأله عليه من باطل واستدراج إلى الصواب الذى يغيب عنهم فى زحمة الخواطر الفاسدة .

ثم يرى إبراهيم الشمس بازغة فى ضوئها وبهجتها فيقول : « هذا ربى . هذا أكبر ، ولكنها أفلت آخر النهار ، كما هو شأنها ، وكما يعلم القوم ، وحينذاك نهضت حجته وصارهم بالبراءة من معتدئهم ، ومن شركهم ، وقال فى دفق « يا قوم !! إني برى بما تشركون » .

ثم اتجه إلى تعريفهم بالله الذى خلق تلك الكواكب ، بقدرته ، وسخرها بحكمته ، وأخضعها لأمره وإرادته « إني وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ، خفيها ما نلا عن الباطل .. وما أنا من المشركين » .

يعنى أنه لا يتابع قومه فى تركهم ، وأنه يتجه بقلبه فى إيمانه ، ويتجه بقلبه فى عبادته إلى الله حالة كونه خفيها أخدا بالحق فيما هو عليه ما نلا عن الباطل كله .

وبهذا وصل إبراهيم فى جدال أبيه وقومه إلى دحض مفترياتهم ، وإقامة الحجج عليهم فى بيان الحق ، فمن كانت وجهته الاهتداء فقد وضعت سبيله ، ومن كانت وجهته العناد فليس بعد الحق إلا الضلال .

هذه شرعة إبراهيم فيما علله ربه ، وهى شرعة التبيين من بعده وشرعة الإسلام فى الدعوة إلى الخير كله .

وإبراهيم هو الشجرة المورقة التى تفرعت عنها النبوة من بعده فى إسماعيل ومحمد ، وفى إسماعيل وبنيه من أنبياء بنى إسرائيل عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

والتمصص عن إبراهيم وغيره من الأنبياء قصص حق لا مرية فيه . . وقد لا يراه البعض جديدا ، ولا حديثا ذا بال .

ولكن اتوجه الدين الذى يساق لأجله القصص يرسم لنا طريق العبرة ويضع لنا معالم الهداية .

وما دما نعيش فى دنيانا ، ونختلط فى مجتمعنا أو نستقبل أزمنة متجددة ، أو أحداثا طارئة ، وتطلعا الحياة فى ألوان متعاقبة وتستهدف لأوضاع ، وشئون نحتاج فيها إلى أسباب

السلامة من السكره ، والاستطلال بطلال النعيم والطمانينة ، فلا يعتبر انقص الذي كلوه وتسمعه حديثاً معاداً ، ولا تعليماً مفروغاً منه .

بل هو جديد دائماً ، يتجدد الحياة ، محقة أن تستبد بنا الحياة الدنيا ، وتشغلنا عن الأخذ بما رسمت لنا سياسة السماء ، فتقطع الصلة بين الناس وربههم .

والله تعالى قد أقام دنيانا على مقتضى علمه وحكمته ، وتعدنا فيها بالإرشاد ، ونهينا إلى أن ذلك الإرشاد ضروري لنا كأمان لم قدر عند ربهم ، ولهم ميزة على سواهم من خلق ، وفي هذا يقول سبحانه « أيعجب الإنسان أن يترك سدى ؟ » ، « ألم يجعل له عينين ، ولساناً وشفتين ، وهدىناه النجدين » - طريق الخير وطريق الشر - « ولقد كرّمنا بني آدم » . « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » .

وهل يعتبر انقص لمجرد التذكير بما سلف ، دون أن يكون له واقع بيننا ، فنأخذ من ماضينا الحاضرنا ، ونثقل في ضوئه من حاضرنا إلى مستقبلنا ؟ ؟ .

ربما ظن بعض الأغرار أن الفصص تاريخ محض لاصلة له بحياتنا ، ولكن نظرة سيرة تكشف عن قرب الشبه بيننا وبين أولئك الأسلاف القدامى .

وربما وجدت كثرة مثقفة تقف من القصص هذا الموقف عينه فهم تعلموا ، ولم يتعلموا . . تعلموا هوس الملاحدة ، وتجميع بعض المتعلّسة وطربوا لما هناك من نرات طائفة هدامة ، ولم يتعلموا شيئاً مما يكفل سعادة ، أو يهذب روحاً ، أو يربي ضميراً .

تركوا الأدب المثروع ، والثقافة الخالدة ، واتجهوا نحو الأدب الموضوع ، وأدخلوا فيه كل موبقة ، وحسبوا منه المجاهرة بالإباحية التي تأبأها الفطرة حتى فطرة الحيوان الأعجم . كان الانحراف قديماً أثراً من آثار الجهالة التي حاربها الأنبياء ثم أصبح في عهدنا هذه أثراً من آثار التعليم المذوق الذي اقتاد الناس إلى العدوان على مميزات الإنسانية باسم الفلسفة ونام الحرية ونحو هذا مما لا يصح أن يدخل في نطاق التربية ، ولا يجوز أن يحمل اسم العلم إطلاقاً ، وإلا كان هذا استهتاراً بالعلم ووضعاً من قدره .

فليت نقحة من نقحات الله ترطب تلك العقول التي ألهبها وساوس الشياطين ، وتقف بتلك الأفكار عند حدة الاعتدال ، فتكون الدعوة إلى الصواب مقبولة عند أولئك المعاصرين الذين يعارضون الحق بالباطل ، وتمكون دعوة المصلحين منهجاً يأخذون به ، ويؤازرونه في اتوجهيه . والله يهدينا ويهدي الجميع ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر

## الهجرة الميمنية

لقد دار الفلك دورته ، وأعاد العام الهجري سابغ نعمته وسيرته . وأطلنا عام هجري جديد . ورائحته ذكية ، وشذاه يملأ جميع البقاع الإسلامية ، يحمل معه أجماد الإسلام الخالدة ، ومفاخره السامقة . التي لها أصل ثابت وفرع في السماء . وهو حادث يذكرنا بما أفاء الله على خاتم رسله من الخير لسائر الأنعام ؛ رحمة وذكرى لأولى العقول والأحلام ؛ وإياها لنصرع إلى الله محصلين في الدعاء أن يهل علينا هذا العام الجديد حاملاً بين طياته الأمن والطمأنينة لبني الإنسان ، في كل بقعة من بقاع الأرض وفي كل مكان ، كما سألناه أن يتم على الأمم المستعمرة نعمة الحرية والكرامة والعزة ، وأن يرفع عن أعناقها نير العبودية ، ويعزها بصخر الحرية ، وأن يجنب العالم وبيلات الدمار والعناء ، ويجمع قلوب البشر على شرعة من المساواة والإخاء والعدل والسلام .

ولئن عدت الحوادث الجسام التي هزت الإنسانية في تاريخها الطويل منذ وجدت ، لجاء حادث الهجرة في الصدارة وفي الدروة منها ، فهو الحادث الذي غير وجه التاريخ ، وأقعد العالم من ظلمات الجهل والعوضي والاضطراب ، وطهره من فساد العقيدة ، ووصل به إلى نور العلم والاستقرار ، وسلامة العقيدة التي أنارت القلوب وطهرت النفوس ، فأحكمت سير الجوارح وأقامتها على الطريق القويم ، والصراط المستقيم ، صراط من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

لحادث الهجرة يبعث في النفوس ذكريات الطولة والعظمة ، بطولة في أجل مظاهرها ، وعظمة في أعز سلطانها ، كما يبعث ذكرى الصبر في أكمل معانيه ، والتضحية في مثلبها العليا ، والإيثار في أوضح صوره ، وإنكار الذات في أرفع مثله ، وعزة النفس في بليغ ثقتها . فقد ظل الرسول عليه السلام بمكة ثلاثة عشر عاماً ينشر وينذر ، ويدعو قومه سرّاً وجرراً ، فما لانت لهم قناة ولا رق لاكثرهم قلب ، ولا انزعج لدعوته صدر ؛ لأن الحفاظ على القديم والاعتصام بالوثنية التي وجوها عنها آباؤهم لم تزدهم إلا عناداً لهذا الدين الجديد ، ولم تبلغ بهم إلا فراراً واستكباراً ، وكلنا أمعن الداعي في تبليغ رسالته أمعنوا في المكربه ، وصدق الله تعالى إذ يقول : « وإذ يمسرك بك الدين كسروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

فالهجرة أمر محتوم استدعته الظروف والملاسات ؛ لأن الموقف أصبح محصوراً في أمرين إما نزول الداعي عن دعوته والرجوع عن التبشير بهذا الدين الجديد ، أو الخروج إلى مكان يطمئن فيه إلى ثمر دعوته ، وأداء رسالته ، في بلد طيب يتقبل أهله هذه الدعوة بالقبول الحسن . وكيف يكون النزول عن الدعوة من مصلح ، بله رسول صمم على القيام بواجبه والجهاد في سبيل دعوته ، وهو الذي صور دعوته أروع تصوير حينما دعاه الله أبو طالب للكف عما هو سائر عنه من تبليغ الرسالة ، فقال عليه السلام قولة ملأت سمع الدنيا : « والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه » . وإذا ما أردنا الانتماع بهطات الهجرة وجب علينا أن نتعلم منها كيف يكون الحفاظ على العقيدة ، وكيف يكون البذل في القيام بواجبها ، فصاحب العقيدة الحق يجب عليه ألا يتقيد بزمان ولا بمكان ، بل يقام الأرض كلها ميدان له يركض أن استطاع أن يركض ، ويوجه حيث استطاع الإيجاب ، فسيرة تشكيف تبعاً للظروف والأحوال ، فأنت ترى النبي عليه السلام حينما أمر بالجهاد بالدعوة بعد أن نزل عليه قوله تعالى : « وأندر عشيرتك الأفرير » ، يشعر بعظم الأمر ويقول لوجه خديجة رضي الله عنها : ( يا خديجة قد انقضى زمن النوم والراحة ، فقد أمرني جبريل أن أندر الناس . وأن أدعوهم إلى الله تعالى وإلى عبادته ، فمن ذا أدعو ومن ذا يستجيب لي ؟ ) . فهذه المقالة تدل على كل ما جال بخاطره عليه السلام مما تستلزمه دعوته من جد وعمل مع من أرسل إليهم من عباد الأصنام والأوثان ، وما هم عليه من فوضى واضطراب في العقيدة الباطلة التي ورثوها ، وأصبحت طبيعة لهم لا يتزعجون عنها ، وإن أروع مثال للتضحية في سبيل المبدأ والعقيدة ما قام به في عرض دعوته على ثقيف بالطائف ، ورجوعه منها بشر جواب ؛ إذا أغروا به سفهاءهم يضربونه ويسبونونه ، فلجأ إلى بستان لعقبة وشيعة ابنه ربيعة فاحتسب به من شر هؤلاء السفهاء ، وتحمل ذلك الإيذاء بصبر وجلد ، وجعل تلك الهزيمة وسيلة لمضاعفة الجهد ومضاء العزيمة .

وإن محاصرة محمد ومن تبعه في شعب أبي طالب ، وقطع موارد التموين عنهم حتى يموتوا جوعاً أو يرجعوا إلى دين آبائهم وأسلامهم ، تلك المحاصرة التي استمرت ثلاث سنوات ، قاطع فيها المشركون محمداً وصحبه فلم تكن لهم قناه ، ولم تضعف لهم عزيمة ، ولم تزعزع لهم عقيدة ، رغم أن كلهم أوراق الشجر ، لم تزدحم الشدة إلا صلابته ولم يزدحم التعذيب إلا ثباته . ففي الهجرة وفي مقدماتها وفي آثارها عظات تبنى عليها أقوى الأمم وأعز الشعوب ، ومن الهجرة يجب أن نتعلم واجب الجندي مع قائده ، فالجندي يفترس قائده بحاله وروحه ، ولنا في الحديث عن أبي بكر

رضي الله عنه وعما أداه للجنديّة من وفاء وإخلاص أعظم عبرة ، فهو الذي ترك ماله بمكة ليفرّ بدينه ، ويكون بحوار رسول الله صلى الله عليه وسلم معتدياً له بأنّما نفسه بيع السباح : فقد وصل الرسول عليه السلام وأبو بكر إلى الغار ، فدخل أبو بكر يعتش الغار عافة أن يكون فيه ما يؤذى من الحشرات ، فقال له الرسول ، مالك يا أبا بكر؟ فقال بأني أنت وأمي الغيران مأوى السباح والهاوم ، فإن كان فيه شيء من الأذى كان على لا عليك ، وقد وضع عقبه على جحر في الغار خشية أن يخرج منه ما يؤذى الرسول عليه السلام . وفي الإيثار الذي ظهر من الأنصار في المدينة عظة وأى عظة ! فهؤلاء الأنصار الذين نبؤوا الدار والإيمان من قبل ، يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وهم الذين قال لهم النبي إن شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم وأموالكم ، وقسمت لكم من النوى كما قسمت لهم ، وإن شئتم كان لهم القسمة ولكم دياركم وأموالكم . فقالوا : لا بل قسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالنوى . ولا تشاركهم فيه ، فأى سخاء يعطى هذا السخاء ! وأى جود يصل إلى هذا الجود ! وليس عجيباً أن يكون الأنصار على هذا السمو الخاق ، وهم الذين ارتضوا من ندى العالم الإسلامي وأشرقت قلوبهم بنورها ، ومعلمهم الرسول الأكرم الذي كان أجود بالخير من الريح المرسلة ! لقد عمل الإخاء الإسلامي الذي وضع الرسول أساسه بين المهاجرين والأنصار ، ما لا تعمله وسائل القهر والاضطهاد ؛ لأن الإخاء التابع من القلوب ينبت أطيب الثمار من المودة والألفة والمحبة ، فإذا سميتا عيد الهجرة عيد الحرية والنصر ، فذلك قول الصدق وكلمة الحق قال تعالى : « إلا تصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » .

ولقد صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده . ففي العام التاسع من الهجرة خففت راية الإسلام على أكثر بلاد العرب ، وأمن أهلها على أنفسهم ، وخرج النبي عليه السلام إلى نخوة تبوك بقود جيشاً عدته ثلاثون ألفاً ، وصاح أصحابها على الجزية ، وقد كانت هذه البتاع تابعة للروم ، وفي السنة العاشرة حج النبي مع أصحابه حجة الوداع ، وحطب خطبته الجامعة التي ضمنها من التعاليم ما يكفل للدوليين نظاماً ثابتاً لديهم ودينام ، فيها الخير والرشد وقد نزل عليه في يوم الحج الأكبر قوله تعالى ( اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ) ولم يكن خاتم الرسل عليه السلام أول من هاجر فراراً بدينه ودعوته من بيئة الظلم والشر والاضطهاد والأذى ، فالقرآن الكريم يتحدثنا عن كثير من الرسل

هاجروا بعد أن أبلوا وجلعدوا في دعوة قومهم وأهلهم إلى الإيمان بأقوم حجة ، وأنصح منطق ، وأبلغ قول . وكلهم كانت هجرته تخلصا من الأمانة التي عبت أنصار أهلها عن رؤية الحق ، وصحت آذانهم عن سماع دعوة الصدق ، وذلوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب . وأي تضحية تصل إلى تضحية علي وأبي بكر رضي الله عنهما لنجاح هذه الهجرة ، فكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على قبليخ دعوته ورسالته ، كان علي وأبو بكر حريصين على حياة الرسول وسلامته مهما لقيتا في سبيل ذلك من الشدائد والمخاطر ؛ فقد نام على رضى الله عنه في موضع يعلم المشركون أن النبي عليه السلام ينام فيه ، وكان على يعتقد أن المشركين لا يفعلون طريقة عيب عن محاصرة الرسول وعدم تمكينه من الخروج من مكة ، ومع ذلك فقد استعد للتضحية والهداء ، وأدى هذه المهمة التي تحيطها الأخطار والأهوال .

ولقد كان أبو بكر يتقدم الرسول أحيانا في السير ، ويتأخر عنه أحيانا أخرى . فقال له النبي لم تفعل ذلك يا أبا بكر؟ فقال أئذ كر الرصد الذي أمامك فأقدم عليك دفعا لمكروه يلحقك ، وأئذ ذكر الطالبين لك فأناخر عنك مواجهة للأخطار قبل أن تصل إليك . قصة الهجرة رهبة في بدايتها ، جليلة في نهايتها . فقد كانت الدعامة القوية في بناء الدعوة الإسلامية .

ولقد أدرك أمير المؤمنين العاروق عمر رضي الله عنه بثاقب حكمته - وهو المهلم بشهادة الرسول عليه السلام - أدرك رضي الله عنه ما للهجرة من فضل وحير على الإسلام والمسلمين . فاختار الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامي ؛ لأنها أروع حوادث الإسلام ، وأحفها بجلائل الأعمال . ولما نزل النبي عليه السلام يثرب سرعان ما ألف بين قلوب أهلها من الأوس والخزرج وكانوا متباغضين فأصبحوا بنعمة الله إخوانا . ثم آخى بين الأنصار والمهاجرين أخوة في الدين ربطت الأرواح ، وجمعت القلوب ، وكانت السبيل إلى إعلاء كلمة الإسلام . ولم تطل الأيام التي قصاها الرسول عليه السلام بالمدينة ، فقد كانت ما يقرب من عشر سنوات ، عاد المسلمون في أواخرها إلى فتح مكة ؛ ليظهروها من الشرك ، ويرجموا عنها دنس الأصنام ، ويرفعوا كلمة الله في بيت الله . والمشركون لا يطيقون لهم رداً ولا دنساً ، ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ؛ ودخل الرسول عليه السلام مكة ظافراً قاهراً ، مع أنه خرج منها قبل ذلك فاراً بدينه ، ولقد جمع خصومه المشركين من أهل مكة وسألمهم ما يظنون أنه يفعل بهم؟ فقالوا : حيرا أخ كريم وابن أخ كريم . فعفا عنهم وقال لهم : ( انصبوا فأتمم الطقاء ) : وإن الحفاظ على العروبة والإسلام في هذه المحنة الحاضرة هو أنجح علاج لهذه الشرور وتلك المخاطر . فقد عمل الاستمرار على البقية بالصفحة التالية

## نحن والصيف

لقد مضى الربيع وأقبل الصيف ، يقرب الله الليل والنهار ، ، « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » ، « وتلك الأيام نداولها بين الناس » . . . وإذا كان الربيع يذكر الإنسان بموسم الورود والرياحين ، واعتدال الجو ولطف النسيم ، فإن الصيف يذكره بفترة من فترات الاختبار والابتلاء ؛ لما في الصيف من شدة وعنف . ولقد كان الصيف يمر على أجدادنا فيرحبون به ويفرحون فيه ، ويتحدونه فرصة من فرص التدريب للعزائم على الثبات ، والتمرين للنفوس على الاحتمال ، فكانوا يحبون الصوم فيه راضين بما ينوقونه خلاله من شدة وطمأ ، ولذلك نسوا إلى الإمام على رضي الله عنه أن من أحب الأشياء إليه أن يصوم في الصيف . . . وكانوا يرحبون بالجهاد فيه ، ويرون في العرق المتصبب من جباههم أثناء كدحهم طهوراً ينهب دنوبهم وضراهم ، ويحقق سعادتهم وسراهم ، وهذه غزوة تبوك تأتي في وقت الحر والفقر والجوع معاً ، فيسارع إليها أبناء الإيمان مستخفين بالتعب والنصب معرضين عن الراحة والهدوء ، ويخرجون في الظمأ والقليل ليؤدبوا أعداء الله وأعداء الإسلام . وكان المنافقون يحرضون المسلمين حيثئذ على عدم التغير في الحر ، ويغرونهم بالبقاء في الظلال والرياش ، فلا يصغرون إليهم ، ولا يسمعون منهم ؛ لأنهم يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى ، وأن عقاب الله على التعريط والتقصص أشد وأنكى : « وقالوا لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون » .

تفريق الدول الإسلامية بعضها عن بعض ؛ ليقوى سلطانها ويشتد نموده ، ويسيطر على ميزان القوى في جميع البلاد العربية والإسلامية . وإنا نترجو للمخلصين في هذه البلاد توفيقاً وعوناً من الشعوب التي استيقظت بعد سبات طويل ، وانتفضت انتفاضة قوية بعد رقاد ؛ بتخدير المستعمرين . فليس أطيب لنفس المستعمر من جهل الأمم المغلوبة وضعفها ودلها ؛ لأنه بمقدار ضعفها ودلها يزداد عزه وقوته وسلطانها فيها . وكلما رأى المستعمر ينقطة من الشعوب المستعبدة خفق قلبه واصططكت أسنانه ، وصاقت عليه الأرض بما رحبت ، فذكر مكرأ بهذه الأمم ليعوت عليها فرص اغتنام حريتها وعزتها وسلطانها . وإن في الحركات القوية المتعددة في الشعوب المستعمرة لباشير قوية ، تؤخذ باندياق فجر جديد بعد ليل طويل اشتدت ظلمته ، حتى كادت النفوس أن تياس من انتهائه ، وائس على الله بعزير أن يبدل عز المستعمر ذلاً ، وسلطانها ضعفاً ، إنه على ما يشاء قدير .

عبد الله مصطفى المراغى



وهذا هو الصحابي « أبو خيشمة » يتأخر قليلا عن الخروج مع رسول الله عليه صلوات الله في غزوة تبوك ، ويعود أبو خيشمة إلى بيته فيجد امرأتين له في عريشين بداخل حديقته وكل منهما قد رشت عريشها ، وبردت له ماء ، وهيات طعاما ، والجو حار ، والرحلة قصيرة فنظر أبو خيشمة إلى امرأته وما صنعتا ثم قال : « رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح ( الشمس ) والريح والحر ، وأبو خيشمة في ظل بارد ، وطعام مهيأ ، وامرأة حسناء !! ما هذا بالنصف ( الإيصال ) والله لا ادخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيثالي زادا » . وخرج حتى لحق بالرسول الذي قال له : « أولى لك يا أبا خيشمة ! ولما قصر عليه أبو خيشمة أمره . قال له الرسول خيرا ودعا له بخير . . . »

\*\*\*

نعم جاء الصيف وفيه ترتفع درجة الحرارة ، وتزداد الأشياء ، فتتحرك الجراثيم من مراقدها ، وتكثر الحشرات والمخوام ، مما يستلزم الحيلة والحذر ، ويدعو إلى النظافة والوقاية والحرص على انتظام والنقاء . . . وبحوار هذه الحشرات وانتفاذورات الحسية الحقيمة تنطق في الصيف جرائم بشرية وحشرات أخرى من الحق ، لها خبثها ونجسها ، ولها شرها وضررها ؛ فمن هذه الحشرات طوائف من النساء يتهنزون موسم الصيف للتعري من الثياب والحياء معا ، ويتبرجن بروج الجاهلية الأولى ، ويبدن من الرينة والأطراف والعورات ما يثير ويفتن ، ويأبسن تلك الملابس المخزقة ، الصيقة المصقفة ، التي يعجب الناس منها ويتساملون عنها : كيف استطاعت هذه المرأة المتبرجة أن تحتر جسمها حثرا في ذلك الثوب الشفيف الضيق ؟ ولأى غرض أبدت من جسمها ما أبدت ، وضغطت ما ضغطت وحددت ما حددت ؟ . . . إنما فعلت ذلك لتريد العيون الجائعة نهما وشرهة ، وتعري الدناب المترصدة بالهجوم والاعتداء ، وتثير فتنة جنسية ليست دواعيها قبيحة . . . والأزواج ساكتون ، والآباء غافلون ، والأمهات لاهيات ، وولاة الأمور لا يتدخلون ، وليكن ما يكون . . . !!

وإذا وجهت اللوم أو انتقد إلى فريق من هؤلاء أجابوك بقولهم : « إن للصيف حكمه » . فلا كان هذا الصيف الذي يفتح علينا أبواب البلاء بهذه الصورة ، ولا كان هؤلاء الذين يسيئون استعمال الصيف ، ، فيجعلونه موسم تحلل ولجور ، لا موسم راحة وهدوء . . . !

\*\*\*

ويقبل علينا الصيف فتقبل معه مأساة المصايف على الشواطئ ، حيث يفتح الشيطان

اللعين عند كل شاطئ\* ملعباً خطيراً حيثما من ملاعب الإثم والفتنة ، يمرض فيه لحوم النساء المسلوخة من صيانتها وعمتها أمام أظفار الرجال المتجردين من ثيابهم وغيرتهم ، وهناك يكون ما يكون مما أصبح الحديث عنه موصوفاً بالتكرار والسأم والملل ، وإن كان الواجب على دعاة الخير ألا يستموا من معاودة النصيح وتكرار التذكير ، وخصوصاً أن البلاد يزداد طاماً بعد عام ... نرى الماشي كان الناس يقصدون المصايف على خجل واستحياء ، ويخجلون ثيابهم في نوع من التستر والمواراة ، وأما اليوم فلا خجل ولا حياء .

وبالأمس كان هناك من علماء الإسلام من يقاومون وباء المصايف ، ويناهضون ما يها من لجور ، وكان هؤلاء العلماء ينقون التقدير والإعجاب من الكثيرين ، وأما من يصكر اليوم في مقاومة المصايف وغورها فإنه يكون موضع السخرية والاستهزاء ، وهكذا أصبح الحق غريباً مهضوماً في دنيا الباطل العريض الأنيم ... وبالأمس كانوا يخصصون في الشواطئ\* أما كن أو أوقافاً للنساء ، فأصبح النساء اليوم حريصات على ترك أوقافهن وأما كنهن ليمزجن بكتل الرجال العراة ، وانقلب بعض الرجال إلى تيوس ، حتى سمعنا بمن حمل زوجته حلاً على التجرد من ثيابها لتزل البحر مع مجموعة من أصدقائه ، ولما تمتعت بحكم حياتها الموروثة وصفها بأنها لا تصلح لحياته الراقية ما دامت متأخرة بهذه الصورة ...

ليت الدين يهرعون إلى المصايف في اختلاط فاحش ، وتحلل واضح ، ولجور وقبح ، يستمعون إلى القصيدة المنشورة التي صاغها الراقص وفيها يحاطب النساء على الشاطئ. فيقول فيها يقول :

« يا لحوم البحر ، سلحك جرار من ثيابك .. جزار لا يذبح بألم ولكن بلذة ، ولا يحز بالسكين ولكن بالماطفة ، ولا يبيت الحى إلا موتاً أدبياً ... إلى الهيجا . يا أبطال معركة الرجال والنساء ، فهنا تنعم نوااميس الطبيعة ، ونوااميس الأخلاق ؛ للطبيعة أسلحة العرى والمخاطلة والنظر والانس والتصاحك ، ونزوع المعنى إلى المعنى ، وللأخلاق المهزومة سلاح من الدين قد صدئ ، وسلاح من الحياء مكسور .. يا لحوم البحر سلحك من ثيابك جرار . الشاطئ كبير كبير يسع الآلاف والآلاف ، ولكنه للرجل والمرأة صغير صغير حتى لا يكون إلا خلوة ، وتقضى الفتاة سننها تعلم ، ثم تأتي هنا تتذكر جملها وتعرف ما هو ؛ وتمضي المرأة حامها كريمة ، ثم تجيء لتجد هنا مادة اللؤم الطبيعي ... لو كانت حجاجه صوامعاً للعتاة الكعبة لوجودها في ( استأنلي ) ... العتاة ترى في الرجال العريانيين أشباح أحلامها ، وهذا معنى من السقوط ... والمرأة تسارقهم النظر تنوعاً لرجلها الواحد وهذا معنى من المواخير ... أين

تكون النية الصالحة لفتاة أو امرأة بين رجال عريانيين؟ ... يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار...!

هناك التربة وهنا إعلان الإغفال والطيش، وهناك الدين، وهنا أسباب الإغراء والزلل؛ هناك تكلف الأخلاق، وهنا طبيعة الحرية منها، وهناك العزيمة بالتمهر يوماً بعد يوم، وهنا إيسادها بالترخص يوماً بعد يوم، والبحر يعلم اللأني والذين يسبحون فيه كيف يفرقون في البر... لو درى هؤلاء وهؤلاء معرة اعتسالمهم معاً في البحر لاعتسلوا من البحر، فقطرة الماء التي نجستها الشهوات قد اسكبت في دماهم، وذرة الرمل النجسة في الشاطئ ستكبر حتى تصير بيتاً نجساً لأب وأم... يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار...

يحيثون للشمس التي تقوى بها صفات الجسم، ليجد كل من الجنسين شمساً التي تصعب بها صفات القلب؛ يحيثون للهواء الذي تتجدد به عناصر الدم، ليجدوا الهواء الآخر الذي تصد به معاني الدم... يحيثون للبحر الذي يأخذون منه القوة والعافية، ليأخذوا عنه أيضاً شريعته الطبيعية: سمكة تطارد سمكة؛ ويقولون: ليس على المصيف حرج؛ أي لأنه أعمى الأدب، وليس على الأعمى حرج... يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار، ١١.

إن فوضى الاختلاط بين الرجال والنساء - وبخاصة في الشواطئ والحمامات - يجب أن يوضع لها حد، وأن تعالج بما يحفظ الحرمات والأعراس، فبالأمر كان في الناس خجل وحياء، فيستحي الرجل من المرأة، وتستحي المرأة من الرجل، وأما اليوم فيصل الأمر إلى أن رواد أحد الحمامات في فندق كبير مشهور يحتجون على صاحب الفندق ويشاجرونه، لأنهم يريدون سيدات لتدليكهم أثناء الاستحمام في الحمام؛ ولما أحضر لهم صاحب الفندق رجالاً أمثالهم ليقوموا بهذا التدليك رفضوا وتشاجروا مع صاحب الفندق ونضاربوا، وانتهى الجميع إلى دار الشرطة، ونشرت الصحف القصة المخزية المخجلة على الناس...

وليس بعيد أن نسمع أن النساء في الحمامات النسائية يتشاجرون؛ لأنهن يطالبن برجال ليقوموا بتدليكهن في هذه الحمامات ١١.

إن بعض مراجع الحديث تنسب إلى رسول الله عليه صلوات الله حديثاً يصور - برغم ما فيه من مقال - ما بلغته الحال من سوء الحال، فيقول: «كيف أتم إذا طغى بساؤكم، وفسق شبانكم، وتركتم؟ قالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول الله؟ قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون. قالوا: وما أشد منه يا رسول الله؟ قال: كيف أتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ قالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول الله. قال: نعم والذي

نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله . قال : نعم والذي نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : يقول الله تعالى : في حلفت لأتجنن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران . !! ...

وأحب أن أسأل : هل يبق حليم عاقل ولم يشعر بمرارة الحيرة والحسرة مما صار إليه أمر الأمة الإسلامية من خروج على قواعد العفة والحجل والحياء ؟ !

وأيّن حائناً اليوم في هذا المجال من حال أسلافنا ؟ . وهذا مثلاً هو الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه يتزوج فاطمة بنت عبد الملك ربيبة القصور والترف ، وهبت الخلفاء الطعام ، ومع ذلك يحملها على منهج الصيانة والعفاف والسعد عن الشهوات وعن الاختلاط فلا تعارض ولا تقاوم ، يأخذ أولاده وبناته بالحزم والعزم ، فلا تبرح ولا تحبل ولا اختلاط ولا اطمحار لما حرم الله أن يظهر ؛ وكان عمر في هذا المنهج قوياً صامداً ، حتى تريد إحدى بناته أن تتجمل فترسل إليه لؤلؤة ليرسل إليها بأختها حتى تجعلها قرطاً ، فيضع بين يديها جمرتين من النار ويقول لها : إن استطعت أن تجعلى هاتين الجمرتين في أديك بعثت إليك بأخت لها . . . . . وكأنما كن يريد أن يبعد بينه عن كل ريبة حتى يصير مثلاً أعلى لبيوت المسلمين .

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام ... إن الله تبارك وتعالى قد هيا لنا أثناء الصيف أشياء يمكننا التمتع بها والتمتع بخيراتنا في طهارة وصفاء ... هيا لنا البحار والأنهار ، والأشجار والأزهار ، والهواء الرقيق والنسيم العليل في الأصائل والأمسيات ، ومن الممكن للسلم أن يأخذ من كل هذه الأشياء نصيبه الملائم في اعتدال واستقامة وعائنة الصدقة بنت الصديق رضوان الله عليهما نخبرنا بأنه ما تمتع الأشجار بشيء إلا تمتع به الأخيار وزاحوا عليه رضا الله ... فلتقف على أبواب الصيف متدبرين مفكرين ، متذكرين أن لنا ديناً ، وأن لنا أخلاقاً ، وأن لنا حرماً ، وأن كلاً منا راع ، وكل راع مسئول عن رعيته ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

أحمد الشرباعى  
المدرس بالأزهر الشريف

## الإسلام والطب الحديث

### على هامش المؤتمر الطبي للسرطان

يتقدم العلم كل يوم خطوات تكشف من أسرار الكون ما يهر ويدهش ، وتفتح من مغاليق الغيب ونواميس الوجود ما يسوق النفوس إلى الإيمان بوحدة الديان .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد  
وفي كثير مما يكشفه العلم من الحقائق والأسرار ما يطابق ما قرره الإسلام وكان محجبا  
بالاستار حتى فض العلم حاتم وأوضح مبهمه .

وهذه الحقائق جديرة أن يتدبرها المنصفون وبخاصة الماديين الذين أخذوا إلى الأرض ودانوا بالحسيات ، فلا يؤمنون إلا بما يرون ويسمعون ، وتحبطوا في طلمات الشك وتشعبت بهم مسالك الضلال .

لقد نهج الإسلام بالبنية مناهج تحوطها بالرعاية والعناية ، وقرر لها أحكاما ظهرت الحكمة في كثير منها وخفيت علينا في بعضها ، وكان ذلك الخفاء مثار تشكك وجدل من مدحولى الإيمان وذوى الأعراض والأهواء والمتونين ببعض المعارف . ولطالما نادى المؤمنون هؤلاء المفرورين أن يقتصدوا في الحكم ، ويتزموا جانب الحيمة والحذر والأدب فيما لا يفقهون من علل الأحكام ، حتى تواترهم آيات الله وتمتص لم مقاصدها وحكمها ، ولكن سائق الغرور كان يلهب طهورهم فيمعنون في النقي ثم لا يقصرون .

لقد جاء الإسلام بتماليم تصل بالطب ، التقت في عاياتها بما قرره الطب وأثبت فائدته ، فلم تعد مجالا للنقادة والجدال ، وكان يكنى في تقدير الإصاف أن يقاس عليه ما لم تستبين فائدته ، فيقتنع المنصف بما فيه من خير ، وما يدعو إليه من رشاد ، مادام المصدر واحدا ومبعث النور والمهدى واحدا . لقد حرم الإسلام الميتة والدم والحر والحلم الخنزير ، وظل الناس أحقادا يجهلون البواعث على ذلك والسرفية حتى جلاها العلم ، وكشف عن وجه الأذى فيها ، فازداد المؤمنون بها إيمانا ، وأقصر من في قلوبهم مرض عن التشكك في جنواها والمكابرة في مراياها ، ومنع الإسلام من تلويث المياه بالفضلات ، وظلنا نجمل السبب في ذلك أيضا حتى كشف العلم من مقدار الخطر فيها ، وأن الماء الملوث مباءة الجراثيم لأمراض البهارسيا والإنكلستوما

وغيرهما ، فكان ذلك التوافق مبعث الدهش والإعجاب من العلماء والأطباء ، ومن يصدعون بالحق ولا يعاندون الحقائق .

وفي تعاليم الإسلام مما يتصل بالطب ما لم يصل العلماء بعد إلى تبيان وجه المصلحة في تقريره ، وما زال العلم يواصل الخطى فيه ، ويأتى كل يوم بجديد يثلج النفس ، ويشرح الصدر ، ويقرر وجه الإعجاز في تعاليم أنبيائها أى لم يتل من قبلها من كتاب ولم يدرس في جامعة ولا كتاب .

لقد انعقد في القاهرة في شهر مايو من هذه السنة المؤتمر الأول للجمعية العلمية للسرطان ؛ للبحث في شئون مرض السرطان وما يتعلق به من وقاية وعلاج ، وهذا المرض - ونسأل الله العافية - من الأمراض المستعصية ، التي لم يتوصل العلم والعلماء رغم الجهد المتواصل إلى كشف حاسم في علاجها ولا إلى الأسباب التي تحدثه وكشف المؤتمر في هذا الصدد عن حقائق خطيرة تتلاقى مع نظر الإسلام في بعض تعاليمه ، وإنها لحقائق ما كانت تدور في خاطر الأطباء ورجال الدين وعلماء النفس من قبل لولا هذه الصدفة العلمية الموفقة ، وكثيراً ما كانت الصدفة خيراً ، على الإنسانية ، فأفادت منها وجنت من ثمارها .

لقد كشف هذا المؤتمر عن وجه الحكمة في امتداد إرضاع الطفل حولين كاملين ، فقرر : « أن في هذا الامتدادوقاية في كثير من الأحيان من سرطان الثدي في النساء ، لكثرة امتصاص الطفل لثدي أمه ، وأنه لهذا يرى أن من أكبر الخطأ أن ترضى الأم على طفلها بالإرضاع ، وهي بهذا تعرض نفسها لهذا المرض الخطير ، وقد ثبت من الإحصاء في اليابان أن اليابانيات من أقل نساء العالم المتحضر إصابة بهذا النوع من السرطان ؛ لأن الأم اليابانية ترضع ابنها حولين كاملين ، ولعل في هذا ما يعمل ازدياد حالات سرطان الثدي في بلادنا - مصر - لرضع الأمهات الملهووظ في العصر الحديث على أولادهم بالرضاعة الطبيعية أو تمجّلن بالنظام » .

وقد اتفق المؤتمر في هذه الحقيقة بما قرره الإسلام من جعل مدة الرضاع عامين حيث جاء في الكتاب الكريم : « ووصينا الإنسان بوالديه ؛ حمته أمه وهنا على وهن ، وفصاله في عامين » . وما كشفه المؤتمر في هذا الصدد « أن ختان الصبيان واق من سرطان الفالفة وهي الجلدة التي تزال بالختان ، فقد اتضح أن الفضول التي تتجمع في هذه القلفة بها مادة لداعة قادرة على إحداث السرطان » .

وأدعى من ذلك إلى التأمل أن وجود القلفة بما فيها من الفضول يزيد من احتمال إصابة الزوجة بسرطان عتق الرحم من تأثير هذه الفضول . وقد اتفق المؤتمر في هذه الحقائق بما سنه الإسلام من الحثان دفعها لما أسفر عنه الكشف العلني من الأضرار ، وقد أقرس المؤتمر بما قرره ألسنة الذين كانوا يجادلون في جدوى هذه السنة ، تأثرا بما جرت به العادة في بعض الأمم وفي بعض الأديان ، حتى كابر بعضهم فزعم أن في تلك الشعيرة أضرارا صحية ينبغي لها الإقلاع عنها .

وبما كشفه المؤتمر أيضا ، أن عامل النظافة للجهاز التناسلي في المرأة يقلل كثيرا من احتمال تعرضها لسرطان عتق الرحم ، . وقد تلاقى في هذا مع تعاليم الإسلام التي شرعت الاستنجاء للمرأة والرجل كقعدة للصلاة .

هذه بعض الحقائق الطبية التي كشف عنها مؤتمر السرطان ، قرأناها مبهوتين مأخوذتين بما تلاقى فيه مع تعاليم الإسلام ، ويلاحظ أنه مؤتمر خاص في فرع من فروع الطب ، كشف ما كشف من هذه الحقائق الخطيرة . فكيف إذا تظاهرت مؤتمرات لمرض ما تخضعت عنه عقول العلماء في سائر نواحي الكون ، ونواحي النفس الإنسانية ، وما يعرض لها من شئون نظمها تعاليم الإسلام مرشدة مرة ، وآمرة أخرى ، ونهاية مرة ثالثة ، إنها إذن بما تكشف عنه مما يتفق وتعاليم الإسلام ستأخذ بيد الحيارى ممن يؤمنون بالعلم ، ويحافون دعوة الدين إلى النهج المستقيم ، وتطامن من غرورهم ، وتجديفهم في الحقائق التي أسدلت حجبها دون أهل المعرفة الحققة ، وتدعوهم إلى التسليم فيما لا يعرفون إلى من يعرفون ، وخاصة في حقائق الأديان التي ثبتت ثبوتا قاطعا بما كشفه العلم وحققته التجربة .

إننا إذ نرحب بالمكتشفات التي أسفر عنها مؤتمر السرطان ، لانعنى بذلك أن نفتس منها الأدلة على صحة ما جاء به الإسلام من تعاليم ، وحاشانا ذلك فهو دين الله الذي ارتضاه ومن يتبغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وإنما نرحب بها لتضعها أمام الحائرين وذوي القلوب المريضة بجملة لمصالح البشر في بعض ما شرع الإسلام ، حتى أن يكون ذلك داعيا إلى تعديل مناهجهم في البحث العلمي ، والتخلي بشيم العلماء ، والوقوف دون ما لا يعرفون ، وتسليمه إلى أهل الذكر ممن يعلنون .

**أبرهون المراهي**

# حصولنا مهددة من داخلها

في الجامعة العربية

— ٤ —

كنت في الجزء الماضي من هذه المجلة عن موعد مع قرائها بتقديم الأمثلة على الدعوة الهدامة في كتاب (مختارات من إمرسون) الذي ترجمته جامعة الدول العربية بشوكة السفارة الأمريكية ، و ( قصة الحضارة ) الذي أوصت به اليونسكو .

يقول إمرسون مخاطباً قراءه ( وإني ألتصمكم قبل كل شيء أن تسيروا وحدكم وأن ترفضوا النماذج الطيبة ، حتى تلك التي يقدسها الناس وخيالهم . وتشجعوا على محبة الله بغير وسيط أو حجاب . وسوف تجدون من الأصْدقاء من يكفى لأن يطلعكم على أمثال وزلي وأوبراين والقديسين والأنبياء — وتأمل أين يضع هذا المصط الهدام الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه — لكي تقتدوا بهم . اشكروا الله على هؤلاء الرجال الأحياء ، ولكن ليقل كل منكم : أنا كذلك إسان ، ... إن التقليد لا يمكن أن يرتفع فوق النموذج ... كل منكم منشئ من منشئ الروح القدس ولد حديثاً . فلينبذ وراءه كل تقليد وليعرف الناس مباشرة بالله — ص ٨٥ ) . وواضح من هذا الكلام أن ذلك المفسد المضل يريد أن يجعل كل الناس أنبياء ، معتمداً على ضعف المفرورين والمفتونين ، الذين يريد أن يخيل إليهم أنهم لا يثبتون وجودهم إلا عن طريق نبذ الدين ، ويزعم لهم أنهم جميعاً على صفة صحيحة وثيقة بالله — سبحانه وتعالى — تمكنهم من معرفته ومن تعريب الناس به .

ومن أمثلة هذه الآراء الهدامة التي تستر وراء الدعوة الخلافة إلى التحرر الفكري كذلك قوله : ( من أراد أن يكون رجلاً ينبغي أن ينشق على السائد المألوف . ومن أراد أن يجمع ثمر التحيل المخالط ينبغي أن لا يعوقه ما يسميه الناس خيراً . بل يجب عليه أن يكتشف إن كان ذلك خيراً حقاً . لا شيء في النهاية مقدس سوى زاهة عقلك . حرر



نفسك لنفسك يؤيدك العالم . . . الخير والشر اسمان يمكن في سهولة شديدة أن ينتقلا إلى هذا أو ذاك ، والشيء الوحيد الصحيح هو ما يتبع تكويني ، والشيء الوحيد الخطأ هو ما يقاومه ( ص ١٣٢ ) .

ومن سفسطة ذلك المفسد الهدام قوله ( إن الثبات على رأى واحد هو غول العقول الصغيرة الذى يقنعه صغار السياسيين والعلماء ورجال الدين . أما الروح العظيمة فليس لها ألبة شأن بهذا الثبات ، وإلا فإنها تأبه لطلبها فرق الحائط . اطلق بما تفكر فيه الآن فى ألفاظ قوية . واطلق بما تفكر فيه غدا فى ألفاظ قوية كذلك ، حتى إن ناقص ما قلته اليوم . وإذن فتق أنك سوف يساء فهمك . وهل من شر الأمور أن يساء فهمك ؟ لقد أسىء فهم فيثاغورس وكذلك سقراط ويسوع وكوبرنيكس وغاليليو ونيوتن وكل روح طاهره عاقبة تجسدت . لكي تكون عظيما لابد أن يساء فهمك - ص ١٣٩ ) .

فليخطر القارىء أى دعوة هذه إلى التعبط والغرور ، وإعراء ضعاف العقول بما يجرثمهم على خوض كل مجهول ، وتناول كل مغيب مستور ، وهتك كل مقدس مصون والتعبط فى كل تيه واعتساف كل طريق ، بما يفسد عليهم وعلى الناس الحياة ويجعلها إلى جحيم لا سكن فيه ولا قرار ، يتناذب أهلها ويتدابرون ويعتكون ولا يتمقون على رأى ولا يسكنون ولا يطمثون ، حتى لكأنهم أهل جهنم ( كلما دخلت أمة لعنت أختها ) .

على مثل هذا الغرور الشديد الفاسد المفسد فى تقدير الفرد يقوم الكتاب كله . ويبلغ هذا الفساد وهذا الغرور حد الكفر المجنون فى بعض الأحيان . وذلك فى مثل قوله ( إن من ينبذ الدوافع العامة الإنسانية ويجرؤ على الثقة العامة فيما تمليه عليه نفسه لابد أن يتبريز بعض صفات الآلهة ص - ١٥٤ ) .

فهل تعرف خرفا وراء هذا الخرف ؟ ومع ذلك فقد يظن بعض صغار العقول وضعاف النفوس هذا الجنون ضربا من ضروب الفلسفة ؛ لأنهم لا ينسبون عجزهم عن فهمه إلى فساده ، ولكنهم ينسبونه إلى ضعف عقولهم عن إدراكه . وهذا الكاتب وأمثاله يتمردون على أن الأذكياء سوف يحدون فى كلامه ما يرضى غرورهم .

أما الأغبياء فسوف يقفون أمامه مشدوهين كأنهم أمام معجزة . أما الشباب فسوف يحدون فيما يتضمنه من الثورة التي تحطم ولا تبق ولا تذر مجالا للتنفيس عن نشاطهم ونزوعهم إلى إثبات وجودهم من كل وجه .

ويتعقب ذلك الصهيوني الهدام شعائر الدين كلها بالتسفيه والسخرية اللاذعة . فالصلاة عنده وهم ليس فيه من الشجاعة أو الرجولة بمقدار ما فيه من القداسة ( ص ١٥٦ ) . والتوبة والندم نوع آخر من الصلاة الرائقة وتقص في الاعتماد على النفس وعجز في الإرادة ، والرحمة والعطف لا تقل عن الندم وصاعة ( ص ١٥٧ ) ، و ( العقائد الدينية الشائعة قد تفوقت على الخرافات التي حلت محلها في الظاهر فقط لا في المبدأ - ص ١٧٣ ) . ألا ترى من ذلك كله أن هذا المصد يريد ثورة تقب موازين الدين والخلق وكل شيء ؟ بلى . وهو نفسه يعرف ذلك ، فهو يعسد ويهم أنه يفسد ، أى أنه هدام محترف يفسد عن وعي منه وقصد ، والدليل على ذلك قوله ( يريد رجالا ونساء يحدون الحياة ويحدون حالتنا الاجتماعية . ولكننا نجد أن أكثر المطابع منسنة - ص ١٥٤ ) وقوله ( إن تدميرنا المنزل ضعيف ، وفنوتنا ، وأعمالنا ، وزواجنا ، وديننا ، لم نختره لأنفسنا . وإنما نحن جنود في غرفة الاستقبال ، نتعاشى معركة القدر الحامية التي تتولد فيها القوة - ص ١٥٥ ) . وقوله ( ومن اليسير أن نرى أن مزيداً من الثقة بالنفس لابد أن يحدث انقلاباً في جميع طبقات الناس وعلاقاتهم ودياناتهم ، وفي تربيتهم ، وفي أهدافهم وأساليب عيشتهم واجتماعهم وفي أملاكهم وفي آرائهم التي يتدبرون - ص ١٥٦ ) .

ذلك هو لب الكتاب الذي أوحى به السفارة الأمريكية لاه حسين ، فترجمه بأموال العرب ، وأهداه إلى شبابهم ومنكرهم . ولعنة الله على شياطين الجن والإنس ، يوحى بعضهم إلى بعض ذخرف القول غروراً .

وقد يبدو في بعض مقالات الكتاب - كما هي العادة في كل نشرات الهدامين - صورة خداعة للإيمان ، في مثل مقالات ( الحب ) و ( الصداقة ) . ولكن هذا الإيمان الزائف ليس إلا الشرك الخداع الذي يجنب الأغرار ، إذ يوهم القارىء أن الرجل صادق الإيمان ، وأن ضلالاته وإلحاده ليست إلا ضرباً من التصوف ، وأن سمخه على الأدبان وطوقها

هو ضرب من السمو الروحي الذي يستهدف إصلاحها وتنقيتها من الشوائب كما يزعم كل أمثاله من الهدامين .

أما ( قصة الحضارة ) لول ديورانت ( Will durant ) فقد أصدرت منه اللجنة الثاقبة حتى الآن ستة عشر جزءاً ، ويكفي أن نراجع من هذه الأجزاء العديدة الجزئين اللذين تناولوا حياة سيدنا عيسى وحياة سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام لتبين أن اختيار هذا الكتاب للترجمة جريمة دبرتها الصهيونية الهدامة المتخفية في زوايا اليونسكو ونفذتها بيد طه حسين وأمثاله في جامعة الدول العربية .

يتساءل مؤلف الكتاب إن كان المسيح عليه السلام قد وجد حقاً ( ١١ : ٢٠٢ - ٢٠٥ ) ويشير حول الأناجيل مختلف الشبهات ( ١١ : ٢٠٦ - ٢١١ ) ، ويشكك في سببه وفي أنه ولد من عذراء ( ص ٢١٤ ) . وينسركل معجزاته فينسبها جميعاً إلى الكذب والتلفيق ، أو يردّها إلى حذاع الحواس والوهم أو ما سماه « العلاج النفسي » ( ص ٢٢١ - ٢٢٢ ) ويتناول شخص المسيح عليه السلام وكنياته وروايات الأناجيل بالمخبرية ، فيقول مثلاً ( إن الإنسان ليجد في الأناجيل فقرات فلسفية مريرة لا توائم قط ما يقال لنا عن المسيح في مواضع أخرى منها ، ويبدو أنه قبل دون بحث وتمحيص أهوى ما كان يؤمن به معاصروه عن جهنم البرمديّة التي يعذب فيها من لا يتوبون من الكفار والمذنبين بالثبات التي لا تغطي أبداً والديدان التي لا تشبع من نهش أجسامهم .

وهو يقول دون أن يحتج عليه أحد إن رجلاً فقيراً في الجفّة لم يسمح له بأن يترك نقطة واحدة من الماء تستقط على لسان غني في الجحيم . . . . . ويلعن شجرة التين التي لم تكن تحمل ثمراً ، ولعله كان فلسفياً بعض القسوة على أمه ، وكان يتصف بحماسة النبي العبراني المزمّت أكثر من اتصافه بالهدوء الشامل الذي يمتاز به الحكيم اليوناني - ( ص ٢١٩ ) . وأكثر هذه المعطيات التي حشدّها ذلك الصهيوني الهدام في كتابه ، مروية عن المؤرخ اليهودي يوسيفوس .

وبمثل هذا الأسلوب الإلحادي الهدام عالج المؤلف حياة نبينا عليه الصلاة والسلام في الجزء الثالث عشر . ففي هذا الجزء من الكتاب أخرج أساليب الكيد والفساد الإسلام . والمؤلف

لا يلجأ هنا إلى الهجوم البنىء الصريح كما فعل مع شخص المسيح الكريم عليه السلام . ولكنه يتظاهر هنا بالإصاف ، بل يبدو في بعض الأحيان كأنه معجب بشخص النبي عليه الصلاة والسلام . فيقول مثلاً ( وكان محمد ، كما كان كل داع ناجح في دعوته ، الناطق بلسان أهل زمانه والمعبر عن حاجاتهم وآمالهم - ص ٢٤ ) . ويقول في موضع آخر ( ذلك أن النبي كان ينشئ حكومة مدنية في المدينة . واضطر بحكم الظروف أن يخص جزءاً متزايداً من وقته للشاغل العملية المتصلة بالتنظيم الاجتماعي والأخلاقي والعلاقات السياسية بين القبائل ( ص ٢٣ ) ويقول ( وحتى شئون الحياة العادية كانت أوامره فيها تعرض في بعض الأحيان كأنها موحى بها من عند الله ) .

وكان اضطراره إلى تسكييف هذه الوسيلة السامية بحيث تتفق مع الشئون الدنيوية مما أفقد أسلوبه بعض ما كان يصف به من بلاغة وشاعرية . ولكن لعله كان يشعر بأنه بهذه التضحية القليلة جمل كل تشريعاته تصطبغ بالصبغة الدينية الرهية - ص ٤٢ ) . وهو في هذه المواضع كلها يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثه عن أى مصلح سياسى تصدر دعوته عن حاجات عصره وتشكلها ظروفه . ومع ذلك فإن كلامه هذا قد يندفع ضعاف المسلمين وأغرائهم حين يرون الكاتب - وهو غير مسلم - يبدى ميلاً مصطنعاً إلى إصاف نبي لا يدين هو بدينه . فهذا الكلام المشبع في ظاهره بروح المودة يندفع كثيراً من المسلمين فيقبلونه بقبول حسن . ويتهمى بهم ذلك إلى اعتبار نديهم واحداً من الزعماء والفلاسفة والمفسرين والمصلحين الذين يزخر بهم تاريخ الشرق والغرب في العصور القديمة والحديثة ، فيخرجهم ذلك عن إسلامهم لا شك ، لأنهم لا يسلون حتى يمتقدوا اعتقاداً خالصاً لا يدخله ريب أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانت بوحي يلاحقه ويقوده ويصحح كل أعماله . ولست أبالغ ولا أدعى غير الحق حين أقول إن هذه الروح اللادينية - مع شديد الأسف - قد أصبحت هى التى تسرد دراسات التاريخ الإسلامى فى الجامعات . وذلك شئ يلبس كل من تخرج فى كليات الآداب أو اتصل بها عن قريب . ومالى أذهب بعيداً وهذا هو محمد بدران - مترجم هذا الجزء - يقدم لى الدليل نفسه على صدق ما أقول ، حين يقرر فى مقدمته أن ( المؤلف قد أنصف الحضارة الإسلامية فساد بفضلها ) .

يقرر المترجم المسلم ذلك فى سذاجة تبلى حد الفعلة والبله ، مع أن ذلك الصهيونى الحديث لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا الغرائب التى يخلعها من سياقها وظروفها حتى تبدو

لغير الخير بالتاريخ الإسلامى فى صورة تثير السخط وتدعو إلى الاستمزاز ، كالدى يصف المجرم وهو يساق إلى القتل ويعلق فى الحبل ، ويخفى ما اجترح من مفسد وما أزهق من أرواح بريئة . تجد ذلك فى مثل كلامه عن قتله صلى الله عليه وسلم امرأة ، وعن قتله شيخا ناهز المائة ، لأنها هجواه ( ص ٣٥ ) . وهو يسوق ذلك فى أسلوب هادى وزين كأنه يسوق خبرا من الأخبار العادية دون أن يعلق عليه أو يحتفل به ، فلا يكاد القارىء المسلم يقنعه إلى غرضه الخبيث الذى هو فى حقيقة الأمر التشجيع بالنبي عليه الصلاة والسلام عند المذودعين بما تزوره الصهيونية الهدامة من كلمات براءة ، حين تدعو إلى ( حرية الهدم ) وإلى ( حرية الإفساد ) وتسمى ذلك ( حرية الرأى ) ، وليوم أنه - عليه الصلاة والسلام - لم يكن يعرى حرمة النساء ولا الشيوخ . ومثل ذلك أيضا قوله ( وضمت صفية - وهى فتاة يهودية فى السابعة عشرة من عمرها كانت مخطوبة لكنانة - إلى نساء النبي - ص ٣٩ ) .

فمثل هذه الألفاظ التى يدسها الرجل فى ثيابا سطورية تترك أسوأ الأثر فى نفوس القراء من الغربيين ومن ضعاف الإيمان من المسلمين ، والمتحليين منهم للحضارة الغربية المتخلفين بها خاصة . شيخ جاوز الخمسين يتزوج فتاة فى السابعة عشرة وليس هذا خصب . بل إنها كانت مخطوبة لرجل يهودى من بنى جنسها فأضافها إلى نسائه العديديات ! هل هذا تاريخ ؟ أم أنه تشجيع فى أخطر صوره ، لأن صاحبه يتصنع الهدوء ويتظاهر بالآزان والإيصال ، ويخدع الناس بمثل كلامه عن براءة النبي فى القيادة وفى شئون الحكم وفى التنظيم الاجتماعى .

ومن أمثلة هذا الأسلوب الخبيث وصفه النبي صلوات الله وسلامه عليه بأنه كان ( يعنى بمظهره الشخصى ويقضى فى تلك العناية كثيرا من الوقت . فكان يتمطر ويكتحل ويصبغ شعره ويلبس غاما نقش عليه « محمد رسول الله » . وربما كان الغرض من هذا الخاتم هو توقيع الوثائق والرسائل . وكان صوته موسيقيا حلوا بأسر القلوب . وكان مرهف الحس إلى أقصى حد ، لا يطبق الروائح الكريهة ولا صاصلة الأجراس والأصوات العالية . . . وكان قنقا عصبى المزاج ، يرى أحيانا كلف البال ، ثم ينقلب فجأة مرحا كثير الحديث - ص ٤٥ ) . فهذا الأسلوب المسموم فى التصوير إنما يريد أن يصور النبي صلى الله عليه وسلم فى صورة المتصابى وفى صورة العصبى المزاج المريض الأعصاب المصاب بالهرع . ويؤكد هذا الصيوى الهدام تلك الصورة المعتراة بعد ذلك بقوله ( وقد أعانته نشاطه وصحته على أداء واجبات الحب والحرب . ولكنه أخذ يصعب حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره . وطن

أن يهود خبير قد دسوا له السم في اللحم قبل عام من ذلك الوقت (١) . فأصبح بعد ذلك الحين  
حرفة لحيات ونوبات غريبة . وتقول عائشة إنه كان يخرج من بيته في ظلام الليل ، ويدور  
القبور ، ويطلب المغفرة للآموات ، ويدعو الله لم جبهة ، ويهتفهم على أنهم موتى .  
ولما بلغ الثالثة والستين من عمره اشتكت عليه الحيات - ( ص ٤٦ ) .

وجاء في هذا الجزء من الكتاب أيضا ( وهاجرت إلى المدينة ماتا أسرة من مكة فنشأت  
فيها من جراء هذه الهجرة مشكلة الحصول على ما يكفي أهلها من الطعام . وحل محمد هذه  
المشكلة كما يحلها كل الأقوام الجياح بالحصول على الطعام أنى وجد . ومن ذلك أنه أمر أتباعه  
بالإغارة على القوافل المارة بالمدينة - ( ص ٣٤ ) . ويحاول المؤلف أن يلبس هذه الأكاذيب  
وهذا التشنيغ المصترى ثوب العلم فيقول ( واجتمعت أسباب عدة عملت كلها على انساع ملك  
العرب . فمن الأسباب الاقتصادية أن ضعف الحكومة النظامية في القرن السابق لظهور النبي  
قد أدى إلى انهيار نظم الري في جزيرة العرب فضعفت من جراء ذلك غلات الأرض الزراعية  
وحاقت بالسكان المتزايدين أشد الأخطار . ولهذا فقد تكون الحاجة إلى أرض صالحة  
للزراع والرعى من العوامل التي دفعت جيوش المسلمين إلى الفتح والغزو - ( ص ٧١ ، ٧٢ ) .  
أترى إلى هذا الكلام المسموم الذي يصور المسلمين الأولين - وعلى رأسهم النبي صلى  
الله عليه وسلم - في صورة عصابات اللصوص وقطاع الطرق ، والذي ينزل بلواضع الفتح  
النبيلى إلى أغراض مادية ، فيقلب ذلك النفر الكريم من المجاهدين الأولين في زمر كلمة الله ،  
الذين لم يكونوا يبالون بحياتهم الدنيا في سبيل ما أعد الله لهم من ثواب الجهاد في نشر دينه ،  
ينقلب ذلك النفر السكينة إلى جماعة من اللصوص وقطاع الطرق . لماذا تؤدي جامعة الدول  
العربية المسلمين والعرب بإعائه ؟ لماذا تنفق على نقله إياهم من أموالهم ، كأن مهمتها هي  
إسماعهم ما يكرهون وإحصاء ما قيل فيهم من الذنائب وإداعته على الناس ؟ إن الحكومات  
تمنع شعوبها من الاستماع إلى الدعايات التي تفتري عليهم والتي تثبط عزائمهم وتفرق كلمتهم ،  
وتتنفق في مقاومة مثل هذه الإداعات الآلاف والملايين في بعض الأحيان . فهل دين الناس  
أقل قداسة وأهون مقاما ؟ .

لا يمكن في دنع ضرر هذا الكتاب وأمثاله أن تكلف الإدارة الثقافية الدكتور الشيخ  
محمد يوسف موسى بالتعليق على ما يراه مستحقاً للتعليق ، فيعلق على بعض ويهمل بعضاً ،

١ - تأمل حرص هذا الصهيوني على تبرئة اليهود من التهمة الملتزمة إذ يقول « وطر أذ يهود خبير » .

لأن السذج والغافلين وقبيلي الخبرة بتاريخ المسلمين - وليست لدينا وسيلة لمنع وصول الكتاب إلى أيديهم - إن قرءوا ما في هذه الحواشي واقتنعوا به مرة فقد يهلكونها وقد تستغريهم بأباطيل الكتاب مرات ، فما هي حاجتنا أصلاً إلى ترجمة مثل هذه المفتريات ؟ أى فائدة تعود على العرب من نقل مثل هذا الكلام ، حتى يغضوا الطرف عما فيه من الأذى ؟ هل هذا بما يزيد العرب تماسكاً ؟ أم هو مما يعينهم على النهوض ؟ لماذا تنقل إلى لغتنا هذه الكتب التي تسكلم عن نبينا عليه الصلاة والسلام بوصفه مصلحاً لا نبياً ، وقد كان من آثار مثل هذه النعائيات - ولا أقول البحوث - أن اقتن بها جماعة من المسلمين فاتخذوها نموذجاً لبحوثهم الإسلامية ، وظنوا أن تجردهم من إسلامهم شرط لسلامة البحث وعليته ، كما زعم لهم طه حسين في كتابه ( الشعر الجاهلي ) الذي سبق بسببه إلى المحاكمة . وقد أصبح التاريخ الإسلامي ، بل الدراسات الإسلامية في كل فروعها ، لا تدرس في الجامعات العربية الآن على اختلافها إلا على هذا النمط الفاسد المفسد الهدام . إن طه حسين الذي بدأ حياته العلمية مهتماً في دينه ، يتسلق إلى الشجرة بمخالفة كل مقدس مصون وكل مقرر ثابت ، حين كان الإلحاد بدع العصر يجاهر به الملحدون ويتظاهر به صفار النفوس والعقول من الأدعياء ، هذا الرجل نفسه هو الذي يشرف على اختيار مثل هذه الكتب لترجم على نفقة العرب ، وليتقف بها ناشتهم ويشد بها أزر جامعتهم . وأى جامعة قد بقيت للعرب ، ولجنهم الثقافية تؤذى إيمان المؤمنين مسلمهم ومسيحيهم ؟ تؤذى المسيحيين مرة وتؤدى المسلمين مرتين ، تؤذيهم في نبيهم عليه الصلاة والسلام مرة وتؤذيهم في شخص المسيح الكريم عليه السلام مرة أخرى ، ثم تعتذر لهم عن جرأة المؤلف على الإسلام واقرائه على نبيه الكريم بقرائنه على اليهودية والمسيحية واقرائنه على رسوليهما الكريمين ( ص ٢١ ) . فهل سمع الناس صندراً أقبح من هذا العذر الذي لا يصدر إلا عن جهول ؟ هل يعتذر عن رجل سب أبى بأنه لم يسب أبى وحده ، ولكنه سب آبائى كلهم أجمعين ؟

وبعد فإني أستغفر الله سبحانه وتعالى لنفسى ولقارئ هذه المفتريات ، فإنما قصصت أن أضع بين يديه جسم الجريمة ؛ ليرى رأى العين طه حسين يحمل أوزاره فوق ظهره ، وليطالب الناس المسئولين بكف أذاه إن كان فيهم بقية من غيرة على إسلامهم وعلى شخص نبيهم الطاهر الكريم ؟

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية

## صلوات مصر الثقافية ببلاد آسيا وغيرها

ادخر الله - جلّت قدرته ، وسمت حكته - مصر لتكون معقلا لدين الإسلام ومنازة للهدى والعرقان منها تشع أضواء التوحيد ، وتنتشر تعاليم الشريعة السمحة إلى ربوع الأرض في كل مكان ، كما حملت في القديم مشعل الحضارة ، والعالم للإنسانية جماء . ففيها الأزهر . تلك الجامعة العتيقة ، تأذن الله أن يجعلها نبع العلوم والمعارف ، وحصن الإسلام الخالد ، ومعقل لئمة الضاد من قديم الزمن ، وعلبائه قنوة الشرق والغرب ، وهم الهداة الذين لا يشق لهم غبار ، وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الأكبر الدكتور عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر ، الذي لا يألو جهدا في العمل على رفع شأن الأزهر والإسلام ، والدعوة إلى السلام ، لإسعاد الإنسانية .

والذي يعني في هذه الكلمة هو أن نبين حاجة العالم الإسلامي إلى هذا المعهد العظيم ، وأثره في حياة الأمم الإسلامية عموما ، والآسيوية خصوصا ، وعناية رجاله بأحوال هذه الأمم .

فإذا كانت مكة المكرمة بكنبها المباركة ، مهوى أئمة المسلمين للعبادة والتسك ، فيها المثابة والأمن ، فسكذلك أصحت مصر بأزهرها محط الرحال ، وقبلة رواد العلوم والمعارف ، ومركزا للثقافة الفكرية والإسلامية ، بعد أن قضى التار على التراث الإسلامي في بغداد .

لذلك اتجه العالم الإسلامي على اختلاف ألسنته وألوانه ، منذ قرون عديدة ، فأخذ يرسل وفداً أكباده إلى الأزهر ، إضعانا لقوله تعالى : « فولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

ذلك الأزهر الذي قام على حفظ اللغة والدين آمادا طويلا ، ونيف على الألف عام وهو يؤدى رسالته الخطيرة إلى الإنسانية في الشرق والغرب ، رغم ما يتعرض له في كثير من الأحيان ، من عواصف وأحداث على مر الزمن . وفي كلمة اللورد كرومر حين عاد إلى « بريطانيا » : « ما دام الأزهر في مصر فلن يثبت قدم الاستعمار في بلاد الشرق » ما يدل على ذلك .



والأزهر لم يخلق لمصر وحدها ، بل هو الدعامه الكبرى التى ترتكز عليها الحياة الروحية والحلقية للعالم الإسلامى ، فلقد عنى أشد العناية بخدمة هذا الجانب من الحياة الإنسانية فى آسيا وفى غيرها .

فأنا لذلك « مراقبة البحوث والثقافة » التى تقوم بإرسال المصاحف والمؤلفات العلية إلى المكتبات فى كثير من الدول ، وترسل مناهج الدراسة إلى المؤسسات العلية وتقوم بالفصل فى كثير من المشاكل الدينية والثقافية الدراسية ، التى تتعلق بحياة الناس التعبدية والعملية ، وتقوم باستقبال وفود الزائرين من كبار الشخصيات الإسلامية وبعثات المعاهد العلية من سائر الأقطار ، وتقوم بالإشراف على المعاهد الدينية فى البلاد الإسلامية : بإرسال المبعوثين إليها ، مثل معهد الكويت وغيره .

وأنشأ الأزهر « مراقبة البحوث الإسلامية » وتقوم بالإشراف الإدارى على الطلاب الوافدين على الأزهر ، وترعاهم من الناحية النظامية والمادية ، وتسهر على راحتهم .

كما أنشأت مشيخة الأزهر « مجلة » تحمل رسالة تلك الجامعة إلى بلاد الإسلام المختلفة لتكون حلقة اتصال فكرى وثقافى ، بين الأزهر وتلك البلاد التى تدين بدين الإسلام ، ومراة صافية يرى فيها المسلمون أسرار دينهم ، ومحاسن تشريعهم ، ومدى اتساع أفق هذا الدين لكل مما يجد فى الكون من المستحدثات ، التى تعود بالخير والصلاح على الإنسانية ، ولتعمل ما تنتجه قرائح أعلام العلماء ، وحفاظ الشريعة من الأحكام والآراء ، فى مختلف شئون الحياة ، بما ينصب للناس معالم الهداية ، ويرسم لهم طريق الخير والشر .

كما تبنى « مجلة الأزهر » بدوع الشبه والمفتريات والأفكار الهدامة ، التى تدسها أقلام الملاحدة ، وذوو الأهواء والبذع ، باسم حرية الفكر تارة ، وباسم التجديد والإصلاح تارة أخرى ، مما يفسد على الناس عقائدهم ، ويشككهم فى دينهم .

وتعتبر المجلة معيننا صافيا ، يتخلف منه العلماء والكتاب شذرات لرجلتها ، ونشرها فى أمهات الصحف والمجلات .

وأنشأ الأزهر « لجنة للفتوى » مكونة من جهابذة العلماء على المذاهب الأربعة وغيرها ، تقوم بالإجابة على الاستفتاءات الكثيرة المتنوعة ، بقناوى مستفيضة على جانب كبير من الأهمية ، يتلقى المسلمون حكمها فى إذعان وتسليم ، لثقافتهم العظيمة فى رجال الأزهر .

وفي شهر رمضان من كل عام ، يقوم الأزهر بإرسال أفاضل الهداة والمرشدين إلى مختلف البلاد الإسلامية ، الآسيوية وغيرها ، لإحياء ليالي هذا الشهر المبارك ، بالمحاضرات التي تدعم الحياة الروحية ، وتزكي الجوانب الخلقية في قلوب المساكين .

والأزهر يستقبل الوافدين من الطلاب ، من مختلف بلدان العالم ، وقد بلغ عددهم خمسة آلاف طالب من بلدان آسيا وغيرها ، ولكل جماعة من عنصر واحد رواق يمين له شيخ منهم يرعى مصالحهم ، وعدداً لرواق ٢٢ رواقاً ، تمثل البلاد الإسلامية المتعددة ، كأندونيسيا والصين والفلبين والملايو والهند وسيلان ومالديف وأفغانستان ، وغيرها من البلاد العربية والإسلامية ، وقد أنشأت حكومة الثورة لهم مدينة ، تعتبر أضخم مدينة لطلاب العلم .

وقد تخرج من هؤلاء الطلاب في ربع القرن الأخير ما يقرب من ألف متخرج من آسيا وحدها ، وكثير منهم يشغلون مناصب خطيرة ، في بلادهم وغيرها ، فمنهم الوزراء والسفراء ومدبرو الجامعات ، وعمداء الكليات ، والمستشارون والمفتون ، والقضاة والأساتذة في الجامعات ، وغير ذلك من المناصب الدينية والعلمية والسياسية والاجتماعية ، ويضيق المجال عن ذكر أسمائهم وبلادهم .

هذا ولم يكف الأزهر بتلقى البعثات الوافدة ، والقيام بتعليمها ، بل أوفد كذلك بعثات من خيرة أساتذته إلى بلاد آسيا وغيرها منذ سنوات عدة ، تشاركه في ذلك وزارة التربية والتعليم ، والجامعات المصرية .

فأوفد بعثة إلى الصين عام ١٩٣٣ م ، مكثت هناك أربع سنوات ، قامت فيها بأعمال جليلة فأنشأت مكتبة بكن الإسلامية الكبرى ، وأوفد بعثة إلى اليابان عام ١٩٣٦ م ، وأوفد بعثة إلى الهند عام ١٩٣٦ م لدراسة أحوال المسلمين هناك ، والتوفيق بين طوائفهم . ويقوم الآن بإرسال مبعوثيه إلى معظم البلاد الإسلامية ، ولا سيما الآسيوية لمثل هذه المهمة . هذا هو الأزهر بثقافته ، وعلمه ومعارفه وجهوده ، يلم شعث المسلمين ، ويوجههم إلى خير الدنيا والآخرة .

ومن العجب أنه مع هذا كله يدور في أذهان بعض دعاة الاستعمار ، فكرة يريدون بها اتزاع الزعامة الدينية ، والثقافة الفكرية والإسلامية من مصر . وأنى لهم ذلك فقد توفر للأزهر العتيق ما لم يتوفر لغيره ، فهو جامعة مصر الكبرى ، التي تزعمت العالم في القديم بحضارتها التاريخية الخالدة ، وفي الحديث بثقافتها الإسلامية المتمثلة في الأزهر .

وأنى لغیر مصر یحفظ القرآن عن ظهر قلب ، وأدائه فی طلاقة وفصاحة ، من مئات الألوف علی هذه الصورة من الجلال والجمال ، التي ینظرها ملايين المسلمين فی الصباح والمساء من إذاعة مصر ، والقرآن هو المحور الذي تدور علیه زعامة الإسلام . ولا غرو فقد حبا الله مصر موقعا جغرافيا یمیز فی قلب الدنيا ، ومناخا طيبا جیلا یناسب جمیع الوافدين من مختلف الأقطار ، لم یتوفر لبلد غیر مصر .

وإزاء تلك الخدمات التي أدتها مصر عن طریق الأزهر للعالم الإسلامي قرونا عديدة ، كان الواجب علی هؤلاء الدعاة أن يعملوا علی تدعيم الأزهر ، وعلى مساندة مصر فی شخص لأزهر ، ولجعلوا أن زعامة مصر للعالم الإسلامي ورائية ، ورثها جیلا بعد جیل وفيها الخير كل الخير للإسلام والمسلمين ، وسجلتها الوقائع التاريخية ، فقد سجلها صلاح الدين برد الصليبيين عن بلاد الروبة والإسلام ، كما سجلها من بعده الملك المظفر سيف الدين قطز ، والظاهر بيبرس بعد جماعل المغول والتتار كذلك ، والتاريخ حافل بمواقف كثيرة لمصر فی النود عن بیعة الإسلام ضد أعدائه فی كثير من البلاد الإسلامية .

وقد تأكدت هذه الزعامة بإنشاء المؤتمر الإسلامي ، لمؤازرة الأزهر فی انقیام برساته ، فی صيانة العقيدة الإسلامية ، ودفع خطر الاستعمار السیاسی والدينی واحتضان البعوث الإسلامية ، الوافدة علی مصر من أربع وخمسين دولة .

وقد تجلت مظاهر هذه الزعامة فی التفاف المسلمين ، ومؤازرتهم لمصر إبان الهجوم الثلاثي الفادر علیها . وقد ازدادت تبعات هذه الزعامة بعد أن استكملت مصر أسباب القوة ، وظلت حفيظة علی مقدسات الإسلام منذ زوت ثقافته من جمیع البلاد ، واحتضنتها مصر ، وصانها الأزهر هذه الحقبة الطويلة .

فمصر تعتبر بحق أستاذ العالم الإسلامي ، منذ أثنى الأزهر ، وعمرت حلقاته بدروس الدين والفكر والملة .

وإن علی حكومة الثورة فی عهدها الزاهر ، وعلى رأسها عمر مصر وحامی القومية العربية الرئيس جمال عبد الناصر .

أن تؤكد هذه الزعامة ، وتعمل علی إبقائها بما تتطلبه تلك الزعامة من تدعيم للأزهر ومساندة له فيما يريد من إصلاح ، والله ولی التوفيق ؟ محمد حسن درويش

شیخ معهد البعوث الإسلامية بالأزهر

# حرية الفكر

## كما قررها الاسلام

لقد أتى على جماهير الناس حين من الدهر ، كان مباهجهم من العلم بالدين أنه مجموعة من العقائد والأعمال التي لا مجال فيها للعقل ، ولا متسع فيها للبحث والنظر ؛ لأن القادة الدينيين الذين استمدوا قيادتهم من وحي الأهواء وطغيان الشهوات ، كانوا يقولون لمن يلقونه هذه العقائد والأعمال ، « أطيني مصباح عقلك ثم اعتنق وأنت أعشى ، فلا يباح له أن ينظر فيها بعقله وفكره ، وإنما عليه أن يتنقها بالتسليم المطلق والتقليد الأعمى ، وبذلك سيطروا على عقولهم وأفهامهم ، وسلبواهم حرية الفكر واستقلال الإرادة ، وفرضوا عليهم ماشاءوا من العقائد التي اختلقوها مأهواتهم ، والشرائع التي ابتدعوها بجهلهم وضلالهم ، وبقي هذا الضلال شائعا في عقائدهم وأعمالهم ، حتى جلهم الإسلام في جلال الحق وصفاء النبع ، ليضع عنهم تلك الأغلال التي كانت جائحة على عقولهم وأفكارهم ، ويريل هذه الأكنت التي كانت مضروبة على قلوبهم وأبصارهم ، فنادى بصوت ملا الحافظين وأسمع الثقلين ، أنه الدين الذي يسائر الفطرة والوجدان ، ويحكم الحجة والبرهان ، وبطالب العتلاء بالبحث والنظر ، وتحكيم العقول ومراجعة الصائرات ، والاهتداء بنور العلم والمعرفة ، وأقام صرح هذه الدعوة التحريرية على الدعامات الآتية : —

الدعامة الأولى : تحرير الإنسان من الحجر العقلي والكبت السكري ؛ لكي يكمل بذلك عقله ويستقيم تفكيره ، وتكتمل له شخصيته وإنسانيته ، فإن كمال العقل هو الدعامة الأولى لصحة العقائد وكمال الأخلاق وصلاح الأعمال ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « إن الأحمق يصيب بجهله أكثر من الخور الفاجر ، وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات الزلني عند ربهم على قدر عقولهم » ، « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى ، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله » .

ولقد عنى القرآن ببناء هذه الدعامة عناية كبرى ، فاستنصر العقول والأفهام ، وأيقظ

الحواس ونبه المشاعر ، وطالب العقلاء بالنظر في ملكوت السموات والأرض ، والتعرف على أسرار العوالم الكونية ونواميسها ، وما فيها من الدلائل على وجود الله ووحدانيته في ألوهيته وربوبيته ، كما قال جل شأنه : « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ، ، ، فلم يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، ، ، وفي الأرض آيات للوقنين وفي أنفسهم أفلا تبصرون ، ، وأكثر من ذكر الآيات الكونية ومطالبة العقول بالنظر فيها ، كما يتجلى ذلك في التعقيب عليها بمثل قوله جل جلاله : لقوم يعقلون ، ، ، لقوم يتمكرون ، ، أفلا تعقلون ، ، ، أفلا تبصرون ، ، وذم الغافلين وسمى عليهم غفلتهم وإعراضهم عن دلائل هذه الآيات ، كما في قوله تعالى : ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولم أعين لا يبصرون بها ، ولم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ، ، ، وكأين من آية في السموات والأرض يمررون عليها وهم عنها معرضون ، وبشر الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ومدحهم وأثنى عليهم ، كما قال تعالى : وبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبواب .

المطامة الثانية : تحرير الإنسان من رق التقليد الأعمى ، وتربيته على حرية الفكر واستقلال الإرادة ، واحتقار التقليد والتبعية العمياء ؛ فإن التقليد الأعمى من شر ما يتبلى به الأفراد والجماعات ، فإنه هو السبب الأول في الجود على الأباطيل الموروثة ، وإهمال مواهب الفكر والنظر ، وعدم التمييز بين الحق والباطل ، وفي ذلك جناية على الحق وتدسية للنفس ، وقتل للبواهب وامتهان للعقول ؛ وهو الباعث القوي على الوقوف في طريق الإصلاح والمصلحين ، وقيام التعصب الجماعي لحماية المعتقدات والعادات الموروثة ، ومحاربة كل جديد يكشف عن زيفها وباطلها ؛ لأن العقائد والمذاهب إذا قامت على أساس الوراثة وتقليد الآباء والأجداد ، فإن ذلك يضئ عليها قداسة تستحوذ على عواطف الوارثين لها ، وتصرفهم عن التفكير في مدى صحتها أو بطلانها ، وتحملهم على التعصب الجماعي لحمايتها والإبقاء عليها ومعارضة كل جديد يحالها أو يتقص من قداستها ، ولو كان ذلك الجديد أهدى منها سبيلاً وأقوم طريقاً ، وقد قرر القرآن هذه الحقيقة في آيات كثيرة ، كقوله تعالى : ، وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم

مقتلون ، قال أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ، وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ، أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ، والاطلاق الملا منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ، فانظر كيف يفعل التعصب الجماعي بأهله ، فقد كانت حناديد قريش يعرفون رسولهم كل المعرفة ويعلمون صدقه وأمانته حق العلم ، ولكن التعصب القائم على تقديس ما وجدوا عليه آباءهم ، هو الذي حلهم عن التنكر لبوته ورسالته ، ورميه بأنه ساحر كذاب ، ووصف التوحيد الذي جاءهم به بأنه شيء عجاب ، والتواصي بالصبر والثبات على شركهم وضلالهم ، ولو أنهم سلكوا طريق التحرر من سلطان التعصب الجماعي ، الذي أرشدهم إليه القرآن بقوله « قل إني أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ، ما بصاحبكم من جنة ، إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، وقاموا لله مثنى وفرادى ، وخلا كل منهم بصاحبه أو بنفسه ، يستطلع رأيه ويستكشف سره ، ويستوحى عقله ويستعق قلبه ، لراى تلك الغشاوة التي عقدتها التعصب على القلوب والأبصار ، ولعلوا أن صاحبهم صلوات الله وسلامه عليه ، ليس به من جنة كما يفترون ، وما هو إلا نذير لهم بين يديه عذاب شديد .

ومن هنا يتجلى لنا السر في تمسك الأمم بالعقائد والمذاهب الموروثة ، وإن كانت لا تقوم على أساس من الحق ، ولا تعتمد على نظر صحيح ، ولا تتفق مع ما بلغت من الرقى العقلية واتقدم العلى ، وفى أن التقليد الأعمى من شر ما تبلى به الأفراد والجماعات كما قلنا ، ولهذا كان لابد للإسلام وهو يقيم دعائم التحرير ويبنى قواعد الإصلاح ، أن يحمل حملة قوية على التقليد والمقلدين ، فصاب على المقلدين إعراضهم عن الحق ، وجودهم على متابعة ما وجدوا عليه آباءهم من الضلال والانحراف ، ونمى عليهم جهلهم واقرأهم على الله الكذب ، كما قال تعالى « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أول لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » « وإذا قلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أقولون على الله ما لا تعلمون » وسجل عليهم ما يقع منهم فى الدار الآخرة ، من الاعتراف بما جته عليهم الطاعة العمياء لسادتهم وكبرائهم ، كما قال تعالى « يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنة كبرى » .

وهكذا كشف الإسلام عن مدى جنابة التبعية العمياء على الاتباع والتبوعين ، وقضى على سلطة المتألهين من ذوى الأذى الصالة والزعامة الزائفة ، وخلق عنهم رداء القداسة التي انتحلوها لأنفسهم ، واتى جعلتهم في نظر المخدوعين فيهم أرباباً من دون الله تعالى ، وأهاب بأسرى التقليد والتبعية العمياء ، أن يحرروا أنفسهم من هذه العبودية التي أهدرت كرامتهم وإسائتهم ، وأن يعلموا أن الإشفاء والإسعاد ، وروية التشريع والعبادة ، أمور خالصة لله ملكاً واستحقاقاً ، وأن أساس الإيمان الصادق والدين الخالص ، هو التسليم السكلى لشرع الله الذي أنزله على رسوله ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ، أخكم الجاهلية ييغون . ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ، « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلووا تسلياً » .

الدعاة الثالثة : تحرير الإنسان من عبادة الأهواء والتخضوع لسلطانها ، فإن الهوى مضلة للعقل ، ومضية للحق ، لا يستقيم لصاحبه رأى ، ولا يعتدله قصد ، ولا تسلم له طوية ، ولا ينصع لحق ليس في جانبه ، ولهذا عني القرآن بتحرير الإنسان من عبودية الأهواء . عناية كبرى ، فتد بالعاكفين على تأليه الأهواء وعبادتها ، كما قال تعالى « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » ، « فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أصل من اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين » ، ونمى عليهم أخلاقهم وسوء طريقتهم ، كما في قوله تعالى « وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، إذا فريق منهم معرضون ، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مدعين ، أى قلوبهم مرض ، أم ارتابوا ، أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ، بل أولئك هم الظالمون » ، هذه هي أخلاقهم في الماضي وفي الحاضر ، يستفتونك في الأمر وصدورهم منطوية على رأى ذفين ، فإن أفتيتهم بما في أنفسهم فرحوا ورضوا ، وإن أفتيتهم بغيره سخطوا وأعرضوا ، وسخروا منك ما شاموا وشامت أخلاقهم ، وإذا دعوتهم إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجلدلتهم مالتى هي أحسن ، ركبوا روسهم ولجوا في عتو ونفور ، وحاضوا في جدال عنيف وتقاش عقيم ؛ لأنهم ليسوا طلاب حق وهدى ، وإنما هم أصحاب غرض وهوى ، لأن طالب الحق يطلب ما يطلب من حكم ورأى وهو مجرد عن كل هوى يطاوله أو غرض

يتابعه ، ومستعد لقبول الحق والتسليم به متى ظهر له ، وذلك هو منطق العقل وطريق الوصول إلى الحق ، أما أن يضع المستقى نصب عينيه رأيا معيناً ، ويطوى نفسه على هوى دفين ، ويأبى إلا أن يكون الحق تابعاً لرأيه وهواه ، فذلك هو منطق القلوب المريضة ، ومسلك النفوس العنيلة ، ووحى الأهواء الملوثة ، ولو اتبع الحق أهواءهم ، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن .

الدعاة الرابعة : تحرير الإنسان من مرض الجهل وظلمته ، فإن الجهل يطفى نور القلب ، ويقتل مواهب الفكر ، ويميت في الأم عناصر الحياة والنقوة ، ويعقدها قوة الإرادة وصدق العزيمة ، وقد عنى الإسلام بهذه الدعاة عناية كبرى ، فرفع شأن العلم وحك على طلبه ، وعظم شأن العلماء وأعلى منزلتهم ، وجعلهم رواد الحق ودلائل الهدى ، كما في قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب » ، وتلك الأمثال ناصرها للناس وما يعقها إلا العالمون ، « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » ، « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها ، ولا يضره من أى وعاء خرجت » .

وأنهى باللائمة على الذين يتبعون الظنون والأوهام ، ويجادلون في الله بغير علم ، كما قال عز وجل « وما يتبع أكثرهم إلا ظناً ، إن الظن لا يغني من الحق شيئاً » ، « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » ، وبذلك فتح الإسلام لأهله طريق المعرفة وأعد قلوبهم للحياة بنور العلم ، ووجه عقولهم للبحث والنظر ، وأرشدهم إلى أن العلم هو سبيل سعادتهم في الدنيا والآخرة ، فإن الإسلام إذ يمتدح العلم ويرفع من شأنه ، ويحث المسلمين على طلبه والاهتداء بنوره ، إنما يريد به العلم الذى يوضح لهم معالم السعادة في المعاش وفي المعاد ، ويكشف لهم عن أسرار الكائنات ، ويعد لهم وسائل الحياة والنقوة ، ويبين لهم قواعد السيادة والمجد ، ولقد عمل المسلمون الأولون بهذا التوجيه الإسلامى ، فكانوا رسل الهداية وقادة الإصلاح وأساتذة العالم بلا منازع .

هذه هى الدعائم التى رفع الإسلام قواعدها ، وفتح بها للإنسان طريق التحرر الفكرى والاستقلال الإرادى ، وبوأنه المنزلة اللائقة بكرامته ، وعرفه أن الله لم يخلقه عبداً يقاد كما تقاد الأنعام ، ولم يجعل لأحد حق السيطرة على عقله وقلبه ، وإنما خلقه حراً مالِكاً



لأمره ، يفكر بعقله ويعمل بإرادته ، ويستمع إلى دعوة الحق ، ويهتدى بنور العلم ، ويسترشد بدلائل الكائنات ، ويعتبر بما يجري فيها من الحادثات ، وبعد ، فقد تبين لنا من كل ما تقدم .

(١) أن التقليد الذي ذمه الإسلام وشدد التكثير على أهله ، إنما هو التقليد الذي يقوم على العصبية الوراثية والنصرة الطائفية ، والذي لا يميز بين الحق الذي أنزله الله على رسوله ، والباطل الذي أوحى به الشياطين إلى أوليائهم ، ولا يفرق بين التقليد في الخير والتقليد في الشر ، وأما تقليد الأئمة الذين استنارت قلوبهم بهدى الكتاب والسنة ، وامتلأت نفوسهم برهبة الخوف من القول في دين الله بغير حجة ، فليس من قبيل التقليد والتبعية العمياء ، وإنما هو من قبيل القدوة الصالحة المستبصرة ، والأسوة الحسنة الواعية ، ومتابعة غير العالم لأهل العلم والمعرفة ، لقوله تعالى « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث العرياض بن سارية « فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، فالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ، والسير على سنن الخلفاء الراشدين والأئمة الراشدين في العلم ، هما سبيل النجاة من شرور الفتن والاختلاف ، وطريق العصمة من ضلال الرأي وطفیان الهوى .

(٢) أن حرية الفكر التي قررها الإسلام وجعلها حقا للإنسان ، هي التي تنبثق من فضوح العقل ونور العلم واستقامة التفكير ، وتقوم على قضايا الحق والمنطق ، وتحكيم الحجة والبرهان ، واحترام النصوص الشرعية وتقديسها ، والتزام قواعد الاستدلال التي جرى عليها أئمة المسلمين في فهمها والاستنباط منها ، اذ لو وكل أمر الدين إلى الناس يحكمون فيه أهواءهم وأفهامهم كما يشاءون ، ويقبلون ويردون منه كما يشتهون ، لصار أمر الدين فوضى لا ضوابط له ولا حدود ، واختلت موازين الحق والباطل ، فإن العقول والأفهام متفاوتة ، والنوازع والأهواء متحركة ، والكلمة من أهل الحق في كل زمان ومكان قليلون ، وبالجملة هي الحرية التي تصلح العقائد ولا تفسدها ، وتبني المجتمعات الصالحة ولا تهدمها ، وتجعل من أهل الرأي قادة مصلحين لا قادة مضللين .

أما الحرية الفكرية التي لا تنفد بقضايا الحق والمنطق ، ولا تلتزم قواعد النظر والاستدلال ، ولا تعبا بجمرة النصوص الشرعية وقداستها ، ولا تبالى بالخروج على الأصول

الإسلامية المقررة ، ولا تعتمد إلا على الجهل والفسطة ، والغرور والعطسة ، إذ ليس لها رائد من الحق تلزم طريقه ، ولا هدف من الإصلاح تسلك سبيله ، وإنما رائدها مرض القلوب وطاعة الأهواء ، وهدمها الإفساد والهدم والإعراق في العجور والتحلل ، فلك حرية متحلة فاجرة ، لا ينيحها الإسلام ولا يرصاها لأهلها ، لأنها سبة للعقل وعار على العلم ، وضلال في التفكير وفساد في الأرض .

فيا من أوسعتم الحرية الرأي مجالا غير محدود ، واصطنعتم لها معنى غير معقول ، وأطلقتم الستم وأقلامكم تهجم على قدسية الدين ونعاليه ، وتشكك الناس في أصوله ومصادره ، وتهدم صروح الفضائل باسم الإصلاح والتجديد ، راجعوا عقولكم وضمائركم فيما تصنعون ، فما هكذا نكون حرية الفكر وقيادة الرأي ، وما هكذا يكون الإصلاح والتجديد ، واتقوا الله في أنفسكم وأممكم وأوطانكم ، فإن الدنيا متاع قليل وإن جل في أعينكم ، والرحيل عنها قريب وإن بعد في أمانيتكم ، وساعة الحساب آتية لا ريب فيها ، ولا معر من الحساب ولا مهرب من الجزاء . يا أيها الناس إن وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، ٢

يس سويلم طه  
المنقش بالأزهر

## من وحي الهجرة

هجرة كان بها أسمى الطمر لك يا من رمت تحرير البشر  
جمعت كل عطاش وعبر تملأ النفس بأنوار اليةين  
من قصيدة للأستاذ

عبد الرحمن نجما

## نقد كتاب « أضواء على السنة المحمدية »

في رمضان من عام ١٣٦٤ أغسطس عام ١٩٤٥ نشر الأستاذ محمود أبو رية مقالا بالرسالة العدد « ٦٣٣ » تحت عنوان « الحديث المحمدي » ضمنه آراءه في بعض مباحث الحديث وذكر أنها خلاصة كتاب سينشر ، فلما قرأته وجدت فيه عزوفا عن الحق والصواب في بعض ما كتب ، فأخذت بالقلم وكتبت ردا أرسلت به إلى « الرسالة » فنشر بالعدد « ٦٤٢ » وقلت في ختام الرد « وحيث أن المقال خلاصة كتاب سينشر ، فإني لأهيب بالأستاذ أن يراجع نفسه في بعض هذه الحقائق التي نكشفت له ، وليكر على الكتاب من جديد بالتحيص والتدقيق ، وعلم الحديث ليس بالأمر الهين ، والبحث فيه يحتاج إلى صبر وأناة وتحيص وتدقيق » وقد أبى الكاتب أن يسلم بكل ما أخذته عليه فكتب ردا على ردي نشر بالرسالة العدد « ٦٥٤ » وذكر في مقدمة رده أن مقالتي « نزع إلى الحق وبطلابه » وأنه يستحق العناية ويستأهل الرد ، ثم تريت الأستاذ في نشر ما عن له من فصول هذا الكتاب فقلت : لعله راجع نفسه .

وفي عامنا هذا « ١٣٧٧ - ١٩٥٨ » طلع علينا الأستاذ أبو رية بكتاب تحت عنوان « أضواء على السنة المحمدية » فقرأت الكتاب قراءة باحث مثبته مستبصر فإذا هو صورة مكبرة لما أوجز في مقاله القديم ، وإذا بالمؤلف لم يغير من أفكاره إلا في القليل النادر ، فعزمت على الرد عليه ردا مسهيا ، ولا سيما وأن الكتاب أحدث بلبلة في الأفكار عند من لم يتعمقوا في دراسة السنة ، وقوى عزمي على الرد رغبات الكثيرين من الفضلاء ، الذين لا يرون يذكرون ردي الموجز القديم وحسن ظنهم بي .

وقد رأيت أن أنشر هذه الردود على صفحات مجلة الأزهر « الزهراء » وأي مجلة أحق بمثل هذه البحوث من مجلة الأزهر ؟ وهي لسان الأزهر وحاملة لواء الإسلام والتعريف به والذب عنه ، وإليها يسكن المسلمون في جميع أقطار الأرض ؛ وقد آثرت أن أقدم بين يدي

النقد التفصيلي للكتاب صورة موجزة ، وإن شئت فقل خطوطا عريضة نعطينا فكرة عن الكتاب وطريقة مؤلفه ومنهجه في البحث ، وإليك البيان :

(١) إن المؤلف يدعي دعاوى عريضة ولا يدلل عليها ، أو يحاول أن يدلل عليها ، فيعوزه الدليل ، أو يستدل فيأتى الدليل قاصرا عن الدعوى . . . وذلك مثل ما ذكره في ص ٥ من ( أن علماء الحديث قد بذلوا أقصى جهدهم في دراسة علم الحديث من حيث روايته . . . على حين أهملوا جميعا أمرا خطيرا كان يجب أن يعرف قبل النظر في هذا العلم ودرس كتبه - ذلك هو البحث عن حقيقة النص الصحيح لما تحدث به النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وهل أمر بكتابة هذا النص بلفظه عند إلقائه أو تركه ونهى عن كتابته ؟ وهل دونه الصحابة ومن بعدهم أو انصرفوا عن تدوينه ؟

وهل ما روى منه قد جاء مطابقا للحقيقة ما نطق به النبي - لفظا ومعنى - أو كان مخالفا له ؟ . . . ويعلم الله والراسخون في العلم أن كل ما ادعى أنهم أهملوه جميعا قد قلوه بحثا وبذلوا فيه غاية الوسع ومثل ما ذكره في ص ٧ من ( أنه وجد أنه لا يكاد يوجد في كتب الحديث كآيا مما سموه صحيحا أو حسنا - حديث قد جاء على حقيقة لفظه وبحكم تركيبه . . . ) ومثل قوله في ص ١٣ ، ولما كان هذا البحث لم يعن به أحد من قبل . . . رأيت أن أسوى منه كتابا مبوبا جامعا أذيعه على الناس حتى يسكنوا على بيته من أمر الحديث المحدثي ، وفي الحق أنه ما من بحث عرص له إلا قد أشبع العلماء فيه القول ، ولندع التدليل إلى مقام التفصيل . . .

(٢) إن المؤلف اعتمد في التدليل على بعض ما ذهب إليه على كلام المستشرقين !!! أي والله المستشرقين ، وذلك كما فعل في ص ٨١ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، وكيف خفي على المؤلف الخفيف أن المستشرقين - إلا القليل منهم - يحملون الضغن للإسلام والمسلمين ، وأنهم نقشا سمومهم في بحوث ادعوا أنها حرة نزيهة ؟ - وما هي من الزاخرة في شيء - وأن من مقاصدهم تقويض صرح الإسلام الشايع ، وذلك بتقويض دعائمه - القرآن والسنة ؟ - وأنهم لما عز عليهم التشكيك في القرآن - عني كثرة ما حاولوا - ركروا معظم جهودهم في السنة بحجة عدم توأمتها في تفصيلها ؟ فلبسوا الأمر على بعض الناس حتى كان من أثر ذلك ما يطلع علينا به بعض الباحثين في الأحاديث النبوية بين الحين والحين ومنهم الأستاذ المؤلف من

آراء مبتذرة جائرة ، ويشهد الله أنها مصنوعة في معامل المستشرقين ثم استوردوها هؤلاء فيما استوردوا من أفكار وادعواها لأنفسهم دورا وبيتانا .

(٣) إن المؤلف أفاض في بعض المباحث وأكثر من القول وذلك لكي يرتب عليها ما يريد من نتائج هي أبعد ما تكون مرتبة عليها ، وذلك كما صنع في مبحثي الرواية بالمعنى وضررها الديني والفكري والأدبي ، بينما أوجز إيجازا مختصلا في بعضها كما فعل في مبحثي العدالة والضبط !! وهل تعلم أن هذين المبحثين اللذين يتوهم عليهما علم الرواية وتقد المرويات في الإسلام لم يحظيا من الكتاب إلا بصفحة أسطر ؟ والذي يظهر لي أنه أمر منضود من المؤلف ، ذلك أنه لو ذكر شروط العدالة والضبط على ما أصابها وقدمها أئمة الحديث وصيارفته ، لصاد ذلك بالنقص على كثير مما ذكره المؤلف في كتابه من استنتاجات لا تليق له . ولا أكون مغاليا أو متعصبا إذا قلت : إن الأصول التي وضعها علماء أصول الحديث لتمتد المرويات ، هي أرقى وأدق ما وصل إليه العقل لبشرى في القديس والحديث وسأفيض في بيان ذلك عند التعمد الموضوعي إن شاء الله .

(٤) من عجيب أمر هذا المؤلف أنه يستشهد بأحاديث موضوعية ما دامت تساعد على ما يريد ويهوى من آراء .

وذلك مثل ما فعل في ص ٣٩ من استشهاده بم روى ابن عمر حبس ابن مسعود وأبا موسى وأبا الدرداء في المدينة على الإكثار من الحديث فإنه خبر ظاهر الكذب والتوليد - كما قال ابن حزم - ونسبته روايته إلى ابن حزم ليس من الأمانة العلمية في النقل . ومثل حديث عرص السنة على القرآن فهو موضوع باتفاق الأئمة على حين حاول أن يشكك في أحاديث صحيحة ثابتة مثل حديث « ألا إني أوتيت لكتاب ومثله معه ، فقد تقدمه من ناحية منه موها اختلافا ص ٢٥٢ . وطعن في حديث الإسراء والمعراج وحمل موسى محمداً عليهم الصلاة والسلام على مراجعة ربه ، واعتبر ذلك من الإسرائيليات ص ١٢٣ . كما اعتبر ذكر المسجد الأقصى في حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » من الإسرائيليات ص ١٢٩ . والإمام ابن تيمية وهو من أئمة المنقول والمقول وينقل عنه المؤلف كثيراً في كتابه ، احتج بهذا الحديث ولم يد عليه أي مأخذ من المآخذ ، وهو من الأحاديث التي اتفق عليها الشيخان البخاري ومسلم إلى غير ذلك مما ستعلم الكثير منه عند ما تتعرض للنقد التفصيلي ، ولا أكاد أعلم لل المؤلف سلماً في الطعن في هذه الأحاديث من الأئمة اللهم إلا أن يكون

السادة المستشرقون وهم شتى تعرفها من أخزم ؛ ولعل مما يؤسف ويدهش أنه اعتبر حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي رواه البخارى وغيره ، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ، خرافة من خرافات كعب الأحبار امتدت إلى تليذه عبد الله بن عمرو (ص ١١٤) . ولا أدري كيف يتفق هذا وقول الحق تبارك وتعالى « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل الآية ، الأعراف ١٥٧ .

٥ - جارى المؤلف المستشرقين حينما تكلم عن العصبية المذهبية والسياسية في فصل الوضع حكم على كل ما يدل على فضيلة لصحابي أو يشهد لفكرة أو رأى بأنه موضوع وهو تصرف لا يرتضيه المنصفون المثبتون ، ولا يرتضيه قواعد البحث النزيه المستقيم ، فمن ثم طعن في كثير من الأحاديث الصحيحة في الفضائل ، وغير معقول ألا يكون لصحابة النبي الذين مشهم في التوراة والإنجيل - فضائل في جملتهم وألا يكون لبعضهم من العصبية والمزية ما ليس للآخر . فادعاء أن كل ما ورد في الفضائل أو كل ما يشهد لفكرة أو رأى موضوع - إفراط وإسراف في الحكم بغير دليل . وكذلك ادعاء أن كل ما ورد في الفضائل ونحوها صحيح ، تعريض وتقصير في البحث ، فلم يبق إلا الطريق الوسط العدل وهو الطريق الذي يهتدى فيه الباحث بصحيح النقد وصریح العقل إلى التمييز بين الصحيح وغير الصحيح ، وبيان المقبول من المردود ، وهذا هو ما صنعه جهاينة الحديث وأئمة النقد في موقفهم من أحاديث المضائل ونحوها .

٦ - لقد تحامل المؤلف تحاملاً لا يرتضيه المنصفون لذى دين وخلق - على محابى من صحابة رسول الله وهو أبو هريرة رضى الله عنه ، ونحن لا ندعى العصمة لأحد من البشر حاشا الأنبياء ، ولكننا نريد أن نزل الناس منازلهم في الفضل والعلم ؛ ولا ننجس على العقول فلكل باحث أن ينتقد ويبدى ما يشاء من آراء في حدود قواعد النقد الصحيحة ، ولكننا نحب للناقد أن يأخذ نفسه بأدب النقد ، وأن يراعى النصفة ، وأن يكون عفيف القول ، كره التعبير مترفعاً عن الإسفاف ، كما هو الشأن في العلماء ، وقد كان سلفنا الصالح يختلفون ويتجادلون ، ولكنهم كانوا يخالقون في سموات من العفة والرفع عن الهجر من القول ، والإنصاف ، عدم التجبى .

ولا أدري كيف استباح المؤلف لقله فصلاً عن أدبه أن يرمى أبا هريرة بكل جارحة

من القول تعليقاً على كلمة سيدنا أبي هريرة قالها تحدثاً نعمة الله عليه <sup>١</sup> . قال المؤلف ما نصه ص ١٨٧ ، ولقد استخفه أشبه وزهوه - يعني أبا هريرة - ونعم عليه أصله ونحيزته فخرج عن حدود الأدب والوقار ؛ مع هذه السيدة الكريمة ، فكان يقول بعد هذا الزواج الذي ما كان يحل به : إني كنت أجيراً للبصرة بنت غزوان بطعام بطنى ، فمكنت إذا ركبوا سقت بهم وإذا نزلوا خدمتهم والآن تزوجتها ، فأنا الآن أركب فإذا نزلت خدمتى .. الخ . وما أخرجه ابن سعد أنه قال : أكرمت نفسى من ابنة غزوان على طعام بطنى وعقبة رجلى ، فكانت تسكننى أن أركب قائماً وأورد حافياً ، فلما كان بعد ذلك زوجها الله ، فسكنها أن تركب قائمة وأن تورد حافية .

ويعلق الباحث الأديب على هذه العبارة ، فيقول بالهامش ما نصه : انظر إلى هذا الكلام الذى تعرى عن كل مروءة وكرم ، وانتم بكل دناءة ولؤم ، فتجده يباهى بامتهان زوجته والتشنى منها ، وهل يفعل مثل ذلك رجل كريم خرج من أصل عريق <sup>٢</sup> ! . وبحسبى أن أضع هذه العبارات ، التى فضحت بها نفس المؤلف الأديب بين يدى القراء ، وسأدع الحكم عليه ، لمحكمة الأدب السامى ، والضمير الإنسانى ، وسيكون الحكم - ولا ريب - قاسياً .

هذا إلى ما جاء فى تضاعيف كتابه من رعى المنتصرين السنة المخالفين له فى آرائه بالخشوية حيناً ، وبالمقلدة والجامدين حيناً آخر ، إلى غير ذلك مما ينبغى أن يره التأليف والنقد عنه . هذا وليطعن المؤلف أبو ربة ، أنى لن أتعرض لمقيدته ومنهجه ونشأته ، ولا لكرم أصله أو عدم كرمه ، ولا لمروءته أو عدم مروءته ، إلى غير ذلك مما تناول به السيد الجليل أبا هريرة ؛ فقد أخذت نفسى منذ أمكنت بالقلم أن أترفع عن مثل هذه السفاسف ... ! والسباب والشتم إنما هما بضاعة العاجز الذى لا يسفه المطلق السليم والحجة الدامغة ، ولن يرى منى إلا النقد الموضوعى للكتاب . ومن الله أستمد العون والتوفيق . فاللهم أعز وسدد .

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

١ | فى الإصابة من مضارب قال كنت أبيع من أهبل فإذا رجل يكبر فقلت ما هذا قال : كنت شكر الله على أن كنت أجيراً للبصرة بنت غزوان ثم ذكر القصة .

٢ هذا ما قاله أبو ربة والسيد أبو هريرة . وقال الامام ابن إسحق فيه : كالرواية فى دوس . فانظر فرق ما بين المثلين !

# زين العابدين

على بن الحسين

٢٨ - ٩٤ هـ

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد . ولعمرك الله العظيم لقد كابر المسلمون الصادقون يتوارثون حب النبي صلى الله عليه وسلم وقرابته وتكريمهم ، والنظر إليهم نظرة التقدير لأنهم بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضيه ما يرضيهم ، ويؤذيهم ما يؤذيهم فمن آذى واحدا منهم فقد آذى الله ورسوله إلا أن يكون بحق الإسلام .

لقد ير بكل مسلم أن يعرف هؤلاء حقهم وأن يقدمهم قدم .

يروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول : ارقبوا محمدا في أهل بيته ، وكان يقول والذي نفسي بيده لقرابة محمد صلى الله عليه وسلم أحب إلي من قرابتي .

ويقال : إن الخليفة المهدي عمر بن عبد العزيز لما وفد عليه عبد الله بن حسن بن علي في حاجة قال له : إذا كانت لك حاجة فأرسل إلى أحضر أو اكتب إلى فاني أستحي من الله أن يراك على بابي .

وما لا مجال لتحقيقه في هذا المقام ولا داعي للخوض في تفصيله أنهم كانوا يطفرون بهذه المنزلة الكريمة في نفوس الصديقين ومن خلصت نفوسهم من الشوائب والأغراض لأنهم متمسكون بسنة جدهم النبي صلوات الله عليه معتمدون بدينه محتفظون بمزاياه التي خص بها الله سبحانه هذا البيت الكريم من التعرف إلى الله والاعتزاز به واللجوء إلى حماه والمروءة والكرم والفداء والتضحية وما إلى ذلك من معاني الإسلام التي اختارها الله للصفوة من عباده .



وبما لا مجال لتحقيقه أيضاً والخوض في تفاصيله أتا لا ننشد لم بذلك تعظيماً لم يأذن به الله، بما يتشبه به كثير من العامة الذين يفرط كثير منهم في أصول الإسلام وأسنه، فلا يقيم صلاة ولا يؤدي زكاة ولا يتورع عن الخوض في أعراض الناس ومظالمهم، ثم يزعم أنه يجب آل البيت، وحسبه من ذلك أن يطوف حول قبر أو يمسك بحنطة مقصورة أو يدعو أحداً منهم بما خص الله سبحانه به نفسه.

كل هذا هراء وباطل وانحراف عن الجادة وسبيل محمد صلى الله عليه وسلم وآل بيته الأكرمين.

وبعد فقد كان على زين العابدين وذو النشأت الركي الأمين<sup>(١)</sup> صفوة هذا البيت الكريم بعد آبائه، وانحصرت فيه ذرية السبط الكريم حسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين.

ومن حديث هذه الذرية الكريمة أن الحسين رضي الله عنه كان له ستة أولاد علي بن الحسين الأصغر وهو هذا الذي نتحدث عنه اليوم وأمه شاه زنان بنت يزيد بن كبرى أنوشروان ملك الفرس.

وقد تربى في حجر أبيه الحسين بن علي يأخذ عنه ما ورث عن أبيه وجده من آيات الله والحكمة ويحاكيه في أدبه وسخائه وكرمه وحله حتى كان مضرب المثل والمورد العذب وما زال هذا الإمام العابد الزاهد يأخذ نفسه بما تركه أبوه عليه من المعارف والمكارم فهو عالم فقيه ومحدث جليل وزاهد مبذل وورع.

وقد عده الحافظ الذهبي من الطبقة الوسطى من التابعين في رجال الحديث وقال إنه روى عن أبيه وعمه الحسن وعائشة وأبي هريرة وابن عباس والمسور بن عمر وغيرهم. وأخذ عنه شوه أبو جعفر محمد بن علي وزيد وعمر وزيد أسلم وعاصم بن عمر والزهري ويحيى بن سعيد وأبو الزناد وآخرون.

(١) هذه الأربعة ألقاب كان يدهي بها.

وذو النشأت على التثنية بفتح النون وهي ركبته وذلك أن مساجده كانت كثرة البير من كثرة صلاته ذكره شارح القاموس.

قال الرهري : ما رأيت أحقه من علي بن الحسين إلا أنه كان قليل الحديث وكان من أفضل أهل بيته وأعظمهم طاعة وأحبهم إلى عبد الملك وفي حب عبد الملك إياه ما يدل على أنه كان يؤثر التقية ويتجنب الخلاف إبقاء على جماعة المسلمين كعنه الحسن رضي الله عنه ولأنه يرى فيما هو فيه من الصلة بالله والتوجيه الصالح لامة محمد صلى الله عليه وسلم ما يشغله عن ذلك الخلاف الذي يرى أن الله سبحانه يفصل فيه عدله ، ويقضى فيه بحكمه ، عى أنه كان مهيباً شجاعاً لا يبالي ما يواجهه في الحق .

ويروى المهدي عن مالك أنه قال : بلغني أنه كان يصلي في اليوم واليلية ألف ركعة إلى أن مات . وقد يكون في ذلك شيء من المبالغة على أنه يلتق ضوءاً على ما كان فيه من طول القنوت والإقامة إلى دلة الخلود .

وكان يسمى زين العابدين لعبادته .

وكانت وفاة علي بن الحسين سنة ٤٠ هـ ودفن بالبقيع في خلافة الوليد بن عبد الملك في قبر عمه الحسن رضي الله عنه في القبة التي فوق قبر العباس رضي الله عنه كما رواه ابن خلكان في وفياته .

وقد نصت جميع الكتب التي رأيت في تاريخ الإمام علي بن الحسين أن وفاته كانت في سنة ٤٠ هـ منها تواريخ ابن خلكان والنهي والشبلنجي في كتابه نور الأبصار ومعنى ذلك أنه توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك كما رأيت .

وإذا كان ذلك فلا حجة لما يشاع في كتب الأدب وبعض الكتب التي لا تحقيق في رواياتها من أنه حج مع هشام بن عبد الملك وأن هشاماً جهد أن يصل إلى الحجر الأسود فلم يصل إليه لكثرة الزحام وأن الناس تحموا زين العابدين حين رأوه وأن هشاماً سئل عنه فادعى أنه لا يعرفه وأن المرزوق كان حاضراً فقال أنا أعرفه وأنشد :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته      والبيت يعرفه والحل والحرم  
هذا ابن خير عباد الله كلهم      هذا التقى النقي الطاهر العلم  
إذا رأيته قريش قال قاتلها      إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

ونحن لا نتكر أن يكون ابن الحسين جديراً بهذا الشعر ولا بما هو أروع منه ، وإنما تذكره للتحقيق التاريخي . فإن سياق القصة يدل على أن هشاماً يومها كان خليفة ، ونحن نعلم

أن خلافة تبدي منذ سنة ١٠٥ للهجرة أى بعد وفاة السيد زين العابدين بما يحاوز عشر سنوات .

فإن تكن الحادثة صحيحة أولها أصل فعلها كانت مع غير هشام من الخلفاء ، أو مع غير زين العابدين من آل البيت ، أو بينهما في غير خلافة هشام .

ولذلك نعرض صفات زين العابدين وأخباره وطرفا عما نقل من أقواله مما له دلالة على مبلغ بصره ومعرفته ومزاياه الكريمة .

١ — كان علي بن الحسين رضى الله عنه يخاف الله ويخشاه خشية من أيقن بالموت ، ورأى الدار الآخرة . وعرف الله حق المعرفة ، وورث صفات النبوة فكان مصليا صواما ، معرضا عن المصول مشتغلا بما يعنيه وحده ، وقد رأيت ما نقل عن مالك رحمه الله من أنه كان يصلى ألف ركعة ، وذلك عمل من لا يجد فراغا لغير الله . ولا يعرف وجهة سواء .

وروى أن رجلا لقيه فبه فقال : يا هذا ؛ بيني وبين جهنم عقبة إن أنا جزئها فما أبالي ما قلت ، وإن لم أجزها فأنا أكثر مما تقول . وروى أنه كان إذا حضرت الصلاة اصفر لونه ويقال : ما هذا الذى نراه يعتريك عند الوضوء فيقول : أما تمدون بين يدي من أقف . . . 1

ولعلك أيها القارئ الكريم تعرف من هذا وأمثاله كيف كان هؤلاء الصديقون من أهل بيت النبوة ؟ وأنهم لم يغتروا يوما بالصلة بالله ورسوله ، ولكنهم كانوا أشد الناس خوفا من الله ، وإشفاقا من غضبه ، واقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في معرفة حق الله وهضم نفوسهم وتهذيبها .

٢ — كان علي بن الحسين يعرف حق الله والإنسانية في السائل والمحروم ، والعاثر والمكذود فيتعهد الفقير وينفق مما آتاه الله سبحانه بالليل والنهار سرا وعلانية ، ويمجد نفسه ويعنيها في تحمل أعباء الناس . عن ابن عائشة قال : سمعت أهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت علي بن الحسين .

وعن محمد بن اسحق قال : كان ناس من أهل المدينة يعيشون ولا يدرون من أين معاشهم وما كلهم . فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلا إلى منازلهم . وكان يحمل

جرباب الخبز على طهره يتصدق به ، فلما غسلوه جعلوا ينظرون إلى سواد في طهره فقيل :  
ما هذا ؟ قالوا : كان يحمل جرباب الدقيق ليلا على طهره يعطيه فقراء أهل المدينة .

وعن سفيان قال : أراد علي بن الحسين الحج فأقذت إليه أخته سكينته ألف درهم ،  
فلحقوه بها بظهر الحرة فلما نزل فرمها على المساكين .

وهكذا يتجلى الإسلام على حقيقته في آل البيت النبوي الكريم ، والإسلام بذل وتضحية  
وإثار وجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ، وبذل لكل ما عند المرء في سبيل الإنسانية  
طاعة لله وليس مجرد صلاة وصوم وعتاء وذكر .

٣ - كان زين العابدين أديبا مهذبا عفا اللسان حليما متواضعا متسامحا ، يتصدق بمرضه  
على المسلمين ، كما يتصدق بماله على المعوزين .

وقد مر بك ما كان من إعراضه عن مجارة من سبه ومجازاته وعن سفيان قال : جاء  
رجل إلى علي بن الحسين فقال : إن فلانا وقع فيك بحضوري فأطلق إليه معه وهو يرى  
أنه سينتصر لنفسه منه ، فلما أفاء قال : يا هذا إن كان ما قلته حقا فأنا أسأل الله أن يغفر لي ،  
وإن كان باطلا فاقه تعالى يغفره لك ثم ولى عنه .

وهكذا كان الأدب والحكمة في العلماء الراشدين من هذه الأمة الكريمة ، فلم يكن فراغ  
نفسهم يدفعهم إلى الكبرياء ويوقعهم في الخماقة الزعناء ؛ ليكثرخوا خصومهم في الناس  
وليضاعفوا مشاكلهم في الحياة . وما أجل البساطة وسلامة الصدر ونيان السيئات والصفا  
عن الرلات تحميها لمعنى الأخوة ، وحرصا على إشاعة السلام ١ وفي الحديث الشريف :  
والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا .

٤ - على أن زين العابدين لم يكن جباناً في الحق ولا ضعيفاً أمام الجبابرة من  
الأمراء والسلاطين .

وكانت تعرض له مشاكل منذ حداثة يطير فيها فؤاد النكس ويخشع لها قلب الصنديد ،  
فما يبالي ما يصيبه إذا قال الحق وشق نفسه لله .

روى في عدة مصادر أن ملك الروم ، كتب إلى عبد الملك بن مروان يهدده ، فرأى أن  
يهند على بن الحسين ليرى ما يقول فيبحث به إلى ملك الروم فكتب إلى الحجاج أن توعد  
على بن الحسين واكتب إلى بما يقول :

فكتب الحجاج إليه يتوصله .

وكان جواب علي بن الحسين أن قال :

إن لله عز وجل لوحا محفوظا يلحظه كل يوم ثمانمائة لحظة ليس منها لحظة إلا يحيي ويميت ويعز ويذل . ويفعل ما يشاء ، وإني لأرجو أن يكفلك منها بلحظة واحدة . فأرسله الحجاج إلى عبد الملك ، ثم كتب به عبد الملك إلى ملك الروم ردأ على تهديده ، فلما قرأه ملك الروم قال : ما خرج هذا إلا من كلام النبوة .

فاظر كيف كان ثبات زين العابدين ، ثم تأمل كيف احتاج كل من عبد الملك والحجاج - مع غزير علمهما ووافر ثقافتهما وفصاحتهما - إلى الانتفاع بما يكتب زين العابدين في موقف الإثابة .

٥ — أما علمه ومعرفته ، وأما إحاطته بشئون الدين ، فقد كان إماما ومرجعا بين الناس إلى ظله ، ويتداوون به من الجهل ، ويشعرون به ظلمات الحرمان ، وقد بالغ فيه بعض الصوفية ، فادعوا أن لديه من علوم الكشف وما لا يطلع عليه الناس الشيء العجيب .  
٦ — ولكن حسبنا أن ننقل إليك بعض فقرات من كلامه ترى فيها صورا من علمه وأدبه إلى صور من بيانه وبلاغته .

روى أنه كان يقول لابنه : يا بني إن الله لم يرشحك لي فأوصاك في ، ورحماني لك فحذرنى منك ، واعلم أن خير الآباء للآبناء من لم تدعه المودة إلى التفريط فيه ، وخير الآباء للآباء من لم يدعه التفصيل إلى العفو له ، وكان يقول له يا بني اصبر على التوابع ، ولا تعرض للثنون ، ولا تجب أخاك من الأمر إلى ما مضى به عليك أكثر من منفعة لك .

ومن كلامه : إذا نصح العبد لله تعالى في سره أطلعه الله على مساوي عمله فتشاغل بذنوبه عن معائب الناس . عبادة الأحرار لا تكون إلا شكرأ لله لا خوفا ولا رغبة . عجبت لمن يحتسى من الطعام لمضربه ، ولا يحتسى من الذنب لمعرفته . أربيع عزه من ذل : البنت ولو مريم ، والدين ولو درهم ، والغربة ولو ليلة ، والمثال ولو أير الطريق .

وفي الفصول المهمة أن جماعة من البادية دخلوا عليه ، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان فقال لهم : ألا تحبوني من أتم ؟ أأتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم

وأموالهم يتفقون فضلا من الله ورضوانا ويتصرون الله ورسوله؟ قالوا : لا ، قال : فأنتم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟ قالوا : لا ، قال : أما أنتم الذين قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين؟ وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى فيهم : والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، اخرجوا عنى فعل الله بكم وصنع .  
رحم الله زين العابدين وجعل فيه مثالا للصلحين ؟

### محمود النواوى

## «حنين»

سما في شوق للحجاز شديد	فأنى محب ، والمحـب مريد 11
أحب رسول الله جبا إخاله	حنينا ، وهل بعد الحنين مزيد 12
وأهـمـو إلى البيت الحرام وزمزم	وطيبة ، والمولى على شهيد 1
مواطن حفت بالجلال وهمة	ومجد لنا في العالمين تليد 1
بنفسى أفديها ، ونفسي عزيرة	وكل عب بالعزير يـجود 11
أقد طال شوقى للحبيب محمد	وطال انتظارى والحبيب بعيد 1
إليك رسول الله أشكو تخلفا	كأنى به عبر الزمان طريد 11
أحاول أن أسعى ولكن حالى	تموقنى عما لديك أريد 1
وفى كل عام فالحجيج قوافل	تزور ، وإنى دونها أقميد 1
وذلك - لعمري - حالة لا أطيقها	بروعنى منها أسى ، وحمود 11
لجدلى بقرب منك يا سيد الورى	فأشعر أنى فى الرحاب سميد 1

### محمود طيهر

رئيس بعثة الأزهر بالصومال

## الاسلام في غانا

على الساحل الشرقى للحيط الأطلسى ، وفى جنوب الصحراء الكبرى الإفريقية ، تقع دولة صغيرة تبلغ مساحتها حوالى ٩٢ ألف ميل مربع ، كانت تعرف فى المصورات الجغرافية باسم « ساحل الذهب » ، ثم عرفت بعد استقلالها فى ٦ من مارس سنة ١٩٥٧ م باسم « غانا » ، وهو الاسم الجغرافى للناطق الساحلية فى غربى إفريقيا ، والاسم التاريخى للمملكة القديمة كانت قائمة بين أعلى نهر النيجر ونهر السنغال منذ ٨٠٠ سنة . وظهرت هذه الدولة ، رغم حداثة استقلالها ، على مسرح الحياة السياسية بشكل بارز ، واشتركت فى المؤتمرات التى عقدت لصالح الشعوب الإفريقية والآسيوية ، وتوطيد أركان السلام العالمى .

وبمناسبة زيارة رئيس وزرائها الدكتور كوامى نكرومه Kwame Nkrumah لمصر ، وإعجابه بالنور الكبير الذى يتوم به الأزهر فى توثيق الروابط بين مصر والعالم الإسلامى ، أود أن أعرض لقراء مجلة الأزهر الغراء صورة مبسطة ، توضح لنا بعض معالم هذه البلاد ، وتكشف لنا بها أحوال المسلمين هناك ، قياما بواجب التعارف بين الجماعة الإسلامية ، ولتكون على بينة من الأمر فيما تقدمه من خدمات لإخواننا فى هذه المناطق التى باعد بيننا وبينها المستعمرون .

عرف العرب والمسلمون هذه البلاد منذ القرن الأول للهجرة ، فبعد أن وطنوا دعائم الحكم الإسلامى فى شمالى إفريقيا - اتجهت قوافلهم نحو الجنوب ، واخترقت صحراء فزان والواحات ، ووصلت قبيلة « بنى حسن » إحدى قبائل « بنى هلال » إلى داخل بلاد السودان حاملة معها رسالة الإسلام مع ما يحملون من تجارة . ومن الشمال الغربى توجه المرابطون إلى داخل القارة لنشر الدعوة الإسلامية ، وغزوا مملكة « غانا » التى كانت قائمة بين أعلى نهر النيجر ونهر السنغال ، وأسس هناك أبو بكر بن عمر اللتوفى مملكة « السونفاى » ، وأصبحت مدينة « تمبكتو » التى اختطها الطوارق سنة ١٠٧٧ م ملتقى الوافدين من الشمال والشرق والغرب ، وصارت مركز الدعوة الإسلامية فى هذه الجهات . ولم يمض أبو بكر ابن عمر سنة ١١٢٠ م إلا بعد أن وصلت قبائل الديولا حاملة رسالة الإسلام إلى ساحل

الذهب « غانا » وساحل العاج وسيراليون والمناطق الساحلية الأخرى . ثم جاء رجال الطرق الصوفية الكبرى : الجيلانية والشاذلية والنيجانية ، وتابعوا نشر الدعوة حتى وصلوا بها إلى حدود الكونغو .

ولم يعرف الغربيون ساحل الذهب « غانا » إلا بعد منتصف القرن الخامس عشر ، عندما قام الأسبانيون والبرتغاليون يثأرون من العرب الذين حكمهم عدة قرون ، فطاردوهم وتبعوا بلادهم فاتحين ، وتحركت أساطيلهم بزعماء الأمير هنري ابن الملك جوان الأول ، متبعة ساحل إفريقية الغربى حتى وصلت سيراليون ، وتابعت سيرها بعد وفاة الأمير حتى وصلت حدود الكونغو .

وكان نزول البرتغاليين إلى ساحل الذهب سنة ١٤٨٢ م . فاشتغلوا هناك بالتجارة ، التي أسالت لعاب بقية الأوروبيين ، فوفدوا إليها جماعات من كل منطقة ، وتنافسوا في تجارة الرقيق إلى جانب التجارة في منتجات البلاد المعدنية والنباتية ، ثم انسحب هؤلاء جميعا ، ولم يبق إلا البريطانيون الذين بسطوا سلطانهم على البلاد ، وتم لهم إخضاعها سنة ١٩٠٠ م بعد حروب دامية استمرت سنين عديدة ، وظلت البلاد ترزح تحت نير الحكم البريطانى ، يطبق فيها سياسته الاستعمارية التقليدية ، القائمة على الاستغلال والاستثمار بخيرات البلاد ، وإهمال شئونها وإحباط كل مجهود يرمى إلى النهوض ، وكبت الحريات والقضاء على كل حركة تحررية ، حتى كانت الانتفاضات الأخيرة التي اشترك فيها الدكتور نكروما بعد عودته سنة ١٩٤٧ م من أمريكا وإنجلترا ، حيث كان يكمل تعليمه هناك ، وبعد جهاد عنيف حصلت البلاد على استقلالها في ٦ من مارس سنة ١٩٥٧ م ضمن المستعبدات البريطانية وسيكون الحكم فيها ديموقراطيا جمهوريا في هذا العام .

• • •

تتكون « غانا » الآن من أربع مناطق : منطقة الساحل حيث توجد عاصمة البلاد « أكرا » ومنطقة « أشانتى » شمالها ، ثم المناطق الشمالية بعد ذلك ، وأخيراً الجزء الإنجليزي من « توجولاند » الألمانية القديمة . ويبلغ السكان حوالى خمسة ملايين ، معظمهم من الزنوج ، ليس فيهم إلا نحو مائة ألف أوروبي ونحو عشرة آلاف عربي من سوريا ولبنان . وهم خليط من عدة قبائل ، أشهرها : الأشانتى والفانتى ، وكل قبيلة لها لغتها الخاصة



التي تنفر إلى عدة لهجات تبلغ مجملها نحو ٥٠ ، واللغات الرئيسية أربع ، تسود كل منها في منطقة من مناطق الدولة .

وغالب السكان يدينون بدين الآباء والأجداد وهو الوثنية ، ونسبتهم أكثر من ٦٠٪ . ويوجد هناك مسيحيون تنصروا على يد الإرساليات التبشيرية التي وفدت مع الفاتحين والمكتشفين الغربيين ، ويلغون حوالي ٣٠٪ . كما تتول نشراتهم الدينية الرسمية ، ويبدو أن هذا التقدير مبالغ فيه ، يراد به إبراز نشاط المبشرين للجهات التي يعملون لحسابها حتى تقوى بذلك مراكزهم ، كما أكد ذلك كثير من المراقبين للشئون الدينية . أما المسلمون فقد اضطربت الأقوال في تقديرهم ، نظراً لعدم وجود إحصاءات دقيقة للسكان . وتزعم المصادر الأجنبية أنهم لا يتجاوزون ٤٪ من السكان ولكن يؤكد أحد كبار المسلمين الذين تخرجوا في الأزهر وله مكان محترم في الأوساط الرسمية هناك أن عددهم لا يقل عن مليون نسمة . وأن المستعمرين والمبشرين الذين يعملون لحسابهم يحاولون جهدهم أن يقتلوا من شأن المسلمين تنفيذاً لخطة مرسومة . ويكثر المسلمون في المناطق الشمالية ، ومظهر الإسلام هناك واضح جداً ، إذ يفوق عدد المسلمين هناك كل الطوائف الأخرى . ثم يقل عددهم في أشانتي وغيرها .

وأكثر المسلمين غرباء وفدوا من غرب إفريقية وشرقيها والمناطق المجاورة ؛ للعمل في الزراعة والمناجم والتجارة ، وتعتبر مدينة «كوماسي» عاصمة إقليم أشانتي ، ومدينة «أكرا» عاصمة البلاد ، من أكبر المراكز لاستقبال هؤلاء العمال الوافدين . ويلاحظ أنه لا تخلو أية مدينة كبيرة من وجود حى إسلامي فيها ، كما لا تخلو أية قرية من القرى من وجود أحد التجار المسلمين ، وكل جماعة من المسلمين لهم زعيم يرعى شئونهم ، والزعيم الأكبر مقره مدينة «كوماسي» ، وتكاد تحصر الزعامة في أسرة «بريما» التي يرجع أصلها إلى قبيلة جليوردوبا ، وثلاثة أرباع المسلمين من أهل السنة والجماعة ، ويوجد نحو اثنين وعشرين ألفاً يتنحلون نحلة القديانية ، ولهم نشاط بارز في كافة النواحي ، ومدارسهم ناجحة بالرغم من أن تلاميذها لا يدينون جميعاً بذهبهم . ومنحبه أهل السنة مالكي ، نظراً لأن الوافدين قديماً وحديثاً هم من شمالي إفريقية وشرقيها وغربيها حيث يسود المذهب المالكي هناك . كما أن أكثر المسلمين ينتمون إلى الطريقة الصوفية التيجانية ، التي أسسها بالمغرب أحمد بن محمد التيجاني المتوفى سنة ١٧٨٢ م .

والخرافات منتشرة في البلاد بشكل واضح ، والعادات الوثنية القديمة راسخة في نفوسهم مهيمنة على تصرفاتهم ، والسحر والشعوذة والاعتقاد في الأرواح الخفية والأسرار والألغاز يكاد يكون قدراً مشتركاً بين المواطنين جميعاً ، والسحرة هناك لهم مكاتبتهم واحترامهم ، ويخشى الناس بأسمهم فيتوددون إليهم بأقامة الحفلات وتقديم القرابين ، لأنهم يروهونهم أن لهم صلة قوية بالله ، أطلنت أيديهم في الكون تتصرف كما تشاء .

ومستوى التعليم في البلاد ضعيف جداً ، فكانت نسبة الأمية قبل خمس سنوات ٨٥٪ / ولم يبدأ النشاط العلمي إلا بعد سنة ١٩٥١م ، فأنشئت المدارس الابتدائية والثانوية ومعاهد لتخريج المعلمين وبعض مدارس فنية ، وتوجد الآن كلتان جامعتان ، إحداها قرب أكر ، وهي تؤهل الطلاب للحصول على الدرجات العلمية والأدبية من جامعة لندن ، والأخرى في كوماسي وهي للتكنولوجيا والعلوم والآداب . غير أن حظ المسلمين من التعليم ضئيل ، وأكثرهم مهتم بالناحية المادية مشغول بالزراعة والتجارة ، والكتائب التي تعلم القرآن ومبادئ الدين لا تكن لتثقيف المسلم تثقيفاً صحيحاً ، فالتأخرون على أمرها تهضم الكفاية العلمية ، كما أن الموارد المالية ضئيلة .

وكانت مصر بفضل الأزهر أسبق الدول إلى تقديم الخدمات للسليين في غانا ، ففي كل عام يفد إليها كثير من الطلاب يتلقون العلم في الأزهر ، في معهد أنشي للطلاب الوافدين من أطراف العالم ، ويلقبون في رسابه كل عناية ورعاية ، وقد عاد كثير من هؤلاء الطلاب إلى بلادهم رسل هداية وثقافة ، وألسنة خير تشيد بمصر والأزهر كعزة العلم ، ومنبع للثقافة الإسلامية ، ومركز الإشعاع الديني وأروحي للسليين في كافة أنحاء العالم .

\*\*\*

هذا والمسلمون هناك يعيشون في وفاق مع باقي المواطنين ، ويشاركون في كل نشاط ، وكل حركة إصلاحية في البلد ، وهم يسعون جاهدين لتحسين أحوالهم . وقد أنشوا لهم اتحاداً في أوائل القرن العشرين ، يشرف عليه كبار المسلمين من كل أنحاء البلاد ، الغرض منه رعاية مصالحهم وتحسين وضعهم ، واتقضاء على فوارق الجنس واللون والمذهب بينهم ، وقد أفاد هذا الاتحاد في توحيد جميع العناصر الإسلامية ، وإيقاظ قبائل غانا للعمل والنشاط والاشتراك في المؤسسات المختلفة ، وقد تحول أخيراً إلى حزب سياسي ، مع الأحزاب الستة الأخرى ، وحاض المسلمون غمار المعارك الانتخابية . ولم يمثلون في المجالس البلدية ، وعضو في برلمان غانا .

والواجب أن توجه عناية كبيرة إلى المسلمين في هذه البلاد ، فهم في حاجة ماسة إلى من يبصرهم بواجبهم في وسط هذا العراك ، وإلى من يعطف قلوبهم نحو الشرق ويربطهم بالعرب ، ويقرب بينهم وبين إخوانهم في الأقطار الإسلامية ، وذلك قبل أن توقعهم في شركها أمريكا ، التي تبذل جهدها لسد الفراغ في هذه المناطق التي تقلص عنها نفوذ الإنجليز ، ويمكن أن نعلم أن أمريكا تستورد ٣٩ ٪ من محصول الكاكاو في غانا ، وفي حاجة ماسة إلى المنجنيز والمعادن التي تكثر بها . كما أن جامعاتها ١٤٠ طالبا يصنعون هناك صناعة خاصة ، لها أثرها بعد عودتهم إلى بلادهم وتقدم المناصب الكبيرة .

والغريون عموما حريصون على أن يربطوا هذه البلاد بعجلتهم ، والمبشرون وهم دعاة الاستثمار يخشون تزايد عدد المسلمين لأن باب الهجرة الذي جاهدوا لإغلاقه ما زال مفتوحا ، وسيكون مشروع توليد الكهرباء من نهر الفلتا وما يتبعه من التقدم الصناعي ، مدعاة لجلب عدد كبير من المسلمين المهاجرين فيزداد بذلك نفوذ المسلمين . وهناك عبارات شائعة متوارثة : الإسلام دين السود ، وعند ما يرحل البيض فإن المسلمين هم الذين سيحكمون البلاد . وهم يخشون جميعا ضعف النظام الاجتماعي الذي يؤازره نفوذ الزعماء الوثنيين في المجالس البلدية ، لأن هذا النفوذ أخذ في الضعف ، وبالتالي سينهار النظام الاجتماعي ، وهنا تكون الفرصة سانحة لتدخل الإسلام وبسط نفوذه بين الوثنيين كنظام اجتماعي يتناسب وطبيعة البلاد وعقلية السكان ، وتكون الطامة الكبرى على التشير والمبشرين وعلى الاستثمار والمستعمرين .

لجدير بالمسلمين شعوبا وحكومات ألا يدعوا هذه الفرصة تغفلت من أيديهم ، وأن يكونوا على حذر ويقتطعوا وسط هذه الدوامات والتيارات السياسية التي يثيرها ويوجهها قوم يكيدون للشرق ، ويربصون الدوائر بالمسلمين .

فنبزلوا إلى الميدان مسلحين بأسلحة العصر ، وليثبتوا وجودهم كأمة لها كيائها واعتبارها ، ولها مجدها الغابر وطاقاتها الحية القوية التي تغالب الرمان ، وتقهز أعظم قوة في الوجود . إن أحسنوا استغلالها واعتصموا بها ، واثق سبحانه ناصر عباده المؤمنين ، ولا يهدى كيد الخائنين .

عطية صفر

المدير الصحفي لمكتب شيخ الأزهر

# آمال متواضعة

هل تتحقق خلال العام الجديد؟؟

وندع الآمال الكبرى من تحقيق الاستقلال التام والوحدة الكاملة لبلاد العرب ، إلى قيام التعاون والتضامن بين ديار الإسلام ... ندع هذه الآمال الكبرى فهي محل الإجماع ، وهي مما يتطلب اليقظة الدائمة ، والعمل الدائب الذي لا يقف ضد سنة واحدة من السنين ، بل ولا يقف ضد جيل بعينه من الأجيال .

ندع هذه الآمال الكبرى التي يلتقي عليها العرب والمسلمون ، وتتناول تخطيط آمال محدودة في نواح جزئية متواضعة ، يمكن أن تتحقق بدايتها وتوضع أسسها في خلال عام ، ثم لا تزال ترقى أكلها بعد ذلك كل حين ياذن ربها .

ولن تناول من هذه الآمال القريبة إلا ما يتعلق بالفكر والثقافة ، وهو مجال حيوى له أثره وخطره في السلوك والأخلاق والتقاليد ، وفي العمل والإنتاج والنشاط .

\*\*\*

ونبدأ بآمالنا في أزهرنا العتيق ...

نريد أن نرى الأزهر مقبلا على الشطر الثقافي من رسالته العلية ، لا يقصر نشاطه على الشطر التعليمي وحده .

ففي الأزهر مراقبة للبحوث والثقافة ، لا بد أن تكون لها خطتها السنوية في الترجمة والتأليف ، ولا بد أن تكون لها نشراتها ومطبوعاتها وإنتاجها..

هذه كلها أمور مفهومة بداهة من وجود مراقبة للبحوث والثقافة ، والذي أومله اليوم أن يتضمن نشاط هذه المراقبة إنشاء قسم خاص ، لنشر المخطوطات وإحياء التراث العربي ، وهذا القسم له دور أساسي في أى تخطيط يتناول ثقافتنا الإسلامية .

والمواد الخام لهذا القسم موجودة كلها : وأولها أن مكتبة الأزهر نفسها عامرة بالمخطوطات التي منها ما تنعده به ، والتي منها ما لم يحقق وينشر بعد . . فضلا عن المخطوطات الموجودة بدور المكتب الأخرى والجامعات .

والأساتذة الذين يباشرون تحقيق هذه المخطوطات موجودون في الأزهر ، وبعضهم يحقق فعلاً بعض المخطوطات لحساب دور النشر المختلفة ، وبعض خريجي الأزهر الذين يعملون في جهات أخرى لهم مثل هذا النشاط المحمود ، على أنه لا حرج بعد ذلك في أن يتعاون الأزهر - في هذا العمل العلمي الضخم - مع المشتغلين بالتأليف والتحقيق أياً كانوا . وأنا طبعاً لا أريد أن توقف الجهود الفردية ، ويكون هذا النشاط العلمي مقصوراً على الجهات الرسمية ، فإن هذا يؤدي إلى التعويق والتجميد بل ينبغي ألا نحول بين الأفراد ودور النشر وبين بذل الجهود المكثفة في هذا الميدان ، بل ينبغي أن نشجع مثل هذه الجهود بكل قوة ، وفي الوقت نفسه نتولى تجميع وتنسيق قوائمها ، فيما تنصر عنه جهود الأفراد والمؤسسات الخاصة ، وما يحتاج إلى جهود وأموال الدولة ذاتها . ويكون البدء بأن يتخصص مجلس معين من قبل الأزهر لهذا العمل ، ويتفرع إلى لجان ، بعضها للفقهاء ، وبعضها للتاريخ ، وبعضها للغة والأدب ، وتولى هذه اللجان حصر المخطوطات الموجودة وتحديد خطة نشرها .

فهل هذا أمل عزيز على التحقيق ؟ ؟

إنه ممكن جداً ، ولن يحتاج لكثير من المال في أول مراحل المشروع ؛ فإن المجلس بلجائه سيقضى فترة في الحصر والدراسة ، والاختيار والتوزيع .

وفي مراحل التنفيذ العملي يكفي البدء بكتاب واحد في كل فرع من الفروع ، وبالتدرج تزايد القوى المرصودة لتحقيق المشروع .

إن تكوين المجلس الأعلى للفنون والآداب ، وتخصيص وزارة للثقافة والإرشاد ، يذكرنا بواجب الأزهر في هذا السبيل . وعلى رأس الأزهر اليوم شيخ له دراساته وتأليفه ، ووكيل له دراساته وتأليفه ، وجماعة من كبار العلماء الذين اشتغلوا بالتدريس والتأليف ، وأساتذة جمعوا إلى ثقافتهم الأزهرية أرقى المراتب العلمية من الجامعات الغربية . فهل يقرب هذا كله تحقيق أملنا المتواضع ؟ ؟

• • •

وثاني الآمال القريبة ، التي نطمحها على أزهرنا العتيق ، أن يقوم - تحقيقاً للجانب الثقافي من رسالته العلمية - بإصدار مجلة ( أكاديمية ) ضخمة ، تصدر كل ثلاثة شهور مثلاً . بجانب المجلة الحالية التي تصدر للقراء عموماً من الجمهور .

إن هيثم الاستشراق الغربية لها مجلاتها ومطبوعاتها . . . والمجمع العلمي في دمشق ، وزميله في بغداد لهما مطبوعتهما الدورية وغير الدورية ذات الطابع العلمي العميق . وليس في مصر أولى من الأزهر بإصدار مثل هذه المجلة ( الأكاديمية ) التي تختص في الدراسات الإسلامية ، والتي تفسح في صفحاتها مجالاً لأساتذة التاريخ الإسلامى والفلسفة الإسلامية والأدب العربى في الجامعات ، ولغيرهم من المتخصصين في أمثال هذه الدراسات ، ثم ترسل العلماء الشرقيين والمشرقيين ، لتستكتبهم أبحاثاً في مختلف الموضوعات . ومثل هذه المجلة تكون رابطة بين هؤلاء العلماء والباحثين ، وتكون نوراً تكشف عن أم المخطوطات والمطبوعات المتناثرة بين مكتبات العالم والتي تتناول جوانب الثقافة الإسلامية المتعددة المتنوعة . فهل هذا مطلب بعيد ؟؟

لا أظنه كذلك . . . فإن تزويد مجلة كل ثلاثة شهور بالمواد اللازمة ليس بما يعز على الأزهر والأزهريين وغيرهم من العلماء المتخصصين ، وأما تكاليف الورق والطباعة ، فما أزهدها إذا قيس بالنفع المتحقق من وراء هذا الأمل القريب .

\* \* \*

ونحن نؤمل في قسم ( نشر التراث القديم ) بإدارة الثقافة ، الذى كان تابعاً لوزارة التربية وأظنه الآن لوزارة الثقافة والإرشاد في تصميمها الجديد - نؤمل في هذا القسم القائم ، أو في زميله بالأزهر إذا أنشئ ، أو في مجلس الفنون والآداب ، أو في الجامعة العربية . . . نؤمل في أحد هؤلاء ، أو في هؤلاء معاً متعاونين - أن يخرجوا لنا الموسوعة الآمنة في تاريخنا الإسلامى ، التى ما فتئ المحققون يلحون في الاهتمام بها والارتكاز عليها ، ونعنى ( تاريخ الأمم والملوك ) لابن جرير الطبرى .

هذا الكتاب يحتاج إلى جهود من نوع جديد ، غير الجهود التى بذلت في طبعة ليدن تحت إشراف المستشرق الهولندى دى غويه . . . الجهود المربة لا يهملها ولا يهضمها غير العرب والمسلمين ، فهم الذين يعرفون مهمة الرواية والإسناد فى نقل تراثنا من السلف إلى الخلف ، ويعرفون قيمة التمديل والتجريح ، ويستطيعون أن يلحقوا بتحقيق كتاب الطبرى بتعريف بالرجال الذين نقلت خلالهم الروايات ، ثم يوازنون بين الروايات المختلفة فى الكتب التاريخية الأخرى الأصلية - مثل ابن عبد الحكم فى فتح مصر ، أو ابن عذارى فى فتح المغرب - فى إشارات مجملة ، وهكذا .

هذا الجهد أساس وهام بالنسبة للتاريخ الإسلامى بل بالنسبة للثقافة الإسلامية عموماً ... وهو إذا بذل في كتاب كتاريخ الطبرى فإنما سيكون نموذجاً ودليلاً ، للسير على هديه في تحقيق ونشر سائر المخطوطات العربية ... وأما تجربة نشر ( تاريخ ابن عساكر ) الذى تولاه المجمع العلمى في دمشق ، يمكن أن نستلهم منها الحفلة . ومن أهم ما ظهر لنا من دروس في هذه التجربة ، أن مثل هذه التواريخ الموسوعية الضخمة ينوء بأعباء نشرها عالم واحد مهما كان عليه وقضه . فتاريخ ابن عساكر لم يظهر منه إلا مجلدتان خلال سنوات ، والكتاب كله في ثمانين مجلدة ... فهل يتسع عمر فرد لظهور هذه المجلدات الضخمة ؟؟

إن من الواجب أن تتعاون لجنة من العلماء في هذا المعيار فهذا أعون على إحكام الحفلة وتبادل الرؤى وتوزيع العمل ، وإذا كثر العدد استطاع العلماء أن يتجاوزوا التحقيق البحث فيضيفوا إلى ذلك شيئاً من التعليق اللازم ، فقد رأيت في ( تاريخ ابن عساكر ) أن التعليق - وفقاً للحفلة التى وضعها مجمع دمشق - تحصره حدود ضيقة ، في حين أن بعض الكتب - خاصة الكتب الأمهات - تحتاج إلى التوسع في التعليقات ، فإن طالت التعليقات ألحقت بالكتاب في صورة ذيل وملاحق .

إن هذه الجواهر النفائس من تاريخنا ، بيننا وبينها زمان طويل ، ولكي تفهمها حق الفهم لابد من أن يراعى في نشرها أن تسلط عليها الأضواء ، وأن تنشر في صحبة طاقة من الدراسات والشروح والتوضيحات تعين على فهم المقصود . وإن لمصر دورها التاريخى بالنسبة لتاريخ الإسلام ... وينبغى أن تصون مصر الحاضرة بالعلم ، ما حقته مصر الماضية بالعرق والدم . فدور مصر في صد الصليبيين والتأرد دور حاسم ، ولكن معظم المؤلفات التى تدور حول هذا الدور من أقلام الأوربيين . ونحن نحتاج إلى تحقيق ونشر ما لدينا من ثراث تلك الحقبة ، ومحتاج كذلك إلى إصدار الدراسات العميقة الجادة من المتخصصين في هذه الموضوعات .

• • •

بقى في الصدر أمل آخر ، نشد تحقيقه في انعام الجديد ... إن القرآن والسنة ، والمأزى والمتوح ، تحتاج إلى عرض جغرافى يتسلم البيئة التى أشارت بها النصوص ، ويوضح طبيعتها ويكشف عن سكانها . والدراسات الغربية حافلة بالكتابات المستفيضة عن جغرافية الكتاب المقدس وبخاصة

التوراة وهذه الدراسات تقدم شرحاً للجغرافية فلسطين الطبيعية ، ولجغرافيتها التاريخية والجنسية والاجتماعية ، حتى يطالع القارئ الكتاب المقدس وهو مغمور بالنور . فلا يكاد يمر بذكر مكان من الأرض أو قوم من البشر حتى يعرف ما يستبين به ما ذكر في كتابه المقدس .

فعل الغربيون هذا وهم في بيئة غير البيئة التي نزل فيها الكتاب ، وهم يعيشون في حضارة مادية ما أبعدها في الكثير عن روح الدين . ولعل مما أثر في هذا المضمار العروق اليهودية في العقل الأوروبي والأمريكي ، فانها دفعت إلى الاهتمام بهذا التراث ( السامى ) بين الآريين ، وهذا الأصل ( الدينى ) بين الماديين ١١

ونحن في الشرق العربي نعيش في بيئة النبي والصحابة ، وفي أيدينا الكثير من مواقع الأرض وسلالة القوم الذين كانوا أعلام التاريخ ، فأين جهودنا العلية الأصلية في شرح ما جاء في آيات القرآن عن البيئة العربية ، وعن رحلة الشتاء والصيف ، وعن رحلة ذي القرنين ، وقصة أهل الكهف ، وعن رحلة الرسول في هجرته ومواقع مغازيه ، وعن قبائل العرب وهجراتها ومسالكها وعلاقاتها في أرجاء العالم العربي منذ زمن الفتح بل منذ ما قبل الفتح .

إن بين يدي القارئ العربي نموذجاً لمثل هذه الدراسة عن ( شمال الحجاز ) قد كتبه المستشرق موسل وترجمه الدكتور عبد المحسن الحسنى ( اسكندرية ١٩٥٢ م ) ، والمؤلف وإن كان تناول مراجعه بصفة عامة بما فيها المراجع الإسلامية إلا أن اهتمامه بالتوراة أظهر وأبرز ومعلوماته عنها أدق وأوضح ، وقد طالعت مع المطالعين كتاب الأستاذ مظفر الندوى عن ( التاريخ الجغرافى للقرآن ) الذى ترجمه الدكتور عبد الشافى غنيم ضمن مطبوعات ( الألف كتاب ) والذى أنير حوله ما أثير ، والكتاب هو ما لا يعد إلا بداية يسيرة . ولن يستطيع التعريف ( بالجغرافيا الإسلامية ) على وجهها إلا من يهضم العربية ، ويحسن الرجوع إلى شعر العرب فيما تحدثوا به عن الديار والاطلال جاهلية وإسلاماً . أنا أعلم أن الدكتور عبد العزيز كامل مدرس الجغرافيا بمعهد الدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة ، لديه مشروع كتاب أعد مسوداته في هذا الموضوع ، وأعرف عن الدكتور دأبه العلى ومثابرته على التحقيق ، ولعله بكتابته يشجع غيره على ارتياد هذا السبيل .

هذه آمالى ... لم أسرف فيها ولم أعتز ، فاللهم حقق الآمال ٩

فتحى عثمان



# حق الجوار

## في تقدير الشريعة الإسلامية

لقد وضع الإسلام نظاماً للاجتماع يحصل من الأمة الإسلامية جماء أسرة واحدة مترابطة الآحاد ، ترابطاً لا تنقسم له حرة ، ولا تنحل له لمة . فشرح شرعة التصاون في الحياة لتذليل عقباتها ، وقطع مفارقاتها ، وجعل ذلك أساساً لمدينته العاصلة فقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » . ثم لم يدع فضيلة من الفضائل التي تحقق معنى هذا التعاون إلا دعا إليها وحث عليها ، ولا مشاحة في أن مراعاة حقوق الجوار من أمهات تلك الفضائل ، بل لو تحققت هي وحدها لجعلت الأمة كالبناة المرصوص يشد بعضه بعضاً ، لا يحسد التداعي سيلاً إليه بحال من الأحوال - لذلك جاء في وجوب مراعاة هذه الحقوق من الأوامر ما يتفق وعظم خطره . فأول حجر وضعه النبي صلى الله عليه وسلم في بناء صرح حقوق الجوار قوله بين رهن من صحابته في مسجد يثرب « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن » . قال قائل منهم : من هو يا رسول الله ؟ قال الذي لا يأمن جاره بوائقه ، رواه مسلم في صحيحه . والمراد أنه لا يتم له إيمان ولا تنمو له عقيدة حتى يتحقق هذا الشرط ، وهو الحفاظ على مبدأ الجوار وميزاته وشرائطه ، فإن الإيمان غاية كل متدين وعليه يتوقف استحقاقه للكرامة في الدنيا والآخرة . فإذا كان اكتمال هذا الإيمان يتوقف على أن يأمن جاره المؤمن أذاه ، فإنه لا شك منه صرف بكليته للقيام بهذا الشرط ضناً بنفسه وطلباً لنجاتها .

والجيران ثلاثة : جاره له حق واحد ، وجاره له حقان ، وجاره له ثلاثة حقوق . فالجار الذي له ثلاثة حقوق : الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم . والذي له حقان : الجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام . والذي له حق واحد : الجار المشرك . . حتماً إن هذا سمو في الآداب الاجتماعية ليس وراه مذهب ، فإن ثبوت حقوق الجوار حتى للمشركين لم يقل بها قبل الإسلام مصلح في الأرض . ويفهم من هذا أن الإسلام

لأنما يراعى في الآداب الاجتماعية ما يشمل الإنسانية كلها ، وهذا غاية ما يرمى إليه أعلى نمط من أنماط الإنسانية الفاضلة . فالإنسان لا يخلو وهو يعيش في الحواضر أو البوادي أن يكون له جيران من ذوى نحل مختلفة يبادلهم التعامل ، فهل أبيحت للسلم معاملتهم أو حرمت عليه معاملتهم ؟ كلا كلا ، بل أوجب عليهم الإسلام أن يسوى بينهم وبين إخوانه المسلمين فيها ، وقد حدث النبي على مبادلة أهل الكتاب الزيارة وحضور أعراسهم ومآتمهم ومؤاكلتهم حتى الإصهار إليهم . وقد وجد أصحاب الأديان الأخرى من مجاورة المسلمين ما تلقاه القلة من العطف وحسن المعاملة في وسط كثرة قائمة على أحكام أصول المدنية ، وأقدم سبل الإنسانية .

قال مجاهد : كنت ذات يوم عند عبد الله بن عمر وله غلام يسلم شاة فقال : يا غلام ، إذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودي ، حتى قال ذلك مراراً . فقال الغلام : كم تقول هذا ؟ فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجوار حتى خشينا أن يورثه . فأنظر كيف اعتبر ابن عمر اليهودي جاراً ولم يفرق بينه وبين إخوانه في الدين ، بل أنظر كيف أمر خادمه أن يبدأ به قبلهم . لاشك في أنه فعل ذلك حتى لا يسبق إلى ذم خادمه أن ليس له شيء من حقوق الجوار ليهوديته ، فأمره أن يبدأ به ثم ذكر للخادم ما ورد عن النبي من التشديد في وجوب مراعاة هذه الآداب الاجتماعية .

وفي السنن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتدرون ما حق الجار ؟ إن استعان بك أعتته ، وإن استنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر عدت إليه ، وإن مرض عديته ، وإن مات تبعته جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابه مصيبة عزيته ، ولا تستغل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذه ، وإذا اشتريت فاكهة فأهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تعرف له منها ، ثم قال أتدرون ما حق الجار ؟ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله » .

إن هذا الأثر جامع في حقوق الجوار لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فلمل من الناس من يخيل إليه قياساً على حالة أهل المدنية اليوم أن هذه الحقوق لا تتفق والحياة الاجتماعية الراهنة ، وهو وهم باطل ، فإن هذه الحقوق طبيعية يؤدي إليها العقل لو ترك وشأنه ، وتقضى بها الإنسانية لو تجردت من شبح الحيوانية وأثرة البهيمة .

وكما بين الإسلام ما يجب للجار من الإحسان والعطف على جاره على أتم وجه كما رأيت ،  
 حرم إيذاء الجيران أشد تحريم وأبلغه ، حتى جعل هذا الإيذاء مبطلا للأعمال الصالحة .  
 فقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها  
 فقال عليه السلام : هي في النار . ومن أبلغ ما يؤثر من الزجر عن إيذاء الجار قول النبي  
 صلى الله عليه وسلم : إن أنت رميت كلب جارك فقد آذيت ، فأخذ المسلمون بهذا الأدب  
 وجروا على سنته ، فكانوا يتخرجون حتى من مقابلة أذى جيرانهم بمثله .

روى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له : إن لي جارا يؤذيني ويشتمني  
 ويضيق علي . فقال له : اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه . ولم يشر عليه بالانتصاف  
 لنفسه ، فإن التغاضي عن أذى الجار ربما أدها للنسب والاعتذار مصداقا لقوله تعالى :  
 « ادفع بالتي هي أحسن ؛ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » . ولكن لو قابل  
 جاره بالمثل كان ذلك صدعا في بناء المجتمع لا يلبث أن يتوسع بانضمام بعض الجيران إلى  
 أحدهما والبعض الآخر إلى الثاني ، لحما لمادة هذا التصدع رأى ابن مسعود أن يحصر الشر  
 في أصغر دائرة فيمنع المجني عليه بالصبر ، وقد اقتدى المسلمون فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم  
 فقد روى أنه جاءه رجل يشكو جاره فقال له النبي : اصبر ، لجاءه ثانية وثالثة فكان يأمره  
 بالصبر ، فلما جاءه الرابعة قال له : أخرج متاعك في الطريق . ففعل الرجل ما أمره به ،  
 فجعل الناس يمرون به ويسألونه عما نابه ، فيقال لهم : له جار يؤذيه ، فكانوا يقولون :  
 لعنة الله ! فأثر ذلك في قلب جاره المشاكس فأتى صاحبه وقال له : رد متاعك فوالله لا أعود

وفي تاريخ المسلمين أغرب الحوادث وأدهاها للاعتبار في مراعاة حقوق الجوار ، فقد  
 روى أنه بلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره في دين ركه ، وكان يجلس هو في ظل داره  
 فقال : ما كنت إذن بحرمة ظل داره إن باعها معصما ، ودفع إليه ابن المقفع ثمن الدار  
 قائلا له : لا تبعها .

روى العلامة السيد عبد المغني الضرير الأندلسي المشهور صاحب كتاب « زهر الآداب »  
 هذه القصة الطريفة فقال : كان للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان جار ملاصق وكان الإمام يقوم  
 هربا من الليل للتهجد والإسحار فيسمع جاره يقول :

أصاعوني وأى قى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر

استمر هذا الرجل ينشد هذا البيت من الشعر ويسمعه الإمام بضع ليال ثم اختفى هذا الصوت فجأة ، فلما أصبح الصباح سأل الإمام عن هذا الرجل الذي كان ينشد هذا البيت ، فقيل له إن هذا الرجل كان مديناً لأحد الناس فشكاه الدائر للوالي ، فأمر الوالي بحبسه حتى يقضى دينه ، وما أسرع أن امتطى الإمام بغلته ثم ذهب إلى الوالي فبعد أن حياه الوالي وأكرم مثواه سأل الإمام ما حاجتك؟ فقال أبو حنيفة لنا جمل ملاصق كنت أسمعه ينشد هذا البيت :

أضاعوني وأى قى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر  
واليوم أفقده فلا أجده ، فقيل لى إنكم حبستموه لدين عليه ، فضحك الوالى حتى بدت نواجذه فقال : يا مولاي الإمام سأرسل إلى داتته ليسأله في دينه ، وكان عشرين ديناراً ، فلم يقبل الإمام هذا العرض فدفع من خالص ماله دين الدائن ، وما أسرع أن أحضر إليه المدين من السجن وأخذه معه ، ثم أردفه على بغلته وهو يردد والله يا قى ما أضعناك ، ولن نضيعك إن شاء الله .

هذا بعض ما يقان في حقوق الجوار في الإسلام وحرمة ، فلعل القارئ يلتقي عليه نظرة فاحصة ثم يقارن بين ذلك العهد الدابر وعهده الحاضر ليتبين الفرق الشاسع بين عهدين عهد كانت أواصر الجوار فيه قائمة ، وعهد انزوت فيه حرمة الجار ، بل برزت فيه مساوئه ومعايبه ، ولعل مواد المعاصرين في عهدنا الحاضر يساكن منهم أسر أسراً أخرى في مبنى واحد ، فلا يحدث بينهم تعارف ولا تواجد ، وتقطع علاقتهم الجوار انقطاعاً لا هوادة فيه ، وذلك بحاف لروح الشريعة الغراء ، ومناف لأبسط قواعد الخيرية البيضاء :

إن دام هذا ولم تحدث له غير لم يك ميت ولم يفرح بمولود

عباس طه المحامى

## « مسئولية الإنسان »

جلوز بطرفك عالم الإنسان ، ثم ارجع البصر كرتين مصعداً منحدرًا ، فباشت من العوالم التى تشاهدما في السماء والأرض ، وانظر هل ترى من بينها مسئولاً واحداً عن حاله فصلاً عن حال غيره ؟ أما الإنسان ذو العقل والإرادة والاقتدار ، فهو الذى رفخته فطرته لهذه الأعباء فأصبح ذا مسئولية ، وموضع أمانة .

الدكتور محمد عبد الله دراز

## أبو هريرة

حافظ الصحابة ، وأكثرهم رواية عن رسول الله

في صباح يوم السبت الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٧ انتقل إلى رحمة الله العلامة الكبير الشيخ أحمد شاكر أعلم علماء السنة المحمدية بمصر في هذا العصر ، وأوسمهم إحاطة بأطرافها ، وتحقيقاً لمتونها ، ووقوفاً على دغائل رجلها وتراجم روايتها ، حتى كأنه كان يعيش معهم . وقد رأينا أن ننشر من عليه الفزير هذا الفصل عن حافظ الصحابة أبي هريرة رضى الله عنه ، لمناسبة ما وقع أخيراً من التشويه النميم لمجهود هذا الصحابي الجليل ، والتشكيك في مروياته . قال رحمه الله يتحدث عن أعداء السنة بحديثه العذب بعد أن صار في العالم الآخر :

لج أعداء السنة ، أعداء الإسلام ، في عصرنا ، مشغفوا بالظن في أبي هريرة وتشكيك الناس في صدقه وفي روايته . وما إلى ذلك أرادوا ، وإنما أرادوا أن يصلوا - دعوا - إلى تشكيك الناس في الإسلام ، بما اسادتهم للبشرين ، وإن تظاهروا بالقصد إلى الاختصار على الأخذ بالقرآن ، أو الأخذ بما صح من الحديث في رأيهم . وما صح من الحديث في رأيهم إلا ما وافق أهواءهم ، وما يتبعون من شعار أوربة وشرائعها . ولن يتورع أحدهم عن تأويل القرآن ، إلى ما يخرج الكلام عن معنى اللفظ في اللغة التي نزل بها القرآن ، ليوافق تأويلهم هوام وما إليه يقصدون ١

وما كانوا بأول من حارب الإسلام في هذا الباب ، ولم في ذلك سلف من أهل الأهواء قديماً . والإسلام يسير في طريقه قدماً ، وهم يصيحون ما شاءوا ، لا يكاد الإسلام يسممهم ، بل هو إما يتخطاهم لا يشعر بهم ، وإما يدمرهم تدميراً ،

ومن عجب أن تجد ما يقول هؤلاء المعاصرون ، يكاد يرجع في أصوله ومعناه إلى ما قاله أولئك الأقدمون ! بفرق واحد فقط . أن أولئك الأقدمين - زائغين كانوا أم ملحدين - كانوا علماء مطيعين ، أكثرهم عن أصله الله على علم .

أما هؤلاء المعاصرون ، فليس إلا الجهل والجرأة ، وامتضاض الأعاظ لا يحسنونها ، يقدون في الكفر ، ثم يتعالون على كل من حاول وضعهم على الطريق القويم !

ولقد رأيت الحاكم أبا عبد الله - المتوفى سنة ٤٠٥ - حكى في كتابه المستدرك (٥١٣:٣) كلام شيخ شيوخه إمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة - المتوفى سنة ٣١١ - في الرد على من تكلم في أبي هريرة فكأنما هو يرد على أهل عصرنا هؤلاء . وهذا نص كلامه :  
« وإنما يتكلم في أبي هريرة - لدفع أخباره - من قد أعى الله قلوبهم ، فلا يفهمون معاني الأخبار :

إما معطل جهمي ، يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم - الذي هو كفر - فيشتمون أبا هريرة ، ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه ، تمويهاً على الرءاء والسعل ، أن أخباره لا تثبت بها الحجة !

وإما خارجي ، يرى السيف على أمة محمد ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام ، إذا سمع أخبار أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف مذهبهم الذي هو ضلال لم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة وبرهان ، كان مفرغه الوقعة في أبي هريرة !

أو قدرى اعتزل الإسلام وأهله ، وكمر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية التي قدرها الله تعالى وفوضها قبل كسب العباد لها ، إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة التي قد رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات القدر ، لم يجد حجة تزيد حجة مقائلته التي هي كفر وشرك كانت حجته عند نفسه أن أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها !

أو جاهل يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه ، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من اجتنب مذهب واختاره ، تقليداً بلا حجة ولا برهان ، تكلم في أبي هريرة ، ودفع أخباره التي تخالف مذهب ، ويحتج بأخباره على مخالفه ، إذ كانت أخباره موافقة لمذهبه ! وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبي هريرة أخباراً لم يفهموا معناها ، أنا ذا كر بعضها بحديثه الله عز وجل ... الخ »

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله تعليقا على حديث الذباب :  
وهذا الحديث مما لعب به بعض معاصرينا ، بمن علم وأخطأ ، ومن علم وعهد إلى عداة  
السنّة ، ومن جهل وتجرأ :

فمنهم من حمل على أبي هريرة ، وطلعن في رواياته وحفظه ، بل منهم من جرؤ على الطعن  
في صدقه فيما يروى ! حتى غلا بعضهم فرعم أن في الصحيحين أحاديث غير صحيحة ، إن لم يزعم  
أنها لا أصل لها ! بما رأوا من شبهات في زعم بعض الأئمة لأسانيد قليلة ميمها ، فلم يفهموا  
أغراض أولئك المتقدمين الذين أرادوا بتقديم أن بعض أسانيدهما خارجة عن الدرجة العليا  
من الصحة التي التزمها الشيخان ، لم يريدوا أنها أحاديث ضعيفة قط ،

ومن الغريب أن هذا الحديث بعينه - حديث الذباب - لم يكن مما استدركه أحد من  
أئمة الحديث على البخاري . بل هو عندهم جميعاً مما جاء على شرطه في أعلى درجات الصحة .

ومن الغريب أيضاً أن هؤلاء الذين حملوا على أبي هريرة - على علم كثير منهم بالسنّة ،  
وسعة اطلاعهم رحمهم الله - غفلوا أو تغافلوا عن أن أبا هريرة رضى الله عنه لم يتفرد  
بروايته ، بل رواه أبو سعيد الخدري أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أحمد في المسند  
( ١١٢٠٧ ، ١١٦٦٦ ) ، والنسائي ( ٢ : ١٩٣ ) ، وابن ماجه ( ٢ : ١٨٥ ) ، والبيهقي  
( ١ : ٢٥٣ ) بأسانيد صحاح . ورواه أنس بن مالك أيضاً ، كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد  
( ٥ : ٣٨ ) وقال : « رواه البرار ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الأوسط » .  
ورواه الحافظ في الفتح ( ١٠ : ٢١٣ ) وقال : « أخرجه البزار ورجاله ثقات » .

فأبو هريرة لم يتفرد برواية هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه  
اتفرد بالحل عليه منهم ، بما غفلوا أنه رواه اثنان غيره من الصحابة .

والحق أنه لم يجهل هذا الحديث لما وقر في نفوسهم من أنه يتنافى المكتشفات الحديثية  
من المسكرومات ونحوها . وعصمهم إيمانهم عن أن يجرؤوا على المقام الأسنى فاستغفروا  
أبا هريرة .

والحق أيضاً أنهم آمنوا بهذه المكتشفات الحديثية أكثر من إيمانهم بالغيب ، ولكنهم  
لا يصرحون ! ثم اختلطوا لأنفسهم خطة عجبية : أن يقدموها على كل شيء ، وأن يؤولوا

القرآن بما يخرج عن معنى الكلام المرئى ، إذا حالف ما يسمونه « الحقائق العلية » ، وأن يردوا من السنة الصحيحة ، ما يظنون أنه يخالف حقائقهم هذه ! افتراء على الله ، وجأ في التجديده !

بل إن منهم لمن يؤمن ببعض خرافات الأوربيين وينكر حقائق الإسلام أو يتأولها . فبهم من يؤمن بخرافات استحضار الأرواح ، وينكر وجود الملائكة والجن بالتأويل العصرى الحديث . ومنهم من يؤمن بأساطير القدماء ، وما ينسب إلى القديسين والقديسات ، ثم ينكر معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، ويتأول ما ورد في الكتاب والسنة من معجزات الأنبياء السابقين ، يخرجونها عن معنى الإعجاز كله ، وهكذا وهكذا . . .

وفي عصرنا هذا صديق لنا . . . كنا نعجب بقلبه وعلمه واطلاعه ، ثم بدت منه هنات وهنات على صفحات الجرائد والمجلات ، في الطعن على السنة ، والإضرار برواتها ، من الصحابة فمن بعدهم . يستمسك بكلمات للتقدمين في أسانيد معينة ، يجمها - كما يصنع المستشرقون - قواعد عامة . يوسع من مداها ، ويخرج بها عن حدها الذي أراده قائلوها . وكانت بيننا في ذلك مساجلات شموعية ، ومكائبات خاصة ، حرمنا منى على دينه وعلى عقيدته . ثم كتب في إحدى المجلات كلمة على طريقته التي ازداد فيها إمعاناً وغلواً ، فسكتبت له كتاباً طويلاً في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ ، كان مما قلت له فيه ، من غير أن أسميه هنا أو أسمي المجلة التي كتب فيها ، قلت له :

« . . . وقد قرأت لك كلمة في مجلة . . . لم تدع فيها ما وقر في قلبك من الطعن في روايات الحديث الصحيحة . ولست أزعج أني أستطيع إقناعك ، أو أرضى إحراجك بالإقلاع عما أنت فيه .

وليتك درست علوم الحديث وطرق روايته دراسة وافية ، غير متأثر بسخافات فلان رحمه الله وأمثاله بمن قلدتم ومن قلدوه ، فأنت تبحث وتنقب على ضوء شيء استقر في قلبك من قبل ، لا باحثاً حراً خالياً من الهوى .

وثق أني لك ناصح محض أمين . لا يهمني ولا يفضيني أن تقول في السنة ما تشاء . فقد قرأت من مثل كلامك أضعاف ما قرأت . ولكنك تضرب الكلام ببعضه ببعض .



وثق أن المستشرقين فعلوا مثل ذلك في السنة ، فقلت مثل قولهم ، وأعجبك رأيهم ،  
إذ صادف منك هوى . ولكنك نسبت أنهم فعلوا مثل ذلك وأكثر منه في القرآن نفسه .  
فما حار القرآن ولا السنة شيء مما فعلوا .

وقبلهم قام المعتزلة وكثير من أهل الرأي والأهواء ، ففعلوا بعض هذا أو كله ،  
فما زادت السنة إلا ثبوتاً كثبوت الجبال ، وأتعب هؤلاء رؤسهم وحدها وأوهوها !

بل لم نرفيعن تقدمنا من أهل العلم من اجترأ على ادعاء أن في الصحيحين أحاديث  
موضوعة ، فضلاً عن الإيهام والتشنيع الذي يطويه كلامك ، فيوم الأغرار أن أكثر  
ما في السنة موضوع ! هذا كلام المستشرقين ...

غاية ما نكلم فيه العلماء أحاديث فيهما بأعيانها ، لا بادعاء وضعها والعياذ بالله ،  
ولا بادعاء ضعفها . إنما تقنوا عليهما أحاديث ظنوا أنها لا تبلغ في الصحة الدروة العليا  
التي التزمها كل منهما . وهذا مما أخطأ فيه كثير من الناس ، ومنهم أستاذنا السيد رشيد رضا  
رحمه الله ، على عليه بالسنة وقصه ، ولم يستطع قط أن يقيم حجة على ما يرى . وأفلتت منه  
كلمات يسوع على عليه أن يقع فيها . ولكنه كان متأثراً أشد الأثر بفلان وفلان وهما  
لا يعرفان في الحديث شيئاً . بل كان هو - بعد ذلك - أعلم منهما وأعلى قدماً وأثبت رأياً ،  
لولا الأثر الباقي في دخيلة نفسه ، والله يغفر لنا وله .

وما أفضت لك في هذا إلا خشية عليك من حساب الله . أما الناس في هذا العصر  
فلا حساب لهم ، ولا يقدمون في ذلك ولا يؤخرون . فإن الترية الإفرنجية الملعونة جعلتهم  
لا يرضون القرآن إلا على مفضل ، فمنهم من يصرح ، ومنهم من يتأول القرآن أو السنة ،  
ليرضى عقله المتلوى ، لا ليحفظهما من طعن الطاعنين . فهم على الحقيقة لا يؤمنون .  
ويخشون أن يصرحوا فيثرون ، وهكذا حتى يأتي الله بأمره ... فاحذر لنفسك من حساب الله  
يوم القيامة ، وقد نصحتك وما ألوت . والحمد لله .

وأما الجاهلون الأجرياء فهم أكثر في هذا العصر . ومن أعجب ما رأيت من سخافتهم  
وجراتهم أن يكتب طبيب في إحدى المجلات الطبية فلا يرى إلا أن هذا الحديث لم يسجبه ،  
وأنه ينافي عليه ، وأنه رواه مؤلف اسمه البخاري ، فلا يجد مجالاً إلا الطعن في هذا البخاري ،

ورميه بالاقتراء والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو لا يعرف عن البحارى هذا شيئاً ، بل لا أظنه يعرف اسمه ولا عصره ولا كتابه إلا أنه روى شيئاً يراه هو - بعينه الواسع - غير صحيح ! فافترى عليه ما شاء ، مما سيحاسب عليه بين يدي الله حساباً صبيراً .

ولم يكن هؤلاء المعترضون المجترئون أول من تكلم في هذا ، بل سبغهم من أمثالهم الأقدمون ، ولكن أولئك كانوا أكثر أدباً من هؤلاء . فقد قال الخطابي في معالم السنن ( رقم ٣٦٩٥ من تهذيب السنن ) : « وقد تكلم في هذا الحديث بعض من لا خلاق له وقال : كيف يكون هذا ؟ وكيف يجتمع الداء والشفاء في جناحي الذبابة ؟ وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الداء وتؤخر جناح الشفاء وما أربها في ذلك ؟ قلت - القائل الخطابي - : وهذا سؤال جاهل أو متجاهل ، وإن الذي يجد نفسه ونفوس عامة الحيوان قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، وهي أشياء متضادة إذا تلاقت تفسدت ، ثم يرى أن الله سبحانه قد ألف بينها وفهرها على الاجتماع ، وجعل منها قوى الحيوان التي بها بقاؤها وصلاحتها ، لجدير أن لا يشكر اجتماع الداء والشفاء في جزئين من حيوان واحد ، وأن الذي ألم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة وأن تعمل فيه ، وألم الذرة ( أى النملة ) أن تكتسب قوتها وتدخره لأوان حاجتها إليه ، هو الذي خلق الذبابة وجعل لها الهداية إلى أن تقيم جناحها وتؤخر جناحها ، لما أراد الله من الابتلاء الذي هو مدرجة التعبد ، والامتحان الذي هو مضمار التكليف وفي كل شيء عبرة وحكمة ، وما يذكر إلا أولو الألباب . »

وأما المعنى الطبي ، فقال ابن القيم - في شأن الطب القديم - في زاد المعاد ( ٣ : ٢١٠ - ٢١١ ) « وادلم أن في الدباب قوة سمية ، يدل عليها الورم والحكة العارضة من لسعه ، وهي بمنزلة السلاح ، فإذا سقط فيها يؤذيه انتماء بسلاحه . فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله في جناحه الآخر من الشفاء فيغسل كله فيقابل المادة السمية بالمادة النافعة فيزول ضررها . وهذا طب لا يمتدى إليه كبار الأطباء وأئمتهم ، بل هو خارج من مشكاة النبوة . ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج ويترلمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق ، وأنه مؤيد بوحى إلهي خارج عن القوى البشرية . »

قال الشيخ أحمد شاكر : وأقول - في شأن الطب الحديث - إن الناس كانوا ولا يزالون تقدر أنفسهم الذباب وتتفر مما وقع فيه من طعام أو شراب . ولا يكادون يرضون قربانه . وفي هذا من الإسراف - إذا غلا الناس فيه - سوء كثير . ولا يزال الذباب يلح على الناس في طعامهم وشرابهم ، وفي نومهم ويقظتهم ، وفي شأنهم كله . وقد كشف الأطباء والباحثون عن المكروبات العنصرة والناصة ، وغلوا غلوا شديداً في بيان ما يحمل الذباب من مكروبات ضارة ، حتى لقد كانوا يفسدون على الناس حياتهم لو أطاعوهم طاعة حرفية تامة . وإنما نرى بالعيان أن أكثر الناس تأكل مما سقط عليه الذباب وتشرب ، فلا يصيبهم شيء إلا في القليل النادر .

ومن كابر في هذا فإتباعا يخدع الناس ويخدع نفسه . وإنما نرى أيضا أن صرر الذباب شديد حين يقع الوباء العام ، لا يمارى في ذلك أحد . فهناك إذن حالان ظاهران بينهما فروق كبيرة : أما حال الوباء فما لاشك فيه أن الاحتياط فيها يدعو إلى التحرز من الذباب وأضرابه مما ينقل المكروب أشد التحرز . وأما إذا عدم الوباء ، وكانت الحياة تجري على سنتها فلامعنى لهذا التحرز . والمشاهدة تنفي ما غلا فيه الغلاة من إفساد كل طعام أو شراب وقع عليه الذباب . ومن كابر في هذا فإتباعا يجادل بالقول لا بالعمل ، ويطبع داعي الترف والتألق ، وما أظنه يطبق ما يدعو إليه تطبيقاً دقيقاً ، وكثير منهم يقولون ما لا يفعلون .

أحمد محمد شاكر

## أمريكا في لبنان

قالت مجله ( نيوستيديمان ) الانجليزية : يستطيع أيزنهاور أن يرم أن لديه من الحجج القانونية ما يبرر استجابه لنداء شعوب ، ولكن هذا ليس في الواقع إلا نفاقا لا ينبغي أن جريئة قد ارتكبت . ولهذا فإنه يتعذر على الإنسان أن يعرف سياحية ما يبرر تدخل أمريكا في لبنان وخاصة بعد أن طلبت أمريكا من الأمم المتحدة أن تحقق في الأزمة اللبنانية ، وبعد أن أكدت الأمم المتحدة أن هذه الأزمة داخلية بحتة ، وبعد أن ترك تقرير الأمم المتحدة أثرا طيبيا في بيروت ، إذ كان الثوار قد بدءوا يبحثون مع رجال الحكومة عن حل وسط لإنهاء هذه الأزمة ، ولكن أيزنهاور لم يعبأ بذلك لأن الذعر استولى عليه بمجرد أن علم بشورة بغداد ، فزق تقرير الأمم المتحدة ، ولم يكثرث لرأى هرشلد في المسألة ، وضرب ضربته التي جددت أزمة لبنان بعد أن كانت في نزحها الأخير .

# لغويات

## ساهم في عمل البر

كثرت هذه الصيغة صيغة المساهمة وما تصرف منها في معنى المشاركة ، وقد أنكرها الناس أن تكون موافقة لما جاء في اللغة ، وجعلوها صيغة الإسهام ؛ فيقولون : أسهم فلان في هذا الأمر . وأسهم في الأمل : أعطى سهما أى نصيباً ، تقول : أسهمت لمحمد من مالى ، وفي الأم للشافعى - رضى الله عنه ٧ / ٣١١ : وقال الأوزاعى : أسهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للنساء بخير ، والمراد : أعطاهن من السهمان . ومن اشترك في عمل يحتاج إلى مال فقد بذل سهما من ماله في قيام العمل ، ثم توسع فيه فأريد المشاركة في الأمر وإن لم يكن هناك بذل مال . وإذا قال القائل : أسهم في شركة الحديد والصلب المصرية فالمراد أنه دفع من ماله نصيباً أو أكثر لقيام الشركة ، وإن كان المعروف أن يقال : أخذ سهما ، إذ يراد بالسهم الصك والوثيقة بما دفع من مال .

وقد رأيت في عبارة الشافعى - رضى الله عنه - أسهم له بالتعدية باللام . وترى في المقامة الحسين ( البصرية ) من مقامات الحريري في الحديث عن أبى زيد السروجى : حينئذ انكفأ إلى بيته ، وأسهمنى في قرصه وزيت ، أى أعطانى جزءاً أو نصيباً في ذلك ، وظاهر أن هذه التعدية جاءت من قبل تضمين الإسهام معنى الإعطاء أو الإشارك .

وإنكار النجوم المساهمة وإثبات الإسهام لأن المساهمة : المقارنة ، أى الأحذ في عمل القرعة عند التنازع على حق من الحقوق ، وأصل ذلك أنهم يفترون بالسهم أى العيذان المبرية والنصال التى لم تنبأ لأن تكون سلاحاً . ويقولون : ساهمت فهمت أى قارعت فكانت القرعة لى وغلبته ، وساهمه فلم يطهر فى المساهمة ، ومنه ما جاء فى الكتاب العزيز فى سورة الصافات فى الحديث عن يونس عليه الصلاة والسلام : « فساهم فكان من المدحضين » وكان ذلك لما ركب - عليه الصلاة والسلام - السفينة فركبت وتحبست ، وقد قيل : إن من عادة

القوم حين ذاك إذا حدث مثل هذا أن يتسام من في السفينة بإلقاء سهامهم في الماء فن طفا سهمه ألقى في الماء ومن ركب سهمه نجاً ، وكان حظ سهم يونس أن طفا .

على أن المقارنة قد يعقبها المشاركة ، أو هي بسبيل من المشاركة والتنازع فيها ، وهذا المعنى يسوغ استعمال المساهمة في المشاركة وتصحيح ما جرى في هذا الباب .

وللباحث أن يحتاج في هذا بما جاء في التلخيص للبكري المطبوع مع السط ١ / ٦٦ :  
« اختلاف الناس في الذي قال : يديروني عن سالم وأديرهم . فقال قوم : أبو الأسود الدؤلي ، بقوله في غلام له اسمه سالم :

يديروني عن سالم وأديرهم	وجلدة بين العين والأقف سالم
ولو بان من كني ليت مهدا	ونهبان عما بي من الشجر نائم
أبا ثابت ساهمت في الخزم أهله	فرايك محمود وعهدك دائم

ونهبان بن عدي جلا لابي الأسود ، كان يديره على بيع سالم ، ويروم ذلك منه ، وأبو الأسود يأباه . ثم مات سالم فقال أبو الأسود هذا الشعر . وظاهر فيه أن قوله : ساهمت في الخزم أهله : شاركت في الخزم أهله ، وهو الاستعمال المشهور نفسه ، وفي معجم الشعراء للرباعي ٣٦٦ لمالك بن أعين الجعفي في رثاء الإمام جعفر الصادق المتوفى في سنة ٥٤٨ هـ .

فيا ليتني ثم يا ليتني	شهدت وإن كنت لم أشهد
فأسيت في بشه جعفراً	وساهمت في لطف العود
ومن قبل نفسك قلت الغداء	وكف المنية بالمرصد
عشية يدفن فيه الندى	وغرة زهر بني أحمد

فقوله : ساهمت في لطف العود ، أي شاركت :

مصر تقع شمال السودان . واليمن تقع جنوب الحجاز

يجري هذا الاستعمال بين الناس . وأرى أن الصواب أن يقال : مصر تقع

شمالى السودان ، واليمن تقع جنوبى الحجاز . وهكذا أرى أن الصواب أن يقال :  
لينة «<sup>١</sup>» غربى مصر ، وتقع تونس شرقى لينة ، ولا يقال فى ذلك غرب وشرق .

وذلك أن الشمال والجنوب من الرياح لا من الجهات ، فإذا أريد المكان قيل شمالى أى  
المكان الذى تهب فيه الشمال ، وجنوبى أى المكان الذى تهب فيه الجنوب ، والجنوب هو  
الريح القبلية ، والشمال : التى تقابل الجنوب . والشرق : حيث تشرق الشمس ، والغرب :  
حيث تغرب ، فترى أنهما ينسبان إلى الشمس ولا ينسبان إلى شيء خاص ، فإذا أريد المكان  
الذى ينسب إلى شيء خاص قيل شرق وغرب . ويقول سيويه فى الكتاب ١ / ٢٠١ فى ٥٥  
ظروف المكان : ومن ذلك أيضا : هو ناحية من الدار ، وهو ناحية الدار ، وهو ناحيتك ،  
وهو نحوك ، وهو مكانا صالحا ، وداره ذات اليمن وشرقى كذا : قال الشاعر - هو جرير - :

هبت جنوبا فذكرى ما ذكرتك عند الصفاة التى شرقى حوران

انتهى كلام سيويه . وحوران : إقليم من أعمال دمشق ، والصفاة : الحجرة العريضة  
الملاء . نعم يقال : مصر تقع جهة الجنوب من السودان أى الجهة التى تهب فيها الجنوب .  
وجاء فى كلام البيرونى - على ما نقله ياقوت فى معجم البلدان فى لوية - : « كان اليونانيون  
يقسمون المعمورة بأقسام ثلاثة تصير أرض مصر مجتمعا لها . فما مال عنها وعن بحر الروم  
نحو الجنوب قاسمه لوية ، ويحدها بحر أوقيانوس المحيط الأخضر من جانب المغرب وبحر  
مصر من جهة الشمال وبحر الحبش من جهة الجنوب وحليج القلزم وهو بحر سوف أى البردى  
من جهة المشرق ، وهذا كله يسمى لوية » .

وجاء فى القاموس فى مادة ( نوب ) فى الكلام على التوبة : « وبالمضم : بلاد واسعة  
للسودان بجنوب الصعيد » . فترى أنه جاء على الاستعمال المشهور . وعبارة ياقوت فى معجم  
البلدان : « التوبة بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر » فهذا جاء على الجادة .

وجاء فى اللسان ( نصب ) هذا البيت فى وصف الناقة :

كأن راكبها يهوى بمنحرق من الجنوب إذا ماركبها نصبوا

[١] هكذا اشترى الرسم فى مصرنا . وفى معجم ياقوت : « لوية » .

نصوا : جدوا في السير أو ساروا يومهم ، فالجنوب هنا : الريح ومنخرقها حيث تهب ،  
قري أن الجنوب بفتح الجيم .

وجه في شعر أمية بن أبي عائذ الهذلي :

أفاطم حيت بالأسعد      متى عهدنا بك لا تبعدى  
تصيفت فغان واصيفت      جنوب سهام إلى سررد

سهام وسررد : موضعان . وقد ضبط ( جنوب ) بفتح الجيم في نسخي معجم البلدان المطبوعتين في أوربة ومصر ، وهذا الضبط لا وجه له ، فإن الجنوب - كما عرفت - من الرياح ولا معنى لتصيفها ، وإنما ( جنوب ) بضم الجيم جمع جنب بمعنى الناحية ، وهذا الضبط في اللسان وفي شرح السكري لشعر الهذليين ، فهذا له معنى صحيح ، تقول : تصيفت جنب إسكندرية أى ناحيتها . وهكذا ما جاء في معجم البلدان في الكلام على زخة موضع في بلاد طلي\* لهيكنة الفزاري يخاطب عامر بن الطفيل :

أحسبت أن طعان مرة بالقنا      حلب الغزيرة من بنات الغيب  
عصبا دفن من الأبارق من قنا      فجنوب زخة فالرقاق فينقب

جنوب زخة بضم الجيم : نواحيها وجبهاتها . محمد علي النجار

### مع جمال عبد الناصر

على مائدة خروشوف في موسكو

أراد الرئيس الخدم أن يقدم لخروشوف من خمر الفودكا ، فمنعه خروشوف والتفت إلى الرئيس جمال عبد الناصر وقال له : - حينما تكون معي ، فأنا لا أشرب أبدا . أنا أعلم أنك مسلم متدين ، وأنا أحترم عقيدتك . والتفت إلى وزير خارجيتنا الدكتور محمود فوزي وقال : - إنهم يعتبرون أن المعركة كلها هي شخص هذا الشاب ، إنهم يعلون أنه أصبح رمزاً لكفاح العرب ، وسوف يدفعون نصف عمرهم في فرصة تمسكهم منه . ( وهو رأسه وقال ) : ولكنهم إن بنالوا هذه العرصة ، وسينتصر هذا الكفاح .

وأخذ قسحا من الماء المعدني ووقف يقول :

إنتي أشرب نخب ( كفاح الشعوب العربية ) نخب قائد العرب ، نخب انتصار العرب .  
وجلس وهو يقول : أنا لا أنسكلم عن الغيب ، ولكني أؤمن بمنطق التاريخ .

# تعليقاً

## يتسع الخرق على الراقع

كانت محاولات المرشدين قديماً تتجه نحو الجهلاء ، وتعلق بإصلاح المعوج من أمرهم ، وتهذيب الشذوذ من أنفسهم وفي أخلاقهم .

فلما تفتحت أحكام الثقافة ، وانبعث ضوءها ، واتسعت رقعتها ، وكثر الناهلون من وردها ، حسبنا أن لذلك آثاراً إيجابية في تقليل الجريمة ، وموازرة الفضيلة ، والنهوض بالخلق ، وصيانة المجتمع من شرور كانت تهدده ، وتجذبه إلى الوراء ، بعيداً عن المستوى الإنساني الكريم .

حسبنا ذلك ، ولكننا فوجئنا ، ولا تزال تفاجأ من جانب الثقافات الحديثة بما هو شر من الجهل قديماً وحاضره .

توافر للإنسان في حاضره نصيب كبير من التوجيه إلى جانب ما لديه من دين ، وتجارب ، غير أن العوامل السلبية تجد مرتعها خصيباً في صدور المجددين من أبناء الثقافة المدنية المنقولة إلينا من منابع غير صافية ، إذ لم يعد للثقافة التي يرددونها بيتنا غير مقاومة الحياء في وجوه الحيرين ، ومحاربة القيم الروحية ، والطفان على العقائد ، والتقاليد ، والنشاط في اقتياد الشباب كله إلى مساقط الرذيلة في غير اكتراث ولا حساب لما وراء هذا كله من هدم لكيان المجتمع الذي يطالبنا الدين ونقتضينا الوطنية أن نحرص على سلامته من كل آفة .

من كان يظن أن نسمع في الأوساط الإسلامية بجاهرة بالتمحلل من الحشمة ، وبالنعوة السافرة إلى حرية غير محدودة للرأى ، وإلى إجازة للبسات أن يخالطن الأصدقاء من الشبان ، بل إلى استحسان البعض من الآباء أن يكون لبنته صديق أو أكثر ، تساهم في الطرقات ، وتتردد معهم على كل مكان يروقهم ؟؟



من كان يظن أن يعلن أستاذ جامعي يقوم على تربية أبنائنا أنه يحذ لبنته تلك الحرية ،  
 وأنه ينكر على المتشائمين من هذه الفوضى غيرتهم ، وتديدهم بهذه الميوعة ؟؟  
 أليست هذه إباحية تتجاوز إباحية كنا نسميها أو نقرأ عنها في الكتب عن بعض  
 المغرقيين في الجمل يوم كانت الدنيا بحاجة قصوى إلى علم كثير ، ويوم كان الناس يستجيبون  
 للفطرة في التمييز بين الخير والشر ، وكانوا يترشون في ارتكاب النقيصة ؟؟  
 تتجاوز الأمر قدره ، وأصبحت المجانة والمذاعة ومحاربة النزعات الكريمة ، مذهباً  
 يتمذهب به نفر من المثقفين في عصر مفروض فيه أنه عصر حضارة وتقدم ، بل وصل  
 الأمر إلى مغالبة المساجين لأهل الكرامة ، ومحاولتهم أن يسكنوا أصحاب الدعوة الرشيدة  
 ليكون صوت الشيطان وحده مدوياً في آذان القوم ، ولتكون الدنيا مرتعاً  
 للفساد والمفسدين .

إن المصلحين من رجال الأمة يجاهدون حقاً للنهوض بها ، وجهادهم مشكور ، ولكنه  
 بحاجة إلى مؤازرة من كل هيئة ، ومن كل فرد فليس من المستساخ أن نحملهم فوق ما يحملون ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التنقيش بالأزهر

## الدستور العراقي

أذاع الرعيم عبد الكريم قاسم في لجر ٩ المحرم ( ٢٦ يوليو ) دستور جمهورية العراق  
 المؤقت وهو في ٤ أبواب تنطوي على ٣٠ مادة . جاء في مادته الأولى : العراق جمهورية مستقلة ،  
 وفي الثانية : العراق جزء من الأمة العربية . وفي الثالثة : الكيان العراقي يقوم على أساس  
 التعاون بين المواطنين ويعتبر العرب والأكرااد شركاء في هذا الوطن . وفي الرابعة : الإسلام  
 دين الدولة . وفي الخامسة : بغداد عاصمة الجمهورية العراقية ، وفي الباب الثاني : الأحكام  
 تصدر وتنفذ باسم الشعب ، وفي المادة ١٣ : الملكية الخاصة مصونة ، وفي المادة ١٤ : الملكية  
 الزراعية تحدد وتنظم بقانون .

وسيتولى مجلس النواب العراقي الذي ينتخب انتخاباً حراً إقرار الدستور العراقي في  
 صيغته النهائية .

## كلمة

### بمناسبة الذكرى العائرة لاغتصاب فلسطين

في كل عام نستقبل هذا اليوم ( يوم ١٥ مايو ) ذكريات كنا نتمنى أن تكون ذكريات مرور وغبطة ، وموجات فرح وبهجة ، وكنا نتمنى أن يكون هذا اليوم لفلسطين عيداً استقلال وحرية ، إذ كان هو اليوم الذي ازاح فيه كابوس الانتداب الثقيل ، عن هذه البلاد في سنة ١٩٤٨ ، وجلت فيه بريطانيا عن أرض هذا الوطن العربي العزيز ، الذي مكث يرنح تحت ضغط الاحتلال والاستعمار سنين عدة وأحواما طويلة .

نعم كان يمكن أن يكون يوم ١٥ مايو ، يوم عيد نشتر فيه الزينات ، وتعلن فيه مظاهر الفرح والابتهاج ، لو كان جلاء بريطانيا عن أرض فلسطين قد أريد به ترك البلاد عاصمة لأصحابها ، ورد الأمانة سليمة إلى أهلها ، ولكنه كل جلاء مبنياً على تدبير سيء ، واتفاقات فادرة ، بين بريطانيا ومن مالاها من دول الاستعمار ، اتفاقات مكنت لإسرائيل أن تقيم دولة في فلسطين ، لتكون دائماً عامل قلق واضطراب ، ومبعث شر وفتنة ، بين دول الشرق العربي جميعاً ، ولتكون أيضاً غلب قط أو نقطة ارتكاز يستخدمها ويعتمد عليها المستعمرون ، كلما أرادوا أن يسيروا في خطة عدوان على أهل هذا الشرق العربي أو غير العربي .

وإنه ما كان لليهود في سنة ١٩٤٨ أن يكسبوا حرباً ، أو يستقر لهم أمر ، أو تقوم لهم دولة حتى مع ضعف الأسلحة التي كانت في أيدي المجاهدين العرب أو فساد هذه الأسلحة ، وما كانوا ليكسبوا حرباً أو يستقر لهم أمر أو تقوم لهم دولة ، حتى مع تلك الخيانة التي افترض أمرها ، واشتهرت بإضاعتها إلى أسماء أصحابها ، كما اقترنت أيضاً باسم اللد والرملة .

نعم ما كان لإسرائيل أن تصل إلى ما وصلت إليه في فلسطين حتى مع كل هذه الاعتبارات لولا اتفاقات الشر ، وتدبيرات القدر التي يبتها المستعمرون لشعب فلسطين وكل من يحنو من العرب على شعب فلسطين .

ولكن هل هذه هي النهاية التي ليس بعدها نهاية ؟ وهل يمكن أن يبقى كذلك أهل فلسطين مشردين لاجئين إلى غير ملجأ ، هائمين إلى غير مستقر ؟ .

إنه قد مضت عشر سنوات على تلك نتيجة الطلعة الغاشمة ، تغيرت فيها الأوضاع في البلاد العربية ، وقضى على أكثر عوامل الفساد ، التي كانت تنس منها البلاد . وقد أخذ الشعب العربي دروساً قاسية من تجربة سنة ١٩٤٨ التي لا تزال آثارها المؤلمة ماثلة أمام أعيننا في هؤلاء اللاجئين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق ، وفي هذه التلاقل والتحرشات التي تثيرها عصابات اليهود على حدود الدول العربية .

الآن وقد تغيرت الأوضاع ، وشعر العرب جميعاً بحكومات وشعوباً بمرارة الواقع ، وبال الحاجة إلى عمل جدي حاسم - يجب علينا أن نبتألف الجهاد من جديد لاستعادة أرضنا المنصوبة ، وأن نتابع الكفاح ونحشد قوة وأصلب عوداً ، وأقوى أملاً ، ينبغي أن يقف كل فرد منا في الميدان يجهاد بنفسه وسلاحه وماله ورأيه وجهه وكل ما يستطيع من قوة . ونحن بحمد الله قد حققنا بعد جهادنا الطويل جزءاً من آمالنا في جمع كفة العرب وصمم صفوفهم ، فقامت الجمهورية العربية المتحدة ، التي ضمت شعب مصر وسوريا على أساس من الشعور المذنب من نفس الشعب ؛ لتحقيق أهداف يحس بضرورتها الشعب الذي يريد أن يحيا حياة عزيزة كريمة تقوم على أساس التعاون والتناصح والإخلاص المتين . والواجب يقتضينا أن نحمل هذه الوحدة ونضع فيها ثقتنا الكاملة ، وألا ندع للدخيل مجالاً ينفث فيه سمومه ، وينصب شراكه ، وأن تكون عيوننا يقظة ساهرة لمكاييد المستعمرين وعمالهم الذين يريدون أن يطيحوا بهذا الصرح الشامخ الذي بنيناه بدمائنا وأرواحنا ، وأوبنا إليه بعد رحلة طويلة شاقة مليئة بالأشواق والآلام والعقبات .

جامدوا في الله أيها المواطنون حق الجهاد ، وخذوا من أبطالكم مثلاً عالياً في التضحية وإنكار الذات ، واعلموا أيها اللاجئين أنكم بمشيئة الله عائدون عائدون ، وأن النصر قريب والله مع الصابرين .

عاشت الأمة العربية عزيزة كريمة ، وعاشت الوحدة قوية متينة ، ووقانا الله جميعاً أسباب الفتنة ، ويمر لنا السيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

عبد الرحمن تاج  
شيخ الجامع الأزهر

## ضيوف الأزهر

في يوم الأحد ٢٠ من ذي القعدة ١٣٧٧ هـ (٨ من يونيو ١٩٥٨ م) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر سيادة الأسقف مكاريوس الرعيم الديني لقبرص . وقد دار الحديث حول واجب رجال الدين في توجيه الشعوب وقيادتها إلى الخير ، والاشتراك الفعلي في العمل على رفع الظلم والوقوف صفاً واحداً أمام الاستعمار ، فهذا النشاط من رجال الدين هو من صميم واجبه الذي كلفتهم به الديانات السماوية . فعملهم ليس قاصراً على المساجد والكنائس وبيوت العبادة ، بل مجال نشاطهم واسع ، وكل عمل مشروع يؤدي إلى الخير العام له منزلته وثوابه . والمستعمرون قد حاولوا أن يحصروا عمل رجال الدين في دائرة ضيقة ، ومنعواهم من التدخل في الأمور السياسية ، واضعين حداً فاصلاً وحاجزاً منيعاً بين النشاط الديني المحض في بيوت العبادة ، وبين النشاط خارج هذه البيوت .

وقد أشاد سيادة الأسقف بما وصلت إليه مصر والجمهورية العربية المتحدة من تقدم بفضل رجال الثورة الأحرار وزعماء العربية المخلصين ، وقال : لا أمان لهذه الجمهورية الناشئة ولا لقبرص إلا إذا حطم الاستعمار وتطهرت البلاد من هؤلاء الدخلاء . وقد دعا سيادته فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة قبرص ومشاهدة شعور المواطنين هناك نحو العرب والجمهورية العربية المتحدة .

• • •

وفي يوم الاثنين ٢٨ من ذي القعدة ١٣٧٧ هـ (١٦ من يونيو ١٩٥٨ م) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر فضيلة الشيخ مصطفى بن عبدالعزيز خليل مفتي صوفيا يلغاريا بمناسبة مرور مائة عام على إنشاء الدولة العثمانية ، وذكر أن يلغاريا ما يقرب من مليون مسلم ، لهم ٢٢ مفتياً موزعون في أنحاء البلاد ولهم مدارسهم الخاصة التي يتلقون فيها علوم الدين باللغة المحلية . وأن المسلمين هناك مقبولون على العبادة ، ومساجدهم تضيق بالمصلين وتبدو في مظهر رائع في شهر رمضان ، كما ذكر سيادته أن المسلمين هناك يحبون العرب كثيراً ويحرصون على سماع الإذاعات العربية . معجبين بهنئة مصر وزعماء الجمهورية العربية المتحدة .

وفي يوم الأحد ٥ من ذى الحجة ١٣٧٧هـ (٢٢ من يونيو ١٩٥٨م) استقبل فضيلة الدكتور كواي نكروماه رئيس وزراء غانا وكان يصحبه السيد وزير التربية والتعليم وشخصيات أخرى، وبعد التحدث عن نظم الدراسة في الأزهر والدور الذي يقوم به في ربط الشعوب الإسلامية عن طريق المبعوثين الموفدين والطلاب الوافدين من جميع الأقطار. زار الجامع الأزهر والمكتبة وقاعة المحاضرات الكبرى ثم انصرف شاكرًا لفضيته والسادة العلماء والموظفين حسن استقبالهم وكرم شعورهم.

\*\*\*

وفي الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأحد ٢٦ من ذى الحجة سنة ١٣٧٧هـ (١٣ من يوليو سنة ١٩٥٨م) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بمكتبه وفد الحجاج الصينيين برئاسة السيد / محمد علي وكيل الجمعية الإسلامية الصينية، ودار الحديث حول الشؤون الدينية العامة وأحوال المسلمين في الصين بصفة خاصة، وأكد الوفد حب الصينيين العميق لمصر وثقافة العربية، وإعجابهم بدور الأزهر في نشر الثقافة الإسلامية، وتأكيدهم الروابط بين الشعوب.

وقد دعا الوفد فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة الصين فوعده بذلك عند إتاحة الفرصة، وبعد إهداء فضيلته إلى الوفد الكتب والرسائل، انصرفوا جميعا شاكرين حسن الاستقبال متمنين للأزهر وللجمهورية العربية المتحدة دوام التوفيق في خدمة قضية السلام.

### تبرعات من الأزهر

بلغ مجموع ما تبرع به الأزهر بمناسبة أسبوع الجزائر لعام ١٣٧٧هـ : ٢٧٠ و ٣١٥١ ج سلها فضيلة الأستاذ الأكبر على دفعات إلى الجهات المختصة.

كما بلغ مجموع ما تبرع به الأزهريون لمعونة الشتاء في هذا العام ألف جنيه، سلت أيضا للجهات المختصة.

وفضيلة الأستاذ الأكبر يشكر جميع المساهمين في هذه الأعمال الإنسانية الجليلة، ويحيي فيهم روح الوطنية الصادقة، آملا أن يكونوا دائما سباقين إلى الخير، ومثلا أعلى في كل عمل جليل.

## في عيد الأضحى المبارك

من البرقيات والرسائل التي تبودلت بين فضيله الأستاذ الأكبر  
الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وأستاذة وطلاب  
الأزهر وكبار الشخصيات في العالم العربي والإسلامي والبرقيات التالية:

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة  
يسرني أن أرسل إلى سيادتكم باسم الأزهر خالص التهنة بعيد الأضحى المبارك وأطيب  
التمنيات لكم ولجميع العاملين المخلصين ، راجيا من الله سبحانه أن يسبح عليكم نعمته ، ويديم  
توفيقكم للنهوض بالجمهورية العربية المتحدة وخدمة قضية العروبة وتوطيد أركان السلام ؟

( عبد الرحمن تاج )  
شيخ الجامع الأزهر

السيد الرئيس شكري القوتلي دمشق  
بمناسبة عيد الأضحى المبارك يسرني أن أبعث إلى سيادتكم بالتهاني الخالصة راجيا لكم  
موفور الصحة ودوام التوفيق لخدمة العروبة والإسلام ؟

( عبد الرحمن تاج )  
شيخ الجامع الأزهر

شيخ الأزهر عبد الرحمن تاج القاهرة  
إلى أمي\* فضيلتكم وجميع موطني الأزهر بعيد الأضحى المبارك وأقدم إليكم جزيل  
شكري وأسمى امتناني لتفضلكم لعطفكم وحنانكم في الأزهر نسأل الله تعالى أن يكتب  
للشعب المصري دوام الخير وأسعد الحياة في ظل السلام ؟

( ضياء الدين بن إيشان بابا خان )  
مفتي المسلمين  
بغشقند

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر مصر  
تلقيت بالامتنان برقيتكم المعبرين فيها باسمكم وباسم الأزهر عن كريم التهئة وصادق  
الشعور بمناسبة عيد الاضحى المبارك وإني لأبعث إليكم جميعا بموخور الشكر راجيا لكم الصحة  
والسعادة و متمنيا للامة العربية كل عز وسؤدد

( جمال عبد الناصر )

سمحة الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر القاهرة  
أشكر لسماحتكم تهنتكم الكريمة بعيد الاضحى المبارك راجيا البارى تعالى أن يعيده على  
العرب والمسلمين وقد تحققت أمانهم في الوحدة والحرية

( شكرى القوتلى )

الشيخ ضياء الدين بن إيشان بابا خان مفتى المسلمين طشقند  
لقد كان تهنتكم لنا بعيد الاضحى المبارك أثر عظيم فى نفسى ونفوس جميع علماء وموظف  
الأزهر وإني إذ أشكر لكم هذا الشعور الطيب أرجو الله أن يتمتعكم بالصحة وأن يهب المسلمين  
فى آسيا الوسطى والعالم كله حياة طيبة فى ظل من الأمن والحرية والاستقرار .

( عبد الرحمن تاج )

شيخ الجامع الأزهر

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عبد الرحمن تاج القاهرة  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مناسبة عيد الاضحى المبارك يسرنى أن أتقدم إليكم وإلينا  
وإلى جميع المسلمين بالخير واليمن والعافية والتوفيق فى كل الأمور .

ونسأل الله أن يمدكم فى أموركم وينج عليكم ثوب العافية إنه على كل شىء قدير  
مع أطيب التحيات .

( قر الدين صالح )

شيخ جامع موسكو

الحاج قر الدين صالح شيخ جامع موسكو

أشكر لكم تهنتكم بعيد الأضحى المبارك وتمنياتكم الطيبة لنا وأرجو الله لكم وجميع المسلمين في الاتحاد السوفيتي والعالم كله حياة طيبة ، وحرية شاملة ، وتوفيقاً مطرداً لخدمة قضية السلام .

( عبد الرحمن تاج )

شيخ الجامع الأزهر

فضيلة شيخ الجامع الأزهر القاهرة الجمهورية العربية المتحدة

بمناسبة عيد الأضحى المبارك أتمنى لكم الصحة وطول البقاء ، والتوفيق في جهودكم من أجل السلام .

( مؤسسة فيينا الدولية للسلام )

المؤسسة الدولية للسلام فيينا

أشكر لكم تهنتكم بعيد الأضحى المبارك وأرجو الله للعالم أماً واستقراراً وجميع العاملين المخلصين توفيقاً دائماً لخدمة السلام .

( عبد الرحمن تاج )

شيخ الجامع الأزهر

## حمداً لك اللهم ... !

فقد تردد نسيم الحرية في رقة عزيزة من الجسم العربي ، بعد أن ظن الخونة المارقون أنها تعطلت تماماً ؛ لما بالغوا فيه من سد المنافذ وتسميم الجيوب ... حمداً لك اللهم ... !  
فقد تحرر العراق الشقيق ... !

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ينوب عن الأزهر في التهنته بنجاح الثورة العربية في العراق .

السيد الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزارة العراقية بغداد

أحي فيكم روح الوطنية العالية وأهنئكم بنتيجة الثورة الباهرة ، وأرجو للجمهورية العربية العراقية كالعزة والقوة والتسكين كما أرجو لجميع الشعوب العربية المكافأة في سبيل تحريرها أن تنال استقلالها وتمتع بثمار كفاحها وأن تقوى على طرد المستعمرين من ديارها والله ولي المؤمنين المخلصين .

( عبد الرحمن تاج )

شيخ الجامع الأزهر



# الأدب والعلوم

مختصة بجميع مرافق العلم من صناعية وهندسية وزراعية . وقد اقترح إقامة «معمل بحوث» لكل صناعة تساهم الشركات بشموله باعتيادات سنوية في ميزانياتها ، وستوزع مراكز البحوث على مناطق التصنيع ، والمقترح إقامة خمسة عشر معملًا مركزًا بالأبحاث الطاقة المنزلية ، والبتروكيمياوية ، والأسمدة الكيماوية ، والثروة المعدنية ، والصناعات الحديدية ، والصناعات الكيماوية ، وأبحاث الغزل والنسيج والصباغة والطبع ، وأبحاث الخيوط الصناعية ، والزجاج ، والأسمنت ، والمستحضرات الطبية ، ومنتجات الألبان ، والورق ، والصناعات الغذائية ، وصناعات البلاستيك .

وأهم ما يبنى به لتحقيق ذلك تخريج جيل جديد من العلماء يتخصص كل فريق منهم في أبحاث صناعة معينة تعتمد عليهم الصناعات في خطوات تقدمها في المستقبل القريب .

## ناجحوا المدارس الثانوية

قرر المجلس الأعلى للجامعات المصرية قبول ٨٥٩٥ طالباً من الناجحين في شهادة الثانوية العامة هذا العام ، منهم ٣٢١٥ لجامعة القاهرة ، و ٢٤٠٥ لجامعة الاسكندرية ،

## المستوى الاجتماعي للمدرسة

أوصى المؤتمر الأول للتخطيط الاجتماعي المدرسي بتنظيم دراسات لإعداد القادة والرواد واكتشاف الطلبة ذوي المواهب لإعدادهم قادة في المدرسة ، وتشجيع الهوايات المدرسية الصالحة . ودعا المؤتمر إلى تقديم الخدمات النفسية والاجتماعية للتلاميذ غير القادرين على التكيف الاجتماعي ، ونوه بقائدة مجالس الآباء . وأوصى بأن يدخل في الاعتبار - عند تقدير قيمة الأساتذة والمدرسين - مدى مساهمتهم في تحقيق أهداف التربية الاجتماعية .

## حصر القوى المتعلمة

تقوم وزارة التربية والتعليم بإعداد حصر شامل للقوى البشرية المتعلمة التي تلزم المرافق المختلفة في إقليمي الجمهورية المتحدة خلال السنوات العشر القادمة .

## مراكز بحوث لكل صناعة

تعنى وزارة الصناعة بإعداد مراكز بحوث علمية لكل صناعة من الصناعات القائمة في الجمهورية العربية المتحدة ، بحيث تكون

اللاتينية ، وذلك لتمكين المسلمين هناك من أن يتزودوا من الثقافة الإسلامية والعربية .

### جوائز للبحوث العلمية

قرر المجلس الأعلى للمعلوم برئاسة وزير التربية والتعليم اعتماد ١٦ جائزة تشجيعية قيمة كل منها خمسمائة جنيه تمنح لأحسن البحوث العلمية التي لم يحض على نشرها أو تنفيذها أكثر من ثلاث سنوات ، توزع بين البحوث العلمية الزراعية والهندسية والطبية والكيمائية والجيولوجية ، والبيولوجية ، والرياضية ، والطبيعية .

### معلومات عن العراق

مساحة العراق ١٧٥ ألف ميل مربع ، ويزيد عدد سكانه على خمسة ملايين ، وهو سادس دولة تنتج البترول ، وإيراد العراق منه أكثر من ٣٠٠ مليون دولار سنوياً . وجوه حار صيفاً ، بارد شتاء .

والإقليم الشمالي منه جبل وفيه آبار البترول وأهم مدنه الموصل ، وأوسطه منطقة الرافدين ( ما بين النهرين ) وفيه العاصمة ( بغداد ) ، وفي الجنوب ملتقى النهرين ويسمى شط العرب وفيه مدينة البصرة .

والأمة العراقية تكاد تكون أمة عسكرية ، وسيكون لجيشها شأن بعد تحررها من الذي اتى كان الاستعمار يستعملها لأغراضه .

و ٢٦٧٠ جامعة عين شمس ، و ٣٠٥ جامعة أسيوط . ومن المنتظر أن تزداد هذه الأعداد ١٠ ٪ بالنسبة للكتليات النظرية و ٥ ٪ بالنسبة للكتليات العملية . وباقي التاجعين في امتحان الشهادة الثانوية العامة يوزعون على الكليات والمعاهد العليا التابعة لوزارة التربية والتعليم .

### الأزهر في باريس

تقدم المسلمون المقيمون في باريس بطلب إلى مشيخة الأزهر لإيفاد أحد العلماء إلى العاصمة الفرنسية لتعليم أبناء الجالية الإسلامية فيها أحكام الشريعة . ولما كان أكثرهم من أبناء الأقطار الشقيقة في شمال إفريقيا وهم على مذهب الإمام مالك ، فيستكون الأحكام الفقهية التي يتقونها في الفقه المالكي .

وقد رشح الأزهر أحد الأساتذة الرواظ للقيام بهذه المهمة ، وانخضت الأسباب لتسهيل سفره لتسلم عمله .

### الثقافة الإسلامية

#### في كوبا وكولومبيا

بعث الأزهر مجموعات من المصاحف والكتب الإسلامية والرسائل الثقافية والمجلات إلى اللجنة السياسية للجمهورية العربية المتحدة في كوبا وكولومبيا من بلاد أمريكا

## إنباء العمل الإنساني

### جمال عبد الناصر

بين يوغوسلافيا ومصر

في مساء السبت ١١ ذى الحجة (٢٨ يونية) غادر الرئيس جمال عبد الناصر ميناء الاسكندرية على الباخرة المصرية ( الحرية ) في طريقه إلى يوغوسلافيا بدعوة من رئيس جمهوريتها ، فودعته الجماهير وداعا رائعا ، وكان في حراسة الباخرة ( الحرية ) الممرتان المصريتان ( الناصر ) و ( الظافر ) . وفي يوم الأربعاء ١٥ ذى الحجة ( ٢ يوليو ) وصل الرئيس إلى ميناء ( دوبروفيتك ) فاستقبله فيها الرئيس تيتو والشعب اليوغوسلافي .

وفي يوم الأحد ١٩ ذى الحجة ( ٦ يوليو ) بدأت المحادثات الرسمية بين الرئيسين في جزيرة ( بريوني ) ، وكانت مشاكل الشرق الأوسط وأزمة لبنان في مقدمة هذه المحادثات التي تمت في تفاهم كامل ، فاتفقوا على اتخاذ إجراء مشترك في كل مشكلة دولية ، وعلى تدعيم الصلات السياسية والثقافية والصناعية بين البلدين . وتحدث الرئيس جمال عبد الناصر من إذاعة راديو بلغراد فقال : إن القومية

العربية كانت فكرة وأملا ، فأصبحت اليوم حقيقة . وعبء المحادثات العربية اليوغوسلافية حضر وزير خارجية اليونان إلى يوغوسلافيا وتحدثت محادثات بين الدول الثلاث على أساس المحادثات الأولى ومثل أعراضها .

ولما أشرقت شمس يوم الاثنين ٢٧ ذى الحجة ( ١٤ يوليو ) بدأت الأنباء تصل تباعا إلى الرئيس جمال عبد الناصر في بريوني عن قيام ثورة العراق وسقوط التاج والعرش في بغداد وإعلان الجمهورية العراقية ، وكان يوم غد ( الثلاثاء ) موعد سفر الرئيس جمال عاتدا إلى مصر ، فقرر التجيل بعودته حالا ، وعند غروب شمس الإثنين كانت الباخرة ( الحرية ) تشق بحر الادرياتيک بحراسة المدمرتين المصريتين ومدمرتين يوغوسلافيتين ، ومضت هذه القافلة البحرية تشق العباب بأقصى سرعتها ، وفيما هي على وشك الخروج من الادرياتيكي إلى البحر الأبيض وردت الأنباء بزول القوات الأمريكية في لبنان ، ثم تلقت إحدى المدمرتين اليوغوسلافيتين رسالة سرية عاجلة من المارشال تيتو باسم الرئيس جمال عبد الناصر

العربية المتحدة ليتصل كل منهم بحكومة البلاد التي يعمل فيها ، ويطلب سرعة الاعتراف بالجمهورية العراقية .

ولما وصل جمال إلى بريوني وجد في انتظاره برقية من خروشوف بأنه في انتظاره في موسكو أو أي مكان آخر بلائحه . وفي بريوني جمع قيتو أم رجال دولته للاجتماع برئيس الجمهورية العربية ووزير خارجيتها للتحدث معا في آخر تطورات الموقف الدولي ، وامتد الاجتماع إلى منتصف الليل . وفي فجر يوم الخميس ٣٠ ذي الحجة ( ١٧ يوليو ) استقل الرئيس جمال ووزير خارجيته الطائرة الجبارة التي كانت في انتظاره بمطار بولا متوجها إلى موسكو بسرعة ألف كيلومتر في الساعة ، ونزل في موسكو بقصر داتشا بالضواحي ، واجتمع بخروشوف مدة ثمان ساعات .

وفي الصباح المبكر من يوم الجمعة غرة المحرم ( ١٨ يوليو ) استقل الرئيس الطائرة الروسية T.U.104 من موسكو ، وهي تتسع لسبعين راكبا ، فسلكت في طريقها الممر الهوائي التجاري العادي ، ولم يخطر بالمشرفين على مطارات العالم أن هذه الطائرة هي طائرة جمال عبد الناصر . مرت فوق طهران ثم طارت فوق بغداد ، وفي جو بغداد دنت الطائرة من المباني والمعالم ، حتى كان الرئيس يرى بنطارته سكان بغداد وهم يمشون في أنشوارع .

يقول فيها : « أناشدكم ألا تتقدموا في البحر إلى أكثر من الحد الذي وصاكم إليه الآن ، إن الخطر شديد بعد التطورات الأخيرة . أرجوكم العودة إلى أقرب ميناء يوغوسلافي ، أرجو أن يكون الرد بالموافقة » . فأجابته الرئيس جمال عبد الناصر بالموافقة . وفي صباح الثلاثاء وردت برقية أخرى من قيتو : « أقترح قدومكم إلى بريوني . أرجو للسرعة أن تنتقلوا إلى إحدى مدبراتكم لتصلوا إلينا بعد ثمان ساعات . أطلع بشوق إلى أن أراك مساء اليوم » .

ولما قررت فكرة العودة إلى بريوني تشاور الرئيس جمال مع وزير خارجيته في زيارة موسكو للتحدث مع خروشوف في جميع احتمالات الموقف الدولي ، ومن المندمة المصرية ، بعث الرئيس جمال رسالة إلى خروشوف عن موقف الشرق العربي بعد ثورة العراق يقول فيها « قررت قبل أن أعود إلى القاهرة أن أراك في أي مكان يناسبك ، وأنا الآن في طريق إلى بريوني » . ومن المندمة المصرية أبرق الرئيس جمال إلى نهرو وشواين لاي ، وسوكارنو ، ورئيس وزارة سيلان ، ونكروما ، ورئيس وزارة الأفغان يترح لهم تطورات الموقف في الشرق الأوسط ولا سيما العراق ، وبعث الدكتور محمود فوزي تعليمات إلى جميع سفراء الجمهورية

إننا معكم أيها الإخوان جميعاً ، إننا نحمل السلاح معكم أيها الإخوة جميعاً ، إن كل قطرة من دمائنا مع كل قطرة من دماءكم . والله يوفق الأمة العربية جمعاء .

وسمع قادة الجمهورية العراقية صوت جمال عبد الناصر من دمشق فوفد عليه منهم في صباح يوم السبت ٢ المحرم ( ١٩ يوليو ) وفد يرأسه العقيد الركن عبد السلام عارف نائب رئيس الوزراء ، ومعه محمد حبيب وزير المالية وصديق شنشل وزير الارشاد ، وعبد الجواد جو مرد وزير الخارجية . وأراد شعب دمشق أن يمتنع أنظاره بمشاهدة قوى العروبة ممثلة بأبطال مصر والعراق والشام ، فأشرف على الجماهير جمال عبد الناصر ، وشكري القوتلي ، وعبد السلام عارف ، وعبد الجبار جو مرد ، وصديق شنشل ، ومحمد حبيب ، وتداولوا إلقاء الخطاب القوي . وفي ذلك اليوم عقد في دمشق بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية العراق هذا الاتفاق :

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة

والجمهورية العراقية

في اليوم الثاني من شهر المحرم سنة ١٣٧٨ ( ١٩ من شهر تموز ، يوليو ، عام ١٩٥٨ )  
اتفق وفدا الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية على :

وينبأ العالم ينتظر وصول الرئيس بجرأ إلى مصر ، إذا به يفاجأ بهبوط طائرته في مطار دمشق في الساعة الواحدة بعد ظهر الجمعة ، فذهب إلى قصر الضيافة ، وعرف الوزراء بوصوله ، وذهلت غبارات العالم وهي تسمع الخبر ، إنهم كانوا يظنون أنه عائداً إلى مصر بطريق البحر . ومن شرفة قصر الضيافة بدمشق مساء الجمعة خطب على مسامع سكان العاصمة السورية ، فكان الوطن العربي كله يسمع خطابه كلكة كلمة ، كانت كلماته كلها أقوى من المدافع . وبما قاله : كانت راية الحرية قد ارتفعت في دمشق والقاهرة ، واليوم ترتفع في بغداد ، وسترتفع غداً في بيروت وعمان والجزائر . إننا انتصرنا في بورسعيد ، وسنتنصر في جميع المعارك . إن القومية العربية لا يمثلها جمال عبد الناصر ولا أي شخص آخر . من كان يسمع عن عبد الكريم قاسم ، أو عبد السلام عارف ؟ إن شعلة القومية العربية ستبقى أبد الدهر عالية مرتفعة ، إن سياستنا أن نسالم من يسالمنا وأن نعادي من يعادينا . القومية العربية أقوى من القنابل الذرية ، لقد انتصرنا في معركة ١٩٥٦ ، وسنتنصر في هذه المعركة ، وقلوبنا كلها مع العراق . إن أمريكا تحتل لبنان وتحمِلنا مسئولية حماية جنودها المحتلة ! هذا هو الاحتلال ، وهذا هو الاستعمار . أنا أقول لإخوانكم في بغداد

الذين يحمون هذه الخطوط في مهماتهم .  
وكان استقباله في خطوط الحدود أروع  
استقبال . والغرض من هذه الزيارة  
الاطمئنان على الخطة الدفاعية المرسومة  
للمحافظة على الإقليم الشمالى من الجمهورية ضد  
أى عدوان أو تدخل أجنبى .

وكان مع الرئيس في زيارته بعض الوزراء  
والقواء جمال فيصل قائد الجيش الأول  
ومعاونه أمير الألاى عبد المحسن أبو النور .  
وسر الرئيس بما رآه ، وطاد بالارتياح  
والاطمئنان التام .

وفي طريق عودته زار قبر الشهيد يوسف  
المظلة بمبسلون ، ووضع على ضريحه باقة من  
الزهر تقليدا لتضائه في سبيل الحرية والكرامة

وفي مساء الاثنين ٤ من المحرم عاد الرئيس  
إلى القاهرة ، واجتمع فور وصوله بالمشير  
عبد الحكيم عامر والسيد عبد اللطيف البغدادى  
نائب رئيس الجمهورية ، والسيد على صبرى  
وزير شئون رئاسة الجمهورية ، وبحث معهم  
مسائل عسكرية وسياسية هامة .

وفي مساء اليوم التالى ( ٥ المحرم - ٢٢ يوليو )  
ألقى الرئيس خطابه الخطير في ميدان الجمهورية  
بالقاهرة ، وقد لخصناه في مكان آخر من  
هذا الباب .

أولاً - تأكيد ما يربط البلدين من عهود  
ومراتيق ، وفي مقدمتها ميثاق الجامعة العربية  
وميثاق الدفاع المشترك بين الدول العربية .

ثانياً - تأكيد ما أعلنته حكومتنا البلدين من  
ارتباط وثيق بينهما إزاء الموقف الدولى ،  
وأنهما مصممتان على الوقوف كبلد واحد  
في الدفاع ضد أى عدوان عليهما أو على أى  
منهما ، والبدء حالا فى اتخاذ ما يقتضيه ذلك  
من خطوات حكيمة .

ثالثاً - التعاون الكامل فى المحيط الدولى  
للمحافظة على حقوق البلدين والمشاركة الفعالة  
فى تأييد ميثاق الأمم المتحدة وفى دعم السلام  
فى الشرق الأوسط وفى العالم .

رابعاً - اتخاذ الخطوات العاجلة العملية  
لت تنمية التعاون الاقتصادى والثقافى بين البلدين .

خامساً - الاتفاق والتشاور المستمرين بين  
البلدين فى كل الشئون التى تبنى كلا من البلدين .

وقد وقع هذا الاتفاق عن الجمهورية العربية  
المتحدة الرئيس جمال عبد الناصر ، ووقعه  
عن الجمهورية العراقية العقيد عبد السلام محمد  
عارف نائب رئيس الوزراء .

وفي يوم الأحد ٣ المحرم ( ٢٠ يوليو )  
زار الرئيس خطوطنا الامامية بالقرب من  
الحدود اللبنانية ، وناقش الضباط والجنود

## أسهم قناة السويس

تم في جنيف يوم الأحد ٢٦ ذى الحجة (١٣ يوليو) توقيع الاتفاق النهائي الخاص بتعويض حملة أسهم قناة السويس السابقة ، وكان التوقيع في المقر الأوروبي للأمم المتحدة بجنيف . وتم التوقيع في اجتماع أحيط بالسكران ، حتى أن الصحفيين لم يملوا بعقده إلا في آخر لحظة ، لم يحضر أحد منهم هذا الاجتماع . وقد بينا الأسس التي قام عليها هذا الاتفاق في ص ٩٧٢ - ٩٧٣ بالجزء الأخير من السنة الماضية .

## انتفاضة العراق

كان يوم الإثنين ٢٧ ذى الحجة (١٤ يوليو) موعداً لاجتماع حلف بغداد في اسطنبول ، للنظر في مساعدة كميل شمعون الموالي للغرب ، والتنكيل بالشعب اللبناني الأثر على صنائع الاستثمار .

وبات ملك العراق ، وعاله عبد الإله ، ونوري السعيد وهم على أهبة السفر بالطائرة في ذلك الصباح إلى اسطنبول للاشتراك في ذلك الاجتماع . وكانت الترتيبات قد عملت ليشترك جيش العراق في إخماد ثورة اللبنانيين على عملاء الاستثمار من حكامهم . وبالفعل خرج إلى مطار اسطنبول كبار حكام تركيا وأعضاء البعثات

الأجانب ومنسباط وجنود حرس الشرف بموسيقام ليستقبلوا ملك العراق ومن معه .

ولكن القومية العربية اتى تصبر ، ثم ثلب وثباتها المفاجئة للتاريخ ، كانت في ساعة الفجر من ذلك اليوم في بغداد ، قد أعدت المفاجأة التي فاجأت بها الدنيا ، فصدت الأوامر العسكرية من العقيد عبد الرحمن عارف ( شقيق العقيد عبد السلام عارف ) بتطويق قصر الرحاب قبل أن يفر الخونة الذين كانوا فيه ، وتقدمت وحدات الجيش للعمل وعلى رأسها اللواء العشرون بقيادة الزعيم عبدالكريم قاسم وكان نوري السعيد قد أمر هذا اللواء بالذهاب إلى حدود الأردن لمصلحة الاستثمار ، واشترك مع اللواء العشرين في الثورة اللواء التاسع عشر وكتيبة الهندسة ، وكتيبة الدبابات ، وكان العقيد عبد السلام عارف في قيادة إحدى فرق المدرعات التي طوقت القصر ، وذهب أخوه عبد الرحمن بنفسه للإشراف على تنفيذ الخطة المرسومة ، وكان أول عمل قاموا به بعد تطويق القصر قطع التيار الكهربائي والاتصال بالتليفوني ، واحتلوا دار الإذاعة ، ومناطق البترول ، ومطار البصرة ، وجميع المنشآت العسكرية ، والمؤسسات المدنية والمالية التي تحتاج إلى حماية وحاصروا القواعد الانجليزية بخطوط سميت بأحكام ، فأصبحت القواعد الانجليزية عاجزة عن أي إجراء نحو الثورة .

الذي كان يلقى آماله في خنق النهضة العربية على الأسرة الهاشمية التي أفسد الشيطان قلوب الأموات والأحياء من رجالها ونسائها ، ولا سيما صنيعتها المحرم الأول نوري السعيد ، وقد استطاع نوري السعيد أن يعضي الليلة الأولى بعد الثورة محبباً في حى الباب الشرقى إلى أن علمت الثورة بالجهة التي هو فيها ، وفي أثناء البحث عنه بدا له أن يغير خطاه فخرج في ملابس امرأة تصحبه امرأة أخرى فلفتت حركتهما أفتار الناس ، وظن نوري السعيد أن أمره انقضى فاستل مسدسه وجعل يطلقه بغير وعى ، فهاجمه جندى وصرعه برصاصه ، وبعد سقوطه تبين أنه نوري السعيد فحملت جثته إلى وزارة الدفاع ، وبعد تشريحها دفنت في منطقة أبي غريب على بعد ٧ كيلو مترا من بغداد .

وفي اليوم نفسه قبض على فاضل الجمالي وهو متسكراً في ذى أعرابي يحاول الخروج من العراق بطريق البادية ، فاعتقل وتوطئة لحاكت مع أمثاله .

وكان أول مقررات الثورة العراقية في صباح يومها الأول صدور مرسوم بإلغاء النظام الملكي في العراق ، وإزالة شاراته وأسمائه عن الأوضاع والمرافق العسكرية والمدنية وغيرها .

وفي قصر الرحاب لما رأى فيصل القوات المسلحة وأدرك موقفه قرراً بالاستسلام ، فبادره خاله عبد الإله بلطمة شديدة على وجهه ليثنيه عن ذلك ، وتناول من حرسه مدفعاً رشاشاً وأخذ يطلقه على جنود الثورة ، فقتل جنديين ودرئيس عشرة ، وكان من المصلحة أن يقبض عليه هو والمالك وهما على قيد الحياة ، لكنه تعمد أن تكون نهايته الموت لا الاعتقال ، فاضطر رجال الثورة إلى قتله ، وجر الشعب جثته في الشوارع ، ثم صلب على باب وزارة الدفاع في المكان الذي كان عبد الإله قد أمر أن يصلب فيه القائد المجاهد صلاح الدين الصباغ من قادة جيش العراق في ثورة رشيد عالي الكيلاني أثناء الحرب العالمية الثانية . أما الملك فيصل فوجدت جثته مطروحة في أرض القصر وكان المفلتون أن خاله قتله ، لكن لم يوجد في جسمه أثر للرصاص ، وكل هو مريضاً بالربو ولعله مات متأثراً بالخوف والضعف . إن جبايرة الاستعمار في الأرض لم تنفذ عبيد الكراسي من قضاء الله المحرم ، فويل لجبايرة الأرض من جبار السماوات .

إن أدروع ما في ثورة العراق قيامها على قوة الأخلاق ، فحزرت استعلامات الغرب وأذنا به من أن تشمر يواحد الثورة ، حتى فوجئت بصدمتها العنيفة التي أذهلت لتدن وواشنطن وجميع أوكار الطغيان الاستعماري



## يطلب الاحتلال للأردن

اجتمع حسين حفيد الملك عبد الله بكبار مستشاريه العسكريين والسياسيين يوم الأربعاء ١٦ يوليو ، وتم الاتفاق على الاستعداد لبريطانيا وأمريكا لاحتلال بلاد الأردن ، فيحتفظ بالكريسي الذي تزلزل بثورة العراق ومصر فيصل وعبد الله وتوري السعيد . وقد وجه حسين نداء لبريطانيا وأمريكا كانت نتيجته أن بادرت بريطانيا بإرسال قوة كبيرة من جنود المظلات إلى عمان ، كما كان من نتيجته تمهيد الطريق لإرسال قوات أمريكية إلى الأردن . وقد تأكد أن القوات البريطانية التي وصلت إلى عمان مرت فوق إسرائيل بموافقة الحكومة الإسرائيلية .

## مهزلة حراسة ملك الأردن

وجه النائب العمالي ايمن هوز سؤالاً في البرلمان البريطاني إلى مكيلان رئيس الوزارة: أليس من الأفضل تأمين حراسة حسين ملك الأردن أن يقيم في بريطانيا في حماية البوايس الانجليزى ، بدلاً من إرسال قوات بريطانية إلى الأردن لحمايته هناك ؟ فأجابه رئيس الوزارة : أعتقد أن الملك حسين يشعر بأنه يجب ألا يفقد بلاده في الوقت الحاضر ، ولذلك فإني لا أنكر الآن في دعوته لزيارة بريطانيا . . .

ومرسوم بإعلان الجمهورية العراقية .

ومرسوم بتكوين ( مجلس السيادة ) ، واختيار الفريق الركن نجيب الريعى رئيساً له .

وتولى رئاسة الوزارة في الجمهورية العراقية لأول مرة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ، الذي كان في قيادة اللواء العشرين عند تطهير الأصنام التي أقامها الاستعمار لاستعباد العراق .

وبعد دقائق من إعلان الجمهورية العراقية قررت الجمهورية العربية المتحدة الاعتراف بها والتعاون معها ، ثم أعلنت رسمياً أنها ستقوم بالتزاماتها كاملة تجاه جمهورية العراق وفقاً لميثاق الضمان الجماعى العربى ، وأن كل عدوان على جمهورية العراق يعتبر عدواناً على الجمهورية العربية المتحدة . وهذا النص كتبته الرئيس جمال عبدالناصر بخطه وهو في المدمرة ( الناصر ) في بحر الأدرياتيك وبعث به في برقية مفتوحة ليتداع من القاهرة .

إن الشعب العراقي عن بكرة أبيه كان يدا واحدة مع الجيش في تثبيت العهد الجديد والابتهاج به ، وعقد القلوب على حمايته بالأرواح والدماء والعزائم ، وقد أثبتت انتفاضة العراق لكل مكابر في الأرض أن العروبة خرجت من القمم ، وستتأق رسالتها في التاريخ .

## لا توجد قوة

توقف قوة القومية العربية

قال زعيم حزب العمال البريطاني في خطاب ألقاه على مؤتمر شعبي كبير بمدينة دوهام :  
إننا نتخذ أنفسنا إذا كنا نظن أن بريطانيا وأمريكا سوف تسكنان من وقف قوة القومية العربية المتزايدة .

ولا يمكن لأحد أن ينكر أن هناك حركة ضخمة ضد حكم الملك حسين ، كذلك لا يمكننا أن نسكر أن قواتنا أجبرت على الانسحاب من الأردن قبل سنتين بسبب الشعور الشعبي الجارف المعارض لتحالف الأردن مع بريطانيا ويخطئ كل الخطأ من يظن أن هذا الشعور قد ينخر

## خطبة جمال عبد الناصر

في الذكرى السادسة لثورة

خطب الرئيس جمال عبد الناصر في مساء الثلاثاء ٥ المحرم ( ٢٢ يوليو ) في ميدان الجمهورية بالقاهرة .

حضر من بغداد وفد برئاسة السيد مصطفى علي وزير العدل للاشتراك في هذه الذكرى .  
وبلغ عدد الذين احتشدوا لسماع الخطبة أكثر من ٧٥٠ ألف مواطن .

قال الرئيس إن هذا العيد عيدان : عيد ذكرى ثورتنا ، وعيد قيام الثورة العراقية . لقد وقفنا الاتفاق مع العراق فوراً . ولم نكون في حاجة إلى ميعاد لتوقيعه ، فإنه كان موقفاً يفتنا منذ الأزل .

طلب الرئيس من دول الأرض الاعتراف بحياد الشرق الأوسط العربي ، وأنه لا بد من احترام إرادة الشعوب . وأن العالم وصل إلى ساعة الحرب بسبب الشرق الأوسط ، ولكن الأزمة مفروضة على الشرق الأوسط من خارجه ، ولو تركت شعوب الشرق الأوسط لنفسها لما اختارت إلا السلام .  
إننا نريد صداقة الجميع ، ولستنا لا نريد أن نجعل في بلادنا قواعد أجنبية تهدد غيرنا وتعرضنا للتهديد .

لقد عجزت مدافع الاستثمار عن حماية العملاء الذين لا يعيشون إلا في ظلها ، ولكن مدافع الاستثمار لم تعد أقوى المدافع في الدنيا .  
إن كفاح شعب الأردن انعكس بسبب انحراف ملك الأردن وتشكره لشعبه ، ولكن كفاح الأردن سوف يتصير ، لأن انحراف أي فرد لا يمكن أن يؤثر في كفاح شعب .  
إن حسينا يواصل الآن في عمان الرسالة التي حملها جده عبد الله من قبله ، رسالة الحياة في فلسطين ، وإن حسينا هو سر جده ، والحياة في الأردن ستنتهي وينتهي معها الاحتلال . وسوف ينهزم الاستثمار الأمريكي في لبنان ، ويلقى نفس المصير الذي سيلقاه الاستثمار البريطاني في الأردن ، إنه نفس مصير الاستثمار في العراق . لقد انتهى عهد العملاء ، وبدأت ثورة الأحرار من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي .

لماذا يخافون من القومية العربية ؟ هل

## جمال وحركة التحرر العربي

خطب خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي في حفل أقامته سفارة جمهورية بولونيا بموسكو ، فتحدث عن اجتماعه الأخير بالرئيس جمال عبدالناصر ، وقال عنه : « إنه قائد حركة التحرر في العالم العربي وليس شيوعيا مثل ، ومع ذلك التقينا فوراً وهم كل منا حفيظة الآخر ، وجعلنا العمل المشترك من أجل السلام . وقد اتفقنا على مواجهة مؤامرات الاستعمار بكل طاقنا ، وعلى منعهم من إشعال الحرب في الشرطين الأدنى والأوسط .

« إن الاستعمار لن يستطيع وقف حركة التحرر العربي . وإنني أرحب بجمهورية العراق وقادتها . ويجب سحب القوات الأمريكية والبريطانية من لبنان والأردن . ولن تستطيع الحراب الأجنبية أن تحول دون سقوط الحكام الذين يفقدون ثقة شعوبهم .

وقال خروشوف يصف الزعيم الركن عبد الكريم قاسم : « إنه رجل شجاع ذو صفات رائعة ، لأنه لم يخف من الاستعماريين » وقال عن حسين حفيد عبد الله « إن مصيره سيكون مصير قيصر روسيا » .

وقال عن شمعون « إنه معلق في الفضاء ، لا يقف على أرض » .

أغلقتا قناة السويس بعد تأميم شركتها كما كانوا يخشون ؟ هل سيمنع العراق بثروته بعد تحرره كما يتصورون ؟

لقد تركنا أعوان الاستعمار في العراق لشعب العراق ، لقد ود شعب العراق عليهم . باسمكم في هذا المكان ، باسم دمشق والقاهرة أرحب برجال بغداد الشقيقة العزيرة ، باسم الأمة العربية جميعاً أرحب بوفد جمهورية العراق . إننا نعتد أولاً وأخيراً على الله ، وعلى قوة الشعب التي نعتبرها من قوة الله .

إن العالم اليوم أصبح إما أن يتجه إلى سلام ، أو أن يتجه إلى حرب . إما أن يتجه إلى بقاء ، أو أن يتجه إلى فناء . نحن نبدل كل جهدنا من أجل السلام ومن أجل البقاء . وفي نفس الوقت نحمل السلاح جميعاً من أجل المحافظة على كياناتنا ، ومن أجل صد أي عدوان على أي جزء من الوطن العربي .

نحن في هذا تؤمن بالله ، وتؤمن بالوطن ، وتؤمن بأنفسنا وتؤمن بكفاحنا . وبهون الله سترفع دائماً أعلام النصر على كل جزء من أجزاء وطننا كما ارتفعت قبل ذلك في القاهرة ، وكما ارتفعت في دمشق ، وكما ارتفعت في بغداد . والله يوفقكم . والسلام عليكم ؟

## الفهرس



المكتوبة أن هذا الإيحاء والتوجيه والإملاء والإيجاب لا يحقق إلا مصالح الغرب وأهدافه ، وحتى لو كان يخالف مصالح الدين يريد الغرب أن يملئ عليهم إرادته ويعرضها عرضاً . . .

لما قامت الثورة العربية في مصر قبل ست سنوات كانت عنوان السكّال فيما توخّته من الحق والخير ، وفيما التزمت من الإحسان والإصلاح ، وما أخلت به من مناهج التعمير وأسباب التقدم . وقد رأى العالم كيف مدت ثورتها يدها إلى جميع الأمم والدول بالتعاون على مآثي المصالح المشتركة ، والمنافع المتبادلة . وكيف اعترفت بحق الاستمتاع المشروع لكل من اعترف لها بمثلها . وقد كنت أنا - كإنسان في هذا المجتمع الإنساني - أراقب موقف الغرب من هذه الثورة العربية ، وأرى من الحق لها على أمم الحضارة أن تستقبل أحداث مصر ولو بمثل ما استقبلت به أوروبا وأمريكا الأحداث التي وقعت في تركيا عند قيام الكمالين . . . ولكن شتان ما بين الموقفين . . . موقف الغرب من ثورة الكمالين في تركيا ، وموقفه من ثورة العرب في مصر وشقيقاتها . . .

أنا لا أبني أحكامي على تصرفات الساسة وأقطاب الدول ورجال الحكومات ، بل أوسع دائرة هذا الحكم حتى تشمل قادة العسكر وأعلام العلم وأساتذة الجامعات ومؤلفي الكتب المتنازعة التي لا تسكّد تخرج من المطابع حتى تترجم بمختلف اللغات . هؤلاء الذين يتبجح المتبجحون منا بـ «رمعون لنا» - منذ كنت أنا في المدرسة الابتدائية قبل ستين سنة - بأنهم امتازوا بالتسامح الديني والجنسي ، وأنهم لا ينطوون على حقد أو ضغينة للذين يخالفونهم في العقائد والمذاهب وأساليب الحياة في المجتمع الإنساني . . .

إن الذي يتفرغ للمقارنة بين موقف قادة الفكر الغربي من ثورة الكمالين في تركيا بالأمس ، وموقفهم من ثورة العرب في أوطانهم الآن ، لا يلبث أن يجد نفسه أمام حقائق محزنة ، أقل ما يقال فيها : «إن ما كن - ولا يزال - يرعاه لنا صنائع الغرب من القائمين على جامعاتنا ومدارسنا وصحافتنا وثقافتنا ، ليوهبونا أن حضارة الغرب وثقافة الغرب امتازت بالتسامح الديني والجنسي ، وأن العربيين لا ينطوون على حقد أو ضغينة للذين يخالفونهم في العقائد والمذاهب وأساليب الحياة في المجتمع ، أقل ما يقال في هذه المزاعم إنها أعظم أكفوبة في التاريخ .

نحن الآن - ويا للأسف - في حرب مذهبية مع الغرب ١

هذه حقيقة لا يكابر فيها إلا غافل أو صاحب غرض .

إن صحف الغرب نفسها ، تملت منها بين الحين والحين ، كلمات صريحة بالحرب المنهية التي أعلنتها الغرب على الشرق العربي . وفي مقالة والتر ليبان التي علق بها في صحيفة « نيويورك هيرالد تريبيون » ، على خطبة أيزنهاور يوم الثلاثاء ١٥ يوليو الماضي ، ولخصتها الأهرام يوم ٥٨/٧/٢٩ في باب « العالم يفكر » ، اعتراف بأن أمريكا تحارب القومية العربية وجما عبد الناصر « حرباً مذهبية » ، ثم قال الكاتب الأمريكي عن موقف أمريكا في لبنان : إن معنى هذا الوضع أن نظل في معركة من « معارك الحرب المنهية » مع القومية العربية إلى مالا نهاية ، فالواجب يقضى بإجراء مفاوضات لتسوية المشكلة على أساس الاعتراف بأن كلا من روسيا والجمهورية العربية المتحدة من الدول التي تقصى ( المصلحة ) بالتفاهم معهما ...

هكذا تقول جريدة نيويورك هيرالد تريبيون ، وهي تدعو إلى هذا الاعتراف والتفاهم باعتبار أنه من ( مصلحة ) أمريكا ، لا باعتبار أن الإصرار على موقفها العدائي عار وفضيحة ، ولا باعتبار أن أمريكا غارقة إلى أذنانها في « معارك الحرب المنهية » مع القومية العربية التي تحاول أن تجمد كيائها وتستألف حياتها في خدمة الإنسانية .

الإصلاح والتعمير والتقدم الذي تم على يد الثورة العربية في مصر - في كل سنة من السنوات الست الماضية - يرجع على كل ما صنعه مصطفى كمال وخلفاؤه وتلاميذهم في أكثر من ثلاثين سنة . ومع ذلك فإن قادة الفكر في الغرب استقبلوا هذا العمل التام في تركيا بالثناء والتشجيع والابتهاج ... فلما قام العرب بثورتهم المجيدة ، التي هي معجزة من معجزات تاريخ العرب والإسلام ، وقف منها الغرب هذا الموقف المخزى الذي اتسم أولاً بالهجوم والانقباض والتشاؤم ، وسرعان ما تحول بعد ذلك إلى مكابدة ومؤامرات ودسائس وألاعيب صيدانية يقف التاريخ منها الآن موقف الهازي الساخر .

وإنم كان عمل السكاليين في تركيا تامها لأنه تناول بالهدم ما كان ينبغي له أن يتناوله بالتنمية والإنعاش والإحياء ، وأهمل ما كان ينبغي أن يتفرغ له من النهوض بالصناعة

والعمران . وإن الأسواق التركية لا تزال عالة حتى على مصنوعات إسرائيل التي يطاردها نحن عن آفاق الشرق العربي ، ونواصل الثيل بانتهاز لإقامة مصانع في ربوعنا تنموق عليها وعلى ما هو أعظم منها . ومع ذلك فإن عمل تركيا الهزيل في أكثر من ثلاثين سنة لا يزال موضع الثناء والانتاح من الغرب ، وخطوات العرب الجبارة في ست سنوات نحو الحضارة والتقدم والعمران لا تزال عرضة لكيد الغرب ومعاركة في « الحرب المذهبية » ، على ما اعترف به الصحفي الأمريكي والتر ليبان في « نيويورك هيرالد تريبيون » .

لقد تساءل الرئيس جمال عبد الناصر في خطبته الكبرى التي ألقاها على سبعمائة وخمسين ألف مواطن في ميدان الجمهورية بالقاهرة مساء ٥ المحرم لمناسبة الذكرى السادسة للثورة فقال :

« لماذا يخافون من القومية العربية ؟ »

هل أغلقنا قناة السويس بعد تأميم شركتها كما كانوا يخشون ؟

هل سيمنع العراق بتروله بعد تحرره كما يتصورون ؟

لا ، أيها الرئيس . إنهم لا يخشون أن نسد قناة السويس في وجوههم ؛ لأنهم يعدون أن من مصلحتنا ومصلحة الإنسانية أن تبقى قناة السويس مفتوحة لكل من يريد الخير لنفسه وللناس . وإنهم لا يتصورون أن العراق سيمنع بتروله عنهم بعد تحرره ؛ لأن بترول العراق من محصولات العراق ، وكل أمة تنشد لمحصولاتها المشتري المصنف . إنهم لا يخشون هذا ، ولا يتصورون ذلك ، لكنهم متعصبون تعصبا ذميا ، ولا يبرهم أن يستأنف العرب رسالتهم القدسية لينهضوا بها وتهض بها الإنسانية معهم ، فهم يحاربوننا حربا منهية كما قال ذلك المفكر الأمريكي تعليقا على حطية أيزنهاور يوم ١٥ يوليو ، ومن أقبح الفس والخذاع ، ومن أعظم الكذب في الدنيا ، ما يشهقنا بعض المدرسين والصحفيين منذ ستين سنة إلى الآن من أن حضارة الغرب امتازت بالتسامح الديني والجنسي ، وأن الغربيين لا يتطوون على حقد أو ضغينة للذين يحالونهم في العقائد والمذاهب وأساليب الحياة في المجتمع .

ولما بدأ أذكاء الشرق العربي يقتسمون بحمارة هذه الأكاذوبة بالنسبة إلى أوروبا ، ولا سيما دولها الاستعمارية ، أطلقت ألسنة المبشرين بالتفرنج من رجالنا تزعم للناس ، كما تزعم طلبة الجامعات وتلاميذ المدارس وقراء الصحف ، بأن أمريكا غير استعمارية ، وأنها طاهرة



الذيل من الإساءة إلى شعوب الأرض ، وأن رئيسها « مونترو » ، سن لها قاعة الاكتفاء الذاق  
« أمريكا للأمريكيين » ، فهي لا تمكن أحدا من بلادها ، ولا تعرض لبلاد أحد !

لقد راجت هذه الأكتفوية في بلاد الشرق العربي ، وصدقها الناس في الشام عقب خديعة  
مبادي « ولسون في حق الأمم بأن تقرر مصيرها » ، فرأى الناس هناك أن يدرأوا مصيبة  
الانتداب من فرنسا وإنجلترا بقبول أهون الشرين وهو انتداب أمريكا ، وزارهم في دمشق  
مستر كراين أحد شيوخ أمريكا ، فازداد انخداعهم ببلاد العم سام التي استعبدوا اليهود  
واتخذوها أداة لأهوائهم يستعملونها كيف شاءوا . فلما اقتضت أمريكا بعبوديتها لليهود ،  
انكشف الغطاء عن عيون العرب أجمعين ، وزلت أمريكا في المرة التي ارتطمت لنفسها ،  
وقديما قال أسلافا : « المرء حيث يضع نفسه » .

أنا من مخضرمي أممي ، رصدت نفسي لأن أكون شاهد حيان لكل ما يمس حيوتها بخير  
أو شر منذ أكثر من نصف قرن . وقد شهدت بعيني كيف كانت أمريكا مرتفعة إلى الأوج  
في نظر أممي عقب الحرب العالمية الأولى ، وأنا أشهد الآن كيف انحدرت أمريكا إلى  
الحضيض لا في أنظار العرب وحدهم بل في نظر الحقيقة أيضا ، فهي على كبرها وغناها صارت  
أقل حرمة عند الناس من الدولة البلقانية التي كانت تسعى دولة الجبل الأسود ، وعلى نفسها  
جنت براقتس !

إن الغرب لا يخشى من الشرق العربي أن يسد في وجهه قناة السويس ، ولا أن يمنع عنه  
بترول العراق ، ولكنه يريد من الشرق العربي أن يتنكر لمعنوياته كما تنكرت تركيا لمعنوياتها  
فيشجعه على ذلك كما شجعها ، ليكون الشرق العربي بهذا التنكر قدوة لسائر أمم الشرق ، أعني  
الشرق الإسلامي . أما أن يكون وفيأ لمعنوياته كما يلوح للغرب عما كان ويكون في الشرق العربي ،  
وأن ينهض بصناعاته فيستغنى بها يوما بعد يوم عن مصنوعات الغرب وريبت إسرائيل ، فذلك  
ما يتشاءم منه الغرب ، ويقم للعرب العقبات في سبيله ، ويخشى أن تسرى عدوى الخير إلى  
سائر الأوطان العربية والإسلامية . وما كنا لنستنكر هذا الموقف من ساسة الغرب وأصحاب  
دوله لو اقتصر عليهم ، حتى لو بلغ في أساليبه العصرية أساليب الحروب الصليبية ، كما وقع  
منذ عهد قريب في مأساة البغي على منطقتي القناة والعريش ، وكما شاهد الآن من المسرحيات  
العسكرية في لبنان والأردن ، وما يقع في إمارة عمان وجنوبي اليمن ومنطقة البريمي ، فضلا  
عن مجزرة الجزائر ، بعد مهزلة المازل بإقامة دولة إسرائيل في قلب الوطن العربي وصميمه .

هذا الكيد المذهبي من ساسة الغرب وأقطاب دوله لم يقتصروا عليهم بل اشترك في مسئولية هذه الجرائم الإنسانية أمام الله والتاريخ الجمهور الأعظم من قادة الفكر الغربيين الذين يخادعوننا دعاء منا ليرومونا بأن أساتذهم في واشنطن ولندن وباريس وروما وسائر مدن الغرب وجامعاته وجامعه بريثون من هذه الوصحة ، وأنهم يتناوون بالتسامح الديني والجنسي ، وأنهم لا ينطوون على حقد أو ضغينة للذين يخالفونهم في العقائد والمذاهب وأساليب الحياة في المجتمع . هذه الأكاذيب الكبرى قد برهن على بطلانها الجمهور الأعظم من أعلام العلم والثقافة وغداة العسكر في الغرب ، منذ استقبلوا نهضة المروية بالثزم والضعفنة والحقد ، وهم يرونها بأعينهم نهضة صادقة خيرة ، تطوى المراحل - بل المفاوز - نحو أهدافها الإنسانية بأسرع مما وقع للغرب في يده نهضة . وبعكس ذلك استقبلوا الانقلاب السكالي قبل ثلاثين سنة بالرقص والتبريج ظانين أن الترك إذا تكروا للإسلام واصطبغوا بصبغة أسيادهم المستعمرين ، فإن الإسلام لا يلبث أن ينهزم في كل أفض ، ويذول من الأرض ، والله غالب على أمره ، ولكل نبأ مستقر ، وسوف يعلمون .

ألا فليعلم صنائع الغرب ودعائهم في جامعاتنا ومدارسنا وصحافتنا وثقافتنا أن من رسالة الثورة العربية القائمة الآن إحياء تراثها وثقافتها ومقوماتها ، وأن من يقف في طريق هذا البعث سيحرقه تياره ، وأن خطر الاستعمار الثقافي الغربي لا يقل - في نظر الثورة العربية - عن خطر الاستعمار العسكري والسياسي والاقتصادي ، فالاستعمار يمشي على هذه العجلات الأربع وهو كل لا يتجزأ ، بل خطر الاستعمار الثقافي أشد وأعظم ضرراً من خطر الاستعمار العسكري والسياسي والاقتصادي ، وداعية الاستعمار الثقافي الأجنبي في الأوطان العربية أعظم خيانة من دعاء الاستعمار الآخرين مهما اختلفت الألوان التي يظهرون بها للناس .

في سنة ١٣٥٠ ( ١٩٣١ ) وقف حكيم مسلمي القارة الهندية محمد إقبال في مدينة القدس - رد الله غربتها - فألقى خطبة على أعضاء المؤتمر الإسلامي المنعقد فيها يومئذ ، وقال :

« إن الإسلام مهدد بخطر من مصدرهما الغرب : أولهما الإلحاد ، وثانيها الاستعمار . وإن مستقبل الإسلام رهن بمستقبل العرب ، ومستقبل العرب رهن بوحدة العرب . فإذا تمت وحدة العرب علا شأن المسلمين في كل أنحاء الأرض » .

إن هذا الكلام كان إلهاماً من الله . وقد نادى به محمد إقبال يوم كان الاستعمار جاثماً على

صدر بلاده بجميع أنقاله ، ويوم كانت أسلحة الإنجليز تقع في وادي النيل من بنيامين إلى مصبه . وما قاله محمد إقبال عن العرب لم يكن فيه موضع تهمة ، ولا لفتق به عن عصية . ولكنها الحقيقة التي سجلها التاريخ في صدر الإسلام للمرة الأولى ، والتاريخ يعيد نفسه . وهذا ما يتشام منه الذين يحاربوننا حرباً مذهبية من أقطاب الغرب وساسته الذين ما منهم إلا من كان مديراً للجامعة من جامعات الغرب ، أو أستاذاً من أساتذتها ، ولا أزال أبدي وأعيد بأن أعلام الجامعات الغربية وعلماءها - كساسة الغرب وأقطابه - في محاربتنا الحرب المذهبية . وقد روى سماحة الحاج أمين الحسيني في مجلة الأزهر ( ٦٠٦ م ٢٧ - جزء جمادى الآخرة سنة ١٣٧٥ ) عن شخصية دبلوماسية غير عربية أن في جامعة أكسفورد كرسياً خاصاً للدراسة الوسائل المؤدية إلى هدم الإسلام ، وأن هذا الكرسي أسس في تلك الجامعة منذ عشرات السنين ، ولا يزال . وفي اعتقادي أنا ، أن في كل جامعة غربية من أوروبا إلى أمريكا مثل هذا الكرسي أو ما يقوم مقامه . وإن الروح التي تصدر عن تلك الكرسي هي التي يتمصها دعاة التفريغ والإلحاد في جامعاتنا ومدارسنا وصحافتنا وثقافتنا ، والله كفيلاً بالأخذ على أيديهم ، يبقطة رجال الثورة الذين قضوا على الاستعمار بعجلاته الثلاث - العسكرية والسياسية والاقتصادية - فلم يبق في بلادنا للاستعمار عبر مجلته الرابعة هذه ، وهي أعجز من أن تجري وحدها إن شاء الله .

ومما يبشر بالخير أن وزير التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة شعر بمواطن الضعف في أداة التربية والتعليم عندنا ، فقال قبل أكثر من سنتين : « إن التعليم في مصر موصل ردى روح الثورة » ( انظر افتتاحية مجلة الأزهر في جزء جمادى الآخرة ١٣٧٥ ) .

على أن استعمار الغرب الثقافي الذي يبشر به بعض رجالاتنا آبل - مع أصله - إلى الزوال بحول الله وقوته . يقول « ول ديورانت » في مقدمة ( قصة الحضارة ) :

« إن السيادة الغربية تزعج الآن نحو الانهيار ، وإن من أعظم أخطاء الغرب ( تجاهله ) فضل الشرق ، واندفاعه بالتعصب الإقليمي إلى غمط الشرق في فضائله وحيويته وانتمائه . ثم ضرب « ول ديورانت » المثل لتعصب الغرب المذهبي - أو الإقليمي - بإصراره على كنيسته التقليدية للتاريخ بأنه يبدأ قصة الحضارة من اليونان ، ويكتفي بالحديث عن آسيا كلها في سطر واحد .

ومن الأمثلة كذلك على تعصب الغرب المذهبي ما أعلته الأستاذ بيرن في ( المؤتمر الدولي للعلوم التاريخية ) الذي انعقد بمدينة أوصلو من بلاد انزوح في شهر أغسطس سنة ١٩٢٨ وهو يتكلم عن « الفتوحات الإسلامية وبداية العصور الوسطى » فكرر دعوته - التي أعلنها في المؤتمر الدولي الخامس - إلى اعتبار ظهور الإسلام هو عاتمة لعصور القديمة وبداية لإيقاظ الإنسانية في أول عصورها المتوسطة ، لأن احتكاك العرب بالإسلام هو الحد الفاصل بين شطري التاريخ القديم والمتوسط ، وحينئذ بدأت أوروبا الغربية تكون مدنية جديدة وحياة جديدة يجب معها اعتبار هذا الحادث - أي حادث ظهور الإسلام - هو نهاية القرون الأولى وظهور عصر جديد . وبما لا شك فيه أن أعضاء المؤتمر الدولي للعلوم التاريخية كانوا يتغامزون بيلاهة الأستاذ بيرن وغمخته عن الحرب المذهبية بين الشرق والغرب التي كان ينبغي له - لو كان منتهبها له - أن لا ينفك هذا الموقف العلوي التليل من حادثة ظهور الإسلام ...

وعالم آخر من كرام العلماء في الغرب ، وهو الأستاذ دوبري ، كان له موقف مماثل في ذلك المؤتمر ، فعنه زملاؤه فيما بينهم جاهلا بتوالييد العلم الغربي في حربه المذهبية على الشرق ، وذلك أن الأستاذ دوبري تكلم عن « نشأة الاستكشافات الجغرافية والأسباب الباعثة عليها » فأعلن أن احتكاك الصليبيين بالمسلمين واستيلاء المسلمين على معانيع التجارة الشرقية هما السبب المباشر لبداية عصر الاستكشاف الذي يعتبر بداية العصر الحديث . فقوبل كلامه هذا من زملائه بالهجوم والإعراض ...

ولولا أن روح الحرب المذهبية هي المسئولة على كياء العلم الغربي لكان لعلماء الغرب شأن آخر في الاعتراف للشرق لعربي والإسلامي بماله من سوابق الاكتشافات العلمية بتخصيص أو مع بما يضطرون إلى الاعتراف به مرغمين ، عند ما لا يكون لهم مناص من هذا الاعتراف . وقد كان في الدولة العثمانية - عندما كنت أنا في سن لطب أستاذ كبير للكيمياء من نصارى العرب السوريين اسمه « واسيل نعم » له في الكيمياء كتاب باللغة التركية في مجلدين كبيرين متمر تدريسه في كليات الطب والمدارس الثانوية ، ومن مزية هذا الكتاب وإضاف مؤلفه أنه كلما بلغ إلى قضية من قضايا الكيمياء يكون فيها للمغرب والمسلمين سابقة وحصل يبادر إلى تسجيلها وإعلانها ، فيعز الطلاب بذلك ويؤمنون بأن لأمتهم سلما في تقدم العلم ، ويشجعهم

ذلك على أن يكونوا خلعاً لذلك السف . وحبذا لو يكثُر في أساتذة جامعاتنا ومدارسنا من نكون لهم هذه الروح التي امتاز بها هذا النصراني العربي الكريم وسيل نعو .  
وسد فقد طال هذا المقال أكثر مما كنت أقدر له ، فأختمه بكلمة لمجلة ( لايف )  
الأمريكية الصادرة في مايو سنة ١٩٥٥ ، وهي :

« إن الإسلام أكثر من مجرد دين رسمي ؛ إنه مذهب في الحياة ، إنه فلسفة ، إنه قوة دافعة لا مثيل لها في العالم الغربي . »

ومما يؤسف له أن الغرب - حتى الآن - لا يريد أن يكون الإسلام أكثر من مجرد دين رسمي . ولا يريد أن يكون مذهباً في الحياة ، ويخشى الغرب كثيراً أن يكون الإسلام قوة دافعة لا مثيل لها في العالم الغربي ، وهذا هو السر في الموقف المتعارض الذي وقفه الغرب من ثورة السكاليين في تركيا ، و ثورة العرب في مصر وشقيقاتها .

إنها الحرب المذهبية كما يسميها والبرليمان ، أو التعصب الإقليمي كما يسميه ول ديورانت ، وهي تقيصة لا تلبث أن تتحد بأحبابها إلى الهاوية ، وأن ترفع من شأن الذين تقاثلهم ظلماً ، فيأخذ الله بأيدي المظلومين ، ويمحق الظالمين ، أو يثوبوا إلى رشحهم ويسيروا مع الحق والخير إلى نهاية الشوط ، فالدنيا تنسع لهم وللناس أجمعين .  
محج الدين الخطيب

## أمريكا أمس واليوم

من أعجب ما تتوارد عليه الخواطر أننا بعد كتابة هذا المقال تفيناً من عين أعيان الحجاز الشيخ محمد نصيف رسالة يذكر فيها انخداع البلاد العربية بعد الحرب العالمية الأولى بالولايات المتحدة الأمريكية ، ومبادئ رئيسها يومئذ ولسون ، وزيارات مستر كراين للبلاد العربية ورجوعه منها حاملاً ثقة العرب بأنصاف الشعب الأمريكي . وكيف تنكرت أمريكا بعد ذلك لتلك المبادئ وتركت الشرق تحت رحمة بني عموميتها المستعمرين عن نواطر منها معهم ؛ إلى أن تردت في الهوة التي بلغت الآن . واخرج علينا الشيخ محمد نصيف الكتابة في هذا الموضوع . والعجيب أنه في الوقت الذي كان يكتب فيه رسالته إلينا كنا نكتب هذا المقال تحت تأثير الموقف الذي اختارته أمريكا لنفسها ، واستحقت به مقت الناس جميعاً .

# نفاية القرآن

- ٦٢ -

الخير من جانب الله وهو يدعو إليه  
والشر من جانب الإنسان وهو متهاوت عليه

« قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فمتنفسه ومن عمى فعمى قلبها ،  
وما أنا عليكم بحفيظ . »

يدرك العقل في غير جهد أن الله وحده ذو الفضل على عباده .  
وأن الإسلام كان نعمة سابقة من عنده ، أفسح بها للناس مجال الخير بدءاً ونهاية ، فلم  
يعكف بهم على الجانب الروحي وحده حتى يحبسوا أنفسهم على رغبة .  
ولم يتركهم لجاذبية المال تستحوذ عليهم حتى يذلوا للمال ، ويعيشوا غلاء في الاستئثار ،  
والجمع ، ويفقدوا الكثير من مقومات الإنسان .  
ولم يدفع بهم دفعاً مطلقاً إلى جانب القوة الآلية في القتاد الحربي حتى يكونوا جبابرة  
عتاة ، وحكاماً عاشقين يفسدون في الأرض أكثر مما يصلحون .  
وإنما اختار الإسلام لأهله أن يكونوا أهل دين معتدل ، وأهل مادة غير جشعة ،  
وأهل قوة رهيبة ورحيمة .  
وبذلك يكون الإنسان روحانياً ومالياً ، وشجاعاً قوياً في حدود الاعتدال من هذا كله .  
وهذه الخصائص كانت جلية فيمن تلقوا دعوة الإسلام أولاً ، وابتسمت عنهم الدنيا  
وفي أيديهم راية القرآن يلوحون بها للعالم كله أن يستجيب لدعوة الله على لسان عبده  
محمد صلوات الله عليه .  
وإذ كانت هذه الدعوة جبهة ، واضحة المعالم والأهداف ، لم يعد للناس عذر عن

تخلفهم ، ولا وجه في ترددهم ، فضلا عن شنائهم ، وتعتهم وصار واضحاً من حق الله على عباده أن يمتن عليهم بما أبدى لهم من أساليب الهداية ، وإن لم يكونوا مهتدين جميعاً . وفي كل امرئ من الناس عقل ، وله اختيار ، وحيثذ يكون اعتدائه بعباله ولا بعده ، ويكون عصيانه خسارة عليه دون سواء .

وفي هذا المقام يهتف النبي محمد بقوله عز شأنه : « قد جاءكم بصائر من ربكم » ، والبصائر جمع بصيرة ، وهي نور في القلب يدرك به المؤمن ما ينقصه من خير ، ويكتشف به ما لم يكن يعلمه ، والمراد بالبصائر هنا الآيات القرآنية لما فيها من دلالات على الصواب ، فهي أسباب الهداية كما أن العين سبب الإبصار النظري ، والقرآن يثير وعي الناس إلى ما توافر لهم من أسباب الهداية في كلام الله وفي آياته الكونية ، حتى يدركون لدينهم ودنيائهم ولأفرادهم ومجتمعهم كل ما يستطيعون تحصيله من نجاح في هذه الجوانب كلها ، لا في ناحية دون ناحية .

والصريح بأن هذه البصائر جاءت من عند ربنا يفيد - أولاً - أنها لم تكن ثم كانت ، ويفيد أنها ذات شأن كبير خطير ، لأنها نعمة من نعم الإله المتكفل بتربية خلقه ، وشموهم بكل ما تقتضيه ربوبيته لهم .

ومقتضى هذا التذكير أن يستجيب العقل لدعوة الطاعة وأن يستقيم في الاختيار لما هو أكرم ، وأتق وأبقى .

وليس بعد هذا الإرشاد والتوجيه مطمع لمن أراد الإرشاد والتوجيه . . . فإذا لم يكن وعي ، ولا حسن اختيار ونصر فلم يبق إلا الانحراف والخمران وهذا ظلم المرء لنفسه ، وجنائه على مجتمعه .

لذلك امتزج السياق التوجيهي بوعد كريم - فن أبصر فلنفسه - وامتزج بوعيد رهيب - ومن عصى فلعنناه - .

يعني من تبصر بالآيات فقد أحرز عملاً طيباً لا يضيع هدراً ، ولا تعدوه ثمرة ، ومن عصى قلبه ولم تفلح بصيرته ، فإنه يتخبط في مسلكه ويضل سعيه ، ويكون وبالاً عليه وحده وربك لا يظلم أحداً .

وليس لأحد على الله حجة بعد البيان والهدى ، وبعد الوعد والوعيد . . . وكان من تمام النصح أن يصارحهم النبي صلوات الله وسلامه عليه - بأن وظيفته فيهم التبليغ فقط ، وأنه

لا يتكامل بهم ، بل يكلمهم إلى ربهم يحصى عليهم أعمالهم ، ويتولى جزاءهم ، وليس بينهم وبين الله وسيط يعفيهم من سلطانه وهذا قول النبي لم : « وما أنا عليكم بحفيظ » . ثم تنقل بنا الآيات إلى توجيهين آخرين :

أحدهما : في قول الله لرسوله - اتبع ما أوحى إليك من ربك ، لا إله إلا هو ، وأعرض عن المشركين - ففي هذا مؤازرة للرسول في نهوضه بالدعوة دون أكثرات بالمعاندين ، ولا تأثر بما يكون منهم ، بل يسكون إيجاباً معهم ، يعطيهم من نصحه ويفيدهم بهديه ، ولا يجاريهم في سلبتهم ، بل يعرض عن سفهم ، وليس منوطاً بعد بحفظهم ، ولا موكلاً بتدبيرهم ، وتعهد أحوالهم ... وكذلك الشأن في كل ذي دعوة ناصحة من أمة محمد - عليه الصلاة والسلام - يقتدى بنيه ، ويكون عائداً بحول الله وقوته ، صابراً على مناهضة الخصوم ، ومثابراً على ما هو بسيله .

التوجيه الثاني : في الآيات - وهو التوكيد لما تقدم - منع النبي والمسلمين جميعاً من اسكمار وما يبدونه ، حتى لا يكون هذا استعزازاً لخصومهم أن يسبوا الله أو رسوله - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ، فیسبوا الله عدواً بغير علم - .

ويتبين من خلال هذا التوجيه أن القائم بالدعوة الإصلاحية جدير به أن يتسامى عن المهاترة ، ويرتفع عن الإسفاف ليكون مسلكه تطبيقاً لدعوته ، وأمانة على صلاحيته لها ، لا أن تكون دعوته في ناحية ومسلكه في ناحية ١٩

فإن اصطناع الدعوة مع الانحراف عن طابعها أسوأ ما يكون هدماً للشخصية وتنقيراً من الثقة ، وضيقاً للجهود .

وهذا ما شهدته بالتجربة في كثير من الأدعياء الذين يتخذون الدعوة - وخاصة الدعوة الدينية - وسيلة إلى المنفعة الشخصية ، ويحتالون على الناس بانطاشهم سبياً الصالحين الصادقين ، حتى تكشفهم الظروف فتكون جريمتهم قاضية على ثقة الناس في دعوات الداعين الآخرين ، ولو كان هؤلاء من المثالية بمكان .

ومن ذلك التوجيه نفهم حكمة الله في عصاة الأنبياء من الكذب ، ومن الحياثة ومن المعصية كيفما كان نوعها ١١ لأنهم مبعوثون من جانب الله برسالة إلى خلقه ، فهم في المرتبة الأولى من الكمال الإنساني ، والبرامة من كل شائبة تحوش سيرتهم .



وكيف تكون الدعوة مجدية إذا تبذل الداعي واستغفر الناس إلى الغضب حينما يشته  
الجدل ويسب غيره أو يسب معبوداتهم دون سب يقتضى ذلك ؟؟  
في موقف الدعوة وفي كل مناسبة تصل بها منهج الإسلام منهج انتقام والملاينة ،  
لا منهج السباب والخاشنة ، إذ البادئ بالسباب والمناوشة هو الجاني الأول ، وهو المنيء  
إلى نفسه وإلى دينه .

وليس معنى هذا أن يرضخ المسلمون لمن يبادرهم بالإساءة ، أو يعمن فيها ، بل القصد  
أن يترشوا ، ويعملوا الحسنة مكان السيئة ، وأن يعضوا الدواء في موضع الداء ، لا أن  
يثيروا الحزازات ، ويضرموا العداوة وهذا أدروع منهج في الترية ، وأقوم سبيل إلى  
النجاح وكسب الخصوم .  
وأخيراً : فهذا نخطه ننتدى به لوقفته .

ولا يضيرنا أن يتخلف البعض ، أو يزور بدعوتنا إلى الحق ، ويسفه عينا بالتجريح  
والجفوة في القول ، فذلك أوضاع شاءها الله ، ولم يجعل مسئوليتها على غير أصحابها وقد قال  
سبحانه - لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - والله يهدينا جميعاً ؟

### عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر

### أعزوا العلم والدين فأعزهم الله

في ترجمة أبي بكر عتيق الوسى - أحد أعلام المذهب المالكي في المغرب في القرن  
الخامس الهجري - أن الأمير المعز بن باديس علم بمكانته من الدين والعلم وبأنه فقير  
لا مسكن له ، فبعث إليه بمال ليشتري به داراً ، فردده وقال للرسول :  
- قل له يدفعه لأربابه ، فإن لم يعلم أربابه تصدق به على الفقراء .  
فأعلم الرسول المعز بذلك ، فبعث إليه كتباً جليلة كثيرة - مثل المدونة والنوادر  
والموازية وغيرها بما له قيمة كثيرة على رموس الخالين - فلما وصل الرسول إليه أعق به  
في وجهه . فلاحظه الرسول وقال له : المعز يقول هذه الكتب في خزائننا ضائعة ، وبتأوها  
عندنا يزيدنا ضياعاً ، فأنت أولى بها .

فقال له : اكتب على كل جزء منها دإنها حبر ( أى وقف ) على طلبة العلم ،  
فكتب ذلك .

# الْبَيْتَةُ

## صلة الرحم

معناها - كونها من أسباب سعة الرزق ، وامتداد العمر - دفع  
التعاصص بين ذلك وبين تحديد الرزق والأجل - جواز حب  
التبسط في الرزق - ومزاولة أسباب ذلك - كيف كانت الأسرة  
المسئلة في سلب الأمانة تصل الرحم - وكيف صارت الآن .

عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من سره أن  
يسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه .

- رواه البخاري ومسلم -

من سره أن يسط له في رزقه : الرزق ما خلقه الله لمنفعة العباد وقد جعل الله من فضله  
لكل عبد رزقا يخصه فلا يموت وقد بقى من رزقه شيء بل إذا انتهى أجله يكون قد استوفى  
جميع ما كان له من رزق - وبسط الرزق التوسعة فيه وكثرته .

وينسأ له في أثره : ينسأ مضارع مبنى للجھول من الإساء وهو التأخير - والأثر -  
قال في النهاية بعد ذكر هذا الحديث الأثر الأجل وسمى به لأنه يتبع العمر قال زهير :

والمرء ما عاش محدود له أمل لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر

وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن مات لا يبقى له أثر ولا يرى لأقدامه في الأرض  
أثر ١ هـ . ويقال أثر الإنسان لكل ما يحدثه بأي عمل من مثي أو غيره فكل حي له أثر  
من حركة أو سكون بمعنى أو غير مثي فالأثر لازم للأجل فقد أطلق اللازم وأريد الملزوم .

فيلصل رحمه : الرحم القرابة من النسب والمراد كل قريب محرماً كان أم لا وارثاً أم لا فيشمل الأولاد والآباء والأمهات والإخوة والعمومة والختولة وأولاد كل . وصلة الرحم إيصال ما أمكن من الخير إلى قريب ودفع ما أمكن من الشر عنه بحسب الطاقة وتكون بالمال والجاء والمساعدة في إنهاء مطلوب والمعاونة على دفع مكروه كما تكون بطلاقة الوجه والزيارة وعبادة المريض والثناء وغير ذلك .

ومعنى الحديث . - من كان يفرح بأن يبسط الله له في رزقه ويمنحه التوسعة فيه ولا يكون ممن قدر عليه رزقه ويفرح بأن يؤخر الله له في أجله وتمتد حياته ويبقى أثره على الأرض فيلصل رحمه بما يستطيع من الخير ودفع الضرر .

قال القاضي عياض لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة والأحاديث تشهد لهذا ولكن للصلة درجات بعضها أرفع من بعض وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام وتختلف باختلاف قدرة الواصل ومقدار حاجة الرحم فنها واجب ومنها مستحب ولو وصل بعض الصلة ، ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعاً ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لم يسم واصلاً .

وظاهر هذا الحديث أن صلة الرحم يحزى الله عليها يبسط الرزق وتوسعته وتأخير الأجل وزيادة العمر وهذا يتعارض مع ما هو ثابت من أن الرزق والأجل مبروخ منهما وأنها مقدران لكل إنسان ، وفي القرآن الكريم : ( فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) ( وفي السماء رزقكم وما توعدون ) وفي حديث البخاري بعد أن ذكر أطوار خلق الإنسان قال : ويؤمر الملك بكتابة أربعة رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد .

وقد أجب عن ذلك :

أما عن بسط الرزق فللرأى به أن يكون الانتفاع بالرزق عطياً بحيث تأدى به مصاح دينية ودنيوية لا تأدى بمثله لشخص لا يصل رحمه مع هدوء النفس ورضاها به وسرورها بكل ما حوّلها ، وإذا لوحظ أن صلة الرحم نوع من الصدقة لم يستبعد ذلك كما قيل في قوله تعالى : ( يحق الله الربا ويربي الصدقات ) .

وهذا الجواب مبني على أن المراد ببسط الرزق الزيادة المعنوية لا زيادة الكمية .

ويمكن أن يراد أيضا الزيادة في الكمية بالأسباب الظاهرة وتكون صلة الرحم من تلك الأسباب . وليبان كون صلة الرحم من الأسباب الظاهرة لزيادة الرزق نقول : لا يخفى أن مركز التاجر والصانع ونجاح كل منهما في عمله كما يتوقف على مهارته وحسن خلقه يتوقف أيضا على ثقة الناس به وهي غالية ودعامة هذه الثقة ثمر فضائله وكثرة الحديث عن حسن معاملته وجودة بصاعته وإتقان صناعته فإذا كانت صفة رحمه مبنية على تشريكهم في الخيرات ومساعدتهم في الملمات كانوا ألسنة تثر عنه مالا يفتقر المذبايع ودعاة لا يدخرون وسما في الدعاية له لأنه يقاسمهم السراء والضراء وبذلك تكون ثقة الناس ولعمري إنها لرأس مال التاجر والصانع وسر النجاح ومصدر الخير .

كذلك لو كان زارعا وكان كما ذكرنا يقاسم رحمه السراء والضراء فإنه يكون بلا شك مطمئنا إليهم فيما لو ألت به حادثة كأن فاص الماء وخاف على زرعه أو سقطت له ماشية في ثر أو اتصلت ألسنة النيران بحقله أو غير ذلك من الأحداث المفاجئة فإن هؤلاء الأقارب يسارعون إلى درء الشر عنه ويتسابقون لتجديته والدفاع عنه بكل ما وهبهم الله من قوة ، ولا تهدأ نفوسهم إلا إذا هدأت نفسه وأطمأن قلبه وبذلك تنجو زراعتهم وماشيتهم ومخاضهم .

فظهر أن صلة الرحم من الأسباب الظاهرة لسعة الرزق .

وأما الجواب عن زيادة الآجال ومعارضة هذا الحديث لقوله تعالى : ( فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) فيقال إن زيادة الآجل إنما هي زيادة معنوية بأرب يسكون وادعا في حياته مطمئنا على نفسه وأفراد أسرته وأن ييسر الله له القيام بأعمال جديلة دينية ودنيوية ويمنحه التوفيق فيه فينتج ويثمر ما لا يتح ويثمر من هو في سنة من لا يصل رحمه .

وقد يجاب أيضا بأن هناك أموراً تعتبر أسباباً ظاهرة للوثة كالغرق والقتل والحرق وانفجار القنابل كما أن هناك أموراً تعتبر أسباباً ظاهرة لبقاء الحياة كالبعد عن الأمور السابقة وكتناول الغذاء وشرب الماء . وصلة الرحم تعتبر من الأسباب الظاهرة لبقاء الحياة . ويمكن تصوير ذلك بأنه إذا كان الشخص قسوى الصلة بأرحامه يشاركهم السراء والضراء

كما قدمنا فإنهم لا شك يحسون بإحساسه فيفرحون لفرحه ويشد ألمهم لآلمه فإذا فاجأته ملة كانهضار في نهر أو إحاطة اللصوص به أو غير ذلك من أسباب الهلاك التي تستدعي طلب النجدة فإنهم يكونون أسبق الناس لإغاثة ودرء الشر عنه وبذل الروح عن طيب خاطر دفاعاً عن حياته الغالية عندهم فينجو على أيديهم وبذلك يستفيد بقية من الحياة ما كان يتمتع بها لولا صلة الرحم .

وأجيب أيضاً بأن المرد بالأثر الذكر الحسن . وصلة الرحم من أسباب التوفيق لطاعة الله تعالى والثناء على صاحبها في حياته وبعد مماته .

وعندى أن الأثر ما يحدثه الإنسان بمزاولة العمل وكل حي له أثر من العمل فإذا مات انقطع أثره من العمل فانتقطع ثوابه وصلة الرحم سبب لتأخر الأثر بعد الموت فيبقى له الثواب كما لو كان حياً وذلك إما بدعاء ذوى الأرحام أو صدقتهم عليه أو استمرار آثار إحسانه عليهم فكل ذلك يبقى له ثوابه بعد موته وذلك فطير قوله صلى الله عليه وسلم إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له فيزداد على ذلك بهذا الحديث صلة الرحم .

وقد يجاب عن المعارضة بالنسبة لزيادة الرزق وتأخير الأجل بأن ذلك إنما هو بالنظر إلى علم الملائكة بما في الصحف التي عندهم أما بالنظر إلى ما عند الله فلا تغير فقد يكون في صحيفة الملك المؤكل به تحديد أجله ورزقه إلا أن يصل رحمه فيزداد أجله إلى كذا ويبسط في رزقه إلى كذا وذلك هو القضاء المعلق وليس لنا أن نبحث عما في علم الله لأنه غيب .

وقد استفيد من الحديث جواز حب البسط في الرزق ومزاولة أسباب ذلك وقد كان كبار التجار في عهد رسول الله بالمدينة من رؤوس صحابته وخلصائه كأبي بكر وعثمان وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملون قوله اليد العليا خير من اليد السفلى نبراساً يستعينون به فهم دائبون على تحصيل رزقهم وأسباب معاشهم إما بالتجارة أو الرعي أو العمل ولو بالاحتطاب إلا إذا دعا الداعي إلى الجهاد في سبيل الله فإنهم يتسابقون إلى بذل دنائهم وأنفسهم لإعلاء كلمة الله فغازوا برضاه واستحقوا عنده أرقى الدرجات .

وهذا الحديث قد دعا إلى صلة الرحم وأخبر أنه يجزى عليها في الدنيا ببسط الرزق وزيادة العمر فالدين يدعو إلى صلة الأرحام وأن تكون الأسرة متماسكة متشاركة في الخير

والضر قال الله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى » .  
وقال تعالى : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل حيراً أو ليصمت ) .

والآيات والأحاديث في الحديث على صلة الرحم كثيرة وقد كان المسلمون الأولون شديدي الحرص على صلة أرحامهم وتعهدهم بالإحسان إليهم وتعريف حاجتهم ليبادروا بفضائلاتهم والفرص لمواساتهم والعطف عليهم ولهذا كان جميع أفراد الأسرة يتبادلون الحب والإخلاص ويفرح كل منهم لفرح أخيه ويتألم لألمه فكلهم جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ولهذا كانت حياتهم وادعة وعيشتهم راضية .

ولكن مع الأسف خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات واقتطعت بينهم وبين ذوي قرباهم الصلات وكل منهم يتنكر لأخيه ولا يتورع عن تقديم الإساءة إليه بل قد تسمع أن الأخ قتل أخاه لأوهى الأسباب وابن الأخ قتل عمه لأنفه الأمور وأدهى من ذلك وأمر ما تكرر حدوثه من قتل الولد أمه أو أباه ليستولى على ما عندهما من مال وكأن القلوب قد نزع منها مع الإيمان الرحمة والعاطفة الإنسانية واستحوذ على العقول الشيطان حتى صارت لا تفرق بين الخير والشر ولا تميز بين المعصية والطاعة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وليس من صلة الرحم بالنسبة للوالدين طاعتها في معصية الله فانه تعالى يقول : « ووصينا الإنسان بوالديه حكاه الله وحنا على ومن فضاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً » وفي الحديث لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق . وقد أرسل إلينا من يسأل : هل يحرم عليه ألا يحقق لأمه ما طلبت من طلاق زوجته مع علمه بأن زوجته لم تسيء إلى أمه ولم ترتكب معها ولا معه ما يستوجب طلاقها .

ونجيبه بما يأتي : إن مطالب والدتك إن لم تكن معصية لله وكانت لا تضرك ولا تؤذي غيرك وكانت بعيدة عن الظلم والجور فأجابتها واجبة - أما إذا كانت معصية لله

وكانت تضررك أو تضر زوجتك وقد تحريت ودققت في التحري وجزمت بأن والدتك ليست على حق في طلبها فأنت في حل من عدم إجابة طلبها بل يطلب منك رفض هذا الطلب ولا يكون ذلك عقوفا ولا قطيعة رحم ولكن ينبغي بعدها أن تجتهد في إقناعها واسترضائها بقدر ما تستطيع .

وإننا لننصح الآباء والأمهات بتقوى الله ومراقبته في أولادهم وزوجات أولادهم وألا يقيموا منهم موقف التعنت والانتقام لأوهام في أنفسهم ، وليعلموا أنه كما أن للوالدين حقوقا على أولادهم وتقصير الأولاد في بعض هذه الحقوق يعتبر قطيعة للرحم كذلك للأولاد على الوالدين حقوق وتقصير الوالدين في بعض هذه الحقوق يعتبر قطيعة للرحم - فليحرصوا على تهئية جو هادئ لأولادهم ليعيشوا في دعة وهناء حتى تفر بذلك أعينهم كما كانت تفر بمسراتهم في طفولتهم والله سبحانه يحفظنا جميعا من الزلل ويهدينا الصراط المستقيم ؟

عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

## شهداء الشام

أهاب بدمعه شجن فسال	بني البلد الشقيق عزاء جلا
أكان السلم أم كان القتالا	يعظم كل جهد عبقرى
كأرحم ما يكون البيت آلا	وما زلنا إذا دعت الرايا
وعندكم هل أذاقنا الوصالا	—لوا الحرية الزهراء عنا
وما صبغ السباسب والبنالا	عرقم مهرها فهرتموها
هوادجها الشريفة والحجالا	وقتم دونها حتى خضبت
بطاهر بجلق ركب الزمالا	سأذكر ما حيت جدار قبر

شوقي

## حول الآراء الدينية

الآراء الدينية في الحوادث الجديدة تختلف أحيانا حسب اجتهاد المفتي وتشعب وجهة نظره في مناهج الحكم حيث لا نص في الحادثة ولا إجماع ، وهذا معنى جليل ودقيق ينبغي على العامة وقد ينبغي أحيانا على بعض الخاصة فيتخذ بعض ذوي الأغراض ذلك الاختلاف دليلا على اضطراب الأحكام الدينية وعدم ثبوت رجال الدين وتحققهم مما يقولون وهنا يمكن الخطر وهنا مجال واسع لذوى النيات الخيثة والدعوات الضالة ينفذون منه إلى ما يريدون ، فقد يتدبرون بذلك الاختلاف إلى التشكك في الدين والسحرية من رجاله . والتشكك في الدين والسحرية من رجاله رسالة لبعض الناس وبعض الصحف في هذه الأيام .

وواجب رجال الدين أن يترشوا في الفتاوى وألا يدهوهم الخوف من قالة السوء فيهم أن يسرعوا إلى ما يراد منهم حتى يستينوا مقاصد المستفتين وحسن نياتهم ، وعليهم ألا يدلوا بأرائهم إلا حيث يكون الأمر جدا لا هولا ، وحيث يكون الداعي إلى الفتوى خشية الله والوقوع في حدوده ، وإلا حيث يشكل الأمر ويلتس الحكم ، أما حيث يكون الداعي إلى ذلك إلغاء العامة وتسليتهم أو الترويج الصعنى أو نحو ذلك فإن واجبهم أن يترشوا ويترشوا ، ولأن يقال فيهم : إنهم قصروا في واجبهم وسكتوا عما يراد منهم خير من أن تتخذ آراؤهم وأحاديثهم مجالا للتندر والفكاهة من المتبطلين العارفين أو الخبثاء المسخرين .

لقد كانت الصحف في الأيام الأخيرة ميدانا لنشر بعض الآراء الدينية ومجالا للنقاش والجدل فيها وقد نال غبار تلك المعركة بعض رجال الدين ، ولم تنته المناقشة إلى رأى واضح محدد يطمئن إليه المحصلون وينتهى إليه الساتلون ، وفاقه يعلم البواعث إلى إثارة بعض هذه المعارك إلا أننا نرى أن بعض هذه الموضوعات التي عرضت للاستفتاء ما كانت في حاجة إلى استفتاء لوضوح الأمر فيها .

ونكتفي هنا بمثلين لنرى أكانت هذه الموضوعات في حاجة حقا إلى مناقشة أو جدال بين رجال الدين أو رجال الدنيا ؟

لقد شغل رجال القضاء والنيابة والصحف ، وشغل معهم رجال الدين بموضوع تبادل الصور العارية بين الشبان والبحث في جواز ذلك وعدم جوازه ، فهل كان في ذلك الموضوع لبس أو إشكال يستدعي البحث وتكرار المقال ؟



إن العامى والجاهل فضلا عن المثقف والعالم يعلم من غير شك خطر ذلك على الشبان والمجتمع ، فيعلم حكمه وهو المنع البات الجازم ، ويعلم أن الحديث في جواز تداول تلك الصور مكابرة لا تحسن من رجال الدين ولا رجال الدنيا ممن يحسنون القصد ويخلصون النية ، وهناك موضوع « مودة الشوال » التي شغلت الصحف أخيراً ، فهل كانت تصح أن تكون موضع خلاف ؟ لا أظن ذلك ، وما كن الناس في حاجة إلى معرفة آراء الفقهاء ، والمفتين فيها . فكل شخص يعلم أن « مودة الشوال » كغيرها من المودات ، إن سترت المرأة وأضفت عليها ظلال الوقار والخشمة فهي من غير شك حلال ، وإن كشفت عن معاتها وأبرزتها في صور من الخلاعة المزرية فهي حرام وحرام قطعاً ، ومكان التزيين بها المنزل وللزوج خاصة لا الشوارع ولا الأندية والمتنديات .

وهنا أعود فأعجب وأنسال هل كانت الصحف أو كل المستفتون جادين في تعرف حكم الدين ؟ وهل ملأت الخشية قلوبهم وملكت عليهم نفوسهم فاستعاذوا برجال الدين واستفتوا المفتين واحسكوا إلى الدين ؟ ؟ .

إننا رجال الدين - في حيرة من أمرنا - وفيما نفعل أمام هذه الأحداث التي تسوقها إلينا المدينيات الغربية وتسلب بريقها عواطف كثير من الشبان والسيدات ويرعون إلى تقليدها دون مراعاة للملامتها لأخلاقتنا وعاداتنا ولديننا وتقاليدنا ودون تدبر لعواقب اصطناعها وتقليدها ، إننا إن تسكمتنا بكلمة الحق والدين سلفونا بالسنة حداد وأقلام شداد ونعتونا بنعوت استعاروا ألفاظها من كتاب الله والله أعلم بتقديرهم للدين ورجله ، ولحق وأبصاره . وقد تشرك بعض الصحف في ذلك فتفيض علينا أنهارها بقاء القول وسط الكلام . وألفاظ التزمت والتعصب والجود والرجعية أحدث ما يستعار من تلك الألفاظ ، وفي غمار ذلك تعرض كرامات بعض الملحوظين من علمائنا للتشهير والتجريح ، وتحرف كلامهم عن مواضعه وتمسحه بسوء الفهم ومعتسف التأويل إرساء لثبوتات في نفوس كتابها وتحديقاً لأغراض هم يعرفونها ويعملون لها لا يبالون في سيلها بخلق أو كرامة ولا بعينهم التمييز بين المشروع منها وغير المشروع .

وإن أمسكتنا عن القول . قالوا : قد استكان العلماء وقصروا في واجبههم وتخلوا عن رسالتهم وشغلهم الدنيا عن الدين وسكتوا عن بيان ضلال المضلين وإلحاد الملحدين .

نعم : إلتنا في حيرة من أمرنا ولكننا لن نقف مكتوفى الأيدى وستحمل من الأذى ما يتحمل المصلحون ، وما جله مصلح قط إلا خوصم وعودى واضطهد وأوذى ، سلاحنا الحق ورائدنا الإصلاح للجمع وللأمة ، وستسير قافلنا فى رعاية الله وبتوفيقه وتسديده ، ولن نضع الميدان لنوى الأغراض والآهواء ، وسيسير الأزهر على تلميذه منذ أرسيت دعائمه فى السكينة حاميا للأخلاق حميا بالمفضلة ، حريصا على الإصلاح ممرا بمكائنه فى نفوس المسلمين فى أقطار الأرض .

ولناكلة نود أن نوجهها إلى إخواننا الذين يتحدثون باسم الدين وقد أشرنا إليها فيما سبق ، وهى رجلونا أن يمحصوا الآراء والأحاديث ويزنوا المستفتين والسائلين حتى يستبينوا طالبي الحق من المتجرين بدين الله ، وألا تحملهم رغبة الظهور إلى المساعدة إلى الحديث قبل أن يثبتوا ويميزوا المقاصد والأغراض .

كما أن لنا رجاء نتقدم به إلى المسئولين من رجال الأزهر ، وهو أن يحاولوا بما يرون من الوسائل - ومنها مشاورة أعيان العلماء - أن يوحّدوا جبهة المتحدثين باسم الدين فى الوقائع المشكلة التى تحتاج إلى دراسة وبحث . وإلى نقض واستمراء وإلى اجتهد واستنباط ، حتى لا يكون الاختلاف فى الحكم عليها سببا لبلبلة الرأى العام ومنفذا إلى النيل من الدين ورجاله من ذوى النفوس الضعيفة والآهواء الضالة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ؟

## أبو الوفا المراغى

### أذان الفجر

لما كان أمين الريحاني فى سفينة شراعية على ساحل جزيرة البحرين قاصداً ساحل الأحساء ، أنقل النسيم جعته فنام قليلا ، ثم أيقظه صوت الملاحين وهم يقبلون الشراع طوعا للريح ويرددون كلمة « صل ع النبي » . قال الريحاني ( فى كتابه « ملوك العرب » ص ٢ : ٣٢ ) يصف أثر ذلك فى نفسه :

« ودر بك أيها الفارسى » ، ما سمعت فى أنعام الليل على المياه أطرب منها ، إلا أن يكون صوت المؤذن فى الخليج العربى وهو يؤذن للفجر ، ليس فى صوات الأمام كلها أدعى منه إلى الورع والخشوع ، وقل فيها ما هو أجمل وقصا فى النفس من صلاة الملاح فى ظل الشراع . »

## خطبة الجمعة

كتب بعض الناس ينتقد ويشكو من أن خطبة الجمعة في كثير من المساجد تطول وتمتد حتى تبلغ نصف ساعة أو أكثر من ذلك ، واقترح بعضهم ألا تزيد خطبة الجمعة عن عشر دقائق أو اثني عشرة دقيقة على الأكثر ، وقد حاول البعض أن يجعل من هذه المسألة مشكلة عويصة كأنها تشغل بال العالم الإسلامي ، أو يتعلق على علاجها صلاح المسلمين جميعاً ، ومن العجيب أن أكثر الذين يتحدثون في هذا الموضوع - ناقدين أو ضائقين - ليسوا ممن يحرصون على شهود الجمع أو سماع خطبها . وليسوا ممن يعنىهم أمر الدين ، أو يشغل بهم صلاح حال المسلمين ، وهذا مما يفتح الباب لنوء الفتن بهذه الحملة ، ويرجع إدخالها في سلسلة المحاولات الموصولة المرادة لتوهين سلطان الدين في النفوس ، والتخلص من ألوان التعبد والتفقه لوفا بعد لون .

ولسنا - علم الله - من دعاة التطويل الممل في الخطب ، ولا من أنصار الإثقال بها على الناس ، أو استغلالها لغير ما أراد منها الحق جل جلاله ، ولكننا نحب أن نقول إن خطبة الجمعة هي العظة الأسبوعية العامة التي يتلاقى على سماعها أبناء الإسلام ، وإن شئت تعبير العصر فتل إنها الصحيفة الأسبوعية الإسلامية الناطقة ، التي يستمع فيها المسلمون إلى كلمة الله تبارك وتعالى فيما يهمهم من شئون الدين وشئون الدنيا .

وهذه الخطبة تأتي في يوم الجمعة العظيم الجليل الذي ورد في شأنه وفضله من الأحاديث والآثار ما وريد ، وحسنا قول رسولنا صلوات الله عليه : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة » .

وقد سمي هذا اليوم يوم الجمعة لأنه يجمع الناس ، إذ يجتمعون فيه للخطبة والصلاة ، ولنا كيد التعارف ، وتوطيد المحبة ، وإحياء القرب ، وإذكاء كائن هذا هو العيد الأسبوعي للمسلمين .

وقد جعلت الخطبة ركعتين تضافان إلى ركعتي الجمعة ليكون المجموع كصلاة الطهر التي تنوب الجمعة عنها ؛ ولعل الخطبة تأتي قبل الصلاة لتكون إيقاظاً لمشاعر الدين في النفوس ،

فتقبل على الصلاة عقبها في خشوع واعتبار ، وإيسعها الناس في هدوء وسكينة واصطبار لأن بعدها واجب الصلاة ، وقد ورد في شأن حسن الاستماع إلى الخطبة ، والاندماج فيها والتأثر بها ، والتأدب معها ، ما لا مزيد عليه ؛ حتى عندها فريق من الفقهاء كجزء من الصلاة ، والرسول هو الذي يقول معلناً الترام الصمت الكامل أثناء إلقاء الخطبة : « إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب الجمعة : أنصت ، فقد لغوت » . ولا يكون هذا إلا لمكانة الخطبة وجلال شأنها .

ولا عجب لخطبة الجمعة يراد منها التنفيع في الإسلام ، والحديث الشريف يقول : « من رد الله به خيراً يفقهه في الدين » . وهي تذكير بالله سبحانه ، وتحبيب في ثوابه ، وتخويف من عقابه ، والله يقول : « فذكر بالقرآن من بحاف وعيد » . ويقول : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » ، ويقول : « فذكر إن نفع الذكرى ، سيذكر من يخشى » ، ويتجنبها الأشقي الذي يصلى البار الكبير ، ثم لا يموت فيها ولا يحيا » . وهي محاولة لإيقاظ القلوب الغافية التي تظل طيلة الأسبوع راتعة أو جامحة ، فهي بحاجة إلى إحياء وتقوية ، وجلالة وتصفية ؛ وما أنفع الكلم الطيب في الأئمة السليمة والنموس الكريمة : « ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء » .

ولمكانة الاجتماع يوم الجمعة لسبب الخطبة وللصلاة حرص الإسلام المسلم على أن يذهب إلى هذا الاجتماع الجليل المشهود المجموع له أناس نظيفاً مغتسلين متطهرين متطيبين بالطيب والعطور ، لأنساً أحسن ثيابه . مستعداً لكي يجلس مع إخوته في الله هذه الجلسة المبسوطة المنفوحة بالبركة ، يتذاكرون ويتبادلون مشاعر الخير وعواطف البر ، وأمر الإسلام بأن يترك المسلم من أجل الخطبة والصلاة ما يشغله أو يستحوذ على اهتمامه وعنايته ، وما هو ذا القرآن المجيد يأمر المؤمنين بأن يتركوا ما يشغل الإنسان ويجذبه عادة وهو البيع والشراء ، فيقول : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » . أى أقبلوا على الجمعة ببيانكم وقلوبكم واهتمامكم ، واتركوا من أجل ذلك ما يحلو لكم أو يعجبكم ، فلو كان الإسلام يريد منا أن نؤدى الخطبة والصلاة أداءً ليا سريعا ، لا نأثر به ولا استغراق فيه ولا انسجام معه ، فلماذا يحرضنا على العناية بالسعى إليهما كل هذا التحريض ؟ ولماذا يؤكد علينا أن نقبل على اجتماع الجمعة بمزيمة واجتهاد ؟

ومما يعطل به الداعون إلى أن تكون خطبة الجمعة عاجلة مبتورة ، آلية شكلية ، أن بعض من يسمعون يكون على سفر ، أو في مرض ، أو نحو ذلك ، وكأن هؤلاء قد جهلوا أن الإسلام لم يوجب الجمعة على أصحاب الأعداء والضعفاء ، فلم يوجبها على المرضى ، أو الرمنى ، أو المسافرين ، أو الصيَّار ، أو النساء ، أو المكفوفين الذين لا يجدون قائداً ، أو الخائفين من الجور ، حتى قال الفقهاء إن المشغول بمنازة صديق حميم لا يجده من ينوب عنه فيها تسقط عنه الجمعة ، ومن يؤذيه المطر والوحل تسقط عنه ، وهكذا .

ولكن هؤلاء لا يقصدون في الواقع الرفق بأصحاب المعاذير ، أو التحفيف والتيسير على الجماهير ، وإنما يريدون أن تكون الخطبة عشر دقائق ، حتى يوهنوا عوامل التدين في النفوس ، ويجعلوا الدين رسوما حائلة وأركاناً مائلة ، وإلا فهل يصعب على الإنسان المسلم أن يتخلص من ساعات الأسبوع الكثيرة ساعة أو نحوها يقضيها في بيت الله ، مجتمعاً بإخوته في الله . متحفوا من أوزار الحياة ، متبلا على رحاب الله وحماه ، مناجياً له بما يحبه ويرضاه ١٩ . . .

وإذا كان الفقهاء قد ذكروا الحد الأدنى الذي يصح أن يطلق عليه اسم الخطبة ، وهو أى كلام فيه حمد لله وذكر له وأمر بالتقوى وتبصير بالدين ، فإنهم قصدوا بذلك تحديد الأحكام وتفصيل الأحوال ، لا أن تكون الخطبة بهذا الحد الأدنى . وهل تحقق الثمرة المرجوة من الخطبة إذا اتسمت بهذه العجلة وهذا الانقضاب ، ونحن في زمن تعطلت فيه ينابيع الثقافة الدينية ، وزحمت الناس فيه ألوان من الثقافات الدخيلة والمعارف العلية ؟ وأنت تجد المجلات الدينية أقل المجلات انتشاراً ، وتجد إقبال الناس عليها ضعيفاً ، ولقد تدخل البيت من بيوت المسلمين فتجده مزحوماً بأنواع وألوان من المجلات المنحلة أو الماجنة ، ولكنك تبحث بين هذا الزكام عن المجلات الدينية فلا تجدها . . . وتناول الصحيفة اليومية فإذا فيها ما فيها من أخبار السياسة ومسائل الفن والقصص والقصائد . . . فهل جعل هؤلاء الدين ركناً أو عموداً بين هذه الألوان من الكتابة ؟ . . . وهذه هي المجلات الأسبوعية والشهرية تضيع في السوق وتضيع بين الناس ، وهي تحمل الكثير من الهضائح والقبائح ؛ فهل خففوا أحمالها وأثقالها بشعاع من الحديث عن الدين ؟ . وفي أغلب الأحيان تنشر الصحيفة قصصاً غرامية مثيرة كل واحدة منها تستغرق صفحة كاملة ، وهي لا تخرج

عن تصوير العلاقات الجنسية ، ومع ذلك لم يشك من طولها أحد ، ولو وضعوا مكانها ما يعادل نصفها حديثا عن الدين لقال قائل : وما هذا الطويل ؟ . .

وهذه حفلات ماجنة أو مائعة ، تبدأ من صدر الليل وتستمر إلى مطلع الفجر ، وتذاكرها غالية الثمن ، والإقبال عليها شديد ، والقوم جلوس يسمعون ويستعيدون ويستزبدون ، لا يمر بهم ملل ولا سأم ، ولا ينالهم نوم أو تعب ، ولا يشكو واحد منهم طولاً أو امتداداً ؛ وكيف وهو يسمع ما يخاطب الغرائز ، ويرى ما يثير الشهوات ؟ .

وأما لو كان المسموع حديثاً جدياً يخاطب العقول والقلوب والضمائر ويستحث المهم والمزائم ، لضافوا به من أول الطريق . .

وقد يظل الواحد منهم يستمع إلى حديث رجل يخافه ويرهبه ، أو يرجوه ويأمل فيه ، وقد يستطيل الحديث ويستطيل ، ثم يمتد ويمتد ، والسامع صابر لا يجرؤ على النقد أو الاعتراض ، وأما كلمة الإسلام فهي التي تعرض - إن انبسطت قليلاً - لمخيلات النقد والتجريح ، فليت هؤلاء يتذكرون قول خاتمةهم : « فلا تخافوهم وخافوني إن كنت مؤمناً » .

لأنهم يشكون ويصرخون لأن بعض الخطب الدينية يستغرق نصف ساعة ولو كان الإسلام متمكناً من العقول والأفئدة لطالبنا بالأقل هذه الخطبة الأسبوعية عن نصف ساعة ، بشرط أن نأق على وجهها السليم ، وفي الموضوع الملائم ، وبالأسلوب المشوق المؤثر ، إذ ليس بالكثير على الأمة المؤمنة المتعبدة أن تصبر كل أسبوع نصف ساعة على خطبة حية تفقهها في الدين وتصلها برب العالمين .

وإذا كان السلف في صدر هذه الأمة المسلمة قد أوجزوا في خطبهم أحياناً ؛ فلأن الفقه بالدين كان شائعاً ، ولأن الحرص على أوامر الله كان دائماً ، ولأن صوت الإسلام كان مرتفعاً ، لا يراحمه فسوق أو إلحاد أو انحلال ؛ وأما اليوم فما أجدر الخطبة بأن تستط وتتمد قليلاً أو طويلاً بحسب الحاجة وعلى قدر الطاقه : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبحوه بكرة وأصيلاً » .

وما رأيكم أيها الناس في أن أهل الأديان الأخرى لم يشكوا ولم ييكرأ من طول الأوضاع التعبدية عندهم ، فهم يقضون أوقافاً طويلة في القيام بطقوسهم ورسومهم وترتيلاتهم وترنيماتهم وغير ذلك من تعاليدهم الدينية الواضحة أو المبهمة ، المبهمة أو الغامضة ، دون

شكوى أو حراج ١٩ . فما السر في هذا ؟ ألا أنهم يعترفون بدينهم أكثر مما نعترف بديننا ، ويغارون على عبادتهم أكثر مما نغار على عبادتنا ؟ أم ماذا يكون الجواب يا أولى الألباب ؟ لقد كان أجدادنا يقبلون على مواطن العظة والعبرة والادكار بأقنعة واعية وصدور حية وجلود متشعرة ، وكانوا يجحدون لنتهم الروحية والنفسية في إطالة اللحظات التي يركنون فيها إلى تلاوة أو مناجاة أو حديث عن الله والإسلام ؛ وهذا هو الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رصوان الله عليه يروى عنه أنه كان كثير الاستماع إلى العظات ؛ فكلما لقي رجلا أهلا لقول كلمة طيبة قال له : « عظمي » ؛ وكان كثير التلاوة والاعتبار بما يسمع أو يقرأ ، ويروى أنه صلى العشاء وجلس يتلو سورة الأنفال ، فما زال يردددها ، وكلما مر بآية عذاب تضرع ، أو بآية رحمة دعا ، فما زال كذلك حتى أذنوا للصبح ؛ وكان يجمع العقهاء عنده كل ليلة يتذكرون الموت والآخرة ، ثم سيكون كأن بين أيديهم جنازة ١ .

\*\*\*

قد يقال إن بعض الخطباء لا يحسنون الخطبة ، أو لا يطرقون موضوعات ملائمة ، أو لا يجيدون التعبير ؛ وليس هذا عيب الخطبة ولا عيب يوم الجمعة ، وإنما المسئول عن ذلك هم الذين اختاروا هؤلاء ، ومن الواجب أن نحسن اختيارهم ، وأن ندقق فيه مخلصين قاصدين وجه الله والإسلام ، لا المنفعة ولا الوساطة ولا الهوى .

ونحن نقرر مرة أخرى أننا لسنا من الدعاة إلى الإقبال على الناس في الحديث ، ولسنا نرتضى من صاحب الخطبة أن يسيء عرضها ، أو يسيء استغلالها ، أو يخضعها للأهواء والأعراض ، أو يففل عن الظروف والمناسبات ، فما يقال للشنفين لا يقال لغيرهم ، وما يقال لقوم مستقرين مستظلين غير ما يقال لقوم قلقين بسبب حر أو شمس أو مطر أو برد شديد أو نحو ذلك .

ولكننا نتحدث عن الأحوال العادية الغالبة ، ونحن نريد فقط الوعي الديني في صدور الذين يتسبون إلى الإسلام ، ثم يجهلون الكثير من تعاليم هذا الإسلام ، ونريد أن نقطع الطريق على الذين يستحقون بالدين ، ويسخرون من التمسك ، ويكيدون للإسلام ، ويحاولون جعله أشكالا ورسوما لا روح فيها ولا حياة بها ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

## دروس من العراق

ماكدت أعاود الكتابة في مجلة الأزهر ، حتى كان أول ما كتبه في عدد المحرم ١٣٧٦ هـ ( أغسطس ١٩٥٦ م ) مقالا عنوانه : « هجرة في سياستنا الخارجية » قلت في مقدمته .

« في شهر سبتمبر سنة ١٩٥٤ م عقد السيد نوري السعيد مؤتمراً صحفياً بالسفارة العراقية في وقت صلاة الجمعة فيما أذكر - وكشف عن مداولات اللجنة السياسية في الجامعة العربية ١٩٤٩ م ، وما تجلّى فيها من روح ... فقد أقيمت حينئذ أسئلة ثلاثة :

١ - هل يمكن للدول العربية أن تتعاون مع الدول الشرقية ( روسيا وتوابعها ) ؟؟ فكان الجواب بالإجماع إن ذلك غير ممكن ما لم تصبح الدول العربية شيوعية .

٢ - هل يمكن للدول العربية أن تقوم بسياسة الحياد فلا تقف مع الشرق ولا الغرب ؟ وكان الجواب إن الدول العربية ضعيفة .

٣ - هل يمكن للدول العربية أن تتعاون مع الغرب ؟؟ وجاء الجواب بالإجماع ، إن هذا التعاون مقبول على شرط أن تحل قضية مصر وقضية فلسطين . وقد انتهى الآن الخلاف بين مصر وبريطانيا ونأمل أن نسمي لحل قضية فلسطين بشكل يرضى العرب ، ا. هـ ملخصاً .  
ثم عقيبت على ذلك قائلاً :

« ... أنا هنا أحمل الماضي لابين سياستنا سنة ١٩٤٩ ثم سياستنا الآن .. لقد مرت علاقاتنا مع إنجلترا خلال تلك الفترة بتجارب دبلوماسية وكفاحية مريرة ، ومر نظامنا الداخلي في الحكم بتغير وتطور ... وأثبتت هذه الحقبة من التاريخ خطأ السياسة التي ارتسمت خطوطها في مداولات اللجنة السياسية ، أو - على الأقل - في أدمغة كثير من ساسة العرب ، أو - على أقل القليل - في دماغ نوري السعيد نفسه !



• استوردنا الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا ، واعترفنا بالصين الشعبية ، واجتمعنا في أرض يوغسلافيا ... ولم نصر شيوعيين !!

• ووقفنا تناصر سياسة الحياد في باندونج ، وفي بيروت ... دون أن نجد ما يلزمنا لأن نحرز القبلة الندية أو الهيدروجينية قبل أن تسلم في الحياد !!

• وأردنا أن نحافظ على حسن صلاتنا مع الغرب ... ولكن الغرب أصر على أن تكون التسمية هي ثمن التعاون !! وأظهر الغرب أنه يريد أن يقدف قضية مصر لأن يحلها وأنه مصر على بقاء إسرائيل وحذف فلسطين من الخريطة إلى الأبد !!

إنها هجرة .. غيرنا بها معالم سياستنا الخارجية ، بل قلبناها رأساً على عقب ! ، ا. ه. ا .

• • •

وكانت هذه الهجرة ( المصرية ) في السياسة الخارجية العربية ، تأخذ طريقها إلى عقول الأمة العربية ... ولم تخطى طريقها في مستقر نوري السعيد نفسه - في أرض العراق !!

وكلما مرت الأيام تأكد في أذهان الملايين من العرب صواب هذه ( الهجرة السياسية ) فلقد تابعت دلائل نجاحها ، وخرجت من المحن والشدائد صامدة متصرة .

وكلما خطا الغرب خطوة تمزق بضاعة المتشائمين ، تقدمت هجرتنا السياسية خطوات وخطوات ...

أرعد الغرب وأبرق حين أعلنت مصر تأميم القناة ، وأقبلت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على الديار الوادعة الآمنة معتدية متهجمة ، فاذا بهذا ( الغزو ) المثلث يزيد في تبلور القومية العربية ، وإذا بريطانيا وفرنسا وإسرائيل لا تلبث أن تنسحب ... ولم يكن هذا وحده هو الانتصار العربي ...

لقد تضامنت معنا ( سورية ) الشقيقة فتمتعت النفط عن المسيل عبر أراضيها إلى أوروبا وذقنا قيمة التعاون العربي فازددنا اقتراباً ، وكانت الوحدة مع سورية ...

وعلى العكس من ذلك كان موقف ( حكومة ) نوري السعيد وتلاميذه ، فلقد ذاع وشاع أن الطائرات البريطانية قد استخدمت قاعدة الجبانية في الإغارة على مصر - وحكام العراق اليوم تحت أيديهم مفاتيح كثير من الأسرار - وازداد السخط وتزايد معه السكبت والقمع فكان الانفجار ، وهرج ( العراق ) شعباً وجيشاً يلحق بقافلة الأحرار . جزى الله الشدائد كل خير ...

إن حرب فلسطين وزرع إسرائيل في حلبديارنا كانا منحة في منحة ، وإن الغدر البريطاني الفرنسي الإسرائيلي كان منحة في منحة ... وخرجنا من هذا وذلك ، وقد تكشفت أمامنا العيوب والثغرات ، وتحدت الوجهة ، وتبلورت الوحدة ...  
أما عسونا ، فما أبطل الثمن الذي تكبده من جراء إسرائيل !!

ولن يترك الغرب يدفع الثمن الدامي من مصالحه وميته وسمعته ... ولعله يعقل آخر الدروس - درس العراق !

\*\*\*

وانترك الغرب فلعله يعقل الدروس أو لا يعقل ، ولنتقرأ معاشر العرب دروسا فنحن أولى بالاعتبار وأوصى للمعات !!

إنه لندرس بليغ لكل حاكم يولى ظهره لشعبه ، ويلقى بوجهه للأجنبي يستمد منه العون والظهير ...

ماذا فعل الغرب لنوري السعيد وعبد الإله ؟؟ ... جنازقوماتم ، وصلاة في الكنيسة !  
ماذا فعل الغرب لكييل شمعون ؟؟ ... أقبلت الجيوش والأساطيل ، وقدم المبعوث الأمريكي المختص بشئون الشرق الأوسط ، ليقنع شمعون بالتسحي ويدع الأمر الواقع يسير ، وجاء اللواء شهاب ، فما أطال الأمر يكون عمر شمعون ساعة من نهار !!

وحسين ؟؟ ... إنه يلج على أمريكا في إرسال قواتها ، فلما تعب من الإلحاح على السفير الأمريكي في عمان ، وعلى المستر مورفي مبعوث أيزنهاور في لبنان ، أخذ يعقد المؤتمرات

الصحفية و يعلن أنه طلب نزول الأمريكان بعد الإنجليز ، وأخذ يحادث الصحفيين الأمريكان ويكرر الطلب ، فما استجاب الأمريكان للإلحاح والتوريط ، وفقد الرجل هيئته كمالك متوجسب ١١

والإنجليز الذين أنزلوا رجلهم في مطار عمان .. اقرأ صحفهم تراها تدعو إلى عدم الانقياد لنزوات الملك الأردني ، ومنها ما يدعو إلى إجراء استفتاء في الأردن تحت إشراف الأمم المتحدة لاختبار مدى ولاء الشعب للملك !

وخضع حسين للضغط الغربي فأعلن تنازله عن دعواه في رئاسة ( الاتحاد العربي ) و ( تحرير العراق ) ، ومن يدري فقد يتنازل أيضاً عن تاج المملكة الأردنية الهاشمية ، وهو يندب خيانة الغرب لأمانه ، ما دام لم يتعظ بما حدث لجده وسميه الأول مع وعود مكاهون ١١

إنني أقولها صادقا : إنني أرثي لهذا الرجل .. أرثي له حين ترجم له قصاصات الصحف البريطانية ، فيعرف ما تقوله عنه صحف المال والأحرار ، والصحف المستقلة المحايدة ، حتى بعض صحف المحافظين ١١

وهكذا يطير فيصل ، ثم ترشح صحف الإنجليز حسينا لنفس المصير ... ولو كان هذا وذلك في حراسة الشعوب : لما امتدت يد إلى قلامة ظفر من أيهما ١١

ومن أراد المزيد ، فليطالع ما كتبه وما تكتبه الدلي مرالد ، والمباشتر جلديان ، والنيوز كرونيكل ، والأوبزورفر ، والاسبكتاتور ، والإكونومست ... الخ ، وما تكتبه بعض الصحف الأمريكية أيضاً في نفس الاتجاه .

\*\*\*

ودرس الدروس وصبرة العبر ... القومية العربية .

القومية العربية التي كانت خيالا ، أو آمالا ... القومية العربية التي تثار في وجهها من سنوات قلائل الثائرون ، وقالوا مصر وكفى ، أو مصر والبحر المتوسط ، ولا شأن لنا

بالعرب ولا بالعروبة ... القومية العربية التي احتاجت من محب الدين الخطيب أن يديج المقالات الطوال الغزار عن الأمة العربية والعروبة ، واحتاجت من ساطع الحصري أن يتابع الكتابة فيها كتاباً بعد كتاب ، ويرد ويناقش ويدافع ...

هذه القومية العربية ، يعلن أيزنهاور اليوم أن أمريكا تعطف عليها ، ويعلن ماكيلان في مجلس العموم أن بريطانيا هي التي أتاحت لها المجال ، أفليس المستر إيدن هو الذي أوحى بفكرة الجامعة العربية ١٤

استمع إلى الإذاعات الأجنبية فلا تجد حديث الشرق الأوسط إلا حديث القومية العربية ، وقرأ الصحف الأجنبية تجد العنقاء يلحون في التفاهم مع القومية العربية .

كانت القومية العربية فلسفة عند بعض العلماء ، ومبدأ عند بعض الساسة ... لكنها لم تستهوا أقدام الغربيين وألستهم إلا عند ما صارت حقيقة واقعة ... عند ما انكسر القفل وخرج ملرد العراق من القمم ...

كانت القومية العربية في طن الغربيين ( ستاراً مصرياً لاطلاع توسعية ) ... فلما اتحدت سورية مع مصر : قالوا انخدع السوريون بالنفخات المرائية ... فلما ثارت العراق ، بطل السحر وظهر الحق ...

كتب ساطع الحصري في عام ١٩٥٦ م . في كتابه ( دفاع عن العروبة ) .

« ... وأخذت فكرة القومية العربية تنتشر في مصر بعد قيام الثورة بهرعة كبيرة وتحقق بذلك ما كنت أتوقعه وأتمناه بكل جوانحي منذ عدة عقود من السنين ... واشتد الوعي القوي في جميع أنحاء المغرب العربي ... »

ولكن مقابل ذلك تعرضت فكرة القومية العربية في بعض الميادين إلى شيء من الفتور والاسترخاء ، وصل إلى حد التراجع والارتداد في بعض الأحوال . فإن السياسة الدولية وجعلت في الأحوال الحاضرة فرصة مواتية للتأثير على بعض الدول العربية ، وقامت بمناورات صديدة انتهت إلى ربط إحدى الدول العربية ( ٢١ ) إلى عجلة من العجلات العالمية ، وأخذت

تسمى إلى جر ما جاورها أيضاً إلى نصر الانجاء . ونح عن ذلك ببللة خطيرة في السياسة العربية كادت تؤدي إلى حدوث اضطار في قلب العالم العربي وسرة حياته ... وقد ظلت هؤلاء أن المكاة التي يتمتع بها العالم العربي في السياسة الدولية تستند — في الدرجة الأولى — إلى وقوفه في ملتقى القارتين وإلى سيطرته على هذا الملتقى بمخالب قوية وأجنحة واسعة تمتد إلى طرفيه إلى مسافات شاسعة ، وأن اضطار العالم العربي يفقده هذه المكاة الخطيرة ويذهب بكل ماله من أهمية سياسية واستراتيجية . ومن المعلوم أن السياسة الدولية — ولا سيما السياسة البريطانية — بذلت جهوداً متواصلة لإحداث هذا الاضطار منذ صدور وعد بلفور وذلك بدق الأسفين الذي أسموه في بادئ الأمر باسم ( الوطن القوم لليهود ) والذي انتهوا إلى تسميته باسم ( دولة إسرائيل ) ، ٥١ .

واليوم ...

يتماق الإخوة ، ويرأ الجو ، ويثم الشمل .. فلا يجد الغرب مناصاً من الإشارة إلى أنه صاحب حديث القوميات في العرب ، والعطوف الحنوب عليها في الشرق !!  
ونسع عن سياسة جديدة لأمريكا وبريطانيا ...

ولنا ندرى كنه هذه الياة ... لكن الذي ندره أتنا سنستملك بسياتنا التي هاجرنا إليها ، وتجمعنا حولها ، وزادتنا الأيام اقتناعاً بنفعها .

وتحية عاطرة إلى شعب العراق ... وشكراً جزيلاً على هذه الدروس ، وقد أطلع من اعتبر ؟

فتحى عثمان

### الجواسيس للدول الإسلامية

في كتاب الروضتين لأبي شامة ( ٢ : ١٣٦ ) أن صلاح الدين الأيوبي اتخذ امرأة البرنس الملك الصليبي على أطاكية عينا له توافيه بأخبار زوجها .

وفي سرة الزمان ( ٨ : ٤٢٦ ) أن المعظم عيسى بن العادل الأيوبي اعتنى بأقامة جواسيس من ساء الإفرنج ليخبرنه بأخبارهم بطرق وعلامات .

## نقد كتاب «أضواء على السنة المحمدية»<sup>(٢)</sup>

في المآل السابق نقضت الكتاب نقدا عاما ووعدت القراء بتمهده نقدا تفصيليا ، وها أنذا أفى بما وعدت به .

قال في ص ٤ ، هـ « وعلى أنه - أى الحديث - بهذه المكاة الجليسة . . . فإن العلماء والأدباء لم يولوه ما يستحق من العناية والدرس ، وتركوا أمره لمن يسمون رجال الحديث ، يتداولونه فيما بينهم ويدرسونه على طريقتهم ، وطريقة هذه الفئة التي اتخذتها لنفسها قامت على قواعد جامدة لا تغير ولا تبدل ، قرى المتقدمين منهم وهم الذين وضعوا هذه القواعد قد حصروا عنايتهم في معرفة رواية الحديث ، والبحث على قدر الوسع في تاريخهم ، ولا عليهم إن كان ما يصدر من هؤلاء صحيحا في نفسه أو غير صحيح معقولا أو غير معقول . ثم جاء المتأخرون منهم فقمعدوا وراء الحدود التي أقامها من سبقهم ، ووقف هؤلاء عند ظواهر الحديث كما أدت إليه الرواية . . . من غير بحث ولا تمحيص لها ، الخ ما قال وقد تأثر المؤلف بالمستشرقين والمبشرين الذين لم يمكنهم أن يتحرروا من سلطان الهوى والتعصب في هذا البحث بل - والحق يقال - أسرف في الحكم على الأحاديث أكثر مما أسرفوا حتى جاء بحثه ضغثا على إباله . وإليك الجواب كي يتضح الحق والصواب :

١ - لا أدري ماذا يريد المؤلف بقوله فإن أراد العلماء الفقه والتشريع فهم قد بنوا في ذلك غاية الوسع ، وأولوه ما يستحق من العناية والدرس ، وبجسبك أن تستعرض الكتب التي ألفت في أحاديث الأحكام وشروحها لترى في ذلك عشرات المجلدات والموسوعات . وإن أراد علماء الدراية بالأحاديث فقد أوفوا في بحث متون الأحاديث وشرحها وتحليلها على الغاية ولم يدعوا ناحية من نواحيه الخصة حتى قتلوها بحثا . وما من كتاب من كتب الحديث المعتمدة إلا ووضعت له الشروح المتكاثرة . وبجسبك أن تتناول فهرسا من فهارس المكتبات العامة لترى إلى أي حد عنى العلماء المسلمون بالأحاديث النبوية عناية فائقة - قد لا يربو عليها إلا عنايتهم بالقرآن الكريم ، وخلفوا لنا في ذلك ثروة ضخمة حتى أنها لقيمتها العليقة ونفاسها

جذبت فئة من العلماء غير المسايين إلى البحث فيها وفضاء الأعمار في العناية بها . وإن أراد علماء الأخلاق والمواعظ ، فقد جعلوا الأحاديث النبوية نبعاً فياضاً لما ألفوه من الكتب فيها ؛ وكذلك علماء البلاغة والأدب فقد أكثروا من الاستنباط بالأحاديث في كتبهم وعنوا بها من حيث اختصاصهم ، وألف بعضهم في ذلك كتباً تكشف عما في الأحاديث من جمال فني وأدبي كما فعل الإمام الشريف الرضي في كتابه « المجازات النبوية » والمرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه « البلاغة النبوية » الذي جعله متمماً لكتابته « إنجاز القرآن » .

ثم ماذا كان يريد المؤلف من العلماء غير المحدثين والأدباء ؟ أكلن يريد منهم أن يجاوزوا طورهم - كما جاوز طوره - فيدسوا أنوفهم فيما ليس من صناعتهم ويميزوا بين الصحيح والضعيف والمقبول والمردود والفث والسمين ؟؟ .

إن علماء الأدب وأضرابهم عن ليسوا من رجال الحديث وصيارفته أكرم على أنفسهم من أن يفتقروا ما ليس لهم به علم وأن يرجوا بأنفسهم في علوم ومعارف ليسوا أهلها .

٢ - محاولة المؤلف هنا وفي غير موضع من كتابه الإضرار بالمحدثين وغزيم ولزيم ورميمهم بالجهود أن يقلل من أقدارهم ولن ترفع من شأنه ، بل هي عند الباحثين والعالمين مما يردى بالنقد ويلحقه بالثقيمة والسباب ، وإن ما وضعه المحدثون من قواعد لنقد الراوى والمروى هي أدق وأرقى ما وصل إليه علم النقد في القديم والحديث . والمتأخرون لم يأتوا في ذلك بأمر جديد ذي خطر اللهم إلا في الاستعانة بما جدد من المعارف النفسية والتوسع في التطبيق ، ولو أنصف المؤلف لعقد مقارنة بين قواعد المحدثين وقواعد غيرهم من يرتضيهم ، ثم خلص من ذلك إلى نتيجة صادقة ، أما وقد رمى بها قولة بحلة من غير برهان فبحسبنا في الرد عليه هذا الإجمال ، وعند ما أتعرض لمبحث العدالة والضبط سأفصل فيها القول كي يتضح أن قواعد المحدثين ليست جامدة ولا قاصرة .

٣ - كيف سولت لل المؤلف نفسه أن يزعم أن المحدثين حصروا عنايتهم في السند دون المتن الخ ؟ وكيف يتفق هذا وما ذهبوا إليه من الحكم على متن الحديث بالشذوذ والنسكارة والاضطراب والتعليل والوضع والاحتلاق وما وضعوه من أمارات يستدل بها على الحديث بالوضع ؟ لقد جعلوا من أمارات الموضوع ركازة اللفظ بحيث يشهد الخبر بالعربية أن هذا

إن يصدر من فصيح فصلا عن أفصح الفصحاء ، وركاكة المعنى كأن يكون مشتملا على محال ، واشتمال الحديث على مجازفات ومبالغات لا تصدر من عاقل حكيم ، والمخالفة للحس والمشاهدة والمخالفة لصريح القرآن أو السنة المتواترة أو المسئلة أو الإجماع مع تعذر التأويل المقبول في كل ذلك أو يتضمن الحديث أمرا مستحذنا لم يوجد في العهد النبوي إلى غير ذلك مما أفاضت فيه كتب تاريخ الوضع في الحديث (١) قال الزبيدي بن خزيمة إن للحديث ضوؤه كضوء النهار يعرفه ، وطلته كطلته الليل تنكره . وقال الإمام ابن الجوزي : ما أحسن قول القائل كل حديث رأيت مخالفه العقول وتناقضه الأصول وتباينه النقول فاعلم أنه موضوع ، وللحقيق ابن القيم في ذلك كلام قيم نقله على القاري في موضوعاته : ومن عجيب أمر المؤلف أنه ذكر نحو من ذلك ص ١٠٤ ، ١٠٥ من كتابه ولا ندرى كيف يتمق قوله أولا هو وما ذكره عن المحققين آخرا ؟!!

ولكى تزداد يقينا في هذا أسوق لك بعض نقود المحدثين للشون . وستأكد أن دعوى حصر العناية بالتقدم في السندون المتن دعوى مردودة ، قال ابن الجوزي في الحديث الموضوع : شكوت إلى جبريل رمد عيني فقال لي انظر في المصحف ، قال ابن الجوزي : وأين كان في العهد النبوي مصحف حتى ينظر فيه ؟ وقال الحافظ ابن حجر في تزييف الحديث الموضوع : أتاني جبريل بسفر رجلة فأكلتها ليلة أسري بي فعلقت خديجة بفاطمة ، قال الحافظ : الوضع عليه ظاهر ، فإن فاطمة ولدت قبل الإسراء بالإجماع وقال ابن القيم في تقدم الحديث الموضوع : إذا عطس الرجل عند الحديث فهو صدق ، قال : هذا وإن صحح بعض الناس سنده فالحس يشهد بوضعه ، لأننا نشاهد العطاس والكذب يعمل عمله ، ولو عطس ألف رجل عند ذكر حديث يروى عن النبي لم يحكم بصحته بالعطاس . فانظر إلى مبلغ اعتماد أئمة الحديث على تقدم المتن حتى وإن كان السند غير واه أو ساقط أو ضعيف .

ومثل حديث وضع الجزية على أهل خيبر الذي قرنه واضعه بشهادة سعد بن معاذ ، فقد قالوا في تقدمه ، إن سعد بن معاذ توفي قبل ذلك في غزوة الخندق ، وأيضاً الجزية لم تسكن نزلت ولا يعرفها الصحابة ولا العرب ، وإنما نزلت بعد عام تبوك ، وفيه أنه وضع عنهم الكلفة ( السخرة ) مع أنه لم يكن في زمنهم شيء من ذلك . إلى غير ذلك من النقود التي

[١] لقد ذكرت في كتابي « الوضع في الحديث » من إشارات الوضع أربع عشرة أمارة وجعلتها ممسكة يرجع إلى المتن ، وسيطبع إن شاء الله .



أوصلها العلماء في هذا الخبر إلى عشرة أوجه (١) ، وغير هذا كثير جداً يوجد في تضاعيف الكتب المؤلفة في الموضوعات والكشف عن أدواتها ومعاييرها ، فهل بعد ما ذكرنا يقال إنهم حصروا عنايتهم في نقد السند دون المتن ؟ !!!

٤ - نعم نحن لا ننكر أن المحدثين توسعوا في نقد السند أكثر من توسعهم في نقد المتن ، ولذلك سر نحب أن نجليه للقراء والباحثين ، وفي الحق أن علماء الحديث كانوا أبعد غوراً وأدق نظراً وأهدأ بالاً حينما لم يجرؤوا في نقد المتن الأشواط البعيدة التي جروها في نقد السند ، وذلك لاعتبار ديني دقيق لاحظوه في السنة عند الاكتفاء بصلاح الراوى وتقواه وعدائته ظاهراً وباطناً وضبطه وحفظه وتوقيه الكذب على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في نص هو أصل ومرجع في الدين ، فحق توفرت العدالة بشروطها مع الضبط والحفظ والأمانة والتحرر من التزيد والتغيير كان احتمال الكذب والاختلاق بعيداً جداً إن لم يكن ممتنعاً ، وإذا فلم يبق بعد من حاجة للبالغة في نقد المتن وذلك لأن متن الحديث :

(١) قد يكون مثابها غير مفهوم العبارة فلا محل - مع هذا الاحتمال - لتحكيم النقد العقلي المجرد في المتن ، إذ مثل هذا التشابه مما لا تستقل العقول يادراكه ولا يدرك المراد منه إلا من الله أو عن رسوله المبلغ عنه ، والواجب إما الإيمان به كما ورد مع تفويض علم حقيقته إلى الله والتزيه عن الظاهر المستحيل ، وإما التأويل بما يوافق العقل وما أحكم من النقل وذلك مثل أحاديث الصفات ونحوها .

(ب) وقد يكون متن الحديث ليس من قبيل الحقيقة بل من قبيل المجاز ، فرفضه باعتبار حمله على الحقيقة استناداً إلى أن العقل أو الحس والملاحظة لا تفرقه مع إمكان حمله على المجاز المقبول لغة وشرعاً تهجم وتمسك بقواعد البحث العلوي الصحيح ، وذلك مثل حديث ذهاب الشمس بعد غروبها وبجودها تحت العرش المروى في الصحيح (٢) فلو حملناه

(١) موضوعات القارى ص ١١٩ .

(٢) دوى البخارى في صحيحه عن أبى ذر قال : قال لى النبي صلى الله عليه وسلم حين فربث الشمس « تدرى أين تذهب ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال : فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن يؤذن لها ، ويؤذن أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، ينال لها أرجى من حيث حثت ، فتقطع من ممرها ، فذلك قوله تعالى : « والشمس تجري لسقر لها ذك تقدير العزيز العليم » .

على حقيقة أنه لأدى ذلك إلى البطلان ، على حين لو حل على انجاز المستساغ لظهر ما فيه من سر وبلاغة ، فسجود الشمس المراد به خضوعها وسيرها طبق إرادته سبحانه وعدم تأيها عن النظام الدقيق المحكم الذى فطرها الله عليه واستمرارها عليه من غير انقطاع ولا فتور . ومثل هذا الحديث يقصد به حث الخلق على الخضوع والإذعان لله رب العالمين ، فإذا كانت الشمس على عظمها فى غاية الخضوع لله فما أجدر الإنسان المخلوق الضعيف - وبخاصة عابدها - بالخضوع لله والإيمان به ومثل هذا الأسلوب سائغ شائع ، فما نحن نرى العرب يقولون :  
شكا إلى جملى طول الرى صبراً جميل فكلانا مبتلى

ولا شكوى ولا كلام ، وإنما مجاز وتمثيل ، فانظر إلى الروعة فى التمثيل ، ولو جاء على غير هذه الطريقة لخلا من هذه الروعة . ومثل هذا التمثيل البديع قد جاء فى القرآن المتواتر الذى لا يتطرق إليه الشك مثل قوله سبحانه : « ويسبح الرعد بحمده » . فليس بدع أن تسمى به الأحاديث .

( ج ) وقد يكون متن الحديث من قبيل المغيبات كأحوال القيامة واليوم الآخر فردها تحكماً للعقل فيها وبناء على قياس الغائب على الشاهد ليس من الإلصاف ، وذلك كالأحاديث الواردة فى صفة الجنة ونعيمها والنار وعذابها ونحو ذلك .

( د ) وقد يكون متن الحديث من الإخبار بالأسرار التى كشف العلم عن مسايرها واعتبرت من المعجزات النبوية التى جاءت الأيام بتصديقها ، وذلك مثل الحديث الصحيح : « إذا ولغ الكلب فى إناء أحسكم فليغسله سباً » . فقد أثبت بعض الأطباء (١) أثر التراب الفعال فى قتل وإزالة الميكروب المتخلف عن سور الكلب ، على حين كان بعض المارقين يعتبرون مثل هذا مجازة وتعتأ فى التزريع ، وأما المؤمنون فكانوا يعتبرونه من قبيل التعبد حين خفيت عنهم الحكمة أرايت أيها النصف لو أن العلماء المحدثين تمسكوا بالنظر السطحي وتسرعوا فى الحكم بطلان هذا الحديث وأمثلة مما خفى وجه الحكمة فيه ، ثم ظهرت بعد ذلك الحكمة واضحة ، ألا يكون ذلك جهالة فى البحث وقصوراً فى النظر وإجحافاً بحق صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ؟ ثم ألا ترى معنى أن المحدثين كانوا على حق فى المسلك الذى اتجهوه ؟ .

• — ما زعمه في ص ٦ : « من أن المحدثين جميعاً أهملوا أمراً خطيراً كان يجب أن يعرف قبل النظر في هذا العلم ودرس كتبه ، ذلك هو البحث عن حقيقة النص الصحيح لما تحدث به الرسول صلوات الله عليه . وهل أمر بكتابة هذا النص أو تركه ونهى عن كتابته ، وهل دون الصحابة ومن بعدهم أو انصرفوا عن تدوينه ؟ وهل ما روى قد جاء مطابقاً للحقيقة ما نطق به النبي لفظاً ومعنى أو كان مخالفاً له ؟ . . . ثم في أي زمن دون ما حملته الرواية منه ؟ . . . وماذا كان موقف علماء الأئمة منه الخ ما قال ، ، زعم ليس له ما يؤيده ولا يخرج عن كونه إجماعاً صارخاً بحق أئمة الحديث فيما أفنوا أعمارهم فيه ، فهذه المباحث التي عرض لها وغيرها قد أكثر العلماء فيها البحث والتحصيل ووجدت في عشرات من كتب أصول الحديث ، وبحسبك أن ترجع إلى « علوم الحديث » للحاكم أبي عبد الله والإمام ابن الصلاح و « ألفية الحديث » للحافظ العراقي و « التدريب » للإمام النووي و « الباعث الحثيث » للحافظ بن كثير و « نخبة العكر » وشرحها للحافظ بن حجر و « التدريب » للحافظ السيوطي وعشرات الشروح التي وصفت لها و « ظفر الأمان » للعلامة اللكنوي و « توجيه النظر » للشيخ طاهر الجزائري وغير هذه الكتب كثير مما ألف في القديم والحديث ، بحسبك - أيها الطالب للحقيقة - أن ترجع إلى أي كتاب منها وستعلم اليقين أن ما زعم صاحب الأضواء أنهم أهملوه قد عقدوا له الأبواب والبحوث المستفيضة ، وأنه تجنى على أئمة الحديث ما شاء له هواه أن يتجنى .

هذا وردنا إلى القارىء أن يكون على ذكر مما ذكرته في هذا المقال ، فإنا سنكتفي به في رد بعض ما يرد في أثناء هذا الكتاب إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

### الرجولة

وما العشق إلا عربة وطاعة      يمرض قلب نعبه فيصاب  
وغير فؤادي للغواني رمية      وغير بناني الرخاخ ركاب  
أعمر مكان في الدنا سرح سابع      وخير جنيس في الزمان كتاب  
أبر الطيب

# إحباط فتنة

## تلحين القرآن

نشرت الأهرام في ٧ أغسطس سنة ١٩٥٨ تحت عنوان «سور من القرآن تم تلحينها»  
ما يلي :

أرسل وكيل وزارة التربية والتعليم إلى صالح أمين مفتش الموسيقى بالوزارة الذي بدأ في تلحين القرآن ، خطاباً يقول : فيه إن الوراثة تبارك الم شروع ، وإنها مستعدة لدفع تكاليف تكوين فرقة موسيقية لتسجيل السور التي تم تلحينها ، وعرضها على هيئة كبار العلماء ، ثم تقديمها للإذاعة ، وقد أبدى عبدالوهاب حمودة عضوة لجنة الاستماع بالإذاعة إعجابه بالسور الملحنة ، بعد أن غناها له على «العود» صالح أمين .

وقد أتم صالح أمين تلحين «سور هي : المدثر ، والإنسان ، والنور ، والمرقاة ، والأنفال ، ويقوم الآن بكتابه نوتها الموسيقية ، وسيق كل سورة ، مقدمة موسيقية تصور المناسبة التي نزلت فيها السورة .

## كتاب مشيخة الأزهر

إلى وزير التربية والتعليم

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ وزير التربية والتعليم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبمسند

فقد نشرت جريدة الأهرام بعدد الصادر في ١٩٥٨/٨/٧ أن السيد وكيل وزارة التربية والتعليم أرسل إلى الأستاذ صالح أمين مفتش الموسيقى بالوزارة خطاباً يبارك فيه مشروع

تلحين القرآن الذي بدأ فيه ، وأن الوزارة مستعدة لدفع تكاليف تكوين فرقة موسيقية لتسجيل السور التي تم تلحينها وعرضها على هيئة كبار العلماء ، ثم تقديمها للإذاعة .

وإذا صح هذا الخبر - ونأمل ألا يكون صحيحاً - فالمرجو أن يسان كتاب الله عن النزل به إلى المستوى الذي لا يليق به ، وألا يكون غرضاً لللحنين والمغنين بتفتنون فيه على اختلاف ميولهم وأهوائهم .

ونحن على يقين من أن عيرة سيادتكم على القرآن والدين ، وحرصكم على كرامة مصر وسمعتها في العالم العربي والإسلامي سيحولان دون تنفيذ هذا المشروع ، الذي لنا في حاجة إليه ، والذي سيكون مثار فتنة زبياً يبلادنا العزيرة في نهضتها المباركة وزعامتها الرشيدة أن تكون هي المشعلة لئارها ، خصوصاً في هذه الفترة الحاسمة ، التي تستلزم جمع الكلمة وتوحيد الصفوف .

وقسكم الله وسدد خطاكم وأجرى الخير على يديكم إنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . شيخ الجامع الأزهر

٢٣ من المحرم سنة ١٣٧٨ - ٩ من أغسطس سنة ١٩٥٨ .

## جواب الوزير إلى المشيخة

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وبعد ، فردا على كتاب فضيتكم المؤرخ ٢٣ من المحرم سنة ١٣٧٨ هـ بشأن ما نشر بجمريدة الأهرام بعددها الصادر في ١٩٥٨/٨/٧ عن مشروع تلحين القرآن الكريم ، أرجو أن أنهى لفضيتكم أني أصدرت تعليماتي فور الاطلاع على ما نشر ، إلى المختصين بالوزارة لتحري حقيقة الموضوع ، وقد اتضح لي أن ما نسب إلى السيد وكيل الوزارة وإلى الوزارة نفسها لا أساس له من الصحة ، وقد أعطيت التعليمات لتكذيبه وتم ذلك فعلا في جميع الصحف .

وإني لأرجو أن تطمئنوا إلى شديد حرصنا على كرامة القرآن ، والله خير حافظا .  
والسلام عليكم ورحمة الله .  
وزير التربية والتعليم  
إمضاء  
(كمال الدين حسين)  
١٩٥٨/٨/١٨

## بلاغ وزارة التربية والتعليم إلى الصحف

نشرت صحف : الأهرام . الجمهورية . الأخبار . الشعب . المساء . القاهرة .  
في ١٣ و ١٤/٨/١٩٥٨ البلاغ الرسمي الآتي :  
(حول تلحين بعض سور القرآن)

جاءنا من إدارة الشؤون العامة بوزارة التربية والتعليم ما يلي : نشرت إحدى الصحف الصباحية بعددها الصادر في ١٩٥٨/٨/٧ خبراً بعنوان : خمس سور من القرآن تم تلحينها ، نسبت فيه إلى الوزارة أنها تبارك هذا المبروع ، وعلى استعداد للإسهام في نفقاته ... وهذا الخبر لا أساس له من الصحة ، وقد سبق للوزارة أن نفتت خبراً كهذا . والوزارة حريصة كل الحرص فيما تقدم عليه من أعمال على أن تكون للدين مكانته وللقرآن المجيد قداسه . ولهذا تؤكد مرة ثانية فيها القاطع لكل ما تضمنه هذا الخبر خاصة بها .

## التلاوة المأثورة

لما توفي في العام الماضي مفتي الشافعية في القدس استقبل سماحة الحاج أمين الحسيني المعزين في منزله بمصر الجديدة ، وتلا القاري الكبير الشيخ الشعشاعي ما نيسر من كتاباته عز وجل بطريقته المأثورة عن قراء السلف ، فلما انتهى كل حديث من حضر من أهل الفضل يدور حول استهجان عمل من خرج عن هذه الطريقة من القراء الذين صرفوا أذهان السامعين عن الاعتبار بمعاني كتاب الله إلى التلذذ بالألغام الموسيقية مما لو حدث مثله في الصدر الأول لعوقب مرتكبوه بأشد العقاب ، فجزى الله وزير التربية والتعليم خيراً على منعه هذه الفتنة ووقايته كتاب الله من أن يكون سبيلاً إليها .

## قراءة القرآن الكريم ببلحون العرب لا بلحون أهل الفسق

إن لقراءة القرآن أصولاً وقواعد ، وترتيلاً سنياً وآداباً ، ولترنماً به شروطاً وواجبات قد نقلت عن نزل عليه القرآن صلوات الله عليه ، وتلقنت عن حفظه وتدراسه منذ عهد نزوله وتلاوته ، وقد أشارت الآيات الكريمة إلى ذلك فقال تعالى « ورتل القرآن ترتيلاً » ، وقال تعالى « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » .

ولترتيل القرآن فن يعرف بفن التجويد . روى عن ابن مسعود أنه قال : جودوا القرآن . قال القراء : التجويد حلية القراءة ، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ورد الحرف إلى مخرجه وأصله وتلطيف النطق به على كمال هيئته ، من غير إسراف ولا تعسف ، ولا إفراط ولا تكلف . وإلى ذلك أشار صلى الله عليه وسلم بقوله : ( من أحب أن يقرأ القرآن غصاً وكما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد ، يعني ابن مسعود . وكان رضى الله عنه قد أعطى خطأ عظيماً في تجويد القرآن ، ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتأناة من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية . وقد عد العلماء القراءة بغير تجويد لحناً .

قال الزركشى في البرهان : كمال الترتيل تفخيم ألفاظه ، والإبانة عن حروفه ، وأن لا يدغم حرف في حرف ، وأكله أن يقرأه على منازله ، فإن قرأ تهديداً لفظ به لفظ التهديد ، أو تعظيماً لفظ به على التعظيم .

وتسن القراءة بالتدبر والتمعن ، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم ، وبه تشرح الصدور وتستنير القلوب ، قال تعالى « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته » .

وبسن تحسين الصوت بالقراءة ، وقد حكي النووي الإجماع على ذلك ، لكونه أوقع في القلب وأشد تأثيراً وأرق لسانه .

قال القسطلاني : ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قوانين النظم فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك . وهذا إذا لم يخرج عن التجويد المعتبر عند أهل القراءات ، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بتحسين الأداء .

قال في الروضة : وأما القراءة بالألحان فقال الشافعي هي مكروهة إذا أفرط في المد ، وإشباع الحركات حتى تتولد من الفتحة ألف ، ومن الضمة واو ، ومن الكسرة ياء ، أو يدغم في غير موضع الإدغام ، فإن لم ينته إلى هذا الحد فلا كراهة .

قال النووي : إذا أفرط على الوجه المذكور فهو حرام يفسق به القاري ، ويأثم به المسمع ، لأنه عدل به عن نهجه القويم .

قال القسطلاني : وقد علم أن ما أحدثه المتكلمون بمعرفة الأوزان والموسيقا في كلام الله من الألحان والتطريب والتغني المستعمل في الغناء بالغزل عن إيقاعات مخصوصة ، وأوزان مختصرة أن ذلك من أشنع البدع وأسوأ ، وأنه يوجب على سامعهم التكبير ، وعلى السامع التحزير . نعم إن كان التطريب والتغني مما اقتضته طبيعة القاري ، وسمحت به من غير تكلف ولم يخرج عن حد القراءة فهذا جائز ، ويشهد لذلك حديث أبي موسى الأشعري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ( يا أبا موسى ، لقد أوتيت زمزماً من زمزماير آل داود ، أي في حسن الصوت .

وروى أبو داود بسند صحيح من طريق أبي عثمان النهدي قال : دخلت دار أبي موسى الأشعري فما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا ناي أحسن من صوته ( والصنج آلة تتخذ من نحاس كالطبقين يضرب بأحدهما على الآخر ، والربط آلة كالعود والناي هو المزمار ) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع القرآن من أوتوا صوتاً حسناً كابن مسعود وأبي موسى الأشعري . فقد روى ابن ماجه بإسناد جيد عن عائشة قالت : أبطأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال : أين كنت ؟ قلت : كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد . قالت فقام فقمتم معه حتى استمع له ثم التفت إلي فقال : هذا سالم مولى أبي حذيفة ، الحمد لله الذي جعل في أمي مثل هذا .



قال ابن كثير في كتابه «فصائل القرآن» : فأما الأصوات بالتهات المحدث المربة على الأوزان والأوضاع الملية والقانون الموسيقى ، فالقرآن ينزه عن هذا ويحجل ، ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب . وقد جاءت السنة بالاجر عن ذلك كما قال الإمام العالم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل السكتاين وسيجيء قوم من بعدى يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والزهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يحجبهم شأنهم ) .

قال القرطبي في كتابه «التذكار في أفضل الأذكار» عند شرح هذا الحديث : ويشبه هذا الذي يفعله قراء زماننا بين يدي الوعاظ وفي المجالس من اللحن الأعجمية التي يقرءون بها ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتحرم مصاحبة قراءة القرآن للمزف على العود وآلات اللهو والطرب بما هو شعار المهرفين في الشهوات الغافلين عن ذكر الله . ولذلك حرم المتورعون من الفقهاء الغناء والمعازف مطلقاً لما يصحبها من إثارة الشهوات والطمس على القلوب بالفعل ، لأن من راعى الأنعام يظلب عليه ألا يراعى واجبات الأداء .

والمنع الجامع هو أن قراءة القرآن بالنغم المصمود شرطاً ما نكون به القراءة أشد تأثيراً في النفس وخشوعاً في القلب واعتباراً في العقل ، وأن المحذور منها التطريب المتكلف الذي يشغل السامع بلذة الصوت وحسن النغم عن المعنى المراد والخشوع المطلوب ، وهو أشد خطراً إذا صحب القراءة التوقييع على العود أو النفخ بالناي ، فإن في هذا امتحاناً لكلام الله ، والنزول به منزلة أحاديث اللهو والمجون ، وما شأنا أن يكون كذلك .

على أن للقرآن موسيقاً خاصة به ، ووقفاً على أسلوبه تبرز بروداً واضحاً في فواصله واتزان مقاطعه ، بل في كل كلمة من كلماته وفي كل جملة من جملة . فهو في غير حاجة إلى موسيقا خارجية أو أنغام أجنبية .

جاء في الإتيان : وقد كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون ، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك . قال سيويه . إن العرب إذا ترنموا يلحقون ( الألف والياء والنون ) لأنهم أرادوا مد الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا ، وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع .

وإذا كان المقام مقام إنذار ووعيد ، وزجر وتهديد ، وتذكير بمواطن العذاب ووصف  
لضارم العتاب « ترى ألفاظه جزلة متية ذات جلبة وضوضاء ، وصخب وضجيج ، ودوى  
وطنين ، أشبه شيء بصوت طبول الحرب وقصف الرعد ، فتصل الأسماع ، وتهز القلوب ،  
وتزلزل الأقدام ، وتوقظ الوجدان .

اقرأ إن شئت قوله تعالى في سورة إبراهيم عند الرد على من هدد الرسل من الكفار  
يا خراجهم من أرضهم أو يعوذتهم إلى ملتهم « وقال الذين كفروا المرسلهم لنخرجكم من أرضنا  
أو لنموتن في ملتنا ، فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الأرض من بعدهم ،  
ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ، إلى آخر الآيات . . . ١

فإذا ما انتقلت إلى وصف المتقين ، والحديث عن أهل الجنة ونعيمها ، وجدت ألفاظا  
رقيقة النغم ، حلوة الجرس ، ناعمة الصوت ، لينة الصدى ، أشبه شيء بصوت الفيثارة  
أو عزف العود أو نحيب الناي .

اقرأ قوله تعالى « وجوه يومئذ ناعمة ، لسيما راضية ، في جنة عالية ، لا تسمع  
فيها لاغية ،

ومن الموسيقى التي استخدمها القرآن الكريم نوع يعرف بالموسيقا الوصفية ، وهي التي  
تصور المعنى ، وتدلل على الفكرة من طريق إيحاء النغم وتشابه الصوت للانسجام الذي  
يكون بين الموسيقى اللفظية والدلالات المعنوية . قال تعالى « فكبكبا فيها هم والفاوون ، ،  
فلما أراد الله تعالى أن يصور حركة سقوطهم في النار وهويهم فيها مثل هذه الحركة وصور  
ذلك المعنى باختيار هذا الفعل ( كبكبوا ) فإن هذا الفعل يتكون موسيقياً من مقطعين متماثلين  
متكررين في سرعة ونوا ، ليكون ذلك التمثيل أدنى على تحيل المعنى ، وأحكم في تصور  
الحالة ، وأبلغ في تأثر النفس .

وبعد ، فالقرآن العظيم بحر لا تنفص عجايبه ، ولا تحد أسرارده ، ولا يبلغ غوره ،  
أو تنفذ درره .

عبد الوهاب حموده

## عناية الإسلام بالجانب الخلقى

للأخلاق النفسية أثر كبير في سلوك الأفراد والجماعات ، فهي التي توجه سلوكهم على النحو الذي يتمشى مع حال الأخلاق من صلاح أو فساد ، فصلاح الأقوال والأفعال تابع لصلاح الأخلاق ، وفسادها تابع لفسادها ، ولهذا عنى التشريع في الإسلام بإصلاح الجانب الخلقى عناية كبرى ، إذ الأخلاق الكريمة هي التي تحقق في الإنسان معنى الإنسانية الكاملة ، وتعتمد للقيام بأعباء الخلافة الأرضية على أحسن الوجوه وأكملها ، وما ذلك إلا لأنها الرابطة الوثيق بين الحاكمين والمحكومين ، والحفاظ القوي للحقوق والواجبات ، والأساس المتين لإرساء قواعد الحق والعدل ، والسياس المتبع لروابط الألفة والإخاء ، ومرجع استقامة السلوك وصلاح الأمر كله .

### صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق نستقم

ولقد حدثنا تاريخ الشعوب والأمم ، أنه ما ارتفعت أمة إلا بقوة أخلاقها وسمو آدابها ، واستقامتها في مسيرها وسلوكها ، واعتدالها في تفكيرها ، وتهدئتها للمعانى الروحية والقيم الخلقية ، وما سقطت أمة إلا بسبب ضعف النفوس وانحلال الأخلاق ، وموت الضمائر وفساد الذمم ، فإن الأمة إذا سادت فيها قوانين الأخلاق ، واستحكمت في مجتمعاتها حلقات الآداب النفسية ، ارتفع شأنها وعز سلطانها ، وكانت في تماسكها كالبنيان الذي لا تزعزعه العواصف ولا تال منه الأحداث ، وكان لها من قوة أخلاقها وسمو آدابها حصون قوية منيعة ، تعتمد عليها في حفظ كيائها والنفاد عن سيادتها ، وتحمي ظهرها في مواقع الخطوب والشدائد ، وتدفعها دفعا حثيثا إلى الرقي والتقدم ، وتشق لها طريقا معبدا إلى السعادة والمجد ، ونجمل منها أمة عزيزة الجانب موفورة الكرامة ، شديدة البأس مرهوبة السلطان والقوة ، ولا تزال كذلك ما دامت معتصمة بقوة أخلاقها ، ومعنطة بقوميتها وسلامة مجتمعيها ، فإذا ما نكبت بضعف النفوس وانحلال الأخلاق ، والاستهانة بالقيم الخلقية والآداب النفسية ، وطفئت عليها عوامل الفساد الخلقى ، ضعفت قوتها وتداعى بنيانها ، وتوقفت عن السير إلى الأمام ، وتراجعت بها عوامل الضعف إلى الوراء . واضطربت في مجتمعاتها جوانب الحياة الفردية والجماعية ، فلا ترى فيها إلا أحلاقا جائعة ،

ونفوساً مضطربة ، وحرماناً مستباحاً ، وضعفاً يمحيت عناصر الحياة والقوة ، ويذهب الكرامة والعزة ، ثم تفتحها في النهاية جوائح الهمم ، وإن بقيت موجودة بالأشباح والصور .

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لأن الأمة إذا وصلت إلى هذا الحد من الهلاك الذي لا يدع صالحة إلا تقضى عليها . ولا نافلة إلا عصف بها ، قضت عليها سنة الاجتماع البشري وطبيعة الصراع الدولي ، أن تفتحها أمة أشد منها بأساً وأقوى سلطاناً ، لا للهوى من بها من كبوتها وإفلاتها من عثرتها ، بل لسلب حريتها واحتلال أوطانها ، واستعباد أناسها ، والاستيلاء على ثروتها ، والتحكم في اقتصادياتها ، وبذلك تسقط في هاوية الاستعباد ومذلة ، كما سقطت في هاوية الفساد الخلق ومضلة ، وتتضاعف عليها عن الاحتلال وويلاته ، بمن يتمتعون من أبنائها حول المحتل من صغف نفوسهم وانحرفت أخلاقهم ، واستحوذ عليهم حب المال والجاه والسلطان ، ليكونوا أعرافاً له على تثبيت أقدامه ودعم سلطانه ، ومطايئ لتحقيق أغراضه وأطماعه ، تنزل عليهم الأوامر والنواهي من بروج السادة المحتلين ، فيسارعون إلى التنفيذ والطاعة العمياء ، ليس لهم رأى ولا اختيار فيما يأمرهم به وما ينفذون ، لأن رهبة المستعمرين ملأت نفوسهم الضعيفة ، فسلبتهم حرية الفكر واستقلال الإرادة ، وجعلتهم أشباحاً لا تتحرك إلا بقوة الدفع ، ولا تعمل إلا بإرادة المحتل ووحى الاستعمار ، وحب المال والجاه والسلطان استحوذ على قلوبهم وأبصارهم ، فلا يتطلعون إلا لما يتطرونه من المستعمرين لقاء خيانتهم لأوطانهم ، من مال حرام يقتطع من دماء المكافئين وصرق الكادحين ، وسلطان زائف يظهرهم أمام الشعب أعزة حاكمين ، ويجعلهم أمام ساداتهم أذلة صاغرين ، ثم لا تقف نكبة الأوطان بهم عند هذا الحد ، بل كلما سمحوا دعوة الإصلاح الاجتماعي والتحرر السياسي ، جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا نياهم ، ووضعوا في طريقها العوائق والعقبات ، وأشاعوا حولها الأقاويل والشائعات ، واستلوا نومة العيش الرخيص في أغلال العبودية والاحتلال ، وآثروا الحياة الدلية في ظلال النعيم والبر ، على حياة الكساح في ميادين الكرامة والشرف ، وكيف يستجيبون لدعوة الإصلاح أو يركونها نشق طريقها إلى قلوب الشعب ، ودعوة الإصلاح تقض عليهم مضاجعهم ؛ لأنها تقضى على ما يتمتعون به من سلطان زائف ومال مغنص ، أم كيف تتفتح أعينهم على مشاغل الحرية

والعزة والكرامة ، ونور الحرية والاستقلال يعشى أبصارهم ، وريح العزة والكرامة يزكم أنوفهم ؛ لأنهم ألغوا الحياة في ظلة الاستعباد ، ونشأوا في أحضان الدلة والهوان ، فهم كالأجمال يؤذيها أريج الورد والأزهار ، ولا يطيب لها العيش إلا في الوحل والرغام .

وقد يبلغ الضعف الخلقى بالمتخوعين والمتونين بأساليب المستعمرين ودعائاتهم ، إلى حد الاعتزاز بولايتهم وحمايتهم ، والاندماع في لغتهم وأخلاقهم وعاداتهم ، كأنهم كانوا قبل ذلك قطعاً من الحمج ، لا دين لهم يتصمون بهقائمه وأخلاقه وآدابه ، ولا قومية لهم يعتزون بلفتها ويعملون بوحيا ، ولا أمجاد لآبائهم يستلهمونها ويسرون على هديها ، أو كأنهم لا يعلمون أن هذا الاعتزاز والاندماع ، من أخطر العوامل التي تهدم كيان الأمة وتقضى على قوميتها .

ولهذا أكبر الإسلام شأن الخلق الكريم ومدحه وأعظم أمره ، وجعله خير ما أعطى الإنسان في الدنيا ، وارتفع بالآدب النفس إلى القمة ، وسما بأهله إلى الذروة ، وجعلهم أقرب الناس في درجات الكرامة يوم القيامة ، كما في قوله عز وجل : « عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » ، « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » ، « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للتقين » ، وقوله تعالى لنبه في مقام المدح والثناء : « وإنك لعلى خلق عظيم » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، « إن أقربكم منى مجالس يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون » ، « إن الله يحب مكارم الأخلاق وبينض سعاستها » ، « اتق الله حيثما كنت وأتبع السبلة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » : « ثلاث من لم تكن فيه فليس منى ولا من الله : حلم يرد به جهل الجاهل ، وحسن خلق يعش به فى الناس ، وورع يحمزه عن معاصى الله » ، « وسئل صلى الله عليه وسلم عن خير ما أعطى الإنسان ، فقال : خلق حسن » ، « وسئل عن البر والإثم ، فقال البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

ومن هنا يتضح الفرق بين المنهج الخلقى الإسلامى ، والمنهج الخلقى الوضعى ، الذى ابتدعه العقول البشرية ودانت به الحضارة المادية ، فإن المنهج الخلقى الإسلامى ، يقوم

كما رأينا على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر ، وما فيه من بعث وحساب وجزاء ، والإيمان بفضيلة الحق الكريم ، من حيث هو كال روحى للإنسان فى الدنيا ، وموجب لسعادته فى الآخرة ، فهو منهج روحى فى حقيقته ومقاصده ؛ لأن قيامه على هذا الأساس ، من شأنه أنه يوجه الآخذين مآدبه ومبادئه إلى طلب السكال النفسى والرقى الروحى ، ويعينهم من الاتجاه به إلى طلب المنافع المادية وتحقيق المآرب الشخصية ، ويطلبهم على الإيمان بفضائل هذه الأخلاق والآداب فى ذاتها ، وهم مكلفون بالترامها والسير على منهاجها ، ومسئولون عن الانحراف عنها أمام الله يوم الحساب والجزاء . والترامها هو طريق سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، هذا الإيمان يحملهم فى أعمالهم ومعاملاتهم وصلاتهم بغيرهم ، على رعاية الأمانة وتحريم الصدق ، والوفاء بالعهود والمواثيق ، واحترام الحقوق والواجبات والترام قواعد الحق والعدل ، والإخلاص فى القول والعمل ، والترفع عن التفانى والرياء ، ويعينهم على تقديس القيم الخلقية ، والمثل العليا ، والتضحية بالمنافع المادية فى سبيل المحاطة عليها ، إلى غير ذلك من الفصائل الخلقية والآداب النفسية ، التى تشمل أصولها فى طهارة القلب وسلامة الصدر ، وعفة اللسان واليد ، واستحياء النفس من فعل ما يوجب اللوم والتأنيب .

بمخلاف المنهج الخلقى الوضعى ، فإنه يقوم على أساس أنه وضع بشرى ، يقصده تنظيم السلوك الذى يحقق للإنسان مطالبه الدينية ، ويكفل له وسائل النجاح فى معترك الحياة المادية ؛ فهو منهج مادية فى حقيقته وأهدافه ، بعيد عن المعانى الروحية والآداب النفسية ؛ لأن قيامه على هذا الأساس المادى البحث ، يطبع الآخذين بمبادئه على الاعتقاد بأن هذه المبادئ ، ليست فضائل إنسانية فى ذاتها ، ولا مطلوبة من حيث هى فضائل تهمل بكمال النفس الإنسانية وكرامتها ، وإنما هى وسائل للنجاح فى ميدان الصراع والغلب ، وتحقيق أهداف الحياة المادية ومطالبها ، وهذا الاعتقاد يحملهم فى أعمالهم ومعاملاتهم وصلاتهم ، على أن يتظاهروا بالأمانة والصدق ، والوفاء والعدل ، واحترام الحقوق والواجبات ، وتقديس القيم الخلقية والمثل العليا ، ما دام هذا التطاهر محققاً لمناقصهم ومصالحهم ، ومنتشياً مع أعراضهم وأطاعهم ، أما إذا كان التزام هذه المبادئ الخلقية ، يفوت عليهم مغنا مادية أو يتعارض مع أطاعهم فى السيطرة على الشعوب والأمم ؛ فإنهم يتنكرون لهذه المبادئ فى أوسع صور التشكر ، ويتحطلون منها بكل استغفاف واحتقار ، ويندوسون بأقدامهم كل

القيم الأخلاقية التي لا تمشى مع أطاعهم ونزواتهم ، فلا يتخرج أفرادهم وجماعاتهم في معاملاتهم ، ولا حكوماتهم وزعمائهم في معالفاتهم ومعاهداتهم ، وحربهم وسلمهم ، من الاعتماد في سبيل الوصول إلى أهدافهم ، على النفاق والرياء ، والتلون والالتواء ، والغش والتدليس ، والخدمة والغدر ، وتقض العهود والمواثيق ، وسفك الدماء وإزهاق الأرواح ، ولتذهب المبادئ الخلقية ، والمعاني الإنسانية إلى الهاوية ، ولتقف جيوشهم وقوادهم في نشوة الغلب على أشلاء الضحايا وهي صرعى تحت أقدامهم ، شاهدين على أنفسهم بأنهم أبطال الغدر ومصاصو الدماء ، وليتخننوا من أينها ألعاناً يملئون بأنعامها الحزينة أسماحهم ، ومن مصارعها معارض يتعرون بها أنظارهم ، ماداموا قد حققوا أغراضهم وأطاعهم ، وغاب عنهم في غمرة هذا الطغيان الذي ملك عليهم تفكيرهم ، أن هذه المطامع التي استحوذت على قلوبهم ، ضحوا من أجلها بكل المبادئ الأخلاقية والمعاني الإنسانية ، قد قلبت عليهم أوضاع الحياة رأساً على عقب ، وملأتها عليهم رعباً وفزعاً ، وصيرتها جحيماً وشقاء ، وقوضت دعائم الأمن والسلام ، وقضت على عوامل الطمأنينة والاستقرار .

ولو أنهم ساروا على المنهج الخلقى الذى قرره الأديان السماوية ، وجاء الإسلام فرفع قواعده ووضع معاملته ، ودعا الناس جميعاً إلى السير على مبادئه وآدابه ، واستجابوا لدعوة السلام والإخاء الإنسانى ، التي نادى بها القرآن الكريم بقوله : يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ، لامتلت آفاق العالم بالسلام والاستقرار ، والمحبة والإخاء ، ولعاش الناس إخواناً متحابين متعاونين ، يسعدون بالحياة وتسمد الحياة بهم ؟

يس سويلم طه  
المفتش بالأزهر

## السعادة في الحديث النبوى

في مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لا بأس بالفنى لمن اتقى الله عز وجل : والصحة لمن اتقى خير من الفنى ، وطيب النفس من النعم » .

على هامش مؤتمر الأديان في طوكيو :

## الإسلام في اليابان

أوفد الأزهر مندوبا عنه لحضور المؤتمر التاسع لتاريخ الأديان الذي عقد في اليابان في المدة من ١٢ إلى ٢٥ صفر ( ٢٧ من شهر أغسطس إلى ٩ من شهر سبتمبر ) من العام الحالي ، وهو أول اجتماع للمؤتمر يعقد في الشرق لبحث موضوع « الدين في البلاد الشرقية : ماضيه وحاضره » . وبه أربع لجان لمعالجة موضوعات الديانات البدائية والفديمة والديانات القائمة الآن ، ولبحث العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب ، ودور الديانات في هذا المجال . وقد ذكرت النشرة التي كان يصدرها المجلس الأعلى في اليابان أكثر من مائة اسم لعلماء يخط بهم بحث أكثر من مائة موضوع ، لم أجد من بينها حظا للإسلام إلا في موضوع « سيكولوجية العقيدة الإسلامية في الله » ، للأستاذ Halepota A.W.J ، وموضوع « المسيح في القرآن وفي الأدب العربي الحديث » ، للأستاذ حسني أ.م . ، وحديث للبستشرق ماسينيون Massignon عن بعض النواحي الإسلامية .

ولا أريد في هذه الكلمة أن أتحدث عن الغرض الدامغ لعقد هذه المؤتمرات التي تنبأها الدول الغربية وتشجعها أمريكا ، وترسم أسسها وتحدد أهدافها جماعة لها نفوذها القوي البالغ ، والتي تبذل أقصى ما تستطيع من جهد ، وتقدم أكبر ما يمكن من تضحية في سبيل كسب المعركة ، وفرض سياستها على العالم كله .

لا أحب لنفسى الحديث في هذه الناحية ، ولا أكلف نفسى عناء التسكّن والاستنباط ، فقد كفاني ذلك كثيرون من الكتاب الغيورين على الفكرة الإسلامية ، والمهتمين بالقضايا الشرقية والغربية ، والذين سلطوا الأضواء الكاشفة على هذه الاجتماعات التي تعقد بين حين وآخر تحت عناوين مختلفة ، تجمعها كلها سياسة واحدة وهدف مشترك ، ليس فيهما على التأكيده خير للإسلام ولا للعرب ولا للشرق أجمع .



ولأنما أحببت بكلمتي هذه أن أعطي المسلمين صورة مصغرة عن الإسلام في هذا البلد الذي عقد فيه المؤتمر ، والذي يقع الآن تحت الاحتلال الأمريكي ، ويتحكم فيه النفوذ اليهودي ، وما يمكن أن تقدمه من خدمات للإسلام في هذه المنطقة الهامة من العالم ، فأقول [١] .

يبلغ عدد سكان اليابان حوالي ٩٠ مليون نسمة ، يدينون بعدة ديانات ، أهمها : الشنتوية Shintoism والطاوية Taoism والشامانية Shamanism والكونفوشية Confucianism والبوذية Buddhism والمسيحية ، وذلك إلى جانب عقائد أخرى تقوم على الأساطير التي أخذت تلاثى أمام الغزو العلمى والوعى الثقافى والنشأة المنظمة للديانات الكبيرة .

ولا يوجد من بين هذه الملايين التسعين إلّا نحو ٨٠٠ مسلم أغلبهم من الترك الذين هاجروا إلى اليابان قبل الحرب العالمية الأولى ، ومن التجار الوافدين من الهند والبلاد الآسيوية المجاورة ، والذين أقاموا هناك يوتا تجارية كبيرة ، وأسسوا جالية إسلامية ، أشبه بالواحة الصغيرة وسط هذه الصحراء الواسعة القاحلة .

ويكثر المسلمون في منطقتي طوكيو Tokyo وكوبي Kobe . وكانت هناك قلة منهم في منطقة ناجويا Nagoya غير أنها تفرقت بعد ما تهدم مسجدهم على أثر غارة جوية في الحرب العالمية الأخيرة .

وأول مسجد أنشئ باليابان هو مسجد كوبي الذي افتتح يوم الجمعة ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٤٤ ( ١١ من أكتوبر سنة ١٩٣٥ ) ، وهو يسع جميع المسلمين في منطقتي أوزاكا وكوبي . وكان الفضل في إنشائه لداعية مسلم حضر من الهند سنة ١٣٤٦ ( سنة ١٩٢٨ ) ، واستجاب المسلمون في اليابان والبلاد الإسلامية الأخرى لندائه فأنشئ هذا المسجد الذي نما من الغارات الجوية . وأقيمت بجواره مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ومبادئ الدين لأطفال المسلمين ، وتدرس فيها اللغات العربية والتركية واليابانية . ويشرف عليها وعلى المسجد لجنة أغلب أعضائها من أصل تركي .

[١] بمن هذه الحقائق مترجم عن مجلة العلم الأخضر اليابانية Green Flag عدد ديسمبر

والمسجد الثاني هو مسجد طوكيو الذي افتتح في ربيع الآخر سنة ١٣٥٧ ( مايو سنة ١٩٣٨ ) وهو من طابقين ، وتلحق به مدرسة على غرار المدرسة المذكورة في طرازها الحديث وبرنامجها التعليمي . وخطبة الجمعة تلقى في المسجدين باللغتين العربية والتركية .

والقرآن هناك مترجم إلى اليابانية ، ولكن عن أصل غير عربي ، والقائمون بالترجمة غير مسلمين ، ولا يعرفون اللغة العربية . وأول ترجمة ظهرت سنة ١٣٥٥ ( سنة ١٩٣٦ ) نقلها الأستاذ ساكاموتو Sakamoto عن ترجمة سيل Sale الإنجليزية ، وظهرت ترجمة ثانية سنة ١٣٥٧ ( سنة ١٩٣٨ ) لثلاثة غير مسلمين نقلوها عن ترجمات صينية وإنجليزية وفرنسية وألمانية . كما ظهرت ترجمة ثالثة سنة ١٣٧٠ ( سنة ١٩٥٠ ) نقلها عن الألمانية الدكتور أوكاوا Ohkawa وأحدث ترجمة ظهرت هي ترجمة الأستاذ إيزوتسو Izutsu بجامعة كيو Keio غير أنها لا تحلو ، كغيرها من الترجمات . من الأخطاء ، ولا تجد قبولاً لدى المسلمين .

وحظ اللغة العربية من الدراسة في اليابان صئيل جداً ، ولا تهتم جامعة طوكيو بدراستها اهتمامها باللغات الشرقية الأخرى . كما لا يوجد في مكتبتها كتب عن الإسلام .

وكانت توجد في سنة ١٣٢٩ ( سنة ١٩١١ ) جمعية الأخوة الإسلامية التي أسسها الحاج عمر يامسكا والمدرسة الخيرية الإسلامية التي أُنشئت في طوكيو سنة ١٣٤١ ( سنة ١٩٢٣ ) ، ولكن لا يوجد لها أثر الآن . كما كان يوجد في الجامعة اليابانية معهد للبحوث والثقافة الإسلامية . غير أنه ألغى منذ عامين .

والمؤسسة الإسلامية الموجودة الآن ، والتي يعلق المسلمون عليها الآمال في هذه البلاد هي الاتحاد الإسلامي الدولي ، الذي يشرف على معهد الدراسات الإسلامية ، ويصدر مجلة نصف شهرية اسمها « العلم الأخضر Greenflag » ، يحررها بالإنجليزية مسلم ياباني نشيط اسمه الياسات . ساكوما aleyis T. Sakuma ، وقد ألفت عدة كتب عن الإسلام ليسد بها بعض حاجات المسلمين هناك .

هذا ويلاحظ أن كثيراً من المسلمين الذين هم ليسوا من أصل ياباني قد غادروا اليابان ، ويخشى أن يفسح المجال تماماً للديانات الأخرى ، وبخاصة اليهودية والمسيحية ، بما تعتمدان عليه من النفوذ السياسي والاستعماري ، وإن كان الشعب الياباني في حيرته وقلقه الآن لا يربح

في الديانات الوافدة من الغرب ، أو التي يحميا المستعمرون الذين قضوا على آمالهم العريضة بالقنبلة الذرية ، التي تركت فيهم عتمة نفسية لن تروى أبداً ، مهما حاول المستعمرون أن يخفروها بطلائهم الخاضع البراق .

والفرصة بهذا سانحة للإسلام في هذا الجو المهيأ ، أن يندر بنوره الأصيلة التي تتفق وطموح الأمم الاستقلالية الناهضة ، والامة الإسلامية جمعا والجمهورية العربية المتحدة بوجه خاص يمكنها أن تفعل الشيء الكثير لهذا الشعب المتعطش للقيم الروحية الخالصة ، وهي أقدر على أداء هذه الأمانة بما لها من سمعة طيبة في المحيط الدولي ، وإمكانات متوافرة في هذا المجال . والاتحاد الإسلامي هناك يشيد بالخدمات الجليلة التي يؤديها موظفو سمارتا ، ويطالب في الختام ، أن ننشئ مركزا إسلاميا بسد الفراغ ، ويزيل القلق النفسي الذي يعانيه اليابانيون .

ولا يفوتني هذه المناسبة أن أذكر أن الأزهر قد أوفد في سنة ١٣٥٥ (١٩٣٦) مبعوثا إلى اليابان يحمي اللغة التركية ، ومكث هناك حوالي عامين ، كان له فيهما أثر طيب ، وقيل الحرب العالمية الأخيرة أعد الأزهر اثنين من علمائه المتخصصين في الدعوة والإرشاد ، وهما لهما دراسة تكميلية خاصة ، غير أن عوامل قاهرة حالت دون سفرهما ، وفي سنة ١٣٧٠ (١٩٥١) طلبت الجمعية الإسلامية إيفاد علماء من الأزهر لنشر الدعوة الإسلامية ولتعميم المسلمين ما يهمهم ، واشتد الطلب في هذا العام ، والأزهر الآن بصدد اختيار أحد خريجييه الذين يجيدون اللغة الإنجليزية ، وسيتم إيفاده قريبا إن شاء الله .

والمأمول أن يولى المسئولون في الجمهورية العربية المتحدة هذا الموضوع عنايتهم ، ليكون صوتهم مسموعا بقوة في الشرق الأقصى ، عن هذا الطريق السلي الواصح البريء ، ونحن نستطيع بحس التوجيه ودوام الرعاية أن نكسب كثيرا ، وسط هذا الصراع العالمي ، في تلك المنطقة الحيوية الخطيرة .

والأزهر على أتم الاستعداد لتقديم أكبر ما يمكن من خدمات في هذا المجال ، متى توفرت لديه الإمكانيات اللازمة ، وذلك أمامه العقبات ، خصوصا في هذا الوقت الذي يرأس فيه جمهوريتنا الغنية قائد مؤمن محنك ، ويرأس جامعتنا الأزهرية العتيقة شيخ مؤمن بأهمية هذا العمل الجليل ؟

عطية صقر

المدير الصحفي لمكتب شيخ الأزهر

## استخلاص الحق من الغاصب

أعلن الإسلام حقوق الإنسان . في الحرية . . والأمن . . والحياة . . إلى ما هنالك من حقوق كرمه بها موله :

« وأقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً » (١) .

وثبتنا لهذه الحقوق شرع الإسلام القتال . . فالحرب في الإسلام لم تكن لشهوة الانتقام وإنما كانت لاستخلاص الحق من الغاصب : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » (٢) . « وقاتلوا حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » (٣) .

هذا موقف الإسلام في استخلاص الحق من الغاصب من الناحية المثالية أو من الناحية النظرية . . أما من حيث واقع الأمر فرسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم قاد الجيوش بنفسه لاستخلاص الحق من الغاصب . . وأمر ذلك مشهور مستفيض في غزوات النبي وسراياه والصديق أبو بكر الخليفة الأول رضي الله عنه حارب مانعي الزكاة لاستخلاص حق الفقراء من مال الأغنياء . وله في ذلك كلمته المشهورة : « إن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلهم على منعه » وفي هذا الموقف التاريخي المجيد . . يقول عبد الله بن مسعود : « لقد قنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه ، لولا أن الله من علينا بأبي بكر . . أجمعنا على ألا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون ، وأن نأكل قرى عربية ، ونعبد الله حتى يأتينا اليمين ، فعزم الله لأبي بكر على قتالهم فوالله ما رضى منهم إلا بالخطبة المجزية ، أو الحرب المجلية » [٤]

انضوى تحت لواء هذه المبادئ شتى القبائل العربية فأصبحت بذلك أمة واحدة . .

(١) الاسراء آية ٧٠ . (٢) البقرة آية ١٩٠ . (٣) البقرة آية ١٩٣ .

(٤) تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ١٦٥ الطبعة الأولى بالطبعة الأزهرية .

وتدقق العرب بعد النبي صلى الله عليه وسلم يعلمون حقوق الإنسان . . ويستخلصونها من القوى الغاصب إلى الضعيف المترقب ، وكانت أسبق البلاد إلى الاستجابة لهذه الدعوة الكريمة : سورية ، « فلسطين » ، « العراق » ، « مصر » ، « شمال إفريقيا » . « فارس » . وبعد انقضاء القرن الأول على وفاة النبي صلوات الله عليه كان العرب قد وصلوا غرما إلى أسبانيا . . وشرقا إلى أن عبروا نهر السند . . فلما لبثوا أن أقاموا إمبراطورية أعظم من إمبراطورية روما في أوج عزها وقوتها . . حتى قال هارون الرشيد كلمته المشهورة . . « وقد رأى في السماء سحابة مطرة » أمطرى حيث شئت حيث تكونين يا نبيي خراجك » .

لكن للأسف أتى زمن تصدعت فيه أركان هذه الإمبراطورية العظيمة وتضعفت قوة المسلمين السياسية وتمزقت الأمة دويلات تكاد تفضل حين تعدها عدداً : العراق . . مصر . . سورية . . فلسطين . . لبنان . . تركيا . . المملكة العربية السعودية . . اليمن . . تونس . . المغرب . . الجزائر . . إلى ما هنالك من محميات وغير محميات ، الأمر الذي ينظر له قلب الغيور على مجدنا وتراثنا القديم . وختمت المسألة بقيام المزموعة « إسرائيل » ، شوكة في جنب العرب أو حربة موجهة إلى صدورنا أجمعين ، ورب ضارة نافعة . فقد تأثر من هذه الحال غبة آمنوا برهم فبادوا أنفسهم لله وعقدوا العزم مع الشعب الحبيب المتحفز لاستخلاص حقوقنا من الغاصبين الظالمين : وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم . .

هبت الأمة العربية في كل مكان لتستخلص حقها من الغاصب . في مصر . في الشام . في العراق . في الجزائر . في كل مكان قامت تستخلص حقها ، وهي في ذلك ليست معتدية . وليست متجنبة . وليست ظالمة . وإنما تطلب حقها طبيعياً أعطته لها شريعة السماء . وأعطته لها القوانين والعرف . بل تفرضه المروءة بقطع النظر عن الدين والقانون والعرف فإن إلباء الضيم مروءة . والاستسلام امتنان : امتنان للكرامة . إهدار للادمية . وأد للحرية . وماذا يبقى للإنسان أو لأمة تفقد كرامتها وأدبيتها وحريتها ؟ .

كل شيء يفنى ، أما ذكريات الأيام الخالدة التي تستخلص فيها الأمة حريتها فإنها باقية ، لأنها ذكرى القوة والقدرة والشجاعة . وهل يمكن الخائف . أو ضعيف . أو متردد أن يستخلص حقاً من غاصب ؟ .

الإسلام دين دعوة . دعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة : « ادع إلى سبيل ربك

ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن (١) ، ، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (٢) ، ، وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم (٣) .

ودين رحمة وشفقة يحير المستجير : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه (٤) » .

الإسلام يأمر باستخلاص الحق من الغاصب . ويخبرنا بأن الاستسلام للغاصب ليس فيه إلا الخسارة . ويقسم رب العزة جل جلاله على هذه الخسارة فيقول : « والعصر . إن الإنسان لئى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (٥) » .  
والتواصى بالحق والصبر ليس إلا أن نعمل بالحق . وأن نحافظ على الحق . وألا نياس في سبيله مهما منحينا بالنفس والنهيس .

والإسلام يوعد بالشر كل ظالم . كما يوعد به كل من يرى مظلوما ويتأخر عن نصرته وهو قادر فيقول صلى الله عليه في الحديث القدسي . يقول الله تبارك وتعالى : « وهزق . وجلالى . لا تتمن من الظالم فى عاجله وآجله . ولا تتمن من رأى مظلوما فقد أن ينصره فلم يفعل » .

آمنت بك ربى مثل الأقوياء وناصر الضعفاء . مثل الأقوياء الذين يعتمدون على قوتهم فيعتدون على حقوق الإنسان . وناصر الضعفاء الذين ليس لهم إلا أن يلجئوا إليك يا رب العالمين . وقد رأينا كيف كانت خسارة الأقوياء ماديا ومعنويا . رأيناها بأعيننا فى مصر . ورأيناها فى العراق . وسراها فى كل مكان وفى كل زمان . فسنة الله فى خلقه أن ينصر المظلومين المؤمنين : « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور » « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز (٦) » .

إن خير الأمم أمة يتأثر المجموع فيها للإهانة التى تلحق الفرد الواحد منها . على هذا نشأت الأمة ، أمة العرب ، خير أمة أخرجت للناس ، حتى لئرى ربه بن حارثة يخرج فى

(١) لتعل آية ١٢٥ . (٢) آل عمران آية ١٠٤ . (٣) الحج آية ٦٨ .

(٤) التوبة آية ٦ . (٥) السورة رقم ١٠٣ . (٦) الحج آية ٣٨ ، ٤٠ .

خمسة رجل إلى جذام ، لماذا ؟ ... لأنهم قطعوا الطريق على دحية الكلبي ، يخرج إليهم فيؤذهم على هذه القملة النكراء . وها هو ذا زيد بن رفاعه الجذامي يجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قومه فيعتذر ويعتذر بل ويسلم ، فيبث النبي صلى الله عليه وسلم عليا إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخل بينهم وبين حرمهم وأولادهم فيفعل .

هذا أدب الإسلام فما بالك إذا كانت الإهانة تلحق الأمة كلها لا الفرد الواحد منها . من غير شك تتأثر الأمة أكثر . ومن هنا ترى أمة العرب الآن تتأثر بتلك الإهانات التي تلحقها من الغاصب . تأثرت لتلك الإهانة التي لحقتنا من الغاصب . حين اعتدى على قناة السويس . فقام بطل القومية العربية فاستخلصها منهم عدلا جهارا . وكانت قد أخذت منا ظلما جهارا . وهذا هو العدل بعينه .

وتأثرت للإهانة التي لحقتنا في بغداد . فقيض الله لها من أبنائها البردة من استخلص لها حقها المنصوب وشرفها المسلوب . وتأثرت الأمة الآن أشد الأثر وأقواء لتلك الإهانة التي لحقتنا من ذلك الطفل الكبير . أو حسين الصغير . حيث يناصر الغاصب الأثيم على حقوق العرب ، ومن الغريب أنه يدعى القزاة لآل بيت رسول الله . وهم منه راء . فمن الامتحان للعقل الشرى أن يقول هذا في الوقت الذي يعتدى فيه على القيم الأخلاقية وعلى المثل العليا التي أتى بها رسول الإنسانية محمد بن عبد الله ، وتأثر الآن أمة العرب أشد الأثر وأقواء لتلك الإهانة التي لحقتنا من ذلك «الشمعون» الذي كفر بحقوق الإنسان . وبحقوق الجوار . وبحقوق العرب أجمعين . وتأثر الآن أمة العرب أشد الأثر وأقواء لتلك الإهانات التي تلحقها في كل مكان : في الجزائر ، في عدن ، في المحميات . وغير المحميات . وتلك بادرة نشر بالخير . فإذا كانت أمة العرب قد نامت على الظلم فإنها لم تمنع له . بل تمنع الفرس . وها هي ذي قد حانت . وتمين . حانت في مصر . وبغداد . وتمين في الأردن ولبنان ، وفي غير الأردن ولبنان ، لأن أمة العرب لا يمكن أن ترضى بأقفا يمدح ، ولا بحميتها تهان ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتكفرون ، ومن الكبار الفرار يوم الزحف . وها قد جاء الزحف المقدس لاستخلاص الحق من الغاصب .

وإذا كان لي - وأظنه لي ما دمت من علماء الأزهر - فإني أرسلها مدوية من على منبر مجلته . وهي لسان حاله . أرسلها صرخة عالية بتهية النموس لاستخلاص الحق من الغاصب . ونحن حين نحضر لاستخلاص حقنا لسنا بمعتدين . ولا بظالمين . وإنما نريد أن نحيا أحرارا كما خلقنا الله . أو نموت كراما كما يأمرنا الله . وإني أذكر أولئك الذين يناصرون الغاصب بسوء المنقلب : « وسيعلم الدين ظلموا أي منقلب ينقلبون »<sup>(١)</sup> أذكرهم بفعل الغاصب ذلك الذي امتص دماءنا ، واغتصب حقوقنا ، وأهان كرامتنا ، وأهدر آدميتنا ، ووأد حرمتنا . أذكرهم بهذا ، وأذكرهم بأننا أبناء أمة واحدة ، ودين واحد وكتاب واحد ، وليس يصح في عقل إلا أن تتكامل جميع شعوب العرب لمواجهة الغاصب المعتدى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »<sup>(٢)</sup> .

وإذا كان لي من كلمة عتاب فإني أعتب على الأمم الإسلامية التي تناصر الغاصب المعتدى على حقوق الإنسان . وفي أي سبيل تناصره ؟ . . . الدنيا ؟ . كم تساوى هذه الدنيا بحوار الحق . . . وصدق رسول الله « لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء » .

فتعاونوا أيها المسلمون في جميع بقاع الأرض على استخلاص الحق من الغاصب . بهذا يأمرنا الدين . . والإنسانية ويأمرنا الحق . . والله هو الحق المبين ٤

منصور رجب

## آيتان

قال الحكيم الألماني ( كانت ) :

شيثان يملأ عقل بما لا يفنى من عجب ورهبة ، كلما أمنت التفكير فيهما : هذه القبة الزرقاء المليئة بالنجوم فوق ، وهذا التاموس الأدبي في قرارة نفسي ! ! .



## قوى المسلمين الحرية وأساطيلهم البحرية في صدر الإسلام

يعجب المرء كل العجب ، منتهى العجب ، غاية العجب بالغ ما شئت في عجبه إذا قيل :  
إن المسلمين اتخذوا أساطيل البحار : ولما يحض على انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى  
الرفيق الأعلى غير سنين قليلة ، فتحوا نفوراً وجزائر متعددة في البحر الأبيض المتوسط ،  
وقد عاش العرب أكثر حياتهم على اليابسة ، لم تنشط لهم همة ، ولم تتوئب لهم عزية إلى ركوب  
البحر والتطوح على السفن إلى بلاد يجهلونها بكل ما فيها .

لكنتهم لما دخلوا أفق الإسلام سرت إليهم منه روح قوية وثابة لتحتها التوسع لصالح  
المسلمين في الدعوة إلى الله تحقيقاً لإعلاء كلمة الله في كل بقعة من بقاع هذه الرقعة السوداء  
يمكن أن يصل إليها داع ، أو يسعى إلى ممارستها ساع .

فأول ما بدا للمسلمين أن يشرعوا في الغزو بمرآ لإعلاء كلمة الله وإبتغاء مرصاته كان سنة  
ست عشرة هجرية ، فقد أرسل والى عمان أسطولاً لفتح الهند فاستولى على جزيرة تسمى  
جزيرة طناس ، وهي قرية من مدينة بومباي ، وخرج من ناحية البحرين بجزيرة العرب في  
جزيرة كامي على مدينة بارودا ، وأسطول ثالث خرج إلى مصب نهر السند فاستولى عليها .

وقد كان عبد الله بن عامر سنة ثلاث وعشرين في خلافة عثمان بن عفان يغزو بلاد كرمان  
وبمستان في شمال الهند ، وإذاك حدثت بين جيوش كرمان والسند وقائع انتهت بفوز  
القائد عبد الرحمن بن سمرة عليها ، فاستولى على إقليم داور ومدينة بوست ، وتعلب بعد ذلك  
المهلب بن أبي صفرة على ملك أفغانستان وفرض عليه دفع الجزية ، وكان ذلك سنة أربع وستين  
في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وأرسل المهجاج بن يوسف الثقفي سنة تسع وتسعين محمد  
ابن قاسم في السابعة عشرة من عمره إلى شاطئ نهر السند واستولى على مدائن ديل وبيرون

وبهمن آباد وآلور واقرب من جبال هملايا في شمال البلاد الهندية ، ولم يمض بعد ذلك غير قليل حتى كان فتية بن مسلم الذي ولاه الحجاج فتح آسيا الوسطى قد هزم التركان واستولى على خوارزم وما وراء نهر جيحون ومعهظم المملكة التتارية وأحرق أستانم مدن فرغانة ونخشب وبيكند وسمرقند ومدينة كاشغر وأقصو وخوطان ، ولما انتهى إلى حدود الإمبراطورية الصينية أرسل إلى عاهلها وفداً مؤلفاً من اثني عشر رجلاً وصالحهم على دفع الجزية ، وبعد ذلك توجه فتية بأسطول على نهر السند إلى داخل البلاد الهندية فلحق به جيش برى في أرض مكدان وانتشر في سهول مدينة كشمير فثارت عليه مدن على شواطئ نهر السند فتغلب عليها ، وما زالت الجيوش الإسلامية تجوس خلال الديار الهندية حتى وصلت إلى نهر الكنج الذي يقدس الهندوس ويحجون إليه كل عام .

ولما استطردنا من ذكر الأساطيل الإسلامية التي بدأت تخمر عباب البحر من سنة ست عشرة هجرية للفتح ونثر كلمة الله في العالم إلى ذكر الفتوح التي تمت في الهند وفي داخلها ليرى القارئ صورة مصغرة لحركة التصافر بين جيوش المسلمين البحرية لإدخال تلك الممالك الواسعة الأرجاء في حظيرة الإمبراطورية الإسلامية التي لم يشهد تاريخ الممالك ما يقرب منها في الاتساع والعظمة الدولية .

وأعجب ما في الأمر أن تتمكن دولة فتية كالدولة الإسلامية لا عهد لها بملك ولا حكومة من التبسط في فتوحاتها واتساع رقعتها إلى هذا الحد ، وتستطيع مع ذلك أن تحتفظ بهذا الملك الوحيب أجيالاً طويلاً وآماداً بعيدة لا بوسائل الإغاثات والإكرام كما يجري عليه ناموس الفتح المنتشر في الدول المسيحية الآن المعاصرة لنا ، ولكن بروح العدل والنصفة المطلقة والمثل العليا في المساواة والإحسان والرحمة ، فكان أثر هذه السيرة العاضلة الماثلة أن ذاعت اللغة العربية بأدبها وأسرارها ودقائقها وأساليبها الرصينة في تلك البقاع ، فلم يمض عليها غير سنين معدودات حتى أصبحت أمتع معاقل الأرض ومقرحات المسلمين وأعلامهم .

شهد الله أنه من أعجب ما يتفق للبرء البصير بحقائق الأشياء في دنيا التاريخ الغابر أن يقرأ وأن يتمتع في طرائق البحث والدراية ليرى أنه في إجماله وتفصيله معجزة من المعجزات الخوالد لمحمد صلى الله عليه وسلم .

فأول من أمر بالغزو في البحر الأبيض المتوسط معاوية بن أبي سفيان ، فأمر بإعداد

أسطول سنة سبع وعشرين هجرية ، فكان أول مصادفه من جرده جزيرة قبرص ، فقاتل حاميتها وحطم حصونها وما زال بها حتى هزمها وأسقطها في يده وفرض عليها الجزية . وفي سنة تسع وعشرين استولى على جزيرة إقريطش ( كريد ) وجزيرة كوس وجزيرة رودس . حدث كل هذا الفتح وهو والى الخلافة الراشدة على الشام في دمشق ، فلما آلت إليه الخلافة أرسل أساطيله لسنة ست وثلاثين هجرية لخارب الروم الشرقيين ، وقد كانت قاعدة الحكم يومئذ مدينة القسطنطينية فأباد جزءاً كبيراً من أسطول إمبراطورهم قسطنطين الثاني بعد محاصرته في خليج إيسالوق بسواحل إقليم لسيا على سواحل الأناضول فسحق جبل فينكس . ثم اتجهت رغبته إلى فتح القسطنطينية نفسها عاصمة الدولة الرومانية الشرقية وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين فأعد لذلك أسطولاً قوياً ضخماً ، فاقحم مضيق الدردنيل حتى وصل إلى سواحل بحر مرمره وأزل جنوده غرب القسطنطينية ولشوا يحاصرونها ست سنين ، غير أن إمبراطورها لجأ إلى وسيلة فكراهم أحرق بها أساطيل المسلمين يومئذ فاضطرت جنودها إذ ذاك أن ترجع إلى الشام وقد سار جيش رومي يمتدني أثرهم حتى أمن منهم على العاصمة والأناضول ، غير أن هذه الواقعة بنتائجها وظروفها المحيطة بها قد أغرت جوستينيان الثاني بالاستيلاء على الشام ، وكان ذلك سنة سبع وستين هجرية ، وكان ذلك في خلافة عبد الملك بن مروان ، وافق أن عبد الملك كان مشغولاً بأمر الخلافات والحزازات التي كان يثيرها مزاحمه ، فرأى أن يرد الروم بالحسن بدون قتال ، فهاهم على نبد العداوة بينهما فلما استتب له الأمر رأى أن يسترد ما كان قد استولى عليه الروم من الشام فقاتلهم وأوقع بهم واتصر عليهم ورد إلى حظيرة الإسلام ما كان قد انفصل عنها من المدن والأقاليم .

ولما كانت سنة ثلاث وسبعين أرسل عبد الملك بن مروان بأساطيله لفتح جزيرة صقلية فانهضت عدة مرات على المدافعين عنها .

ولما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة أخذ يرسل بالأساطيل لفتح القسطنطينية فكان الروم يحتالون على إحراق الأساطيل فتضطر الجيوش التي بها أن تعود برا ولكنها في عودتها كانت تقطع مدناً وقلعاً ، فاستولوا على مدائن بسواحل بحر مرمره ، وقد أثر إحراق الأساطيل في نفوس المسلمين فرأوا أن يعاملوا خصومهم بالمثل فسار مسلمة بن عبد الملك على رأس جيش لجنب مغيراً به على آسيا الصغرى فاستولى على مدن كثيرة منها ، وما زال يتابع سيره حتى

وصلت جنوده إلى إسكوار على الخليج النجفي وهي جزء من مدينة القسطنطينية ، فأحرقوا سفن الروم التي كانت بها وعادوا إلى معسكرهم .

وكانت ثمرة اتحاد المسلمين للأساطيل أن فتحوا بها جميع جزر البحر الأبيض المتوسط ومدناً كثيرة من البلاد اليونانية وسواحل إيطاليا .

### ثمرة هذه الفتوحات على المسلمين بل وعلى العالم كله :

إن ما وصل إليه المؤرخون حقائق لا تمجد ، وهي أن تبسط المسلمين في فتوحاتهم لم يكن القصد منه اجتياح الأمم وسلب منخورتها ومقدراتها ، فقد عفوا عن المهزومين المغلوبين على أمرهم ، ولم يتناولوا منهم سوى الجزية ، وأنهم اقتبسوا في أثناء فتوحاتهم كل ما صادفهم من علم نافع وصناعة ذات فائدة عملية في البلاد التي فتحوها .

قال العلامة دبرير في كتابه ( المنازعة بين العلم والدين ) المترجم للغة العربية : « إن المسلمين ما كانوا يتقاضون من مهزومهم إلا شيئاً ضئيلاً من المال لا يقارن بما كانت تقاضاه منهم حكوماتهم الوطنية .

وقال العلامة سديو المؤرخ الفرنسي في كتابه ( خلاصة تاريخ العرب ) فيما يتعلق باقتباس المسلمين للعلوم ما خلاصته : « لما تولى الخلافة أبو جعفر المنصور سنة ١٣٥ هـ أظهر ميلاً عظيماً للعلوم الكونية ، فكان يستدعى العلماء من البلاد التي انضمت إلى الإمبراطورية الإسلامية ويطلب إليهم ترجمة الكتب اليونانية ويغدق عليهم الأموال الطائلة وقد سار خلفاؤه على سيرته في نشر العلوم وترجمة كتبها من اليونانية وغيرها ، وخاصة حفيديه المهدي وهارون الرشيد ، فقد أقبلوا على علماء النصرانية المنتشرين ببلاد آسيا فاستقدموهم وأوعزوا إليهم بترجمة الكتب اليونانية والفارسية والبريانية إلى العربية ، فاشتهر في عصرهما العالم الفلكي المسمى ( ما شاء الله ) فوضع دائرته النحاسية ، كما اشتهر أحمد بن محمد التماوندي فكان أقدم علماء الأرصاد في الدولة الإسلامية ، وترجم حجازي بن يوسف كتاب إقليدس إلى اللغة العربية فتقدمت في هذا العصر العلوم الفلكية والميكانيكية ، وكفى بالساعة الدقاقة التي أهداها الرشيد إلى ملك أوربا شريمان شاهداً على تقدم الفنون في ذلك العصر ، فلما جاء المسلمون وهو يشبه بأغسطس لدى الرومانيين أحاط نفسه بهالة من أعظم علماء الأرض ، وأدناهم

من بلاطه ، ثم جعل بينه وبين ملوك القسطنطينية روابط وثيقة العرى ابتغاء تمكينه من صيون الكتب اليونانية والموسوعات ، فأنتفق أموالا طائلة على ترجمة مؤلفات علماء الإسكندرية في عهد البطالسة وعلى ترجمة غيرها مما كان مخدراً في المكتبات الأجنبية التي لم يكن لها مماثل في مكتبة أثينا نفسها .

والباحث المتمق يراجع البصر إلى ماضي المسلمين فيرى مجدهم العظيم قد تمزق على كل مجد في فتوحاتهم الإسلامية بين جيوشهم وأساطيلهم ، فيستصغروا يقوم به الغرب اليوم نحو المسلمين في الشرق الأوسط من العرب ، وأى فارق بين عهد المسلمين السابق وبين ما نراه من بقى الغرب على العرب المسلمين واحتلال بلادهم طلباً وجوراً ، وإن يوم عز المسلمين لقريب إن شاء الله .

عباس طه

## الآخرة

روت الأنسة م في مقالة لها بمجلة المقتطف ( نوفمبر ١٩٣٧ ) أن الدكتور يعقوب صروف منشى\* مجلة المقتطف - الذي يظنه أكثر الناس مادياً - كان يسخر من الملاحدة الذين حرموا نعمة الإيمان بالله ، وأوردت من كتاباته بعد نقاشه من مرض أشقى فيه على الموت قوله :

« لو عاش الناس كلهم في هذه الدنيا منتظرين الآخرة لانتفى أكثر ما فيها من الشرور والآلام ، وانكسرت شوكة الموت » .

# لغويات

## بين الرجلين تصاف وانسجام

يستعمل الناس الانسجام في التوافق والالتزام . وهذا المعنى لا يعرف للانسجام في اللغة . وإنما الانسجام : انصباب السائل ، يقال : انسجم النعم إذا سال ، وانسجم المطر . وفي آخر بردة البوصيري - رضي الله عنه :

وأذن لسحب صلاة منك دأمة على التي بمنهل ومنسجم

ويقول الباجوري في شرح قوله : ( بمنهل ومنسجم ) : « والتقدير : بمطر منهل ومطر منسجم ، والمنهل : المنصب لشدة ، والمنسجم السائل لعدم شدته » ، وكأن هذا التقييد أخذه الباجوري من مقابلة المنسجم بالمنهل ، فجعل العطف عطف المبين . ويميل الشيخ خالد إلى أن العطف من عطف العام على الخاص ، فهو يقول : « انهل المطر : سال بشدة ، وانسجم : سال بشدة وغيرها » ، ولا نرى في اللغة هذا التقييد .

وليس من اليسير على الباحث أن يورد الصلة بين معنى الانسجام في اللغة ، ومعناه المتعارف بين الناس ، وهو التوافق والالتزام .

ويرى بعض الباحثين أن انسجام النعم وسيلانه يتضمن خيوطاً من النعم على صمحق الخد على السواء ، وهذه الخيوط روعى توافقها ، وفهم من انسجامها ، فكانت هذه الصلة بين الانسجام والتوافق ، ثم استعمل الانسجام في كل توافق ، وهجر المعنى الأصلي ، وهو السيلان .

ويرى بعضهم أن الأصل أن يقال : انسجم النعم أي جرى وسال . وقيل منه على سبيل المجاز والمثل : انسجم فلان في هوى فلان أي جرى في هواه ووافقه في أمره ، كما يقال في هذا المعنى : حظ في هواه وانحط في هواه . وفي الأساس : « وحط في هواه وانحط فيه . ويقال : أكل من حلواتهم ، فانحط في أهوائهم » . وتعرف الناس في الكلمة فقالوا : انسجم الرجلان أي توافقا .

واستعمال الانسجام في التوافق على غير وجه الاستعمال في اللغة قديم . فقد جاء في صبح الأعشى ج ١٤ ص ٧١ : وبأجله فإنما ذكرت السخ المذكورة ، على محافة لفظها ، وعدم انسجام ترتيبها ؛ لاستعمالها على الفصول التي جرى فيها الاتفاق .

### استهتر فلان

في هذه الصيغة خطأ شائع ، وهو استعمال الاستهتار في استخفاف المرء بحق غيره ، فيقال : إن الأم الغريبة تستهتر بالأم العربية أي تستخف بها ولا ترعى ما يجب لها . ويستعمل الناس في هذا صيغة البناء الفاعل .

وإنما الوجه في استعمال الاستهتار أن يرد مبنياً للمفعول ، فيقال استهتر فلان بأذى غيره ، أي أولع به وصار لا يبالى فيه لوما . وقد اشتهر أن الاستهتار لا يكون إلا بهذا المعنى معنى الولوع بالشيء ، وأنه لذلك لا بد من ذكر صلته ، فلا ينبغي أن يقال : فلان مستهتر ، إلا أن يتبع بالصلة ، فيقال : مستهتر بكذا ، وعلى هذا فن الخطأ أن يقال : فلان مستهتر .

والناظر في كتب اللغة يجد أن ( استهتر ) بالبناء للمفعول يأتي على وجهين . فيقال : استهتر الرجل إذا كان ينحو نحو الباطل والشر ، ولا يبالى ما يقول الناس فيه . وهذا الوجه يستغنى فيه عن الصلة بعده ، كما ترى . ويقال : فلان مستهتر بالشر أي مولع به حريص عليه لا يبالى ما يقال فيه ، وهذا لا بد من ذكر الصلة بعده ، وهذا الوجه يمت بصلة قريبة إلى الوجه الأول .

والوجه في بناء الصيغة للجهول أن معنى استهتر : أصيب بالهت ، وهو الباطل والسوء والخرق ، لجاء على صيغة اسم المفعول ليدل على هذا المعنى ، كما قيل : جن الرجل أي أصيب بالجنون ، وكما يقال : جرت الأرض أي أصيبت بالجراد .

وفي اللسان : « ورجل مستهتر : لا يبالى ما قيل له ولا ما شتم به » . وفيه : « وفي حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - : اللهم إني أعوذ بك أن أكون من المستهترين . يقال استهتر فلان فهو مستهتر إذا كان كثير الأباطيل » وفي المصباح : « واستهتر : اتبع هواه فلا يبالى بما يفعل به » . وفي اللسان : « استهتر بأمر كذا وكذا أي أولع به ، لا يتحدث بغيره ،

ولا يفعل غيره . . . فترى من هذه النصوص مجيء الاستهتار بالوجهين ، مقرونا بالصلة وطارياً عنها .

ويبدو أن من قصر استعمال الاستهتار على الصلة أخذه من الأساس ، فمعه : « ومن المجاز هو مهتر به ومستهتر به : مفتون به ذاهب العقل » قراء اقتصر على الصلة . وكذلك جاء في القاموس : « والمستهتر بالشيء : المولع به لا يبالي بما فعل فيه وشتم له ، والذي كثرت أباطيله . وقد استهتر بكذا على ما لم يسم فاعله ، وإذا رجعنا إلى عبارة اللسان نجد أن الذي كثرت أباطيله يقال له مستهتر ، لا مستهتر بكذا ، فعبارة القاموس ليست على ما ينبغي ، وقد أتى صاحب القاموس من الرغبة في الاختصار . وكان ينبغي أن يقول : المستهتر : الذي كثرت أباطيله ، والمستهتر بالشيء : المولع به . وقد اقتصر صاحب « إتحاف القاميل » في المبني لغير الفاعل ، على الاستهتار مقرونا بالصلة فقال : « استهتر بكذا بالفوقية والهاء والفوقية والراء مبني للجھول ، كما في القاموس . والمستهتر بالشيء : المولع به لا يبالي بما فعل » .

وجاء في قصيدة مفضلية لعبدة بن الطيب :

إن الحوادث يحترمن وإنما عمر الفتى في أهله مستودع  
يسى ويجمع جاهداً مستهتراً جـداً وليس بأكل ما يجمع

وفي شرح المفضليات لابن الأنباري ٣٠٢ : « مستهتراً : مولعاً موكلاً بذلك . . . مستهتراً : ذاهب العقل فيه من حرصه عليه ، وهو الولع بالشيء . » ، وتراه فخر الاستهتار بالولع بالشيء ، وكأنه يقدر صلة محذوفة في البيت أي مستهتراً بجمع ماله ، ولا داعي لهذا ، فالوجه تفسير المستهتر بالذاهب العقل الأحق ، ومن هذا أنه يعرف في جمع المال من كل وجه .

وبما يذكر هنا أنه ورد في شرح ابن الأنباري ضبط ( مستهتراً ) بكسر التاء بالبناء للفاعل ، وهذا بضبط القلم ، وهذا يخالف ما أجمع عليه أصحاب المحاجم التي بأيدينا ، فإنهم نصوا على أنه لا يستعمل إلا مبنياً للفعول ، فلا يقول عليه . ولا أرى في هذا ما رآه شارحا المفضليات الأستاذان أحمد شاكر وعبد السلام هارون أن الكسر بناء على ضبط القلم في شرح



ابن الأنباري لغة صحيحة . وهما يتمولان في ذلك : المستتر : المولع بالشيء . الذاهب العقل فيه من حرصه عليه . وضبط بكسر التاء على وزن اسم الفاعل في أصول المتن والشرح أربع مرات . والذي في المعاجم ضبط بفتحها بوزن اسم المفعول ، وضبط فعله ( استهر ) بالبناء للمفعول . فما ثبت هنا لغة لم ينص عليها .

### استقل القائد الطائرة

هذا مما يشيع استعماله في هذه الأيام ، فيقال : استقل السيارة أو الطائرة أى ركب فيها . وهذا الاستعمال لا يوافق الاستعمال اللغوي . فإما يقال : استقل الشيء أى حمله وركبه ، كما يقال في هذا : أقله . يقال : أقلت الأرض من عليها واستقلتهم أى حملتهم . وبأقنى الاستعمال أيضاً لازماً ، فيقال : استقل الطائر : ارتفع في طيرانه ، واستقل القوم : ارتحلوا . وفي اللسان : د يقال : أقل الشيء واستقله يستقله إذا رفعه وحمله . . . واستقل الطائر في طيرانه نهض للطيران وارتفع في الهواء ، واستقل النبات : أناف ، واستقل القوم : ذهبوا واحتملوا سائرهم وارتحلوا : قال الله عز وجل - حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً أى حملت ، واستقلت السماء : ارتفعت ، وفي القاموس : د واستقله : حمله ورفع كفه وأقله ، والطائر في طيرانه . ارتفع ، والنبات : أناف ، والقوم : ذهبوا وارتحلوا ، والشيء : حمله قليلاً .

ويستطيع الباحث أن يخرج هذا الاستعمال الشائع على القلب . فأصل ( استقل الطائرة ) استقلته الطائرة أى رفعته ، وقد نجم كثير من الأساليب والألفاظ عن القلب ، كما يقال لحر في حفر . أو أن أصل استقل الطائرة : استقل في الطائرة أى ارتفع ، لحذف الحرف .

ولا ريب أن هذا لا يسوغ الخروج على الاستعمال الصحيح فيقال : استقلته الطائرة ؟

محمد علي النجار

### أسطورة عربية

تزعّم العرب أن « الهديل » فرخ كان على عهد نوح ، فصاده جلوح من جوارح الطير ، فليس من حمامة إلا وهى تبكى عليه . وذكر هذه الأسطورة أبو وجرة السعدي في شعره :

فقلت أتبكي ذات طوق تذكرت      هديلاً وقد أودى وما كان تبع

## رسالة الأزهر - ٣

### رسالة الأدب

من خير ما عرف به الأدب قول ابن خلدون في مقدمته - : « هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها . . وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته . . وهي الإجابة في فني المنشور والمنطوم على أساليب العرب ومناحيهم . . فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به المسكة من شعر عالي الطبقة وجمع متساو في الإجابة ومساائل في اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة . . يستقرى منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض أيام العرب . ليفهم به ما يقع في أشعارهم منها . وكذلك ذكر المهم من الأنساب المشهورة والأخبار العامة . والمقصود بذلك كله ألا يغنى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم . ثم إنهم إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا : الأدب حفظ أخبار العرب وأشعارها والآخر من كل علم بطرف . »

هذا التعريف بالأدب وفنونه من ابن خلدون هو من أقدم ما عرف به الأدب . . وقد سبقه إلى ذلك أبو بحر الجاحظ بمالا أرى داعيا إلى ذكره لآتي لست في مقام درس في أدب اللغة . وإنما خصصت بالقول تعريف ابن خلدون لأنه قد عاصر الأزهر بعد انقضاء الدولة الأيوبية . وكان بمن وقفت لم العلاقات العلية بالأزهر وأهله وإن لم يكن يوما من طلابه . فتعريفه للأدب هو الذي يقرب لنا ما كان عليه الأدب في أيامه . لنقيس عليه مسافة ما كان للأزهر من هذا الأدب في علومه وفي مواد الدراسة فيه .

لو شاء العبيديون - وهم بانو الأزهر - أن يكون للأدب فيه نصيب لاستطاعوا ذلك بأكثر وسائل الاستطاعة ؛ لأنهم أهل معرفة ولم يكتسبوا كثرته كتبها الأمثال . ولكنهم لم يريدوا ذلك لأنهم أسسوا الأزهر على دراسة مذهبهم الشيعي والتفقه فيه إلى أبعد الآفاق . ولذلك قصرُوا الدراسة فيه على هذه السيل المذهبية ليغرسوا أصول مذهبهم في مصر لا من طريق الشعر والأدب ولكن من طريق المزاولة التي هي في صميم مذهبهم واتعمق فيها إلى أبعد الأغوار . وكذلك من طريق المؤلفات التي هي في صميم مذهبهم

الشيخي . نعم كان لهم شعراء يتغنون بمذهبهم ولكنهم لم يكونوا من طلبة الأزهر وإنما كانوا من بيئات أخرى مثل الشاعر الكبير عمارة النقي الذي رحل إلى مصر في مدة العبيديين . ثم كان شاعرهم المذهبي الأول . بل لقد كان إمام شعرائهم على نحو ما كان أبو الطيب المتنبي إمام شعراء سيف الدولة بن حمدان في حلب .

\*\*\*

انتهى هذا الدور العبيدي وجاء بعده الدور الأكبر في ركود الأزهر . فنقد جاء بعد الدولة العبيدية - الدولة الأيوبية . وقد قسا السلطان صلاح الدين على حياة العبيديين وأزهرهم قسوة منبئة من سنيته . فلقد كان سنيا بأكر معاني الكلمة . ومن ذلك أنه شق من شقق وعق من عق . وأراد أن يلحق بالأزهر الحق الأبدى لأنه كان معهد المذهب الإسماعيلي فغلق أبوابه ومنع فيه خطبة الجمعة وصيره أثراً بعد عين . وظل الأزهر كذلك قرابة مائة عام تهدم فيها كثير من معالمه وانصرف الناس عن العبادة فيه . وأقام على أبقاضه مدارس لتدريس المذاهب الأربعة . وكان لصلاح الدين شعراء يؤطعون انتصاراته ومذهبه السني كما كان للحلفاء العبيديين شعراء كذلك على نحو ما أسلفت . وهؤلاء الشعراء وهؤلاء لم يكونوا من البيئات الأدبية البحتة . وكان من شعراء صلاح الدين العماد الأصفهاني الذي يمتدح صلاح الدين بقوله .

شكراً إليك بنو الإسلام يتهمهم      فقامت فيهم مقام الوالد الحبيب  
في كل دار من الإفرنج نادرة      بما دهاهم فقد باتوا على نيب

### دور البحث

بعث الأزهر من جديد في عهد السلطان الظاهر بيبرس من ملوك الجراكسة ، فقد تولى هذا السلطان ملك مصر سنة ٦٥٨ هجرية ، وأول ما عني به بعث الأزهر من جديد ليكون معهداً . وانجهت العناية حينئذ لإتقان تدريس العلوم الدينية ، التي هي المقصد الاسمي بعد بعث الأزهر . . ولا غنى لكل مقصد عن آلائه النافعة . . ومن آلات العلوم الدينية النحو والصرف والبلاغة . . وكان هذا الدور هو دور التأسيس لهذا المعهد العتيق الذي لا تزال آثار هذا التأسيس القوي ماثلة فيه الآن .

وفي هذا التأسيس القوي لم يدخل الفن الأدبي الأزهر . وإنما كانت هناك

حواليه نهضة أدبية بارعة حمل لواءها الشعراء ، أمثال بهاء الدين زهير ، وابن مطروح ، وابن نباتة ، والشاب الطريف ، وصفي الدين الحلي ، وسراج الدين الوراق المصري .. كما حمل لواء النثر الفنى فيها أمثال أبى العباس القلقشندي ، ومحيي الدين بن عبد الظاهر ، وشهاب الدين الخفاجي ، .. كما حمل لواء النثر العلمى الشيخ كمال الدين الدميرى ، وعبد الرحمن بن خلدون ، وتقى الدين المقرئى ، وشمس الدين النواجي ، والشيخ شهاب الدين الألبشى .. على تفاوت بينهم فى الأزمنة التى يقترب بعضها من بعض ، اقتراباً يصل أولها بآخرها .. وقد تأثر الأزهر بهذه الحركة الأدبية ، لأن من بين من أسلفنا من أعلام النثر الفنى ، والنثر العلمى ، من انتسب إلى الأزهر ، وكان من طلابه ، غير أنهم آثروا الاستقلال بالأدب والفن ، وراحوا يؤلفون ويدونون .. قتلوا الحياة بمؤلفاتهم الأدبية التاريخية ..

وأذكر بالذات عالماً جليلاً جمع بين الأدب وبين الاشتغال بالعلوم الدينية ، التى كان فيها إماماً يشار إليه بالبنان .. ذلك هو الشيخ المعروف بابن دقيق العيد .. وله فى ترجمته الدينية لوامع قد لا يجاريه فيها الكثيرون من علماء وقته .. هذا الشيخ كان أديباً كبيراً ، ولولم يدرس الأدب فى الأزهر ، لأن الأزهر كما أسلفنا كان خلواً من ماصح الأدب كفن يدرس وكان الأديب من بين أبنائه إنما يكون أديباً برغبته فى قراءة الأدب من نفسه لا بتلقين ولا بدراسة .

ومن شعر الشيخ ابن دقيق العيد ، وهو شعر بالغ العذوبة والسمو . قوله يشكو الفقر .

لمرى لقد قاسيت بالفقر شدة	وقعت بها فى حيرة وشدة
فإن بحث بالشكوى هتكت مروءتى	وإن لم أبح بالصبر خفت بماتى
وأعلم به من نازل بملسة	يزيل حياتى أو يزبل حياتى

وقال يتمنى الجمع بين الشيب والشباب :

تمنيت أن الشيب عاجل لمسى	وقرب منى فى صاى مزاره
فأخذ من عصر الشباب نشاطه	وأخذ من عصر المشيب وقاره

وكان من بين هؤلاء الأفاضل الأزهريين عالم العلماء الذى لا يجارى فى كثرة التأليف المفيدة .. الشيخ الجلال السيوطى فقد ألف - فيما ألف - كتابه الأشهر ( المزهر فى علوم اللغة ) وهو وإن لم يكن كتاباً أديباً بحثاً إلا أنه مقدمة للأدب وجعبة للأديب الدارس

يفتخر منه ما شاء له الأخذ عنه . . قال الشيخ في مقدمته : هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه .  
واخترت تنويحه وتبويبه . وذلك في علوم اللغة وأنواعها وشروط أدائها وسماعها . . .  
وكان كثير من تقدموا ولم بأشياء من ذلك . ويعنى في تمهيدها بيان المسالك . غير أن المجموع  
لم يسبق إليه سابق ، ولا طرق سيّله غيرى طارق . .

• • •

جاء بعد هذا العهد عهد ركبت فيه اللغة العربية وآدابها ركود الطين في الماء الأسن .  
ذلك هو عهد البسكوات الممالك والأتراك . . وقد لحق اللغة وآدابها فيه التحطيم الكامل -  
إلى أن رأينا بريقاً في جو الأدب لمع من عبقرية عالم أزهري جليل هو شيخ الإسلام  
السادس الشيخ عبد الله الشبراوي قال في بعض أسفاره منشوقاً إلى مصر :

أعد ذكر مصر إن قلبي مولع بمصر ومن لي أن ترى مقلتي مصراً  
وكرر على سمعي أحاديث نيلها فقد ردت الأمواج سائلة نهراً  
بلادها مد السباح جناحه وأظهر فيها المجد آيته الكبرى  
رويداً إذا حدثتني عن ربوعها فتطويل أخبار الهوى لئلا أخرى

وقفي على أثره الشيخ إسماعيل الحشاش قال منزلاً :

يا شقيق البدر نوراً وسناً وأخا الغصن إذا ما اعطفنا  
بأبي منك جيئاً مشرقاً لو بدا للنين انكسفا  
بغيتك منك رضاء ورضا وعلى الدنيا ومن فيها العفا

وجاء بعده شيخ الإسلام الشيخ حسن العطار . قال يتغزل :

ألزمت نفسي الصبر فيك نأسيأ والصبر أصعب ما يفسد نجيته  
وبليت منك بكل لاح لو تبدى نحو طود أفتته كروبه  
أفلا رثيت لما شئت لعبت به أيدي المنون ونازعته خطوبه  
أنت النعيم له ومن عجب تمذ به وتمرحه وأنت طيبه

ثم من بعدهم الشيخ محمد شهاب ، وهو وإن لم تكن أزهريه معروفة للكثيرين إلا أنه  
أخذ ثقافته الأولى من الأزهر ، ثم انقطع إلى التحرير والأدب . . ومن شعره في قصيدة له  
أنشأها لتكسب حول جامع القلعة .

عروس كنوز قد تحلت بمسجد      مكللة نيجانها بالزبرجد  
 أم الجنة المبني على قصورها      بأبهج ياقوت وأبهى زمرد  
 ألا إن تجديد العجيب من البناء      يؤكد تأسيس اقتدار المجدد  
 فلو عدت في الكون بدء بدائع      لكان به ختم لداك التعدد  
 كأن الليالي الوالدات عجائبها      أصبن بعقم بمد هذا التولد

• • •

والشيخ محمد شهاب أيضا في امتداح المفتي الشيخ محمد المهدي العباسي :

نب مفتي الهوى وتبت يداه      ضل شرعى نهجه والسياسي  
 فدعيه يا عز - عز اضطباري      إن فتواه فتنة للناس  
 ولئن قلت أى فتوى البرايا      حكمت بالنصوص دون التباس  
 وارتضاها الزمان قل لي وأرح      قلت فتوى مهديه العباسي

ومن شعراء هذا العهد الأزهرى الشيخ محمود العالم . وفي شعره طابع واضح لنظم  
 كثيرين من العلماء في مناحى تفكيرهم وأسلوب أدبهم في هذه الحقبة . قال يبنى الشيخ  
 العروسي بمشيخة الأزهر سنة ١٢٨٥ هجرية :

إن شيخ الإسلام أيده الله تعالى بالنصر والتعزيز  
 العروسي أوحى الناس في الفضل وأين الأنهار في الراموز (١)  
 فائق الناس في العلوم بذهن يتلظى فيها وقلب جميز (٢)  
 من أحاديثه تشم شذا المسك وريا الكافور والثونيز (٣)

وقبل أن أنتقل إلى أفق آخر من آفاق الحديث أذكر أن للشيخ الحشاش ديوان شعر  
 صغير كان متداولاً في وقته بين أدباء عصره . وقد جمعه وطبعه بعد وفاة صاحبه - أصدق  
 أوفياءه الشيخ حسن العطار . وكان لهذا الديوان رسالة أدبية عامة في وقته : هي أن الكثيرين  
 تأثروا به في دراستهم الأدبية .

• • •

هذا في الشعر ، أما في النثر فلقد كان أوضح الناثرين شأنًا - الشيخ حسن العطار وقد جمع مشوره بنفسه قبل مماته وأودعه المكتبة التي أنشأها محمد علي الكبير وقد طبع هذا المجموع عام ١٢٧٨ هجرية بعد وفاة صاحبه . وهو مجموع يدل على اطلاع واسع على كتب الأدب وإتقان المعاملات الشرعية ، وقد قال صاحبه في تقييده : « وهو منقسم إلى قسمين : كتابة الشروط والمعاملات . وإنشاء المراسلات والمحاطبات . . . » وكان وضع رسائل المعاملات ملقة الشيخ العطار الأدبية جديدًا كل الجدة على كتابة أبواب المعاملات الشرعية وإليك مثالًا منها بعنوان ( القرض ) .

« استقرض فلان من فلان كذا وكذا دينارًا أو درهمًا من النقد الفلاني . فأقرضه ذلك وهما بحالة يصح فيها القرض والاستعراض الشرعيان . استقرضنا وإقرضنا شرعيين صحيحين ومن المسدات والقواعد عريين . مشتملين على الإيجاب والقبول من الجانبين ، وصار المال المستقرض حقًا وملكا لفلان المستقرض .. وله التصرف فيه على حسب مشيئته وإرادته . وعليه رد مثله إلى المقرض حين يطلبه عاجلا من غير بماطلة ومدافعة ... حسبما تراضيا على ذلك وانفقا ... »

أما رسائله الأدبية الإخوانية فكثيرة جدا . وإليك مثلا وجزا منها .

« أعاد الله أيام التهانى ووجدت ما أندرس من معالم المرات . وجمع الشمل بأصحاب وأتراب . هم كواكب الفضل المشرقة مدى الدهور ... نخس من بينهم شمهم المنيرة . الذي جمع من الفضل قليله وكثيره ... ولا زالت العليا بوجوده باسمه الثغر . والأيام والليالي بعماليه تعد غرة في جبين الدهر ... »

يصف الشيخ عبد الرحمن الجبرتي أدب الشيخين الخشاب والعطار بما أختم به مقال اليوم مرجعنا بتمية ( رسالة الأزهري الأدبية إلى ما بعد ) : قال الجبرتي .

« ... فكان كثيرا ما يبتان معا . ويقطعان الليل بأحاديث أرق من نسيم السحر . والطف من اتساق نظم الدرر ، وكثيرا ما كانا يتنادمان بداري . لما بنى وبينهما من الصعبة الأكيدة والمودة العتيبة . فكانا يرتاحان عندي . يتجاذبان أطراف الكلام .

فيجولان في كل فن من الفنون الأدبية والتواريخ والمحاضرات ، فتارة يتشاكبان  
تغير الزمان ، وأخرى يترنمان بمحاسن الغزلان ... فكانت تجري بينهما منادات أرق من  
زهر الرياض . وأفتك بالعقول من الخلق المراض ... واستمرت صحبتها . وتزايدت على  
طول الأيام مودتهما .. .

عما سلف من البيان نعلم أنه كان بالأزهر في هذه الحقبة نبعان : نبع كثير الطلاب ، يعنى  
بتحصيل الدروس المقررة ليس غير من علوم قواعد اللغة والدين . ونبع قليل الطلاب ،  
اختيارى التناول . هو نبع الأدب والتاريخ الذى ارتوى منه من أسلفت من أصحاب رسالة  
الأزهر الأدبية . ومنهم من سيجىء ذكره في السكيات اللاحقة . هؤلاء وهؤلاء هم الذين  
نسجت منهم رسالة الأزهر الأدبية .

### حسن الشيخه

المحرر الأدبي بمريدة الشعب  
وعضو نقابة الصحفيين

## الذين يأتون العلوم من ظهورها

جاء العلوم بيوتها من ظهورها	وأخو الزكاة من أتى من بابها
فرفعت أن تستكين لفهمه	فارتد لم يظفر بثق ترابها
نبع الحقيقة ، والحقيقة لم تكن	لريم هذى الأرض خوف كلابها
وحقائق الأشياء ثابتة وإن	أعيا على العميان خرق حجابها

محمد حسن النجمي



## قراءات

تختلف القراءة بالنسبة للأفراد ، فبينما يمر البعض على ما يقرأ من الكرام ، لا يكاد يعي ما يقرأه ، بل وما يكاد يترك الكتاب حتى ينسى ما قرأ ، إذا بالبعض الآخر يقرأ قراءة واعية تهدف إلى تفهم ومضم المادة التي يقرأها .

وقد درجت في قراءاتي على أن أضع « أرشيماء » لما أقرأ لأرجع إلى ما أريد عند الحاجة . ومن هذا الأرشيف استخرجت الفقرات التالية ، التي قد يجدها البعض مجرد طرائف ، قد يتسم عند قراءتها ، وقد يجد فيها البعض الآخر معلومات عامة أساسية تستحق منه بعض التمعن .

### ( أ ) بحيرة بلا ماء :

تقع جزيرة ترينيداد بقرب الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية ، اكتشفها كولمبس في رحلته الثالثة سنة ١٤٩٤م ( ١٤٩٨م ) ، ونقلت في أحضان الاستعمار الأسباني ثم الفرنسي ، ووقعت أخيراً في براثن الإنجليز سنة ١٧١٢م ( ١٧٩٧م ) .

في جنوب غرب الجزيرة تقع « بحيرة » Pitch وهي ليست كغيرها من البحيرات إذ لا يملؤها الماء ، وإنما . . . الإسفلت . والإسفلت صلب على السطح حتى أنهم يحفرونه لاستخراجه ثم يذاب ويباع في براميل تصدر إلى مختلف دول العالم ، ولا تلبث الحفرة أن تمتلئ ثانية بالإسفلت يصعد إليها من القاع .

ولاشك أن معظم طرق الجزيرة ( التي تبلغ مساحتها ١٨٠٠ ميل مربع ، وسكانها ٣٦٠٠٠٠ نسمة ) طرق جيدة الرصف .

### ( ب ) الرأس الأخضر :

بدأ الأسبان والبرتغاليون استكشافاتهم الجغرافية ، تدفعهم الرغبة البحث عن طريق إلى الهند غير طريق مصر ، وتزعم هذه الحركة في البرتغال أحد أمرائها « هنري الملاح » ،

ووصلت بعثاته جزيرة ماديرا على الشاطئ "النهالي الغربي لإفريقية سنة ١٤١٨ م ، وتقدمت منها في بطنه نحو الجنوب ، ولكنها كانت تسير بمحاذاة شواطئ "الصحراء الكبرى الفاحشة تهب منها رياح حارة لا لغة محملة بالرمال .

وبعد لآي وصلت البعثات إلى أول أرض خضراء بعد الصحراء فأطلقوا عليها اسم "الرأس الأخضر Cape Verde" ، وحين نزلوا فيها وجدوا أن كل سكانها من الزوج فأسموها أرض الزوج Negro Land ، وما زالت تحمل هذا الاسم حتى اليوم .

### (ج) جبل الأسود :

واستمرت بعثات البرتغاليين تتقدم حتى بلغت شواطئ "غينيا ومرت المستكشفون في طريقهم بتلال ، كان صوت الرعد - فوقها - الذي يصاحب العواصف الممطرة في الغسق يشبه زئير الأسود ، وما زالت الأرض تحمل هذا الاسم حتى اليوم : إننا نعرفها باسم سيراليون Sierra Leone .

### (د) أرض الميلاد :

وقبل أن تترك قارة إفريقية ، لتتحول إلى ساحلها الشرقى ، فقد كان البحث قائما على قدم وساق عن طريق إلى الهند ، وحمل فاسكودى جاما هذا العبء منذ سنة ١٤٩٧ م (١٤٩٧) ونحطى رأس الرجاء الصالح (الذى سبق أن وصله المستكشف دياز) وصعد في البحر شمالا ، ووجد ساحلا خصبا تكسوه الغابات ، وكان وصوله إذ ذاك في يوم الميلاد (الكريسماس) فأطلق على الأرض اسم "الميلاد" .

إننا نطلق هذا الاسم بلفظه الأجنبي "ناتال" .

### (هـ) الأمازون :

ذكر الإغريق في أساطيرهم أنه كانت توجد أمة من النساء تعيش في القوقاز ، كانت شديدة المراس ، حتى أنها غزت آسيا الصغرى واليونان ومصر وغيرها من البلاد . وكانت تحكم هذه الأمة ملكة ، ويلتقين كل عام مرة مع شعب مجاور من الرجال هم شعب "الجارجاريين" فتحمل النساء ، وعند الولادة يحتفظن بالإناث ، ويثدن الذكور أو يعطينهم للجارجاريين ويقال إنهن كن يقطعن الثدي الأيمن ليسهل عليهن استعمال السلاح .

ولن نطيل في ذكر هذه الأمة التي كانت تسمى «الامازون» ، ولكننا سنتقل إلى أمريكا الجنوبية في بدء اكتشافها .

كان الأسبان يتسابقون لاحتلالها يجلبهم إليها ريق الذهب ، وعين الأسبان أحد قوادم حاكما على الأرض التي نسميها اليوم إكوادور ، فرأى أن الوطنيين يأتون من جهة الشرق يشترون البضائع بمعدن الذهب . فقال لعابه ، ومن ثم قام بنفسه للاستكشاف ، وسارت حملته مسافات شاسعة ، ونفذ طعامهم ، فأرسل الحاكم أحد جنابله : أوريللانا Orellana للبحث عن طعام . وناء أوريللانا ورجله بين الأذغال ، ووجدوا نهرا عظيما فساروا بهواره .

ووجد أوريللانا أثناء تجواله قبيلة كلها من النساء ضخام الأجسام أقرباء البنية . وتضاربت الأقوال حولهن فثبت من يقول إنهن كن يصبحن أزواجهن إلى الحروب ، وثبت من يقول إنه لم يكن لمن أزواج إطلاقا ، وإنهن كن يئدن أبناءهن الذكور .

ورأى أوريللانا الشبه كبيرا بين هذه القبيلة وبين نساء الامازون التي ذكرها الإغريق . فأطلق على النهر الكبير الذي كان يسير بهواره اسم : الامازون .

#### (و) مستيزو :

كان الأسبان يذهبون إلى أمريكا الجنوبية بدون نساءهم ، فكان من المحتم أن يتزوج الأسبان من النساء الوطنيات - نساء الهنود - وكانت اثمة جنسا مولدا أطلقوا عليه اسم «مستيزو Mestizo» ، وهم كثيرون إلى درجة أنهم يلبغون في بعض دول أمريكا الجنوبية نحو نصف السكان .

وهذا لا يمنع من وجود الهنود الخالص في بعض المناطق الوعرة أو التي تغطيها الغابات والتي لم يستطع الأسبان التسلل إليها .

وفي مناطق أخرى ، خاصة دول جبال الأنديز ، تقصر الوظائف المهمة والمهن العليا على الجنس الأبيض حسب .

عمر طلعت زهران

أستاذ في الآداب

# تعليقا

## وما آفة الأخبار إلا رواها

نشرت إحدى الصحف أن جماعة من أرباب الطرق الصوفية أقامت حفلة ذكر على شاطئ الإسكندرية وهم يلبسون المايوه ...

وخبر كهذا لا يتسع العقل لتصديقه مهما فرضنا في بعض أرباب الطرق من تهاون .

والغربة في الخبر ليست في موضوعه لحسب ، وليست في صياغته ، فقد تعودنا من بعض كتاب الصحف أن يثيروا اهتمام القراء بما ينشرونه ، وأن يتنافسوا في الاختلاق والافتراء المسرف ، لاستفزاد القراء إلى التعليق على ما ينشر حتى يتسع المجال للنقاش ، ويكون الأمر التافه أو المكشوب مادة صحفية .

ولنما الغربة في الخبر أنه لون من ألوان الدس على رجال الطرق ومحاولة الغمز في سمعتهم ، وتغيير الناس من الرضا عنهم .

وليس موقفنا موقف الدفاع عن أرباب الطرق ، ونفى ما نسب إليهم ، فذلك خبر مفروغ منه ، مقطوع بكذبه ، وإذا كان لرجال الطرق خصومة مع كتاب الصحف فهناك سبيل إلى التفاهم سوى الكذب والتشهير المختلق .

والذي يتجه إليه الرأي في تحليل هذا اللون من الكذب هو أن دوائر الصحافة قد احتضنت أخيرا أفرادا من الكتاب أو من أشباه الكتاب لا يقدرون شأن الصحافة ، ولا ينادون على سمعتها ولنما يتسابقون في نشاط مصطنع إلى جمع الأخبار من هنا وهناك ويتنافسون في الابتداع ليصلوا إلى مأربهم المادية ، ومهما كلمهم ذلك من تهاون أو خرج بهم عن سمت الصحافة الكريمة ؛ فالأمر سهل عندهم .

أضف إلى هذا أن وازع الدين مفقود عندهم ، بل في نفس بعضهم نزعات منحرفة يحرم إليها جهلهم بالدين وحجهم لتقليد الملاحدة المجهدين ، فهم يغمزون في كل من ينتمى إلى الدين أو دجله .

ولم يبق عندهم إلا أن يرمعوا ما زعموا من التشويش على رجال الطرق والمؤسف من شأن هؤلاء الكتاب المختفين أنهم ضربوا بالكرامة عرض الحائط ، وأنهم يستهترون برسالة الصحافة إلى أقصى حد استطاع ، فإذا بلغ الأمر بالكتاب هذا المبلغ ، وإذا ظلت الصحافة راضية عن هذا النوع من محاولات كتابها فإذا بقي لنا من ثقة في رواة الأخبار وهم يسمون الصحافة صاحبة الجلالة ؟؟

كم كتبنا وكتب غيرنا في هذا الشأن ، وكم أبدعنا الصحافة اعتراضنا على مسلك نفر يستطلون بلواتها ، ولكن يبدو أن دعوتنا غير نافذة إلى قلوبهم ، وأنهم ألغوا هذا التلاعب بكرامة الصحافة وبسمعة الناس ، أو بترويح الأكاذيب .

هدانا وهندام الله ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

## مراسلات المجلة

المرجو من الذين يكتبون للمجلة أن يكون ما يتعلق من ذلك بالاشتراكات وشئون الإدارة بعنوان مدير المجلة . وما يتعلق منه بالمقالات وشئون التحرير بعنوان رئيس التحرير .

# الكتاب

## تفسير الطبري

الجزءان ١٢ و ١٣ - ٦٢٣ + ٦٢٩ ص - دار المعارف بمصر

يبتدىء الجزء الثاني عشر من هذا التفسير العظيم بتأويل الآية المائة من سورة الأنعام : « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » وينتهي بتأويل الآية المائة من سورة الأعراف : « أولم يجد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصنامهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون » .

والآثار في الجزء الثاني عشر ١٢٢١ من رقم ١٣٦٨٠ إلى رقم ١٤٩٠٠ ، وبآخره تمتة التخريج بقلم العلامة الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، وقد بلغت ١٢ ملاحظة علوية علماً وفهماً . يلي ذلك فهرس الآيات التي استدلت بها في غير موضعها من التفسير ، وفهرس اللغة مرتباً على ترتيب المعاجم على أصل الاشتقاق وعلى آخر الأصل باباً وأوله فصلاً ، وبعده فهرس لأعلام المترجمين في التعليق ، ثم فهرس للمصطلحات . وفهرس للعرق ، وفهرس لمباحث العربية والنحو وغيرهما ، وبالأخر فهرس لهذا الجزء من التفسير .

ويبتدىء الجزء الثالث عشر بتأويل الآية ١٠١ من سورة الأعراف : « تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ، كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » ، وينتهي بتأويل الآية ٤٧ من سورة الأنفال : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط » .

والآثار في الجزء الثالث عشر ١٢٨٢ من رقم ١٤٩٠١ إلى ١٦١٨٢ . وفيه من المهارس مثل ما في الأجزاء السابقة . وقد انفق انتهاء هذا الجزء عند وفاة العلامة الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، فصدره الأستاذ محمود شاكر بكلمة بليغة في رثاء أخيه والتماس الرحمة له من الله عز وجل . والواقع أن الرثاء يفقده لا يقدره إلا الذين يتابعون تعليقاته على مسند الإمام

أحمد ونحيفاته في تخرج آثار هذا التفسير وسائر ذلك من كتبه ورحمة الله واسعة ورزق هذه الأمة من ملاء فراغه .

## الجواب الباهر ، والرد على الاختائى

كتابان لشيخ الإسلام ابن تيمية - ٩٠ + ٢٢٢ ص - المطبعة السلفية في القاهرة

جحد فضل الصالحين ، والتقصير في التأسي بهم والاهتداء بهديهم ، من العيوب المذمومة في الأمم . كما أن الغلو فيهم إلى حد الخروج بهم عن منازل المخلوقات إلى ما فوقها هو الموطن الذي انزلق عنده المنحرفون عن جادة الهدى إلى مزالق الضلال . ومن نعم الله على المسلمين أن نصوص الإسلام الأصلية وسط بين هذا وهذا ، وكانت الوصاية بهذه المعاني من آخر ما صح صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأيام الأخيرة من حياته المباركة ، ولذلك نرى الإسلام قد أخذ بأيدي أهله إلى طريق التأسي بالأنبياء والصالحين والاهتداء بهديهم ، فيبين لهم - بأجلى بيان وأوضحه - الحد العارق بين المخلوق والخالق ، حتى لم يبق عند المعتزلة عن الجهل بحكم الإسلام وطريقته في هذا الأمر الخطير .

ولما كانت مصر والشام في دولة واحدة أيام السلطان الملك الناصر في أوائل القرن الثامن وقع الجدل العلني في مسألة زيارة القبور ، وما هو المأثور منها ، وهل الغرض منها العظة والاعتبار والدعاء لأصحابها ، أم دعاؤهم وأن يطلب منهم ما يطلب من الله . وهذا الموضوع لا يجوز تحديده إلا بالنصوص الشرعية ، ولذلك طلب السلطان الملك الناصر من شيخ الإسلام ابن تيمية أن يكتب له فيه تقريراً عليها محمداً قطعاً يتوصل فيه إلى الحكم الشرعي الذي لا يجوز لمسلم أن يحيد عنه إلى ما يخالفه . فكتب له الكتاب الأول من هذين الكتابين وهو ( الجواب الباهر في زوار المقابر ) بناء على النصوص الفاطمية التي عمل بها الصحابة والتابعون وأخذ بها الأئمة الأربعة جميعاً بلا استثناء ولا سيما الإمام مالك إمام دار الهجرة المسلمام للمسجد النبوي والمجاور للبقيع ومدافن أولياء الإسلام الأولين من الصحابة والتابعين .

وكان من الذين غلب عليهم الاشتغال بفروع الفقه ، ولم يتسع عليهم الستة ودواوين الحديث ، عالم من المعاصرين لابن تيمية هو قاضي المالكية بدمشق علم الدين بن شمس الدين الاختائى ( ٦٦٤ - ٧٢٢ ) ألف رداً على ابن تيمية في مسألة الزيارة وشهد الرجال إلى غير

المساجد الثلاثة ، فأجاب عليه ابن تيمية بالكتاب الثاني من هذين الكتابين ، وفيه بيان أبسط وأوسع مما في الجواب الباهر ، وقد بين فيه ابن تيمية لمعاصره الأختائى - الذى كان يتولى القضاء على مذهب الإمام مالك - أنه قد خالف إمامه فى هذه المسألة ، وأورد له نصوص الإمام مالك وكبار علماء مذهب فى موضوع الزيارة وشد الرجال إليها .

وكتاب ( الجواب الباهر ) طبع الآن للمرة الأولى عن مخطوطة فى دار الكتب الظاهرية بدمشق فى المجلد رقم ١٢٩ ، علقها لنفسه عبد الله بن يعقوب الإسكندري المتوفى سنة ٧٥٤ وله ترجمة فى الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر .

والرد على الأختائى سبق للطبعة السلفية طبعه فى سنة ١٣٤٦ عن نسخة بخط الشيخ حسين بن حسن بن حسين بن على بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كتبها سنة ١٣٠٣ ثم أعاد نشره الآن فى المطبعة السلفية - مع الجواب الباهر - فضيلة العلامة الجليل الشيخ عبد الملك ابن إبراهيم رئيس هيئات الأمر بالمعروف فى الحجاز ، وعين أعيان الحجاز ناشر علم السلف الشيخ محمد نصيف . وقام على تصحيح الكتابين الأستاذ الفاضل الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع . وتولى تخرىج أحاديثهما العلامة الشيخ عبد الرحمن المعلى الباقى مدير مكتبة الحرم المكي الشريف ، أحسن الله إليهم جميعا وجزاها أفضل الجراء .

## تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها

للسيد سليمان الندوى رحمه الله - ٥١ ص - المطبعة السلفية بالقاهرة

هذه دراسة علمية نفيسة قام بها كبير علماء مسلمى الهند السيد سليمان الندوى رحمه الله عند ما نجحت فى الهند قبل حوالى ثلاثين عاما فرقة زعمت أن قانون الإسلام هو القرآن وحده وأن السنة إنما كانت أحكاما مؤقتة لأهل العصر النبوى وهى الآن عديمة الجدوى ! وسميت هذه الفرقة نفسها ( أهل القرآن ) ، فكتب السيد سليمان الندوى هذه الرسالة باللغة الأوردية يبين لهم فيها خطيئهم ونثرها فى مجلته الهندية ( معارف ) وقام بترجمتها العالم الفاضل الشيخ عبد الوهاب الدهلوى ونشرت فى المجلد ٣٠١ من مجلة المنار . والآن قام مترجمها الأستاذ الدهلوى مع صديقه الكريم الشيخ محمد نصيف بطبعها مستقلة لمناسبة تجديد هذه الضلالة فى مصر ممن لم يدرس علم السنة دراسة علمية عن أهلها ، وإنما تلقف الشبهات والشكوك من هنا وهناك ، وفهم بعض التصوص على غير وجهها ، ونسب إلى العلماء نصوصا



أوردوها عن غيرهم ليردوا عليها ، أو أرادوا بها غير ما فهمه منها . فعمد مترجم الرسالة والامتاذ الشيخ محمد نصيف إلى تجديد ذكرها دفعا لهذا الشر الجديد ، أجزل الله لها المثوبة .

### الخطاط البغدادي ابن البواب

بتحقيق العلامة السيد محمد بهجة الأثرى — من ٢٥ ص + ٩ لوحات أثرية + تحقيقات وتعليقات ٩٣ ص

تراث الإسلام العظيم كنز واسع لا يحاط به ، ومن عناصره الفنية ( الخط العربي ) وأعلام رجاله في مختلف القرون ، وما تقلب فيه من أطوار .

ومع أن الترك - من زمن الانقلاب السكالي - آثروا قطع الصلة بينهم وبين تراث الإسلام العظيم وكنزه الواسع الذي لا يحاط به ، فإن خزائن كتب القسطنطينية التي جمعها سلاطين آل عثمان ووزرائهم ورجالهم من البلاد العربية وغيرها لا تزال إلى الآن تزخر بكنوز الإسلام . وقد قام أخيرا الدكتور سهيل أنور مدير معهد تاريخ الطب في جامعة استنبول بتأليف رسالة صغيرة عن الخطاط البغدادي علي بن هلال المشهور بابن البواب ( المتوفى سنة ٤١٣ هـ وقيل سنة ٤٢٣ هـ ) وزينها بنماذج من بقايا خطوط ابن البواب الموجودة هناك . وفي إبان زيارته بغداد منذ عهد قريب أهدى إلى وزارة المعارف العراقية نسخة من هذه الرسالة المؤلفة عن خطاط بغدادي عظيم ، فأهدتها وزارة المعارف إلى المجمع العلمي العراقي فرأى المجمع أن يبادر بترجمتها ونشرها ، وعهد بذلك إلى أكبر رجاله اضطلاعا بهذه التحقيقات العلمية النفيسة وهو الأستاذ العلامة الكبير السيد محمد بهجة الأثرى مدير الأوقاف العام في الجمهورية العراقية ، فأبرزها في أقص حلة ، وأضاف إلى ترجمة الأصل تحقيقات وتعليقات قيمة جداً في نحو ثلاثة أضعاف حجمها ، وطبعت في مطبعة المجمع العلمي العراقي في هذا العام ، فكانت من أنفس آثاره .

### الحياة الأدبية في العصر الجاهلي

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي . — الطبعة الثانية — ٥٠٣ ص — مكتبة النجاح في النجف سبق طبع هذا الكتاب سنة ١٣٦٨ في ٣٧٦ صفحة ، وأعيد طبعه الآن سنة ١٣٧٨ ، وقد مهد له المؤلف بفصل عن الأدب بين الذوق واللغة ، وكرسه على ثلاثة أبواب : أولها عن المؤثرات في الأدب الجاهلي ، وثانيها عن شعر الجاهلي ، والباب الثالث عن الشعر الجاهلي . وخاتمة الكتاب عن الحياة الأدبية وما قيل في الكتاب .

## توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب - للرماني

بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني - ٤٠ + ٣٢٤ ص - مطبعة الجامعة السورية بدمشق

أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ( ٢٩٦ - ٣٨٤ ) من كبار شيوخ العربية في القرن الرابع . أخذ العلم عن ابن دريد ( ٢٢٣ - ٣٢١ ) وابن المراج ( وفاته ٣١٦ ) وأبي إسحاق الزجاج ( ٢٤١ - ٣١١ ) . ومن أقرانه أبو علي الفارسي ( ٢٨٨ - ٣٧٧ ) . ومن تلاميذه أبو حيان التوحيدي ( وفاته ٤١٤ ) وعلي بن المحسن التنوخي ( ٣٥٥ - ٤٤٧ ) وهذه الطبعة وكتابه هذا من الكتب العزيرة النادرة منذ قرون كثيرة ، ولا تعرف الآن مخطوطة منه إلا التي اتخذها الناشر أساساً لتحقيق الكتاب ، وهي في المكتبة الوطنية بباريس برقم ٣٣٠٣ كتبت سنة ٨٠٤ وكانها على جيد الخط .

ومحقق الكتاب صديقنا الأملعي سعيد الأفغاني أستاذ العربية في الجامعة السورية بدمشق ، وقد نوهنا في ص ٦٦٤ من السنة الماضية بتحقيقه كتابي ( الإعراب في جمل الإعراب ) و ( لمع الأدلة ) كلاهما لابن الأنباري . وأثر فضله في هذا الكتاب أضعا ف ما رأينا منه في كتبه السابقة ، ولذلك وقع موقع التذير من الجامعة السورية فقررت نشره وطبعه بمطبعتها . وموضوع الكتاب أبيات المعاني ولا سيما الملغزة ، وأبيات المعاني هي التي لا يتضح معناها لغير العلماء بها لدلائلها على أحوال خاصة من عيش الجاهليين ومن إلهم في البداية وغيرها ، فعبرت عن ذلك بما يألف العرب قديما من حياة حيوان وصفات متاع وأوضاع لغوية واستعارات ومجازات لم تنتقل إلى البيئات الحضرية تخفيت معانيها من حيث غرابة ما تصف عن أهل الحضرة ، لا من حيث غرابة اللفظ . وكتاب الرماني الطوي على تفسير ٢٥٦ بيتا هي أبيات معان وأبيات ألعاظ ونحو ثلثها أبيات ألغاز ، فندار الإشكال فيها على اللفظ والإعراب وما هو أعقد من ذلك ، فالبيت في رسمه لك يصور لك اللفظ تصويرا صحيحا يزلزل معه الإعراب ، فما كلن يظن أنه مرفوع إذا به في حقيقته مجرور ، والكلمات المتجاورة قد يتصح لها معنى في بادئ الرأي ، حتى إذا مضيت مع الرماني في توجيهه وضع لك المعنى وأيقنت بصحة اللفظ ورحمت ترسم الشاهد بعد أن فهمت معناه رسما غير الرسم الذي قدم لك ، وإن كان لفظ الرسمين واحدا .

إن الأستاذ الأضاني فيما بذله من عناية وبصيرة وبحث لرد أخطاء المخطوطة إلى الصواب الذي كانت عليه جذتها الأولى في عصر المؤلف قد تعب أضعاف تعب المؤلف ، وما كان من ذلك بد ، وإلا كانت هذه المخطوطة كأنها معدومة . أما تعليقاته وما فيها من تراجم وتحقيقات وإحالات وفوائد فهي كتاب آخر نفيس . وقد ذيل الكتاب بأربع فهارس : أحدها مسرد للأعلام أفرادا وجماعات وأماكن . والثاني للكتب والمصادر . والثالث للقوافي . والرابع للطلاب نفي\* محقق كتاب الرمان بمجهودده ، والمكتبة العربية في انتظار أمثال هذه النفائس .

### حقائق عن قضية فلسطين

هي تصريحات وأحاديث للسيد محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا ، كشف بها الستار عن أسباب كارثة فلسطين وعلاقتها بالأمورات الدولية اليهودية . وكانت قد نشرت بشكل مقالات وأجوبة في إحدى الصحف اليومية . ثم طبعت مرتين في كتاب مستقل سبق لنا التنويه به . وهذه الطبعة الثالثة قد أضيف إليها تعليقات على بعض الفصول ، وملحق بشأن تسليح الفلسطينيين وتمجيدهم ، والمساعد التي تقوم بها الهيئة العربية العليا لتشكيل جيش فلسطيني يشارك في إنقاذ فلسطين . وفي هذه الطبعة بعض الخراط والصور مما له علاقة ومشاركة في موضوع الكتاب ، وفصل أخير لمصر فيه أهم التطورات والحوادث . إن هذا الكتاب وثيقة عن القضية الفلسطينية والجهاد في سبيلها ترجع على أكثر ما أثر في موضوعها .

### القرآن والحديث نستمد منهما تشريعنا

للأستاذ عمر الطيبي — ١٤٠ ص — طبع دمشق

المؤلف من أفاضل كتاب دمشق ، ومن بيت علم إسلامي عريق فيها ، وهذا الكتاب جنوة غيرة وحماة للبعث الإسلامي ، والرجوع إلى سنن الإسلام وأطلعه في البيت والسوق والمجتمع . وكل صفحة فيه تتم عن مراقبة المؤلف للبيئة الإسلامي ، وما يحدث فيه أو يتأل عنه مما له صلة بالخير أو الشر لتأييد ما في ذلك من خير والتنبيه على مواطن الشر لانتقائه ، فزجروا الله أن ينفع به قارئيه .

# الأدب والعلوم

## بعثة علمية عربية

إلى الاتحاد السوفيتي

رشح المجلس الأعلى للعلوم برئاسة وزير التربية والتعليم خمسين عالماً وأستاذاً للسفر بمهام علمية إلى الاتحاد السوفيتي ، وقد تم اختيارهم من بين مرشحي الهيئات العلمية والوزارات ، وروى في اختيارهم أن يكونوا ممن لهم مراكز في القيادة والخبرة العلمية الممتازة في موضوع التخصص ، وسيلبثون في روسيا عاماً دراسياً على الأقل ويعودون مزودين بأحدث ما وصل إليه العلم في موضوعات تخصصهم ، وبدراسات عامة تشمل التنظيم العلمي لهذه الموضوعات وبرامجها وأدواتها ، على أن يعودوا مباشرة عملية التطور في الجهات التي يعملون بها . وسيلحق بهم وفد آخر من الإقليم السوري من بين أساتذة جامعة دمشق .

## تعريب مصطلحات البترول

قام المجمع العلمي لجمهورية العراق بمجهود قومي مشكور في تعريب المصطلحات في صناعات البترول ، وقد تناول في ذلك ١٣٩

مصطلحاً خاصاً بأعمال التنقيب ، والحفر ، والإنتاج ، والتصفية . وأصدر بذلك كتاباً سيكون في أيدي المهندسين والقائمين بشئون البترول ، ليستعملوا المصطلحات العربية بدلاً من المصطلحات الانجليزية .

## العسكرية

مادة أساسية في التعليم الثانوي

أصبحت التربية العسكرية مادة أساسية في المدارس الثانوية العامة والفنية ، سواء منها مدارس البنين ومدارس البنات . ويعودون في الإسكندرية صفوف المدرسين الذين سيعهد إليهم بتعليم هذه المادة لطلبة المدارس الثانوية . وقد اتخذت مدرسة أبي قير الإعدادية معسكراً لحؤلاء المدرسين ، وهم ضباط احتياطيون من المصلدين المدرسين أنفسهم ، وسيتعلمون كل شيء عن العسكرية ، وفي مدرسة معلبات الوردان بالإسكندرية فرقة من المدرسات ومفتشات التربية العسكرية يدرسن نفس البرنامج لتعليم الطالبات في مدارس البنات الثانوية ، وأهم شيء في تعليم الطالبات تمرينهن على الإسعاف والترييض .

## المعسكر الكشفي في الزبداني

افتتح وزير التربية والتعليم - بصفته رئيس

المصري . وسيعين لهذه الفصول ٢٣٢٨ مدرسا ومدرسة علاوة ٤٦٠٠ مدرسة أخرى كان قد تقرر تعيينهن من قبل .

## الأزهر والعالم الإسلامي

في يوم الخميس ١٣ من صفر سنة ١٣٧٨ ( ٢٨ من أغسطس سنة ١٩٥٨ ) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر : السيد قنصل الفيلين وكان الحديث يدور حول التمهيد لقبول الطلاب الوافدين من جزر الفيلين ، وزيادة عدد المقعدين منهم بالأزهر وأهمية التعليم الديني الذي يتلقى في الجمهورية العربية وأثره في تقوية الوعي الديني والوطني في تلك الجهات .

كما استقبل فضيلته في نفس اليوم الشيخ عبد الله بن تركي مفتش العلوم الشرعية بقطر ، وتناول الحديث إيماد مبعوثين من الأزهر لتهنؤن بالتعليم الديني في البلاد .

وفي يوم الاثنين ١٧ صفر ( أول أغسطس ) استقبل فضيلته سمو الأمير علي عبد الكريم سلطان الحج ، ودار الحديث حول القضايا العربية وأهمية الاتحاد في بلوغ الأهداف التي يسعى إليها العرب ، والدور الكبير الذي تقوم به الجمهورية العربية المتحدة في هذا الشأن .

الجلس الأعلى لرعاية الشباب في الجمهورية العربية المتحدة - المعسكر العربي الكشفي الثالث في منطقة الزبداني من أعمال دمشق . وقد استعرض الوزير وكبار رجالات الإقليم السوري مئات الكشافيين والمرشدين من مختلف البلاد العربية . ثم ألقى الوزير كلمة الافتتاح لحيا - باسم العروبة - المجتمعين من شق أنحاء الوطن العربي وقال : إنا نحيي معكم إخواناً لنا من أقطار أخرى حالت الحوائل دون اشتراكهم في هذا المعسكر العربي الجامع . ونحيي معكم الشباب العربي في بقاع أخرى من الوطن العربي لم مثل حرصكم على هذا الاجتماع في أرض الشام الذي صاروع الطغيان ، وعمل للحرية حتى نالها ، والوحدة حتى تحققت فتحققت بذلك أول خطوة نحو الوحدة .

## التوسع في التعليم الابتدائي

كان المقرر أن يقبل في السنة الأولى من المدارس الابتدائية - في الإقليم المصري هذا العام خمسمائة ألف تلميذ جديد ، ثم تبين أن هذا العدد أقل مما يتنصيه الإقبال على التعليم الابتدائي فتقرر أن يقبل مائة ألف تلميذ آخر ليصبح عدد الذين سيقبلون بالابتدائي ٦٠٠ ألف تلميذ . وتقرر افتتاح ١٩٤٠ فصلا جديدا للسنة الأولى في مختلف أنحاء الإقليم

## إنهاء العمل الاستعماري

### المشروع العربي

لإنهاء أزمة الشرق الأوسط

هذه أول مرة يجمع فيها أعضاء الأمم المتحدة - الضالعون منهم مع الشرق أو مع الغرب أو المحايدون - على مشروع يعرض على الجمعية العامة - إن الدول العربية هي التي تولى بنفسها وضع المشروع الذي أنهى أزمة الشرق العربي . وكان الدكتور محمود فوزي قد اتصل تليفونيا من أمريكا بالرئيس جمال عبد الناصر بالقاهرة ، وبعد هذا الاتصال أعلنت الوفود العربية العشر اتفاقها بالإجماع على مشروعها لحل الأزمة ، وهذا نصه :

#### الجمعية العامة

بعد الاطلاع على البند الثاني من جدول الأعمال الذي يتعلق بالمسائل التي نوقشت في اجتماع مجلس الأمن يوم ٧/٨/١٩٥٨ ، وقد أخذت علماً بأن ميثاق الأمم المتحدة يدعو الدول الأعضاء للتعاطف والعيش معاً في جيرة حسنة . كما أخذت علماً بأن الدول

العربية قد وافقت في ميثاق جامعة الدول العربية على تقوية الروابط على أساس احترام استقلال وسيادة كل دولة ، وبذل الجهد في سبيل تحقيق الخير المشترك لجميع الدول العربية ورفع مستواها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانها وآمالها . ورغبة في إزالة التوتر الدولي .

« القسم الأول ، :

أولاً - نرحب بالتأكيدات المجددة التي قدمتها الدول العربية لمراعاة نص المادة الثامنة من ميثاق جامعة الدول العربية التي تقول : تحترم كل من الدول المشتركة في الجامعة نظام الحكم القائم في دول الجامعة الأخرى وتمتعه حقاً من حقوق تلك الدول ، وتمتعه بالألا تقوم بعمل يرمي إلى تغيير ذلك النظام فيها . . ثانياً - تدعو جميع الدول الأعضاء أن تراعى بدقة العمل طبقاً لمبادئ الاحترام المتبادل بين الدول لسيادة كل دولة وسلامة أراضيها والامتناع التام عن التدخل في الشؤون الداخلية من بعضها لبعض ، ومراعاة المصالح

## المؤسسة المالية

### التنمية الاقتصادية العربية

وافقت جلسة الدول العربية على مشروع المؤسسة المالية للتنمية الاقتصادية العربية التي قام بوضعها الدكتور عبد الجليل العمري محافظ البنك الأهلي، وكانت الجامعة العربية قد وضعت مشروعا لقيام مثل هذه المؤسسة برأس مال قدره عشرون مليون جنيه، لكي تتولى تمويل المشروعات الكبرى في البلاد العربية وتقوم بدور كبير في التنمية الإقليمية.

ولما كان القرار العربي الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع قد جاء في فقرته الأخيرة: «إن الجمعية العامة تدعو السكرتير العام للاستمرار في دراساته التي يجرها في العلم والاستمرار في دراساته التي يجرها في الوقت الحاضر، وأن يقوم ضمن هذه الدراسات بالمشاورات التي يرى ضرورة إجرائها مع البلاد العربية في الشرق الأدنى بغرض استطلاع إمكانيات تقديم المعونة فيما يتعلق بإنشاء مؤسسة عربية لتنمية اقتصاديات الدول العربية، فقد طلب مستر داج همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة صورة من المشروع العربي للمؤسسة المالية الذي أشرنا إليه.

ونحث يد همرشولد الآن ثلاثة مشروعات لهذه المؤسسة المالية للتنمية: أولها مشروع الجامعة العربية للمؤسسة برأس مال قدره

المشتركة، والتأكد من أن جميع تصرفاتها سواء بالقول أو بالعمل تتفق وهذه المبادئ.

«القسم الثاني»: يطلب من السكرتير العام أن يقوم في الحال بالتشاور مع الدول المعنية، وطبقاً لميثاق الأمم المتحدة، ومع الأخذ بعين الاعتبار ما جاء في القسم الأول من هذا القرار - باتخاذ الترتيبات العملية التي تساعد على احترام أغراض ومبادئ الميثاق فيما يتعلق بلبنان والأردن في الظروف الحالية، وذلك لتيسير إمكان سحب القوات الأجنبية من هذين البلدين في موعد مبكر.

«القسم الثالث»: تدعو السكرتير العام للاستمرار في دراساته التي يجرها في الوقت الحاضر، وأن يقوم ضمن هذه الدراسات بالمشاورات التي يرى ضرورة إجرائها مع البلاد العربية في الشرق الأدنى بغرض استطلاع إمكانيات تقديم المعونة فيما يتعلق بإنشاء مؤسسة عربية لتنمية اقتصاديات هذه الدول).

«القسم الرابع»: أولاً - فطلب مع الدول الأعضاء أن تعاون تعاوناً تاماً في تنفيذ هذا القرار. ثانياً - تدعو السكرتير العام أن يقدم تقارير يمتنع هذا القرار كلها تراهي له ذلك، على أن يقدم أول تقرير في موعد لا يتجاوز ٣٠ سبتمبر.

### العراق في الجامعة العربية

كانت العراق في عهد صنائع الاستعمار قد تلكت في دفع حصتها من نفقات الجامعة العربية .

وفي ١٢ صفر ( ٢٧ أغسطس ) أودعت حكومة الجمهورية العراقية مبلغ ١٣٥ ألف دينار عراقي في البنك المركزي بالقاهرة لحساب الجامعة العربية ، وهو حصة العراق في ميزانية الجامعة لهذا العام ، ويعادل هذا المبلغ ١٣١ ألف جنيه مصرى .

كما أودعت حكومة الجمهورية العراقية بالبنك نفسه مبلغ ٤٥ ألف دينار كجزء من المبالغ المتأخرة عليها للجامعة من زمن العهد البائد .

### الانجليز في الخليج العربي

كانت حجة الانجليز في دسهم أصابعهم في الخليج العربي قربه من الهند التي كانوا يعدونها درة في تاج امبراطوريتهم التي لم تكن تغيب الشمس عنها ، ثم مجاورته للعراق التي كانت تحت اقتدارهم ، فلما عادت الهند لأهلها ، وتقلص ظل الانجليز البنيض عن العراق وكثير من أقطار الشرق التي كانوا يقيمون على استعبادها بناء امبراطوريتهم ، صاروا يشعرون بأنهم في الخليج العربي غرباء

عشرون مليون جنيه تدفع على أساس نصيب كل دولة من الدول العربية المشتركة في الجامعة ويتمون الجنيه فيها على أساس سعره بالذهب وتكون على ألقى سهم ثمن كل سهم منها عشرة آلاف جنيه .

ثانيها المشروع الأمريكى ، وهو لا يزال خطوطا عرضة أهم ما فيها أن تكون المؤسسة تحت إشراف الأمم المتحدة ، وأن تكون صلتها بالبنك الدولي مباشرة ، وتقدم الأمم المتحدة جزءاً من رأس مالها ، وأمريكا جزءاً آخر يتدوونه بمائة مليون دولار ، وتشترك الدول العربية في الجزء الباقي منه .

ثالثها مشروع قديمة بعض شركات البترول المهتمة بالشرق الأوسط ، وهو ينص على أن تخضع نسبة ١٠٪ من الأرباح السنوية لعمليات البترول في الشرق الأوسط يألف منها رأس مال مصرف إسماء عربى يستطيع تمويل المشاريع العمرانية والصناعية في العالم العربى ، ولا يقل رأس مال المصرف المقترح عن ٥٠ مليون جنيه سنوياً .

والدول العربية تفضل أن يكون الأساس هو المشروع الذى أعده الدكتور عبد الجليل العمري ، ووافقت عليها الدول العربية جميعها .



جزءاً كبيراً من نتاج عمله وجهده لينفق على هذه القوات التي تدرع البحار احتماطاً بالأوهام الاستعمارية التي انقضت عصرها ، ولو ثاب البريطانيون إلى رثد لم لأراحوا أنفسهم من هذه الأوهام وعادوا تجاراً شرفاء يعيشون مع الناس بمجهودهم التجاري والصناعي في جزائهم فإن عصر الفرصة قد انتهى ، والكسب الحرام من هذه الفرصة لا يجر على أصحابه إلا الوبال والخسار .

### جبهة جهاد جزائرية

في قلب فرنسا

انطلقت الحرب الجزائرية إلى فرنسا ، إلى قلب باريس والمدن الفرنسية الكبرى تسلك فرق من الوطنيين الجزائريين إلى فرنسا وقامت بعملية جهاد عسكرية من الطراز الأول . هاجمت إحدى الفرق مركز النوليس الفرنسي في باريس بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية ، قتل الجزائريون ١٠ من الجنود الفرنسيين ونسفوا المركز ، وهاجموا جراج البوليس ، كما هاجموا محطات توليد القوى الكهربائية .

وقامت فرقة جزائرية أخرى بنسف عشرة مستودعات للبترول في مرسى إياوتولوزوناريون اشتعلت النار في المستودعات العشرة وامتدت

منقطعون ، وأن مصيرهم فيه سيكون كصيرهم في الهند وكصيرهم في العراق .

وأخيراً بعد أن فرضت الدول العربية والسودان ( الحاجز الجوي ) الذي يمنع الطائرات البريطانية من المرور فوق أراضيها إلا بإذن خاص ، ضعفت مقدرة بريطانيا على مواجهة الوعي القومي الجديد في الخليج العربي ، وستضعف هذه المقدرة أكثر وأكثر إذا فرضت عقبات مماثلة في طريق القوات البحرية .

ومن العقبات التي يتصور الانجليز إمكان قيامها في طريقهم البحري إلى الخليج العربي ، احتمال وضع ألغام في مضيق عمان الذي يبلغ عرضه ٣٠ ميلاً والذي يعتبر مدخل الخليج العربي .

لذلك رأينا الانجليز في هذا الشهر يتخذون احتياطات لهذه الاحتمالات التي يتصورونها لإغلاق مداخل البحر المؤدى إلى الخليج ، وصرحت المصادر البحرية بلندن بأن مدمرات بريطانية - ثلاث منها قدمت من أزمير وواحدة من قبرص - مرت بقتاة السويس لتعزيز القوات البحرية البريطانية في منطقة الخليج العربي .

مسكين دافع الضرائب البريطاني ، إنه يتكبد

أبناء الجزائر وسائر شمال إفريقيا فاعتقلت منهم أكثر من ألفين ، والبوايس يضايق الأخيرين بالمراقبة والتفتيش والاعتقال .

### بترول غرب غارب

نكلت بالنجاح حفريات البتر الجديدة في منطقة غرب غارب ، فتدفق البترول منها بمعدل ٤٠٠ طن يوميا ، وبضغط مقداره ٧٥ رطلا على البوصة المربعة ، مما يجعل البترول يتدفق بدون حاجة إلى مضخات . وتقوم الشركة التي تولت حفر هذه البئر بتحليل نماذج البترول الناتج منها لتحليل خواصه الطبيعية والكياوية .

ومنطقة غرب غارب هذه تبعد ٣٠ كيلو مترا جنوبي حقل بكر للبترول الذي اكتشفته الشركة نفسها في ربيع هذا العام .

### لجان بترولية صناعية

تألفت في الهيئة العامة للبترول ثلاث لجان صناعية : الأولى لبحث صنع المنظفات من مخلفات البترول ، والثانية لتصنيع الغازات المتصاعدة من آبار البترول والتي تضيع هباء ، وستبحث اللجنة الثالثة إنتاج البلاستيك وبعض الكيماويات الأخرى من المخلفات .

ألستة الهب إلى ارتفاع مائة متر فوق تولوز ، تحت هذه العمليات كلها في فجر يوم ٢٥ / ٨ ، وخسر الاقتصاد الفرنسي آلاف الملايين من الفرنكات ، واستمرت حرائق مستودعات البترول إلى اليوم الثاني فالיום الثالث ، وقد أثار نسف المستودعات وانفجاراتها الرعب في نفوس سكان المناطق القريبة من أماكن الحريق ، والمعتقد أن أكثر من مليون لتر من البترول قد احترق ، وكان هذا الحادث أعنف ما قامت به جبهة التحرير الوطني الجزائرية منذ بدأت الثورة الجزائرية من نحو أربع سنوات ، وقد ألغيت جميع إجراءات رجال البوايس في باريس لمواجهة العنف الذي يقوم به الوطنيون الجزائريون في العاصمة الفرنسية .

وبعد يومين ( أى في ٢٧ / ٨ ) نسف الجزائريون أربعة مستودعات أخرى للبترول في جهة بتي كيفيل ، وفي فجر اليوم التالي ( ٢٨ / ٨ ) نسفوا مستودعين آخرين بالجهة ذاتها ، وقد أطلق الفرنسيون الرصاص على الجزائريين الذين قاموا بالمغامرة الأخيرة فأصيب واحد منهم وقيل إلى المستشفى حيث توفي .

وقد أخذت السلطات الفرنسية في فرنسا تتقدم من المسالمين الموجودين في فرنسا من

## النيل

بين شطرى الجنوب والشمال

أرسلت الجمهورية العربية المتحدة مذكرة إلى حكومة السودان يوم ٧/٩ بشأن خروج الرى السودانى على اتفاقية مياه النيل بالحجز على خزان سنار يوم ٢ يوليو دون مراعاة للشروط الواردة فى اتفاقية مياه النيل المعقودة بين البلدين سنة ١٩٢٩ ، فأجابت حكومة السودان على هذه المذكرة بمذكرة سلتها إلى سفارة الجمهورية العربية المتحدة فى الخرطوم فى ٨/٢٠ وقالت فيها : إن حكومة جمهورية السودان لم تعترف بأن اتفاقية سنة ١٩٢٩ ملزمة لها ، فقد أبرمت تلك الاتفاقية بين بريطانيا ومصر بجزء من مساومة سياسية دون اعتبار لمصالح السودان .

وقد لفت الصحف المصرية أنظار الحكومة السودانية إلى أن اتفاقية سنة ١٩٢٩ ترتب التزامات تمتد إلى منابع النيل حيث تهدد الدول المشرقة على هذه المنابع ألا تقوم بأية أعمال إنشائية تحصل بمياه النيل إلا بعد موافقة مصر ، فإذا حاول السودان أن يتحلل من قيوده فى هذه الاتفاقية فإن ذلك سيكون سابقة خطيرة تعهد منها دول أخرى منفذا للإضرار بمصالح كل من مصر والسودان .

## عيد استقلال الأفغان

احتفلت أفغانستان بمرور ٤٠ عاما على استقلالها ، فأقيم عرض عسكري كبير بهذه المناسبة شوهدت فيه الدبابات الروسية الحديثة والمدافع المضادة للطائرات ، والطائرات المتأثلة من طراز ميغ ، وأجهزة الرادار ، وعدد من المركبات المصفحة الروسية ، وقد اشتركت فى هذا العرض المسكرى وحدات من الجمهورية العربية المتحدة ودول أخرى .

## طريق الإسكندرية الصحراوى

تفجرت المياه الجوفية من بئرين من الآبار الجوفية التى تم حفرها على طريق الإسكندرية الصحراوى عند الكيلو ٨٤ والكيلو ٦٢ . وقد جلبت هاتان البئران مياهها جوفية لم تنبثق منذ آلاف السنين . وسيباشر دق آبار جوفية على نقط أخرى من هذا الطريق ، ويثير هذا النجاح المبدئى بإمكان زراعة مساحات كبيرة من الأرض على جانبي الطريق الصحراوى تقدر للرحلة الأولى بعشرة آلاف فدان .

وقد استعمل فى أبحاث المياه الجوفية جهاز خاص استورد من روسيا يستطيع استخراج المياه من عمق يصل إلى ألف متر ، كما يستطيع تحليل هذه المياه تحليلا آليا لمعرفة صلاحية استعمالها فى الرى .

## الفهرس

سنة	لوحه	بسم
١١٣	أعظم أكاديمية في التاريخ . . . . .	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
١٢٢	ملحات القرآن : موقف الحق من الماثل - ٦٢ -	» عبداللطيف السبيعي عضو جامعة كبار العلماء
	الحير من جانب الله وهو يدعو إليه . . . . .	» ومدير التفتيش بالأزهر . . . . .
١٢٦	السنة - صلة الرحم - . . . . .	» عبد الرحمن عيسى مدير المجلة . . . . .
١٣٢	حول الآراء الدينية . . . . .	» أبو الوفا للراشي . . . . .
١٣٥	خطبة الجمعة . . . . .	» أحد القراء في للدرس بالأزهر . . . . .
١٤٠	دروس من المراتي . . . . .	» فتحي ميثال . . . . .
١٤٦	نقد كتاب « أسواء » في السنة الحمديّة - ٢ -	» محمد عبد البر شعبة الاستاذية بكتبة أصول الدين
١٥٢	إحباط فتنة تلحين القرآن . . . . .	» . . . . .
١٥٥	نראה للقرآن الكريم بلحن العرب . . . . .	» عبد الوهاب حموده . . . . .
١٥٩	غاية الاسلام بالمجانب الخلق . . . . .	» يس سويلم طه اللطش بالأزهر . . . . .
١٦٤	الاسلام في اليابان . . . . .	» مطية صقر للدير للصحن المكتب
		» شيخ الجامع الأزهر . . . . .
١٦٨	استخلاص الحق من الغاصب . . . . .	» منصور رجب . . . . .
١٧٣	نوى للدين الحريّة ، وأطبلهم الحريّة	» عباس طه الهامى . . . . .
	في صدر الاسلام . . . . .	» . . . . .
١٧٨	لقويات . . . . .	» محمد علي السجار . . . . .
١٨٢	رسالة الأزهر « رسالة لأدب » - ٣ - . . . . .	» حسن الشبخة المحرر الأدبي بمجريدة
		الشعب وعضو نقابة الصحفيين . . . . .
١٨٩	قراءات . . . . .	» عمر طلعت زهران أستاذ في الآداب
١٩٢	تطبيقات . . . . .	» عبداللطيف السبيعي عضو جامعة كبار العلماء
		» ومدير التفتيش بالأزهر . . . . .
١٩٤	المكتب . . . . .	المجلة
٢٠٠	الأدب والسلام . . . . .	»
٢٠٣	العالم الاسلامي . . . . .	»



# فداء وتوجيه

من فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الجامع الأزهر  
إلى أساتذة الأزهر وطلابه

١٢  
٢٢٢٢  
دورياً

## قرار

يحثم دراسة اللغات الأوروبية الحية في جميع مراحل التعليم بالأزهر





بسم الله الرحمن الرحيم

## فداء وتوجيه

من محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر  
إلى إخوانه وأبنائه أساتذة الأزهر وطلابه

إخواني ، أبنائي :

سلام الله عليكم ورحته وبركاته - وبعد .

فإني أبعث بتهنئتي وحالص تحياتي إليكم جميعاً بمناسبة افتتاح العام الدراسي لسنة ١٣٧٨ هـ

(١٩٥٨ - ١٩٥٩ م) .

ومن المبذر بالخير لعامنا الدراسي هذا أن يترن افتتاح الدراسة فيه بذكرى مولد الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وبذكرى رسالته وهي رسالتكم التي تحملون لواحقها ، وتعملون على نشرها .

وهذا الاقتران سيدفعنا إلى تذكر القيم الإسلامية الرفيعة ، وبحملنا على أن نمثلها في أنفسنا ؛ في تصرفاتنا الخاصة ، وفي علاقة بعضنا ببعض ، وفي علاقة الأساتذة بأبنائهم الطلاب ، والطلاب بأساتذتهم وفي علاقتنا جميعاً - كحكمة لهذه الرسالة - بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

ومن أخص هذه القيم التي يجب أن تتمثل في نفوسنا : أداء الواجب حباً في أدائه ، والإسهام في كل عمل من شأنه أن يؤدي إلى خير مجتمعنا الصغير في الأزهر ، وجمعنا الكبير في الوطن العزيز ، والإيمان بمسئوليتنا في الوطن العربي والإسلامي الكبير ، وما يقتضيه ذلك الإيمان من تسليح أنفسنا بالعلم والأخلاق ، وتحصيننا ضد الآثرة والهوى ، والسو بها إلى مراتب التضحية والإيثار ، وببها لله في سبيل طبع وطننا الكبير ، وعالمنا الإسلامي والعربي بطابع الثقافة الإسلامية الجامعة ، وتحصينه ضد ثقافات الاستعمار الوافدة إلينا ، الرامية إلى إفناء شخصيتنا العربية والإسلامية .

ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أوجه نظر رسل الأزهر من الأساتذة المبعوثين إلى الأقطار العربية الشقيقة والبلاد الإسلامية ، إلى أنه بجانب ما تقدم - يجدر بهم ، أن يحملوا في أنفسهم وفي تصرفاتهم الخاصة والعامة وفي أداء واجبهم هناك ، رسالة الأزهر ، ورسالة الوطن العزيز الذي نشأ فيه الأزهر ، والذي يحمل قادته اليوم رسالة العلم والمعرفة والأخوة الصافية ، إلى البلاد العربية الشقيقة والبلاد الإسلامية ، وإذا ذكروا الوطن العزيز في نفوسهم طوال إقامتهم لأداء واجبهم هناك فليذكروا معه تلك الرعاية التي توجهها حكومة الثورة إلى تمكين الأزهر من تأدية رسالته ، وإلى تلك الأهداف التي رسمتها فلسفة الرئيس جمال عبد الناصر لتسكين أواصر القربى بين البلاد العربية والإسلامية في آسيا وإفريقيا .

إخواني وأبنائي :

إن ٤٠٠ مليون مسلم ينظرون إليكم على أنكم خلفاء أنبياء ، وإلى الأزهر على أنه جامعة السماء إلى الأرض ، وإلى رسالتكم على أنها هداية الله للناس ، فسيروا في إعداد أنفسكم ، والوصول إلى هدفكم في صبر وإيمان ، والله يتولانا جميعا برعايته ، ويفيض علينا من هديه حتى نلتقي جميعا في وحدة قوية شاملة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود شلتوت  
وكيل الجامع الأزهر

محرراً في } ١٤ من ربيع الأول سنة ١٣٧٨ هـ  
٢٨ من سبتمبر سنة ١٩٥٨ م



# قرار

رقم ١١٥ بتاريخ ٢٩ - ٩ - ١٩٥٨

شيخ الجامع الأزهر

بعد الاطلاع على مذكرة فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر المرفوعة إلى اللجنة العليا للعلاقات الثقافية والخارجية بتاريخ ٥ مارس سنة ١٩٥٨ بخصوص اقتراح إدخال اللغات الأوربية في مناهج التعليم بالأزهر وجعلها مادة أساسية .

وعلى مذكرة فضيلته المؤرخة في ٢٥ / ٩ / ١٩٥٨ المتضمنة :

ولما كان الأزهر جامعة المسلمين الكبرى التي تحمل لم رسالة الثقافة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها من يعرف منهم اللغة العربية ومن لا يعرفها . كما أنه قبلتهم التي يتجه إليها أكثر من ٤٠٠ مليون مسلم ليتعلموا منها ثقافتهم الإسلامية والعربية التي تغذي أرواحهم وعقولهم وقلوبهم وتبرز مقومات شخصيتهم .

ولما كانت غالبية المسلمين في العالم لا يعرف اللغة العربية مما كان سببا في إضعاف صلتهم بجامعتهم الإسلامية الكبرى ، وإضعاف صلتها بهم ، وفي تمكين الاستعمار من سلخ كثير منهم من شخصيتهم العربية والإسلامية .

ولما كانت الدول العربية والإسلامية قد نما فيها وعى الترابط والتساند والتحصين ضد الغزو الاستعماري العنصري الذي يعمل على إقناء شخصيتها ، فقد اتجهت هذه الدول إلى الأزهر تطلب منه العون بإرسال العلماء والمدرسين والوعاظ من خريجي الأزهر الذين يعرفون اللغات الأجنبية إليهم لنشر الثقافة الإسلامية والعربية بينهم ونشئة أبنائهم عليها ووقايتهم من التيارات الغربية الوافدة إليهم .

ولما كان الأزهر بوضعه الحسنى - نظراً لعدم توافر العلماء الذين يعرفون اللغات من أبنائه - غير قادر على تأدية رسالته على الوجه الأكمل في هذه الدول وعلى الاستجابة إلى هذه الطلبات الكثيرة المتابعة التي لا تجد رداً عليها من زمن بعيد سوى الصمت .

ولما كان سبب هذا التصور هو عدم دراسة اللغات الأجنبية بالمعاهد الدينية ، وقصر تدريسها على السكايات بصفة اختيارية مما لم يكن له أثر يذكر ، ولقد أصبح ذلك نقصا معيا في ثقافته أبناء أقدم جامعة في العالم تحمل رسالة الإسلام والثقافة الإسلامية والعربية إلى جميع سكان الكرة الأرضية ولها تاريخها التيد في حفظ هذه الثقافة ونشرها .

لهذا كان من الضروري المسارعة إلى تدارك هذا النقص بإدخال اللغات الأجنبية في الأزهر بصفة إجبارية وإصدار قرار بتكوين ثلاث لجان للنظر فيما يأتي :

- ١ — إدخال اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية في مرحتى التعليم بالمعاهد الدينية .
  - ٢ — جعل هذه اللغات إجبارية في المعاهد والكليات .
  - ٣ — ينحصر كل فريق من الطلبة بلفة معينة يوالى دراستها في جميع مراحل التعليم .
  - ٤ — بحث كل ما يلزم لإمكان تنفيذ ذلك ابتداء من هذا العام .
- على أن تنتهى هذه اللجان من عملها قبل مضى خمسة عشر يوما من تاريخه .

## قرر

اعتبارا من صدور هذا القرار :

أولا : تواف اللجان الآتية :

(١) لجنة اللغة الإنجليزية :

- (١) الدكتور محمود حب الله عميد كلية أصول الدين .
- (٢) الدكتور محمد البهى المراقب العام لمراقبة الثقافة الإسلامية بالأزهر .
- (٣) الأستاذ أحمد خاكي عميد مفتى اللغة الإنجليزية بوزارة التربية والتعليم .
- (٤) \* أحمد عبد الفتاح صقر المراقب العام للأدب بالأزهر .
- (٥) \* على الحفناوى رئيس قسم اللغة الإنجليزية بكلية المعلمين .
- (٦) \* إبراهيم رهيبة مفتش أول اللغة الإنجليزية بالتعليم الثانوى .

(ب) لجنة اللغة الفرنسية :

- (١) الدكتور محمد البهي المراقب العام لمراقبة الثقافة الإسلامية بالأزهر .
- (٢) د محمد بن الصحام الأستاذ بكلية اللغة العربية .
- (٣) الأستاذ عبد المنعم الصايف المراقب المساعد للآداب بالأزهر .
- (٤) د عمر على عزت مفتش أول اللغة الفرنسية بوزارة التربية والتعليم .
- (٥) د حسن كامل أحمد مدرس اللغة الفرنسية بكلية المعلمين .

(ج) لجنة اللغة الألمانية .

- (١) الدكتور محمد عبد الله ماضي الأستاذ بكلية أصول الدين .
- (٢) الدكتور محمد البهي المراقب العام لمراقبة الثقافة الإسلامية بالأزهر .
- (٣) الدكتور على حسن عبد القادر الأستاذ بكلية الشريعة الإسلامية ،
- (٤) الدكتور محمود السوقي مدرس اللغة الألمانية بكلية الآداب .

ثانياً : تقوم هذه اللجان بالنظر والبحث فيما يأتي : —

- (١) إدخال اللغة الإنجليزية والعربية والألمانية في مرحلتى التعليم بالمعاهد الدينية .
- (٢) جعل هذه اللغات إجبارية في المعاهد والكلليات .
- (٣) تخصيص كل فريق من الطلبة باقة معينة يوالى دراستها في جميع مراحل التعليم .
- (٤) بحث كل ما يلزم لإمكان تعميم ذلك ابتداء من هذا العام .

ثالثاً : هل هذه اللجان الانتهاء من عملها قبل مئى خمسة عشر يوماً من تاريخ صدور هذا القرار .

رابعاً : على إدارة المستخدمين تنفيذه .

القائم بأعمال  
شيخ الجامع الأزهر  
إمضاء

١٤ ربيع الأول سنة ١٣٧٨ هـ  
٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥٨ م

محمود شلتوت

## الفهرس

سلسلة	الموضوع	المجلد
٢٠٩	ذكرى مولود وحياة رسالة . . . . .	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٢١٧	تجارب القرآن : ٦٣ - إدا نحمادي	» عبد المظيف السبكى مصو جاعة كبار العلماء
	الانسان في أعمال الفرمى شيطاننا . . . . .	ومدير التفتيش بالأزهر . . . . .
٢٢١	السنة - الواصل وللتكافؤ - . . . . .	» طه محمد الساكك . . . . .
٢٢٥	حناني فلسفة في ميلاد الرسول الأعظم	» عباس طه الهامى . . . . .
	ورسالته الخالدة . . . . .	
٢٣٠	من وحى لؤلؤ البوى . . . . .	» أحمد طي منصور للدرس بمعه شين السكوم
٢٣٤	ميلاد الخير للاسانية . . . . .	» عبد الله مصطفى للرافى . . . . .
٢٣٩	مفتاح التفاه . . . . .	» أحمد الشراوى للدرس بالأزهر . . . . .
٢٤٤	حصون مهددة من داخلهاى الجامعة للمرية - ٢ -	» محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربى
		الحديث بجامعة الاسكندرية . . . . .
٢٦٤	فقد كتاب و أشوا فى السنة المحمدية ٤ - ٣ -	» محمد محمد أبو شبة الأستاذ المساعد بكلية
		أصول الدين . . . . .
٢٧٢	هل من جديد في تأليف السيرة النبوية . . . . .	» فتحي عثمان . . . . .
٢٧٩	التفسير النبلى لقرآن . . . . .	» عبد الوها - حوده . . . . .
٢٨٥	هجر . . . . .	» على المهارى للدرس بالأزهر . . . . .
٢٨٨	دعائم للمعبر الخلق الاسلامى . . . . .	» يس سويلم طه للماش بالأزهر . . . . .
٢٩٤	تأليفات . . . . .	» عبد المظيف السبكى مصو جاعة كبار العلماء
		ومدير التفتيش بالأزهر . . . . .
٢٩٦	السكتب . . . . .	المجلة
٢٩٩	الأدب والمعلوم . . . . .	»
٣٠١	المعالم الاسلامى . . . . .	»

محب الدين الخطيب	١٠٠
الاشراف السني	١٠٠
في وادي النيل	١٠٠
للمدينة وادي النيل	١٠٠
للمدينة وادي النيل	١٠٠
للمدينة وادي النيل	١٠٠
للمدينة وادي النيل	١٠٠
للمدينة وادي النيل	١٠٠
للمدينة وادي النيل	١٠٠
للمدينة وادي النيل	١٠٠

مجلد كرازة هرة  
مجلة شهرية بجمانية  
تصدر من شيخ الأزهر في أول كل شهر من

مدير المجلد  
عبد الرحمن عيسى  
العنوان  
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة  
تأليفه ١٦٢١٤

الجزء الثالث - القاهرة : ربيع الأول سنة ١٣٧٨ - سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٥٨ - المجلد الثلاثون

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ذكرى مولود

### وحياة رسالة

ولد في عام الفيل ...

كانت العربية السعيدة ، البلاد التي أنجبت هوداً ويعرب وسبأ والحارث الراش وبلقيس  
وشمر يعرش ، تلك البلاد العريقة بالبطولة والمجد والمواهب السامية والسؤدد ، كانت يومئذ  
محلة به ... الحبشة ١

وكانت السكبة ، بنية إبراهيم وإسماعيل ، أول بيت أقيم في الأرض لعبادة الله وتوحيده  
واحتقار الوثنية ، قد دنسها عمرو بن لحي الخزاعي منذ عهد قريب بما حمل إليها من وثنية  
الآرين ، فغضب أهلها بالغزاة البغاة أصحاب الفيل ، لإيقاطهم وإنذاراً وتحذيراً ...

وكان تراث قصي في مكة ، وأنطمت في قريش البطاح وقريش الظواهر ، قد اعتراها  
الومى والتعطيل ، بما طرأ على أم القرى في وقعة الميل ...

بل كانت آفاق الشمال التي أنجبت صالحاً وشعباً وقروناً بين ذلك كثيراً ، قد قبعت بأهلها

بين الأودية والأطواد ، منزوية بعقولهم ومواهبهم ، ثلاثندنها حضارة فارس والروم بما ابتنيته من الكذب والرف والرياء ، والهلل والشهوات والاستخدام .

إن العروبة - من عدن وسواحل حضرموت إلى مشارف الشام ، ومن سيف الخليج العربي إلى شطآن القلزم - كانت في سنة هذه الذكرى ، أى في عام الفيل ، غارقة في بداوتها ، وفي كل ما في البداوة من فطرة وبساطة ، وتقشف وخشونة ، وحرية وأريحية ونبل . غير أن بداوة العروبة امتازت على كل مداوة أخرى عرقها الإنسانية في الأرض ، من أوعل دهور الإنسانية في القدم إلى أن تقوم الساعة . لقد كانت الأمم الأخرى وهى في طور بداوتها هزيلة المدارك ، ضئيلة العتول ، فقيرة في لغاتها التى هى ترجمان المدارك ، فلم تكن لآمة من الأمم وهى في بداوتها لغة يزيد عدد مفرداتها على المائة أو المئات ، أما هذه الأمة التى ظهر منها في عام الفيل هذا المولود الممتاز - الذى تخفل الدنيا الآن بذكرى ولادته - فانها امتازت في بداوتها بسعة المدارك وألعبتها ، ووفرة المواهب ونضوجها ، وسلامة الأخلاق وكرم معدنها ، وبراء لغتها الدقيقة الأنيقة التى هى مقياس الإنسانية ، لأن النطق صفة الإنسان ، وعراقته بعراقته ، وأصاكه بأصاكه ، وشرفه بشرفه .

من هذه الأمة الممتازة بألمعية العقل وبلاغه المنطق ، وأريحية الفطرة ونبلا وحريتها ، ظهر هذا المولود الممتاز بكل ما يميزه الله به على كل مولود غيره من بنى البشر . ثم ازدادت هذه الأمة - إلى شرف أنه منها - شرفا آخر ، وهو أنه لم يستوف أيام حياته في الدنيا حتى كانت كلها له ورسالة ، فاضطلعت بها ، وحملت أعباءها ، وزحفت بأماناتها شرقا وغربا إلى ما شاء الله لها أن تنشئ من مآدن لحي على الفلاح ، وقلاع للحق والخير ، في مشارق الأرض ومغاربها .

وبلغة هذه الأمة نطق هذا المولود أول ما نطق ، فكانت لغة التنزيل التى اختارها الله لكتابه الحكيم ، ثم كانت - بكتابه الحكيم - لغة الإنسانية المشتركة بين جميع الأمم التى تشرفت بالإيمان المحمدى ، وكان منها أعلام العلم الإسلامى ، وكبار المحدثين والمؤلفين ، والدعاة والهادة والصالحين .

والذين يلاحظون حكمة الله في كل ما ينفع تحت أنظارهم ومداركهم من خلقه وأمره ، مطمئنة قلوبهم إلى أن اختيار هذا المختار لأكل رسالات الله كان مقرونا باختيار أمته الأولى

لتحمل رساله إلى آفاق الأرض . وكما أن الإسلام بنفسه كان معجزة من معجزات الله في رسالاته ، فإن أصحاب رسول الله والتابعين لهم بإحسان كانوا كذلك معجزة من معجزات الله في أخلاقهم وسيرتهم ، وفي حفظهم لكتاب الله وسنة رسوله ، وقروحهم الحافظة للخارقة لمعادات التاريخ ، ونجاحهم في تغيير أنظمة الدول والناس في الممالك والمنازل والأسواق والنفوس ، وتعميرهم الآلئة والعقول والانجهاات ، مما لم يسبق له نظير من غيرهم .

كان العرب قبل أن يتحملوا الرسالة المحمدية قد اعترى مواهبهم القومية الأصلية شيء من الانحراف الطارىء ، ومنه وثقة عمرو بن لحي الخزاعي ، ولكن ما من عيب طارىء كان في العرب في زمن ولادة هذا المولود العظيم ، إلا كان ذلك العيب في غيرهم أصيلاً بأضعاف أضعاف ما نجده في العرب ، وكان يقابل ذلك في العرب فضائل وبجايها قلبا بوجد بعضها في أمة أخرى غيرهم . ومن الإنصاف الاعتراف بأنه ما كانت أمة من أمم الأرض لتستجيب للرسالة المحمدية كما استجاب لها العرب ، وما كانت أمة من أمم الأرض - بعد أن تستجيب لهذه الرسالة العليا - لتحفظها على أصلا فلا تشوبها بما هو غريب عنها كما حفظ العرب من الصحابة والتابعين هذه الرسالة على ما هي عليه في أصلا ، ومنعوا أن تصل إليها أية شائبة .

في هذه البيئة وبين عقول أهلها ومواهبهم وقابلياتهم شب هذا المولود الذي نحتفل بذكراه ولم يكن لشكوك والحجاز ملك متوج ، ولا كان فيها شرطة ومحاكم وسجون ، وقلنا كان الناس هناك يعني بعضهم على بعض ، وإذا وفد عليهم الحجاج كان له فيهم وقادة ورفادة وإكرام ، وكان الحجاج يتمنون من أسواقهم التي تجلب إليها البضائع والأرزاق من اليمن والشام في رحلتى الشتاء والصيف ، وإذا نزلت بهم نازلة أو حزبه أمر أو احتاجوا إلى الدخول في حرب أو الرجوع إلى السلم فقد كانت لهم دار ندوة كن من نظام جدم قصى الذي رسمه لهم أن يجتمع فيها ذوو الرأي والحجى والرأسة فيهم فيتشاورون فيما تقتضيه مصلحتهم . واففق أن وقع مرة شيء من الضيم لحاج يبنى جاء بتجارة له ، فطله حقه بعض الذين تعاملوا معه ، فاجتمع شباب قريش في منزل عبد الله بن جدعان اتسمى من رطل أبي بكر الصديق ، وكان المولود الذي نحتفل في هذا الشهر بذكراه قد بلغ يومئذ سن الفتوة فكان أحد المجتمعين مع عمومته في دار ابن جدعان ، وعقدوا بينهم حلف الفضول ، أن لا يعلوا بطلوم أو يحطوا الحق في مسكة إلا تعاونوا على رد مظلمته واستخراج حقه ممن مظله . وقال صلوات الله عليه بعد أن بعثه

الله بالرسالة العظمى يذكر اغتيابه بذلك الحلف واشتراكه فيه : ولودعيت اليوم إلى مثله لأجبت .

هكذا كان مولودنا سلام الله عليه - حين بلغ سن الشباب - يتلفت حوله ذات اليمين وذات اليسار ، فيتطلع إلى حقائق الأشياء من بين يديه ومن خلفه ، ويستحلي ما يقع عليه نظره من حق وخير فيختبئ بهما ، ويتأمل فيما يلح به من باطل وشر فيستنكرهما وينكرهما .

سافر مع عمه في تجارة إلى الشام ، ثم سافر فأوسع من ذلك في تجارة الخديجة ، فعاكمل الناس ، وشارك بعض الناس ، ومنهم السائب بن الحارث السهمي من ربهط عمرو بن العاص الذي دخلت مصر في الإسلام على يده ، قال السائب يصف معاملة شريكه صلوات الله عليه : كان خير شريك ، لا يشارى ولا يمارى ولا يدارى (١) .

وأراد أن يتجرد عن مؤثرات البيئة ومألوف الناس ، فكان يهيم على وجهه في البادية وبين الجبال ينظر في آفاق هذه الطبيعة وما خلق الله فيها من دقيق وجليل ، وشامخ وذلول ، وما تنبت أرضها ، وما يزدهر في سمائها من كواكب نائمة ومتقلبة تشرق وتزهر وتغيب في الجانب الآخر من ملكوت الله الأعظم . وبلغ به السير إلى جلي حراء وثبير فيما بين مكة وعرفات ، فكان يرتقى حراء فتنبسط بين يديه آفاق الأرض وجبالها في مدى بصره ، ويرنو بمقلتيه إلى القمة الرفاء فوقه ، فيكتشف في نفسه عظمة الخالق ، بما يتأمل فيه من عظمة المخلوق .

في هذه البيئة البعيدة عن الناس من أختار وأشرار ، كان يخلو بنفسه ، يتصل قلبه وعقله بالله سبحانه ، فيخلص الضراعة والعبادة له ، ويتحرى ما ينبغي أن يكون فيه رضاه ، إلى أن أوحى الله إليه برسائه العظمى التي إذا قارناها بجميع رسالات الأنبياء والرسل كانت ملارب أكمل رسالات الله ، وهي رسالة كل من يؤمن بها من بني الإنسان إلى يوم القيامة .

إن سريرة هذا المولود العظيم فيما بين ولادته ورسائه كانت أمراً عظيماً ، وسيرته فيما بين رسائه وهجرته كانت أمراً أعظم ، وجهاده فيما بين هجرته والسنة التي أكمل الله فيها للسدين دينهم ، وأتم عليهم نعمته ، ورضى لهم الخليفة السمحة دناء ، كانت أعظم وأعظم . هي أدوار

(١) المشارة : المعاج . ومنه استقرى إذا لحق في الأمر .



ثلاثة : دور الاستعداد والتكون ، ودور الدعوة بالإعداد والتكوين ، ودور بناء الأمة المثالية التي كان ينبغي للسليين في كل عصر من عصورهم وكل طبقة من طبقاتهم أن يحتفظوا ببناء مجتمعهم على أساسها وعلى مثالها .

لو أن محمداً صلوات الله عليه لم يحرص فيما بين نشأته ورسالته على أن يسير في طريق الكمال لا يحميد عنه في دقيق أو جليل ، ولو أن الله عز وجل لم يسدد خطاه في ذلك الطريق فيما بين صباه وسن الأربعين ، لكان شأنه كشأن غيره من الناس ، ولما كان عظيم العظام من زمنه إلى زمننا وما دامت الإنسانية باقية ، إلى أن يكون عظيم العظام يوم البعث الأعظم ، والله أعلم حيث يجعل رسالته .

إن هذا الدور الأول فيما بين زمن الصبا إلى سن الأربعين كان مدرسة هذا الأبي الذي تحرى الحق والخير في ظروفه كلها ، وكان الامتحان في غار حراء ، وكانت الشهادة العظمى له بالفوز والنجاح بالوحى والتزليل ، ثم غاض غمرات البلاغ والتخدير ، كان يتخير الصخرات العظام التي سبى عليها قلعة الإسلام ، كان يضع الأساس الذي يقيم عليه الأمة المثالية ، وكان أمثال أبي بكر الصديق ، وما أقل أمثال أبي بكر الصديق في الدنيا ، هم الذين بنى عليهم صاحب الرسالة العظمى قلعة الإسلام ، وهم الذين أقام على عواقبهم الأمة المثالية .

لقد دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكانوا يستجيبون له لوإذا بعضهم إثر بعض ، فمن أوائهم استجابة للإسلام - بعد خديجة وعلى وأبي بكر وجعفر بن أبي طالب - : طلحة ابن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وعثمان بن عفان ، وسعد ابن أبي وقاص ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، والمقداد بن الأسود ، وعبد الله بن مسعود ، وخباب بن الارت التيمي ، وعتبة بن غزوان ، والارقم بن أبي الارقم المخزومي وفي منزله كانت الدعوة والاستخفاء . وكم من عظيم تأخرت استجابته ثم كانت حياته بركة وخيراً على الدعوة ، كعمر بن الخطاب ، وعمر بن العاص ، وخالد بن الوليد . ومن عجيب أمر هذه الرسالة والأمة التي استجابت لها أن الذين باثوا منهم على العداوة للإسلام والكفر به عدد قليل جداً لو شاء مؤرخ أن يحصيهم ويستقصيهم بأسمائهم ، لكانت منهم قائمة قصيرة لا تعد شذوذاً في مجموع الأمة العربية التي زحفت تحت رايات أبي بكر وعمر

وعثمان لنشر الدعوة في الأقطار البعيدة . ولم يتقل حامل هذه الرسالة العظمى إلى الرقيق الأعلى إلا وهو قرير العين بمن كان يصل في مسجده خلف أبي بكر من رجالات كان أستاذهم أعرف الناس برجولتهم وبطولاتهم وصادق إخلاصهم لله ورسوله . ولا تعرف الإنسانية في جميع تواريتها أمة مثالية خرجت للتاريخ من تحت يد رجل واحد ، تولى تربيتها وتكوينها وإعدادها لحل رسالته ، كالآمة التي صحبت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وحملت رسالته .

وكانت الحفظة الأخيرة من حياة صاحب هذه الذكرى هي حفظة الوفود عليه من القبائل القاصية في الشمال وفي الشرق إلى الخليج العربي ، ومن أعظمها بركة وفود الجنوب من أهل اليمن الذين لهم ماص عريق في العظمة وأجداد الفتح ، فتجد ظهور جوهرهم وكريم معدنهم تحت رايات الخلفاء بما تمت به المعجزة في أعجب انقلاب اجتماعي وعقل تكون به هذا العالم الإسلامي .

إن الإسلام - وتكوينه الأمة المثالية - كان يكون رهنا بحياة صاحب هذه الرسالة لو أن الرسالة بقيت بعده مجهولة ، فكان ينحصر قيام الدعوة وتكوين الأمة المثالية في مدة حياته ثم يزول أثر ذلك بعده . أما والرسالة قد تولى الله حفظها ، والكتاب المنزل ببيان هذه الرسالة وبالدعوة إلى تكوين الأمة المثالية موجود الآن بنصه في يد كل مسلم ، وألوف من المسلمين يحفظونه عن ظهر قلب في كل جيل ويتلونه على مسامع الناس في الفدو والآصال ، فإنه لا عذر لأي جيل من أجيال المسلمين في أن يتخلف عن الانطباع بطابع الجيل المثالي المعاصر للسل الأول ، معلم الناس الخير ، الذي نحتفل الآن بذكرى مولده ، صلوات الله وسلامه عليه .

كتاب هذه الرسالة الذي عمل به الجيل الأول فكان به جيلا مثالياً ، قد تولى الله حفظه لكل جيل ، ليسكون حجة لله قائمة على الناس ليسعدوا به ويكونوا أمة صدق متينة الأخلاق قوية العزائم ، مقيمة للحق ، معتبلة بالخير ، متعاونة عليه .

كل توجيه بذله مولودنا الأعظم صاحب هذه الذكرى عاملا به على تكوين الجيل المثالي الذي عبر وجه المعمورة في زمانه . قد دونه علماء هذه الأمة وأتمتها في دواوين السنة ،

وهو معروف الآن على أنظار كل من يجب أن يسير بسيرة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وأبي عبيدة وطلحة والزبير وسعد وسعيد وابن مسعود وإخوانهم ومن جاء بعدهم . ولماذا لا يتخير كل مسلم قدوة له من الصحابة فيدرس سيرته ويحاول السير عليها والتزام ما فيها من حق وخير ؟

إن في هذه الأمة من ينطوى قلبه على محبة أبي بكر أو محبة عمر أو محبة علي أو محبة خالد بن الوليد ، فلماذا لا يتحري من يجب منا واحداً من هؤلاء أن يدرس سيرته ويقتدى بها ويجدد حياة محبوبه بإظهارها للناس كما كان عليها ذلك الصحابي في مدة حياته ؟

إن من يحيي سيرة صحابي لأنه كان محبوباً من رسول الله لا شك أن رسول الله سبحانه الذي يحيي سيرة ذلك الصحابي كما كان يجب ذلك الصحابي . وإذا كثّر الذين يفعلون ذلك منا أو شك أن يتجدد في عصرنا هذا كل ما كان في العصر النبوي من حق وخير .

وهذا ممكن ، ولا يحول بيننا وبينه إلا ضعف الهمة عن تحقيقه . بل نحن مأمورون بأن يكون لنا في حياة رسول الله صلوات الله عليه أسوة حسنة ، فمحاولة كل محمدي أن يتأسي برسول الله ويتحري سيرته ويعمل بها هي مفتاح التجديد العظيم في حياة الإسلام ، وبها يكون البحث الجديد للإسلام على الأرض .

لقد نجم في بعض عصور الإسلام المخاصية ناس من الملاحدة والشعوبيين تظاهروا بالانتماء إليه ، وكانوا في سرائرهم أعداء له ، فكان من أخبث ما دسوه في الإسلام ليبتلوا العمل به تسوية سمعة أصحاب رسول الله ، وتحريف سيرتهم ، وتأويل محاسنهم بما يورم أنها سيئات ، فأفسدوا على المسلمين طريق الأسوة بهؤلاء الأكابر لئلا نجد للإسلام شبا به الذي كان له في زمن الجيل المثالي ، الجيل الذي رباه صاحب هذه الذكرى بيده ، وأعدده لمواصلة المهمة التي جاء بها الإسلام . وهذه الفئات التي دسها الشعوبيون والملاحدة في تاريخ العصر الإسلامي الأول مكشوفة مفضوحة لكل من يحاول تصحيحها من النصوص المحفوظة في كتب أئمة الحديث وأعلام الإسلام . وسيكون من ثمرات تصحيح التاريخ الإسلامي ورده إلى حقيقته الأولى أن ننعم بالحرمة والإجلال لذلك العصر ، وأن تناسي بسجايأ أهله ، وأن نعمل على تجديده .

الإسلام عقيدة وعبادة وأخلاق ونظام اجتماعي ، ومن أعظم ما يغالط به المسلمون أنفسهم أن يزعموا أن تجديد رسالة الإسلام من عمل الحكومة لا من عمل الأمة ،

إن الحكومة تقوم بواجبها ما أقامت العدل والأمن في الناس ، وما أحصت الدفاع عن حياض الأمة وحصن الوطن الإسلامي بأسباب القوة . أما تهديد شباب الإسلام وبعثه في عقائدنا وشعب إيماننا ، وطاعتنا لله في أخلاقنا وسيرتنا ، في بيوتنا وأسواقنا وأنا يتنا ومجتمعنا ، فهذا من واجب كل مسلم ومسلمة ، وهو الآن أوجب من كل وقت آخر بعد أن صار لنا في المحيط الدولي هذا الصوت المرتفع ، والمكانة المحترمة ، والكلمة التي نحسب الدول حسابها . فإذا لم يكن لنا من وراء ذلك قلوب مؤمنة ، ونفوس مطيعة لله ورسوله ، وأخلاق إسلامية تتعامل بها في بيوتنا وأسواقنا ومجامعنا وفي كل شئوننا ، فإن ذلك يعتبر تقصيراً منا في التجاوب مع ولاة أمور بلادنا الذين عملوا من جانبهم في أقصر مدة أقصى ما يمكن أن يعمل من كل في مركزهم ، إنهم عملوا ويعملون من جانبهم ما يجب عليهم من أسباب القوة ، وأنا وأنت ، وزوجتي وزوجتك ، يجب علينا أن نعمل من جانبنا ما يجب علينا من هذه الأسباب ، وفي خليعتها الأخلاق التي هي من صميم رسالة الإسلام ، والتي بها بلغ المسلمون الأولون مستواهم الرفيع ، وبها وبالإيمان الصادق انتشر الإسلام واتسعت رفته العالم الإسلامي .

خير ما نهديه إلى رسول الله في ذكرى مولده ، وفي كل ذكرى من ذكريات حياته ، إحياء رسالته وتهديد شبابها . والأخلاق من رسالته ومن أسباب نجاح هذه الرسالة . وإذا كان في الصحف المنتشرة والمجلات المأجنة ما يفسد على الناس أخلاقهم ، فإن في يد الناس أن يكفوا عن قراءتها وعن إدخالها بيوتهم فتموت بلا رجعة ، وهل تعيش هذه الصحف إلا من القروش التي يمدحها بها أناس تسمعون يشكون منها ويتذمرون من سوء أثرها في ذوبهم ؟ بل إن هذه الصحف تتقرب إلى قرائها بالفحشاء استدراباً لقروشهم ، واعتقاداً منها بأن الفحشاء بضاعة رائجة ومطلوبة ، ولو أمسك الناس عن إمدادها بهذه القروش ، وبنين لأصحاب هذه الصحف أن التقرب إلى القراء وإلى قروشهم لا سبيل إليه إلا نشر الفضيلة ، لكانوا في طلبية الناشرين للفضيلة والداعين إليها . . .

أيها المحفلون بذكرى المولد المحمدي الكريم إن خير ما تحتفلون به لإحياء هذه الذكرى إحياء رسالة صاحبها ، فليعمل لذلك كل واحد منا ما يستطيعه من جانبه ، حتى نلتقي جميعاً في العام القادم في ملتقى نعمته إن شاء الله ؟

مح الدين الخطيب

## فتح الباري للقرآن

- ٦٣ -

إذا تمادى الإنسان في أعمال الشر سمي شيطانا

« وكنذك جمعنا لكل نبي عدوا : شياطين الإيس والجن ،  
يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا . »

كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي ذر صاحبه : يا أبا ذر ! هل تعودت بالله من شر شياطين الإيس والجن ؟ فقال أبو ذر : يا رسول الله ! وهل للإيس من شياطين ؟ قال عليه السلام : نعم ، هم شر من شياطين الجن ! وقال مالك بن دينار : إن شيطان الإيس أشد على من شيطان الجن ، وذلك أتى إذا تعودت بالله ذهب عن شيطان الجن ، وشيطان الإيس يجترئ فيجرئ إلى المعاصي عيانا .

والقرآن الكريم يسبق هذه المأثورات ويؤيدها في الآية التي معنا ، فيحدثنا أن الله جعل لكل نبي من أنبيائه عدواً من الشياطين ومن الإيس ، ويسمى الإيس المعادى لدينه ولأنبيائه ، شيطانا ، فهو سبحانه يجمع الفريقين تحت اسم واحد ، الشياطين ، لأنهم يقومون بعمل واحد في الفساد ، والإفساد ، ومعارضة الدين ، ومعارضة الرسل . . .

والله سبحانه - يبين إرسوله محمد صلوات الله عليه - كيف كانت عداوة الشياطين من المريقين ، فيذكر أن بعضهم يوحى إلى بعض زخرف القول : يعني أن شيطان الجن يوسوس لشيطان الإيس فيطرح في حياته وخواطره زخرفة الأقوال الباطلة التي يعارضون بها دعوة الرسل ، والتي يتحدثون بها إلى الناس في ترويج المعاصي ، وتبوين الماسد . وهذه الزخرفة والتحسين يروجون عند صغار العقول ، وعديمي الإيمان ، فينقادون لها وينشطون في العمل بها ، ظانين أنها مستحسنة وصواب ، أو مستحسنين لها وهم على علم بمخالفتها للحق الذي ينادي به كتاب الله .

وبهذا يكون المفسدون من الناس قائمين بوظيفة الشياطين الذين عرفوا بمرغبات الإنسان والوسوسة في خواطره ، وكل ذلك من شأنه أن يكون خفياً ، لا جهراً ، ولهذا سمي وحياً كما في قوله تعالى : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطلعتموهم إنكم لمشركون ، » .

والله تعالى يحدث نبيه بأن هذه سنة قديمة في معاداة الشياطين من الفريقين للأنبياء منذ القدم ، وحكمة الله في ذلك : أن يشجع رسوله على احتمال الأذى من أعدائه ، كما احتمله رسل سابقون ، وحكته تعالى في تسليط الشياطين من الفريقين على أناس آخرين أن يختبر عباده ، لا ليعلمهم ويعرف أمرهم فهو أعلم بهم من أنفسهم ، بل ليكشف لهم عن مقدار إيمانهم ، وعن استعدادهم للثبات على دينهم ، أو سرعة انحرافهم عند البلاء .

فقد يعتبر الإنسان نفسه ، ويطن أنه مطمئن الإيمان ، وأنه يساوى غيره من الصادقين المجاهدين الصابرين .

ولا يكاد يهتم بدرجة نفسه في دينه ، ولا مقام نفسه بين المؤمنين حقاً إلا إذا عرضت له أسباب تكشف له ما خفى عليه من أمره . . . . . وعندئذ يحاول الكمال أن تبصر وأحسن الاختيار ، أو يدرك أن تفاوت المنازل بين العباد عند الله منوط بتفاوت الإيمان كمالاً ونقصاً فلا يكون لأحد عند الله حجة ، وهذا أقصى ما نستطيع تصوره من عدل الله تعالى مع خلقه .

ثم نعود فنقول : ماذا يقصد الشياطين من زخرفة القول ، وتحسين القبايح ؟ صرح الكتاب العزيز بذلك في قوله « غرورا » ، يعني لتغريب الناس ودفعهم إلى الباطل المزخرف .

وصرح به ثانياً في قوله ، ولتصفي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة . . . . . ، يعني لتقبل إلى هذا الباطل قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة فيتخلوه ديناً ومعتقداً لهم .

وصرح به ثالثاً ، في قوله « وليرضوه » وليقتروا ما هم مقترفون ، يعني ليفرحوا به ويعكفوا عليه ، وليرتكبوا من المعاصي ما هم مرتكبون ، مستبشرين لهذا الباطل ، معرضين عن الحق الذي ينادي به الرسل ، وتحفل به الكتب ، وغايتها القرآن الكريم .

وإنما فعل الله ذلك ببعض عباده لسابق عليه أن استعدادهم ميّ، وأن الهدى لا ينفع فيهم، فرتب على ذلك معاملة الله لهم بما هم أهل له.

وهنا مناقشة فلسفية يتطرق إليها الكلام: وهي هل قدر الله عليهم الانحراف أولاً ثم وجد منهم سوء الاستعداد بسبب ما قدر عليهم؟؟ وما ذنبهم في هذا وقد قدر عليهم؟؟  
والعلماء ترجيحات لا طيل فيها، ويكفي أن نأخذ برأى مقبول، وهو أن الله تعالى علم أولاً أن الكفار مثلاً يسيئون الاختيار لسوء استعدادهم الفطري وسوء الاختيار منهم فقدر عليهم ذلك الانحراف لما بعلمه من حالهم بعد:، فهناك علم سابق بسوء اختيارهم ثم قصاء عليهم بالمخالفة والانحراف، ثم وجدت منهم المخالفة تنفيذاً للأقضاء المبني على سابق العلم وكيفما كان فقد أرشد الله إلى التحفظ من وساوس الشيطان فقال سبحانه: وإما يزغلك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم.

وواضح من هذا أن العبد إذا أحس بجوارحه فاسدة تدور في خياله وذهنه فينتبه إلى أنها وساوس الشياطين، ويسرع إلى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والاستعاذة بالله حصن يجتمى به العبد وينجو من مكاييد الشيطان كما وعد الله بهذا في قوله: إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

وأما شيطان الإنس، وهو رفيق السوء، فهل على المرء أن يتجنبه إذا عرف منه سوء الصعبة، والأمر أمر يقظة وحسن تقدير، فمن راعى جانب الله استطاع أن يتحفظ، ومن غفل عن جانب الله زلت قدمه وساءت عاقبته، ولن ينفعه صاحب، ولا ولد، ولا مال ولا ندم.

وبعد - فقد عرضت الآية الكريمة لذكر الإنسان والشيطان في نمط واحد:

(أ) ونحن إذا وقفنا إزاء كلة إنسان، لنستوحي معناها، وخصائصها، وما لها عند الله من قدر، وجدناها في جانب علوى، وفي إطار كريم من الجلال والرعاية.

(ب) وإذا وقفنا إزاء كلة شيطان، وما يحيط بها من شناعة، وما اقترن بها من مهانة وجدناها في مهبط سفلى يتحدر في الحسة حتى لا ينتهى عند غاية سوى اللعنات اللاحقة به من الله، وعلى كل لسان.

فإنسان: عنوان كريم يشعرنا بالأس، ويوحى بالطمأنينة، ويشير عظمة الإخاء والمحبة، وإنسان: هو ذلك المخلوق الذي كرمه ربه، ومجده لدى ملائكته، وشغل الدنيا به، وخلق ما فيها لأجله، وهياً بعقله، ومواهبه للإيمان، وكرر نداءه، وأعلمه في مرضاته، والخلود

في نعماته ، وحذره من سقطه ، ولم يترك له من وسائل الهداية أمراً يتعلل بجهله ويعتذر به عن تحلفه .

وسيطان : عنوان بغيض ، يثير التشاؤم ، ويشعر بالفضاضة ، ويحيق من المكاره ، ويرجع من خطرها حتى كأنها قرينة لذكر اسمه ومحنة المرء ولا مفر .

ويمكن أن نوجز هذه المقارنة في اعتبار كلمة إنسان مرادفة لكلمة خير . . . وفي اعتبار كلمة شيطان مرادفة لكلمة شر ، وبين القطبين في مدلولهما بعد ما بين المشرق والمغرب . أو بعد ما بين العافية والبلاء .

فما الذي جمع بين مدلوليهما حتى دمجهما في لفظ واحد ، وسمى الإنسان شيطانياً ؟ .  
وما الذي هبط بالإنسان من عليائه ، وجرده من جلاله ، حتى أصبح رجياً ، لا كريماً ؟  
جواب ذلك : أن الإنسان خرج من إطراره ، ونسى صفة بربه ، وتجاهل عداوة الشيطان له ولآبيه آدم من قبل ، ثم طرح جانباً ما أوصاه به ربه : من حذر ، وحيطه ، وبجانبه لإغواء هذا العدو المبين ، وأخذته وساوس الشيطان ، وراقت له مفاته فانهدر إليها ، وانغمس فيها ، بل تجاوز هذا إلى القيام بما يقوم به عدو الإنسان ، وأصغى إلى وحيه واستجاب لتنفيذه نحو أحبه الإنسان ، فكان هذا المفتون جندياً مل كان في مسلكه شيطانياً حقاً ، ولو أن المرء ركن إلى ربه ، واستعاذ به من عوابة الشيطان ، واستنض عقله ومواجهه في التعرض من الوساوس ، ومن زخرفة الأباطيل ، واحتفظ بمكانته ضد ربه لكان في مصاف الأخيار ، وفي عداد الأبرار . . . وليس يحول بين المرء وهذا سوى غفلة وشهوة ، وجهالة ، وضلالة . . . ومن حلال ما ذكرنا يتضح أن المرء مسئول عما اختاره لنفسه ، وعاسب على صنيعه ، ولو عالج قصوره بالرجوع إلى ما جاء من عند الله ، وعالج تقصيره بالتوبة والإقامة لكان له من عفو الله نصيب ، وقد جعل الله بابه مفتوحاً لكل عاصد ، وقبوله ، ورضوانه وإحسانه مرجوا لكل منيب .

فاللهم اجعلنا في ديننا ودنيانا على خير ما دعوتنا وعودنا الخير كله ، ولا تجعلنا من شياطين الإيس ، ولا من أتباع الشيطان في شيء .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر



# الشيخة

## الواصل والمكافئ

قدرت وقدرة الله - رحم الدين ، ورحم القرابة - رحم الأخوة العظمى -  
سيد الواصلين في قومه - القطع في الله وصل - أصناف الناس  
في المعاملة - الإحسان الحق - الواصلون حقاً .

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الوصل الذي إذا قطعت رحمه وصنّها .

رواه البخاري (\*)

ودعت الكتابة في السنة إلى أجل كنت قدرته عاماً أو عامين ، ولكن قدر الله ألا يزيد  
على شهرين . . . فإن يكن المود أحمد ، فالفضل لمن بيده الفضل سبحانه ، ثم لأسرة هذه  
المجلة وقرائها ، فسا فتشوا يذكروني أن أصل رحماً ربطتها المجلة بيننا ، ثم جاءت السنة فشلت  
رباطها . . . وكان الرحمن جلت آلاؤه ، ألهم عبده السيد مدير المجلة ، أن يكتب حديث السنة  
السابق في صلة الرحم ، تجديدًا للتذكرة ، وتوكيداً لما بيننا من آصرة . . .

• • •

ذلك ، والرحم عامة وخاصة . وكل بما أمر الله به أن يوصل ، في غير محادة لله ورسوله :  
فأما الرحم الخاصة ، فهي القرابة على اختلاف درجاتها ، فإذا اشتدت فإن قطيعتها لغير  
الله أعظم جرماً ، كما أن صلتها لله أكبر درجات وأكبر تفضيلاً . .

---

[\*] في الصدارة من كتاب الأدب . والرواية بتشديد « لكس » ويجوز تخفيفها . وأكثر  
الروايات في « قطعت » بفتح ، وفي بعضها بضم القاف وكسر الميم .

وتكون صلة الرحم العامة بالعدل والإنصاف ، وتأدية الحقوق الواجبة ثم المنسحبة .  
 وتمتاز صلة الرحم الخاصة بمزيد العناية والرعاية في الثقة والمودة والتناصح والتسامح ،  
 وتفقد أحوالهم ، والتغافل عن زلاتهم ، والسعي في مصالحهم ، في حدود الوسع والطاقة ،  
 ولا سيما أهل الصلاح منهم والاستقامة ، فأما الكفار والفجار ، فأهم صلتهم بذل الجهد  
 في إصلاحهم . . . ثم إنذارهم بالقطيعة إن تمادوا في غيهم . . . مع إعلامهم بأن القطع في الله  
 تعالى هو عين الوصل ، ومع الدعاء لهم بظهور الغيب أن يهديهم الله إليه صراطا مستقيما . . .  
 وقد نال سيد الواصلين صلى الله عليه وسلم من أذى قومه ما لم ينله أحد ، فغف وعفا  
 وقال : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون . . .

ووصى صلوات الله وسلامه عليه فتشد الوصية بأهل بيته خيراً ؛ وقال في بعض رحمه :  
 إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي ، إنما وليي الله وصالح المؤمنين ، ولكن لم رحم أبليها  
 يبلالها .

ولما نزلت هذه الآية : « وأندر عشيرتك الآخرين » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قريشاً فاجتمعوا ، فم وخصر فقال : يا بني كعب بن لؤي أقتنوا أنفسكم من النار ، يا بني  
 مرة بن كعب أقتنوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف أقتنوا أنفسكم من النار ،  
 يا بني هاشم أقتنوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أقتنوا أنفسكم من النار ،  
 يا فاطمة أقتنى نفسك من النار ؟ فإني لا أملك لكم من الله شيئاً ، غير أن لكم رحماً سأبليها  
 يبلالها . رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه (١) .

وجاءه رجل فقال يا رسول الله : إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم  
 ويسئون إلي ، وأحلم عنهم ويجهلون علي ، فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم  
 المل ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك (٢) .

• • •

[١] روى اللال بالفتح والكسر مصدر بل كرد ، ويجوز على الكسر أن يكون جمع بلل بكمل  
 شبه قطيعة الرسم بالحارة ، وشه صلتها بالهاء القى يديها ثم يقطعها ، وهو من بديع التشبيه ، ومنه  
 الحديث : « بلوا أرحامكم ولو بالسلام » وأطره في الجامع الصغير .

[٢] شه ما يلحقهم من آتاء القطيعة بما يلحق طاعم الرماد الحار من العبط والألم ، وقد تكمل  
 الله قواصل الطعم بالبر والمودة والرعاية والكفاية .

والرحم الخاصة هذه هي موضوع حديثنا هذا والحديث السابق ، وهي التي تراد عند الإطلاق ، وقد أعظم الله شأنها ، ورفع مكانها ، حتى اشتق اسمها من اسمه ، وصفتها من صفته ، وأجلها وهي في مقام العائد به من القطيعة : أما ترصين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يا رب ! قال فهو لك . . ثم قرنها بذكره ، في مقام تمناه ومراقبته ، فقال جل سلطانه : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » ولو لم يكن لها من عظيم الشأن عند الله إلا هذا لكفى .  
وأما الرحم العامة ، فهي رحم الدين الحق . .

وقد تقوى هذه الرحم حتى تكون أعظم من الرحم الخاصة شأنًا وأعلى مكانًا .  
فإذا تعارضت الرحمان في رغبة قدمت رحم الدين على رحم القرابة ، فلا طاعة لمخلوق - كاتبًا من كان - في معصية الخالق ؛ والله ورسوله أولى بالمؤمنين من أنفسهم ومن الوالدين والأقربين .

وهذه الرحم العامة شعب وضروب شتى :

فمنها رحم العلم ، ومنها رحم العمل ، ومنها رحم الجوارأفراداً وأماً ، وبمالك وشعوباً وأرضها درجة وأعظمها قرباً ، ما اجتمعت فيه هذه المعاني كلها ، ثم هي بعد ذلك درجات لا تحصى عدداً .

وهذه الرحم العامة في حقيقة أمرها ، واختلاف شعبها ، تمثل الجانب الأعظم ، من رحم أعم وأشمل ، رحم الآخرة العظمى ، والإنسانية الكبرى ، التي خلقها الله من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء . . ثم جعلهم شعوباً وقبائل ، ليعرف بعضهم بعضاً ، فيصلوا أرحامهم ، ويتبينوا أسابهم ، ويتعاونوا على البر والتقوى . .

• • •

وكما تختلف الأرحام قرباً وبعداً ، يختلف الواصلون كذلك ضيقاً ووسعاً ، وقدرة وعجزاً ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسن . فسييسره . وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسن . فسييسره للمسر . .

• • •

ومهما يختلف الناس في معاملتهم للأرحام فهم أصناف ثلاثة :

صنف قاطع ! وعياداً بالله منه ومن القطيعة مآ ! وحسب هذا وعيداً على عظيم إثمه وكبير جرمه ، قول الصادق المصدوق صلوات الله عليه وسلامه : « لا يدخل الجنة قاطع » .  
رواه الشيخان عن جبير بن مطعم رضى الله عنه (١) .

وصنف مكافئ ، وهو الذى يصل من وصله ويقطع من قطعه ، فهو فى جملة أمره واصل ، وإن كان يفارض ويبادل ، فإن فى المبادلة صلة ، وإن لم تكن كاملة .

وإنما ألقى صلوات الله وسلامه عليه صلة المكافئ ، ولم يعد صاحبها فى الواصلين حقاً لأن الصلة على سبيل المبادلة فقط ، ليست من تمام المكارم التى بعث لها صلوات الله عليه ؛ ولأن صاحبها ليس من الراشدين الكاملين ، الذين يقدم المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم ، لأن يكونوا سادة وقادة فى خير أمة أخرجت للناس .

ونفى الشيء أو إثباته مراداً منه جنسه الكامل ، من الأساليب المعروفة فى ألسنة المربين والبلغاء ، ومن ذلك قول بعض السلف : ليس بالإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك فإن ذلك متاجرة ، وإنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك .

وأبلغ من هذا قول إمام المربين وأبلغ الناطقين صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب . ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس . ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمران ولا اللقمة ولا اللقمتان إنما المسكين الذى يتعفف . . » روى الشيخان ثلاثتها عن أبي هريرة رضى الله عنه .

وصنف واصل ، وهو المتفضل الكامل ، مراد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومقصوده الأعظم فى هذا الحديث .

ذلك الصنف الثالث أقل المتضيق عدداً ، وأكثرهم إحساناً ورشداً ، ذلك هو الاتقى الذى يؤتى ماله بترك ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى . وسوف يرضى .

طه محمد الساكت

(١) وتقدم شرحه وإيضاحه فى مثل هذا الشهر من عام المجلة الأولى .

# حقائق فلسفية

## في ميلاد الرسول الأعظم

### ورسالته الخالدة

ماذا طالعت الإنسانية قبل أربعة عشر قرناً من الزمن ، وماذا حملت إلى الناس بين أطوائها إلا ذلك الوليد اليتيم الذي ألقته الإنسانية بين أحضان والدته آمنة وأسمته محمداً . ومن الذي يستطيع أن يتصور أن هذا الطفل اليتيم سيكون شغل العالم في هذه المجموعة الشمسية بعد سنين معدودات ، ويبقى ذكره خالداً خلود الإنسانية ، وتعاليمه قائمة حية مع حياتها الأبدية .

إن محمداً صلى الله عليه وسلم أعظم آية من آيات الله في الخلق يزداد أثرها في قلوب الناس ، ويشند تأثيرها في عقولهم ، كلما ارتقت المعارف الإنسانية والكتالات البشرية ، وأدرك الناس مبلغ قوة الفرد ، تلقاء الطبيعة والمجتمع ، وغاية ما تستطيع أن تحدته قواه المحدودة فيها .

نعم إن محمداً كان رسولا يعمل بوحي من الله ، ويعتمد في ممارسة خصائصه على تأييده سبحانه ، وقد وعده الحق بالنصر المؤزر ومحمود العاقبة ، فمن حمل هذه العقيدة أيقن أن ما بلغه محمد في أكناف هذه الرعاية الإلهية لم يكن عجباً ولا فريداً في ناموس هذه الإنسانية ، ولكن الذي يعجب في صورة التشكيك لما التبس عليهم من حقائق هذا الكون وأسراره أولئك الذين لا يعتقدون برسالته من الأمم ويعمدونه عبقرية حسب .

نعم هؤلاء هم الحيارى المترددون الخيالون الواهمون الذين يحق لهم أن يعجبوا وأن يجاروا في تعيين الميزة التي يضعون فيها محمداً بين المراتب الإنسانية الخالصة .

لا مصرية في أن تاريخ الانقلابات الاجتماعية أفصح برهان على أن جميع الأمراد من أعلام الرجال الذين قاموا بتلك الأحداث الخطيرة في تاريخ البشرية أعلام ولدوا في جماعات محكة

الروابط مستحصدة العرى فدفعوا بها إلى ضروب من الحركات الانتقالية الجريئة الواعية ، عدوا معها - بغض النظر عن المظالم التي قارنوها - من أعلام التاريخ : فحتصر الباطل ، وقبروش الفارسي ، والإسكندر المقدوني ، وجنكيز خان المغولي وغيرهم ، كل هؤلاء كانوا عياهل في أقوامهم ، وقد ولدوا في شعوب متهاكمة الآحاد ولا يعوزها غير التوجيه إلى القابات البعيدة مصحوبة بحسكة في القيادة .

وكذلك الحكم في الرسالات الدينية نفسها ، فموسى بن عمران عليه السلام الذي أرسل إلى بني إسرائيل في مصر استقبل منهم كمنفذ لهم بما هم فيه من صنوف الضلالة فلم يذل في استمالتهم إلى تعاليمه جهداً كبيراً ، واستمر أن يقف في التيه ولم يزحف بنو إسرائيل إلى فلسطين إلا بعد وفاته . وعيسى عليه السلام نشأ في أمة مستكدة شرائط الاجتماع ، ومع ذلك لم يؤت تعاليمه الحكيمه الرشيدة التي تطلبها أتباعه إلا بعد أن اختمرت في مدى نحو أربعة قرون .

ولكن محمداً الذي كان أكبر آيات الله في الخلق ولد في أمة كانت على الحالة القليلة فلم يجد معيماً له حتى من القبيلة التي هو منها ودفع لأن يلتمس المعونة على أداء مهمته من جماعة ينشأ إنشاء ، قم له ذلك في بني الأوس وبني الخزرج سكان يثرب .

لقد كانت هذه عجبية وكل ما حدث بعدها سلسلة من العجائب التي تلا بعضها بعضاً ، اتسعت لها الأيام القليلة اتساعاً عيماً للعقل البشري حتى تم له في ثلاث وعشرين سنة من تعاليمه الدينية وإرشاداته الخلقية وقضاياها الإنسانية في مختلف آفاق الدنيا مستقصية الحيانين حياة الراد وحياة المعاد ، بل حياة الابتلاء وحياة الجزاء ، مالا يعقل أن يستكمل وينمو إلا في عديد من القرون .

فلما آنس صلى الله عليه وسلم خذلان القبائل كلها حتماً عليه وتبرماً به وتسكرأ لعظم شأن رسالته حسبما تبين له من عرض رسالته عليها في كل موسم من مواسم الحج شرع يلتقي بهم في زوايا الإهمال ويتننى لنفسه أمة قبية جديدة ، نعم أمة جديدة !

ابتنى محمد صلى الله عليه وسلم للوجود كله أمة عالية في أهدافها وسمو مطالبها فلا تتوهم مثلاً على وحدة الجنس ، ولا على وحدة اللغة ، ولا على الحاجات الجثمانية الملحة ، ولكن

على ما يصلح أن يكون ملاكاً للبشرية الفاضلة كافة من الأصول الأدبية السامية والمبادئ الإنسانية الخالدة الكاملة .

فإن تعجب لذلك فأعجب منه أن يتم تأليف هذه الأمة فيصبح فيها الصناديد من قريش وخزاعة ، والهميم من تميم وأسد وهوازن ، وبعدهم الفرس والديلم والروم والسود والحبشان ومن لم يعرف له منجى من جالبات الجماعات المختلفة في مستوى واحد من الحقوق والواجبات الاجتماعية .

أو تقوم مثل هذه الأمة في مثل تلك البيئة وقد عجز الفلاسفة والمصلحون والقادة في العصور الأخيرة من تأليف أمة عالمية ، وهي مما لا يمتري اثنان في أنها المشغل الأعلى للاجتماع ؟

وإن تعجب فأعجب منه أنها قامت في تلك البيئة ، وآتت من الثمرات ما لم تزده أمة في الأرض من أول عهد البشر إلى اليوم وفي مدى لا يذكر إلى جانب أعمار الأمم .

وغنى عن البيان أن محمداً غير ديانة القبائل العربية قاطبة ، وأبدلها منها ديناً لا نسب بينه وبين تلك الوثنية التي كانت سائدة قبل هذه البعثة ، وأندين أعلق الأشياء بالنفوس وأقواها سلطاناً على القلوب . فأسال أخلاقها من جفوة البداوة وطلبة الجاهلية ، إلى لطافة الحضارة ورقة الطبائع ، وشيوع الدينية الفاضلة المهذبة في مختلف آفاقها ، وقلب مبادئها من تأليه الأقوياء وتسخير الضعفاء والتغلب مع الأهواء إلى الأخذ بمبدأ المساواة وتقرير الحق لصاحبه ، بغض النظر عن جميع الاتجاهات ، مع الثبات على إقامة الأصول مهما اعتورت المكلف بإقامتها المصانعات وتجاذبه السولات ، ولا يسبغ عقل عاقل عند كل مفترض أن يكون ذلك قد استكمل عناصره بواسطة الحديد والنار .

فهل سمعت فيما سمعت أنه أرسل الجيوش المجرارة حيث سار ، أو بالجلالوزة تلقى كل من يعضيه في النار ؟ ألم تحط علماً أنه صلى الله عليه وسلم نكح وإيس له قوة من الأرض ولا ناصر ، حتى اضطر أن يدعو إلى دينه سرّاً ، فلما أعلن الدعوة هودى وأوذى ، واضطر من آمنوا به إلى الهجرة إلى الحبشة ذنبتين ، ثم اضطر هو نفسه - وقد تحالف قومه على قتله - أن يهاجر إلى المدينة في جنح الظلام ، فلما أشرق الصبح وهو في الطريق ، اضطر هو وصاحبه أن يتواريا في الغار ؟ .

قلو أن الأمر قد اطمأن إليه بطريق الإغاثات والإكراه ، لما بقيت رسالته غالبة ما بقي الفرقان ، وإلا فهل سمعت أن طرائق تفرض على قوم فرضاً دون أن يقتنموا بها ولا أن يعرفوا لها مورداً ولا مأثاة ، تبقى بعد وفاة من جاء بها يمارسها الخلف عن السلف ويتلقاها جيل عن جيل ، وتتوارثها أمة عن أمة ، حتى يكسف القمران ، وتسكن هذه الأرض من دوران . اللهم لا .

إني أشفق على الذين يدعون أن ما عمله محمد أثر من آثار العبقرية وأرثي لعه ولهم أبلغ الرثاء ، ويحز في نفس أن الذي يسند إلى محمد وصف العبقرية يحمل معناها أعقق الجهل فيظن أنها بدلوها تعني درجة رفيعة من الذكاء الخارق . والحقيقة التي لا شية فيها أن العبقرية في مدلولها الصحيح إلهام ينزل على صاحبه لا يعرف له مصدرا ولا أوزعا فيندفع لعمل من الأعمال فيجئ مثلا أعلى لا يمكن تقليده . فإن كان محمد عبقرياً ، فهل يندرج تحت محيط العقل أن يكون مع عبقريته غير صادق يدعى بين الناس أنه رسول قد أوحى إليه من عند الله ، وهو يقول جل علاه : ومن أظلم ممن اتقى على الله كذباً ، أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء .

بقي أن فريقاً من المتقولين يدعون أنه كان ذكياً أبغ الذكاء ولم يكن رسولا ، وهؤلاء الفريق كانت من المماندين في أول دعوته والمكابرين يوم جاءهم يطالبهم بالترام هذه الدعوة وهم مشركو القبائل وصناديدها في الكفر والإلحاد الذين كانوا ينفسون على محمد رسالته ودعوته ، وإلا فما هو قول التمتين الخارجين على رسالته في قول سبحانه : من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة ، فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فينظر هل ينهين كيده ما يغيظ ؟ أو لم يقل : إنا لننصر رسلا الذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . أو لم يقل أيضاً : وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . أو لم يقل أيضاً : كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ، إن الله قوي عزيز ، وأيضاً يقول : وما أرسلنا من قبلك من قبلى إلا بلسان فومه ليين لهم فيفضل الله من شاء ويهدي من يشاء .



إني لأرعى هؤلاء المكابرين الذين تكابروا الحق إعراضاً وعناداً وهم يعرفون في دخائل نفوسهم أن الأنبياء إنما أرسلوا إلى أعينهم حججاً قواطع وبراهين سواطع حتى لا تكون لهم حجة على الله وإلى ذلك يشير الله بقوله « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » . فحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ونبوته خاتم النبوات وإعجازه في القرآن ومعجزاته في الأكوام شاهدة على صدق دعواه وأصدق شهادة وأبلغ برهان وما أصدق قول العلامة البرعي الكبير :-

له هم لا تنتهى اكبارها وهمته الصغرى أجل من البحر  
له راحة لو أن معشار جودها على البركان البر أندى من البحر  
وما أصدق قول البوصيرى :-

فبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خالق الله كلهم  
حتى آدم أبو البشرية لأن عمداً أبو الروحية والبشرية معراج إلى الروحية .  
ولذلك يقولون عن رسول الله بلسان الحال لا بلسان المقال .  
وإني وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوق

عباس طه  
المسلم

### سيادة الحق

فخر التوحيد طه في الوجود مخلصاً لله فيما قد فعل  
لم يكن يطلب إلا أن تسود دعوة الحق ويعلم من عدل  
ولداً ساد وذو الحق يسود بجهاد واعتزام للأمل  
تذكروا شهور ربيع والعهود نهوا من نام منا أو غفل  
نحن إن لم نهر الليل فما كتب الله لنا أن نرتقى  
محمود رمزي نظيم

## من وحي المولد النبوى

إن الحديث عن المولد النبوى الشريف حديث، متشعب الأطراف، يتجه الفكر فيه إلى نواح مختلفة، تتصل بالرسول الأعظم، صلوات الله وسلامه عليه، فى شهر ربيع الأول، وعند أكثر من أربعة عشر فرناطواها التاريخ، تشرف العالم أجمع بإمام المصلحين وخاتم النبيين والمرسلين، ورحمة الله تعالى للناس أجمعين، سيدنا ومولانا محمد، بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم، وظهر نوره بمكة فلع فى الحافقين، ورأى الناس لمولده المبارك الآيات البينات، وشامت الحكمة الإلهية أن يولد يقنيا، حتى يتولاه الله تعالى بالعناية والرعاية منذ نعومة أظفاره، وأن يعده للنبوة والرسالة خير إعداد، وشب وترعرع بعيداً عن الأصنام والأوثان، وعما غرق فيه الجاهليون إلى آذانهم، وتعمل بحميد الحلال، حتى عرف بين قومه بالصادق الأمين.

ويتصل حديث المولد النبوى بما كان عليه العالم قبل الصورة الإسلامية، فقبل هذه الدعوة الغراء اضطربت الأحوال الاجتماعية والخلقية، على ظهر البسيطة، اضطراباً لم يهد له مثيل، وانحطت الأمم إلى مهاوى الرذيلة والفساد، وعبثت يد الإنسان بما جاء به الأنبياء والرسل السابقون، فأصاب الكتب النبوية ما أصابها من التحريف والتبديل، وحجبت كلمات الله سبحانه عن العقول البثرية، وحورب العلم فى كل مكان، وانقلبت الفضائل بين الناس وذائل اتصفوا بها وأقبلوا عليها، وحل الشقاق بين الأفراد والجماعات محل الألفة والوئام، وشبت الحروب لأوهى الأسباب، حتى ذهب بقوة الغالب والمغلوب، وعبدت الأصنام، وقطعت الأرحام، ووثقت البنات، واعتسى القوى على الضميف، وإذا لم يجد الظالم من يتأصبه الصداء، حارب أخاه الواضع المسالم، وما هو القطاى الشاعر الجاهلى، يحدثنا عن الحالة عندهم، وما راء كن سمع، فيقول :

ومن تكن الحضارة أعجبه      فأى رجل بادية ترانا ؟  
وهن ركب الخيول فإن فينا      قى سلباً وأفراساً حسانا  
وكن إذا أغرن على قيل      فأعوزهن رهن حيث كانا

أغرن من الضباب على حلال وضبة ، إنه من حان حانا  
وأحيانا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أحيانا

ويتصل حديث المولد النبوي بالدين الإسلامي العظيم ، الذي رضي الله تعالى ديناً لجميع الناس ، والذي يكفل لهذا العالم نظاماً ، يجعل السكون كله أسرة ، والناس جميعهم متوادين متحابين ، ترى فيهم الغنى ولا ترى المحروم ، ويجد بينهم الضعيف ولا تجد المظلوم ، لأن الإسلام أنما بين الغنى والفقير سبباً هو البر ، وأوجد بين القوى والضعيف نسباً هو الرحمة . وله من ديمقراطيته الأصيلة ، واشتراكيته المعتدلة ، وأخوته الشاملة مناعة من كل سوء ، وأمنة لكل جنس ، ومودة لكل دين . وسيمحو نوره المتخلف من نور غيره كما يمحو لسان الصبح المنير المتخلف من جيوش الظلام .

ويتصل حديث المولد النبوي بالقرآن العظيم ، الذي أنزله الله على أشرف الورى من فوق سبع سموات ، يهدي به العلى القدير من انبوع رصوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ياذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وقد ضمن الله لهذا الكتاب الكريم الحفظ والبقاء ، لأنه ينمو من نفسه كما ينمو الحى ، ويضئ من ذاته كما تضئ الشمس ، ويتجدد من طبعه كما يتجدد الريح ، ولم تستطع الإنسانية إلى الآن ، على ما جربت من تجارب ، وائت من حضارة ورقى ، وعرفت من فنون الحكم وألوان الحكومات ، أن تنتهى نظاماً سياسياً يتجلى فيه العدل بأروع صوره كما فى القرآن الحكيم ، ولقد ذهبت الإنسانية فى الحكم مداهبها المختلفة ، فاستظلت بحكم الملوك ، وسعدت به قليلا ، وشقيت به كثيراً ، ثم عرفت النظام الديمقراطى ، الذى يرد إلى الشعب أمور الشعب ، فالت به قسماً من العدل ولم تنل به العدل كله .

وسلكت الإنسانية فى سبيل الوصول إلى الحكم الصالح جميع الطرق فلم تنته إلى غاية ، وما زالت هذه الإنسانية تشكو الظلم ، وتبحث عن النظام القويم الذى يرضى للناس جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، الحرية والعدل ، والإخاء والمساواة ، وهذا النظام القويم هو الذى نادى به آيات التنزيل الحكيم . ورفع لواءه إمام المسلمين ، وعز به المسلمون فى بحر الإسلام وضياء ، وظهروه وعصره ، فنبتوا فى رياض الإسلام أعزة كراما ، وعاشوا فى رحابه أعزة كراما ، وواجهوا الدنيا أعزة كراما ، لم ينهزم لهم جيش ، ولم يتكس لهم علم ، بل فتحو فتوح الجبارين ، ودونوا تاريخهم بمداد من الفخر على صفحات من نور .

ويتصل حديث المولد النبوي بالآمة الإسلامية وهي خير أمة أخرجت للناس ، وقد حملت مصباح النور حين عم الكون الظلام ، وأرشدت العالم إلى بر السلامة وشاطئ النجاة ، حين تاه في عباب الجهل ، حتى أمسى تاريخها تاريخ الكمال الإنساني على وجه الأرض ، وقد كانت من قبل أمة بدوية ، ثم نهضت بفضل الرسول الأعظم نهضة الأسد ، وهب المسلمون يحملون في يثام نور القرآن العظيم ، يصبثون به للشعوب طريق العزة في الدنيا ، والسعادة في الآخرة ، وفي يراهم السيف يدون به الصالحين إلى طريق الحق والرشاد ، فامتلات الأمتة خوفاً منهم ، ونلوا العروش . ونهاوت أمامهم التيجان ، وحسب لهم ألف حساب وحساب .

وإذا كان على المسلمين في المشرق والمغرب ، أن يحتفلوا بذكرى المولد النبوي الشريف ، ويدنووا مصدر عزهم ، ومنبع مجدهم ورفاهيتهم ، فإن على العالم أجمع أن يطرب لهذه الذكرى الكريمة ، ويتألبها بما تستحق من إجلال وإعظام ، لأن الحياة طابت حقاً برسالة النبي العربي ، وغداً الإنسان إنساناً يشعر بكرامته . في قلبه طمأنينة ، وفي نفسه رضا ، وفي روحه شعور جديد بالكون وخالقه ، وإمام الأنبياء ، وحاكمها العادل ، وسيدها المطاع ، ورثيها الأمين المأمون ، ورحمة الله للناس أجمعين .

هكذا تكون الذكريات العاطرات ، وهكذا تتجدد على مر السنين والأعوام والشهور والأيام ، وستبقى ذكرى الرسول الأعظم قوية كالبحر ، ودائمة دوام السموات والأرض ، فقد ولدت بمولده الطاهر مبادئ ونظريات ، ونسفات وحضارات ، لم ير لها مثيلاً من قبل ، ولن ير لها مثيلاً من بعد ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد كشف الغطاء عن أعين الشعوب العربية ، فلم تعد نطق اليوم ما كانت تحتله بالأمس ، من ذل واستعباد ، وأدركت ما جنته من وراء التفرق والاختلاف ، والبعده عن سنة الله وهدى رسوله ، وتطلعت إلى ما كان لأسلافها ، من مجد باذخ ، فحنت إليه ، وتوثبت لإحيائه ، وفي الجو بارقة من الأمل . وحسبنا ما نراه اليوم من جهود رجال الثورة الأبطال ، وعقلاء الأمة في كل مكان ، في توحيد كلمة العرب ، وجمع صفوفهم ، ورفعة شأنهم ، وما شاهدناه اليوم . ولا نزال نشاهده . من صراع بين الشرق والغرب ، وما قرره الجمعية العامة للأمم المتحدة من الموافقة الإجماعية على مشروع الدول العربية ،

وما قام به أهل العراق الأحرار ، وجيشهم الباسل لاستعادة مجد البلاد المسلوب ، وتطهيرها من الاستعمار وأعوانه ، وما تعرفه من موقف الثمن المشرف ، وأهل عميات عدن ، وثورة أبطال الجزائر المغاوير ، كل ذلك يجعلنا نوقن بأن الفلك قد استدار ، وأن الطريق قد استبصر ، وأن الفجر قد لاح ، وأن العقل قد اهتدى ، وأن دين الإسلام الأغر الميمون ، الذى أنقذ الخليقة منذ قرون ، من ضلال كبرى ، وغى قيصر ، حرى أن يخلصها اليوم ، من مطامع الصهيونيين وبغى المستعمرين .

وأصرح إلى الله عز شأنه أن يكتب لهذا الدين العظيم الديوح والانتشار ، وللشعوب العربية نصراً مؤزراً ، وللسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها عزاً ومجداً ، وسعادة ورفاهية ، وللعالم أجمع سلاماً شاملاً ، أساسه العدل ، وقوامه الرحمة .

أحمد على منصور

أستاذ البلاغة والأدب بمعهد شبين الكوم

## بناء المجد

ففى البر بينه سبيلا	وسن خلاله وهدى الشعابا
تفرق بين عيسى الناس فيه	قلبا جاء كان لهم متابا
وكان يانه الهدى سبيلا	وكانت خيله للحق غابا
وعلنا بناء المجد حتى	أخذنا إمرة الأرض اغتصابا
وما نيل المطالب بالتمنى	ولكن تؤخف الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال	إذا الإقدام كان لهم ركابا
	شوقى

## ميلاد الخير للإنسانية

من نظر إلى العالم كله نظرة فاحصة مدققة شاملة ، قبيل ميلاد محمد عليه السلام وقبل بعثته رأى أحواله مضطربة غاية الاضطراب ، وأدلمته عتلة أشد اختلال ، وقواعده منهارة أنهاراً عظيمة يؤذن تبهأ لسنة الحياة بمغيب شمس عصر مظلم دامس ، وظلوع فجر مشرق وضاء الجبين ، ينير للناس سبيل حياتهم ، ويحفظ عليهم أنظمتهم .

فتظرة إلى العقائد والملل والنحل المتعلة والعادات المنكرة وعبادة الأوثان الشائعة المتكاثرة ، فقد عبد الشجر والحجر واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، وتناحرت النصرانية واليهودية وانطمست معالمها وأصابها تحريف وتبديل على أيدي رجال الدين الذين اتخذوا العقيدة وسيلة لإرضاء الشهوات والأطماع والنزوات ، حتى لقد بلغ بالبعض منهم الصلف والكبرياء والعظمة أن جعل نفسه حارساً على أبواب الجنة يدخل من شاء فيها ويحرم من شاء .

وعلى هذا النحو من الضعف في العقيدة وفي نظام الاجتماع وفي الأخلاق كانت الإنسانية قبل ميلاد محمد عليه السلام . واشتكى الوجود إلى ربه طالباً منه أن يخرج العالم من الظلمات إلى النور ، فأجبت دعوته ، وبعث الله في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين .

وهكذا جرت الحكمة الإلهية في تنظيم هذا الوجود وعمارة هذا الكون على أن لا يترك الناس سدى يهيمنون على وجوههم بدون مرشد ، بل لا بد أن يرسل للناس الفينة بعد الفينة رسولا يبين الطريق المستقيم والصراط السوي ، لذلك اصطفى الله من بين عباده رسلا مبشرين ومنذرين يرسلهم الواحد يقعو الآخر سراجاً منيراً ونذيراً وبشيراً .

وما كانت البشرية في تاريخها الطويل المديد أشد احتياجاً إلى الرسول مثل ما كانت قبيل بعث محمد عليه السلام ، ومن سنة الله تعالى أن يختار رسوله ممن طهرت نفوسهم وصلبت أعوادهم وكانوا أهل كفاح وجلد ومصابرة واحتمال ، وأهل جد وعمل .

ولقد اختار محمداً عليه السلام من أشرف أنساب العرب وأرفع قبائرها ، فقد قال عليه السلام : بعثت من خير قرون بني آدم قرناً قرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه ، ، ويقول عليه السلام : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ويبدى لواء الحمد ولا غر ، وموق هذا يقول عليه السلام : إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم .

ولا غر يعلو غر من كانت أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فتبيلتها شامة من شامات العرب ، ومن كان أبوه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذي عرف جميع مكة فضله وما كان يقوم به من خدمة للحجيج وإطعامهم وإستائهم ، وأى نسب في العرب يعلو هذا النسب أويديانه ، والصادق الصدوق غاته الزسل يقول : ولدت من نكاح ولم أولد من سفاح .

ولقد كانت كل حقبة من حياة محمد عليه السلام ممتازة بعمل جليل خفاير غير عادية ولا مألوف في حياة الناس ، فقد سارع اليتيم إليه وهو جنين في بطن أمه قبل أن تدب فيه الحياة أو تنفخ فيه الروح . إذ أن والده بعد أن تزوج آمنة وحلت به سائر بعد حمله بقليل إلى الشام في تجارة له فأدركته الوفاة بالمدينة أثناء رجوعه فدفن بها عند أخواله بني عبد ابن النجار ، وكان ذلك بعد شهرين من حمل أمه به عليه السلام ، وإذا ما تركنا هذه المسألة الموجعة الالامية التي أصابت هذا الجنين وانتقلنا إلى أيام إرضاعه بعد الولادة رأينا الأمور الغريبة والأحوال العجيبة التي أحاطت به ، رأينا المراضع يأتين من البادية ليأخذن أطفال أشراف العرب يرضعهم في البادية ذات الهواء الطلق والأفاق المسبحة؛ ليتربوا على النجاسة والشماتة وقوة العريضة والبنية القوية والأخلاق الطاهرة ، ولم يرق لواحدة منهم أن تأخذ هذا اليتيم لشدة فاقة أهله وما هم عليه من خفض العيش ورقة الحال ، وبعد تردد من حليمة بنت أبي ذؤيب وخواصها من الرجوع بدون طفل ترضعه تراودت مع زوجها أبي كبشة في أخذه ، وأخيراً أخذته مكرهة تحت ضغط الملابس التي أملت بها . ورجعت به إلى البادية ، وقد أرسل الله عليها وعلى زوجها الخير مدراراً وجمعتهما البركة في الضرع تسعى ، وبعد انتقاله من دور الرضاعة إلى دور الصبا لم تطل متعة بحنان الأمومة الذي بقي له ، ولم تمهله الأيام طويلاً بل ضاعفت عليه اليتيم وضاعفت عليه الرز . وهو لا يزال عاجزاً عن كسب قوته ، فلم تنض على ولادته سوى سنوات ست حتى حرم من عطف الأمومة كما حرم

قبل ذلك من رعاية الأبوة وفي مألوف العادة وسنة الحياة الواقعية أن يكون اليتيم المبكر المزودج سببا من أسباب الضعف والانحلال والإهمال لليتميم ، ولكن محمداً عليه السلام قد كان على عكس ذلك وعلى خلاف تلك السنة والعادة ، فقد كان يتمه سببا في نجاحه وفي نبوغه وفي قوته وحزمه وعزمه فقد حفظت العناية الإلهية وأمدته باللطاف خصية وأعدته لخل رسالة للإنسانية : فيها الرحمة وفيها الرأفة ، فها هو يتقل بعد موت أمه إلى كفالة جده عبد المطلب ، ثم إلى كفالة عمه أبي طالب دراكا وتطهر عليه محابيل الذكاء المبكر والعزيمة النادرة الفذة فهو يسافر للتجارة مع عمه أبي طالب إلى الشام وسنه في الثانية عشرة ، فيكتسب من تلك السفر خبرة واسعة في التجارة تمسك له من أن يسافر بعد ذلك للتجارة في مال خديجة بنت خويلد التي صارت زوجا له فيما بعد .

وقد أصبح محمد عليه السلام بين أهل مكة علما خفيا معروفا بين قومه وعشيرته بسداد الرأي والحكمة والعفاف والصدق والأمانة ، واكتملت رجولته ونضج عقله وبلغ أشده في سن مبكرة لم يعرف العرب لها ضربا من قبل ، فاستعصى ذلك أنظارهم واستلب تفكيرهم واسترعى انتباههم ، فها هم يرتضونه حكما فيما بينهم يخضعون لآيئه ويزعنون لمشيئته عند المشورة وعند النصيح ، حينما اختلفت قريش في وضع الحجر الأسود في موضعه عند تجديد بناء الكعبة قبل الإسلام اتفق رأيهم على تحكيم أول قادم من باب الصفا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارتاحوا له جميعا لما يهدونه من أمانته وحكمته وصدقه وإخلاصه الحق وقالوا : هذا هو الأمين رضيناه ، هذا محمد فلما وصل إليهم وأخبروه الخبر بسط رداءه وتناول الحجر فوضعه فيه بيده ثم قال : ياخذ كبير كل قبيلة بطرف من الرداء ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا ، حتى وصلوا به إلى موضعه فوضعه فيه بيده ، وبذلك انجسم النزاع الذي كاد يؤدي إلى حرب شعواء تأكل الأخضر واليابس وتغنى من العرب أبطالا وصناديد كثيرة .

ولما بلغ عليه السلام سن الأربعين نزل عليه جبريل الأمين يبلغه رسالة ربه ، فقام بالدعوة سرا ثلاث سنوات ، اتبع دعوته فيها السابقون الأولون إلى الإسلام الذين استنارت بصائرهم وأشرقت في قلوبهم دعوة التوحيد ، ثم نزل عليه قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » . لجهل بالدعوة واستعد لملافة الخطوب والأهوال ، ولقد عبر عن



ذلك أمدق تعبير إذ قالت له زوجته خديجة في وقت من الأوقات : تم قليلا ، فقال لها : « قد انقضى زمن النوم يا خديجة ، حقا لم يبق إلا الجهد والعمل والمجاهدة والنزال بين الحق والباطل وبين الخير والشر وبين عبادة الأوثان وعبادة الواحد الديان ، وما زال عليه السلام يجد ويجتهد في الدعوة إلى فوحيد الله تعالى وترك عبادة الأوثان وببذا عليه أهل الجماعة .

وظل ينافح ويكافح ويجهاد ويجهاد حتى أتم رسالته بعد أن لاقى العذاب ألوانا والمعارضة والمكابرة والعناد من أهل مكة وأهل الطائف على السواء ، ولقد كانت شجاعته عليه السلام فوق ما كانت عليه الشجاعة العادية إذ وصفه أحد أصحابه فقال : « كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحلق اقطينا برسول الله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه » وما لنا نذهب بعيدا والواقع يمل علينا براهين قاطعة وحجبا دامغة ، فما هي رباعيته تكسر وما هو المغفر تدخل حلقاته في وجنتي الرسول عليه السلام ولا يفت ذلك في عضده ، فينهض محرنا للسليلين على القتال والوقوف في وجه العدو ، دون وهن أو ضعف أو حور فكان يجعل من مواقف الهزيمة انتصاراً له وظفرا بعدوه ، فأنت تراه في غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة بعد أن خالف الرماة فيها أمر النبي عليه السلام وتركوا الموضع الذي وضعهم فيه فوق الجبل لحماية ظهر الجيش وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم فصرنا أو هزمنا ، فلما رأوا فرار المشركين ترك أكثرهم مكانه متأولا أمر الرسول عليه السلام بأن الغاية منه العمل على نصر المسلمين وقد تم النصر بفرار المشركين ، ففكر المشركون عليهم وكادت الدائرة تدور على المسلمين إبادة وإفناء لهم لولا حكمة الرسول عليه السلام وبراعته الحربية الفذة التي جعلت العقابة للسليلين فيما بعد : فصرنا لهم واسترداداً لهيبتهم وعزتهم ، وأشد من ذلك عجبا ما صنعه الرسول عليه السلام في غزوة الحديبية في السنة السادسة من الهجرة التي انتهت صلحا على أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين أربع سنوات ، ومن جله من المسلمين إلى قريش كافرين قبلوه ومن جله من قريش إلى المسلمين مؤمنا ردوه ، وأن يرجع الرسول في عامه هذا بدون عمرة ثم يأتي في العام التالي لأدائها ، ومن أراد أن يدخل في حلف قريش دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل في حلف محمد دخل فيه .

ولقد اعترض كثير من الصحابة على بعض هذه المبادئ فقالوا : كيف نرد إلى قريش من جاءنا مسلما ولم لا يردون من جاءهم منا كافرا ؟ فقال الرسول عليه السلام قول الحكمة

والإحاطة بواطن الأمور . أما من ذهب إليهم كافراً فقد أبعد الله ، ومن جادنا مسلماً فسوف يجعل الله له مرجأ ، وهكذا كان صلح الحديبية فتحاً مبيناً للإسلام .

ولئن كان ميلاد محمد عليه السلام باعثاً للذكرى العزيرة الحبيبة إلى قلوب من يعرفون الحق ويعرفون العدل ، فالجدير بنا أن نحرم كل الحرص على أنواع القواعد والأسس التي تركها فينا وجاء بها ، فقد دعا إلى العدل وبدأ بتنفيذه على نفسه وأهله ثم على القريب والبعيد والعدو والصديق إذ يتول لمن أراد أن يشفع في حد من حدود الله ، والله لو أن قاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، ثم يتول د لعد ، لقد أهلك من كان قبلكم من الأمم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، ويذكر فينا أن ندلل على أن العدل ركيزة لإصلاح الحياة فذكر قول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالعدل شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، وأقد طلب محمد عليه السلام من المؤمنين المساواة إذ يتول د الناس سواسية كأشنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، فليت الذكريات الإسلامية وذكري ميلاد محمد عليه السلام ومجراته تبعث فينا روح الاقتداء والاهتمام بهديه والسير على سنته والتخلق بأخلاقه حتى نحقق فينا قول الله تعالى : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً .

وإنا لنرفع أكف الضراعة إلى المولى القدير أن يعا علينا هذه الذكرى العزيرة الحبيبة والمسلمون والعرب أشد حنة وأصلب قناة وأقوى عوداً مما هم عليه الآن ؛ حتى يدركوا ما يدره لهم المستعمر من مكر وخديعة ويعملوا على تقويض أركان الاستعمار إنه قوى عزيز .

عبد الله مصطفى المراغى

## مولد الهادى

تجلى مولد الهادى وعمت بشائر انبواى والقصاى  
وأست للبرية بنت وهب يدا يضاء طوقت الرقاى  
لقد وضعته وهاجاً منيراً كما تملك السماوات الثماى  
فقام على سماء البيت نورا يضى جبال مكة والشعاى  
شوق

## مفتاح الشقاء

أذاعت « روتر » شركة الأنباء المعروفة خبراً لعل الكثيرين لم يتفأوا عنده ولم يحفلوا به ، مع أن له قيمة ودلالة ، وهو أن سكان قرية هندية تسمى « كودولى » وضعوا قانوناً لآلئناء على الحر ، وهو يقضى على شارب الحر بأن يخلق له أهل القرية نصف شارب به ، ثم يركبوه حماراً ويطوفوا به فى أزقة القرية وحاراتها ، لإعلان فضيخته والسخرية به ، ثم يفرمونه خمس عشرة روبية بهذه الفضيحة . ومنذ قليل نشرت صحيفة « برالدا » الروسية أن غرامة ستوقع على كل من يضبط محموراً أو مقامراً . . . . . ومنذ حين نشرت الصحف أن أكثر من ستين فى المائة من الطيارين الأمريكيين يشكون اضطرابات عصبية ، بسبب الإفراط فى المسكرات ، والإسراف فى لعب القمار ، وبسبب الانحرافات الجنسية . . . . .

ذكرتنا هذه الأنباء بعملة مستعصية من عللنا ، وهى عملة انتشار الخمر فى بلادنا ، واعتياد الكثيرين من المتحللين والمترفين لتناولها جهرأ أو سرا ، وتلطخ الكثير من المحصلات والسهرات فى الأفراح والملاهى والأندية الليلة الخيثة بالحر على اختلاف الأنواع والألوان ؛ وهناك مع الأسف من يصرح بأن المخدرات كالخيش والافيون هى التى يجب أن تقاوم وتحارب ، وتبذل فى محاربتها الجهود وتجنبد الجنود ؛ وأما الخمر فلا خوف منها ولا خطورة بل هناك من يقترح محاربة المخدرات بغير شرب الحر ، أو شرب نوع منها ، ولسنا ندرى ماذا نصنع لو أخذنا بهذا الاقتراح العجيب . . . . . إننا ندلل للناس على حرمة هذه المخدرات بأنها تشبه الخمر فى أنها تسكر أو تفتر ، فكيف ندلل لهم على هذه الحرمة إذا صارت الخمر وهى أم التحريم فى الباب مباحة منشورة . . . . .

ومن أعجب العجب أن بعض هؤلاء يفترون على الله الكذب وهم يعلمون ، فىقولون : إن القرآن لم يصرح بتحريم الخمر ؛ مع أن ربكم وخالفكم هو الذى يقول : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والألصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون ، وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » .

والخمر يختلف أنواعها المسكرة المنهية للرشد والعقل - جرام حرام بنصر القرآن والسنة والإجماع ، ولو لم يحرمها الدين لحرمها العقل ؛ وإنما حرم الإسلام الخمر لما فيها من أضرار وأضرار ، وقد أراد من وراء تحريمها حفظ الأموال لأنها تنبذ في الخمر بسفه وجنون ، وحفظ الأجسام لأن الخمر تهدمها وتؤذيها وتعييبها بويل الأمراض والعدل كضبط الدم والشلل وتحلل الأعصاب وفقد الوعي وتلف الكبد ، وحفظ العقول لأن الخمر تذهب بها وتسبب لمدنها الخبال والضللال ، وحفظ الأعراض لأن من سكر انفلت منه القياد فكان حيواناً أو كالحيوان ، ولقد روي أن مجوزاً من الأعراب جلست إلى فتيان يشربون نبيذاً لهم فسقوها قدحاً فطابت نفسها وتبسمت ، ثم سقوها قدحاً ثانياً فاحمر وجهها وضحك ، فسقوها قدحاً ثالثاً فقالت : خبروني عن فسائكم ، أيشرين من هذا الشراب ؟ قالوا لها : نعم . فقالت : زنين ورب الكعبة ! ...

ومن لؤم الذين يشربون الخمر جهاراً أو من وراء ستار أنهم يخادعون الله وهو خادعهم ، فيوهمون الناس أن الأصناف التي يشربونها اليوم ليست هي الأصناف التي حرمها الإسلام ، لأن الإسلام لم يذكر تحريم د الويسكي والكونياك والشمبانيا ، وأشباهاها من الاسماء التي لم تكن موجودة في صدر الإسلام ؛ ولكن رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يحدثنا عن هذا الاحتيال الذي وقع بعد عهده بأجيال فيقول : « ليشربن أناس من أمي الخمر يسمونها بغير اسمها » . ثم وضع لنا قاعدة التحريم في هذا الباب ، فقال في الحديث الصحيح : « كل شراب أسكر فهو حرام » ، وقال : « كل مسكر حرم » ، وكل مسكر حرام . وقال عمر بن الخطاب من فوق منبر الرسول صلوات الله عليه : « الخمر ما خامر العقل ، أي غطاء وستره ، فيدخل فيه جميع أنواع الخمر بمختلف أسمائها وألوانها وأشكالها ... »

ومن لؤمهم كذلك أن يقولوا : إن « النبيذ » حلال ، وقد أباحه بعض الفقهاء . وهذا تضليل وتحريف ؛ لأن النبيذ المذكور في كتب السيرة الإسلامية هو نقيع التمر والزبيب الذي لا إسكار فيه ، فهو يشبه الخشاش ، المعروف اليوم . وعن أس رضي الله عنه قال : سميت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدهي هذا الشراب كله : العسل والنبيذ والماء واللبن ... فهل يعقل أن يشرب نبي الطاهرين المطهرين شراباً مسكراً أو فيه شبهة إسكار ؟ ...

وهذا هو الحاكم العادل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه يرى أن طائفة من المنحرفين يشربون نوعاً من الخمر يسمونه «الطلاء» والطلاء جنس من الشراب كأنه ثخن حتى صار كالقطران الذي تعلل به الإبل؛ فخارب عمر ذلك الانحراف محاربة صارمة، وكتب إلى ولاته وعماله كتاباً مطولاً جاء فيه قوله: «ثم إن الطلاء لا خير فيه للمسلمين، إنما هو الخمر يكتنى باسم الطلاء». قد جعل الله عنه مندوحة وأشربة كثيرة طيبة، وقد علمت أن ناساً يقولون: قد أحله عمر رضى الله عنه، وشربه ناس من مضي من حيارنا؛ وإن عمر إنما أقر منه شراب طيب حتى حثر (أى استرخى) فقال حين أقر به أطلاء هذا؟. يعنى به طلاء الإبل؛ فلما ذاقه قال: لا بأس بهذا. فأدخل الناس فيه بعد عمر... أما من شربه من صالحكم فإنهم شربوه قبل أن يتخذ مسكراً، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حرام كل مسكر على كل مؤمن، فلا أرى أن يتخذ الفاجر البار دليلة (أى خداعاً وتضليلاً) ونرى أن يتزه المسلمون عنه عامة، وأن يحرموه، فإنه من أجمع الأبواب للخطايا. وأخوفها عندى أن تصيب المسلمين منه جماعة تعصم، !...»

ويكتب عمر إلى أيوب بن شرحبيل وإلى علي مصر خطاباً في الخمر منه قوله: «ثم إنه قد كان من أمر هذا الشراب أمر ساءت فيه رعة (أى ملاحظة) كثير من الناس، وجمعوا بما يغشون به مما حرم الله فيه حراماً كثيراً نهوا عنه عند سفه أحلامهم وذهاب عقولهم؛ حتى استحل في ذلك الدم الحرام، وأكل المال الحرام، والفرج الحرام، وقد أصبح كل من يصيب من ذلك الشراب إنما علمهم فيه يقولون: الطلاء لا بأس علينا في شربه، ولعمري إن ما قرب إلى الخمر في مطعم أو مشرب أو غير ذلك ليتق، وما يشرب أولئك شراهم الذى يستحلون إلا من تحت أيدي النهار الذين يهون عليهم زيغ المسلمين في دينهم، ودخولهم فيما لا يحل لهم، مع الذى يجمع نفاق سلمهم، ويسارة المتونة عليهم؛ وما لأحد من المسلمين عند أن يشرب ما أشبه ما لا خير فيه من الشراب، فإن الله جعل عنه غنى وسعة من الماء الفرات، ومن الأشربة التى ليس فى الأنفس منها حاجة من العسل واللبن والسويق والنيذ والزبيب والتمر».

ثم يقول عمر: «فإننا من نجده يشرب منه شيئاً بعد تقدمنا إليه فيه نوجعه عقوبة فى ماله ونفسه، ونجعله فكلاً لغيره، ومن يستخف بذلك منا فإن الله أشد عقوبة، وأشد بأساً، وأشد تسكيلاً».

ثم يحتم الكتاب بقوله : « أسأل الله أن يغفينا وإياكم بما أحل مما حرم ، وأن يزيد من كان فينا مهتدياً هدى ورشداً ، وأن يراجع بالمسئة التوبة في عافية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . »

ومن لؤمهم أيضاً أنهم يتعللون في شربها بأنها دواء لمرض أو علاج لعلل . وهذا مكر يكرونه بين الناس ، لأنهم يشربونها للسكر والإدمان ، ولما ربهم الخبيثة الأخرى ؛ وعلماء الطب لم يدعوا حالة من حالات المرض يستعمل فيها دواء مسكر إلا جعلوا مكانه دواء ليس مسكراً ، وفوق هذا سئل الرسول صلوات الله عليه عن التدأوى بالخمر فأجاب : إنها داء وليست بدواء ... !!

ولما كانت الخمر بهذه الخطورة الخبيثة حذر الرسول منها أبليغ التحذير فقال فما ينسب إليه : « اجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع » والإيمان أبداً إلا يوشك أحدهما أن يخرج صاحبه . ولا عجب فالخمر أم الخبائث ومفتاح الشرور وباب البلايا ؛ وقد قص علينا بعض كتب السنة قصة فيها عظة وبلاغ ، وخلاصها أن رجلاً استدرجته امرأة فاجرة ، وغلفت عليه الأبواب ، وكأَنَّها أرهته حين خيره بين أمور ثلاثة : أن يشرب كأساً من خمر كان عندها ، أو يقتل غلاماً كان معها ، أو يزني بها . . . . . وكأَنَّما أراد الرجل أن يختار في غنه أخف الأمور ، فشرب من الخمر ، فلما دارت برأسه زين له الشيطان أن يواقع المرأة فأقدم على ذلك ، وكأَنَّما خاف من الغلام أو ضاق به فقتله ؛ فكانت الخمر سيئاً في شر عظيم وبلاء مستطير . . .

ولذلك لا يشرب الخمر إلا من ضل ضلاله وساء حاله ؛ وكان هذا بعض السبب في أن السنة المطهرة تحبرنا بأن شارب الخمر كان يجلد أربعين ، وكان الجلد بالتمال في كثير من الأحيان . . . نعم بالتمال ، لأن المرء الذي أهدر آدميته وأذهب عقله لا يستحق إلا الخذاء بصفع به ويجلد ليتأدب ويرتدع ، وشتان بين إنسان يحافظ على عقله وكرامته وبين حشرة تأتي إلا لإهلاك نفسها أو سواها :

إن عادت العقرب عدنا لها بالنعل ، والنعل لها أسب !

وهناك من يرى أن مقاومة الحر ومهاجتها الآن لون من الرجعية والجود ؛ لأن الحر قد ذاعت وانتشرت ، وأصبح من العبث الوقوف في وجهها ، وهذا منطلق غريب ! مة تظاه أن النار إذا راحت في الاشتعال تركناها حتى تأتي على الأخضر واليابس ! . . . وما هكذا كان المصلحون ، ولا الذين يفارون على الفضائل والأخلاق ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه نراه حينما شاهد أن عدد الذين ينحرفون فيشربون الخمر قد زاد عما كان عليه في عهد النبوة يضاعف حد الشارب ، فزيده من أربعين جلدة إلى ثمانين ؛ لأن التوسع في الجرم يستلزم التشديد في الجزاء والعقاب .

إن الله جل جلاله قد خلق لنا الحلو اللذيذ الطيب الحلال الطاهر من ألوان الشراب ، فخلق اللب الذي يخرج من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، وخلق العسل الذي يخرج من بطون النحل شرباً محتتماً ألوانه فيه شفاء للناس ، وخلق الماء العذب الفرات الذي يروى ويمتع ، وخلق عصير الفواكه وما أكثرها وأكثر منافعها وخصائصها .

ولقد كان النبي صلوات الله عليه يدخل بيتاً من بيوتهم ، لأني طلعة بجوار المسجد النبوي ، ويشرب من ماء فيه طيب كأنه يحبه ويتلذذ به ، وكان الماء العذب يجلب للنبي من عين نسمى « بيوت السقيا » على يمين من المدينة ، وقيل إنها قرية بين مكة والمدينة ، فأين هذا الهدى النبوي القويم من ولوع الإنسان اليوم بإفساد الصالح وتعويج المستقيم وتعميد الجهل ؟ . . . كان الطعام لسد الجوعة لعله للثمة والبطنة ، فتعدت ألوان الأكل ، فكثرت الأمراض وتعدت العلل ؛ وكان الشراب للرى ودفع الظم ، فاصطنع الإنسان ألواناً منه لقتل العقل وإثارة الشهوة ، وكانت الثياب لستر العورة لئلا يفتضح الرجل للزينة الزائدة والفخر الكاذب ، وجعلتها المرأة كمصايد للشيطان . . . فأى شفاء جره الإنسان على نفسه بسبب هذا الانحراف وذلك الإسراف ؟ . . .

إن واجبنا أن نقطع الطريق على أم الخبائث ، وأن نبعدا عن مجتمعنا وعن ذرياتنا التي توزعها من أكاب الحياة ، وأن نأخذ بهدى الإسلام فلا تقر بها ولا نرضى بها ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

أحمد الشرباعى

المدرس بالأزهر الشريف

## حضورنا مهددة من داخلها في الجامعة العربية

— ٤ —

بقى مما وعدت بالسلام عنه من النشاط الثقافي لجامعة الدول العربية الكلام عن المؤتمرات التي أعدت لها الإدارة الثقافية وأشرفت عليها أو شاركت فيها . وحديث المؤتمرات في هذه الإدارة حديث يثير العجب ، فلو عرض القارىء ما سجلته هذه الإدارة من نشاط المؤتمرات تحت عنوان ( التعاون بين الإدارة الثقافية واليونسكو والهيئات الثقافية الدولية - ص ٤٥ - ٥٣ من النشرة الثقافية ١٩٤٦ - ١٩٥٦ ) لحيل إليه أن هذه الإدارة فرع من اليونسكو يعمل تحت سيطرته وتوجيهه . وسيطرة أمريكا - واليهود خاصة - على اليونسكو شيء لا أحتاج إلى أن أثبت له فهو مشهور معروف ، يؤكد ما أثبتته النشرة الثقافية لجامعة الدولة العربية في بيانها العام عن هذه المؤتمرات . هي تستهدف السيطرة على توجيه الثقافة والتعليم في البلاد العربية ، والترويج لآراء اجتماعية ومذاهب سياسية لا تخدم إلا مشاريع اليهود والغرب . فمن ذلك مؤتمر تبادل المدرسين بين البلاد العربية الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٥٦ بدعوة من اليونسكو ( ص ٤٦ ) ، ومؤتمر التعليم الثانوى في مصر الذي انعقد في مصر سنة ١٩٥٥ واشتركت في الدعوة إليه الجامعة الأمريكية بالقاهرة ( ص ٤٩ ) والحلقة التربوية التي دعت إليها الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٥٤ وكان موضوعها « فلسفة تربوية متحدة في عالم عربي متحد » ( ص ٥٠ ) . وحلقة دراسات التربية للتعالم العالمى التي انعقدت في قصر اليونسكو ببيروت سنة ١٩٥٥ ورأسها عبد العزيز القوصى ( ص ٥٠ ) فكل هذه المؤتمرات لا يقصد بها إلا السيطرة على التعليم في العالم العربى ، وتوجيهه وجهة لا دينية تؤدى إلى ضياع الجيل الفاضل والجيل القادم صياغا لا تقوم معه نهضة في هذه المنطقة مما يمكن لليهود ولشيعةهم الذين يتولونهم من دول الاستعباد الغربى والأمريكى أن يسيروا به ، وذلك بترويج بعض الآراء والأساليب التربوية والنفسية المنحرفة المعاصرة . ومن هذه المؤتمرات ما يروج لأساليب أمريكية من التنظيم الاجتماعى تخفى في ثناياها مذاهب فكرية هدامة باسم العلم الحديث من ورائها اليهودية العالمية ، مثل مؤتمر علوم الاجتماعى الذى انعقد في دمشق سنة ١٩٥٤ بدعوة من اليونسكو لدراسة الشؤون الاجتماعية بالشرق الأوسط



(ص ٤٨) . فقد عني هذا المؤتمر عناية شديدة بالترويج لما يسمونه (علم الاجتماع) ووضع تعاليمه وأوهامه في مكان التقديس الذي كان يحظى به الدين ، وإسلام المجتمع برمته إلى نقر من الناس لا يمت للثقافة الإسلامية أو العربية بسبب . يقدس تلك الأوهام التي تشع فيها سموم اليهودية العالمية الهدامة ويتخذها دستوراً ، ولا يعرف أصولاً يصدر عنها في تفكيره وتشريعه سوى دعاواها . فحذ عن تأليف الكتب المدرسية فيها وروج لأصحاب هذه الثقافات التي يتسع فيها المجال أمام ذوى الأعراض والهدامين . بالدعوة إلى (تأمين العمل للإخصائيين في الشؤون الاجتماعية ، وصحان مستقبلهم المادي والأدبي) . كما عمل على حماية الهدم والهدامين من كل صوت يرتفع للحد من نشاطهم الهدام باسم الدين في دعوته إلى (تأمين حرية المدرس والبحث والتفكير والتأليف في الشؤون الاجتماعية) . ومن هذه المؤتمرات ما يقتصر تحت اسم العلم والبحث ، ولكنه لا يبحث المسائل في حقيقة الأمر إلا من زاوية تحظم اليهود خاصة ، مثل الكلام عن (موقف الإسلام من العنصرية - ص ٤٥) . ومنها ما يدعم مشروعات الغرب السياسية مثل مؤتمر التضامن الثقافي والاقتصادي بين دول البحر الأبيض المتوسط الذي انعقد في باليرمو سنة ١٩٥٤ . فالهدف الحقيقي من ورائه هو إقرار النفوذ الغربي في حوض هذا البحر ، وربط دوله العربية بدول الاستعباد الغربية . فكل الذين يتحدثون عن رابطة البحر الأبيض وثقافة البحر الأبيض وحضارة البحر الأبيض - من طه حسين فنازلا - كانوا يروجون لمشاريع فرنسا التي تعتبر شمال إفريقيا جزءاً لا يتجزأ منها . وقد زاحتها إيطاليا وأسبانيا حيناً ، ثم ورتهم أمريكا جميعاً . فالكلام في هذا لا يقصد به إلا صرف العرب عن جامعتهم العربية وصبغتهم الإسلامية . وأى رابطة بين فرنسا والمغرب سوى الدم المسفوك ؟ وأى رابطة بين إيطاليا وطرابلس ، وبين أسبانيا وريف مراکش ، سوى ما يحفظه التاريخ من مظالمهم ومفاسدهم وما سفكوه من دماء الشهداء ؟ وهل نسي العرب عمر المختار الشهيد ؟

وأدع ذلك كله بما لا سبيل إلى الخوض في تفاصيله ؛ لأنني لا أجد بين يدي نصوص ما دار في هذه المؤتمرات من مناقشات ، لأنقل إلى الكلام عن مؤتمر نشرت الجامعة العربية محاضر جلساته ، وهو مؤتمر يتوسم القاري الخير في عنوانه ولا يكاد يحطر له سوء الظن فيه يبال ، وذلك هو (المؤتمر الأول للجامع اللغوية العلمية - دمشق ١٩٥٦) .

اجتمع في هذا المؤتمر مندوبون من الجامع اللغوية العلمية في مختلف بلاد العرب : فشهد

وفد من مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وفد من المجمع العلمي العراقي ، وفد من المجمع العلمي العربي في دمشق ، كما شهد مراقبون من الدول العربية التي لم يؤسس فيها مجامع وهي الأردن والسعودية ولبنان وليبيا وتونس . وشهد مع ذلك كله وفد يمثل الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، ومندوب يمثل هيئة اليونسكو ( شمع شماس ) .

واللغة العربية التي بحث هذا المؤتمر شئونها هي أقوى ما تقوم عليه الوحدة العربية من الروابط ، وهي الرابطة التي ارتفعت حتى الآن فوق كل مرأ : فقد مارى أعداء العرونة زمنا في أن العرب يتعمون إلى جنس واحد ، فسمعنا أصوات المنكرين من الشعوبيين دعاة الجاهلية الأولى بين فرعونية وفينيقية وآشورية وبابلية . وماروا حيناً في ارتباط القومية العربية بالإسلام فسمعنا من يزعم أن هذه الصبغة تنزع غير المسلمين من العرب . وظلت رابطة اللغة بعد ذلك تسمو على كل مرأ لا ينازع منازع في أنها هي الرابط الأقوى بين العرب .

لذلك كان آخر ما يتوقعه القارئ في الكتاب الذي جمع ما ألقى في هذا المؤتمر من بحوث أن يجد فيه ما يعين على توهين هذه الرابطة ، أو تفريق المجتمعين عليها ، من مثل البصوات المريية الهدامة إلى مسح اللغة العصبى أو تبديل قواعدها وخطها .

ولكن واقع الأمر جاء مختلفاً عما يتوقعه القارئ وما يرجوه ، فامتلا الكتاب في مواضع مختلفة بالدعوة إلى العامية ، وإلى تبديل الخط العربي ، وقواعد النحو والصرف والبلاغة . إذا أعوزك أن تجد ذلك سافراً صريحاً فتجده مستورا خفياً يفسر زى الناصح الغيور ، في مثل مقال أحمد حسن الزيات عضو مجمع القاهرة عن ( مجمع اللغة العربية بين الفصحى والعامية : ص ٨١ - ٨٨ ) ، ومقال على حسن عودة مندوب الأردن ( بين اللغة العربية الفصحى والعامية : ١٨١ - ١٨٤ ) ، ومقال أحمد عبد السلام مندوب تونس ( الفصحى والعامية : ٢٠٢ - ٢١١ ) ، ومحاضرة منير المجلاني عضو مجمع دمشق عن ( أثر اللغة في وحدة الأمة : ٢١٧ - ٢٢٧ ) ، واقتراح إبراهيم مصطفى في ( كتابة الهمزة والألف اللينة : ١٦٠ - ١٦٥ ) ، ومقاله عن ( تيسير قواعد اللغة العربية : ١٦٦ - ١٧١ ) ، ومقال طه حسين مدير الإدارة الثقافية عن ( تيسير القواعد في اللغة : ٢٢٨ - ٢٤٠ ) . ولم يشذ عن هؤلاء إلا صوت واحد بدا وسط هؤلاء غربياً في دعوته إلى التزام الفصحى في المدارس وفي القضاء وفي الصحافة وفي المجالس النيابية ، منها إلى أن هذا هو السبيل الوحيد

إلى علاج ما يسمونه « مشكلة الفصحى والعامية » . ذلك هو صوت الأستاذ عارف السكندى عضو وفد مجمع دمشق في بحثه ( اللغة العربية بين الفصحى والعامية : ٨٩ - ١٠٤ ) .

وسأعرض نماذج مما جاء في هذا الكتاب ليتأكد القارئ أنى لا أتزيد في القول ولا أبالغ في التصوير ولا أنجنى على أحد . ثم أعود بعد ذلك إلى مناقشة بعض هذه الدعاوى العريضة التي اتخذ بها كثير من السذج الغافلين . وقبل أن أشرع في ذلك أحب أن أبادد بيعت الطمأنينة إلى قلوب من أزججتهم هذه المقدمة فأقول : إن المؤتمر قد رفض الأخذ بشيء من هذه الآراء الموهجة والدعوات السقيمة . ولكنى أحب أيضا أن أنه إلى أن الداعين بهذه الدعوات قد استطاعوا أن ينفذوا إلى بعض قرارات المؤتمر ، ويتركوا فيها أثرا من سمومهم ومسحة من أمراضهم وأسقامهم تكشف عن الخطر الذى يتهدد حصوننا من داخلها .

يروى أحمد حسن الزيات قصة مجمع اللغة العربية في القاهرة بين الفصحى والعامية ، فيقول : إن المحافظين من شيوخ الأدب قد سيطروا عليه في أول نشأته ، ثم انتهى زمامه إلى الكتاب والصحفيين الذين نهوا المجمع إلى أهمية العامية وإلى خطورة جهود اللغة بتخلفها عن مسيرة الزمن ( ص ٨١ - ٨٢ ) . ويقدم مثالا من جهود هؤلاء ( المجددين ) بالبحث الذى ألقاه أحدكم في دورة ٤٦ - ٤٧ عن ( موقف اللغة العامية من اللغة الفصحى ) ودعا فيه إلى التساهل في بعض قواعد الإعراب وعدم التشدد في قول المتحدث من الألفاظ والأساليب التى تجرى على كل لسان لئلا ( يهمل علينا تطوير الفصحى حتى تقترب من العامية ) ، ودعا كذلك إلى أن نشرع في دراسة عاميات الأقطار العربية المختلفة لإقرار ما هو مشترك منها سواء صح في معاجم اللغة وكتبها ( ص ٨٣ - ٨٤ ) . وذكر الزيات أنه ألقى بعد ذلك بحثا عن ( الوضع اللغوى وحق المحدثين فيه ) ذهب فيه إلى إباحتها استعمال المولد ، وإزالة السد القائم بين الفصحى والعامية لئلا يتج ( من قداخل اللغتين وتفاعلهما لغة تجمع بين محاسن هذه ومحاسن تلك - ص ٨٥ ) كما اقترح ( لتقريب الخلاف بين العامية والفصحى أن يفتح باب الوضع للمحدثين على مصراعيه . . . وأن يرد الاعتبار على المولد ليرتفع إلى مستوى الكلمات القديمة ، وأن يطلق القياس في الصغرى ليشمل ما قاله العرب ، وما لم يقيسوه ،

وأن يطبق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما نسمع من طوائف المجتمع كالحدادين والنجارين والبنائين وغيرهم من كل ذى حرفة - ص ٨٥ ) . ويقول الزيات إن مجمع القاهرة قد أقر هذه المقترحات وأخذ في تطبيقها (١) .

أما على حسن عودة مندوب حكومة الأردن فقد ظن أن هدف هذا المؤتمر هو ( أن تقضى على اللغة العامية ونحل محلها لغة تعبير وتخطب عربية فصيحة سهلة التداول يستعملها الكبير والصغير ، ويكون فيها الغناء في الحياة الاجتماعية في كافة مرافقها - ص ١٨١ ) . وتصور المسألة على هذا النحو خطأ كما سأبينه فيما بعد ؛ لأنه غير ممكن ولا ميسور ولا هو مطلوب ، ولأنه يخالف طبائع الأشياء .

ويكاد القارىء أن يظن أن سلامة قصد الكاتب رغم خطأ تصويره حين يظن أن هدفنا هو القضاء على العامية . ولكنه لا يلبث أن يتبين أن هدفه في حقيقة الأمر هو اختراع لغة عربية جديدة ونشرها بين الناس بكل وسائل النشر ( فإن لدينا اليوم من الوسائل الحديثة ما يضمن النجاح لمجهود يذل في سبيل ترقية لغة التخاطب في البلاد العربية ويضمن البقاء والتقدم أيضا لكل لغة عربية فصيحة يتواضع عليها ، تستوعب مصطلحات للمستجد من آثار العلوم والفنون - ص ١٨٢ ) . وهو يترج تبسيط اللغة واختصارها ، كما يقترح على جامعة الدول العربية ( أن تعنى بوضع معجم يسمى معجم العامة ، أو غير ذلك من الأسماء ، يكتب في بالمردرات التي يحتاج إليها في كافة مرافق الحياة ، وتحدد فيه أوضاع جديدة للدلالة على مستحدثات العصر الفنية المتداولة . ثم يلجأ في تعميم هذه اللغة العربية النصيحة العامة إلى كل الوسائل الكفيلة بتعميمها ابتداء من المدارس اليلية التي يحمل العمال والمشتغلون في النهار على غشيانها ، وفي المدارس الابتدائية التي يتكفل القاطنون فيها بتعليم الأطفال في كتب خاصة تزيد مؤهلها بالفاظ هذه اللغة ، وتعويد هؤلاء الأطفال التحدث بالفصح المقترح فضلا عن القراءة . ص ١٨٣ - ١٨٤ ) .

ومن الواضح أن هذا الرجل يريد أن يخترع لغة فصيحة جديدة ، ثم يدعو إلى تعميمها بتقييد مؤلفي الكتب المدرسية أن يكتبوا ( بالفصح المقترح ) . أي أنه يلزمهم أن لا يستعملوا

(١) اعترف منصور همى بذلك في محاضراته التي ألقاها في هذا المؤتمر عن أهداف مجمع مصر في خدمة اللغة العربية [ ص ٢٤١ - ٢٥٦ ] .

والفصحى القديمة ، التي يدعو إلى اختصارها واستبعاد غير المألوف من مفرداتها وإضافة ما يرى إضافته إليها . واستأدري ما هو الحد انفصل بين المألوف وغير المألوف في اعتباره ؟ ومن هو الحكم في التمييز بينهما ؟ هل هو الأمل الجمال ، أم هو المثقف من غير عتري الأدب ، أم هو الكاتب الممارس للكتابة في الصحف اليومية ، أم هو الشاعر والناقد ، أم هو عالم اللغة ؟ أليس الأسهل تعميم الفصحى القائمة الموجودة الموروثة بدل التواضع على فصحى جديدة ، تنمى بها الكتاب والمؤلفين ، مع وجود لغة متواضع عليها هي حقيقة قائمة ثابتة حية ماثلة فيما يتداول العرب جميعا من كتب ومن صحف يلتقون ويلتقي معهم المسلمون من غير العرب عند فهمها وتعبير بها ، وهي نفسها اللغة التي تفاهم بها العرب في مؤتمهم هذا والتي عبر بها صاحب هذا الاقتراح العجيب ففهمنا وفهم كل الناس عنه ؟ .

واقترح أحمد عبد السلام مندوب حكومة تونس قريب من اقترح مندوب حكومة الأردن السابق حتى لكان شيطانهما واحد : فهو يقترح على المجامع اللغوية ( أن تولى لكل قطر معجما صغيرا لا يتضمن إلا الألفاظ العربية الفصيحة التي بقيت مستعملة بمعناها الأصلية في لغة ذلك القطر ، وأن يوصى معلو الأحداث والعامة بالاختصار عليها قدر المستطاع - ص ٢٠٨ ) . واقترحه هذا ينتهي إلى إيجاد لغات عربية متعددة تمثلها هذه المعاجم المقترحة التي نحى دارس اللهجات وميت اللغات بعد أن جمع الله العرب - بل المسلمين - على فصحى القرآن ويزيد في توسيع الهوية بين هذه المعاجم أن صاحب هذا الاقتراح يوصى بالتوسع في قبول الكلمات المولدة والدخيلة فيها كما يوصى ( لزيادة الخبرة بمريتنا وعمدى حيويتها ، أن يشتغل عددا من علاننا باللغات العامية وأن يدرسوها دراسة دقيقة - ص ٢٠٩ ) وهو يخفى حقيقة أهدافه وخطورة آرائه بالقناع الذي يتمتع به طه حسين وشيعته حين يتظاهرون بعادتهم للعامية ثم يزعمون للناس أن هناك خطراً على العربية الفصحى أن يهجرها الناس إلى العامية إذا لم تمضح لما يسعون إليه من تطور مزعوم !

والذي يفضح هؤلاء الناس ويكشف عن مصدر هذه الوسواس في نفوسهم وحقيقة الذي ألقى هذه الأوهام في رؤوسهم وحرك بها ألسنتهم ودفعهم إلى ترويجها هو أنك تجد فريقاً منهم يفسكرون بالإنجليزية أو بالفرنسية ثم يترجمون تفكيرهم إلى العربية . تجد ذلك في محاضرات أنيس فريجة عن ( اللهجات وأسلوب دراستها ) التي شرها معهد الدراسات

العربية العالية بجامعة الدول العربية ، حين يصكر اللغة العربية باللغة الإنجليزية ويريد أن يلبس لغتنا أثواباً لم تمتد على قدمها ولم تجعل لها ، إذ ثبت الاصطلاح الإنجليزي ثم يصطنع لها اصطلاحاً عربياً يقا له . وتجده كذلك في محاضرة منير العجلاني التي ألقاها في مؤتمرها هذا عن ( رابطة اللغة والأمة : ص ٢١٧ - ٢٢٧ ) ، حين يصب تفكيره في قوالب فرنسية ، فلا يكاد يأخذ في تعريف الدولة أو الحكومة أو الأمة أو الشعب أو أثر اللغة في وحدة الأمة حتى يفتي بكلامه على رأي لهربر أو رينان أو ما تسمى أو فلان وفلان من أصحاب المذاهب الغربية عموماً والمرسبة خاصة . ومنير العجلاني هذا لا يعترف بأن الإسلام رحم وصلة بين المسلمين " وأنه جامعة من أوئل الجامعات ؛ لأنه يجري في تعريف القومية العربية على قياسها بما ليس أوروبا اللادينية التي روجها اليهود منذ الثورة العرسية اليهودية . يقول عند كلامه عن الدين بوصفه عنصراً من مقومات القومية . ( كان الدين في العصور الوسطى يجمع الشعوب ويفرقها ، ولكن أثره في تكوين الأمم تضائل في الزمن الحاضر . وربما أسقطه غلاة القومية من حسابهم " ) - ص ٢٢٤ .

وترديد المخاض لاصطلاح « العصور الوسطى » هو أثر من آثار الاستعباد الغربي الذي يخضع له تفكيره . فتعير « العصور الوسطى » تعير أوروبي يقتن في أذهان أصحابه بالتخلف والهمجية ؛ لأنه يقتن بالظلم ومائتظام الإقطاعي والرق واستبداد الكنيسة وطمعانيها . والذين يصكرون برءوس أوروبية يستعملون هذا الاصطلاح بمعناه ذاك ، رغم الاختلاف الواضح بين ظروفنا وظروفهم . فالعصور الوسطى تقابل عندنا عصر الرسالة المحمدية وأزهى عصور الإسلام . فهي مالتياس إلى العربي وإلى المسلم عصر النور والمجد والعدل ، في الوقت الذي يعتبرها الأوروبي فيه عصر الظلام والظلم والتخلف . أليس ذلك ضرباً من ضروب الاستعباد الفكري ، وهو شر ألوان الاستعباد ، بل هو أخطر ما خلفه الاستعباد الفردي والاستعباد الإنجليزي في الشعوب الإسلامية التي استعبدها ،

(١) المجلة - مع أنه من بيت علم إسلامي عريق ، ولكن التفاهة الأحيية تصلح الكنديين عن يوتهم .

(٢) المجلة - هذا في الغرب ، أما في الشرق العربي فالذين أوسع أفقا من مدلوله في الغرب ، والعروبة أكثر تعاوناً مع الإسلام في ماضيها وحاضرها .

ذلك هو يحمل ما عرضه أصحاب ذلك المشكل الذي توهموه فابتدعوه ، وزعموه ثم أوجدوه ، بين العامة والفصحى .

أما الاقتراحات التي تدعو إلى مسح قواعدنا في اللغة وفي النحو وفي الإملاء والخط ، فقد جاءت على لسان طه حسين ، وصفيه إبراهيم مصطفى الذي صدع بوجهه حين ألف منذ عشرين عاماً كتاباً ميثاقاً في النحو سماه « إحياء النحو » . ألقي طه حسين محاضرة دعا فيها إلى العدول عن قواعد النحو الثابتة المتداولة التي اجتمع عليها العرب والمسلمون زاعماً أنها لم تعد صالحة وأنها هي السبب في ضعف الطلاب وتخللهم ( ٢٢٨ - ٢٤٠ ) . وتقدم إبراهيم مصطفى باقتراحين ، أحدهما في ( كتابة الهزمة والألف اللينة : ص ١٦٠ - ١٦٥ ) دعا فيه إلى توحيد الصور الكتابية للهزمة ، والآخر في ( تيسير قواعد النحو : ص ١٦٦ - ١٧١ ) مهد به لاقتراحات ( تيسير النحو والصرف : ص ١٧٢ - ١٨٠ ) المقدمة باسم مجمع القاهرة والتي تحمل طابع إبراهيم مصطفى المعروف في ( إحياء النحو ) الذي دعا فيه إلى نبويب جديد للنحو من ابتكاره . وقد سحب إبراهيم مصطفى اقتراح الهزمة قبل أن ينظر في جلسة المؤتمر العامة ، ويبدو أنه لم يجد الطرف مهيأ لقبوله فغنى أن يتخذ قرار برفضه وآثر أن يدع الباب مفتوحاً حتى يستطيع هو أو آخر من عصا به العودة إلى ذلك في فرصة أكثر ملائمة . أما مقترحات تيسير النحو فقد قرر المؤتمر في شأنها أنه ( ينظر في مقترحات تيسير النحو التي أعدتها وزارة التربية والتعليم في مصر فوجد بعد دراستها أنها تحتاج إلى زيادة في البحث والتحصيل ، وقرر تأجيل النظر فيها إلى مؤتمر آخر : ص ٢٧٨ ) . وقد كنت أرجو أن يقضي فيها المؤتمر قضاء حاسماً صريحاً يقرر فيه فسادها وصرورها ؛ لأن هذا القرار الذي يظهر فيه نفوذ دعاة الهدم والتعديل لم يمنع القائمين على برامج التدريس في مصر من أن يضعوا هذه المقترحات الفاسدة موضع التنفيذ .

وبعد فقد شغل هؤلاء المحاضرون والمقترحون بمشاكلهم الوهمية ما يقرب من نصف وقت المؤتمر ١٠٠٠ على أن أكثر ما جاء في مقالاتهم بضاعة مزججة بارت في كل سوق ، وكلام معاد مكرور ليس فيه جديد . ولكن أصحاب هذه المذاهب المنحرفة يعتمدون في أسلوبهم على أن الناس إذا تكرروا سمعهم للباطل أو شكروا أن يصدقوه . لذلك فهم يكررون القول حيناً بعد حين ودفعة بعد دفعة ، ولا ينضب لهم معين في لباس مقالهم ألق الأثواب بالمقام وعرضه من جوانب جديدة تمزيقه من نفوس الناس .

[١] استقرت محاضراتهم واقتراحاتهم تسعاً وتسعين صفحة من سجل المؤتمر الذي يزيد قليلاً على مائتي صفحة .

وهم لا يستمرون من هذا التكرار ؛ لأنهم يعرفون أنهم يخاطبون في كل مرة جيلا جديداً غير الذي سمعهم من قبل . وقد ينجحون في إغواء بعض من ضاقت عنه حيلهم من قبل . وهم يعتمدون مع ذلك كله على أفراد عصائهم ومن وصلوا إلى مراكز نسمح لهم بمديد العون في ترويج هذه الدعاوى وفي وضعها موضع التنفيذ ، وفيهم من يشغل مراكز خطيرة تسمح لهم بالسيطرة على الصحافة والإذاعة ووزارات التعليم والجامعات . لذلك كان فرضاً لازماً على كل عارف بحيلهم أن لا يمل من تكرار الرد عليهم وكوناً إلى أنه قد أذاع الرد من قبل ، حتى لا تنفرد دعاياتهم المفسدة مائشباب فتستأثر به ثم لا يجد ما يصححها وينتشله من تيارها ويبطل فعل سموها .

وأول ما يلقت النظر في هذه الكلمات والمفترحات ما انحدرت إليه مجامع اللغة العربية - ومجمع القاهرة منها خاصة - من ترويج الدعوات المريبة إلى تطوير اللغة وقواعدها ورسمها . وهو تطوير يختلف أصحابه في تسميته ، ولكنهم لا يختلفون في حقيقته . يسمونه تارة تهذيباً وتارة تيسيراً وتارة إصلاحاً وتارة تجديداً ، ولكنهم في كل الأحوال وعلى اختلاف الأسماء يمتنون شيئاً واحداً هو التحلل من القوانين والأصول التي صانت اللغة خلال خمسة عشر قرناً أوبيد ، فضمت لجيلنا وللأجيال المقبلة أن ترح بغيرها وتمرح في معارض فنون القول وآثار العبقريات الفنية والعقلية لا تحس قيود الزمان ولا المكان ، فكانت القرآن قد أنزل فينا اليوم ، وكانما شعراء العربية وفقهاؤها وفلاسفتها وكتباؤها وأطبائها ورياضيوها وطبيعيوها وكيميائيوها على اختلاف أزمانهم قد كتبوا ما كتبوا وألفوا ما ألفوا في الأمل القريب ، وكانما المتنبي أو البحتري يخاطب جيلنا لا تميز بينه وبين شاعر معاصر كالبارودي أو شوقي أو حافظ ، وكانما الرصافي يكتب شعره للقاهريين ، وكانما الشافعي يكتب شعره للشآميين ، وكانما شوقي يخاطب شعره أهل المغرب ، وهذه ميزة من الله بها علينا ولم تحفظ بمثلها أمة من الأمم . فإذا تحللنا من القوانين والأصول التي صانت لغتنا خلال هذه القرون المطاولة تبللت الألسن وأضاف كل يوم جديد تطلع على الناس شمس مسافة جديدة توسع الخلق بين المختلفين ، حتى يصح بين الشامي والمغربي مثل ما بين الإيطالي والأسباني ، وتصبح عربية الغد شيئاً آخر يختلف كل الاختلاف عن عربية القرن الأول ، بل عربية اليوم والامس القريب ، وتصبح قراءة القرآن والتراث العربي والإسلامي كله متعذرة على غير المتخصصين من دارسي الآثار ومفسري الظالم ، وعند ذلك يصبح كل جهد



سياسي أو حربي أو أدبي مما ينفذ اليوم في جمع شمل العرب وتدعيم القومية العربية عبثا لا طائل تحته ، لأنه كالنفع في قرية مقطوعة أو بناء القلاع فوق الرمال أو الارتجاع بالأبراج التي تناطح السحاب على غير أساس .

وليس الخطر الكبير في الدعوة إلى العامة ، ولا هو في الدعوة إلى الحروف اللاتينية ، أو الدعوة إلى إبطال النحو وقواعد الإعراب أو إسقاط بعضها ، فالداعون بهذه الدعوات من صغار الهدامين ومغفلهم الذين ليس لهم خطر العتاة من يعرفون كيف يمدعون الصيد بإخفاء الشراك ، وكيف يستدرجون الناس بتروير الكلام . إن الخطر الحقيقي هو في الدعوات التي يتولاها خبيثاء الهدامين من يخفون أغراضهم الخطيرة ويضعونها في أحب الصور إلى الناس ، ولا يطمعون في كسب عاجل ، ولا يطلبون انقلابا كاملا سريعا . الخطر الحقيقي هو في قبول مبدأ التطوير نفسه ؛ لأن التسليم به والاختصاص فيه لا ينتهي إلى حد معين أو مدى معروف يقف عنده المطورون ؛ ولأن التزحزح عن الحق كالتضيق في العرص ، فالذي يقبل التزحزح عن الحق قيد أنملة مرة واحدة يهون عليه أمثاله مرة ثم مرات حتى يستطع إلى الخضيض ، ومن اعتراه شك في حقيقة ما يراى بقرآتنا وبلغته وبإسلامنا وكل تراثه فليقرأ قول طه حسين في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » : « وفي الأرض أمم متدنية كما يقولون ، وليست أقل منا إثارا لدينها ولا احتماظا به ولا حرصا عليه ، ولكنها تقبل في غير مشقة ولا جهد أن تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التي تفكر بها وتصطنعها لتأدية أغراضها ، ولها في الوقت نفسه لغتها الدينية الخالصة التي تقرأ بها كتبها المقدسة وتؤدي فيها صلواتها » فاللاتينية مثلا هي اللغة الدينية لفريق من النصارى ، واليونانية هي اللغة الدينية لفريق آخر والقبطية هي اللغة الدينية لفريق ثالث ، والسريانية هي اللغة الدينية لفريق رابع (١) . وبين المسلمين أنفسهم أمم لا تتكلم العربية ولا تفهمها ولا تتخنها أداة للفهم والتفاهم ولغتها الدينية هي اللغة العربية ، ومن المحقق أنها ليست أقل منا إيمانا بالإسلام وإكبارا له وزيادا عنه وحرصا عليه - الفقرة ٣٦ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ من طبعة المعارف (١٩٤٤) . فإذا وهي

(١) ليس هذا الكلام من صرح طه حسين فهو تريد لما قاله القاضي الإنجليزي ولورد

I. Seiden. willmore من قبل في كتابه « عامة مصر » The spoken Arabic of Egypt

ص ١٥ من طبعة لندن ١٩١٩ .

القارىء هذا القول وما وراءه بمبدأ كل ما سواه في وجه صاحبه ؛ لأنه صرب من النفاق ، وأسلوب في السكيد .

على أن تقديس لغة القرآن واتزام أصولها وقواعدها وأساليبها لم يكن في يوم من الأيام داعياً إلى تحجر اللغة ، وجود مذاهب الفن فيها ، ووقوفها عند حد تعجز معه عن مسيرة الحياة ؛ كما يشنع به الهدامون ويخندعون به الأعرار وصغار العقول وقصار الهمم . فليس التطور نفسه هو المحذور ، ولكن المحذور هو أن يخرج هذا التطور عن الأساليب المقررة المرسومة . وذلك يشبه تقييد الناس في حياتهم الاجتماعية بقوانين الدين والأخلاق . فليس يعني ذلك أنهم قد استعبدوا لهذه القوانين ، وإنما قد أصبحت تحول بينهم وبين مسيرة الحياة أو الاستمتاع بحيراتها ولدائنها . ولكنه يعني أنهم يستطيعون أن يغدوا وأن يروحوا كيف شاءوا ، وأن يشتموا بخيرات الدنيا وطيباتها ويتصرفوا في ممالكها ويمشوا في مناكبها ، كل ذلك في حدود ما أحل الله ، وكل ذلك مع التزام الوقوف عند حدود الله . كذلك اللغة ، وضع اللغويون والنحاة والبلاغيون لها حدوداً طابقوا بها مذهب القرآن وكلام العرب ، وتركوا للناس من بعد أن يتحدثوا ما شاءوا من أساليب ، وأن يتصرفوا فيما أرادوا من أغراض ، وأن يجددوا ما أحبوا مما يشتهون ومما تتفق عنه عبقرياتهم . ولكن كل ذلك لا ينبغي أن يخرجهم عن الحدود المرسومة . فهاذا في ذلك غير ضئيل الاستقرار والحرص على جمع الشمل ؟ وهل عاق ذلك عرب بغداد وعرب الأندلس عن الافتتان في القول وفي مذاهب الفن ؟ وهل ضاقت معه عربة البدو عن الاتساع لما تمل العرب وما استحدثوا من مكارف وعلوم ؟

أماما جاء على لسان بعض المشتركين في هذا في المؤتمر مثل أحمد حسن الزيات ( ص ٨١ - ٨٨ ) . ومنصور فهمي ( ص ٢٤١ - ٢٥٦ ) في تصوير انحراف مجمع اللغة العربية عن القصد فليس إلا قليل من كثير . ومن شاء فليرجع إلى مجلة المجمع ليرى صورة أوضح وأكثر تفصيلاً لما يهدر من جهد في الكلام عن العامية وعن مسح الخط العربي وقواعد النحو . أليس ذلك عجيباً من العجب ؟ وأعجب منه أن يصير إلى مركز القيادة في ذلك الحصن رجل يشهد ماضيه الثابت المسجل فيما نشر على الناس من صحف أنه كان حرباً على الجامعة الإسلامية وعلى الجامعة العربية لا يراها إلا وهماً من الأوهام ، وأنه كان أول من رفع صوته بالدعوة إلى تمصير اللغة العربية . ألمثل هذه الغاية يعمل مجمع القاهرة وقد دارت الأيام واستقام عوج الزمان ؟

أما ما زعمه علي حسن عودة مندوب حكومة الأردن في المؤتمر - أو ما تحيله - من أن هدفنا هو توحيد العامية والنصحي وجعلها لغة واحدة فهو خطأ أساسي في تصور الموضوع . فليس مطلوباً أن تصبح لغة الحديث والأسواق والتعامل بين الناس هي نفسها لغة الشعر والأدب والعلم والفلسفة ، لأن التعامل يحتاج إلى لغة سريعة الوقاء بالغرض ، ولكنه لا يحتاج إلى لغة دقيقة كحاجة العلم إليها ، ولا يحتاج إلى لغة جميلة مؤثرة كحاجة الشعر والأدب عموماً إليها . إذ يكفي في لغة التعامل أن يفهم بعض الناس عن بعض من أقرب طريق وأخصره . وقد يستعين المتعاملون على إتمام ما في العامية من قصور بإشارات اليدين وبتلون نغمة الكلام وتنويعها ، وبالتعبير بسمات الوجه . ومن الواضح أن لغة الأسواق لا تناسبها لغة راقية معقدة التركيب - ككل ما هو راق ، فالبساطة تلازم الحالات العاطفية الساذجة - لأن قواعد اللغة الراقية تضعيع وقت المتعاملين الذين لا يحتاجون للدقة أو الجمال حاجتهم إلى السرعة . فاستعمال الفصحى في التعامل يشبه استعمال الموازين الدقيقة التي يوزن بها الذهب والأحجار الكريمة في وزن الخبز والملح ، أو استعمال المقاييس الهندسية الدقيقة في قياس الأفتة ومسح الطرقات ، فهو إصراف في التأني وبعبثة للجهد وتضييع للوقت ، لا يصبر عليه البائع ولا المشتري . ثم إن اللغة الراقية التي تنظمها القواعد لاتصلح لحاجات الحياة اليومية من وجه آخر . فقواعد اللغة الفصحى تجعل تطورها بطيئاً وصعباً ، بينما لغة التعامل والأسواق تسد حاجات متغيرة يطرأ عليها كل يوم جديد لم يكن بالأمس . أما لغة الأدب فهي سجل للحالات عقلية ونفسية ثابتة متصلة ، من الخير أن نحرص فيها على صلة الخلف بالسلف إلى أبعد مدى يمكن ؛ لكي يتفتح بتجاربه فيزداد بذلك علماً ودراية ومنعة ودوقاً . فنحن نقرأ ما كتب في الأدب منذ آلاف السنين فنجد فيه صورة من تمكيننا الراهن ومن أحاسيسنا الحية . ولذلك فالأدب يحتاج إلى لغة أكثر استقراراً لتحقيق هذه الصلات بين القديم والجديد . وهو يحتاج إلى لغة مصفاة منتقاة ، للكلمات فيها وللعبارات تاريخ وظلال تموض بعض ما في اللغة من قصور في التعبير عن مكنونات النفس وخطرات الفكر . فاللغة محدودة بكلمات المعاجم ، أما الأحاسيس والأفكار التي يموج بها عالم النفس والعقل فهي خفية متعددة متجددة لا تكاد تدخل تحت حصر في تنوعها وفي دقة العوارق بين بعضها وبين البعض الآخر . لذلك كان لابد ، للأديب أن يستعين على إتمام قصور اللغة هذا باستغلال خصائص الكلمات الصوتية واستغلال ظلال الكلمات مفردة ومركبة . وإنما تنشأ ظلال

الكلمات عما ترتبط به في تاريخها الطويل من استعمالات ومما في طبيعة تركيبها الصوتي من أسرار . وذلك كله لا يتوافر إلا في الكلمات التي صفاها طول الاستعمال فأثبت بقاؤها على قلب الظروف والأحوال والأزمان صلاحيتها للبقاء ، والتي صقلتها ألسن القائمين وأذان السامعين وأذواق النقاد ، والتي شحها وأغناها ما تراكم حولها من المعاني والأطراف التي تقلت بينها في ثقلها الطويل عبر التاريخ .

من ذلك كله يتضح أن لغة الأسواق شيء وأن لغة الأدب شيء آخر . وكل منهما صحيحة في ميدانها . فهما كلباس المصنع أو المهنة ولباس المسجد أو المحافل ، يتخذهما العامل ويقتنيهما جميعا ، ولكنه يستعمل كلا منهما في موضعه ، فلا يلبس للمصنع لباس المسجد والمحافل ، ولا يلبس للمساجد والمحافل لباس المصنع والمهنة . كذلك الشأن في لغة التعامل اليومي وفي لغة الأدب ، تمتاز إحداها من الأخرى حسب طبيعة كل منهما ووظيفتها . وهذه ظاهرة طبيعية مطردة التحقق وال لزوم في كل اللغات قديما وحديثا ، شرقيا وغربيا . فقد كان للناس دائما لغة للأدب تختلف عن لغة الحديث والمساومة والتعامل منذ كان لهم أدب رفيع . لأن البدائيين وحدهم هم الذين يكتبون أدهم بلغة الحديث ، فإذا تطور هذا الأدب وسما ارتفع عن لغة الحديث وخلف لغة الأسواق والتعامل وراه . ولو انحلت لغة الأسواق لغة للأدب على ما يريده الخادعون والمخدوعون ، فتطورت وارتقت ، لنشأ إلى جانبها حتما لغة أخرى للأسواق تتحرر من قواعد اللغة الأدبية وقيودها ، وتنزع عنها ما لا تحتاج إليه مما يفيد الدقة أو الجمال حتى تسعف البائع والمشتري والصانع والرائع والسائل والمستول من ناحية ، ولكي تسير حاجات الحياة وشئوننا المتجددة من ناحية أخرى . وإذن لا نكون قد قرنا بين اللغتين على ما يزعم أصحاب ذلك المذهب ، ولكن كل ما نبوء به عند ذلك هو قطع الصلات بيننا وبين الماضي كله بما فيه من دين ومن علم ومن أدب ومن تاريخ ومن تجارب إنسانية متعددة ، فهو بمثابة إعدام هذه السجلات الخافلة ، مما يجعل مهمة الأحياء والأجيال المقبلة صعبة إلى درجة التعذر في تقصي حقائق الأشياء وتاريخها .

ومع ذلك كله فالأدب بطبعه متعة عقلية وروحية . وهو بهذا الاعتبار ليس هواية شعبية وليست المشكلة فيه هي مشكلة الالفاظ الخسب ، ولكنها مشكلة الأفكار والأحيلة التي تحتاج في تذوقها إلى مستوى ثقافي معين . فهما تعمل على تيسير الالفاظ وجعلها في متناول عامة

الناس فلن يستطيعوا إلا فهم ما يلائم عقولهم وثقافتهم من الآداب السطحية التي لا تعبر عن أغوار الحقائق وأعماقها . ذلك هو المدلول الحقيقي لكلمة ( الادب الشعبي ) . فالآداب الشعبي لا يتميز بلفظه خصب ، ولكنه يتميز أولاً وقبل كل شيء بسطحيته في التفكير وبساطته التي تلائم السذج من البدائيين ، ولكنها لا تشبع حاجات المثقفين وطلاب المعرفة من أصحاب الفكر الرفيع والدوق الرهيف والمزاج الصافي الصقيل .

زعم رثيف أبو اللع الأمين العام المساعد للشئون الثقافية في مقدمة الكتاب أن على اللغة ( أن تسير المجارى المتدفقة المصرة من تحوير وتبديل وتعديل وتجديد ، فإذا لم تتبع اللغة العربية سنة النشوء والارتقاء فقدت عناصر الحياة - ص ٢ ) . وزعم الريات عضو مجمع القاهرة أن إزالة السد القائم بين الفصحى والعامية سيقتضي على ( مساوى الفصحى أو عنجيتها قموت كما يموت الحوشى المهجور من كل لغة - ص ٨٥ ) ، والواقع أن هذا التطور الذى يتحدث عنه الأمين على ثقافة العرب حادث فعلا ، وهو يحدث كل يوم ، ولكنه يحدث من تلقاء نفسه ولا تمحده له المؤتمرات تصطنعه .

والتطور على كل حال ينبغي أن يكون بالقدر الذى لا يقطع صلتنا بالماضى ، وبالقدر الذى لا يحنى معه أرب يتطور إلى قطع صلة الأجيال المقبلة بالجيل الماضى أيضاً ، بحيث يتحول قرآننا وحديث نبينا وفقه فقها تانا إلى طلم لا يقرؤه إلا طلبة من الكهان يحتكرون تفسير الإسلام . هذا التطور واقع ، لأن حاجات الحياة تدفع إليه ، فالتناس مضطرون إلى التعبير عن أنفسهم وعن الحياة فى مختلف نواحيها : فى أدبهم وفى صحفهم وفى إذاعاتهم التى تحكى ما يجرى فى الحرب والسلام ، وفى قصصهم وفى كتبهم العلمية التى تضطر إلى استحداث الألفاظ لما يستحدث من آلات أو أدوات أو متاع ، ومن كشوف جديدة أو حقائق أو نظريات . والمهم فى ذلك كله هو أن يحرص العرب على استعمال لغتهم العربية فى كل هذه الميادين ، كما دعا إلى ذلك بحق وإخلاص عارف النكدى عضو الوفد السورى ( ص ٨٩ - ١٠٤ ) وكما انتهى إليه المؤتمر فى توصياته ( ص ٢٧٨ ) ، فتمحرص الإذاعات والصحف ومنابر العلم عامة والجامعات خاصة والقضاء والمؤتمرات على اللغة الفصحى . هذا هو السبيل الطبيعى للتطور ، وما عداه فهو وسائل صناعية لا تؤدى إلا إلى البلبلة ، وهى جسيمة بلا طعن . أما ما زعمه عضو مجمع القاهرة من موت الحوشى وتصفية اللغة وتقيتها فهو لا يتوقف على تفاعل الفصحى مع العامية كما يزعمه . فالحوشى يموت بطبعه كما يذهب كل باطل وكل ثقيل

وكل مستمع غير صائح ، لأن الأدباء والشعراء والعلماء يفرون من استمالة . وهؤلاء هم في الحقيقة - بما وهبوا من دوق - صنّاع اللغة . وهم الذين يقومون بمهمة التصفية التي يتحدث عنها الكاتب ، ومن وراء هؤلاء الأدباء والشعراء والعلماء الدوق العربي العام الممثل في جمهور القراء والرواة ، فهم الذين يحكمون على الصالح بالبقاء لأنهم يتناقضونه خلفاً عن سلف ، ويبدلونه في الآفاق ، بينما يحكمون على الساقط والسخيف الركيك بالموت ، لأنهم يميلونه ولا يكثرثون له . وهؤلاء هم المحكمة الصادقة التي لا تخضع للأهواء ، ولا يجوز عليها التزييف والتزوير .

وطه حسين ومن ذهب مذهبه مثل مندوب حكومة تونس في هذا المؤتمر يوهمون الناس بأن هناك خطراً على العربية الفصحى أن يهجرها الناس إلى العامية إذا لم تخضع لما يريدونه من تطور ( ص ٢٨٣ ، ٢٠٩ ) . ويبنى مندوب الحكومة التونسية على هذا الوم أو الإيهام اقتراحاً بأن ( يشغل عدد من علماؤنا بالغات العامية وأن يدرسوها دراسة دقيقة - ص ٢٠٩ ) كما يقترح على المجامع اللغوية ( أن تولف لكل قطر معجماً صغيراً - ص ٢٠٨ ) والذي ينقص هذا الزعم الباطل من أساسه هو الواقع المشاهد في القديم السالف وفي الحاضر الراهن ، الذي أثبت أن العربية قد عاشت جنباً إلى جنب مع هذه اللهجات المحلية أكثر من ألف عام حتى الآن . فالحُوف من إعراص أصحاب اللغة العربية عنها هو وهم اخترعه هؤلاء المغرضون ، أو اخترعه لهم سادتهم ثم قاموا هم بترويجه . وينقض هذا الوم أو هذا الزعم أن العربية قد استطاعت أن تحيا خلال بيئات متفاوتة وعصور متفاوتة ودرجات من الحضارة والمدنية أدناها البداوة وأعلاها ما وصلت إليه في بغداد وفي الأندلس . استطاعت - وهي اللغة البدوية - أن تسكن حاجات ما جدد من علوم ودراسات . وظلت مع ذلك كله هي هي . نقرأ القرآن بعد أربعة عشر قرناً من نزوله فكانه أنزل اليوم ، ونقرأ الجاحظ والمتنبي بعد ألف سنة أو أكثر فكأنما نقرأ لكتاب ولشعراء معاصرين . وقد تجاوزت لغة الأدب الرفيعة ولغة الحديث العامية طوال هذه القرون على اختلاف البيئات فلم تطفح إحداها على الأخرى ، ولم تنفر إحداها من مجاورة صاحبتها . ومع ذلك فإن هذا الخطر الموهوم المزعوم يكفى في دنعه - إن كان - أن تحسن الدولة القيام على تعليم العربية في مدارسها وأن تلزم باستعمالها في المجالس النيابية ، وفي دور القضاء وفي الإداغة وفي المحافل والمجامع على اختلافها ، ولا أظننى محتاجاً إلى أن أنبه للخطورة التي ينطوي عليها اقتراح مندوب تونس .

وما أظن أحدا سينتدع بما يبدو في ظاهر قوله من البراءة حين يتظاهر - مثل طه حسين - بأنه معارض في استعمال اللغة العامية للكتابة الأدبية ، وحين يشترط في المعاجم المقترحة أن ( لا تتضمن إلا الألفاظ العربية الفصيحة التي بقيت مستعملة بمعناها الأصلية في لغة ذلك القطر - ص ٢٠٨ ) فالهم في الأمر هو أن معاجم اللغة العربية سوف تختلف باختلاف بلاد العرب وأقطارهم ، وأن المعجم التونسي والمعجم المصري والمعجم العراقي والمعجم الشامي والمعجم الحجازي والمعجم اليمني سوف تصبح بتنفيذ هذا الاقتراح حقيقة واقعة . وهذه المعاجم المقترحة نفسها سوف تصبح بلورها موضع تنقيح وتغيير وتعديل ، وسوف ينأى بها كل تنقيح جديد عن أصلها الأول ، حتى يتناكر المعارف ويتمرق المجتمعون ثم لا يرجى لصدعهم رآب . ذلك هو المصير المظلم الذي بدأ بدعوة خلافة براقه بريثة الظاهر إلى دراسة اللهجات والعناية بما يسمونه نمونها على الشعوب بالآداب الشعبية .

وقد اعتمد طه حسين على هذا الأسلوب نفسه في الدعوة إلى تبديل النحو والحط حين قال ( إن أيننا إلا أن نمضى كما كان النحو وكما كانت الكتابة فلا بد أن ننشأ عن هذه اللغة العربية المعصية القديمة لغات مختلفة كما نشأت الفرنسية والإيطالية والبرتغالية عن اللغة اللاتينية القديمة - ص ٢٣٨ ) . ويخضع الناس عن حقيقة ما يدعوم إليه حين يعقب ذلك بقوله ( وبعد فلا أدعو أن تهجروا القديم مطلقا ، وعلى أن أكون من أشد الناس محافظة على قديمتنا العربي ، ولا سيما في الأدب واللغة . ولكن لم لا يكون النحو القديم والكتابة القديمة والبلاغة القديمة وكل هذه العلوم العربية التي أنشئت في عصر غير هذا العصر الذي نعيش فيه ... لم لا يكون هذا كله متطورا كما تطورت اللغة ؟ نحفظ قديمه لدرس المتخصصين في الجامعات وفي المعاهد ونتيح للبلالين البائسة من الصبية والشباب أن يعملوا تعلما قريبا سهلا - ٢٣٨ ) .

والعجيب في الأمر أن منصور فهمي يشيد بعد ذلك فيما أحصاه من محاسن مجمع القاهرة بجهوده في ( تفسير النحو والصرف والإملاء ) و ( ودراسة اللهجات العربية ) و ( وتفسير الكتابة والحط ) . فهل أصبحت مهمة مجمع اللغة العربية في القاهرة هي دراسة اللهجات العامية وتبديل قواعد النحو والصرف والإملاء والكتابة بحيث يصبح أى أثر من آثارنا طلبا من الطلاس ، بل بحيث يكون هذا نفسه هو مصير كل أثر عربي معاصر لا يتبع منهج مجمع القاهرة في التغيير والتبديل ؛ وماذا يحدث إذا نهج مجمعنا في تفسير النحو والصرف والبلاغة على غير منهج المجمع العربية الأخرى ؟ بل ماذا يحدث إذا اتفقت مجامع العرب على أشياء

ورفضها المسلمون ؟ لأن المسلمين إنما يدرسون هذه العلوم للاطلاع على مصادر دينهم ، وهي جميعا تستعمل اصطلاحات النحاة والبلاغيين التي يسمونها قديمة . وإذا انصرف الناس في مصر عن دراسة كتب ( النحو القديم ) و ( البلاغة القديمة ) كما يسميها طه حسين وحزبه ، وجروا وراء كل فاعق يزعم أن القواعد القديمة معقدة ، وذهب كل منهم مذهب في استنباط قواعد جديدة ، وتسمية المسيمات بأسماء مبتكرة فقدت الاصطلاحات قيمتها . فإنما ترجع قيمة الاصطلاح إلى تواضع الناس عليه ، فإذا اختلف الناس فيه لم يعد اصطلاحا . فإذا قال مثلا ( هذا فاعل ) لم يفهم عنه الذي يسمى الفاعل فاعلا لأنه قد ائتمر له اسما جديدا فسماه ( موضوعا ) أو ( أساسا ) أو ( مستندا إليه ) . وإذا قال أحدهما هذا حال أو تمييز أو ظرف أو مفعول معه أو مفعول لأجله لم يفهم الآخر الذي لا يميز بين حالة من هذه الحالات لأنه يسميها جميعا ( تكملة ) . وقس على ذلك سائر قواعد النحو والبلاغة (١) .

والنحو العربي — ولا أقول « النحو القديم » كما يسمونه — ما عيبه ؟ وهل هو حقا كما يزعمون معتد صعب ؟ وهل ثبت فشله كما يزعمون في تشقة جميل عربي يقيم عربيته ويحسن تذوقها ؟ نحننا وبلاغتنا لا عيب فيهما . ومن الممكن تبسيطهما واختصار المطولات المؤلفة فيهما في حدود القواعد والأقسام التي الترمها الأسماء أنفسهم . فالواقع أن اجتماع الناس في كل أمصار العرب — بل المسلمين — على قواعد موحدة ، دون أن تحملهم على ذلك قوة القاهرة أو تلزمهم به سلطة منفذة ، أو تقوم على شره دعابة تروجه عصابات تسوق الناس إليه ، هذا الاجتماع على قواعد موحدة في النحو والصرف والبلاغة بعد أن كانت مدارسها متعددة هو وحده الدليل الحى الذى لا ينقص على صلاحية هذه القواعد ، وعلى أن هذه الدعوات إلى تغييرها بدعوى التيسير أو الإصلاح هي دعوات مفتعلة يروجها هدامون وينساق وراءها مفلولون . ولو كان القصد هو التيسير حتماً لقنعوا بصنيع لجنة ( حنفى ناصف ، ودياب ، وطوموم ، ومحمود عمر ، وساطان محمد ) في كتاب ( قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية ) الذى ظلت مدارسنا تتداوله سنين طويلة . فقد نجحت هذه اللجنة في حصر قواعد النحو والصرف والبلاغة في كتيب صغير لا يتجاوز مائة وأربعين صفحة ، خال من التعميد ، ببنى بحاجة للتلاميذ والمتعلمين . وقد كان صبيح الجارم من بعد ذلك حسنا حين يبر هذه القواعد ومهد

(١) راجع مجلة مجمع اللغة العربية ٦ : ١٨٨ وراجع كذلك كتاب القواعد الذى تتداوله طلبة السنة الأولى من المرحلة الإعدادية في العام الدراسي المصرى .



لها بالأمثلة الكثيرة ، وأعان على إقرارها بالقرينات المتعددة ، وكان ذلك كله في حدود القواعد التي أثبتت ألف سنة صلاحيتها ، والتي استطاع العرب بفضلها وحدها - ولا شيء سواها - أن يخرجوا في القرن الأخير هذا الجيش الضخم من الشعراء والأدباء والنقاد الذين بلغ بعضهم مستوى أندادهم الأقدمين في أزهى عصور الشعر والأدب العربي . وذلك من بعد أن أدرك الضعف العربي حتى كاد يدينها من القبر . كيف وجد البارودي وشوقي ؟ وكيف نشأ محمد عبده وطبقته من الكتاب ؟ وكيف وجد الراضى والمنفلوطى ؟ بل كيف وجد المناوون بهذه البدع أنفسهم مثل طه حسين وإبراهيم مصطفى ؟ كيف استقامت ألسنتهم وصحت أساليبهم ؟ وذلك من بعد الركاكة التي تمثل في كاتب كالجبري يعتبر من أحسن كتاب عصره ؟ هل أتقن هؤلاء العربية عن طريق آخر غير قواعد النحو والصرف والبلاغة التي يزعم الزاعمون اليوم أنها معقدة وغير صالحة ؟ فأيهما يصدق ؟ هل يصدق واقعا قائما ماثلا راسخا قديما أثبتته ألف سنة وأعادته إثباته وتأكيده تجربة القرن الأخير ؟ أم يصدق مزاعم لم نر من آثارها منذ ظهرت إلا الشر وإلا التدهور والانحطاط في مستوى تدريس العربية ؟ إن انحطاط مستوى الجيل الحاضر في اللغة العربية أمر واقع ، ولكن سببه ليس هو صعوبة القواعد ( القديمة ) ، بل إن سببه هو زعم الزاعمين أنها معقدة ، لأنه قد صرف الناس عن إتقانها إلى التنقل بين تجارب لغة غير ناضجة ، وأعان على إقرار ما يتوهمه التلاميذ والمدرسون من صعوبتها ، بل اختلق هذا الوهم نفسه بعد أن لم يكن . والدليل على ذلك أن الجيل السابق لهذا الجيل - وهو جيل لا يزال كثير من أفراده أحياء - أحسن إتقاناً للعربية ، رغم أنه قد نشأ في ظل الاستعباد الإنجليزي وبرامجه ، أو في ظل سياسة التريك التي جن بها دعاة الطورانية من الاتحاديين . وحسب الداعين بهذه الدعوة هرا لا وفلا ما اقترحوه على المدارس الإعدادية في العام الماضي من قواعد بيئة الضعف والفساد والهرزال ، مما أرجو أن أعود للحديث عنه في غير هذا المقال . لم يزالوا يطبلون ويذمررون ويطنطنون ويهللون ، فلما رأى الناس المولود الذي كانوا يبشرون به من قبل قالوا ( تمنخص الجيل فولد قاراً ) .

ولكن ندرك خطر هذه الدعوات ونفهم حقيقة مغراها لابد لنا أن نقرنها إلى أمثالها ، فننظر إليها في ظل ما نسمعه من الدعوة إلى تطوير عاداتنا وتقاليدينا ، وتطوير أدبنا شعره وثره شكلا وموضوعا وأسلوبا ، وتطوير أخلاقنا وأعانينا ، وتطوير زينا نساء ورجالا ، وتطوير قيمنا ومثلنا الأخلاقية والاجتماعية ، وتطوير تشريعنا بل تطوير إسلامنا نفسه .

من أجل النظر في هذا كله وقرن بعضه إلى بعض عرف أن أصل هذه الفروع واحد ، وأن روح الدعوة فيها جميعاً واحدة ، وأن أصحابها لا يقتنعون إلا بقطع كل ما يربطنا بإسلامنا وعروبتنا وشرقيتنا من وشائج وصلات . عند ذلك تفقد طابعنا الذي يميزنا بوصفنا جماعة أو قوماً أو أمة . وإذا فقدنا طابعنا فقدنا كيانتنا ، وفقدنا القدرة على التكتل والتجمع ، وأصبح من اليسير على الشرق أو الغرب أو كائنا من كل من خلق الله أن يلحقنا به ويجمعنا تابعين له تدور في فلكه ونسبح بحمده من دون الله .

والقائمون على ترويج هذه الدعوات كالجرائيم ، تكن حين تأس من الجسم مقاومة حتى يظن المريض أن الداء قد ذهب عنه ، ولكنها تتحصن في واقع الأمر حتى تجد فرصة أخرى ملائمة للظهور فتثور . وقد نشط أصحاب هذه الدعوات في السنوات الأخيرة ؛ لأنهم يعرفون أن الثورات هي أكثر الظروف ملاءمة لبث سمومهم ، إذ يلبسون ثياب الناصحين ، ويندسون في غمار الثائرين الذين يريدون أن يستبدلوا بأسباب الضعف والفساد أسباباً للحياة والقوة والبناء ؛ كما ينس المحربون والمأجورون من عملاء العدو وسط جموع المظاهرات يحطمون المصابيح ويحرقون المنشآت ، فية لدم غيرهم في ضيعهم دون تمييز بين ما يصلح تحطيمه وما يضر تحطيمه .

بقي بعد ذلك كله أن أشير إشارة موجزة إلى مصدر هذه الدعوة ، كيف بدأت ومن أين ثارت ، فقد يمين ذلك على تقديرها وعلى تصور ما تنطوي عليه من الصدق والإخلاص والبراءة من الهوى .

لم يسمع لداع بهذه الدعوة صوت قبل القرن الأخير . وكل ما كان قبل ذلك من إشارة إلى العامة أو ما كان يسميه قدماء المؤرخين ( خطأ العوام ) فقد كان المقصود به تقوية اللسان واثنائه إلى الخطأ ، لا الاحتفاء بألقاظ العامة وأساليبهم وتسجيلها والدعوة إلى معارضة لغة القرآن بها . فالدعوة لم تنشأ إلا في ظل استعباد الغرب لبلاد العرب والمسلمين وفي حمايته من ناحية ، وفي حضنة التبشير من ناحية أخرى . ويمكن أن أذكر في ذلك على سبيل الاختصار أسماء سبنا Wilhelm Spitta وفولارد K. Vollers وباول A. Powell وفيلوت D. C. Phillott وبوريان M. Bouriant وماسبيرو M. Gaston Maspero

الذين قادوا هذه الدعوة في مصر منذ سنة ١٨٨٠ فظهر صداها في صحيفة المقتطف الشهرية  
أولاً سنة ١٨٨٢ (١) ثم انتقل إلى بقية السباسة .

جمع بعض هؤلاء المؤلفين أو الدعاة على الأصح - وكلهم من شغل وظائف عامة في ظل  
الاحتلال الإنجليزي لمصر - طائفة من الحكايات المتداولة بين طبقات العمال والكادحين  
في مصر من لم يصيروا حظاً من التعليم ، ونادوا باتخاذ اللهجة التي كتبت بها هذه الآثار  
لغة للتدوين والتأليف والأدب الرفيع . ووضع بعضهم الآخر كتباً استنبط فيها قواعد  
اللهجة المصرية العامة - وقد اقتصر معظمهم على لهجة القاهرة - محاولاً إقناع المصريين بأن  
لهجتهم هذه لها كل مقومات اللغة الراقية . ولأن الناس كلامهم من بعد . فردده كل بيضاء  
وكل يوق وكل سمسار وكل فاسد العقيدة مزعج الإيمان . وليس في كلام هؤلاء جميعاً  
على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم - من لطف السيد وحزبه إلى طه حسين وشيعته - فكرة  
جديدة . فكل ما قالوه وما يقولونه ترديد لما قاله هؤلاء . حتى الذين أكثروا من الكلام  
فيما سموه ( الأدب الشعبي ) وادعوا أنهم جمعوا فيه ما جمعوا من آثار لم يكونوا إلا نفاقين  
ما جمعه أمثال ماسبيرو وبوريان . بل لقد اعتمدوا عليهم في تصنيف ما جمعوه وفي ترتيبه  
وتبريبه أيضاً . ولولا خشية الإطالة وضيق المقام لأوردت النصوص التي تثبت ما أقول .  
وبعد ، فقد وعد الله سبحانه أن يحفظ قرآنه ، إذ قال وقوله الحق ( إنا نحن نزلنا  
الذكر وإننا له لخالطون ) . وهل يكون حفظه إلا بحفظ لفظه ؟ وإني لأعرف أن الهدامين  
من الإنس والجن أضعف كيداً من أن ينقصوا ما قضاه الله سبحانه . وإنما أقول ما أقول  
إبراءاً للذمة ، واعتاماً للأجر ، وخضوعاً لسنة الله الذي يضرب الحق والباطل ، والذي أكرم  
أهل الإيمان محاربة أهل الكفر والضلال ومكاثفتهم ليلو بعض الناس ببعض . وإنما هو  
قصاء سبق في علم الحكيم العليم وتنديره ، يشق به المفسدون ومن تبعهم - ويعلمهم يشقون -  
ويسعد به من هداهم الله للهدى عن الحق والمناخلة عن الدين ، في يوم يبرأ فيه أئمة الشر من  
تبعوم ، ويقول الذين اتبعوم ( لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراءوا منا . كذلك يريهم الله  
أعمالهم حسرات عليهم . وما هم بخارجين من النار ) . محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية

(١) صلة فارس نمر صاحب المقتطف بالاحتلال الإنجليزي مشهورة معروفة . وقد كان الشتر سمارت  
مستشار السفارة الإنجليزية - أو دار اللدوب المسمى كما كانت تسمى وقتذاك - زوجاً لابنته .

# نقد كتاب

« أضواء على السنة المحمدية »

(٣)

ذكر المؤلف في ص ٨ أنه بعد أن لبث زمنا طويلا يبحث وينتقب بعد أن أخذ نفسه بالصبر والأناة ؟ انتهى إلى حقائق عجيبة ونتائج خطيرة ، ذلك أني وجدت أنه لا يكاد يوجد في كتب الحديث ( كلها ) مما سموه صحيحا أو ما جعلوه حسنا - حديث - قد جاء على حقيقة لفظه وبحكم تركيبه كما نطق به الرسول ... وقد يوجد بعض ألفاظ مفردة بقيت على حقيقتها في بعض الأحاديث القصيرة وذلك في القلة والندرة ، وتبين لي أن ما يسمونه في اصطلاحهم حديثا صحيحا إنما كانت صحته في نظر رواة لا أنه صحيح في ذاته .

وقد بلغ المؤلف الغاية في المجازفة في الحكم ، ونحن لا نقول : إن الأحاديث كلها رويت بألفاظها وكيف ؟ وقد ثبت أن القصة الواحدة أو الواقعة رويت بألفاظ مختلفة وإن كان المعنى واحدا ، ولا نقول : إن الأحاديث كلها رويت بالمعنى - كما زعم - وكيف ؟ ومن الأحاديث ما اتممت الروايات على لفظها ، أفلا يدل اتحاق الروايات على اللفظ أن هذا حقيقة اللفظ المسموع من الرسول ؟ ومن الأحاديث ما لا يشك متذوق البلاغة أنها من كلام أفصح العرب ، وأنها لن تخرج إلا من مشكاة النبوة ، ومن قبل أدرك أئمة في اللغة والبيان هذه الحقيقة فألفوا الكتب في البلاغة النبوية .

وما ينبغي التنبيه إليه أن أكثر ما ترد الرواية باللفظ في الأحاديث القصيرة ، على أن ورود الرواية بالمعنى في الأحاديث الطويلة إنما تكون في الكلمة والكلمتين والثلاث ، وقلما تكون الرواية بمعنى في جميع ألفاظ الحديث ، وهذا شيء نقوله عن دراسة واستقراء . وليس أدل على ذلك من أن حديث بدء الوحى المروى عن السيدة عائشة في الصحيحين وغيرها - وهو من الأحاديث الطويلة - لا تكاد تجد الرواة يختلفوا فيه إلا في بعض ألفاظ قليلة نادرة . وبحسبنا هذا الآن ، وعند مناقشته في بحث الرواية بالمعنى الذي عقده في كتابه سأنقض في الرد عليه ، وسأبين أن بعض ما استدل به هو دليل عليه لا له ، وإليك ما قاله

في هذا الشأن إمام من أئمة الحديث - غير مدافع - وهو الحافظ ابن حجر قال : « ومن أمثلة جوامع الكلم من الأحاديث النبوية حديث عائشة « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » ، وحديث « كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل » متفق عليهما ، وحديث أبي هريرة « وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وحديث المقداد « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » الحديث أخرجه الأربعة وصححه ابن حبان والحاكم ، إلى غير ذلك مما ( يكثر ) بالتقبع ، وإنما يسلم ذلك فيما لم تتصرف الرواة في ألفاظه ، والطريق إلى معرفة ذلك أن تقلل من خارج الحديث وتتفق ألفاظه » .

وأزيد على ما ذكره الحافظ حديث « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » وحديث « الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحة » وحديث « المزمع للنوم كالبنيان يشد بعضه بعضا » وحديث « ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم » الخ ، وحديث « وهل يكذب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم » ، وحديث « إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم » ، وحديث « الحياء من الإيمان » إلى غير ذلك من الأحاديث المتكاثرة التي جاءت على حقيقة لفظها وبحكم تركيبها .

أما ما ادعاه من أنه تبين له أن ما سموه صحيحا إنما هو في نظر رواه لأنه صحيح في ذاته ، فنرى سبق به من ألف سنة أو تزيد فقد قال أئمة الحديث : أن الحكم على الحديث بالصحة أو الحسن أو الضعف إنما هو بحسب ما ظهر للإمام المحدث من تحقق شروط الصحة أو الحسن أو عدم تحققها ، وليس المراد أنه صحيح أو حسن أو ضعيف في الواقع ونفس الأمر ، إذ لا يعلم ذلك يقينا إلا علام الغيوب ، وأنه يجوز - عقلا - أن يكذب الصادق ويصدق الكذوب ، وهذا التجوير العقلي دعاءم إليه التعمق في البحث والتأني في النظر والتثبت في الحكم وبلوغ الغاية في النصفة .

• • •

قال في ص ( ١٠ ) : ولو أن الحديث دون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كما دون القرآن واتخذ له من وسائل التحري والدقة ما اتخذ للقرآن لجاء كله ( متواترا ) كذلك ، ولما اختلف المسلمون فيه هذا الاختلاف الشديد الخ ما قال .

وكان المؤلف منهم أن السبب في تواتر القرآن كونه كتب في العصر النبوي ، والحق خلاف ذلك . فالتواتر إنما جاء في القرآن الكريم من جهة انطه ونقله ، فقد تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه الألف من الصحابة ، وعن هؤلاء أخذوا الألف المؤلف من التابعين ، وهكذا تلقاه العدد الكثير الذي يثبت بهم التواتر عن العدد الكثير حتى وصل إلينا متواترا وسيستمر كذلك حتى يرث الله الأرض وما عليها ، فالمعول عليه في تواتر القرآن هو الحفظ والتلقي الشفاهي لا الأخذ من الصحف ، أما الكتابة فقد كانت من دواعي الثبوت والحفظ ليجمع القرآن الوجودان : الوجود في الصور ، والوجود في الصحائف والصدور ، كما كانت معتمدة الجامعين للقرآن في الصحف والمصاحف في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما ، فقد كانوا حريصين أن يكتبوه من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم . ولو أن السنة دونت في العهد النبوي ولكن لم يحفظها من يتيم بهم التواتر لما جاءت كلها متواترة - كما زعم -<sup>١١</sup> فالعبرة في التواتر وعدمه إنما هو رواية الكثيرين أو عدم روايتهم . ومع أن السنة لم تدون في العصر النبوي فقد جاء بعضها متواترا ، وإن كان قليلا ، ولو أن المعول عليه في تواتر الكتابة لكانت الكتب التي دونت وأحييت بالعناية والدقة كلها متواترة وأنى هي ؟

\* \* \*

ذكر في ص (١٧) أنهم جعلوا السنة القولية في الدرجة الثانية أو الدرجة الثالثة من الدين وأنها تلي القرآن في المرتبة ، وبعد أسطر قال : وأما الذي هو في الدرجة الثانية من الدين فهو السنة العملية ، ومفهومه أن السنة القولية ليست في الدرجة الثانية . ولا ندري ما متأهدا الاضطراب وعدم الثبوت على رأى حتى خالف بحجج كلامه صدره ١١٤ ثم ساق كلام الإمام الشاطبي في الاعتصام وليس في كلام الشاطبي ما يشهد للفرقة بين السنة القولية والعملية ، بل دل كلام الشاطبي على أن المراد بالسنة القول والفعل والتقرير ، ثم نقل السيد رشيد رضا قوله « والعمدة في الدين كتاب الله تعالى في المرتبة الأولى والسنة العملية المتفق عليها في المرتبة الثانية ، وما ثبت عن النبي وأحاديث الأحاد فيها رواية ودلالة في الدرجة الثالثة ، ومن عمل بالمتفق عليه كان مسلما ناجحاً في الآخرة مقرباً عند الله تعالى وقد قرر ذلك الغزالي » .

١١١ عرف العلماء المتواتر بأنه مزووه جمع يحيل العقل نواظوم على السكت ، وقالوا : إنه بيد العلم اليقيني ، والآحاد ما ليس كذلك .

فها أنت ترى أن ما نقله ليس فيه ما يشهد لما اضطرب فيه من كلامه ، والذي عليه المحققون أن السنة - قولاً وعملاً وتقريراً - هي الأصل الثاني ، والأصل الأول هو الكتاب ، على أن ما ذكره السيد رشيد وجعله في المرتبة الثانية هو السنة العملية المتفق عليها لامطلق سنة عملية ومثل هذا كان في حاجة إلى تحرير ، لا أن يدع القارىء في محم من الشك والاضطراب .

في ص ( ٢٩ ) تحت عنوان « الصحابة ورواية الحديث » قال : وفي رواية ابن حزم في الأحكام أنه حبس ابن مسعود وأبا موسى وأبا الدرداء في المدينة على الإكثار من الحديث .

وقد تجنى المؤلف على الحقيقة ، وابن حزم ما تجنى . فقد أوهم القارىء أن ابن حزم رواء ، وليس من روايته قطعاً ، وإنما ذكره في كتابه ، وفرق بين الذكر والرواية كما يعلم ذلك المبتدئون في علم الحديث ، وأوهم القارىء أيضاً أنه ارتضاه ، وابن حزم يرى منه ، وإنما زيفه وبين بطلانه ، وإليك ما ذكره ابن حزم في الأحكام : « وروى عن عمر أنه حبس ابن مسعود من أجل الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا الدرداء وأباذر » . فقد ذكره بصيغة « روى » الدالة على التضعيف ، ولو كان من روايته لقال : وروينا ، وقد طعن ابن حزم في الرواية بالانقطاع لأن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف رواه عن عمر لم يسمع منه ، والمنقطع من قبيل الضعيف لا يحتاج به ؛ لجواز أن يكون البلاء في الرواية من المحدثين وأنه هو الذي اختلفوا . ثم قال ابن حزم ( ١ ) : « إنه - أى الخبر - في نفسه ظاهر الكذب والتوايد ، لأنه لا يحلو عمر من أن يكون اتهم الصحابة وفي هذا ما فيه ، أو يكون نهى عن نفس الحديث وعن تبليغ السنن وألزمهم كتابها وحجدها وهذا خروج عن الإسلام ، وقد أعاد الله أمير المؤمنين من كل ذلك ، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلاً ، ولئن كان حبسهم وهم غير متهمين لقد ظلمهم فاختار المخرج لمذهبه الفاسد بمثل هذه الروايات المطفونة أى الطريقةتين الخبيثتين شاء » . هذا ما قاله ابن حزم ، فهل بعد هذا يزعم المؤلف لنفسه الأمانة في النقل ؟ ولو أن القارىء المتثبت تشكك فيما ينقله هذا الرجل عن العلماء ألا يكون معذوراً ؟ ومن دواهي تريف الرواية أن ابن مسعود كان يتبع

مذهب عمر وطريقته ، وكان يقول : لو سلك الناس وادياً وشعباً وسلك عمر وادياً وشعباً لسلكت وادى عمر وشعبه . وقد أرسله عمر إلى الكوفة ليعلم أهلها ، وقال لهم : لقد آثرتكم بعبد الله عن نفسي . فكيف يعقل أن يخالف عمر في انتقيل من الرواية ؟ وكيف يعقل من عمر أن يحبسه ؟؟

ثم كيف غفل المؤلف عن هذا النقد للذين وهو الذى أحى على المحدثين باللائمة لأنهم أغفلوا جميعاً نقد المتن ، وأنه هو الذى جاء . فى نقد المتن . بما لم يبدئه الأوائل مما زعمه تبدأ . والله أعلم . أنه تهجم وتطاول ١١١٩٩

بل كيف غفل المؤلف عما يناقض هذا وهو ما ذكره بعد صحيفة واحدة فى ص ( ٣١ ) عن عمر بن ميمون قال : اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنة فما سمعته فيها يحدث عن رسول الله ولا يقول : قال رسول الله . وأنه حدث ذات يوم بحديث فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبينه ؟ وهل يليق به . وقد زعم أنه شيخ النقد . أن يأتي بروايات تناقض أولها آخرها وآخرها أولها من غير أن يعرض لبيان مفصل الحق فيها ؟

السر فى هذا يا أخى القارى أن المؤلف يأخذ ما يشاء بهواه ، ويدع ما يشاء بهواه ، وأنه خطف هذا الكلام خطأ من كلام بعض المستشرقين [ ١ ] الذين يتبعون شواذ الروايات ومنحوها ، ونسبه إلى ابن حزم كى يضيق عليه شيئاً من القبول .

وفى ص ٣٧ عرض الحديث « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وذكر ما قاله الخافظ ابن حجر من ورود الحديث فى بعض رواياته بدون « متعمداً » ، وفى بعضها بذكرها فى الصحيحين وغيرهما ، ثم قال : ولكن من حقق النظر وأبعد النجعة فى مطارح البحث يجد أن الروايات الصحيحة التى جاءت عن كبار الصحابة ومنهم ثلاثة من الخلفاء الراشدين لم تكن فيه تلك الكلمة « متعمداً » ، وكل ذى لب يستبعد أن يكون النبى قد نطق بها . . . ولعل هذه اللفظة قد تسلت إلى هذا الحديث من طريق الإدراج المعروف عند العلماء ليسوع بها الذين يضعون الحديث على رسول الله حسبة . من غير عمد . أو يتكى عليها

[ ١ ] أطر كتاب « نظرة فى تاريخ الثقة الإسلامى » ص ٧١ ترى أنه خطف هذه الرواية للدسوسة من غير تثبيت وتحجر .



الرواة فيما يروونه عن غيرهم على سبيل الخطأ أو الوهم أو بسوء الفهم لكي لا يكون عليهم حرج في ذلك ، لأن الخطأ غير مأثوم : وهكذا نجده لا يمتنع بما قاله الحافظ الكبير ابن حجر ليطلع علينا بهذه القروض والتحلات !!!  
وإليك بيان مفصل الحق في هذا :

١ — روى هذا الحديث من طرق متكاثرة عن كثير من الصحابة في الصحيحين وغيرهما ، حتى قد أوصلها بعض المحدثين إلى المائة ما بين صحيح وحسن وضعيف ، والحق أن الحديث روى بهذا اللفظ من طرق تصل به إلى درجة المتواتر ، كما حقق ذلك الحافظ في المتح “ .  
وأما وصول طريقه إلى هذا العدد الضخم فذلك فيما ورد في مطلق ذم الكذب على النبي لا في هذا اللفظ بعينه ولا في خصوص هذا الوعيد ، ثم إنه لم يصح عن أحد من الخطباء إلا عن علي في الصحيحين وعن عثمان في غير الصحيحين ، لا عن ثلاثة من الخلفاء كما زعم المؤلف “ ، وقد جاءت كلمة “ متعمداً ” في أغلب روايات الصحيحين “ وغيرهما من الكتب المعتمدة وطرق ذكرها أكثر من طرق تركها وأقوى ، فقد وردت في الصحيحين عن أس وأبي هريرة والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ولم ترد في رواية علي ولا الزبير بن العوام . والقاعدة عند نقاد الحديث وغيرهم أنه إذا تعارضت الروايات رجح الأكثر والأقوى ، وهنا ترجح روايات ذكر اللفظ ويحمل المطلق على المقيد .  
ومن دواعي ترجيح الزيادة أنها جاءت عن الزبير بن العوام في مستخرج الإسماعيلي وفي سنن ابن ماجه “ ، ومن حفظ حجة علي من لم يحفظ ، كما أن الزيادة جاءت في رواية عبد الله بن عمرو بن العاص وكان قارئاً كاتباً - كما في الصحيح - فروايتهم أوثق من غيره .

٢ — ما زعمه من أن هذه الكلمة وضعت ليسوغ بها الخ غير معقول ، ولا أدري - ولا أحد يدري - كيف يجتمع الوضع حسبة مع عدم التعمد ؟ إن معنى الحسبة أن يقصد الواضع وجه الله وثوابه وخدمة الشريعة - على حسب رعمه - بالترغيب في فعل الخير

[١] ج ١ ص ١٦٤ وما بعدها .

[٢] المرجع السابق فقد سرد فيه أسماء من روى عنهم من الصحابة بطريق صحيح أو حسن .

[٣] صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، صحيح مسلم

شرح النووي ، ج ١ ص ٦٥ - ٧٠ .

[٤] فتح الباري ، ج ١ ص ١٦٢ .

والفضائل ، وهم قوم من جهة الصوفية والكرامية جوزوا الوضع في الترغيب والترهيب ، فكيف يجمع قصد الوضع عدم اتعمد ؟؟؟ وتفسير الحسبة بأنها عن غير عمد غير مقبول ولا مسلم .

وأما تجويره أنها أدرجت ليتكى عليها الرواة الخ فردود . ذلك أن رفع إثم الخطأ أو السهو ليس بهذه الكلمة وإنما ثبت بأدلة أخرى وقد قرر في الشريعة أنه لا إثم على المخطئ والناسي ما لم يكن بتقصير منه ، فذكر الكلمة لا يفيد هؤلاء الرواة شيئاً ما دام هذا أمراً مقرباً ، والمر في ذكرها أن الحديث لما رتب وعيداً شديداً عن الكذب ، والمخطئ والساهي والناسي لا إثم عليهم ، كان من الدقة والحيلة في التعبير التقييد بالعمد وذلك لرفع توم الإثم على المخطئ والغالط والناسي ، قال الإمام النووي في شرحه على مسلم (١) : « وأما الكذب فهو عند المتكلمين من أصحابنا : الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه عمداً كان أو سهواً ، هذا مذهب أهل السنة . وقال المعتزلة : شرطه العمدية . ودليل خطاب هذه الأحاديث لنا فإنه قيد عليه السلام بالعمد لكونه قد يكون عمداً وقد يكون سهواً ، مع أن الإجماع والنصوص المشهورة في الكتاب والسنة متظاهرة على أنه لا إثم على الناسي والغالط فلو أطلق عليه السلام الكذب لتوم أنه يأتى الناسي أيضاً فقيده ، وأما الروايات المطلقة فمحمولة على المقيدة بالعمد وفاقه أعلم . »

على أن أئمة الحديث وإن قالوا برفع الإثم عن المخطئ والناسي والغالط ، فقد جعلوا ما ألحق بالحديث غلطاً أو سهواً أو خطأ من قبيل الشبه بالموضوع في كونه كذباً في نسبته إلى الرسول ، ولا تحل روايته إلا مقترنا ببيان أمره ، وإلى هذا ذهب الخليل وابن الصلاح والعراقي وغيرهم " ، وقد اعتبره بعض أئمة المرح - كابن معين وابن أبي حاتم - من قبيل الموضوع المختلق ، وذهب بعض الأئمة إلى أنه من قبيل المدرج ، ومهما يكن من شيء فقد جعلوا هذا النوع من العلط أو الوهم مما يظن في عدالة الراوي وضبطه .

٣ - من عجيب أمر هذا المؤلف أنه يتبع طريقة لا تقربوا الصلاة ، ويترك « وأتم سكارى » ، وقد رأيت آتفا ما صنعه فيما نقله عن ابن حزم من حبس عمر رضي الله عنه ثلاثة من كبار الصحابة على التحديث ، وقد صنع هنا في حديث (من كذب على معتمداً الخ)

[١] ج ١ ص ٦٩ .

[٢] مقدمة ابن الصلاح بشرح العراقي ص ١١٠ .

مثل ما صنع سابقا ، فقد نقل عن الحافظ ابن حجر أنه لا يرى تواتر حديث من كذب على الخ حيث قال - في ص ٤٢ - « ولأجل كثرة طرقة أطلق عليه ( جماعة ) أنه ( متواتر ) ونارح بعض مشايخنا في ذلك ؛ لأن شرط المتواتر استواء طرفيه وما بينهما في الكثرة ، وليست موجودة في كل طريق منها » . واقتصر على هذا التقدير ، وقد ترك ما ذكره الحافظ عقب هذا وهو ما نصه « بالحرف الواحد » وأجيب بأن المراد بإطلاق كونه متواترا رواية المجموع عن المجموع من انتدائه إلى انتهائه في كل عصر ، وهذا كاف في إفادة العلم ؛ وأيضاً فطريق أنس وحدهما قد رواها عنه العدد الكثير وتواترت عنهم ، نعم وحديث علي رواه عنه ستة من مشاهير التابعين وثقاتهم .

وكذا حديث ابن مسعود وأبي هريرة وعبد الله بن عمر . فلو قيل في كل منها : إنه متواتر عن صحابيه لكان صحيحا ، فإن العدد المعين لا يشترط في المتواتر ، بل ما أفاد العلم كفي ، والصفات العلمية في الرواة تقوم مقام العدد أو تزيد عليه كما قررته في نكت « علوم الحديث » وفي شرح « نخبه المكر » وينت هناك الرد على من ادعى أن مثال المتواتر لا يوجد إلا في هذا الحديث ، وينت أن أمثله كثيرة منها حديث ( من بنى لله مسجدا ) والمسح على الخفين ، ورقع اليبس ، والشفاعة ، والحوص ، ورؤية الله في الآخرة ، والأئمة من قریش وغير ذلك . والله المستعان .

والظاهر أن قوله وأيضاً الخ ، من كلام الحافظ لا من نقله . فهل بعد هذا الكلام الصريح الذي تعتمد المؤلف تركه يزعم أن الحافظ ابن حجر لا يقول بتواتره كما هو مخفى كلامه ١١٤ أما ما ذكره في حاشية ص ٣٩ من أن أدعياء السنة وعبيد الأسانيد في عصرنا لا يرلون يكابرون في إثبات الزيادة وكأنهم أعلم بالحديث من ابن قتيبة والبخاري والنسائي والمنذري والخطابي وابن حجر وابن القيم والسيوطي وغيرهم ، فهراء لا أرد عليه ، ولكني أقول له : ألا نستحي من ذكر البخاري وهو الذي خرج الزيادة في أكثر رواياته ؟ بل ومن ذكر الحافظ ابن حجر الذي أغض في بيان ثبوتها ؟ وصدق النبي الحكيم حيث يقول : ( إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء ) .

محمد محمد أبو شعبة

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

# هل من جديد

## في تأليف السيرة النبوية؟؟

يحتفل المسلمون في شق أقطارهم بذكرى مولد رسولهم ، وهي ذكرى توجهننا إلى سيرة الرسول الكريم وحظها من الدراسة والعلم ، فضلا عن الاقتداء والاتباع .

وكتب السيرة التي بين أيدي الناس متعددة منها القديم والجديد ، ومن أشهر القديم مغازي الواقدي ( المتوفى ٢٠٧ أو ٢٠٩ هـ ) ، وسيرة ابن هشام ( المتوفى ٢١٨ هـ ) ، وطبقات ابن سعد ( المتوفى ٢٣٠ هـ ) وكل هذه الكتب من أقدم ما كتب في السيرة ، وقد أعقبها تأليف أخرى مثل جوامع السيرة لابن حزم ( المتوفى ٤٥٦ هـ ) وإمتاع الأسماع للبكري ( المتوفى ٨٤٥ هـ ) . فضلا عما استهل به المؤرخون المسلمون تأليفهم في التاريخ الإسلامي العام من فصول في السيرة ، تقرأها فيما كتبه الطبري وابن الأثير .. الخ ثم شهدت المكتبة الحديثة مؤلفات متعددة في السيرة النبوية ، منها ما كتبه علماء المسلمين بالعربية وغيرها من اللغات الشرقية ، ومنها ما كتبه علماء المشرقيات من الأوروبيين بلغاتهم .

• • •

وللسيرة النبوية مكانها الممتاز من الدراسات الإسلامية ، إذ لها أهميتها الشرعية . لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ، ولها أهميتها التاريخية كنهج داعية ، وخطه دعوة ، وسياسة دولة .

ولقد تأثر التأليف في السيرة النبوية منذ أقدم عهوده بظروف معينة ، تعرض لها تدوين التاريخ الإسلامي عموماً ، من ذلك ارتباط التأليف التاريخي بمنهج الرواية في الحديث التي تستدعي بصرًا ثاقبًا بالرواة والمرويات يؤهل للتعديل والتجريح ، ومن ذلك انصراف معظم الجهود للفصل في إسناد ( أحاديث الأحكام ) التي يحتاج إليها المسلمون في عبادتهم ومعاملاتهم

وترك حقل ( الإخباريات ) بكرة يتطلب الجهود في تمحيص المادة الخام المتعلقة من عديد الروايات ، والاعتماد بعلم الرجال في الحكم على ما نأخذه وما ندعه من الأخبار المتباينة .

لذلك يحتاج التاريخ الإسلامى عموما - والسيرة النبوية جزء منه - إلى مناقشة وحرص على الأسس العلمية التى اتبعها نقاد الحديث ، والغريب أن بعض المستشرقين قد اتجهوا إلى ذلك فى حين فات هذا كثيراً من المسلمين . والمستشرق الألمانى يوليوس فلهاوزن يقول فى مقدمة كتابه عن الدولة العربية الذى نشرت ترجمته مؤخراً فى مصر بين مطبوعات الألف كتاب - وتاريخ المقامة يرجع إلى ١٩٠٢ م - : « إن الروايات القديمة المتعلقة بعصر بنى أمية توجد حتى اليوم على أوتق ما تكون عليه عند الطبرى ... » ثم يناقش المؤلف رواة الطبرى ويقول عن أبى مخنف : « ... وسلسلة الرواة الذين يذكروهم هى دائماً قصيرة جداً ، وهى أخيراً تنكشف انكناشاً تاماً فظراً إلى أن المسافة التى تفصل بينه وبين الأحداث التاريخية التى روى أخبارها كانت لا تزال تقصر شيئاً فشيئاً ، هذا إلى أن سلسلة الرواة تنوع بحسب اختلاف الأحداث وتنوع الروايات الخاصة بها ، بحيث نجد أمامنا طائفة كبيرة جداً من أسماء رواة نجهلهم جهلاً تاماً ... وكيف كان يمكن أن يسلك أبو مخنف فيما كتب طريقاً غير الذى سلكه ؟ فلم تقدم له المصادر المكتوبة مادة كبيرة يستطيع أن يعتمد عليها ، وهو قد انتفع بها ما كانت فى متناول يده ، ولكن من غير أن يجتهد فى البحث عنها وفى جعلها أساساً على نحوه منظم ، وأهم ما صنع من حيث تقدير قيمة الروايات هو أنه جمع طائفة كبيرة من روايات متنوعة ومن أخبار عن الشيء الواحد مختلفة فى مصادرها ، بحيث يستطيع الإنسان أن يوازن بينها ويعرف الصحيح المؤكد منها من غيره ... » ١ . هـ

هذا كلام أجنبي عن لغة العرب وثقافتهم ، بلقى العنت فى فهمها ومضمونها وتذوقها ، أما مؤلفونا العرب فما أكثر ما ينقلون دون أن يكلفوا خاطرهم تحقيق رواية أو تمحيص سند ، وكثير منهم قد لا يعرفون ( حكاية الرواية والإسناد ) على وجه الإطلاق . والذى يرى ما تكبده مستشرق مثل بروفنسال فى تحقيق كتب أنساب العرب - مثل كتابى ابن حزم وأبى عبد الله الزبيرى اللذين نشرتهما دار المعارف فى مصر - يتبين كم نحتاج من عزم وعلم وأمانة لتبیین تاريخ أسلافنا .

وتاريخ السيرة النبوية يرجع في أقدم مصادره الموجودة إلى ابن اسحق ( المتوفى حوالي سنة ١٥٢ هـ ) وهو الذي أخذ عنه ابن هشام . كما يرجع إلى الواقدي الذي أخذ عنه كاتبه ابن سعد في كتابه ( الطبقات ) .

والذي يقرأ ما تناقلته الآراء عن ابن اسحق والواقدي ، يجد أن مزاعمهما بين الرواة ليست كمنزلة رجال الحديث ، ويجد أن ( السيرة ) ما زالت تحتاج إلى جهود كثيرة في جمع المادة التاريخية من مصادرها الوثيقة ، فضلاً عن تحليلها وتركيبها .

فقول الروايات عن ابن اسحق « وقد عاداه في المدينة عالمان كبيران : هشام بن عروة ابن الزبير ، ومالك بن أنس . وكان ابن شهاب الزهري وغيره يثنون عليه ، وقد اتهم بالتشيع والقول في القدر » .

ولما رحل إلى العراق اختف العلماء فيه هناك كما اختلفوا فيه في المدينة من مجرح ومعدل ، وقد عقد الخطيب البغدادي فصلاً طويلاً حكى فيه الأقوال التي قيلت له والتي قيدت عليه ، ولم يحكم بينها كعادته ، ووقف بعضهم في ذلك موقفاً وسطاً فقالوا : إن سعة عليه لا تسكر ، وإنه لم يكن كاذباً ، ولكنه كان قديراً وكان يتشيع ، وكان لا يتقيد بالقيود الكثيرة التي لا يتقيد بها ثقات المحدثين ، فيقول فيه ابن حنبل « كان رجلاً يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه ، والمحدثون لا يرضون هذا ويشترطون السماع ، و« كان يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفضل ذا من ذا » والمحدثون يكرهون ذلك ويشددون في نسبة كل جزء من الحديث إلى فائله . . . . ونكتفي بهذه المأخذ العلية التي أجعلها صاحب ( ضحى الإسلام ) نفلاً عن المراجع التاريخية .

وتقويم ( ابن اسحق ) كراوية أمر شديد الأهمية في دراسة السيرة ، إذ هي منهل توارث عليه مؤرخو السيرة ، فسيرة ابن هشام - وهي مصدر له خطر في هذا الباب - مستمدة مما رواه ابن اسحق ، وكذلك الحال في سيرة ابن حزم . يقول محققا السيرة الأخيرة - الدكتوران إحسان عباس وناصر الدين الأسد - في تقديم الكتاب « ويدلنا البناء العام لكتاب السيرة على أن ابن حزم يتكئ كثيراً على سيرة ابن اسحق وخاصة حين أخذ في الحديث عن غزوات الرسول واحدة واحدة ، وعند في كل غزوة أسماء من شهداها من

المسلمين والمشركون وأسماء من استشهد من المسلمين . حتى إن شدة اتباعه لرواية ابن اسحق في هذه المواطن لتطعنا على طاهرة عجيب ، فقد حافظ ابن حزم على النسب الكامل لأكثر من ذكرهم من الأشخاص ، وليس هذا مما يستغرب منه وهو صاحب (الجمهرة في الأنساب) ، إنما الغريب حقا أنه في السيرة اختار رواية ابن اسحق نصه في النسب بينما لم يأخذ بها في الجمهرة ، فلهذه ألف الكتابين في فترتين متباعدتين ، أو لعل مصادره في الجمهرة كانت كتابا أخرى . . . . .

وأما الواقدي فيجمل الآراء فيه صاحب الضحى فيقول : « وقد وقف في الواقدي المحدثون موقفهم من ابن اسحق من معدل ومجرح ، وحكى أقوالهم أيضا على اختلافها الخطيب البغدادي . فكان يثق به مالم لا يثق بابن اسحق ، وكان يثق به محمد بن الحسن من الخنمية ، واثقه بعضهم بأمر المؤمنين في الحديث ، ويثق به ابن عبيد القاسم بن سلام القفوي الشافعي ، كما كان يطعن عليه على المدني ويقول « عند الواقدي عشرون ألف حديث لم يسمع بها » ويتول يحيى بن معين « أعرب الواقدي على رسول الله عشرين ألف حديث » وقال أحمد ابن حنبل : « الواقدي يركب الأسانيد » وقال الشافعي « الواقدي وصل حديثين ، أى لا يصح أن يوصلا . . . والظاهر أن مطعن المحدثين عليه كقطعهم على ابن اسحق : أنه يأخذ من الصحف والكتب ، وأنه كان يجمع الأسانيد المختلفة ويحجى بالمتن واحدا ، مع أن جزءا من المتن لبعض الرواة وجزءا آخر لرواة آخرين . . . . .

والواقدي هو مصدر ابن سعد ، لكن الأخير حظى من الخطيب البغدادي بهذا التندير « محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة . وحديثه يدل على صدقه ، فإنه يتحرى في كثير من رواياته » .

\*\*\*

لست أريد أن أفصل في قضية توثيق ابن اسحق أو الواقدي ، ففي الموضوع كلام كثير يستطيع من يتطلب هذا المقصد أن يراجع في كتب التاريخ والتراجم ، وفي الأبحاث التي عندها بعض المحققين في معرض تقديم طبقات حديثة من كتب السيرة القديمة ،

ولست أريد أن « أشوش » على قيمة المادة التاريخية الموجودة بيننا من سيرة الرسول ، بل إنني لأردد مع علامة الهند السيد سليمان الندوي « لقد شهدت الدنيا أصدق شهادة »

ثم ازداد ثبوتاً على الأيام بأن الإسلام لم يقتصر على حفظ سيرته صلى الله عليه وسلم ، بل توسع في ذلك إلى ما يتعلق بها من كل النواحي وصان هذه الأمانة القدسية فلم تلسها يد الضياع إلى درجة أن العالم كله يقف من ذلك موقف العجب والاستغراب ، ، ،  
 ما السبيل إذن إلى هذه الكنوز المنخورة ، ومؤرخو السيرة يقال عنهم ما يقال ؟ .  
 يجب أن يعرف كل دراس للإسلام حتميتين مهمتين في هذا الصدد .

الحقيقة الأولى : أن كتب السيرة ليست هي المصدر المفرد الذي تنحصر فيه مادة السيرة التاريخية ، بل وليست هي أول المصادر وأهمها . فالسيرة مشبوة في كثير من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول صحيحة البخاري ومسلم وغيرهما من دواوين الإسلام المعتمدة .  
 الحقيقة الثانية : أن هناك فارقاً بين تدوين السيرة - وما فيه من مأخذ - وتدوين الحديث وما فيه من قواعد ضابطة مضبوطة : والبيان وإن كانا يتعلقان بشخصية الرسول الكريم إلا أن ظروف التأليف فيهما ليست واحدة .

ولقد بذل الأستاذ محمد عزة دروزة جهداً طيباً في كتابة السيرة معتمداً على نصوص القرآن الكريم أساساً وينبغي أن تتعدد المحاولات في هذا الباب ، كما ينبغي أن تبذل محاولات لكتابة السيرة بالاعتماد على ما ورد في صحاح الأحاديث والسنة وهي المصدر الأول لها :  
 ولا يحسن القارىء أن مادة السيرة التاريخية ستضرب مواردنا إذا تركنا كتب السيرة المتداولة - وأنا لا أدعو إلى هذا الترك على كل حال - بل إننا سنجد ذخيرة موفورة في كتب الحديث . ولو تأملنا كتاباً للحديث كصحيح البخاري مثلاً فإتينا سنجد فيه كثيراً من الأبواب التي تتناول المادة التاريخية للسيرة النبوية من قريب أو بعيد مثل : بدء الوحي . فضائل المدينة . الجهاد والسير . المناقب . فضائل أصحاب النبي . مناقب الأنصار . المغازي . الفتن ، الأحكام . الخ ، ، ، وسنجد المادة التاريخية مشبوة في تضاعيف بعض أبواب الأحكام نفسها ففي الصلاة والأذان والجمعة وصلاة الخوف وصلاة العيدين وقصر الصلاة والزكاة والحج والصوم والنكاح بيان لمناسبات فرض هذه الأحكام مما يتعلق بالسيرة النبوية على وجه من الوجوه .

وكأزيد القارىء بياناً وبقيناً سأصع أمام عينيه نموذجاً تطبيقياً . وضع الأستاذ فسنسك معجماً للكشف عن الأحاديث النبوية ومواقعها في الكتب المعتمدة ، فلو فتحنا



مادة ( محمد صلى الله عليه وسلم ) لوجدنا أحاديث صحيحة في كتب السنة تدور حول كثير من موضوعات السيرة أقطف منها ما يلي ليتبين القارى غزارة المادة التى نصيبها لو اعتمدنا على كتب الحديث :

« نسبه ... لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله فيهم قرابة ... ولادته عام الفيل . الترتيب التاريخى للوقائع فى حياة الرسول ... ما حصل وقت ولادته ... رضاعه فى بطن سعد . شريك النبي فى الجاهلية فى التجارة . عنايته بشدة إزاره وهو ينقل الحجارة مع عمه العباس . أشد ما لقي من قومه يوم عرض نفسه على ابن عبد ياليل . كيف ألقى سلى جزور على ظهره وهو ساجد ... الخ » .

ويطول بي الأمر لو أردت ( عناوين ) فقط استغرقت خمسا وعشرين صفحة من القسط الكبير . وتحت هذه العناوين إشارات لأحاديث متعددة وردت فى كتب السنة تتناول الموضوعات التى تعبر عنها هذه العناوين ، هذا فضلا عن إحالات لموضوعات بحثت فى مواد أخرى غير مادة ( محمد ) التى نحن بصدها ، مثل ( قريش ... الهجرة ... الشفاعة ... الحديثية ... فاطمة ... الخ ) .

وعلماء السيرة يعرفون هذه الحقيقة البديهية ويوضحونها ، يقول علامة الهند سليمان الندوى فى محاضراته عن ( الرسالة المحمدية ) : « وأريد أن ألقت أنظاركم إلى المصادر التى أخذت عنها سيرة النبي وهديه ، وإن أهم ما فى سيرته وأوقتها هو ما اقتبس من القرآن الحكيم ، والمصدر الثانى كتب الحديث ، وهى كتب حفظت لنا من أقوال النبي وأفعاله وأحواله ما يبلغ مائة ألف حديث ، ومن الكتب المصنفة فى الحديث الكتب الستة الصحاح التى يحصر العلماء كل ما ورد فيها وذكروا شواهد ومنابعه ، حتى لم يتركوا فى النفوس منزع ظفر لمحقق منصف بل ولا لمدقق جائر ، ويتلو الكتب الستة كتب المسانيد ... » وقد ذكر بعد ذلك كتب المغازى والتاريخ والدلائل والشمال .

وبالنسبة لوفرة المادة التاريخية فى كنوز السنة يذكر الأستاذ الندوى : « أما المحدثون الكرام من علماء المسلمين فقد جمعوا كل ماله علاقة بالنبي صحيحا كان أو سقيا ، وجمعوا لنقده قواعد وأصولا لتحقيقها أصولا ، وهم قد حفظوا شئون حياة النبي وأحواله وأخباره كلها

ولم يتركوا أمراً من أموره ولا شأناً من شئونه إلا ذكروه ، حتى لقد وصفوه في قيامه وجلوسه ونهوضه من النوم ، وهيئته في صحبته وابتساماته ، وعبادته في ليله ونهاره ، وكيف كان يفعل إذا اغتسل وإذا أكل ، وكيف كان يشرب ، وماذا كان يلبس ، وكيف يتحدث إلى الناس إذا لقبهم ، وما كان يجب من الألوان ومن الطيب ، وما هي حليته وشمائله ، ووصفوا جسده الطاهر وصفاً كاملاً كأنك تراه ، ووصفوا حياته العائلية من معاشرته الرجل أهله وحليته ، وأتبعوا ذلك بذكر الطهارة من الغسل . . . . . وأسعرض لكم فهرسة أقدم كتاب في الشمائل للترمذى ، لتعلموا كيف ضبط المسلمون أحوال النبي وأحصوا أخباره جليلها ودقيقها . . . الخ ، وذكر المؤلف قائمة تشمل ٥٢ موضوعاً وردت في الشمائل للترمذى . وفي المكتبة الإسلامية نموذج من السيرة المعتمدة على السنة الصحيحة ، نقرأها في الكتاب النفيس « زاد المعاد في هدى المعاد » للإمام ابن القيم . غير أن هذا الكتاب تبرز فيه وقائع السيرة بأحكام الفقه ، مما لا يسد الحاجة لكتاب يتفرد لمعالجة السيرة على أساس من صحاح السنة .

#### وما يصير كتب السيرة المتداولة ؟؟

لست أدعو بحال لأن نطرح كتب ابن هشام أو الواقدي أو ابن سعد في استحقاق ومذاحة ، وإنما أقول إن من شأن تحقيق وقائع السيرة على أساس من القرآن الكريم ، كما فعل الأستاذ دروزة في كتابيه ( عصر النبي قبل البعثة ) و ( سيرة الرسول ) - ثم على أساس من السنة الصحيحة - كما نرجو أن يتم - فمن شأن هذا وذاك أن يقيم بين أيدينا ميزان الحق الذي نحصي به مرويات ابن إسحق والواقدي ومن أخذ عنهما إذا اضطرت أمانتنا الروايات ، ولم نستطع القطع والترجيح . وليس الأمر مقصوراً على كتاب واحد في هذا الاتجاه أو ذاك ، فكما أن للقرآن عدة تفاسير ، وللبخاري عدة شروح ، فلا حرج أن نقرأ عدة كتب تستقى السيرة النبوية من معين القرآن أو جداول الحديث ، ومن اجتهد فهو مأجور على كل حال .

وقفنا الله للإفادة من سيرة نبينا ورسالة

فتحى عثمان

## التفسير العلمي للقرآن

إن الذي يدفعنا إلى الخوض في هذا البحث هو ما نراه بين ظهرانينا من الشغف المبرر في تأويل آيات القرآن الكريم بتوافق النظريات الحديثة ، والتمسك في استنباط كل اختراع وابتكار من نصوصه ، ظانين أن هذا فتح جديد في التفسير ، وأسلوب مبتكر في الفهم ، وهم يحسبون أنهم يعملون هذا يحسنون صنعا ويسدون بدأ للإسلام .

إن التفسير العلمي هو الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في فهم آيات القرآن ، ويجهت في استخراج العلوم والآراء الفلسفية فيها بتحميل الألفاظ ما لم تعرفه العربية ولا يقره أسلوبها من قوانين طبيعية ونظريات كيميائية ورموز ومخترعات إلى غير ذلك من كل ما يمت بسبب إلى علم الطب والفلك وعلوم الحيوان والنبات .

انقسم العلماء بإزاء هذا النوع فرقتين :

فريق أخذ بهذا الرأي واتسع فيه حتى جعل من القرآن إجماعاً علمياً باشتغال على كل المخترعات والمستحدثات من طيارات وغواصات وقنبلة ذرية وأجهزة للتدمير وآلات للتحريب ، ولو أدى ذلك إلى قطع الآية من أخواتها في السياق وسلخها مما قبلها وما بعدها ، مستلدين في ذلك بقوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » .

فانظر إليهم مثلاً حيث يستدلون على حركة الأرض ودورانها بقوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » . ناسين موقع الآية وسياقها . ولو قرءوا ما قبلها وما بعدها لعلموا أن هذا الوصف خاص بيوم القيامة ، قال تعالى : « ويوم ينمض في الصور ففرع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين » . وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتت كل شيء له خبير بما تعملون . من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزؤون إلا ما كنتم تعملون » . أرايت إلى جهة الوصف فهو مشهد من مشاهد يوم القيامة . وقد تكرر هذا في وصف الجبال حيث قال تعالى : « يوم تورد السماء موراً وتسير الجبال سيراً » ، « وإذا الجبال سيرت » ، « يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثياً مهيلاً » إلى غير ذلك من الآيات .

وهنا نقرر مبدأ للتفسير الصحيح وهو استقرار الآيات وتبويبها وجمعها كلها ما دامت تتكلم عن موضوع واحد . ثم النظر إليها جملة فإذا هي أشعة يلقى بعضها ضوءاً على بعض فيبرز المعنى واضحاً صحيحاً . وهذا هو معنى قول القدماء : إن خير نوع من التفسير أن يفسر القرآن ببعضه بعضاً ، وهو منهج قد بدأ به صلوات الله عليه عند تفسيره لكلمة ( الظلم ) فيما رواه الشيخان والترمذي : لما نزلت : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » قال بعض الصحابة يا رسول الله وأينما لم يلبس إيمانهم الظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بذلك ، ألا تسمع إلى قول لقمان : « إن الشرك لظلم عظيم » .

مثال آخر من إسرارهم في التأويل ، والشفف بإتحام الآيات وإخضاعها للنظريات الجديدة .

قال تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » فيحملون وصف الرياح باللواقح على أنها لواقح للزرع والشجر ، وهذا منهم إغفال للنصف الثاني من الآية وهو : « فأنزّلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أتم له بخازنين » إذ لو كان ما ذهبوا إليه هو المراد لترتب عليه إزكاء الزرع وإخراج الثمر للناس يأكلوه ، لا إنزال الماء من السماء للناس يشربونه ويخزنونه . ثم ما فائدة « الغاء » في قوله تعالى : « فأنزّلنا من السماء ماء » ، ثم « الغاء » في قوله : « فأسقيناكموه » ، فالملامحة هنا هي بين قطرات وخطرات أو بين سحاب وسحاب لا بين زهر وزهر أو نبات ونبات .

فالآية الكريمة المذكورة هي مظهر من مظاهر الإعجاز المتجدد للقرآن لأن تلاقي السحاب وأثره في نزول المطر أمر كان يحمله الإنسان حتى كشف عنه العلم الحديث . وفي هذا تطابق تام بين العلم والقرآن الكريم .

إلى غير ذلك من الأمثال مما لا حاجة فيه إلى كل هذا الإغراق في الفهم والبعد في التأويل . إذ لا يتوقف فهم هذه الآيات ومثيلاتها على مثل هذه التوجهات والالتجاء إلى الحقائق العلمية والنظريات الطبيعية . بل أسلم طريق في ذلك هو السلوك في فهمها مسلوكاً سهلاً يتمشى مع ما تبدل عليه الأنساق دلالة لغوية وبتلام مع سياق الآيات تلاؤماً طبعياً في غير ما توسع ولا إطلاق مما لم تعرفه اللغة ولم يستعمل فيها وما لا حاجة بالتشريع والهداية إليه .

وأما ما استدلوا به من قوله تعالى : ما فرطنا في الكتاب من شيء ، فقد روى ابن عباس في تفسير ( الكتاب ) هنا أنه اللوح المحفوظ - وهو خلق من عالم الغيب أثبت الله فيه مقادير الخلق ما كان منها وما يكون بحسب النظام المعبر عنه بالسنة الإلهية .  
وممن من يفسر ( الكتاب ) بالعلم الإلهي المحيط بكل شيء شبه بالكتاب بكونه ثابثاً لا يبدى .

وقال بعضهم أن المراد ( بالكتاب ) هنا القرآن ، والمراد بقوله ( من شيء ) الشيء الذي هو من موضوع الدين الذي يرسل به الرسل وينزل به الكتاب ، وهو الهداية ، لأن العموم في كل شيء بحسبه . أى ما تركنا في الكتاب شيئاً من ضروب الهداية التي ترسل الرسل لأجلها إلا قد بيناه فيه .

وفريق آخر أنكروا هذا النوع من التفسير - وهو التفسير العليّ - ولم يأخذ بمثل هذه التوجيهات ، مستدلين على منعهم :

أولاً : بأن هذه الشريعة المباركة أمة لأن أهلها كذلك فلا يحتاج في فهم كتابها وتعرف أوامرها ونواهيها ، إلى العلوم الكونية ، والرياضيات الهندسية وما إلى ذلك .

ثانياً : أن هذا القرآن موجه إلى من نزل فيهم من العرب وهم ليس لهم عهد بهذه العلوم التي لم تعرفها الدنيا إلا بعد ما جازت آماداً فسيحة ، فإذا قصد القرآن إليها ، وآياته لا تفهم إلا بالوقوف عليها يكون حيثئذ كلاماً غير مطابق لمقتضى الحال ، وحاشاه أن يكون كذلك . فوجب إذن أن تقف بعباراته عند فهم العرب الخالص ، ولا تتجاوز ما ألفوه من علومهم ، وأدركوه من معارفهم .

ثالثاً : أن النظريات العلمية ، والحقائق الطبيعية عرضة للتبديل والتغيير ، فإذا أخذنا بها في هذا النوع من التفسير كان فهم الآيات أيضاً عرضة للتغيير والتبديل ، مما يبعث على الشك ، ويؤدي إلى الريبة والبلبلة والاضطراب .

والرأي الذي نميل إليه هو أننا في حاجة شديدة إلى أعضاء من العلم تكشف لنا عن حكم وأسرار جاءت بها الآيات الكريمة ، ولا ضرر من عدم قصر فهمه على ما عند العرب في حلها ومألف معارفها ؛ لأن القرآن أنزل للناس كافة يأخذ كل على قدر استعدادة وحاجته ما دام ذلك لا يتنافى مع ما قصده القرآن من الهداية ، وما يهدف إليه من الإرشاد .

فكم من حكمة فيه إذا ما مستها يد العلم أسمرت أسرارها وطهرت أنوارها وأبانت عن سر إعجازها وسحر بيانها . وفي هذا نوع من الإعجاز العلى فإن للكلام — كما ذكر عالم من كبار علماء عصرنا عليه رحمة الله — عايتين متباعدتين عند الناس فلو أنك خاطبت الأذكياء بالواضح المكشوف الذى تخاطب به الأغبياء لزلت بهم إلى مستوى لا يرضونه لأنفسهم فى الخطاب ، ولو أنك خاطبت العامة بالمحبة والإشارة التى تخاطب بها الأذكياء لجثتم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم . فلا غنى لك — إن أردت أن تعطى كلنا الطائعتين حظها كاملا من بيانك — أن تخاطب كل واحدة منهما بغير ما تخاطب به الأخرى كما تخاطب الأطلعال بغير ما تخاطب به الرجال . فأما أن جملة واحدة تلقى إلى العلماء والجهلاء وإلى الأذكياء والأغبياء وإلى العامة والخاصة فيراها كل منهم مقدرة على مقياس عقله وعلى وفق حاجته فذلك مالا يجده على أتمه إلا فى القرآن الكريم . فهو قرآن واحد يراه البقاء أوفى كلام بلطائف التمييز ، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم لا يتولى على أفهامهم ، ولا يصعب على إدراكهم ولا يحتاجون فيه إلى ترجمان وراء وضع اللغة ، فهو متعة العامة والخاصة على السواء ، ميسر لكل من أراد ( ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ) ، ( كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ) .

وقال الإمام الراغب الأصفهاني فى مقدمة تفسيره : —

« أخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه فى أجل صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جلتها ما يتفهم ويلزمهم الحجة ويفهم الخواص من أنثائها ما يوفى على ما أدركه فهم الحكماء . ومن هذا الوجه ، كل من كان حظه فى العلوم أوفر كان نصيبه من علم القرآن أكثر ولذلك إذا ذكر تعالى حجة إلى ربوبيته ووحداً نبته أتبعها مرة بإضافتها إلى أولى العقل ، ومرة إلى أولى العلم ، ومرة إلى السامعين ، ومرة إلى المفكرين ، ومرة إلى المتذكرين ، تنبها على أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها ، .

فالقرآن لا يصادم شيئاً أثبتته العلم الصحيح بل كثيراً ما يكون فيه إشارة إليها .

فن ينكر أننا فى حاجة ملحة إلى علم الأجنة يحدثنا عن قوله تعالى ( فلينظر الإنسان مِم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب ) .

وإلى علم الحياة بين لنا أدوار الجنين فى قوله تعالى ( ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين .

ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ) .

ومن ذا يحدثنا إذا لم يحدثنا علم الطب عن قوله تعالى « ويسألونك عن الحيض قل هو أذى » فيبين لنا مبلغ هذا الأذى وهل هو جسمى أو عصبى أو مزاجى أو نفسى .  
والإليك ما كتبه فى تفسير هذه الآية أحد الأطباء المعاصرين فى كتاب له ( وحى وبيان من لب القرآن ) .

نزلت هذه الآية تمنع الرجال من مباشرة نساءهم أثناء حدوث الحيض كمثل صادق ملزم بتحديد الأوقات المناسبة لمباشرة النساء التى يراعى فيها قبول المرأة كما يراعى شعور الرجل ، وهى فترة إجباريه على الرجال يعاملون نساءهم فيها يعاملها من فترات بأدب القرآن الذى شرعه فى هذه الآية .

والأذى فى هذه الآية لمعظم محتمل معنيين :

( أذى ) بمعنى إيذاء وضرر ، و ( أذى ) بمعنى قذى مجوج تعافه النفس ، والمواطأة أثناء فترة الحيض فيها ، وهذان النوعان من الأذى لكل من المرأة والرجل ، إذ يتسبب عنها فى المرأة زيادة فى احتقان جهازها التناسلى بما قد ينشأ عن ذلك من آلام أو مضاعفات كنزف دموى أو اضطراب فى دورة الحيض أو التهابات بالأعضاء التناسلية . هذا فضلاً عن أن إحساس المرأة بالآلم إذا ما بوشرت أثناء الحيض ، نظراً لما تعانيه من احتقان بأعضائها التناسلية بسبب لها إرهاقاً عصبياً ، إذ أن أعصابها تكون حينذاك مرهقة غير طبيعية ، كما أن رغبته للبشارة الجنسية تكون خاملة راکدة فى هذه الفترة بسبب حدوث شيء من الاضطراب فى إفراز الهرمونات الداخلية لبعض الغدد الصماء ، وهذا من شأنه أن يولد فى نفس المرأة حالة جفاء نفسى بالنسبة للرجل . ففى فيه حيواناً نهماً لا يكثرث بشعورها ، ولا يحس بألمها ، ولا يبالى بتهيئة أسباب الراحة اللازمة لها ، فى هذه الفترة العصبية .

وليس الأذى الذى يلحق بالرجل بأقل مما يلحق بالمرأة ، إذا ما أتاها فى أثناء الحيض إذ قد يصاب بالتهاب صديدى بمجردى البول نتيجة لانتقال بعض الجراثيم المتأقلة فى جهاز المرأة التناسلى ، وناهيك بما يتألم الرجل من شعور عميق بالاشمئزاز الذى قد يسبب له عقدة نفسية تؤثر على قواه الجنسية .

لذلك كان لزاماً أن يأمر الله المحيط العليم الحكيم باعتزال النساء في المحيض والاعتداد  
عن غشيانهن حتى يظهن بانقطاع دم الحيض والاعتسال ، أرايت إلى ما اشتملت عليه  
كلمة ( أذى ) من أسرار وحكم ، وهذا هو معنى الإعجاز العلى للقرآن الكريم .

فالحق أن كل ما يساعد من العلوم على الكشف عن أسرار التشريعات الإسلامية ،  
والدلالة على قدرة الصانع الحكيم ، والإبانة عن مبلغ آياته ونعمه ، ولا يتعارض مع أسلوب  
اللغة ومألوف تعبيرها من غير إغراب ولا تكلف ولا إغراق في التأويل وإسراف في التجديد  
فهو مما يجوز أن يستخدم في تفسير آيات القرآن الحكيم ، فهو لا نفق عجائبه . ولا  
تخصي أسرارها .

عبد الوهاب حموده

### من وحي الثورة العراقية

واستيقظت ( بغداد ) تشهد مولد البحث الجديد  
نفضت رداء الدل عنها ثم ضجعت بالنشيد  
ومضت تشق الصخر تحفر فيه آيات الخلود  
عملاقة الخطوات فتتألمع الحواجز والسدود  
صخباً ، هدارة الأمواج تمصف بالقيود  
بمروش من باعوا العروبة واستهانوا باليهود  
بالخائنين ، عيب الاستعمار أذنب اليهود  
( بغداد ) حي ثورة الأحرار قد طلع الصبح  
قد أشرقت شمس العروبة في روائيك الفساح  
وقد انتقلت من الليالي السود مزقت الوشاح  
وصرعت أقطاب الخيانة في ( الزحاب ) المتباح  
سعيد ( حطين ) الرهيبة عند ( بيروت ) ( صلاح )  
ويسير زحف الشعب أماماً يطلق بالرياح  
أبو السعود الجهنى



## عبر

عين الله لا تغفل ، ولكن خلق الإنسان عجولاً ولو اعتصم المظلوم بالصبر لرأى في الظالم يوماً - قرب أو بعد - فكم من الأحداث ما يكاد ينسى الحليم حله ، ويذهب عن العاقل لبه ، ويبعث في ضعاف النفوس القلق والشك ، ثم الصلال والإلحاد ، ثم يكون من تصارييف القدر ما يرد النعم في العين ، ويعيد الرضا إلى القلوب ، واليقين إلى النفوس . فكم من ظالم أسرف في ظله ، وبالغ في هذا الإسراف ، ونسى كل شيء إلا أنه قادر مطلق . وتذكر كل شيء إلا أن وراءه رقيباً شديداً الحساب . وزاده طغياناً وجبروتاً أن مدله القدر ، وأمهله السماء ، وممكن له في الأرض ، ثم تنزل به المحنة فيصبح ذليلاً مهيناً ، والله تدير لا تدركه عقولنا الضيقة ، ولا تصل إليه أفهامنا القاصرة ...

ومن رزقه الله العقل الحصيف ، والقلب السليم ، تفتن لهواقب الأمور ، ونبه لمراتع العلم ، وأدرك أنها مراتع وخيمة ، ومصابر أليمة ، وما يذكر إلا أولو الألباب .

ومن طمس الله على بصيرته ، وألقى على بصره غشاوة ، لم ينظر أبعد مما تحت قدميه ، ولم يتبصر فيما حواليه ، ولم يراجع أحداث التاريخ ، ثم يقرن بين المتشابهات ، ويوائم بين النظائر ، فيعرف بذلك سنة الله في الكون ، ونواميسه في الحياة .

وقد جرد الله أولئك الذين يمرون على أحداث التاريخ فلا يأخذون منها العظة ، جردهم من العقل ، حيث يحاطب مشركي العرب من أهل مكة ، ويلفت أنظارهم إلى ما نزل بقوم لوط ، وإنه لأمام أعينهم ، يروونه وافسين إلى الشام ، وراجعين منها ، مصبحين وممسين ، ولكنهم لا يعقلون : « ثم دمرنا الآخرين ، وإنكم لترون عليهم مصبحين ، وبالليل أفلا تعقلون » .

ودعا القرآن إلى التدبير ، والتسكير ، والنظر ، وأولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كلن عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم

وما كان لهم من الله من واق . ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا ، فأخذهم الله ،  
إنه قورى شديد العقاب .

وقديما قيل : العاقل من اتعظ بغيره ، ولكننا نرى في زماننا هذا ، كما قرأنا في كل  
أدوار التاريخ ، الغافلين الذين لا يتعطون بمصاير الآخرين .

كان في مصر حكم فاسد ، وملك مستبد ، سام الشعب ألوان العذاب ، وجر على البلاد  
أصناف الخراب ، وطغى وبغى ، ثم جاءه المصير المشئوم ، والحساب العادل ، فهوى عرشه  
وزال ملكه ، ولفظته البلاد ، ولعنه العباد ، فكان حريا بأمثاله أن يأخذوا من مصيره  
عبرة ، ومن يومه المشهود نذيرا ، ولكنهم استمروا في غلوائهم ، وأسرفوا في التشكيل  
بشعوبهم ، ولم تمض غير سنوات ست حتى شهدنا العبرة الأخرى ، وكانت هذه المرة على أرض  
الرافدين ، فتمست الأمة العربية كلها الصعداء ، ومع ذلك لانزال نرى رؤسا قائمة على أجسادها  
تسلك نفس السبيل الذي سلكه الطغاة الداهيون ، وتمارس نفس الأعمال والمظالم التي كانوا  
يمارسونها ، ( أقلل يعقلون ) ١٤

والذي ينزل بالحاكين الظالمين ، ينزل بكل من يقترف في حق الشعوب أو الأفراد أى  
نوع من أنواع الظلم ، وربما عجل العقاب .

قرأت أخيرا أن الماسجور كلود الذى أمر بإلقاء أول قنبلة ذرية على مدينة (هروشيا)  
أصيب بالآرق ، فيتمزق في نصف الليل ويعود كالذئب المسعور ، وقد توالى عليه نوبات  
الجنون ، ثم راح يرتكب سرقات أودع بسببها السجن .

ويحدثنا التاريخ الإسلامى أن الدين اشتركا في قتل الحسين بن على رضى الله عنه ،  
يوم كربلاء ، لقوا جميعاً جراحهم العادل في الدنيا ، وحسابهم يوم القيامة إلى الله ، فالفارسي  
الذى احتز رأس الحسين لم يطل به الأمد ، ذلك أنه كان حريصا على أن يكون أول مبشر  
للأمير لينال عهده يدا ، ومضى بالرأس بين الفخر والخيلة ، والفرح والغبطة ، ويقف على  
عبدة الله بن زياد ، وهو - يومئذ - والى الكوفة ، وينشد :

أوقر ركباني فضة وذهباً إلى قتل الملك المحبب  
قتلت خير الناس أما وأبا وخيرهم إذ ينسبون سبا

فيغضب الأمير غضبه ، ويصيح في الرجل : إذا كان خير الناس أما وأباً لم قتله؟ ثم يأمر بضرب عنقه .

وقد جاء في كتب التاريخ القديمة أنه وجد في عسكر الحسين طيب انتهب ، فما تطيبت به امرأة إلا ذهلت .

وكان خاتمة أمر قتلة الحسين أن سلط الله عليهم جباراً عنيداً هو المختار الثمني ، فكان لا يعلم برجل اشترك في قتل الحسين أو شهده إلا قتله ، أو هدم داره ، وربما حرقه تحريقاً .

وعبيد الله بن زياد ، قتل ، بعد أن طرده أهل العراق ، وأرسل رأسه إلى علي بن الحسين فوجده الرسول يتغدى ، فلما وضع الرأس بين يديه قال : سبحان الله ما اغتر بالدنيا إلا من ليس لله في عنقه نعمة ، لقد جيء برأس أبي إلى ابن زياد وهو يتغدى .

وبعد ، فهل يرجع الضالون إلى عقولهم ، ويستضيئون بالأحداث التي وقعت للآخرين؟ وهل يكف كل ظالم عن ظله ، ويعلم علم اليقين أن الله عينا لا تام ، وأن الله يعمل ولا يعمل وهل يجلس في بيته مغمضاً عينيه ، ويسبح بفكره فيرى العبر حواله ، تملأ الفضاء ، وتفيض بها بطون الكتب؟

عبر كلها الليالي ، ولكن أين من يفتح الكتاب ويقرأ؟

على العماري

المدرس بالأزهر

## في مولد الهادي

رجعت لله أشد فوق قشاري	وأشد الشعر للهادي بأشعاري
يامنقذ الناس من طغيان أنفسهم	لولاك صار جميع الناس في النار
ذكرى وفيها عظات وهي مدرسة	لقاتين وآيات لأحمرار
وأمة الضاد في أمراحها لبست	لأجل عيدك هالات لأنوار

محمد فهمي توفيق

## دعائم المنهج الخلقى الاسلامى

يقوم المنهج الخلقى الإسلامى ، الذى أشرنا إلى مميزاته فى حديثنا السابق ، على الدعائم الخلقية الآتية :

الدعامة الأولى : قوة الشخصية وكال الرجولة ، وهى صفة تبعث صاحبها على الاعتداد بالنفس ، والاعتزاز بالكرامة ، والوقوف بجانب الحق ولو على نفسه ، والانتصار له مهما احتل فى سبيل ذلك من جهد ومشقة ، والترفع عن سفاسف الأخلاق وذميمة الأفعال ، فقد حق الإسلام ببناء هذه الدعامة وتنميتها فى المجتمع الإسلامى ، وأظهر هذه العناية فى أساليب قوية رائعة ، تثير فى النفس الحاسة والشجاعة ، وتلهب فيها العواطف والمشاعر .

فأوجب على المسلمين أن يكونوا رجالاً أقوياء فى دينهم ودنياهم ، أحرزة كراما فى مجتمعاتهم وأوطانهم ، يدافعون عن عزتهم وكرامتهم ، ويتصرفون بمن يبنى عليهم أو يعتدى على سيادتهم ، وجعل ذلك من لوازم الإيمان وصفات المؤمنين ، كما فى قوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، وقته العزة وللرسول وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يفعلون » ، « والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون » وقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز » .

وحرم عليهم الضعف والاستكانة والاستسلام ، كما قال جل جلاله « ولا تنهوا ولا تخزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ، « فلا تنهوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم » « إن الدين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً » ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً » ، فالإسلام لا يبيح لأهله أن يقيموا على الضيم والهوان ، ولا أن يضعفوا أمام أعدائهم فى الدفاع عن دينهم ووطنهم ، ويدعوا إلى الصلح والمسالمة خوفاً وتذلالاً لهم ، ولا يرضى لهم أن يكونوا أذلة مستضعفين ، ولا يقبل منهم الاعتذار

بأنهم كانوا مستضعفين فى الأرض ؛ لأن ذلك كله لا يتفق مع عزة الإسلام وكرامة المسلمين ، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يمدح بمظاهر الرجولة والقوة ، والاعتزاز بالإباء والكرامة ، ويعمل على تنمية هذه المظاهر فى المجتمع الإسلامى ، وكان يقول فى ذلك ، « يعجبني الرجل إذا سيم خطه ضيم أن يقول لا بعل فيه » .

فليس من شأن المسلم أن يرضى بالضم والهوان ، أو يستكين للبغي والعنوان ، وإنما شأنه أن يكون رجلاً كاملاً فى رجولته ، قوياً فى دينه وخلقه ، عزيزاً فى مجتمعه ووطنه ، شجاعاً لا يهاب الإقدام ولا يخشى اللقاء ، إذ غاية ما يصيبه فى سبيل الاحتفاظ بعزته وكرامته والدفاع عن دينه ووطنه ، إنما هو الاستشهاد فى ساحة الكرامة والشرف ، وما الموت إلا نقلة من دار الفناء إلى دار البقاء ، وهو ميت يوماً ما لا محالة .

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العار أن تموت جباناً

وكيف لا يكون المسلم قوياً فى رجولته وخلقه ، عزيزاً فى مجتمعه ووطنه ، وكل تعاليم الإسلام تمثل فيها الرجولة والقوة ، وتجل فيها مظاهر الكرامة والعزة ، وكيف يحاف الموت فى سبيل الدفاع عن دينه ووطنه ، وهو يؤمن بأن الموت نهاية كل حي ، وأن الآجل عند الله مكتوب ومحدود ، فحرص الحريص لا ينجيه ، وإقدام الشجاع لا يرديه ، وأن الآجال بيد الله يصرفها كيف شاء ، فلا يعرف أحد متى يحين حينه ، ولا بأى أرض توافيه منيته ، وكيف لا يؤمن بهذه الحقائق والسنن الإلهية ، وهو يتلو فى الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، قول الله جل جلاله : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » ، « وما كن لئنم أن تموت إلا يأن الله كتاباً مؤجلاً » ، « وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير » .

هذه هى الشخصية الإسلامية كما قررها القرآن الكريم ، وقررها النبي صلى الله عليه وسلم تقريراً عملياً ، فقد تجلت هذه الشخصية القوية بأروع صورها وأكمل معانيها ، فى أخلاقه وأعماله ومواقفه الخالدة ، وتمثلت من أول يوم حى فيه وطيس الجهاد العنيف والكفاح المرير ، فى كلمته الباقية على وجه الزمان ، والى صاحب بها فى وجه الإغراء والطفيان : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » ، فكانت هذه الصيحة القوية الملوية ، لساناً ناطقاً ، وتعبيراً صادقاً

عما انطوت عليه نفسه اثر بفة من قوة السحبة وكال الرجولة ، ومثلا أعلى للثبات على الحق والوقوف بجانبه مهما كانت العاقبة ، والتضحية بالنفس والمال والسلطان في سبيل المبدأ والعقيدة ، ورائدا للمسلمين الأولين في جهادهم وكفاحهم ، فكانوا مثلاً علياً للجهاد والكفاح في سبيل الدين والوطن .

فلى المسلمين في كل زمان ومكان ، أن يعلموا أن هذه الشخصية التي قررها الإسلام وطالب المسلمين أن يحدثوا بها ، لا تختص بعصر دون عصر ، ولا بصريق من المسلمين دون فريق ، بل تعم كل عصر من عصور المسلمين ، وتشمل كل جانب من جوانب حياتهم ، ويطلب بها كل فرد من أفرادهم . وكل طمة من طقاتهم . وعليهم أن يعلموا أن هذه الرجولة التي ملأت قلوب الرعيل الأول من المسلمين ، واستولت على أحاسيدهم ومشاعرهم ، هي التي أتاحتم لهم أن يقيموا لأمتهم دولة عزيزة الجانب مرهوبة السلطان .

الدعاة الثانية : الحياء ، وهو خلق يبعث في النفس الشعور بكال الفضيلة وتقوى الرذيلة ، ويحملها على الترفع عن سفاف الأخلاق ودعم الخلال ، واجتناب كل ما يوجب المدمة والملامة ، ولهذا غنى الإسلام بتنميته في المجتمع الإسلامى عناية كبرى .

فامتدحه وحث على التحلق به ، وجعله مصدراً لكل خير وفضيلة ، وشعبة من شعب الإيمان وخصاله ، كما قال صلى الله عليه وسلم « الحياء خير كله » ، « الحياء لا يأتي إلا بخير » ، « الحياء شعبة من الإيمان » .

وأكبر من شأنه ورفع منزلته ، لجعله الخلق الخاص بالإسلام ، كما قال صلى الله عليه وسلم « لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء » ، ولهذا لا ترى مظاهر الحياء والاحتشام متجلية بأجلى معانيها ، إلا في المجتمعات الإسلامية المحافظة على تقاليد الإسلام وآدابه .

والحياء جدير بهذه العناية وتلك المنزلة ؛ لأنه هو الذى يبعث صاحبه على كبح جماح الغرائز والشهوات ، والوقوف بها عند حدود التوسط والاعتدال ، ويحمله على مراعاة قوانين الأخلاق وآداب السلوك ، ويطيعه على التحرج من كل ما يوجب تأنيب الصائمات الحية واستنكار النفوس الآبية ، وهو الطهر الذى يعتمد عليه قادة الإصلاح في تهذيب النفوس وتقوية الأخلاق ، وتغذية الغافلين وإرشاد المنحرفين ، إذ لولا الحياء الكامن في أعماق النفوس لما أثمر نصيحهم وإرشادهم ؛ لأن الإنسان إذا نصب معين الحياء من وجهه ،

وأزال عنه حجاب التحفظ والاحتشام ، وارتدى رداء الفجور والتحلل ، وفقد الإحساس بكمال المصيلة ونقص الرذيلة ، واختلت لديه موارين الحسن والقبح ، فإنه لا يفيد فيه وعظ ولا إرشاد ، ولا يهدي معه لوم ولا تنزيح ، ولا يتمتع بحجة ولا دليل ، ولا يبالي بما يصدر عنه من أقوال وأفعال ، كما يشير إلى ذلك الحديث النبوي ، « إذا لم تسنح فاصنع ما شئت » ، فالحياء هو عنوان الإنسانية الكاملة ، ورائد الكمال والفصيلة ، وعماد الأخلاق الكريمة ، ومبعث الأعمال الصالحة . والمنبت الطيب لبذر الهداية والإصلاح ، ومن لآحياء فيه لاخير فيه .

الدعامة الثالثة : الأمانة ، وهي من أجل أخلاق الإسلام ودعائمه العظام ، فتد أكبر الإسلام من شأنها وأعظم أمرها ، وغالب المسلمين برضايتها والمحافظة عليها ، فأمر بتأدية الأمانات إلى أهلها . كما قال تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » وجعل رعايتها من صفات المؤمنين الموجهة لفلاحهم ، كما قال تعالى : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » وقرن النهى عن خيانتها بالنهى عن خيانة الله ورسوله تعظيما لشأنها ، كما قال عز شأنه : « يأياها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » وجعل انتفاء الأمانة مستتبعا لانتهاء الإيمان ، وعلامة من علامات النفاق « كما قال صلى الله عليه وسلم ، « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » ، « آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » ، وإعما تتحقق أمانة المؤمن بتحقيق الجوانب الثلاثة الآتية : —

١ — أن يكون أمينا على دينه ، يؤمن بمبادئه ويعقد عليها عقد اليقين والإدعان ، ويأتمر بأوامره ويتقوى بنواهيه ، ويتخلق بأخلاقه ويتأدب بأدابه ، ويسير في تعرف أصوله وفروعه وفهم نصوصه ، على هدى ماتوارثه المسنون عن الرعيل الأول من أئمة المسلمين وعلمائهم وحفاظهم ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة بكتاب الله وسنة رسوله ، وأعمقها علما بشرائع الإسلام ومقاصده ، وأقلها تكلفا في الاجتهاد والاستنباط ، وأقومها هديا واتباعا للكتاب والسنة ، فلا يسير في فهمها وراء الطنون والأهواء ، فإن الهوى آفة للرأى ، ومعضلة للعقل ، ومفسدة للقلب ، ولا يتول في دين الله بغير علم ولا حجة ، ولا يدلس على الناس في الدين ولا يضلهم ، فإن ذلك ضلال بعيد وفساد كبير .

٢ - أن يكون أميناً على الحقوق والواجبات ، والعقود والمعاملات ، إذا حكم في حق حكم فيه بالعدل ، وإذا وجب عليه حق من حقوق الله أو حقوق العباد ، أداه كأحسن ما يكون الأداء ، وإذا عاقد أحداً أو عامله ، وفي بالعقد وأحسن المعاملة .

٣ - أن يكون أميناً على الروابط والصلات ، والأعراض والكرامات ، فلا يتناول على الناس الأقاويل ، ولا يفترى عليهم الأكاذيب ، ولا يشيع عنهم مقالة السوء . ولا يتبجح عوراتهم ، ولا يهتك لأحد سراً ، ولا ينتهك له حرمة ، ولا يتخذه له كرامة ، ولا يثلم له عرضاً .

ومن هنا يتضح لنا أن الأمانة التي طالبنا الله برعايتها ، ليست خاصة بشأن خاص من شئون الحياة ، بل تعم جميع الشئون الدينية والدنيوية ، ويطالب بها كل فرد من أفراد المسلمين ، يطالب بها المتدينون في تدينهم ، والمرشدون في إرشادهم ، والعلماء في بحوثهم ، والمعلون في أداء رسالتهم ، والحكام والرؤساء في إدارتهم ، والجنود في ميادينهم ، والصناع في مصانعهم ، والتجار في متاجرهم ، والزراع في حقولهم ، وكل راعٍ في رعيته وولايته .

السماة الرابعة : الوفاء بالعهد ، فقد عني به الإسلام عناية كبرى ، لماله من عظيم الخطر وجليل الأثر ، فأوجب على المسلمين الوفاء بعهودهم ومواثيقهم ، وحث على رعايتها والمحافظة عليها ، وحرم نقضها والغدر بها ، كما قال الله تعالى : « وأوفوا بعهدي الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، إن الله يعلم ما تفعلون » ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مستولاً ، وجعل الوفاء بها من لوازم الإيمان وصفات المؤمنين كما قال تعالى في وصف المؤمنين « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » ، « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » ، كما جعل نقضها والغدر بها من لوازم النفاق وصفات المنافقين ، كما قال صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق حتى يدعها ، إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر » ، فالعهد الذي طالبنا الله بالوفاء بها . تعم العهود الدينية التي أوجها الله على عباده وتبذلهم بها ، والعهود الدنيوية التي أذن الله لهم فيها وأرشدهم إليها ، وقصت بها حاجة الاجتماع والتعاون بين الأفراد والجماعات ، سواء كانت هذه العهود قائمة بين الأفراد أو بين الجماعات من المسلمين ، أو كانت قائمة بين المسلمين وغيرهم ، فعناية الإسلام بالعهود الدنيوية المصاحبة ،



لا تقل عن عنايته بالعبود الدينية اتعبدية ؛ لأن الوفاء بها من أهم دعائم التعاون بين الأفراد والجماعات ، واستقرار الثقة فى العقود والمعاملات ، واستتباب الأمن والسلام فى الجوار والصلات ، فإن أكثر ما يقع بين الأفراد من الخصومات الجائحة والأحداث الدامية ، التى تملأ الصلور بالحققد والصغينة ، وتبدر فيها بنور المرققة والنقطعية ، وما يقع بين الأمم من حروب طاحنة ، تفكك البناء المعصومة ، وتحصد الأرواح البريئة ، وتنتشر الخراب والدمار ، يرجع فى بواعثه إلى عدم الوفاء بالعقود والمهود ، والاستهانة بحرماتها وقداستها ؛ وعدم قيامها على الصراحة والإخلاص وسلامة القصد ، كما يشاهد ذلك فى المعاهدات والمحالقات التى تقدمها دول الاستعمار ؛ فإنها تقوم على الغش والخديعة ، والتمويه وسوء القصد ، وعدم المبالاة بنقضها والنذر فيها ، متى كان ذلك يحقق الأعراض الخفية التى عقدت لأجلها ؛ لأنها مستمدة من وحي الأهواء لا من وحي السماء ؟

يس سويلم طه

المعتش بالأزهر

### تحية للجمهورية العراقية

فى ساعة الصفر وقت الفجر ناداه	ويا سراجا كأسد هاجها شبح
والنصر فى الأوج بعد الصبر وافتاه	يا أهل بغداد ما للغرب فى فزع
واستيقظ الغرب ذعراً فاعزاً فاه	أم أنه الزحف لم يترك له أملا
هل جد أمر خلاف النصر آذاه	ما كان للشك فيما كان من أثر
فى العيش بين شعوب خصها الله	منا جمال ومنكم قاسم وغداً
فالقوم فى الشرقى كل الشرقى أشباه	صبر تضيق به الأيام إن قصرت
من أهل عمان ماضى العزم نياه	ما كنت أرتاب فى أهلى وإن هدموا
والعزم حتى قساء الجن تهواه	بل كنت أوقن أن الأمر تصفية
فالعدن الحر قد يغبر أعلاه	
تردى الحسيس ويثس النار مثواه	
محمد كامل شلش	

# تعليقاً

## مسابقة العيون الجريئة

كانت لجنة حلقية تدير الأسى عند كل ذى غيرة ، فما ظننا أن يبدع الاستهتار والتجريح عند أناس أن مجتمع عدد من الفتيات ( من أى طبقة كانت ) على شاطئ البحر ثم يجمعن أنفسهن غرضاً للعيون الجريئة التى تعرف فى إمعان النظر إلى الفتيات ، ثم يكون لا أكثر الفتيان وقاحة تدير عند الفتيات ، وتميز للرابع عن المرجوح .

لم تكن نظرة الناظر إلى امرأة من غير محارمه إلا ضرباً من المحون ، وقد سمي الله ذلك العيون خائنة ، والحياة أشع ما يتصف به ذى . وما كانت النظرات الخائنة إلا سيلاً للخطيئة الجنسية التى اعتبرها القرآن قبل سواها من المآثم فاحشة ، ثم نهى عن الفاحشة بل عن قربان الفاحشة ، والقربان هو النظر وما يشبهه .

هذه النظرات الخائنة أصبحت عند فتيات من جيلنا الذى نعيش فيه فطرات مشروعة ، بل مطلوبة بالإغراء والألقاب المشجعة .

هذه مهزلة تقضى على الحياء وعلى الرجولة معاً ، فكان هناك فتيات تجردن من طبيعة الأنوثة فلم يعد لديهن حياء مما يرين الآتى ، ويرفع شأنها ، وكان هناك فتيان فتنوا بغير الرجولة واحتشام الأدب .

واقدر كان هؤلاء الفتيات والفتيان فى أغلب الظن من أوساط مهذبة لا يردعن أصل كريم ، ولا يبقين على سمعة طيبة يصونها عادة أثناء البيوتات . فالمسافة بين الفريقين فى هذا الباب فجوة لا يرضاها الحيوان فضلاً عن أناس يظنون أنهم سبقوا فى المدنية والحرية .

وكان العلاج الناجع والرد الموفق على هذه المأساة ما صنعه المشير عبد الحكيم عامر فقد اقتاد الشبان إلى الجيش ليعلمهم الرجولة بدلاً من التحدث ، وليتصع بهم الوطن فى ميادين الكفاح والجند بدلاً من الميوعة والمزل .

نعم ما صنع القائد عبد الحكيم عامر ! وليته يتتبع هؤلاء الرقلاء فيزج بهم في الجيش مع مراقبتهم بين الجنود ، أو عزلتهم عن الجبهة منهم لئلا ينفثوا سمومهم في نفوس الشبان هناك .

وبقيت مسألة العتبات جديدة بملاح لائق يسد هذا الباب الخطر ، ويحمي البيئة من جرائم الإسفاف ، والرقاعة والتبذل .

والحق أن الأمر بحاجة إلى عين ساهرة ، ولكن ماذا نضع وبيننا من ينشط في تشجيع الرقص بين الفتاة والنقى ، ويحسب ذلك فنا جميلا يتقدم به الحصار الحديثة في شعب شرق متدين ، يأبى دينه وتقاليده أن يحاكي غيره في هذه المهازيل الخليعة ، ووالله إنها لتوجيهات ضارة وتركها واجب .

### عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

## الإنسان الكامل

وأبى لعظ أصوع الدر تيانا	وأسبك القول بين الناس عقيانا
وأمدح المصطفى جلت مواهبه	محدثاً خير خلق الله إنسانا
أنى لثلى بطريه ويمدحه	بعد الأال ذهبوا في القول فرسانا
يا من طلعت على الأكوان أجمعها	بدرأ منيراً أثار الكون أزمانا
غزوت لله لا دنيا تؤملها	وما أردت سوى إرضاء مولانا
مواقف كلها نبل ومنجرة	يمضي لها الدهر مبهوتا وحيرانا
لقد تركت رياض العلم يابسة	تؤرق جناها نملات وعرفانا
من قصيدة للأستاذ : إبراهيم أبو سعدة — واعظ القاهرة	

# الكتب

## المسح على الجورين

للشيخ جمال الدين القاسمي - ( ٦٦ ص ) - المطبعة السلفية بالقاهرة

عالم اثنام الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ( ١٢٨٣ - ١٣٣٢ ) شغل حياته بالعلم ، وزين عليه بالعمل ، ولولم يكن له إلا تفسيره الكبير الذي يطبع الآن لكفاه في تحليل فضله ، فكيف وقد عرف العالم الإسلامي فضله في حياته قبل أن يعرف له هذا التفسير ، ثم عرف له بعد وفاته سنة ١٣٣٢ كتاباً أخرى نشرت بعده ، ومنها هذه الرسالة في المسح على الجورين وأن ذلك كان مشهوراً عند القهاء من الصحابة والتابعين ورواة الحديث ، وقد أورد المؤلف الأحاديث الواردة في ذلك ، ورد ما ورد عليها من شبه ، وذكر أسماء من أثر عنهم المسح على الجورين من الصحابة والتابعين ، وبعد أن بين أن أقوال الصحابة وفتاويهم أولى بالأخذ من غيرها استعرض مذاهب الأئمة الأربعة في ذلك .

وقد قدم له بقيد السنة والثريفة العلامة الشيخ أحمد شاكر مقدمة في تصحيح الأحاديث التي استدلل بها المؤلف ، واستوفى هذا الموضوع في مقدمته .

## المسح على الخفين لابن تيمية

وبلى رسالة المسح على الجورين للقاسمي فصل من الفتاوى المصرية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية في ( المسح على الخفين ) وهي دراسة دقيقة في الفقه لا يجدها طلاب العلم بأوفى مما يصدر عن قلم ابن تيمية ، وبما اشتملت عليه هذه الدراسة بيان خطأ أهل الظاهر - ومنهم العلامة ابن حزم - في عدم أخذهم بفحوى الخطاب . وهي في ٣٢ صفحة ( ٦٧ - ١٠٨ ) نشرت عن نسخة خطية عنق عليها وعارضها بالفتاوى المصرية الكبرى المطبوعة في ألمانيا الفاضلان الشيخ عبد الرحمن المعلى والشيخ سليمان الصنيع من علماء الحجاز .

## الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس - للقاسمي

وقد ألحق بالرسالتين السالعتين هذا الكتيب من مؤلفات العلامة القاسمي ، في موضوع الحلف بالطلاق الذي ابتلى به أكثر العامة في اللغز من كلامهم والثافة من أمورهم . وقد أفاض المؤلف في بيان آداب اتطليق المستمدة من الكتاب والسنة ، وهي عشرة : منها رعاية المصلحة في إيقاعه ، وأن لا يكون القصد من إيقاعه مضارة الزوجة ، وأن لا يكون في حالة غضب ، وأن يكون الفراق منوياً مقصوداً ، وأن يكون مأذوناً فيه من الشرع ، وأن يكون بإحسان ، وأن لا يطلق ثلاثاً دفعة واحدة . ولعل هذه الرسالة آخر مؤلفات العلامة القاسمي ، فقد ذكر في آخرها أنه ألفها وهو في رحلته إلى حوران وطبريا وحيما وعكا سنة ١٣٣٢ وهي سنة وفاته . وهذه الرسالة الثالثة في ٥٩ صفحة ( ١٠٨ - ١٦٤ ) .

وقام بطبع هذه المجموعة نصير السنة والعامل في الحجاز على نشر علم السلف الشيخ محمد نصيف حفظه الله وجزاه عن العلم خيراً .

## مطابقة الاختراعات العصرية

لما أخبر به سيد البرية

لأحمد بن صديق الفهاري - ١٥١ ص - دار العهد الجديد للطباعة

هو كتاب زعم فيه مؤلفه أن في الأحاديث النبوية ما يدل على المخترعات العصرية ، كالسكة الحديدية ، والسيارات والطائرات والتلغراف والراديو والمطابع والغواصات والسيرك والكلاب البوليسية وتأمين البترول والمطر الصناعي وآلة التصوير والبنسكنوت والشيوعية ودولة اليهود والرد على نظرية دارون الخ ... والذي نلذه أن السنة النبوية وردت لتوجيه الناس إلى ما فيه رضا الله وتحويلهم عما يوجب سخطه ، ولا حاجة بالحديث النبوي إلى الدلالة على هذه المخترعات بأعيانها بعد أن أخبر الله عنها وعن غيرها بقوله سبحانه : « ويخلق ما لا تعلمون » . غير أن في صفحة ٤٤ من الكتاب فظاً بمجاهد كريم يعاقب عليه القانون ، وحكمه في الشريعة إقامة الحد على الفاذف إن لم يأت بأربعة شهداء . وفي صفحة ١٣٢ قنف

آخر بالحياة لذلك المجاهد ، واستيلائه برغم المؤلف على الملايين من أسبانيا ثم من فرنسا ومن اليهود أيضاً ، مع أننا لا نعرف عن ذلك المجاهد إلا اصطفاً المستعمرين له واعتقاله وبجسه ومواصلة جهاده فيهم طول حياته ، وفي ص ١٠٩ عد من التلاعب تمسك العرب بعروبتهم ونصرهم اللغة العربية وبحثهم عن الدخيل منها وإبدال الكلمات الإفريقية بما يؤدي معناها من العربية .

فإذا كان هذا تلاعباً في نظر المؤلف ، فعلى العلم وعلى العروبة وعلى العربية وعلى التأليف السلام .

## المصاييح المباركة

للاستاذ محمد المهدي محمود علي - ٧٢ ص - مطابع دار الكتاب العربي

والمصاييح المباركة التي جعلها المؤلف عنواناً لرسالته هي : القرآن الكريم ، وشهر رمضان ، والأزهر الشريف .

ومن فصول الرسالة عن القرآن فصل عنوانه ( نور من الله ) نوه فيه بمؤلفات بعض أعلامنا عن كتاب الله كالسيوطي في ( الإتقان ) ، والشيخ طاهر الجزائري في ( التبيان ) ، والرافعي في ( إعجاز القرآن ) ، وعبد العظيم الزرقاني في ( مناهل العرفان ) ، ومحمد عبد الله دراز في ( النبأ العظيم ) . وبعده فصل بعنوان ( الرسول والقرآن ) .

وبما جاء في الرسالة عن المصباح الثاني رمضان فصل عنوانه ( المصطفى الكريم في شهر رمضان ) . وفصل عن ( الصلة بين القرآن والصيام ) . وفصل بعنوان ( لسبب الصالح ) .

وثالث المصاييح هو الأزهر تكلم فيه عنه وعن القرآن والاستثمار ومخلفاته والأفلام الهدامة . ثم عن الأزهر والاستثمار بألوانه ، وقد لخص فيه محاضرة الدكتور محمد الهادي عن المؤامرات على الأزهر من تلاميذ المدرسة الاستعمارية ، ثم عن الأزهر والثورة ، وصيغة الحق ، ورسالة الأزهر في رمضان الخ .

وهي رسالة لطيفة نافعة إن شاء الله .

# الأدب والعلوم

## سياستنا في التعليم

## توحيد المناهج مع العراق

إن اتفاقية الوحدة الثقافية مع العراق قد تمت بعد دراسة مشتركة قام بها مؤتمر من رجال التعليم في الجمهوريتين، افتتحه السيد كمال الدين حسين مساء السبت ٢٩ صفر ( ١٣ سبتمبر ) ومثل فيه جمهورية العراق ١٧ عضواً كما مثل الجمهورية العربية المتحدة ١٥ عضواً من الإقليمين الشمالي والجنوبي . وقال السيد كمال الدين في كلمة الافتتاح : إننا نأمل أن تكون هذه الاتفاقية فاتحة خير للأمة العربية بأكملها ، وأن تعمل على تحقيق أهداف الأمة العربية فيتحرر كل شبر من أرض العرب .

وقال الدكتور محمد ناصر مدير معارف العراق ورئيس الوفد العراقي : إننا كنا نطمح إليكم في الجمهورية العربية المتحدة كثال للوطن المتحرر المستقل . وإننا نفكر للجمهورية العربية المتحدة ما قامت به من جهود جبارة في سبيل المحافظة على روح القومية العربية ، ودعم ثورتنا في العراق ، وكل العرب يعلقون الآمال على نتائج مباحثاتنا .

في يوم السبت ٢٩ صفر ( ١٣ سبتمبر ) توجهت ألوف الألوف من أبناء الجمهورية العربية المتحدة إلى المدارس ومعاهد التعليم . وقد وجه إليهم السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم كلمة في يوم الجمعة قال فيها :

« غداً يبدأ عام دراسي جديد ، ينظم في معاهد التعليم أربعة ملايين من أبناء الإقليم المصري ، ونصف مليون من أبناء الإقليم الشمالي ، في مختلف المراحل : من المرحلة الابتدائية ، إلى الجامعة والدراسات العليا .

وسياستنا التي رسمنا خطوطها منذ الثورة تقوم على أساس إتاحة الفرصة المتكافئة في التعليم لجميع المواطنين بتعميم التعليم الابتدائي ما أمكنت الفرصة لإرساء قواعد الديمقراطية الصحيحة ، ثم كفاية حاجة البلاد من قوى الثقافة والخبرة الفنية والمهارات العليا والمتوسطة وأهل البحث الفني ، وعلى هذه القواعد نسير ، وباسم الله وعلى بركته نفتتح الموسم الدراسي الجديد ، وبالله التوفيق . »

## دائرة المعارف العربية

قال وزير الثقافة والإرشاد القومي مندوب الأهرام : «تقرر تأليف لجنة من المختصين في مختلف الوزارات والهيئات لوضع الخطوات التنفيذية لمشروع إنشاء ( دائرة المعارف العربية ) ، وستولى هذه اللجنة دراسة المشروعات التي أعدت في هذا الشأن ، وتقوم بتكوين اللجان الفرعية لمختلف الفنون

والعلوم ، وترشيح العدد اللازم من المترجمين والمؤلفين والمراجعين ، وتعد المراجع العربية والأجنبية . وتقرر أن يشترك كبار رجال الفكر والأدب وأساتذة الجامعات ورجال الفنون بأرائهم وتوجيهاتهم ، وستؤلف منهم هيئة استشارية تشرف على العمل في تنفيذ المشروع .

## القوصى فى اليونسكو

رسمت وزارة التربية والتعليم الدكتور عبد العزيز القوصى المستشار الفنى لوزارة التعليم وظيفة نائب مدير قسم التربية فى منطقة اليونسكو .

ترى هل هذا الترشيح توطئة للتخلص من بعض رواسب احتلال الغرب للثقافة فى الشرق العربى ؟ العبارة بالإنجاء العمل ، والناس منتظرون ...

وقد ألفت ١٤ لجنة تضم الإخصائيين فى كل نوع من أنواع التعليم ، وقامت هذه اللجان بمراجعة المواد الدراسية فى كل من الجمهوريتين توطئة لتوحيد المناهج فى الميثاق الذى انتهى المؤتمر إلى وضعه ، ليكون ميثاقاً مفتوحاً للدول العربية جميعاً تدخل فيه فى أى وقت ، ويكون بمثابة تضامن وثائقى عربى لتنشئة جيل عربى واحد لا تفرق بينه الحدود .

## وحدتنا الثقافية مع العراق

وافق الرئيس جمال عبد الناصر على ميثاق الوحدة الثقافية بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية .

وسيسافر السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم على رأس وفد إلى بغداد لتوقيع هذا الميثاق .

## مكتبة قومية

ومكتبة عامة مركزية

يفكرون فى وزارة الثقافة والإرشاد فى إنشاء مكتبة عامة مركزية فى القاهرة ، لتخفيف الضغط على دار الكتب ، توطئة لتحويلها إلى ( مكتبة قومية ) تجمع التراث القومى والإنسانى ، وتبصر خدمتها - ككل المكتبات القومية - على خدمة العلماء .



## إنتباء العجّل الأنيل الإحمي

ابتداء من يوم تأسيسها . وأضاف أن فرنسا تقع عليها مسؤولية كل ما يترتب على هذا الوضع .

وستبحث الحكومة الجزائرية - في أول اجتماع لها - مسألة طلب انضمامها إلى جامعة الدول العربية .

ويتكون العلم الجزائري من اللونين الأخضر والأبيض متجاورين رأسياً ، ويتوسطهما هلال أحمر ونجمة حمراء .

### جهاد الجزائريين

في قلب فرنسا

انتشر الرعب في جميع أنحاء فرنسا من بسالة المجاهدين الجزائريين ، وقد لوحظ أن حملاتهم تزداد عنفا كلما اقترب اليوم المحدد للاستفتاء على دستور ديجول ، لحمل المقيمين في فرنسا على التصويت ضده أو الامتناع عن الاشتراك في الاستفتاء . وفي يوم غرة ربيع الأول ( ١٩ سبتمبر ) نسف المجاهدون الجزائريون معسكرا حريا خارج مدينة مرسيليا فقتل عامل مدني وجرح ثلاثة جنود ومدنيان وقد حدث هذا الالفة جار عقب محاولة المجاهدين

### أول حكومة لجمهورية الجزائر

في يوم الجمعة المبارك خامس شهر ربيع الأول شهر المولد النبوي ، ولدت أول حكومة لجمهورية الجزائر الحرة ، وهي تألف من ١٩ وزيرا يرأسهم السيد فرحات عباس ، الذي أعلن في مؤتمر صحفي بالقاهرة عقب صلاة الجمعة ، أن تأليفها كان بقرار من لجنة التنسيق والتنفيذ ، بناء على السلطة المخولة لها من قبل المجلس الوطني للثورة الجزائرية . وستكون هذه الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر مسئولة أمام المجلس الوطني للثورة الجزائرية . وقد بدأ عملها رسميا في الساعة الأولى بعد ظهر ذلك اليوم ( الجمعة ) .

وفي ساعة تأليف هذه الحكومة تلقت برقية تهنئة من الرئيس جمال عبد الناصر ، ونوالت الاعترافات بها من الجمهورية العراقية ، وليبيا ، واليمن ، وتونس ، والمغرب ، والعربية السعودية ، والأردن ، والسودان ، والصين الشعبية ، وأندونيسيا ، وفيتنام .

وصرح السيد عبد الحميد مهري وزير شئون الشمال الإفريقي الجزائري بأن حكومة الجمهورية الجزائرية تعتبر نفسها في حالة حرب مع فرنسا

الوحدة بين العناصر اللبنانية عاهد الآمة وطالها بالوفاء بهما للمستور غير المكتوب وهو الميثاق الوطنى فى تعاون لبنان - بصدق وإخلاص - مع شقيقاته الدول العربية إلى أقصى حدود التعاون لما فيه خيرها وخيرها جميعا ، منها علاقاته مع العالم أجمع على أساس الصداقة والكرامة والتعامل المتكافئ الحر .

وقال : وإذا كان ميثاق جامعة الدول العربية التى نعتبط جميعا بإزدياد نشاطها ، وميثاق هيئة الأمم المتحدة ، هما الدعائم القويتان لاستقلال لبنان ، فإن الدعامة الكبرى تبقى فى ميثاقنا الوطنى فى وحدة صفوفنا واجتماع قلوبنا .

ثم قال : إن ما يجرى فى المحيط العربى من نهضة فى جميع نواحي الحياة لا بد من أن يقابله فى هذا الوطن الذى كان دائما صاحب المبادرة فى كل نهضة عربية ، بروح جديدة للتحرد والثوب .

ولما انتهى خطابه مع دوى التصفيق أطلقت المدافع ٢١ طلقة تحية له ، واندل مع رتل عظيم من سيارات الوزراء ورجال الجيش والنواب وأعضاء السلك السياسى إلى القصر الجمهورى فسلم مفتاح القصر من كميل شمعون الذى خرج من قصر الجمهورية مواطنا عاديا .

الجزائريين اعتيالى جلك سوستيل وزير الاستعلامات الفرنسى فى قلب باريس ، وكان المحجور على سوستيل منظما واشترك فيه عدد من المجاهدين تمكنوا من الاحتفاء وسط الجمهور . وتوجه سوستيل فى اليوم التالى - بجهته المضمدة - لمقابلة دييجول ثم قصد إلى مقر إدارة البوابس لمعاينة سيارته التى أصيبت أمس برصاص الجزائريين - وحاول الجزائريون نفس مصنع قريب من رصيف ميناء الماغر ولكن المتفجرات لم تنفجر كما يجب فأحدثت أضرارا طفيفة ، وحوادث نشاط الجهاد الجزائرى فى فرنسا وإضرابهم الحرائق فى المرافق الحيوية أكثر من أن يتسع المجال لإحصائها .

### رئيس لبنان الجديد

قبيل ظهر الثلاثاء ٢٣ / ٩ أدي رئيس الجمهورية اللبنانية الجديد السيد فزاد شهاب ، اليمين الدستورية فى مجلس النواب ، ثم ألقي كلمة قال فيها : إن إقرار الأمور وحكم الدولة فى جميع المناطق اللبنانية يقتضى نزع السلاح من أيدي الجميع بلا هوادة ، وبناء ما تحرب من مرافق البلاد ومعالمها ، وإزالة التوتر فى العلاقات بين لبنان وبعض شقيقاته العربيات ، ونوق ذلك كله تحقيق اسحاب القوات الأجنبية عن أرض الوطن بأسرع وقت - وبعد أن أشار إلى ضرورة إعادة

أكثر مما يحسن العربية ، وكان معروفا يومئذ عند زملائه - ومنهم رئيس تحرير هذه المجلة - بأنه لا يصلح إلا للوظائف ، وأنه لن يرجى منه خير لقوميته العربية ، وهكذا عاد سامي الصلح إلى بيته الأولى التي منها نشأ وفيها درج .

## مؤامرات الخيانة والاستعمار

تبين من التحقيقات والمحادثات والوثائق المكتشفة في العراق أن سوريا كانت مطمح أنظار الاستعمار ، لسحق الحيوية العربية الكامنة فيها . وقد اشترك في التأمر عليها ست دول : أمريكا ، وإنجلترا ، وتركيا ، وإسرائيل ودجال الحكم البائد في العراق ، ودجال الحكم الآيل إلى الزوال في الأردن . وكان دور أمريكا وبريطانيا في المؤامرة المشاركة في وضع الخطط وتزويد المساعدات المالية اللازمة ومد عناصر المؤامرات بالسلاح . وكان دور تركيا حشد قواتها على حدود الإقليم السوري عند بدء تنفيذ المؤامرة . أما دور إسرائيل فهو الاشتراك في الهجوم على الحدود السورية . وكانت الأردن تشارك في تكديس الأسلحة على حدود سوريا والعراق ، وتساهم في توزيعها على العشائر البدوية ، وتهيئ قوات من الجنود البدو المرححين من الجيش الأردني لينطوعوا في عمليات الفتنة التي كانت الدول الست ترسم لها مختلف الخطط .

وخرج شعب لبنان إلى الشوارع يعلن فرحته ، فاطلقت الأعيمة النارية من الشعب والجيش تحية للمهد الجديد . وعذفت في كل مكان صور الرئيس الجسديد ، والبطريرك المعوشي ، وجمال عبد الناصر ، وشكري القوتلي . وألقت الطائرات الحربية اللبنانية منشورات طالبت فيها المواطنين بالمحاطة على الوحدة والقيام بأعباء الوفاء للوطن وسعادته .

## سامي الصلح في تركيا

لفظ الوطن العربي ابنه الأبق سامي الصلح ، حملته طائرة الأميرال جيمس هولواي الأمريكية تحت ستار الليل قبل فجر يوم السبت ٦ ربيع الأول ( ٢٠ سبتمبر ) من منزله في قرية المنصورة قرب مصيف برمانا الجبل في شمال بيروت إلى قاعدة حلف شمال الأطلس في الجوية في أضنة بكليسيا ، وأغلب الظن أنه سيقضي فيها بقية عمره كما أمضى فيها سنوات صباه ، لأن أباه كان مدير البريد والبرق في تلك المدينة في بداية هذا القرن ، ولعله ولد هناك . ولما توفي والده والتحق سامي الصلح بالمدرسة الثانوية التركية في بيروت كان يؤثر الاختلاط بأبناء الأتراك أكثر مما يأنس بصحبة أبناء العرب ، وكان يحسن التركية

## مشكلة اللاجئين العرب

في إحداث صدع في جبهتنا ، ولن نمكنهم من التدخل في شئوننا الداخلية أو الخارجية . إن العراق يرغب في أن يكون صديقاً للجميع ولكننا نرفض أى اعتداء على سيادتنا .

وسأله أحد رجال الدين : ما هي الإجراءات التي تتخذها الحكومة لمعالجة الشيوعية والمبادئ الهدامة ؟ فأجاب : إن الاستهاريين دأبوا على اتهام كل حركة وطنية بأنها نشاط هدام ، ولكننا شعب لدين وعقيدة وإيمان بالله ، ولن نرهنا المبادئ الشيوعية أو الأمريكية أو البريطانية .

نشرت صحيفة ( تاج زايونج ) النموية حديثاً الجنرال بيرز قائد قوة الطوارئ ، الدوائية قال فيه : « إن الاضطرابات قد تشتمل من جديد في الشرق الأوسط قبل مضي وقت طويل ، والسبب الرئيسي لذلك هو مشكلة اللاجئين العرب في فلسطين ، إذ مادامت هذه المشكلة باقية بغير حل سيصبح من المستحيل إزالة المرارة التي يحس بها اللاجئين العرب »

## تقرير نظام العراق

قال الزعيم عبد الكريم قاسم ، رئيس الجمهورية العراقية في حديثه له في ١١ من شهر كانون الثاني ١٩٥٦ : « إننا نجتاز الآن حقبة انتعاش كبار الشخصيات : «

اتفق قادة الحركة التعاونية في إقليم الجمهورية العربية المتحدة على الاشتراك في وضع القاعدة الأساسية للاتحاد التعاوني العام للمنطقة العربية من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي

وسوف نجرى استفتاء شعبياً لرفع مستوى الشعب ، حتى تتمكن الأمة من تقرير شكل الحكومة التي ترغبها .

فقد استقر الرأي على توحيد النظام التعاوني في الأقاليم ، وصدر بذلك قرار جمهوري يسمح بإقامة اتحاد عام للجمعيات التعاونية في الجمهورية ، وستنصر لأئحة هذا الاتحاد على أن الباب مفتوح لانضمام كل اتحاد تعاوني في جميع البلاد العربية .

وقال في جمع من كبار رجال الدين المسلمين إننا سنعمل جاهدين على أن نحدد كأمة ، فإن الأجانب يحاولون إيجاد ثغرة في صفوفنا لتحقيق مطامعهم في التفرقة بيننا وتقسيمنا إلى شيع متقاتلة .

إننا لن ندع الأجانب وأذنانهم ينجحون

# عدد ممتاز

١٢  
٢٢٢٢٢٢  
الجزءان ( الرابع والخامس )  
ربيع الآخر ، جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ هـ  
دوريات  
المجلد الثلاثون







زعيم العربية والهدى  
الرئيس جمال عبد الناصر





## قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة

رقم ١٣٥٧ لسنة ١٩٥٨  
بتعيين شيخ الجامع الأزهر

---

رئيس الجمهورية :

بعد الاطلاع على المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له .

وعلى القرار الجمهوري رقم ١٠١١ لسنة ١٩٥٨ بتعيين ممثلي الجمهورية العربية المتحدة في مجلس اتحاد الدول العربية .

## ق ر ر

( المادة الأولى )

عين الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر شيخاً للجامع المذكور بدلا من الشيخ عبد الرحمن تاج الذي عين عضوا في مجلس اتحاد الدول العربية .

( المادة الثانية )

على وزير الدولة تنفيذ هذا القرار .

صدر برئاسة الجمهورية في ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٧٨ ( ٢١ أكتوبر سنة ١٩٥٨ )  
( جمال عبد الناصر )

صورة مرسلة إلى مشيخة الجامع الأزهر





صاحب الفضيلة العلامة الأستاذ الكبير الشيخ محمود سنانوت  
شيخ الجامع الأزهر



## إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

لقد أدبك ربك وهذبك وعلمك ، وراذك بسطة في العلم ونوعاً في فهم كتابه ، وإدراك أسرار سنة نبيه ، ووجهك للاتصال بكل الهيئات ، وتعرف أحوال جميع الطبقات ، ومنحك عقاية حول العلماء وذكاء الحكماء ، وآتاك كل مؤهلات الاستنباط والاجتهاد حتى صرت بحق إماماً في هذا العصر ، ووجه في دين الإسلام لجميع المسلمين . ولقد أسبغ الله عليك النعمة بإسناد منصب مشيخة الأزهر إليك ، وهو منصب جده خطير ، ولكنك وأيم الله له أهل وربه جدير .

وكان الله قد ادخرك لهذا المنصب في هذا الوقت الذي تكاثرت فيه الفتن وأحداث الشر في الدنيا والدين ، وأحيط بالأزهر فضعف وضعف وبلغ منه الضعف حتى افتقر في الرجال أو أفقر ، وكاد يتهالك ويلفظ النفس الأخير ، ولكن عناية الحكيم العليم شمتك ، ولطف اللطيف الخبير أدركه بتعيينك شيخاً له أخرج ما يكون إلى مشيختك ، وإماماً للمسلمين أخرج ما يكونون إلى إمامتك . وكان ذلك على يد زعيم العروبة والإسلام : جمال عبد الناصر الذي يجزل له المسلمون الشكر على هذا الاختيار الموفق .

أى شيخ الأزهر :

أنت فذ في عبقريتك ، مكين في عقيدتك ، قوى في دينك ، كريم في خلقك ، شجاع في الحق ، وقد آتاك الله سلطان الدين ، ووضع في يدك راية الإسلام ، فأرضعها في الحافقين بمحاربة الإلحاد والضلال ، وبيان الحرام من المعاملات والحلال . وإبلاغ دعوة الإسلام عن وجهها الصحيح إلى الناس كافة ، ونشر الثقافة الدينية في جميع نقاع الأرض حتى تعود للدين جده وقوته ، وللازهر عظمتهم ومكانته .

هذا يا فضيلة الأستاذ الأكبر مطلبى الوحيد منك وقد بلغت متبى ما يصبو إليه رجل الدين ، وإن تحقيقه يحتاج إلى مجهود جبار وعمل متواصل بالليل والنهار .

لهذا أضرع إلى الله الكريم الوهاب أن يمنحك السلامة والعافية ، ويتم لك الشفاء ، ويهيك كمال الصحة ، ويجمع فيك مزيداً من النشاط بعد أن قاسيت من المرض ما قاسيت ، وأن يحزبك عن هذا أجر الصابرين .

وإني إذ أهنتك بمنصبك أو في الحقيقة أهني بك المنصب الجديد ، أسأل الله أن يديم لك الرأي السديد ، ويمنحك المعونة والتأييد .

عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

## شيخ الجامع الأزهر

فضيلة الأستاذ محمود شلتوت فقيه واسع الأفق ، بصير بالأحكام الشرعية الملائمة لحاجات الناس ومقتضيات العصر ، ومفسر لم بكتاب الله وسنن الكون ، وعالم اجتماعي يعرف أمراض المجتمع ووسائل علاجها ، حارب الجور والعصية المذهبية التي جعلت من المذاهب أديانا ، وفرقت بين المسلمين . وندد بعكرة غلق باب الاجتهاد في الشريعة الإسلامية واعتبره غلقا للعقول ، وتعطيلا لكتاب الله ، ومحافة لتصويبه الداعية إلى البحث والنظر ، وله مدرسة في كل ذلك دفعت قافلة الفكر الإسلامي إلى الأمام ، وله آراؤه الإصلاحية في النهوض بالأزهر الذي كلف في سبيل إصلاحه منذ سنة ١٩٢٤م حتى الآن .

ولد في ٢٣ أبريل سنة ١٨٩٣ م ، ببلدة منية بني منصور مركز إيتاي البارود مديرية البحيرة ، وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم التحق بمعهد الإسكندرية الديني سنة ١٩٠٦م . وكان أول فرقته في جميع سني الدراسة ، وقد نال شهادة العالمية النظامية عام ١٩١٨م ، وكان ترتيبه أول التاجحين فيها .

وبعد تخرجه عين مدرسا بمعهد الإسكندرية الديني عام ١٩١٩م ، وقد تابع نشاطه العلمي في المعهد وفي الأوساط العلمية ، وفي الصحافة فيما يتصل بعلوم اللغة والتفسير والحديث وسائر العلوم الدينية ، ونادى بوجوب إصلاح الأزهر ، واستقلاله عن الجهات التي يخضع لها .

وفي سنة ١٩٢٧م تقل مدرسا بالقسم العالي في القاهرة .

ولما عين المرحوم الشيخ المراغي شيخا للأزهر سنة ١٩٢٨م تجاوزت فكرته الإصلاحية مع فكرة الشيخ المراغي في إصلاح الأزهر ، وأيد ذلك في عدة مقالات نشرت في صحيفة السياسة اليومية ، وغيرها من الصحف .

ثم تقل مدرسا للفقه الإسلامي بأقسام التحصين في الأزهر ، وفي سنة ١٩٣١م تعارضت آراؤه الإصلاحية مع المشرفين على سياسة الأزهر في ذلك الوقت ، وانتهى الأمر بفصله في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣١م مع بعض زملائه ممن يؤمنون بفكرته الإصلاحية .

## شيخ الجامع الأزهر

وبعد فصله تابع فضيلته تقدمه لسياسة الأزهر، وشرأفكاره الإصلاحية بالصحب اليومية والمجلات، واشتغل بالمحاماة، والبحوث العلمية أثناء هذه الفترة إلى أن أعيد إلى الأزهر سنة ١٩٣٥ م وعين وكيلا لكلية الشريعة الإسلامية، ثم مفتشاً بالمعاهد الدينية.

وفي سنة ١٩٣٧ م مثل الأزهر في مؤتمر لاهاى الدول للقانون المقارن، وألقى محوفاً في التشريع الإسلامى، وكان من أثرها أن قرر المؤتمر أن الشريعة الإسلامية، تشريع مستقل، وقائم بذاته، ويصلح مصدراً للتشريع فى كل زمان ومكان.

وفي سنة ١٩٤١ م قدم رسالة فى المسئولية المدنية والجناية فى الشريعة الإسلامية، نال بها عضوية جماعة كبار العلماء بالإجماع، وكان أصغر الأعضاء سناً.

وفي سنة ١٩٤٢ م ألقى محاضرته الإصلاحية فى السياسة التوجيهية التعليمية بالأزهر. وفي سنة ١٩٤٦ م اختير عضواً فى المجمع القومى.

وفي سنة ١٩٥٠ م عين مراقباً عاماً لمراقبة البحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر، ووضع أسساً لإصلاح المرافة، ولعلاقة مصر الثقافية مع العالمين العربى والإسلامى، وغيرهما.

وفي سنة ١٩٥٧ م عين مستشاراً فى المؤتمر الإسلامى، ثم وكيلا للجامع الأزهر. وظل فى منصبه حتى صدر القرار الجمهورى باختياره شيخاً للأزهر.

وفضيلته فوق ذلك عضو فى اللجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية بوزارة التربية والتعليم، وعضو بالمجلس الأعلى للإذاعة، ورئيس للجنة العادات والتقاليد بوزارة الشؤون الاجتماعية، وعضو فى اللجنة العليا لمعونة الشتاء.

وله محاضرات فى تفسير القرآن الكريم بدار الحكمة، ودورات تعليم، والجمعيات، والهيئات. كما يتابع فضيلته تفسيره فى مجلة رسالة الإسلام التى تصدرها دار القريب بين المذاهب الإسلامية، ويتابع بمحوته الإسلامية، والاجتماعية على صفحات الجرائد، والمجلات وفى الإذاعة.

وله كتب ومسانل فى الدين، والاجتماع، والتشريع، من بينها:

فقه القرآن والسنة. كتاب مقارنة المذاهب. كتاب يسألون، الذى طبعته وزارة الثقافة والإرشاد، وكتاب منهج القرآن فى بناء المجتمع الذى طبعته وزارة الأوقاف، والمسئولية المدنية والجناية فى الشريعة الإسلامية، والقرآن والقتال، والقرآن والمرأة، وتنظيم النسل، وتنظيم العلاقات الدولية فى الإسلام، والإسلام والوجود الدولى للسلمين.

## صلى تعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخاً للأزهر

استقبل العالم الإسلامى والعربى قرار زعيم العروبة والإسلام السيد الرئيس جمال عبدالناصر بإسناد منصب مشيخة الأزهر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بمظاهر الفرح والابتهاج والثناء والشكر للسيد الرئيس ، وبآمال الكبار التى يعقدها المسلمون على رائد الفكر الإسلامى فى العصر الحديث الشيخ شلتوت فى النهوض بمهامهم الإسلامية الكبرى لتؤدى رسالتها على الوجه الذى يقوى الروابط الروحية والثقافية بين جميع الدول العربية والإسلامية .

وقد وفد على مكتب فضيته ومنزله كثير من الشخصيات الكبيرة للتهنئة . وكذلك ورد على رئاسة الجمهورية وعلى مكتب فضيلته ومنزله سيل غامر من البرقيات والرسائل من الجمهورية العربية المتحدة وجميع الدول العربية والإسلامية التى بعث بها الأمراء والوزراء ووكلاء الوزارات ومديرو الجامعات وعمداء الكليات وأساتذتها وشيوخ المعاهد الدينية وأساتذتها وموظفوها وطلابها ومديرو ورؤساء وموظفو المصالح الحكومية ، وكبار رجال الدين على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم ورجال العلم والفكر والأدب والقانون والطب والاقتصاد وسائر الهيئات والجمعيات والأفراد من مختلف الطبقات من مسلمين وغيرهم .

وهذه البرقيات والرسائل من أبرز الطواهر التى تدل على رقى الوعي العربى والإسلامى وبوضوحه وكلها تدور حول أمور ثلاثة على جانب عظيم من الأهمية والسمو والخطورة .

أولها : شكر زعيم العروبة والإسلام الرئيس جمال عبد الناصر على هذا الاختيار الموفق .

ثانيها : تعلق المسلمين بجامعتهم الأزهرية وعظم مكاتها فى قلوبهم .

ثالثها : تقديرهم الكريم عن جدارة لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت وآمالهم العظيمة فيه ، بعد إسناد منصب مشيخة الأزهر إليه .

ونورد هنا بعض الكلمات الشعرية والنثرية التى اتسع لها المقام فى هذه المناسبة الكريمة ثم تتبعها ببعض مقتطفات من البرقيات معتندين عن عدم نشر باقى الرسائل والبرقيات العديدة مع تقديرنا لشعور مرسلها وصدق عاطفتهم نحو الدين والأزهر وشيخه الجديد .



## تهنئة وأمل

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

شيخ الأزهر الجديد

هل أنت آس جراح الأزهر العاني  
وهل ليل الحيارى في غياهبه  
وهل تعيد له ما ضاع من ثقة  
وهل ترى ينفض الصلّاق متفضّفاً  
يمنوه الدهر إجلالاً ويرهب أن  
محمود عند القوافي في تساؤلها  
كم راح غيرك مزهواً بمنصبه  
لكن مثلك لا يزهى بتهنئة  
لما تجاوزت البشرى حلت لها  
تراحمت في فمي الحق واستبقت  
أقول: يا شعر هذا الروض فانشبه  
حق عليك فكم أعلاك منزلة  
من لو يجر على طرس يراعه  
الأملى الذي تكفيك لحنه  
ومرهب الحس لم تخطى مشاعره  
هنه يا شعر واهض في خمائله  
إن المآلى للأكفاء مفخرة  
ما كل من نالها أهل لتهنئة  
إن الملا لموس إن خطبت لها

وموقف لملاء كل وستان ؟  
لجر بهبك يهدى كل حيران ؟  
وما تبدد من عز وسلطان ؟  
حرأ أياً عزيز الشأو والشان ؟  
يفشى حماء وما يمنو لإنسان  
فلست مهما جفا قولى بخوان  
والتهنئات ولم ينفض بينيان  
إلا على عمل مجد وإحسان  
قيارتى بعد ما طهرت ألعاني  
لظل روض من الآمال فينان  
على الوفاء شذا روح وربحان  
وطالما شرقنى منه أذنان  
تاك تمشى في إغضاء خزيان  
فظنه ويقين الناس سيان  
مضى النبال على ملساء صفوان  
واصدح بصماء يروها الجديدان  
والدعين ثمن أى نقصان  
فقد نمرى إذا ما نالها وان  
من ليس كفتاً تردت ثوب أحزان

## تهنئة وأمل

في مهرجانك يا مولاي أبعتها  
 هام الربيع بها حبا فألف من  
 جلدتك بالأمل المرجو ناضرة  
 أعد لأزهرنا قدس منصبه  
 وصد عنه تعلات يروجها  
 ماذا جناء وقد أدى رساك  
 إنا لفي زمن الأحرار فامض به  
 وقل لم إنه قومية جمعت  
 فكيف يهضم دون الجامعات له  
 اجعله جلعة معنى وتسمية  
 أوعد به جامعا تغنى قداسته  
 وألق في مسع الدنيا بصيحه  
 ولا تخيب رجاء فيك منعقدا  
 لاحت غايل لإصلاح بدأت بها  
 عنراء تحتال في وشي وألوان  
 أشاتها زهره في كل بستان  
 فلا تمصها بلا ساق ولا ساق  
 ظالما اهتز من ذل وخذلان  
 مروج الزيف من زود وبهان  
 ضمير اصطبار على منع وحرمان  
 حراً شجاعاً يرجى عدل شعبان  
 تحمل العروبة قدماً منذ أزمان  
 حق ويخس في كيل وميزان ؟  
 فما نعلل عن حق بعنوان  
 عن الخطام حطام المظهر الفاني  
 حتى يردد سراها السما كان  
 فانت أدري بآلام وأشجان  
 فأنتم الخير تقم كل شكران

حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

من قصيدة للأستاذ محمد صالح الريدی المشرف العام على جميعات تحفيظ القرآن الكريم ،

ومشيخة الإسلام ترفع بندها  
 لك الله عبد الناصر اخترت عالما  
 ومحمود شلتوت طوال حياته  
 وفي الأزهر المعمور بلجلل صوته  
 هناء له والمسلمين بفضل  
 لمحمود شلتوت طلياً وضافيا  
 إماما يفي للعلم هيلان صاديا  
 نراه إلى حفظ المنزل داعيا  
 وأصبح في إقليم القطر عاليا  
 عهدناه دوما جلهدا متفانيا

## تحية لشيخ الأزهر

إنه لأمر عام - وليس هو بالرأى الخاص عندى - أن رسالة الجامع الأزهر فى المستقبل أهم وأعم من رسالته فى الماضى منذ نشأته .  
كانت رسالته فيما مضى رسالة تسجيل وتعليم ، ولكنه اليوم لا تقتنمنا منه رسالة تدون رسالة الإفتاء والتوجيه .

وكان يحيط بالعلم كله إلى عهد غير بعيد ، أما اليوم فالعلم أوسع من أن يحاط به فى معهد واحد ، وألزم من أن يستغنى عنه بجزء منه .

وكان الجامع الأزهر يعضى فى رسالته والأديان مقيمة والزندقة مولية ، ولكنه اليوم يتولاها والأديان فى موقف دفاع . بعضه أمام الخصوم المتكررين ، وبعضه أمام الأتباع والأشباع .

إنما ينهض برسالة الأزهر فى عصرنا هذا رجال على علم بالعلم المطلوب ، وفى طليعة هؤلاء الرجال من أبنائه صاحب المضية الأستاذ الأكبر ، الشيخ محمود شلتوت ، .  
أعانه الله ، وحقق له ما يرجوه وما يرجى على يديه .

عباس محمود العقاد

## تهنئة خالصة

مهداة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

و زال عنك إلى أعدائك الوصب	العلم عوفى إذ عوفيت والأدب
سيان إن كتبوا فى الدين أو خطبوا	وأنت من علماء الدين قائم
وليس مرجعه مال ولا شب	والمجد للدين والعرفان مرجعه
والمال يدركه إن ينطق المطب	فالعلم يزكو على الإنفاق كثره
فإن بمحمدك مودوث ومكتسب	ذكرتنا بالمرافى فى مجادته
فأفقه يرسى بكم ما منه يضطرب	وأزهر الدين قد مالت به عمد

أحمد شفيق السيد

كلية اللغة العربية

## الأزهر وشيخه الجديد

منصب شيخ الأزهر من أهم مناصب الدولة . فالأزهر حقيقة عليية دينية يجب بها تاريخ مهيب ، كان منذ إشيائه ملقى للثقافات الإنسانية العالية على اختلافها . ومارس حرية الفكر والبحث قبل أن تمارسها أية جامعة من جامعات العالم . وعانى علماءه الاضطهاد في سبيل الرأي والإيمان . وضربوا أعظم الأمثلة على تحمل المسكاره في سبيل ما يعتقدون أنه حق وصواب . وقد ظل الأزهر أكثر من ألف سنة مركز الإشعاع الروحي والذهني للعروبة والإسلام ، وكانت ساحاته ، وأروقته تحتشد بأبناء الشعوب الإسلامية في المشرق والمغرب حتى لم يكن أن يقال إنه كان وحده جامعة عربية وقومية عربية وعنصر المقاومة الفعالة للاحتلال الفرنسي والاحتلال البريطاني ، ومن الأزهر انبثت الثورات والانتفاضات القديمة ، وانبثت الثائرون والمتنفضون القدامى .

هذا الأزهر ذو التاريخ الحافل والجاه العلمي والديني يعد بالنسبة إلينا ثروة ضخمة لا ينبغي أن نبددها ، أو نجعلها ولكن يجب أن تسميا . يجب أن نعد المشروعات لكي نرد للأزهر مكانته كجامعة عليية كانت منذ ألف سنة تسير على أحدث النظم التي تسير عليها الجامعات العالية الآن . يجب أن نوفر للأزهر الضمانات التي تحفظ عليه وقاره الديني فلا نفتح أبوابه لمن لا يجد غير هذه الأبواب ، وإنما نفتح أبوابه لمن يصلون في استعدادهم الذهني والروحي إلى مستوى لا يصل إليه الناس العاديون .

وقد سرق اختيار فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر ، فهو أحد عبائنا الأزهريين الذين جمعوا بين التعمق في فهم الدين والإيمان به ، والتعبير عنه .

واعتقد أن الرسالة المطلوب من الأزهر أن يؤديها الدين ، هي الفهم الصحيح والإيمان الصحيح ، والتعبير الصحيح .

كامل الشناوى

## إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

بمثلك دين الله تتوى أوامره  
فما أنت إلا عالم عز مثله . .  
وكيف يطل الخطب في أفق أزمه  
قله در الشيخ لما أتى له . .  
وقد عم نور البشر كل رحابه  
فيارب ليل وجهه قلب كافر  
وقد أصبحت فيه الفضائل تزدهى  
وقد كان قبل اليوم يندب حظه  
فأنت له من رقة الموت ناشر  
هنيئا لنا بالعوز، والمجد، والعلا  
فيا عالما مد الأنام فيضه  
أنتك المعالي وهى تخطو حثيثه  
فلنأس بحث كل حين ترفه  
كبد الدجى فى الأفق عم ضياؤه  
فكم مشكلات خضت فيها بحكمة  
فى الحق صولات وفى العلم مثلها  
وأنت لطلاب المعارف مورد  
لقا، جندتك اليوم نفس أية  
وأزهرنا المعمود فى هيد بهجة  
أطل منيعا منذ وليت أمره  
فدام إمام العلم فى ثوب صحة . .

وتزهى على مر السنين شعائره  
كما بين هذا الترب عزت جواهره  
وفى كفك البيضاء، صارت مصائره  
مضى يتباهى فى البرية حاصره  
وكبر للدولى ، وقوت تواظره  
لمقدم هذا النور ، ولت دياجره  
وتزرى بأفلاك السماء مفاخره  
يكفك مدمع الحزن، إذ عز ناصره  
كأنك لإسرائيل ، واثقه أمره  
وأهلا ، بمن كل القلوب توازره  
لك القلب كنز ، أنت فيه ذعائره  
ومن غيرك تلك المعالي تصاهره ؟  
تضوح بفكر المسك فيهم أزاهره  
على صفحات الشعب كم لاح عاطره  
فكان لكم فيها من الرأى بآثره  
وكل عصى فى يديك سرائره  
بموج سور ، أعجز الطرف آخره  
فتم لطلام الجهل ، إنك قاهره  
توف به الآمال ، ما انقض سامره  
وأمسى هزير الركن من ذا يكابره ؟  
وحلت بناديه الأمانى تجاوره ١

عبد الله أبو عيد

# الأستاذ الأكبر

الأستاذ الأكبر محمود شلتوت، من ذوى الآفاق الطيبة المتعددة التى يتسع فيها القول . أتحدث اليوم بإيجاز فى تهنئته عن واحد منها فى هذه المناسبة الكريمة . بوضع ذلكم العظيم فى موضعه الكريم من مشيخة الأزهر هذا الوضع الذى أهني به العالم الإسلامى ، أجمع الذى كان منتظراً ذلك الجليل شيحاً للأزهر والإسلام . تاركاً آفاق الإصلاح التى يرجيها على يده إلى كلمات آتية إن شاء الله .

لعل أوضح خصائص النابهين من أعلام الإسلام مثل الأستاذ العظيم هو سعة تفكيرهم فى معانى القرآن الذى هو دستور الإسلام إلى يوم الدين ، هذه السعة التى أخصبها بحديثى عن الشيخ اليوم ، هى التى ترجمها الشيخ الأكبر المراغى فى وصفه أستاذه الإمام محمد عبده من ألقبه القرآنى - بقوله :

« أعتقد أننا إذا جاوزنا عصر السلف الصالح لا نجد رجلاً رزق فيها فى هداية القرآن ، ووسع صدره أدق معانيه الاجتماعية والعمرانية مثل الإمام محمد عبده . . . . » .

لم ينقطع هذا الفيض القرآنى بعد عصر الإمام محمد عبده ، بل اتصل حاضره بمخاضيه وآخره بأوله ، فقد ربط الشيخ الأكبر محمود شلتوت بين عهده وبين عهد الإمام ، وبين طريقته وطريقته بعروة وثقى لا انفصام لها ، فكان طليعة وارثيه فى استقامته على طريقة الإصلاح بالقرآن للعقائد الدينية ، وللجمع الإنسانى .

درس - ولا أقول قرأت - « كتبيا » فى حجمه ، ولكنه سفر كبير فى معناه . وضعه الشيخ الأكبر شلتوت ، وسماه : « منهج القرآن فى بناء المجتمع » ، وما أصدق ما قالوا : الكتاب يقرأ من عنوانه .

فلقد استبطل الشيخ أسرار القرآن وحكمه . وسار فى سبيله متوكفاً على آيات الذكر الحكيم فى كل غدواته فى الكتاب وروحاته . وفى كل أحاديثه فيه ومحاضراته . وإذ بك أمام مجتمع جديد ، أترع الشيخ صوره من كتاب الله فى قول حكيم ، وتوجيه سليم ، ينتقل بك من أساس القرآن فى رباط المجتمع . إلى التبتل فى نظر القرآن . إلى التكالب على الدنيا وعلاجه ، إلى الروحية والمادية المهدبتين . إلى أن الإسلام دين العقل والعلم . إلى فقه التضامن الاجتماعى وحقيقته . إلى المال ووظائفه فى الحياة ، وأساليب القرآن فى الدعوة إلى الإتفاق ، إلى القول المهيمن وعلاجه ، إلى عناية الإسلام بالأيتام والضعفاء ، إلى معانى التفرقة وحقائق

الاتحاد وكيف يكون الاحتصام بحبل الله . إلى غير أولئك وأولئك مما وعاه صدر الشيخ من أسرار القرآن وبنى به مجتمعاً إنسانياً كريماً .

وبعد فلقد قال الإمام محمد عبده في تفسير كتاب الله : « فهم القرآن متوقف على فهم العالم . . . فلا يمكن فهمه إلا بفهمهم أيضاً » .

وعلى هذا الأساس كان يفسر القرآن . وهكذا رأيت الشيخ الأكبر شتوت في مناجاة القرآن . إنه يفهم قومه ويفهم القرآن ، ولذلك استطاع أن يضع لهم دستور إصلاح قرآني كريم ۞  
حسن الشیخة

## إلى الأستاذ الأكبر

الله أكبر هم النصر واديننا	بشراك يا قلب قد وافت أمانينا
وافت مع الشيخ شلتوت نهنتنا	باسم الشريعة وانجابت دياجيننا
لما احتلى المنصب المرموق مال به	نينا وأقبلت الدنيا تحميننا

• • •

يا حامى الدين تكريماً وتهنئة	لك التهانى زفناها رياحيننا
نعال محمود وأشدد أزد نهضتنا	وألف القوم كي تحيا معانينا
جدد فإننا إلى التجديد في شغف	وافطر لحريجه وانشر به الديننا

محمد أحمد الشال

مدرس بمدرسة الإيمان الإهدادية  
بشبرا

## تقدير

أريد أن أهنئ المسلمين في سائر أنحاء الأرض باختيار فضيلة الأستاذ الأكبر محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر .

إنه نبا يستحق التهنئة حقاً : لأن صدر شيخ الإسلام الجديد يحمل آفاقاً واسعة للإصلاح منذ زمن بعيد .

وأنا أعرف الشيخ شلتوت منذ سنوات طويلة . منذ كنت مراقباً للبرامج الثقافية بالإذاعة المصرية ، وكان فضيله يقدم أحاديث الصباح الدينية .

وأشهد أن أحداً من محدثي الصباح لم يصب شيئاً من النجاح الكبير الذي أصابه الشيخ شلتوت في تاريخ الإذاعة المصرية ، بصوته القوي المؤمن ، حتى لقد كان المستمعون يطالبون بأن تكون أحاديث الصباح وقفا عليه .

ولعل القراء يذكرون أن أستاذنا فكري أباطه قد بدأ منذ عامين حملة إصلاحية على صفحات ( المصور ) بعنوان ( إني أنهم ) وقد خص الأزهر بإحدى مقالات هذه الحملة . ثم تابعها أنا ، فكنت أكثر من عشرين مرة أنهم الأزهر بالقصور في أداء رسالته نحو المسلمين هنا وفي سائر أنحاء العالم .

وأذكر أن الشيخ شلتوت تفضل ذات مرة بزيارتي في أثناء هذه الحملة ، مدافعاً عن الأزهر وتحدثنا يومئذ حديثاً طويلاً لم يخف فيه الشيخ شلتوت أن فيه قصوراً في أداء الرسالة ، وأن هناك أبواباً كثيرة يجب أن تطرق في سبيل الإصلاح المنشود .

واليوم . . . أن أنفتح هذه الأبواب ، فليستبشر المسلمون ؟



## الحق أقول لكم

شيخ الأزهر :

يعرف فضيلة الأستاذ الأكبر ما تكنه له « المجلة » من إجلال ، وما يضمه رئيس تحريرها لفضيته من إعجاب واحترام .

والمحبون للأزهر . هذه المنارة الرفيعة من منارات العرفان في العالم ، يتوقعون الكثير من تولى فضيلة الشيخ محمود شلتوت لشئون جامعتنا الدينية الكبرى .

ويبدو أن الحاديين على الجامع الأزهر يختلفون بقدر عدهم على مناهج الإصلاح ، مع أن الأمر يجب أن يكون أبسط مما تصور جميعاً .

فنحن لا نريد للأزهر أن يتحول إلى جامعة علمانية . ولا نطالبه بأكثر من أن يخرج علماء يعيشون في زمانهم ، أى في النصف الأخير من القرن العشرين ، يفهمونه بقدر ما يفهمون رسالتهم الإنسانية السامية ؛ لأن أداء هذه الرسالة يقتضيهم أن يعرفوا زمانهم تمام المعرفة وأن يكونوا خبيري بكل مشكلاته الروحية والمادية ، وأن يتحكموا في اللغات الأجنبية وفقها تحسباً يسمح لهم بالاتصال المباشر بالمسلمين وغير المسلمين في أنحاء الأرض من تحرك لسانهم بغير اللغة العربية .

ومعنى هذا تعديل شامل في أساليب الدرس والتدريس ، وتغيير جوهرى في المناهج ، وتوسيع لأفق الاطلاع يهيئ الطالب الأزهرى لأدبية رسالته على الوجه الذى يحقق حاجات الناس ، ويتمشى مع روح العصر ؟

دكتور

حسين فوزى

## تعين شيخ للجامع الأزهر

أصدر الرئيس جمال عبد الناصر مرسوما بتعين فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر الشريف بدلاً من الشيخ عبد الرحمن تاج الذي أسندت إليه وظيفة سامية في الجامعة العربية .

والشيخ شلتوت يعتبر من كبار العلماء العاملين وله منزلة عظيمة في جميع الأوساط الدينية والعلمية حيث يتمتع بتقدير الجميع - وقد كان لتعيينه أثر طيب في أوساط الأزهر الشريف وكلياته .

وقد انتهالت عليه التهاني من سائر الأقطار الإسلامية . وتعتد الأوساط العلمية أن فضيلته سيدخل تحسينات جوهرية على أنظمة الكليات وغيرها من المرافق التابعة للأزهر .

## تهنئة وتقدير

داعب البشر والرضى شففيه	شاكراً وبه على نعميه
ثأثر الأمس زاده الله علما	شع نور الجلال من عارضيه
واصطفاه الرئيس خير مثال	تحننيه الرجال في أصغريه
بارك الله في الرئيس دوما	وجرى الخير دافقا من يديه
أبها الثبت في زمان تهاوى	فيه رأى الحنيف من جانبيه
إنما الأزهر العتيد منار	يقبس المشرقان من طرفيه
فاجعل الدرس ضافياً في وضوح	كالدى كان يوم سرت إليه
مثل شلتوت لا يفر بمدح	بارك الله في مدى قوته

(من قصيدة للأستاذ)

محمد كامل شلمش

# العالم العربي والإسلامي

يشكر الرئيس ويهنئ ويعقد الآمال

( مقتطفات )

نورد هنا مقتطفات من بعض آلاف البرقيات والرسائل الواردة من سائر الأقطار والهيئات التي لم يعرف الأزهر في تاريخه القديم والحديث شيخاً قوبل بمثلها ، والتي تدل على اجتماع قلوب العرب والمسلمين ، وتلاقيها حول هذا القرار الحكيم ، وعلى إيمانهم برسالة الأزهر السامية في العالمين العربي والإسلامي .

من برقيات الجمهورية العربية المتحدة :

الإقليم الجنوبي

كليات الأزهر ومعاهده :

- نشكر منقذ مصر والعروبة وحامل لواء الحرية والسلام في العصر الحديث على رعايته للأزهر ورعايته مجده العظيم بإصدار القرار الجمهوري بتعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخاً للأزهر .

• • •

- رعاك الله يا زعيم العروبة وحيالك ومكن للأزهر في كل ما يرجوه المسلمون منه في أيامك والفروحياتك المباركة .

• • •

- أدخلتم السرور على قلوب المسلمين وأنلجتم صدور الأزهرين بإسناد مشيخة الأزهر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت .

• • •

- نرفع آيات الولاء والاعتراف بحمिल عنايتكم بالأزهر بإسنادكم منصب رياسته للعالم الفاضل الشيخ شلتوت . . . . . وندعو الله جلّت قدرته أن يديم عليكم نعمة التوفيق ويجزيكم عن الإسلام والأزهر خير الجراء .

• • •

## صلى تعين الشيخ شلتوت

### جبهة علماء الأزهر :

- توليكم مشيخة الأزهر إحياء لمجد الأزهر وإعزاز للإسلام واسترداد لحقوق الأزهر وهي نعمة من الله تستحق الشكر وتم النعمة بدوام التوفيق إلى خافيه خير الإسلام والمسلمين، وإن جبهة العلماء التي تعرف فيكم المثل العليا والتي طالما عقدت الآمال على أن يشغل هذا المنصب الخطير مثلكم علما وغيرة على الأزهر والإسلام لتنتظر الخير الكبير .

\*\*\*

### الوعظ :

- أصدق آيات الشكر على تفضل ان رئيس باختيار صاحب الفضيلة الشيخ شلتوت شيخنا للأزهر لما عرف عن فضيلته من جهوده الموفقة في سبيل الدين والنهوض بالأزهر .

\*\*\*

- إسناد رئاسة الأزهر إلى فضيلتكم تحقيق لآمل العالم الإسلامي .

\*\*\*

### الجامعة ورجال التربية والتعليم :

- ماضيكم الحافل وتجاربكم الواسعة وذكاءكم الوفاة ، وجهادكم الدائم وتوفر كل ما تحتاج إليه مهمة القيادة الدينية في الوقت الحاضر في شخصكم الجليل كل أولئك جعل اختياركم لمنصب مشيخة الأزهر اختيارا موفقا .

\*\*\*

### الشباب المسلمون :

- نرجو للأزهر في عهدكم أن يجند دين محمد ويعلم المسلمين معنى الجهاد في الدين .

\*\*\*

### رجال القضاء :

- العالم الإسلامي ينظر إلى فضيلتكم نظرة المصلح فأعينوا للأزهر بمجده ونضارته والله معكم .

## صلى تعيين الشيخ شلتوت

### اتحادات الأزهر بالأقاليم :

اجتمع رؤساء اتحادات خريجي الأزهر بالأقاليم في دار الاتحاد العام بالقاهرة مساء الأربعاء ٥ / ١١ / ١٩٥٨ وقرّر المجتمعون انتداب وفد منهم يقوم بتمثيلهم في تهنئة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر .

كما قرروا ما يأتي :

١ - إرسال برقيات شكر للسيد رئيس الجمهورية العربية المتحدة على ثقته العالية بفضيلة الأستاذ الأكبر .

٢ - تجديد الثقة العالية بالسيد رئيس الجمهورية والوقوف خلفه صفاً واحداً حتى يحقق للعرب آمالهم وللشرق أهدافه .

٣ - تسجيل أسمائهم بديوان التشريفات بمرأى القبة للشكر على هذا التوفيق .

### جمعية أنصار السنة المحمدية :

- نرفع لفضيلتكم أخلص التهنئة بتوليكم منصب مشيخة الأزهر الشريف ونشكر لسيادة الرئيس جمال عبد الناصر كريم اختياره الموفق المشكور ، وإن مواقف فضيلتكم المشرقة في إصلاح العقائد لتحملنا على اليقين بأن نور الكتاب والسنة سيمحو في عهدكم المشرق البدر والحرفات ويعيد للدين جلاله وإشراقه .

\*\*\*

### رجال الدين المسيحيون واليهود :

- تهانينا لمنصبكم الهام وفقكم الله للسلام والمحبة لخير الإنسانية والوطن .

- تحقّق ما كنتم آملوه ، وإنّي أدعو الله مخلصاً بأن يكلائكم بعين رعايته ويمدكم بروح منه حتى يتم هذه الرسالة بما أوتيت من فضل وعلم وحكمة ، وأن ينفع بك الإسلام والمسلمين وتوحيد كلمة العرب .

صدى تعيين الشيخ شلتوت

## من الإقليم الشمالى

الوزراء :

- أطيب التمنيات للأزهر فى عهدكم .

\* \* \*

رجال القضاء والإفتاء :

- تعيينكم لمشيخة الأزهر الشريف وجاء منتظر وحسنه لرئيسنا المحبوب تذكركم فلتشكروا ،  
حقق الله الآمال .

- نهنتكم بما تفضل الله عليكم وعلى المسلمين بتوليكم مشيخة الأزهر ، راجين من الله  
أن يرفع بحسن توجيهكم ورعايتكم شأن الإسلام والمسلمين .

\* \* \*

رجال الجامعة :

- مشيخة الجامع الأزهر مشيخة الإسلام ، وقد اكتملت فى فضيلتكم من الصفات  
والكفاءات ما جعلكم أهلاً لتنتعوا بشيخ الإسلام . . . أبقاكم الله ذخراً للإسلام ، وحلماً  
فذاً من أعلامه العظام .

\* \* \*

رجال التربية والتعليم :

- تعيين لاقى محله ، نهى الأمة العربية والإسلامية ، ونهى أنفسنا أبقاكم الله ذخراً  
للعرب والمسلمين .

\* \* \*

رجال الإذاعة :

- أرجو من الله عز وجل أن يأخذ بيدكم إلى ما فيه الخير والفلاح .  
- بمثلكم هنا المنصب الخطير ، وقد ادخركم الله لعهد الثورة الناهضة ، فأحيروا  
الأمم وحققوا الرجاء ، سدد الله فى الإصلاح خطاكم .

صدى تعيين الشيخ شلتوت

## من الأقطار العربية والإسلامية

### العراق

- المكان بالمكين ، تسلمكم المنصب بعد حياة الأزهر ، وازدهاره حقق الله بكم آمال المسلمين بلم الشعب وانطلاق دعوتهم الحقة .

...

### الكويت

#### من الأمراء :

- يسرنا أن نقدم إليكم خالص التهاني بتسلمكم المنصب الخطير ، داعين لكم بالمزيد من التوفيق والسداد في خدمة العروبة .

#### من رجال التعليم :

- نهنئ الأزهر بكم .

- ندعو لكم بدوام التوفيق لتصلوا بالأزهر إلى المكانة المرموقة .

- نرجو للأزهر الشريف على يديكم كل تقدم وازدهار ، وفقكم الله لما فيه صالح العروبة والإسلام .

- نبارك للأزهر والعالم الإسلامي .

...

### قطر بالخليج الفارسي

- توليكم مشيخة الأزهر رد الأمر لأهله ، فلا زلتم علم الإسلام وإمامه ولسانه .

- أخلص التهاني والثناء بالتوفيق .

...

### المملكة العربية السعودية

- نهنئ الأزهر بكم .

...

صدى تعيين الشيخ شلتوت

الطائف :

- تهنئى القلبية وفقكم الله .

## السودان

- الشيخ شلتوت هو الرجل الأول فى هذا الوقت بين علماء العالم الإسلامى بإسناد الأزهر إليه ، وهو الرجل الواسع الأفق الشديد الغيرة ، الخبير بمواطن الضعف فى الأزهر خاصة ، وفى العالم الإسلامى عامة ، لاشك أنه خطوة واسعة ثابتة لتتقدم الأزهر .

\*\*\*

## لبنان

مفق الجمهورية

- نختي "فضيلتكم بالمنصب الجليل ، راجدين فى عهدكم المشرق وما نعهده فيكم من تجديد وإصلاح ، الخير العميم ، داعين لكم بالتوفيق والسداد .

قبيلة القلقوب

- نشكر سيادة الرئيس ، ونختي "الأزهر والمسلمين بكم والله يوفقكم .

رجال التربية والتعليم

- أهنتكم راجيا لكم التوفيق للقيام بأمر المشيخة العظمى .

\*\*\*

## المغرب العربى

- نهنتكم بمنصبكم العظيم ونختي للأزهر وللمسلمين عامة فى عهدكم ما يعيد للإسلام مجده وللدین قلسيته .

- إن سرورنا بإسناد المنصب الإسلامى الخطير لفضيلتكم لينضاعف لما لكم فى النفوس من مكانة ، وما تتمتعون به من سمعة حميدة ، وما تعرفون به من تفقه فى الدين ، وسعة فى الاطلاع ، تجملكم حجة وثقة ، ومرجعاً أميناً ، ورائداً حكماً .

- نهنتكم بثقة السيد الرئيس جمال عبد الناصر ونشكره على اختياره غيوراً على حى الإسلام ومناهجه الرشيدة وقيمه الخالدة .



## صدى تعيين الشيخ شثوث

- نرفع تهاى أبناء ليبيا .
- صادق التبريك بالثقة التى نلتوها عن جدارة .
- أبعث إليكم مهنتا متمنيا لكم التوفيق فى تأدية رسالتكم المقدسة بمشيخة الأزهر الشريف فزيدونه شرفا وازدهارا .
- الله يوفىكم لما فيه خير الدين والدنيا للمسلمين .

## فلسطين

- نضرع إلى الله أن يحقق على يديكم الخير للإسلام والمسلمين .

\*\*\*

## أثيوبيا - الصومال

- سعدنا وسعد معنا ملايين المسلمين فى مختلف أنحاء الأرض .
- الأزهر سيعود له مجده السالف على يديك .
- إن الإسلام سيصل إلى الدنيا كلها .
- إن الفكرة الإسلامية ستجلى وتصبح بعيدة عن الخرافات .

\*\*\*

## أندونيسيا

- نتمنى لكم وللأزهر أن تكون يديكم هى الحفيظة عليه وعلى الدين لرقبه ورفعته .
- أسارع إلى إسداء أصدق التهاى وأخلصها على هذه الثقة التى حلت محلها والحق إلى أهني .
- المنصب بكم ولا أشك فى أنكم دافعوا الأزهر الشريف دفعا إلى الخير ومساعدوه بكل قوتكم حتى يكون أهلا لأداء رسالة السماء إلى الأرض وتحقيق الآمال السكبار المعلقة عليه والمرجوة منه ، وأدعو الله دعاءا حارا أن يسر لفضيلتكم السبل ويمدكم بمعونه وتأييده ويضع بين يديكم الوسائل الكفيلة بالنهوض بالأزهر تلك الجامعة الإسلامية الغنية التى تتجه إليها أنظارنا وآمالنا جميعاً .

\*\*\*

صلى تعين الشيخ شلتوت

## الهند

- نرجو الله أن يحفظكم للإسلام والمسلمين ويحيى بكم الأزهر .

- فضيلة شيخ الجامع الأزهر :

تقبلوا التهانى وأطيب التمنيات من جماعة دار العلوم ، بمناسبة تعيينكم شيخاً للجامع الأزهر .  
دار العلوم الجديدة بدويند في الهند

\*\*\*

## من أوروبا وأمريكا

لاهائى : محكمة العدل الدولية :

- أخلص التهئة باختيار صادق أهله ، وإن تأخر مواعده ، وإنى أدعو الله أن يطرد لكم التوفيق وأن يحفظ الدين والوطن بصائب إرشادكم وصادق هدايتكم .

جنيف :

- عهد مشيختكم الكريمة عهد ازدهار وسؤدد ومجد أنيل للدين الخفيف ، رسائلكم السامية نحن فى حاجة إليها .

المانيا - الوفد الدائم لجامعة الدول العربية :

- ألتقدم بخالص التهانى وأحسن التمنيات ، وكنت أود أن يكون هذا منذ عشر سنوات .

لندن :

- يسعدنى وعلاً جوائى غبطة هذا الاختيار الذى كان يجب أن يتم منذ وقت بعيد ، فأرجو أن تقبلوا التهئة من ابنكم البار بكم وبأبوتكم .

واشنطن :

- بمناسبة تعيينكم شيخاً للجامع الأزهر يسرنى أن أعبر لكم عن خالص التهانى أمد الله فى عمركم وقادكم إلى خطوات النجاح والرفاهية فى منصبكم الرفيع ؟

# زيارة

## السيد رئيس وزراء أندونيسيا للأزهر

في الساعة التاسعة والثلاث من صباح يوم الاثنين ١٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ ( الموافق ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م ) ، وفد ركب السيد / جواندا رئيس وزراء أندونيسيا على إدارة الأزهر فاستقبلته اللجنة المؤلفة لاستقباله باسم السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، وكان على رأسها السيدان ، صاحب الفضيلة السكرتير العام للأزهر الشيخ صالح شرف ، والمراقب العام للبحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر الدكتور محمد الهبى ، وكان مندوبو الصحافة ووكالات الأنباء ، ودور السينما فى انتظار مقدمه ، وقد توجهوا جميعاً إلى مكتب فضيلة الأستاذ الأكبر حيث رحب بهم الدكتور محمد الهبى باسم فضيلته ، وتلا رسالة بعث بها الأستاذ الأكبر للسيد رئيس الوزراء الأندونيسى يرحب فيها بسيادته وبمرافقيه فى رحاب الأزهر ، وعلى أرض جزء من وطننا الإسلامى الكبير ، ويهديه نسخة فاخرة من : « القرآن الكريم » باعتباره العروة الوثقى التى تنقى عندها قلوب المسلمين ، والرابطة التى لا تنفصم بين أبناء الأمة الإسلامية ، ودستور الله الذى اهتدت الإنسانية فى الماضى بهديه ، تخلق منها أمة الإسلام ، التى أurst قواعد العدل والأمن والسلام .

كما أهدى لسيادته كتاب « منهج القرآن فى بناء المجتمع » ، وهو أحدث مؤلفات فضيلته ، ويبحث فى نواحى هذا الدستور الإلهى : « القرآن » .

وعقب الدكتور الهبى بذكر الروابط التى تربط شعبى الجمهورية العربية المتحدة ، وأندونيسيا ، وأن الأزهر هو مركز الإشعاع الروحى الذى يعم ضياؤه أرجاء المعمورة ، كما قال لأنه من حسن الطالع ، أن تكون سيادتكم أول زائر رسمى للأزهر بعد تعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر ، فكان هذا استهلالاً حسناً ، فى بدء عهد جديد مبارك فى تاريخ الأزهر برياسة شيخه الجديد الشيخ محمود شلتوت .

## زيارة رئيس وزراء أندونيسيا

ثم رد السيد رئيس وزراء أندونيسيا شاكرًا ، ومنوها بروابط الود الأخوي بين أبناء الأمة الإسلامية ، وأن الأزهر هو المعقل الذي يجمع بين القلوب ، ويحمل مشعل الهداية ، والتور ويدعو إلى السلام والمحبة .

ثم زار سيادته بعد ذلك المكتبة الأزهرية ، وشاهد ما فيها من نفائس الكتب والمخطوطات كما زار الأزهر واستمع إلى بعض الدروس في الفقه والتفسير والتجويد والبلاغة وفقد نوه الدكتور الهبي بأن الأزهر يحرم على بعض تتاليده القديمة في التعليم بجانب النظم الحديثة التي يسير عليها أبناؤه في كلياتهم ومعاهد حاليًا ، وشأنه في ذلك شأن الجامعات الأوروبية العريقة ، ثم انصرف سيادته ورفاقه شاكرين هذه الحفاوة البالغة التي استقبلوا بها في رحاب الأزهر العتيق ؟

## خطاب الأستاذ الأكبر

السيد الدكتور جواندا كارتا ديجابا

رئيس وزراء أندونيسيا

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبسم :

فيرني أن أرحب بكم وبمرافقكم ، في رحاب الأزهر الشريف وعلى أرض جزء من وطننا الإسلامي الكبير .

ويسعدني ، أن أهديكم هدية الله لعباده : القرآن الكريم ، وهو العروة الوثقى التي تلتقي عندها قلوب المسلمين ، والرابطة التي لا تنفصم بين أبناء أمتنا العزيرة ، وإن تنامت بها الديار ، وباعد بينها الاستعمار . كما أنه دستور الله الذي اهتدت الإنسانية في الماضي بهديه ، تطلق منها أمة الإسلام ، التي أرست قواعد العدل والأمن والسلام .

ويشرفني أن أهديكم مؤلفاً لي في بحث ناحية من نواحي هذا الدستور الإلهي : كتاب « منهج القرآن في بناء المجتمع » .

وأرجو لكم ، وللشعب الأندونيسي العظيم العزة والجد ، ولأمتنا الإسلامية بعثاً جديداً تؤدي به للإنسانية رسالتها في الحاضر كما أدتها في الماضي .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

# حول تعليم اللغات الأجنبية في الأزهر

## قرار

### بتنفيذ دراسة اللغات الأجنبية بالأزهر

بعد الإطلاع على مذكرة صاحب العضوية الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر المؤرخة ١٤ من شعبان سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ٥ من مارس سنة ١٩٥٨ م التي قدمها إلى اللجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية في إحدى جلساتها .

قرر ما يأتي :

أولاً : تدرس اللغات الأجنبية بالمعاهد الدينية .

ثانياً : تدرس في هذا العام اللغة الإنجليزية بالسنة الأولى الثانوية بجميع المعاهد .

ثالثاً : يجوز أن تدرس في معهد القاهرة اللغة الفرنسية والألمانية والروسية وأن تدرس في معهد الإسكندرية اللغة الفرنسية .

رابعاً : لا يسمح للطالب أن يدرس بالمعهد إلا لغة واحدة .

خامساً : تكون خطة الدراسة أربع حصص أسبوعياً لكل لغة .

سادساً : يكون منهج الدراسة في السنة الأولى الثانوية هذا العام هو منهاج السنة الأولى الإعدادية بـ مدارس وزارة التربية والتعليم بالنسبة للغة الإنجليزية ، ومنهاج السنة الأولى الثانوية بوزارة التربية والتعليم بالنسبة للغة الفرنسية ، ويكون منهاج اللغات الأخرى من إعداد الأساتذة الذين يشبون لتدريسها .

سابعاً : تبدأ دراسة اللغات المذكورة يوم السبت ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ الموافق ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م ٩

شيخ الجامع الأزهر  
( توقيع )

٦ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ  
١٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م

# كتاب من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

إلى أصحاب الفضيلة الأساتذة شیوخ المعاهد اأءینیة  
بأءقیذ القرار الصادر بأءلم اللغات الأءنیة

---

سلام الله علیكم ورحمته - وبعد

فإن رسالة الأزهر هی الدعوة للإسلام و نشر الثقافة الإسلامیة بین مختلف شعوب العالم .  
وهذا ولا شك یتطلب معرفة العلاء اللغات الأءنیة حتى یسهل علیهم تأدیة الرسالة بین أقوام  
لا یتفاهمون إلا بهذه اللغات .

لذلك أصدرنا القرار المرائق رجاء أءقیذه مع مراعاة ما یأتی :

أولاً : تسند دراسة مادة اللغة الإنءلیزیة إلى السادة أساتذة المواد الأءتماعیة بالمعهد نظیر  
مكافأة عن الحصص الئی تزید عن النصاب المقرر للدرس .

ثانیاً : تسند دراسة مادة اللغة الفرنسیة إلى أساتذة هذه اللغة بوزارة التریة والأءعلیم بطریق  
النسب نظیر المكافأة المقررة رسمیاً .

ثالثاً : تسند دراسة باقی اللغات الأءرى إلى الأساتذة المتخصصین فیها وبمكافآت أیضاً .

رابعاً : یبدأ أءقیذ دراسة اللغات الأءنیة ابتداء من یوم السبت ١٢ من ربیع الآخر  
سنة ١٣٧٨ هـ ( الموافق ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م ) .

والسلام علیكم ورحمة الله وبركاته

# شكر

السيد وزير التربية والتعليم المركزي  
لفضيلة الشيخ محمود شلتوت على إدخاله  
اللغات الأجنبية بالأزهر

أرسل السيد / الأستاذ محمد كامل النحاس وكيل وزارة التربية والتعليم المساعد كتابا  
بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٥٨ م إلى السيد / فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وكيل  
الجامع الأزهر ( شيخ الجامع الأزهر حاليا ) جاء فيه ما يلي :

« قد أخبرني السيد الوزير أنه يشعر معكم بأن هذه البداية الطيبة في تخرج رجال الأزهر  
مزودين بعدد من اللغات الأجنبية سيساعد كثيرا على أن يؤدي الأزهر الشريف رسالته  
العظيمة في نشر الثقافة الإسلامية والعربية في الدول غير العربية سواء كانت إسلامية ،  
أم غير إسلامية ، عن طريق علماء ووعاظ يستطيعون أن يتصلوا بشعوب البلاد المختلفة  
في العالم إذا ما أوفدوا إليها بواسطة إحدى اللغات الأجنبية التي يتقنونها بعد تخرجهم من  
الأزهر ، كما يستطيع هؤلاء المحرّجون أن يطلعوا على ما يكتب عن الإسلام باللغات الأجنبية  
وبذلك يمكنهم أن تفنيد الدعايات المغرضة التي تقسوم بها بعض الدول الاستعمارية ،  
وتحصين الإسلام في شعوب العالم : الإسلامية منها ، وغير الإسلامية ضد تلك  
الدعايات السيئة » .

« وقد أنايى السيد الوزير في أن أوجه لكم جزيل الشكر على هذا القرار الحكيم  
وأسال الله تعالى أن يوفقكم لنصرة الإسلام ، واستعادة مجده القديم » .

## الأزهر وتدريس اللغات

لعل أجراً حدث في الأزهر منذ إنشائه ، هو القرار الجريء الذى أصدره فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، قبل أن يلى هذا المنصب الدينى الخطير بأيام ، بتدريس اللغات الإنجليزية والفرنسية والروسية فى الأزهر الشريف .

فلقد حقق فضيلته أمنية طالما تمنّاها قبله كثيرون ولم يستطيعوا تحقيقها بل إن المرحوم الشيخ الأحمد الطواهرى الذى تولى مئبغة الأزهر منذ تسع وعشرين سنة لم يستطع هذا مع أنه دعا إليه فى كتابه « العلم والعلماء » الذى ألهه فى سنة ١٩٠٤ .

فهذا القرار الحكيم الجريء يدل على فهم دقيق لما يجب أن يكون عليه طلبة الدين من ثقافة غربية إلى جانب ثقافتهم العربية وعلى أن الأستاذ الأكبر خير راع وحافظ لمستقبل أبنائه ، وعلى أنه بصير بأمور الدين والدنيا معا .

محمد على رفاعى

فى حفل جامع بمعهد المنصورة أقيمت تهنئات لفضيلة الأستاذ الأكبر بمناسبة تعيينه شيخاً للجامع الأزهر . ومنها هذه القصيدة العصماء للأستاذ محمد إبراهيم السقا المدرس بالثبوية والتعليم .

شبية الأزهر المعمور تهنئة	من مسلم هزه الأمر الذى صدرا
تزدودوا من لغات الغرب واغترفوا	آدابها واقطفوا من روضها زهرا
لكم أوائل فاقوا فى فضلهم	أعلامها وقضوا فى حقها الوطرا
هذا رفاة فى رهنط صباقة	راد الحضارة فى باريس واعتصرا
وترجم الأمهات الخالدات لنا	كنزا من العلم مأثورا ومدخرا
وكان رائد أجيال ومدرسة	أهدت إلى الشرق من أعلامها نفرا
وفى الإمام مثال خالد عطر	إذا انقسم مثالا خالدا عطر
أولئك وسوام من أوائلكم	شقوا الطريق لجدوا واقتفوا الأثرا
رسالة الدعوة النراء موكلة	إلى كواحلها واقفروا الخطرا
رودوا بمجاهل للإسلام واغترفوا	مشرين وخطوا العجز والخورا
بها اللغات سلاح ففتحون به	مغالق الفهم فى غزو إذا عصرا
لخلصوها بجد واكتسوا حلا	من المحامد واجنوا العز والطفرا
وابنوا لمستقبل بالمجد مزدهر	يجي بكم أملا فى الدين مزدهرا
شبية الأزهر المعمور توجكم	شلتوت شيخاً مهيباً طيب الأثرا
جاءته مشيخة الإسلام ملزمة	بجد الجبابر والإرهاق والسهرا
فاقه نسال تسديد الخطى وبه	نستفتح العهد طلقا مشرقا نظرا



مجلد	٤٠٠
في وادي النيل	٤٠٠
الطبعة الأولى	٣٠٠
الطبعة الثانية	٣٠٠
خارج المودع	٣٠٠
الطبعة الأولى	٣٠٠
الطبعة الثانية	٣٠٠

مجلد ١٥٠٠  
مجلد ١٥٠٠  
مجلد ١٥٠٠  
مجلد ١٥٠٠  
مجلد ١٥٠٠  
مجلد ١٥٠٠  
مجلد ١٥٠٠  
مجلد ١٥٠٠

مجلد	٤٠٠
في وادي النيل	٤٠٠
الطبعة الأولى	٣٠٠
الطبعة الثانية	٣٠٠
خارج المودع	٣٠٠
الطبعة الأولى	٣٠٠
الطبعة الثانية	٣٠٠

الجزء الرابع - القاهرة : ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ - أكتوبر ( تشرين الأول ) سنة ١٩٥٨ - المجلد الثلاثون

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ذروة الحق

« الحق » من الله ...

وهو أحد شطري الإسلام الذي تصرع عنه المجموعة الكبرى من أوامره ونواهيه ،  
وهي من شعب الإيمان به . وشرطه الثاني الخير ، ويسمى بلغة الإسلام « الإحسان » ،  
وله في مجال التطبيق مدلول أدق وأجمل وأوغل في محيط الإخلاص مما يتبادر إلى الذهن  
في بادئ الرأي ...

والحق وصية الله إلى الإنسانية في كل نظام قامت به ، وفي كل ما يتعامل به الأفراد  
والجماعات : ما يتنازعون فيه ، أو يتعاونون عليه .

وما من رسول بعثه الله إلى الإنسانية لتوجيه أبنائها إلى الحق ، وتسديد خطاهم نحو  
الخير ، إلا كان الإيمان بالحق والإحسان فيه ، جوهر رسالته .

والإسلام نفسه دين الحق ، وهو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، .

لذلك اعترف الاسلام برسالات الله السابقة كلها ، واعتبر ما صبح منها في مجموعته إسلاما ،  
لأنها رسالات الحق ، والحق كل لا يتجزأ .

« وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » .

والإنسان يسير في طريق الكمال ما أحب الحق ، وكان من أولياته ، ووطن نفسه على تحريه ، والإذعان له - برضا وطمأنينة - في السر والعلانية ، والدعوة إلى إقامته ، بشرط أن يكون حقا في الواقع ، واضح المعالم وضيء القسمة ، وه إن الظن لا يغني من الحق شيئا ، . وذروة الحق ، ومفتاح السعادة ، الإيمان بالله . . .

« ذلك بأن الله هو الحق ، »

والطريق السليم إلى معرفة الله والإيمان به إطالة النظر في بدائع خلقه ، وعجائب صنعه ، ودقائق أنطته في ملكوته « سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، » . هذا هو طريق القرآن إلى ذروة الحق ، إلى معرفة الله ، إلى الإيمان به . وهو غير طريق الفلاسفة : الملاسمة اليونانيين في الدهر الأول ، وفلاسفة العرب في أوروبا وأمريكا في العصور الأخيرة . وهو كذلك غير طريق الفلاسفة البرهميين والصوفيين ، والمتأثرين بهم من قدماء ومحدثين . إن طريق الفلاسفة - من هؤلاء وأولئك - لا تؤدي إلا إلى هاوية الجحود ، أو إلى الإيمان بوحدة الوجود . ولا معنى لوحدة الوجود إلا الإيمان بأن الكون هو المعبود ، وأن الله غير موجود . . .

هذا هو الجحود المقتنع عن أهل العمى ، والجحود السافر لنوى البصائر . والمصير بعده إلى جحيم من الآواهم تنبيه فيها العقول ، وتضييع الأعمار سدى بعد أن يكون أهله قد خسروا الدنيا والآخرة . وقد يما قال أحد أعلام المتحرفين عن أساليب القرآن ، إلى أساليب البراهمة واليونان ، بعد أن أوغل في هذا التيه صنرات السنين :

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسرحت طرفي بين تلك المعالم  
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن ، أو قارعاً سن نادم

أقول هذا وقد تلقيت في هذا الشهر كتاباً من أحد شباب الإسلام ، شاب دمشق تخرج بتفوق مرموق من الجامعة السورية ، وقد كتب إلى يشكو قلماً فكرياً اتناه في المرحلة الأولى من طريق البحث عن البراهين الكلامية لوجود الله ، قال : « ... وتركت دراستي ، ومضيت وراء كتب العقائد ، أقرأ البراهين .. فإذا رأيت البرهان الحق ذفقت الدمع سرورا ورحمت أمضى في القراءة والمناقشة حتى أصبح النقاش والجدل كل شيء في حياتي . . . » ، قال : « ومع مرور الأيام وتتابع الليالي بدأت أشعر أن السفينة التي عاشرت المرفأ وتاهت

في الطلبات ، قد بدأت تعود شيئاً فشيئاً نحو الشاطئ .. ، وذكر أسباب ذلك ثم قال :  
« وبين الفينة والفينة كنت أجد نفسي منساقة مع هواها للنقاش والجدل .. ولكن شتان  
ما بين الحالين .. غير أني لا أكاد أصلي حتى أشك هل صليت ثلاثاً أم أربعاً ، وهل قرأت  
الفاتحة أم نسيها .. » .

إن الصراع بين الإيمان والجهود من أمراض التعليم المنحرف في كل زمان ومكان .  
ولعله في زماننا ، وفي التعليم الذي رسم لنا الغرب خطوته في المعاهد والجامعات التي نتلقى  
عنها ثقافتنا ومعارفنا ، أقطع بما كان فيها مضي . وما شكاه إلينا هذا الشاب الجامعي المسلم  
قد يكون كثيرون غيره من أبنائنا يشكونه كشكواه ، أو بألوان أخرى . وقد شعرت  
وأنا أقرأ كتابه بأنني أمام واجب إسلامي يحملني على التحدث بهذا الموضوع ، لا لآني أكثر  
علماً بما ينبغي لي التحدث فيه ، بل لآني في سن اكتسبت فيها بعض التجربة مما مر علي في نفسي ،  
وفيمن لقيتهم واتصلت بهم في عشرات السنين .

قبل نحو ربع قرن ، قصيت بعض ليلة من ليالي العشر الأخير من رمضان - وكان ذلك  
سنة ١٣٥٢ - في حديقة تزدان بالورد والزهور ، فكنت أقلب وجهي في الفلك الأعظم تارة ،  
وأراجع تاريخ حياة وردة كانت أمامي تارة أخرى . لقد رأيت في تلك الليلة - من وراء  
بدائع صنع الله - بدائع في نظام خلقه يكاد قليل ما نعرفه من أسرارها يهرع قول العقلاء منا ،  
فتخر الجبابرة غاشقة لبديع السماوات والأرض ...

فكرت في نسيح الوردة القائمة أمامي على غصنها تسبح بحمد الله خالق الأزل والأبد  
وما بينهما من ملايين الدهور ، ورحمت أحل في ذهني دقائق نسيجها ، وأتذكر ما كنت  
تعلم في المدرسة عن ملايين الذرات والخلايا التي تألف منها أسجة الوردة ، والحياة المستقلة  
والمضامنة التي تحياها الخلايا في غذائها ولقاحها وحملها وولادتها إلى أن تموت . ورجعت  
إلى تاريخ الوردة أستعرض سيرة أجدادها ، والصفات التي تتوارثها أمة الورد بسلا بعد نسل ،  
والمواهب التي تكتسبها بعض هذه الأنسال من بيئاتها ومصاهراتها ، وتأملت في استمدادها  
للمو والتوليد ، وفي تذكرها أصولها ، ورجوعها إلى سابق صفاتها وألوانها بعد طروء  
التطورات الجديدة عليها ، وكيف تسير في ذلك كله على أنظمة هي غاية في الدقة ، وأوضاع  
في منتهى الحكمة ، فوقعت ساجداً ذليلاً لعظمة الباري الحكيم ...

كانت ليلة مباركة خشت فيها لمقدر أنظمة الوجود والفناء في صنوف كائناته الأرضية : من أمم الجراثيم ، إلى عوالم النبات والشجر والثر ، إلى طوائف الحيوان من زواحف ودواب وسابحات وطائرات ... هذا كله في كوكبنا الأرضي ، وهو نجم صغير حقير في كون واحد من ملايين الأكوان الدائرة في أفلاكها بنظام دقيق ، ومقادير محددة ، وأبعاد معينة ، وحركات مؤقتة وممتدة . وكل هذه الأجرام الهائلة الخفيفة الهلالية في مداراتها ، والقاذفات بشررها ، والمسافرة أشعثا سمرا أسرع من البرق في رحلات تستمر عشرات السنين بين مصدر تلك الأشعة ومواقع أضوائها وظلالها ، فكيف بالتدبير الإلهي لمجموع مخلوقاته !...

ونساءلت ، بعد ذلك عن الحياة ، وكيف وجدت في كون كان سديما وغازا . ثم اشتعل السديم والغاز ملايين السنين فكان شموسا كشمسنا وهي جسيم متأرجح ، ثم بردت الأجرام الصغيرة منه بصقيع الأجواء التي تتروح فيها فصارت جمادا . فكيف نشأت في الجماد الحياة ، حياة الورد ، وحياة الهرة ، وحياة النحلة ، وحياة البيغاء ، وحياة السمكة ذات الخراشيف اللامعة ؟ كيف تحولت تلك السم والغازات والمواد المتأرججة فكانت منها هذه الأحياء الطليقة !

أليس هذا من تقدير الباري العظيم ، القادر الحكيم ؟

جماد كان نارا تلتظى ، ثم دبّت فيه الحياة الطليقة بعقب الورد والزهر وألوانها ، وبحركات الهرة والنحلة والبيغاء وأصواتها ؛ أوجد هذا كله بلا موجد ، ويخلق من غير خالق !

وهذه الجاذبية بين أجرام السماوات ، نحن نسميها جاذبية ، ونمل بها وجود أجرام الأفلاك الهائلة معلقة بأنقالها ومعادنها وجبالها وبراكينها في الفضاء تسبح بنظام دقيق ، وبينما سيارات العقلاء منا تصطدم وتحطم بركابها في ميادين القاهرة وشوارعها ، نرى سيارات السماء - وهي جماد لا يعقل - آمنة من أن تصطدم في أفلاكها ومداراتها !

بربك أيها الفلك المدار      أحق ذا المسير أم اضطرار  
مسيرك قل لنا في أي شيء      هي أذهاتنا منك انبهار

نحن نسميها جاذبية ولا نرى منها إلا آثارها . فهل وجدت بين الكواكب وكتل

الأجرام بأثر الصدقة والاتفاق ، أم هي خلقت نفسها ، أم أنها وجدت ورسمت لها أنظمتها بقدره الله المشهود التي نعى عنها ونبحث في كتب الفلاسفة والمتكلمين عن براهين جدلية لوجود الله وأدلة قدره ؟

إن الذي لا يستدل على الخالق بالخلق والنحلة والوردة ، سيبقى أعمى عن الاستدلال عليه بأنظمة الفلك الأعظم ، وعن سبب وجود الحياة في الأحياء على أرضهم يقولون إنها كانت جزءاً من الشمس انفصلت عنه ، وإنها كانت حتى بعد انفصالها عن الشمس ناراً ملتهبة ، ثم بردت ، ثم وجدت الحياة فيها ، حياة النبات والحيوان ، فهل هذه الحياة كانت كامنة في مادة الأرض الملهبة ، ومن ذا الذي جعلها كامنة فيها يوم كانت ناراً ؟ ومن ذا الذي أبرزها من النار فأحيا بها هذه الكائنات الحية ؟ .

لقد كان سلفنا الأول على صواب حين التزموا طريقة القرآن في الاستدلال على الله ببدائع خلقه ، وكانوا يكرهون فلسفة اليونان النظرية العقيمة وما اقتبسه منها المعتزلة والإسماعيليون وسائر الفرق النائية في ظلمات الجدل والمراء والأيام دولة بني العباس . وكنا نحن في غنى عن هذه الفلسفة بما نشاهده في ملكوت الله الأعظم وما تلو فيه من آيات لله ظاهرة باهرة .

يقول الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب العلم من إحياء علوم الدين ، في معرض الكلام على « التوحيد » ، وما طرأ على هذا اللفظ من تحريف :

« وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ، ومعرفة طريق المجادلة ، والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم ، والقعدة على التشديق فيها بتكثير الأسئلة ، وإثارة الشبهات ، وتأليف الإلزامات ... مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول . بل كان يشتد منهم التكبر على من كان يفتح باباً من الجدل والمأراة . فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأنذان إلى قبولها في أول السماع ، فلقد كان ذلك معلوماً لكل ، وكان العلم بالقرآن هو العلم كله ، وكان « التوحيد » عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين ، وإن فهموه لم يتصفوا به . »

ومن العجيب أن أبا الحسن الأشعري رحمه الله ، بعد ما اضطر إلى مجادلة المعتزلة بأقيستهم وقواعدهم ، عدل عن ذلك فيما بعد ، وختم الله له حياته المباركة بالرجوع إلى طريقة القرآن

في كتابه : ( مقالات الإسلاميين ) و ( الإبانة ) وهما من آخر ما ألفه في الدور الثالث من حياته بعد انتقاله من البصرة إلى بغداد ( ١٠ ) ، فرجع هو عن طريقة الفلاسفة والمتكلمين ، ولا يزال المنتسبون إليه متمسكين بما عدل هو عنه مع زوال الصرورة التي حملته على طريقته الأولى ، وقد أدى هذا اللون من الجدل ومناقضة الخصوم - غير الموجودين الآن - إلى اضطراب الأفكار ، كالذي وقع للشاب الفاضل الذي أفضى إلينا بشكواه .

وعجبة أخرى أن أحد شيوخ الأزهر السابقين قال في كتابه ( العلم والعلماء ونظام التعليم ) ص ١٤٠ - ١٤٤ وهو يتكلم عن تعليم علم التوحيد : « إن أكثر الخلافات لا حقائق لها ، وإن حقيقة الأمر في الدين الإسلامي أسهل وأبسط من هذه التحقيقات والتدقيقات ، ولا تحتاج إلى مثل هذه المشاغبات والخلافات التي قد يكون موضوع أكثرها مما لا يضاد الدين الاعتقاد فيه بإيجاب أو سلب ، أو عدم اعتقاد أحدهما ، أو بما لا يجوز الخوض فيه ، ولا تمكليف العقل معرفته » إلى أن قال : « وحسبنا دليلاً أنه غير معهود في زمن الرسول ، بل وفي القرآن . والغرض إنما هو حصول الاعتقاد الجازم من وجهة ثابتة مقدورة للناس » .

وموضع العجب في ذلك أن مقرر هذه الحقائق لما تولى مشيخة الأزهر بعد ذلك مندداً طويلة لم يحاول العمل بها ، وتعديل مناهج التدريس على ضوءها ، ولو فصل لقطعنا شوطاً طويلاً في الرجوع إلى طريقة القرآن في هذا الأمر العظيم الذي هو ذروة الحق .

كنت في طفولتي أسمع من والدي رحمه الله كلمة حكيمة وهي : تفكروا في خلق الله ، وفي آلاء الله ، ولا تفكروا في ذات الله ، رأيت من يذكر أن هذا حديث ، لكن سنده ضعيف ، على أن معناه صحيح ، فإن التفكير في ذات الله من صميم الغيب ، وعلم الغيب لا ينال بالفكر ولا بالعقل ، بل بالنص عن المعصوم ، وإقحام العقل في غيب ما دل عليه النص خروج به عن دائرة عمله ، وما أحسن قول إمام الحرمين أبي المعالي الجويني في هذا الموقف وهو جلد خير به :

نهاية إقدام العقول عقلان وغاية آراء الرجال ضلال

[١] انظر لتحقيق ذلك مقالة « الأشعري ومراحل تنوره الفكري » في ص ٢٩ - ٣٠ من هذه المجلة م ٢٦ سنة ١٣٧٤ ، ومقالة « آخر مراحل الأشعري » في ص ٣١ - ٣٣ من تلك السنة ، وانظر أيضاً ص ١٠٩٤ - ١٠٩٦ من هذه المجلة م ٢٥ سنة ١٣٧٣ .

وعلى ذكر إمام الحرمين والموضوع الذي نحن فيه كنت قرأت في شذرات الذهب نقلاً عن المتأوى في شرحه على الجامع الصغير أن أبا جعفر محمد بن الحسن الهمداني سمع أبا المعالي - يعني إمام الحرمين - يقول : قرأت خمسين ألفاً في حسين ألفاً ، ثم حبلت أهل الإسلام ، وركبت البحر الخصم ، وعصت في الذي نهى أهل الإسلام عنه - لعله يعني التأويل والفلسفة وعلم الكلام - كل ذلك في طلب الحق ... والآن رجعت إلى كلمة الحق : عليكم بدين العجائز فإن لم يدركن الحق بلفظه وأموت على دين العجائز وتحتم عاقبة أمرى على الحق وكلمة الإخلاص ، وإلا فلويل لابن الجوفى .

أعظم ما أضر المسلمين في دينهم ، وحولهم عن أساليب القرآن إلى أساليب اليونان هو علم الكلام الذي كان من علم المعتزلة ، وجاراهم فيه علماؤنا ليردوا عليهم مأساليهم وأقيستهم ، وكان ذلك ضرورة تتمدد بفترها ، وقد زالت الآن هذه الضرورة وتحولت إلى ضرر كالذي وصفه لنا عن نفسه كاتب الرسالة التي أشرنا إليها . ونصيحتي إلى كل مسلم أن يأخذ بإيمانه واعتقاده من نصوص كتاب الله وسنة رسوله ، وما يتعلق من ذلك بالغيب يؤمن به على ما يليق بكمال الله عز وجل ويمره كما ورد : لا ينقص منه ، ولا يزيد فيه ، متبعاً طريقة القرآن في الاستدلال على الخالق ببدائع خلقه .

والذي ضربت به الأمثال آنفاً من بدائع خلق الله ينطوى على حق هو من الله ، ويدل على عظمة الله وجلال كماله . فهذا الحق الثابت إذا اعتاد العقل السليم الاعتماد عليه في تكوين العتيدة كان قلعة حصينة من قلاع الإيمان الإسلامي . وأنا ما تفككت مرة في مكانة المخلوق من الخالق إلا سارع ففكرى إلى « الحياة » ، وأنها من أهم ما تدل به المخلوقات على خالقها . وسارع كذلك إلى ما سمي « الجاذبية » ، وأنها الدليل العلى الصارح بقدرة الله على إطلاق هذه الإجرام السماوية الهائلة تسبح في الفضاء غير محمولة على شيء وهي تجري في نظام دقيق رهيب : « فالق الإصباح وجعل الليل مكنة الشمس والقمر حباناً » ، « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » ، « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل » ، « ومجر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى » ، « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار » .

وأسماء الله وصفاته تؤمن بها كما وردت من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكيف ولا تمثيل . وهذه الأسماء والصفات تدل على معاني يجب على المسلم أن يتعبد بالإيمان بها ،

وبالعبودية لله من ناحية المعنى الذى يدور عليه كل اسم من أسمائه عز وجل ، وكل صفة من صفاته .

فالواحد منا ينبغي له أن يتأثر بصعات الله العليا فيجعل من عبادته لله المتصف بها احترامها والتعامل بها مع الناس ، فإذا تصور اسم « الرحمن » و « الرحيم » كان من عبادته لله الرحمن الرحيم طلب رحمته بالقيام بخلقه بما يستطيعه من رحمة للإنسان ورفق بالحيوان .

وإذا تصور اسم « الحكيم » كان من عبادته لله الحكيم أن يتدبر حكمته الإلهية فى مخلوقاته ويحاول الوصول إلى علم ما يمكن عليه منها . ولو تجرأ المتقنون والمشتغلون بالعلوم الطبيعية والكبائية الوقوف على سرائر حكمة الله فى الأشياء ، واعتبروا ذلك من ألوان عبادة الله الحكيم ، لسبقوا الأمم إلى إدراك مصادر القوى وكنوز الخير مما يبلغون به وتبلغ به أمتهم سعادى الدنيا والآخرة .

وإذا تصور الواحد منا اسم « الحى » المأخوذ من قول رسول الله صلوات الله عليه « إن الله حى يستحي من عبده إذا مد يده إليه أن يردهما صغرا » كان من عبادته لله الحى أن يتطبع ما أمكنه بهذا الخلق العظيم ، فإن الحياء من الإيمان ، والتعامل بين الناس بالحياء من أعلى مراتب الأخلاق الإنسانية .

وإذا تصور اسم « الحليم » كان من عبادته لله الحليم أن يمتحن نفسه على الحلم وسعة الصدر وعلى التعامل مع الناس بهذا الخلق الكريم ، حتى يتأثر به كل من يتأسى به من ولده وأهله وزملائه ومواطنيه ، فتسرى عدوى ذلك فى الأمة ، ويكون الحلم أثره فى سعادة المجتمع .

وإذا تصور اسم « الصبور » كان من عبادته لله المتصف بهذه الصفة العليا احترامها ، والتعامل بها ، وتوطين النفس عليها . وقد نصرت كتاب الله على أن التواصى بالصبر عديل التواصى بالحق ، وذلك من بواضت النهوض بالمستوى الاجتماعى إلى المراتب العليا .

وإذا أحصى المسلم أسماء الله الحسنى وصفاته العليا على هذا الوجه ، وأصبح ذلك خلقاً فيه ، وديناً له ، وسنة يتبعها فى معاملته للناس ، صحت فينا الشارة الكريمة : « إن الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » . وما أوسع أبواب الجنة لمن يعرف الطريق إليها ، وهذا النوع من المعرفة من أعلى أنواع المعارف التى يحمل بالمسلم الحكيم أن يتحلى بها ، وأن يتهمز كل فرصة لتعميم العلم بها بين الجماهير . وإن لذلك ما بعده إذا شاء الله . . .

محج الدين الخطيب



# نفاية القرآن

- ٦٤ -

خير ما يوصف به الحديث أنه صدق ، وعدل  
وكلام الله في الأوج الرفيع من ذلك .

( أ ) وتمت كلمة ربك : صدقا . وعدلا ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم .  
( ب ) وأن تطلع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله .  
( ج ) إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يحرصون .

إذا وضع السكال في شيء فهو جدير بالقبول ، وشأنه الإجلال ، والانتفاع به في كل ما يتعرض له ، فإذا كلف الشيء على كماله ، ولم يصادفه ما هو جدير به من حسن التقدير ، فالعيب عيبنا . والنقص في مداركتنا ، ولا يضير ذلك الشيء الكامل أن نصدف عنه ، فإن الحق ناهض بطبيعته ، والباطل زهوق لحسه .

ومثل هذا واضح في القرآن الكريم ، وموقف الناس منه .

فقد جاء القرآن في روعته ، وقوته فوق تناول البشر جميعاً .. ومع هذا لقي من المعارضة ، وعنف الخصومة كل ما استطاعه خصومه النافرون منه ، والمنفرون عنه .

وطلت قوة القرآن بسلطانه الروحي تشق طريقها في نبات معادية له ، وتركز دعوته على أنقاض المتأولين له ، وهم كثيرون في كل زمن . وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين -  
وفي صدر الآية الأولى أوسع كلمات تكفي للإقناع بأن القرآن بلغ المبلغ الأعلى من القداسة .

وكان جديراً بالناس أن يحنحوا إليه ، لولا أن العقول في لومة من الثقايد الباطلة ، لجاءت الآية الثانية للتصحيح على أن زهادة الزاهدين في القرآن ليست لميب فيه ، بل لإسفاهم في الاختيار ، وقصورهم عن التمييز ، وسيرهم وراء الظنون ، والشبه التي تعد منافذ الصواب أمام المدارك والمواهب .

ففي الآية الأولى يقول تعالى: ( ١ - وتمت كلمة ربك - ٢ - صدقاً - ٣ - وعدلاً - ٤ - لا مبدل لكلماته ) وكلمة ربك : هي القرآن ، ويقرؤها البعض - كلمات ربك - فقد وصفت بالتمام ، وأصبحت إلى لفظ الرب ، وفي هذا مقطع الشكوك ، ومثار الإيمان لمن أنصف نفسه .

وحيث كان التمام في كلمات الله فهي وافية بكل غرض ، وسامية عن كل باطل وقصر . وكفيلة بكل خير ، وهي أرقى من أن تعلق بها الشبه التي يحاولها المشكرون للقرآن . ثم يأتي وصف ثان وثالث بأنها صدق وعدل .

وذلك إصباح بما تضمنه الوصف بالتمام ، وإعلام لنا بأن قداسة القرآن ليست في مجرد سبته إلى الله ، فإن الخصوم لا يدترفون بذلك .

بل قداسة ذاتية كذلك ، لما وضع فيه من صدق وعدل ، فكله حق ، وتشريع رفيع ، وهو في جملة وتفصيله ، دقة بالناس ، وتيسير عليهم ، وتوجيه لهم ، يذلل ما تعقد ويصرهم بما خفي ، ويرافقهم طول الحياة ، وفي السراء ، وفي الصراء - لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه - لأنه - تنزيل من حكيم حميد - وهذه صفات يعيدها المخالفون ، فتمديما عاندوا ، وأسرفوا في التجدي ، وحاولوا ما استطاعوا أن يخذشوا كآله ولم يظفروا بحجة ناهضة ، ولا معذرة مقبولة .

فالقرآن موصوف بصفات مسترة في قلوبهم ، وإن لم تكن على ألسنتهم . ثم جاء الوصف الرابع - لا مبدل لكلماته - ليسجل عليهم العجز عن مقاوت ، وليقرر أنه غير قابل للتبديل أو التحريف ، كما ابتليت بذلك كتب سابقة مع ما كان لها من قداسة .

ولكن هذا هو الكتاب الأخير ، وهو منهج الناس في حياتهم ، حتى يتجاوزوها إلى الحياة الآخرة . غرامه وحلاله وكل ما فيه من وعد ووعد غير قابل للتبديل .

وكيف وقد استقر على تمامه في الكمال ٤٤ .

وعبر غاف أن حصوم القرآن يتنوا من العبث به ، ويتنوا من المساس بنصوصه ومعانيه وإذا كانت شبه المارقين ، وتختلفات الغافلين باقية ، وواقعة ، وسارية في أوساط عدة فليس ذلك كما قلنا عيباً في القرآن ، بل هذا تحقيق لحجر القرآن نفسه في الآية الثانية .

(ب) وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله .

فالناس في عماية عن أخبار الغيب ، وفي عماية عن أخبار عالم الشهادة . وهم يسمعون وينصتون ، ويشاهدون ويتعالمون ، وهم عند التوازل يفتقون ويتذكرون ، ثم يعودون إلى ما ألفوا ، ويأخذون فيما تعودوا .

والله كرى لا تنفع الجميع . وإنما تنفع المؤمنين المستجيبين للدعوة .

وكان خصوم القرآن يطمعون أحياناً في مطاوعة النبي لهم ، والسير في مزاعمهم ويجهلون أن الله حاصمه من باطلهم .

ولذلك جاءت الآية الثانية كما جاءت آيات أخرى تنبه إلى رعاية الله لئيه من كيدهم ، وتنبيه إلى أن أكثر الناس في ضلالة وجمالة - وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون - وانظر تجد أن المؤمنين في الدنيا قلة بجانب كثرة غير مؤمنة ، ولكنها قلة راشدة ناجحة ، وتلك كثرة خاطئة خاسرة .

وهذا شأننا في كل محيط نزل به ، وكل فئة تقلب النظر فيها ، وكأن الله تعالى يسوق إلينا هذه المقابلات بين فريق هدام ، وفريق أضلهم لنحمده على ما تفضل به من الإيمان ، ولننظمين إلى أن كتابه محفوظ وإن تألبت عليه الأمم المعادية له .

وكفانا ثقة في وعده أنه القادر على كل شيء . وسيظل الكتاب العزيز خفاق الراية ، وارف الظلال في حراسة الله الذي أنزله ، وقال : « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » . وقال : « لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم » .

وبعد : فقد يمر بالخاطر أن الناس في شغل شاغل عن متابعة دينهم ، وأن بعضهم أو أكثرهم لا يرون لدين أثر في أعمال الدنيا ، ولا يدركون حكمة للحص على الاتصال بالدين والاهتمام بتوجيهاته .

وهذه خواطر قوية ، تساور أصحاب القلوب الحية ، فهم بأسفون لانحراف الكثرة من الناس عن حوزة الدين ، واشتغالهم بالتنافس في المجال المادي .

وكن النبي - صلوات الله عليه وسلامه - أشد الناس حذباً على أمته ، وحرصاً على هدايتها ، حتى كان شغفه باجتنابها إلى الطاعة ينال من نفسه ، ويذهب براحته .

فكان ينزل عليه القرآن ليخفف عنه وطأة الأسف ، ويصرف عنه مشغلة الهم الذي يساوره ويقول له : « إنك لا تهدي من أحببت - إنما أنت منذر - إن عليك إلا البلاغ - فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » .

ومن هذا يتضح أن الله تعالى بين للناس على لسان رسوله ما بين حتى لم يدع لهم معذرة يلمسونها لأنفسهم ، ولا حجة يتشبثون بها عن مخالفتهم .

وتركهم لعقولهم ، واختيارهم ، ثم هو محاسبهم بعد ذلك على مثقال الذرة من الخير والشر ، ولكن الناس ظلوا في دنياهم مدفوعين إلى اجتلاب ما يحتلبونه من كسب وادعاء للحياة الدنيا ، وفقدوا إحساسهم بحاجة الروح والقلب إلى التهذيب والتربية والاستعداد للحياة الآخرة ، وهم في هذا الانحواء الملتوى عن الرشد يتعلقون بظنون واهية والظن لا يقى من الحق شيئاً .

فهم من يسير في تقديره للدين وراء حُدس وتخمين ، ويحسبون أن الله غير معذبهم لأنهم على حق فيما ركنوا إليه كما ركن إليه آباؤهم من قبل ، وهؤلاء هم الكافرون الأولون . ومن الناس من يعتقد أن الله غفور رحيم ، وأنه ما دام كذلك فسوف لا يحاسب ولا يعذب . ومنهم من يسرف ويعصى ثم يأمل أنه سيبوب فيما بعد ، وينجو من الحساب بسبب توبته ، وكأنه واثق أنه يعيش ، وأن التوبة في متناوله في أى وقت ، وأن الموت لن يباغته يوماً ، وتلك كلها ظنون باطلة ، وتقديرات وهمية ، وآمال ذاهبة أدراج الرياح . وهناك حق لا ينبغي المدول عنه ، وهو أن يستجيبيوا ، ويعملوا ويحاطلوا وأن يقندروا ما يخشونه من موت مفاجئ ، وحساب عسير ، ولكنهم لم يفعلوا ، ومن أجل ذلك سجل الله عليهم هذه الغفلة بقوله في شأن الجميع .

« إن يتبعون إلا الظن وإنهم إلا يخرصون » .

فهذا تشجيع على المتعلقين بالظنون والمبالغين في الخرص ، وهو التخمين والتغريب بالنفس وإهمال مافي الآيات من العظات .

والله نرجو أن يهينا رشداً ، وتوفيقاً ، وأن يمحينا الظن الخاطي .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

# العين حق

العين حق

من الطوائف النبوية - المقياس الرشيد في عالم  
الغيب - رواية الثقات شافية - الطب مادي  
وروحى - أثر العين الحاسدة - الرقية المشروعة .

عن أنى هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : العين حق . ونهى  
عن الوشم . « رواه البخارى »

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : العين حق . ولو كان  
شيء سابق القدر سبقته العين ، وإذا استغنىتم فأغلبوا . « رواه مسلم » [١]

\*\*\*

اتفق الشيخان على الشطر الأول من الحديثين ؛ وانفرد الإمام أبو عبد الله البخارى  
بما ضم إليه من النهى عن الوشم ، وإن كانا متفقين على حديث لعن الواشمة والمستوشمة .  
وحسبك ما فى اللعن من الوعيد وبلغ النهى ؛ وانفرد الإمام أبو الحسين مسلم بما ضم إليه  
من تأكيد الإصابة بالعين ، ومن بعض علاجها المادى . وفى رواية للإمام أحمد : العين حق ،  
ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم . ولأبى نعيم : العين حق ، تدخل الجمل القدر والرجل القبر ؛  
وجلى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه تحدث بهذا الشطر فى مناسبات شتى ، بين فيها

(١) فى كتاب السلام ، باب الطب والمرضى والرقى ، وذكره صاحب « زاد المسلم فيما  
اتفق عليه البخارى ومسلم » فى حرف العين ، تسامحاً ؛ فإنما اتفقا على الشطر الأول كما رأيت  
وأما الحديث الأول فرواه البخارى فى « باب العين حق » من كتاب الطب ، وفى « باب  
الوشمة » من كتاب اللباس .

كلها أن الإصابة بالعين حق لا شك فيه . ويعلم المؤمنون بالرسول وما أنزل إليه من ربه أنه  
« ما أصاب من مصيبة إلا ياذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم » .

ثم نهى في بعض المناسبات عن الوشم . وهو غرز إبرة أو نحوها في الجلد حتى يسيل  
الدم ثم يذر عليه كل أو نحوه ليخضر ، وهو تغيير لحلق الله وفطرته ، ومن هنا لمس الله  
فاعله والداعى إليه ! ففى كل من الإبرة والعين وخز من الشيطان يغضب الرحمن عز وجل ،  
وإن كان أحدهما وخزاً حسيماً والآخر وخزاً مادياً ! ذلك إلى أن من البواعث على الوشم  
دفع العين أو انتفاء ضررها بما لم يعتمد على عقل ولا عقل ، فكان من اللطائف النبوية النهى  
عن الدواء الذى لم ياذن به الله ، إلى الدواء الذى أذن به . . .

وفى بعض المناسبات قرن النبي صلى الله عليه وسلم إصابة العين بالفندر وإن كانت منه  
بلا ريب ، توكيداً لتعاضدهما ، وشدة تأثيرها فيمن تصيب بإذن القائم على كل نفس بما  
كسبت ، وكأنه يقول صلوات الله عليه لو صبح أن يغالب القدر شيء ويساقفه في إقناء شيء .  
أو الإضرار به قبل أجله المضروب له ، لسبقت العين ، فهو توكيد ببلغ من طريق الغرض  
ومثله في كلام البلغاء والمربين ذائع شائع لا نطيل القول به . . .

\*\*\*

وفى هذا التوكيد النبوى الذى يكاد يبلغ مبلغ التواتر فى إصابة العين ، تنبيه على دقة الأمر  
وعلى أنه من عالم الروح والغيب ، الذى يثقى على كثير من الناس تصديقه ، ولا سيما الذين  
يقفون عند ظواهر الأمور ، ولا يؤمنون إلا بما يقع فى دائرة الحس والهووى .

لا جرم أن الأباطيل والخرافات ، سمعت كثيراً من الأفكار والأخبار ، وسيطرت  
على كثير من الجهال وأنصاف المتعلمين ، وشككت غير قليل من الباحثين الحائرين ، ولكن  
الحس والهووى ما كانا ولن يكونا أبداً مقياساً للتصديق أو التكذيب ، فالهووى بمعنى وبصم  
إلا هوى تانعا لما جاء به المعصوم صلى الله عليه وسلم ، والحس مقياس أبت أعوج ، تكرور  
خطؤه ونقصه وقصره فى المحسات ، فضلاً عن المغيبات ، بشهادة الذين لا يؤمنون بالغيب...  
والمقياس الرشيد فى عالم الغيب والشهادة ، هو التصديق بكل ما صدقه الله ورسوله ،  
والتكذيب بكل ما كذبه الله ورسوله ، والسكوت عما سككت عنه الله ورسوله وجلز عقلا  
وشرعا أن يكون وألا يكون . وقد قال العلماء إن كل شيء ليس محالاً فى نفسه ، ولا يؤدى إلى

قلب حقيقة ولا إفساد دليل فهو مما يجزه العقل ، فإذا أخبر به المعصوم كان إنكاره مكابرة ، وصحة الخبر برواية الثقات كافية وإن لم تكن متواترة . . . وإلا جحدنا كثيراً من أخبار الصادق المصدوق بمد ما ظهر الدليل ووضح السيل .

• • •

وأما قوله صلوات الله وسلامه عليه : « وإذا استغسلتم فاغسلوا » فهو بيان للطب المسمى من إصابة العين ، يأمر العائث أن يغتسل إذا طلب منه الغسل ، وفيه إشارة إلى أن الاغتسال كان معروفاً عندهم ، فأمرهم ألا يمتنعوا منه إذا أريد منهم ، وأدنى ما فيه الطمأنينة لهم ورفع الهم عنهم ، وظاهر أن هذا الاغتسال رخصة فينبغي الاقتصار على ما جاء فيها دون التوسع فيما ابتدع المبتدعون وتزيدوا وكذبوا على الله ورسوله ! ونفروا كثيراً من ذوى العطرة البريئة من الأحاديث الصحيحة 1 .

وقد روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان يؤمر العائث فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين . وفي هذا الاعتسال - كما قال العلماء - مناسبة لا تأباهما العقول السليمة ، فهذا ترياق سم الحية يؤخذ من لحمها ، وهذا علاج النفس الغضبية ، توضع اليد على بدن الغصبان فيسكن فكان أثر العين الحاسدة كشعلة من نار وقمت على جسد المحسود ، ففي اغتساله إطفاء تلك الشعلة .

• • •

وأعظم من هذا الطب المسمى وأنسب ، ذلك الطب الروحي النبوي ، بالرفق والمعوذات التي جاءت عن الله ورسوله ، وقاية وعلاجاً ، ومنها ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة . والشيطان هنا شيطان الإيس والجني ، والهامة واحدة الهوام - بتشديد الميم - ذوات السموم والعين اللامة : النازلة التي تصيب بسوء ، من أعين الإنس والجن . وقد روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : أمرني النبي صلى الله عليه وسلم أو أمر أن نسترق من العين ، وثبت في صحيح مسلم أن جبريل عليه السلام رقى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأفاض عليهم

السنة والاجتماع - وفي مقدمتهم ابن خلدون - في العين وإصابتها وتأثيرها بإذن الله تعالى وعلاجها بالرقية المشروعة : (١) .

وأكبر العلم أن أجمع العلماء بياناً في ذلك كله صاحب « زاد المعاد » في الطب النبوي ، كفى وشئاً ولم يدع زيادة لمستزيد ولا قولاً لمقاتل ، ولقد همت أن ألخص هنا بيانه ، ولكنني آثرت الإشارة على العبارة ، والقصد على الإطالة : فليسعنا في العين والرقية منها ما وسع الراغبين في العلم ، ولنغض الطرف عن الزائغين والمجادلين في الحق بعد ما تبين .  
« وانه يقول الحق وهو يهدي السبيل » ٩

طه محمد الساكت

### من التوجيه المحمدي

« إن الحلال بين وإن الحرام بين ، وبينهما مشتهيات لا يعلمن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام : كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

« ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه . »

« ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب . »

هذا الحديث النبوي من جوامع الكلم المحمدية الكبرى ، ومن الأحاديث التي تدور عليها قواعد الإسلام ، فالمسلم الموفق لا يفوته حفظ هذا الحديث ، واتخاذ إماماً في جميع تصرفاته .

(١) في ١١ ج ٩ شرح الشيخ الجزيري رحمه الله حديث أبي سعيد رضي الله عنه ،

في الرقية ...



# نقد كتاب

« أضواء على السنة المحمدية »

( ٤ )

١ — من دأب هذا المؤلف في كتابه أنه إذا استولت عليه فكرة ، أو غلب عليه هوى ، جعل البحث تابعاً لما يرى أو يهوى . وفي سبيل هذا يركب الصعب والذلول ، ولا عليه في هذا السبيل أن يحرف الكلم عن مواضعه ، ويحمل الالفاظ ما لم تتحمل ، وأن ينقل نقولاً بتراء ، وأن يقع في أعراض بعض العلماء والآئمة المتبئين .

ومن دأبه أيضاً التهويل والمبالغة عند عرض فكرة أو رأى له ، وأنه يجعل الفرع أصلاً والأصل فرعاً ، وهذا هو ما صنعه عند ما عرض لبحث « رواية الحديث » في ص ( ٥٤ ) وما بعدها ، فقد جعل رواية الأحاديث بالمعنى هو الأصل والقاعدة ، ويجيئها على اللفظ أمراً شاذاً نادراً ، بل وأنهى باللائمة والتجھيل للذين يحسبون « أن أحاديث الرسول التي يقرءونها في الكتب أو يسمعونها من يتحدثون بها قد جاءت صحيحة المبنى محكمة التأليف ، وأن ألفاظها قد وصلت إلى الرواة مصونة كما نطق بها النبي بلا تحريف ولا تبديل ، وأن الصحابة ومن جاء بعدهم من حملوا عنهم إلى زمن التدوين قد نقلوا هذه الأحاديث بنصها كما سمعوها ، وأدوها على وجهها كما لقنوها ، فلم ينلها تغيير ولا اعتراها تبديل ، وأن الرواة للأحاديث كانوا صنفاً خاصاً في جودة الحفظ وكال الضبط وسلامة الذاكرة ، إلى أن قال « ولقد كان - ولا جرم - لهذا الفهم أثر بالغ في أفكار شيوخ الدين - إلا من عصم دبك - فاعتقدوا أن هذه الأحاديث في منزلة آيات الكتاب العزيز من وجوب التسليم بها ، وفرض الإذعان لأحكامها ، بحيث يأثم أو يرتد أو يفسق من خالفها ، ويستتاب من أنكرها أو شك فيها » .

والقارىء لهذا الكلام - إذا لم يكن من أهل العلم والمعرفة بالحديث النبوى - يخيّل إليه أن السنة لم يأت فيها حديث على محكم لفظه ، وأنها دخلها الكثير من التغيير والتحريف ، مع أن الأصل في الرواية أن تكون باللفظ المسموع من الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وأما الرواية بالمعنى فهي رخصة يترخص فيها بقدر الحاجة إليها إذا غاب اللفظ عن الذهن

أو لم يتأكد منه، وما لا ينبغي أن يخفى على باحث في الحديث النبوي أن يعلم أن بعض العلماء والرواة قد منعوا الرواية بالمعنى مطاقاً وألزموا أنفسهم وغيرهم بأداء اللفظ كما سمع، وأن من أجل ذلك منعوا العلماء والرواة بالمعنى إنما أجازها بشروط فيها غاية التحوط والأمن من التزيد والتغيير والتبديل فقالوا: لا يجوز الرواية بالمعنى إلا لعالم عارف بالألفاظ ومقاصدها، خبير بما يحيل معانيها، بصير بمقدار التماوت بينها. كما قالوا: إن هذا فيما يروى قبل أن يدون، أما ما دون في الكتب فلا يجوز تغييره بمصادفه ولا التصرف في نطقه بحال من الأحوال<sup>(١)</sup>. والعجيب أن المؤلف نقل نحواً من هذا عن كتاب «توجيه النظر» للعلامة الشيخ طاهر الجزائري، ولا أدبى كيف ينقل شيئاً ولا يقتنع به إلا وكيف غاب عن ذهن المؤلف أن التدوين بدأ بصفة عامة ورسمية في نهاية القرن الأول، ولم يكن ينتهى القرن الثالث حتى كانت السنة كلها مدونة في الكتب من صحاح وسنن ومسايد؟ وأن بعض الصحابة والتابعين كانوا يدونون الأحاديث في القرن الأول ولا سيما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> فكيف تتفق هذه الحقائق وما روى به من أحكام جائرة ظالمة؟ وهل على أحد من حرج بعد هذا لو وصم هذا المؤلف بنجث الطوية وسوء القصد ومحاولة هدم الأصل الثاني من أصول التشريع؟؟

وماذا ينبغي أعداء الإسلام أكثر مما يقوم به أبو ربه وأمثاله من تقويض إحدى دعائم الدين بهذه المحاولات الفاشلة الهائلة؟ وليعلم أبو ربه أن شيوخ الدين - أعزهم الله - حينما يعرفون السنة مكانتها من الدين. ويعلونها من أنفسهم المحل اللائق بها، ويرون التزامها علماً وعملاً وسلوكاً، ويذنبون عن ساحتها كل دعى زعيم، وينسقون أو يؤثمون من يرد مائت من السنة، ويحاول جاهداً إبطالها والكيد لها أو الاستهزاء والاستخفاف بها، لا يستحقون منه كل هذا الغمز واللمز؛ لأنهم يصرون في هذا عن دين قوي ورأى مستنير وعلم أصيل.

٢ - إن هذه الأحكام المجتررة إنما تصدر عن غفل عن العوامل الدينية والنفسية والخلقية التي اتصف بها الرواة من الصحابة ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم... من أهل القرون الفاضلة بشهادة المعصوم صلى الله عليه وسلم وشهادة الواقع التاريخي، فهم ذوو الدين

(١) مقدمة ابن الصلاح بشرحها ص ١١٠ ط الشام.

(٢) مفتاح السنة ص ١٨.

الكامل والخلق العالى والتقوى والمروءة ، وهم يعلمون حق العلم أنهم يروون لها يعتبر مرجعاً فى الدين وأصلاً من أصوله ، وأن أى تزبد فيه أو تحريف وتبديل يسؤدى بهم إلى أن يتبدوا مقامهم فى الناس ، وهم إلى ذلك ذوو حوافظ قوية وأذهان سيالة ووجدان حى وقلوب عاقلة واعية ، وإنكار هذه الخصائص أو بعضها إنكار للحق الثابت والواقع الملبوس .

٣ - حينما نقل من أدلة المجوزين الرواية بالمعنى حديث عبد الله بن سليمان الليثى قال : قلت يا رسول الله إني أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أؤديه كما أسمعك منك يزيد حرفاً أو ينقص حرفاً ، فقال : « إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس » ؛ فذكر هذا للحسن قتال : لولا هذا ما حدثنا . قال فى الهامش ص ( ٥٧ ) : هذا الحديث يناقض ولا ريب حديث « نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها » . ولكن لابد لكل فئة من أن تؤيد رأيها بحديث ، يريد الطعن فيه بالوضع والاختلاق ، وإني أقول له : إن هذا الحديث رواه ابن منده فى معرفة الصحابة ، والطبرانى فى المعجم الكبير ، والخطيب فى كتبه وغيرهم ، ونقله آئمة الحديث وأطبأؤه فى كتبهم ولم يحكم عليه أحد منهم بالوضع ، وكنت أحب من المؤلف لو أراد البحث التزبد المستقيم أن ينقده نقداً صحيحاً من جهة سند أو متن ، وبين موضع الدخل فيه ، ولكنه لم يفعل . أما ما تخيله من مناقضة بين الحديثين فقير صحيح ، لحديث « نضر الله امرأ ... » للترغيب فى المحافظة على اللفظ المسموع والحك عليه ، وليس من شك فى أن المجوزين للرواية بالمعنى يرون أن الأفضل والأحسن رواية الحديث بلفظه . وأما الحديث الثانى فهو لبيان جواز الرواية بالمعنى بشرطها . ثم ألا يقال لمن روى كلاماً بمضاه مع التحوط البالغ أنه أداه كما سمعه ؟ بلى .

٤ - ولكن يدل المؤلف على ما جازف به من آراء فائقة ذكر أمثلة للرواية بالمعنى ، فعرض لما ورد فى صيغ التشهد من أحاديث ، ولما ورد فى حديث الإسلام والإيمان ، وحديث زوجتكما بما معك من القرآن ، وحديث الصلاة فى بنى قريظة ، وقد استغرق ذلك من كتابه من ص ٦٠ - ٧٤ والغرض الذى قصده من وراء هذا أن يخلص إلى ضرر الرواية بالمعنى من الناحية الدينية وقد شاء الحق سبحانه أن يسقطه بسبب ما عرض له سقطات لا لى له منها ، وقد أسمرت عن ضحوة المؤلف فى البحث ومبلغ عليه بالحديث ، وسأبين وجه الحق فيما عرض له مع الإيجاز .

(١) عرض المؤلف لما روى في التشهد في الصلاة من صيغ ، فذكر تشهد ابن مسعود وابن عباس وعمر وغيرهم ، ثم قال : هذه تشهدات ثمانية وردت عن الصحابة ، وقد اختلفت ألفاظها ، ولو أنها كانت من الأحاديث القولية التي رويت بالمعنى لقلنا عني ، ولكنها من الأعمال المتواترة التي كان يؤديها كل صحابي مرات كثيرة كل يوم . . .

ورددى عليه من أين لك أن هذه التشهدات قيلت في قصة واحدة حتى تدل بها على ضرر الرواية بالمعنى ؟ إن الطالب المبتدئ في الحديث ليدرك بآدي الرأي أنها وقائع متفرقة ، وأن النبي قال كل ذلك في أوامر متفاوتة بهذه الألفاظ المتغايرة ليبين للأمة أن التشهد بأي منها جائز ، فإن مسعود وهو من السابقين إلى الإسلام سمع أولاً ، وابن عباس وهو من مهاجرة المتحسب سمع بعد ذلك وهكذا ، قال ابن قدامة الحنبلي : فصل وبأي تشهد تشهد بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم جائز ، نص عليه أحمد فقال : تشهد عبد الله أعجب إلى ، وإن تشهد بعيره فهو جائز ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما علمه الصحابة تحملاً دل على جواز الجمع كالقراءات المحتزمة التي اشتمل عليها المصحف (١) . وقد اختلفت أنظار الأئمة في ترجيح بعضها على بعض من غير طعن في المرجوح ولا رد له ، فالجمهور ومنهم الحنفية والخناينة أخذوا بتشهد ابن مسعود ، وأخذ الشافعية بتشهد ابن عباس ، والمالكية بتشهد عمر ، ولم في اختياراتهم مرجحات وأدلة تدل على رجاء الصدر في البحث وعمق الفهم وشفوف النظر (٢) ، قال الترمذي : حديث ابن مسعود روى من غير وجه وهو أصح حديث في التشهد ، والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم . . . .

ولكن ترى الفرق بين العلماء والأدعياء أذكر لك ما روى عن الإمام الشافعي ، وقد سئل عن اختياره تشهد ابن عباس قال : « لما رأيته واسعاً وسمعت عن ابن عباس صحيحاً كان عندي أجمع وأكثر لفظاً من غيره ، وأخذت به غير معنف لمن يأخذ بغيره مما صح . . . ولو سلمنا - جدلاً - أن هذه الروايات في قصة واحدة فالخلاف بينها حين يسير لا يستأهل كل هذا التحويل ، فتشهد ابن مسعود بلفظ : التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك

(١) المنقح والشرح الكبير . ج ١ ص ٥٧٩ .

(٢) لكي نفق على هذا ارجع إلى فتح الباري ج ٢ ص ٢٥١ - ٢٥٢ ، والمنقح والشرح الكبير الموضع السابق .

أيها النبي الخ ، وتشهد ابن عباس بلفظ : « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله » ، وباقية كتشهد ابن مسعود ، وتشهد عمر بلفظ : « التحيات لله ، الزاقيات لله ، الصلوات لله ، الطيبات لله » وسأتره كتشهد ابن مسعود ، وبقية صيغ التشهد الواردة لا تخرج عن هذه الصيغ بزيادة كلمة من صدر التشهد أو نقصان أخرى ، وذكر لفظ « لله » عقب كل كلمة منها ، أو في أولها أو آخرها . وكل ذلك أمر جائز وله وجه في العربية ، وأما زيادة البسمة قبل التشهد ، فلم تصح كما قال الحافظ في الفتح ، فعلم كل هذه الضجة المفتعلة التي لا يقصد من ورائها إلا التشويش على السنة والأحاديث ؛ ثم من قال أيها المؤلف البعثة : إن التشهد من قبيل الأفعال المتواترة وليس من قبيل الأقوال ؟ إن الطالب المبتدئ يعلم أن الصلاة أقوال وأفعال والتشهد من الأقوال لا محالة .

(ب) أما ما عرض له من حديث (كذا) [١] الإسلام والإيمان ، ودعمه أن الروايات التي ذكرها في قصة واحدة فما يقضى منه العجب ، ومن ذا الذي يسهل أن حديث جبريل المشهور هو غير حديث طلحة بن عبيد الله في قصة الرجل الذي جاء من أهل نجد ثائر الرأس يسأل عن شرائع الإسلام ؟ بل من ذا الذي يشك في أن حديث جبريل غير حديث أبي أيوب الأنصاري في قصة الرجل الذي جاء إلى النبي فقال : دلتني على عمل يدنيني من الجنة وياعدني من النار ؟ وحديث أبي هريرة الذي فيه : أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله دلتني على عمل إذا عملته دخلت الجنة - الحديث ؟ نعم قد قيل إن حديث أبي أيوب وحديث أبي هريرة في قصة واحدة ، وقيل إنهما قصتان ، وهو الذي مال إليه الحافظ في الفتح [٢] .

ولعل منشأ الشبهة عنده أنه وجد الإمام مسلماً ذكرها في صحيحه في مكان واحد فظن أنها في قصة واحدة ، أو لعل منشأ الشبهة عنده سوء فهمه لعبارة الإمام النووي التي ساقها في ص ٦٧ من كتابه ، والإمام النووي أجل من أن يظن أن حديث جبريل وحديث الرجل الثائر الرأس وحديث أبي أيوب وحديث أبي هريرة كلها في قصة واحدة ، ولو أن المؤلف رجع إلى كتاب

[١] هكذا سمي المؤلف الأحاديث حديثاً بناء على زعمه أنها روايات في قصة واحدة والمحق خلاف ذلك .

[٢] فتح الباري ج ٣ ص ٢٠٤ .

« فتح الباري » ، لعمدة المحققين في هذا الفن ، وأمير المحدثين الحافظ ابن حجر لوقف على مفصل الحق ، ولما وقع في هذا الخلط الشنيع .

(٣) في ص ( ٦٨ ) استشهد على ضرر الرواية بالمعنى في الدين بحديث المرأة التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأرادت أن تمس نفسها له فأعرض عنها النبي ، فتقدم رجل فقال : يا رسول الله أنكحنيها - ولم يكن معه من المهر غير بعض القرآن - فقال النبي : « أنكحتكها بما معك من القرآن » ، وفي رواية زوجتكها بما معك ، ... وفي رواية ثالثة : « زوجتكها على ما معك » ، وفي رواية رابعة : « قد ملكتكها بما معك » ، وفي رواية خامسة : « قد أملكتكها بما معك الخ » ، إلى أن قال : فهذه اختلافات ثمانية في لفظة واحدة . ولكي يؤيد ما يريد نقل عن ابن دقيق العيد والعلائي نقلين وبترهما الحاجة في نفسه كما ستعلم عن كسب ، ومع إمكان احتمال أن تكون القصص والوقائع متعددة إلا أن الأطهر أنها في قصة واحدة ، وعليه فنحن لا نسكر أن هذا الحديث وغيره ورد بألفاظ متغايرة إلا أنها لا تحيل المعنى ، فهي متقاربة ويفسر بعضها بعضا ، فمثلا في الحديث الذي ذكره نرى أن زوجتكها وأنكحتكها بمعنى وكذلك لا فرق بين « بما معك » و « على ما معك » ، فؤدى العبارتين واحد ، ورواية أملكتكها وملكتكها بمعنى أيضا وتمليك رقة حرة غير معقول عقلا ولا شرعاً فلم يبق إلا أن يكون المراد تملك حق الاستمتاع بها وهو معنى الزواح ، فهذه خمس روايات ليس بينها تضاد أو تناقض ، وبقى الروايات الثمانية بعضها بلفظ « أنكحتكها على أن تقرأها وتعلمها » وبعضها بلفظ « أمكنها بما معك الخ » ، وبعضها بلفظ « أخذها بما معك » ، وهكذا يتبين لك جليا أن الروايات الثمانية ليس بينها كبير فرق يسوع للؤاف أن يرى السنة بمنكر من القول فيزعم أنها وصلتنا مغيرة مبذلة ! .

على أن طريقة العلماء المحققين في هذا الحديث وأمثاله هو الترجيح وبذل الجهد في التحري والبحث عن حقيقة اللفظ الذي صدر من الرسول صلوات الله وسلامه عليه . ولعلماء الحديث وجهابذته - وراء قواعد النقد الظاهرة - ملكة خاصة وحاسة دقيقة بهما ينفذون إلى معرفة اللفظ الذي هو أليق بالصدور عن الرسول ، وهذا هو ما فعله الأئمة تجاه الروايات في هذا ، قال ابن دقيق العيد : « هذه لفظة واحدة في قصة واحدة واحتلف فيها مع اتحاد مخرج الحديث فالصواب في مثل هذا النظر إلى الترجيح ، وقد نقل عن الدارقطني أن الصواب من روى زوجتكها وأنهم أكثر وأحفظ ... » . ولما نقل المؤاف كلام ابن دقيق العيد وقف عند

« مخرج الحديث » وترك الباقي . وغير خفي على القارى " الفطن " السر في تركه لمعجز الكلام ؛ لأنه يهيم ما يريد أن يصل إليه ، وكذلك لما نقل كلام العلائق ترك من آخره قوله « ولكن القلب إلى ترجيح رواية التزويج أميل ، لكونها رواية الأكثرين ؛ ولقريئة قول الرجل الخاطب زوجها يا رسول الله » فلماذا تركت هذا أيها المؤلف الأمين ؟ ! وقال الحافظ ابن حجر « نعم الذى تحرر بما قدمته أن الذين رووا بلفظ التزويج أكثر عدداً ممن رواه بغير لفظ التزويج ولا سيما وفيهم من الحفاظ مثل مالك ، ورواية سفيان بن عيينة » أنكحتمها ، مساوية لروايتهم ومثلها رواية زائدة (١) .

وهكذا يتبين لنا أن لاضرر دينياً بسبب الرواية بالمعنى كما يريد أن يصوره المؤلف مادامت الالفاظ متوافقة أو متقاربة وما دام طريق الترجيح بين الروايات يؤدى بالمجتهد إلى الوصول إلى الحق والصواب .

(د) ذكر حديث البخارى في صحيحه عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة » الحديث ، ومقالة الحافظ ابن حجر فى شرح الحديث « كذا وقع فى جميع النسخ عند البخارى ، ووقع فى جميع النسخ عند مسلم » الظاهر ، مع اتفاق البخارى ومسلم على روايته عن شيخ واحد يأسناد واحد ، وقد وافق مسلماً أبو يعلى وآخرون وكذلك أخرجه ابن سعد .. وأما أصحاب المغازى فانفقوا على أنها العصر ، وإلى هنا اقتصر المؤلف من كلام الحافظ ، وتمة كلام ابن حجر « وكذلك وافق البخارى الطبرانى والبيهقى فى الدلائل ، وهذا كله يؤيد البخارى ، وقد جمع بعض العلماء بين الروايتين باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان صلى الظهر وبهضم لم يصلها ، فقيل لمن لم يصلها لا يصلين أحد الظهر ، ومن صلاه لا يصلين أحد العصر » وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة ، فقيل للطائفة الأولى الظهر والطائفة الثانية العصر ، وكلاهما جمع لا بأس به ... إلى أن قال : ثم تأكد عندى أن الاختلاف فى اللفظ من حفظ بعض رواة ... أو أن البخارى كتبه من حفظه ولم يراجع اللفظ كما عرف من مذهبه فى تجويز ذلك ، بخلاف مسلم فإنه يحافظ على اللفظ كثيراً ... لكن موافقة أنى حفص السلى له - أى البخارى - تزيد الاحتمال الأول وهذا كله من حديث ابن عمر ، أما بالنظر إلى حديث غيره فالاحتمالان المتقدمان فى كونه قال الظهر لطائفة والعصر لطائفة منجه ... .

فها نحن نرى أن الحافظ ابن حجر ردد الوهم في رواية البخارى بين أن يكون من أحد الرواة أو من البخارى نفسه مع ترجيح الاحتمال ، لجاء المؤلف فنقل من كلام الحافظ الاحتمال الثانى متمصبا عما قبله وعما بعده ، وترك من كلام الحافظ ما قاله العلماء في التوفيق بين الروایتين ، ولا يخفى على القارئ القسط ما يريده المؤلف من هذا الاقتضاب المخل والذي يبنى من ورائه إظهار أئمة الحديث - ولا سيما أميرهم البخارى - بمظهر غير الضابطین المثبتين . ولو سلمنا أن إحدى الروایتين من قبيل الوهم فهل يؤدي هذا إلى تغيير الحكم المستمد من الحديث ؟ اللهم لا .

وبعد أن سرد ما زعم أنه يؤيده خالص إلى هذه النتيجة الخاطئة : فقال في ص ٧٠ : لما كانت أحاديثه صلى الله عليه وسلم قد جاء نقلها بالمعنى - كما بينا من قبل - وأنهم قد أباحوا روايتها أن يزيدوا فيها ويختصروا منها ، وأن يقدموا ويؤخروا في ألفاظها - له ما سوعوه من قبول الملقون منها - لما كان الأمر قد جرى على ذلك . فقد نشأ من أثر ذلك كله - ولا جرم وبخاصة بسبب نقل الحديث بالمعنى - ضرر عظيم ، وبحسبنا ما قدمت في رد هذا التجنى على المحدثين .

٥ - من ص ٧٥ - ٧٩ عرض للحن والخطأ في الحديث ، والتقديم والتأخير فيه ، والريادة والنقص منه ، ورواية بعض الحديث واختصاره بأسلوب تهكمى ، وذريقتة في سرد الأقوال تظهر المحدثين بمظهر المتساهلين ، ثم ذكر عنوانا بالخط العريض فقال : « تساهلهم - أى المحدثين - فيما يروى في الفضائل وضرر ذلك ، وهو يوم من لا يعلم أن المحدثين جميعا على هذا ، مع أن كثيراً من الأئمة كالبخارى ومسلم وابن خزيمة قد جردوا كتبهم للصحاح ، ونحروا غاية التحري في ذكر أحاديث الفضائل ، وأيضاً فالمحدثون لم يأخذوا بالأحاديث الضعيفة في باب الفضائل إلا بشروط فصلها أهل الفن والتحقيق ، فأرسال القول على عواهنه - كما صنع المؤلف - ليس من الأمانة العلمية في عرض الآراء . وهو إلى التدليس والتبليس أقرب منه إلى التوضيح والتبيين . وبحسبك أيها القارئ الطالب للحقيقة أن تراجع هذه المباحث التى استعرضها بغير أمانة في كتب أصول الحديث ترى إلى أى حد حاول المؤلف التثنيع والتشهير بالمحدثين ، وأقرب هذه الكتب وأحدثها كتاب « توجيه النظر » للعلامة الشيخ طاهر الجزائري .

« وبعد ، : فلكي نرداد أيها الطالب للحقيقة علماً بوصول السنن والأحاديث الثابتة من غير تحريف ولا تبديل ولا ريابة ولا نقصان أضع بين يديك هذه المقدمات والحقائق المستخلصة مما قدمنا .



- ١ — أن الرواية بالمعنى قد منعها الكثيرون من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من رواة الحديث والتزموا أداء الأحاديث بالعاطف .
  - ٢ — أن الرواية بالمعنى قد أجازها العلماء لمن كان عالماً عارفاً بالألفاظ والأساليب خوفاً بمذلولاتها والفروق الدقيقة بينها .
  - ٣ — أن الدين أجازوها وإنما أجازوها على أنها رخصة تتدرج بقدر الحاجة إليها ، لأجل أنها أصل يتبع ويلتزم في الرواية .
  - ٤ — أن التسوية للأحاديث بدأ بصفة عامة ورسمية على رأس المائة الأولى وبلغ متناه في نهاية القرن الثالث وأن بعض الصحابة والتابعين كانوا يدونون الأحاديث في القرن الأول الهجري ولا سيما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .
  - ٥ — أن الرواية بالمعنى إنما ترخص فيها من ترخص في غير الكتب المدونة ، أما فيها فلا كما قدمنا .
  - ٦ — أن الرواية بالمعنى ممنوعة باتفاق في الأحاديث المتعبد بلفظها كالآذكار والأدعية وجوامع كلمه صلى الله عليه وسلم .
  - ٧ — أن الدين تملأ الأحاديث من الصحابة ومن بعدهم من ثقات الرواة كان لهم من الخصائص الدينية والنفسية والخلقية والخلقية ما يعصمهم من التغير والتبدل والتساهل في الرواية ، وإنكار ذلك مكابرة .
  - ٨ — أن القواعد التي أخذ جملعو الأحاديث بها أسسهم عند تدوينها هي أدق وأرقى ما وصل إليه علم النقد في تمييز المقبول من المردود من المرويات والحق من الباطل والخطأ من الصواب .
- هذه المقدمات والخاتمة تسليماً إلى نتيجة صادقة وهي : أن الكثير من الأحاديث النبوية وصلت إلينا بحكم لفظها ، وأن بعض الأحاديث قد رويت بالمعنى مع التحرز البالغ من التغير المحل بالمعنى الأصلي ، وأن ما عسى أن يكون قد دخل الأحاديث بسبب الرواية بالمعنى شيء يسير قد تنبه له العلماء وبنوه ، وصدق المبلغ عن رب العالمين حيث يقول : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » ، ٩

محمد محمد أبو شبة

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

## عين في سبيل الله

في الحديث النبوي الصحيح - كما يذكر السيوطي في الجامع الصغير - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حرمت النار على عين بكت من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله ، وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله ، أو عين فقتت في سبيل الله » .

والمطالع لسيرة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ينفعه غير عابر لسيرة صحابي فاضل ، من سادات الأوائل في الإسلام ، الذين نوزعت أنباؤهم وتفرقت أخبارهم هنا وهناك في مصادر التاريخ ومراجع السيرة ، ولكنهم ظلوا برغم هذا كواكب تضيء وشوفاً تنير ؛ وهذا الصحابي الجليل فقد عينه في سبيل الله فرضي ذلك ، بل وفرح به واعتبط له ، فكانت سيرته باهرة ، وكانت خاتمة زاهرة ، ولقي ربه عظيماً كريماً مرضياً عنه .

ذلك هو أبو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجعفي الصحابي رضي الله عنه . كان من السابقين إلى الإسلام ، فتروى السيرة أنه وعبيدة بن الحارث وعبد الرحمن بن عوف وأبا عبيدة بن الجراح وأبا سلة أتوا رسول الله فأسلبوا في ساعة واحدة ، وكان ذلك في أول الإسلام ، قبل دخول الرسول دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ولا عجب في سبق عثمان بن مظعون إلى الإسلام بهذه الصورة ، فقد كان من القلائل أصحاب القلوب النيرة والعقول المعسكرة ، حتى قبل الإسلام ، فقد حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، وقال قوله البليغة المعينة : « لا أشرب شيئاً يذهب عقلي ، ويضحك بي من هو أدنى مني ، ويحلمني على أن أنكح كريمة » .

أسلم عثمان مبكراً ، وتحمل مع إخوانه المسلمين الأوائل ما تحملوا من مشقة وعذاب في سبيل الله ، وهاجر المهاجرين إلى الحبشة ، وكان أميراً للمهاجرين إليها ، كما هاجر إلى المدينة مع ابنه السائب ، ومع أخويه قدامة وعبد الله ابني مظعون ، وأخى الرسول بينه وبين أبي الهيثم بن النضر الأنصاري ، وشهد غزوة بدر .

وكان لعثمان مكانته في التقوى والتجمل بمكارم الأخلاق ، ولقد روى أن الرسول صلوات الله عليه قال فيه : « إن عثمان بن مظعون لحي ستر » . ويصفه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في الحلية على طريقته فيقول : « المتكشف المحزون ، المحتن في عينه المطعون ، ذو الهجرتين عثمان بن مظعون . كان إلى الاستجابة لله سابقاً ، وبمعالى الأمور لاحقاً ، وفي العبادة ناسكاً ، وفي المحاربة فاتكاً ، لم تنقصه الدنيا ، ولم تحمله عن العيا ، تعجل إلى المحبوب ، فقللى عن المكروب » .

وكان عثمان من أشد الناس اجتهاداً في العبادة ، فهو يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويتجنب الشهوات ، ويعتزل النساء ، ولا يبالى ماذا يلبس أو ماذا يأكل ، وأورثه ذلك لوناً واضحاً من الزهد والتكشف ، ولقد دخل المسجد يوماً وعليه نمرة ( وهي شملة مخططة من مآزر الأعراب ، كأنها أخذت من لون الفرم لها فيها من السواد واليباض ) قد تقطعت ، فرقعها بقطعة من فروة ، فرق النبي وأصحابه لشأنه ، ثم قال النبي - كما يروى أبو نعيم - : « كيف أتم يوم ينفذ أحدكم في حلة ، ويروح في أخرى ، وتوضع بين يديه قصعة ، وترفع أخرى ، وسترتم البيوت كما تسر الكعبة » . قالوا : ودنا أن ذلك قد كان يا رسول الله ، فأهبطنا الرعاء والعيش . فقال النبي : « فإن ذلك لكائن ، وأتم اليوم خير من أولئك » . . .

ويظهر أن اعتزال عثمان لامرأته ترك في نفسها شيئاً فأعرضت عن الرينة والتطيب ، ولقد دخلت على نساء النبي في هيئة سيئة وملابس ممزقة ، فقلن لها : مالك ؟ فقالت تشير إلى حال زوجها وزهده : أما الليل فقاتمه ، وأما النهار فصائم . . . فبلغ الخبر الرسول فلقى عثمان فلامه قائلاً : أما لك بي أسوة ؟ فقال عثمان : بلى ، جعلني الله فداك ، بأبي أنت وأمي ، فما ذاك ؟ قال النبي له : تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قال : إني أفعل ذلك . فقال النبي : « إن لعينك عليك حقاً ، وإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً ، فصل ونم ، وصم وأطهر » . . .

واستجاب عثمان بن مظعون لهدى الرسول ، تخفف من شدته على نفسه ، فيروى أن امرأته جاءت بعد ذلك حنة الهيئة طيبة الريح . . .

وأما قصة عينه التي فقدوها في سبيل الله فهي أنه لما هاجر مع من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بقي هناك حتى نزلت سورة « النجم » ، فرجع أكثر المسلمين ، وكان عثمان وأصحابه

من رجوع ، ولكنه لم يستطع دخول مكة إلا بجوار من أحد أهلها ، فأجله الوليد بن المغيرة من مشركي قريش ، فكان يذهب ويحج في مكة لا يناله أحد بسوء ، بينما غيره من المسلمين يسمون العذاب والاضطهاد ، ولما رأى عثمان ما يعانيه الصحابة من البلاء وهو يقدو وروح في أمان قال لنفسه : والله إن غدوى ورواحي آمنأ بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابي وأهل ديني ياتون من الأذى والبلاء ما لا يصيبني ، لنفص كبير في نفسي . . .

وذهب إلى الوليد وقال له : يا أبا عبد شمس ، وفيت ذمتك ، قد رددت إليك جوارك . فقال الوليد : لم يا ابن أخي ؟ لعله آذاك أحد من قومي ؟ قال عثمان : لا ، ولكنني أرضى بجوار الله عز وجل ، ولا أريد أن أستجير بغيره . . . !

فقال الوليد لعثمان : فأطلق ممي إلى المسجد فاردد على جوارى علانيه ، كما أجزتكم علانية . . . ورائق عثمان ، وصحبه إلى المسجد ، وهناك قال الوليد للناس : هذا عثمان ابن مظعون قد جاء يرد على جوارى . فقال عثمان : قد صدق الوليد ، قد وجدته وفيأ كريم الجوار ، ولكنني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره .

وجلس عثمان عقب ذلك مع جماعة من المشركين ينشدون أحدهم وهو ليبد شعرا له ، فقال فيه : « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » . فقال له عثمان : صدقت . ثم أشد الشاعر عقب ذلك : « وكل نعيم لآحالة زائل » ، فقال له عثمان : كذبت . نعم أهل الجنة لا يزول .

فألم ليبد وقال لمن حوله : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤذى جلبكم ، فني حدث هذا فيكم ؟ فقال له أحدهم : إن هذا سفيه في سفها معه قد فارقوا ديننا ، فلا تجد في نفسك من قوله . فرد عثمان عليه بما يناسبه ، فقام هذا الرجل ولطم عثمان على عينه فأطعأها .

وكان الوليد بن المغيرة قريبا منهما ، ورأى ما حدث لعثمان ، فقال له شامتا فيه : أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية ، ولقد كنت في ذمة منية . . . فقال عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة لفةيرة إلى ما أصاب أختها في الله ، وإني لني جوار من هو أهر منك وأقدر يا أبا عبد شمس . . .

ثم قال عثمان بن مظعون في عينه :

فإن تك عيني في رضا الرب نالها يدا ملحد في الدين ليس بمهتد

فقد عوَضَ الرحمنُ منها ثوابه      ومن يرضه الرحمنُ يا قوم يسعد  
فإني - وإن قُتِمَ غُورِي مُضِلَّ      سفيه - على دينِ الرسولِ محمد  
أريدُ بِذلكَ اللهُ والحقُّ ديننا      على رِعمٍ من يَخِي علينا ويَعْتَدِي

ويروي أن الإمام علي بن أبي طالب قال في ذلك أيضاً هذه الآيات :

أمن تذكر دهر غير مأمون      أصبحت مكتئباً تبكي كمحزون  
أمن تذكر أقوام ذوى سفه      يفتنون بالظلم من يدعو إلى الدين  
لا يفتنون عن الفحشاء ما سلوا      والعذر فيهم سبيل غير مأمون  
ألا ترون - أقل الله خيرهم -      أنا غصبنا لعثمان بن مطعم  
إذ ياطمون - ولا يخشون - مقلته      طعننا دراكاً ، وضرباً غير مأفون (١)  
فسوف يحزبهم - إن لم يمت عجلًا -      كيلاً بكيلى ، جزاء غير مغبون !

وختم الله حياة عثمان بن مطعم خاتمة محفوفة بما يدل على الخير والبركة ، فتدفن توفى بعد أن شهد بدرًا ، وأهل بدرهم الذين قال لهم ربهم : « اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم » ، وتوفى وهو يحافظ على دينه وبقية وعبادته ، وكانت وفاته في شعبان بعد سنتين ونصف من الهجرة ، ودخل عليه الرسول حين مات ، فانكب عليه ورفع رأسه ، ثم حنى الثانية ثم رفع رأسه ، ثم حنى الثالثة ثم رفع رأسه وله شهيق ، فصرق القوم أن النبي يبكي فبكوا ، فقال النبي : « أستغفر الله ، أستغفر الله ، اذهب عنها أبا السائب ، فقد خرجت منها ولم تلبس منها بشيء » . . .

ويروي أنه أك دأبه يقبله وهو ميت ، وقال : « رحك الله يا عثمان ، ما أصبت من الدنيا ، ولا أصابت منك » . وقالت امرأة عثمان للنبي مشيرة إلى زوجها : « يا رسول الله ، فارسك وصاحبك » .

وصلى النبي عليه الصلاة والسلام على عثمان ، ودفن بالبقيع ، وهو أول من دفن فيه ، وأول من توفى بالمدينة من المهاجرين ، وقال عنه النبي : هذا مرطنا . ووقف على شفير قبره ، ووضع عند رأسه حجراً ، وقالت زوجة عثمان : هنيئاً لك يا أبا السائب الجنة . . .

[١] غير مأفون : غير قليل .

قَالَ لَهَا النَّبِيُّ : وَمَا عَلَيْكَ بِذَلِكَ ؟ ١٤ . قَالَتْ : كَانَ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - بِصَوْمِ النَّهَارِ وَيَصِلِي اللَّيْلِ . فَقَالَ النَّبِيُّ : ( بِحَسْبِكَ لَوْ قُلْتَ : كَانَ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ) ! .  
وَقَالَتْ زَوْجَةُ عَثْمَانَ فِي رَمَائِهِ :

يَا عَيْنَ جُودِي بِدَمْعٍ غَيْرِ مَمْنُونٍ (١)      عَلَى رِزْيَةِ عَثْمَانَ بْنِ مِظْعُونٍ  
عَلَى أَمْرِي بَاتَ فِي رِضْوَانِ خَالِقِهِ      طَوْبِي لَهُ مِنْ فَقْمِيدِ الشَّخْصِ مَدْفُونٍ  
طَابَ الْبَيْعُ لَهُ سَكْنَى وَغَرْقَدَهُ      وَأَشْرَفَتْ أَرْضُهُ مِنْ بَعْدِ تَهْتَيْنِ [٢]  
وَأُورِثَ الْقَلْبَ حَزَنًا لَا انْقِطَاعَ لَهُ      حَتَّى الْمَاتَ فَمَا تَرَقَّى لَهُ شَوْئِي [٣]

وَفِي الْحَدِيثِ الْكَرِيمِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا تُوُفِّيَتْ بِنْتُهُ رَقِيَّةُ قَالَ :  
« الْحَقُّ سَلَفُنَا الصَّالِحُ عَثْمَانُ بْنُ مِظْعُونٍ » . وَفِي رِوَايَةٍ : « الْحَقُّ سَلَفُنَا الْخَيْرُ عَثْمَانُ  
ابْنُ مِظْعُونٍ » .

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ الْأَنْصَارِيَّةَ قَالَتْ بَعْدَ مَوْتِ عَثْمَانَ - وَكَانَ قَدْ تُوُفِّيَ  
فِي دَارِهَا - : رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ لِعَثْمَانَ بْنِ مِظْعُونٍ عَيْنَا تَجْرِي ، فَخَشْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ : ذَاكَ عَمَلُهُ ١١ . .

رِضْوَانُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى ابْنِ مِظْعُونٍ ، وَجَزَاءُ خَيْرًا بِقَدْرِ مَا ضَحَّى فِي سَبِيلِهِ وَفَقَدَ  
مِنْ أَجْلِهِ ، وَسَلَامٌ عَلَيْهِ فِي الْخَالِدِينَ ١١ . .

أحمد الشرباعى  
المدرس بالأزهر الشريف

[١] غَيْرِ مَمْنُونٍ : غَيْرِ مَقْطُوعٍ .

[٢] تَهْتَيْنَا : سَوَادٌ ، كَأَنَّ الْأَرْضَ مَحْرَقَةً ، وَغَرْقَدَهُ : أَسْبَلَ الشَّرَّ عَلَيْهِ .

[٣] شَوْئِي : عَقْفَةٌ مِنْ : شَتَوْنِي ، وَهِيَ مَجَارَى دَمْعِ الْعَيْنِ .

# تخطيط عريض

للجتمع السعيد

ليس هناك مصلح واحد في تاريخ العالم أحدث تغييراً شاملاً في حياة أمة بأكملها في فترة تقل عن ربع قرن من الزمان كما أحدث نبي البر ورسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم .

كان العرب قبل الإسلام يحرون للأذنان غرقاً في الوثنية والشرك فتعلمهم صلى الله عليه وسلم بفضل الله وتأيدته - إلى التوحيد وإفراده تبارك وتعالى بالعبادة والتفديس .

وكان العرب قبل الإسلام يحرون للأذنان غرقاً في شن الغارات لأوهى الأسباب ... وفي اثنا بئذ بالانقلاب .. والإثم .. والبغى .. واختلاف الكلمة .. فتعلمهم صلوات الله عليه - بفضل الله وتوفيقه - إلى السلم .. والإخاء .. والعدل .. وترك الفواحش ماظهر منها وما بطن .. فما سبب هذا الانتقال العجيب ؟ ...

سببه أن العرب قد انعمت نفوسهم بما رسم النبي صلى الله عليه وسلم من تخطيط للجتمع السعيد .. وأن العرب قد احترمو ما التزمت به ذمهم من عهود .. وعقود .. ومواثيق .. وهكذا نقل الإسلام العرب من حال إلى حال مادياً .. وعقلياً .. وروحياً .. حتى اجتمعت قوام على مركز واحد وتشكلت في دولة ذات نظام وآداب سمت بهم إلى أعلى الآفاق .. رغم أنف تلك الدعايات المضادة المضلة المغرضة التي كان ينفذ سمومها أعداء دهوة الحق .. وإذا رجعنا إلى تلك الآداب التي أحدثت بين العرب ذلك الانقلاب فإننا نرى عبادة بن الصامت ذلك الصحابي الجليل يروي لنا منها فيقول :

« ياينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في السر واليسر والمنشط والمكره .. وعلى أثرة علينا .. وعلى أن لا تنازع الأمر أهله .. وعلى أن تقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم » أخرجه البخارى .. ومسلم .. والموطأ .. والنسائي .

تخطيط عريض للمجتمع السعيد .. أو أمور أربعة .. في هذه المباعدة .. دارت عليها رحي ذلك الانتقال العجيب الذي لم يمتد له التاريخ مثالا .. وتدور عليها مجلة التقدم وازرق إلى أن تقوم الساعة .

الأمر الأول : السمع والطاعة .. السمع والطاعة خط عريض في تخطيط المجتمع السعيد فهل كان يمكن أن يتقل العرب ذلك الانتقال لولا السمع والطاعة ؟ ... كان العرب يسمعون ما يأمرهم به صلى الله عليه وسلم .. يسمعون فيصدقونه ويحزمون به .. ثم هم بعد ذلك لا يسمعون لأنفسهم أن يحالفوا ما يؤمرون به سواء كان ذلك في العسر - أى في الشدة والضيق - أو في اليسر .. وذلك من باب أولى وإنما ذكر من باب ذكر الشئ بذكر مقابله .. والمنشط - أى الأمر الذى ينشطه - والمكروه - أى الأمر الذى نكرهه النفوس .. هذا هو الأمر الأول .. أو الخط الأول « السمع والطاعة ، والقرآن الكريم يحبرنا أن من يسمع ويطيع يستره الله ويفخر له إذ يقول : « وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، ذلك أنه لا يمكن لدولاب عمل أن يسير من غير السمع والطاعة .

الأمر الثانى من هذه المباعدة .. أو الخط الثانى في هذا التخطيط « الإيثار ، وعبر عنه بقوله : « وعلى أثره علينا ، والإيثار أن تقدم أخاك على نفسك كما يقول تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .. » والإيثار : خلق رضى نبيل يدل على كمال الشخص وقوة إيمانه ..

الأمر الثالث في هذه المباعدة .. أو هذه المعاهدة .. أو هذا العقد .. أو هذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد هذا الأمر الثالث عبر عنه بقوله : « وعلى أن لا تنازع الأمر أهله ، فتنازعة ولاية الأمور في ولايتهم والتعرض لهم في جميع أعمالهم سبب لفتح باب الفتنة وطوبى لمن جملة الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر ، والمنازعة قد تكون بطريق مباشر أو غير مباشر إذا شجع الإنسان من ينازع .. وإذا كانت المنازعة سبباً لفتح باب الفتنة فإن عدم المنازعة صفة الخلق من الناس الذين يعملون على أن تسير سفينة الحياة في أمن وهدوء بعيدة عن العقبات والعراقيل .. وليس معنى هذا أن نكون مع ولاية الأمور سلبين .. كلا .. ليس هذا هو المراد مطلقاً وإنما المراد أن يعنى كل بدائرة عمله واختصاصه وأن يصرف كل عنايته في عمله المحدود له .



الأمر الرابع والآخر في هذا التخطيط العريض للجمع السعيد عبر عنه بقوله :  
 « وعلى أن نقول بالحق أننا كنا .. فإلمم الكامل الإيمان لا يتكلم إلا صدقا ولا ينطق  
 إلا حقاً ولو على نفسه فهو لا ينعمه بغير الحق أننا كنا .. سواء كان في المخاوف والضيق ..  
 أو الأمن والسعة .. ومهما ترتب على القول الحق من التشديد والتضييق ففوة الإيمان تجعل  
 الإنسان لا يبالي بنقد منتقد .. ولا يراعى في كلامه إلا الله وحده .. فهو وحده المطلع  
 على الضائر والسرائر .. وهو وحده المجازي المؤاخذ .. ولذا قال : « لانحاف في الله لومة لائم »  
 أى لا تخشى انتقاد أحد مادمت في جانب الحق .. ومهما كان هناك من اللوم فلا تبالي بهم  
 ولا تعمل عليهم .. ويرحم الله عمر بن الخطاب فقد كان يقول : « يا حق .. ما تركت  
 لي حبيلاً .. »

هذا هو التخطيط العريض للجمع السعيد :

- ١ — السمع والطاعة .
- ٢ — الإيثار .
- ٣ — تجنب المنازعة .
- ٤ — التزام قول الصدق مهما كان الأمر .

بهذه الأمور الأربعة نقل رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم العرب من حال  
 إلى حال في فترة تقل عن ربع قرن من الزمان .. وهذه الأمور الأربعة يسير دولا ب  
 أى عمل إلى الرق والتقدم والنجاح .

ونحن إذ نذكر في هذه الأيام المباركة ميلاد المصطفى صلوات الله عليه راسم هذا التخطيط  
 العريض للمجتمع السعيد .. إذ نذكر العرب والمسلمين اليوم في كل مكان .. إذ نذكرهم بهذه  
 الآداب التي قامت عليها دولة الإسلام فإنما نشكر الله الذي أقدر العرب على وأد الخلافات  
 التي ذقتنا منها الوبلات .. وطمع في الوقت نفسه بمزيد من التماسك .. والتضامن ..  
 والتضافر .. فلم توت أمة .. ولم يقوض عرش .. ولم يهتز كرسي .. أو تنزل مصدحة إلا  
 من ملغيان المصالح الشخصية .. والأطماع الدانية .. وإلا من المنازعة .. والرياء ..  
 والانحراف عن الحق ..

إن سنة الله في خلقه أن لا يتم انقلاب أساسي في أخلاق أمة أو طائفة إلا على يد رئيس  
تجرد من المصالح الشخصية والأطماع الذاتية وسار بقومه على هذا التخطيط العريض ليجتمع  
السعيد .. ولا ريب أن النجاح الذي لقيه ويدناه العرب الآن إنما يدل على إخلاص القائمين  
عنه .. والإخلاص عنصر أساسي ، بل هو العنصر الوحيد في بلوغ الهدف والغاية  
« وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » .

وهدفنا النهائي إنما يتركز في إعادة مجد العرب .. وعزمهم .. وجمع شملهم .. ولقد  
خطونا في سبيل ذلك خطوات طيبة مباركة ، وستلوها إن شاء الله خطوات وخطوات ما دمت  
لمن يدت بيتنا الفرقة بالمرصاد .. وهذا ما نفتح الآن عليه أعيننا جيدا بانباع أدب نبي الله  
ورسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم .

ولئنني إذ أؤذن بهذا التخطيط العريض للجمع السعيد من على منبر الأزهر في مجلته ،  
فإنما أبرئ ذمته من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. ولئنني إذ أقول هذا  
ألح على ولاية الأمور بوجوب العناية بالناحية التاريخية والجغرافية للبلاد العربية .. هذه  
الناحية يجب أن تأخذ العناية كل العناية وبخاصة من الأزهر القائم على أمر الدين واللغة  
أو المفروض فيه ذلك .. ولعل الأزهر في هذه القدام الجديد السعيد يعني بهذه المسألة  
العناية كلها ، الناحية التاريخية والجغرافية للبلاد العربية .

« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله » .

منصور رجب

## التقوى

الفرح في التقوى إذا رمت أن      تفخر لا في بس أو رتب  
ما رفع القسري أبا طالب      ولم يضع سلاب بعد السب

عبد الله البتوشي

من أعلام القرن الثاني عشر الهجري

# الوحدة العربية

في شمال إفريقيا

لقد أصبحت الوحدة العربية اليوم حقيقة واضحة تأخذ مجراها الطبيعي في سبيل التنفيذ ، بعد أن رحلت دعائمها في العصر الراهن مع توافر موماتها التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

والمفهوم أن العالم العربي الذي يتجه اليوم نحو الوحدة والاندماج يتألف من مجموعة كبيرة من البلدان المتجاورة والممتدة في قارتي إفريقيا وآسيا معاً ، ولا شك أن مما يساعد هذا الاتجاه نحو الوحدة والاندماج على الوصول به إلى غايته المنشودة أن يتوافر بوضوح في كل بلد من هذه البلدان أو في كل مجموعة متعاربة منها ، ونحن يهنا هنا أن نعرف إلى أي مدى وصل هذا الاتجاه في بلدان شمال إفريقيا وهي تكون الجناح الغربي للعالم العربي أو بالأحرى الجناح الغربي للوحدة العربية .

والواقع أن الاتجاه نحو الوحدة العربية في المغرب العربي هو اتجاه قوى واضح يريد يوماً بعد يوم <sup>(١)</sup> ، ومن أم مظاهره ذلك المؤتمر الذي عقد في طنجة في المدة من ٢٧ إلى ٣٠ من شهر أبريل سنة ١٩٥٨ وأطلق عليه اسم ( مؤتمر وحدة المغرب العربي ) وضم مندوبين عن حزب الاستقلال المغربي ووجهة التحرير الوطني الجزائرية ، والحزب الحر الدستوري التونسي .

ومن أم قرارات هذا المؤتمر القرار الذي أصدره حول توحيد المغرب العربي ، والذي جاء فيه أن المؤتمر وهو يشعر أنه يعبر عن إرادة إجماع شعوب المغرب العربي في توحيد مصيرها في دائرة التضامن المتين لصالحها ، وقد تمتنع في الوقت نفسه بأن الوقت قد حان لتجسيم

(١) كان من أم للقرارات المغربية في مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة الذي انعقد في « أكرا »

في شهر أبريل سنة ١٩٥٨ بمخيق وحدة شمال إفريقيا ، بد استئناف السلم في الجزائر . كما تضمن برنامج الحكومة المغربية الجديدة في بد السياسيه الخارجية عدل مسائل اللاربية حتى تتحرر الجزائر وتتفق ووحدة شمال إفريقيا .

هذه الإرادة في الوحدة عن طريق مؤسسات مشتركة تمكن هذه الشعوب من القيام بدورها بين الأمم ، يقرر أن يعمل على تحقيق هذه الوحدة ويعتبر أن الشكل الفيدرالي أكثر ملاءمة للواقع في البلاد المشتركة في هذا المؤتمر .

ولهذا الغرض اقترح المؤتمر أن يشكل في المرحلة الانتالية مجلس استشاري المغرب العربي منبثق عن المجالس الوطنية المحلية في تونس والمغرب وعن المجلس الوطني للشورة الجزائرية ، ومهمته درس القضايا ذات المصلحة المشتركة وتقديم التوصيات للسلطات التنفيذية المحلية .

وأوصى المؤتمر بضرورة الاتصالات الدورية وكلما اقتضت الظروف ذلك بين المسؤولين المحليين للأقطار الثلاثة من أجل التشاور حول قضايا المغرب العربي ولدراسة تنفيذ التوصيات التي يصدرها المجلس الاستشاري للمغرب العربي ، كما أوصى حكومات بلاد المغرب العربي بالارتباط منفردة بمصير شمال إفريقيا في ميدان العلاقات الخارجية والنظام إلى أن يتم إقامة المؤسسات الفيدرالية .

وقد قرر المؤتمر كذلك تأسيس كتابة دائمة للسهر على تنفيذ مقرراته ، وتؤلف هذه الكتابة من ستة أعضاء بنسبة متدو بين عن كل حركة ممثلة في المؤتمر ، وتنتمى الكتابة إلى مكتبين أحدهما بالرباط والثاني بتونس ، وتجتمع الكتابة دوريا في إحدى العاصمتين بالتناوب ويعقد أول اجتماع خلال شهر مايو سنة ١٩٥٨ .

وعقد بعد ذلك بتونس في المدة من ١٧ إلى ٢٠ من شهر يونيو سنة ١٩٥٨ مؤتمر هام جمع المسؤولين في الحكومتين التونسية والمغربية ووفدا عن لجنة التحرير الجزائرية ، وتم فيه الانعاق كخطوة أمامية محتمة في سبيل تحقيق وحدة المغرب العربي بكامل معناها بين كل من الجانبين التونسي والمغربي على تبادل التعاون والتنسيق في الميدان الدبلوماسي بين البلدين ، والاستعانة بالاستشارة قصد تحديد الخطط والمواقف في الهيئات والمؤتمرات الدولية وتوحيد التمثيل الدبلوماسي في بعض البلاد الأجنبية .

ويمكن أن يعتبر هذا المؤتمر بداية مرحلة جديدة تجعل مقررات مؤتمر طنجة المشار إليه في حيز التنفيذ كما يعتبر خطوة مباركة كللت بتبادل وثائق المصادقة على معاهدة الأخوة والتضامن المبرمة في الرباط بتاريخ ٣٠ من شهر مارس سنة ١٩٥٧ .

وصدق في ٢٠ من شهر يونيو سنة ١٩٥٨ بلاغ ثلاثي بين المغرب وتونس والجزائر أعلن فيه إخلاص المؤتمر المذكور للبادئ التي وافق عليها مؤتمر طنجة ، وجاء فيه أن الأمانة الدائمة لمؤتمر طنجة ستكون من ستة أشخاص اثنين من المغرب واثنين من تونس واثنين من الجزائر ، وأن اللجنة الاستشارية للمغرب العربي ستكون من ثلاثين عضواً : عشرة عن كل من المغرب وتونس والجزائر .

هذا وقد عقد أخيراً بالرباط عاصمة المملكة المغربية ( مؤتمر موريطانيا والصحراء العربية ) في المدة من ٣ إلى ٥ من شهر سبتمبر سنة ١٩٥٨ ، وجاء من بين قراراته أن يمثل موريطانيا والصحراء في هذا المؤتمر يؤكدون تأييدهم لما جاء في مقررات طنجة السالف الذكر بخصوص وحدة المغرب العربي .

ومن مجموع هذه المؤتمرات والقرارات التي أصدرتها يمكن أن تبين مدى قوة الاتجاه نحو الوحدة والاندماج في بلاد شمال إفريقيا ( تونس والجزائر والمملكة المغربية ) ومدى اهتمام أبناء هذه البلاد بتأكيد رغبتهم في الوحدة واتخاذ مختلف الوسائل لتحقيقها وتدعيمها . ومن المؤكد أن هذا الاتجاه والاهتمام بتأكيده والوصول به إلى غايته ، له الأثر الكبير في حل المشكلات الكبرى القائمة في هذا الجزء الهام من الوطن العربي ، وأهم هذه المشكلات تلك الخاصة بالاستثمار الفرنسي في الجزائر ، خاصة وأن المؤتمرات السالفة الذكر قد أجمعت كلها على أن تحرير الجزائر هو واجب مفروض على كل فرد ليس في الجزائر لحسب وإنما في تونس والمغرب كذلك ، وأن توحيد المغرب العربي إنما يعني أولاً استقلال الجزائر وتحريرها واتحادها مع شقيقتيها تونس ومراكش ، وهو الاتحاد الذي تمليه طبيعة الصلات العربية المعنوية والمادية التي تربط منطقة المغرب العربي بعضها ببعض ، مثل ذلك الاتحاد المزعوم بين الجزائر وهي الدولة العربية في شمال إفريقيا بفرنسا وهي الدولة الغربية الأجنبية في أوروبا . على أن الوحدة في شمال إفريقيا لا تقتصر على هذه البلاد الثلاثة تونس والجزائر والمغرب فالوحدة بين هذه البلاد هي الخطوة الأولى في هذا السبيل ؛ إذ من المعروف أن شمال إفريقيا كذلك دولتين هامتين إلى جوار هذه البلاد الثلاثة ، وهما المملكة الليبية المتحدة والجمهورية العربية المتحدة ، وإذا ما تبلورت هذه الخطوة الأولى واتضحت معالمها من الناحيتين السياسية والاقتصادية كان طبيعياً أن تؤدي إلى إتمام الوحدة العربية الشاملة مع باقي البلاد العربية بما فيها تلك الكائنة بشمال إفريقيا ، وسوف يتحقق ذلك في القريب إن شاء الله .

أحمد طه السنوسي

## التوكل والتواكل

صمتان من الصفات الخلقية : أولاهما محودة ، وثانيتهما مذمومة . ومعنى كل واحدة منهما محدد متميز . وقد اشتهر أمرهما عند الجاهلين واختلط عند المعادين ، وأولاهما يقرها الإسلام ويرضى عنها وتدور حولها تعاليمه وتصرفات المتتمين إليه على بصيرة ، وثانيتهما لا يقرها الإسلام ولا ترضى عنها تعاليمه ولم يسلكها المؤمنون ولا يشهد لها تصرف من تصرفاتهم ؛ لأنها رمز الكسل والخول والإهمال والفوضى ، ومع هذا فقد ألصقها أعداء الإسلام بتعاليمه ، وهو منها براء كبراء الذئب من دم يوسف عليه السلام ، ومنشأ هذا الزعم عندهم - فيما يبدو - ربما كانت أعمال بعض الجاهلين المتتمين إلى الدين الإسلامى الذين لم يشربوا في قلوبهم تعاليمه ، ولا تلقوها عن مرشد بصير يحيط بالمبادئ السامية التى دعا إليها الإسلام ، وهى عمارة الأرض التى استخلف الله فيها الإنسان ، وعجز له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا . وليس الذئب واقفا على أعداء الإسلام أكثر مما يقع على المسكين أنفسهم ، فهم قد قصرُوا فيما يجب عليهم من إجلال تعاليم الإسلام وتوضيحها مشقة تجذب إليها القلوب وتسترعى إليها الأنظار .

ولما لاذ بعود إلى بيان حقيقة التوكل والتواكل فى الإسلام ستوحى معنى كل منهما من كتاب الله الكريم ، ومن سنة نبيه الصحيحة ، ومن سلوك صاحب الرسالة وسلوك أتباعه الذين أشرقت قلوبهم بنور الإسلام ، وصفت أرواحهم بتعاليمه فالتوكل على الله صفة محودة وطريقة مطلوبة أمر بها الدين وسلكها الأنبياء والمرسلون ، تعد أن علوا أن الله قد جعل لكل شئ سببا يتبعه القاصدون للخير المتبتغون الفصل من ربهم . فهم قد أعملوا عقولهم ونظروا فى الكتاب المقروء وهو القرآن الكريم ، وفى الكتاب غير المقروء باللسان بل تقرأه العقول والأفهام وهو الكون كله علويه وسعليه جباله وبحاره ووهاده وكل ما خلق من شئ فى الأرض أو فى السماء . ولم يجعلوا على قلوبهم أكنة عن فهمهما ولا أغشية عن تدبرهما ، بل تمنعوا فيها ولم يكونوا من الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يحروا عليها صمًا وعميانا ، بل عكفوا على دراستها ودأبوا على تفهمها وأحاطوا علما بمثل قوله تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه الشور » .

فالرزق من الأرض والحصول على خيراتها لا يأتي إلا لمن أجهد نفسه وقام بكل ما يتطلبه النبات من رعاية وعناية مع خبرة تامة وحصافة وآقى حقه كاملاً غير منقوص .

وإذا ما نظرنا بعد القرآن الكريم وآياته الواضحة البينة ، وما أفصحت عنه من بيان الوسائل والطرق المؤدية لكل ثمرة من الثمرات التي يحتاج إليها الإنسان ، إذا ما تركنا كل هذا وأجلنا العكر في سنة خير المسلمين ، رأينا يقول ( لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفاصاً وتروح بطاناً ) فالحديث الشريف يوحى بأن الأسباب لابد من سلوكها للوصول إلى الغايات التي عليها تتوقف الحياة الصحيحة . فهو يهدينا إلى الوسيلة التي يسلكها الطير ليحصل على قوته وقوت عياله ، فالطير تغدو جياعاً ساعية ناصبة عاملة على أن تحصل ما يحفظ حياتها وحياة أولادها ، والإنسان مكلف بالسعى والكد والنصب ليوم وسائل العيش الرغيد ، وتؤوى سواعده على أن يساهم في بناء صرح العمران ، ويكون عضواً عاملاً في مجتمعه ، لا كلاً عليه أينما وجه لايات بحير ، فثل هذا شر على مجتمعه ، وشر على دينه ووصمة عار في جبين وطنه ؛ فهو الذي يجعل أعداء الإسلام يخوضون فيه ويلصقون به الكسل والخول والتقاعد ، فعباد الرحمن المتوكلون عليه حق توكله هم الذين يمشون على الأرض هوناً ويسمون إلى تحديق رسالة المؤمنين ، يحبون لأنفسهم وقومهم خيراً ويدفعون عنهم شراً وضراً ، ويدعون أن مشيئة الله قد سبقت وإرادته قضت بربط الأسباب بمسدياتها والوسائل بغاياتها ربطاً لا يتحول ولا يتغير . قال الله تعالى : « ولن تجذ لسته الله نحوياً » فهو يأمرهم عقب انتهاء الصلاة بالسعى والكد والعمل إذ يقول تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ، وهو الذي ألهم أضعف مخلوقاته السعى في طلب القوت فألهم النحلة أن تتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ثمراً تأكل من كل الثمرات فتحرق من بطونها شراباً مختلطاً ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وما أروع التوكل إذا كان بعد أخذ العدة وإعداد الوسائل . فهاهو القرآن الكريم يقص علينا مثلاً من أروع الأمثال في الثقة بالله والتوكل عليه ، فهو لا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابهم جراح في غزوة أحد ، ثم دعاهم الرسول لغزوة أخرى فاستجابوا لله والرسول وأنقذهم من نصر الله وممونه معتمدين على تأييده وقوته ، ولم يأسوا بتعويق المعوقين ولا بتثييط المشيطين ، ولم يؤمن من عزيمتهم قول المخذلين إن خصومكم قد جمعوا لكم فخشوهم ، بل زأدهم ذلك يقيناً وإيماناً وشجاعة وإقداماً وقالوا « حسبنا الله ونعم الوكيل » فكان عاقبتهم

الفوز والنصر والغلبة والغنى ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . وقد قص القرآن الكريم ذلك في قوله : الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ، وفي غزوة الأحزاب التي جمعت قريش لها عدتها وجيشها وجيش حلفائها من أحزاب المرتكبين ليقصوا على الإسلام والمسلمين فها وهنوا وما استكانوا ، بل قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، وإن قد صدقهم الله وعده ، فأعز جنده وهزم الأحزاب وحده . وها هو القرآن الكريم يهتف علينا ذلك إذ يقول : ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً فهذا توكل بصير ناشئ عن عقيدة حقة ويةين صادق ، وهو الذي يأمر به الله تعالى في قوله : ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً .

وقد رسم لنا الرسول الكريم طريق التوكل على الله فيما رواه عنه ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : يا غلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف ، فهذه حقيقة التوكل التي يفرضها الإيمان على أناعه ، وهي أن يتخذ المسلم من سعيه وعمله وتكبيره وتدييره وسيلة إلى تحقيق مطالبه ، وأن يأتي البيوت من أبوابها ولا يكون أحق جاهلاً يأتي البيوت من ظهورها ، بل يتنس الغايات من أسبابها مع تيقن أنه لا رازق إلا الله ، ولا مطعم إلا الله ، ولا محي ولا يميت إلا الله ، وأنه قادر على كل شيء ، وأن الله محيط بكل شيء . ومن أجل العمل والسعي فضل الرسول عليه السلام المؤمن القوى على غيره إذ يقول : المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير : احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز .

وفي سيرة الرسول الكريم المبهج الواضح للسلوك القويم الذي يحقق المصلحة العامة .  
فها هو الرسول الكريم يبدأ دعوته سرّاً مستحفاً عن أعين المعاندين لأن هذه الطريقة هي



الوسيلة التي كان يستطيعها في ذلك الوقت وذلك الحقبة من أطوار رسالته . ثم جهر بعد ذلك بدعوته حيث تبيأت له الأسباب واستقامت له الأمور وسنحت له الفرصة وفي كلا الأمرين كان معتمدا على ربه ، مفوضا إليه أمره مخلصا إليه وجهه . ألا إلى الله تصير الأمور . . . ثم تطورت دعوته واشتد كيد المعاندين له حتى ضاقت عليه وعلى أصحابه الأرض بما رحبت ووطنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، فأعدوا العدة وسارعوا إلى الهجرة من مكة إلى المدينة فراراً بدينهم وانتصاراً لعقيدتهم ، ولم يحملهم توكلهم على الله على البقاء في مكة أذلاء مصطليدين ، بل اتبعوا هدى رب العالمين إذ يقول : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كتمت ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ » ، فالؤمن الحق صاحب عقيدة الصدق لا يسلم نفسه إلى الهوان ويترك أسباب العزة والسلطان ، فإن تركه للأسباب إعراض عن تعاليم الدين وتباعد عن سنة خير المرسلين ، فالرسول عليه السلام جرت عليه سنة الله في خلقه وأصابه ما أصاب إخوانه الأنبياء من قبل من أذى المعارضين ومنغيان المشركين ، فنج وجهه في بعض الغزوات ودخلت حلقة المغفر في وجنتيه وسال دمه الزكي متدفقا لم يمنعه إلا وضع الرماد عليه .

وها هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتخذ للوقاية من الأمراض الوسيلة الناجمة التي يوحى بها الإسلام ، وإليك ما صنعه للوقاية من الأمراض ، فإن الصحابة رضى الله عنهم لما قصدوا الشام واتبوا في طريقهم إلى مكان يعرف بالجابية بلغهم الخبر أن بها طاعونا عظيما وباء ذريعا فافترق الناس فرقتين : فقال بعضهم لا ندخل على الوباء والطاعون فلتلق بأيدينا إلى التهلكة ، وقالت طائفة أخرى بل ندخل ونوكل على الله ولا نهرب من قدره ولا نفر من الموت فتسكون كمن قال الله فيهم . ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فارجعوا إلى عمر فسألوه عن رأيه فقال : نرجع ولا ندخل على الوباء والطاعون ، فقال المخالمون لرأيه : أنفرت من قدر الله تعالى ؟ قال : عمر الملم صاحب الفراسة الصادقة والنظر الثاقب والرأى السديد : نعم نفر من قدر الله تعالى إلى قدر الله ، ثم صرب لهم مثلا فقال : « أرايتم لو كنتم لأحدكم غنم فبهط بها وأديا له شعبتان وناحيتان إحداها مخضبة والأخرى مجذبة أليس إن رعى المخضبة رعاها بقدر الله ، وإن رعى المجذبة رعاها بقدر الله ؟ فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه إذ كان غائبا ، فلما أصبح جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال : عندي فيه يا أمير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، فقال عمر : الله أكبر . فقال عبد الرحمن : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( إذا سمعتم بالوباء في أرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع في أرض وأتم بها فلا تخرجوا فراراً منه ، ففرح عمر رضي الله عنه بذلك وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه سنة خير المرسلين ، ووجع من الجأية بالناس .

هذا هو التوكل الذي أمر به الدين ، وفهمه الصحابة الراشدون فأفلحوا في جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم . وما هو غاتم المرسلين قبل بعثه يرحل للتجارة ويسافر إلى الشام متاجراً في مال حديجة رضي الله عنها ، وقد جاءه يوماً رجل من الأنصار يندو عليه الحاجة ويمرض للسؤال فقال له : أما في بيتك شيء ؟ فأجابه الأنصاري : إن في بيتي فراشا تمام عليه وإناء شرب به . فبأمره بإحضارهما فبأخذهما منه وببيعهما بدرهمين ثم يقول له : اشتر بأحدهما طعاماً لآهلك وبالأخر قدوماً واذهب به فاحتطب وبيع ، ولا أرينك خمسة عشر يوماً . ففعل ، فجاء بعد ذلك وقد اكتسب من عمله عشرة دراهم ، فاشتري ببعضها فراشا وبعضها طعاماً . فلما علم الرسول بذلك قال له : هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة . فالرسول عليه السلام يحض على العمل بكل وسيلة ، ويحفز الناس عليه بكل طريق ، خوفاً من ذل السؤال الذي يأتي يوم القيامة وصمة عار رمزا للكسل والخلل ، فعلى العاقل أن يسلك في حياته السبل القويمة ؟

عبد الله مصطفى المراغي

## « حوالات السودان »

المرجو من مشتركى مجلة الأزهر في السودان ، ومن كل من يرسل حوالات مالية إلى هذه المجلة ، أن تكون على « مكتب بريد الأزهر » تيسيراً للعمل ، وإلا اضطرت إدارة المجلة إلى إعادتها لمرسليها .

# لغويات

## أخلص في طلب العلم ، لقيت جزاء عليه أم لا

هذا الأسلوب فاش بين الناس إذا أرادوا مثل هذا التعميم . والمتأمل في الأسلوب يرى أن ( أم ) لا مكان لها هنا . فهي إنما تقع بعد همزة التسوية أو همزة يطلب بها وبأم التبيين ، كما هو مقرر في كتب النحو ، وقد تمتع للإضراب بمعنى بل مع الهمزة ونونها .

والصواب أن يؤتى بالحرف ( أو ) بدل ( أم ) فيقال : لقيت جزاء عليه أو لا وما جاء على هذا السن قول الشاعر :

كن للحيل نصيرا جلد أو عدلا ولا تشح عليه جلد أو بجلا  
وهذه الجملة : لقيت جزاء عليه ... ، حلة حالية . ويذكرها النحويون في الجمل الحالية التي لا يجوز أن يكون رابطها الواو . ويمثلون لذلك بقوله . لأضربنه ذهب أو مكك ، لا يصح أن يقال : وذهب أو مكك . ويقول الصبان في تعليل هذا الحكم : « لأنه في تقدير فعل الشرط ؛ إذ المعنى : إن ذهب وإن مكك ؛ وفعل الشرط لا يقرب بالواو ، فكذلك المقدر به » . واستناد الشرط من الأسلوب واللباق ؛ كما ترى . وينسب ابن هشام فهم الشرط إلى ( أو ) فهو يقول في المعنى في تعداد معاني أو : « الحاشي عشر : الشرطية ؛ نحو لأضربنه عاش أو مات ، أي إن عاش بعد الضرب وإن مات . ومثله : لآتينك ، أعطيتني أو حرمتني ، قاله ابن السجري » .

وقد نبا البحتري عن هذا المنهج في قوله - على رواية طيف الخيال - :

أهلا بذاكم الخيال المقبل فصل الذي نهواه أم لم تفعل

وقد يقال في تسويغ هذا : إنه بناء على تقدير سواء . أي سواء أفعل الذي نهواه أم لم نفعل ، ولكن هذا التحريج يستلزم حذف سواء أو الهمزة ، ولم يعهد مثل هذا ولم يأت في كلام عربي يحتاج به .

على أن مبعث هذا الخطأ تقارب أم وأو ، حتى إن ابن كيسان يزعم أن أم أصلها أو ،

أبدلت الواو فيها ميما ، ويرد عليه النحويون هذا الزعم ، ومن أراد هذا فليرجع إلى جمع  
 الموامع للسيوطي . ومن آثار هذا التناوب أن ( أو ) تأتي في مكان ( أم ) في قولهم :  
 ما أدري أسلم أو ودع ، فالذي يأتي بعد ( ما أدري ) هو أم المعادلة للهمزة . ولكن جاء  
 عنهم هذا الكلام والنحويون يجعلون الحرف ( أو ) فيه للتقريب . ويقول المدسوق في كتابته  
 على المغنى في تعليل هذه التسمية في هذا المثال : « أى لأنها قربت الوداع من السلام . وهذا  
 المثال يقال لمن قال لمحبه : السلام عليكم ، ثم ودّعه وانصرف ، وهو متعلق به . فالذي يدل  
 على قرب الوداع من السلام أو . . . ومثل هذا المثال الذي جاءت فيه أو بدل أم قولهم :  
 ما أدري أذن أو أقام إذا أسرع بالأذان والإقامة . ويقول ابن جني في الخصائص ٢ / ١٦٩  
 في تعليل هذا : « فهو أنه لم يعتد أذانه أذانا ولا إقامته إقامة ؛ لأنه لم يوف ذلك حقه . فلا  
 وفي فيه لم يثبت شيئا منه . . . وكأنه يريد أن المعادلة بأمر تقتضى أمرين تأمين عودل بينهما ،  
 ولما كان الأذان والإقامة هنا للإسراع فبهما ناقصين لم يكن المقام لأم ، وأتى بأو . وهذا  
 يرجع إلى التقريب الذي ذكره ابن هشام ، فإن الإسراع بهما يقتضى بتقاربهما . فالأمر فيه  
 كالأمر في قولهم : ما أدري أسلم أو ودع .

### هدف ، أهداف ، استهدف

يكثر في هذه الأيام استعمال هدف واستهدف . يقال : إن أولى الأمر يهدفون إلى إصلاح  
 المجتمع ورفع الحيف والجور ، وإنهم يستهدفون خير الناس .

والأصل في هذا المعنى الهدف . وهو ما ينصب غرضنا يرميه الرامي بالقوس ونحوها  
 ليصيبه . والنضر بن شميل تفصيل حسن في هذا ، فهو يقول - على ما جاء في اللسان - :  
 « الهدف : ما رفع وبني من الأرض للضال . والقرطاس : ما وضع في الهدف ليرى .  
 والقرص : ما ينصب شبه غربال أو حلقة . »

وقد قال العرب من الهدف : أهداف الشيء . واستهدف أى انتصب كالهدف . يقال :  
 أهداف لك الصيد فارمه ، واستهدف لك البلد إذا شخص لك وظهر حين تدنو منه .

ويرى القارىء أن أهداف واستهدف لازمان لا متعديان ، وأنهما ينسبان للشيء ليرى  
 لا للرأى ، فلا يمال أهداف للصيد ولا استهدف له . وإذا أريد التوسع فيما جاء عن العرب  
 تقول : استهدف لي صلاح أخى إذا ظهر لك صلاحه ، واستهدف لي الخصب في هذا العام ،

وهكذا أهدف . فليس من سبيل إلى أن يقال : استهدف صلاح أخى ، فهذا يخافى ما جاء عن العرب من قبل تعديته ، ولم يرد هذا عن العرب ، ومن قبل الإسناد ، فالاستهداف فى هذا المثال لصلاح الأخ لا للتكلم ، لخرى بالأدباء ترك استهدف فيما يستعملونه فيه .

على أن فى أهداف ذروا من القول وبقيّة من حديث . فتد ورد فى بعض ما أثر من الكلام متعديا . وذلك فى قول حمدان بن أبان اللاحق من المحدثين :

أليس من العكائر أن وغدا      لآل معذل يهجو سدوسا  
هجا عرضاً لهم غصناً جديدا      وأهدف عرض والده الليسا

- الليس : الثوب يكثر لبسه فيبلى . أراد عرض والده يتناوله الناس باللهجاء والقندح حتى صار كالثوب الليس - فقوله : أهدف عرض والده أى جعله هدفا وعرضا للرمى بالمسبة والعاب ، فقد جاء به متعديا على خلاف ما جاء عن العرب . ويدل على المرمى فى شرح الكامل ٦ / ٢١٨ عند إيراد المبرد هذا الشعر : ( وأهدف عرض والده ) يريد : جعله هدفا يرمى . ولم أجد ذلك الفعل فى اللغة . وفى سيرة دحلان المطبوعة على هامش السيرة الحلبية عند الكلام على عرض الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل فى الحديث عن مقابلته / وقد كندة . وقال قائل : أنهدف نحورنا للعرب دونك . وأياما كان الأمر فالعصريون لا يستعملون أهدف ، وإنما ذكرت ما يتعلق به ترفية للقام .

فأما هدف فلا ترد فى اللغة للمعنى الذى يقال فيه اليوم ، ولا تصل بالهدف ، وإنما يقال : هدف إلى الشيء : دخل فيه وهدف للخمسين من سيده أى قاربها . ويقال أيضا : هدف إذا أسرع . ويصح تحريك المعنى العصري بضرب من الجواز ، فهدف تستعمل اليوم فى معنى قصد وتوخى ، والقصد إلى الشيء يكون سببا فى الدخول فيه ، وفى مقاربه ، وقد يكون سببا فى الإسراع إليه ، فيكون هذا من إطلاق المسبب على السبب ، وهذا كثير جارى فى اللغة . وقد نصر اللغويون على أن مضارع هدف فى معنى أسرع مكسور العين أى من باب ضرب . وأهمل صاحب القاموس مضارع هدف فى معنى دخل وقارب وإذا عملنا باصطلاحه يكون هذا الفعل من باب نصر . فقد وضع أنه إذا أتى بفعل ولم يأت بمضارعه فهو من هذا الباب وضم الدال فى يهدف هو ما سمعته فى الإذاعة فى هذه الأيام .

## القناقن والقنا

كثُر في هذا العصر استنباط المياه الأرضية ( الجوفية ) ، واستنباط النفط ( البترول ) . وقد اخترعت آلات دقيقة لتعرف النفط أو الماء في أعماق الأرض البعيدة ، يقوم بها مهندسون وخبراء تخصصوا بها . وهم يأتون في هذا الباب بما يلتحق بالعجائب . إذ يفجرون الماء من الصخر الصلب ، والنمط في البلد المحل والحجر الأصم .

وقد كان العرب من مهمهم تعرف الماء تحت الأرض في حفر الآبار ، ويبدو أنه كان فيهم خبراء بصراء بهذا الأمر ، وقد جاء عنهم دعاء البصير بهذا بالقناقن والقنا ، حتى ليصح القول بأنه كان فيهم مهندسون لهذا الغرض .

فقد جاء في اللغة أن القناقن : البصير بالماء تحت الأرض ، وفي عبارة بعض اللغويين أنه المهندس الذي يعرف الماء تحت الأرض ، وبقول بعضهم : إنه هو الذي يتسمع يعرف مقدار الماء في البئر قريباً أو بعيداً .

ومن علم العرب أن الهدهد يبصر الماء تحت الأرض . وجاء في سورة النمل في حديث سليمان عليه الصلاة والسلام أنه تفقد الطير فلم ير الهدهد فسأل عنه حتى جاءه الهدهد بخبر الملكة ذات العرش العظيم .

وقد سئل ابن عباس - رضي الله عنهما - : لم تعقد سليمان الهدهد بين الطير ؟ فقال : لأنه كان قناقنا يعرف مواضع الماء تحت الأرض . وفي القاموس : الهدهد قنا الأرض ومقنها أي عالم بمواضع الماء منها .

وإني أرى أنه يحسن تسمية مهندس استنباط الماء أو النفط بالآلات الحديثة بالقناقن أو القنا .

## نيل المعدن

يذكر الفقهاء في مبحث إحياء الموات نيل المعدن لما يخرج منه . والنيل في الأصل العطاء ، فكأن ما يخرج من المعدن عطية يجود بها على معالجيه ، ويذكرون من المعدن النفط والكبريت . ويعبر المصريون عن هذا المعنى بالإيراد ، فيقال : إيراد بئر النفط كذا ، والأولى الرجوع إلى النيل ، فيقال : نيل البئر كذا إحياء لهذه الكلمة ، وهكذا يقال فيما جرى هذا المجرى .

محمد علي النجار

## دعائم المنهج الخلقى الاسلامي

- ٢ -

الدعامة الخامسة : طهارة القلوب وصفاء النفوس ، فقد عنى الإسلام بتطهير القلوب من كوامن الحقد والضغينة ، وسوء القصد وخبث الطوية ، وتصفية النفوس من شوائب الرياء وأوضار النفاق .

فأمر المسلمين بالنسالة والتوادد ، والتآخي والتآلف ، وحثهم على التعاطف والتراحم ، كما في قول الله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ » ، « وَعِبَادِ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا » ، « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » ، وقوله صلى الله عليه وسلم ( لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ) ، ( المؤمن إلف مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ) ، ( ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ) وبذلك جمع الإسلام بين المسلمين برباط روحي وثيق ، يجمع قلوبهم ويوحد صفوفهم ، ويمهد لهم سبيل التعاون والتناصر في دينهم ودنياهم .

ورغبهم في العفو والصفح ، وكظم الغيظ والتسامح ، والتجاوز عما يقع بينهم من الهفوات والعثرات ، والأخذ بالأيسر من الأمور في المعاملة والمعاشرة ، إلقاء على ما بينهم من الروابط والصلات ، كما في قوله تعالى : « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ : الَّذِينَ يَنْفَقُونَ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَاقِفِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » ، « وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ، وقوله صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً » ، « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » وقوله صلى الله عليه وسلم للأشجع حين وفد عليه « إن فيك يا أشجع حاتين يحبهما الله ورسوله ، قال ما هما بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟ قال : الحلم والأناة . »

فكظم الغيظ عندما تغل مراجل الغضب في القلب ، وعدم إنفاذه مع القدرة على الانتقام والتشني ، ودفع السيئة بالتي هي أحسن ، كدفع الغضب بالصبر ، والجهل بالحلم ، والإساءة بالمعروف . والترفق والتأني في تدبير الأمور وتصريفها ، هي المواقف التي تتجلى فيها الإرادة القوية والصبر الخليل ، والسيطرة على أهواء النفس وزغرات الشيطان ، وهي المظاهر الخلقية التي تدل على صفاء النفوس وطهارة القلوب ، والتي لا يوفق إليها إلا الذين صبروا ، ولا ينال فضلها إلا ذو حظ عظيم .

فالواجب على المسلم أن يكون سمح الطبع كريم النفس ، لين العريكة نقي العاطفة ، مالم كالقيادة نفسه وهواه ، يتبل معاذير أهل المفوات والمثارات ، ويعفو عن نبا به اللسان أو زلت به القدم ، ويؤثر ما عند الله من حسن الجزاء وعظيم الأجر ، على الانتقام والتشني من غيظه ، فسا عند الله خير وأبقى ، وأمرنا بإصلاح البواطن والسرائر ، والإخلاص لله في القول والعمل ، وحذرنا من انطواء الصدور على الحقد والضغينة وسوء الطوية ، كما في قوله تعالى : « واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه » ، « وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون » ، « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، « وذم النفاق وأهله » ، وأنذرهم بأن الله يعلم سرهم ونجواهم ، ويحصي عليهم أقوالهم وأفعالهم ، كما قال تعالى : « ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب » . « أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم ، بل ورسلا لديهم يكتبون » ، « وهم بأشد أنواع الوعيد والتهديد ، وجعلهم في الدرك الأسفل من منازل الجحيم ، كما قال جل جلاله « بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما » ، « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا » ، وكشف لنا عن أخلاقهم وحبث طوياتهم ، وتلونهم في سلوكهم ومعاملاتهم ، لناخذ حذرنا من صدور أخلاقهم والوقوع في شرورهم ومفاسدهم ، فبين أن من أخص أخلاقهم وحلالهم ، أنهم يجادعون ويراءون في أقوالهم وأعمالهم ، ويظهرون من الأقوال والأعمال خلاف ما يبطنون . كما قال تعالى « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ، مذنبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » وأنهم يستخفون من الناس في تدبير خياناتهم ومؤامراتهم في الخفاء ، ولا يستخفون من الله الذي يعلم سرهم ونجواهم ، ويرى ويسمع حركاتهم وسكناتهم ، كما قال عز شأنه : « يستخفون من الناس



ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ، وأنهم يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، كما قال تعالى : وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قلوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، ، وأنهم إذا حدثوا كذبوا فى حديثهم ، وإذا عاهدوا غدروا بعدهم ، وإننا وعدوا أخلفوا وعدمهم ، وإذا خاصموا تجروا فى خصومتهم ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه حلة من نفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر .

ومن هنا يتضح لنا أن المؤمن الصادق فى إيمانه ، هو الذى لا يناق ولا يتلون فى قوله وعمله ، ولا يدبر للناس بلبيل ، ولا يكيد لهم فى الخفاء ، ولا يطن فى ظهور الغافلين عن خيائته وغدوره ، ولا يكذب إذا حدث ، ولا يفكر إذا عاهد ، ولا يخلف إذا وعد ، ولا يفجر إذا خاصم ، ولا يحون إذا أوتى ، لأنه يؤمن بأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وأنه تعالى يحصى على العباد كل ما يقولون ويعملون ، ويحاسبهم بما يبدون وما يخفون ، هذه هى الشخصية التى تمثل فيها روح الإيمان وأخلاق الإسلام ، وإنما عنى الإسلام بشأن التفاف كل هذه العناية ، لأن التفاف هو الداء الدفين الذى تنفث جراثيمه فى كل مجتمع ، والحديمة التى تدخل على الناس فى ألوان مختلفة وبأسماء مزيفة ، فيدخل عليهم تارة باسم الدعاء وسعة الحيلة ، وتارة باسم المهارة والسياسة ، وتارة باسم مجازاة الظروف ومسايرة الأحوال ، وهكذا تعدد الألوان والأسماء ، ولكن الحقيقة واحدة وهى التفاف .

وهو الذى يقرب الحقائق والأوضاع ، ويوجب اختلال موازين الحكم على الأقوال والأفعال ، ويطمس معالم الفوارق بين المصلحين والمفسدين ، ويصور أهل الناس على غير حقيقتهم ، فترام يلبسون لباس الأخيار وهم الفجار ، ويظهرون بمظهر الأحرار الأعزة وهم العبيد الأذلة ، ويزعمون أنهم المصلحون وهم المفسدون ، ويدعون أنهم دعاة المبادئ وقادة الإصلاح ، وهم فى حقيقة أمرهم لا مبدأ لهم ولا عقيدة ، ولا عهد لهم ولا ذمة ، وإنما هم بسيرون فى ركاب كل سائر ، ويستمعون لكل هامس ، ويستجيبون لكل ناعق ، ويطيرون مع كل عاصفة ، وينحازون إلى كل طاغية ، إذ ليس لهم رائد من الحق يلتزمون طريقه ، ولا هدف من الإصلاح يسلكون سبيله ، وإنما رائد هم مرض القلوب وطاعة الأهواء ، وهدفهم تحقيق المآرب الشخصية ولو كان ذلك على حساب المبادئ والأخلاق .

الدعامة السادسة : عفة اللسان والمنطق ، وهى كف اللسان عن فضول الكلام ولغو ،

والخوض في أعراض الناس وأسرارهم ، وصونه عن كل ما يكدر صفو الروابط الإسلامية والصلات الإنسانية ، فقد خصها الإسلام بنصيب كبير من العناية والرعاية :

فأمر بالصدق وحث على التحلق به ، ونهى عن الكذب وحذر من سوء عاقبته ، كما في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » وقوله صلى الله عليه وسلم : « عَيْبُكَ بِالصَّدَقِ ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يَكْتُبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْمَجُورِ ، وَإِنَّ الْمَجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يَكْتُبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا » . وحرّم القبيّة والنفيمة ، والسباب والمحش ، كما في قوله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ، يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ » وقوله تعالى : « وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حِلَافٍ مَّهِينٍ ، هُمَا زَمَانٌ بَنِيمٌ ، مَنَاعُ الْخَيْرِ مَعْتَدٌ أَثِيمٌ » وقوله صلى الله عليه وسلم « سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » ، « إِنْ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَرَلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مِنْ تَرَكَةِ النَّاسِ اتِّقَاءَ شَرِّهِ ، وَفِي رِوَايَةٍ اتِّقَاءَ خَشْيِهِ » .

والهمار هو العياب المغتاب ، والمشاء هو التهام الذي يسعى بين الناس بالكلام بمقصد الإفساد والوقية .

ونهانا عن السخرية والتنازع بالألقاب ، وتحقيق الناس وازدراءهم ، كما في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ، وَلَا تَلْبِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ، بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » وقوله صلى الله عليه وسلم ( المسلم أخو المسلم لا يظله ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى هاهنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه ، « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

وبين لنا أن استقامة اللسان هي سبيل النجاة والسلامة ، وأن انحرافه طريق الهلكة والتداعية ، كما جاء في حديث عقبة بن عامر ، قال قلت : يا رسول الله ما النجاة ، قال : ( أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك ) وكما في قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل ( ألا أخبرك بملاك الأمر كله ، قال بلى ، قال : كف عيبك لسانك ، قال : يا رسول الله وإننا لمؤاخفون بما نتكلم به ؟ فقال ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار

على وجوههم لإحصاء ألسنتهم ! ) وقال : على كرم الله وجهه فيما يروى عنه : « والله ما أدرى عبداً يبقى تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه ، وإن لسان المؤمن من وراء قلبه ، وإن قلب المنافق من وراء لسانه ، لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره فى نفسه ، فإن كان خيراً أبداه ، وإن كان شراً وراه ، وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه ، لا يدري ماذا لعمري ماذا عليه ، ولقد قال : رسول الله صلى الله عليه وآله : ( لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ) .

الدعامة السابعة : الصبر ، وهو من أجل الدعائم منزلة وأعظمها أثراً ، بل هو ملك الدعائم وقوامها ، ولهذا عنى الإسلام بشأنه عناية كبرى ، وتحدث عنه القرآن فى نيف وسبعين موضعاً . فأمر به وأكبر من شأنه ، كما فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، « وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » ، « يا أيها الذين آمنوا استمعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » .

ومدح الصابرين وأجزل لهم العطاء والأجر ، كما قال عز وجل : « ولنبولنكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأفص والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » ، « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » ، « ولنجزي الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ، « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » ، وهكذا جمع الله للصبر من درجات الفضل والكرامة ما لم يحصمه لغيره ؛ لأن الصبر هو قوام أمر الدين والدنيا ، فهو عنة الإنسان فى الكفاح والنضال ، وحمل أعباء الحياة وتكاليفها ، ومغالبة الشدائد والأحداث ، واجتياز العوائق والعقبات ، والعاصم الذى يعصمه من الاستسلام لليأس والجزع ، والملاذ الذى يلوذ به فى حمل النفس على الرضا بأحكام القضاء وتصاريق القدر ، والظهير الذى يستعين به على القيام بحقوق الله وحقوق العباد ، والمعتصم الذى يعتصم به فى كبح جماح الغرائز والشهوات ، وكظم الغيظ والسيطرة على نوازع الشر والغضب ، وترويض النفس على التحلى بمكارم الأخلاق والترفع عن سفاسفها ، وهو الوسيلة لاستئصال المند الغيبي والنصر الإلهي ، والسبيل إلى بلوغ الغايات وتحقيق الآمال .

يس سويلم طه

المعش بالآزهر

## برامج ومناهج

لم يعد دعاة النثر يقتنعون بالكلام في هذه الأيام ، ولم يعد شرهم مقصوداً على محاولة نشر سمومهم بالدعاية لها . فقد انتقلوا الآن من مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل ، بعد أن نجحوا في التسلل إلى مناصب تمسكهم من أن يدسوا برامجهم ومناهجهم على المستولين من رؤسائهم وينعندوها في صمت . ودعاة النثر هؤلاء يعملون في ميادين كثيرة لا يكاد يخلو منهم ميدان . ولكن أخطر ما يكون إسهامهم إذا تسلل إلى ميدان التعليم . لذلك رأيت أن أكشف في هذا المقال عن بعض أساليبهم في هذا الباب .

كان الناس يناقشون الاختلاط ، هل هو جائز أو غير جائز ، وهل هو مفيد أو ضار . وكانت تثرهم فرضي الجنس التي يروجها القوصى في مطبوعات فرانكلين تحت ستار الدراسات النفسية . فإذا هذا الاختلاط يصعب حقيقة واقعة بطريق ملتو حتى لم يكذب يتنبه إليه أحد ، بعد أن طالت المرحلة الابتدائية إلى ست سنوات يتجاوز فيها الذكور والإناث . ومن المعروف أن الإناث في بلادنا يدخلن سن المراهقة في وقت مبكر لا يتجاوز السنة الحادية عشرة في كثير من الأحيان . بل لقد أصبحنا أمام بعض المدارس المختلطة في مرحلة التعليم الإعدادي ، بعد أن تكشفت تجربة الاختلاط في الجامعة عن مآسى لا يستطيع تجاهها إلا مكابر أو مدلس . وأصبح هذا النظام ضرباً من ضروب الإلزام لا يستطيع والد أن يفر منه أو يتفاداه ، لأن عليه أن يختار بين أن يبعث بابنته وبابنته إلى هذا الوسط وبين أن يحرمهم من التعليم ويحجبهم في ظلمات الجهل . بل إنه لا يستطيع اختيار الطريق الثاني . على طلبة وطلابه . لأن قوانين الدولة تجبره على أن يعلم أولاده حتى نهاية هذه المرحلة الأولى على الأقل .

وكان الشعوبيون يروجون لهجات السوق المحلية التي يسمونها العامية بمحتف الأسياليب وكان أعداء العروبة والإسلام يتحايلون في استراخ الدراسات العربية من حصانة الدين والقرآن ، حتى قال قائمهم : « فالذين يعمون لنا أننا نتعلم العربية وعلما لأنها لغة الدين نجسب ، ثم يرتبون على ذلك ما يرتبون من النتائج الضنية والعملية إنما يمدعون الناس ،

وليس ينبغي أن تقوم حياة الأمم على الخداع ؛ فإن اللغة العربية ليست ملكاً لرجال الدين يؤمنون وحدهم بها ، ويقومون وحدهم من دونها ، ويتصرفون وحدهم فيها . لكنها ملك للذين يتكلمونها جميعاً من الأمم والأجيال . وكل فرد من هؤلاء الناس حر في أن يتصرف في هذه اللغة تصرف المالك متى استوفى الشروط التي تيسر له هذا التصرف . وإذا فن السخف أن يظن أن تعليم اللغة العربية وقف على الأزهر الشريف والأزهريين ، وعلى المدارس والمعاهد التي تتصل بينها وبين الأزهر والأزهريين أسباب طوال أو قصار . هذا سخف لأن الأزهر لا يستطيع أن يفرض نفسه على الذين يتكلمون اللغة العربية جميعاً وفيهم المسلم وغير المسلم (١) ، والغرض الذي يرى إليه صاحب هذا الكلام من قطع الصلات التي تربط الدراسات العربية بالدراسات الإسلامية هو أن يزرع عن العربية قداستها ويحررها من حماية الدين وحضائنه ليكشفها أمام أعدائها وبمعينهم على الإجهاز عليها بعد أن يحررها من كل نصير أو معين . ولم ينسح صاحب هذا الكلام وشيعته أن يتغنوا بجمع اللغة العربية في القاهرة ومكاتب جامعة الدول العربية ومؤتمراتها ميداناً لنشاطهم ، فدعا أحدهم في المؤتمر الأول لجامع اللغة العربية بدمشق إلى تأليف معاجم محلية لا يثبت فيها إلا ما بقي من لهجات العرب حياً في عامية كل إقليم . ودعا آخر إلى إعادة النظر في تبويب المعجم وتدوينه من جديد . وكان ذلك كله كلاماً في كلام . فإذا بنا الآن أمام هذه المشاريع جميعاً متفنة في كتب القوصى وشركاء المشهورة بكتب « شرشر » أو « بجلا جلا » ، وفي كتب النحو الجديد التي يتولى إبراهيم مصطفى توجيهها . ولم يثنهم عن عزمهم ما قرره مؤتمر جامع اللغة العربية الأول في دمشق من أن مشاريعهم تحتاج إلى مزيد من الدرس والمراجعة والتمحيص ، بل لقد استصدر قسم لغة العربية في إحدى كليات الآداب منذ ثلاث سنوات قراراً بإنشاء « شعبة سماها » شعبة الدراسات العربية الحديثة ، « أدخلت الدراسة فيها من النحو والصرف والبلاغة ومن الشعر العربي ونصوص الفصحى ومن الأدب العربي والتاريخ الإسلامي ومن القرآن والحديث ، وجعل مكان ذلك كله » دراسات لغوية حديثة ، و « التطور اللغوي العربي في العصر الحديث » و « اللهجات العربية الحديثة » و « الأدب

(١) الفقرة ٣٦ من كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » لطلح حبيب ص ٢٣٠ من طبعة المعارف

الشعبي ، و ، المذاهب الكبرى في الآداب الأوروپية ، و ، مدارس القصة ، و ، تطور الفكر الإسلامى في العصر الحديث .

وكان أعداء الإسلام من عمال الاستعباد والتبشير وسامسة الصهيونية الهدامة يشنعون بمحمود علماء الشريعة الإسلامية أو من يسمونهم خطأ ( رجال الدين الإسلامى ) ، وينددون بتخلف الأزهر عن ركب الحياة بزعمهم . فإذا بنا تقاجاً بأحد أعضاء ( لجنة التربية الدينية ) بوزارة التربية والتعليم يقترح إنشاء شعبة للدراسات الإسلامية في كليات الآداب لتحريج مدرس الدين الإسلامى المرن الذى يستطيع أن يسير الزمن .

هذه بعض أمثلة تصور الأسلوب الجديد الذى يعتمد على ( الغزو من الداخل ) - إن جاز لى أن أستعير تعبير المستر دالاس - الذى لم يمسد أصحابه يقنعون بالدعاية وباجتذاب الانتصار والاستكثار منهم عن طريق الإقناع أو الإغراء أو الإرهاب . إنهم يعتمدون فى أسلوبهم الجديد على أفراد عصابتهم الذين نجحوا فى التسلل إلى مراكز القيادة ، فأصبح فى استطاعتهم أن يجعلوا من أوهامهم التى لم ينجحوا فى إقناع الناس بها حقيقة واقعة بقرار أو بجمرة قلم كما يقولون . ولاوضح قليلا بعض ما فى كلامى السابق من إجمال .

كتب ( القراءة الجديدة ) المتداولة فى الإقليم المصرى ، التى وضعتها لجنة تعمل بتوجيه عبد العزيز القوصى وسعيد العريان تعتمد على أسلوب جديد لا يمكن أن نصفه بأنه عربى مهما اجتهد أصحابه فى تبريره ؛ بما يزعمونه من أن كلماته التى تبدو من عامية مصر يمكن أن تجد سنداً من معاجم اللغة يصلها بأحدى لهجات العرب . هذه الكتب لا تجنب الفصح الذى أجمع عليه العرب والمسلمون لغزابه أو ثقله ، ولكنها تعتمد إهماله لأنها تريد أن تهمله وأن تجعل استعمال لهجة الأسواق فى الكتب المدرسية أمراً واقعاً مقررأ . وهم يعلمون حق العلم أن هذه الكلمات المنتخبة من أسواق مصر وطرقها - مهما جاءوا بأشجار اللانساب تثبت عروبتها - ليست عامة فى بلاد العرب جميعاً . فهى محاولة فى بعضها ، وهى مستعملة بمعنى آخر فى بعض آخر ، لأن الفصحى التى تجمع العرب بل المسلمين اليوم هى فصحى قريش خاصة التى نزل بها القرآن والتى دون بها الحديث والفقه والأدب وكل ما أثمرته الحضارة العربية من علوم وفنون ، وهى أفصح لهجات العرب وأصلها دون نزاع ، فرضتها صلاحيتها ونشرتها قبل أن ينزل بها القرآن ، فكان العرب على اختلاف قبايلهم يكتبون شعرهم بها .

ولا يستعملون لهجات قبائلهم إلا في ضرب من ضروب الأدب المحلى المسف الذى يقرب مما يسميه بعض الناس اليوم الأدب الشعبي ، وهو الرجز . فهذه الكتب الجديدة التى يراد بها تقرير لغة جديدة للتدوين ، وإحقاق باطل فضل أمحابه في إقناع الناس به رغم ما بذلوا له من دعاية طوال نصف قرن أو يريد ، تريد في ضحى القومية العربية أن ترد العرب إلى ما قبل الجاهلية .

على أن الكلمات السوقية ( المنتظمة من أسواق مصر وطرقها ) التى يصر القوصى والعربان وشركاؤهما على استعمالها لما يقابلها من الفصحى المستعمل المأنوس . بل إنهم يعدلون في أكثر الأحيان عن الفصحى السمج الجميل إلى السوقى السمج الثقيل ، في مثل : ( العسكرى ، حلق عليه ج ٢ ص ٢٩ ) ( حطت اللحم في الحلة ٢ : ٣٧ ) ( مبسوط ٢ : ٤٠ ) ( شاف ٢ : ٥٠ ) ( زبلة ١ : ٦٠ ) ( استغرب ٢ : ٧٢ ) ( زعلان ٣ : ١٠ ) ( ابن الحلال ٣ : ١١ ) ( بص ٣ : ١٤ ) ( حطها في القفص ٣ : ٤٣ ) ( ينظرون إلى القمر فتيها لم أشكال غريبة ٤ : ٦٥ ) ( المنحلة ٤ : ٨٩ ) ( زاحنى في البحر ٤ : ٩١ ) ( يتزحلق ٤ : ٩٢ ) . فتقابل هذه الكلمات من الفصحى مشهور خفيف شائع ، وهو - على الترتيب السابق : الشرطى - اعترضه أو وقف في وجهه ( أو في طريقه ) - وضعت اللحم في القدر - مسرور - رأى - ضوضاء أو ضجيج أو لغط - دهن أو عجب - غضبان - ابن الكرام - نظر - وضعا في القفص - يتخيلون ( أو يتوهمون ) أشكالا غريبة - الوسادة - دفعنى إلى البحر - يزلق .

هل يرى القارىء مبرراً لإهمال هذه الكلمات الفصحى التى هي قدر مشترك بين سائر العرب وأصحاب الثقافات العربية من المسلمين ؟ أليست هذه الكتب هي التعميد العملى لاقتراح أحمد عبد السلام مندوب حكومة تونس - ولا أقول مندوب تونس - في مؤتمر مجامع اللغة العربية الذى دعا فيه إلى ( أن تولى لكل قطر معجماً صغيراً لا يتضمن إلا الألفاظ العربية الفصيحة التى بنيت مستعملة بمعناها الأصل في لغة ذلك القطر ، وأن يوصى بملو الأحداث والعامية بالاختصار عليها قدر المستطاع ) ؟

والى لاتساءل : كيف السبيل إلى إخراج هذه الكلمات من عقول الصغار بعد أن تنشأ نقشاً في حافضهم الغصة احساسة ؟ ثم إلى أتساءل : أين يتعلم صبية العرب وشبابهم فصحاء الجامعة لشملمهم إذا لم يتعلموها في المدارس ؟ ثم إلى أتعجب لما تحويه هذه الكتب - وكتب

المطالعة في عمومها - من ثقافات غثة تبدد أعمار التلاميذ في صحافات لا تفيد أسلوباً ولا ثقافة ولا خلقاً . فهي لا ترتفع في معظم محتوياتها عن تسجيل الواقع المسف ، المنافي للدين وللخلق المهدب في كثير من الأحيان ، من مثل وصف ( الحاوي ) وسائس القروء ، وعادات الناس - وجهالهم خاصة - في زيارات الأضرحة وفي الأذكار ، ووصف مجتمعاتهم في الموالد وفي المناسبات وفي الأسواق ، وتسجيل أساليب الباعة المتجولين في ترويج بضائعهم ولعت المثترين إليها . لماذا نفوت على التلييد فرصة التحصيل المثمر أشط ما تكون حافظته وأحد ما تكون ذاكرته قدرة على الاستيعاب السريع العميق ؟ كنا نشب على مجلة من نصوص رائعة لأعلام الشعر والأدب في مختلف العصور ومن شتى بلاد العرب ، وكنا نروض أذواقنا وأخلاقنا على طائفة من قصص نافعة تمجد صروباً من البطولة العربية والإسلامية ، فاستبدلوا بذلك كله هذه الصحافات الغثة ، التي لا تعين على تكوين الملكة العربية أو الذوق العربي .

وحجة أصحاب هذه المناهج تنحصر في أنهم لا يقدمون للنشء إلا ما يلائم عقولهم وتسميكرهم ، وأنهم يتجنبون تسليطهم حفظ ما لا يستطيعون تدبره وفهمه ، ومن المسلم به أن الصبي لا يمي كل ما يحفظه وعياً كاملاً ، ولكن لا ينبغي أن يفوتنا أنه يختزنه إلى أن ينضج عقله فيستخرج هذا المدخر آناً فآناً ليتدبره ، ولو سلنا باستبعاد كل ما لا يستطيع الصبي أن يتدبره في صباه لا ننبئ على ذلك استبعاد تعليمه أن الأرض كرة وأنها تدور ، واستبعاد تعليمه أن الله سبحانه وتعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ولما كان هناك محل لحفظ القرآن أو تعليم الدين والعبادات - وإن كان ذلك هو فعلاً مذهب بعض التربويين الذين تقموا أدمقهم في الثقافة اللادينية - والحجة التي ينبغي أن يقوم عليها تصورنا لهذه الأمور - بقطع النظر عن كل ما يستورده التربويون من قواعد عرجاء لا يعرف أحد مصدرها ولا الأغراض التي صنعت من أجلها - هو أن الصبا زمن نشاط الذاكرة وحدثها وما أصدق ما كان يردده آبائنا من أن ( اتعلم في الصغر كالنقش في الحجر ) .

فيجب أن تستقل هذه الحجة إلى أبعاد حدود الطاقة وبقدر ما يسع الجهد ، ثم ينبغي وقت ينمو فيه التفكير وتضعف الذاكرة في الوقت نفسه ، وعند ذلك يتدبر الرجل ما حفظ في صباه ، ويصبح لكثير مما كان يردده من غير وعى معنى جديد ، والإنسان من هذه الناحية



يشبه في تفكيره الحيوان المجتر في طعامه ، يخزن مادة التفكير حين تاح له فرصة الاحتزان ثم يمد استخراجهما في وقت متأخر لكي يمصهما ويتدبرها ، ولو أنه ترك في صباه حفظ ما لا يدرك كل معناه ، لما أمكنه أن يحفظه عند نضح تفكيره ، لأن التفكير ينمو على حساب الذاكرة .

وهناك حقيقة ينبغي أن لا تغفل عنها أو نهملها ، وهي أن الشخصية العربية هي القاعدة التي تستند إليها القومية العربية . والشخصية العربية تقوم على تشابه أذواق العرب وملكاتهم . وهذا التشابه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتراثنا الثقافي العريق وبمخالقة الشعر والأدب خاصة ، الذين سجلوا مثلنا العليا إيجاباً وسلباً في شعر الحماسة والأدب والرائاء والهجاء ، وفي الخطب وفي الرسائل بمختلف صنوفها . بين ديوانية وإخوانية ووصفية ووعظية وأخلاقية . فإهمال أدبنا القديم وتوجيهه أكثر العناية إلى الأدب الحديث ، بل التافه منه في الأعم الأغلب ، وتجنب ما كان منه على منوال القديم جزالة وروعة وغمامة أسلوب واحتفالاً بالمعاني الكبار ، خليف أن يعين على تدعيم ما يدبره بعض المفسدين فيسلكون إليه محتف المسالك ويمالجون به بشئ الأساليب ، حين يسمعون إلى فصل حياتنا الزاهنة والمستقلة عن مصادرها القديمة حتى تفرق جماعتنا ويقتشت شمعنا ، وحتى لا نكون أخلاقنا امتداداً لخلق آباتنا ، ولا نكون أذواقنا امتداداً لأذواقهم ، ولا نكون لغتنا وأسايلتنا امتداداً للغتهم وأسايلهم ، وحتى لا نكون مذاهبنا في الفن والأدب امتداداً لفنونهم وآدابهم ، بل لا يكون إسلامنا امتداداً لإسلامهم . فإذا أصبحت هذه العصابة في أن يجعلوا ( المجتمع الجديد ) الذي يتحدثون عنه مقطوع الصلة بماضينا في الدين وفي اللغة وفي العادات وفي الدوق الفنى وفي المزاج وفي التقنين الخلقى . فأى جامعة يمكن أن تجمعنا عند ذاك ؟ وأى طابع يمكن أن يميزنا عن غيرنا من سائر خلق الله ويجعل لنا الحق في أن نقول إتنا قوم ، إتنا عرب ؟ ما أيسر أن نكون عند ذلك تبعاً لسادة الشرق أو الغرب وذبلنا كالكائن من كان عن يربد أن يستلحقنا كما كان السادة يستلحقون العبيد في عصور الرق .

أقول ذلك وأنا أعلم أن هذه الأساليب الفاسدة كلها حائلة زائلة إن شاء الله ، وأنها لن تقوى على مقاومة مد القومية العربية الذي لا يزال يعلو ويرتفع . وبوادر ذلك وطلانه واضحة في كثير من كتب هذا العام الدراسي التي خضعت برامجها للاتفاقية الثقافية .

ولكنني انتهزت الفرصة لأنبه في هذا المقام إلى أساليب يعتمد مروجوها أكثر ما يعتمدون على غفلة الناس عنهم وجهلهم حقائق ما يهدنون إليه ، ولألقى الضوء على بعض ما يدبره المفسسون في الطلام .

وأصحاب النحو الجديد ، أو ما يسموه ( تيسير النحو ) ، شعبة من تلك الفرقة الموكلة بهدم تراثنا وقطع كل صلة تربطنا به . فهم لا يهدمون لأن الهدم هو وسيلتهم إلى البناء . من جديد كما يزعمون ، ولكنهم يهدمون في حقيقة الأمر لأن الهدم هو هدفهم وغايتهم . وهم بهذا الهدم يهدون الأرض ويسوونها لبناء جديد ولكنه للأجنبي لا لنا ، ويمحون كل ما في صحننا لتصبح صحفاً بيضاء يسطرون فيها أو يسطر فيها الذين يسحرونهم لما يعملون . من بعد ما يشاءون . نعم أصحاب القواعد الجديدة شعبة من هذه الفرقة . وقواعدهم الجديدة ليست إلا أسلوباً في الهدم .

زعم أصحاب القواعد الجديدة أن قواعد النحو التي صنعها اثنا عشر قرناً بحجة معقدة . وزعم لهم صاحبهم أنه سيلخص لهم هذه القواعد في كلمات ، قسم الكلام إلى مسند ومسند إليه ونكلمة ، وسمى كلامه هذا تيسيراً . والوصف الصحيح له أنه تعقيد ، لأن الاصطلاحات المتداولة - ولا أقول القديمة - أدنى إلى غفل الناشئ وتصوره . ومن الذي يخطئ في فهم مدلول كلمة فعل ، ودافع ، إن الأمي الجاهل والساذج الذي لاحظ له من الثقافة النحوية يستعمل هذه الكلمات بمدلولاتها النحوية في حديثه اليومي المألوف - الخبر والشرط يسأل . من ( الفاعل ) ؟ ويقول : قص على ( الماعل ) ، ويقول : ( الفاعل معلوم ) أو ( الماعل مجهول ) . والملاح في حقه يقول : ذا ( فعل ) الكرام وذا ( فعل ) اللثام ، ويسأل : ما ( الخبر ) ؟ هذه هي المصطلحات التي استبدلوا بها ( المسند ) و ( المسند إليه ) ، فسموا الماعل ونائب الفاعل والمبتدأ مسنداً إليه ، وسموا الفعل والخبر مسنداً . وإدراك معنى هاتين الكلمتين يحتاج إلى تصور الإسناد ، وهو فكرة عقلية لا يمكن بحال أن توصف بأنها أقرب إلى أفهام الصبية من المصطلحات الجارية المتداولة . فإذا كل المقصود هو التبسيط والتيسير حقاً كما يزعمون فلا شك أن الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر أقرب إلى عقول الصبية في هذه السن وأيسر تصوراً وأسلس لفظاً وأخف وقعاً في الألسن وفي الآذان من المسند والمسند إليه .

على أن أصحاب التيسير المزعوم قد احتاجوا بعد ذلك إلى تفصيل المنصوبات وتبيينها ، ولم يروا إطلاق اسم ( التكملة ) عليها جميعاً وافياً بالغرض ، فتكلموا عن ( التكملة بالزمان ) و ( التكملة بالمكان ) و ( التكملة بالحال ) و ( التكملة بالمفعول ) . فما الذى بسطوه ؟ وأى شئ صنفوه سوى أنهم أضافوا كلمة ( التكملة ) فعدتوا الاصطلاح وصعبوه وطولوه بدل أن يصروه ويختصروه ؟ .

ثم إنهم بعد أن نحاشوا اصطلاح ( الفعل ) و ( الفاعل ) لغير سبب واضح أو مبرر معتول احتاجوا للكلام عن ( المفعول ) . ألم يكن بناء ( المفعول ) على ( الفعل ) و ( الفاعل ) أسرى فى العقل وأقوم فى الترتيب وأسبق فى التسلسل من بنائه على ( المسند ) و ( المسند إليه ) .

وقد يحتاج أصحاب التيسير المزعوم لصنيعهم بأن البلاغيين ، وأصحاب علم المعاني على الخصوص ، قد اتخذوا هذا التقسيم واستعملوا بعض هذه المصطلحات . ومن المعروف المشهور أن الاصطلاحات تختلف باختلاف العلوم والفنون ، وأنها تتبع احتياجاتها وتصدر عن طبيعة كل منها وعمما يهدف إليه وما يريد أن يزيده من غرض . وطبيعة النحو وهدفه يختلف عن طبيعة علم المعاني وهدفه . فالنحو همه ضبط أواخر الكلمات وتفصيل ذلك على ما يقوم فى ذهن المتكلم من تصور ، بحيث يكون هذا الضبط وسيلة لتصوير المعنى بحسب اصطلاح أصحاب هذه اللغة وما جرى عليه عرفهم . أما المعاني فهو يتناول الأسلوب ولا شأن له بالمفردات . وهدفه هو أن يكون الكلام ترجمانا دقيقا صادقا فى نقل تصور المتكلم بكل ما يشتمل عليه وما يحفى به من أحاسيس ومن ملايسات ومن ظلال إلى نفس السامع . فهو مرحلة تالية لمرحلة النحو الذى يتعلق غرضه بالصحة والفساد ، بينما يتعلق غرض المعاني بعرق ما بين الصحيح والبليغ ، والدقيق والأدق . لذلك كان اصطلاح البلاغيين على تقسيم الكلام إلى مسند ومسند إليه وفضة لايجدى شيئا فى إفادة ضبط أواخر الكلمات ومطابقتها للمعنى بحسب ما جرى عليه عرف العرب . فالمسند إليه مثلا لا يفيد الرفع على ما يزعمه أصحاب التيسير . وهم يعرفون ذلك كما يعرفه الناس . ولذلك احتاجوا فى كتابهم الذى حير المعلمين والتلاميذ على السواء إلى أن يتكلموا عن كان وأخواتها وإن وأخواتها ، وعلى ذلك أصبح

كل من المسند والمسند إليه يقبل الرفع والنصب . ولم يستفتوا عن أن يقولوا إن المسند قد يكون فعلاً وقد يكون اسماً . ولم يستفتوا حين تكلموا عن المطابقة بين المسند والمسند إليه في الأفراد والجمع عن أن يستثنوا من ذلك الجمل التي يكون المسند فيها فعلاً متقدماً . فهل هذا تفسير أم تعقيد ؟ .

هذه أمثلة مما أذكره من وجوه النقص في تقسيمهم . وبقى كثير مما لم يذكره ، مما أشير إليه ولا أحصيه في مثل ( والقمر قدرناه منازل ) الذي ينتصب فيه ( القمر ) مع أنه ليس اسماً لأن أو إحدى أخواتها ، الذي زعموه استثناء وحيداً من رفع المسند إليه . وبقى أن نسأل أصحاب التفسير : كيف يصنع الناس بكتب التفسير والحديث والفقه وشروح دواوين الشعر التي تمتلئ بصفحاتها باصطلاحات النحو المتداولة التي حكوا عليها بالإعدام ؛ لأنها لا تستغنى عنها حين تعوض لتوضيح المعنى أو بيان العرق ما بين قراءة وقراءة ورواية ورواية . وبقى أن نسألهم أيضاً : هل استشرتم العرب جميعاً فيما صنعتوه ؟ بل هل استشرتم المسلمين الذين لا يستغنى قمتاؤهم عن تلك الكتب التي لا تستعمل غير اصطلاحات النحو الذي يريدون أن يلحقوه بكل ما يريدون إعدامه والقضاء عليه من ( قديم ) ؟ أم أنهم لا يعرفون أن هذه اللغة لبست ملكاً لطفه حسين وإبراهيم مصطفى ، والقوصى ومن شايعهم ممن يخافهم أو يرجوهم أو يضله شيطانهم . بل هي ليست ملكاً للصربين وحدهم . بل هي ليست ملكاً للعرب وحدهم ولا للسليين وحدهم من أهل هذا الجيل . وإنما هي أمانة يتحتم علينا أن نحفظها للأجيال من بعدنا كما تلقيناها عن قبلنا . أقول هذا وأنا أعلم ما سيرد هذا النفر به على . سيقولون : كلنا حدثناكم في شيء أقمتم فيه الإسلام وقلتم القرآن القرآن ، لا حاجة لكم إلا هذا ولا تعلق لكم سواء ؛ ونحن نقول : نعم . القرآن والإسلام في تقديركم شيء هين يسير وهو في تقديرنا كبير خطير . ونحن لا نبالي شيئاً تزيئونه وتزخرفونه إذا أمدنا عن القرآن والإسلام . فإن كان القرآن والإسلام عندكم لوناً من الألوان ، وواحد من اعتبارات ، كشار فهو عندنا كل شيء . به نحيا وعليه نموت ، وذلك بأن الحياة عندكم نعيم وزخرف ومتاع ثم لا شيء بعد ذلك إلا الفناء ، فلا قيمة عندكم لشيء . لا يتحول إل لذة أو شهوة أو أوطم . أما نحن فالحياة عندنا معبر للأخرة وطريق إليها . ومن أجل ذلك نبني فيها ونعمل ونكافح ونجاهد . لذلك كان الأدب عندكم

لهوا ومتاعا ، وخرافات وأوهاما ، لذة للشاذ والفارغين ، وكان عندنا أسمى من ذلك وظيفة وأعز مكانا . ومع ذلك كله فالقرآن والإسلام هو سبيلنا إلى العزة في الدنيا التي نطلبونها ولا ترون سواها ، لأن الذي يفقد ههما يفقد الضمير ومراقبة النفس ومحاسبتها في الصغير والكبير ، ويفقد الدافع القوي الصادق إلى العمل المشعر النافع ، ويفقد الحصانة والمناعة التي تجعله يتماكب ولا ينهار أمام الشهوات والمغريات . ومن فقد ذلك كله فقد الدنيا ، لأنه لا يترك للهوى ولعبه كما كان يظنه ويشتهي ، بل يسلط الله عليه من يستعبده ويشقيه ، فيصبح عبدا رقيقا في مزارع السيد الجديد ، يزرع لغيره بعد أن كان يزرع لنفسه . خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

بقى كذلك أن نقول لأصحاب التفسير المزعوم : إن ما أطلقتموه من أسماء لما توهمتموه من أقسام لا تصح ( اصطلاحا ) حتى يجمع عليها الناس . وقد عرقم رأى العرب فيها ، سمعتموه في مؤتمر بجامع اللغة العربية الأول في دمشق سنة ١٣٧٦ هـ ، وسمعتموه من قبل ذلك ومن بعده .

ومع ذلك كله فقد يبدو لي أن أصحاب التفسير كانوا يضعون أمام أعينهم التقسيم الغربي في نحو بعض اللغات الأوروبية ، الذي يقسم الجملة إلى ( Subject ) و ( Predicate ) و ( Complement ) . والدليل على ذلك أن أصحاب التفسير آثروا استعمال ( تكملة ) وهي الترجمة الحرفية لكلمة Complement على اصطلاح البلاغيين المشهور وهو ( فضلة ) . وفات هؤلاء القروء أن اللغات الأوروبية التي نقلوا عنها هذا التقسيم كالانجليزية لا تحتاج لعلم يقابل علم النحو عندنا لأنها غير معربة . أما المعرب من لغاتهم مثل الألمانية ومثل ( الفعل ) في الفرنسية فهو لا يزال يحتاج في منبطه إلى قواعد تفوق قواعد النحو العربي في أقسامها وفروعها ، ومن شاء فليرجع إلى أي كتاب ابتدأ في الألمانية ليرى إلى كم مجموعة يقسمون الأسماء ، ويرى ما يطرأ على كل مجموعة من تغير وإضافة في حالات الإعراب المختلفة التي تبلغ ثمانين حالات إفراداً وجمعاً ، مما يختلف في كل مجموعة عنه في المجموعة الأخرى . ويرى كذلك أن علامة التعريف التي تقابل ( ال ) في عربيتنا تدفع الاسم الذي تلحقه في إعرابه ، وتختلف مع ذلك باختلاف نوعه بين مذكر ومؤنك وجماد ، مما لاسبيل إلى تمييز بعضه من

بعض بغير السماع ، وليرى أن الاسم النكرة تسبقه أيضا أداة تخضع لكل هذه التقنيات السابغة ، وهي أداة لا وجود لها في عربيتنا ، إلى آخر ما هنالك مما اکتفى بالإشارة إليه ولا أحصيه .

ولست أظن أن طه حسين قد غفل عن شيء من ذلك ، أو هو على الأقل لم يفطن عما يقابل ما قدمت من أمثلة في الفعل المرذى ، حين قدم تقريره المشهور إلى وزير المعارف سنة ١٩٣٥ م ، فألقاه الوزير في سلة المهملات وطلب منه ألا يعيد الحديث فيه حين حاول أن يفتاحه فيه مرة من المرات ، وذلك حسب رواية طه حسين نفسه . ولا بأس من أن أقول فقرة من هذا التقرير ، ليعرف القارئ من أين جاء ( التيسير ) . زعم طه حسين في تقريره ذلك أن : « الناس يجمعون على أن تعلم اللغة العربية وآدابها في حاجة شديدة إلى الإصلاح ، . ورد نقور الطلبة من الدراسات العربية إلى « أن اللغة العربية وما يتصل بها من العلوم والفنون ما زال قديما في جوهره بأدق معاني هذه الكلمة ، فالنحو والصرف والأدب تعلم الآن كما كانت تعلم منذ ألف سنة . . . ولست أزعج أن الأمر يقتضى بإحداث ثورة عنيفة على القديم ، وتغيير العلوم اللغوية والأدبية لجأة وفي شيء يشبه الطفرة ، وإنما أزعج أن قد آن الوقت الذي يجب فيه أن تؤمن بأن العلوم اللسانية ، كغيرها من العلوم ، يجب أن تتطور وتنمو وتلائم عقول المعلمين والمتعلمين ويتتبعهم التي يعيشون فيها وحاجاتهم التي يدفعون إليها ، ومتى آمنا بذلك فإن التطور سيأتى وسيحقق شيئا فشيئا ، ولكن لا بد أن نمتد له الطريق . وهنا يظهر السبب الثاني الذي أشرت إليه آنفا ، وهو أن معلم اللغة العربية الذي يستطيع أن ينهض بتعليمها كما ينبغي لم يوجد بعد ، فإن القديم لا ينتج إلا قديما مثله ما دام التطور لم يمس - الفقرة ٤٢ من كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » ص ٢٨٨ - ٢٨٩ من طبعة المعارف سنة ١٩٤٤ » .

ولم يحض على هذا التقرير الذي أسقطه الوزير يومذاك وأهمله سوى سنتين حتى صدر كتاب في النحو نفسه إبراهيم مصطفى على ما تخيله طه حسين في تقريره ذلك ، وقدم له طه حسين نفسه واقترح له اسما ضحكا عربيا فيه كثير من التجمع والادعاء ، فسماه ( إحياء النحو ) . والمتبول بأن إحياء النحو هو الحلقة الثانية في سلسلة تيسير النحو ، وهو الصورة التنفيذية لمذكرة طه حسين . ولعل القارئ لا يذنب ما تحدثت به المذكورة من أن هذه الخطوة الأولى

ليست إلا تمهيداً لما يجيء بعد من التطور الذى « سياتى وسيتحقق شيئاً فشيئاً » . فهى صريحة فصيحة فى الكشف عن نية صاحبها وعن أسنوبه فى استدراج الناس ، والبدء بالهين اليسير الذى لا يفاجئهم ، ليتدرج منه إلى الخطير . إنه لا يسقيهم السم الزعاف القاتل لساعته لأنه يلفت الأنظار ويثير الشكوك ، ولكنه يسقيهم سما بطيئاً يصل به إلى غرضه دون أن يكشف عن الجريمة . فليعرف الناس إذن أن ( تيسير النحو ) ليس هو منتهى ما يريدون ، ولكنه أول طريق طويل يدعون الناس فيه إلى قرار صحيح .

ومن أعجب العجب أن مؤلفى ( تيسير النحو ) رتبوا هذا الذى يذعمونه ( تمهيداً ) على الثورة ، فقالوا فى مقدمة الكتاب « . . . . إلى أن جاءت الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ ومعهما العزم الصادق على الإصلاح ، والرأى الماضى على تذليل الصعاب ، فهيم السبيل للتميز » . فإشأن الثورة والعلم ، وطبيعة العلم المحافظة والاتزان ، وهو أبعد شئ عن الثورة ، بل إن الثورة نفسها ؟ فهل هذا إلا ملق مخيف رخيص ؟ وهل جاءت الثورة للهمم أم للبناء ؟ وهل جاءت لتعز ثراث العرب وتدعمه أم جاءت لتمحوه وتعنى عليه ؟ ألا ترى أن هذا هو نفسه ما تحدثت عنه فى مقال سابق ، حين قلت : إن أصحاب هذه الدعوات يعرفون أن الثورات هى أكثر الظروف ملائمة لبك سمومهم ، إذ يلبسون ثياب الناصحين ، ويندسون فى غمار الثائرين الذين يريدون أن يستبدلوا بأسباب الضعف والفساد أسباباً للحياة والقوة والبناء ، كما يندس المخربون والمأجورون من عملاء العدو وسط جموع المظاهرات ، يحطمون المصابيح ويمحقون المنشآت ، فيقدم غيرهم فى صنيعهم دون تمييز بين ما يصلح تحطيمه وما يضر تحطيمه ، يخربون بيوتهم بأيديهم ويحسبون أنهم يطهرونها وأنهم يصلحون !

ذلك هو ما يفعله أحد شق المقراض فيما يمارس مع النشء من المتعلمين . أما الكلام عن شق المقراض الآخر الذى يتناول إعداد مدرس اللغة العربية ومدرس الدين فذلك ما أرجئه إلى حديثي المستقبل إن شاء الله .

**الدكتور محمد محمد حسين**

أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية

## التفسير النفسى للقرآن

نزل القرآن فى عهدين متميزين : العهد المكي وهو ما قبل الهجرة ، والعهد المدني وهو ما بعد الهجرة .

فكما أن هجرة الرسول صلوات الله عليه إلى المدينة كانت حداً فاصلاً فى تاريخ الإسلام بين عهدين ، كانت كذلك حداً فاصلاً فى القرآن الكريم بين أسلوبين .

على أن القرآن كله مصوغ فى أسلوب بلاغى لا يضارع ، وفى فصاحة من النظم لا تبارى لأنه فى صياغته يتناسب مع موضوع الخطاب ، ويتلاءم مع نفسية المخاطبين ، متدرجاً مع الأحداث ، متطابقاً مع الأحوال الاجتماعية والسياسة التشريعية .

فمن نظر فى القرآن الكريم نظرة شاملة جامعة وجده مرآة صادقة للأحداث التى مرت على الإسلام ، وسجلاً محفوظاً للآزمات التى صادفها الرسول فى نشر دعوته ، وصورة دقيقة للنهج القويم الذى سلكه فى هداية قومه ، وللتدرج الحكيم الذى اتخذه فى تشريعه . بل هو ميدان فسيح للتجليل النفسى الذى يكشف عن سر بلاغة القرآن وسحر بيانه ومناط إعجازه . لذلك كان على من يريد تفسير القرآن تفسيراً دقيقاً أن يدرس نفسية المنزل عليه القرآن والمخاطبين به ، والظروف التى أحاطت بالموضوعات التى تناولها ، ليستطيع أن يدرك أسرار أسلوبه وخصائص تعبيره ودقائق نظمه .

واقعد فطن القدماء إلى ذلك فذكر السيوطى فى الإتيان عند الحديث على أخطاء المفسرين ومواطن ذلهم ما يأتى : -

أكثر ما يقع الخطأ فى التفسير من وجهين :

أحدهما - قوم اعتمدوا معانى ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها .

والثانى - قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ فى لغة العرب من غير نظر إلى المنزل عليه

القرآن وإلى المخاطبين به .

هذا ما فطن له الجلال السيوطى عليه رحمة الله .



ونحن نقول على ضوء ما قرره :

إن المخاضين في المدينة يحتفون عن المحاطين في مكة فصاحة وعقلية وخلقا وبيتة .  
والموضوعات التي تناولها السور المدنية تختلف عن الموضوعات التي تناولها السور المكية .  
ونفسية الرسول صلوات الله عليه في المدينة غيرها في مكة .

لهذا كله كان للقرآن المدني أسلوب له خصائصه وميزاته عن القرآن المكي الذي له أسلوبه وخصائصه وميزاته ، وفي كل إعجاز وسحر بيان وجمال نظم يدل على أنه ليس في طاقة البشر ، وإنما هو تنزيل من خالق القوى والقدر .

فأهل مكة كانوا يومذاك أهل شرك وعبادة أوثان ، وأهل رياسة وسيادة ، ديدنهم العناد وخلقهم النظرة والجفوة ، وعقولهم في الدين مقفلة ، وطباعهم في الجدل جافة ، جامدون في تقليد ، واقفون عند كبرياتهم وطفلياتهم « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا » .

وكانت موضوعات السور المكية كلها في أصول الإيمان الاعتقادية من الإلهيات والوحي والرسالة والبحث والجزاء ، وبلى ذلك فيها أصول التشريع الإجمالية العامة والآداب والفضائل الأساسية ، ويتخلل هذا وذاك بحاجة المشركين ودعوتهم إلى الإيمان بتلك الأصول وإبطال ضلالاتهم ومحاربة خرافاتهم .

وكان الرسول صلوات الله عليه في مكة حرجا صدره ، حزينة نفسه من طول المعارضة ، واستمرار العناد ، ومن توالي الأذى ، ولحرصه على نجاة قومه من انحرافهم وتخليصهم من عبادة أصنامهم ومهاوى شركهم .

« فاعلمك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » ، « لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » ، « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » ، « قد نعلم أنه يحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك » .

لذا جاء القرآن المكي يخاطبهم صريحا واضحا سهلا في أسلوب فطري وجداني ، ليصل إلى قلوبهم القاسية وعقولهم المغتفة .

فكانت السور المكية تارة تنذرهم فتذكرهم بيوم الفصل ، وبالصاخة تبيتهم وبالقارعة

تحمل بهم ، ثم نصف لهم سقر وربانيتها ، ساصيله سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر  
لواحة للبشر ، عايها تسعة عشر .

وتارة يصف الجنة ونعيمها وحدائقها وأنهارها ، فهو ينقلهم من الرهبة إلى الرغبة  
ومن الخوف إلى الرجاء حتى يلس قيادهم وتهذب نفوسهم ويدك من عنادهم ويخفض  
من طغيانهم .

ومن هذا وذاك يجذب القرآن أقطارهم إلى ما ألقوه من مشاهد الطبيعة الدالة على قدرة  
الله ، وعظم آياته ، وجليل آياته ، لتدبر عقولهم وتشرف نفوسهم فيصلوا من ذلك إلى ألوهيته  
ويدركوا حقيقة وجدانيته . يسوق القرآن كل ذلك في أسلوب مسحوح قصير ، وموسيقا لفظية  
ساحرة ، وحمل منزنة مزدوجة ، في صيغ مؤكدة بالقسم الذي درجوا عليه في تعابيرهم ، وألقوه  
في مخاطبتهم ؛ ليكون ذلك أثراً في نفوسهم ، وأعمق فعلاً في وجداناتهم .

ثم يضرب لهم الامثال بالأمم الغابرة التي كانت أشد منهم قوة فأخذهم الله بدنوبهم ،  
وأهلكهم بطغيانهم وعصيانهم خالقهم ، ليوقظ من وراء ذلك التهديد قلوبهم ، ويحيي بصارم  
هذا الوعيد ميت وجدانهم .

« ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ، وما طلبناهم ولكن ظلموا أنفسهم  
فأغنت عنهم آلهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك ، وما زادهم غير  
تقريب . وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد . »

لهذا كان أسلوب السور المكية عالياً جزلاً متيناً وصارماً رصيناً ، يصح الجنان ويصدع  
الوجدان ، ويفزع القلوب ، ويهيب العقول .

« القارعة ما القارعة ، وما أدراك ما القارعة ، يوم يكون الناس كالعراش المبثوث ،  
ونسكون الجبال كالعهن المنفوش . »

« الحاقة ما الحاقة ، وما أدراك ما الحاقة . كذبت ثمود وعاد بالقارعة . فأما ثمود  
فأهلكوا بالطاغية . وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عانية . »

« فما لم عن التدكرة معرضين ؛ كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة . »

« وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إذا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . »

على أن القرآن الحكى لم يخل أحياناً من لين ورقة ومحاسنة وملانية إذا ما كان الخطاب موجهاً للؤمنين ، أو إذا سلك مسلك الوعظ والتذكير ، أو وصف الجنة وطلاتها ، أو إذا عمد إلى تسلية الرسول صلوات الله عليه والتسرية عن نفسه والتبديد من كربته : « فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما همرون وما يملنون . »

وقد شاع في أسلوب هذا العهد الحكى ظواهر أسلوبية مرتكزة على أسس نفسية ، وأحوال وجدانية مما ستعرض لدراسة في البحث الآتى . تلك الظواهر هى : التكرار ، والقسم ، والافتتاح بحروف التهجى ، والإيجاز .

ولنعجل بمثال يبين فضل الدراسة النفسية في حل مشاكل في التفسير خطيرة - من ذلك ما في تفسير قوله تعالى في سورة الشعراء « وإنه ننزىل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتسكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين . » فقد تار حول هذه الآيات خلاف مس الأصول البعيدة ، والأسس النائرة من الصرح القرآنى .

فهذا فريق يحتج بها على نزول القرآن بالمعنى لا باللفظ ، وأن اللفظ من عند الرسول عليه السلام ، إذ لا ينزل على القلب إلا المعانى . وهذه مزانة إلى إنكار أن يكون لفظ القرآن معجزاً .

ومنكر هذا النزول المعنوى ينظر إلى تناول النزول على القلب ليعين معن العقل هو القلب أو الدماغ ، وهو ما يعرض له الفجر الرازى في تفسيره ويوردى ذلك آراء القدماء والمحدثين ، والاستدلال لكل رأى .

إلا أن الزعزعى يدركه التوفيق فيفتن من ذلك إلى خاطرة نفسية دقيقة يكشف بها غمار الموقف ، إذ يعلق قوله تعالى ( بلسان عربى مبين ) بالفعل ( نزل ) ويجعل المعنى هكذا : نزله باللسان العربى لتنذر به لأنه لو نزله باللسان الأعجمى لتجاوزوا عنه أصلاً ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه ، فيتعذر الإنذار به . وفى هذا الوجه أن تنزله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزىل له على قلبك لأنك تفهمه ويفهمه قومك . ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على

سمعك دون قلبك لأنك تسمع أجرام حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها ، فقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات : فإذا كلم بلغته التي يتقنها أولاً ونشأ عليها وتطبع بها لم يتعلق قلبه إلا بمعاني الكلام يتلقاها ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت ، وإن كلم بغير تلك اللغة - وإن كان ماهراً بمعرفة - كان نظره أولاً في ألفاظها ثم في معانيها . فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لتزوله بلسان عربي مبين .

فبذلك المنهج النفسى في فهم حال المتكلم باغة الأم وحال المتكلم بغيرها كشف الزمخشري ظلة الموقف ، وهون الأمر حتى جعل الاحتجاج بالآية على النزول بالمعنى دون اللفظ يبدو واهناً ضعيفاً .

وليس يحتاج إلى فهم الجوانب النفسية بإزاء الآيات التي يثور حولها مثل هذا الخلاف فقط ، بل في الآية التي لا خلاف فيها مطلقاً قد ترفع الملاحظة النفسية إلى أفق باهر السناء ، خالق بذلك الإعجاز الذي أعجز الجن والإنس ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

### عبد الوهاب حمودة

### إقامة الحق

في الإسلام إقداما	صكفي دعة وإحجاما
هلوا نرفع الهاما	أثقتى الدهر نواما ؟
على البيضاء فانطلقوا	إلى العلياء فاستبقوا
لكم من دينكم طرق	تبك النور أعلاما
سلوا القوم الأولى خمبوا	بأية قوة غلبوا
أقاموا الحق فانتدبوا	لأهل الأرض حكاما
	أحمد محرم

## مدحة على بن الحسين

بين الفرزدق والحزین الکتانی

- ١ -

كتب فضيلة الأستاذ العالم الفاضل الشيخ محمود التواوي في مجلة الأزهر ( عدد المحرم سنة ١٣٧٨ هـ ) مقالا عن علي بن الحسين رضي الله عنهما ، أكد فيه أن علي بن الحسين توفي سنة ٩٤ هـ على حسب ما نصت عليه الكتب التي اعتمد عليها الكاتب ، وخلص من ذلك إلى نفي القصة المشهورة التي جمعت بين هشام بن عبد الملك - وهو خليفة - وعلي بن الحسين ، والفرزدق ، إذ أن هشاما تولى الخلافة في سنة ١٠٥ هـ . وسياق القصة - على ما يقول الأستاذ التواوي - يدل على أن هشاما كان يومها خليفة ، ثم استطرد يقول : « فإن تكن الحادثة صحيحة أولا أصل ، فلعلها كانت مع غير هشام من الخلفاء ، أو مع غير زين العابدين من آل البيت أو بينهما في غير خلافة هشام » .

قلت : ولست أجد في سياق القصة ما يرجح أن هشاما كان خليفة في ذلك الوقت ، فإن كان لما فيها من حفاوة به ، والتفاف حوله ، فليس ذلك بكاف إذ أن أهل بيت الخلافة كبارهم وصغارهم يلقون من التجلة والإعظام ما هو معروف ، في كل عصر ، ومصر .

على أن بعض الكتب كفانا مثونة الاستنباط والجدل ، فقد نص صاحب الأغاني ( ١ ) على أن القصة وقعت وهشام يحج بالناس في خلافة أخيه الوليد ، وذكر جامع ديوان الفرزدق أن هشاما حج في أيام أبيه ومعه جماعة من أعيان أهل الشام ، وأنه لم يستطع أن يستلم الحجر لكثرة الزحام ، فلما أقبل على بن الحسين وكان من أجمل الناس وجها ، وأطيبهم أرجاء طاف بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجر تمنى له الناس حتى استلم الحجر ، فقال رجل من أهل الشام لهشام : من هذا الذي هابه الناس هذه الهيئة ؟ فقال هشام لا أعرفه ، عفاة أن يرغب فيه أهل الشام

وكان الفرزدق حاضراً فقال أنا أعرفه ، فقال الشامي : من هو يا أبا فراس ؟ فقال الفرزدق قصيدته التي نحن بصدد تحقيق قائلها في هذا البحث .

وذكر أصحاب الوسيط أدب اللغة أن هشاماً كان آنذاك ولياً للعهد ، وهو خطأ فهشام لم يكن ولياً للعهد إلا في أيام يزيد بن عبد الملك ، وقد ولي يزيد الخلافة في سنة ١٠١ هـ أي بعد وفاة زين العابدين بست سنوات ، وكان ولي عهد عبد الملك ابنه الوليد ، وولي عهد الوليد أخوه سليمان ، وولي عهد سليمان ابنه أيوب ، فلما مات أيوب في حياة أبيه كان ولي العهد عمر بن عبد العزيز .

فإذا اعتمدنا رواية صاحب الأعاني أو رواية جامع الديوان خلصنا من الاعتراض الذي أثاره الأستاذ التواوي عن التعارض بين وقوع القصة مع هشام ووفاته على بن الحسين ، وبقي أن نمضي في التحقيق لنرى من قائل هذه القصيدة ، وفيمن قيات ، وما هي القصيدة ؟ ولأذكر - أولاً - النصوص التي وقعت عليها ، ثم أصل إلى النتيجة من هذا التحقيق . قال أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأعاني في ترجمة الخزي الكنتاني (١) - مع شيء من الاختصار - : « حج عبد الله بن عبد الملك ، فقال له أبوه سيأتيك الخزي الشاعر بالمدينة وهو ذرب اللسان ، فأياك أن تحتج عنه وأرضه ، فلما قدم عبد الله المدينة دخل عليه الخزي فقال : أيها الأمير إني كنت مدحتك بشعر ، فلما دخلت عليك ، ورأيت حالك وبهاك أذهلتني عنه فأسيت ما كشت قلته ، وقد قلت في مقامى هذا بيتين فقال : ما هما ؟ قال :

في كفه خيزران ريمحه عبق من كف أروع في عرينه ثم  
يغضى حياء ويغضى من مهابة ف يكلم إلا حين يتسم

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين رضي الله عنهما التي أولها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت بمرفه والحل والحرام

وهو غلط عن رواهما فيها . وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل علي بن الحسين رضي الله عنهما ، وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد .

وأما الآيات التي مدح بها الفرزدق على بن الحسين ، وخبره فيها حدثي . . . حدثنا ابن عائشة ( ثم ذكر القصة التي أوردتها آنفا ، وذكر آياتاً سبعة ابتدأها بالبيت السابق هوذكر بعده ) :

هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا النقي النقي الطاهر الملم
إذا رأيته قريبش قال قائلها	إلى مكأرم هذا يتبى المكرم
يكاد يمسه عرفاء راحته	ركن الحطيم إذا ما جله يسلم
فليس فورك من هذا بصائر	المرء تعرف من أنكرت والمعجم
أى الخلاق ليست في رفاههم	لأولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أوله دا	فالدير من بيت هذا ناله الأمم

ثم ذكر قصة حبس الفرزدق وإخراجه ، وإجازة على بن الحسين له ، ثم قال : ومن الناس أيضاً من يروى هذه الآيات لداود بن سلم في قثم بن العباس ، ومنهم من يرويها لخالد بن زيد مولى قثم فيه ، فمن رواها لداود بن سلم في قثم وخالد بن زيد فيه فهي في روايته :

كم صارح بك من راج وراجية	يرجوك بأقلم الخيرات بأقلم
أى العاتر ليست في رفاهم	البيت . . . . .

( في كفه خيزران ) . ( يفضى حياء ) البيتان .

ومن ذكر لنا ذلك الصولي عن العلاقي عن مهدي بن سابق أن داود بن سلم قال هذه الآيات الأربعة سوى البيت الأول في شعره في علي بن الحسين رضي الله عنه ، وذكر الرياشي عن الأصمعي أن رجلاً من العرب يقال له داود وقف فقم فناداه وقال ( يكاد يمسه ) ( كم صارح بك ) البيتين . فأمر له بجائزة سنينة ، والصحيح أنها للحزبين في عبد الله بن عبد الملك وقد غلط ابن عائشة في إدخاله البيت في تلك الآيات .

ثم ذكر آيات الحزبين مؤتمعة منتظمة المعاني ، متشابهة تنبي عن نفسها - على حد تعبيره - وهي أحد عشر بيتاً ، فيها البيتان المشهوران ( في كفه خيزران - يفضى حياء ) وليس فيها البيتان ( يكاد يمسه - كم صارح ) كما أنه ليس بينها وبين قصيدة الفرزدق المثبتة في ديوانه اتفاق بعد ذلك . ثم قال صاحب الأعاني : ومن الناس من يقول إن الحزبين قلما في عبد العزيز ابن مروان لذكره دمشق ومصر ، وقد كان ثم عبداً لله بن عبد الملك أيضاً في مصر والحزبين بها .

وصاحب الأغاني حافل - كما ترى - وسنتخلص منه - على الرغم مما فيه من اضطراب - بعض الحقائق الهامة .

ونسب أبو تمام في ديوان الحماسة أحياناً للحزين الكناني ، واختلفت النسخ المطبوعة فبعضها ذكر أن الممدوح بها على بن الحسين ، ومعناه أن هذا رأى أبي تمام ، وبعضها اقتصر على ذكر الشاعر ، والموجود في ديوان الحماسة أبيات ستة كلها مذكورة في مدحة الفرزدق - كما وردت في ديوانه - ومنها البيتان اللذان ذكر صاحب الأغاني أنهما للحزين ، ونق أن يكونا للفرزدق ، أو في مدحة ، على ، بعامة ، أما الأبيات الأخرى فقد جاءت في رواية الأغاني ، وفي رواية الديوان ، فيكون أبو تمام وفق المخطوطة ، ونسبها للكناني ، وقد ذكر التبريري في شرح الحماسة اسم الحزين ونسبه ثم قال . ويقال إنها للفرزدق ، وذكر بعض شراح الحماسة أنها للحزين ، وردد كلام صاحب الأغاني .

وقال ابن رشيقي في العمدة : « وكذلك قول الحزين الكناني في عبد الله بن عبد الملك ابن مروان ، وقد وفد عليه بمصر ، ويروى للفرزدق في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وقيل بل قالها فيه اللعين المنقري ، وقيل بل الأبيات لداود بن سلم في قثم ابن العباس بن عبد الله بن العباس ( في كفه خيزران - يفضي حياء ) .

وذكر ابن قتيبة في مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » البيتين مثالا للضرب الأول من أضرب الشعر في تسميته المشهور ، وهو الضرب الذي حسن لفظه وجداد معناه ، ولم ينسبهما ، وإن نسبهما بعض المعلقين على الكتاب للفرزدق ، أما ابن عبد ربه فقد ذكر في كتابه العقد المفيد قال : ( وقال ابن قتيبة لم يقل بيت أبدع من قول الشاعر في بعض خلفاء بني أمية : يفضي حياء . . . البيت ، وأحسن منه عندي قولي :

فني زاده عز المهابة ذلة فكل عزيز عنده متواضع

ونسب الشيخان الإسكندراني وعناني في كتابهما « الوسيط » القصيدة للفرزدق ، ونصا على أن أحياناً منها تروى لغيره ، وهي في اختيارهما عشرة أبيات ، ولعلهما يشير أن إلى البيتين اللذين أكد صاحب الأغاني أنهما للحزين الكناني ، وقد طال بنا نص القول فنرجى التناجح الهامة التي يفضي إليها هذا البحث إلى حديث آخر ؟

على العماري



## المرأة في ظلال الإسلام

الإسلام هو الدين السماوي الوحيد ، الذي عنى بالمرأة العناية الكافية ، وأحلها المكانة اللائقة بها ، وأنزلها المنزلة التي تتناسب ورسالتها في مضمار الحياة ، وضرب حولها سياجا منيعاً من الحفظ والحماية ، وأحاطها بسور متين من الصون والرعاية ، ومنحها كثيراً من الحقوق التي لم تكن لها لولاه . . .

ولو قلبنا صفحات التاريخ ، وألقينا ضوءاً كشافاً على حالة المرأة قبل الإسلام ، لرأيناها قد عاشت قبله أجيالاً طويلاً ، منقوصة القدر ، مهينة الجناح ، مسلوطة الحرية ، تختلف الأمم والقبائل في معاملتها ، ولكنها تتفق في ازدراءها وإهمال شأنها ؛ والنظر إليها كشيء من سقط المتاع ، فمنهم من كان يشتغل في القسوة عليها ، ويسرف في استلاب حقوقها ، ويحرم عليها أن تبدي رأياً يخالف رأيه ، أو تعمل عملاً يغير مشورته ، أو ترفض زوجها اختاره ، أو تنال حظاً من الميراث . ومنهم من كان يتصرف فيها كما يتصرف في المواشي ، بالبيع والشراء ، والهبة والإجارة ، والإعارة وسواها ؛ ومنهم من كان يقعد عن العمل ، ويركن إلى الراحة والبطالة ، ويكلف المرأة مشقة السعي ، والإتفاق عليه ، وعلى أولاده ، وقد يكرها أحياناً على الفجور ، وارتكاب الآثام ، ولا يرى في ذلك ذنباً ولا عاراً ١١١

ومن بين قبائل العرب في الجاهلية من كان يعمت النساء ، ويثد البنات ، خوفاً من العار ، وضناً بالإتفاق عليهن ، وقد صرح القرآن العظيم بذلك ، في غير موضع منه ، قال الله عز وجل : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ؛ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون ، أم يدسه في التراب ، ألا ساء ما يحكمون » ، وحتى لقد قال أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب ، رضي الله تعالى عنه ، ونضر تاريخه : والله كنا في الجاهلية لانعد النساء شيئاً ، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل ، وقدم لهن ما قدم .

هذا شأن المرأة قديماً ، وذلك بعض ما كانت تن تحت من الأغلال والقيود ، وضروب الذل والبلاء والهوان ، فلما لاح فجر الإسلام الخفيف ، ونادى به رسول الإنسانية ، محمد - صلوات الله وسلامه عليه - ألقوا المرأة بما كانت تعانيه ، ونهض بها إلى المستوى

الملائم لها ، وأعطاهما كثيراً من الحقوق التي أعطاهما للرجل ، ولم يفرق بينهما إلا في أمور يسيرة ، راعى فيها طبيعة كل منهما وفائدة المجتمع .  
فحوى بينهما في القديرة ، والتكاليف الدينية ، وحرية الرأي والعمل ، وجعل لها نصيباً مفروضاً في الميراث .

نعم ، إن الإسلام جعلها فيه على النصف منه ، لحكمة سامية ؛ لأنه أوجب نفقتها على الرجال ، راحة بها ، وإبعاداً لها عن مشاق السعي ، ومتاعب الحياة ، ولا يزال فريق من أرق الممالك الأجنبية إلى يومنا هذا ، يحرم المرأة حتها في الميراث ، ويجعله مقصوراً على أكبر الأولاد سناً ١١١

فستان بين حال المرأة في ظلال الإسلام ، وحال المرأة غير المسلمة في العصور القديمة والحديثة .

واقده وجه الإسلام الأغر عناية كبرى للأسرة ؛ لأنها الخلية الأساسية التي يتركب منها ومن أمثالها جسم المجتمع ، فنشر الزواج ، وأمر التاديب به ، حمتا للنوع الإنساني ، وبعداً بالناس عن الوقوع في أحضان الرذائل والمعاصي ، والأدواء والأمراض ، واحتراماً للأنساب ، ومعاونة على الحياة ، وأطل الزوجين معا طلة الوارف ، وكاث عناية بالمرأة وعطفه عليها أوضح وأظهر ، ضرورة أنها تحتمل من تبعات الزواج ونتائج أكثر مما يحتمل الرجل . واقده جاء أعزاني إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم . وهو جالس بين أصحابه ، يدهمهم ، ويدين لهم أحكام دينهم ودنياهم ، وبذكركم بأيام الله . فقال الأعزاني : يا رسول الله - من أحق الناس بحسن صحابي ؟ فقال : أمك . أمك : قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك .

وإذا كان الدين الإسلامي العظيم قد جعل شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل ، فذلك لأنها أقل منه خبرة ، ودطراً في المواقف . وأكثر حصوعاً للعواطف وأسرع انفعالا وتأثراً . وقد أباح تعدد الزوجات لأعراض نبيلة ، زادت حوادث الأيام وضوحاً وجلالاً ، واشترط على الروح أن يعدل سنن في كل ما يمكن العدل فيه ، فإن آس من نفسه عجزاً عن ذلك وجب عليه أن يقتصر على زوجة واحدة . وفي هذا يقول العلي القدير : وإن ختم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن ختم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا ١١٢ .

وقد تحقق الحياة الزوجية في نتيجة أسباب السعادة للزوجين ، أحدهما أو كليهما . فلا يكون بد من التمريق بينهما بالطلاق . حقا . إنه علاج قاس ، ودواء مر ، وأبغض الحلل إلى الله تعالى ، ولكن لا بد مما ليس منه بد . فإذا يصنع الرجل إذا كانت امرأته سيئة الخلق لا ترعوى ؟ أو كانت عجوزاً لا تله ؟ أو كانت مريضة لا تنوى على أعباء الحياة الزوجية ؟ ولا ينظر لها برء أو شفاء ؟ .

بل ماذا تفعل المرأة إذا عاب عنها زوجها غيبة طويلة منتطعة ؟ أو كان شريراً يسيء معاملتها ؟ أو يضربها ضرباً مبرحاً لا تحتمله ؟ بل كيف السبيل إلى الخلاص إذا بات إصلاح الحال مستحيلاً أو في حكم المستحيل ؟ !!! لا علاج لهذا كله إلا بالطلاق ، يوقعه الزوج أو القاضي أحياناً .

ولقد كان كثير من غير المسلمين يعيرون نظام الطلاق في الشريعة الإسلامية التسمحة ، ولكن الأيام أظهرت لهم حكمته السامية ، وكشفت لهم الحوادث عن سداده ، وشدة الحاجة إليه ، فأخذوا به ، وصاروا يطعمون ، ولا يرون فيه عيباً . بل ذهبوا إلى أن إباحته ضرورية لإصلاح المجتمع . وهذا اعتراف مهم بمفصل هذا الدين العظيم ، وأنه الدين الوحيد الملائم للطباع الإنسانية ، والنظم الاجتماعية ، والصالح لكل زمان ومكان .

هذا قليل من كثير ، من آيادي الإسلام البيضاء على المرأة ، وعنايته بها ، وحرصه على كرامتها ، وإعلاء شأنها ، وحسينا في هذا المقام أن يحتم هذا المقال ، بقول المشرع الأعظم - صلى الله عليه وسلم - حاثاً على معاملة النساء بالحسنى : إن النساء خلقن من ضلع أعوج ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه . فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً فإن أحسنكم أحسنكم معاملة لنسائه .

وحدثت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن والدها قالت : دخلت امرأة ، ومعهما بنتان لها تسأل شيئاً ، فلم أجدها غير تمررة ، فأعطيتها لها ، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل شيئاً ، ثم قامت فخرجت ، ودخل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته بخبرها ، فقال عليه الصلاة والسلام : من ابتلى من هؤلاء البنات بشيء كن له ستراً من النار .

### أحمد على منصور

أستاذ البلاغة والأدب بمعهد شبين الكوم

# رسالة الأزهر

( بقية رسالة الأدب )

- ٤ -

لنا هنا وقفة ، هي وقفة الذاكر لا وقفة الحاضر . فلقد عدت من رسالة الأزهر الأدبية ما كان من أدب مثل الشيخ ابن دقيق العيد ، والشيخ السيوطي ، ومن جاء بعدهما من أدباء المشايخ الأزهريين ، كالشيخ اسماعيل الخشاب والشيخ عبد الله الشبراوي والشيخ حسن العطار والشيخ محمود العالم . هذه الوقفة هي تساؤل ، هل كان تأدب هؤلاء المشايخ ومن مات لهم بالشعر والنثر - مدروسا في أيامهم بالأزهر أم لا ؛ فإذا كان مدروسا فما أيسر أن تنسب إلى الأزهر من جوفه ومناهجه - دراسة أدبية انتهت هؤلاء الشيوخ الأجلاء إلى أن يكونوا متأدين شعرا وشرا أو كليهما . وإذا لم يكن ذلك من مناهج الأزهر فما الذي جعل من هؤلاء السادة - أدباء في النروة من الأدب في أزمتهم وأيامهم ؟ الواقع أن دراسة كتب الأدب المعبرة لم تكن من مناهج الأزهر الدراسية . مثل البيان والتبيين للجاحظ ، والامالي لأبي علي الفارابي ، والكامل للبردوي والأغانى لأبي الفرج الأصفهاني<sup>(١)</sup> . وهي الكتب التي عدتها مؤرخو الأدب - ولا سيما ابن خلدون - أمهات الأدب وأصول لغة العرب . وقد كانت الدراسة مقصورة في الأزهر على كتبه المعروفة المتوارثة مثل الأشعري ، والمطول والأطول ، وجامع الجوامع ، والرسالة العنصرية . . . . . وهلم فما انتهى صير من هؤلاء المشايخ الأجلاء أدباء ، كتابا وشعرا ؛ فقد يكون لكل واحد منهم ظروف خاصة ساقته إلى الأدب ، أو ساقته الأدب إليه . مثل أن الشيخ حسن العطار قضى معظم أيام شبابه في الترحال والاندخال . فازدادت معارفه ، وصقل أدبه . هذه الظروف الخاصة - التي لا أعلنها بالتفصيل عن كل من تأدب من الأزهريين - تنبئ عند سبب عام واحد هو حب الاطلاع على كتب الأدب ، والتلذذ بقراءة آثار الأدباء . والحب الذاتي يجنى صاحبه الثمرات فيما يرغب فيه وأحبه ، فالتأديبون من المشايخ كانوا يجمعون بين الدراسة الأصلية في الأزهر ، وبين هوايتهم التي أحبوها : فكانوا بذلك علماء وأدباء معا . على أن

( ١ ) المجلة - الأغاني لم يكونوا يعدونها الكتاب الرابع من هذه الكتب الأربعة ، بل الكتب الرابع هو أدب الكاتب لأبي حنيفة .

بعضهم كما سيجيء في موضعه - قد طغى حب الأدب فيه على كل دراسة في الأزهر، فأهملوا علوم الأزهر إهمالاً، وعكفوا على الأدب فصاروا في الذروة والسمام : وأعطى هنا مثلاً سريعاً لواحد منهم . هو السيد مصطفى لطفى المنفلوطى الذى سيجيء ذكره فيما بعد .

لا أنسى في التحدث عن رسالة الأزهر الأدبية - الشيخ المؤرخ الأديب المحلل : عبد الرحمن الجبرتي : الذى حسبته الدكتور أحمد أمين أستاذ الشيخ حسن العطار ومنشئه على حب الأدب . ومع مخالفته لهذا رأى مخالفة قاطعة فلئننى لا أعرف سيداً استند إليه أحمد أمين إلا أن الجبرتي روى في ترجمته للشيخ إسماعيل الخشاب أن هذا الشيخ ( الخشاب ) قد تألفت روحه مع روح العطار بعد عودته من رحلته وذكر شيئاً مما كان يجرى بينهما من المطارحات الشعرية . وكانت هذه المطارحات كثيراً ما تجرى في بيت الجبرتي . ومعنى ذلك أن هذا الثالث قد كون أحوة أدبية صادقة كانت تتطعم الوقت في الفكاهات والمنازلات ورواية الأشعار وهذا لا يفيد أن العطار أخذ أدبه عن الجبرتي . وإلا فلماذا لا تقول ذلك أيضاً في الخشاب ؟ الواقع أن الجبرتي لم يتعرف بالعطار إلا بعد انتهاء رحلاته الثانية واستمراره في وطنه . وقد عاد من هذه الرحلات مكتمل الأدب ، فائقاً في زمانه شراً وشعراً . على أن أسلوب العطار في شعره أقوى من أسلوب الجبرتي على وجه عام . فكيف يكون الأضعف أستاذاً للأقوى . وأيضاً فإن العطار كان شاعراً خلوا ولم يعرف عن الجبرتي من الناحية الشعرية أنه كان شاعراً وإنما كان راوية للشعر في تاريخه المعروف في المناسبات التى يرى فيها أن يروى شعراً لمن يترجم لهم . وله شعر قليل لا يضمه في صف العطار والخشاب إطلاقاً .

إن الأستاذية التى لا ريب فيها هى أستاذية العطار للشيخ رفاعة رافع الطهطاوى الذى لا يسهل على من يتحدث عن رسالة الأزهر الأدبية أن يغفل شأنه الكبير . فاقصد كان الطهطاوى ملازماً للعطار ملازمة أول المريدين لشيخه . وقد تلبذ على العطار دراسة أزهريّة وأديبا . ولذلك اختاره العطار ليكون إماماً لبعثة مصرية إلى فرنسا لما وكل إليه أمر هذا الاختيار . وقد أوصاه قبل سفره أن يكتب رحلته من ابتداء قيام الباخرة التى نقله إلى منهاها . ولا يكلف العطار الأديب تليداً له بذلك إلا إذا كان واقفاً من أنه يعرف كيف يكتب . وكتابة الرحلات من أعوص ما تكتب الأفلام . فالطهطاوى قد تأدب بأدب العطار من قبل أن يتحمل . وأقول بشجاعة إن إقامته في فرنسا لم تزده من حيث الأسلوب العربى شيئاً . ولكنها أفادته الخير الكثير فيما عدا أسلوب الكتابة والشعر . فقد ازدادت

معارفه . ودرس بالفربية العلوم الحسنة . وإطاح على عادات وبلاد وأوساط وسعت آفاق علومه ومعرفته بالحياة . ولذلك كان من أفذاذ حاملي لواء النهضة العلمية في بلاده . أن عاد إليها . بالترجمة والتأليف وتوسيع أرحاب الثقة العامة في مصر ، وتأسيسه مدرسة الآلسن التي أخرجت لمصر من كنوز الرجال ذخائر لا تنفد آثارها العلمية . وقد انتفعنا بها انتفاعا كبيرا .

ومن ثمر رفاة الطمطاوى قوله في حب الوطن : « إن حب الوطن من الإيمان ، ومن طبع الأحرار الحنين إلى الأوطان ، ومولد الإنسان على الدوام محب ، ومشؤه مألوف له ومرغوب ، ولأرضك حرمة وطنها ، كما لأمك حق لبها ، والكريم لا يجفو أرضاً بها قوايله ، ولا ينسى داراً بها قبائله . . . . »

ومن شعره قوله وهو في باريس يحث إلى مصر :

ناح الحمام على غصون البان	فأباح شيمة مضم ولمان
هذا لعمري إن فيها سادة	قد زينوا بالحسن والإحسان
ولئن حلفت بأن مصر لجنة	وقطوفها للنازير دوان
والنيل كوثرها انتهى شرايه	لأبر كل السبر في إيمان

• • •

ومن أدباء الأزهر الشيخ عبد الهادي نجما الإيباري المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ . وقد كثرت مؤلفاته ورسائله الأدبية إلى درجة كبرى . ومن هذه الرسائل ما عرفه الأدباء المطلعون جميعا بمادارينه وبين الشيخ إبراهيم الأحمد الباني الكبير ، وقد طبعت هذه الرسائل على حدة باسم ( الرسائل الأحمدية ) وقد التزم الشيخ فيها طريقة السجع ولو كان متكلفا كما هو مذهب الأدباء في وقته . قال يصف ابتداء تعارفه بالشيخ إبراهيم الأحمد : « بينا أنا جالس في بيتي إذ بشخص قدم علي يقدمه من جمال الهيئة وكمال الهيبة نور جمال وجلال ، ويتبعه جماعة ينظرون ويحيطون كل منهم من اللطف والظرف في أبهى سربال ، فقامت فقايلتهم أجمل مقابلة ، ودخلني من الابتهاج بزيارة سيادتهم ما لست به من الفرح والسرور خمائله ، فجلسوا برهة يالها من برهة ، كانت بما أنثر من حقائق حديثهم هي الزهرة ، ثم قام حضرنه وانصرف ، وقد أخذ بمجامع قلبي به الشغف . . . »

ومن شعره قوله يمدح الشيخ عبد الغنى الراعى مفتى طرابلس الشام .

من آل رافع الدين عهدتهم      في كل ورد قد حلا أو مشرع  
قوم مناوهم جليل صنائع      وبناء غيرهم جميل مصانع  
أسنان مشط في المضائل لم يجد      ماضى الزمان لأمرهم بمضارع

ومن أدباء الأزهري الشيخ حسين المرصق مدرس الأدب والعلوم العربية بدار العلوم ، وقد تخرج في الأزهري ولكنه اشتغل بالأدب والتبحر في كتبه وهو طالب أزهري ضرير فكان في وقته آية . ولذلك اختير للتدريس بدار العلوم حوالي سنة ١٣٠٠ هـ . ومن كلفة له في التأليف والتواضع . إن من المشاهد كون النوع الإنساني محتاجاً في حسن تربيته ، وتحصيل أغراضه إلى ألفسة ومودة ، واتصاف بأن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه . فإذا خرج بعض الناس عن الجمعية ، وسمى في الأرض بالفساد ، وجب على الناس تأديبه بما يمهده إلى الإصلاح . . .

• • •

ومن أدباء الأزهري السيد علي أبو النصر المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ . وكانت تربيته أزهرياً بحسب غير أنه غلب عليه حب الأدب فصار شاعراً من شعراء عصره . ومن شعره في وصف الطبيعة والجمال :

نور زاهي الروض أم نور الصباح      وابتناسم الثغر أم زهر الأناج  
ونجوم تزدحم في أفقها      بوميض البرق أم كلسات راح  
لا ولا بل بدر تم ينجلي      للندى في اعتباق واصطباح  
عجباً يدرى شمس الصبحي      في معاني حسنه تعيا الفصاح

• • •

ومن أدباء الأزهري عظيم كبير الشأن هو عبد الله ( باشا ) . هذا الرجل لم يتعلم في غير الأزهري ، ولكن تعلقه بالأدب وهو طالب أزهري جعل منه نائراً وشاعراً . وأجرم بأن هذا الأديب قد قرأ كثيراً للبدیع الخوارزمي ؛ لأنه تأثره في إشتهائه بالترام السجع القصير والمحسنات البديعة . هذا الأزهري الفحل من الدين نصح أديهم إلى أبعد الغايات وإن كان مسجوعاً . وله في تقدير الأدب رسالة يرى فيها أن علوم اللغة العربية ليست مقتصرة لدانها

ولا تدرس لنفسها . وإنما هي لتوصل إلى الأدب الذي هو الثمرة المرجوة في الحياة . والغرض  
الرطب الذي هو الجوهر المتصود من تعليم علوم العربية . وهذا بعض من هذه الرسالة القيمة  
... . يقوم . أهذا النحو وإعرابه ، والصرف وأبوابه ، والعروض وأوزانه وأبحره ،  
والمعاني وإنشاؤه وخبره ، والبيان وفرائده ، والبديع وشواهد ، وهذه العلوم الموضوعية ،  
والأسماء المحمولة ، والندوس المأهولة ... . لمجرد معرفة ضرب زيد لعمره ، وقتال خالد  
لبكر ، وأن قال أصلها قول . . . والبحر الطويل من فعولن مفاعيلن ، ثم لا يعرف كيف  
ينظم ، والفصل والوصل . . . والحقيقة والمجاز . . . والتورية والجناس . . . إذا وافقه تكون  
تلك الغنون من أفانين الجنون . . . عملاً حابطاً ، وشغلاً ساقطاً ، وهوساً عطلاً ، ووسواساً  
باطلاً . . . ويكون واضموها أساءوا إلى الناس ، وبنوا على غير أساس ، كلا إنما وضعوا  
هذه القواعد ؛ ليتكلموا بكلام العرب مثل ما تكلمت . . . ويترجموا عن سرائر الصمائر كما  
ترجمت ، وينثروا وينظموا كما ثرت ونظمت ، وقد كانت العرب التي أودع الله الفصاحة  
لسانها ، تتكلم بهذه اللغة العلية على الفطرة الأصلية . . . من غير هذه القواعد والأصول . .  
إلى أن خلف هذا الخلف ، فظنوا تلك الوسائل مقاصد ما ليس بعدها غاية لقاصد ، وحسبوا  
هذه الكتب تقصد لذاتها . . . فوقفوا عندها . . . واتخذوا الأدب وراءهم ظهرياً ، وجعلوا  
النظم والنثر شيئاً فرياً . . .

وأعتقد أنه لم يعل على هذا الأديب الكبير - هذا الكلام الخلو إلا أنه فقه معنى الأدب  
وفرق بين الوسائل وهي دراسة علوم اللغة ، وبين المقاصد وهي الإجلادة في فني النظم والنثر .  
أما شعره في درجة كبرى من الإجلادة في وقته . ومنه قوله يعتذر إلى السيد عبد الهادي  
نجما الإياري - المتقدم ذكره - يعتذر عن دعوة لم تصل إليه :

يا من بديع حلاه      تزي البديع وتنفى  
وافت عيلة نظم      تلو فصاحة قمر  
فن بالعفو إن      منه على غير بأس  
وإن عبت لحق      وما أبرئ قضى  
حسن الشبيخة

المحرر الأدبي بحريدة الشعب وعضو نقابة الصحفيين



## رأى العلماء المؤرخين في الفتوحات الإسلامية وأهدافها

عرضنا في بحث سابق لقوى المسلمين البحرية وفتوحاتهم في كافة أرجاء المعمورة ،  
واليوم نقدم للقراء الأهداف التي خاض المسلمون من أجلها حروبهم وفتوحاتهم .

لقد حيرت الفتح الإسلامية العلماء الاجتماعيين حيرة لم يجدوها حيال مسألة اجتماعية  
أخرى ، فقد بلغ ملك المسلمين في ثمانين سنة حداً لم تبلغه جميع فتوحات الرومانيين  
في ثمانمائة سنة ولم تصل أمة قبلهم ولا بعدهم إلى مثل ما وصلت إليه الأمة الإسلامية  
من سعة الملك ، ونفاذ الكلمة ، ووحدة الأجزاء ، وارتياح الناس إلى حكومتها .

وقد أفتنت الأمة في تعليل هذا التوفيق الباهر ، فقال بعضهم : إن سببه أن الأمم  
على عهد ظهور الإسلام كانوا في شقاق بعيد ، وثورات طاحنة ، واختلافات دنيية ، فدمهم  
المسلمون وهم على تلك الحال فدوخهم .

وقد رد على هذا التعليل بأن المسلمين لما ولوا وجوههم شطر الشام وفارس ومصر ،  
لم تكن دولتا الرومان والفرس في حرب فيما بينهما ، ولا في شقاق في داخل بلاديهما .  
فكان هرقل في أوج عظمته وأبهة ملكه ، لا يزغحه مزاحم في بلاده ولا عدو مغير  
من خارجها .

ثم كانت فارس مقطعة الأوصال تحت حكومة إقطاعية ، استغل فيها كل أمير بما تحت  
يده ، لكنهم لما آنسوا استمحال شأن العرب ، وحدوا كلمتهم ، وعللوا صوفهم ودانوا كلمهم  
ملكاً اختاروه من أعرق أسرهم الملكية وهو يزيد بن جبر ، فلما واجه سعد بن أبي وقاص فارس  
واجه منها أمة متراسة الأحاد كالبنين ، متحالفة الجماعات على الاستماتة في النطاق ؛ لأنهم  
كانوا يملكون عرباً كثيرين ، ويأنفون أن يكونوا محكومين بهم .

فانهار بذلك قول الذين يملكون الفتوحات الإسلامية ، بتخاذل الشعوب وتناحرها ،

ومهما كانت الشعوب متخاذلة فهل يمثل أن أمة واحدة تتحكم في الأرض فلا تجد من يصدّها عن أغراضها ، لا سيما وهي خارجة من بلاد طال عليها الثرى فيها ، بادية غير متحصنة ؟  
ومن الناس من عليها بحب الكسب والمغانم ، فلما اطمأنوا إلى داعية منهم يقودهم إليها التفوا حوله وأيدوه ، وقاموا بما قاموا به بما طاهره فتح وباطنه غنيمة . وهذا تعليل يحمل في أطوائه عناصر فئاته ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أول من دعاهم إلى الخروج من قتالهم ، وترك موروثاتهم وانباع أحكام العقل في عقائدهم ، وقد لبث فيهم سنين كثيرة بدعاهم إلى هذه الأصول ، حتى آمن به جمهور من الناس ، ولم يأمرهم بالقتال للدفاع عن أنفسهم إلا بعد أن اقتتل إلى المدينة ، وهناك اشتغل بنشر الإسلام بين القبائل ، ودعوته إليهم صريحة لا لبس فيها ، وليس منها وجوب مقاتلة الأمم طلباً للغنم منها . فأساس هذا الدين هو تصحيح الفطر ، وتقويم النفس ، وإصلاح القلب ، والسمو إلى أرفع ما يصل إليه جهد طالب السكّال ، أما ما تقتضيه الحياة الاجتماعية بعد ذلك من حماية الحوزة ، أو نشر الدعوة ، أو غير ذلك فقد سنت لها أحكام لم ير العالم أعدل منها ، كما سبق لنا بيانها في مقالات سابقة . فمن أين يستدل أصحاب هذه الشبهة على ما يقولون ، وليس له أثر في كتاب ولا سنة ، ولا في شرح من شروح الأئمة ؟ .

وذهب الحكيم الفرنسي مونتسكيو في كتابه أصول الشرائع إلى رأى آخر فقال عند المسامحة بالإتاوات الحكومية : « إن هذه الإتاوات المفروضة كانت سيئاً لهذه السهولة الغربية التي صادفها المسلمون في فتوحاتهم . فالشعوب رأيت بدل أن تخضع لسلسلة لا تنتهي من المغارم ، أن تخضع لأداء جزية طفيعة ، يمكن توفيتها بسهولة وتسليها بسهولة كذلك ، ووجدت نفسها سعيدة بأن تستغنى لامة متبررة تعاملها على هذه الصورة من أن تدين الحكومة فاسدة كانت تكابد تحت سلطانها كل ضروب الموانع دون حرب لم تنعم بها قط ، مضافاً إليها كل ويلات صبودية عنيدة ، .

لا مشاحة في أن العالم الغربي لم يعرض فيها عرض من رأى إلى فتوحات المسلمين ، بل أظهر وأشاد بتدعيمهم في فتوحاتهم ، فأول فتوحات المسلمين كانت الشام تحت قيادة أبي عبيدة ابن الجراح ، ولم يكن العرب قد جروا من أمر الجزية في شعب على سنة تسامعت بمزاياها الأمم الأخرى ، فالتقت الجيوش الإسلامية بجيوش رومانية مدربة تفوقها عدداً وعدداً ،

فهرمتها وأجبرتها على ترك حصونها المنيعة وقلاعها التي لا ترام ، ولم تكف عنها حتى فتحت الشام كلها وغادرها إمبراطور الرومان وهو يقول : « أودعك أيها البلاد الى الأبد ١٤ » .

فأى سيرة استعمارية كانت قبل هذه فتت في عضد الجيوش الرومانية وحسنت لها التسليم للعرب ؟ وأية علاقة بين الجيوش المحاربة وبين قلة الإناءات أو كثرتها ؟ إن المحاربين كانوا هم الطبقة الثانية في تلك الأمم بعد رجال الدين ، وكانوا متحكين في رقاب الدهماء يترجون أموالهم ولا يدفعون للحكومة أموالا ، فلم يقول أنهم كانوا يقاتلون أعداءهم بكل ما أوتوا من قوة مادية ومعنوية ، لا أن يسلبوا ليكونوا رعية لهم ، وليسوا هم بالذين تمنهم قلة الإناءات ، ولا المحرية المحبوبة ، فقد كانوا منها بالمكان الممتاز .

وفي الوقت الذي كانت فيه الجيوش الإسلامية تهزم جميع الرومانيين ، كانت جيوش أخرى لهم ترد جنود العرس المعروفين بصلابة العود على أعقابهم في ذات بلادهم ومثلهم كمثل الرومانيين في الامتيازات المالية والأدبية ، ويسقطهم من مراتبهم تغلب جنود أجنبية عليهم .

إن تعليل منتسكيو كان يؤخذ به لو أن العرب كانت لهم مستعمرات تقع باليسر ، وكانت الجيوش المحاربة تعامل بالسف ، وثمن تحت أثقال الضرائب ، أو لو كانت الأمم نفسها هي التي تحارب . وقد قلنا إن المسلمين إذ ذاك كانوا لا يزالون في أول عهدهم ، ولم تبل الأمم من حكمهم ما يحبها فيهم .

على أن منتسكيو يصف المسلمين الأولين بالأمّة المتبربرة ، فهل عهد في تاريخ البشر أن أمة متبربرة تكون مثلا يضرب في قناعتها ، وحسن معاملتها لمن تهرها من الأمم ؟ إن المعروف بين الناس أجمع أن الأمم المتبربرة لا تنف نهيمتها للنال عند حد ، فلا تزال بالمقهور حتى تئيد حضراءه ، ولا تدع له شيئا . فمن أين جاء هذا الأدب العالي للمسلمين ، والمتبربرون في نظر منتسكيو ، على خلاف سنة العالمين قديما وحديثا ؟ .

إن منتسكيو قد زاد المسأله إشكالا ، ولا يحلها إلا افتراض واحد وهو الحق ، إن الأمّة الإسلامية كانت على شريعة إلهية تمثل أعلى درجات العدل والإنصاف ، وإن ما احتازته من الملك الذي لم ينبغ لأمة قبلها ولا بعدها ، لم يقر على إفساد قلوبها كما أفسد قلوب

الفاتحين قبلها ، وإن الله قد أيدها بروح من عنده ، وقذف بها في وجه العالم لترده عن الفنى الذى كان فيه ، ولتحطم القيود والأغلال التى كانت في أعناق الأمم .  
هذا هو التعليل الذى يتسق مع المنطق والعقل ، والله غالب على أمره .

إذن فنسق الفتح الإسلامى الذى اتجهه المسلمون في صدر الإسلام كن وحيداً فريداً يتسق كل الانساق مع الأعراض التى يرى إليها الإسلام في أخصر صورته وأنبىل مراميه .

أما الفتح الذى اتجهه المستعمرون ولا يراد به إلا امتصاص دماء الشعوب وقتل خواص المعضائل والمزايا في تلك الشعوب والقضاء على المعنويات التى تعتبر من أكبر مقومات الأمم وأسمى مقدراتها ، فذلك فتح آخر بعيد عن الإنسانية ، بعيد عن الأخلاق المثالية ، بعيد عن كل ما تصبو إليه رسالة الإنسان في كل عصر وجيل . وبقيتنا أن هذا الليل وشيك الانصرام فلا بد أن تخرج المدرسة من بين حب الحصيد ، ولا بد أن تنفرح لمة الظلام من جبين الصباح .

يا نائم الليل مقترأ بأوله إلى الحوادث قد يطرق أحبارا

عباس طه

المحمى

## باب وصف الكتب

ضاق هذا الجزء عن باب وصف الكتب ، وموعدنا به الجزء الآتى إن شاء الله .

# تعلّيقاً

## معهد الرقص

نشرت الصحف أخيراً أن الوزير فتحى رصوان - يوم كُنْ - سينشئ معهداً للرقص وأنه على وشك الظهور فى القاهرة . ونحن - إزاء مشروع كهذا - لا نستطيع السكوت عنه ، وإن كنا لا نملك وقفه مهما كنا على حق فى إنكاره .

وإذا كان لبعض الهواة جهود و نشاط فى الترويج للرقص ، والعناية بإنشاء معهد له ، فمن يستطيع امرؤ منا أن يعتبر هذا المشروع سائفاً من الوجهة الإسلامية ، أو يراه عملاً أدبياً يتفق وتقاليدنا الشرقية ، أو يزعم هدفاً من الأهداف المشكورة التى تتجه إليها الثورة الرشيدة فى عهدنا الجديد : عهد البناء ، والتطهير ، والإصلاح الشامل .

وهل الرقص الذى يتهافت عليه أنصاره إلا تشجيع على المخالطة ، واتزاع الحياء من الوجوه حتى يهون على الفتاة والمرأة وإن كانت مسلمة أن تخاصر زوجها أو الأجنبي عنها ، وتراقصه على مشهد من النظارة فى ظل هذا التشريع ؟ . يكون له من الأثر فى ضيعة الأخلاق ما يكون ، والحوادث شاهدة بذلك كل يوم ، وآخرها حادث الإسكندرية الذى تحدثت عنه الصحف منذ أيام قريية .

إذا كان للتحلل والميوعة ، والاندفاع فى التقليد للغير أثر واضح فى الانحراف الذى نشهده فى بعض البيئات ، وينكره المجتمع الأعلى فلسنا على صواب إذا رحبنا عن نشاط المجددين فى ابتكار هذه العوامل الهدامة للأخلاق ، وزحزحة الأمة عن خصائصها الموروثة ودفعها إلى مسابرة الغير فى مجال الإباحية .

والأمر بحاجة إلى التبرك فى هذه الاتجاهات ، وإلى استغلال العرص والإمكانات

في دعم الآداب ، وصيانة القومية من التلون بلون أجنبي عنها ولا يتمشى مع الطابع الشرقى الذى نفوذ عنه بأرواحنا وقوانا .

على أن الشخصيات النبيلة التى تنولى قيادتنا في معترك الحياة لا تنجح إلى مثل هذا التقليد ولم تعرف عن واحد منهم - والحمد لله - أنه يراقص ، أو يستريح الرقص لمن يعيشون في ظله أو يتمنون إليه بسبب ، وهم قدوة لنا في السير إلى الأمام .

قالوا في ترويجهم للرقص وبحوه : إنها فنون جميلة ، وإن الفن هو حياة الشعوب ، ومظهر حضارتها ، فمعارضة الفن عندهم تعتبر جموداً وتحلفاً عن الإسهام في الحضارة ، ونحن - رجال الدين - نبادر فعلن إيماننا بالفن والترحيب به ، والدعوة إلى توسيع مجاله ، ولكننا الفن الإيجامى الذى ينفع ولا يضر ، ويبنى ولا يهدم ، ويثرف ولا يخرى ويحجل . نحن تؤمن بالفن الجدى لا بالفن الهزلى الذى يذهب بقيم الحياة .

وهل الفن إلا بهجة من بهجات الحياة ، وروعة من روعات الإبداع في الصناعة ، وإبراز لما أودع الله في الطبيعة من أسرار .

وهل الفن إلا عبقرية في استخدام الطبيعة وتهديبها وتجميلها حتى تكون مثار الإيمان بقدرة الله ، والاعتراف بنعمه ، والإقرار بأن الله صنع ما صنع في ملكه ، وهوب الفنان عبقرية تكشف ما خفى على غيره من السمو والجمال ، وتجه بالعقول إلى بارئ السموات والأرض الذى أبدع ما أبدع في دنيانا ، لينعم الإنسان في حياة هنيئة ، ويستجيب لدعوة الله التى تنبض بها تلك الحياة في كل جانب من جوانب الكون ، وفي كل مظهر من مظاهر الكائنات ؟؟ .

والقرآن يعثنا على النشاط والإتقان ، ويدفع بنا دفعا قويا في المجال العمل المسيح :  
« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » . « إنا جعلنا ما على الأرض ربة لها ،  
« وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » . « صنع الله الذى أنفك كل شئ » .

وهكذا نرى للفن شأننا في نظر الدين ، ونسمع الدعوة إلى الفن في أسلوب القرآن بما يطول بنا ذكره .

فغير صحيح أننا نعارض لمن في ذاته ، بل نعارض الخطأ في تطبيق الفن على كل ما يروقه من ضروب الباطل ، ونعارض النشاط في ترويح الرذائل ، وهي في غير ساجنة إلى الترويح والتشجيع .

من الخير أن يميّ الجهود كلها ، وببذل النشاط كله في نواحي الجيد ، وأن ترك لغيرنا ما ألفوه من تقاليد مرذولة ، كما رسمت لنا الثورة وسارت بها في سبيلها الرشيدة . وهذا هو مانقب عنده وندعو إليه .

ولعلنا نسل من غلبة عشاق الرقص ، ومن خصومه المرفين في تطويع الفنون بصمة الإطلاق والتعميم .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

## المدنية الحديثة

قال جودا أستاذ الفلسفة الانجليزية في كتابه ( سخافات المدنية الحديثة ) :

وإن المدنية الحديثة ليس فيها توازن بين القوة والأخلاق . فالأخلاق متأخرة جدا عن العلم ، ومنذ النهضة ظل العلم في ارتقاء ، والأخلاق في انحطاط . حتى بعدت المسافة بينهما ، وبينما يترأى الجيل الجديد للناظر فتعجبه خوارقه الصناعية وتسخير المادّة والقوى الطبيعية لمصالحه وأغراضه ، إذا هو لا يمتاز في أخلاقه - في شرعه وطمعه . وفي طيشه ونزقه ، وفي قسوته وظلّه - عن غيره . وبينما هو قد ملك جميع وسائل الحياة . إذ هو لا يدري كيف يعيش . وإن توالى الحروب العظيمة الهائلة دليل إفلاسه ، وأنه يرى نشأة لموت ، وقد خولت له العلوم الطبيعية قوة قاهرة ، لكنه لم يحسن استغلالها ، فكان كطفل صغير أوسفيه أو مجنون . ، وقال : « إن فيلسوفا هندياً سمعني أظري حضارتنا بأن سائق سيارة قطع كذا ميلا في الساعة ، وأن طائرة طارت من موسكو إلى نيويورك في كذا ساعة فقال لي ذلك الفيلسوف الهندي : إنكم تستطيعون أن تطيروا في الهواء كالطيور ، وأن تسبحوا في الماء كالسمك ، ولكنكم إلى الآن لا تعرفون كيف تمشون على الأرض . »

# الأدب والعلوم

## المجلس الأعلى للعلوم

صدر قرار جمهوري بإعادة تأليف المجلس الأعلى للعلوم بالجمهورية العربية المتحدة ، وهو يتنص بأن يكون رئيس المجلس من بين الوزراء ، ويضم وكلاء عشرة وزارات ، ومدير المركز القومي للبحوث ، وممثلاً من كل جامعة ، وعضواً عن مؤسسة الطاقة الذرية ، واثنين عن مجلس إدارة الاتحاد العلمي ، وعشرة أعضاء من المتصلين بالبحث العلمي .

وسينح العضو المتفرغ بالمجلس مكافأة سنوية ١٨٠٠ جنيه ، وغير المتفرغ مكافأة حدها الأقصى ٦٠٠ جنيه .

## تشجيع البحوث العلمية

سيوزع مركز البحوث القومي في الجمهورية العربية المتحدة ثلاثين ألف جنيه في هذا العام على طلبة البحوث العلمية ، فيمنح كل باحث مائتي جنيه في السنة لإعانة على إتمام بحثه وتقديم نتائجه في أقرب فرصة .

ويتم اختيار الباحثين من خريجي الكليات العلمية العربية وفقاً لمشروعات بحوثهم ، ومن أهم شروطها أن يخدم البحث الاقتصاد العربي ، ويعمل على زيادة الإنتاج القومي .

وقد تم حتى الآن ٨٥ بحثاً في مختلف فروع العلم والصناعة والزراعة . ويتنظر أن تنتهي لجان قبول البحوث من اختيار ٦٥ بحثاً جديداً من البحوث التي قدمت إلى المركز .

## تشجيع التفوق في المدارس

أصدر وزير التربية والتعليم قراراً بتقديم منح مالية للتفوق في جميع مراحل التعليم ، تصرف لهم على أقساط شهرية ، وبمقادير تحقق لهم متابعة دراساتهم ، كل حسب تفوقه . المنحة الأولى ١٢٠ جنيهاً للستجدين في الكليات والمعاهد لمدة سنة إذا كانوا متفوقين في الثانوية العامة والثانوية الفنية وشهادات المعلمين والمعلميات أو في امتحانات النقل بالكليات والمعاهد بتقدير ممتاز أو حاصلين على ٨٥٪ من المجموع ، وللخمس الأول من الثانوية الصناعية والزراعية .

المنحة الثانية ٨٤ جنيهاً للتفوقين في الكليات والمعاهد إذا حصلوا على ٨٠٪ - فأكثر ، وكذلك للتاجين في امتحان النقل .

المنحة الثالثة ٤٨ جنيهاً للحاصلين على ٨٥٪ - فأكثر في امتحانات النقل بالكليات والمعاهد العالية .



طلاب بحوث ، لإجراء التجارب الخاصة بالطبيعة الذرية في المركز القومى للبحوث .  
وسيشرف على هذه التجارب البروفسور الألماني ستوفسكى ، الذى سيتقاضى مرتباً من هيئة اليونسكو يبلغ ٢٠٠ جنيه شهرياً .

## دراسات عليا للبترول

أنشأت الهيئة العامة للبترول معهداً علياً للدراسات العليا للشئون البترولية ، وقررت أن يكون مقره معمل تكرير البترول فى السويس . ومدة الدراسة فى هذا المعهد سنتان ، وهى بالجمان لخرى الجامعات ، وتشمل دراسة جيولوجيا البترول ، وهندسة إنتاجه ، وتكريره ، وكيمياء البترول ، والتشريعات البترولية .

## الانتساب للجامعات

بلغ عدد المنتسبين من شعبى الآداب والعلوم ٣٨٥٢ طالباً وطالبة ، فقد قبل من القسم العلى جميع المتقدمين من الحاصلين على ٥٠ ٪ . فأكثر فى المجموع الكلى للدرجات وعندم ٢١١٤ ، وقبل من القسم الأدبى الحاصلون على ٤٤ ٪ . من المجموع الكلى للدرجات وعندم ١٣٧٨ . فالتحتوا بكليات الآداب والحقوق والتجارة .

المنحة الرابعة ٣٦ جنياً للخمسة الأوائل فى الإعدادية بالأقليم المصرى ، ولثلاثة الأوائل بالأقليم السورى ، ولبنات حتى استبدال المنحة بالالتحاق بجانا بالأقسام الداخلية بالمدارس الثانوية لمدة ٣ سنوات .

المنحة الخامسة الإعفاء من نفقات التعليم المالى ورسوم الكليات والمصاهد العالية لكل من حصل على ٧٥ ٪ . فأكثر فى الشهادة الثانوية وما يعادلها .

## اتفاقنا الثقافى مع العراق

وقع السيد كمال الدين حسين فى بغداد نيابة عن الجمهورية العربية المتحدة الميثاق الثقافى العربى مع الجمهورية العراقية . وقد مثل العراق السيد هديب الحاج حمود وزير المعارف بالنيابة . وقال كمال الدين حسين : إن هذا الاتفاق حلقة من سلسلة الانتصارات التى حققها أبطال العراق يوم ١٤ يوليو ، وفى ثباته معنى آخر غير مكتوب يشير إلى أنه ميثاق يجمع الأمة العربية كلها . وقد نص الميثاق على تنظيم التعليم فى ٣ مراحل على ما سبق لنا تفصيله فى حينه .

## أجهزة الطبيعة الذرية

وصلت إلى مصر أجهزة من ألمانيا تبلغ قيمتها ٣٠ ألف جنيه ، سيعمل عليها خمسة

## إتباء العجلا الشيا لى

كذلك من ١٤ وزيراً ويرأسه السيد نور الدين كحالة ، وقد اختير فندق دهلير بوليس بالاس ، فى مصر الجديدة ليكون مقراً للوزارة الاتحادية وهو يحوى ثلاثمائة غرفة ، وفيه عدد من القاعات التى تصلح للاجتماعات . ومن الصدف أن طراز بنائه عربى .

### نظام اللامركزية الإدارية

تقرر العمل بنظام اللامركزية الإدارية ، حيث يؤلف مجلس قروى لكل ثلاثة آلاف من السكان ، ومجلس بلدى لكل ١٥ ألفاً من سكان المدن ، ومجلس المديرية بأعضائه المنتخبين والمعنيين هو المجلس الموكل بكل عمل وكل إصلاح فى لامركزية مطلقة ، والمحافظة هو المسئول عن نشاط هذا المجلس أمام رئيس الجمهورية مباشرة .

### السيد العالى

اتفق المشير عبد الحكيم عامر مع الرفيق خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى على أن يقدم الاتحاد السوفيتى إلى الجمهورية

### تنظيم الحكم

فى الجمهورية العربية المتحدة

أعلن الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة التنظيم الجديد للحكم فى الجمهورية العربية المتحدة . وهذا التنظيم يوزع المسئوليات على ثلاث وزارات : الوزارة المركزية ، والمجلس التنفيذى لوزارة الإقليم المصرى ، والمجلس التنفيذى لوزارة الإقليم السورى . وتألف الوزارة المركزية - بعد رئيس الجمهورية - من اثنين وعشرين وزيراً فى طبيعتهم نواب الرئيس الثلاثة : السيد عبد الطيف البغدادى ويتولى وزارة التخطيط والمشير عبد الحكيم عامر ويتولى وزارة الحربية والقيادة العامة للقوات المسلحة ، والسيد أكرم الحوراني ويتولى وزارة العدل . وفى الوزارة المركزية ثمانية وزراء من الإقليم السورى و١٥ من الإقليم المصرى . والمجلس التنفيذى لوزارة الإقليم المصرى يتألف من ١٤ وزيراً ويرأسه السيد نور الدين كحالة ، والمجلس التنفيذى لوزارة الإقليم السورى يتألف

المزروعة - الحالية والمستجدة - في جميع السنين وسيحسن صرف جميع الأراضي الزراعية بما يزيد غلتها سنوياً بحوالى ٢٠ ٪ ، وسيضمن زراعة ٧٠٠ ألف فدان أرض سنوياً ، وبقي البلاد وفاية كاملة من غوائل الفيضانات العالية وسيحسن حالة الملاحة النيلية ، وستحسن به اقتصاديات مشروع كهربة خزان أسوان الحالي بما يضاعف من الطاقة الكهربائية لل محطة ، وسيستج طاقة كهربائية تقدر بنحو ١٠ مليار كيلوات ساعة في السنة ( أى حوالى عشرة أمثال الطاقة التى تستغلها البلاد في الوقت الحاضر ) مما يساعد على إقامة صناعات جديدة وزيادة انتاج مصنع الحديد ، ويوفر حوالى مليونى طن عازوت سنوياً ، ويزيد الدخل السنوى للحكومة بمبلغ ٢٢ مليون جنيه ، كما يزيد الدخل القومى السنوى بمبلغ ٢٥٥ مليون ج ويستمكن السودان من توسيع زراعته بضعف المساحة المنتفع بها في الوقت الحاضر ويضمن احتياجات الرى لجميع الأراضي المزروعة ، وستوسع في زراعة القطن طويل الثيلة ، ويزيد الدخل السنوى للحكومة والدخل القومى من الزراعة بحوالى ٢٠٠ ٪ ، وستنتفع بالسدود التى ستقوم الحكومة السودانية بإنشائها ، ويمكن ملء الخزانات التى تقيمها حكومة السودان من المياه الراجعة فسيها مما يطيل في عمرها .

العربية المتحدة ٤٠٠ مليون روبل للساهمة في تمويل إنشاء السد العالي ، وذلك على شكل قرص يبدأ سداداه بعد أن ينتهى المشروع ويأتى بشمراته كاملة . وسيكون تقديم القرض معدات وآلات مما يحتاج إليه في إقامة السد .

إن احتياجات الرى للساء تقدر في الوقت الحاضر بحوالى ٥٢ ملياراً من الأمتار المكعبة سنوياً لمصر ، وبنحو ٣٥ مليار للسودان . وإيراد النيل من المياه متذبذب : يرتفع في أحد الأعوام إلى ما يزيد عن الحاجة وينخفض في معظم الأعوام إلى درجة تضر بالزراعة ، وفي الخائين فإن كميات عظيمة من مياه النيل تذهب في البحر كل عام . وقد سبق معالجة ذلك بطريقة التخزين السنوى ، بإقامة خزان أسوان وخزان جبل الأولياء ، فأفاد قائمة محصورة بالقدر المزروع الآن من الأراضي ولمدة السنة فقط ، ويراد الآن من السد العالي الإفادة في توسيع مساحة الأراضي الزراعية بما يتناسب مع زيادة السكان ، وأن يكون التخزين « تخزيناً دائماً » ، لجعل تصميم السد العالي على أن يكون حجمه معادلاً لحجم الهرم الأكبر ١٧ مرة ، ويبلغ حجم الهرم الأكبر ٢٥ مليون متر مكعب ، فالسد العالي سيمكن مصر من توسيع أراضيها الزراعية ٢ مليون فدان ، وسيضمن احتياجات الرى لجميع الأراضي

## في جامعة الدول العربية

في يوم ١٧ ربيع الأول ( أول أكتوبر ) عقد مجلس الجامعة العربية أولى جلساته لإعلان انضمام المغرب وتونس إلى الجامعة ، وقيام جمهورية الجزائر ، وكانت من الجلسات المشهودة في تاريخ الجامعة ، وبعد انتهاء رؤساء الوفود من إلقاء كلماتهم نهض رئيس وفد المغرب فبرز المجلس بكلمة خطيرة قال فيها : كما دولة محنة فلم تمكن من الالتئام مع أشقائنا في جلمعتنا قلب الأمة العربية ، والآن أيقناكم لنضع مشاكلنا أمامكم . إنه لا تزال في المغرب جماعات من جيوش المستعمرين الفاشيين : إن صحراء المغرب لم تتحرر بعد ، والحدود المغربية لم تعين معالمها ، ونحن مستعدون للوفاء بميثاق الجامعة ، وتحمل كل التبعات والالتزامات ، لنساقم جميعا في حل مشاكل العرب التي هي وحدة قائمة لا انفصام لها ، وإن المغرب يعتبر استقلاله ناقصا ما دامت جيوش فرنسا تحتل الجزائر ، ولا نعتبر استقلال المغرب تاما إلا باستقلال الجزائر ، وسنعمل معكم لتصل إلى غايتنا الكبرى .

ولم يشترك وفد تونس في هذه الجلسة ،

ووافق أمين الجامعة برقية بعينة الأهداف من ملك المغرب جوابا على برقية تهنته بانضمام المغرب إلى الجامعة ، وأرسل السيد أحمد

عبد السلام بلانفريج رئيس حكومة المغرب برقية شكر على ما أبداه مجلس الجامعة العربية من عواطف كريمة نحو المملكة المغربية وشعبها .

وفي يوم ٢٧ ربيع الأول ( ١١ أكتوبر ) انعقد مجلس الجامعة العربية للترحيب بانضمام تونس للجامعة ، فقوضت وفود الدول العربية بهجوم مندوب تونس على الجمهورية العربية المتحدة مرددا الاتهامات التي يروجها أعداء العرب من باريس ولندن ونيويورك فاضطر وفد الجمهورية العربية المتحدة إلى الانسحاب من الجلسة احتجاجا ، وثار جميع وفود الدول العربية على وفد تونس الذي عكر جو الجامعة العربية ، ووجه رئيس مجلس الجامعة ( وهو في هذه الدورة رئيس الوفد السعودي ) اللوم إلى مندوب تونس على موقفه وقال : إن هذه سابقة لم تحدث من قبل ، وبعد انسحاب وفد الجمهورية العربية المتحدة طلبت وفود الدول العربية من رئيس وفد تونس أن يعتذر ، فأجلب بأن ما صدر عنه كان بتعليمات وردت إليه من حكومته ، وأن نص خطابه أرسل إليه من بورقية .

وقد تبين أن الذي حمل بورقية على ارتكاب هذه الحماقة سبب شخصي وهو لجوء الزعيم التونسي السيد صالح بن يوسف إلى مصر

بورقية حنقا على مصر بسبب هذه السياسة الطيبة الكريمة .

### انسحاب أمريكا من لبنان

في يوم ١٥ ربيع الآخر ( ٢٥ أكتوبر ) تم جلاء جميع القوات الأمريكية عن لبنان . وكان مقرراً أن يكون الانسحاب في آخر أكتوبر . فتم قبل مواعده بستة أيام . وقد جرت عملية الانسحاب سراً في الصباح المبكر على ست سفن بحرية وعدد من الطائرات تحمل آخر دفعة من جنود المظلات إلى ألمانيا الغربية . وعند الظهر غادر بيروت الجنرال أدامز القائد العام لتلك القوات يرافقه مساعدوه العشرة . ولم يعلم بأتمام الانسحاب قبل مواعده المقرر سوى الرئيس اللواء فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية ، ولم يبق في بيروت إلا عشرة ضباط لتصفية المسائل الإدارية على أن يرحلوا آخر الشهر المقبل .

### الجلاء عن الاردن

في ١٩ ربيع الآخر ( ٢٩ أكتوبر ) تم انسحاب القوات البريطانية بأكملها من الأردن . وقد تولى الجيش الأردني إنزال علم بريطانيا من المطار فور جلاء آخر جندي انجليزي عن البلاد ، وكانت قوة جنود المظلات البريطانية مؤلفة من ثلاثة آلاف جندي بقيادة

وكان نائب بورقية ثم اختلف معه لحكم عليه بالإعدام ، وسبب سياسي وهو أن بورقية يؤمن بالليول الغربية ، وهو مصمم على السير في موكب السياسة الفرنسية والأمريكية ، وهكذا قطع بورقية أواصر العروبة بينه وبين جملة الدول العربية والقومية العربية .

وفي شهر ربيع الأول ( ١٢ أكتوبر ) عقد مجلس الجامعة العربية جلسة علنية حضرها جميع مندوبو الصحف ووكالات الأنباء ، واتخذ فيها بالإجماع قرار تاريخي باستنكار كلام وفد تونس وشطبه من محضر الجلسة التي ألقى فيها واعتباره كأن لم يكن ، وإبلاغ وفد الجمهورية العربية المتحدة هذا القرار ودعوته لاستئناف مشاركتها في جلسات المجلس وأعماله . وقد كان وفد المغرب من أشد الوفود العربية استنكاراً لموقف تونس ، وألقى رئيسه كلمة رائعة كانت موضع الاستحسان من حكومته ، وأذاعتها محطة إذاعة الرباط ثلاث مرات في يوم واحد .

ومن العجيب أن يحمل بورقية كل هذا الحق على لجوء مواطن له من أكرم المواطنين التونسيين إلى مصر ، مع أن بورقية نفسه كان لاجئاً في مصر مدة طويلة ، وقامت له مصر بالإكرام الذي تراه واجباً عليها لكل سياسي عربي يتخذها وطناً له كوطنه ، وإن فرنسا نفسها على غطرستها كانت أقل من

إلى ضم القسم الغربي من الأردن عند سنوح أول فرصة ، بعد انسحاب القوات البريطانية من الأردن ، ولما كان ذلك مما يستحيل أن تقف القومية العربية تجاهه وقفة المنفرج فقد جرت مشاورات عربية مهمة وضعت فيها الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية سياسة مشتركة لمواجهة تحركات إسرائيل ، وإن أية محاولة من جانب إسرائيل لاحتلال الضفة الغربية من نهر الأردن ستدفع الجمهورية العربية للعمل فوراً . وإن يقف العراق موقفاً سلبياً من إسرائيل اليوم كما وقف أيام نوري السعيد عند وقوع العدوان الثلاثي على مصر ، فالحالة الآن في هذه البقعة من الشرق العربي رهن بما يصدر عن إسرائيل من اتجاه بعد أن غمرها الغرب بهذه المتأدبر من الأسلحة التي تعتبرها القومية العربية خطراً موحهاً إليها بالذات ، والمسئول عن ذلك أولئك الذين يقفون من وراء إسرائيل ويمدونها بما قد يفقدها العقل والبصيرة .

### من نتائج العداء القائم

قال وزير المستعمرات البريطاني مستر لينوكس بويد ، في خطاب ألقاه في مؤتمر المحافظين يوم ٩ أكتوبر : إن عداء الجمهورية العربية المتحدة التي يرأسها الرئيس جمال عبد الناصر قد خلق حاجزاً جويماً في الشرق الأوسط يمكن أن يؤثر في مؤننا ومواصلتنا إلى الشرق الأقصى .

البريجادير توم باسون الذي رحل على طائرة نقل من طراز فاليتا ، وقد ظلت عملية نقل هؤلاء الجنود بطريق الجو تجرى بصعفة مستمرة مدة خمسة أيام ، وقامت طائرات النقل بتسعين رحلة إلى قبرص مارة فوق الأراضي السورية بإذن من الجمهورية العربية المتحدة .

### تسليح إسرائيل

أعلن في لندن رسمياً أن بريطانيا باعت لإسرائيل غواصتين حمولة كل منهما ٧١٥ طناً وهي فوق الماء و ١٠٠٠ طن وهي تحت الماء ، وقد صنعتا بين سنة ١٩٤٢ و ١٩٤٥ . وقد سلبت أولاهما لإسرائيل وأطلقت عليها اسم « تتين » ، أي « التمساح » ، والآخرى في ماطلة اسمها « سانجرين » . وقد حصلت إسرائيل من بريطانيا على أسلحة تقدر قيمتها بخمسين مليوناً من الجنيهات منذ قامت ثورة العراق في يوليو هذا العام حتى الآن . وهذا غير ما حصلت عليه من أمريكا وفرنسا أخيراً ، ويقدر ما تسلمت به إسرائيل بين سنة ١٩٤٩ و ١٩٥٧ بما يوازي ٧٠٠ مليون دولار .

وقد اعتبرت الدوائر المسئولة في مصر هذه الخطوة الجديدة من بريطانيا على الخصوص عملاً شديداً المخطورة ضد القومية العربية ، وأنه لا يمكن السكوت عليه مهما كانت الأحوال ولا بد من مواجهته برد فعل إيجابي .

وقد دلت مراقبة الحال في إسرائيل على أنها تقوم بحشود حركات عسكرية ترمي من ورائها

## انقلاب عسكري في باكستان

وقع في يوم الأربعاء ٢٤ ربيع الأول (٨ أكتوبر) انقلاب عسكري في باكستان ألغى فيه الدستور القائم ، وأقيمت حكومة فيروز خان نون المركزية وبقيت الحكومات الإقليمية ، وحل المجلس التشريعي الوطني والمجالس الإقليمية ، وحلت الأحزاب السياسية ومنعت اجتماعاتها ، وألغيت الانتخابات التي كان مقرراً أن تجرى في فبراير القادم .

وأظهر مافي هذا الانقلاب تولى الجنرال محمد أيوب خان - قائد الجيش الباكستاني - منصب الحاكم العسكري العام . وقد أعلن أن الانقلاب موجه إلى السياسيين الذين اتفقوا من الحكم وسيلة للتجارة في السوق السوداء ، وكانوا يسرون بالبلاد إلى الهاوية ، وأنه ضد عملاء الاستعمار الذين كان غرضهم الأوحـد إرضاء المستعمرين على حساب مصلحة البلاد ، والمناصر التي تعمل على إيجاد سوء التفاهم بين باكستان ودول أخرى كالجمهورية العربية المتحدة والهند والصين والاتحاد السوفيتي ، كما أعلن رغبة هذا الانقلاب في إقامة علاقات ودية مع جميع الدول ، والاستمرار في تنفيذ التزامات باكستان الدولية .

وأذاع بياناً قال فيه : « إنه لا بد من إعلان حالة الطوارئ ، لأن سياسة ناهبين قد خلقتوا فوضى إدارية واقتصادية وسياسية وأخلاقية شاملة . »

وفي صباح الاثنين ١٤ ربيع الآخر (٢٧ أكتوبر) تنازل أسكندر ميرزا عن رئاسة الجمهورية الباكستانية خدعة للصلاحة العليا في البلاد ، وسافر فوراً بالطائرة إلى مدينة كويتا بالقرب من الحدود الأفغانية ثم إلى لندن . وباشرفي صباح اليوم التالي الجنرال محمد أيوب خان مهام منصبه الجديد رئيساً للجمهورية ورئيساً للوزارة ووزيراً للدفاع وحاكماً عسكرياً عاماً ، وكان أول قرار اتخذه بعد ذلك إخراج ثلاثة من كبار الموظفين المدنيين وتعيين ثلاثة من العسكريين بدلهم نواباً للحاكم العسكري . وأعلن الحرب على الفساد والرشوة والاختلاس وتقول اليونيتد برس إن ما يتصدر بملايين الرويات من الأفضة المهربة والحبوب الغذائية أعلن التجار وجودها خوفاً من الإنذار الذي وجهته الحكومة لمن لا يبلغ عن هذه البضائع والجنرال محمد أيوب مولود في منطقة الحدود وتلقى دراسته في جامعة عيسكره الإسلامية ، ثم تلقى دراسته العسكرية في كلية ساندهيرست الحربية بانجلترا . وقبل ثلاثين عاماً عين ضابطاً في جنيفي بلاده ، وتخرج في مراتب القيادة إلى أن عين قائداً للقوات الباكستانية الشرقية وهو من عشر سنوات برتبة لواء . وهو أول قائد عام للجيش الباكستاني تولى وزارة الدفاع ولاشك أنه الآن في أعظم امتحان تعرض له في حياته ، فإن أحسن النجاح فيه محكمة وإخلاص أو شك أن يكون من رجال التاريخ .

## الفهرس

سـفـحـة	الوصف	بـقـمـ
٣٠٥	ذروة الحق . . . . .	الأستاذ عبد الدين الخطيب رئيس التحرير
٣١٣	نعمات القرآن — ٦٤ — . . . . .	د. عبد الطيف السكي عضو جماعة كبار العلماء
		ومدير التفتيش بالأزهر . . . . .
٣١٧	السنة — الدين حق — . . . . .	د. طه محمد الساكت . . . . .
٣٢١	نقد كتاب «أحوال» على السنة الحميدة ٤-٤	د. محمد أبو شهبة الأستاذ المساعد بكلية
		أصول الدين . . . . .
٣٣٠	عين في سبيل الله . . . . .	د. أحمد الفريسي للدرس بالأزهر . . . . .
٣٣٥	تخطيط مريض للمجتمع السعيد . . . . .	د. منصور رحب . . . . .
٣٣٩	الوحدة العربية في شمال إفريقيا . . . . .	د. أحمد طه السنوسي . . . . .
٣٤٢	التوكل والتواكل . . . . .	د. عبد الله مصطفى المراسي . . . . .
٣٤٧	لغويات . . . . .	د. محمد علي النجار . . . . .
٣٥١	دعائم المهج الخلق الاسلامي — ٢ — . . . . .	د. يس — طه المنلى بالأزهر . . . . .
٣٥٦	برامج ومناهج . . . . .	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربي
		الحديث بجامعة الاسكندرية . . . . .
٣٦٨	التفسير الدللي لقرآن . . . . .	الأستاذ عبد الوهاب حودة . . . . .
٣٧٣	مدحة علي بن الحسين بن الفرزدق والحزین الكناني	د. علي المباري للدرس بالأزهر . . . . .
٣٧٧	الرائية في ظلال الاسلام . . . . .	د. أحمد علي منصور . . . . .
٣٨٠	رسالة لأدب ( بقية رسالة الأدب ) — ٤ —	د. حسن الشيفطة المحرر الأدبي بمجريدة
		الشمع ومصون نقابة المحققين . . . . .
٣٨٥	رأى العلماء لأورخين في الفتوحات الاسلامية . .	د. عباس طه المحامي . . . . .
٣٨٩	تطبيقات . . . . .	د. عبد الطيف السكي عضو جماعة كبار العلماء
		ومدير التفتيش بالأزهر . . . . .
٣٩٢	الأدب والعلوم . . . . .	المجلة
٣٩٤	المسلم الاسلامي . . . . .	د





١٥  
٢٠٠٠  
٢٠٠٠  
٢٠٠٠



## قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة

رقم ١٥٣٣ لسنة ١٩٥٨ بتعيين وكيل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على القانون رقم ٢٩ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له

قرر

المادة الأولى : عين السيد الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن عضو جماعة كبار العلماء وكيلا للجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

المادة الثانية : على وزير الدولة تنفيذ هذا القرار .

صدر برئاسة الجمهورية في ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ — ٦ ديسمبر سنة ١٩٥٨

جمال عبد الناصر



# تهنئة وأمل

« إلى فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر »

نشأت في الأزهر فكان وطنك ومسجدك ومدرستك ، فامتعت عليك منه الروح الوطنية والقومية العربية ، وأوذيت في سبيل ذلك حينما كانت يد الاستعمار في البلد ذات بطش شديد ، وجمعت إلى ذلك عبادة ربك وتبتلك إليه بتجيلا ، أما مدرسته فقد كان يشع منها نور على نور ، ولا يزال في ازدياد بمزيد من جدك ونشاطك ، وسهرك في التحصيل والدرس ، ولازمك التوفيق حتى لمع اسمك على رأس الناجحين ، وزها نجمك بين الخريجين فتحملت حينئذ نصيبك من المسؤولية في التعليم ، فكنت بحق آية في علمك وتعليمك ، ونبراسا في فهمك وتفهمك ، ومثلا لأبنائك يحتذى في الخلق الكريم .

وكان ولا يزال الدرس عملك بل أحب الأعمال إليك ؛ إلى أن سعى إليك وأنت فيه هذا المنصب الجليل ، وليس هو بالنسبة إليك بالمنصب الجديد فقد شغلكه قرابة عامين ، ولكنك لما رأيت ظلم الظالمين أبيت إلا أن تضحي بمنصبك العالي في سبيل تمسكك بالمبدأ العالي - لا أظلم ولا أعاون مع الظالمين - واستمكت محتفظا بكرامتك ومبادئك .

وكان الله قد أظهر لك على الغيب ؛ فظهرت نفسك وصفتها من أدران هذه الحقبة السوداء التي مرت بالأزهر فأحالت نهاره الأبيض ليلا فاحم السواد ، وأشاعت فيه الظلم والفساد ، وحسب هذه الحقبة أن أبعد فيها عن الأزهر أبنائه الغرايميين ، كل ذلك قد كان يعمل المسئولين في الأزهر تارة وبعلمهم تارة أخرى ، إلى ما كان من ضياع العلم . وضعف الدين في سبيل المنصب الذي نلتم واستحقوا على هوانه حرمانهم وجزاءهم ( إن ربك لبالمرصاد ) أي وكيل الأزهر : لا جديد في منصبك إلا أن الله قد هيا لك معه اجتماعك مع صديقك الصدوق ( الشيخ شلتوت ) لتحملوا معا المسؤولية في الأزهر .

وكلاكما يقدر أعاءه ، ويعلم حرصه على نشر العلم غزيرا . وغيرته على رفعة الدين وعزته ، وتقديره للأزهر ومكاته ، وكلاكما قد ير على تحمل أعباء ذلك ، فإلى

## تهنئة وأمل

الامام معا في سبيل إنهاض الأزهر من كبوته . أدركوا به ركب الحضارة والعلم ، وسيروا به حثيثا حتى يكون في الطليعة كما كان ، واعملوا على أن يخرج للناس عالما قديرا في الدين والدنيا ، والله يجرىكم على ذلك خير جزاء العاملين المخلصين .

أخي وكيل الأزهر : هذه تهنيتي ، بثت معها أمل ، وأعلنت عن أمل ، وإني أسأل الله لكم المعونة التامة ، وسداد الرأي ، ودوام التوفيق . مستهدفين العمل على تحقيق الصالح العام لجمهوريتنا العربية مع ربطها بالجمهورية السودانية برباط وثيق من الدين والقومية ، إلى ذلك الرباط الرباني نهر النيل المبارك الذي وحد بين الشعبين منذ خلقهما الله ، مستمسكين بتوجيهات زعيم العروبة والإسلام الرئيس جمال عبد الناصر ، أدام الله له التأييد وحقق للعروبة على يديه كل ما يريد .

مدير المجلة

عبد الرحمن عيسى

بسم الله الرحمن الرحيم  
مَجْلَدُ الدِّينِ الْخَطِيبِيِّ

الْإِشْرَاقُ السِّنَوِيُّ

في دارى النيل	٤٠٠
الطبعة دارى النيل	٤٠٠
لعمارة دارى النيل	٣٠٠
مراجع المواد	٥٠٠
للطبعة دارى النيل	٣٠٠
لعمارة دارى النيل	٤٠٠

مَجْلَدُ الدِّينِ الْخَطِيبِيِّ

مَجْلَدُ الدِّينِ الْخَطِيبِيِّ

تصنيف من شيخنا الأزهري في أول كل شهر عربي

بسم الله الرحمن الرحيم  
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَمِيْنُ

الْعَنْوَانُ

إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة

تليفون ٤٦٤١٤

الجزء السادس - القاهرة : جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ - ديسمبر ( كانون الأول ) سنة ١٩٥٨ - المجلد الثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من إلهامات السد العالي :

العروبة تكبح جماح النيل

عشنا مع الترك العثمانيين رداً من الزمن ، كانوا يسمون فيه هذا الجزء العزيز من الوطن العربى : د الإيالة المصرية ، ، وكانت الإيالة المصرية فى عهدهم مباداة العقر والقوضى والخرمان ، ومرحاً للأدب الناعس ، والعلم المتحجر ، والسكدح العقيم .

ثم عشنا مع ربيهم محمد على وسلالة الضالة رداً آخر من الزمن ، كانوا يسمون فيه هذا الجزء الملقبون من الوطن العربى : د القطر المصرى ، ، وكان القطر المصرى فى ظلال حكمهم حقلاً لم وللتأمرين معهم من الأغيار والانتهازيين ، يعمرونه على قدر حاجتهم إلى استغلاله فى شهواتهم ومآربهم ، ويوجهون أهله نحو الانسلاخ عن عروبتهم وبجايها ، وعن إسلامهم وأخلاقه وحويوته ، بما يلقون إلى أبنائهم من فئات العلم الاستعمارى ، وبما يرينون لهم من مظاهر الحضارة المساجنة وأكاذيبها .

ثم بعث الله فينا هذا الرجل الموهوب من بنى قرة فى أرمن الصعيد الطيب ، فهب بمصر : إنك عربية ، لا شرقية ، ولا غربية . وهتف بالعروبة : إنك من معدن كريم للحق

والخير ؛ وقد كانت ثورة سلفك الأول لجة النور في عصور الظلمات ، وبدعوتهم المباركة أشرقت الأرض بنور ربها ، وما كان لذلك النور أن يضعف إلا بأن تنامي ، وقد نصبت الشعوبية حبال تل سحرها من كل نوع لتنامي ، فتمت عن رسالتك ألف سنة أو تزيد ، وآن لك اليوم أن تستيقظ ليبحث الله فيك حيويك المتأخرة ، وإشراقك المتألق ، ولتستأنق القيام برسالتك العظمى كعهد التاريخ بها أول مرة ، فتحول « الإيالة المصرية » ، ويتحول « القطر المصري » ، ويتحول كل وطن للعروبة والإسلام ، إلى ينبوع من فيض الحق والخير تحطم من حوله حواجز الآوهم التي أقامها الشعوبيون وأعداء العروبة - في مئات السنين الماضية - ولا يزالون يميمونها عبثاً بين مصر وسائر الناطقين بالضاد ، وسيعترفون بفشلهم الفذريع كلما رأوا صورة هذا الرجل الموهوب من بني قرة تبتسم لإخوانه العرب والمسلمين في كل مكان ، وكلما سمعوا صوته الجمهوري يجلجل على موجات الأثير في جميع آفاق الأرض بالثورة على الباطل والشر ؛ وهذه مصر تحتل بدعوته قلوب العرب والمسلمين جميعاً ، بما لا عهد للتاريخ بمثله ، وبما لم تكن دول الأرض تتوقع حدوثه - إلى ما قبل سبع سنوات - ولا في المنام . .

إن العروبة التي هتب بها هذا الجندي العربي الموهوب ، قد تحول بها ما كنا نسميه « القطر المصري » ، إلى ينبوع متدفق من قوة القلوب العربية في آسيا وإفريقية ، يوشك أن يجعل من هذه القومية العربية العظيمة دولة عربية عظيمة ، تحقق قلوب أبنائها جميعاً بالقوة والعزة والرحمة والخير من أدنى الأرض إلى أقصاها ، وتنفض ذرات أرضها بالثروة والبركة والرزق الحلال الطيب لكل من يبدل في سبيله عملاً صالحاً طيباً ، وتميص آلاء الله في أرجائها بكل ما تدره هذه الآلاء الإلهية من أسباب النعيم المقيم .

أكتب هذه الكلمة بعد حلم عميق مرحت فيه متعياً ظلال المد العالي ، وظلال ما يمكن أن يقوم - في سبيل مائه المدخر - من جنان وأفنان ، وبينان وعمران ، في عشرات السنين الآتية ، وقد لا يمتد في العمر حتى أرى ذلك بنفسي ، فمن الله على بتصوره في أحلامي كالو كنت من شهود كاله وجماله ، مقارناً بينه وبين مصر الأمس يوم كانت تسمى « الإيالة المصرية » ، ومصر التي كانت بعدها أيام كانت تسمى « القطر المصري » .

هذه مصر الغند مجلوة أمام عيني كالعروس بكل محاسنها ، إنها تملطي بصلبها عن يمين وشمال : إن رماها التي كانت تنبسط في شرقها إلى بحر القلزم يوشك أن تتحول إلى مدائن

وثغور، وإلى طرق بينها معبدة تمتد فيها شرايين المواصلات بمصنوعات المصانع من كل نوع في الأرض، وتقوم على سيف بحرها ثغور المصايف والمتاحف، ومدن السياحة والسباحة، ومرافئ المصايد وموانئ التصدير، تغشاها أساطيل السفن التجارية خفاها عيابها، وتبحر منها بجمر الحفائب إلى سواحل باكستان والهند وأندونيسيا والصين وسائر الثغور الآسيوية شرقا، وإلى سواحل الصومال وأفريقيا والحبشة وسائر الثغور الإفريقية غربا. أما رمال مصر التي كانت تنبسط في أعماق غربها إلى المخاريق والواحات وباريس المصرية، وإلى البويعلى والفرافرة وعين دلة، وإلى وادي النطرون فالضيعة ومرسى مطروح، ثم إلى منخفض القطارة وسيوة، إن هذه الرمال التي تموج كالبحار وراء شطآن النيل والشريط الأخضر من منطقة نشاط مصلحة الري شرقا وغربا، يرشك إذا قام السد العالي وأدى مهمته في الري والصرف أن تدب الحياة في تلك الرمال إما بتوزيع المياه عليها بالعدل والقسطاس في نظام الري الجديد بعد السد العالي، أو باستنباط المياه الجوفية بالطرق الحديثة على ما يرجي اتباعه في آفاق المريش، وحينئذ تزدان هذه القفار بما يسمع فيها من المباني والمصانع، وتتم أرجاءها الخضرة والحياة والبهجة والخصب، وترنح بنسيمها العليل عذبات الأعصان في الغابات الكثيفة والحدائق الغناء في كل مكان.

كل ذلك يرجي أن يكون يوم تقضى العروبة من كبج جراح النيل، وتطويعه لمصلحة القومية العربية ونعائها وعظمتها وسعادتها.

إن في إقامة السد العالي، والتمكن من ادخار الجاح من مياه النيل الضائعة، معنيين من المعاني الإسلامية: أحدهما الشكر العمل لله عز وجل على هذه النعمة، نعمة النيل، ومن شكر الله سبحانه على أية نعمة القيام بحفظها، وحسن استعمالها، في كل ما يدنو الإنسانية من أهداف الخير وأسباب القوة والسعادة. والمعنى الإسلامى الثانى في إقامة السد العالي التوبة إلى الله من التفريط السابق في هذه الثروة، ووضع حد لما كان من التبذير والإسراف في ترك هذه النعمة تذهب إلى البحر المالح سدى، مع إمكان الضن بها، وحفظها لاستعمالها فيما يزيد هذا الوطن الإسلامى قوة وثروة ونعمة ورزقا. وقد سبق لى التحدث إلى قراء هذه المجلة في افتتاحية جزء صفر سنة ١٣٧٣ عن القوى الضائعة في مصر، وأولها هذا النيل الأعظم، هبة الله الكبرى لهذا الوادى، وقلت يومئذ: إن من نظام الإسلام الاعتدال والاقتصاد وتجنب السرف والتبذير في كل ما يتنفع به. وبما عليه الإسلام للسليين أن المتوضى إذا كان

يتوضأ من النيل الأعظم ينبغي له ألا يسرف في الماء ، لا خوفاً على ماء النيل أن ينتقص ، بل خوفاً على المسلم أن يتعود التبذير والسرف ؛ وأن يكون بالتهذير من إخوان الشياطين . ومن العجيب أن يكون هذا تعليم الإسلام للمسلمين ثم تكون جميعاً مسرفين على أنفسهم في كل شيء ، ونضيق ماله وحفظناه وأحسننا القيام عليه لكننا من أقوى الأمم ، بل أقوى الأمم .

إذا وفقنا الله إلى إقامة السد العالي ، وبدأنا بحجى ثمرات هذا العمل العظيم في عشرات السنين الآتية ، فإن ذلك سيكون حداً فاصلاً بين مصر الصغيرة ومصر الكبرى . بين مصر التي كان تعداد سكانها في عهد محمد علي مليونين ، ثم صارت في الحرب العالمية الأولى أربعة عشر مليوناً ، ثم بلغت في الحرب العالمية الثانية عشرين مليوناً ؛ وبين مصر التي تستطيع في نظام الري بالسد العالي أن تعمل أربعين مليوناً إلى خمسين مليوناً . هذا في الإقليم الجنوبي من بلاد الجمهورية العربية المتحدة ، فكيف بنا إذا سلكننا هذه الطريق في إقامة السدود واستنساخ المياه وتنظيم الري وتوسيع التصنيع في الإقليم الشمالي ، ولا سيما في مستقبله القريب عندما يتم للعروبة فتح العمل الحديث الذي أحدثه الاستثمار الأجنبي في ناحية عزيزة مقدسة من جسم الوطن العربي العظيم والكيان الإسلامي الأكبر . . .

نحن على أبواب تطور نتقل به - إن شاء الله - من كيان ضعيف مشتت ، إلى كيان عظيم متين تحترمه الدنيا وتهابه . وليس الذي أتحدث عنه وهماً ولا خيالاً ولا من كواذب الأمانى ، ولكنها البوادر تلوح من وراء سحيف الغيب ، بقدر ما يراها المؤمن ببصيرته حتى كأنه يلمسها ، أو كأنها تمتلئ مقبلة وهو يسمع وقع أقدامها . . .

هذا الحد الفاصل بين كياننا الصغير الذي مضى ، وكياننا العظيم الذي يوشك أن يكون ، يهتف بنا بأمر آخر بعد الهتاف الذي سمعته مصر وسمعته العروبة من صوت رجلاً المهووب جمال عبد الناصر منذ نحو سبع سنوات إلى الآن .

إن الهتاف الذي يهتف بنا من وراء سحيف الغيب لمناسبة هذا التطور الذي نتوقع به الانتقال من الكيان الصغير كيان القطر المصري ، إلى الكيان الكبير ، كيان القومية العربية ، ينبغي لنا أن نصغي إليه بنفوس مؤمنة ، وقلوب طاهرة ؛ لأن الهتاف هاتف غيب ، والإصغاء إليه ضرب من ضروب العبادة ، وطهارة القلوب من أول شروطها .



الأخلاق التي كنا عليها يوم كنا سكان « القطر المصري » لا تصلح لأن تبقى متعلقين بها يوم يتم الله علينا نعمته ببناء السد العالي . إن كيانتا بعد انتهاء السد العالي سيكون أضخم وأعظم من أن نحمله بأخلاق سكان القطر المصري .

إن إخلاص هذا الرجل الموهوب الذي يقودنا في حركة الانتقال من الكيان الصغير إلى الكيان الكبير ، يرتب علينا واجباً له ولنا أن نكون مخلصين للنعمان العالية والتوفيقات الإلهية أكثر مما كنا عليه ونحن في كيانتا الصغير الماضي .

أرأيت لو كنت ساكناً شقة متواضعة في حي متواضع ، ثم كبر أولادك وصارت لهم مناصب رفيعة أو ثروة تجارية أو صناعية كتب الله لهم فيها التوفيق والجاح ، هل تبقى وأولادك في شقتك المتواضعة ، من ذلك الحى ، أم تنتقلون إلى منزل أوسع في ضيق أكرم ؟ وهل تنتقلون إلى المنزل الجديد بالأثاث الثلث الذي كان لكم في الشقة البالية ، أم تبدلون أثاث منزلكم الجديد بما يليق بمك وبه في حياتكم الجديدة الكريمة ؟

لما سافر الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة ١٣٢١ وألقى فيها تعبيره لسورة العصر ، قال للذين حضروا ليودعوه : إني ذاهب إلى الجزائر لأجند تقى . والذي يذهب إلى الحج وينخلع من ثياب الحضارة الكاذبة ويتف بكلمة « لييك اللهم لييك » يعاهد بذلك ربه على التوبة بما سلف من كل عمل غير صالح ، ويجدد حسابه مع الله بحياة جديدة تليق بمن كتب على نفسه التوبة من كل ما سلف منه في حياته السابقة . وهذا النوع من تجديد النفس يستشعر به صاحبه الراحة من أعباء معنوية كانت تثقل كاهله فيلقها وراء ظهره ، ويبدأ بسيرة جديدة نظيفة تليق بحياته الجديدة النظيفة .

هذا المعنى في تجديد النفس ، وبدء حياة جديدة عند الانتقال من طور في الأمة عنى عليه القدم إلى طور آخر لها يختلف عن الطور السابق ، هو الذي كان يشعر به أصحاب رسول الله عند ما يدخلون في دين الله ، وهذا التجديد العملي في الحياة كان يؤهلهم ليكونوا عظماء في كياناتهم الجديدة بما لم يكن يحظر على بالهم لما كانوا في كياناتهم القديمة . لقد كانوا عند الانتقال من كياناتهم الأدنى إلى كياناتهم الأعلى يشعرون بما يرتب عليهم من أعباء جديدة للحياة الجديدة فبوطنون النفس عليها ويؤدون لها ما يشعرون به من ضريبة التضحية ، فيكافئهم الله عليها بعشرات أضعافها من ارتفاع مستواهم ، وارتفاع أخلاقهم وفنائهم وسجائهم ، إلى أن

يكونوا من عظماء الدنيا . مثال ذلك قبيلة مزينة التي كان منها زهير بن أبي سلمى وابناء  
 بجير وكعب ، وحبيداه عقبة والعوام ، ومن نوابغهم معن بن أوس ، ثم كان منهم أذكى  
 أذكياها الدنيا القاضي إياس بن معاوية . هذه القبيلة كانت منازلها في جنوب المدينة على جانبي  
 الطريق إلى مكة . فلما أراد الله لهم الخير عقب الهجرة المحمدية فرعوا مراعى الإسلام ، كان  
 أول ما يترتب على دخولهم فيه أن يساهموا في حل أعبائه بأموالهم وأنفسهم . إلا أن السماء  
 كانت في ذلك العام ضئيلة على منازل مزينة بالغيث والخصب . فقدم رجال منهم على رسول  
 الله يسئلون له أنفسهم ، ويحتدون عن البذل من أموالهم ، لأنهم لا أموال لهم يومئذ  
 يتصدقون من فضلها . إلا رجلا منهم هو النعمان بن مقرن المزني فإنه وحده كان يرى أن الجود  
 لا يكفى أن يكون من الموجود ، بل يجب أن يكون بكل الموجود . فلما أراد هو وستة من  
 إخوته أن يقدموا أنفسهم لله ورسوله خجلوا من الله ورسوله أن يأتوا المدينة بأيدي فارغة ،  
 فجمع النعمان ما كان حول خباته وأخية إخوته من غنميات ، وساقها بين يدي رطل من قومه  
 جاءوا المدينة ، ولقي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزل فيه قول الله عز وجل من سورة  
 التوبة : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويتخذ ما ينفق قربات عند الله  
 وصلوات الرسول ، ألا إنها قربة لهم ، سيدخلهم الله في رحمته ، إن الله غفور رحيم » .  
 إن هذه الغنميات لا تكاد تنفع الدعوة الإسلامية بشيء . غير أنها كل ما كان يملك النعمان  
 ابن مقرن وإخوته الستة ، فلما اتخذوها قربات عند الله وصلوات الرسول كان ذلك دليلا على  
 أنهم تقربوا قبلها بقلوبهم وجميع مواهبهم لله ، فكان ذلك في تاريخ الدعوة الإسلامية شيئا  
 عظيما . قال عبد الله بن مسعود : « إن للإيمان بيوتا وللفنق بيوتا ، وإن بيت بني مقرن  
 من بيوت الإيمان » . وفي يوم الخندق وهو من أيام الشدة في الإسلام ناط النبي بكل عشرة  
 من الصحابة حفر أربعين ذراعا من الخندق ، وكان النعمان بن مقرن يحفر مع تسعة آخرين في  
 البقعة التي ظهرت فيها صخرة بيضاء استعصت عليهم ، فأجدهم النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه  
 الكريمة وأهوى على الصخرة فأزاحها ، فكان للنعمان ومحبه شرف مشاركة الرسول لهم في  
 أربعينهم . وفي فتح مكة كان النعمان صاحب راية مزينة ، وفي بداية فتنه الردة لما خرج الصديق  
 بنفسه لقتال المرتدين حتى انهزموا واتبعهم أبو بكر إلى ذي القصة كان النعمان بن مقرن على  
 ميمنة جيشه ، وأخوه عبد الله بن مقرن على ميسرة ذلك الجيش ، وأخوهما الثالث سويد  
 ابن مقرن على الساقة معه الركاب . ثم خلف أبو بكر النعمان بن مقرن في ذي القصة وعاد إلى

المدينة . ولما استأق أبو بكر القتال مع المرتدين في ذي حسي وذى القعدة كان بنو مقرن الثلاثة على مكاتبتهم من جيشه حتى نزل هذا الجيش على أهل الرينة بالأبرق . فكانت مواقب هؤلاء الإخوة المزيين كلها مواقب صدق وعزم وإيمان . ولما فتحت جبهة الجهاد في إيران في خلافة العاروق انتقل النعمان بن مقرن بقومه من مريئة عن منازلهم الأولى في جنوب المدينة إلى الجانب الشرقي من مدينة الكوفة ليقوموا بالدفاع الحربي عن البلاد التي دخلت في الإسلام ، ولينشروا الدعوة الإسلامية بالطريقة التي ينتها في كتابي ، مع الرعيل الأول ، ويعتبروا البلاد التي توطئوها أو التي سيصلون إليها . ومن ذلك المنزل في شرق الكوفة زحف النعمان بن المقرن لقتال يردجرد ، وكان من أنطال حرب القادسية ، ثم كانت له القيادة العليا في معارك نهاوند سنة ١٩ . ولما نزل ليحوض هذه المعركة العظمى ، وكانوا يسمونها ( فتح الفتوح ) ، أمر بأن يضرب فسطاطه فتسابق أربعة عشر قائداً من أشراف القادة المجاهدين ، وأكثرهم من الصحابة كحذيفة بن اليمان فبنوا للنعمان فسطاطه بأيديهم ، فلم ير الناس بناء فسطاط أشرف من هؤلاء . وفي هذه الملحمة الزهية نال الشهادة العظمى ، وأخذ أخوه نعيم ابن مقرن الراية قبل أن تقع وذهب بها إلى حذيفة بن اليمان فقام في مقام الشهيد الأعظم إلى أن نالوا النصر النهائي ، وذهب السائب بن الأقرع بالأحاس إلى أمير المؤمنين عمر في المدينة ، فلما علم منه عمر بشهادة صاحب تلك الغنيمات - النعمان بن مقرن المزي - المنتصر على دولة من أقوى وأعظم دول العالم يومئذ بكى غمراً وشج وجعل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

كل دعوة صالحة تحتاج إلى مؤمنين بها مخلصين لله في أعمالهم . وهذه الثورة قامت في وجه الاستعمار كله ، وهياً الله لها أسباب نجاحها بإخلاص داعيتها وقائدها ، وهذا الإخلاص يجب أن يتجاوب مع إخلاص مثله من كل أفراد الأمة ، وإن من لوازم هذا الإخلاص التجرد من الأخلاق الصغيرة التي كانت لنا في كياننا الصغير ، والانتقال إلى أخلاق أخرى كبيرة تليق بما نستقبله من كيان كبير . فالكيان الكبير ملا أخلاق لا يتم ، وإن تم لا يدوم . والأخلاق العالية ثمن الكيان العالي ، لا يتم ولا يدوم إلا بها .

إن ثورة العروبة التي تكبح الآن جماح النيل ، وتمنعه الإباق والضياع في انبحر المالح ، يجب أن تكبح كذلك جماح القوى الإنسانية والأخلاق الفردية فتجعل ذلك كله في مصلحة القومية العربية ونماذجها ورغائها وعظمتها وسعادتها . هذه أبواب العمل ستمتج على مصاريعها

لسكل من يعمل عملاً صالحاً فينال ثمن عمله على مقدار عمله . ودواليب العمل إذا دارت فإن من مصلحة كل من يتصل بها أن يوجه عمله في اتجاهاتها .

كلنا دواليب وآلات ومسامير في الكيان العملي . فيجب أن يكون لسكل فرد منا عمل إيجابي في هذا الكيان ، لتكون القوى كلها مسيرة له وقائمة بنميتها في حركته وسيره واتجاهه ، ثم يكون كل واحد منا في المستوى الذي يؤهله له عمله ، وإحسانه في هذا العمل .

الدواليب دائرة ، وستدور ، ثم تدور . وحركتها ستكون أنظلم وأعظم إذا كانت قطع الغيار والمسامير محكمة في أماكنها ، مؤدية عملها . والإنسان المنحرف بأخلاقه ، واتجاهاته ، وسريرة قلبه ، لا يصلح أن يكون في قافلة الأمة ، ولا أن يكون قطعة غيار في كيانها . لأن انحرافه بأوضاعه وأخلاقه سيجمعه طعنة للدواليب الماسية في اتجاهها ، فيذهب غير مأسوف عليه . والإنسان المستقيم بأخلاقه ، واتجاهاته ، وسريرة قلبه أشبه بقطعة الغيار المحكمة في موضعها من الكيان الأعظم ، فإن القائمين على الآلة يسهرون على تغذيته بالترتيب والتشجيع ، ويتمهونه بالنظافة والإصلاح والتثبيت ، ويجددون حياته ما احتاجت حياته وحياة الآلة به إلى هذا التجديد .

إن المصنع الذي يخرج لكيان العروبة قطع الغيار من أبنائها هو المدرسة ، والمدرسة لا تزال متلكئة في إحراج قطع الغيار الصالحة لكيان العروبة المنتظر ، لأن الأعوان على هذه المهمة من المعلمين ورجال وزارة التربية والتعليم لا يزال أكثرهم بعقلية القطر المصري ، في حياة ما قبل الثورة ، وكثير منهم متأثر بمناهج وضعت لغير زماننا ولعكس ماضينا إليه : ومن مصلحة هؤلاء في ذات أنفسهم ، ومن مصلحة كيان العروبة في وضعه الجديد وأهدافه العظمى بعد الله العالی ، أن يعين هؤلاء على أنفسهم ، وأن يعدلوا وضعهم مع العروبة في اتجاهاتها وتخرج المؤمنين بها . وكما أمنت مزينة بالرسالة الأولى ، وأعد هؤلاء الأعراب من أبنائها قلوبهم وعزائمهم وقواهم للقيام بأعبائها فبلغوا بذلك أعلى مناصب الدنيا ، حتى انتصروا على دولة من أقوى دول الأرض يومئذ ، فليكن لكل رجل منا أسوة حسنة هؤلاء المجاهدين الأبرار في إخلاصهم وصدقهم ، لتجارب القلوب كلها في استبدال كيان العروبة الأكبر على ما يليق بنا وبه في عشرات السنين الآتية ، وكل آت قريب .

محـب الدين الخطيب

# فتح آية القرآن

- ٦٥ -

المسألة الأدبية في توجيهات القرآن ، لمن كان ذا سمع وفطنة

« ا ، وذروا ظاهر الإثم وباطنه .  
« ب ، إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون .

دعوة القرآن تتجه بالناس دائماً إلى الصعود نحو المشارف ، ليكونوا في مقامهم من الإنسانية التي يناديها ربها ، ويتعهد بها بالترية ويصفي عليها الكرامة التي ليست لسواها في الأرض .

وأنت ترى القرآن ينهانا عن ظاهر الإثم وباطنه ، وهو بهذا الكلام الموجز يبعثنا بعداً شاسعاً عن كل تقصير : من ظاهر الإثم الذي يدر من الإنسان على مشهد أو مسمع من الغير . ومن باطن الإثم الذي يكون في خلوة وخفاء ، عن الناس .

والظاهر والباطن من الإثم كما يتناول أعمال الجوارح يتناول أعمال القلب : مما يتصل بالعقيدة ، ويبدو في المظهر والسلوك : كتهذيب الباطل ، والارتياح إلى الشكوك ، وإلى الزهادة في دعوة الدين ، والجنوح إلى المشافة لله ورسوله ، بأي لون من ألوان المروق والتحلل .

بل الظاهر والباطن من الإثم لا يتمان عند الجانب الديني البحت ، بل يتناولان آداب السلوك العام ، والمساس بأي حق من حقوق المجتمع ، والخروج على النظام الذي تكفلت به القوانين الوضعية الصحيحة .

وكل ما قامت عليه المصحة الجديدة يعتبر داحلاً في إطار الدعوة الدينية ، وإن لم تصرح به النصوص الدينية في الكتاب أوفى السنة . فالنصوص لم تأت بتفصيل كل شيء ، بل جاءت في أكثر منها كنماذج ، يقاس عليها ما تكشف عنه الحاجة ، وترشد إليه التجربة ، ويراه

ولاية الأمور خيراً للناس في حياتهم ، وأمنا على حقوقهم ، وصيانة للنظام العام من عبث العابثين .

فحينئذ يكون هدى الدين كاشفاً عن المنفذ الذي يصل منه المشرعون إلى الهدف ، ويكون الدين متمشياً مع اتجاه الحياة في خطاها المتابعة ، ما فرمنا في الكتاب من شيء ، يعني : تفصيلاً وإجمالاً .

وليس معنى هذا أن يتعرض الدين صريحاً للتحركات ، وأدوات المصنع ، وإنتاج المعامل !! كما يشتهي بعض المتطلعين من أهل الجدل والشقشة ، والفضول .

لا : بل نقصد أن كل ما تهدي إليه العقول ويكون صالحاً للحياة ومفيداً للناس وليس معارضاً لوجهة الدين ، ولا ناقصاً لمبدأ معروف فيه ، فهو أمر سائغ ، ومأذون فيه ضمناً إن لم يكن هو تطبيقاً مباشراً لنصوص الدين .

وهذا استطراد يرتبط بظاهر الإثم وباطنه ، وهو واضح ، بعد أن توسعنا في مفهوم الإثم ، وتناولنا به كل ما يجلب على الناس ضرراً .

ويبدو من هذا أن عبارة الكتاب العزيز مع إيجازها في اللفظ غاية الإيجاز وسعت كل ما يعتبر فساداً ، وكل ما ينافي الحياء ، وكل ما تعافه العطرة .

وليس في هذا التعميم تعسف ، بل هو قريب التناول إذا استأنسنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم « والإثم ما حاك في صدرك منه شيء » .

فهذا خطاب لصحابي مسلم ، بل هو خطاب لكل مسلم ، والمعرض أن المسلم قوى المشاعر الدينية ، ومرهف الإحساس ، وصادق الإدراك ، شديد الحياء ، فهو ينفطته وفطرته قد يدرك المعابة ، ويحس بالمأخذ ، ويتردد في الأمر الذي لا يتسع له صدره بعد أن شرح الله صدره للإسلام ، وملاء نوراً ، وخشية ، لا غروراً ، ولا وباء ، ولا رياء ، والذين أعتدوا زأدهم هدى ، وآتاهم تقواهم .

وإذ كان النهى عن ظاهر الإثم وباطنه شاملاً لكل ما يجافي الصواب : دينياً ، ودنياً ، فعقوبة المخالفة تكون خطيرة ، ونكون في قوتها مؤازرة وموازية لقوة النهى الشامل ،

وهذا هو قوله تعالى : « إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون » ، وقد اجتمع في هذا التهديد ما اجتمع من أساليب التأكيد لسوء الجزاء بسبب اقتراف المخالفين لما يقترفونه من ظواهر الإثم أو باطنه .

ثم تأتي آيات بعد هذا النهي فيها تعريج على بعض أنواع الإثم الذي يقترفه الناس ، وكانوا يقترفونه قديماً .

منها قوله تعالى : « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين » . وهذا أمر يأذن بأكل الذبائح التي يذكر اسم الله عليها عند ذبحها ، وفيه رد على كفار كانوا يتركون التسمية على الذبيحة ، بل كانوا يتركون الأكل مما ذكر عليه اسم الله : عناداً منهم ، وتشبهاً بالمخالفة .

وفي هذا الأمر امتنان على الناس بما أباح الله لهم من لحوم يجب أن يشكروه بذكر اسمه عليها حين ذبحها إن كانوا مؤمنين حقاً بآياته ، وذلك حكم قائم ، واللفظاء تفصيل فيه بين العائد والناسي لذكر التسمية ، والأرجح عندهم أنها لا تسقط عمداً ، ولا تحل الذبيحة إذا تركت عليها التسمية عن قصد .

وتليها آية أخرى في هذا الصدد :

« ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، فهذا نهى صريح عن أكل الذبيحة التي تركت عليها التسمية ، وهو رد كذلك على من كانوا يستبيحون هذا ، ويأكلون ما ذكر عليه اسم الصنم أو أى اسم غير اسم الله المنحوق وحده للشكر على ما خلق ، وعلى إباحته للأكل من تلك الذبائح المسموح بأكلها .

وقد سمي الله تعالى أكل ما لم تذكر عليه التسمية - فسقا - « وإنه لفسق » ، والفسق هو المعصية الكبيرة ، وقد يراد منه الكسر الصراح .

والتمرس للأكل وعدم الأكل هنا من باب التمثيل للإثم المنهى عن فعله . وهو يتناول أكثر من هذا ، غير أن أكثر ما يقع الإثم فيما يؤكل حراماً ، فاختير ذكر الأكل لشيوعه وغلبته على سواه .

ثم تنتقل بنا الآيات إلى توجيه كريم نحو ظاهرة اجتماعية ، هي : أن العصاة في الجماعات والبلاد هم غالباً أكابرها .

وهذه سنة كونه صرح بها القرآن في قوله تعالى : وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ، ليكفروا فيها . . يراد فيها نعيمهم : أسـ أهل اليسار ، وأصحاب النفوذ ، وذوى المظاهر ، ونحوهم . وهم الأكابر في كل قرية أو جماعة . هم . غالباً . الذين يحالون ما أمر الله به إلى ما نهى الله عنه ، والمعروف أن أصحاب النعم كثيراً ما يفترون بها فتفسو قلوبهم ، وينال الغرور من نفوسهم ، ويستحوذ الشيطان عليهم فيلتون عن الشكر الواجب ، إلى المتاع المحظور ، ويرون في تبجحهم تعالياً عن مستوى الضعفاء ، والمقرء ، وتمنعا عن سماع النصح والخوف من التهديد والوعيد ، وأنهم أكبر من أن يحضروا ، ويذلوا لأحد ، ولو كان بهم . سبحانه . ونحن شهد اطراد هذا الانحراف إلى وقتنا ، وفي كل وسط من الأوساط بسبب ما لديهم من أسباب الزهر ، والمفاخرة ، بل ربما قلدهم ، وتابعهم على ذلك من ليس لديه شيء من هذا : حبا في الظاهر ، واستخفافا بالمعصية .

وكذلك كانت فريش في ماضيها : ما بين متبوع مستكبر ، وتابع مستضعف ، وفي القرآن قصص مبسطة عن هؤلاء وما كانوا يعملونه ، وإخبار بما سيكون منهم يوم القيامة من ندم ، وتصل من التبعة ، وإلقاء كل من الفريقين جريمته على الآخر ، حتى يلقى بهم جميعاً في النار ، ويقف بين الفريقين هذا الجدل ، ثم يقرون جميعاً بقولهم - إنا كل فينا - النار - إن الله قد حكم بين العباد .

وإن حديث القرآن عن الأكابر المجرمين في كل قرية أو كل بيئة واضح في التنديد عليهم والتذكير لهم ليعتبر منهم من يعتبر ، وليتنبه كل من كان مفتوناً بنعمة إلى الإصلاح من شأن نفسه ، وعلاج حاله بما يفيد من توجيه القرآن نحو المثالية الأدبية الخلقية .

فهل لأديباتنا المعاصرين ، وكتابنا المجددين أن تكون لهم عظة ، وأن يترشوا في غرورهم ويتصدوا في باطلهم وتضييهم ؟ ويعلموا أنهم يمكرون بأنفسهم ولا يشعرون ؟

عبد اللطيف السبكي

اللهم وفقنا وفق الجميع ؟

عصو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر



# الشيخة

عمل المرء لنفسه

أبقى الأصحاب وأكرمهم - أشدهم خذلانا لصاحبه ! -  
دنيا الصحابة - أحق الناس بخلافة الأرض - حرص  
واجب - وجهه يبشر بالخير - أكل الهدى في تشييع الميت .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يتبع الميت ثلاثة ، فيرجع اثنين ويبقى معه واحد : يبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله .  
رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري (٥)

\*\*\*

من حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته ، ومن آثار رأفته بهم ورحمته ، أنه لا يألوم نصحاً ، ولا يدخر عنهم وسعاً ، في كل ما يسوق لهم نفعاً : أو يدفع عنهم ضرراً ، أو يبقى لهم ذخراً ، في هذه الحياة الدنيا وفي الحياة الأخرى . . .

وفي هذا الحديث الموجز الجامع ، يهيب بأمة صلوات الله وسلامه عليه ، ويدعو كل فرد منها أبلغ دعوة وأجمعها ، أن يصطفى أنيسه في وحشته ، وجليسه في وحدته ، وطائره في عنقه ، يوم يقال له : « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » .

لقد حذرنا صلوات الله عليه وسلامه المجلس السوء ، ورغبنا في المجلس الصالح ، وأخبرنا أن المرء على دين خليله ؛ لينظر كل من يخالل ، وليس أحد منهم بالمقيم معنا

(٥) ولا يختلف عن لفظ مسلم إلا في زيادة « معه » وماضى المضارعين : تبع - كعلم - أو اتبع ، بتشديد التاء . رواه البخاري في « باب سكرات الموت » من كتاب الرقاق ؛ ورواه مسلم في أول كتاب الزهد .

أو الباقي في دار الفناء . لا جرم أن دعوته صلى الله عليه وسلم ، إلى اختيار الصاحب الباقي في دار البقاء أجل وأزوم ، وهل للره صاحب أبقى له وأدوم ، وآس وأكرم ، من العمل الصالح الذي ليس له فيه من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ؟ إن هذا العمل الخالص المصنى ، رائده في حياته ، وبشيره بعد مماته ، ونوره الذي يمتنى به في الدنيا ، ويسعى به في الآخرة .

• • •

ولا يكون العمل خالصا مصنى مبنى به وجه الله عز وجل ، إلا إذا كان تابعا للعلم المأثور ، مصاحبا للإيمان الخالص ، بريئا من النفاق والغش . فأما العمل الصادر عن جهالة أو هوى أو عن رياء وسمعة فلا خير في صحته ، ولا وزن له عند من يضع الموازين القسط ليوم القيامة ، ويعلم السر وأخفى ، ومن هو أغنى الشركاء عن الشرك ؛ بل إن هذا العمل نكال لصاحبه ووبال عليه ، وأشد الأحباب خذلانا له ! !

وأضل من هذا العمل ضللا ، وأبعد منه وبالا ونكالا ، عمل من يفرقون بين الله ورسله ولا يؤمنون حق الإيمان بخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم وبكل ما جاء به . ومحال أن يحزى الله في اليوم الآخر من لا يؤمن باليوم الآخر ، ومن كذب بما أرسل به رسله ، وبما أنزل به كتبه « إلا حميا وغساقا . جزاء وفاقا ، فأما ما قدموه من خير في دنياهم فقد عجل لهم جزاءه فيها ، وأما أخراهم فلا مثال لأحد بعد قوله سبحانه : « وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » .

وربما ظن قريب النظر أن هذا الحديث يدعو إلى ترك الدنيا وعدم السعى فيها ، وإلى الزهد في الطيبات وعدم التمتع بها ، وإلى الاشتغال بالعبادة والعكوف عليها ، وربما أيد ظنه هذا بأن الحديث مروي في أبواب الزهد والرفاق . . ولكن ذلك نظر قاصر يحصر الحديث في أضيق حدوده ، ويحذف هدى الرسول وصحابته ، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه ينهى عن الرهبانية في الإسلام ، وبأكل الطيبات ويحبب الدعوة إليها ، ويدعو إلى الشكر عليها ، ويقول فيها رواه الإمام أحمد نم المال الصالح للرجل الصالح ، وكان أصحابه بعد أن فتح الله عليهم يملكون هذه الدنيا ولا يصدون عنها ؛ بل كان منهم في عهد النبوة الأغنياء الأثرياء ، والتجار الأوفياء ، الذين قال الله فيهم « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام

الصلاة وإيتاء الزكاة مخافون يوما تغلب فيه القلوب والأبصار ، بيد أنهم كانوا يملكون الدنيا ولا تملكهم ، ويهونونها لله ولا تحزنهم ، ويتوسلون بها إلى الله ولا تفنهم ، وأولئك سادة الزهاد ، وهداة العباد ، إلى عمارة الدنيا الصالحة . والتجارة الرابحة ، والملك الرشيد .

• • •

على أن من أعظم العبادات ، وأجل القربات ، تسخير هذه الدنيا واتخاذها وسيلة ، إلى الخير والبر ، وذخيرة من صالح الأعمال . وفي هذا التسخير على الوجه الذي يرضاه الله سبحانه ، شكر للشاكرين ، وتعليم للجاحدين ، بأن أحق الناس بخلافة الأرض وعمارتها والتقكين منها ، هم العاملون الصالحون . .

• • •

وإذا كان عمل العبد يصحبه ويبتغي معه حتى يلتقى ربه عز وجل ، يوم تفيض وجوه وتسود وجوه ، على حين يفارقه أهله وماله ، أشد ما يكون محتاجا إليهم فاجدده إذا أن يحرص على صاحبه الذي لا يفنى عنه أهل ولا مال ، حرصه على نفسه التي لا يجد منها بديلا ولا عوضا . .

ومن هنا يتبين أن الحديث لا يألو جهدا في الدعوة إلى العمل النقي الخالص ، الذي يمثل لصاحبه في القبر رجلا حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذي يترك ، هذا يومك الذي كنت توعده ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير فيقول : أنا عمالك الصالح . . في حديث طويل رواه الإمام أحمد . . فلينظر المرء وهو في سعة من أمره ، كيف يعد جليلة في روضته إن شاء أو في حفرة ١٤

• • •

واتباع الأهل والمال للوقى أمر أغلبي ، فرب ميت لا مال له ولا أهل ، وقد يكون له أهل ولا يمكنون من اتباعه وتأدية حقه . . والاتباع هنا يشمل الحسى منه والمعنوى والمراد أن كلا من هؤلاء الثلاثة يتعلق بالميت على وجوه شتى ، ثم ينفض عنه المال والأهل ويلزمه العمل . .

ويشير الحديث إلى حق من حقوق الميت ، وهو تشييعه وتوديعه . .

والسنة لمن تبع الجنادة إن كان راكباً أن يكون وراء المشيعين جميعاً ، وإن كان ماشياً أن يكون قريباً منها . خلفها أو أمامها أو عن يمينها أو عن شمالها ، وأكل الهدى وأفضله أن يشيع أخاه إلى قبره ما شيا أمامه ؛ لأنه بمنزلة الشفيع له . . . . . وتلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم وستة خلفائه الراشدين من بعده . . . . .

أما بعد ، فهذا حديث في عمل المرء لنفسه وتقديمه لحياته قبل رمله ، يتصل به حديث آخر في عمل المرء لغيره ، رغبة في نفعه وبره . وموعداً الجزء القادم بمشقة الله تعالى وتوفيقه .

طه محمد الساكت

### الصحابة كلهم من أهل الجنة

قال شيخ الإسلام علم الأعلام الحافظ ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه ( الإصابة ) : اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول ، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة .

ثم قال : والأحاديث الواردة في تعظيم الصحابة كثيرة ، من أدلها على المقصود ما رواه الترمذى ، وابن حبان في صحيحه ، من حديث عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرماً . فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم . ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، فيوشك أن يأخذه » .

ثم قال : وقال أبو محمد بن حزم : الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً ، قال الله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى » . وقال تعالى : « إن الذين سبقتم لهم من الحسنات أولئك عنها مبعدون » . فثبت أن الجميع من أهل الجنة ، وأنه لا يدخل أحد منهم النار ؛ لأنهم مخاطبون بالآية السابقة .

## التوريث في الاسلام

### ميراث المرأة

إن من الحق والإنصاف أن نقرر أن التشريع الإسلامي، في كل ناحية من نواحيه ينبوع الحكمة ومصدر العدالة والحفيظ على الأواصر الاجتماعية وممة ومات الأسر والشعوب .

ومن تشريعات الإسلام الحكيمة ، تشريع التوريث الذي بني على نظام دقيق في ترتيب طبقات الوارثين ، وتقدير نصيب كل وارث ، وحجب بعضهم حجب حرمان ، وبعضهم حجب نقصان بسبب لكل منهما ، ورعاية القوة والضعف في القرابة ورعاية جانب المصاهرة بتوريث الزوجة وتقدير نصيبها الملائم لوجود أولاد معها وعدم وجودهم ، وكذلك الزوج ، إلى غير ذلك مما سنذكر بعض أمثلة منه فيما يأتي ، وكل هذا يدل على أن تشريع التوريث في الإسلام من ينابيع الحكمة ، وقد شرعه الله بنظام يكفل ربط الأسرة برابط وثيق ، ويجعل كل فرد من أفرادها راضياً بصدالة القسمة بينه وبين سائر الأفراد مقتنعاً بأن التوريث الإسلامي قد أعطى كل ذي حق حقه .

ومن عدالة التوريث في الإسلام نظامه الحكيم في توريث المرأة ، فلم يحرمها كما كان يحرمها العرب وغيرهم من كثير من الأمم ، ولم يعطها فوق ما ينبغي لها ويتلاءم وحالها كما فعل القانون الروماني الحديث والقانون الفرنسي ، وكما يطالب بذلك بعض أنصاف المتعلمين الذين يطلبون لها المساواة بالرجل في الميراث ، ومع ذلك يدعون الإسلام والإسلام بريء منهم ، وكان هذا في نظرم بعض الحقوق السياسية التي طالبت المرأة بمساواة الرجل فيها ، إذ لم يوجد كما لن يوجد على ظهر الأرض مسلم يمارى في أن الله قد بين بياناً شافياً واضحاً بالنص الذي لا يحتمل التأويل نصيب المرأة والرجل في الميراث ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، وأن هذا الحكم معلوم من الدين بالضرورة ، فكل من يطالب بمساواة المرأة بالرجل في الميراث خارج عن الإسلام كافر بإجماع المسلمين ، لا يثذ عن ذلك مسلم فضلاً عن إمام مجتهد ، وليبيان عدالة التشريع الإسلامي في توريث المرأة نذكر ما عليه التوريث عند غير المسلمين من العرب وغيرهم .

كان الميراث عند الأمم الشرقية القديمة منظوراً فيه إلى إقامة دعائم الأسرة لحسب بعد موت رئيسها ، ولهذا اشترطوا فيمن يخلف الميت في أسرته ألا يكون من النساء والأطفال ، فيخلف الميت ابنه البكر إن كان بالغا ، فإن لم يوجد فأرشد الذكور من الأولاد ، فإن لم يوجد فأرشد الإخوة ، ثم الأرشد من أبنائهم ، ثم الأعمام هكذا ، ثم الأصهار ، ثم الأرشد من العشييرة ، ويكون له بعد رئيس الأسرة مطلق التصرف في شئونها ، وكانت الوصية عندهم نادرة ولا تصح إلا عند عدم وجود ذكر رشيد في الأسرة ، وإنما كان اهتمامهم بالأسرة لأنهم كانوا أهل حل وترحال ، فدعاهم ذلك إلى التمسك فيمن يخلف الميت في أسرته ليكون لكل أسرة رئيس مطلق التصرف فيها .

وعند قدماء اليونان والرومان الإرث مبني على الوصية ولكل شخص الحق في اختيار الوصى الذي يخلفه ولو كان أجنبياً وللوصى حق التصرف في مال الأسرة وفي أفرادها كيف شاء ، فله أن يزوج من أراد ويمتص من الزواج من أراد ، وللاب أن يؤثر في وصيته بعض أبنائه على بعض ولكن ليس له أن يحرم بعضهم من الميراث بالكلية ، وإذا لم يكن للبيت وصية لبعض الأبناء تساوى جميع الأبناء في الميراث ، وإذا لم يكن للرجل أبناء كان له أن يوصي بماله لمن يشاء فإن مات بلا وصية كان الميراث لإخوته ثم أبنائهم ثم الأعمام هكذا ثم الأخوال .

وليس عندهم للبرأه حق في الميراث ، ولا خلاف بين قدماء اليونان والرومان إلا في أن الوصية عند قدماء الرومان لا تصح إلا إذا وافقت عليها القبيلة ، فإن لم توافق عليها عينت من يصلح لذلك ، أما قدماء اليونان فيرون رفع الأمر للحاكم وتصح الوصية بعد صدور الحكم بصحتها ، ولكل شخص حق الطعن في هذا الحكم إذا ظهر أن الوصية ضرر بمصلحة الأسرة أو الوطن ، كذلك كان عند قدماء الرومان أن حقوق الوصية تنتقل إلى الوصى من حين الوصية ، ولا يكون لرب الأسرة الحق في معارضته في تصرفاته ، ولا تنتقل حقوق الوصية للوصى عند قدماء اليونان إلا بعد موت الموصى .

واستمر هذا إلى أن تغير القانون الروماني قبيل الإسلام ، فجعل سبب الإرث القرابة فيحصر الميراث في فروع الميت فيرثه أولاده ذكورا وإناثا بالتساوى ، ثم أصوله ويشاركهم الإخوة الأشقاء ، ويترسم الميراث بينهم نصفين ويتساوى الذكور والإناث في الأنصبة ، ثم

الإخوة لأب ثم الإخوة لأم ثم الأقرب فالأقرب لليت بالتساوي بين الذكر والأنثى، وليس للزوجة حق في ميراث زوجها لانحصار سبب الإرث في القرابة .

وقد أخذ القانون المسمى عن القانون الروماني نظام الموارث في الجملة ويرجع نعلم التوريث في القانون الفرنسي إلى ما يأتي :

الورثة على ثلاث درجات : فالأولى : الأولاد من النكاح الصحيح والأقارب ويطلق على هذه الدرجة الورثة الشرعيون ، والثانية : الأولاد من النكاح العاسد والزنا ( الأولاد غير الشرعيين ) والثالثة : الزوج والزوجة ، ولا يرث أحد من الدرجة الثانية إلا عند فقد جميع أفراد الدرجة الأولى كذلك لا يرث أحد من الدرجة الثالثة إلا عند فقد جميع الدرجتين الأولى والثانية ، أما الأصول فالأب والأم لا يرثان إلا عند فقد الفروع ، وأما الأصول غير الأب والأم فلا يرثون إلا عند فقد الفروع والحواشي .

ولا ترث الزوجة ولا يرث الزوج والأولاد غير الشرعيين إلا بعد رفع الأمر إلى القضاء وصدر الحكم بتوريثهم .

وعند اليهود يرث الميت ولده الذكر فإن تعدد المذكور من الأولاد كان للبكر نصيب اثنين منهم .

وليس للبنات نصيب في الميراث إذا وجد معها الابن أو ابن الابن ، ولكن لها النفقة والتزينة حتى تبلغ سن الثانية عشرة ، فإن لم يكن لليت ابن ولا ابن ابن ورثت البنات ثم أولادها وإذا لم يكن له حفدة فميراثه لأولاد حفدته المذكور ثم الإناث وهكذا ... ، وإذا لم يكن له أولاد ولا حفدة ولا فروع من الحفدة ورثه أبوه ثم أصول أبيه وإذا لم يكن له أصول من أبيه ورثه الأقارب من الحواشي الأقرب فالأقرب إلى الدرجة الخامسة مع تساوي أنصبة جميع الوراثين ما عدا الابن البكر كما قدمنا فإنه يأخذ نصيب اثنين عند تعدد الأولاد المذكور .

ولا ترث الزوجة شيئاً من زوجها ، ويجب على الأخ إذا توفي أخوه وليس له ابن أن يتزوج امرأته وولده البكر منها يحمل اسم أخيه ويرثه .

وعند العرب في الجاهلية الميراث حق للرجال الذين يركبون الخيل ويمتثلون الأعداء وليس للضعيف من النساء والأطفال حق في الميراث ولا فرق في النساء بين البهات والأمهات

والأخوات والزوجات وغيرهن فكلهن محرومات من الميراث ، بل لقد كان للأخ أن يرث مع مال أخيه زوجته إن أراد ، فيرث الميت ابنه الأكبر إن كان بالغاً فإن لم يوجد له ابن كذلك فأخوه ثم ابن عمه ، وبقي ذلك إلى بدء عهد الإسلام حتى بعد الهجرة ثم أنزل الله تشريع الميراث فأبطل ما كان عليه الجاهلية .

عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الذكور الصغار فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت وترك ابنتين وابناً صغيراً فجاء أبنا عمه خالد وعرفطة ومما حصبته فأخذوا ميراثه كله فأتت امرأته رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال ما أدرى ما أقول فزلت وللرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، للنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون .

وعن عكرمة قال : نزلت في أم كنانة وابنتها كنانة ، وثعلبة وأوس ابنا سويد وهم من الأنصار كان أحدهما زوجها والآخر عم ولدها ، فقالت يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنته فلم نورث فقال عم ولدها يا رسول الله لا تركب فرساً ولا تحمل كلاً ولا تنكح عدواً نكسب عليها ولا تنكسب ، فزلت الآية .

ثم نزلت الآيات المبينة نصيب كل وارث فقد روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم (عن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في أحد شهيداً ، وإن عنهما أخذ ما لم يدرع لهما مالا ، ولا تدكحان إلا ولهما مال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى الله في ذلك فزلت آية الميراث ( يوصيكم الله في أولادكم ) الآية فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عنهما فقال أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثلث وما بقي فهو لك ) .

قال العلماء وهذه أول تركة قسمت في الإسلام ، أي على نظام التوريث الإسلامي .

وقد ظهر مما تقدم أن قدماء اليونان والرومان يمتنعون في التوريث على الوصية وأن لكل شخص الحق في اختيار الوصي ولو كان أجنبياً ، كما ظهر أن أكثر الأمم حتى الذين يقولون بالتوريث بدون الوصية وبينون الميراث على القرابة يحرمون الإناث من الميراث



وأن البعض الذي يورثن يحرم الزوجات من الميراث في أزواجهن ، وعلى الجملة ظهر أن العدالة في الميراث كانت مفقودة حتى في التشريعات الحديثة .

لجاء الإسلام وحال المرأة في الميراث بين إفراط في حرمانها من الميراث بالكلية وتفريط بالمساواة بينها وبين الرجل فأبطل كل ذلك معلناً نصه الصريح : للرجل نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو أكثر نصيباً مفروضاً ، وبين بياناً مفصلاً وأيضاً الأنصبة لجميع الورثة بقوله : يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ، الآيات فكان تقسيمه عادلاً قضى على طرفي الإفراط والتفريط وأن كل من نظر إلى هذا التقسيم مجرداً عن العاطفة والغاية لا يسمعه إلا الإقرار بعدالته والاعتناع بحمله نصيب المرأة على النصف من نصيب الرجل ؛ فإن ذلك أمر تدفع إليه شئون الحياة ونظمها القاضية بأن يكون الرجل رب الأسرة والقائم بشئونها وتحصيل جميع مطالبها ، في معاشها وتربية جميع أفرادها لافرق بين ذكورهم وإناثهم ، وهو أيضاً القائم بشئون الزوجية والمطالب بتقديم كل ما تحتاج إليه الزوجة في الصحة والمرض في المعسر والميسر ، على الموسر قدره وعلى المقتر قدره ، وعلى الجملة فالرجل هو المكلف بأن يكده ويكسده ليؤدي لكل واحد من أفراد الأسرة حتى الزوجة ما يحتاج إليه وليست زوجته مطالبة حتى بالإتفاق على نفسها ، فهل من العدل والإنصاف أن تتساوى المرأة مع الرجل في الميراث بعد كل ذلك ، لا شك أن هذه المساواة إفراط ومجاوزة للحد في مقابلة التفريط الذي كان عند كثير من الأمم بحرمان المرأة من الميراث بالكلية .

أجل إن تشريع التوريث في الإسلام قضى على ظلم الظالمين الذين حرموها من الميراث ولم يعطوها منه شيئاً ، وقدر لها نصيباً عادلاً يتلاءم مع حالها بالنسبة للرجل ولا يجاوز ما تقتضيه شئون الحياة فلم يطغ على حق الرجل كما لم ينقص مما تستحق المرأة شيئاً ذلك تقدير الحكيم العليم .

وإلى القارىء بعض أمثلة للقارنة بين التوريث في الإسلام والتوريث عند غير المسلمين حتى يتبين الرشد من الغي .

١ - مات رجل وترك زوجة - وابناً صغيراً - وبناتاً - وأماً - وأخاً .

فالحكم عند العرب في الجاهلية وعند الأمم الشرقية القديمة الميراث كله للأخ وليس للإناث ولا لابن الصغير شيء. وعند قدماء اليونان والرومان يعمل بالوصية إن وجدت مع ملاحظة عدم حرمان الوصية لابن بالسكينة، وعند عدم الوصية الميراث كله لابن وليس للإناث شيء كما ليس للأخ شيء.

وعند اليهود الميراث كله لابن وليس للبنت ولا للأُم شيء. كما ليس للزوجة شيء. وكذا الأخ ليس له شيء. وعلى القانون العرني الميراث كله لابن والبنت بالسوية وليس للأُم شيء. كما ليس للزوجة ولا للأخ شيء. وعلى التوريت الإسلامي للزوجة الثمن وللأُم السدس والباقي لابن والبنت للذكر مثل حظ الأنثيين وليس للأخ شيء لوجود الابن.

٢ — رجل مات وترك بنتاً - وابن ابن - وزوجة - وأباً.

الحكم عند اليهود والعرب في الجاهلية الميراث كله لابن الابن ولا شيء للبنت ولا للزوجة والأب وعند قدماء اليونان والرومان يعمل بالوصية وعند عدم الوصية التركة لابن الابن. وعلى القانون العرني التركة كلها للبنت ولا شيء لابن الابن والأب ولا للزوجة.

وعلى التمرير الإسلامي للزوجة الثمن وللبن النصف وللأب السدس والباقي لابن الابن.

٣ — مات رجل وترك زوجة - وبنتاً - وأختاً شقيقة - وعماً.

الحكم عند العرب في الجاهلية التركة كلها للعم ولا شيء للإناث. وعند قدماء اليونان والرومان إن كانت وصية أُنبت وإن لم توجد وصية فالتركة للعم. وعند اليهود وعلى القانون العرني التركة كلها للبنت.

وعلى التمرير الإسلامي للزوجة الثمن وللبن النصف وللأخت الباقي ولا شيء للعم.

ألا ترى مدى العدل والنور يلوحان من خلال التقسيم الإسلامي في هذه الأمثلة لعمري إن تشريع الميراث في الإسلام لمن أكبر الأدلة على صدق محمد بن عبد الله وحمته رسالته؛ إذ جاء إلى الناس بهذا التشريع فلا يكون نوراً وهدي وأعطي كل ذي حق حقه والناس حينئذ ما يزالون في غياهب الجهل بالمواريث حتى ذو العلم والعرفان بالقانون، جاء محمد بهذا التشريع على هذا النظام الدقيق، وهو الذي نشأ وعاش ولازم هؤلاء العرب في جاهلية جهلاء تحرم الإناث ومن لم يبلغ مبلغ الرجال من الذكور من أن ينال شيئاً من الميراث، فكان هذا

التشريع العجيب الدقيق الحكيم على لسان النبي الأسمى الذي نشأ هذه النشأة دليلاً على أنه رسول رب العالمين إلى الناس أجمعين .

وقد بدأ الله عز وجل الآيات التي بين فيها الأنصبة الوارثين بقوله « يوصيكم الله في أولادكم ، وختمها بقوله : « وصية من الله والله عليم خليم » للإشارة إلى أن هذا التشريع يحبه الله ويريد منكم أن تسارعوا إلى تنفيذه والعمل به كما يحرص الموصى ويريد أن يسارع الوصي إلى تنفيذ وصيته وصرح الحكيم العليم أثناء بيان الموارث بآتنا عاجزون عن السر الحقيقي الذي عليه يكون تقدير أنصبة الورثة ، ولكن الله العليم بخصيات الأمور هو الذي قدرها وفرض عليكم الأخذ بها إذ يقول : « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً » .

عالم الله ما كان عليه أهل الجاهلية من حرمان الإناث وصغار الذكور بما تقدم وبما أشار إليه ذلك النص ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، حيث جعل نصيب الأنثى هو الأصل وحل عليه نصيب الذكر فكأن نصيب الأنثى مقرر مفروغ منه ، وأن للذكر ضعفه وإلا لقال للأنثى نصف حظ الذكر ، وذلك كله كما قلنا علاج لحالة الجاهلية المستولية على قلوبهم المتأصلة فيها ، الساعية إلى حرمان إناثهم وختم آيات الميراث بعد ذلك بقوله : « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين » . لعل الناس يتدبرون ويحذرون فيسارعوا إلى امتثال الأمر وتنفيذ الوصية ليفوزوا بالنعيم المقيم وينجوا من العذاب الآليم .

هذه العناية الفائقة من العليم الحكيم بهذا التشريع العظيم ليحتمز من القلوب مبدأ الجاهلية ، ولكن مع الأسف الشديد لا يزال كثير من الناس مطموئس القلوب بمبدأ الجاهلية ، ولا يزال كثير منهم يفتد ما أنشدوا :

بنونا بنو أبائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

فتغيب عليهم عاطفتهم فيحتالون لحرمان الإناث من الميراث بعد أن قرر الله حقهن فيه وقدره ، فيعطون أبناءهم في حياتهم ما يشاءون من أموالهم ، إما بالهبة وإما بالبيع الصوري ،

زاعمين أن لهم في حياتهم حق التصرف المطلق في ملكهم والله يعلم أنهم لكاذبون ، فإن الله إنما جعل لكل مالك حق التصرف فيما يملك في حدود الدين ، وتحت سلطان الشريعة الإسلامية ، والدين لا يقر هذا التصرف ولا يبيحه ، وإلا لكان هازلاً ، أو كان كمن أعطى باليمين وسلب باليسار ، وليبان أن الله لا يحل هذا التصرف ، نورد ما ورد من السنة النبوية فيه .

روى البخاري ( عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير رضى الله عنهما وهو على المنبر يقول أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية ، فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله ، قال أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا ، قال فاتقوا الله واعملوا بين أولادكم ، قال فرجع فرد عطية ) .

وروى مسلم ( عن الشعبي حدثني النعمان بن بشير أن أمه بنت رواحة سألت أباه بعض الموهبة من ماله لابنها فأتوى بها سنة ، ثم بدا له فقالت لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله إن أم هذا بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بشير ألك ولد سوى هذا ؟ قال نعم ، فقال : أكلمهم وهبت له مثل هذا ؟ قال : لا ، قال : فلا تشهدني إذا فإني لا أشهد على جور ) .

وهذه الحادثة قد رويت عدة روايات ، وكلها تدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقر بشيراً على هذا التصرف ، بل ورد في بعض الروايات أنه غضب وصار يكرر قوله لبشير اذهب فأشهد على هذا غيري ، ثم ختم كلامه بقوله : فإني لا أشهد على جور . فهذا التصرف لم يحله أحد من العلماء ، بل حرمه أكثرهم وكرهه بعضهم ، ولكن الحديث صريح في الحرمة ، حيث قال الرسول : فإني لا أشهد على جور ، نقض على أنه جور وظلم وهو حرام ، ولذلك رجع بشير في عطية لابنه النعمان ، وورد في بعض الروايات ما يفيد أن ذلك التصرف يكون سبياً في عقوق الأبناء ، فلا شك إذاً في حرمة لأنه يثير الفتنة بين الأولاد ، ويملا قلوبهم حقداً على بعضهم البعض ، كما يملؤها حقدًا على الوالد الجائر ، وكثيراً ما سمعنا عن الآثار السيئة لهذا التصرف ، ولا فرق في التمييز بالعطاء بين الذكر والأنثى ، فإن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لبشير ألك ولد يشملها لأن الولد يشمل الابن والبنت . وكذلك قوله : ( أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ ) لفظ الولد يشمل الذكر والأنثى ، فلا يجوز التفرقة في العطية بين الأولاد ذكورهم وإناثهم .

فليت الذين يرفعون الصوت مطالبين بالقسوية بين الذكر والأنثى في الميراث وقفوا  
معهم بالتأييد عند حدود الشريعة الإسلامية وحافظوا على إيتائهم حقوقهم كاملة ، وعملوا  
على منع هذا التصرف الذي هو في الحقيقة والواقع احتيال لإبطال ما شرعه الله ، وظلم  
لحرمان الإناث من حقوقهن في الميراث وقد أعطاهن الله .

ألا إنى أقترح أن تصدر الحكومة تشريعاً يمنع الآباء والأمهات من الهبة أو البيع  
الصوري في حال الحياة للأبناء مع وجود أخوات لهم ؛ فإن ذلك في الحقيقة كما قدمنا تحايل  
لمنع الإناث من الميراث ، وإنى لتكفيل بأن نساء ناسيرضين بهذا ، بل سيفرحن بما آتاهن  
العلم الحكيم في الموارث ، ومن يتشغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة  
من الخاسرين . . . ٩

عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

### حفظ أبي هريرة

كانت موهبة الله لأبي هريرة في الحفاظ نعمة من نعم الله على الإسلام ، لحفظ من أحكامه  
وسننه ما كان يحتمل أن يضيع لولا ذلك . قال البخاري : روى عن أبي هريرة نحو الثمانمائة  
من أهل العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث في عصره . وقال الزبيدي قال الشافعي :  
أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره . وقال أبو الزعزعة كاتب مروان وهو أمير  
المدينة : أرسل مروان إلى أبي هريرة لجعل يحدّثه ، وكان أجلسني خلف السرير أكتب  
ما يحدث به . حتى إذا كان في رأس الحول أرسل إليه فسأله ، وأمرني أنظر ، فما غير حرفاً  
عن حرف . وقال الحاكم صاحب المستدرک على الصحيحين : كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزعمهم له حجة على شيع بطله ، فكانت يده مع يده ، يدور  
معه حيث دار إلى أن مات ، ولذلك كثر حديثه : وأخرج البخاري في صحيحه من طريق  
سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم : من أسعد الناس بشفاقتك ؟  
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا أحد أولى منك ،  
لما رأيت من حرصك على الحديث » ، وحسب أبي هريرة هذه الشهادة النبوية له الثابتة في صحيح  
البخاري ، ومن يسوؤه ذلك فليمت بغيظه .

# نقد كتاب

## أضواء على السنة المحمدية

- ٥ -

في ص ٨١ ، ٨٢ نقل المؤلف بالهامش كلاماً عن دائرة المعارف الإسلامية في وضع الأحاديث جاء في آخره : وعلى هذا لا يمكن أن تعد للكثرة من الأحاديث وصفا تاريخيا صحيحا لسنة النبي ، بل هي على عكس ذلك تمثل آراء اعتنقها بعض أصحاب النفوذ في القرون الأولى بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم ونسبت إليه عند ذلك فقط . ومعنى ذلك أن أكثر الأحاديث من آثار الوضع وقد مر على هذا الكلام دون أن يعلق عليه بكلمة ومعنى هذا أنه يرتضيه بل ما ذكره في كتابه هو ترديد لهذا المعنى .

وإني لأقول : إن هذا القول فيه إصراف وشطط في الحكم فليست الكثرة من الأحاديث من آثار التطور في الإسلام وأنها لا تمثل الواقع في نسبتها إلى النبي صلوات الله وسلامه كما زعم كاتب هذه المادة في دائرة المعارف الإسلامية ، بل الكثرة من الأحاديث المدونة ثابتة بطرق الإثبات الموثوق بها ، ومتانة عن النبي . وقد احتاط أئمة الحديث عند جمعه غاية الاحتياط ، وعنوا بشد السند والمتن عناية فائقة . كما وضحت ذلك فيما سبق بما لا يدع مجالاً للشك في هذا ، وميزوا المقبول من المردود ، وكان لهم إلى جانب ما وضعوا من أصول وقواعد لنقد المرويات مملكة خاصة يميزون بها بين الغث والسمين ، ونحن لا نتكر ما كان للخلافات السياسية والمذهبية والكلامية من أثر في وضع الأحاديث ، ولكن الذي ننكره غاية الإنكار أن تكون الكثرة من الأحاديث المدونة من آثار الوضع والاختلاق .

\*\*\*

وفي ص ( ٩١ ) ذكر فصلاً عنوانه : معاوية والشام ، ذكر فيه ما وضع في فضائل معاوية رضي الله تعالى عنه وبلاد الشام ، وذكر في حق هذا الصحابي الجليل أنه من الطلقاء ومن المؤلفة قلوبهم ، وقد غاب عنه أن الكاتيب في تاريخ الصحابة ذكروا عن الواقدي

وابن سعد أنه أسلم بعد الحديبية قبل الفتح وأنه أخفى إسلامه غافة أهله [١] وأنه كان في عمرة القضاء مسلماً ، وإذ كان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم في رأى البعض ففى رأى الكثيرين أنه ليس من المؤلفة قلوبهم . قال أبو عمر بن عبد البر : معاوية وأبوه من المؤلفة قلوبهم ذكره في ذلك بعضهم ، وهو يشعر بأن الكثيرين لا يريدون هذا الرأى ولذا نجد الحافظ المحقق ابن حجر لم يذكر في ترجمته شيئاً من هذا وإنما ذكر في ترجمة أبيه أنه من المؤلفة قلوبهم ، ومهما يكن من شيء . فقد أسلم وحسن إسلامه وكان أحد كتبة الوحى بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم وكان له جهاد مشكور في نشر دعوة الإسلام ، وتوسيع فتوحاته . ولم تعرف عنه دخلة في إيمانه ولا رية في إخلاصه لإسلامه .

ونحن لانشك أنه وضع في فضائله أحاديث كثيرة وكيف وقد أحصى الأئمة كل ذلك ، ولكننا نجله عن أن يكون له دخل فيما وضع في فضائله وفصائل الشام بل وعن الرضا به ، ولئن قال الإمام اسحق بن راهويه : إنه لم يصح في فضائل معاوية شيء : فقد ذكر له الإمام الكبير البخارى بعض فضائله ، ولا يضيره كون الإمام البخارى أثر التعبير في حقه بلفظ « باب ذكر معاوية رضى الله عنه » ولم يقل « باب فضل معاوية » كما صنع في غالب الأبواب فقد صنع مثل هذا في فضل العباس وابنه عبد الله رضى الله عنهما [٢] كما لا يضيره أن البخارى رحمه الله لم يخرج حديثاً مرفوعاً على شرطه في فضله وأنه خرج في صحيحه حديثين موقوفين عن ابن عباس رضى الله عنهما أحدهما يثبت الصحبة ، والثاني العقبة في الدين ، وبحسب معاوية فضلاً عند المنصفين أن يكون صحابياً وفقياً ، ثم إن عام ثبوت حديث في فضائله مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم على شرط البخارى لا ينفي ثبوت أحاديث في فضائله خروجها غير البخارى من أصحاب الكتب المعتمدة . وقد ذكر المؤلف نفسه حديثين مرفوعين في فضائله رواهما الترمذى وهما من أصح ما ورد في فضائله ، وقد عرض لما ورد في فضائله الحافظ الناقد ابن كثير في « البداية والنهاية » [٣] وبين الموضوع من غيره ثم قال : « ساقى ابن عساكر أحاديث كثيرة موضوعة بلا شك في فضل معاوية أضربنا عنها صفحاً واكتفينا بما أوردنا من الأحاديث الصحاح والحسان والمستجدات عما سواها من الموضوعات والمنكرات »

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٣٩٥ على هامش الإصابة ، والإصابة ج ٣ ص ٤٢٢ ، وصح البارى ج ٦ ص ٨٢

(٢) فتح البارى ج ٦ ص ٦٢ ، ٨٠ . (٣) ج ٨ ص ١٢٠ وما بعدها .

وإذا فليس من الإصاف في البحث أن نجعل كل ما ورد في فضائله موضوعاً وأن نجرده من كل خصيصة وفضل .

وأيضاً فإننا لا ننكر ما وضع في فضل الشام وغيرها من البلاد المشهورة ، وكذلك لا ننكر أن أحاديث الأبدال التي عرض لها ممدوسة على النبي صلى الله عليه وسلم كما نبه على ذلك نقاد الحديث وجهابذته ، وإن كان البعض قد أثبت بعضها ، ولكن الذي تنكره البتة أن يكون معاوية رضي الله عنه هو الذي أوحى بهذا الاختلاق ، وأن يكون له ضلع فيه وإليك غمزه ولززه في ص ( ٩٤ ) قال : وما كاد معاوية يذكر - يعني في خطبته التي خطبها لما عاد من العراق إلى الشام بعدبيعة الحسن سنة ٤١ هـ - أن الشام هي أرض الأبدال حتى ظهرت أحاديث مرفوعة عن هؤلاء الأبدال ثم ذكرها : وما يلزم المؤلف حجراً ويشي الظنة والتهمة عن معاوية رضي الله عنه ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية من أن لفظ الأبدال لم يرد إلا في حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن الأشبه أنه ليس من كلام النبي ، ومن العجيب حقاً أن المؤلف نقل كلام ابن تيمية ضمن كلام نقله عن السيد رشيد رضا رحمه الله في تزييف أحاديث الأبدال من ص ٩٥ - ٩٩ فلو أن هذا الحديث كان مروياً عن معاوية لقلنا معه : لعل وعسى : ولكن الأمر كما ترى ، وقد حاول السيد رشيد أن يبين أن الحديث المروي عن علي رضي الله تعالى عنه على فرض ثبوته ليس المراد به الأبدال بالمعنى المعروف عند الصوفية ، ولكن المحرفين والمتزلفين هم الذين حملوه على هذا ، ومن أعجب العجائب أيضاً أن المؤلف ينقل نقولاً يستجودها ، وهي في الواقع ونفس الأمر ترد ما يعتنقه ويهواه من آراء مبتدرة ، وقد فعل ذلك في مواضع كثيرة من كتابه .

وقصارى القول أن أئمة الحديث وصيارفته قتلوا المرويات بحثاً وأفنوا أعمارهم فيها ، ولم يدعوا رواية في الفضائل وغير الفضائل إلا وبينوا مكانها من الصحة أو الحسن أو الضعف والاختلاق وبحسبك أن تستعرض الكتب التي ألفت في الأحاديث الموضوعة وستبين صدق ما أقول ، فهم لم يقصروا في خدمة السنة وتزييف الزائف منها ، ولكن المتأخرين هم الذين قصرت بهم الأهم عن العلم بما دون فن ثم وقعوا في كثير من الأخطاء والأغلاط قال في ص ١٠١ أن وضاع الحديث وضعوا أحاديث تسوغ لهم ما يضعون ثم قال : وأورد ابن حزم في الأحكام عن أبي هريرة مرفوعاً قال : إذا حدثتني بحديث يوافق الحق فخذوا به حدثت به أولم أحدث ، وعنه أيضاً ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما بلغكم عنى من قول



حسن لم أقله فأنا قلته ، ونحن لا نشك - ولا أى عاقل - فى أن هذين الحديثين وما على شاكلتهما - تناقضا وتهاقنا - موضوعان ، وأن نظرة فاحصة إلى المتن لتدلنا أن هذا لا يصدر من معصوم فضلا عن عاقل فكيف يتأتى من أعقل العقلاء أن ما لم يزل ما دام حسنا فقد قاله ١١١٩ بل كيف يأمر بالأخذ بحديث حدث به أولم يحدث ؟ إن هذا لم يجب بحجاب !

ولو أن المؤلف أقدم على ذكر الحديثين الموضوعين فى الاستدلال لما قال ، لما كان لنا عليه أية مؤاخذه ولا استفهام كلامه ، ولكن الذى أؤاخذه عليه أن يأتى فى الخامس بعد ذكر الحديثين فيقول ما نصه : يشبه هذين الحديثين حديث رواه أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم وتدين له بأشاركم ، وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عنى تنكره قلوبكم وتنعر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد ، فأنا أبعدهم منه ، قال السيد رشيد إن إسناده جيد .

فإذا كان السيد رشيد رحمه الله الذى يعول عليه فى كثير من أقواله ويعتبره من العلماء المحدثين . قال : إن إسناده جيد . فكيف سوغت له نفسه أن يلحقه بهذين الحديثين اللذين لا شك فى وضعهما ونكارتهما كما قال حفاظ الحديث ونقادهم ، والعجيب أن المؤلف يعتمد على كلام السيد محمد رشيد رضا فى كثير مما يتقل ويأخذه قضية مسلبة أما هنا فقد خالفه ولم يأخذ بكلامه وصدف عن الحق إلى الباطل ، والذى يظهر لى أن المؤلف رجل هوى ومزاج فما وافق هواه أخذ به أو أخذ منه ، وما لم يوافق هواه طرده دبر أذنيه ، ولعل السيد رشيد رحمه الله اعتمد فى الحكم على الحديث بالجودة على ما قاله الحافظ ابن كثير فى تفسيره (١) عقب ذكره : رواه أحمد بإسناد جيد ، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب ، والحق أن لاشبه بين الحديثين وهذا الحديث لاقى الثبوت ولا فى المعنى فذا نك موضوعان وهذا حسن ، وهذا الحديث الذى رواه الإمام أحمد قريب فى المعنى من حديث : استفت قلبك ، وإن أفنك الناس وأنتوك ، فهو يشير إلى الاطمئنان القلبى أو عدم الاطمئنان عند سماع حديث من الأحاديث ، وهذا الوجدان القلبى إنما يحصل للسلم الذى عمر قلبه بالإيمان واستضاء بهدى الشريعة ، ومعرفة قواعدها ، والذى يراون السنة ، ويتماهدها قراءة ودرسا

وفهما حتى تصير عنده ملكة يميز بها بين ما يكون من كلام النبي وما ليس بكلامه وإلى هذه الملكة أشار الربيع بن خثيم حيث قال : إن للحديث ضوءا كضوء النهار تعرفه وطالته كظلمة الليل تشكره ، وقال ابن الجوزي : الحديث الممكر يشعر له جلد الطالب للعلم وينفر منه قلبه في الغالب ، وهكذا يبين لنا أن الحديث ثابت رواية وصحيح رواية ومعنى .

وقد ذكر المؤلف من ص ١٠٥ - ١٠٧ عن كتاب « قواعد التحديث » ، للعلامة القاسمي نقولا كثيرة عن بعض الأئمة كابن تيمية وابن القيم وابن دقيق العيد وابن دروة الحنبلي وكلها تدور حول الحديث عن الوجدان لقلبي والملكة التي تحصل عند المحدث ويميز بها بين الصحيح والسقيم ، والمقبول والمردود .

• • •

في ص ١٠٤ ذكر الوضوح بالإدراج ، وجعل المدرج من قبيل الموضوع ، وإطلاق الموضوع على المدرج تساهل بهم إلى بعض أئمة الحديث كابن الصلاح اعتبر الإدراج عن طريق الغلط بطن ما ليس بحديث حديثا - ملحقا بالوضع وشديبا به ، والأكثر من على عده إدراجا لحسب ، وكان على المؤرخ أن يميز بين الإدراج الذي لا لبس فيه ولا إشكال ولا إيهام ، والإدراج الذي فيه لبس وإيهام أن ما ليس من الحديث هو منه ، فالإدراج الذي يكون لتفسير كلمة غامضة أو توضيح اسم مبهم في السند ، والإدراج الذي يكون معه من القرآن اللفظية أو الحالية ما يدل على أنه مدرج من كلام الراوي أمره سهل هين ، ولا يخل بعادلة الراوي ، وهو أعمد ما يكون من الوضوح ، وأما الإدراج الذي يكون فيه إيهام ولبس وهو الذي لا تصحبه قرأتين فهو حرام كله إذا كان متعمدا ، ويخل بعادلة الراوي ، ويلحقه بالكذابين قال السمعاني : « من تعمد الإدراج فهو ساقط العادلة » ، ومن يحرف الكلم عن مواضعه ، وهو ملحق بالكذابين ، وهكذا يتبين لنا جليا تساهل المؤلف في عده الإدراج كله وصحا ، وعلى قاعدة المؤلف يكون كثير من أئمة الحديث الذين يدرجون للتغيير أو توضيح المبهم موصوفين بالوضوح ؛ فالهرى لما روى حديث بدء الوحي في الصحيحين فمر كلمة التحدث بالتعبد يكون وضاعا ، وراوى حديث النسائي « أنا نعيم » - والزعيم الحليل - يكون وضاعا وأبو هريرة لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « للعبد المملوك أجران » ، والذي نفس يده

لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحييت أن أموت وأنا بملوك ، وهو في الصحيح يكون قوله ، والذي نصي يده . . . . الخ ، من قبيل الوضع ، وهذا المثال الأخير مما يتبين فيه الإدراج بداهة لاستحالة أن يقوله النبي صلى الله عليه وسلم لأن أمه ماتت وهو صغير ، ولأنه يمتنع منه أن يمتنئ الرق وهو أفضل الخلق على الإطلاق ، فما ذهب إليه المؤلف لا يقره عليه أي باحث ولا خبير بالفن !! وبحسبنا هذا اليوم وإلى المقال التالي إن شاء الله ٩

### محمد محمد أبو شهبه

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

## الصحابة عدول ، بتعديل الله ورسوله لهم

عقد الخطيب البغدادي فصلاً تفصيلاً في ( الكفاية ) ص ٤٦ - ٤٩ عن عدالة الصحابة بتعديل الله لهم ، وتناء رسوله عليهم ، وبعد أن أورد الآيات والأحاديث المستفيضة في ذلك قال : وجميع ذلك يتضمن طهارة الصحابة ، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم ، فلا يحتاج أحد منهم - مع تعديل الله لهم ، المطلاع على بواطنهم - إلى تعديل أحد من الخلق له . على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها القطع على عدالتهم ، وأنهم أنمض من جميع المعدلين والمزكين يحيثون من بعدهم إلى أبد الآبدين .

ثم نقل قول الإمام الحافظ أبي ذرعة الرازي : « إذا رأيت الرجل يتقص أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن ، أصحاب رسول الله ، وإنما يريدون أن يمحروا شهودنا ليطلوا الكتاب والسنة . والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة . »

## برامج ومناهج

- ٢ -

حين كان شق المقرص يعمل عمله على هذا النحو في أوساط الناشئة والمتعلمين ، كان الشق الآخر يمارس ذلك العمل نفسه في إعداد معلم اللغة العربية ومعلم الدين . والواقع أن المحاولات المبذولة في أوساط المعلمين أسبق من نظيرتها المبذولة في أوساط النشء والمتعلمين . فمن الممكن إرجاعها إلى إنشاء كلية الآداب ، بل إن من الممكن إرجاعها إلى إنشاء « دار العلوم » . ولقد عرف ذلك حق المعرفة أحد أبناء هذه الدار حين قال ( ثم جاء حمزة فتح الله وحفي ناصف والإسكندري والعناني والجارم وضيف من رجال دار العلوم ، فألقوا في الأدب والعلوم العربية مع الاقتباس من مناهج الغرب في نظام التأليف . ويصير هؤلاء رجال المرحلة الوسطى التي مهدت لمرحلة الجامعة ورجالها )<sup>(١)</sup> . ومع ما أعلاه من أن يسان هذا الإجمال شديد الصلة بموضوعنا فإنني أخشى أن يتشعب بنا الحديث ويطول حتى ينسبنا مانحن فيه . لذلك أدع تفصيل هذا الإجمال لموضع آخر قد أعود للحديث عنه مع غيره من الخطط والأساليب التي استهدف بها الإنجليز إضعاف ( الأزهر ) لأنه كان يصيغ التعليم بالصيغة الإسلامية في مصر ، بل في البلاد الإسلامية عامة والعربية خاصة ؛ وذلك بمحاصرته وعزله عن الحياة وسد أبواب الرزق أمام المتخرجين فيه وحصرها في باب واحد هو خدمة المساجد .

فلندع إذن ذلك الحديث الطويل لفرصة أخرى ، ولاكتف هنا بأن أبدأ بكتاب « مستقبل الثقافة في مصر » الذي كتبه طه حسين في أعقاب معاهدة ١٩٣٦ ، والذي أصبح مكانه من كل حركات الهدم التي بسمونها إصلاحاً مثل مكان الدستور من القوانين . ولاكتف من هذا الكتاب في هذا المقام بفقرة واحدة منه هي الفقرة التاسعة والأربعون ، التي أشار فيها إلى لونين من ألوان الدراسة اقترح إنشاءهما في كلية الآداب ، وسعى عند المسؤولين

[١] الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ص ٤٤ . من مقال الأستاذ محمد خفيف الله عن « القيم الإسلامية والحياة الأدبية في مصر الحديثة » .

في وضع اقتراحه موضع التنفيذ ، فلم يحالفه النجاح في أيهما . أما أحد المشروعين فهو يدعو إلى إنشاء معهد للأصوات لدراسة اللهجات قديمها وحديثها . وقد عارض وكيل المالية الذي كان ممثلاً للدولة في مجلس الجامعة وقتذاك في منحه ما يحتاج إليه من مال ؛ لأنه لم يستطع - على رواية المؤلف - أن يفهم قيمة هذا المعهد وحاجة المتعلمين إليه . أما المشروع الآخر فقد كان يدعو إلى إنشاء معهد للدراسات الإسلامية يلحق بكلية الآداب . ومهمة هذا المعهد كما تصورها له حسين هي العناية بالدراسة الإسلامية ( على نحو على صحيح ) . والمبرر لإنشائه عنده هو أن ( كلية الآداب متصلة بالحياة العلمية الأوروبية . وهي تعرف جهود المستشرقين في الدراسات الإسلامية . ومن الحق عليها أن تأخذ بنصيبها في هذه الدراسات لثلاثه بين جهود مصر التي ترى لنفسها زعامة البلاد الإسلامية وبين جهود الأمم الأوروبية ) .

ومضى على هذين المشروعين العاشلين زمن طويل حتى كاد الناس يفسون ما كان من أمرهما وأمر صاحبهما . ودارت الأيام دورتها فإذا المشروعان يطهران من جديد ، يتضح أحدهما في اتخاذ طريقه إلى التنفيذ بإنشاء شعبة في قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية تدعى ( شعبة الدراسات العربية الحديثة ) وهي شعبة لا تزال - لحسن الحظ - جبراً على ورق منذ أنشئت في سنة ١٩٥٥ . وما أغان أن الطريق أمامها ميسر في واقعنا العربي الراهن . أما المشروع الآخر فقد عاد للظهور في صورة اقتراح مقدم من أحد أعضاء لجنة التربية الدينية بوزارة التربية والتعليم . وكما كان صاحب الاقتراحين القديمين شخصاً واحداً هو طه حسين ، فقد كان صاحب الاقتراحين الجديدين شخصاً واحداً أيضاً هو الأستاذ محمد خلف الله . وقد اقترن المشروعان الجديدان بطروفي وملابسات تدهو إلى التدبر والتأمل .

بدأت فكرة هذين المشروعين في مؤتمر للثقافة الإسلامية عقد في صيف سنة ١٩٥٣ بدعوة من جامعة برنستون الأمريكية ، ودعى إليه مندوبون من مختلف البلاد الإسلامية بين أندونيسيا شرقاً والمغرب العربي غرباً ، واشترك معهم عدد مساو من الأمريكيين ، بعضهم من رجال وزارة الخارجية وبعضهم من المبشرين الذين يسترون أهدافهم الهدامة تحت اسم البحث العلمي ، وفريق ثالث من موظفي شركات البترول .

أما مشروع ( إنشاء قسم أو شعبة للدراسات الإسلامية في كل كلية للآداب بالجامعات

المصرية (١) فقد بناء صاحبه على أن الركن الأكبر في نجاح التربية الدينية ( هو المعلم الذي ينبغي أن يعاد النظر في تكوينه وإعداده ، وأن يرسم لذلك منهج جديد يحقق له عمق الثقافة وحرية الفكر - ص ١٦٤ ) . وبناء كذلك على ( أن قيام مصر بنصيحها في تقدم الإنسانية وفي حل مشكلات الحياة المعاصرة يتطلب من المصريين تعمقا في دراسة دينهم ، وتبين موقفه من مختلف المذاهب والاتجاهات التي يجي بها التطور الاجتماعي والفكري - ص ١٦٥ ) . واقترح فيما اقترحه من الدراسات في هذا القسم دراسة « سيكولوجية الدين » ، و « التاريخ الديني والفكري للدين قبل الإسلام » ، و « ما كان لمصر وعلماؤها بين الأمم الإسلامية من آثار عليا خالدة » ، و « النظم الدينية والأخلاقية المقارنة » .

فالدراسة المقترحة تقوم على أساسين ، أولهما استبعاد الأزهر من القيسام بوظيفة تعليم الدين لأن مناهجه لا تحقق للدارسين فيه ( عمق الثقافة وحرية الفكر ) ، وثانيهما هو الصبغة المصرية التي تبرز في الإشارة إلى مهمة مصر القيادية في حل مشكلات الحياة المعاصرة ومسيرة التطور الاجتماعي ، وهو تطور غربي بالبداية ، كما تبرز في إمداد الدارس بما يقوى فيه الاعتزاز بمقها الإسلام وعلائه من المصريين خاصة ، مما يوجد لونا من الشعبية الإسلامية يشبه الشعبية السياسية .

والصلة واضحة بين هذا المشروع وبين مشروع طه حسين من ناحية ، وبينه وبين ما ألقى في مؤتمر الثقافة الإسلامية السالف ذكره من ناحية أخرى . فهو قريب الصلة بما جاء في كلام الإسماعيل الهندي المتجلىز آصف على فيظي عن الإسلام الهندي الحديث المتأثر بالمذاهب الغريبة ، والذي أشنت جامعة عليكرة « الكلية المحمدية الإنجليزية » لفشره وترويجه

[١] نشر هذا الاقتراح في مجلة « الأسرة » التي يصدرها قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية في العدد ٦ سنة ١٩٥٧ [ ص ١٦٥ - ١٦٥ ] . وفي آخره إشارة إلى أن صاحب هذا الاقتراح قدم معه مذكرة تفسيرية مفصلة عن مواد الدراسة وعند الدروس في كل مادة بالدس لسكل سنة من سني الدراسة في هذا القسم . ولم يتيسر لي الاطلاع على هذه المذكرة .

( ص ٨١ - ٨٢ من كتاب « الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة »، نشر فرنكلين ١٩٥٦ ) كما يذكرنا بما زعمه من أن التصور الأساسي ( لا يمكن المحافظة عليه سلباً إلا بإعادة تفسيره وإعادة تقريره في كل عصر وفي كل مرحلة من المدنية ) ، وبدعوته إلى الاستعانة من الدراسات الحديثة في علم النفس ومن الفكر الأوروبي والفكر البروتستنتي والتفكير المدرسي المسيحي والتفكير اليهودي ( ص ٤١١ ) . ولعل له صلة مع ذلك كله بمقررات « اللجنة الدائمة للتعاون الإسلامي المسيحي » التي شارك صاحب الاقتراح في اجتماعها في بجمدون سنة ١٩٥٤ وفي الإسكندرية سنة ١٩٥٥ . أما ما جاء في المشروع عما سماه صاحبه « سيكولوجية الدين » ، فهو شديد الشبه بكلام القسيس الأمريكي ميلبروز في دعاواه الهدامة التي طالاب فيها بوضع ( تجربة الدين ) و ( تجربة النبوة ) والمعجزات والصلاة والحياة الآخرة موضع البحث وإخضاعها لقواعد علم النفس الحديث ( ص ٤٢ - ٤٩ ) . وهو من ناحية أخرى استجابة لدهوة القسيس الأمريكي الآخر هارولد سميت الذي قال : « إن وجهتي في هذا المقال هي أن أستمض بعض الاتجاهات الحديثة ، وأن أقترح طرقاً لدراسة النظرية الإسلامية المهمة في الإنسان ... ولا شك أن القيام بهذه الدراسة على وجهها الكامل أمر متروك لعلماء المسلمين أنفسهم - ص ٥٩ . » . وغير خاف ما تطوى عليه ( سيكولوجية الدين ) من مفاهيم ، أولها وأبرزها أن الدين ظاهرة نفسية ليس لها وجود خارجي حقيقي ، لأن من المعروف أن هذه ( السيكولوجيا ) ترد كل التصرفات إلى مصدر مجهول في أعماق النفس البشرية يسمونه ( العقل الباطن ) . ولا أدري ولا يدري أحد أين هو على وجه التحديد ، ولكنه في داخل الإنسان على كل حال وليس خارجه ، ليس وحياً وليس تنزيلاً . يقول المبشر ميلبروز صاحب الاقتراح الأصل إن ( تجربة النبوة ) يمكن « أن تلاحظ وتدرس بنفس الطريقة ، وإلى نفس الدرجة التي يمكن بها ملاحظة التأثيرات الفوقية والوجدانية ودراستها - ص ٤٣ . » . ويقول : « ويستطيع العالم أن يشير إلى أن التجارب الدينية - منظورها إليها في ضوء الظواهر السيكولوجية - لا يمكن تمييزها من أوهام الحس - ص ٤٤ . » . ويقول : « لأنه ليس للدين أن يتوقع أن معتقداته متخذ قضايا مسلة ، على أساس أنها جلت من طريق الوعي ، وأن وراءها سلطة التقاليد القديمة ... . أما العلم فإنه يرى في روح البحث الحر جوهر الحياة . وإذا كان الدين يريد أن يضمن احترام العلماء فعليه أن يظهر استعداداً لعرض قضاياها لضوء

العقل ، غير محتم لسلطة [السلطة الحقيقية نفسها - ص ٤٥ ، ١٠] . ولعل ذلك كله هو ما قصد إليه الأستاذ محمد خلف الله في مذكرته من ( عمق الثقافة وحرية الفكر ) .

تلك هي قصة أحد المشروعات . أما المشروع الآخر فهو متصل بمناهج جديدة للدراسة في قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية . وهو قسم لا يشغل المتخرجون فيه بغير تعليم اللغة العربية في بلاد العرب كما هو معروف . ينتظر : هل تعد هذه الدراسة بإبراجها الجديدة للقيام بهذه المهمة ؟

تقوم هذه البرامج - كما هو واضح من جداول الدراسة المذكورة في تقويم كلية الآداب بجامعة الإسكندرية للعام الدراسي ١٩٥٥ - ١٩٥٦ ص ٨٥ ، ٨٦ ، ومن المذكرة التفسيرية الخاصة بها ص ٩٥ - ٩٧ - على تفرقة أساسية بين مرحلتين من مراحل الأدب العربي ودراساته . فالمرحلة الأولى تشمل الأدب العربي والدراسات المتصلة به منذ عرفه التاريخ إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي . أما المرحلة الثانية فهي تتمركز على ما يلي ذلك باعتباره مرحلة مستقلة تختلف مواعدها وأسلوب الدراسة فيها وأهدافها عن المرحلة السابقة . فالمنهج يسمى المرحلة الأولى ( الدراسات العربية في مرحلتها الكلاسيكية ) تارة ، ويسمى ( الدراسات العربية القديمة ) تارة أخرى ( ص ٩٥ من تقويم كلية الآداب السابق ذكره ) بينما يعرف المرحلة الثانية ويصفها بقوله : ( الآداب العربية في نهضتها الحديثة منذ القرن التاسع عشر ، وما كان للفكر العربي من اتصال وتأثر بالثقافة الغربية ) . وقبل أن يبدأ الطالب تخصصه في إحدى هاتين المرحلتين يدرس في سنتيه الأولى والثانية دراسة عامة يتعرف فيها ( أركان الدراسات العربية في مرحلتها الكلاسيكية ) كما تقول المذكرة التفسيرية ( ص ٩٥ ) يخير بعدها بين متابعة الدراسة في ( شعبة الدراسات العربية والشرقية القديمة ) أو متابعتها في ( شعبة الدراسات العربية الحديثة ) . ولادع الشبهة الأولى ، على ما يشوب دراستها من

(١) الرد على كل هذه الدعاوى سهل يسير . وهو يتلخص في أن العلم النعري لا يصلح لأن يكون مبعداً إلا في شئون المادة المحسوسة التي يجري عليها تجاربه ، بل في شئون هذه المادة مما تيسر له الكشف عنه . أما ما وراء المادة من الغيب الذي لا يصبغ إلا الله سبحانه وتعالى فالعلم عاجز عن إدراكه . وكل ما يقال في المنسكك فيما جاء به الذين ليس إلا طوما لا تتجاوز مرتبة [ المروءات العلية ] . وذلك هو قول الله تبارك وتعالى فيما أنزل على نبيه « وما يتبع أكثرهم إلا ظناً . إن الظن لا يغني من الحق شيئا » وقوله سبحانه وتعالى : « بل كذبوا بما لم يحيطوا به وما يأتيهم تأويله » .



تقصّر ، وما تنطوي عليه من انحراف تصوره جداول الدراسة الفارقة في مواد أجنبية تظني حل علوم العربية الأصيلة وتضييق عليها المجال ، ويكتفى أن أقدم مثالا واحداً لذلك في درس الأدب العربي الذي لا يتجاوز ساعتين كل أسبوع ، بينما يشغل درس اللغة العبرية وآدابها ، أو السريانية وآدابها ثلاث ساعات أسبوعية من وقت الطالب في كل من السنتين الثالثة والرابعة . ومن شاء المزيد من الأمثلة فليرجع إلى المذكرة التفسيرية ( ص ٩٦ ) ليرى ما تتضمنه محاضرات ( الدراسات الإسلامية ) و ( النقد والبلاغة ) من معاهم منحرفة تبديد الوقت الضئيل المحدد لها في قسور تبعدها عن طبيعتها الإسلامية والعربية ولا تصل إلى أعماق المباحة ولها ، ومن شاء المزيد من الوصوح فليرجع إلى ما بين أيدي الطلاب من مذكرات ليعرف مبلغ ما يحصلونه ونوعه . أقول إني لا أريد أن يتشعب بي الكلام في هذه الشعبة ( القديمة ) ، وأريد أن أحصر كلامي في الشعبة الأخرى ( الحديثة ) لأن البلية بها أكبر ، فهي تسقط من حسابها كل العلوم العربية نحوها وصرفها وبلاغتها ونصوصها الفصحى شعراً ونثراً ، كأن ذلك كله ليس له وجود وليس له آثار وليست لنا به حاجة منذ القرن التاسع عشر الذي حصرت الشعبة دراساتها فيه وفيما يليه ، كما تشير إليه المذكرة التفسيرية ، وأكتفي في هذا الموضع بأن أنبه القارئ إلى ما ذكرته من أمر المناهج التي تريد أن تفصل حاضرتنا ومستقبلنا عن ماضينا ، لأسألف إكمال الصورة التي نحن في صددنا بنقل ما جاء في المذكرة التفسيرية عن مواد الدراسة في هذه الشعبة بستيتها :

#### وفي السنة الثالثة :

- ١ — تاريخ النهضة العربية الحديثة في القرن التاسع عشر .
- ٢ — الأدب العربي الحديث في مصر والبلاد العربية .
- ٣ — تاريخ النقد الأدبي الحديث ، مع العناية بنواحي الاتصال بينه وبين النقد الأدبي الأوروبي .
- ٤ — التطور اللغوي العربي في العصر الحديث ، مع العناية بمشكلة الفصحى والعامية .
- ٥ — تيارات الفكر الإسلامي وحركات التجديد في العصر الحديث [ ١ ] .
- ٦ — المذاهب الكبرى في الآداب الغربية وتأثيرها في الفكر العربي .

[ ١ ] ذكرت هذه المادة في جداول دراسة اللغة الحديثة تحت اسم : « تطور الفكر الإسلامي في العصر الحديث » ، وذلك في مقال « دراسات إسلامية » في جداول الشعبة القديمة . فتأمل !

## «في السنة الرابعة :

- ١ — الحياة الثقافية والاجتماعية في البلاد العربية وصلتها بالأدب .
- ٢ — مدارس الشعر العربي الحديث .
- ٣ — مدارس القصة .
- ٤ — فنون الأدب الشعبي .
- ٥ — اللهجات العربية الحديثة .
- ٦ — ويقوم الطالب بدراسات لغوية حديثة ، مع العناية بالنحو المقارن والأصوات اللغوية .

هذه هي مواد الدراسة في الشعبة ( الحديثة ) منقولة عن المدكرة التفسيرية الملحقة بالجداول حرفا بحرف ( ص ٩٧ من تقويم الكلية السابق ذكره ) ، وهي تخلو خلوا تاما — كما ترى — من درس واحد في النحو أو الصرف أو البلاغة أو القرآن أو الدراسات الإسلامية أو الأدب العربي السابق على الحملة الفرنسية ، ويترب على هذه الطاهرة الخطيرة أمران خطيران : أولهما عدم صلاحية المتخرج في هذه الشعبة لتدريس اللغة العربية التي يحمل نحوها وصرفها وأدبها وبلاغتها . ليس هذا لحسب ، بل إنه سيكون حربا على العربية ومعمل هدم يعمل فيها ؛ لأنه إذا سئل عن شيء مما يحمله غطى جهله بالتمك بالعربية وقواصدها وأساليبها ، وسيكون من آثار ذلك أن ينشأ جيل من الناس لا يتم العربية ولا يتفوقها . فإذا نطق ناعق من بعدد بأن إعراب أو آخر الكلمات لا داعي له ، وبأن عربية القرون الأولى لغة ميتة لا وجود لها في الحياة ، فسوف يجد هذا الناعق لصوته صدى في عقول ذلك الجيل من الضحايا الذين ألقاهم سوء حظهم بين أيدي هؤلاء المعلمين .

هذه واحدة . أما الأخرى فهي أن هذه البرامج تهدد الدراسات العربية التي يريد المنهج أن يسميها ( كلاسيكية ) ، لأن بقاءها يصبح مرهونا بأهواء الشباب ، الذي قد تمسوه هذه البدعة ، فينصرف عن دراسة لغة القرآن ولغة الآباء والأجداد ولغة العرب الجامعة لشتاتهم إلى هذه الدراسات التي تحاول أن تربط حاضرا ومستقبلا الأدبي بالغرب في الوقت

الذي نقرن فيه ترانثا الأدبي الحلي العريق بالآداب السامية الميتة . آداب الريانية والعبرية ،  
لذا تجعلها جميعا في شعبة واحدة هي ( شعبة الدراسات العربية والشرقية القديمة ) .

فإذا تركنا برامج الشعبة ( الحديثة ) إلى الستين التمهيديين اللتين يشترك فيهما طلبة  
الشعبتين ، وتزعم البرامج أنها تزود الطالب فيهما بأركان الدراسات العربية ( في مرحلتها  
الكلامية ) ووجدنا أن الدراسات العربية لا تغطي فيهما بأكثر من نصف الوقت المحدد  
للدراسة ، وهو وقت قصير لا يتجاوز مجموعته أربعة عشر درساً في الأسبوع ، نصيب الدراسات  
العربية منه سبعة دروس أسبوعياً في السنة الأولى وتسعة دروس أسبوعياً في السنة الثانية .  
إن بعض هذه الدروس التي صممتها في إحصائي إلى الدراسات العربية يمكن إسقاطها من  
الحساب ؛ لأن مراجعة المذكرة التفسيرية تبين أن ما يدرس فيها ليس من صميم العلوم  
العربية ، بل هو في بعض الأحيان بعيد عنها . فبين دروس السنة الأولى السبعة مثلاً ثلاثة  
دروس باسم ( اللغة العربية ) تنص المذكرة التفسيرية على أنها دروس عامة يشترك فيها طلبة  
قسم اللغة العربية مع طلبة الأقسام الأخرى في دراسة سطحية تلائم غير المتخصصين ، وبين  
دروس السنة الثانية القسمة ثلاثة دروس تحت اسم ( دراسات لغوية ) ومحتت المذكرة  
التفسيرية ما يدرس فيها بقولها : ويبدأ هنا كذلك دراسة علم اللغة العام General Linguistics  
في تطورات الحديثة مع الإلمام بالمناهج الحديثة في دراسة الظواهر اللغوية - ص ٩٦ ، .

ذلك هو ما تتضمنه دراسة الطالب الذي تمنحه الدولة في نهاية هذه السنوات الأربع  
شهادة تسمى ( ليسانس اللغة العربية وآدابها ) تجعل لحاملها الحق في مباشرة تعليم اللغة  
العربية الناشئة من أشبال العرب . فهل ترى أن هذه الدراسة تعده للقيام بهذه الوظيفة وحل  
هذه الأمانة ؟

بقي بعد ذلك أن أعود لما بدأت به حديثي حين قلت إن فكرة هذه الشعبة ( الحديثة )  
قد بدأت في برنستون ، فأشير إشارة موجزة إلى مرحلتين سبقتا هذه البرامج تصوران نشأة  
هذا التوجيه وتطوره . أما المرحلة الأولى فهي تمثل في الكلمة التي ألقاها مقترح هذه  
البرامج في مؤتمر الثقافة الإسلامية المعاصرة الذي انعقد بجامعة برنستون الأمريكية في صيف  
سنة ١٩٥٣ ، وقد جاءت في كتاب ( الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ) تحت عنوان ( القيم  
الإسلامية والحياة الأدبية في عصر الحديثة ) بين صفحتي ٥٢٧ ، ٥٤٩ وهي كلمة لم يتضمنها  
تقدي لذلك الكتاب الذي نشر في عددي شعبان ورمضان سنة ١٣٧٦ .

ذكر الأستاذ محمد خلف الله في مقاله داك حين عرض لذكر الدراسات النقدية في قسم اللغة العربية بالإسكندرية أنها قد أثارت - فيما أثارته - معضلة لها نواحيها التطبيقية والتعليمية : تلك هي صلة علوم البلاغة العربية بالنقد الأدبي ، وهل تلك العلوم دراسات لزمان قد انقضى ويجب أن تخلى المكان للنقد الحديث - ص ٥٤٤ . ثم عرض في ذلك المقال لاسماء ( مشكلات اللغة العربية ) ، فذكر منها : الصلة بين الفصحى والعامية ، وأثر هذا الازدواج في إضعاف الجهود الفكرية للامة . وهل من المصدحة أن نعلم العامة بعد صفقها وترقيتها ، أو يحدث تقارب بين اللغتين ؟ وهل لطريفة الكتابة العربية التي تعبر عن مادة الكلمة لا صورتها أثر في صعوبة اللغة نفسها على متعلميها ؟ وإذا كان ، فكيف السبيل إلى إصلاحها ؟ - ص ٥٤٦ . وقال بعد ذلك في صدد ما سماه مشكلة الخط العربي : « ويبدو من المحتمل أن يقبل الرأي العام اقتراحا للإصلاح يقوم على الاحتفاظ بالطريفة العربية في الكتابة مع إضافة أحرف جديدة للحركات القصيرة ، تدخل بها الحركات في صلب الكلمة على نظام الكتابة الغربية - ص ٥٤٧ . ووصف هذه المعضلة الموهومة بأنها مشكلة عالمية ( ١٩ ) ، لأن حلها في نظره « يهم العالم كله . ومن الخير أن يتولى بحثها مؤتمر إسلامي عام يشترك فيه الإخصائيون من علماء الغرب - ص ٥٤٧ . أما ما سماه ( مشكلة العامة والفصحى ) فقد وصفها تارة بأنها ( ازدواج - ص ٥٤٦ ) ووصفها تارة أخرى بأنها ( ثنائية لغوية - ص ٥٤٩ ) . وزعم أنها « ظاهرة لها مضارها في سير الفكر والتعبير - ص ٥٤٩ . وكان من مضارها عنده صعوبة الاتصال المباشر بين الغربيين وشعوب العربية ( وذلك لما اضطر إليه الغربيون من الاقتصار على تعلم الفصحى واستمداد أساليبها من الكتب - ص ٥٤٩ ) . ومن عجب أن يراقب صاحب المقال الغرب في كل مقاله حتى يجعل لهذه المراقبة اعتبارا في نشأتها التي هي أخص خصائصنا . ويحاول الكاتب في ختام مقاله أن يلقي ستارا على رأيه الذي يبدو واضحاً في هذه المشاكل المزعومة ، فيقول إنه قد اقتنع منذ مدة « أن السبيل الوحيدة للداد العربية والإسلامية هي الحرص على اللغة الفصحى وتعميمها - ص ٥٤٩ . ولكن حقيقة أمره لا تليق أن تتضح حين يقين القارئ أن اللغة الفصحى التي يعنىها هي لغة أخرى معدلة متطورة في رسمها وفي مادتها ، إذ يدعو إلى استعمالها في شئون الحياة والفكر ، وإصلاح رسمها بما يسهل ذلك الاستعمال ، وإغنائها بكثير من عناصر الحياة

التي نفيض بها اللغة العامية ، وإختناعها لما لا يضيغ خصائصها الجوهرية من أساليب التطور والتجديد - ص ٥٤٩ ) .

فهذا المقال يصور مولد الفكرة في برستون ، وهو المرحلة الأولى في برامج قسم اللغة العربية . أما المرحلة الثانية التي توسعت بين نشأة الفكرة في صيف سنة ٥٣ وبين تنفيذها في البرامج الجديدة بقسم اللغة العربية في العام الدراسي ( ٥٥ - ٥٦ ) فهي مسجلة في مقال الأستاذ محمد حنظل في ( مجلة اتحاد كلية الآداب ) عن العام الدراسي ( ٥٤ - ٥٥ ) ، وهو يصور اختصار الفكرة ، وقد جاء هذا المقال تحت عنوان ( ثقافة الإسكندرية الحديثة - ص ١٢ إلى ١٤ ) ، وفيه يقول ، بعد أن أشار إلى عناية جامعة الإسكندرية بدراسة الفكر العربي الحديث : « وستشهد السنوات التالية المنبلة مزيد عناية بهذه الدراسة وتوسعاً في ميادينها ، حتى تشمل ظواهر التطور اللغوي والأدبي وتفرع اللهجات في وادي النيل والبلاد العربية ، ويزداد الاهتمام في هذه الدراسة بالجانب التجريبي من بحوث اللغة ، فينشأ معمل لتسجيل الأصوات وقياسها - ص ١٤ ، ١١ ) ، وقد قسم كاتب المقال الفكر الإسلامي والعربي في ختام مقاله هذا إلى ( فكر عربي وإسلامي كلاسيكي ) و ( فكر عربي حديث ) ، ودعا إلى « المحاضرة عنه في المعاهد الأوروبية والأمريكية التي تعنى الآن بدراسة هذا الفكر وتعرف اتجاهاته » ، ولست أدري إن كان قد سأل نفسه حين كتب هذا الكلام : ما هو سبب هذه العناية الجديدة من جانب أمريكا بتعرف اتجاهات الفكر الإسلامي الحديث ومحاولة توجيهه في اتجاهات معينة ١٢ .

ولأكتف من المقال بهذا القدر ، ولأتجاوز عما جاء به من اقتراح إنشاء (معهد لدراسات البحر الأبيض) بصح « كعبة للطلاب الغربيين الذين يفدون من أوروبا وأمريكا » ؛ لأن لذلك المعهد المقترح قصة أخرى غير ما نحن فيه ، ولأكتف هنا بأن أقول إن كل حديث عن « رابطة البحر الأبيض وحضارة البحر الأبيض » ، وشعوب البحر الأبيض لا يراد به إلا صرف الناس عن رابطة العروبة ورابطة الإسلام ، وعند حكومة تونس الراهنة وحكومة لبنان الغابرة الخبر اليقين .

وبعد فلست أحب أن أختتم مقال هذا قبل أن أتبّه القارئ\* إلى أن الخطر الذي تنطوي عليه كل هذه الاتجاهات المذرفة خطر مزدوج . فهو يهدد بقطع ما بين العرب بعضهم والبعض

(١) وقد أشقّ هذا العمل الذي ذكرت في صدر المقال أن طه حبيب قد مثل في إسنائه .

الآخر فيتناكر المتعاصرون منهم ، ثم إنه يحدد من ناحية أخرى بقطع ما بين العرب - جملة وأفرادا - في حاضرهم ومستقبلهم وبين قديمهم ، وبينهم وبين مصادر إسلامهم ، والخطران كلاهما ما نلان في برامج هذه الشعب الحديثة في الدراسات العربية والإسلامية .

وفي الوقت الذي أشرت فيه هذه الدراسة في إحدى كليات الآداب كان أنيس فريجة المدرس بالجامعة الأمريكية في بيروت يلقي محاضرات في الدعوة إلى دراسة اللهجات السوقية وآدابها والدفاع عنها من فوق منبر جامعة الدول العربية (١) ، وكان مجمع اللغة العربية في القاهرة مشغولا بدراسة هذه اللهجات ، وكان دعاة العامية وأعداء العربية يتجمعون وينشطون في الترويج لدعوتهم ويعلمون بها الصحف مستغلين اسم الثورة على ما هو معهود من أساليبهم في التضليل وانتهاز القمص ، لابسين ثوب الشعبية والدفاع عن لغة الشعب ، حتى أسمرت القومية العربية عن وجهها فأخرست كل ملجلج ، وكان بعض الأعضاء الذين شهدوا مؤتمر بجامع اللغة العربية الأول في دمشق يدعو إلى وضع معجم لغوي مستقل لكل إقليم عربي وإلى تبديل قواعد اللغة العربية وتغيير رسمها وإملاها ، وكانت هذه الاقتراحات في الوقت نفسه تتخذ طريقها إلى التنفيذ في كتب المطالعة والنحو التي يتداولها تلاميذ المرحلة الابتدائية والمرحلة الإعدادية في مصر .

أى صدقة عجيبة تلك التي ألقت بين هذه الجهود وأصدرت إليها أمرا بالرحف العام في وقت واحد ؟ يا لها من صدقة حكيمة عاقلة !

الدكتور محمد محمد حسن

أستاذ الأدب العربي الحديث

بجامعة الإسكندرية

[١] راجع « محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها » لأنيس فريجة . نشر معهد الدراسات العربية العليا سنة ١٩٥٥ .

## ذكرى ثورة الجزائر

• الكلمة التي ألقاها فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسين محمد مخلوف في الاحتفال الذي أقيم تحت إشرافه بدار المركز العام للتحريات الشباب المسلمين يوم ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ (٣ نوفمبر سنة ١٩٥٨) وخطب فيه الأساتذة الشيخ البشير الإبراهيمي وأحمد توفيق المدني والشيخ أحمد الشرباصي ومحمد مصطفى حمام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على إمام المجاهدين ، وعلى آله وأصحابه وأنباؤه الساترين على سته إلى يوم الدين .

( وبعد ) ففي هذه الليلة الزهراء ، ومن هذا الحفل الرائع ، نبث بأطيب التحيات والأمانى إلى إخواننا المجاهدين في الجزائر ، وإلى قادة ثورتها المباركة ، ونحيي أبلغ تحية رجال حكومتها الأحرار الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من العمل لتحرير أعتال الاستعمار المشتم في قطر الجزائر ، واستمرار الجهاد حتى تعود الجزائر إلى أهلها ، أرضا نقية طاهرة وبلادا عربية إسلامية يتمتع فيها شعبها بحياة حرة كريمة ، ويقوم بها على دعائم قوية من الاستقلال والحرية مجددا على النذرى وعزا بناوح السهى . ونهني الجزائر والعالم العربي والإسلامي بقيام هذه الحكومة الشرعية الحرة من خيرة أبناء الجزائر المجاهدين وزعمائها المخلصين ، تحمّل الأعباء الجسام ، وتهض بالمهام العظام . ونهني صديقنا العلامة الكبير والمجاهد العظيم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي شيخ علماء الجزائر ببشائر النجاح في تحرير الجزائر من ربة الاستعمار .

إن الشعب الجزائري شعب أبق بفطرته ، بأسل في حرايته . لا يرضى أن يقيم على هزيمة ولا أن يفضى على قذى . وله فوق ذلك من عزة دينه معتصم ، ومن قوة يقينه معتمد . نازل بهذه الأسلحة القوية وهذه القوى المتضافرة عدوا صلفا غشوما يجم على صدره في عقور داره وأذاقه على طول المدى بؤس الحياة ومرارة العيش .

عدا على الأرواح فأزغفها ، وعلى الأموال فاعتصبها . وعلى الحقوق فاستلبها ، وعلى الحريات فوأدها ، وعلى الكرامات فامتتها . فكان من ذلك وقود نار ألهبت الشعور ، وتأججت في الصدور ، فصمم هذا الشعب الأبي أن لا يعيش في وطنه على هوان ، وأن لا يسمح لكرامته أن تذل وتهان ، وعزم أن يعيش عيشة الأحرار الأعزاء في الوطن العزيز .

حاول بكل الوسائل السلبية أن ينال حقوقه المنصوبة ، فلم يجده نعمًا ولم يجد من العدو الباغي إلا صلما وكبرا وعنادا وبغيا ، فنازله في الميدان .

وإذا لم يكن من الموت بد فن العجز أن تموت جبانًا

نازل عدوه وهو أعزل من كل سلاح ، إلا من عقيدة الإيمان بالله وقوة الحق والقلوب الجياشة بالهزة الإسلامية والمعاني الوطنية السامية . وتلك أسلحة قوية لا تغل وقوى جبارة لا تنهر مهما طال المدى تهون بها الصعاب ، ويستعذب بها الأجاج ، ويقتسم من أدرع بها سفير الوغى لا يبالى لجب الجيوش ولا قصف المدافع ولا قذائف الطائرات .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين أمر بالجهاد لإعلاء الحق ومحو الظلم والبغى والافتراء على فتنه الشرك والمشركين - أعزل من كل سلاح وقوة إلا من هذه الأسلحة الماضية ، لجاهد في الله حق جهاده حتى تم له أنصر الميمن والله مقيم نوره ولو كره الكافرون .

وكذلك شعب الجزائر في حربه ضد الطغاة الغاصين ، سيكون له الغلب والفوز المبين بتوفيق الله تعالى والعاقبة للمتقين .

\*\*\*

### إخرواني :

إن الجزائر في ثورتها إنما تحامي عن دينها ووطنها وتدود عن أرواحها وحرياتها وتجاهد لاسترداد حقوق منتهبة ، وللدفاع عن أمانة في عنقها للأجيال المقبلة وتلك فريضة فرضها الله عليها ، ولا تزال الحرب سجالاتا بينها وبين عدوها الباغي . وإن تلقى السلاح حتى تطهر وطنها من الاستعمار والمستعمرين وتعيش حرة فلا حياة مع الذل والاستعباد .



أدت الجزائر واجبتها وستؤديه كاملا وافيا بالدم الغالي مهما كلفها ذلك من الضحايا ،  
وليس أدل على ذلك من تصميمها على مواصلة الجهاد مع إلقاء العدو نحو مليون من أبناء  
البلاد فيهم نساء وأطفال وشيوخ لا يدلم في القتال .

فما هو الواجب شرعا على المسلمين كافة حيال هؤلاء المجاهدين ؟ .

هذا سؤال أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جوابه بمثل رائع بليغ في معناه ، بعيد  
في مرامه . ضرب به ثيبانا للناس وتبصرة فقال : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل  
الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

هذا أثر الإيمان في النفوس الحية وهذا شأن المؤمنين الاختيار فيما ينوب فرداً أو طائفة  
منهم من الأحداث والتوب فما بالكم بما ينوب أمة بأسرها في دينها ووطنها وأرواحها  
وأموالها وحرمتها وكل عزيز لديها من عدوها في دينها ودنياها بمن في بغية وفساده في ماضيه  
وحاضره ومستقبله ؟ ؟ .

أليس التراحم والتعاون والتضامن والتضامن واجب وألزم ؟ .

وقد عتد الله تعالى بالإيمان بين أهله أسرة الأخوة الرحيمة فقال إنما المؤمنون إخوة .  
وناهيكم بأنفسهم بين الأخوين ، إنها حطفت وتراحم وتعاون في كل أمر ديني ودنيوي .

• • •

وانعقد إجماع المسلمين على أن بلاد الإسلام دار واحدة ، وأهلها جميعا إخوة في الإسلام  
لا يفرق بينهم تنائي الديار ولا اختلاف الأجناس ولا الألوان ولا اللغات ، ما دام يجمعهم  
التوحيد والقرآن . فيجب على المسلمين كافة في سائر الأقطار معاونة الجزائر في ثورتها على  
عدوها الباغى . بكل ما في الاستطاعة من المدد المادي والمعنوي ، حتى تضع الحرب أوزارها  
ويتصير الحق على الباطل ويثني الله صدور قوم مؤمنين .

• • •

أيها المسلمون :

هذا حكم الإسلام حيال ثورة الجزائر ، وهو حكمه حيال المجاهدين لإنقاذ فلسطين من

بني الصهيونية ، ولاسترداد هذا الوطن الغالي إلى حوزة الإسلام ، وإبقاء المسجد الأقصى في دار إسلام لم يمسه رجس . فأدوا واجبك حيال الجزائر وفلسطين بقدر ما في استطاعتكم . والجهاد كما يكون بالنفس لمن استطاعه يكون بالمال للقادرين . ففي الحديث الصحيح من جهن غازيا فقد عزا ويكون بالإمداد بالسلح الكافي ، وبالرأى وبالتصبيحة ، وبالحث بوسائله الحاضرة ، ويكون بمقاطعة الأعداء وحصارهم بكل سبل ، والقعود لهم بكل مرصد . فمن قصر في ذلك أو غخل الناس عنه أو والى الأعداء موالاة تضر جماعة المسلمين أو غش أو خادع فهو آثم إثما عظيما ، وليس منا ولنسنا منه في دين الله .

ونحن نحمد الله تعالى أجل الحمد وأتماء ، إذ تيقظت الشعوب العربية والإسلامية من سباتها ، ونفضت عن أردانها غبار التقاطع والتدابير ، وغار الاستخذاء والدلة ، وموالاة الأعداء المضررة ، وأجمعت أن تناضل عن حقوقها وتطهر أوطانها من رجس الاستعمار ، وتميش في ديارها قوية عزيزة في ظلال الإسلام والسلام والتعاون والإخاء .

ولنا نبتهل إلى الله تعالى أن يوفق قادة المسلمين عامة لما فيه الخير والصلاح ، وأن يجرى حكومة الجزائر الحرة عن وطنها وعن الإسلام والعرب خير الجزاء ، ويهبها من لدنه توفيقا وتسديدا فيما هي سبيله من خير وجهاد مشكور . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

حسنين محمد مخلوف

مفتي الديار المصرية سابقا وعضو جماعة كبار العلماء

### تصويب

وقع في بعض نسخ هذا الجزء أخطاء مطبعية نرجو من القارئ تصويبها بالقلم :  
في صفحة ٤٠٧ السطر ١١ « كخيفة ، صوابها « كخذية » . « فسطاسه ، صوابها « فسطاطه » .

في صفحة ٤٢٥ السطر ١٨ « فأغير حرفا ، صوابها « فغا غير حرفا » .

في صفحة ٤٣١ السطر ١٦ « أبي ذرعة ، صوابها « أبي ذرعة » .

في صفحة ٤٣١ السطر ١٧ « صلى الله ، صوابها « صلى الله عليه وسلم » .

## القائد الأسود

نحن الآن نعيش في القرن العشرين؛ القرن الذي يسمونه قرن الحضارة والمدنية والتور؛ ومع ذلك لا يزال الغربيون الذين يدعون أنهم أمّة هذه الحضارة يرتكبون من السيئات والمسكرات ما لا يمكن أن يدخل تحت المعنى الصحيح للحضارة .

ولعل أقيح السيئات التي يأتيها أبناء الغرب في مختلف بقاع الأرض هي تلك التفرقة اللونية والعنصرية التي يثرون غبارها ويشملون سميرها بين البيض وغيرهم ، لا شيء إلا لأن الله عز وجل قد خلق بعض الناس ببشرة بيضاء وبعضهم ببشرة سوداء . . .

ومن أجل هذا الاختلاف في اللون نجد البيض الذين يزعمون التمدن والتحضر والرفق يذيقون السود ألوان العذاب ، ويسمونهم أنواع الاضطهاد ؛ مما لا يتفق مع دين إلهي ، ولا أخوة إنسانية ، ولا زمالة بشرية ، ولا عهد تنادى فيه بالمعالة والمساواة . . .

وهنا يشرق نور الإسلام زاهياً رائعاً يفيض بآيات الحكمة وينابيع الرحمة ، فإنه لم يقم وزناً لاختلاف الألوان أو الأجناس أو الأنساب أو الأحساب ، بل جعل الناس أمة واحدة من ناحية القيمة الإنسانية والمكانة البشرية ، وجعلهم سواسية كأسنان المشط في الاستواء ، فلا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض ، إلا بالتقوى . . .

وإذا كان الغربيون اليوم يضطهدون السود ويحتقرونهم ، ويطردونهم ويعذبونهم ، ويعتدون عليهم بشئ ألوان الاعتداء ، ويمرمونهم التمتع بالحقوق الطبيعية التي لا يكون الإنسان إنساناً صحيح الإنسانية إلا بها ؛ فإننا نجد التاريخ الإسلامي تعطر صفحاته بسير رجال كان لونهم أسود ، ولكن الإسلام أعلى شأنهم وأعز مكانتهم ، وقدمهم على غيرهم بفضل جهادهم وعملهم الصالح . . .

ومن هؤلاء : الصحابي البدرى أحد النقباء أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري الخزرجي المدني ، الذي شهد العقبة الأولى والثانية مع النبي صلوات الله عليه ،

وكان نقياساً في لينة العقبة على جماعة « القوافل » . وشهد بدماء وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختاره النبي ليكون عاملاً على الصدقات ، كما أن عبادة رضى الله عنه كان يعلم أهل العنفة القرآن الكريم ، وأخى النبي بنه وبين أبي مرثد الغنوى .

ولما فتح المسلمون الشام على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل عمر عبادة ومعاذاً وأبا الفداء إلى الشام ليعلموا الناس فيه ويفقههم ، وقد أقام عبادة من أجل ذلك زمناً في « حمص » ، ثم سار بعد ذلك إلى فلسطين ، وقد ذكر الإمام الأوزاعي أن عبادة هو أول من ولي قضاء فلسطين .

وقد توفي عبادة في بيت المقدس - وقيل في الرملة - سنة أربع وثلاثين للهجرة عن اثنين وسبعين عاماً ، وقيل توفي ستة خمس وأربعين ، ويرجح النووي القول الأول ويعبر عنه بأنه : أصح وأشهر . . .

وكان عبادة كما يصفه المؤرخون رجلاً فاضلاً خيراً ، وكان أسود اللون ، جميلاً جسيماً طويلاً ، كان طوله عشرة أشبار بمقياس السابقين .

وقد روى عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وأحدًا وثمانين حديثاً ، انفق البخارى ومسلم منها على ستة ، وانفرد البخارى بحديثين ، ومسلم بآخرين . وروى عنه أنس وجابر وأبو أمامة وفضالة ورفاعة بن رافع ومحمود بن الربيع ؛ ومن التابعين أولاده : الوليد وعبيد الله وداود بنو عبادة ، وخلائق غيرهم .

وقد جاء في كتاب « غرابة الإسلام » أن الإمام أحمد ذكر في مسنده عن عبادة بن الصامت أنه قال لرجل من أصحابه : « يوشك إن طالت بك الحياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فأعاده وأبداه ، وأحل حلاله وحرم حرامه ، ونزل عند مثاله لا يجوز فيكم إلا كما يجوز الحمار الميت » ١ .

ومعنى يجوز : يسير . والمعنى أن منزلته تكون بين الناس صانعة ١ . . .

وعلى الرغم من سواد عبادة نراه يطلو في مكاته ، ويرتفع في حركته بفضل دينه وخلقه وعمله ؛ وقد اشترك عبادة مثلاً في الفتح الإسلامي لمصر ، وكان نجمه متألقاً في هذا الفتح ، حتى قاد الوفد الإسلامي الذي توجه لمفاوضة المقوقس ، وفي هذه المفاوضة جرى حديث يتعلق بسواد لون عبادة يتضمن ما يستحق التأمل والتدبر ...

في السنة العشرين كتب عمرو بن الخطاب إلى عمرو بن العاص لينتجه إلى مصر ليفتحها باسم الإسلام ، بعد أن طال إلحاح عمرو على الخليفة ليأذن له في الفتح ؛ ومضى عمرو في طريقه حريصاً على إتمام هذا الفتح بأسرع ما يمكن ، حتى بلغ مع الجيش حصن « بابليون » وهناك لقي متارمة ، فاستعان بالخليفة فأمدّه ، ثم استعان به فأمدّه بأربعة آلاف جندي ، لم أربعة قواد ، كل قائد منهم بألف رجل وهم : عبادة بن الصامت ، والزيير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، ومسلمة بن مخلد ، وقال الخليفة لعمرو : « اعلم أن معك اثني عشر ألفاً ولن تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة » .. ١١

وحدث أثناء الفتح أن كان عبادة بن الصامت يصلي وهو في ناحية من معسكر المسلمين ، فهجم عليه جماعة من الروم ، فسلم من الصلاة ، ووثب على فرسه ، وهاجمهم ففروا أمامه ، فتبعهم ، فحلقوا يلقيون في طريقهم بأمثمتهم ونعائسهم ليشغلوه بها ، فما التفت إليها ، وما زال يطاردهم حتى احتصموا منه بالحصن ، فعاد دون أن يلتقط شئاً من أمثمتهم ، ولما بلغ مكانه استأنف صلاته من جديد .. ١٢

وقوى ساعد المسلمين بالمدد ، وخاب الذين في مصر من العاقبة ، فأرسلوا إلى عمرو وفداً للمفاوضة ، فمرص عليهم عمرو واحدة من ثلاث . إما أن يدخلوا في الإسلام ليكونوا إخوة للمسلمين ، لهم ما لهم ، وعليهم ما عليهم . وإما أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ولم الأمان والنفع عنهم بقوة المسلمين . وإما القتال حتى تضع الحرب أوزارها ، ويحكم الله بين الفريقين ، وانه خير الحاكمين ! ...

وعاد الوفد إلى المقوقس فسألهم . كيف رأيتم المسلمين ؟ قالوا : رأينا قوماً الموت أحب إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ( أي ولوح ) .

فأكد المقوقس لقومه أن مثل هؤلاء لو أرادوا إزالة الجبال لأزالوها ، وما يقوى على

قاتلهم أحد ، وأشار عليهم بالاستمرار في المفاوضة للصلح . وأرسل المقوقس إلى عمرو يطلب منه إرسال وفد من قبله للتفاوض معه ، فأرسل عمرو إلى المقوقس عشرة رجال من الجيش ، وحمل رأسهم الفائد الأسود ، والبطل المسلم ، عبادة بن الصامت ، ووكّل عمرو إلى عبادة أن يتكلم باسم الوفد ، وأن يكون زعيماً له ، كما أمره ألا يقبل من المقوقس إلا واحدة من الثلاث التي سبق ذكرها .

وتوجه الوفد إلى المقوقس وفي طليعته عبادة بن الصامت ، فلما رآه المقوقس وشاهد سواده هابه وقال :

نحوا عن هذا الأسود ، وقدموا غيره يكلمني !! .

فرد عليه الوفد بأجمعه : إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً ، وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا ، وإنما نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه ، وقد أمره الأمير دوتنا بما أمره ، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله ...

فتعجب المقوقس من ذلك كثيراً ، وقال لهم يسألهم :

كيف رضيتُم أن يكون هذا الأسود أفضلكم ، وإنما ينبغي أن يكون هو دونكم ؟! . فأجابوه ببلغة الإسلام الخفيف الذي يسوى بين الناس ، ويعرف لهم أقدارهم بما يقدمونه من عمل وجهاد ، فقالوا :

كلا ، إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً ، وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً وليس يشكر السواد فينا ! .

ولم يجد المقوقس مناصاً من التسليم والرضى بالأمر فقال لعبادة : تقدم يا أسود ، وكلني برفق ، فأبني أهاب سوادك ، وإن اشتد كلامك على ازدادت لك هبة !! .

واحتمل عبادة ما في كلام الرجل من جموة ، فغرضه الذي جاء من أجله أم بكثير من شخصه ، فتقدم من المقوقس وقال له بثبات :

قد سمعت مقاتلك ، وإن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل كلهم مثلي ، وأشد سواداً مني ، وأفطع منظرأ ، ولو رأيتم لكنت أهيب لهم مني ، وأنا قد وليت وأدبر شبابي ؛ وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعاً ، وكذلك أصحابي .

وذلك إنما رغبنا وهمتا الجهاد في الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدوا من حارب الله لرغبة في الدنيا ، ولا حاجة للاستكثار منها ، إلا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا . وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا ، وما يبالي أحدنا أكل له قناطير من ذهب أم كان لا يملك إلا درهما ؛ لأن صاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ليته ونهاره ، وشمله يكتفها ، وإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قطار من ذهب أنفق في طاعة الله تعالى ، واقتصر على هذا الذي بيده ويلفه ما كان في الدنيا ؛ لأن نعم الدنيا ليس بنعيم ، وورعها ما ليس برعاء ، إنما النعيم والرعاء في الآخرة .

بذلك أمرنا الله ، وأمرنا به نبينا ، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا في الدنيا إلا ما يمسك جوعته ، ويستر عورته ، وتسكون همته وشغله في رضا ربه ، وجهاد عدوه . . . . . فلما سمع المقوقس منه ذلك ازداد هبة له ورهبة منه ، فقال لمن حوله . هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هبت منظره وإن فوله لأهيب عندي من منظره . . . . .

وبعد أن نوه المقوقس بقوة المسلمين وغلبتهم انفتحت إلى عبادة وقال له :

أيها الرجل الصالح ، قد سمعت مقالاتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمري ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت ، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها ، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده : قوم معروفون بالنجدة والشدة ، بمن لا يبالي أحدكم من أبق ولا من قاتل ، وإنا لنعلم أنكم لن تقفوا عليهم ، ولن تطيقوا مضاعفكم وقتلكم . . . . .

ثم عرض على عبادة أن يأخذ لكل جندي دينارين ، وللأمير عمرو مائة دينار ، وللخليفة ألف دينار ، على أن ينصرفوا . فقال له عبادة :

يا هذا ، لا تغرن نفسك ولا أصحابك . أما ما تخوفناه به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا تقوى عليهم ، فنعمرى ما هذا بالذي تخوفنا به ، ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه . إن كان ما قلتم حقا فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم وأشد لحرصنا عليهم ؛ لأن ذلك أعذر لنا عند الله إذا قدمنا عليه ، إن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا من رضوان الله وجهته ؛ وما من شيء أقر لأصقنا ولا أحب إلينا من ذلك .

وإنا منكم حينئذ على إحدى الحسين : إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن طفرنا بكم ، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا ، وإنا لأحب الحاصلين إلينا بعد الاجتهاد منا .

وإن الله عز وجل قال لنا في كتابه : « كما من فئة قليلة علبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » ، وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحا ومساءً أن يرزقه الشهادة ، وألا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحد منا هم فيها خطفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ، وإني ما أماننا .

وأما قولك إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالتنا فنحن في أوسع السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه ، فانظر الذي تريده فينه لنا ، فليس بيننا وبينك خصلة تقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث ، فاحترأيتها شئت ، ولا تطمع نفسك في الباطل ، بذلك أمرني الأمير ، وبه أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبله إلينا :

إما إجاباتكم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله غيره ، وهو دين نبينا وأنبيائه ورسله وملائكته - صلوات الله عليهم - أمرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ، ورغب عنه حتى يدخل فيه ، فإن فعل كان له مالنا وعليه ما علينا ، وكان أخانا في دين الإسلام .

فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة . ورجعنا عن قتالكم ، ولم نستحل أداكم ولا التعرض لكم ؛ وإن أيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأتم صاغرون ، نعمالكم على شيء نرضاه نحن وأتم في كل عام أبدا ما بيننا وبينكم ، ونقاتل عنكم من ناوأكم ، أو عرض لكم في شيء من أروصكم ودمائكم وأموالكم ، ونقوم بذلك عنكم ، إذ كنتم في ذمتنا ، وكان لكم به عهد علينا .

وإن أيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكاة بالسيف حتى نموت عن آخرنا ، أو نصيب ما نريد منكم . هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به ، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره ، فانظروا لأنفسكم .

وبعد مفاوضات تم الصلح ، وفتحت مصر أبوابها لأضواء الإسلام ، بعد أن تألق نجم القائد الأسود عبادة بن الصامت في هذا الفتح ، وبعد أن أوقع الهبة والزهبة في قلوب أعدائه ، فسلام عليه في المجاهد ١١١ . . .

أحمد الشرباعى  
المدرس بالأزهر الشريف



## حقائق يفنى أن تعرف

أولع بعض الناس في الأزهر وغيره بالنيل من كتبنا التي ندرسها في الأزهر ، وأسرفوا في ذلك وعمموا الحكم فلم يستثنوا شيئاً ونعتوها بشئ النعوت ، ولم ينتصروا عليها بل تعدوها إلى مؤلفيها فاعتدوا عليهم ونالوا منهم ظالمين .

لقد رموا تلك الكتب بأنها سيئة الأساليب ، مضطربة العبارات ، بضحت عليها عجمة مؤلفيها فجاءت صوراً لأفكارهم المشوشة ، وعصورهم الماطلة ، ترهق دارسها ومدرسها وتعطى أكثر مما تأخذ من الجهد والوقت ، وتطرف أشخاص من هؤلاء فقالوا : إن تلك الكتب عوقت كثيراً من الألسنة والعقول كان يرجى لها أن تكون أكثر رشاداً وسداداً . وأخذ المتحدثون عن الأزهر والراعمون الغيرة على إصلاحه يرددون هذا القول حتى صار سلوى الكاتبين .

إن التشكك في جدوى تلك الكتب والتقليل من شأنها والدعوة إلى استبدال غيرها بها مما ألف في العصور الإسلامية الأولى قبل أن يستعجم التأليف كما يقولون حديث قديم ، نشأ منذ نشأت الدعوة إلى إصلاح الأزهر : أى منذ أكثر من نصف قرن ، ولعل أبرز من أثاره الإمام محمد عبده ثم كان الحديث بعده تقليداً له وصدى لحديثه ، وقبل أن نحكم على ما في هذه الدعوة من خطأ أو صواب ونبين مدى ما فيها من خير أو شر - يجب أن نذكر في إجمال خصائص كل صنف من الكتب : أعني الكتب التي ألفت في العصور الإسلامية الأولى ، والكتب التي ألفت بعدها في العصور المتأخرة ، والتي ندرس كثيراً منها في الأزهر الآن .

إن الكتب التي وضعت في العصور الأولى كتب قصد بها مؤلفوها جمع شتات العلوم ، وتقيد أوابدها ، لم يلاحظ فيها ترتيب ولا تبويب ، ولم تلاحظ فيها الموضوعية أعني جمع مسائل الموضوع الواحد تحت عنوان خاص أو في مكان خاص ، كما لم يلاحظ فيها الدقة المنطقية في الحدود والرسوم ولا الدقة في المصطلحات العلمية ، إلا أنها تمتاز بالأسلوب المرسل

الذي يحاله الفارسى العادى سهلاً ويراه الباحث الفاهم سهلاً أيضاً ولكنه السهل الممتنع . أما الكتب التى ألفت فى العصور المتأخرة والتى تدرس فى الأزهر فقد تداركت ذلك وعينت بالترتيب العلمى وبالتحديد القواعد وبالموضوعية فى التأليف على نحو ما فسرناها ، كما عينت بضبط المصطلحات . فأصبحت كتباً دراسية منهجية واضحة الصوى والمعالج يسير العالم والمتعلم فيها على هدى واستبصار ، ويستطيع المتعلم فوق ذلك تحصيل ما يريد منها واستدكاره لينتفع به عند الحاجة إليه فى مراتق الامتحان ، وإما لضرب الأمثال ببعض تلك الكتب ليرجع إليها من يشاء فى الموازنة والمقارنة ويتبين صدق ما قلناه ، إن أول ما ألف من كتب الأصول هو كتاب الرسالة للإمام الشافعى ، فإذا ما قورنت بكتب المتأخرين من الأصوليين التى تدرس فى الأزهر : كجمع الجوامع أو مسلم الثبوت أو الاسنوى وجدنا البون شاسعاً بين طريقتى التأليف فى ضبط القواعد وتحرير المصطلحات وجمع المناسبات وغير ذلك ، مما تمتاز به كتب المتأخرين ولا شك أن لذلك أثره فى تحصيل العلم واستدكاره وسهولة فهمه وتفهمه . وكذلك الحال إذا ما قارنا بين أول ما ألف من الكتب فى البلاغة وهو دلائل الإيجاز وأسرار البلاغة للإمام عبد القاهر وبين ما ألف بعدهما من الكتب كالإيضاح وتلخيص المفتاح للقرظي فإننا نجد الفروق التى ذكرناها واضحة ، فقواعد البلاغة فى كتابي عبد القاهر مشتقة لا يرتبطها نظام وليس لحدودها إحكام ويسر على من يقرؤها أن يظفر بمحصول بلاغى محدود ، ولقد مارسناها دراسة وتدريسا فما استغنينا بهما ، وتعلمنا على موائد القرظي فى كتابيه .

ولا تختلف الحال أيضاً فى كتب النحو إذا قارنا بين أول ما ألف من كتبه ككتاب سيبويه ، وما ألف بعده كألفية ابن مالك وشرحى ابن عقيل والأشعري عليها فبين هذين النوعين من الكتب من الفروق ما يعله الدارس الممارس مما يستبين به فضل ابن مالك وشارحيه على النحو وجعله سهل التناول غريباً على الأهمام ، والامر كذلك فى كثير من الفنون .

ولئن كان للتقدمين فضلهم فى وضع العلوم وجمعها وحفظها فقد كان للتأخرين فضلهم فى ضبطها وتحديثها وتقريبها .

وهذا الضبط والترتيب أصبحت كتبهم دراسية منهجية تصلح للدراسات المحددة المناهج والأوقات ، والتى تحتم على الطالب استدكار معلومات مقررته عليه أن يعلقها حتى يحلبها لوقتها

آخر العام الدراسي ، ولا تصلح كتب المتقدمين لهذه الغاية ، وإنما تصلح للدراسات الحرة التي لا يسأل فيها المدرس عن يفهم وعن لا يفهم وعن ينبج وعن لا ينبج ، أو تصلح للراجعة عند البحث الراث والوقت الفسيع .

إن الإمام محمد عبده دعا إلى استبدال تلك الكتب بعد أن فضج عقله واستوى تفكيره وحصل من العلوم في كتب المتأخرين ما يستطيع به أن يفهم كتب المتقدمين ، ويلتخص ما شاع فيها من القواعد . ويلتخص ما اشتبه من المسائل ، ولم يمارس التدريس في الأزهر ممارسة خاضعة للنظم والبرامج بل كانت ممارسة طليقة ليس فيها مسئولية وليس عليها حساب ، ولم تكن النظم الدراسية قد استقرت على ما هي عليه الآن ، واقتضت ما اقتضته من تحصيل واستدلال ومراجعة وامتحان . أما وقد قضى التطور الإصلاحي في الأزهر أن تكون نظم الدراسة كما هي الآن : فقد أصبح من الحتم أن نستمسك بالكتب الدراسية المقررة حالياً ، والتي ثبتت على التجارب والدراسات الواعية أزماناً طويلة ، وكل دعوة إلى استبدالها دعوة أقل ما يتمال فيها إنها مجازفة غير مضمونة النتائج .

والدعوة إلى استبدال كتب حديثة بها دعوة تمتحن النظر والتفكير العميق أيضا ، وقد يقضى ذلك إلى التنازل عنها أو تأجيلها إلى وقت طويل ، فقد جرب الأزهر بعض تلك الكتب ثم عدل عنها إلى ما كان مقرراً من قبل من الكتب القديمة ، قرر دراسة رسالة التوحيد ثم عدل عنها إلى كتاب الجوهرة ، وقرر صفوة صحيح البخاري في الحديث ثم عدل عنها إلى شرح الشرقاوى ، كما عدل عن غيرهما لعدم ملائمتها لأذهان الطلاب وإعدادهم إعداداً منهجياً ، وقد عمد بعض المدرسين في الكليات والمعاهد إلى تصنيف مذكرات في بعض العلوم استجابة لدعوات إصلاح الكتب فكانت صورة مصغرة للكتب المقررة ، وما أغنت مذكراتهم وما حدث مجهوداتهم ، وهم في ذلك معنودون .

ذلك أن للعلوم أساليبها الخاصة ، ومصطلحاتها طابعها الخاص ، وبرغبتنا أن نقول إنه طابع الجود والصلابة ، وكما أن علوم الطب وللصيدلة والهندسة لغتها ومصطلحاتها ذات الشخصية القوية التي تأتي على التطوير وتظل كما هي على الزمن ، فعلوم الأصول والمنطق والنحو لغتها ومصطلحاتها كذلك وإنها لتفرض وجودها في كل تأليف وفي كل عصر ،

وليس على الأزهر من حرج في أن يحتفظ بكتبه ذات الطابع العلمي الخاص ، كما أنه ليس على غيره من كليات الطب والهندسة وغيرهما أن تحتفظ بكتبها ذات الطابع الخاص أيضا .

إن الدعوة إلى نبذ الكتب الأزهرية واستبدال غيرها بها دعوة ينقصها التحصيل كما تنقصها التجربة والنظر الصحيح ، وعلى القائمين بها أن يترثثوا ويتدبروا ليعرفوا بين الممكن وغير الممكن ، ولقد مضى على تلك الدعوة أكثر من نصف قرن كما ذكرنا أنه فيه غير واحد من علماء الأزهر ، فكلم من هؤلاء استطاع أن يؤلف في علوم الأزهر ما يفضل الكتب التي تدارسها ويرحزها عن مكاتبا العلمية . لقد ألف الإمام محمد عبده رسالته في التوحيد كما ألف في التفسير فهل استطاع أن يحقق أحلام الكاتبيين في تسيط هذين العليين إلى الحد الذي يعنى الدارسين عن التفكير الفاحص والنظر الدقيق ؟؟ .

هذه حقائق ينبغي أن تعلم ولم يدعنا إلى تسجيلها تعصب للقديم ونفور من الجديد ، ولكن أملتنا علينا المصاحبة القائمة على التجربة والملاحظة ، ولينهمها بروح الإنصاف من يشاء ، وليعتسف بها عن الجادة من يريد ، والله يعلم حسن القصد فيما كتبت وهو حسي ؟

أبو الوفا المراغي

## فرنسا في الجزائر

سرى بخاتة الضمائر واستعمري شمع الجزائر  
سرى ، وتلك بحجة المستعمرين وكل جائر  
وتسابق للوقعات بكل فاجرة وفاجر  
وتقننى بالمسلم الحر الذى سن الحرائر  
لا بد من يوم أغر به يحاسب كل مساند  
عبد الكريم الدجيل

## أسرار التكرير في القرآن

ذكرنا في المنال السابق أن هناك خصائص أسلوبية شاعت في القرآن المبني مرتكزة على أسس نفسية ، وأحوال وجدانية ، تلك الطواهر هي :

التكرير ، والقسم ، والإيجاز ، وافتتاح بعض السور بحروف من أحرف التهجى .  
والآن نبدأ في الكلام تفصيلا على كل ظاهرة من هذه الطواهر لنبين ما بطوت عليه من أسرار بلاغية ومحاسن بيانية . وهذا - ولأريب - وجه من أوجه الإيجاز القرآني الذي عجز الجن والإنس - وقد تحداهم - أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .  
ولنبدا يبحث أسرار التكرير فقول :

إن للتكرير في القرآن الكريم مواطن شتى ومظاهر أسلوبية متعددة . ففي قصصه تكرر وفي أنبائه تكرر وفي آيات خاصة تكرر . وسنقتصر بحثنا في هذا المقال على ما جاء من تكرر آيات بذاتها وجمل بعضها كما جاء في سورة الرحمن والمرسلات والقمر وسورة الشعراء ، وكلها سور نزلات في العهد المبني ، وشيوع هذه الظاهرة إنما وجد فيها لما اقتضته غبطة قريش وإيغالهم في الوثنية وإنكارهم على محمد صلوات الله عليه وشماهم من دينه . فحاطبهم الله ع . وجعل بقوارع من الكلام كالصوارم وزواجر من الوعيد كالهم ، وأن يكرر لهم هذا التثريب لتلين قناتهم ويسلس قيادهم ، وأن يردد لهم هذا الرجز ليدكرهم بفواصل الآيات ما تضمنته من العبر وما توحى به من المعطات .

فإن التكرير من أهم العوامل لبث الفكر في نفوس الجماعات وإقرارها في قلوبهم إقرارا يتهي إلى الإيمان بها وقيمة التوكيد بدوام تكرير ألفاظ بعضها يقول جوستاف لوبون في كتابه « روح الاجتماع » ، « إذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخا ينتهي بقبوله حقيقة ناصعة » . ولقد شنع المستشرقون على هذا الصرب من الأسلوب وعنده ضمعا وركه كما جاء في مادة « قرآن » من دائرة المعارف البريطانية حيث ذكر كاتب المنال فقال :

« ليس هناك مهارة أدبية عظيمة واضحة مبنية في التكرير الذي لا لزوم له لنفس كلمات .  
بعضها وجمل بذاتها » .

ولا غرابة في أن تخفى على المستشرقين أسرار هذا التكرير فهم لم يأنفوه في لغاتهم ولو أنفوه لما أدركوه في اللغة العربية ؛ لأن لكل لغة ذوقا خاصا لا يمنحه إلا أهلها ومن نشئوا على تذوقها .

فالتكرير من أساليب اللغة العربية التي شاع فيها منذ عهودها القديمة ، فجاء القرآن الكريم على نمط من أساليبهم إلا أنه في صورة معجزة وبلاغة ساحرة .  
من الأمثلة على ذلك النوع من التكرير ما جاء في سورة ( الرحمن ) فقد تكرر في هذه السورة ( فبأى آلاء ربكنا تسكذبان ) إحدى وثلاثين مرة .

والسر في ذلك هو أن الله تعالى قد عدد في هذه السورة نعماءه وأذكر عباده آلاءه وينبهم إلى قدرته ولطفه بخلقه ثم أتبع ذكر كل منه وصفها بهذه الآية ( فبأى آلاء ربكنا تسكذبان ) وجعلها وصلة بين كل نعمتين ليمهمهم النعم ويقرروهم بها ، وهذا كقولك للرجل وقد أحسن إليه دهره وتابعت عنده أياديك وهو في كل ذلك يشكرك ويكفر بنعمتك فتقول له :

ألم أبوك منزلا وأنت طريد ، أفتشكر هذا ؟  
ألم أنقذك من هلاكك في حادث الحريق أفتكر هذا ؟

ولكن ربما يقال : إذا كان هذا واضحاً في الآية التي تدل على النعم في الدنيا كقوله تعالى ( مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان ) ، ( يخرج منها اللؤلؤ والمرجان ) .

أو في الآيات التي تدل على النعم في الآخرة من وصف الجنة ونعيمها وفرشها وفواكهها ( متكئين على فرش بطأتها من استبرق وجنى الجنتين دان ) ، ( فين قاصرات الطرف لم يطمثن إنس قبلهم ولا جان ) ، ( كأنهن الياقوت والمرجان ) . فأى نعمة في قوله تعالى ( كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ) بل أى نعمة في قوله تعالى ( يرسل عليك شواطئ من نار ونحاس فلا تنصران ) ، ( يعرف المجرمون لسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام ) ، ( هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ، يطوفون فيها وبين حيم آن ) .

فللجواب عن ذلك في الآية الأولى وهي ( كل من عليها فان ) نقول :

إن في هذه الآية التسوية بين الصغير والكبير والمالك والمملوك والظالم والمظلوم في

الفناء المؤدى إلى دار البقاء وبجائزة المحسن والمسيء بحقه من الجزاء ، فالظلم يؤخذ حقه من الظالم والظالم يجازى على ظله ، فلا نعمة إذن أكبر من هذا العدل المطلق للنفوس المريح للقلوب . وفي هذا نوع من القسوة للظالمين ، وإدخال العزاء على المهصومين - وما أكثرهم - وفيه نوع ودع للظالم وذجر للطاغية .

ألا ترى إلى قوله تعالى ( قل لمن ما في السموات والأرض ؟ قل لله كتب على نعمة الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ) .

وقد أوجب الله على نفسه الرحمة بخلقه ، ومن مقتضى هذه الرحمة أن يجمعهم إلى يوم القيامة ؛ لأن هذا الجمع لأجل الحساب والجزاء رحمة بالعالم حيث يقضى على الفوضى والإهمال واستباحة الظلم ، والعلم بذلك رحمة أيضا لأنه وازع نفس لا يتم تهذيب النفس بدونه . فهذا الوعد بالجمع يبعث الطمأنينة ويشيع السلام .

أما الجواب عن السؤال التالي ، وهو أى نعمة في وصف جهنم وإنذار الثقلين وتخويفهما بشواظ من نار ونحاس ، فنقول :

إن الله تعالى منم على عباده بنعمتين : نعمة الدنيا ، ونعمة الدين . وأعظمهما هي الأخرى ، واجتهاد الإنسان ورغبته مما ، يؤلم أكثر من اجتهداه ورغبته فيما ينعم به عليه ، فالإرهاب زجر على المعاصي وبعث على الطاعات وهو سبب النعم الدائم .

فأية نعمة أكبر إذن من التخويف بالضرر المؤدى إلى أشرف النعم ، فلما جاز عند ذكر الله ما أنعم به علينا في الدنيا وعند ذكره ما أعدّه للطغيين في الآخرة أن يقول سبحانه في هذين المتامين ( فبأى آلاء ربكما تكذبان ) جاز أن يقول ذلك عند ذكر ما يحموننا به مما يصرفنا عن معصيته إلى طاعته التي تكسبنا نعيم جنته كذلك ، ففعل العقاب وإن لم يكن نعمة فذكره ووصفه والإنذار به من أكبر النعم ؛ لأن في ذلك زجرا عما يستحق به العقاب وبعثا على ما يستحق من الثواب .

وهكذا الشأن في جميع التكريرات فإن الباحث لها يجد أسراراً عجيبة وحكايا بلاغية ساحرة تتعلق بموضوع السورة وأهدافها وبمعجيب سياقاتها ومعجز نظمها .

قال الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه « البرهان » :

« جاء في سورة المرسلات ( ويل يومئذ للكافرين ) عشر مرات ، وذلك لأنه سبحانه ذكر قصصاً مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول فصار كأنه قال عذب كل قصة : ويل للكاذب بهذه القصة ، وكل قصة مخالفة لصاحبها فأثبت الويل لمن كذب بها » .

والتكرير في سورة ( المرسلات ) كالتكرير في سورة ( الرحمن ) من حيث إنها تضمنت ذكر نعم مختلفة ، ونعم متعددة فكان إذا ذكرهم بنعمة أو خوفهم من نعمة ، أكد التذكير والتحذير بذكر الويل والهلاك المهيأ للكافرين الذين استحقوا هذه النعمة ، أو تهاونوا بتلك النعمة ، فيكون ذلك رادعاً للخطابين عن الغفلة وزاجراً لهم عن التماهي في التكذيب وركوب الرأس في العناد .

وفي هذا التكرير من هو السامع والتأثير في نفسه ، ما لا يخفى على المتأدب المتذوق من لغة العرب ، وما فيها من كل معنى عجيب .

والمتنبع لأعاجيب القرآن الكريم ، وأساليبه التي فوق طاقة البشر سيجد لكل نمط من التعبير سراً ، ولكل ضرب من البيان حكمة .

عبد الوهاب حمودة

## إذا لعن آخر هذه الأمة آخرها

ورد في الآثار من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه : « إذا لعن آخر هذه الأمة أولها ، فمن كان عنده علم فليظهره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في خطبة كتابه ( منهاج السنة ) تعليقاً على هذا الآثار :

« وذلك أن أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين : تصديقاً ، وعلماً ، وعملاً ، وتبليغاً .

فالعلماء فيهم طعن في الدين ، موجب للإعراض عما بعث الله به النبيين » .



# الن اهد القانت

« عامر بن قيس »

الزهد فى الدنيا معنى جليل ، لا يستقيم إلا لكل نفس كبيرة فهو خير معين على التفرغ للعظام وأقوى محقق لمعانى القوة فى النفس والعقل والبدن ، وأكبر عامل على صفاء القلب ، وإعداده لتلقى الفيض وصونه مما يتورط فيه الجاهلون من الختد والقل والحسد ، وأدعى شىء إلى العفاف ، والترفع عن السفاف والذنية ، وإلى عزة النفس والصدع بالحق ، ومقاومة الشر . وعلى الجملة هو كنز النفس العظيمة وميرة الخيرة الأبرار الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

فلهذا احتضنه دين الإسلام - وهو الدين المختار لله فى الأرض منذ بعث نبيه محمداً آميا ، مسعداً للناس فى دنياهم قبل آخرتهم - فهو يدم الذين يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام . كما يمدح الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وهو يذم المتعافى فى هواء ويعده عابداً له لا يقدس غيره ( أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقبلة وجعل على بصره غشاوة ) ؛ كما يشجع الذين يجاهدون أنفسهم فى سبيله : ( والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبيلنا وإن الله لمع المحسنين ) . ثم يدعو النبي صلى الله عليه وسلم بالتعاسة على المتعافى فى جمع الدنيا الحريص عليها الذى يمشى فى مشاكل مع الناس جميعاً ولو كانوا من أقرب الناس إليه من أجل الدنيا فيقول صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس وانتكس . وإذا شيك فلا انتنش » . وجدير بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم أن تجاب ، وبطلبته أن تتحقق ذلك أن الحريص على الدنيا يضيع دينه ومن ضاع دينه فقد خسر الخمران كله ، فقد طامسا أدل الحرص الأعناق ، وقد طامسا نكس الزروس ، واستعبد النفوس ، وقد خلق الله الناس أحراراً لا عبادة إلا لله فأبى الشيطان إلا خسرهم ، فاج بهم عن الصراط ، وحرصهم على التهالك على جمع الحطام ، من الحلال والحرام . فأوقع بعضهم فى بعض ، وحال بينهم وبين البر والخير ، وكان أدنى مراتب الطمع ذلك المعنى

الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أهلك من كان قبلكم وحملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ! وهو الشح .

فالزهد إذا فلسفة إسلامية رفيعة يضعها الإسلام في الصف الأول من مبادئه الكريمة ، ويختص بها الصف الأول من هذه الأمة الوسط في كل جيل وفي كل عصر .

والزهد إذا ليس كما زعم بعض الجاهلين قبوعاً في كسرييت ، ومحوذاً أمام كل نشاط أو تجديد أو إصلاح ، وتماوتاً عن كل جليل من الأعمال ، ولكنه أن ترجح الناس من مضايقاتك ، وأن ترجح نفسك من مضايقات الناس تأخذ الحياة عفواً ، وتجوّد بها فضلاً ، تأخذها في إجمال من الطلب ، وعدم انهماك مضمّن قاتل . تأخذها من غير احتيال يوقع في المكروه ، ويحول دون سماحة لناس أو إحسان إلى من يستحق الإحسان من أمر الله به أن يوصل . تأخذها ثم تعطيا فتضعها في أبواب الخير بعد أن تستوى رعايتك المشروعة ، تصل القريب والجار والعشير والصاحب والإنسان أياً كان وأينما كان ، ما دمت تستطيع أن تمد إليه يداً ، وتقل له عشرة ، وبذلك تحيا حياة مطمئنة ، وتعيش مهما تعيش سعيداً محبوباً ذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ( ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ) . فأما حب الله إياك فلائك تستطيع أن تعرف حتمه ، وأن تؤدي واجبه . وأما حب الناس لك فلائك تنكف عنهم أذاك وتدعهم ، وما أعظام الله من فضله غير منافس ولا مشاكس .

فما عيب هذا الوصف - ليت شعري - كما يزعم بعض الجاهلين وما جنايته على الإسلام كما يتوهم بعض الحاسدين أو المارغين لا . إنه لمن محاسن الإسلام ومفاخره ، وإنه لمن أقوى الأدلة على أنه دين إنسانية الخالدة ، وأكبر وأصح لمعانى العدل والإحسان والحب والإعلاء . ومن حاول أن يرى الإسلام منه من أصدقائه الجاهلين ، فقد غاب واقترب وقال على الإسلام زوراً .

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد الزاهدين وهو خير منظم للإنسانية وأكبر واضع لنظام الممران والحضارة .

وكانت مدرسته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، فلم يكن فيهم معنى أمثل من الزهد في الدنيا والاتجاه صوب الحقائق وبذل

الهمة نحو كل نافع موجب لمَرْضاة الله وحب الناس وإن يكون ذلك إلا بهذا الزهد الإسلامي العظيم . والتاريخ يمدتنا عما كان للزاهدين من أثر عظيم في إقامة صروح العدل وتحقيق خلافة الله في الأرض فهذا عمر بن الخطاب وهذا علي بن أبي طالب وهذا عمر بن عبد العزيز وهذا وذالك وغيرهم من المثل العليا لقد كانت أمثل صفاتهم الزهد فيما يتنافس عليه الآخرون .

فما من بن قيس كان فيما يقال (١) أول من عرف بالنسك واشتهر من عباد التابعين بالبصرة وكان واحداً من ثمانية انتهى إليهم الزهد في التابعين والسبعة الباقون هم : أويس القرني (٢) وهرم بن حيان (٣) والريبع بن خثيم (٤) . ومسروق بن الأجدع (٥) والأسود بن يزيد (٦) وأبو مسلم الخولاني (٧) والحسن بن أبي الحسن البصري (٨) .

وقد كان عامر بن قيس من تلامذة أبي موسى الأشعري ومن اخذوا بطريقته وكان أبو موسى يتمهده وهو الذي لقنه القرآن وروى صاحب الحلية أنه كتب إليه في يوم من الأيام : أما بعد فإني عهدتك على أمر وبلغني أنك تعيرت فائق الله وعدا

وأبو موسى الأشعري كان من خيرة الصحابة ومن تخيرهم عمر بن الخطاب - وهو البصير الناقد - فولاه الكوفة والبصرة ومن قبله استعمله النبي صلى الله عليه وسلم مع مماذ

١ — ذكره أبو نعيم في الحلية ص ٩٤ ج ٢ .

٢ — كان سيد العباد والزهاد في عصره وأمره مشتهر .

٣ — كان إماما كثير الوعظ والإرشاد للسلبيين وقد ولي لمر بن الخطاب على الخيل ثم ترك العمل تورعا وزهدا ولم ينظر إلا من عمر .

٤ — الإمام القدوة الكوفي روى عن ابن مسعود وأبي أيوب الأنصاري وروى عنه الشعبي والنخعي مات في خلافة يزيد بن معاوية .

٥ — الإمام أبو عائشة الكوفي وهو ابن أخت عمر بن سعد يكرب قال الذهبي كان أعلم بالفتوى من شريح توفي سنة ٦٣ .

٦ — الفقيه الزاهد العابد عالم الكوفة وابن أخى عاتلها علقمة توفي سنة ٧٥ .

٧ — الفقيه العابد الزاهد رعامة الشام توفي سنة ٩٢ هـ قهرياً .

٨ — الإمام شيخ الإسلام أبو سعيد البصري نشأ بالمدينة في خلافة عثمان طرم الجهاد والعلم والعمل رابع ترجمته في التراجم الإسلامية لكاتب المقال .

على اليقين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجب بقراءته ويقول إنه أوتي من مرامير داود ، وقد ذكره الشعبي في سنة يؤخذ عنهم العلم وهم : عمرو بن علي وأبي وابن مسعود وزيد وأبو موسى ، وقال إنه أحد القضاة الأربعة وهم عمرو بن علي وزيد وأبو موسى . وقيل إنه لم يكن يفتي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غير عمرو بن علي ومعاذ وأبي موسى .

فلا بد أن يكون تلميذه ومريده عامر بن قيس موضوع الحديث اليوم ممن باثقوا في العبادة مبلغا عظيما كريما . ولكن جانب العبادة والزهد غلب عليه ، ومثله ممن كانوا يؤثرون الخمول والعزلة إلا بمقدار ما يوجب الإسلام من إظهار العلم وعدم كتمانته من غير قصد ، يكتفي بقيام غيره بمهمة نشر العلم وإداعته أما منزله في الزهد والعبادة فقد رأيت أنه أحد ثمانية عرفوا بذلك واثقوا الناس في عهد التابعين الأول فيه ، وقد حكيت عنه أخبار ورويت عنه أقوال تؤيد ذلك وتقرره .

فمن ذلك ما ذكره أبو نعيم من أنه كان يبيت قائما أو يظل صائما فإذا قيل له إن الجنة تدرك بدون ما تصنع وإن النار تنق بدون ما تصنع .

قال : لا حتى لا ألوم نفسي ! ومن العجيب ما نقل عنه وهب بن منبه وعيره . قالوا : كان عامر بن قيس من أفضل التابعين وفرض على نفسه كل يوم ألف ركعة يقوم عند طلوع الشمس فلا يزال قائما إلى العصر ثم ينصرف وقد انفتحت ساقاه وقدماه فيقول : يا نفس إنما خلقت للعبادة يا أماراة بالسوء ، فوافقه لأعلن بك عملا حتى لا يأخذ العراش منك نصيبا ! .

وعن أحمد بن حنبل بسنده إلى الحسن قال : بعث معاوية إلى عبد الله بن عامر أن انظر عامر بن قيس فأحسن إذنه وأكرمه ومره أن يحطبل إلى من شاء وأمره عنه من بيت المال فلما بلغه ذلك قال : أنا في الخطبة دائب . قال : إلى من ؟ قال : إلى من يتبل مني الفلقة والقرعة ، ثم أقبل على جلسائه فقال : إني سألتكم فأخبروني ، هل منكم من أحد إلا ولأمله في قلبه شعبة ، قالوا : اللهم لا . قال : هل منكم من أحد إلا ولده في قلبه شعبة ، قالوا : اللهم لا ، قال : والذي نفسي بيده لأن تحتنف الأسته في جوانحي أحب إلي من أن أكون هكذا ، أما والله لأجمعن الهم واحدا . هكذا عاش عامر بلا زوجة ولا ولد ففرغا لله ، وحيا للرب وإيثارا لوحيد الهم ، والتخلي من الهم ، حتى يعيش في جوار الحب الخالص لمن هو أحق بالحب من كل محبوب ، ومن يجمع الحبيب كل خير وسعادة ولا يتخلي عنه ساعة

مهما يتخل كل حبيب أو صديق ، ومن لا يتغير لصاحبه مهما اختلفت عليه الشئون ، ومن يحسن إلى صاحبه مهما أساء ، ومن لا يتطر مشوبة على صالحة ويزيد من يركن إلى جانبه نهما وألطافاً وإن قصر فيما ينبغي له .

وهكذا عرف الدنيا وحقاتها ومصيرها وهكذا تكون الفلسفة . وهكذا يكون صفاء النفس ، وسلامة النظر . وهكذا تكون الهداية والتوفيق وانظر كيف وجهه الزهد في الدنيا واحتقارها أن ينفذ تعاليم الإسلام ولا يبالي ما يصيبه في الحق فهو يقول ما يراه وإن خالف أمر الخليفة أو الأمير قال في حلبة الأولياء بسنده إلى أحمد بن حنبل بسنده إلى من عاصر عامر بن قيس قال : مر عامر بن عبد الله برجل من أعوان السلطان وهو يمر ذمياً والذي يستغيث به ، قال : فأقبل على الذي فقال : أدبت جزيتك قال : نعم . فأقبل عليه ، فقال : ما تريد منه ؟ قال : أذهب به يكسح دار الأمير ، قال : فأقبل عليه ، فقال : تطيب نفسك بهذا له ؟ قال : يشغلني عن ضيعتي ، قال : دعه ، قال : لا أدعه . قال : فوضع كسائه ثم قال : لا تخفر ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنا حي ، ثم خلصه منه فكان ذلك سبب تسيره <sup>(١)</sup> .

وبعد فهذا هو الزاهد عامر وهذه حكاية يسيرة كانت فيها عدة أدلة عنه .  
أولها : أنه كان قتيها دقيقاً فهو يسأل الذي هل أدى جزيته حتى يكون في أمان الله وأمان الإسلام له ما لكل مسلم وعليه ما على كل مسلم ، فهو لا يخدم أحداً ولا يعين إنساناً ما لم تطب نفسه بذلك كما أن كل مسلم كذلك لا يكره على خدمة ولا يعمل محرمة .  
وثانها : أنه يتحرى في تطبيق الأحكام فيسأل كل واحد من الطرفين في أناة وحلم وأدب كريم ثم انتهى الأمر إلى المقاومة ، قاوم المنكر .

ثالثها : أنه أمره أولاً بالمعروف فلما لم ياتم جاهد يده كما هو الحكمة في التصرف .  
رابعها : أن الزهد كما قلنا لا ينافي التصريف في الأرض ومداخلة الشئون بالإصلاح والخير فليس هو أن تقول : دع الخلق للخالق كما يزعم من لا يفهم ، ولا أن تقول مالى ولهذا الأمر لا يصنئني ، فكل مسلم خليفة عن الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعين على الخير ويقاوم البغي . وليس الزهد إذا إلا خلافة صالحة عن الله في الأرض ونشاطاً يزاول المرء به

(١) نسيره : لإحراجه ونفيه .

كل معنى فاضل كريم . لقد أصيب عامر من جراء هذا الجهاد فأخرج من بلده وحيل بينه وبين وطنه وما بالى في سبيل ذلك شيئا .

روى أنه سیر إلى ظهر المربة فضيعة بعض إخوانه فقال : إني داع فآمنوا . قالوا : هات فقد كنا ننتهي هذا منك . قال : اللهم من وشى بي وكذب علي وأخرجني من مصرى وفرق بيني وبين إخواني . اللهم أكثر ماله وولده وأصح جسمه وأطل عمره . وإذا فهذا الذي يتناهى الناس اليوم لأنفسهم بلاء عند الزاهدين وشر كثير عند المقربين فالسبل بلاء ، والولد بلاء ، والصحة بلاء ، وإذا طال العمر في هذا البلاء فقد طال عمر المرء وساء عمله . فبالت عامراً رحم صاحبه ورثى له ولكن أنطقه الله الذي أنطق كل شيء . ولو شاء لهداكم أجمعين . ولو أردنا أن نستقصى الكثير مما ورد في أخباره وأقواله وما حفظ له من كرامات أكرمه الله سبحانه بها كما أكرم نفسه عن الدنيا لطلال المدي ، ولكننا نؤثر أن نورد بعضاً من أقواله لتكون قياساً لكثير من النفوس المؤهلة ، ولا نرجو من وراء ذلك أن نحمل الناس على الرهد الأول ، ولكننا نحاول أن يكف بعض الناس أذاً عن بعض ، وأن يجعلوا في طلب الدنيا ويأخذوها برفق ، ولا يأسوا على ما فاتهم ولا يفرحوا بما آتاهم والله لا يحب كل مختال فخور . فمن ذلك قوله : لو كانت الدنيا لي بخدافيرها ثم أمرني الله تعالى بإخراجها لأخرجتها بطيب نفس . لا أبالي حين أجبت الله تعالى على أي حال أمسيت وأصبحت منذ عرفت الله لم أخف سواه .

وبما يؤثر عنه : من جهل العبد أن يحاف على الناس من ذنوبهم ويأمن هو من ذنوب نفسه . وسأله رجل أن يدعو له فقال : إنك لتسأل من قد عجز عن نفسه ولكن أطع الله ثم ادعه يستجب لك .

ومن كلامه المنفعل العجيب : في الدنيا المموم والأحزان وفي الآخرة النار والحساب ، فأين الراحة والفرح ؟ إلهي خففتني ولم تؤامرني في خلقي . وأسكنتني بلابا الدنيا ثم قلت لي استمسك . فكيف استمسك إذا لم تمسكني ؟ إلهي ! إنك تعلم أن لو كانت الدنيا بخدافيرها لي ثم ألتئمتها لجمعتها لك فهب لي نفسي . وهذا كله ضراعة في أدب لا خروج فيه ولكنه استدراار لرحمة الله وإحسانه كقول يوسف عليه السلام : « وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين » . اللهم عصمتك ورحمتك وتوفيقك وإحسانك ؟

محمود التواوي

## الدين... في موقف الدفاع

في ثانيا تحية موجهة إلى شيخ الأزهر الجديد ، ذكر الأستاذ عباس العقاد أن الدين يقف الآن موقف الدفاع ، وأعرب عن ثقته في جدارة الأستاذ الأكبر بهذا المنصب ، في هذا الموقف .

والحق أن الدين عموماً - كما أبان الأستاذ العقاد - يقف في حالة دفاعية : لقد أحدثت ( الآلة ) تغيراً جذرياً في بناء النفوس والعقول والمجتمعات ، ورافق هذه التحولات الخطيرة الاتجاه الاستعماري الذي جعل الدين في البلاد الشرقية يتعرض لضغط التطور ودفع الغزو في وقت واحد ، وشملت آثار العصر المادي الجديد الديانة المسيحية عند الغرب كما بلغت الإسلام في الشرق . لكن المسيحية الغربية - بمنظوماتها المختلفة ، وإمكاناتها الواسعة - قد تصلبت في الدفاع فظهرت الكتابات المختلفة في هذا الصدد ، وسمى هذا الاتجاه الدفاعي أو الاعتذاري Apologia - لأنه يعتذر لما يرفضه العمل الحديث في شأن الدين هناك . ومن الكتابات الممتعة الموجزة في هذا الاتجاه ما نشرته مؤسسة بليكان Pelican للنفس البريطاني كارينتر S. C. Carpenter عن المسيحية .

ولا يسوء المسلمين أن يقف دينهم موقف الدفاع ؛ لأنهم يعلمون أنهم يتفنون على أرض ثابتة لا تميد ، ودينهم يعلمهم حرية النفوس والعقول وتناول القضايا بالمنطق والبرهان . بل إن المسلمين يصرحون أن يروا دينهم في موقف دفاع ، وهو مع ذلك حافظ لأصالة وجدارته . وإنها لضرارة نافعة ، أن يضعف كيان المسلمين السياسي ، ويتعرض دينهم للهجوم الفسكري ؛ فإن الإسلام إذا ثبت في هذه الجولة - وهو بهذا جدير - لمكان في هذا الميدان بتبديد ما شاع عن أن الإسلام إنما اتعصر بالقوة وحدها ، وأنه إنما اتعصر لأنه واجه أعداء ينحرف فيهم الضعف وكتب عليهم الزوال .

ثم إن الإسلام حين يتعصر فكرياً بعد أربعة عشر قرناً من ظهوره ، يقدم بذلك أبلى دليل على صلاحيته للخلود ، وشموله لمختلف الاحتياجات الإنسانية ومنها الزوج إلى الترقى المستمر ، فهو دين تطوري لا يضيق برمان ولا مكان . ولتناقش - في إيجاز - طابع عصرنا الذي نعيش فيه ، لنرى مدى مساهمة الإسلام لزماننا وبيئتنا .

أول طابع للقرون الأخيرة منذ عصر النهضة الاتجاه إلى التجربة والعكوف على معالجة المادة ، والانصراف عن الروحانيات والغيبيات وما إلى ذلك .

غير أن هذه النزعة لم تسلم من رد فعل . . . فالنزعة الرومانتيكية تتجه إلى الخيال والتجريد ، والعلوم الطبيعية قد انتهت بعد النظرية النفسية والأبحاث الفيزية إلى إنزال المادة من عليائها ، وهذا ما يشير إليه أبلغ إشارة الأستاذ راندال J. H. Randall في كتابه « تكوين العقل الحديث » حيث يقول : « إذا أشرفنا على آخر القرن التاسع عشر وجدنا أن الذرة بما لها من كتلة ثابتة اعتبرت هي الجوهر الأول ، وأن الحركة التي يعبّر عنها بمعادلات علم التحريك اعتبرت هي العملية الأولية . وبالنظر لما حل منذ ذلك الحين بالمفاهيم الأساسية لهذه النظرية الشديدة السبك - المادة والطاقة والآنير - فمن الضروري أن ندرك أن طريقة التحليل الآلى ليست متقدمة بحدود هذه النظرة الآلية المادية القديمة . فقد اعتبر علم القرن التاسع عشر بأن حركة المادة هي العملية النهائية والشكل الأخير للطاقة أما الطاقة الدورية فإنها قد أصبحت في هذه الأيام أكثر أساسية من ( المادة ) . وعلى ذلك فإن صلينا لم بعد اليوم علما ( ماديا ) إذا أردنا الدقة في التعبير ، وليست لقوانين الحركة الآلية من الشمول بمثل ما لسلوك حقل الإشعاع ، بل قد لا تكون هذه القوانين سوى مجرد شكل خاص للسلوك » .

والإسلام لم يضق بالمادة ولا بالتجربة ولم يحتقر الحس والمشاهدة ، فهو الذي تدأب آيات كتابه على لعت النظر وإثارة الانتباه إلى مشاهد الكون وآيات الوجود : إلى الأرض والجبال والماء والنبات والحيوان ، وإلى الهواء والفضاء والكواكب والأفلاك ، وإلى الإنسان في جسده وروحه وعقله ونفسه . والإسلام هو الذي حصر الغيبيات والسمعيات في أحقيق لطاق ، وكم شدد العلماء في تمحيص الروايات التي تعرض لهذه الأمور . فالمسلمون لم يشغلهم التفكير في الله عن الاستفادة من نعمه ، والتبصر في خلقه ، والعيش في كونه ، والنظر في نوااميسه ، فهذه الدنيا على قناتها هي حقل نشاط المؤمن ، ومجال اختباره ومعبّره للأخرة الذي لا بد منه ، وهو يعبد الله بالعلم بها والعمل فيها ، ومن هنا سجل التاريخ لعلماء المسلمين اتجاهها تجريبيا بفاير اتجاه الإغريق - وقد حاول الأستاذ جب أن يلتبس لهذا سببا في جذور العقلية العربية فرأى : أن انصباب الفكر العربي على الأحداث الإفرادية يوجه علماء المسلمين نحو طرق التجارب العلية فيذهبون إلى أبعد مما ذهب إليه من سبقهم



من اليونان والإسكندرية ، ولا يعني التعليل هنا بقدر ما يعني التقرير . وهذا هو عملاق الفلسفة الرياضية برتراند رسل يقول في ( النظرية العلمية ) : « كان العرب أميل إلى التجريب من الإغريق - وبخاصة في الكيمياء ، فقد كانوا يأملون أن يحولوا المعادن الرخيصة إلى ذهب وأن يكتشفوا حجر الفلاسفة وأن يركبوا إكسير الحياة ، وكان هذا من أسباب إقبالهم على البحوث الكيميائية ، وقد حمل العرب تقاليد المدنية طوال عصور الظلام ، وإلهم مرجع كثير من الفضل في أن بعض المسيحيين أمثال روجر يكون قد حصلوا كل المعارف العلمية التي تهيأت للشطر الأخير من العصور الوسطى » .

غير أن الإسلام له قصاياه التي لا يتم الوصول إليها إلا عن طريق العمليات العقلية العليا والمنطق الفكري المجرد ، وهذه قد لا يستطيع التجريديون الذين لا يسلون بضير التجربة أن يسلوها ، لكن هؤلاء أيضا إذا كانوا راضين في العلم لن يستطيعوا أن يرفضوها . . . و فرق بين عدم الاعتراف بالدين وبين الإلحاد ، وهو فارق دقيق يحسن التنبيه إليه ؛ لأن الملحد لا يلحد عن تجربة محسوسة بل عن إيمان عكسي ، إيمان بالإلحاد يتدخل فيه القطع بأمور لا تدركها التجربة ويتخاطه التحمس لما لا يقوم عليه دليل .

والانجاء العلي الآن لا نجم على روحه المادة الكثيفة كما كان من قبل ، والتجربة نفها صارت تمارس في مجالات النفس كما كانت تزاوّل في ميادين الطبيعة ، وكل ذلك يحمل موقف الدين ثابتا متينا في موقف الدفاع . وهذا ما يعبر عنه الأستاذ المتأدّ حيث يقول : « إن المادة اليوم لا تصد المفكرين عن عالم الحقائق المجردة ، ولا هم يتخفون من صلابتها وجسامتها شرطا للحقيقة الثابتة ، فإن الحقيقة المادية نفسها لا تثبت اليوم بمجرد الصلابة والجسام ، ولا تزال ترتد إلى أصولها حتى تثول إلى عدد من الهزات في ميدان مجهول هو ميدان الأثير وميدان الفضاء ، فالمادة في القرن العشرين قد اقتربت من عالم الفكر المجرد بل دخلته وأصبحت في تقدير الثقات ( عملية رياضية ) أو نسبة من النسب التي تقاس بمعادلات الحساب . وقد جاز لعالم كبير كالسير جيمس جنتر أن يعتبرها كذلك وأن يقول : « إن المعرفة الجديدة تضطرنا إلى تنقيح خواطرنّا العجلى التي أوحى إلينا أننا وقنا في كون لا يعمل بالحياة أو لعله يعمل على مناصبتها العداء ، ويلوح لنا أن الثنائية العتيقة التي تقول بالعقل والمادة ويرجع إليها اقراض العداوة المزعومة آخذة في الزوال ؛ لأن المادة الجوهرية تحيل نفسها إلى شيء من خلق العقل ومظهر من مظاهره ، ونحن نستكشف أن الكون يبدى الدليل

على قدرة مدبرة أو مسيطرة لديها العقل ، وجاز كذلك لعالم آخر كبير كالسير آرثر إدنجتون أن يقول : « إن نظرات المتصوفة لا تهمل وإن ملكات الإنسان التي يمازجها الشعور الديني هي من وقائع الكون إذا كان الإنسان قد استبقاها بفعل الانتحاب الطبيعي وهو من أهم العوامل الكونية ، ومن هنا يحق لنا أن نطمئن إلى موقف الإسلام في عصرنا .

إن هذا العصر الذي أعلى من قيمة العقل عموماً وعكف على المادة والتجربة بصفة خاصة يفسح المجال لهذا الدين الذي وصفه البروفسور موتيه بما ينقله عنه توماس أرنولد قائلاً « الإسلام في جوهره دين عقلي بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية ، فإن تعريف الأسلوب العقلي Rationalism بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق - ينطبق على الإسلام تمام الانطباق . والحق أن محمدًا الذي كان متحمساً لدينه كما كان كذلك يمتلك غيره الإيمان ونار الاقتناع - تلك الصفة القيمة التي بثها كثيراً من أتباعه - قد عرّض حركته الإصلاحية على أنها وحى وإلهام ، على أن هذا النوع من الوحي ليس إلا صورة من العرض والتفسير ، وإن لدينه كل العلامات التي تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل .. وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهي عن وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة إلى الإسلام .

والطابع الثاني لعصرنا الذي نعيش فيه أنه عصر الديمقراطية والاشتراكية . وجوهر الديمقراطية والاشتراكية أن البشر متساوون متكافلون في حقوق السطة والمعاش ، لا يستعلي أحدهم على الآخر بحسب أو نسب ، ببطيخة أو رتبة . والإسلام الذي قام على صلة العبد المباشرة بربه ، قد أقام المساواة بين الناس ، فهم جميعاً عباد الله ، لا يستعلي عليهم إلا العزيز القهار .

وكيف يصيق الفكر الإسلامي بالديمقراطية أو الاشتراكية ، وهو قد قام على أصول الحرية في مناهجه الجدلية العقائدية والأصولية انعمية . ولقد ركزت الانصار وسلطات الأنوار على آيات القرآن ، وشاورهم في الأمر ، « وأمرهم شورى بينهم » ، « وأنفقوا مما جعلكم مستخفين فيه » ، « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » ... وحرصت في هذا الضوء أحاديث الرسول « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ، « إنما الطاعة في المعروف »<sup>(١)</sup> .

[١] روايات مختلفة للحارثي ومسلم وأبي داود والنسائي وأحمد والحاكم والمستدرک .

« المسلمون شركاء في ثلاثة : في الماء والكلاء والنار » (١) ، « من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً ، أو ليست له زوجة فليتزوج ، أو ليس له خادم فليتخذ خادماً ، أو ليست له دابة فليتخذ دابة » (٢) ، « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى من المؤمنين فترك ديننا فعلى قضاؤه ، ومن ترك مالا فهو لورثته » (٣) . ومن هنا يقف الإسلام لا يتزلزل أمام صيحات العدالة الاجتماعية والسياسية . . . ومن قهقائه من قرر في ضوح أن فرضاً على صاحب الطعام إطعام الجائع ، وأن على المجتمع أن يكفل لفرد حاجته من القوة والملبس والسكن الذي يقيه من الحر والبرد والمطر وعيون المارة ، وأن صاحب الأرض ينبغي أن يفدحها ويرزقها بجهده المباشر ، أما إن أعطاهما لمن يستغلها فهي منحة ولا يجوز الإيجار . . . والذي قرر هذا عاش في القرن الخامس الهجري ، وهو الإمام الأندلسي المجتهد الحجة أبو محمد علي بن حزم .

ثم إن عصرنا عصر ( علم النفس ) . هذا هو طابعه الثالث ، فقد أرقق الناس صراخهم من أجل القوة واحتشادهم في المصانع والمجامع واضطرابهم أمام المطامع والمطامع وانفعالهم من أزمات المادة والروح وصداخهم من ضجيج الآلة واحتياجهم إلى تدعيم الأسرة وشغل الفراغ وتنديء الروح . . . وفي هذا القلق والألم والفرع ظهرت أبحاث النفس تحاول أن تسد الثغرة الروحية في الحضارة المادية ولكن على أساس تجريبي .

والإسلام حين ربط الناس بالله لم يلهيهم عن النفس الإنسانية ومشكلاتها . . . إنه دعاهم لعبادة الله تطمئن نفوسهم هم لا ليمجد الله بالتسبيح والحمد والثناء ، فما أعناه عن طاعة الطائعين ، الدين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، والإسلام جعل معرفة النفس من معرفة الرب ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون .

ولم يمتقر الإسلام دوافع الحياة النفسية ، وإن يعلن معركة بين الإيمان والواقع الحيوي . المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والطعام والشراب مطالب ضرورية ، والسعي في طلب الرزق جهاد مبرور . ثم إن الحاجة الجنسية فطرة الله الذي خلق للناس من أنفسهم أزواجا ليبسكنوا إياها وجعل بينهم مودة ورحمة ، وهي حاجة إنسانية ونعمة إلهية لا ينبغي أن تتعارض مع تسامى الواجبات الدينية ، أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ،

[١] أحمد وأبو داود . . حسنة السيوطي .

[٢] رواه أحمد .

[٣] أحمد والبخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه .

هن لباس لكم وأتم لباس هن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم قاتب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ، وهل ينسى قراء الفقه الإسلامي ما يرد فيه من أحكام الطهارة التي تعرض للإمناء والحيص ، وأحكام النكاح إلى غير ذلك من الأحكام ، يشرحها الفقهاء ، لأن المعرفة لا يحجبها الحياء ؟؟

وأخيراً فإن لعصرنا طابعا عملياً هو السرعة ... السرعة التي دفنتنا بها الآلة إلى الأمام تطوى لنا الزمن ، فلا نحصى الوقت في التنقل من مكان إلى مكان ، أو في صناعة أو عمل ، والآلة نطقتها الرهيبية الجبارة سرعان ما تفعل هذا وذاك من الأعمال .

والآلة تغفلت إلى البيت في مطابخه ومرافقه ، وإلى الشارع والمدرسة ، وإلى الدكان والمصنع ... وأصبحت الحركة الوامضة الخاطفة هي طابع الحضارة الصناعية .

والإسلام الذي يدعو إلى العلم والعمل ، ويمجد الحركة والنشاط ، يبارك هذا الطابع ولا يصجر منه .

والإسلام لا يربك الناس بالطقوس والأوراد التي لاتدع وقتاً شئ ، أو لاتدع حصارتنا السريعة لها وقتاً . إن شعائر الإسلام حمس صلوات خفيفة لطيفة ، لانتغرق دقائق معدودات ، ويعني فيها الجمع والقصر عند السفر ، ووضوءها نطاقة ويقني عنه التيمم عند وجود العذر . والصيام شهر في العام ، الإمساك فيه من الشروق للغروب حسب ، والتعجيل بالفطر وتأخير السجور فيه سنة ، ويعني منه المسافر والمريض ، والحج رحلة مرة في العمر . وكل هذه الشعائر طابعها التيسير ورفع الحرج .

إن الإسلام يفسح المجال للسلم لكي يذكر الله في أعماله كلها : في البيت والشارع والمصنع والمنجم ، في أجواز الفضاء وأغوار الماء . ولكنه ذكر يدعو إلى التبعيد بالعمل ومراقبة الله في معاملة الناس ، وانتقاء الآخرة في طلب الدنيا . فورد المؤمن في القلب ، وتدينه بتنفيذ مدي دينه في سائر نشاطه اليومي ، والدنيا كلها معبده ومحرابه .

ديننا إذن في موقف الدفاع .... وهو يستطيع الثبات في موقفه ويستطيع أن يكرر معجزاته بأسلوب جديد .

والحضارة المادية الصناعية لم تستطع القضاء على جذور الدين في أعماق النفس في أي مكان من أمريكا أو أوروبا ، وكل من يروى البلاد الغربية يعرف مكان الدين في ضمير الفرد مهما انحسر مداه وضحل غوره .

والإسلام - من ناحية الواقع التطبيقي - لم يفقد طاقته الانتشارية حتى بعد المحن والخطوب المتلاحقة .

يقول الصحفي الأمريكي جون جنتر Gunther في كتابه ( داخل إفريقيا ) بعد أن عرض لبساطة العقيدة الإسلامية : ... هذا واحد من الأسباب التي تمل : لماذا خط الإسلام مسالكة الكبرى في قلب إفريقيا المعاصرة . فقد المسلمين يكاد يتضمن تلك مجموع سكان القارة اليوم ، وهم يزدادون عددا طوال الوقت .... وليس في الإسلام تمييز عنصري ، ومن ثم لا يقوم حاجز يمنع تحول البانتو أو الزنوج إلى رعاياه ، ولقد انتشر انتشاراً شاملاً عميقاً بين عباد الأوثان والحيوان ؛ لأن شعائره مبسطة للغاية بقدر ما فيه من جلزية أصيلة واضحة .... ونقطة أخرى : إن الإسلام نظام اجتماعي كما هو دين - نظام اجتماعي يمنح المؤمن اعتقاده بالمساواة مع جميع المؤمنين الآخرين . وكثيراً ما يوصف الإسلام بأنه الأكثر ديمقراطية بين ديانات العالم .

ولقد صور الدكتور محمد البهي موقف الإسلام النفاقي تصوير المؤمن العالم الواقعي : « ... الإسلام من حيث هو مبادئ لا يتوقف اعتباره على مكان معين ولا على جيل من البشر . وكما ذكر ( إقبال ) الإسلام بما اشتمل عليه من مبدأ ( الحركة ) يعيش مع الإنسان المتحرك وفي العالم المتغير المتطور فهو لا يؤزم بالصليبية ولا بالماركسية إذ طالما كانت له طبيعة الوجود الخالد ، فلا يضار بالمحجوم عليه من هنا أو هناك لأنه عندئذ لا يقبل الفناء . فخلود الإسلام في رسالته ، ورسالته ( التوازن ) - التوازن في قيادة الفرد لنفسه ، والتوازن في علاقة أفراد الأسرة الواحدة بعضهم ببعض ، والتوازن في علاقة الأفراد جميعاً ما بين جوار قريب وبعيد وما بين حاكم ومحكومين » .

ولسكن تحول هذه الحقيقة الكامنة في الإسلام إلى دعوة منطلقة متميزة واعية في واقع المسلمين .... يحتاج - كما أشار الدكتور البهي - إلى جهود على رأسها جهود الأزهر حين يصير بجهود المخلصين ، ذا رسالة إيجابية في تهيئة المجال الحيوي لمصر في إفريقيا الإسلامية ، وفي مقابلة الاستعمار الغربي ، وفي الإسهام في حل مشاكل الشعوب الإسلامية : الاجتماعية والاقتصادية ....

حقق الله الآمال ، وأعان على نبغات الحق شيخ الأزهر الجديد .

فتحي عثمان

## الفرقان المنزل وأثره في الأدب العربي

عما لا مرأ فيه أن عوارض الوهن والانحلال تأصلت أسبابها بآدى ذى بدء في العقائد الدينية في بلاد العرب زمن الجاهلية يوم كانوا على تحاذل وتناحر وافتراق ، وظهر ذلك بأجلى مظاهره فيما خلفوه من التراث الأدبي في الشعر والنثر ، إلا في مكة فقد كانت أبداً أهم المراكز الدينية ، ولم تتأثر قيمة الأماكن المقدسة ولا انطمست فيها المعالم الدينية ، غير أن سكان هذا البلد كان أكبر أمانهم ما يجنونه من الريح من وراء إقامة الأحفل ، أى أن الناحية الدينية كانت في تقديرهم في المرتبة الثانية ، حتى ظهر محمد خاتم الأنبياء ، وجاءهم بوحي من الله فتأخروا بعد التحاذل ، وتألفوا بعد التفرق ، فبث بينهم تعاليم رشيدة قيمة ألصقت بين أغراضهم اتى شربوا عليها وبين مرامي الحياة العليا الماضية ، فعرفوا الحياة الإنسان قيمتها على الوجه الأكمل ، الذى يعين على أن يجمع العربى المسلم بين حياتين . حياة الزاد وحياة المعاد ، بل بين حياتين : حياة عاجلة فاضلة وحياة آجلة مثالية كاملة .

لقد حث الفرقان المنزل بآياته المحكمات على القراءة والتعلم ، فقل شجع الأمية وريداً وريداً ، ومن هذه الناحية قصر مسافة الخلف بين العرب ومنحهم المزيد من تفاهمهم ، فأنمحت آثار الجاهلية النخسما ، وظهر أثر ذلك جلياً في الأدب العربى في ذلك العصر وما تلاه من عصور متعاقبة ، وظهر لهم على أثر ذلك أبحاث متمتعة وأعمال خالدة استضاء بنورها العالم طويلاً ، ولا زالت حتى الآن ذخراً هاماً يرجع إليه في كثير من العلوم والمعارف .

وقد عنى أبداع العناية رهط كبير من جلة الصحابة باستظهار القرآن الكريم ، كما عمل خلفاء الرسول الأعظم على جمعه وترتيبه جمعاً كل له أبلغ الأثر في الاحتفاظ بهذا التراث العظيم الذى بقى للسلمين سراجاً وهاجاً وعصباحاً مبدئاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

يتبين مما تقدم أثر الفرقان في الأدب العربى من ناحية روعته واتساقه وقوة بيبانه وبلوغه أوج السكال ، وأظهر ما ظهر في ألفاظهم وتراكيبهم شعرهم الرصين وأدبهم القديم ، حسب القارى أن يعلم مما عثرنا عليه في آراء الفلاسفة من الإنكليز والألمان والفرنسيين مترجماً إلى اللغة العربية أن الأدب العربى لا يدانيه أدب في أية لغة من لغات سكان هذه الرقعة السوداء .

كان صلى الله عليه وسلم ليست له زعة إلى الشعر ، وكل لايميل إلى الشعراء في بادئ الأمر ، فلما استقر لرسول الله الأمر في المدينة اتخذ له من الشعراء أعوانا لرد على شعراء وفود قبائل العرب الذين كانوا يقدون إليه مدعين لحقه الذي علا سلطانه فوق كل سلطان ، وأول من اتخذ رسول الله من الشعراء حسان بن ثابت من قبيلة الخزرج ، وكان قد بدأ حياته بصناعة الشعر واتخذها مورداً لرزقه في بلاط أمراء الحيرة (١) ودمشق ، فلما بلغه تألق نجم النبي في يثرب ذهب إليه طيعاً ونصب نفسه وموهبته الشعرية للدفاع عنه ، فأجزل له رسول الله الأعطيات ، وقد عمر طويلاً بعد النبي وتوفي سنة ٥٤ هـ وقد بلغت أشعاره درجة عظيمة من السمو المعنوي وجزالة التراكيب ، وكانت عبارته القفوية سهلة في غير كلفة كما كانت سهلة الأداء على الأجيال المتأخرة ، وذلك ما حفزهم على الإشادة بفضله والتفنى بحليل آثاره .

واشتهر من الشعراء بعد حسان بن ثابت في هذا العهد اثنان من فطاحل شعراء العرب هما الأعشى وكعب بن زهير ، ولكل منهما شعر بديع في مدح النبي ، ولو أن أولهما مات ولم يدخل في الإسلام .

ولكنه لم يعتنق المسيحية ، فلما بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم نظم قصيدة في مدحه جمعت محاسن فنون اللغة وحازت إعجاب العلماء لعدة قرون ، ولو أنها لم تبلغ من الشهرة والذوبان ما بلغته قصائد حسان بن ثابت .

وأما كعب بن زهير فهو سليل أسرة عرفت بالشعر منذ القدم من قبيلة مريّة ، وتجلت فيه الروح الشعرية القديمة بأجلى مظاهرها ، ففاق سابقيه في الشعر من حيث الطلاوة والرواق ، وكان في أول أمره لايميل إلى الإسلام لتضييده حريات الجاهلية الجارفة ، فلما رأى أعاه بيجراً قد دخل في الإسلام نظم فيه قصيدة ملؤها السخرية والتهكم الجارح ، فأغضب ذلك رسول الله فأهدر دمه ، فاضطهده المؤمنون في كل ناحية إلا أنه تمكن أخيراً من الوصول إلى رسول الله وألقى بين يديه قصيدة عصماء مطلعها (بانت سعاد) جمع فيها أحسن أساليب الشعر معنى وأجزلاً لفظاً ، فرضى عنه الرسول وصفح عن ذلك ، ودخل في دين الله .

وأشهر شعراء العرب في عهد النبي الأعظم هو بلا شك لبيد بن ربيعة فقد تمثلت فيه الروح العربية القديمة بشكلها النبل ، فبرز بين شعراء عصره وامتاز عليهم جميعاً .

ولما استقر الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة وبلغته رسالته جاء على رأس

[١] المجلة : امتدح حسان آل جفنة ملوك غسان في الشام .

وفد من قبيلته لإظهار خضوعهم ودخولهم في الإسلام ، ثم مات أخوه بصاعقة ، فنظم فيه مراثيات هي آية الآيات في الروعة والجمال ، وأقام أخيراً بالمدينة فلم يرحبها إلى الكوفة إلا في عهد خلافة عمر ، وعاش طويلاً ، قيل إنه مات في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان حوالي سنة ٤٠ هـ . وكانت توضح منظوماته في المكان الأول بين شعراء العرب وليس أحد على ذلك من أن إحدى قصائده وضعت ضمن المعلقة السبع .

وقد اشتهرت المراثي بين منظومات العرب منذ القدم شهرة عظيمة فوضع فيها أكثر شعراء العرب آيات غالبة غاية في الجمال والروعة وامتاز عهد النبي في هذا الضرب من الشعر بظهور اثنين من فطاحل الشعراء ولكل منهما مراثيات من أبدع ما نظمته العرب وهما متمم ابن نيرة والحفصاء .

وظهر كذلك من الشعراء عدد غير قليل أثناء الغزوات والفتوحات الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وحلفائه الراشدين ، على أن هذا العصر كعصره من عصور الحروب على العموم لم يكن في صالح الشعر والأدب العربي ، وأن أثره في تاريخ العرب السياسي كبير إلى أبعد حد ، إذ تمكن العرب بدافع تحمسهم لدين الله في وقت قصير من زلزلة الإمبراطورية الرومانية الشرقية ، وإخراجها من الشام ومن ممتلكاتها الإفريقية ، وتقويض المملكة الفارسية .

ومن شعراء عصر الغزوات الممتازين أبو مخنف من قبيلة ثقيف ، وكان قد اشترك في الدفاع عن مدينة الطائف عند المسلمين الفاتحين ، ودخل هو وعشيرته بعد ذلك بزمان قصير في الدين الإسلامي ، ولكنه بقي على كثير من عاداته القديمة فاستخدم موهبة الشعرية في مدح الحمر التي حرمها الإسلام ، واشترك في حروب الفتوحات الإسلامية في الشمال ، وامتاز ببلاته في موقعة القادسية ضد الفرس ، فنشرت له شجاعته وتوبته ما تقدم من ذنبه وتوفي سنة ١٦ للهجرة .

واشتهر بعده أبو ذؤيب ، وامتاز عنه شخصيته البارزة ، وموهبته الشعرية القوية ، وبعد أشهر الشعراء المذليين ، واشترك في غزوات الفتوحات الإسلامية وجاء إلى إفريقية عام ٢٣ هـ فمات أولاده خمسة في مصر بمرض الطاعون ، فرائهم بمرثية رائعة وتوفي وهو في طريقه إلى المدينة بصحبة عمه عبد الله بن الزبير وكانا يقصدان الحديدة ليخبراه نبأ عزوة قرطاجنة .

وأما الشعر الهجائي فكان ذا ثلما في العصور القديمة ، وكثيراً ما استخدم في الجاهلية في نزعات القبائل المختلفة إلى أن انحط وانقرض بعد ذلك تدريجياً - ولعل أشهر من عرف من



شعراء الهجاء في هذا العهد الخطيئة ، وكان يحوب بلاد العرب متذمعا الناس لإرهاهم والنيل منهم ، ولولا الحزازات بين قبائل العرب وتحامل بعضهم على بعض لما حفظ شيء من هذا الشعر . هذه خلاصة مفيدة عن الشعراء الذين تأثروا بأداب القرآن الكريم ، ونسجوا على نهج رفيع من الأساليب العربية في الشعر والنثر ، بعد أن خضع عليهم كتاب الله وفرقائه المنزل أبدع ما عرفت اللغات من أنواع الأساليب والمبتكرات ، وقد ظل القرآن الكريم تراثا للمسلمين يرثه الخلف عن السلف حتى يأتي أمر الله ويحقق موعوده يوم الساعة : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

عباس طه

المحامي

## مجلة الزمن

لعبد الفتاح أبو مدين

ضمن ما نشر في هذا الباب نشرت مجلة الأضواء بمجلة الكلمة الآتية :

## الشيخ شلتوت

ولي الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت مشيخه الجامع الأزهر . والشيخ شلتوت قين بهذا المنصب الكبير وجدير بأن يتولى أمور هذه الجامعة الكبرى التي تؤدي رسالة العلم منذ قرون طويلة ، وقد خرجت كبار العلماء من بين أروقتها ، وهم الذين يؤدون رسالة العلم في فسحات الأزهر ، وفضيلة الشيخ الجديد عالم ومن كبار العلماء المشرعين ، ومن الذين لا يترمتون ، فهو عالم عصرى ، ومشرع كبير ، نلس هذا في أحاديثه التي يذيعها كل جمعة من إذاعة مصر . وفيما يكتبه في الصحف ، وفي الفتوى التي يصدرها عن سؤال يوجه إليه في شئون الدين ، وهو على تقدمه في السن نشط بفيض حيوية وقوة ، ويرجع هذا على ما أعتمد إلى قوة إيمانه العميق ، وإخلاصه في أداء رسالته ، وخدمته لدينه وللشعوب الإسلامية بتشريعاته .

فتحية للرجل العالم الجليل وتهنئة بهذا المنصب السامق الذى يدين له الإسلام بفضل التشريع والهدى . تحية للأجداد العاملين ؟

# رسالة الأزهر

- ٥ -

## ( رسالة الأدب )

أقرر اليوم أمرين لا غنى لي عن ذكرهما في هذا الحديث الذي أختتم به رسالة الأزهر الأدبية .

أولها : أتني لم أعرض في كتاباتي السابقة لأديب من غير أدباء الأزهر . ورضيت أن أسير في هذه السبيل الصيقة - سبيل قصر الحديث على أدباء الأزهر - ذلك لأن المعروف عند غير الباحثين أن الأزهر بطبيعة ما يدرس فيه من العلوم - بعيد عن أدب الندرس ، لأن الأدب ترف نفسي يعطل رسالة الأزهر الدينية وما تستلزمه من دراسة قواعد اللغة العربية بأنواعها ، والرسالة الدينية هي أساس الأزهر .

فأردت أن أتني عن الأزهر في تاريخه الطويل هذه المقالة بما أسلفت من كلمات . وما ذكرت فيها من أسماء أعلام في الأدب إلى جانب أنهم أكبر من أعلام في العلوم الدينية وما يدور حولها من علوم ، وبذلك يكونون قد جمعوا بين الحسينين : العلم والأدب . وهم وإن كانوا قلة في تاريخ الأزهر إلا أنهم قد حققوا له رسالة أدبية شاركوا فيها أدباء عصورهم منذ كان الأزهر أزهراً .

أما الأمر الثاني : فهو أن دراسة كتب الأدب إما أن تخرج كاتباً أو شاعراً مثلاً رأى ابن خلدون من أن المقصود من درس الأدب هو ثمرته . وهي الإجلة في فني المنشور والمنظوم . وإما ألا تخرج واحداً منهما . وهذا التخريج عندي يرجع إلى التوفر على الملكة الأدبية أكثر مما يرجع إلى الإكثار من الاطلاع والدرس ، فصاحب الملكة الأدبية توافيه ملكته بالشعر أو النثر مبسر اطلاع وأقل دراسة ، وهذا النوع أسميه الأدباء الفعليين أما النوع الثاني : الذي قد يقضى أكثر حياته في الدرس والقراءة بل والتأليف أيضاً - ثم هو خلو من الملكة الأدبية . فهو غير مبسر لأحدهما - فنلك هو العالم باللغة وفروعها ،

وإذا كان من النوع الأول أعلام في التبيين والبيان . فإن من النوع الثاني أعلاماً في العلم والعرفان .

\*\*\*

ذكر لنا الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرزاق في محاضراته عن حياة الإمام محمد عبده نقلاً عن أحد المستشرقين قوله - « وقد ذكر الطنطاوى الذى كان مدرساً بالأزهر حوالى سنة ١٨٢٧ م - قبل ذهابه إلى بطرس بورج - أنه كان يدرس مقامات الحريري والمعلقات بشرح الروزنى . وقال ( الطنطاوى ) إنه لا يعلم أن أحداً قبله درس هذه الفنون فى الأزهر . » ولغوى هذا القول أن الأزهر إلى سنة ١٨٢٧ م لم تكن قد دخلت فى مناهج دراسة الأدب ، وأن هذا الشيخ الطنطاوى هو البادئ بالدراسة الأدبية فيه . ويؤيد هذه الرواية أن الأديب الشاعر صديق الأستاذ ابراهيم الدباغ أخبرنى بأنه حوالى سنة ١٨٩٠ م كان يذهب إلى رواق الحنفية بالأزهر مع أحد أصدقائه السوريين ليلقى صديقه هذا درساً فى الأدب على من يشاء من طلبته ، وكان هذا الدرس فى يومين فى الأسبوع ، فكان الطلبة يعدون ذلك « الأدب » غريباً عليهم كل الغرابة ، وكان كثير منهم - على قلتهم العددية - يحضر بعض دقائق ثم ينصرف . ثم إن للرحوم على مبارك « باشا » المتوفى سنة ١٨٩٣ م رواية فى خططه التوفيقية هى فى دلالتها تويد هاتين الروايتين . فقد جاء فى الجزء الرابع من خططه عن مناهج الأزهر الدراسية قوله - « وليس لم اتفأت نحو التاريخ والجغرافيا والفلسفة بل يرون ذلك بطالة وتضييعاً للوقت . . . »

إذن لى أن أقول بعد ذلك : إن الأدب لم يكن فى المناهج الأزهرية الدراسية ، وإنما الذى يميل إليه هو الذى يطلبه من كتبه ويسمى فيها الاطلاع ، ولا يطلبه من درس منتظم فى الأزهر ، وهذه الوسيلة الفردية أخرج لنا الأزهر أدباء كان منهم من حمل لواء العلم والعرفان فى علوم اللغة العربية جميعاً .

\*\*\*

يمكن فى هذه الكلمة الختامية فى رسالة الأدب أن أجمل تقسيم هذه الرسالة إلى أطوار عدة : بعضها من الحديث عنه ، وبعضها الحديث عنه جديد .

الطور الأول : طور ابن دقيق العيد ، والجلال السيوطي ، وأبي العباس القلقشندي ،  
وشمس الدين التواجي ، وأمثالهم وقد مرّ التحدث عن هذا الطور .

الطور الثاني : طور الشبراوي وإسماعيل الخشاب ، وحسن العطار ، والجبرتي ، ورفاعة  
الطهطاوي ، وعبد شهاب ، ومحمود العالم وأمثالهم وقد مرّ الحديث عنه أيضاً .

الطور الثالث : هو الطور الأول لمحمد عبده قبيل الثورة العربية . ويحدثنا هذا الشيخ  
العظيم عن رأيه في الكتابة العربية في هذا الحين . وكيف أصلح ما اعرج منها قال : « وكانت  
أساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين ، كلاهما يحجه النوق وتشكره لغة العرب . الأول  
ما كان مستعملاً في مصالح الحكومة وما يشبهها . وهو ضرب من ضروب التأليف بين الكلمات  
رث خبيث غير مفهوم ، ولا يمكن رده إلى لغة من لغات العالم : لا في صورته ولا في مادته  
والنوع الثاني ما كان يستعمله الأدباء والمخرجون من الجامع الأزهر . وهو ما كان يراعى  
فيه السجع وإن كان بارداً . وتلاحظ فيه المواصل وأنواع الجناس وإن كان رديئاً في النوق  
غير مؤد للنعنى المقصود ، ولا ينطبق على أدب اللغة العربية . . . ولا يزال هذا النوع موجوداً  
في أساليب المشايخ خاصة . ثم ورد علينا في أخريات الأيام ضرب آخر من التعبير كان  
عربياً في بابه وهو ما جاءنا من الأقطار السورية في جريدتي الجنة والجنات بقلم المعلم بطرس  
البستاني الخ . . . »

هذه الرداءة الشاملة في أساليب الكتابة العربية هي التي شمر لها الشيخ عن ساعد جده  
ونشاطه فمالجها قدر المستطاع لما أن ولي تحرير جريدة الوقائع المصرية ، ورئاسة إدارة  
المطبوعات التي هيمن بها على لغة الصحف وعلى لغة الدواوين في عهد الوزير الكبير رياض  
باشا ، فقد كان يأمر وينهى ويعاقب ويحاسب ويحذو وينذر ، ويشدد ويخفف وما زال كذلك  
إلى أن استطاع أن يجرى إلى حد ما أساليب الكتابة العربية في مختلف ميادينها : من الدواوين  
إلى الصحافة إلى الأزهر ، وكان يماونة في عمله الكتابي أدباء وقلم ، مثل سعد زغلول ،  
وإبراهيم الهلباوي ، وإبراهيم القفاني ، وأبي الوفا القوني ، وعبد الكريم سليمان . وهذه  
أول حصة من حسنات الأديب الكاتب الأزهرى الشيخ محمد عبده على أساليب  
الكتابة العربية .

الطور الرابع : هو طور هذا الشيخ الجليل أيضا بعد أن رجع من منفاه بعد الثورة العراقية وبعد أن عقد له في وطنه لواء الإمامة بأوسع معانيها . وبعد تقلد منصب الإفتاء ، فقد أخذ في هذا الدور عملاً وقته بالتدريس في الرواق العباسي بالأزهر ، فطوراً يفسر كتاب الله ، وطوراً يقرأ الكتب العالية في المنطق والفلسفة ، وثالثاً يقرأ أسرار البلاغة ودلائل الإنجاز لعبد القاهر الجرجاني ، وقد تخرج عليه في هذه الحقبة أدباء وقته وأيامهم ، وبمجيئ أن يكون من بينهم مثل الأديب الشيخ محمد المهدي زيكو الذي قال بعد حضوره أول درس للإمام في أسرار البلاغة : إننا قد اكتشفنا في هذه الليلة معنى علم البيان : مع أن الشيخ محمد المهدي هذا كان يدرس أيامئذ علم البيان في المدرسة الخديوية الثانوية ، والكاتب الشاعر البارع السيد مصطفى لطفي المنفلوطي . والشيخ عبد الرحمن البرقوقي صاحب مجلة البيان ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، والشيخ علي عبد الرازق ، والشيخ طه البشري ، والشيخ عبد العزيز البشري ، وأحمد تيمور باشا ، والشاعر الكاتب حفي ناصف .

يتبع هذا الطور اتجاه هذا الإمام الأديب إلى إحياء الآداب العربية . فقد أسس في سنة ١٣١٨ هـ جمعية برياسته سميت ( جمعية إحياء العلوم العربية ) . وقد افتتحت عهدها بطبع كتاب جليل الشأن هو ( المختصر ) لابن سيدة . وقد تولى الإمام تصحيحه بنفسه بمشاركة فقيه اللغة العربية الشيخ محمد محمود الشنقيطي . ثم طبعت الجمعية غير هذا الكتاب . هذه الأطوار للإمام كانت نواة الأدب وإصلاح أساليب لغة العرب ، لا في الأزهر وحده ، ولكنها شع نورها منه فأضاء كل ظلام خيم على لغة القرآن ، ولغة عدنان ، إلى أن كان عهد الشيخ سيد المرصفي مدرس الآداب بالأزهر الذي اتصل عهده عن قرب بعهد الإمام ، والشيخ سيد هذا هو شارح ديوان الحماسة لأبي تمام ، والكامل لأبي العباس المبرد ، وأشهد أن هذا العالم الأديب في طليعة من رفوا منار الآداب ، وخدموا أجل خدمة لغة العرب .

ولن تزال آثاره الأدبية من أقوى مراجع الأدب العربي ٢

### حسن الشيخة

المحرر الأدبي بجريدة الشعب وعضو نقابة الصحفيين

# تعليقا

## كتاب مذبذبون

نقرأ لبعض الكتاب فنفهم مرة أنهم يخلصون للأمة ، وينادون على الآداب ، وينادون بالكرامة ، فنفرح بهم ، ونود أن يكثر بيننا عددهم .

ونقرأ لهم مرة ثانية فزاهم يخادعون ويثبون في الناس الفجور وينادون جهارا بالإباحية .

نقرأ هذا وذلك فذوق من كتابنا هؤلاء مواقف الدهشة ، وغارفهم : أيسخرون من أنفسهم فيترددون بين الجد والهزل ، والكرامة والخساسة ؟ أم يسخرون من الجمهور القارئ فيكتبون له - يوما - ما يرضيه ، ويكتبون ثانيا ما يسوءه ، ويؤذيه ويخزيه ؟ .

كتبنا مرة أخيرة عن تبدل المرأة وتعرضها لمجامع الرجال في لبسة الشوال فعلق أحد ، الكتاب المعروفين على ما كتبنا مؤيدا لنا ، واستهجن لبسة الشوال في لهجه كريهة .

ثم رأينا ذلك الكاتب نفسه يطالع علينا بدعوة إلى التدين واحترام العقيدة ويضرب الأمثال بأمم أفادها الدين ، وأمم أخرى خسرت معنويتها بتساعها في دينها ، وكان في حديثه ذلك يستثنى من الأديان الخرافة ، ولا يحجد الأخذ بالخرافات على أنها دين .

ثم رأينا الكاتب يتنعت من حديثه هذا إلى دعوة المرأة الجميلة أن تلبس الشوال وغيره ، وأن تبرز مفاتيح جسمها في كل ناد ، وواد .

وهنا موقف الحيرة والدهشة من أمثال هذا الكاتب ينكر الشيء ويستحسنه ، ويرى الإعراض عن الخرافات ثم ينادى المرأة أن تتبجح بالعرى والفتنة ، ونحن نحرّم ما يحرم الله استنادا إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وهما مصدرنا تشريع إن كان مؤمنا . فإلى أي مصدر يستند كتابنا في إباحتهم للمرأة أن تفعل ما تفعل ؟ هذا تبريع الشيطان وهم جنوده ، فاللهم احفظ عبادك من ضلال المضللين .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر

# الكتاب

## تفسير الطبرى

الجزء الرابع - ٦٣٨ ص - دار المعارف بمصر

ظهر هذا الجزء ، وفيه تفسير سورة الأقال من الآية ٤٨ إلى الآية ٧٥ وهي آخر السورة . يتلو ذلك تفسير سورة التوبة من أولها إلى الآية ١٢٩ ، فإن تولوا فقل حسب الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، وهي آخر السورة كذلك وستكون بداية الجزء الخامس عشر من سورة يونس .

وفي هذا الجزء الرابع عشر من الآثار ١٣٣٤ ( من رقم ١٦١٨٣ إلى رقم ١٧٥١٧ ) . وفيه من المهارس : فهرس الآيات التي استدلت بها في غير موضعها من التفسير . ثم فهرس اللفظة مرتباً على أصل الاشتقاق وعلى آخر الأصل باباً وأوله فصلاً كاللسان والقاموس وأمثالها . ثم فهرس أعلام المترجمين في التعليق ، يلي ذلك فهرس المصطلحات ، ثم فهرس مباحث العربية والنحو وغيرهما . وبعده فهرس التفسير .

وقد سبق لنا التنويه بالمجهود العظيم الذى يبذله الأستاذ محمود شاكر في تحقيق متن التفسير والتعليق عليه بما يستغنى القارىء عن مراجعة غيره ، ومن ذلك تخرج الأحاديث والآثار . مضافاً إلى ذلك جودة الطبع ، والإشارة في جوانب الصفحات إلى أرقام الصفحات في طبعة بولاق القديمة ليستفيد من ذلك من يجدون الإحالة على تلك الطبعة في الكتب التى ألقت بعدها .

## الظاهرة القرآنية

ألفه بالفرنسية مالك بن نبي ( ترجمة عبد الصبور شاهين ) - ٣٠٣ ص - مكتبة دار المروبة مؤلف هذا الكتاب بالفرنسية من أفاضل إخواننا مفكرى الجزائر رداً لله غريبتها ، ومترجمه من شباب مصر الجامعيين الأوفياء الإسلام وهو الآن معيد بكلية دار العلوم . وقد كتب مقدمته الأستاذ السيد محمود محمد شاكر ، وهو من أبرع ما كتبه حتى الآن .

وعلى غلاف الكتاب تعريف بروح الظاهرة قيل فيه : « فى ضوء القرآن يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته ، كما تحكم المجاذبية المادة وتحكم في تطورها . والدين على هذا يبدو كأنه مطبوع فى النظام الكونى ، قانوناً خاصاً بالفكر الذى يطوف

في مدارات مختلفة - من الإسلام الموحد ، إلى أحط الوثنيات البدائية - حول مركز واحد يحفظ سناء الأبصار ، وهو حافل بالأسرار ... إلى الأبد .

والكتاب يستعرض أولا الظاهرة الدينية في البشر من وجهة نظر المذهب المادي ومن وجهة نظر المذهب الغيبي ، ثم يتكلم على النبوة وخصائصها ، ثم عن أصول الإسلام ، والحياة المحمدية وكيفية الوحي ، ومقام الذات المحمدية في ظاهرة الوحي ، ثم عن الرسالة ، فالخصائص الظاهرية للوحي والصورة الأدبية للقرآن ، وختم بدراسة للجواز القرآني .

ويقول الأستاذ محمود شاكر في تقديم الكتاب : ليس عدلا أن أقدم كتاباً هو يقدم نفسه إلى قارئه ، وإنه ليعبر أن أقدم كتاباً هو نهج مستقل ، أحسبه لم يسبقه كتاب مثله من قبل ، وهو منهج متكامل يفسره تطبيق أصوله ... وكان طريقه إلى المذهب الصحيح هو ما ضمنه كتابه من بعض دلائل إعجاز القرآن ، وأنه كتاب منزل ، أنزله الذي يعلم الخفية في السماوات والأرض ، وأن مبلغه إلى الناس رسول صادق قد ملخ عن ربه ما أمره بتبليغه ، وأن بين هذا الرسول الصادق وبين الكلام الذي بلغه حجازاً فاصلاً ، وهذا الحجاز الفاصل بين القرآن وبين مبلغه حقيقة ظاهرة لا يخطئها من درس سيرة رسول الله فاحصاً متأملاً ، ثم درس كتاب الله بنقل يقظ غير خافل .

ويقول الأستاذ محمود شاكر : إن اللغة التي نزل بها القرآن معجزاً ، قادرة - بطبيعتها - أن تحتل هذا القدر الهائل من المفارقة بين كلامين : كلام هو الغاية في البيان فيما تطبيقه القوى ، وكلام يقطع هذه القوى ببيان طاهر المبينة له من كل الوجوه . وأن العرب الذين بعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا القرآن قادرون على إدراك هذا الحجاز الفاصل بين الكلامين : وهذا إدراك دال على أنهم قد أوتوا من لطف تذوق البيان ، ومن العلم بأسراره ووجوهه ، قدروا وقرأوا يصح معه أن يتحداهم هذا القرآن ، وأن يطالبهم بالشهادة عند سماعه أن نالهم عليهم نبي من الله مرسل . وأن البيان كان في أنفسهم أجل من أن يخونوا الأمانة فيه أو يمحروا عن الانصاف في الحكم عليه .

وهذه الصفات تعضى بنا إلى التماس ما ينبغي أن تكون عليه صفة كلامهم - إن كان بقي من كلامهم شيء - فالنظر المجرد أيضاً يوجب أن يكون ما بقي من كلامهم شاهداً على بلوغ لغتهم غاية من التمام والكمال والاستواء حتى لا تعجزها الإبانة عن شيء مما يستلج في صدر كل مبدع منهم . وأن تجتمع فيه ضروب مختلفة من البيان لا يجزئ أو تكون دالة على سعة لغتهم وتعامها ، بل على بجماحتها أيضاً ، حتى تدير لكل بيان تطبيقه ألسنة البشر على اختلاف ألسنتهم .



إن مرجليوث يوم بث الأكذوبة الكبرى بأن الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا منحول لأصحابه وليس بأصيل ، أراد أن يمنع الجاهلين بروال الكلام الأصيل الشاهد على إعجاز القرآن عند مقارنة البيان الإلهي بالبيان العربي .

، وهذا المكر الخفي الذي مكره مرجليوث وشيعته وكهنته ، والذي ارتكبوا له من السفسة والعش والكذب ما ارتكبوا - كما شهد بذلك رجل من جفنه هو آربري - كان يطوى تحت أدلة ومناهجه وحججه إدراكا منزلة الشعر الجاهلي في شأن إعجاز القرآن ، لا إدراكا صحيحاً مستبيناً ، بل إدراكا حفيأ مبهما ، تخالطه متعينة مستكينة للعرب وللإسلام .

إن خصائص البيان في القرآن فوق خصائص بيان البشر على اختلاف السقتم ، وإن عجز هذا غير عجز هذا ، وإن الشعر الجاهلي إنما هو مادة الدراسة الأولى ، لأن القرآن نزل بلسان العرب ، والذين نزل عليهم ثم تعدهم وأعجزهم أصحاب هذا الشعر والمعتنون به وبيانه . وإنهم بتركهم معارضة القرآن بشعرهم وكلامهم ، قد أقرروا إقراراً لا معقب عليه بفضل هذا القرآن على شعرهم وكلامهم . وإن شعرهم وكلامهم يحمل هو نفسه في نفسه أدلة صحتة وثبوته ، بما فيه من قفرة غارقة على البيان ، فهو علم فريد منصوب لا في أدب العربية وحدها ، بل في آداب الأمم قبل الإسلام وبعد الإسلام . وهذا الانفراد المطلق ولا سيما انفراده بخصائصه عن كل شعر بعده من شعر العرب أنفسهم ، هو وحده دليل على صحتة وثبوته . وإذا درسناه من هذه الناحية فمن الممكن القريب يومئذ أن نلتبس في القرآن الذي أعجزهم بيانه ، خصائص هذا البيان المفارق لبيان البشر .

### القصص الحق لسيد الخلق

للأستاذ الشيخ محمد خليل الخطيب النيدى - ١٤٠ ص - مطبعة الشراوى بطنطا  
لما كان مؤلف هذا الكتاب قائماً بأليف كتابه « الخطب النبوية » وجمع مواد من كتب الحديث والتاريخ والأدب ، كان يحد في تلك المظان والمراجع القصص التي قصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء الماضين ، والملوك المتقدمين ، والأولياء والصالحين والأشرار الطالحين ، وفي هذه القصص عبرة للؤمنين وهدى وموعظة للذنين ، ففي فضيلته يجمعها وشرح تراكيها في استنباط الحكم والأحكام منها مع عزوها إلى المصادر التي جمعها منها ومن هذه القصص قصة الثلاثة الذين سد عليهم النار ، والثائب قاتل المائة ، وقصة الملك والساحر والغلام ، وقصة جريج الرأغب ، وقصص الخضر ، وقصة أمر أولاده بحرقه بعد

موته ، وقصة أبي زرع وأم زرع ، وقصة إبراهيم وهاجر وسارة وإسماعيل ، وقصة العابد الذي أحبط عمله بكلمة ، إلى أمثال ذلك مما بلغ خمسين قصة نبوية ، وقد جعلها المؤلف سلسلة أولى . ومع أن الأقدمين لم يتركوا باباً من أبواب السنة في أى معنى من المعاني إلا طرقوه ، وأفردوه بالتأليف فأكبر ظناً أن هذا الكتاب هو الأول في بابهِ ، فزجوا به أن ينفع به .

### ابن المعتز

وتراثه في الأدب والنقد والبيان

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي - ٧٢٠ ص - دار العهد الجديد للطباعة

يقول المؤلف في غائمة هذا الكتاب إنه اشتمل على أربعة كتب من مؤلفاته : أوّلها الطبعة الأولى من كتاب « ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان » ، وثانيها كتاب « التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي » ( ص ٤١٦ - ٤٥٦ ) ، وثالثها نص كتاب « البديع لابن المعتز » ، وشروح المؤلف عليه ، ( ص ٥٩٦ - ٧١٤ ) ، ورابعها « رسائل ابن المعتز في الأدب والنقد والأخلاق » ( ص ٤٦٥ - ٥٠٠ ) ، وهذا كله إلى جانب ما اشتمل عليه الكتاب من شعر لابن المعتز وتحليل لجوانب شخصيته وأدبه وشعره وتراثه الفكري والنقدي ، ومن ذلك قصيدته في تاريخ الخليفة المعتضد وأرجوزته في ذم الصبوح ( ١٣٥ - ٤٥٦ ) .

ويمتاز هذا الكتاب بالإحاطة والشمول لكل ما يتعلق بهذا الشاعر العباسي ( ٢٩٦ - ٣٤٧ ) ووصف العصر الذي عاش فيه ، والطروف التي أحاطت به ، وتوجيه الأضواء إلى المناسبات التي نظم فيها أهم تراثه الأدبي من منظوم ومثور ، مع عزو كل شيء إلى مصادره . فكان حظ ابن المعتز من هذه الدراسة والإحاطة فوق حظوظ سائر الشعراء الذين يلجج الأدباء والمثقفون ببدايع تراثهم وروائع آثارهم في حياتهم وأحكام الناقدين عليهم في شتى العصور ، ولا نبالغ إذا قلنا إن هذه المجموعة أنفست مؤلفات الأستاذ الخفاجي الكثيرة .

### البيتوشي

للشيخ محمد الخال قاضي السلمانية - ٣٠٠ ص - مطبعة المعارف بغداد

لما كان كاتب هذه السطور عاكفاً قبل سبع سنوات على دراسة عصر داود باشا ( ١١٨٨ - ١٢٤٣ ) وأسلافه الأفريين من ولاية بغداد ، لتحقيق مختصر ( مطالع السعود )

لعثمان بن سند البصري ، كان اسم البتوشي يردد في أحداث تلك الحقبة ، ولا سيما في استنجاه الأمير سليمان بن شاوي الحيري لنصرة أهل البصرة عند استيلاء متوحشة الأجرام عليها ، وكنت أتمنى يومئذ لو أظفر بمرجع أتعرف منه إلى أدب هذا الأديب الكبير والشاعر البليغ الذي يعد حلقة من السلسلة النحوية في أعلام الأكراد الذين كان لهم نصيب طيب في حمل أعباء الإسلام في جهاده وعلومه وآدابه ومفاخره ، وعلى رأس هذه السلسلة اسم السلطان الملك الناصر صلاح الدين وذويه ، وفي أواسطها أضراب الحافظ العراقي ، حتى تبلغ إلى البتوشي وتنتهي بأحمد تيمور باشا وعهد كرد علي وأمثال هؤلاء الأعلام . لذلك كان سروري عظيمًا عندما اطلعت على كتاب فضيلة قاضي السليمانية في شمال العراق عن حياة الشيخ عبد الله ابن حمد البتوشي وبنته الأولى ، وعن علمه وثقافته وتحليل أدبه ، واستقصاء مؤلفاته وآثاره ، فكان لإحياء لهذا العبقري الكادح الصابر المنقطع للأدب والعلم في القرن الثاني عشر الهجري . إن حياة البتوشي مثال الحياة الطيبة في الجامعة الإسلامية ، وكيف أن الإسلام قد جمع قلوب أهله على محبة العربية والعرب ، كما فتح قلوب العرب لمحبة إخوانهم في الإسلام جميعاً ، ولعل ذلك مما حل رجلاً عظيماً آخر من عظماء الكرد وهو الحافظ العراقي على تأليف رسالته الشهيرة في فضل العرب وأكمل تبيينها في المدينة المنورة في رجب سنة ١٢٩١ هـ . ومن هذه المحبة المتبادلة قيام يوسف ضياء الدين باشا الخالدي ( ١٢٥٥ - ١٣٢٤ هـ ) من أعلام أعيان العرب في بيت المقدس على تعلم اللغة الكردية بكتابه ( الهدية الحميدية في اللغة الكردية ) وفيه زيادة على نحوها وقواعدها معجم وجيز لألفاظها مترجمة بالعربية ، وهو مطبوع في القسطنطينية قبل ٦٨ سنة في ٢٢٠ صفحة كبيرة . وقد اقتدى في علمه هذا بأبي حيان الأندلسي ( ٦٥٤ - ٧٤٥ هـ ) الذي كان أول واضع لنحو اللغة التركية بكتابه ( الإدراك للسان الأتراك ) المطبوع بالقسطنطينية أيضاً . إن هذا وأمثاله من شواهد الروابط العلية بين المسلمين على اختلاف أصولهم وأجناسهم ، وكان الاستعمار حريصاً في عشرات السنين الماضية على توهين هذه الأواصر ، ولعل اليقظة الأخيرة للمناسبات الاستعمارية ترد على المسلمين سنة سلفهم في توثيق الروابط الإسلامية كما كان يعمل لها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي والحافظ العراقي والشيخ عبد الله البتوشي وأحمد تيمور باشا وأضرابهم من علماء المسلمين ، رحمهم الله وأعل مقامهم في دار الخلود .

### سلسلة الثقافة الإسلامية

يصدرها المكتب الفنى للنشر ، وقد اطلعنا منها على ثلاث حلقات :

الأولى ( الوحدة الإسلامية ) للأستاذ محمد أبو رهرة ، ويقول المؤلف : إن الوحدة التي نبتغيها لا تتمس سلطان دى سلطان يتوهم بالحق والعدل فى المسلمين . ولا شكل الحكم فى الأقاليم الإسلامية ، فلكل إقليم أسلوب حكمه مادام يؤدى إلى إقامة الحق والعدل فيه ، ويحقق المبادئ الإسلامية السامية . وإنما معنى الوحدة الإسلامية أن نعتبر أنفسنا مرتبطين بروابط وثيقة تمتد جذورها فى أعماق أنفسنا ، فالإسلام دين الوحدة الجامعة الشاملة ، كما هو دين التوحيد الخالص . وعنوان الحلقة الثانية ( الديمقراطية الإسلامية ) وهى بقلم الدكتور عثمان خليل أستاذ القانون العام بكلية الحقوق بجامعة القاهرة . وهو يقول : إن التراث الإسلامى فى شأن الحكم حلقة أصيلة فى صميم سلسلة التطور التى مرت بها الفكرة الديمقراطية المجردة خلال القرون المتعاقبة ، والتجارب المتعددة لا تقاس إحداها بالأخرى ، وإنما تقسب جميعها إلى ذات الفكرة التى تجمع بينها ، والمندلول اللفظى للديمقراطية هو أنها « حكومة الشعب » إلا أن الأفكار قد اشعبت فى فهم معنى حكومة الشعب ، وإن تجاوزنا عن العوارق الجزئية وأخذنا فى الاعتبار الخطوط الرئيسية الكبرى وحدها أمكننا رد هذه الشعب إلى اتجاهين رئيسيين : الديمقراطية السياسية ، والديمقراطية الاجتماعية . . . والديمقراطية الإسلامية تراث جليل فى هذين المجالين ، وقد كانت - ولا ريب - أرحب ما يتصور للإنسان ، إذ امتد منذ أمد بعيد إلى شتى صور الديمقراطية التى عرفها الإنسان إلى اليوم .

والحلقة الثالثة من هذه السلسلة بقلم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر وعنوانها ( الإسلام والوجود الدولى للمسلمين ) . ويقول المؤلف : « لقد كان للمسلمين باعتبارهم جماعة ، أحداث هى عناصر قوية فى بناء الوجود الدولى لهم ، وكان شأنهم فى تذكرها شأن كل مجتمع بشرى يتحسس مواضع الضعف فى سيره فيتميزها ، وعوامل القوة فيتميزها . كانت الهجرة مبدأ الوجود الدولى للمسلمين الذين لم يكونوا قبلها إلا أفراداً مضطهدين مبعثرين صار لهم بها وحدة ، لها شعارها الخاص . ونظامها الخاص ، وهدفها الخاص ، إن المبادئ التى تركت وآمنت بها القلوب وامتثلت بها النفوس كانت لدى أصحابها أعز من نفوسهم وأموالهم ومن كل ما يملكون . إن صاحب العقيدة العالمية ، والمبادئ الإنسانية العامة لا يقف بجهوده فى سبيل عقيدته أو مبدئه فى أماكن محدودة ، وإنما يسمو بعقيدته ومبدئه عن التنديد بالجنسيات والأقاليم ، والعالم كله ميدان لعمله ، فإذا ما نبأ به مكان تحول إلى غيره حيث يجد التربة الخصبة للإبات والإثمار . »

وسلسلة الثقافة الإسلامية اعتمدت الصدور مرة فى كل شهر - إلا فى شهرى الصيف - فيكون منها عشر رسائل فى السنة . نرجو الله أن يجعلها سديدة الخطأ ناهضة للناس .

# الأدب والعلوم

## تاريخ الأمة العربية

في جامعاتنا

قرر وزير التربية والتعليم المركزي في الجمهورية العربية المتحدة إنشاء كرسى في كل جامعة من جامعاتنا لتاريخ الأمة العربية .

كانوا في جامعاتنا ينظرون إلى تاريخ الأمة العربية ، وإلى التاريخ الإسلامى ، كما ينظرون إلى تاريخ اليابان ، أو تاريخ الأرجنتين ، فيعتبرون أنفسهم غرباء عنه ، وتصدر أحكامهم على أجدادهم منظوراً إليها بميون أعدائه في بلاد الاستعمار الماصرة ، أو في البيئات الشعوية في مئات السنين الماضية .

وفي اعتقادنا أن إنشاء كرسى في جامعات الجمهورية العربية المتحدة لتاريخ الأمة العربية يقصد منه قبل كل شيء تمحيصه وتثقيته مما دس فيه لتثويبه أجداده ، ثم العناية بتكوين إيمان على في نفوس رجال الغد بأن ماضيهم العربى والإسلامى هو الأساس الذى يقوم عليه مستقبل قوميتهم ، فيجب أن يكون هذا الأساس متيناً سالمًا ،

## الاستعمار الثقافى والفكرى

أعلنت حكومة السودان أنها قررت القضاء على الاستعمار الفكرى البريطانى في السودان وتحرير الثقافة السودانية منه . قال اللواء محمد طلعت فريد وزير الاستعلامات السودانى والمتحدث الرسمى باسم حكومة السودان : إننا مصممون على تحرير ثقافتنا ولغتنا من الاستعمار الانجليزى . لقد جعلت بريطانيا من نفسها - خلال الاستعمار - أكبر عميل لنا ، وطبعت ثقافتنا بطابع بريطانى بغض ، حتى أصبح الشباب السودانى يتكلم بالإنجليزية بدلاً من العربية ، ويمرحها يريد بالإنجليزية عند ما يعجز أو يتعثر في التعبير عنه باللغة العربية ونحن مصممون على تحرير السودان من هذه الرابطة الواهنة ووضع حد لها .

## تعبئة العلم لخدمة الوطن

اجتمع في يوم ٨ نوفمبر مائة وخمسون عالماً من أبناء الجمهورية العربية المتحدة المتخصصين في فروع العلم ، ليضوا تقارير فنية وافية للشروعات العمرانية الضخمة . عقد الاجتماع

« قسطل » و « البلانة » و « المحرق » و « عمدا » ،  
 وبتضاعف هذا المبلغ في ميزانية الأعوام  
 القادمة لتمكين من كسب الوقت وإنقاذ الآثار  
 المصرية من الغرق قبل مشروع السد العالي .  
 وقد سافرت بعثة مشتركة من جامعة القاهرة  
 والإسكندرية إلى النوبة على الباخرة « سرو » ،  
 للانتقال بها والإقامة إلى جانب البعثات  
 الأجنبية التي ستساعد في هذا العمل ، وأولها  
 بعثة جامعة ميلانو التي اختارت منطقة « المحرق » ،  
 فلما أغرقها الفيضان تحولت إلى التنقيب  
 في منطقة « أخمدي » ، وقدمت تقريراً  
 عن حفرياتهما وعادت إلى بلادها .

وهناك بعثة ألمانية ستقوم بالحفر في منطقة  
 « عمدا » برئاسة الأستاذ شتوك مدير المعهد  
 الألماني بالقاهرة . والبعثة البولندية ستقوم  
 بالعمل برئاسة الأستاذ ميتخالفسكي الذي قام  
 برحلة استطلاعية . وتدور الحفائر الآن  
 في منطقة « قسطل » لإنقاذ آثارها المهمة  
 إذ تحتوي على ٦١ كوما أثرياً تم حفر ١٨ منها  
 كما حضرت البعثة أكثر من ١٢٠ مقبرة صغيرة  
 ترجع تواريخها إلى العصر العتيق والدولة الحديثة  
 والعصر المروى . ويتفق أن تنتهي البعثة  
 في منطقة قسطل هذا العام للانتقال إلى منطقة  
 البلانة . وتقوم البوخرينة بالآثار المستخرجة  
 حتى الحدود ثم تتولى قطارات السكة الحديد  
 نقلها إلى القاهرة .

في مبنى المركز القومي للبحوث في الدقي برئاسة  
 السيد كمال الدين حسين رئيس المجلس الأعلى  
 للعلوم ، وحضر الاجتماع وزير التكوين المركزي  
 ووزير الزراعة التنفيذي . وخطب فيهم رئيس  
 المجلس خطبة قال فيها : إن سلسلة الانتصارات  
 التي أحرزها الوطن في الميادين السياسية  
 والاجتماعية والحرية تلقى على كواهلهم عبثاً  
 آخر هو حماية هذه الانتصارات ودعمها وجعلها  
 أساساً لانتصارات مستقبلية يأملها الوطن  
 العربي كله . ثم بين لهم المهمة التي ستوكل إليهم ،  
 وفروع العلوم التي يحتاج إليها في تنفيذ  
 المشروعات العمرانية .

وقد تكونت لجان للعلوم الجيولوجية  
 والتعدين والعلوم والصناعات الكيماوية  
 والهندسية والزراعية والبيولوجية الخ ،  
 وبدأت اللجان عملها عقب الاجتماع مباشرة .  
 وقد وعدهم الرئيس بأن تكون كل الموارد  
 العملية في البلاد تحت تصرفهم ، ومن ذلك  
 الإحصائيات والمراجع والبيانات . ولن تقصر  
 الدولة في إرسال الإخصائيين منهم للتوهمات  
 العملية ، بشرط أن يكون هناك تخطيط لبرنامج  
 على يفيد البلاد من تلك التوهمات .

### إنقاذ آثار النوبة من الغرق

قال الأستاذ محرم كمال وكيل مصلحة الآثار :  
 إن المصلحة خصصت في ميزانية هذا العام  
 ١٠ آلاف جنيه لإجراء الحفائر في منطقة

## انبناء العجلة الانشائية

### ميثاق الضمان العربي

بحسب الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مع الممثلين العسكريين للجيش العربي في التعديلات المزمع إدخالها على ( ميثاق الضمان العربي ) ، وتجرى اتصالات مهمة مع دول الجامعة الأعضاء لهذا الغرض .

### أرقام

قال جمال عبد الناصر في خطبه في المنيا :  
كنا نستخدم في مصر ٤ في المائة فقط من أرض هذا الوطن ، واليوم قد صممنا على أن نستخدم هنا في مصر مائة في المائة من أرض الوطن .

لقد بدأنا في مشروع السنوات الخمس وهو يتكلف ٢٠٠ مليون جنيه .

لقد كن رأس المال في الاستثمار الصناعي عام ١٩٥٢ مليوني جنيه . وفي سنة ١٩٥٧ أصبح ٤٤ مليونا ، أي تضاعف ٢٢ مرة . جميع أسواقنا تحفل بالمنتجات التي صنعت عليها ، لا يوجد في أسواق القاهرة وسائر

الأقاليم منسوجات أجنبية ، كل البضائع مصنوعة في بلادنا . وهذا نصر حلو .

قام الاستعمار بضغط اقتصادي علينا ، كان عندنا ٦٠ مليون جنيه ذهب احتياطي لم يصرف منه جنيها واحدا ، وانتصرنا في الحركة ، واستثمرنا في العام الماضي ٤٤ مليون جنيه في الصناعة ، و ٥٥ مليونا في البناء ، و ٣ ملايين في التجارة .

بدأنا معركة سنة ١٩٥٦ وعندنا ٤ ملايين جنيه من النقد الأجنبي . وكنا نشترى من الخارج بـ ١٨٠ مليون جنيه ، ورغم هذا سرنا ، وبقينا . وأنتجنا ، ووغرنا مالا ، هذه هي لذة الكفاح ولذة الانتصار .

### الانقلاب في السودان

قام الفريق إبراهيم عبود - القائد العام للجيش السوداني - بانقلاب عسكري لجر يوم الاثنين ٩ جمادى الأولى ( ١٧ نوفمبر ) . استولى على الحكم ، وألف مجلسا أعلى للقيادة العسكرية مؤلفا من ١٣ ضابطا برياسته تولى السلطة في البلاد . أعلن تعطيل الدستور

وزادة ثورة مؤلفة من ١٢ وزيراً ٧ من ضباط المجلس الأعلى للقوات المسلحة و٥ من المدنيين . وأصدر ثلاثة أوامر دستورية : (١) أن السودان جمهورية ديمقراطية ، السيادة فيها للشعب . (٢) أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة هو السلطة الدستورية العليا في السودان . (٣) أن المجلس الأعلى يعطي رئيسته جميع السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية وقيادة القوات المسلحة .

وكان الفريق إبراهيم عبود قد حدد - في اليوم الأول للثورة - إقامة وزراء حكومة عبد الله خليل السابقة والرعاة السياسيين ، ومنع الصحف كلها من الصدور . وفي اليوم التالي أمر بالإفراج عن الوزراء والزعماء ، وأباح صدور الصحف ، واستأنفت وكالات الأنباء برقياتها من الخرطوم .

وما يذكر أن الفريق إبراهيم عبود ورجال النظام الجديد في السودان أقسموا بيمين الإخلاص للامم وللوطن أمام مفتي السودان .

وعقب قيام النظام الجديد في السودان بعث الرئيس جمال عبد الناصر برسالة شفوية إلى الفريق إبراهيم عبود ، فقام سفير الجمهورية العربية المتحدة في الخرطوم بإبلاعها إلى الفريق إبراهيم عبود ، وفيها إعلان أن الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لتنمية العلاقات وتوثيق

المؤقت ، وحل الأحزاب السياسية والبرلمان ، أعنى جميع الوزراء من مناصبهم .

أذاع قائد الانقلاب بياناً قال فيه : إن الفوضى والفساد انتشرا في أجهزة الدولة نتيجة الأزمات السياسية القائمة بين الأحزاب وجريها وراء الحكم إلى أن تدهورت حالة السودان فكلد يتردى إلى هاوية مهيقة .

وقال في ختام بيانه : إتنا سنعمل جاهدين لتحسين العلاقات مع شقيقتنا الجمهورية العربية المتحدة ، وحل المسائل المعلقة ، وإزالة الجفوة المفتعلة التي كانت تسود البلدين الشقيقتين .

والفريق إبراهيم عبود ولد في سككات يوم الجمعة ٢ رجب ١٣١٨ ( ٢٦ أكتوبر ١٩٠٠ ) وتخرج في ٢٠ رمضان ١٣٣٦ ( أول يولية ١٩١٨ ) وعين ضابطاً مهنتسا برتبة ملازم . واشترك في الحرب العالمية الثانية في شمال إفريقيا وأرتيريا والحبيشة . وعين نائباً للقائد العام في الجيش السوداني عام ١٣٧٤ ( ١٩٥٥ ) برتبة لواء ، وتولى قيادة الجيش في شوال سنة ١٣٧٥ ( مايو ١٩٥٦ ) ، ورفق إلى رتبة الفريق في ٢٨ جمادى الأولى ١٣٧٦ ( أول يناير ١٩٥٧ ) ، وقام بمجولة في دول أوروبا بعد إعلان استقلال السودان .

وعقب هذا الانقلاب عام القائد بتشكيل



الخرطوم - بأمانة الجمهورية العربية المتحدة وقال : إن الجامعة تعتمد عليهم في وثباتها .  
استقبل الجمهور اسم الجمهورية العربية بالتصفيق الحار : نال السيد إبراهيم عبدالله من الترحيب جارة الجمهورية العربية المتحدة في الزراعة عن هذا العام ، وقد ذهب الدكتور سعد الدين فوزي نائب مدير جامعة الخرطوم للسفر إلى القاهرة لاختيار ١٧ أستاذا مصرية يعملون في جامعة السودان .

الروابط بين البلدين حكومة وشعبا . وقد أجب الفريق إبراهيم عبود على ذلك بشكر الرئيس جمال عبد الناصر على رسالته الرقيقة ، وشكره للجمهورية العربية المتحدة في شخص سيادته لأنها أول دولة اعترفت بالنظام الجديد للجمهورية السودانية .

وعما قرر المجلس الأعلى للقوات المسلحة السودانية إلغاء ألقاب الباشوية والبكوية وأفتدى من المجلس السوداني .

## العراق يعمل

قرر مجلس الوزراء العراقي اعتبار المعاملات الاقتصادية بين العراق وفرنسا في حكم المقطوعة ، وأصدر أمراً إلى جميع الدوائر والمؤسسات بالامتناع عن إقامة أية علاقات اقتصادية مع المؤسسات أو الشركات الفرنسية وعن استيراد أية مادة من فرنسا أو الاتفاق على استيرادها أو الارتباط بذلك .

وقرر كذلك تغيير اسم شارع غوردون باسم ( شارع الجامعة ) وشارع كتشنر باسم ( شارع النيل ) كما قرر إزالة تمثال غوردون وكتشنر ، وترك للاجيز الخيار بين أن يتسلموا التمثالين وينقلوها إلى بلادهم ، أو أن تحفظهما حكومة السودان في أحد متاحفها .  
والظاهر أن الانجليز يرغبون في تسليمها وشحنها إلى إنجلترا .

## جامعة الخرطوم

تنفصل عن جامعة لندن

وطلبت الحكومة العراقية من الحكومة البريطانية لإغلاق قنصلياتها في جميع أنحاء العراق صدا بغداد والبصرة ، وقال راديو لندن : إن العراق تقدمت بمذكرات إلى بريطانيا وأمريكا وتركيا لإغلاق قنصلياتها في كركوك والموصل .

أعلنت جامعة الخرطوم استقلالها عن جامعة لندن ، تم تنصيب الفريق إبراهيم عبود رئيساً فخرياً للجامعة . أشاد الأستاذ سيد ناصر الحاج على - أول رئيس سوداني للجامعة

على الجمهورية العربية المتحدة أو أية دولة عربية أخرى . وإن الوحدة بين أبناء العراق من حرب وأكراد هي خير ضمان للذعر .

### مياه العراق الإقليمية

تعترف جمهورية العراق بإنشاء ميناء جديد على الخليج العربي جنوبي البصرة يتكلف ١٥ مليون جنيه ، لمواجهة الزيادة في إنتاج البترول وتصديره من ٣٥ مليون طن إلى ٥٧ مليوناً بعد ثلاث سنين . وعملاً بالعرف الدولي الذي أخذت به دول كثيرة أعلنت العراق أن مياهها الإقليمية تمتد ١٢ ميلاً أي نحو ٢٠ كيلومتراً . ولكن إيران - كعادتها في الشعب والثروة فيما يتعلق بشئون الخليج العربي - أخضت تعارض العراق ونحاول الوقوف في طريق إنشاء الميناء الجديد ، وتناقش في حق العراق في مياهه الإقليمية ومدى إلى ١٢ ميلاً .

وكانت الأمم المتحدة قد قامت بجهود في سبيل إقرار قاعدة قانونية فيما يتعلق بالمياه الإقليمية ، فأشارت لجنة القانون الدولي التابعة لها في يولية سنة ١٩٥٥ إلى عدم وجود قاعدة ثابتة في هذا الموضوع إلا أن القانون الدولي لا يرى أن تزيد المياه الإقليمية عن اثني عشر ميلاً بحرياً ، وهذا ماقررتة العراق وتراء

وأعلن وزير الاقتصاد العراقي انتهاء امتياز شركة نفط خاتمين ابتداء من يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٨ ، وتقوم الحكومة بتسليم حقول البترول المشمولة بهذا الامتياز ، وكان سيستد إلى سنة ١٩٩٦ لو لم تنه الحكومة العراقية . ورأس مال هذه الشركة بريطاني ، وأصحابها من كبار المالكين البريطانيين .

### إنذار إلى إسرائيل

من العراق

وجه العراق إلى إسرائيل إنذاراً جاء فيه : إن إسرائيل إنما تحكم على نفسها بالموت ، وتحفر قبرها بأيديها ، إن هي عاجت أية دولة عربية .

وقد جاء هذا الإنذار في إذاعة لراديو بغداد الحكومي ، وتضمن اتهاماً للاستعماريين بقيادة الولايات المتحدة بأنهم يسلحون إسرائيل ضدنا . ونحن نرى أن هذا الإنذار هو المحافظة على ميزان القوى بين العرب وإسرائيل . وأضاف قائلاً : إن الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية الشقيقتين تتفان الآن على أهمية الاستعداد ، والعراق مستعد تماماً ، وهو يدرك تمام الإدراك أن سلامة الجمهورية العربية المتحدة تعني سلامة العراق نفسه ، والعراقيون يقفون صفاً واحداً ضد أي عدوان لإسرائيل

وقد استقبلت وزارة الخارجية الأمريكية بالاستياء الشديد خطاب الملك محمد الخامس ، وقال مستول في الوزارة : إن الحد الأدنى للسنة التي يمكن أن تجلو خلالها القوات الأمريكية عن القواعد الجوية في المغرب هو خمس سنوات .

وطدت حكومة المغرب فكرت في أواخر نوفمبر المطالبة - بلسان سفيرها في واشنطن - بضرورة جلاء القوات الأجنبية عن أراضي المغرب ، وإغلاق القواعد الأمريكية فيها بدون أية شروط ، وقال السفير المغربي في برنامج تليفزيوني على : إن وجود القوات الأجنبية في المغرب ، فرنسية كانت أو إسبانية أو أمريكية ، يتنافى مع معنى الاستقلال .

## سياسة بريطانية

### في الشرق الأوسط

نشرت صحيفة ( سبكتاتور ) الانجليزية يوم ٦ نوفمبر مقالا بقلم روى جنكيز النائب في مجلس العموم البريطاني قال فيه : إن سياسة إقامة الحكومات الموالية للغرب في الشرق الأوسط ، ومحاولة إقامة كتلة من الدول العربية ضد كتلة أخرى ، كانت حتى يوليو الماضي - أي إلى قيام ثورة العراق - توصف بالقصور . أما بعد ذلك فلا بد أن توصف بالخلط والجنون .

من حنفا وبه حماية مصالحها العمرانية ، ومعارضة ذلك تنافي تقدم العمران وتمتع الأمم بحقوقها الحيوية .

## الخليج العربي

قررت حكومة الجمهورية العراقية حزم جميع الرسائل البريدية الصادرة من العراق والواردة إليه إذا كانت معنونة بكلمة ( الخليج الفارسي ) بدلا من ( الخليج العربي ) ، وذلك تمهيدا لإعدام تلك الرسائل فيما بعد .

وقد انعقد الاجتماع في جميع أنحاء الوطن العربي الأكبر على تصحيح هذا الخطأ الجغرافي الذي روج له الاستعمار في المائة السنة الماضية وسيوضع حد له بعد الآن فيزول استعماله إلى الأبد .

## القوات الأجنبية بالمغرب

لمناسبة الاحتفال بعيد الجلوس الحادي والثلاثين لملك المغرب ألقي الملك كلة طالب فيها بسحب جميع القوات الأجنبية من بلاده وقال : إن جلاء هذه القوات هو الهدف الرئيسي لسياسة المغرب ، وأن هائم من انسحاب بعضها لا يعتبر كافيا . كما طالب بإعادة المناطق المنتزعة من المغرب ، وأكد تمسك بلاده بارتباطاتها مع الجامعة العربية .

## الفهرس

صفحة	الموضوع	بسم
٤٠١	من إمامان البد السال : المروعة تكسح جراح الليل	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٤٠٩	نقعات القرآن : - ٦٥ - للثالية لادنية في توجيهات القرآن لي كان ذاسم وعطنة	» عبد القليل السبكي عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر . . . . .
٤١٣	السنة عمل للمرء لنفسه . . . . .	» طه محمد الساكت . . . . .
٤١٧	للخودث في الإسلام : هيرات للرافة . . . . .	» عبد الرحمن عيسى مدير الحجة . . . . .
٤٢٦	قد كتاب « أسواء على السنة الحمديية » - ٥ -	» محمد محمد أبوشبة الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين . . . . .
٤٣٢	برامج ومناهج - ٢ - . . . . .	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية . . . . .
٤٤٣	ذكرى ثورة الجزائر . . . . .	الأستاذ حنين محمد محولوف مفتي الديار الشرقية سابقا وعضو جماعة كبار العلماء .
٤٤٧	القائد الأسود . . . . .	» أحمد القريشي المدرس بالأزهر . . . . .
٤٥٣	حقائق يلبس أن تعرف . . . . .	» أبو الوفا للرافعي . . . . .
٤٥٧	أسرار التذكير في القرآن . . . . .	» عبد الوهاب حودة . . . . .
٤٦١	الزاهد الثقات ( طاسين فيس ) . . . . .	» محمود النواوي . . . . .
٤٦٧	الدين في سوابق الدفاع . . . . .	» فتحي هتان . . . . .
٤٧٤	الفرقان النزل وأثره في الأدب العربي . . . . .	» عباس طه الهامى . . . . .
٤٧٨	السلامة للأدب . . . . .	» حسن الشيخة المهرور الأدبي بجريدة النعب وهو نفاة المحبين . . . . .
٤٨٢	السلامة للأدب . . . . .	» عبد القليل السبكي عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر . . . . .
٤٨٣	السلامة للأدب . . . . .	الحجة
٤٨٩	الأدب والمعلوم . . . . .	»
٤٩١	السلام الإسلامي . . . . .	»



## تفسير الألوسى

سثلت لجنة الفتوى بالأزهر عن حكم اقتناء كتاب روح المعاني للعلامة الألوسى في التفسير ،  
فأجابت بفتواها المسجلة تحت رقم ٣١٠٣ :  
» بأن تفسير العلامة الألوسى من التفاسير المعتمدة التي لا يصح أن يقوم بين الناس جدل  
حول اقتنائها وقراءتها والاستفادة منها . والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم	
محب الدين الخطيب	
الإشراف السيوي	
في وادي النيل	٤٠٠
الطبيب والداري الجبل	٤٠٠
الطبيب والداري الجبل	٣٠٠
دارع المرحوم	٥٠٠
لادنة مباح الزاوي	٢٠٠
لادنة مباح الزاوي	٤٠٠

مجلة الأزهري  
بجسلة شهرية جامعة  
تقدم من شعبة الأزهري في كل شهر عربي

مدير المجلة  
عبد الرحمن عيسى  
القنوات  
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة  
تأليفات ٤٦٤١٤

الجزء السابع - القاهرة : رجب سنة ١٣٧٨ - يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٥٩ - المجلد الثلاثون

حجم ١٥  
٢٤٢٢  
ورب

بسم الله الرحمن الرحيم

لمناسبة أسبوع العيد الرابع للعلم :



سفينة التعليم تغير اتجاهها

العلم سلاح ...

والأصل في السلاح أن يعد للدفاع عن النفس ، وأن يستعمل في حلية القتال والنفاث .

ومن السلاح ما يتخذ للزينة ، وقد لا تكون معه ذخيرة ، فيبقى معطلا عن الاستعمال عند الحاجة إلى استعماله .

ومن الناس من يستعمل السلاح في الانتحار ، أو في قتل أولاده أو والديه أو من أحسنوا إليه . وفي ركن أخبار الجرائم من الصحف اليومية أمثلة متواصلة لهذا النوع من استعمال الناس للسلاح .

وهكذا الثقافة والتعليم : منهما ما هو بمنزلة الدواء الشافي ، ومنها ما هو مضیعة للوقت ، وقد يكون في بعض أنواعهما المزعاف .

لهذا كان الهادي الأعظم - صلوات الله وسلامه عليه - يستعذ بالله من علم لا ينفع ...

وإذا كان العلم الذي لا ينفع بما يستعاذ بالله منه ، فما بالك بالعلم الذي ابتكرته الشياطين ، لتواصل به كينها لبني آدم وبناات حواء !

والاستعمار من دأبه ، إذا احتل وطناً من أوطان الناس ، أن يجعل ثمرة التعليم والشفيف في مصلحته هو ، ولتحقيق أغراضه السياسية والمذهبية ، لا لمصلحة البلد المحتل ، ولا للخير المتعلين من بنيه .

ومن بدائع حكيم مسلى القارة الهندية محمد إقبال - رحمه الله - أبيات من الشعر يتكلم بها على فرعون موسى ، ويعيب عليه تفكيره في إبادة بني إسرائيل بقتل مواليدهم عقب ولادتهم ويقول له : هلا اهتديت بهدى الاستعمار في عصرنا ، إذ سن لنا في مدارسنا مناهج ثقافية يحول بها أبناءنا عن طريقنا إلى طريقه ، وعن مواصلة العمل بسنتنا وبسجاينا إلى الإيمان بسنته وبسجاياه ، والعمل بهما حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ، حتى لو دخل الاستعمار جحر حطب لدخلوه من ورائه .

إن هذا الأسلوب الغربي في القتل والإبادة ، أنجح من أسلوب فرعون موسى في قتل مواليد بني إسرائيل . . .

لذلك كان مما ينبغي لأحرار كل وطن يرا الله لأهله سبيل الخلاص من أسر الاستعمار ، أن يعيدوا النظر في أنظمة التعليم التي كان قد فرضها عليهم ، والأهداف الثقافية التي كان يوجههم إليها ، لأنها مظنة أن تكون في مصلحته لا في مصلحتهم ، ولعله كان يعتمد عليها وهو يرمع فرائعهم ، مطمئناً إلى أنها ستكون خليفته فيهم ، وأن المتخرجين بها والمؤمنين بمنهجها وتناقلها سيواصلون العمل على الأساس الذي تركه لهم ، فان فقدوا الإمام الذي تعودوا الاتيم به ، فن يعودوا إلى ما قطع الاستعمار صلتهم به من خططهم الأصيلة ، وسيستمررون دائرين في فلكه الذي رسمه لهم في عشرات السنين من عهد إشرافه عليهم .

إن البلاء الذي خلفه الاستعمار في مدارسنا ومعاهدنا بعد فراقه لنا إلى غير رجعة ، كان بلاء ذا ثلاث شعب :

في التربية حصر نشاطنا في التربية البدنية ، وحال بيننا وبين التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتربية العقلية ، والتربية الاجتماعية الإسلامية .

وفي الثقافة كان الاتجاه في مدارسنا إلى ثقافة الغرب ، وإلى الانس بأفظمته وأوضاعه وآدابه ، وإلى التعرف بعظماته في الحرب والسياسة والعلوم والآداب ، حتى لقد رأينا في المعلمين والجامعيين من يذكر للاحتلال البريطاني حسنات في الري والإدارة وال عمران والحياة الاجتماعية ، وإذا سئل عن أثر الإسلام في مصر لم يجر جوابا ، بل لعله لا يعرف عن عمرو بن العاص - رائد الإسلام الأول في مصر - إلا أكنوبة التحكيم بالأسلوب الذي روجه الشعوب في مئات السنين الماضية ، ولعلنا لا نزال نلقنه لأبنائنا في مدارسنا إلى اليوم !

وثالثة الأثافي الاقتصار في العلوم الكونية على النظريات ، بل على أن تكون الوظائف هي مطمح أنظار الذين يتعلمون هذه العلوم ، فلا يخطر بياهم أن تكون لهم - مع علماء الأمم الأخرى - مساهمة في البحوث العلمية التي يكون لها أثر في التقدم العمراني ، ولا أن يكون لهم نشاط في تطبيق نظريات هذه العلوم على الطبيعة : من تعدين ، وتحليل ، واستنباط ، وتفنن في الصناعة والاستثمار .

وكان ينبغي الطلبة المسلمين - على الخصوص - وهم يدرسون العلوم الكونية ، أن تكون دراستهم لها بدافع من هداية القرآن في التعرف إلى سرائر الله في الخلق ، والتأمل في عظيم آياته وعجيب بدائمه في الكون ، فيزدادوا بها إيمانا إلى إيمانهم . لكن الأسلوب الاستعماري في قائم هذه العلوم كان يصرفهم عن الوجهة الإسلامية في النظر إلى الكون وسرائره . وكما من شبابنا المتوقدين ذكاء جرم أسلوب التعليم الاستعماري للعلوم الكونية إلى الإلحاد والجمود ، ودنهم في هوة الحرمان من سعادة الإيمان ، فانتصبوا - بعد تخرجهم - دعاة لهذه الحقنة العقلية والشقاء العسكري في مدارسنا كلها ولا سيما في الجامعات ، فلا هم أقادوا من دراسة هذه العلوم ثمرة عملية للوطن كما يفعل أمثالهم في البلاد الأخرى ، ولا هم كفوا أذاهم عن تلاميذهم - أمل المستقبل - بعد أن تولوا التدريس ، فلم يتخذوا منه ذريعة لبث ما أصبوا به من سبوم الإلحاد .

والآن فإن علامات طيبة تبدو من جانب دفعة القيادة ، مؤثرة بأن اتجاه سمينة التعليم يوشك أن يتغير .

قد شعرنا بأن البلاد شبت - إلى حد الذخمة - من ضروب التعليم القديم الذي لا ثمرة له ، كالفلسفة والدراسات النظرية والفروض الفنية ، لا سيما المجلوبة إلينا من الخارج . فلم نعد في حاجة إلى مواصلة الإرساليات إلى جامعات الغرب للاستزادة من خريجي هذه الدراسات ،

وسنستعير عن ذلك برجال التخصص فيما ستعين به على توسيع إنتاجنا القومي ، ومشروعاتنا العمرانية ، ونهضتنا الصناعية والزراعية .

ستكون العناية موجهة بعد الآن إلى التعليم الذي له ثمرة في ميادين العمل ، وسيبذل المزيد من العناية في الإكثار من المدارس والمعاهد الصناعية والزراعية ، وستقوم الجمهورية العربية المتحدة بتعبئة العلم لخدمة الوطن وحمايته وتثبيت انتصاراته القومية في مختلف اتجاهاتها العمرانية ، ولذلك أعيد تأليف المجلس الأعلى للعلوم بمستوى عال ، ورصد المركز القومي للبحوث عشرات الألوف من الجنيهات لتوزع على طلبة البحوث العلمية فيستعينوا بها على استيفاء بحوثهم وتقديم نتائجها ، وتكونت لجان للعلوم الجيولوجية والتعدين والعلوم والصناعات الكيماوية والهندسية والزراعية والبيولوجية ، وخصصت وزارة التعليم منحاً مالية للتفوقين في جميع مراحل التعليم . وفي أسبوع العيد الرابع للعلم الذي احتفلنا به في هذا الشهر ظهرت لنا - بوضوح أكثر - آثار هذا الاتجاه الجديد إلى العلم العملي المثمر ، فتفتحت أبواب المعارض والمتاحف العلمية والفنية ، ووزعت جوائز الدولة لثلاثة من العلماء ألف أحدهم في «البيان التعاوني» ، وقام الثاني ببحوث في «البترول والتركيب الجيولوجي للإقليم المصري» كما قام الثالث ببحوث في «تكنولوجيا الزجاج» . ووزعت جوائز ومداليات لنحو ١٨٠ من أوائل الطلبة في الشهادات والمسابقات العامة ، وألقى الوزير السيد كمال الدين حسين خطبة تدل على اتجاه سفينة التعليم فقال :

«إنا نتحدث اليوم إلى الملايين الحسنين الذين سيتعلم أبنائهم على (منهج الوحدة العربية) من شمال إفريقيا إلى الخليج العربي ، بل التسعين مليوناً من العرب في الوطن العربي الكبير الذين آمنوا بالعلم ، وسيبنون المستقبل لبلادهم . وإنا إذ نحتفل اليوم بالمتفوقين إنما ننظر إلى غدهم أكثر مما ننظر إلى ماضيتهم ، لأنهم قادة المستقبل الذين سيخطون للأمة العربية تاريخ غدها» .

إذن نحن أمام تخطيط جديده لتعليم أبناء خمسين مليون عربي على (منهج الوحدة العربية) وقد تبين لنا من عناصر التخطيط الجديد لهذا التعليم أنه يتوخى من العلوم الكونية - وهي العلوم العالمية - ما يكون له أثر عملي في نهضتنا القومية ، وصناعاتنا الناشئة ، والإفادة من هبات الله لنا في تربتنا ومياهنا ومناجمنا وكنوز أوطاننا . ومن الإحسان إلى القومية العربية وأوطانها ، وإلى أبنائها وهم في مراحل التعليم ، أن يعنى المدرسون والأساتذة بتثبيت



عقيدتهم باقة ، ولفت أقطارهم إلى آياته سبحانه في خلقه ، وبدائع حكمته في الجليل والبعيد من سرائر الكون ، فالإيمان قوة وعزيمة وأمل ، والجهود ضعف وقدرت وشلل ، والأمة التي تريد أن تستقبل مصيرا قويا يجب أن تجهز بجميع أسلحة القوة وأولها الإيمان ، والمدرس الذي يعمل على تشكيلك تلاميذه في إيمانهم أضمر على الأمة ومستقبلها من المدرس المصاب بالسل إذا كان حريصا على نقل عاواه إلى رجال الغد الذين سيقومون ببناء المستقبل . وينبغي لوزارة التربية والتعليم أن تعنى بمراقبة هذا النوع من جرائم الضعف التي يتعرض لها التلاميذ من بعض أساتذتهم ، كما تعنى بالكشف الصحي على موظفيها والعاملين في معسكرها العظيم . إن الذي يهك الإلحاد في هذا المعسكر يجب أن يطرد منه طرداً ، فلا يباح له الاتصال برجل المستقبل إلا إذا أبيع هذا الاتصال بهم للمصاب بالجذام أو السل .

وهناك الثقافة وعلومها . وهي شيء آخر غير العلوم الكونية من طيعة ورياضية . الثقافة شيء ، والعلوم شيء آخر . الثقافة في كل أمة ثقافة قومية ، وأما العلوم فعالمية . العلوم تتعاون على تقدمها جميع أمم الأرض من أقدم العصور إلى الآن ، فهي ليست تراثاً لأمة دون أمة ، فكما ساهم فيها اليونان في العصور القديمة ساهمت فيها الصين والهند ومصر والعراق من قبلهم ، وساهم فيها العرب قبل أن يكون لأوروبا وأمريكا يد فيها . عمل أسلافنا في الجبر وغيره من العلوم الرياضية ، وفي الكيمياء ، وعلوم المعادن والطب ، وما من أمة إلا عملت — قليلاً أو كثيراً — في هذه العلوم ، قديماً وحديثاً ، لذلك كانت علومها عالمية تشترك الأمم كلها في تكوينها وتقدمها والإفادة منها . أما الثقافة فشيء آخر بالمرّة ، لكل أمة ثقافتها ، ولنا نحن العرب ثقافتنا ، وكما وقع الاحتلال من المستعمرين على أوطاننا وأمتزجناها ولا تزال تنتزعها منهم ، وقع كذلك التشويه في ثقافتنا ، ولا سيما في تاريخنا ، من — الشعوبيين والثلاثين للعرب في القديم والحديث . وكما हमنا ولا تزال نعمل على إنقاذ أوطاننا وتطهيرها من الاستعمار ، ينبغي لنا كذلك أن نتطوع ونجاهد لتهديب ثقافتنا وتنظيمها وإبراز محاسنها وحسن عرضها على الناس ، وعلى أبنائنا الطلبة بوجه خاص . وأعظم مظاهر ثقافتنا مفاخر تاريخنا ، فقد كانت ولا تزال معرضة لكثير من التشويه والتخريف . ويوم كان التعليم مماهدنا منحرفاً عن طريقه السليم بتوجيه الاستعمار ، كان تاريخنا أكثر انحرافاً وأقبح تشويهاً . وكما أخذنا الآن في تصحيح (منهج الوحدة العربية) في العلوم لتكون منتجة ونافعة ، ينبغي لنا — أكثر من ذلك — أن نبادر إلى تصحيح هذا المنهج في الثقافة العربية ، ولا سيما

في التاريخ العربي ، ومن حسن الحظ أنه ليس لأمة تاريخ كـ تاريخنا حفظت لنا الأجيال مواد بنائه من جديد ، وليس لأمة من الأمم تاريخ تأخر القيام بتجديد بنائه كما تأخرنا نحن في تجديد بناء تاريخنا . يقال إن هنالك مساعي لتأليف دائرة معارف عربية ، وأنا أقول من الآن : إن من العيب أن تدخل أخطاء تاريخنا وتشويهات الشعوبيين له في أى مادة من مواد هذه الدائرة إن تم تأليفها وصدرت .

قلت : إن البلاء الذي خلفه الاستعمار في مدارسنا ومعاهدنا بعد فراقه لنا إلى غير رجعة كان بلاء ذا ثلاث شعب ، وقد تحدثت حتى الآن عن شعبتين منها وهما العلوم العالمية ، والثقافة القومية . وبقيت الشعبة الثالثة وهي : التربية ، وقد كنت صادقاً في أن معاهد التعليم عندنا لا تعنى من التربية إلا بالتربية البدنية ، أما التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتربية العقلية ، والتربية الاجتماعية الإسلامية فهي أشياء غريبة وقيمة في معاهد التعليم ، كما هي غريبة وقيمة في خارج تلك المعاهد .

دخل مفتش من مفتشي المعارف مدرسة البنات في منطقة اللاذقية من الاقليم الشمالى قبل اتحاده بالجمهورية العربية ، وبعد أن قام بالتمشيش لاحظ أن المدرسة لا يوجد فيها مصل ، فاعتنرت ناطرة المدرسة بضيق مساحة المدرسة وقالت للمفتش : إننا لم نجد غرفة نضع فيها البيانو ، فاعتنرنا إذا لم نجد غرفة ننزلها مصل !

هذه هي العقلية التي كانت سائدة في محيط التعليم ، البيانو أولى أن يتوفر له المكان من المصل . هذه الحال نتيجة توجيه استعماري ، فعلى عهد التحرير أن يرسم الخطط بمقياس واسع للانتقال إلى البنية اللاتئة بأمة عربية مدنية . والتربية بأنواعها عماد العهد الاستقلالي ، ولن يتجاوز الجيل الآتي مع ثورة التحرير إن لم تتداركه بالتربية : التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتربية العقلية ، والتربية الاجتماعية الإسلامية ، والتربية البدنية . كل هذا من الضروريات لتحقيق التجاوب بين الثورة التي تريد أن تقيم للعرب دولة عظمى إلى جانب الدول العظمى ، وبين أمة العرب التي لن تقوم دولتها العظمى على اكتافها إلا بالأخلاق ، والأخلاق لا تتدلى من السماء بقفزة من غير عناية بالتربية ، والتربية تصنع في المدرسة والمعهد ، والمدرسة والمعهد إذا لم يصنعا التربية مع التعليم يكونان غريبين عن وزارة التربية والتعليم .

محـب الدين الخطيب

# فتح القارئ

- ٦٦ -

## الدعوة الدينية موجهة إلى الإنس والجن فكيف يهرب منها أناس ؟

١ - ويوم يحشرهم جميعاً : يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس !!  
ب - وقال أولياؤهم من الإنس : ربنا استمتع بعضنا ببعض ،  
وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا ،  
ج - قال : النار مثواكم ، خالدين فيها ، إلا ما شاء الله ، إن ربك  
حكيم عليم .

زعم البعض أن الجن غير مكلفين ؛ لأن الدعوة قاصرة على الإنس ، فالجن لا يثابون على طاعة ، ولا يعذبون على معصية ، فهم عند أولئك الزاعمين مهملون في الدنيا وفي الآخرة .. وهذا من جزاف القول الذي يطرح على الأسماع دون أن يؤازره دليل ، أو يناصره وجه من الصواب .

١ - ونظرة في الآيات التي سقتها تدل في وضوح على ماقى ذلك الزعم من خبط وخطأ ، وعلى ما يترن به من غفلة عن آيات الله في كتابه .

فإنه تعالى يأمر نبيه - صلوات الله وسلامه عليه - أن يتذكر ، ويذكر يوم الحشر للحلق جميعاً وأن الله - سبحانه - ينادى معشر الجن - جماعتهم ، ويذكرهم في تعنيف وقسوة بأنهم أسرفوا في إعوانهم للكثير من الناس ، وأنهم يلجئون ، ويأخذهم العجز عن الجواب ، إذ يكون موقفهم موقف الحسرة والحجل ، وموقف الباطل المهزوم أمام الحق المنتصر ، وموقف المهابة والضعف أمام العزة والكبرياء ، وموقف اليقظة بعد الغفلة وقصد ضاعت الفرصة فلا رجاء ولا مهرب .

ب - وهنا يلهم الأتباع الفؤاد من الإنس : في ذلة وضراعة ، فيعترفون اعتراف المأخوذ بذنبه ، ويقولون قولة الحق على أنفسهم : ربنا استمتع بعضنا ببعض ، وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا ، يئى أن الجن استمتعوا بالسيطرة على الفؤاد ، وزخرفوا لهم الباطل ، وقادوم

إلى المفسد . . . وأن هؤلاء العصاة استمتعوا بالجن ، فاستجابوا لوساوسهم ، واستمروا  
التهوات ، وتابعوهم في سبيل الغواية إلى نهايتها ، حتى انتهت بهم الحياة إلى العاقبة التي  
استهانوا بها ووقفوا بين يدي الله في وعى يقظ .

وحيث كان ذلك معروفا من قبل ، وكانت دعوة الرسل واضحة ، وحاشية على التنبيه لما  
وراء الدنيا من عذاب أليم ، أو نعيم مقيم ، فليس الموقف الآن موقف استعتاب ، وإنما  
هو قول فصل ، وما هو بالهزل ، وهو جزاء يقتضيه بصلق ما سمعوا من النذر ، ويصبرهم  
بالعدل الذي تجاهلوه في معاملة الله للحنين والمسيئين من عباده ، ويؤكد لهم قول ربهم  
« كل امرئ بما كسب رهين » ، وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم » .

« والجواب الحاسم الذي يسمعون من جانب الله تعالى - بعد هذا اللوم وهذه  
الاستكانة - « النار مثواكم » . خالدين فيها . . . إلا ما شاء الله . . . إن ربك حكيم عليم » .

وهنا ينقطع الاستعطاف ، ويستقر الأمر على ما قضى الله من تخليد هؤلاء الأتباع مع  
متبوعيهم في النار ، كما عاشوا على ولاء في الجحود والمعصيان .

وذكر المشيئة في هذا السياق للإشمار بأن الأمر كله لله بدءا ، ونهاية . وأنه وحده يعلم  
مدى خلودهم في العذاب ، ويقال إن الوقت المستثنى بالمشيئة هو الوقت السابق على دخولهم  
جهنم ، يعني من حين المحاسبة في الموقف . . . ويرى بعض العلماء أن الاستثناء بالمشيئة يدل  
على أن للخلود نهاية ، ثم تفتى النار بكل ما فيها ، وهذا غير مرضي عند الجمهور .

ومما تقدم يتبين أن توجيه النداء إلى الجن ، وتوبيخهم على ما فعلوا بالناس من غواية  
ينقض زعم الزاعمين أن الجن غير مخاطبين بالدعوة الدينية ، وأنهم هم في دنياهم وأحرامهم ،  
فهم يفسدون ولا يحاسبون .

مع أن تحصيلهم بهذا النداء السالف يؤكد مسئوليتهم أكثر من غيرهم ، لأنهم هم  
المعاتون لسواهم .

ثم يأتي نداء ثان يجمع بين الفريقين في التعنيف واللائمة « يا معشر الجن والإنس ۝ ألم  
يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ » .

وهذا تقرير ، وتوبيخ ، تناول الجن قبل الإنس ، لأنهم كما قررنا مصدر الفتنة ، وهو  
نداء يسجل أن الرسل كانوا يعيشون إليهم جميعا ، وأن الرسل كانوا من هذا المجموع : لا من  
خارج ، ثالث مغاير لهم ، ولئن كان الرسل في واقع الأمر من الإنس ، فقد كان للجن من يسمع

ويبلغ سواء ، وبهذا تكون الدعوة واصلة إلى الجميع ، وإذ صرفنا إليك نمرأ من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه ، قالوا أئصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منددين ، قالوا يا قومنا ! ! إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ، مصداقاً لما بين يديه ، يهدي إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم ، يا قومنا ! ! أجيئوا داعي الله ، وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ، ويخرجكم من عذاب أليم ، ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ، وليس له من دونه أولياء ، أولئك في ضلال مبين .

وليس بنا حاجة بعد هذه الإلمامة الواضحة وبعد تلك الآيات البينات إلى المزيد من القول في بيان عموم الدعوة الدينية للثقلين من الجن والإنس ، فابليغ أمة دعوة والمؤمنون منهم هم أمة الإجابة ، وهذا أمر مفروغ منه في جانب محمد بن عباده ، صلوات الله عليه وسلامه ، وإذا كان حديثنا في هذا الصدد غير جديد فهو تصحيح للعقيدة ، وتذكير بالخطر من الشياطين وبوجوب البعد عن إخوان السوء ، فإنهم شياطين الإنس ، وأنت ترى غالباً في كل مجتمع ، وفي كل بيئة من يمثل الشيطان في مسلكه ، وسيرته ، ومعاملاته بالكذب ، والتدليس ، والمراوغة ، والرشوة ، والخيانة .

وترى هؤلاء رهوساً مشرئبة نحو الفسوق ، ووجوهاً تبسم لاستقبال الرذيلة ، وتسمع لهم نفحات جريئة في التوجيه إلى الانحراف .

وكانت الرذيلة من قبل حائسة ، فتجهمت بيننا بتبجح المارقين .  
وكانت الوجوه توارى حياء من النقيصة ، فأصبحت الوجوه غير كالحة ولا تنجل من سوء ، ولا تغزى من معرة .

حتى كثر فينا الوضعاء الذين لا يستريحون إلى نصيح ، ولا يرضون بالبقاء على شيء من الأدب ، ولا يرون غير مسالك الدناءة ، وكأنهم يعافون أن يقال عنهم قول كريم ، أفليس هؤلاء من المستمعين بالجن ، وأنهم سيواجهون بالموقف الذي تحدثنا عنه في ضوء ما سلف من الآيات ٩٤ .

اللهم اهدنا واهد هم ، وأصلح لنا ولم ديننا ودنيانا ، فأنْتَ اللطيف بعبادك ؟

عبد اللطيف محمد السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

وهدير التفنيس بالأنهر

# الشيخة

عود إلى علاج العين (٥)

هناية المحدثين بالأمانة - الداء والدواء من قدراته -  
من الهدى النبوى في عيادة المرضى - من عجائب الطب  
النبوى - مكان الطب في الشريعة العامة الخالدة .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو أمر - أن  
يُستَرَقَّ من العين . وعن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى في يديها  
جارية في وجعها سقعة ، فقال : استرقوا لها ، فإن بها النظرة .

رواهما الشيخان ، واللفظ للبخارى

هذان حديثان جليلان ، من أصح الأحاديث الكثيرة ، التى كادت تكون متواترة ،  
في شأن الإصابة بالعين والرقية منها . . . . وحسبك من درجات صحتها أن يتفق على روايتها  
الإمامان العظيمان : البخارى ومسلم ، وكفى بكل منهما حجة . . .

و - أو - في الحديث الأول : لشك الراوى : هل قالت أم المؤمنين رضى الله عنها :  
أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإضافة الأمر إليها ، أو قالت : أمر . . من غير  
إضافة ؟ وهذا الشك - كما قلنا - في مناسبات شتى ، من أعظم الأدلة : وأقواها على تحرى  
الرواة ، وبلوغهم في ضبط الأحاديث والحرص على ألقائها . فضلا عن معانيها ، مبلغ  
الذين اتسمموا الله على دينه ، فأقاموا الدين لله خالصا ، وأدوا أمانة الله كاملة غير منقوصة .

(٥) إجابة لرغبة مشكورة من قراء أفاضل ، لاحظوا إجمالا شديداً في شرح الحديث  
الأسبق ، ولا سيما في علاج العين . . . ومن أجل تلك الرغبة أجبنا الحديث في عمل المرء  
لغيره ، الجزء القادم إن شاء الله .

على أن في رواية أخرى من روايات الحديث « أمرني ، من غير شك ، وفي الثالثة « كان يأمرني » ، وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها أمر نبوي صريح بالرقية من السفة التي أصابت الجارية في وجهها ، والسفة - بفتح الهمزة - بقة ذات لون يخالف لون الوجه ، أصابتها بنقرة شريفة من عين إنسي أو جن ، ولعيون الجنة ، نظرات أنعم من الآسفة .

• • •

وكما أن العين حق ، والإصابة بها ثابتة بقدر الله تعالى ومشيئته ، وأنها من الأسباب العادية التي يربط الله بها مسياتها ، فكذلك الرقية منها حق ، وهي من قدر الله وإرادته ، فهما من الداء والدواء ، وما أنزل الله داء ، إلا أنزل له شفاء ، فإذا أصاب الدواء موضع الداء برأ يأذن الله ، وفي المسند والسنن عن أبي خزيمة قال : قلت يا رسول الله : أرايت رقي يسترقها ودواء يتدأوى به ، وتقامه تنقياً : هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال : هي من قدر الله<sup>(١)</sup> .



وأقل ما يقتضيه الأمر بالرقية أنها مشروعَةٌ مرخُص فيها ، بل مستحجة مندوب إليها ، في كل إصابة وشكوى ، ولا سيما العين والدغة من ذوات السموم كلها . وفي صحيح مسلم عن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت ؟ قال نعم : فقال جبريل عليه السلام : باسم الله أريقك من كل داء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك ، باسم الله أريقك .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ، ويسأله عن حاله ، ويضع يده على جبهته ، وربما وضعها على يديه ، وربما توضأ وصب على المريض من وضوءه ، وكان إذا أتى مريضاً أو أتى به إليه قال : اذهب الباس رب الناس ، أشف وأنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً .

(١) السنن هنا هي سنن الترمذي كما في تعليقات الأخوين الفاضلين : الأستاذين عبد الغني عبد الحالقي ، ومحمود فرج العقدة ، في تعليقاتهما على «الطب النبوي» الذي طبع وحده أخيراً .

لا جرم أن الرقي بآيات الله تعالى وذكره وأسمائه ، وأن الفزع إليه فيما وقع وما يتوقع من القربات إليه والتحصن به .

• • •

وأما ما ورد النهى عنه من الرقي ، فهو المشتبه الذي لا يعرف ، أو المركب من حق وباطل ، يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم ، والتعوذ بمرتداتهم ، لا جرم أن هذا الصنف من الرقي آفة الإيمان والعقائد ، ومفتاح الشرور والمفاسد ، بل هو السم الذي لا رقية له إلا توبة نصوح واقية ، أو بطشة شديدة قاضية . . .

• • •

ومن العلاج النبوي للمعين : أن يدعو العائن لمن عانه بالبركة ، وأن يتوحد العائن أو يفصل ، ثم يفصل من مائه المعين ، وليس المراد بالوضوء والغسل هنا كيفيتهما الشرعية بل الأمر فيهما متسع كما يؤخذ من الآثار . .

وبيان الفصل في حديث أحمد والنسائي وابن حبان : أن يغسل العائن وجهه ويديه إلى المرفقين ، ومن سرتة إلى أسفل جسمه ، ويوضع الماء في قدح ويصب على رأس المعين وظهره ، فيقرأ بإذن الله . . .

والرقي هذا الفصل من عجائب الطب النبوي التي تخفى على أكثر الناس ، ولاسيما الذين لا يؤمنون بأسرار الروح والغيب ، ومن أجل ذلك لا يتفهمون هذا الطب ولا يبرءون به . وقيل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً .

• • •

وكان أثر العين الحاسدة الشريرة شعلة من النار ، انبعثت منها إلى المحسود فاشتعل نارا فكان من الخير والحكمة أن تطفأ بالماء والدعاء في العائن والمعين جميعاً . .

والرقي دعاء العائن لمن عانه ، أن الدعاء إحسان للمعين وطب له ، وتكفير للإساءة التي قدمها إليه بحمد نعمة الله عليه وانتقامها منه ، ومن هنا أمر من رأى شيئاً فأعجبه ولو كان ملكاً له أن يقول : « ما شاء الله لا قوة إلا بالله » ، دعاء لأذى العين ووقاية من شرها ولا عجب أن يحمد المرء نفسه وولده وحبيبه ، وإن كان ذلك في المظلمين قليلاً ، وقليل من عبادي الشكور . .



ولاحقة من عدوى الماء المستعمل هنا ، فإنه استعمل في إطفاء النار الثانية بعد أن أطفأ النار الأولى وقوة الإيمان والعزيمة تدفع ما عصى أن يحمل من أذى ، وقبلنا يكون الأذى إذا كان العائن صحيحاً سليماً . . على أن هذا الطب رخصة جائزة غير واجبة ، فليتركها من لا يؤمن بها ، ومن يخاف العدوى منها ، وليكتف بالرقية الإلهية النبوية في دفع العين والأذى ، إن كان من المؤمنين بما أوحى الله إلى رسوله . . .

□ ■ □

ومما يجب أن نحذر منه العامة وأشياء العامة هنا ، تغاليمهم في العين ونسبة كل أذى أو ضرر إليها ؛ فإن الأدوية وأشفيها ، والأسباب ومسبباتها لا يحصيها إلا من أزلها ، وما لعين وطبها إلا قليل منها . . كما يجب أن ننبه هنا كذلك على أن الله جلت حكمته ، إنما أرسل رسوله هادياً وداعياً ومبشراً ونذيراً ، أرسله بطب الأرواح والقلوب ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذنه ، وليهديهم إليه صراطاً مستقيماً . .

وأما طب الأبدان الذي صح عنه صلوات الله وسلامه عليه ، فليس إلا تكميلاً لشرعته العامة الخالدة ، التي لم تنح خيراً إلا دعت إليه ، ولا شراً إلا حذرت منه ، في العاجلة والآجلة ، إجمالاً وتفصيلاً [\*] .

طه محمد السكاك

---

[\*] من تأدية الأمانات إلى أهلها . ومن الاعتراف بالفضل لنبيه ، أن سبه على أن مرحصاً الأول في شرح «مير الحديثين» هو «الطب السوي» لابن القيم ، وأن الذي أشار على تفصيل ما أجمت في الحديث الأسبق ، أخونا الراحل الفاضل الأستاذ إبراهيم أبو سمينة ، وشيخنا الكبير الأستاذ محمد عرفة . . غير أني لا أزال أدعوهم والقراء الأفاضل إلى مزيد الإفادة من «الطب النبوي» فيه الجواب السكاكي . . وفيه فرة العين . . والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا به .

## شهر رجب

### فضيلته - فرض الصلاة - زيارة النبي

من الأشهر الحرم التي كان يعظمها العرب قبل الإسلام شهر رجب ، وكانوا ينقبونه بالأصم لأن قعدة السيوف لا تسمع فيه . ثم جاء الإسلام فمُظْم شأنه ، وأبقى عليه ضمن الأشهر الحرم المذكورة في قول الله تعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيه أنفكم » . وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشهر الحرم في بعض خطبه : ( عن ابن عمر قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التثريق فقال : يا أيها الناس إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهينته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، أولهن رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ) فكان القتال محرماً في هذه الأشهر عند العرب قبل الإسلام حتى أن الرجل ليلقي فيها قاتل أبيه فلا يبيحه ، وكذلك حرم الإسلام القتال فيها على المسلمين إلا إن قوتلوا ، ثم نسخ ذلك فقد حاصر النبي صلى الله عليه وسلم الطائف وغزا هوازن في غزوة حنين في شوال وذى القعدة سنة ثمان من الهجرة .

وقد مضى السلف الصالح رضوان الله عليهم على تعظيم هذا الشهر لما حدث فيه من إكرام الله سبحانه وتعالى لنبيه بالإسراء والمعراج فيه ، وكان ذلك في ليلة السابع والعشرين منه ، ولأن الله قد شرح للمسلمين في تلك الليلة أعظم ما شرع من العادات ، إذ أوجب فيها الصلوات الخمس في اليوم واليلة .

فكانوا يكثرُونَ في هذا الشهر من الطاعات البدنية والمالية بالصلاة والصيام والصدقات ، كما يتزهدون فيه عن المعاصي واقتواف السبaths ، واستمر ذلك حتى عند الخلف في العهد الأخيرة ، فقد أدركنا الأجداد والآباء يحرسون على أن يصوموا ثلاثة الأشهر : رجباً وشعبان ورمضان ويقومون من سنا من شوال ذلك لأن رجباً عندهم ابتداء مواسم الخير

والطاعة ، وكانوا يختصون ليلة السابع والعشرين من رجب بمزيد من أعمال البر والتعظيم ، لأن الله قد زادها تعظيماً بتشريع الصلاة فيها ، وهي أنغضل الأعمال عند الله كما صح ذلك عن رسول الله .

ونرى مع الرائي أن يظهر سرورنا ليلة السابع والعشرين من رجب ، ونكرم فيها الأهل بمزيد من السعة ، كما نكرم الفقراء والمحتاجين مع الإكثار من الطاعات والبعد عن المعاصي . فالصلوات الخمس فرص عينية في اليوم واليلة بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين ، وأدلة فرضيتها متواترة مستفيضة ، وحكمها صار معروفاً للخواص والعوام ، معلوماً من الدين بالضرورة ؛ فمن جمحد وجوب الصلوات الخمس كان كافراً مرتداً بإجماع المسلمين ، وتجرى عليه أحكام المرتدين .

أما من ترك الصلاة كسلا مع إقراره بوجوبها فهو آثم اتفاقاً بين الأئمة ، ولكنهم اختلفوا هل يكون كافراً ؟ والصحيح الذي عليه الجمهور أنه لا يكون كافراً ولكنه عاص بهذا الترك ، وهل يقتل أم لا ؟ مذهب الشافعي ومالك وغيرهما أنه يقتل حداً بعد استتابته وإصراره على الترك ، ومذهب أبي حنيفة والنووي والمزني أنه لا يقتل بل يعزر بالضرب والخبس حتى يصلى .

وإلى الرأي الأخير نذهب ، وإن كنا نرى خطراً عظيماً يهدد تارك الصلاة كسلاً ، فليتنبه العاقل لذلك وليعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : أول ما يحاسب عليه المرء من عمله الصلاة . فهي بلا شك أخطر فرائض الإسلام .

وقد ورد : الصلاة عماد الدين من أصاعها فقد أضاع الدين ، وتوجيه ذلك أن الإسلام قد بني على خمس : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت . والصلاة تجمع هذه الخمس فمما الشهادتان في التشهد ، وهي نفسها إقامة الصلاة ، وكل ما أفطر الصائم أبطل الصلاة ، فما دام في صلاة فهو في صيام ، ولا بد فيها من استقبال القبلة ، فمما قصد الكعبة بالنسك والعبادة ، ولا بد من ستر العورة ، وطهارة البدن من الحدث ، وطهارة البدن والثوب والمكان من النجس ، وتحصيل ذلك يبذل المال فهو إنفاق للبال في سبيل أمر الله بالإتفاق فيها ، والزكاة إنفاق للبال في سبيل أمر الله بالإتفاق فيها ، فجمعت الصلاة أركان الإسلام وصدق ما ورد أنها عماد الدين ومن أضاعها فقد أضاع الدين .

وكما أن الصلاة تهي عن الفحشاء والمنكر فهي تنقي المسلم عما اقترفه من الخطايا شيئا فشيئا حتى لا يبقى منها شيء ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( أرأيتم لو أن نهرا بياب أحدهم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا لا يبقى من درنه شيء ، قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا ) .

وقد روى أبو داود وغيره بإسناد صحيح عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( خمس صلوات أقترضهن الله ، من أحسن وضوءهن وصلاتهن لوقتهن ، وأتم ركوعهن وخشوعهن ، كن له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لا يفعل فليس له على الله عهد ، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ) .

وهذا الذي ذكرنا من أن الله يمحو بالصلوات الخمس الخطايا إنما هو في الخطايا المتعلقة بحقوق الله تعالى ، أما حقوق العباد فلا بد من ردها إلى ذويها ، فإن تاب ولم يتمكن من ردها حتى مات فإن الله يرضى عنه أصحاب الحقوق بما شاء من العطاء ؛ لأنه أَرْضَى الله بتوبته وصدق في نيته .

ونبين هنا أن ستر العورة شرط لصحة الصلاة ، وتختلف العورة عند الرجل والمرأة : فعورة الرجل في الصلاة ما بين السرة والركبة عند الشافعية والحنفية والحنابلة ، وإن اختلفوا في أن السرة والركبة منها ، وعورة المرأة عند الحنفية جميع بدنها ماعدا بطن الكففين وظهر القدمين ، وعند الحنابلة جميع بدنها ماعدا الوجه فقط ، وعند الشافعية جميع بدنها ماعدا الوجه والكففين ظهرا وبطنا ، أما المالكية فيقولون للرجل والمرأة في الصلاة عورتان عورة مغلطة وعورة مخفية ، فعورة الرجل المغلطة السواآتان ( القبل والدبر ) والمخفية ما زاد على ذلك مما بين السرة والركبة من الإمام والخنثى - أما المرأة فإن وجهها وكففيها ليسا بعورة مطلقا ، وعورتها المخفية هي الرأس والعنق والذراعان والصدر وما حاذاه من الخلف ، ومن الركبة إلى آخر القدم ، وما عدا ذلك من بدنها فهو عورتها المغلطة .

فمن صلى مكشوف العورة المغلطة كلا أو بعضا بطلت صلاته ، ومن صلى مكشوف العورة المخفية كلا أو بعضا لا تبطل صلاته وإن كان كشفها حراما أو مكروها ، ويحرم نظر الأجني إليها كمنظره إليها خارج الصلاة ؛ لأن عورة المرأة خارج الصلاة جميع بدنها ماعدا الوجه والكففين .

مذهب المالكية : فيه فسحة للنساء وتشجيع لمن على الصلاة ، كما أن فيه أيضا فسحة للعمال في المصانع والمعامل والمزارع ، وإلى هؤلاء جميعاً أوجه القول بالاعتذار لهم في ترك الصلاة . وأن الدين يسر ، ويستطيع الرجل أن يصلي حتى في ملابس العمل التي تقصر عن الركبتين ، كما تستطيع المرأة أن تصلي حتى في ملابس الزينة التي تكشف شيئاً من الصدر ، والملابس القصيرة .

وبرى الحنابلة : أنه يباح جمع الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء لمن يخاف ضرراً يلحقه في معيشته إذا صلى كل صلاة من هذه الأربع في وقتها ، وفي ذلك سعة على عمال المصانع وموظفيها ، وموظفي المعامل الذين لا يمكنهم ترك أعمالهم لأداء الصلاة في وقتها تحت نظام العمل الذي هم فيه ، وكذلك الجنود وحراس الأمن الذي يكلفون أعمالاً لا يمكنهم منها أداء الصلاة في وقتها ، هؤلاء جميعاً لم أن يجمعوا بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء تقديماً بصلاتهما في وقت الأولى ، وتأخيراً بصلاتهما في وقت الثانية ، تبعاً لما تسمح به ظروف العمل .

وذلك كله مبالغة في الحرص على أداء الصلاة والمحافظة عليها ؛ تنميذاً لأمر الله العلي الكبير « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » .

قدمنا أن السلف وكثيراً من الخلف كانوا يعظمون شهر رجب لإكرام الله فيه بالإسراء والمعراج ، وتشريع الصلاة بكثرة الطاعات البدنية والمالية مع البعد عن المعاصي .

وبما يتقرب به كثير منهم في هذا الشهر ، زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وفرحهم بهذه الزيارة الرجبية كما يطلقون عليها ، ولعمري أن هذه الزيارة لمن أعظم القربات ، ومن أحب الأعمال إلى قلب المؤمن ، إذ يستجلي بها نور حبيبه المصطفى ، ويتشرف بها كما تشرف بزيارته في حياته ، فقد روى الدارقطني وابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال : ( من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي ) .

كذلك روى الإمام أحمد وأبو دأود وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( ما من رجل يسلم على - إلا رد الله على روحه حتى أورد عليه السلام ) . ولهذا درج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زيارته أن يقول الزائر منهم : السلام عليك يا رسول الله - السلام عليك يا أبا بكر - السلام عليك يا عمر ، وأجمع المسلمون على أن زيارة النبي صلى الله عليه وسلم بعد مماته لغير المسافر لها قرينة وطاعة ، واختفوا في حكم

الزيارة لمن يحتاج إلى السفر لها ، فمنهم من يرى أنها قريبة عملاً بعموم قوله صلى الله عليه وسلم ( كنت نهيتمكم عن زيارة القبور ألا فزورها ) فالضمير المفعول به عام لجميع القبور ومنها قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، والأمر بالزيارة مطلق ؛ فتكون الزيارة مستحبة أو مباحة بدون السفر ومع السفر

كذلك حديث الدارقطني يدل على استحباب الزيارة ؛ حتى ينال الزائر بعد سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم شرف رد الرسول عليه وبركته ، سواء كان ذلك مع السفر أو بدون سفر .

ومن العلماء من يرى عدم إباحة السفر لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كانت زيارة بدون السفر طاعة وقربة ، واستدلوا على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ( لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا ) ولا حجة رأيهم في هذا الحديث ؛ لأن تقديره هكذا : لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى ثلاثة مساجد ، ويؤول إلى أنه لا ينبغي ولا يستحب أن يشد الرحل إلى مسجد للعبادة فيه إلا إلى المساجد الثلاثة المذكورة لفصليتها ومزلتها عند الله ، وإن قلنا إن الحديث خبر بمعنى النهي كما يقولون ، أى لا تشدوا الرحال إلى مسجد إلا المساجد الثلاثة ، كانت النتيجة كما قدمنا من أن الحديث لبيان فضيلة المساجد الثلاثة ، واستحباب أو إباحة شد الرحل إليها ، وليس للحديث صلة بحكم شد الرحل إلى غير المساجد ، فشد الرحل إلى غير المساجد ، كشدته إلى بلد لطلب العلم ، أو للتجارة ، أو لصلة الرحم ، وشده لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون محظوراً .

على أنه إذا كانت الزيارة في نفسها قربة وطاعة فكيف يحرم السفر لها ، بل إذا كان الترويض والترويح عن النفس مباحاً أو مطلوباً فهل يحرم السفر لهذا ؟ لا شك أن هذا خطأ وربما جرم إلى هذا الخطأ تقديرهم المستثنى منه المحنوف عاماً ، أى لا تشد الرحال إلى شيء إلا إلى ثلاثة مساجد ، ولكن هذا التمييز خطأ أيضاً ، إذ يؤدي إلى تحريم السفر لأى طاعة أو أمر مباح ، كالسفر لطلب العلم وصلة الرحم والتجارة وغير ذلك وهذا خطأ شنيع ، فالسفر لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم مباح أو مستحب ؛ لأنه يوصل للزيارة التى هى من أعظم القرب .

فإذا بلغ المسافر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : عند دخوله بسم الله وسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب رحمتك ، واحفظنى من الشيطان الرجيم ، ثم يقصد إلى الروضة الشريفة فيصلى ركعتين ، فإن كانت الروضة مزدحة صلاهما فى أى موضع

من المسجد ، ثم يقصد إلى القبر الشريف فيسلم على النبي ويقف متواضعا ويصلي عليه ، ويثنى عليه صلى الله عليه وسلم بما يحضره ، ثم يسلم على أبي بكر ، ثم يسلم على عمر ويدعو لها .

قال العلماء ومن وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصدق به ولا يمسح ولا يقبله ولا يطيل الوقوف عنده ، وإن قصد بذلك التبرك ؛ لأن التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم إنما يكون باتباعه لا بالابتداع عنده .

وليكثر مدة إقامته بالمدينة النبوية من الصلاة في الروضة وقراءة القرآن وذكر الله ، وليبذل في المدينة مزيدا من الصدقات ، وليتخذ عند فقرائها أيادي بيضاء بكثرة العطاء .

وإذا عزم على السفر من المدينة جعل آخر عهده زيارة النبي صلى الله عليه وسلم والوقوف بأدب وتواضع عند قبره والسلام عليه وعلى صاحبيه .

قال ابن القاسم المسالكي رأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا إلى القبر مسلمين وذلك دأب ،

ونرى أن هذا ينبغي أن يكون دأبنا ودأب غيرنا عند السفر إلى المدينة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم .

### عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

## الإنسان عدو ما جهل

قال ليبب الرياشي - من أدباء نصارى الشام - في كتابه ( نفسية الرسول العربي ) :

« ما ندمت على شيء في حياتي ندما عصيا ساحقا مثل فدى على جهل نفسية الرسول العربي والإمام الأعظم العالمي محمد بن عبد الله ، في أبيات الماضيات وسنواتي الغابرات .

أما لو درست تلك الحياة وهاتيك النفسية وتهمت جوهرها واسترعت بنورها ربع قرن ، لأمسى الحق معشوق عقلي ودمي وعصبي ، فبحث الحق في شخصيتي الجسمية والنفسية قوة كونية عظيمة رضية حكيمة من هدى الرسول العربي العالمي ، ومن نور عقله ، ولكنت إذ ذاك رجلا غير هذا الرجل ، ومفكرا غير هذا المفكر . »

## الله أكبر !!! ...

إن بعض الكلمات الجليلة قد تفقد منهاها وتأثيرها في نفوس الكثيرين من الناس . وإن كثرت ترادفها وتكرارها ، وذلك لقلة التدبر فيها أو التأمل لمعناها أو الاستجابة لمغزاها ومن بين هذه الكلمات كلمة : « الله أكبر » ، العظيمة الجليلة العميقة ، التي جعلها الإسلام رمز التكبير وعماده ...

ولقد كان التكبير أول ما كلف الله به رسوله حين أمره بإنذار الناس فقال له : « يا أيها المدثر ، قم فأذّر ، وركب فكبر » ، ويعلم الله رسوله أن يكثر من تكبيره بعد تقرير ألوهيته ووحديته فيقول له : « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدن ، وكبره تكبيرا » . والأذان يتردد في بلاد الإسلام كل يوم خمس مرات ، والمعاظلة الأساسية قبل التكرار هي : « الله أكبر » ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حتى على الصلاة ، حتى على العلاج ، لا إله إلا الله ، فرى الأذان يبدأ بكلمة التكبير ، وينتهي بكلمة التوحيد ، وتكرر كلمة « الله أكبر » فيه ست مرات ، بينما تكرر جملة الأخرى مرتين ١١ ...

والصلاة تبدأ بالتكبير ، إذ يفتحها المسلم بكلمة « الله أكبر » ، وتسمى حينئذ تكبيرة الإحرام ؛ لأنها جواز الدخول في الصلاة ، وإذا دخلت بها في الصلاة حرم عليك ما كنت فيه من الثوب واللعب وكلام الدنيا كل شيء . إلا عمل الصلاة ، وروى الحنفية إلا الناس أن الرسول صلوات الله عليه قال : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » .

والتكبير يحلل حركات الصلاة ويتكرر في كل ركعة عدة مرات ، وقد روى الحنفية إلا الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : كان صلى الله عليه وسلم يكبر في كل خفض ورفع ( إلا عند الرفع من الركوع ) وقيام وقعود ؛ وأبو بكر وعمر ...

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : بينما نحن نصلّي مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال الرجل من القوم : الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً . فقال رسول الله



صلى الله عليه وسلم : من الفاتل كلمة كذا وكذا ؟ قال ربهلى من اقوم - أنا يا رسول الله . قال : عجبت لها ، فتحت لها أبواب السماء . قال ابن عمر : فما تركتهن منذ سمعت رسول الله يقول ذلك . وروى ذلك مسلم والترمذى .

ويختتم المسلم صلاته المفروضة بالتسليم والتحميد والتكبير ، فقد أخرج الشيخان وأبو داود الحديث : من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، فتلك تسع وتسعون ، ثم قال تمام المسألة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، غفرت خطاياهم ، ولو كانت مثل زبد البحر .

ويأتى عيد العطر . فيجهر المسلمون بالتكبير من وقت الخروج إلى الصلاة حتى ابتداء الخطبة ، فيرددون : « الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والله الحمد ، وإذا جاء عيد الأضحية كان أسبوعه حقيقا بأن يسمى « أسبوع التكبير » ، إذ يظل المسلمون فيه خمسة أيام يكبرون الله على ما عداهم ، ولعالمهم يشكرون ، فهم يكبرون مختلف الأوقات وبخاصة في أعقاب الصلوات من صبح يوم عرفات إلى عصر اليوم الرابع من أيام العيد ، وبعو آخر الأيام التي تسمى « أيام التشريق » . . . .

ويستند من هذا أن المسايين يكبرون كلمة « الله أكبر » كل يوم عشرات المرات على الأقل في الصلوات وغير الصلوات ، ولكننا لو ذهبنا نبحث عن أثر هذه الكلمة الجميلة في نفوس أكثرهم ونصرفاتهم لوجدناه قليلا ضئيلا ؛ مع أن الله تبارك وتعالى : قد شرع تكرار هذا الهتاف الإلهي في مختلف المناسبات - وبخاصة في الأذان والصلوات - ليكون أشبه بدقات الساعة التي ترصد بين الفينة والفينة ، منبهة لعباد الله ، مذكرة بحقوق الله ، منادية بالرجوع إلى الله ، ليستيقظ العاقل ، ويهتدى الصالح ، ويرجع المنيء ، ويزداد المحسن إحسانا ، وكذا سمع أبناء القرآن هذا التكبير في الأذان قابضوه بالتكبير ، فيعلمون الاستجابة للحق ، والمساعدة إلى الخير ، والتلاؤ على الذكر ، والتعاون على إثم والتقوى ، والمجاهدة للإثم والعدوان : « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم الأجر » ، الذين يستمعون القول فيقيمون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله - وأولئك هم أولو الألباب .

« الله أكبر ، نداء السماء العلوى المنزل من حمى القدس ليتردد بين أهل الأرض ، مذكرا

لإياهم بجلال الله وعظمته ، وسلطانه وقدرته ، فتشعر منه جلود الذين يحشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، فترى المؤمنين يرددون كلمة « الله أكبر » في صدق وعزيمة ؛ وكأن لصوتها هديرأ كهدير البحر المتلاطم ، أو أشد وقعاً ؛ لأن معناها القوى البليغ قد أخذ يهدر في قلوبهم ، ويتلاطم في صدورهم ، فكأن هذا من ذلك . . . .

وتردد في الآفاق كلمة « الله أكبر » فإذا هي سميت السماء الطاهرة التي تمر على الأرض الهامدة فتحي موانئها ، وتبعثها من رقبتها . . . وتردد فإذا هي فيض المثل الأعلى الذي يغسل أدران الحياة وأقدار البشر .

« الله أكبر » كلمة ترد في أذن السارق الساهب ، فترتجف يده ويهتز كيانه ، ويتذكر . . . إن كان من أهل الذكرى . أن هناك إلها أقوى منه ، وأكبر من حيث واستجماعه ، ومن مكره وخديعته . وأن أخذ هذا الإله أقوى من أخذ القانون والمحكمة والسجن والأشغال الشاقة المؤبدة . . . . إن أخذه ألم شديد . . . .

« الله أكبر » كلمة تدوى في أذن العاسق الذي يهيم يائس أو معصية ، فيتشعر ويرتدع ، ويتذكر . . . إن بقيت فيه فضلة ذكرى . أن الله عينا لا تنام وأنه يعلم غائبة الأعين وما تخفى الصدور ، وأنه يعلم سرهم ونجواهم ، وهو معكم أينما كنتم . . . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ١٤ . . . ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ؟ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شيء عليم .

« الله أكبر » كلمة يرددها . . . أو يسمعا . . . الغنى الكثير المال الواسع الثروة ، فيتذكر عند ذلك أن الله أعنى الأغنياء ، وأنه مصدر النعم والآلاء ، وأنه هو الذي يعطي ويمنع ، ويخفض ويرفع ، فلا يزدى الغنى غناه ، ولا يطره ماله وثراؤه ، بل يتدبر قول ربه عز من قائل : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ثواباً وخير أملاً . » وقوله : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم » ، وقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون . »

« الله أكبر ، كلمة يرددها أو يسمعها الفقير القليل المال ، فلا يذله الفقر ولا يهينه ، ولا يزلله أو يبلله ، بل يتذكر أن الله العلي الكبير أقوى وأعنى ، وأنه القادر بكبريائه ونعمائه أن يقرر هذا المقر اللعين ، فلا ينال شيئا من المؤمن الفقير في ماله : » وإن ختم عيلة ( فقرا ) فسوف يخزيكم الله من فضله إن شاء . ، « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا ( فقيرا ) فأغنى » ١٤ ...

« الله أكبر ، يرددها أو يسمعها الصحيح السليم المعافى القوى البدن المتناول العضل ، فلا يغتر معها بصحته ، ولا ينخدع بقوته ، فإن الله الأكبر الذى وهب الصحة هو الذى يستطيع أن يساها ويضع مكانها العلة والمرضى ، والذى أعطى القوة قادر على أن يحبسها صغفا ، وليست قوة العضلات أو صحة الأبدان وحدها منحة لصاحبها ، فكم من حيوانات وبهاائم توافرت لها قوة الأجسام ، ولم ترزق قوة العقل والجزان ، بل لعل أشد البهاائم بأسا فى جسمها هى ألقها فى التعقل والتمييز ، والمهم هو قوة العقل وثبات القلب ، لاشدة الجسم ولا صلابة العضل ، والحديث يقول : « ليس الشديد بالصرعة ( أى الذى يصرع غيره كثيرا لقوة جسمه ) إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب . »

ويردد الضعيف السقيم كلمة « الله أكبر » فإذا هى عنده بلسم ودواء ، وإذا هى عزاء وشفاء ، وإذا هى تذكره بأن الله الرحمن الرحيم هو أهل الرجاء ومعدن الأمل : « وإذا مرضت فهو يشفين » ، « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له ، فكشفنا ما به من ضرر ، وآتيناه أهله ومثلهم معهم ، رحمة من عندنا وذكرى للعابدين » ١ ...

« الله أكبر ، يقولها أو يسمعها الكبير المسيطر الذى يهيم بظفيان أو بهتان ، فيعلم ويتذكر أن هناك من هو أقوى منه وأعظم ، وهو الله الأكبر ذو البطش الشديد ، فيرهبه ويتواضع له ويتأدب أمامه ، ولا يبغي أو يطنى على أحد من عباده ، وإلا فالتمتم جبار : « يعرف الجرمون بسياهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام » ١ ... والعامة تقول : « وهى صادقة فيما تقول - » « الله أكبر على من طغى وتجبر » ١ ... وهذا فرعون قد طغى وبغى « فمات أنا ربكم الأعلى ، فأخذ الله نكال الآخرة والأولى ، إن فى ذلك لعبرة لمن يحشى » ... وهذا هو نداء الله لمن يحاول أن يقاسمه كبريائه : ادخلوا أبواب جهنم سائدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ١ ...

ويردد المظلوم المبهضوم المستضعف كلمة : الله أكبر ، فيقوى ويتأسد ، ويتذكر أن  
هناك إماماً عادلاً منصفاً ، لا يرصي الظلم بحال ، فينص ذلك المظلوم ، ويجاهد الخنيس بكل  
ما استطاع ، مستغنياً بجهاه الله القوي العزيز : د والذير إذا أصابهم البغي هم ينتصرون .  
ويقول الرافعي عليه رحمة الله :

« بين الوقت والوقت من اليوم تدق ساعة الإسلام بهذا الرنين : الله أكبر ، الله أكبر  
كما تدق الساعة في موضع ليتكلم الوقت برئيتها . الله أكبر ... بين ساعات وساعات من اليوم  
ترسل الحياة في هذه الكلمة نداءها تهتف : أيها المؤمن ، إن كنت أصدت في الساعات التي  
مضت ، فاجتهد في الساعات التي تتلو ، وإن كنت أخطأت فكف . راح ساعة بساعة ، الزمن  
يمحو الزمن ، والعمل يغير العمل ، ودقيقة إقية في العمر هي أمل كبير في رحمة الله ... »

بين ساعات، وساعات يتناول المؤمن ميزان نفسه حين يسمع : الله أكبر ، ليعرف الصحة  
والمرض من نيته ، كما يضع الطبيب لمرصه بين ساعات وساعات ميزان الحرارة .

اليوم الواحد في طبيعة هذه الأرض عمر طويل للشر . تكاد كل دقيقة بشرها تكون  
يوماً مختوماً ببيل أسود ، فيجب أن نسم الإنسانية يوماً بعدد قارات الدنيا الخمس ، لأن يوم  
الأرض صورة من الأرض ، وعند كل قسم من النهر والظهر والمصر والمغرب والعشاء  
تصبح الإنسانية المؤمنة منبهة نفسها : الله أكبر الله أكبر ...

بين ساعات وساعات من اليوم تعرض كل مؤمن بحسابه ، فيقوم بين يدي الله ويرفعه  
إليه ، وكيف يكون من لا يزال ينتظر طول عمره فيما بين ساعات وساعات : الله أكبر ... ١٩٠٠ .

بين الوقت والوقت من النهار والليل تدوى كلمة الروح : الله أكبر ... ويحييها الناس :  
الله أكبر ، ليعتاد الجماهير كيف يقادون إلى الخير بسموله ، وكيف يحققون في الإنسانية معنى  
اجتماع أهل البيت الواحد ، فتكون الاستجابة إلى كل نداء اجتماعي مخروسة في طبيعتهم بغير  
استكراه .

الإنفس أسمى من المادة الدنيئة ، وأقوى من الزمن المحرّب ، ولا دين لمن لا تضمن  
نفسه من الدناءة بألفة طبيعية، وتحمل هموم الحياة بقوة ثابتة .

لا تضطربوا ، هذا هو النظام ... لا تحرفوا ، هذا هو النهج ... لا تراجعوا هذا هو النداء ... لن يكبر عليكم شيء ما دامت كلتكم : « الله أكبر » . . .  
يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام ... يا أبناء الإسلام ... يا أبناء العزة التي كتبها الله لنفسه ورسوله وللمؤمنين ...

عاهدوا ربكم أن تقولوا كلمة « الله أكبر » بفهم وعزم ، وتدبر وتأثر ، حتى تشرق لكم ثمرتها التي أرادها الله منكم ... إن حاول متكبر متجبر أن يستبدلكم بغير الله فقولوا له صائحين في وجهه « الله أكبر » ، وإن خادعكم الشيطان ليصرفكم عن دينكم وفضائلكم مغرياً بالذاع والشهوات فقولوا « الله أكبر » . . . ، وإن ألت بكم غمات ، أو أزمات فتماسكوا واصبروا وقولوا « الله أكبر » ، وإن جاءكم خيرات ومسررات فلا تغتروا أو تتجبروا ، بل تواضعوا وقولوا : « الله أكبر » . . .

وليكن من دعائكم لربكم : اللهم جلنا بالتواضع لك ، والمنة أمام عزتك ؛ والاعتزاز أمام غيرك ، واحفظنا من التكبر والتجبر ، ولا تجعلنا من المنسدين في الأرض ؛ اللهم انصر المؤمنين المتواضعين لك ، انصرهم بمجاهدك وسلطانك ، واقصم ظهور المتجبرين الطاغين ، اقصمهم بصواتك وجبروتك ، فإنك عزيز ذو انتقام ...  
والله أعلى ، والله أكبر ! . . .

أحمد الشرع بأعني

المدرس بالأزهر الشريف

### من إسلاميات محمد إقبال

يا أيها المسلم إن الأرض والسماء لك  
ضياؤك القديس أعلى من شرارات ألفلك  
ما جئت في الدنيا لنفسني وهي بالخلف توم  
هل تصبح الشمس أقل قيمة من النجوم

## نقد كتاب «أضواء على السنة المحمدية»

- ٦ -

في ص ١٠٨ ذكر عنوان «الإسرائيليات في الحديث» وبين منشأها ثم عرض لكعب الأحبار ووهب بن منبه وأصراهما من علماء أهل الكتاب الذين أسلبوا وقد نال أكثر ما نال من كعب واعتبره الصهيوني الأول وإليك رأي فيما عرض له .

١ - كعب الأحبار من التابعين ، وعلماء الجرح والتعديل - وهم الذين لا تخفى عليهم حقيقة أى راوٍ مهما نثر - لم يهتموه بالوضع والاختلاف ، والجمهور على توثيقه ولذا لا تجد له ذكرا في كتب الضعفاء والمتروكين وقد ترجم له الذهبي ترجمة قصيرة في تذكرة الحفاظ ، ونوسع ابن عساكر في ترجمته في تاريخ دمشق وأطال أبو يعين في الحلية في أخباره وعظاته وتخويفه لعمر ، وترجم له ابن حجر في الإصابة وتهذيب التهذيب وقد انفقت كلمة النقد على توثيقه (١) ولكن بمكر على هذا ما ورد في حقه في الصحيح : روى البخاري بسنده عن معاوية وهو يحث رمطا من قریش بالمدينة - يعنى لما حج في خلافته - وذكر كعب الأحبار فقال : « إنه كان من أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » وفي رواية أخرى « لمن أصدق » وظاهر كلام معاوية رضى الله عنه يخدش كعبا في بعض مروياته ، ولكنه لا يدل على ما ذهب إليه المؤلف وأمثاله من أنه كان وضاعا كذابا . وهذا الكلام من معاوية له وزنه فهو رجل ذاهية لا تخفى عليه الرجال ولا دسائسهم ، ومعاوية لا يحشى كعبا ولا يقل أن يتملقه ، ولو يعلم فيه أكثر من ذلك لقاله ، وقد حسن العلماء الظن بكعب غملوا هذه الكلمة على محل حسن قال ابن حبان في الثقات : « أراد معاوية أنه يخشى » أحيانا فيما يخبر به ولم يرد أنه كان كذابا . وقال ابن الجوزي : « المعنى أن بعض الذى يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا لا أنه كان يعتمد الكذب ، وإلا فقد كان كعب من أخبار الأجبارة ومن قبل ذلك قال ابن عباس في كعب « يدل من قبله فوقع في الكذب (١) » ولا يعزب عن بالنا أن ابن الجوزي صاحب ملكة في الزمذمة وكان حربا على الوضاعين وكتابه «الموضوعات»

أشهر الكتب وأحفظها وإن أخذوا عليه فيه أنه يتساهل في الحكم بالوضع أحياناً ، فهو أنه كان يرى في كعب ما رأى المؤلف وأمثاله من أنه كان وصاعاً دساساً لما تردد في تحريمه ولما حمل كلمة معاوية على هذا المحمل الحسن ولا سيما وقد كان لسانه حاداً على الرضاعين كما يتبين ذلك جلياً لمن راجع مقدمة كتابه المذكور ، فمن ثم يتبين لنا بعد ما سمعنا من مقالة العلماء في كعب أنه لم يكن وصاعاً ولا متعمداً للكذب ، وأنه إن كانت وقعت في بعض مروياته لإسرائيليات مكنوبة أو خرافات ، فذلك إنما يرجع إلى من نقل عنهم من أهل الكتاب السابقين الذين بدلوا وحرفوا ، وإلى بعض الكتب القديمة التي ملئت بالخرافات والإسرائيليات ، ولو أنه تحرى الحق وانصدق وميز بين الفث والسمن من هذه المنقولات لكان أولى به وأجل ، وأما وهب بن منبه فهو من خيار التابعين وثقاتهم ، ولم نعلم أحداً طعن فيه بأنه وضاع ودساس إلا المؤلف ، والباحث المثبت والناقد البصير لا ينكر أن الكثير من الإسرائيليات دخلت في الإسلام عن طريق أهل الكتاب الذين أسلموا ، وأنهم نقلوها بحسن نية ، وكذلك لا ينكر أثرها السي في كتب العلوم وأفكار العوام من المسلمين ، وما جرت عليه الإسلام من طعون أعدائه طناً منهم أنها منه والإسلام منها براء ، ولكن الذي لا يسلم به الباحث أن يكون كعب ووهب وأضرابهما ممن أسلموا وحسن إسلامهم ، كان غرضهم الدس والاختلاق والإفساد في الدين ، ولقد كان من لطف الله بالأمة الإسلامية أن هذه الإسرائيليات إنما كانت في قصص الأنبياء والأمم الساتية ، وأحوال البده والمعاد وأسرار الخليقة إلى غير ذلك مما لا يتعلق بالحلال والحرام والعمائد إلا بعضاً منها مما يتنافى عصمة الأنبياء فإنه يدرك كذبه وبطلانه بادي الرأي ، وابن خلدون لما عرض في مقدمته لما دخل في التفسير بالمأثور من الإسرائيليات لم يرم مسألة أهل الكتاب بالدس والوضع - كما صنع المؤلف - وإنما جعلهم مصدراً لنقل هذه الإسرائيليات إلى العرب ، وهذا شأن الباحث المنصف لا الطاعن المتحامل .

ولقد كان للجهاذة الحديث ونقاده جهاد مشكور في الكشف عن هذه الإسرائيليات وتمييز صحيحها من باطلها ، وغثها من سمينا ، وما من رواية من روايات كعب وغيره إلا وتقدوها نقداً علياً نزيهاً ، ولولا هذا الجهاد الرائع من علماء المسلمين لكانت طامة على الإسلام والمسلمين ، ولقد بلغ من تحوط أئمة الحديث البالغ للغاية أنهم قالوا : إن قول

الصحابي فيما لا يقال لأى فيه إنما يكون له حكم الرقع إذا لم يكن معروفاً بالأخذ عن علماء أهل الكتاب الذين أسلموا فأما إذا كان معروفاً بالأخذ عنهم فلا ؛ لجواز أن يكون من الإسرائيليات وهو تحوط يدل على أصالة التعمد وبعد نظر محمود من المحدثين ، وأحب أن يعلم القارىء الكريم أنى كتبت بحثاً مستفيضاً زبر على صفحات هذه المجلة الزهراء تحت عنوان «الدجيل وكتب التفسير» ، أمطت فيها القمام عن كثير من الإسرائيليات والخرافات التى ألصقت بالإسلام .

٢ - أن المؤلف جرى فى بحثه فى الإسرائيليات على أن كل ما روى عن كعب الأخبار وروى عنه وأمثالهما تخلق مكذب ، وأن مروياتهم ليس فيها صدق ولا حق حتى ولو كان فى شريعتنا ما يقره هذا المروى ، ويصدق ، وهو إسرائاف فى الحكم وتجن على الحق والواقع ، والعلماء المحققون المشتهرون على أن ما روى عن أهل الكتاب الذين أسلموا منه ما هو حق وصدق ، ومنه ما هو باطل وكذب ، ومنه ما هو محتمل لهما ، فهذا هو الإمام ابن نيمية ، وهو زعيم مدرسة جمعت إلى حفظ الحديث والبراعة فى الفقه فى الدين ويتوده البهم وأصالة النقد يقسم أخبار مسلمة أهل الكتاب إلى ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذلك صحيح ، والثانى : ما علمنا كذبه بما علمنا بما يخالفه ، والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا تميز به ولا نكذبه ، وتجاوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك مما لا قائمة فيه تعود إلى أمرين : (٢) ومثل ذلك قال تليذه ابن كثير فى تفسيره (٣) .

وإليك ما ذكره الحافظ الكبير ابن حجر فى المفتح (٤) عند شرح الحديث الذى رواه البخارى عن أبي هريرة قال : «كان أهل الكتاب يترءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بآفته وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلها واحد ، قال : «أى إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً ؛ فلا يكون فى نفس الأمر صدقاً فتكذبوه أو كذباً

[١] مجلة الأزهر فى طى ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٦ .

[٢] مقدمة التفسير ص ٤٦ ط السلفية .

[٣] ج ٨ ص ٨ ط الفتاوى . [٤] ج ٢ ص ١٣٥ .



تصدقوه فتصغروا في الحرج ، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بواقعه ، به على ذلك الشافعي رحمه الله . . وهكذا يتبين لنا أن الحكم على كل ما روي بالصححة فيه تساهل وبعد عن الحق والصواب ، وأن الحكم على كل ما روي بالكذب والافتراء فيه إسراف وتجنس .

وقد تمحضت هذه الطريقة التي أخذ بها المؤلف نفسه من جملة من الأخطاء والأغلاط ، لحكم على كثير من الأحاديث الصحيحة التي لا يتعلق بها الريب بأنها إسرائيلية وخرافات من خرافات أهل الكتاب ، ولا حاجة له في هذا إلا التطنن والحدس ، وقد بلغ به الشغل أنه زيف بعض الروايات التي نرى مصداقها في كتاب الله وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بل وزيف بعض أحاديث ليس في روايتها أحد من مسلمة أهل الكتاب ولا يحتمل أن تكون أخذت عنهم ، وسأعرض لهذه الأحاديث لتري طرائق للبحث عجبية .

\*\*\*

في ص ١١٣ ، ١١٤ بعد أن ذكر ما روى عن كعب وابن سلام عن البشارة بالنبي وذكر أوصافه في التوراة قال : وقد امتدت هذه الخرافة - يعني البشارة بالنبي وذكر أوصافه - إلى أحد تلاميذ كعب: عبد الله بن عمرو بن العاص فقد روى البخاري عن عبد الله بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال : أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأمينين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ، ولا مخضب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، بل يعفو ويغفر ولا يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميأ وآذاناً صما وقلوباً غلفاً وزاد ابن كثير قال ابن يسار : ثم لقيت كعباً الخبر فسأله فاختلفا في حرف وكيف ؟ وكعب هو الذي حله . .

وإنها لحماقة حمقاء أن يطلق هذا المؤلف على البشارة بالنبي الأسمى العربي في الكتب السابقة أنها خرافة ولا أدري أفقد المؤلف سوابه أم غاب عنه قول الحق تبارك وتعالى

« ورحمى وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتوبون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحمل لهم العليات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » (١) وهل هذا الحديث إلا مصداق لهذا القرآن الذي لا يتطرق إليه الشك ، وسواء أكان هذا الحديث قد حمله عبد الله بن عمرو عن كعب أو هو مما عله من كتبهم ؛ لأنه كان قارئا كاتبا وعنده علم بكتب أهل الكتاب فقد صدقه القرآن المهيمن والشاهد على الكتب فهو حق وصدق ، والتصديق به واجب ، وإني لأعجب للؤلف كيف سولت له نفسه وسمع له خميره أن يقول عن البشارة بالنبي وذكر أوصافه في التوراة والإنجيل : إنها خرافة ألا فلتلثلوا أيها المبشرون فقد وجد من يتسمى بأسماء المسلمين من يخدمكم ويشيع مقالكم باسم البحث والمعرفة !!! .

• • •

في ص ١١٨ عرض لحديث الاستسقاء وذكر أن كعبا ائتمز الفرصة ليفسد على المسلمين عقائدهم ، وأنه هو الذي أوقع عمر رضى الله عنه في الاستسقاء بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد أن ذكر أن عمر استسقى بالعباس لم يلبث أن قال : إن عمر تنبه إلى المكيدة وغلظ لها فلم يستسقى بأحد حتى بالنبي صلى الله عليه وسلم ، واقصر على الاستغفار ولكي يزيد دمه هذا ذكر عن كتاب المغنى والشرح الكبير . أن عمر خرج يستسقى فلم يزد على الاستغفار . . . . .

والرد على ذلك أقول :

١ — إن حديث الاستسقاء بالعباس رضى الله عنه رواه البخارى في صحيحه عن أنس : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا فقسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نينا فارتنا فيسقون ، ولأجل أن يدل على ما ذهب إليه من أن الاستسقاء بالعباس دسيسة من كتب طعن

في حديث أنس واعتده محالفا للروايات القوية التي جاءت بخلافها ، ثم أتدرى أيها القارىء ما هي الروايات القوية التي رجحها على رواية البخارى ؟ .

هي رواية ذكرت في كتاب المطر لابن أبي الدنيا ، وكتاب المغنى والشرح الكبير ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ١١١ ثم ما هي المخالفة بين حديث أنس وما ذكره ؟ أن الاستسقاء له حالات فمرة يكون بالصلاة والخطبة ، ومرة يكون في خطبة الجمعة أو عقب صلاة مفروضة ، ومرة أخرى يكون بدعاء من غير صلاة ، وحينئذ كان على المنبر في المسجد ، وحينئذ آخر كان خارج المسجد وكلها حالات ثابتة في السنة الصحيحة (١) وعمر رضى الله عنه مرة استسقى بالعباس ، ومرة أخرى اقتصر على الدعاء بطلب السقيا ، ومرة ثالثة اكتفى بالاستغفار ، لأنه مجلبة للغيث وعلى هذا فلا تعارض قط بين الروايات ، ولا سيما والرواية التي رجحها لأحصر فيها ، وكتاب المغنى والشرح الكبير الذي نقل عنه الرواية الثانية ، قال مؤلفاه بعد ذلك بصحاحات ما نفعه (٢) ويستحب أن يستسقى بمن ظهر صلاحه لأنه أقرب إلى إجابة الدعاء فإن عمر رضى الله عنه استسقى بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم عام الرمادة ، ثم ذكر استسقاء معاوية بن زيد بن الأسود والضحاك بن قيس به أيضا ، وهكذا يتبين لنا أن المؤلف يدع ما يشاء ويأخذ ما يشاء ، بحسب هواه وما يترأى له كي يصل إلى ما يريد من أن الاستسقاء بالعباس دسيسة من كعب (٣) كي يمسد عقائد المسلمين .

٢ — ثم أى فساد في العقيدة باستسقاء بالعباس رضى الله عنه ؟ إن المسلمين قاطبة يجمعون على التوسل بالأحياء ولم يقل أحد أن التوسل بالأحياء يفسد العقيدة ، وكيف خفى على المهاجرين والأنصار وفيهم عمر مخالفة الاستسقاء بالعباس للعقيدة حتى وقعوا فيما وقعوا فيه ؟ وكيف خفى على فقهاء الأمة ومحدثيها أن حديث أنس مدسوس لحسكوا عليه بالصحة واستدلوا به ؟ إن هذا مما لا يقضى منه العجب ١١١

محمد محمد أبو شهبة  
الأستاذ بكلية أصول الدين

(١) انظر شرح النووي على مسلم ج ٦ ص ١٨٨ وزاد المندج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) للمغنى والشرح الكبير ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٣) لو أن كعبا كان أحد رواة حديث أنس أو كان أنس مروة بالأخذ من أهل الكتاب لحاز هذلا ما ذهب إليه المؤلف أما والحديث لا يمت إلى كعب من قرب أو من بعد فقد انسدت مسالك الاحتمال .

## الروحية الحديثة

### دعوة هدامة

من أعجب أساليب الهدم في أيامنا هذه وأخبرها أسلوب ينزى بزى الروحية ، و يظهر المحارب للإلحاد والمادية ، ويتخذ - بزعم أصحابه - أسلوب العلوم التجريبية في استدعاء أرواح من مات ومناجاتهم واستفثانهم في مشكلات الغيب ومضلاته ، والاستعانة بهم في علاج مرض الأبدان والنفوس ، وفي الإرشاد إلى المجرمين ، وفي الكشف عن الغيب والتنبؤ بالمستقبل .

ولهدامين أساليب في التكيد وفي التسلل إلى قلوب الصغفاء وعقولهم فلاثم كل عصر . وهذا العصر الذي نعيش فيه هو عصر العلوم التي كشفت تجاربيها في القرن الأخير عن أعاجيب وأفانين لم تكن تخطر للخيال ، مما دعم سلطانها في النفوس وأكد توفير الناس لها واحترامهم لكل ما يذهب منذهبها ويصطنع أسلوبها أو يحمل اسمها . وأصبح هذا الأسلوب باباً واسعاً يدخل منه ذوو الأهواء والأغراض ، فلبست يد الهدم قماز العلم واستطاعت من وراء هذا القماز أن تصافع كثيراً من العقول وأن تنسلل إلى كثير من البيئات والأوساط ، دون أن يداخل الناس شك في أمرها . فرأينا الدراسات النفسية والتربوية والاجتماعية تسخر لهدم الدين والخلق وبت الفوضى والانحلال . ورأينا دراسات في أصول الاجناس تسخر لتدعيم النزعات القومية الخطرة التي هبت ربيعها على العالم في القرن الأخير من أوروبا وانتشرت فيه كما ينتشر الوباء ، ولا يزال يمرى منتقلاً يقتل الأنفس ويحتاج الأرضين حتى بعد أن تطهر منه الأرض التي نبت فيها . وانبعث منها . وهي نزعات تستهدف سيطرة جنس من الناس على سائر خلق الله في بعض الأحيان ، وترى إلى بعث الفرقة والشقاق بين المؤلفين المجتمعين في أحيان أخرى . ورأينا الدراسات التاريخية تشكل وتلون بحيث تصبح ولاهم لما إلا تقديس زعامات ترد الناس إلى وثنية الجاهلية الأولى ، وعبادة قطعة من الأرض قدسها الأطراح ، وحدتها الطروب والصدف تدعى « الوطن » .

وما وطن الإنسان لو قدر نفسه حق قدره إلا فكرة وعقيدة تتمثل في دين وفي لغة . لأن تقسيم الناس والتمييز بين أصنافهم وجماعاتهم بحسب الأرضين وبحسب المنافع المادية ينزل بهم إلى مرتبة المعجونات بل إلى منزلة النباتات . ورأينا هذه الدراسات كلها تميز في ركاب المذاهب والمصالح في عصر الآحيان ، فتتحول إلى لون من ألوان الدعاية للشوعية أو اليهودية العالمية أو الرأسمالية أو الاستعباد أو التشهير ، وتشكل في أحيان أخرى السكى تحقق بعض الخطوات المرسومة في خطة من خطط هذه المذاهب والمصالح .

وبالجملة أصبحت المعارف الإنسانية في شتى فروعها موجهة لخدمة المصالح والأهواء . حتى الدراسات الموضوعية الخالصة التي كان يظن أنها أبعد شيء عن عبث العابثين ، لم تسلم من اتخاذها آلة في يد المغرزين والمقصدین . فرأينا بعض العروض العلمية أو النتائج الأولى العجة من ثمار الدراسات الرياضية والتجريبية التي لم تمحصها المراجعة ولم تسبر أغوارها وسائل المعرفة المحدودة المتاحة للبشر ، تتخذ سلاحا لمهاجمة الدين وتشكيك المؤمنين فيها بطمئنون إلى صحته من كتب الله المنزلة على رسله . وبالجملة أصبحت العلوم والمعارف في شتى نواحيها وميادينها بعيدة عن النزاهة المطلقة التي ترفضها فوق مستوى الشبهات ، وصار واجبا علينا حين ترد علينا قضية من قضايا العلم أن تترك في قبولها حتى نستوثق من أن ثياب العلم لا تخفى تحتها باطلا من أباطيل المفرضين .

وليست التجارب والدراسات المقول بأنها روحية إلا واحدة من هذه الدعوات المفترضة التي تخفى سمومها وأباطيلها تحت اسم العلم ، وتعتمد في خداع المخدوعين بها على ما يتمتع به الأسلوب التجريبي في دراسة الظواهر الطبيعية والإنسانية من تقدير واحترام في هذه الأيام . وقد لقيت هذه المزاعم فوق ما يتوقعه أصحابها من رواج ، حتى تسابقت إلى تتبع أخبارها ونشر دعاواها صحف ومجلات لم تكن من قبل تشغل لشيء يمر الروح أو الحياة الآخرة ، ولم تكن في يوم من الأيام داعية إلى الدين أو الإيمان بالله ، وكان كثير مما تنشره تلك الصحف والمجلات ، في هذا الباب أدنى إلى الدعاية منه إلى الخبر . فنشرت مجلة (صباح الخير) - وهي فيما أعلم ويعلم القراء أبعد شيء عن شئون الروح كلها - مقالا في عددها الصادر في ٤ سبتمبر عام ١٩٥٨ تحت عنوان : « مدرس بكلية العلوم يشتغل في تحضير الأرواح » روت فيه عن الدكتور علي راضي المدرس بكلية العلوم بجامعة عين شمس كلاما كله خطط

وتحريف وتزييف للحقائق الدينية وتليب لها في أذهان الناس يؤدي إلى زعزعتها واضطراب مفاهيمها فمن ذلك مثلاً قوله إن : عطارده مهبط الأرواح الخاطئة ، تذهب في أول الأمر لتكبر عن ذنوبها . فجهنم موجوده في هذا الكوكب ، [ ١ ] . ومن هذا الخط والافتراء المضلل المفسد مثلاً ما رواه الدكتور راضي حين قال : « إن أكبر وسيط عالمي قد حصر إلى القاهرة منذ عدة أشهر . إنه أمريكي لا يد عمره عن ٢١ سنة . وتسميه بعض الصحف الأمريكية نبي القرن العشرين لكثرة ما أتى من المعجزات . . . كتفت ورقة لأمي أسألها عن حالها ، وأحضر الوسيط الرد كتابة باللغة العربية رغم أنه لا يعرف منها حرفاً ، . وبعضني في سرد هذه الشعوذة حتى يلقى بقرينه الكبرى حين يقول : « وأغرب ما حدث في هذه الجلسة هو ما أعلنته الروح الكبرى ( سوزان ) ١٤ . . . ولحظة أعلنت سوزان أن جبريل معنا ٢٠ . . » . ولم يعرف أحد من هو جبريل . فضحكت وقالت : ألا تعرفون جبريل الذي كان ينزل بالقرآن على محمد ؟ إنه يبارك هذا الاجتماع ، . وأكثر من هذا جرأة وأوغل منه في التدليس ما روته الصحيفة عتب هذا الخبر من أن الدكتور على راضي قد أبدى أسفه لأنه لم يكن يملك وقتذاك آلة لالتقاط الصور بالأشعة تحت الحمراء لكي يلتقط بها صورة سيدنا جبريل عليه السلام ١٤ ويختم الدكتور على راضي حديثه - أو تختمه له المجلة بالنساية بلحيته الروحية الجديدة التي سماها ( جمعية الأهرام الروحية ) والتي تم تسجيلها فيما روت الصحيفة وقتذاك منذ أسابيع . وقد اختير هو رئيساً لها ، واختير حس عبد الوهاب مدير السكرتارية والمحفوظات بوزارة الشؤون البلدية والقروية سكرتيراً لها . وضمت إليها عدداً كبيراً من المثقفين فيما يروى رئيسها بين مهندس وطبيب وقاضٍ وسمير ووزير سابق . وأحب أن ألفت النظر هنا إلى أن تسمية هذه الجمعية الروحية باسم ( جمعية الأهرام ) ليس إلا مظهر من مظاهر العصية المرعونية التي تبنر بها هذه الجمعية وهي تدعو كل ذي بصيرة إلى الاسترابة في مصدرها وفي أهدافها . ثم إننا نتساءل إن كانت هذه العصية المرعونية لا تعارض مع ما تتطاهر به الروحية من

[ ١ ] أحب أن أدلت النظر إلى اختلاف ما يروى عن الدوائر المختلفة المنتمية للروحية ونافسه . فالرغم من أن عطارده هو جهنم ليس متفقاً عليه بينهم . فهو مجرد رواية ، كالذي يحدث في الدراسات النفسية عامة ، مجرد فروس غير مدعٍ عليها . بيد أن الأمر فيما ينطق بالدراسات الروحية أخطر وأوغل في الخداع والتمويه وأكثر جرأة في الاختلاق .

[ ٢ ] عليه وعلى ملائكة الله ورسوله السلام . ولعمرة الله على الكاذبين .

الدعوة إلى التسامح وإلى العالمية التي لا تفرق بين دين ودين أو بين جنس وجنس على ما يرمي المظلون الذين احترقوا هذه الأوهام واهتموا ثم صدروها إلى بلادنا فوجدت رواجاً بين كثير من السذج والغافلين حين لم يقبل عينا في بلاد أخرى إلا النساء والعوانس منهن خاصة ، كما يروي الدكتور راضى نفسه في وصف جمعية دار لورن الروحية بالبحرنا [١] . ثم إننا نتساءل هل المرعوية الوثنية الملعونة في كتب اليهود ثم النصرى ثم المسلمين تستحق التمجيد عند من يرن الأعمال بميران روحى تتضامل أمامه الأهرام والمعابد والمسلات وكل ما خلفه الغرور الكافر من آثار ؟ .

ولم يكن هذا الذى نشرته تلك المجلة إلا مثالا على تنساق صحف ومجلات أخرى إلى نشره ، مثل ما نشرته ( آخر ساعة ) عن مزاعم إحدى خريجات معهد الآثار التي تستعين بالأرواح في الكشف عن مواضع الآثار المرعوية ، ومثل ما نشرته الصحف والمجلات المختلفة بين حين وآخر من أساء البيوت المسكونة ، وفتاوى الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير وغيره من منتحلي الروحية فيها ، ومثل ما نشره صاحب « ما قبل وذل » في عددي ١٦ / ١٠ / ٥٨ و ٢٤ / ١٠ / ١٩٥٨ من صحيفة الأهرام ، مما اساق فيه وراء مزاعم أحد دعاة الروحية الأمريكيين عن الحياة الأخرى ، وهو مبنى على عقيدة التناصح البوذية ، ومثل ما تنجده في مجلة المصور ( العدد ١٧٦٩ - ٢١ صفر ١٣٧٨ هـ / ٥ سبتمبر ١٩٥٨ م ) تحت عنوان ( زبد تفسيراً لهذه الظاهرة - مارجر جرس يدخ الأرواح الثرية - تحقيق صحفى بقلم غوميل ليب ) وهو مقال مليء بالخرافات والأوهام التي تعيش بين رواد حفلات الزار مما رعم الكاتب أنه يحدث في كنيسة مارجر جرس في قرية ميت دمسيس في عيد صاحبها السنوى الذي يبدأ في ٢٢ أغسطس من كل عام ويستمر أسبوعاً كاملاً ، ومثل ما نشرته هذه الصحيفة نفسها في عدد آخر نال ( العدد ١٧٧٦ - ١١ ربيع الثانى ١٣٧٨ هـ / ٢٤ أكتوبر ١٩٥٨ ص ٤٩ ) تحت عنوان ( بديعة وروح شوقى ) حيث روت قصة زعمت فيها راويها المدعوة بديعة حرم الدكتور سلامة ميخائيل أن روح شوقى تملأ عليها شعراً من نظمها ، بعد أن قال لها فيما تدعى : « إنى مشفق على مصير الشعر العربى اليوم . لذلك أود أن أعديه من العالم الذى

[١] راجع العدد ١٢٠ من مجلة « عالم الروح » التي يصدرها الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير نقلاً عن كتاب « مشاهدات في حجة لندن الروحية » للدكتور راضى .

أعيش فيه . وعرضت نموذجاً يحياها من هذا الشعر قالت إن عندها من أمثاله ثلاثة آلاف بيت قررت أن تطبعها في ديوان .

وردت الصحيفة بعد ذلك أنها عرضت الأمر على ( الدكتور على عبد الجليل راضى رئيس جمعية الأهرام الروحية الأستاذ بكلية العلوم ) فصحبهم إلى زيارة السيدة بديعة ثم قرر أن الطاهرة صحيحة وسليمة . والعجب لصحيفة تحتاج لأن تستقى مثل الدكتور على عبد الجليل راضى وعندها مثل الأستاذ صالح جودت وهو شاعر دواقة يحب لشوق خبير بشعره لا يخفى عليه صف هذا الشعر المزيف وغثائه الذى تدل على جهالة مزيفة منذ النظرة الأولى . وأحب أن أنه القارىء إلى أن لهذه السيدة شعراً كثيراً جداً موزعاً بين أعداد السنوات الثلاث الأخيرة من مجلة ( عالم الروح ) التى يصدرها الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير .

وهو شعر ركيك الصارة تافه المعنى لا تصح سبته لأقل الناس خطأ من الموهبة الشعرية ويكفى للكشف عن حقيقته أن يعرف القارىء أنه كان يدور حول تهجيد المرعونية والفراغة وتملقهم ، ثم تحول أحياناً إلى الاهتمام بالشئون العربية ، فظهر في العدد ١٢٦ الصادر فى إبريل ١٩٥٨ قصيدة على لسان شوقى - المظلوم حيا وميتا رحمه الله - تحت عنوان ( بين جميلة وأم خالد وأمل ) تدور حول تهجيد جميلة الجرائرية ، ونفتز فرصة الجفوة التى وقعت بين مصر والسعودية وقتذاك لتوسيع الحرق بالتنديد بأمر خالد السعودية والشهامة بفسخ خطبة ( أمل ) السورية إلى ابنها ( خالد ) .

وأنا أترك للقارىء أن يتدبر ويقرر إن كان صاحب هذا الشعر محبا للعرب حريصا على جمع شملهم ورأب صدعهم أم أنه كائد لهم إذا رأى ناراً أو سمها خطبا يدل أن يطفئها بالماء . ولعل مجلة ( المورد ) قد حرفت الاسم الصحيح حين روته ( سلامة ميخائيل ) فمجلة ( عالم الروح ) تذكر هذه الوسيطة المزعومة دائماً على أنها ( حرم الدكتور سلامة روفائيل ) . وهناك وسيط آخر للكتابة التلقائية أشار إليه الأستاذ أبو الخير فى مقدمة ترجمته لكتاب ( ظواهر حجرة تحضير الأرواح - ص ٥٧ ) اسمه وديع ميخائيل .

ومن المفيد فى هذه المناسبة أن يعرف القارىء أن رئيس الجمعية المصرية للبحوث الروحية التى ينوى أمانتها العامة الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير كان هو الأستاذ وهيب دوس



المحلى . وقد نمت مجلة ( عالم الروح ) إلى قرأتها في عددها ( ١٣١ ) الصادر في سبتمبر سنة ١٩٥٨ .

ومن المفيد أيضاً أن يعرف أن من أعضائها الشاعر اللبناني ( حليم دموس ) الملقب عند المجلة الروحية بشاعر الروح . وقد نشر له فيها سلسلة مقالات في تجديد دجل مشهور اسمه داهش كانت السلطات اللبنانية قد طردته سنة ١٩٤٤ ، أساطه فيها بهالة من التقديس ترفعه إلى مرتبة النبوة ، وقد جعل كل مقالاته تحت عنوان ( الرسالة الداهشية ) .

ومن المفيد كذلك أن يعرف أن الدكتور صابر جبرة كبير صيادلة القصر العيني كان عضواً في مجلس إدارة هذه الجمعية ، وكان في الوقت نفسه أحد وسطائها . وقد نمت مجلتها ( عالم الروح ) في العدد ( ١٢٢ ) الصادر في ديسمبر سنة ١٩٥٧ . والدكتور صابر جبرة هو أخو الأثرى الفرعوني المعروف الدكتور سامي جبرة الذي تردد اسمه منذ سنتين في قضية سرقة الآثار التي قدم المتهم الأول فيها - وهو أمريكي - للحاكم . والدكتور صابر جبرة مقالات كثيرة في مجلة ( عالم الروح ) ينتم أكثرها بطابع فرعوني . ولئن شاء أن يتحقق من صدق نيته فيما كتبه عن الفرعونية وفيما كان يضميه على نفسه وعلى أقواله من سمات الروحية التي تدعو إلى نبذ التعصب للأديان ، أن يرجع إلى مقال له عن ( نصيب القبط في تقدم العلوم ) ص ٩٥ - ١٠٢ في كتاب « صفحة من تاريخ القبط » ، وهو الرسالة الخامسة من مطبوعات جمعية مارينا العجايب بالإسكندرية .

والواقع أن صانعي الروحية الحديثة ومروجيها لهم منطق خللاب جذاب في تدعيم دعاوهم ولفت الأنظار إليها وجمع الانصار والأصدقاء حولها . فهم يدعون دعاوهم بنصوص مما جاء في الكتب السماوية من التشابه الذي يجازفون بتأويله حسب أهوائهم ، ومن الواضح الصريح الدلالة الذي يحرفونه عن مواضعه بعد أن يبتزوه من سياقه ويقطعوه عن مناسبه ويخرجوا العاطه عن مدلولها الجاهل أو مدلسين . وهم يدعون هذه الدعاوى أيضاً بنصوص من المأثور في التاريخ عن السابقين الأولين من المجاهدين والحواريين والصالحين بعد أن يخضعوه لمعاهيمهم ويقبسوه إلى أشباه له مما ينسونه لوسطاتهم ، مما جرت فظائره ولا تزال تجري على أيدي المشتغلين بالشعوذة والطلاسم . ولم براعة فائقة في تدعيم ذلك كله بالعلم التجريبي الحديث وربطه بقواعده وأصوله ، والاستعانة على ذلك

بأجهزة وآلات يضخ على أوكارهم ثوب الجود والوفاء الذى ينبغى للبحث العلمى المنزه عن الأغراض والمحاط بالصناعات التى تدفع شبهة الغش والخداع . لذلك لم يكن عجيباً أن تجتنب دعاوهم كثيراً من الأسماء الصحمة الرنانة فى الشرق وفى الغرب . واقتد خدع بهم الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله فأوسع تفسيره نقلاً عن مزاعمهم ودعاوهم ما أدخل الضعف والفساد على كتابه ذاك فى كثير من المواضع .

واقصد تربت سمومها إلى هذه المجلة ( مجلة الأزهر ) فى الفترة التى رأس فيها تحريرها الأستاذ فريد وجدى . وإن عدواها تسرى الآن فى ( مجلة الإسلام والتصوف ) ، فقد وقع فى يدي منذ أيام عددها السابع لصادر فى جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ فوجدته محشواً بضلالاتها العاسدة المفسدة ، ولا سيما فى مقال إبراهيم الكوازى عن « الوساطة الروحية » والرسالة - ص ٣٥ - ٣٧ . بل لقد خدعت أنا نفسى بدعاوهم ومزاعمهم منذ عشرين عاماً ، وكنت وقتذاك فى غرارة الشباب حديث لتخرج من الجامعة ، وسأبين ذلك بمقال آخر فى الجزء الآتى إن شاء الله .

الدكتور محمد محمد حسين

## الباطيل المدسوسة على السلف

قال قاضى قضاة الأندلس أبو بكر بن العربى وهو من أئمة المالكية : « الناس إذا لم يجدوا عيباً لأحد وعليهم الحسد عليه وعداوتهم نه ، أحدثوا عيوباً . فاقبلوا النصيحة ، ولا تلتفتوا إلا إلى ماصح من الأخبار . واجتنبوا أهل التواريخ فإنهم ذكروا عن السلف أخباراً صحيحة بسيرة ، ليتوسلوا بذلك إلى رواية الباطيل ، ويقذفوا فى قلوب الناس مالا يرصاه الله ، وليحتدروا السلف ، ويهونوا الدين ، وهو أعز من ذلك ، وهم أكرم منا ، فرضى الله عن جميعهم . »

ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الفتوك التى يختلقها أهل التواريخ فيدسونها فى قلوب الضعفاء .

## عودة إلى بيان إمكان

توحيد بدء الشهر الشرعي

في جميع الحكومات الإسلامية شرعياً وفلكياً

أجلت الكلام سابقاً على هذا الموضوع في نود عشرة قد نشرت في الجزء الثالث لسنة ١٣٧٧ هـ من مجلة الأزهر وقد تبين لي بعد مناقشة بعض الأساتذة وورود كثير من الأسئلة أنه لا بد من ذكر فقرات لشرح هذه البنود وإيضاح أدلتها الشرعية والفلكية وقد فصلتها في (١٢ فقرة) .

قلت في البند الأول : « ثبت بعد البحث والتحري أن الشريعة الإسلامية لا تمنع من ثبوت الشهر الشرعي في أي حكومة إسلامية إذا نقل إليها بالإذاعة اللاسلكية الرسمية خبر ثبوته شرعاً في حكومة إسلامية أخرى ، ولو كان بينهما اختلاف مطالع مع بقاء وحدة التاريخ واسم اليوم الأسبوعي » انتهى .

وقد أضفت إلى هذا البند فقرتين لشرحه :

حاصل الأولى . لما كان الغرض من هذا البند سلوك طريق متفق عليه من أئمة الفقه تجنباً لاختلافهم في نقل الشهادة بنفس الرؤية لإثبات الشهر في المطالع المختلفة ووجدت أن الطريق الأنسب للتعين هو نقل حكم القضاء الشرعي الصريح أو الضمني من مطلع إلى آخر ولو كانا مختلفين بانماق أئمة الفقه وسيأتي بيانه في فقرته (٢) .

ومعناه بعبارة أخرى : « يجوز لسائر الحكومات الإسلامية في مطالع مختلفة أن تنفذ حكم القضاء الشرعي الصادر صراحة أو ضمنياً في إحداها بثبوت الشهر إذا بلغ إليها بطريق مقطوع بصدقه كاللاسلكي الرسمي » .

وأصله : « يجوز شرعاً لأي قاص شرعي في أي مطلع أن يبعد حكم قاص شرعي آخر في مطلع آخر إذا وصل إليه خبره بطريق قطعي ، وحينئذ يجب شرعاً على جميع المسلمين في هذه المطالع المختلفة أن يعملوا بمقتضى أمر قاضيهما هذا من صيام أو إفتار أو غيرها

عند إعلانه إليهم مع بقاء وحدة التاريخ واسم اليوم الأسبوعي وعلى من لم يعلن إليهم هذا الأمر قبل المعجر أن يمكروا ويتصوا يوما بعد مضي هذا الشهر .

وأما الفقرة الثانية فحاصلها : لا كلام في أن مطالع الشمس والقمر تختلف باختلاف الأماكن والأزمنة وتعدد بتعددهما وأن هذه نظرية مبرهنة في علم الفلك ومروقة لدى الشرعيين من العهد الأول في الإسلام .

ولا كلام في أن ، اختلاف مطالع الشمس معتبر شرعا بمعنى أن الأحكام الشرعية المتعلقة بمطالع الشمس تختلف باختلافها وتعدد بتعدد أماكنها وأزمنتها . وأن هذا أمر واقعي ومعقول بمقتضاء من عهد النبوة ولم يصح فيه أي خلاف إلى الآن . . .

وإنما الكلام في أن ، اختلاف مطالع القمر ، هل هو معتبر شرعا كمطالع الشمس أولا ؟ .

بمعنى أن الأحكام الشرعية المتعلقة بمطالع القمر هل تختلف باختلافها وتعدد بتعدد أماكنها وأزمنتها أولا ؟ .

وهذه مسألة فقهية تم بحثها بين أئمة الفقه في أول عصور الإسلام بعد اتساع آفاقه وتعدد أقطاره إذ قال البعض باعتباره شرعا ، وقال البعض بعدم اعتباره ، ولكل وجهة . والقول بعدم اعتباره هو الراجح المعتمد عند الحنفية والصحيح عند الحنابلة .

ولما كان القول باعتبار اختلاف مطالع القمر شرعا ينحصر في نقل شهادة الرؤية من مطلع إلى آخر دون ، نقل حكم القضاء الشرعي بثبوت الشهر ، إذ استثناء الشافعية والمالكية من هذا الاعتبار ، فقد قال العلامة ، ابن حجر الهيتمي ، الشافعي . إن اختلاف مطالع القمر مدبر شرعا عند الإمام الشافعي ، ما لم يحكم بوجود الصيام حاكم يراه ، فإنه يلزم الخيخ العمل بموجب ذلك الحكم ... انتهى .

وفي المختصر وشرحه للشيع عبد الباقي المالكي : وعم الخطاب بالصوم سائر البلاد إن قل ثبوته عند أهل بلد بعدلين وبالرؤية المستفيضة عنهما أي عن الحكم برؤية المدلين ، أو عن رؤية مستفيضة ... انتهى .

لما كان كذلك ، أعتى أن نقل الشهادة والحكم عند الحنفية والحنابلة ، وأن نقل الحكم عند الشافعية والمالكية لا يؤثر عليه اختلاف مطالع القمر ، اخترت أن تكون عملية توحيد لإثبات الشهر إما تكون بين الحكومات كمنطوق البند الأول ، ويكون موضوع المسئلة الفقهية البعيدة عن النزاع هكذا . . .

« حكم القضاء الشرعى ببدء الشهر صراحة أو ضمنا هل يختص بمطلع بلد هذا القضاء عند اختلاف مطالع القمر أو لا ، ؟ ... »

وقد تبينا إجماع السلك كما تقدم على أنه لا يجب اختصاص حكم القاضي الشرعى بمطلع بلده ، بل لقاضى المطلاع الآخر أن ينفذ حكم قاضى المطلاع الأول إذا نقل إليه بآريق متطوع بعده ، ومتى أعلن القاضي الثاني أمره بالتنفيذ وجب على جميع المسلمين فى أفقه العمل بمقتضاه من صيام أو غيره ...

وأما توضيح البند الثانى فلكياً وشرعياً فى فقرة واحدة حاصلها :

أعتى بمضمون هذا البند أن كل دول العالم قد اتفقت مديناً على جعل « المبدأ الدورانى لليوم المدينى » عند خط الطول المقابل لجرينتش المار بالمحيط الهادى شرق آسيا المسمى . « خط تعبير التاريخ » ، بمعنى أنه إذا كان اليوم والتاريخ فى أمريكا شرق هذا الخط ( الأحد ٢٢ مايو ) مثلاً يكون فى شرق آسيا غرب هذا الخط ( الاثنين ٢٣ مايو ) .

وليس فى الشريعة الإسلامية أى مانع من أن تنفق الحكومات الإسلامية أيضاً على اعتبار « المبدأ الدورانى لليوم الشرعى عند هذا الخط » ، إذ أن الشارع إنما ترك تحديد هذا المبدأ لليوم الشرعى فى مبدأ الإسلام لاختيار المسلمين حسب ظروفهم بعد اتساع آفاقهم .

على أن هذا المبدأ الدورانى لليوم الشرعى منفذ بالفعل فى الجداول الفلكية والتأريخ السنوية وغيرها ، إذ أن محرريها يعتبرون اليوم الشرعى سابقاً على المدينى بربع يوم دائماً فى المبدأ الزمانى ويزمه المساواة بين اليومين المدينى والشرعى فى المبدأ المسكانى الدورانى . . .

بحيث إذا تصورنا دوران نصف الليل الذى هو المبدأ الزمانى لليوم المدينى من خط تغيير التاريخ نحو الغرب منه أعتى إلى آسيا ثم إفريقيا وأوروبا والأطلاطلى ثم أمريكا وهكذا فكذلك تصور دوران الممرب الذى هو المبدأ الزمانى لليوم الشرعى من هذا الخط على هذا الترتيب وكل بلد يمران به يتحدد فيه اسم اليوم والتاريخ مديناً وشرعياً ...

ومن حيث إنه إذا مر نصف الليل ، على القاهرة مثلا ، تركها نحو الغرب ساعة واحدة صح لنا أن نقول إن الساعة عندنا أى فى القاهرة ، الواحدة صباحا أى بعد نصف ليلنا من يوم ( الاثنين ٢٢ مايو ) بعد أن كان قبل هذه الساعة ( الأحد ٢٢ مايو ) بينما تكون الساعة لا زالت فى لندن ( ١١ ) من مساء الأحد ( ٢٢ مايو ) وهكذا يمر نصف الليل بالبلد الشرقى قبل الغربى وبمروره يتجدد اسم اليوم والتاريخ من الشرق إلى الغرب بلدا بلدا على هذا الترتيب ...

فكذلك إذا مر ( المغرب ) بالقاهرة ثم تركها ساعة واحدة قلنا : إن الساعة عندنا الواحدة بعد المغرب من ( يوم الاثنين ٢ رمضان ) مثلا بالتوقيت والتاريخ العربى ( الإسلامى ) أو الساعة ٧ مساء من يوم ( الأحد ٢٢ مايو ) بالتوقيت والتاريخ المدنى ( الإفرنسى ) وهكذا ...

وبذلك يتبين أن عمل جميع الحكومات الإسلامية بل كل المسلمين فى بقاع الأرض برؤية أى بلد وحكم قضائها بثبوت الشهر ولو كانت أبعد الحكومات إلى الغرب كراکش مثلا لا يلزم عليه أى خلاف أو تغيير فى التاريخ أو فى اسم اليوم الأسبوعى خلافا لما فهم البعض ..

وأما شرح البند الثالث فى فقرة واحدة أيضا حاصلها :

أريد بهذا البند أن ، الإعلام ، بوجوب صيام هذا اليوم ( السبت ٢٣ مايو مثلا ) بعد أن مضى منه تسع ساعات بعد المغرب لا يفتدح فى تسميته ولا فى تاريخه ( ٢٣ مايو ) أو ( ٢ رمضان ) ولا يلزم عليه أى مانع أو مخرج فى صيامه أو فطره أو تعييده أو جعله أول شهر رمضان أو شوال أو دى الحجة مثلا ، وليس هناك أى داع مدنى أو شرعى إلى نزع هذه الاعتبارات عن أى مكان فى هذه الدورة اليومية وإرجاء هذه الاعتبارات إلى الدورة التى تليها فى هذا المكان مما يلزمه من المحالقات الاجتماعية مدنيا ودينيا وإحداث البلبلة والعوصى والاضطراب بين المسلمين فى أمور دينهم وديانهم هنا وهناك ...

أقول هذا بعد أن رفع الحرج بإشاعة الإذاعة اللاسلكية . وعبرت الطائرات القارات والمحيطات واتصلت جميع أجزاء سطح الأرض بأنواع المواصلات . أعنى أن أساس إمكان

هذا التوحيد في زمننا هذا إنما هو آية اللاسلكي . ومن يدري أن آية ( التلفزيون ) بعد إتقانها وتعميمها سيرى بها أهل القاهرة بل أهل أندونيسيا شخص الهلال وهو أفق مراکش بعد غروب الشمس هناك وبدأ يرتفع خلاف العقهاء أيضا في نقل نص الرؤية : « سريهم آياتنا في الآفاق » صدق الله العظيم .

وأما شرح البند الرابع ففيه ( ٢ فقرات ) حاصل الأولى :

أريد : « بنص الشارع ، ظاهر اللفظ في حديث ( صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكلوا ) إلخ وأما القول بأن لفظ الحديث لا يعيد الحصر في « الرؤية والإكمال ، أو أن الحساب مراد في رواية ( فاقدرُوا ) فلا يزحزحنا عن التمسك بهذا الظاهر ما دام لم يصح إسناد الثاني ولا دليل على الأول ...

ولا غرابة في أن تمسك بهذا الظاهر إذ أنه رأى الجمهور ، وبيانه أن من يستوعب كلام المحققين من علماء الفقه وشراح الحديث يعدم لا يخرجون في تفسير « النصوص الشرعية ، في هذا الموضوع عن معينين اثنين :

أولها : حصر مناط إثبات الشهر في « الرؤية والإكمال » كما قدمنا وقائله جمهور السلف والخلف في الحجاز والعراق والشام ومصر وبلاد المغرب ومنهم الأئمة مالك وأبو حنيفة والشافعي والأوزاعي والثوري رضي الله عنهم ، وسندهم في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « فإن عم عليكم فأكلوا شعبان ثلاثين » ، وفي رواية : « فأكلوا العدة ثلاثين يوما » قالوا وهذا تفسير لإجمال قوله صلى الله عليه وسلم : « فاقدرُوا له » من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وحمل المجمع على المفسر من قواعد الأصوليين التي لا خلاف فيها إذ لا تعارض بين المجمع والمفصل عندهم ، قالوا : ولا يجوز أن يكون المراد « حساب العلكيين » لأن الناس لو كفوا به لصاق عليهم إذ لا يعرفه إلا أفراد ، والشرع إنما يعرف الناس بما يعرفه جماهيرهم ...

« وحاصل المعنى الثاني » عدم حصر المناط في « الرؤية والإكمال » وفيه رأيان ، فأصحاب الرأي الأول يقولون : إن معنى التقدير في قوله صلى الله عليه وسلم ( فاقدرُوا له ) التضييق والتفصيل إلى ( ٢٩ يوما ) في حالة النجم وشبهه كتموله تعالى : « ومن قدر عليه رزقه »

أى ضيق ويكون المعنى قدروا الهلال تحت السحاب فيبقى الشهر القديم صيفاً ناقصاً ( ٢٩ يوما )  
وتكون ليلة الغيم أول الشهر الجديد على عكس معنى قوله ( فأكلوا ) وقائله الإمام أحمد  
ابن حنبل وتبعه قوم إلا أن منهم من تأول ( التقدير ) بمعنى قدروا له زمانا يطلع في مثله  
الهلال ، أو يكون معناه فاعلموا من جهة الحكم أنه تحت الغيم كقولهم تعالى : « إلا امرأته  
قدروا إنها من الغابرين ، أى علموها . . . »

« وحاصل الرأى الثانى ، أن معنى التقدير فى الحديث : قدروه بالحساب والمنازل كقوله  
تعالى : « وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » قاله مطرف بن عبد الله من التابعين  
وابن قتيبة من المحدثين وابن شريج من الشافعية وطائفة من المتأخرين . ونعمام الكلام  
فى مقال آخر إن شاء الله »

**محمد أبو العلا البنا**

أستاذ الفلك بكلية الشريعة

## تدريس الطب بالعربية

طالب الدكتور بشير العطمة وزير الصحة المركزى فى الإقليم الجنوبى بتدريس الطب  
باللغة العربية فى الجامعات المصرية الأربع ، وقرر أن الإقليم الشمالى يجمع فى عشرات السنين  
المساضية بتعليم الطب بالعربية .

وقال الدكتور أحمد عمار عميد كلية طب الدمرداش إنه يؤيد وزير الصحة المركزى  
فى هذا الطلب .



## إلى الروحانية

غريب في هذا العصر وفي هذا العصر أن يكتب كاتب ليدعو الناس إلى الاقتصاد في العمل ، والإجمال في الطلب ، والتخفيف من السعي للحياة ، والإقبال على الدين وما فيه من غذاء للنفوس والأرواح .

نعم ، دعوة غريبة في وقت تجاوبت أصداء الخطباء على المنابر في الندوات والجمعيات ، وتطاهرت أعلام الكتاب في الصحف والمجلات ، تستنض أبناء الوطن إلى العمل ، وتستحثهم إلى المجد والسعي ليوافقوا مطالب الحياة ، ويرتفعوا بمستواهم الاجتماعي ، ويمشوا في أوطانهم سادة قادة لا مجال بينهم لطامع ولا مستغل ولا غاصب .

لقد أثمرت الدعوات إلى العمل ثمراتها في مصر وفي غيرها من أنحاء العالم ، فعمل الناس وعملوا ونافسوا الآلات في جدتها ونشاطها ، واستطاعوا أن يتجروا ويتجروا ، وأن يتصدوا ويجمعوا ، واستطاعوا بنشاطهم العلمي والاقتصادي أن يشيخوا حضارة باهرة بارعة ، شملت البر والبحر والجو ، وتدخلت في شؤون حياتهم العامة والخاصة ، في المنازل والشوارع والحقول والمصانع ، ولكن ذلك لم يملأ نفوسهم بالبهجة والغبطة ، ولم يحقق أمانهم في الثروة والرضا واستعمار اللذة ، واستول على مشاعرهم القلق والخوف ، واليأس والفنوط ، وسارت عالم عكسيا مع الحضارة وال عمران ؛ فكلما تقدمت الحضارة ازداد السخط والتبرم بالحياة ، وازداد حنينهم إلى السكون والراحة النفسية ، يفتقدونها في الأشربة والملاهي ، وفي السياحة والرياضة ولا يحلون من ذلك بطائل .

وأكثر الجماعات قلقا وانزعاجا أرقاها ، وأشد أفرادها في ذلك أغناها ، وكثير من يقتل أنفسهم متحرات هن يمثلات السينما اللواتي واتاهن الحظ المادي ، وتوافرن الترف الحسى . وكن محاط الأنظار في الأمصار ، ومنهن من هرب من هذا القلق إلى الأديرة والمعابد ينشدن المدوء النفسى والاستقرار الروحى الذى فشلت الحياة المادية بما لها وجعلها ورفاهيتها ونفاتها في أن تحققه هن .

لا شك أن أكثر مجتمعات العالم يسودها القلق والسخط ، وأنها تعاني منه آلاما وأمراسا نفسية ، وأن هناك إحساسا بذلك ، وأن ذلك الإحساس أخذ يشتد ويشوى حتى لفت أقطار العلماء في المجتمعات الأوروبية والأمريكية ، وأخذوا يتدارسون العلل والأسباب

ويمكرون في الأدوية والعلاجات ، وأن في هذه الدراسات ما يذم أن يكون موضع نظر لكثير من كتابنا والقائمين على دعوات الإصلاح فينا وربما دعاهم النظر إلى العدول عن كثير من مناهجهم في دعوات الإصلاح ، وإن من حسن الحظ أن أتاحت المرحل الحاضرة لبعض كتابنا المنصفين أن يطوفوا بالهالم ويدرسوا بعض مآثر الحياة في شهوره ومجتمعاته ، وأن ينقلوا إلينا صورة من تلك الحياة التي نحيها وتعيش فيها مجتمعات العالم المتحضر الذي يروى لكتابنا أن يجعلوه القدوة والمنهج الصالح لحياة الشعوب والجماعات ، كما أن من حسن الحظ أن مجتمعاتنا لم تصل إلى العاية التي وصلت إليها المجتمعات الغربية من الفلق النسي لعوامل كثيرة يطول شرحها ، وأهمها سيطرة الروح الدينية على كثير من أفرادها ، والحرص على تماليدنا الشرقية العاضة ، فعلاجها أيسر من علاج المجتمعات الغربية .

إن مما ذكره الكتاب من أسباب الفساد في المجتمعات الغربية التي تكشف عنها الدراسة ما يأتي :

- ١ — إقمار النفوس من الوازع الديني وإهمال التعاليم الدينية .
- ٢ — الحرية المطلقة التي منحت للمرأة وتحررها من سلطان الرجل ، وانقطاعها العاطفي نحو ما نشهى وما تحب .
- ٣ — اشتراكها الكامل مع الرجل في التعليم والعمل وفي الحياة العامة .
- ٤ — نهات الشباب على الملامى وعلى الأفلام السينائية التي تعالج مسائل الجنس وتعتمد على إثارة الغرائز الجنسية .
- ٥ — تهالك الناس على المال نهالكاً لا يبالون في طريقته بالمشروع من الوسائل وغير المشروع .

هذه بعض الأسباب التي وصل إليها علماء الغرب في دراستهم لفساد المجتمعات الغربية وإنها لأسباب وجبة وحقيقية ، وطالما رددناها في كتابتنا كما رددناها غيرنا ، وكانت تقابل بهز الأكتاف وإنفاص الرؤوس .

لقد قلنا : إن امتلاء النفوس بالإيمان وبالوازع الديني هو صمام الأمن فيها ، وهو الرقيب المسيطر على سلوكها وتصرفاتها ، يعصمها من الزلل ، وينير لها طريقها في الحياة ، ويبتدئها على التمييز بين المشروع وغير المشروع من الأعمال والعلاقات . وإن الدين دستور الحياة

الشريعة الزافية ، والأخلاق الواقية المعاصرة . وقتنا . إن إلقاء الخجل على العاروب للرأه عريق  
محوف لا تؤمن عاقته . ولا تمدد مغيبته . وإقحامها في الأعمال كلها بلا تمييز بين ما يناسبها  
وما لا يناسبها خطر على الأسره وعلى الأطفال وعلى المجتمع . وقتنا : إن الفوضى في عرض  
الأفلام السينمائية وخصوصاً ما يعالج منها مسائل الجنس والحب والجرائم ، مصدرة لشامتا  
ومجتمعاتنا ويعرضهم للمحاكاة والتقليد .

ومحل العلاج في نظرهم : إحياء الدعوة إلى الروحية : أي العودة إلى الدين وإيقاظ الدموس  
لتقبل تعاليمه ، ومحاولة بثها بين الشباب في المعاهد والمعابد ، وفي الصحف والمجلات ، حتى  
يستيقظ وعيهم الديني ويكون له السيطرة على تصرفاتهم وسلوكهم ، والدعوة إلى عودة المرأة  
إلى مكانها الطبيعي في بناء الأسرة ، وتدير شئون المنزل ورعاية الأطفال رعاية صالحة . فقد  
كان انصرافها عن المنزل إلى العمل عاملاً من عوامل سوء التربية في الأجيال التي نشأت في ظل  
هذا النظام ، والدعوة إلى رقابة الأفلام السينمائية رقابة حازمة وخطر عرض ما يتناول مسائل  
الحب والجنس والجرائم البوليسية حتى لا تفسد وجدانات الشباب وسلوكهم بالتقليد  
والمحاكاة ، وإلهاب غرائزهم وعواطفهم دون أن يكون لهم القدرة على ضبطها وكبح جماحها .  
هذا إحمال سريع لصور الحياة في المجتمعات الغربية وما تعانيه من فساد ، وهذه دراسة  
علائقه في أسباب ذلك وفي علاجه ، ومن العجيب أن هناك تشابهاً قوياً بين ما يشكو به  
وما شكواه . وبين ما يكتسونه وبين ما كتبناه ، وقد خوصمنا في ذلك وهو جونا واتهمنا بالحدود  
والرجعية ، وراينا أن نترك هؤلاء المحاصرين للزمن يتولى إقناعهم ، وللتجربة تكشف  
أخطائهم ، وهؤلاء هم علماء الغرب يتولون عن دراسة وتجربة ما قنناه ، وبلتون معنا  
في تشخيص العلل والأدواء . فهل يلتقي معنا بعض الكتاب الذين يهزمون بالروحية والعمل  
القاصد ، ويدعون إلى حرية المرأة حرية مطلقة دون حدود أو قيود . ويناصرون الأفلام  
المساجنة بدعوى الاستنارة والتنشيف ؟

نرجو ذلك . لنكون وإياهم قوة دافعة نافعة تصلح من شأن المجتمع وتدفع عنه ما يهدده  
من الأحطار التي يعانيها غيرنا وبألم آثارها . ويسعى جاهداً لعلاجها ، إن الأمل في ذلك  
كبير ، فقد قال الغرب كلمته ، وإذا قال الغرب فليسمع أولئك الكتاب وليسمع الزمن .

أبو الوفا المراغي

## مَحَنَاتُكَ مِنَ الْفِتْوَى

رأت إدارة مجلة الأزهر أن تنشر من وقت لآخر بعض الفتاوى التي تصدرها لجنة الفتوى بالأزهر مما تكون الظروف داعية إلى نشره حسباً تسمح به إمكانيات المجلة .  
بسم الله الرحمن الرحيم :

### حكم الإجهاض

السؤال - من السيد / أستاذ قسم الطب الشرعي بجامعة القاهرة :  
ما رأى الشريعة العراء في مسألة إجهاض المرأة الحامل ومتى يكون مباحاً ومتى لا يباح .  
وهل يجوز إسقاط من حملت اغتصاباً ؟ ومن حملت سفاهة ؟ ومن حملت من محرم ؟ ومن  
كثر ولدها ؟ وهل يجوز الإجهاض بقصد علاج أو مرض ناشئ عن الحمل ولو كان مرضاً  
نفسياً كحالة الحمل السفاح مثلاً ؟

### الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين  
أما بعد فتفيد بأن بعض المذاهب الفقهية يمنع الإجهاض مطلقاً ( سواء أكان الجنين حياً  
في الرحم أم لم تنفخ فيه الروح ) لأن المسألة مادة حية ، وإزالتها وأد الجنين وهو ممنوع شرعاً ،  
وذهب باقي الأئمة إلى جواز إسقاط الحمل ما دام لم تنفخ فيه الروح ، والزمن الذي يكون فيه  
الجنين غور ذي روح معروف للأطباء المختصين ، وقد قدره الشرعيون بما دون أربعة أشهر .  
وعلى هذا القول لا يجوز الإجهاض إلا لضرورة معتبرة شرعاً ، كما إذا كان بقاء الحمل مضرراً  
ضرراً بليغاً بصحة الحامل أو مفضياً إلى موتها إذا ثقل حملها أو وضعت ، وفي غير حالات  
الضرورة لا يباح الإسقاط ، والضرورات تقدر بقدرها ، وليست محصورة في عدد ، وإنما  
المناط فيها أن تكون ضرورة في نظر الشارع .

والجنين في نظر الشارع محترم يحافظ عليه ولو كان من زنا بدليل أن الرسول صلى الله  
عليه وسلم لم يتم الحد على من زنت وكانت حاملاً حتى وضعت . وفي رواية حتى مضى زمن  
بعد الوضع ترعى فيه الجنين ، فلا يكون مجرد كونه من الزنا موجباً لإسقاطه . والله أعلم .

حسنيين محمد مخلوف

رئيس لجنة الفتوى

## الدين...والانسان على الأرض

• السعادة : أتركها وديعة بين يدي العالم الآخر ؟ ..

السعادة : فلنقتنصها على الأرض ..

أسرعوا ، نحن في عجلة ، لا ضهان في العد ، ولا عبء إلا بالحاضر ..

عافل من يقامر على المستقبل ، فلنضمن أولاً رفاهية بشرية صرفة ،

هكذا يصور بول هازارد Paul Hozard « أزمة الضمير الأوربي ١٦٨٠ - ١٧١٥ م »

انتقلت الأزمة سرباً من أرجاء الأرض .. ووصلت بواحدنا إلينا .

فما موقف الإسلام تجاه أزمة الإنسان ؟ ؟

• • •

يقولون إن عصر النهضة الأوربية هو الذي عرف للإنسان قدره ، وأزله منزله ...

نقل الاهتمام من ( الإله ) إلى ( الإنسان ) ، ونقل المعرفة من السماء إلى الأرض ...

وأحدث هذا رد فعل عنيف : لقد تجرأ كوبر نيكوس وجاليليو أن يتكلموا عن الفلك

والطبيعة دون تفكير بما ورد في التوراة والإنجيل ، وتجرأ العلم أن يتحدث عن عوالم هائلة

لا تعد بجانبها ( اللعبة الأرضية ) التي يعيش عليها الإنسان شيئاً مذكوراً ... كيف :

والمفروض أن الكوكب الذي يعيش عليه الكائن الإنساني ينبغي أن يكون أشرف

ما في الوجود ؟ ؟

واستمع الناس في دهشة ووجل إلى بايل Retto Bayle سنة ١٦٨٣ م يقول :

« كلما درسنا الإنسان أيقنا أن الخيلاء شهوته المسلطة عليه ، وأنه يصطنع الكبر

حتى في خضم البؤس والكره . تبأ له ! فقد استطاع بما جبل عليه من ضعف وهوان أن

يقنع نفسه بأنه لا يمكن أن يموت دون أن يزعم الطبيعة جماء . ودون أن يجبر السماء

على تخشم نفقات جديدة لإنارة موكب جنازته ! فيا للخيلاء الباطلة الخفاء ! لو أن لدينا فكرة صحيحة عن الكون ، لمهمنا سراعاً أن ولادة أمير أو وفاته مسألة من التفاهة . يمكن بالنسبة لطبيعة الأشياء ، وحتى إنه لعبث أن تتحرك من أجلها السماء ! ولكننا نقول مع سنيكا : إن العناية الإلهية لا تفعل عنا وإسماً تأخذ نصيبنا منها . ولكن هدفها يعوق كل ما تصوره عنها . وإنه وإن كانت حركات السماء تعود علينا بفوائد جلي . فلا يعني هذا أن هذه الأجرام الهائلة تتحرك بحجة في الأرض ! .

وماداً عن المعلومات المقدسة المودعة في سفر التكوين ٢٢

إن ريشار سيمون ينشر كتابه : تاريخ نقدي للعهد القديم ، سنة ١٦٧٨ م . فقرأى أى تأثير يتركه في القارىء إذا ما انتهى ؟ إن قصة الكتاب المقدس عن خلق الكون لا اتساق فيها ولا اسجام ، وإنها كتبت في أزمان جد مختلفة وبأياد لم تؤت المهارة ولا الأهلية ، وإنها على الأقل اعترافاً كثير من التبديل وفي غير حذق ، حتى أصبح من المستحيل أن نميز كاتبها الأصيل ! !

كتب جون تولاند كتابه : المسيحية دون أسرار ، Christ not Mysterious عام ١٦٩٦ م فالسر لفظ وثني احتفظنا به كما احتفظنا بغيره من ألفاظ ، هو إما خرافة يجب أن نقضى عليها ، وإما صعوبة عارضة ينبغي أن نذلها ! ! إما أن المسيحية تتفق مع العقل ولا تمثل إلا مجرد ارتضاء للنظام الشامل متجردة عن كل ما يخرج عن هذا الارتضاء نفسه . كالتقاليد والمذاهب والشعائر ... إلخ - وإما أنه يستحيل عليها أن تعيش ! فما من شيء في العالم يمكن أن يكون فوق العقل وما من شيء يمكن أن يتعارض مع العقل ! .

ولوك يتحدث عن : المسيحية . المعقولة ، Christianisme raisonnable : فيوجز العقيدة في أصلين : الإيمان بالمسيح والتوبة ، ولا يشترط شيئاً آخر لإتمام رسالة الأرواح ، قبول رسالة المسيح ، والزام سلوك طيب . هذا يكفي جداً ! وكان يرفض الاعتقاد بأن كل سلالة آدم قد حكم عليها بعذاب أبدي لانها في من أجل خطيئة الرجل الأول الذي لم يسمع عنه قط ملايين من الناس ! ! !

هل تبينت ملاحح النهضة الجديدة ؟ . . . وهل عرفت من أين أتى رد الفعل ضد الدين

في بلاد الغرب ؟ ؟ ؟

يقف الإسلام ثابتاً على أساس متين ، إزاء هذه الزلازل والبراكين ، عند الآخرين ...

فهو قد أوقف الإنسان من أول الأمر على حقيقة مركزه في الكون ، دون تهويل أو تهويل ، وقد بصره بخلق الله الذي تدركه حواسه أولاً تدركه ، وجعل له أن الكون المسيح بأرض وسماوات وأفلاكه محكوم بسنن منضبطة لا تشذ ولا تخفى . :

« الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور ٢٢ » .

« والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون » .

« و أنبتنا فيها من كل شيء موزون » .

« إنا كل شيء خلقناه بقدر » ، « وخلق كل شيء فقدره تقديراً » .

« فلن تجد لسنة الله تبديلاً ... ولن تجد لسنة الله تحويلاً » .

والذين قالوا لرسول الإسلام: كسفت الشمس ل وفاة ابنه إبراهيم ، رد عليهم الرد المصمم الحاسم :

« إن الشمس والقمر لا ينكسان لموت أحد ولا لحياته ... ولكنهما آيتان من آيات الله (١) » .

والقرآن قد تحدث عن معجزات ، ورسول الإسلام معجزات ، ولكن معجزة الإسلام الكبرى كانت القرآن : لا يزال يعرض للذكر والتدبر ، وبجمله هو العقل قبل كل شيء . والقرآن ينحى على الجود والتقليد ، ويطلق العقل ليفكر ويعمل ، ويأتمنه على الحكم في أمر العقيدة ، فيقدم له الحجة والدليل ، ويرد على المنكرين .

وشعائر هذا الدين لم تحبس الإنسان عن الدنيا ، بل هي محدودة ميسورة : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

(١) البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه - صحيح .

ولا تدع هذه الشعائر مريضاً أو ضعيفاً أو مسافراً حتى تخفف عنه وترخص له وتيسر ما يسقط عنه الفرض بأقل جهد .

عن جابر قال : خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشق في رأسه ثم احتم ، فسأل أصحابه : هل يجدون لي رخصة في التيمم ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على رسول الله أخبر بذلك فقال : « قتلوه قتلهم الله » ألا سألوا إذ لم يعلموا ، فإنما شفاء العي السؤال ، إنما يكفيه أن يتيمم ، ويعصر أو يعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويفسل سائر جسده (١) .

وشريعة هذا الدين تريد بالناس اليسر وترفع عنهم الحرج وتدفع المشقة وتتوقى عموم البلوى . . . . . وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ، « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » . وفي الحديث : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » (٢) .

\*\*\*

ونظرة الإسلام للإنسان ... وللحياة الدنيا ، كلها إحصاف .

إنه يعرف قدر الإنسان « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » . « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » . ولكنه لا يسلم الإنسان للأهواء « كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » ، « ولم يلق قلب لا يفقهون بها ، ولم أعين لا يبصرون بها ، ولم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل - أولئك هم الغافلون » ، « وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » ، بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون » .

إن القرآن يضع تحت يد الإنسان كثيراً من مفااتيح القوى والطاقات التي أودعها هذا الوجود « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ... » ، ولكنه لا يتركه يطيش « ... وما قدرنا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » ، « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون » ،

(١) أبو داود وابن ماجه والدارقطني - صحيح ابن السكن .

(٢) الطبراني في الكبير - صحيح .



« ولئن أذقنا الإنسان منارحة ثم نزعناها منه إنه ليثوس كفور . ولئن أدقناه نهارا بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح لخور . إلا الدين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير » ، « يا أيها الناس أتمموا الفداء إلى الله ، والله هو العني الحميد . إن بشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز » ، « أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم ، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

والدين قد صان الطاقة الإنسانية حين حررها من الانقياد للالفة الباطلة ، والآهواء المتبعة . . . وقد صان الطاقة الإنسانية حين وجهها لعبادة ترضى بها أشواقها الخمية دون أن تيسع بذلك كرامة العقل أو مصالح الدنيا ، لأن إلها المعبود يخاطب عقولنا بالبرهان ، وهو غنى كريم لا يخدعنا ولا يقهرنا بالباطل ، ولا يستخف بنا ولا يسلبنا : « ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون » .

إن هذه الأعماق البعيدة في التحرير النفس من الداخل لا يصل إليها إلا الدين . . . إنه يقتلع الجرائم التي يستتبتها ويستكثرها الطغاة والمستبدون ، ويسلم زمام النفس لرب العالمين ، الذي لن يستغل هذه الطاعة لصالح طبقة أو حزب أو جنس . تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين » .

وكلنا حرص المؤمن على عقيدته بالله ، كلما برى من الشرك وأعلن الكفر بمن عداه ..

والمؤمن إذ يتمتع بحريته في أفصح مداها إنما ينتظر منه أن يصيب في مزاوله الحرية وأن يخطئ ، والخطأ ضريبة بشرية ، والدين يقرر أن هذه طبيعة الناس ويتعامل معهم على هذا الأساس « كل بنى آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون » [١] .

أما الدنيا فهي في الإسلام مزرعة الآخرة ، لا يصح الانصراف عنها ، بل يعبد الله بالعمل في أرضه وإتفاء رزقه والإفادة من نعمه : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » ، « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ،

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » ،  
وفى الحديث : « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » [١] .

الإسلام يكرم الإنسان لكنه لا يؤله بل يسلم أمره لله ، ويحل له طيبات الحياة الدنيا لكنه يذكره بمتاع خير وأبقى . . . والدين فى هذا يحفظ على الإنسان طاقته حتى لا تزل ولا تنبسط فى جميع القلق دود . قرار ، ويحقق له استمتاعه بإسانيته ودينه دون أن ( يستهلكه ) الدوار فى أنقى ضيق لا ينشغل فيه بغير ذاته ومصالحه . . . إن بمن الإنسانية والنفعية ليس أرحب من بمن الخرافات والتأليد والاستبداد ومع ذلك ينبغى ألا يكون الداء فى الدواء ، فتكبت العقائد العقول وتحبس الطاقات وتعمل الأفراد والجماعات !!

والإسلام لم يلع الكيان الإنسانى باسم الدين ، ولم يقم الدار الآخرة لتصرف النظر عن دنيا يتعاقم فيها الحرمان والعجز والفساد .

إن ترقى الإنسان وازدهار الحضارة تسبح لله العلى الأعلى ، وتعجيد للحائق الصانع العظيم .

\*\*\*

والقرآن بعد ذلك كله . . . حافل بالصور الحية النابضة ذات المغزى الإنسانى الرفيع .

« فالرسول فى تصوير القرآن إنسان يمتلئ حياة وحركة ، وتزخر نفسه بالمشاعر والأحاسيس . . . إنسان حريص على نجاح دعوته بكل سبيل : « قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين . وإن كان كبر عليك إعراسهم ، فإن استطعت أن تبغى نفقا فى الأرض أو سلبا فى السماء فتأتهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين » .

« فلعلمك تارك بعض ما يوحى إليك وصائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كبر ، أو جاء معه ملك . . . إنما أنت نذير ، والله على كل شئ وكيل » .

إنه داعية فكرة يتشوق لاتنصارها ، ويتطلع لمستقبلها ، ويقلق من أراجيف الخصوم ومكائدهم . . . وهذه النفس الإنسانية الحية صاحبها رسول مؤيد معصوم !

• والقرآن يعرض نماذج إنسانية حية لأفراد مؤمنين أخطأوا فتابوا - وهل حياة الإنسان إلا تردد بين الخطأ والصواب ؟؟ ، لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والآنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريقت منهم ثم تاب عليهم ، إنه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين حللوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وطنوا أن لا مخرجاً من الله إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، إن الله هو التواب الرحيم ،

• والمجتمع الإسلامي كله ، مجتمع من البشر : إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنون - هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ، ، إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأنابكم غما نعم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خير بما تعملون . ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمة ناعسا يفتى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية - يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ؟ قل إن الأمر كله لله ، يحمون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ، قل لو كنتم في يوتنكم لبرز الدين كتب عليهم القتلى مضاجعهم ، ولينل الله ما في صدوركم ولينحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ، « يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، . . . »

كل هذه صور إنسانية للضعف البشري ، يقدمها الدين للنفس فيلبسها لمسات حانية رقيقة : إن الإسلام لا يريد الناس ملائكة ، حسبهم أن يجتهدوا ولو أخطأوا ، وأن يتوبوا الخير ولو لم يسعفهم تحقيقه ، وأن يتوبوا إذا حالفوا ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعاون . . . فإن كانوا كذلك فهم قد اهدوا إلى جوهر الإيمان وحقيقة النفس ، لقد تحرروا من التزمت والتحلل ، من الجود والجود ، ولا يضرهم بعد ذلك أن يترددوا بين الطاعة والمعصية ، بين النجاح والفشل ، بين النصر والهزيمة ، بين الكسب والخسارة - لأن هذه كلها عوارض

لا بد من اجتماعها وتتابعها بالنسبة للطبيعة الكونية والإنسانية : « وتلك الأيام تداولها بين الناس » .

« هم إذا أخطأوا فليحملوا نتيجة خطئهم ، دون أن ينتظروا قارعة زاجرة تأنيهم مباشرة مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ، إذ حصاد أيديهم وألسنتهم يكفهم زاجرا وحده إن كانوا يزدهرون » ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » ، « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فطلوا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تحويفا » .

« وإذا ناء المسلمون بأعباء الحق فلن تدخل المعجزات لنصرهم ، ولكن في صبرهم ومصابرتهم ومراتبتهم الحصن الحصين والملجأ الأمين » ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليلو بعضكم بعضا » .

« وسن السكون أمام الجميع ، ينال الخير العاملون لا الخاملون - مهما كانت المسألة أو الدين ، فلا محابة في عون الله لطائفة دون أخرى من عباد الله » من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، « كلا عند هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا » .

ما أحوج الإنسان إلى دين الله ، في عصر الإنسان .

« من كفر . . . فعليه كفره ، ومن عمل صالحا . . . فلأنفسهم يمدون » .

فتحي عثمان

## مكانة المعلم

تم العلم وفاء التبجيلا      كاد المعلم أن يكون رسولا  
أرأيت أعظم أو أجل من الذي      يبنى ويثقى أنفسا وعقولا ؟

« شوقي »

## رسالة الأزهر

- ٦ -

### رسالة العلم :

المعروف عن الأزهر إجمالا في تاريخه العلى أنه هو الذى حفظ لنسولين دينهم ولعلمهم العربية : لغة القرآن الكريم .

إن رسالة الأزهر الإجمالية هذه لأضخم رسالة في التاريخ العلى الإسلامى . ولمن يريد التحدث عن هذه الرسالة بالتفصيل أن يلم في بحثه بتاريخ العلم والمعرفة في مصر منذ أن صارت إسلامية ، ومنذ أن كانت ملاذا للدين ولغته العربية الكريمة .

### التعليم في مصر قبل الأزهر :

المسجد الجامع أو مسجد عمرو بن العاص هو المدرسة الأولى التى تلت بواكير العلم والتعليم في مصر . حتى رووا في تاريخه أنه في بعض أزمته كان به بضعة وأربعون حلقة لإقراء العلم : هكذا روى المقرئى عن بعض من استقامت له الرواية عنهم من المؤرخين قبله .

إن العناية الأولى للدراسة في جميع أطوارها في مساجد مصر كانت للدين وأصوله وفروعه أما دراسة العربية فقد كانت تابعة لدراسة الدين أينما كان . ومعنى ذلك أن دراسة الدين كانت هى الغاية ودراسة اللغة كانت هى الوسيلة . ولا ريب في أن من لا يدرس الوسيلة حق دراستها لا يستطيع دراسة الغاية والدين أساسه القرآن فالحديث . وفهمها لا يستقيم إلا لدارس اللغة وأصولها وفروعها .

أخذ جامع عمرو يدوى بالدروس الدينية تتبعها الدروس العربية في مستهل القرن الثانى الهجرى : وكان أكبر الأساتذة فيه يومئذ عبد الله بن عمرو بن العاص ، ويزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن خبيبة ، واليث بن سعد ، ومحمد بن إدريس الشافعى ، هؤلاء الأئمة هم الذين وضعوا بنزلة التدريس العلى في المسجد الجامع ، وهم الذين كونوا في مصر المدرسة الدينية والفقهية الأولى على نظام التحلق في الدروس والاستماع إلى المدرس . ثم تناوب العلماء المدرسون بعد هذه الطبقة إلى أن صار جامع عمرو هو مدرسة الدين الإسلامى ولغته العربية .

في سنة ٢٦٣ هجرية بنى أحمد بن طولون مسجده المعروف ، وأول من درس فيه العلم أحمد بن الربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافعي وقد أخذ يملئ فيه دروس الحديث ، وقد دفع إليه ابن طولون في أول درس له كتباً به ألف دينار . وما زالت تحبب فيه الدراسة إلى أن استمرت وصار له شأن فيها ، وقد رتنت فيه دروس التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة .

لم يعطل جامع عمرو من الدروس بقيام جامع ابن طولون ، وإنما ظل كما هو على حاله الأول ، وقد صار للعلم معهدان : جامع عمرو وجامع ابن طولون .

بنى بعد هذين المسجدين المدراسين الجامع الأزهر ، وقد بدأ في بنائه في جمادى الأولى سنة ٣٥٩ وأكمل بناؤه سنة ٣٦١ . ولم يعطل بناء الأزهر المسجدين السابقين عليه من التدريس . لأن التدريس الديني كان كأنه حبة في ذمة العلماء على قهرم ، يؤدونه عن رضا وهم مقتبطون .

أسس الأزهر ليكون مدرسة للفاطميين ، يدرسون فيه مذهبهم الشيعي ، وبذلك اختلف منهجه الدراسي عن مناهج جامع عمرو وجامع ابن طولون . لأنه لا يعرف عن هذين المسجدين أنه درس بهما ما يخرج عن مناهج أهل السنة والسنن الصالح . وبذلك تكون أول رسالة للأزهر هي الرسالة الشيعية الفاطمية التي جاء بها من المغرب هؤلاء العلويون . وقد اعتدوا أن مصر من أكبر المراتع لأثر مذهبهم ، ولكن الأتيام عن هذه الرسالة لم يعمر طويلاً ، فقد أزال السلطان صلاح الدين كل ما أقامه الفاطميون من دعوات شيعية . وقد عطل الأزهر عن أداء رسالته حتى لا يبقى طلاً للفاطميين في مصر . فإذا صنع بالعلم والدراسة بعد تعطيل الأزهر ؟ إنه بنى المدارس لتدريس الفقه الإسلامي وأصوله على مذهب أهل السنة والجماعة .

لنا هنا وقفة أحفل فيها رأي فيما صنعه صلاح الدين . هذا الرأي هو أن تأسيسه هذه المدارس لم يخرج بالأزهر عن رسالته العلمية المظلمة . فإن الجامع الأزهر هو بنية من حجر وكل بنية قارية لكل ما تعمر به . لأن بناء كعبد قابل لكل ما يدرس فيه . فهو ظرف مكان لا أكثر ، وظرف المكان قابل للتغيير والتبديل فيما يحويه ، فالقول بأن رسالة الأزهر العلمية قد عطلت لا شيء فيه للتحقيق . لأننا لا ندري ماذا كان يصنع صلاح الدين في العلم

والتعليم لو أنه لم يجد في مصر أزهرأ يؤدي رسالة عليية لم ترق هذا السلطان. وكل ما في الأمر أن مناهج العلم قد تغيرت وبني لها أمكنة غير الأزهر . فالأزهر هو الذي رسم الرسالة العلية التي غير السلطان مناهجها . وهذه الرسالة الشيعية هي التي أوحى إلى صلاح الدين بأن يجد طريقاً جديداً للتعليم . أما تعطيله الأزهر جملة فذلك رأيه الخاص ولكن الأزهر ( المعنوي ) لا الحجر ولا البناء ، الذي جعله يتجه إلى ناحية جديدة في تعليم الدين ، وهو الذي رسم له الطريق العلي ، كما رسمت الجامعة الأزهرية طريقها حديثاً فأنا نجد لها كليات شتى ، في شرق القاهرة ، وفي غربها ، وفي شمالها ، وفي جنوبها وكلها تجمعها كلية ( الجامعة ) . فالمدارس التي أسسها صلاح الدين هي استمرار حقيقي - لا ظاهري - في أداء رسالة الأزهر العلية وإن تغيرت السبل والمناهج . وإن لم يلتفت إلى هذه ( الأزهرية المعنوية ) أحد من المؤرخين . وأخيراً هل يقال إن الدراسات الأزهرية التي تفرقت في الكليات الخارجة عن بنية الأزهر قد زحزحته عن رسالته ؟ . . . وأنه معطل الآن عن أداء هذه الرسالة بناء هذه الكليات المنتشرة في القاهرة ؟ ! إنني أترك القارئ بغير جواب مني إيجاب هو لنفسه من نفسه ؟

### حسن الشيخة

## الاختلاط بين الجنسين

عيننا أننا نقلد الغرب تقليداً أعمى في كل شيء . حتى في الأمور التي يقوم الدليل العلي القاطع على فسادها ، والتي يظهر للعرب نفسه خطؤه في السير عليها ، ويحاول أن يهدي من اندفاعه في سبيلها .

وبعدنا أن نسجل أن مصر التي قطعت في سبيل الاختلاط الجامعي شوطاً كبيراً قد فطنت الآن لهذه الخدائق ، وأخست تدارك بعض أخطائها ، فأنشأت كليات خاصة للبنات ملحقة بجامعة عين شمس .

الدكتور علي عبد الواحد وافي

## حقائق فلسفية تحت شرعة الحرب في تقدير الإسلام

لما استقر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأسس بها حكمته على ما يعرفه القراء ، كان مقصودا بالقتل والقتال من قريش ، وليس يعقل أن تغض قريش جنبها ، ومصلحتها الحيوية قائمة على زعامة الدين في البلاد العربية ، عن قيام زعامة أخرى في بلد كثير يصح منافسا لأم القرى وربما يزها سلطانا على العقول ، وكر على قريش فأباد خضراءها وسلبها حقها الموروث ، ولا يسمع الإسلام من جانبه مهما كانت ميوله سلبية ( فاصفح عنهم وقل سلام ) أن يستمر في منع القاطنين به عن الدفاع عن أنفسهم وعن الدين الذي أنزل للإسانية كافة في عالم يضيع الحق فيه إن لم تكن وراة قوة تؤيده ، فكان لامناس من السباح للسليين بحماية أنفسهم ودينهم بالسلح الذي ينهره حصومهم في وجوههم فأنزل الله قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لهدمت صوامع وبيع ، وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ، الدين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور . »

ولم يفعل الإسلام حتى في هذا الموطن ، موطن الدفاع عن النفس والدين ، أن ينصح لأشياعه بعدم العدوان لأن الموضوع حماية حق لا موضوع انتقام وشفاء ثارات وهذا من مميزات الحكومات الإسلامية فإن القائم عليها يكون كالجراح يضع مبضعه حيث يوجد الداء لاستئصاله مع عدم المساس بالأعضاء السليمة ومقصده استيفاء حياة المريض لا قتله والعالم كله في نظر الحكومة الإسلامية شخص مريض تعمل لاستدامة وجوده سليما قويا غالبا من الأمراض المستعصية ، والإسلام باعتبار أنه دين عام للناس كافة يعد العالم كله أمة واحدة غير معتد بما أحدثته البيئات والتفاسيم الجغرافية بينهم من العروق في الألوان واللغات مل والأديان .



لهذا السبب ولأن موجهه هو رب العالمين الذي وسعت رحته كل شيء أحيطت جميع آيات الجهاد فيه بأوامر مشددة في مراعاة العدل مع المحاربين وعدم الإسراف في سفك دمائهم والاعتداد بالظاهر من أعذارهم بما يعد مثلاً علياً لم تصل المدنية بعد ألوف من السنين إلى خيال منها ناهيك أنه يحرم على أهله أن يقتلوا حدم المحاربين الذين يمدونهم بالطعام والشراب ، ويعينونهم على حمل عتادهم وخدمة دوابهم وهذا غير ما أمر به من احترام حياة شيوخهم وولدانهم ونسائهم ، ورجال أديانهم ، وعدم الإجهاز على جرحهم وعدم تعقب مهزومهم للثأر بهم من خلفهم قال الله تعالى : «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، وقال : « ولا يجرمنكم شنآن قوم ( أى ولا يحملنكم بفضنكم لقوم ) أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب » .

بهذه القيود الرحيمة وفي هذه الحدود العادلة أذن الله للسلين بعد تقضى الكفار للعهد أن يبنوا لهم على سواء وأن يقابلوا قوتهم بمثلاً حتى يحقق الله الحق ويبطل الباطل ويظهر دين الله على ما حاكته الأوهام من عقائد باطلة وخيالات عاطلة ، ولما كلف القرشيون قد صارحوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحرب ، ولو تركهم وشأنهم بعد شخوصه إلى المدينة لما تركوه وشأنه ، فقد اعتبرهم في حالة حرب ، وعاملهم على موجب هذا الاعتبار .

هنا لا بد لنا من نفي شبهة كثيراً ما أثارها خصوم الإسلام ضده إذ قالوا : إن الإسلام دين شرعت فيه الحرب ، والدين الحق يجب أن يتنزه عن ذلك فلا يدعو إلا إلى الإسلام لأن الحرب من بقايا الوحشية الأولى ولا يجوز أن يعتمد عليها دين إلهي أنزل لكي يكون رحمة للعالمين .

لا جرم أن الذين يدلون بهذه الشبهة لا يعرفون من طبيعة العالم الأرضي ولا من عوامل الاجتماع الإنساني ولا من تاريخ الأديان السماوية ما يجب أن يعرف ليبنى حكمهم عادلاً ورأيهم سديداً .

إن طبيعة هذا العالم مبنية على التدافع والتغالب وتنازع البقاء ليس فيما بين الناس فحسب ولكن فيما بينهم وبين الوجود المحيط بهم ، بل وفيما بين كل فرد والعوامل المتسلطة عليه

من نفسه ، ولا تشد عن هذه القاعدة العامة الحيوانات ولا النباتات أيضاً ، وقد بنى علماء النبات والحيوانات وعلماء الإنسان على هذا التدافع كل ترقى طرأ على هذه العوالم الثلاثة ، ولا أظن أن قارئاً من قرائنا يحمل التاموس الذي اكتشفه « داروين وروسيل ولاس » ، ودعواه تاموس تنازع البناء ويبا عليه كل تطور أصاب الأنواع النباتية والحيوانية والإنسان أيضاً .

وقد أشار الله إلى خطر هذا الأصل العظيم بقوله تعالى فيما يتصل بالإنسان : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » . وإنما تفسد الأرض بتغلب الأشرار وتقاص الأحيار عن التنكيل بهم ، وفصلاً عن تعليل الأشرار في شرورهم فإنهم لا يدعون الأخيار أحراراً في ممارسة فضائلهم ، وقد صرح الكتاب الكريم بهذا في قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » ألم تركب تصدى حصوم الدين النصراني للسبح وما كن يدعو لإللاصلاح والسلام حتى إنهم استصدروا أمراً بصلبه فنجاه الله منهم ، وما زالوا بالذين اتبعوه يصطهدونهم ويقتلونهم حتى مضت ثلاثة قرون وهم مشردون في الأرض لا تجمعهم جامعة إلى أن حامهم من أعدائهم السيف على يد الأمبراطور قسطنطين الروماني واتفق أنه كان يدين بالنصرانية ، فلما ولي الملك أعمال السيف في الوثنيين وهدم هياكلهم وأجبرهم على قبول المسيحية ديناً لهم ومن ذلك العهد أمكن المسيحيين أن يجاهرُوا بدينهم وأن يتخذوا لهم زعامة دينية ، وأقامهم هذا الدرس القاسي في ضرورة استخدام السيف لنشر الدعوة ولقمع الوثنيين حتى دانت لهم أوربا كلها ، ولا يمكن أن يدى أحد ما حدث بين البروتستانتية والكاثوليكية من الحروب الماحقة حتى استقر كل فريق منهم في الحيز الذي هو فيه .

أولم تر أيضاً كيف تصدى الجاهليون لمحمد صلى الله عليه وسلم فتنعوه عن نشر الدين الذي أوحاه الله إليه ، وانهى أمرهم بالثأل عليه لقتله والفرار من أمره ؟ ثم ما حدث منهم بعد أن هاجر إلى المدينة حيث تصدوه بها ، مؤلبن عليه القبائل الجاهلية لإبطال أمره والتعفية على أثره ؟

أفيريد مشيرو هذه الشبهة أن يقوم دين على غير البنن الطبيعية في عالم مبنى على مبدأ التنازع والتنازع واستعداد القوة الحيوانية لطمس معالم الحق ودك صروح العدل ؟ يقول المتضررون : وماذا أعددت من حجة حين تجمع الأمم على إبطال الحروب ، وحجم منازعاتها عن طريق التحكيم ، وهذا قرآنكم يدعوكم للجهاد ويحثكم على الاستبسال ؟ .

يقول أعددنا لهذا العهد قوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » .

هذه كلمة بالغة من القرآن بل هذه معجزة من معجزاته الخوالة وهي أول دليل على أنه لم يشرع الحرب لذاتها ولكن لأنها من عوامل الاجتماع الذي لا بد منها ما دام الإنسان في عقليته ونفسه الماثورين عنه غير أنه لم ينب أن يحدث تطور عالمي متفق فيه على إبطال الحرب فصرح بهذا الحكم قبل حدوثه ليكون حجة لأهله من ناحية وليلدل على أنه لا يريد الحرب لذاتها من ناحية أخرى .

ولو كان يريد لها لذاتها لما نوه بهذا الحكم ، ولو كان ذكر له إمكان جنوح الأمم للسلم لكرر على هذا القول بالدحض ولخص أهله على عدم الإصغاء إليه وعلى اعتباره من عوامل التثبيط لهم .

وبما يجب له أن النظر إليه أن الإسلام قد أشاد بذكر كلمة السلام بما لم يفعله مذهب اجتماعي قبله . ناهيك أن الله قد سمي نفسه السلام ، وجعل السلام تحية الإسلام بقبادها المسلمون ملايين المرات ، ونوه القرآن في آيات كثيرة بكلمة السلام ، ودعا الجنة التي وعد بها المؤمنين بدار السلام ، وذكر أن تحية أهلها فيها سلام ، فأجواء البلاد الإسلامية مشبعة بهذه الكلمة يتنفسها المسلمون بمرجة بأوكسجين الهواء ، وليست هذه سيرة الأمم التي تجعل شعارها الحرب في الحياة ، ولكنها سيرة الذين يحبون السلام ويمملون على رفع لوائه بين الناس .

ويزيد هذا الأمر اتضاحا أن الإسلام إنما سمح بالحرب لإيجاد السلام ، لا لتأييد مبدأ التناحر بين الأنام قال تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » . ومن العجيب أن الأمم المؤيدة للسلام هي في مثل هذه الضرورة اليوم فتند تجردت لحرب طاحنة مكرمة عليها لا م لها إلا إيجاد السلام ، فعلى من يتم الإسلام بإقرار مذهب

التناحر أن يعتبر بما سبقت إليه الأمم الديمقراطية اليوم من مجزرة بشرية هائلة دفعت إليها دفعا في سبيل تحطيم مبدأ التناحر لا في سبيل شيء آخر فإذا كانت هذه الأمم التي وصلت من المدنية إلى درجة رفيعة تضطر إلى الدخول في مثل هذه الحرب الماسخة في القرن العشرين أفلا تكون أمثال تلك الضرورة تنشأ في الجماعات التي في دور التكوين لتحمي وجودها في عالم كان كل ما فيه موجها إليها لحملها وملاشاة كل ما حملته من عوامل الهدم والبناء لتأسيس عهد جديد يخرج الإنسانية من الظلمات إلى النور .

يتضح مما مر كله أن اعتراف الإسلام بالحرب كضرورة لا محيد عنها كان لحكمة بالغة لو أغفلت لكان تلاشي كل ما حمله الإسلام من عوامل لإنهاض الأمم ووسائل نقلها من عهد كانت فيه تزرع تحت كسف من الضلالت وتوهم تحت آصار من الأوهام إلى عهد حرية العقل والنظر والبحث والتدليل والمسئولية الشخصية وهي الثلاثة الأركان التي ابنى عليها صرح التطور الأخير للإنسانية المتجهة إلى كمالها المنشود .

ومن نافلة القول أن اليهودية العالمية تحفز حفزا من الدول الكبرى المتحالفة معها إلى شن حرب بشقيها حرب الأعصاب وحرب العتق والإبادة ضد العرب المسلمين القابعين في أوطانهم لا يسألون الناس شرا ولا ضرا فهل اليهودية العالمية تصغي إلى واقع أمرها ووجودها بين الأنظار العربية الإسلامية فتعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله وبذلك تصان الحقوق ويرتفع عن الأمم الضعيفة الشر والتشكيل ؟ ذلك ما مولنا إن شاء الله ؟

عباس طه

المحامى

## الذين نسوا تاريخهم

مثل القوم نسوا تاريخهم كقميط عى فى الناس اتسابا

أو كمغلوب عى ذاكرة يشكى من صلة الماضى اتقصابا

« شوقي »

## علماء شاطبة

كلما جرى على اللسان أو طاف بالذاكرة اسم بلدة من بلاد الأندلس كقرطبة أو عرناطة تدافعت على المسلم ذكريات حافلة مجيدة وأجناد غلدة رفيعة تهز النفس غمرا وإعجابا وسموا وكرامة بما حققه أبطالنا الأولون الفاتحون من انتصارات ساحقة خللت على الزمن ولم يغير من روعتها تعاقب الأحداث ونوال الخطوب ، فمن ذكر الأندلس لابد حتما أن يذكر طارق بن زياد فاتحها وقاهر حكامها ، وذلك عندما أنزل جنده على الساحل الأوروبي عند الصخرة التي تعرف الآن بجبل طارق ، ثم زحف بجيشه العظيم حتى لقي رودرك وجنوده في واقعة شريش سنة اثنتين وتسعين هجرية وانتصر عليه انتصارا باهرا حاسما أزاح دول أوروبا المجاورة للأندلس ، وكان من نتائج هذه المعركة قتل رودرك مما كان له أعظم الأثر في نفوس الجيش الإسلامي ، بل وفي دمشق عاصمة الخلافة الأموية ، تلك هي حال الزهو والفخر ، وبجانب هذه الحال حالة أخرى تؤلم نفس المسلم وتضيق صدره وتذيب قلبه حسرة وأسفا وتفيض دمه دما إذ تفيض المسلون بعد ذلك أيديهم من هذا الملك الضخم الشديد وأصبحوا صفر اليدين مستعبدين في هذه الأرض تتخذ مساجدهم كنائس ومرافق أخرى لغير العبادة بعد أن كانوا فيها سادة وأمراء فتركوا مدينة الزهراء التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر والتي أبدع في وصفها الكتاب والشعراء بما أوحى إليهم من محرما وروث جالها الفتن كما تركوا قرطبة وما كان فيها من حضارة اقتبها الأوربيون وأسسوا عليها دعائم رقيهم وأركان عمرانهم ، بعد أن خرجوا من قرونهم الوسطى المظلمة التي جثموا فيها ردحا طويلا من الزمان ، وإن في رثاء أبي البقاء صالح بن شريف الرندي إذ يرثي الأندلس في نوبته ما يبعث الأسى في نفس المسلم ويقض مضجعه إذ يقول فيها : --

وللحوادث سلوان يهلها	وما لما حل بالإسلام سلوان
وهي الجزيرة أمر لا عزاء له	هوى له أحد وانهد ثهلان
فأسأل بلنسية ما شأو مرسية	وأين شاطبة أم أين جيان ؟
وأين قرطبة دار العلوم ، فكم	من عالم قد سما فيها له شان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها	وما لها بعد طول الدهر نسيان

ففي هذه القصيدة عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وإن التاريخ الصحيح  
 ليثبت للأوربيين أعظم جناية وحشية على العلم والمعرفة والثقافة تفوق جنائياتهم البربرية  
 على الأنفس والأرواح إذ أحرقوا ملايين الكتب التي صنعها علماء الأندلس في جميع العلوم  
 والفنون والآداب بعد استيلائهم عليها ، ولقد أصبح زاماً علينا أن نكشف بعض جوانب  
 المجهود العلى الذى قام به علماء الأندلس .

فمن أشهر علماء شاطبة الذين سارت مؤلفاتهم مسير الشمس يوم ضياؤها جميع الواح  
 أبو محمد القاسم بن رفيعة بن خلف بن أبي القاسم بن أحمد الرعيى الأندلسى المعروف بالشاطبى  
 المولود ضريراً فى شاطبة بالأندلس سنة ثمان وثلاثين وخمسة ، وقد درس فى صباه  
 وفى بلدته القراءات وأتقنها على يد أبي عبد الله محمد بن أبي العاصم النفرى ، ثم رحل  
 إلى بلنسية بلدة قريبة من شاطبة بعد أن حفظ المصنفات الجامعة لأصول القراءات وكان  
 من بينها كتاب التيسير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدائى قرضه من حفظه على الإمام أبي الحسن  
 على بن هذيل البلنسى ، ولقد وجد الشاطبى فى بلنسية مرتعاً علياً خصيباً وفرصة واسعة  
 فاغتنمها ورتع فيها فتمكن من تلقى علم الحديث والأدب والنحو والتفسير عن أشهر العلماء .  
 المشهود لهم بالتبرير ، وكما عرض التيسير على ابن هذيل سمع منه الحديث أيضاً كما سمع من غيره  
 وأخذ كتاب سيويه والكامل للبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وغيرها عن أبي عبد الله  
 محمد بن حميد ، ثم رحل للحج فسمع من أبي طاهر بالإسكندرية ، ولما دخل مصر أكرمه  
 القاضى الفاضل وعرف مقداره وأثره بمدرسته وجعله شيخاً عليها وعظمه تعظيماً كبيراً ،  
 وأخذ يعلم القراءات لتلاميذه الذين تابعوا على دروسه حتى صارت المدرسة العاضلية كعبة  
 يؤمها الطامتون إلى الارتواء من منابع العلم والعرض .

واقدر ترك لنا الشاطبى أثرين خالدين من مصنعاته أولهما الشاطبية أو حرز الأمانى .

ولقد أقبل الناس على دراسة الشاطبية وحفظها إقبالاً منقطع النطير ، وعجز القراء  
 البلغاء من بعده عن معارضتها ، ولا توجد منظومة فى القراءات بلغت ما بلغت الشاطبية  
 من الشهرة والقبول فلا يوجد قارى للقرآن يعتد بنفسه إلا ويحفظ الشاطبية كما يحفظ القرآن  
 ويعدها ركناً من أركان إجادة قرآنه .

## صيحة في الهواء:

### اتقوا الله في الشباب

هي صيحة من صيحات الأزهر التي طالما انبعثت قوية بجلجلة: نصيح آذان الغافلين معلنة استنكارها لمأساة الاختلاط في الجامعة والمعاهد العليا، فكانت ترتد عن الآذان الفولاذية، ثم تبدد في الهواء مع ضجيج الأصوات المنسكرة التي تستعلن باسم التقدمية والتقدم. ثم يقال بعد ذلك إن الأزهر لا يؤدي رسالته، وماذا يملك إلا أن يرى ذمته ويعلن كفته؟ فإذا استشرى الشر، واتسع الحرق، وظهر الحق لذى عينين، كانت المكابرة التي تعمى عن الرجوع إلى صوابه، وكانت الكبرياء الغاشمة التي تأنف من الاعتراف بالحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟.

إن رنين هذه الصيحات المؤمنة لا يزال في أسماعنا وأذهانتنا، ولئن آخر هذه الأصوات المستعنة بالحق كان صوت أستاذنا الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكي الذي كان نصيبه من ذلك الاتهام بالرجعية، والاتسام بالتطفل على ما ليس من شأنه. وماذا يكون إذن شأن العالم إذا لم ينكر المنكر ويستهن القبيح ويعلن ما يؤمن عليه من حكم الله وشرعة الرسول؟.

وكما حظيت بالقبول الشاطبية حظيت أيضا أختها الرائية أو عقيلة أتراب القصائد فقد أقبل العلماء عليها حفظا وتحصيلا وشرحها بعضهم بنروح كثيرة لا تقل عن شروح الشاطبية.

وتوفي الشاطبي صاحب الرحلات العديدة في طلب العلم بعد عصر يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من سمح جبل المقطم وقبره معروف ويزار الآن، تخدمه الله برحمته وأنزل عليه شأبيب رضوانه كفاء ما قدمه للعلم من مجهود وما يسره لطلاب علم القراءات.

عبد الله المراغي

لقد دارت هذه المعاني في نفسي وأنا في الترام منذ أيام ، وكُن يجلس بجانبى وأمانى ثلاثة من الشباب أحسبهم من طلبة إحدى الجامعات أو المعاهد العالية ؛ كانوا يتحدثون عن المحاضرات والمحاضرين ؛ وقال أحدهم للآخرين : أراءيتما كيف ضاعت محاضرة اليوم ؟ وفهمت من حديثهم أن الأستاذ المحاضر كان قد برم بعث أحد الطلبة مع إحدى زميلاته أثناء المحاضرة فطلب منه الكشف عن هذا البعث أو الانتقال إلى مكان آخر .

ولكن الطالب لم يشأ أن يصيخ للتوجيه ، وراح يشر ببعض الأسئلة التي تتعلق بالاختلاط ، وكان بما قال : هل يجوز للطلاب أن يرافق زميلته الطالبة إلى دار السبنا باسم الزمالة ؟ وكان رد الأستاذ حارماً صارماً : لا يجوز ولو كانت خطيته ، وأنا لا أعرف شيئاً اسمه اختلاط الزمالة أو الاختلاط البريء بين شاب وشابة . وكأنما ألقي الهشيم على النار ، وهنا وبيا للعار تنبث صيحات الاعتراض ، من ؟ من العتيات أنفسهن ؛ وقول لإحدهن في غير تخرج ولا استحياء : وما الذي يمنع من ذلك أيها الأستاذ ؟ .

لقد كنا نضك بقول بعض الكتّابين : « إن الفتاة في طريقها إلى حقها في الحياة ، وسيأتي اليوم الذي تحرر فيه من كل قيودها وتخرج من حجائبها وحيائها ، حتى نلراها تعرض للشبان فتدفعهم إلى الاستجداد ببوليس الآداب » . وما كنا نقدر أن نتحقق هذه النبوءة هكذا بأسرع مما كان يقدر الكاتب ، وأن تنعكس الآية بتلك السرعة ، فتصبح الفتاة هي التي تدافع عن مآثم الاختلاط .

ومن عجيب المصادفة أن ألتقي في ذلك اليوم بأستاذ أزهرى كبير كان يدرس في إحدى الجامعات ثم تركها ، فسأله في ذلك ، فقال : كرامق . لقد كنت أشهد بمبنى ما يحدث الحياء فأحاول أن أنهي الطالب بعيداً ، فتصدى لي الطالبة قائلة : ماذا صنع ؟ .

وإنما لنذكر ذلك الاستفتاء الذي أجرته بعض الصحف اليومية حول جواز المراسلة بين الطلبة والطالبات ، فكانت الإجابات بالجواز أو الوجوب أكثر من ٩٠ ٪ .

وسمعت من بعض المساجين الذين عمرهم تيار الوجودية والانحراب أنه كان في ثلة من الشداد يؤلمون جماعة أسموها ( جماعة التحلل الخلق ) من أعصائها بعض زميلاتهم في الكلية ، وكانوا يلتقون في كل مساء باسم التعاون في مذاكرة الدروس ، فيتاجنون ويتمهرون ،



ثم ينصرفون آخر الليل أو وجه النهار ولم يذاكروا شيئاً ، ولم يستفيدوا بشيء إلا العبث الفاضح والمجون المتبدل . وسأله : إذا لم يكن من الاختلاط بد فم لا يكون باسم العلم وشرف العلم ؟ ولم يكون على حسابه وحساب الشرف ؟ فكان جوابه : وإذن فلا داعي للاختلاط ، لأن الحديث مع الفتاة في مسائل العلم ينفرها ويصرفها عن زميلها إلى غيره من يديرون الحديث معها على مثل ( الروك أندول ) مما يشوق وبروق ويعمل عمل السحر في نفوس الفتيات .

لقد كنا نظن أن الاختلاط في الدول الأخرى قد يكون مأمون العاقبة لأن طلاب الجامعات هناك يمدون المتنفس الفسيح خارج أسوار الجامعة ، حيث لا تحول ثمة تقاليد ولا تعصم عقيدة ، فتخلص الزمالة للعلم ، وتسلم الكرامة في محاريبه ، ولكن هذا الظن قد تبدد بما تنقله الأنباء عن مآسى هذا الاختلاط .

فقد جاء في جريدة الشعب بتاريخ ٢٦ / ٩ / ١٩٥٨ بعنوان ( قطعة بوليس لكل مدرسة ) ما يأتي :

« زادت موجة الانحلال الخلقي في أمريكا بصورة مفرقة . أصبحت المدارس والمعاهد مرتعاً خصيباً للشنود الجنسي . تحول التلاميذ والتلميذات إلى مدمنى خمر وسفاكي دماء . غلب السجائر وأقراص منع الحمل في حقائب الطالبات ، لم يعد الأمر يحتمل السكوت ، لذلك قامت إحدى الهيئات القضائية يبحث جرائم الطلبة في نيويورك ، وأوصت بتعيين رجل بوليس في كل مدرسة ، وقد أبدت بعض الهيئات القضائية خوفها من أن يحرف التيار رجال البوليس أيضاً ، .

فإذا كانت هذه نتيجة الاحتلاط في بلاد ليس لها ما لبلادنا من محافظة وتقاليد ولطالها في الخارج متسع رحب ، فما بالك بنا ؟ .

إن الصحف لتطالنا في كل يوم بألوان فاضحة عن معارض الآرياء في الجامعة ، ومناظر الفتيان والفتيات في ساحة الرياضة وحمامات السباحة . فماذا يصم الشباب وفي نفوسهم سعار الغريزة ، وبواعث الفتن ، ودوافع الانزلاق ؟ .

إننا لا نخوض في هذا الموضوع إشاعة للفاحشة ، أو ولو عاى الشرف ، وإنما نحكم على ما يقال ويشاع ، لنبرئ النعمة من هذه الوصمة ، وإن كان الاختلاط في ذاته على هذه الصورة

وفي بلدنا هذا ليحمل على تصديق ما يروى ، وتحقيق ما يقال ، فما بالك إذا شهد شاهد من أهلها ، وحدثك بما يجري ثقة صدوق ، وحبيبك من شر سماعه ؟ .

إتنا لا نمنع الفتاة من حقها في العلم ، ونصيبها من المشاركة في العمل والنهوض بما يلائمها في خدمة الوطن . بل إتنا لنطالبها بذلك ، ولكننا نطالب كذلك بأن يها لها هذا في حصانة وحياطة ، وفي حدود تقاليدنا وديننا ، وفي معزل عن الاختلاط الذي ترى ونسمع آثاره تلك السيئة .

هذه لمحات عارضة كمر لما نشهد أو نسمع ، والله وحده يعلم ماخفي من المآسي والنكبات . فهل لا يزال بعد ذلك نصر على هذه المحنة وندافع عنها ونعصب لها ؟ وهل لا يزال التقليد الأعمى يعصب عيوننا عن الخطر ويحجب قلوبنا عن الحق ؟ .

نحن أمة لها تقاليدنا وطابعها ، ولها سماتها وشخصيتها ، ولها دينها وعقيدتها ، فهل نريد لتلك الشخصية أن تناع وتحلل ، وأن تفقد عناصرها الأصلية التي تنهض على الحفاظ والكرامة ، وأن تذوب في شخصيات البول الأخرى التي شاع فيها الانحلال ، وساع التبذل والامتهان ؟ أم نسلم للاستعمار الخلق والفكرى الذى يبت سمومه ، وينتفك أوصاره بعد أن تحررنا من الاستعمار السياسى ؟ .

أيها المشرفون على العلم . إن الشباب أمانة في أعناقكم . وهم عنة المستقبل ، ورجل الغد ، وعماد الوطن ، وأدوات التوجيه للمجتمع ، وحملة أمانة الأمة ، فإذا لم نخطهم بسياج من الشرف ، ونعصمهم بوازع من الدين ، ونوجههم إلى الكرامة والخير ، ونضئ في نفوسهم مشاعل العلم الصحيح ، ونشتمهم على الإيمان الحق ، والمعرفة النافعة ، والحفاظ على تقاليدهم السليمة ، فكيف إذن تحمل سواعدهم أعباء المستقبل وأشدتهم هواء ؟ .

أيها المشرفون على العلم : انقوا الله في الشباب . . .

حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

# الأخلاق الإسلامية

## وأثرها في المسلمين الأولين

للأخلاق النفسية أثر كبير في توجيه السلوك الفردي والجماعي ، وطبعه بالطابع الذي يمتشي في صوره وبواعثه مع هذه الأخلاق ، لأن الأفعال التي يتمثل فيها السلوك الفردي والجماعي . لا تصدر إلا عن البواعث التي تبعث عليها . وهذه البواعث لا تتولد في النفوس إلا عن مصدر يروحى بها ، وهذا المصدر هو العقائد القلبية والأخلاق النفسية .

وعلى هذه السطة التي يقوم عليها سلوك الأفراد والجماعات ، كان تأثير الأخلاق الإسلامية في سلوك المسلمين الأولين ، الذين تلقوا هذه الأخلاق تلقيا روحيا عمليا ، فاستقرت في أعماق قلوبهم وانفعلت بها أنفسهم . فكانوا بها خير أمة أخرجت للناس في الدين والدنيا ، وأصبحوا مضرب الأمثال في سمو الأخلاق واستقامة السلوك ، ففوة الشخصية وكال الرجولة ، والاعتداد بالنفس والاعتزاز بالكرامة ، والحياء والاحتشام ، والشعور بكال الفضيلة ونقص الرذيلة ، والأمانة في الدين والتدين ، والحقوق والواجبات ، والصلوات والمعاملات ، والوفاء بالعقود والعهود ، وطهارة القلوب وسلامة الصدور ، والتعاطف والتراحم ، والإخلاص في القول والعمل ، وعفة اللسان وأدب النطق ، والصبر وقوة الاحتمال . هذه الأخلاق الإسلامية ، التي تغفل سلطانها في قلوبهم وانفعلت بها نفوسهم ، وأقاموا على قوانينها منح حياتهم وسلوكهم ، هي التي حبت إليهم البطولة والتضحية ، وكرهت إليهم الضعف والهوان ، والاستكانة والاستسلام ، وفتحت أعينهم على آفاق الحياة العزيزة السكرية ، وجعلت منهم حماة صادقين لدينهم ووطنهم ، وجنودا يمتازون برجولتهم وشخصيتهم ، ويؤمنون بأن الحياة في كنف الهوان إهدار لرجولتهم وشرفهم ، وامتنان لعمة دينهم وكرامة وطنهم ، وأن عظمة الرجال وعز الحياة وكرامة الوجود ، ليست في حيازة الأموال الممتنطرة وسكنى القصور الشاهنة ، وإنما هي في حمل الدروع المشاة بالنجيع والمهج ، والتضحية في سبيل مجد الدين والوطن ، والعيش في ظلال العزة والكرامة ، ولو سكنوا الأكواخ والحيام ، ولبسوا الأصواف والأسمال .

هذه الأخلاق الإسلامية ، هي التي جعلت من أبناء الصحراء قادة وأبطالاً ، قهروا قادة الحروب وأرباب العلوم والفنون ، الذين أرادوا العدوان على رسالتهم ووطنهم ، وسمخوا جيوشهم على كثرة عددها وعددها ، ودراية قوادحها بفتن الحرب والقتال ، وسمخوا في تاريخ حروبهم أروع ما عرف من صور البطولة والتضحية ، ويكفينا أن نذكر من هذا السجل الخافل بروائع البطولة الإسلامية ، تلك الصورة التي يحملها جعفر بن أبي طالب في معركة مؤتة التي دارت رحاها بين ثلاثة آلاف من المسلمين ومائتي ألف من الروم ، فقد تولى رضى الله عنه وأرضاه قيادة الجيش في المرحلة الثانية من مراحل هذه المعركة الرهيبة ، لحمل راية الجيش واندفع بها في صفوف الأعداء ، وأخذ يقاتل قتال الأبطال حتى أحاط العدو بفروسه فزل عنها واندفع بنفسه بين جموع العدو ، وأخذ يصرب فيهم بسيفه كيفما وقع ، حتى قطعت يده التي يحمل بها راية الجيش ، فأخذها بيده الأخرى فقطعت ، فاحتضن الراية بمضديه حتى لا تسقط تحت أقدام العدو ، وهكذا بقيت راية الجيش مرفوعة عالية ، حتى تسلمها عبد الله ابن رواحة ، الذي تولى قيادة الجيش بعد أن استشهد جعفر في ميدان الشرف والكرامة ، فما أروع هذه البطولة ، وما أجل هذه التضحية ، قائد الجيش يحيط به الأعداء من كل جانب ويعملون فيه طمعا بالرمح وضرباً بالسيف ، ويتعمدون قطع يديه لإسقاط راية القيادة وإشاعة الهزيمة في جيشه ، فتأني عليه بطولته وقوة إيمانه وبقينه ، أن يدها تسقط تحت أقدام العدو ، فيحتضنها بمضديه ويفتديها بروحه ، لتبقى مرفوعة فوق الهامات والردوس ، لأنها رمز العزة والكرامة ، وراية الإسلام ، وعلم جيش المسلمين .

هذه الأخلاق الإسلامية ، التي استولت على أحاسيسهم ومشاعرهم ، هي التي طبعتهم على الوفاء والاحتشام ، وحفظ الأعراض والكرامات ، وصيانة الآداب العامة ونظم شأنها ، والرفع عن سفاسف الأخلاق وذم الأفعال ، فلا لجور ولا مجون ، ولا إباحية ولا تحمال ، بل كانت مظاهر الحياء والاحتشام والتعفف من أخص صفات المجتمعات الإسلامية ومقوماتها .

وهي التي حفظت عليهم دينهم وتدينهم من الابتداع واتباع الهوى ، فلا زيع ولا انحراف عن الحق ، ولا تضليل ولا تدليس في الدين ، وحبت إليهم المحافظة على تأدية الحقوق والواجبات ، والإحسان في المعاملات والصلات ، فلا تقصير ولا إهمال ، ولا غش ولا خيانة ، ولا اختلاس ولا استغلال .

وهي التي حاطت عقودهم وعهودهم بسياح من الثقة والطمأنينة ، والحفظ والوفاء ، ووجهتها إلى تحقيق مقاصدها وعاباتها الندية ، من جلب الخير وتبادل المنافع ، والتعاون على البر والتقوى ، وإصلاح ذات البين وحقن الدماء ، وتوطيد دعائم الأمن والاستقرار ، فلا مماطلة فيها ولا خيانة ، ولا غدر فيها ولا خديعة .

هذه الأخلاق الإسلامية التي ظهرت صدورهم من شوائب الأحقاد والأضغان . وصارتها من أوصار الرياء والنفاق ، وملأتها بالحب والإخاء ، هي التي جمعت قلوبهم ووحدت صفوفهم . وعبدت لهم طريق النجاة والتألف ، ومهدت لهم سبيل التعاون في السراء والضراء ، والتاصر على دفع البغي والمدوان ، وحببت إليهم الصراحة والإخلاص في القول والعمل ، فلا أثر ولا أنانية ، ولا فرقة ولا تقاطع ، ولا رياء ولا نفاق .

وهي التي سميت بالسهم وأقلامهم عن البهتان والكذب ، والافراء والنقول ، والسباب والفحش ، والسعي بين الناس بالنس والوقعة ، والإسفاف في النقد والتجريح ، والخوض في أعراض الناس والنيل من كراماتهم ، وكشف أسرارهم ونشر هفواتهم وعثراتهم وإشاعة الفاحشه في بيتاتهم ومجتمعاتهم ، فكانت المجتمعات الإسلامية نظيفة نقية ، والأعراض مصونة متبسة ، وقوانين الآداب مرعية ومرهوبة .

هذه الأخلاق التي امتزجت بمجهم وأرواحهم ، هي التي جعلت الحكام وأول الأمر منهم ، يؤمنون بأن مناصب الحكم والولاية والإدارة ليست وسائل خلع المال واكتساب الجاه والسلطان ، وإنما هي أمانات وضعت في أعناقهم لخدمة أمهم وأوطانهم ، وأنهم مسئولون أمام الله عن رعاية هذه الأمانات والمحافظة عليها ، فكانوا يرفعونها حق رعايتها ، ويبذلون في سبيل القيام بأعبائها كل ما وسعه الجهد والبذل ، فلا تنحرف بهم مغريات المال والجاه والسلطان ، ولا يقصرون ولا يهملون ، ولا يمنون على أمهم بما يقدمون من جهود في خدمتها ، لأنهم كانوا يعملون ذلك استجابة لوصي الضمائر الحية والأخلاق السكرية ، ووفاء بحقوق الأمانات التي حلوها .

وهي التي حملت العلماء وقادة الرأي والصكر منهم ، على أداء رسالة العلم وقيادة الرأي بكل أمانة وإخلاص ، فلا يسلكون بها مسالك التزوي والتضليل ، ولا تميل بهم عن الطريق سوى مظاهر العجب والغرور ، ولا يتلاعبون بالآلفاظ والحقائق ، ولا يتجرؤون على قسوة

الحق ، بل كانوا يراقبون الله في بحشهم وتفكيرهم ، وبحشون حسابيه في قيادتهم وإرشادهم ، ويخضعون لسلطان الحق في جنهم ومناظراتهم ، ويعملون الحق عايتهم في مذاهبهم وأقوالهم ويقصدون بعلمهم وقيادتهم خدمة دينهم وأمتهم ، فلا يعملون قيادة الرأي سبيلا لتحقيق الأهواء والأعراس ، ولا وسيلة لإفساد العقائد وانحلال الأخلاق ، ولا يتخذون العلم تجارة لجمع المال وكثر الكنوز ، فكان ذلك أجدى عليهم في دينهم ، وأدعى لحفظ كرامتهم ومهابتهم ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء . وإن أراد أن يكثر به الكنوز هابه من كل شيء . »

وهي التي حملت التجار والصناع منهم ، على أن يعملوا الصدق والأمانة والقناعة ، شمارا لتجارتهم وصناعاتهم ، فلا يعملونها حباتل للطمع والجشع ، والنش والتليس والكسب الخيث ، واستزاف الأموال وامتصاص الدماء .

هذا الإصلاح الخلقى الإسلامى ، الذى سادت قوانينه وأدابه في مجتمعاتهم وبيئاتهم ، وساروا على مناهجه في ملوكهم وأعمالهم هو الذى جعل منهم أمة قوية في دينها ودنياها ، متحدة في اتجاهاتها وغاياتها ، متماسكة كالبنيان المرصوص في تعاونها وتساندها ، وأتاح لهم أن يقيموا لدينهم ودولتهم حصونا من القوة ومماقل من المنعة ، وبوأهم من السلطان والسيادة منزلة لم تصل إليها أمة من قبلهم ، ولكن المسلمين بعد أن بلغوا هذه المنزلة من السيادة والسلطان ، نكبوا بتيادات صالة ، ورعامات مضلة ، وحكومات جاهلة عاشمة ، استعبدوا حب المال والجاه والسلطان ، واستحكم فيهم ضعف الأخلاق وانحلال العزائم ، وتضاءلت في نفوسهم معاني الرجولة والبطولة الإسلامية ، فقعدهم الجبن عن حماية سلطانهم والدفاع عن أوطانهم ، وسهل عليهم الضعف النمى احتمال الذلة والهوان :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بعيت لإسلام

وزين لهم الضعف الخلقى أن سعادة الحياة في جمع المال واقتناء العقار ، ولو كان ذلك من طريق الكسب الخيث والسحت الحرام ، وأن عطمة الرجال في حمل الألقاب الضخمة والأوسمة الذهبية ، ولو كان ذلك عن طريق خيانة الأوطان والتفريط في حقوق البلاد ، زين لهم الضعف الخلقى كل هذا ، فحسعت أعناقهم للهوان والذل ، وامتدت أيديهم للرشوة والاحتلاس والكسب الخيث ، واتسعت صدورهم للخيانة وموت الضمائر وفساد الذمم ،

فباعوا أوطانهم بالإفطاعات الواسعة ، والمناصب والألقاب الخالية ، والأوسمة والوشاحات البراقة ، ورضوا أن يكونوا أعوانا للأعداء على احتلال بلادهم . ومطاييا ذللا لاستعباد أممهم واستدلالها ، والبش بالاحرار العاملين من أبنائها ، فاشوا عبيد الأهواء والشهوات وأهوان الظلم والاستعباد ، حتى طوتهم الأيام والليالي ، وذهبوا مشيعين بلعنة الشعوب التي ورثوها الفقر والجهل ، وأضاعوا ما كان لها من مجد وسلطان ، وتركوا ضياعهم وقصورهم لغيرهم ، وصدق عليهم قول الله تعالى في المفتونين من قبلهم : « كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورتناها قوما آخرين ، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » .

فعلى المسلمين أن يزفوا سلوكهم وما يجرى في مجتمعاتهم وبيئاتهم ، بهذه الموازين الأخلاقية الإسلامية ، ليعرفوا مدى انطباقها على أخلاقهم وسلوكهم ، ومقدار ما بقى لهم من هذه الأخلاق التي ساد بها المسلمون الأولون ، ويتبينوا منازلهم من درجات الإيمان وصفات المؤمنين ، وعليهم أن ينظروا في تاريخ سلفهم ويتعرفوا أسباب عزهم ومجدهم ، ليعلموا أنهم كانوا يستمدون قوتهم وسلطانهم ، من قوة عقائدهم وسمو أخلاقهم وصلاح أعمالهم ، لا من كثرة الأحزاب والطوائف ، ولا من تعدد القيادات والزعامات ، ولا من فلسفة المتفلسفين وثرثرة الثرثارين ، وأن ما أصاب المسلمين من ضعف وانحلال ، واستعباد واحتلال ، إنما كان نتيجة طبيعية لانحرافهم عن هذه الأخلاق الإسلامية ، واتباعهم لأهوائهم وشهواتهم ، وغفلتهم عن أسباب قوتهم وعوامل ضعفهم .

ألا فليعلم المسلمون إن كانوا لا يعلمون ، أنه لا سبيل إلى استعادة قوتهم وسلطانهم ، وإحياء عزهم ومجدهم وتحرير شعوبهم وأوطانهم ، إلا إذا عادوا إلى التحلق بهذه الأخلاق الإسلامية ، وأعادوا لقوانين الأخلاق والآداب سلطانها على النفوس وهيمتها على السلوك ، وتعاونوا على تطهير بيئاتهم ومجتمعاتهم من عوامل الضعف والانحلال ، وليس ذلك بعزير عليهم متى صدقت العزائم ، واستقامت العقول في تطهيرها وتفكيكها ، واتحدت الجهود في انجماهاها وغاياتها ، فاقه جل جلاله يقول : « والذين جاءوا من بعدهم إنما لنهدينهم سبيلا وإن الله لمع المحسنين » .

هذا هو طريق البعث والنهوض ، والإصلاح والبناء ، والحياة والقوة ، والعزة والكرامة . أما الدعوة إلى الإباحية والعجور ، والتهجم على قدسية الدين ونعالجه ، والتطاول على أئمة المسلمين وعلمائهم ، والتشكيك في علومهم وأمايتهم ، فإنما هي معاول هدم وإفساد ونذر شر وبلاء ، لأعوامل بعث ونهوض كما يضللون ، ولا وسائل إصلاح وبناء كما يجهلون .

فعلى المسلمين أن يضعوا هذه الحقائق نصب أعينهم ، ويستحضروها في عقولهم وأذهانهم ويضعوها موضع الاعتبار والتقدير ، كلما أرادوا أن يتعرفوا أسباب ضعفهم ومحتهم ، وعوامل بعثهم ونهوضهم . وعليهم أن يعتصموا بالله ربهم في جهادهم وكماحهم ، فانه جل جلاله يقول : « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

يس سويلم طه  
المفتش بالأزهر الشريف

### عمر بن الخطاب

عاهل تغزو له فرس وروم    بطم الناس ومن جوع بصوم  
وجد الدنيا متاعا لا يدوم    فاجتوى الدنيا فرارا من سقر  
وابتغى الفردوس مأوى الخالدين

ولى الأمر نزيها عن نزيه    وهو لا يبغيه بل يرمد فيه  
ثم ولى ، لم يورثه بنيه    إنما الحكم عناء وسهر  
لا متاع وعنى للحاكين

راغب فى الله عفا عن سواه    ما سبت عينه زينات الحياة  
لا ولا اغتر بسلطان وجاه    عمر الماروق حدث عن عمر  
موثل المثل إمام الزاهدين

محمود غنيم



## ذكرى عيد النصر

أعيدوا حديث النصر في مسمع الدهر  
وحيا شبيداً لم يكن غير فائك  
وأرسي بناء المجد من قبل أن يرى  
وقولوا لأهل البقي قد ضل سعيكم  
فصدتم خيار الناس بالشر فانبرت

أنتم سكارى كالذي وسط ملعب  
شراذم نهب لغت بعد خدعها  
تنادت وقالت إنها غير فرمة  
فلما ترامى الموت للمين أجفلت

تعالوا نصف الرج من بعد حملة  
جلوتم بجمع الأنف لا شيء غيره  
وعدتهم بنصف الجيش ما بين أعرج  
نماذج لم تكسب من المظف فطرة

ربحنا قلوب الناس من كل دولة  
وكانوا كأن الحرب في عقر دارهم  
شربنا وحيق النصر من بعد غفوة  
وذقم عذاب الحمر من بعد عزة  
صعدنا صمود الصخر لاعتن تكلف  
وفضل رئيس نابه الذكر حازم  
سلت جمال العصر من عين حاسد

محمد كامل حمزة شلش

مراقب محمد شيب الكوم الديني

# لغويات

## بذل مجهودا في هذه المسألة

أنكر بعض الباحثين هذا الاستعمال ، وأوجب أن يقال : بذل جهده . وهو يرى أن المجهود هو الذى يجهده العمل أو غيره من المهموم ويشق عليه ، وهو اسم مفعول من جهده الأمر إذا عناء وأكله وأنصبه . وما احتج به أن المجهود بمعنى الجهد لم يرد فى القاموس فى مادة جهد .

وقد جاء المجهود بمعنى الجهد فى القاموس فى غير هذه المادة . فى ترجمة ( عجز ) : « وركب فى الطلب أعجاز الإبل أى ركب النذل والمشقة والصبر ، وبذل المجهود فى طلبه » . وفى مادة ( فرغ ) : « واستفرغ : قهياً ، ومجهوده بذل طاقته » .

وجاء فى اللسان فى ( جهد ) : « واجتهدت رأياً ونفسى حتى بلغت مجهودى » . وفيه : « والاجتهاد والتجاهد : بذل الوسع والمجهود » . وفى الأساس : « وبلغ جهده ومجهوده أى طاقته » . وفى إصلاح المنطق ٣٨٩ : « والنثيلة والبيثة : والنجيسة : ما أخرج من تراب البئر . ونجيسة الخبر : ما ظهر من قبيحه » . ويقال : بلغت نكثته أى أفشى مجهوده » .

ويبين عما أوردته أن المجهود فى معنى الجهد عربى صحيح ، وهذا كما جاء المسور فى معنى اليسر ، والمسور فى معنى العسر ، والمعقول فى معنى العقل ، فى ألفاظ آخر .

## فعل ذلك رغم أنفه

يجرى هذا الاستعمال على أقلام الكتاب فى هذا العصر . والوارد فى العربية أن يقال : فعل ذلك على رغم أنفه ، وبالرغم منه أى على كره منه وإذلال له . وقد نسب الإذلال إلى الأنف لأنه موضع العزة والأنفة والشمم . ولم يعرف عن العرب حذف الحرف فى هذا الأسلوب . وإنما ورد فى كلام المولدين ، فقد جاء فى شعر الفضل بن الربيع وزير الرشيد

والأمين ، وكان مولى للخلفاء العباسيين ، وهو لذلك يفتخر بأنه من هاشم تبعاً لمواليه .  
وهو يقول :

إني امرؤ من هاشم      بفناء معمور النواحي  
أهل الهدى وذوى اتقى      وبى البسالة والساح  
أهل النبوة والخلا      قة والمحاسن رغم لاحي  
أهل المعالم والمكا      دم فى المساء وفى الصباح  
يتألمون من الصدو      د ويصبرون على الجراح

جاء هذا الشعر فى معجم الشعراء للربزبانى ٣١٣ . وقوله : « بفناء معمور النواحي » ، كأنه يريد الكعبة ، وهى البيت المعمور ، ولبنى هاشم صلة وثيقة بهذا البيت إذ كانوا أهله وساكنتى حرمة . وبصف فى البيت الأخير رقتهم وتأثرهم بالمسوى ، ونجدتهم وتحملهم لأهوال الحروب .

## الحلق

يقول العامة للقرط : الحلق . والقرط : ما يعلق فى شحمة الأذن من حلى النساء ، وبجاز هذا فى لسان العامة أن القرط كان حلقة من الذهب أو غيره من الجواهر وكان يعلق بها درة أو حبة من جوهر نفيس . والقرط الآن قد لا يكون حلقة تنوس فيها حبة من المرد أو غيره . ويقال للقرط فى العربية : الخرص والرعة . وجاء فى القاموس ( خرص ) : « الخرص - بالضم ويكرر - : حلقة الذهب والفضة ، أو حلقة القرط ، أو الحلقة الصغيرة من الحلى كهيئة القرط وغيرها . والجمع : الخرصان » . وفى إصلاح المنطق ١٤٠ : « والخرص : الحلقة . يقال : ما فى أذن الجارية خرص » . وفى المخصص ٣ / ٤ : « الخرص والخرص والخرص : القرط بحبة واحدة . وقيل ، هى الحلقة من الذهب والفضة » . وفيه ص ٤٤ : الخرص : الحلقة التى تكون فى أذن الصبي أو الصبية أو المرأة ، نضجة كانت أو ذهباً أو حديداً أو صفراً .

وقد أخطأت العامة فى استعمال الحلق موضع الحلقة ، وإنما الحلق جمع الحلقة . وهذا كاستعمالهم المصران فى المعنى الواحد ، وإنما المصران جمع المصير ، فتوهوا المصران

مفردا ، وجمعوه على مصارين ، وإنما مصارين جمع الجمع . ومن هذا القليل أنهم يقولون : أسورة في موضع السوار ، وإنما الأسورة جمع السوار ، وقد أخطئوا في كسر الهمزة . ولما جعلوا أسورة مفردا جمعوه على أساور .

### التناسب في الرسم للشعر

يقع في الشعر أن تحتم الأبيات بألف ترسم بصورة الياء وأخرى ترسم ألفاً . والمتبع رسم كل ألف بما تستحقه ، وكذلك الحروف المتحركة في القافية يكون منها ما حركته بعدها حرف من الكلمة ، وأخرى ما حركته لاحرف بعدها . وقد وقعت على نص في هذا الشأن يتيح مراعاة التناسب في الرسم كيفما كان . وإذا كان التناسب والازدواج يميز تغيير الكلمة في اللفظ فأولى أن يمحور لتلك التغيير في الرسم ؛ كما قالوا : الغدايا والعشايا ، والغدايا جمع الغدوة ، ولا يكون ذلك إلا في هذا الموطن ، وإلا فهي الغدوات . ويقولون : أحذه ما قدم وما حدث ، فيضمون الدال في حدث مراعاة لتقديم :

وأذكر أولا بعض الأمثلة لما نحن بصدده ، ثم أتبعها بالنص .

قال بشر بن أبي عازم ، من شعراء المفضليات :

ألا بان الخليط ولم يزاروا	وقلبك في الطعائن مستعار
توم بها الحداة مياه نخل	وفيها عن أباثنين ازورار
أساتل صاحبي ولقد أداني	بصير أبا الطعائن حيث ساروا

فعل كتابة التناسب يكتب : مستعارو ، ازورارو ، سارو . ويستحسن عدم كتابة الألف بعد الواو في ساروا ، مراعاة للتوافق ، وقد كان بعض القدماء يسقط الألف عامة بعد واو الجحاجة .

وقال الشاعر ملفزا :

واقعد رأيت مطية معكوسة	تمنى بكلكها وتزجيا العبا
ولقد رأيت سديّة في أرضها	تسي القلوب وماتت إلى هوى

يريد بالمطية المعكوسة السفينة . وعكسها أنها لا تعلف كالطايا ، يقال : عكس الدابة إذا حبسها على غير علف . وقوله : سديّة أصلها سديّة خفف الهمزة بإبدالها ياء ، وإدغامها .

والسيئة : الحر لأنها تسبأ أى تشترى . والسيدة : المرأة بسببها العدو في الحرب . وقد رشح هذا المعنى بقوله : تسبى القلوب ، ولكنه أشار بقوله : ما تنيب إلى هوى أنها ليست المرأة . والكتابة على التناسب تبيح أن يكتب الهوى : الهوا بالالف .

وقال عروة بن أذينة :

قالت وأبنتها وجدى فحمت به : قد كنت عندى تحب السرفاستر  
ألمت تبصر من حولي ؟ فقلت لها : غطى هواك وما أتى على بصرى

والرسم على طريقة التناسب أن يكتب : فاسترى بالياء على صيغة أمر المؤنث ، ويؤمن من الإلباس أن الخطاب للذكر .

وهناك النص : « إذا قيل : ما الاختيار في القوافي إذا كانت مقصورة وكان فيها بنات الواو والياء ؟ قيل : الاختيار أن تكتب كلها بالالف لتستوى القوافي وتكتب صورتها في الخط . نص عليه الشيخ الرئيس ابن الأحمد في كتابه ( شحذ القرينة في علم القوافي ) . ولم يحك خلافا . وذلك لأن بنات الواو والياء يجوز كتابتها بالالف على اللفظ ، ولا كذلك عكسها ، فلما احتجنا إلى التسوية في القوافي في الفعلين كتبناهما بالأمر الجامع بينهما وهو الالف . ولأهل الأدب في الخط توسع مفرط . قال السيد : رأيت بخط عبد الملك العصامي رسم مثل البعد بياء بعد الدال بمناسبة يعدى في القافية الثانية ، كما في قول مهيار الديلمي :

وحسنت ألوم العاشقين ولا أرى مزية ما بين الوصال إلى البعدى  
فأهدى إلى الحب محبة أهله وما كنت أدري أن داء الهوى يعدى

فسأله عن ذلك فقال : مذهب المحققين من أهل الأدب أن كل ما اقتضته المناسبة يقضى به ، حتى إنهم قالوا : إذا ذكر القر - بضم أوله - مع الحر فإنه يصنع التناسب . وحدث المفتوح بضم مع قدم [ ١ ] .

محمد علي النجار

## كلمة الطب في حديث الذباب

البحوث والمراجع العلمية تؤيد الحديث الشريف : « إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء » .

تحقيق على الدكتور محمود كمال والدكتور محمد عبد المنعم حين

كثرت النمرص لهذا الحديث وخصوصاً من جانب أطباء مكدين للحديث لعلمهم بأن الذباب ينقل العدوى والجراثيم الحاملة للبرص ، ونحن نعلم أن من بين الأحاديث التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما هو صحيح وما هو مكذوب ، وكان على فقهاء الحديث أن يبينوا الصحيح ويستبعدوا المكذوب ، وتمسك رجال الحديث والفقهاء الأعلام بصحة الحديث لاستمداده لثقة من الرواة ، وتمسك بعض الأطباء بالناحية الصحية وكذبوا الحديث ، وكنا نود أن يفهم الحديث على أسس ثلاثة :

١ - عدم التعرض لصحة الحديث فهذا من اختصاص فقهاء الحديث والعلماء الذين درسوا العلم والحديث وكيف يستمدون الأحاديث المكشوبة .

٢ - محاولة البحث العلمي باقتراض صحة الحديث للوصول إلى حقائق أنبأنا عنها النبي عليه الصلاة والسلام . وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . - قرآن كريم .

٣ - عدم الخوض في موضوع مادة الحديث قبل الرجوع إلى المراجع العلمية الكافية عن الحشرات وعن طفيليات الحشرات . لهذا وجدنا بعد قراءة الموضوع والمجاذلات المتبادلة بين الفريقين في الصحف والمجلات منذ مدة طويلة أن نحاول أن نرد الحق إلى نصابه . ذلك أن بعضنا بعد قراءة آراء فقهاء الحديث عن صحة الحديث لم يتردد في تصديقه وحاول أن يرجع إلى المراجع العلمية التي تؤيد صحة الحديث .

وقد جاء في المراجع العلمية أن الأستاذ الألماني بريفلد من جامعة هال بألمانيا وجد في عام ١٨٧١ أن الدبابة المنزلية مصابة بطميين من جنس الفطريات سماها امبوزا موسكى من عائلة اتوموقرالى من تحت فصيلة سيجومايسيس من فصيلة فيكومايسيس ويقضى هذا الفطر حياته في الطبقة السفلية داخل بطن الدبابة على شكل خلايا خيرة مستديرة ثم يستطيل ويخرج على نطاق البطن بواسطة الفتحات التنفسية أو بين المعازل البطنية وفي هذه الحالة

يصبح خارج جسم الذبابة . وهذا الشكل يمثل الدور التناسلي لهذا الفطر وتجميع بذور الفطر في داخل الخلية إلى قوة معينة تمسك الخلية من الانفجار وإطلاق البذور خارجها وهذا سيكون بقوة دفع شديدة لدرجة تطلق البذور إلى مسافة حوالى ٢ سنتيمتر من الخلية بواسطة انفجار الخلية وانفداع السائل على هيئة رشاش .

ويوجد دائماً حول الذبابة الميتة والمتركة على الزجاج مجال من البذور لهذا الفطر ، ورؤوس الخلية المستطيلة التي يخرج منها الدور موجودة حول القسم الثالث والآخر من الذبابة على بطنها وظهرها ، وهذا القسم الثالث أو الأخير دائماً يكون مرتفعاً عندما تقف الذبابة على أى مسند لتحمط توازنها واستعدادها للطيران ، والانفجار كما ذكرنا يحدث بعد ارتفاع ضغط السائل داخل الخلية المستطيلة إلى قوة معينة وهذا قد يكون مسبباً من وجود نقطة زائدة من السائل حول الخلية المستطيلة . وفي وقت الانفجار يخرج من السائل والبذور جزء من السيتوبلازم من الفطر كما ذكر الأستاذ لانجرون ( أكبر الأساتذة في علم الفطريات ) في عام ١٩٤٥ أن هذه الفطريات كما ذكرنا تعيش في شكل خميرة مستديرة داخل أسجة الذبابة وهي تفرز أنزيمات قوية تحلل وتذيب أجزاء الحشرة الحاملة للرض .

ومن جهة أخرى تم في سنة ١٩٤٧ عزل مادة مضادة للحوية ( بواسطة آرنتين وكوك من إنجلترا وبرولوس من سويسرا في سنة ١٩٥٠ ) تسمى جلفاسين من فطر من نفس الفصيلة التي ذكرناها والتي تعيش في الذبابة وهذه المادة المضادة للحوية تقتل جراثيم مختلفة من بينها جراثيم السالبة والموجبة أصبغة جرام وجراثيم الدوسنتاريا والتيفويد وفي سنة ١٩٤٨ عزل بريان وكورتيس وهيننج وجيفيريس وماكجوان من بريطانيا مادة مضادة للحوية تسمى كلوتيفيزين من فطريات من نفس فصيلة الفطر الذي يعيش في الذبابة وتؤثر على جراثيم السالبة أصبغة جرام من بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفويد وفي سنة ١٩٤٩ عزل كوكس وفارمر من إنجلترا وجرمان وروث واتلنجر وبلانز من سويسرا مادة مضادة للحوية تسمى ايانين من فطريات من نفس صنف الفطر الذي يعيش في الذبابة تؤثر بقوة شديدة على جراثيم جرام موجب وجرام سالب وعلى بعض فطريات أخرى ومن بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفويد والكوليرا . ولم تدخل هذه المواد المضادة للحوية بعد الاستعمال الطبي ولكنها فقط من العجائب العلمية لسبب واحد وهو أنها بدخولها بكميات كبيرة في الجسم قد تؤدي إلى حدوث بعض المضاعفات بينما قوتها شديدة جداً وتفوق جميع مضادات الحوية المستعملة في علاج الأمراض المختلفة . وتكفي كمية قليلة جداً لمنع معيشة أو نمو الجراثيم التيمويد والدوسنتاريا والكوليرا وما يشبهها .

وفي سنة ١٩٤٧ عزل موفيتش مواد مضادة للحياة من مزرعة الفطريات الموجودة على جسم الذبابة ووجد أنها ذات مفعول قوى في بعض الجراثيم السالبة لصيغة جرام مثل جراثيم التيفويد والدوسنتاريا وما يشبهها ، وبالبحث عن فائدة هذه الفطريات لمقاومة الجراثيم التي تسبب أمراض الحيات التي يلزمها وقت قصير للحضانة وجد أن واحد جرام من هذه المواد المضادة للحياة يمكن أن يحفظ أكثر من ١٠٠٠ لتر لبن من التلوث من الجراثيم المرضية المذكورة .

وهذا أكبر دليل على القوة الشديدة لمفعول هذه المواد .

أما بخصوص تلوث الدباب بالجرثيم المرضية بجرثيم الكوليرا والتيفويد والدوسنتاريا وغيرها التي ينقلها الدباب من المجارى والفضلات أو البراز من المرضى وهي الأماكن التي يرتادها الدباب بكثرة فكان هذه الجراثيم يكون فقط على أطراف أرجل الذبابة أو في برازها وهذا ثابت في جميع المراجع البكتريولوجية وليس من الضروري ذكر أسماء المؤلفين أو المراجع لهذه الحقيقة المعلومة .

ويستدل من كل هذا على أنه إذا وقعت الذبابة على الأكل فستلصق الغذاء بأرجلها الحاملة للبكتريا المرضية ، التيفويد أو الكوليرا أو الدوسنتاريا أو غيرها ، وإذا تبرزت على الغذاء سيلوث الغذاء أيضا كما ذكرنا بأرجلها . أما الفطريات التي تفرز المواد المضادة للحياة والتي تقتل الجراثيم المرضية الموجودة في براز الذبابة وفي أرجلها فتوجد على بطن الذبابة ولا تنطلق مع سائل الخلية المستطيلة من الفطريات والمحتوى على المواد المضادة للحياة إلا بعد أن يلبسها السائل الذي يزيد الضغط الداخلي لسائل الخلية ويسبب انفجار الخلية المستطيلة وانفراج البنود والسائل .

وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوي الذي يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلها في السائل أو الغذاء إذا وقعت عليه لإفساد أثر الجراثيم المرضية التي نقلتها بأرجلها أو برازها ، وكذلك يؤكد الحقيقة التي أشار إليها الحديث وهي أن في أحد جناحيها داء ( أى في أحد أجزاء جسمها ) الأمراض المنقولة بالجرثيم المرضية التي حملتها ( وفي الآخر شفاه وهو المواد المضادة للحياة التي تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها والتي تخرج وتنطلق بوجود سائل حول الخلايا المستطيلة للفطريات )



# تعلقات

## عيد العلم

في نسبات الربيع من عامنا السابق ، ومن عامنا هذا ، تجاوزت الرغبات ، وآلفت الجهود في تنظيم المهرجان لعيد العلم .

وهذه بقطة جماعية تشهد بنضوج الوعي ، وانتباه الشاعر نحو أكرم معنى يعتبر خير مقوم للإنسانية ، ومبعث الحياة في الأرواح التي تحيا بها الأجسام ، ويسير في ضوئه الركب على مسرح هذا الوجود ، وما بنا من حاجة إلى الحديث عن العلم وبيان فضله على الدنيا ، ورفضه من قيم الأفراد والجماعات . . فلك توجيهات مركوزة في عقول الأحياء ، وتفتيات على عماد شاخصة ، وهي أشبه بتوجيه المبصر إلى ضوء الشمس ، أو توجيه العطاش إلى ضرورة الماء .

ولنما حديثنا عن عيد العلم وما يقتضيه من مباحج تنصح عن تقديرنا للعلم ، وحرصنا عليه ، واعتزازنا به ، وإفادتنا منه لأنفسنا ، ولقوميتنا ، وللناس جميعا .

وإنه لمن تعبيرنا الصادق عن خلجات أنفسنا نحو العلم وعيده تلك الندوات التي ترخر بالعلماء والأدباء والتي يقوم عليها ولادة الأمر ، ويهيئون لها كل وسيلة تنفع لها أن تشع ضوء العلم في كل ركن ، وأن تبلغ صوته إلى كل سامع ، وأن تثير عييره في كل ناحية ، حتى تهز جنبات الوطن كله بذكربات العلم ، وفضل العلم .

وما كان ليكفينا ابتهاجا بعيد العلم ونحن في نهضة شاملة أن تخفق الرايات على مشارف الأبنية الحكومية ، ولا أن تصدح الموسيقى في أكشاك الحدائق ، ولا أن يتغنى أطفالنا ، والمطربون بيننا ، بما يستمدونه من الألحان والأناشيد . فلك كلها تعبيرات فاصرة ، لا تترجم صافي الجوانح من هجة بعيد العلم .

وكانت تلك الوسائل الشكلية المحدودة تكفيها في أعيادنا ، يوم كانت حياتنا ممتدة ، وكنا مع حكمتنا سابقا نعيش في ظل باهت ، وجو حائق ، وكانت نظرتنا إلى المستقبل محجوبة بحواجز كثيفة .

فأما وقد غدونا في ظل ظليل من الحزب ، وصرنا في كماله حكام أمناء يدفعون بالامة دفعا قويا إلى أهدافها ، فليس يكفيننا في هذا العيد المتكرر الجديد ما كان يكفي من قبل ، بل لا بد من شيء جديد في هذا العيد الجديد .

ولا ريب أن في تلك الندوات ما ينم إلى حد بعيد عن شعورنا جميعا بهذا العيد .

في هذه الندوات تبعث توجيهات يذيعها رجال العلم ، وينشرونها ، فتتفهمها الاسماع هنا وهناك ، ويقرؤها القاصي والداني ، فتزيد الناس تعريفاً بالعلم ، وتجذبهم إلى موارده في تزامم ومثابرة .

وفي تلك الندوات فيص من العطف ، يفر البغاء من أبطال العلم وأشباله ، يمنحهم الجوائز التي تمنح فيهم الحيوية الدائمة ، وتبعث النشاط في قلوب الآخرين .

والعلم في حقيقته ومظهره وفي جنته وتفصيله قبس من نور الله تعالى ، تفضل به على عباده ، فبعث بالجانب الروحي منه رسالة إلى الأمم يبلغونهم دعوة ربهم إلى توحيده ، وإلى الاتحاد والتعاون فيما بينهم ، وترك الجانب المادي منه للوهاب والعقول تبدل في سبيله نشاطها ، وتدرك من أنواعه ما يتاح لها ، وتستخدمه في الانتفاع بالطبيعة والكشف عن أسرارها ، وتهتدي به إلى ما أودع الله في هذا الكون من آثار قدسية ، وعجائب صنعته .

ثم دعاهم إلى الجد في دنياهم ، كادعاهم إلى الحرص على دينهم ، وامتنح أهل العلم ورفع من قدرهم وأشاد بهم في كتب السماوية ، وخاصة القرآن الكريم - وعرفنا - سبحانه - أن العلم للدين والدنيا جميعاً ، وأنه وسيلة إلى الخير العام ، دون ضرر أو إضرار به ، ودون انحراف به عن أهدافه الإيجابية للنشر جميعاً ، ومن شأن العلم أن يرفع بالأنفس عن لوثة الغرور ، وأن يزيد حياءً في الخير للإنسانية ، وأن يصقلها صقلا أدبياً يميز بينها وبين دوى الجهالة والفسوة :

والعلم إن لم تكتفه شمائل غراء كان مظنة الإخفاق  
وعلمنا مهما كثر قليل في ذاته : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) .

وحينما يجتاز العقل البشري مراحل البحث ، ويستنهض طاقته فيما قدر له من معرفة تكون  
الدنيا آذنت برحيل : (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ، وأزینت ، وظن أهلها أنهم قادرون  
عليها ، أتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً ، فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، كذلك تفصل  
الآيات لقوم يتفكرون) .

ولعل في هذا النأ الصادق تبصيراً لأولى العلم بالتواضع ، والتراحم ، وعدم الشطط  
في الغرور . وبعد - فإذا كانت للناس أعياد تهز مشاعرهم بالتعاطف ، وتدنى قلوبهم إلى  
استشعار الإخاء والتضام ، فعيد العلم أجدر بذلك ، لأنه رباط يضمهم جميعاً في إطار واحد  
واسع ، وإن تمايزت فيهم الجنسيات ، وتوعت لديهم اللهجات ، والديانات .  
ولو أن في الامكان أكثر مما يبيده اليوم من شعائر الهجة بعيد العلم لوجب أن نفعل ،  
ولو جب أن نهض به من فترة إلى فترة ، بدلا من عام إلى عام .

### عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التعنيش

### الناحية الدينية في مدارسنا

من مقال للدكتور علي عبد الواحد وافي في جزء جمادى الآخرة من مجلة (منبر الإسلام) :  
« قامت النظم التي وضعها دنلوب للتعليم العام الابتدائي والثانوي ، وتعبد لها خلفاؤه  
من الإنجليز والمصريين ، على إغفال ناحية الدين من التربية في المدرسة ، بل على محاربته  
من وراء ستار ، ومحاربة ما يتصل به من شؤون التربية الخلقية والاجتماعية . وجريا  
على طريقتهما المأكرة في ستر سوءاتها فسحت مجالا يسيرا لبعض دروس في الديانة ،  
لكنها أعمت في التهوين من شأنها فوضعتها في هامش المنهج الدراسي ، وأعفت التلاميذ  
من الامتحان فيها .

ثم أخذت المدرسة المصرية بعد أن تحررت من سيطرة الإنجليز توجه بعض العناية لهذه  
النواحي ، ولكنها لا تزال إلى الوقت الحاضر مقصورة في جنبها تقصيراً كبيراً ، ولا تزال  
بعيدة كل البعد عما ينبغي أن تكون عليه » .

# الكتاب

## شرح شعلة على الشاطبية

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الموصلي - ٦٥٦ ص - نشره الاتحاد العام بلغة القراء

منظومة الشاطبية في القراءات المسبقة ، حرز الأمان ، لأبي القاسم بن فيرة الرعيني الشاطبي : ( ٥٣٨ - ٥٩٠ ) هي مرجع القراء في ضبط القراءات السبع المتواترة ، وعليها العمدة في مصر والعالم الإسلامي في تلقى كتاب الله وتلقيه حفظاً وتلاوة من القرن السابع الهجري إلى الآن ، لما امتازت به من الإحاطة وجودة السبك وعذوبة اللفظ وحسن التوجيه . وقد خدمت هذه المنظومة بالتشروح الكثيرة ، وأحسن الاتحاد العام بلغة القراء نشر شرحها دكتور المعاني ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الموصلي الشهير بشعلة ( ٦٢٣ - ٦٥٦ ) لما امتاز به من حسن النظام وجمال الترتيب ، حيث تكلم على كل بيت من ثلاث نواح : اللغة ، والإعراب ، والمعنى الذي هو المقصود الأول من الشرح . وبعد بيان معنى البيت وشرح المقصود منه والوقوف بالقارئ على قراءات الأئمة بين وجهها من اللغة وعلاها من كلام العرب بلفظ موجز وعبارة سهلة .

وقد قام بتصحيحه ومراجعته والتعليق عليه الأستاذان العاضدان الشيخ متولى عبد الله المقاعى ، والشيخ محمد سليمان صالح المدرسان بمعهد القراءات بالأزهر ، فزجوا الله أن ينفع به .

## القرآن - آداب تلاوته وسماعه

لمفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف - ٣١ ص - مطبعة لجنة البيان العربي هي رسالة وجيزة جامعة في آداب تلاوة القرآن الحكيم وسماعه ، وحكم قراءته بالتطريب والألحان ، وحرمة تلحينه كالأغاني . قصد بها التنبيه إلى الصواب ، والتحذير مما يعاب

في حق كلام الله جل جلاله ، والتأديب في تلاوته وسماعه بالأدب القويم ، المأثور عن الرسول الكريم ، وقد جاءت هذه الرسالة في وقتها عقب جرأة من لا يخافون الله في كتابه على ما لم يحرق عليه أعداؤه من قبل حتى أحبط الله فتنتهم ، على ما نشرناه في جز - صفر من هذا العام .

## القرآن الكريم

بالرسم العثماني - ١٩٦ صفحة - نشره جعفر محمد مصطفى

أهديت إلينا نسخة أنيقة من كتاب الله عز وجل على ما يوافق الرسم العثماني . محتومة بفصل في التعريف برسمه وطريقة ضبطه وعدد آياته واصطلاحات الضبط وعلامات الوقف نقلًا عن الطبعة الرسمية في سنة ١٣٣٧ . وهو مجهود مشكور في نشر كتاب الله وتعميمه .

## الرسول القائد

للعقيد الركن محمود شيت خطاب - ٣٧٣ ص - المطبعة الإسلامية ببغداد

هو كتاب في سيرة الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - من الناحية العسكرية . مبدؤه بعد بيان المصطلحات العسكرية بفصل عن الحرب العادلة والقتال في الإسلام ، تليه فصول عن الموقف العسكري العام قبل نشوب القتال ، وعن دوريات القتال والاستطلاع الأولى ، ثم الصراع الحاسم بين الإسلام والشر في غزوة بدر ، وغزوة الحديبية وثمراتها وفتح مكة ، وغزوة حنين ، وحصار الطائف ، ومولد الامبراطورية الإسلامية في حملة تبوك . وختم الكتاب بفصل في أسباب النصر الإسلامي بقيادة عبقرية ، وجنود بمنازير ، وحرب مثالية عادلة ، وأن الأرض للصالحين .

لقد جرب كثيرون من أفاضل رجال الجيش في البلاد الإسلامية الكتابة عن السيرة المحمدية من الناحية العسكرية . وهذا الكتاب آخرها وأدقها بحثًا وأكثرها تحقيقًا . وقد قدم له سيادة الفريق الركن محمد نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة في العراق ، فلفت إليه الأنظار .

## ذكرى أبي الشتاء الألويسي

للأستاذ المؤرخ عباس العزاوي المحامي - ١١٤ ص - طبع شركة التجارة والطباعة ببغداد  
أبو الشتاء شهاب الدين محمود الألويسي ( ١٢١٧ - ١٢٧٠ ) صاحب التفسير الكبير

( روح المعاني ) علم من أعلام الإسلام في القرن الثالث عشر الهجري ، وقد أفرد حياته بالتأليف الأستاذ المؤرخ الكبير السيد عباس العزاوي الذي سبق لنا التنويه به بمصر مؤلفاته القيمة التي ملأت فراعاً في المكتبة العربية . فإلم في هذا الكتاب بمصر الألويس وحياته وحالة الآداب والعلوم في زمانه ، معتمداً في كل فقرة على مستنداتها من تراث ذلك العصر ، وإن شطراً عظيماً من هذه المستندات والوثائق من مدخرات مكتبة المؤلف التي تعد من أهم المكتبات الخاصة في العراق ، وتزداد قيمتها بما يصدره المؤلف من بحوث ومؤلفات متتابعة معتمداً عليها . زاده الله توفيقاً .

## القلائد الجوهريّة ، في تاريخ الصالحية

لمحمد بن طولون الصالحى - ٥٩٥ ص - بتحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان

محمد بن على بن أحمد بن طولون ( ٨٨٠ - ٩٥٣ ) معهود في علماء الشام بمنزلة الجلال السيوطى في علماء مصر ، وقد أدرك ابن طولون ثلاثين سنة من حياة السيوطى ثم تأخر عنه ، وهو كالسيوطى في غزارة إنتاجه وكثرة مؤلفاته ، فقد بلغت ٧٤٦ مؤلفاً بين رسائل صغيرة وما يبلغ المجلد أو المجلدات المتعددة ، وكثير منها في التاريخ والحطاط .

وصالحية دمشق هي المدينة الرابعة في سبوح جبل قاسيون المتصل بدمشق ، وهي مدينة علم لها فيه قسم صدق ومقام رفيع ولا سيما بعد نكبة فلسطين بالحروب الصليبية وجلاء آل قدامة وغيرهم من أعلام العلم والفقهاء إلى دمشق ، فكان استقرارهم بحل قاسيون ونسج منهم الإمام الموفق الذي قال عنه ابن تيمية : ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه منه ، وأحوه الشيخ أبو عمر وهم من سلالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقد أقاموا في الصالحية مدارس ومعاهد للعلم ودورا للكتب وألغوا في الفقه وأصول الدين وعلوم السنة الكتب النفيسة التي جددت شباب العلم الإسلامى من القرن السادس الهجرى .

وكتاب القلائد الجوهريّة لابن طولون هو تسجيل لتاريخ العلم والدين والعمران في هذه البقعة المباركة من عاصمة بنى أمية ، وقد قام الأستاذ العلامة الشيخ محمد أحمد دهمان بتحقيق هذا الكتاب عن صورة شمسية للنسخة الوحيدة منه بخط مؤلفه ، وبعث فيه أضواء تزيل غوامضه وتقارن ماضى تلك البقاع بحاضرها . واستدرك عليه من التحقيقات والحفائظ ما لا ينتظر

أن يصدر عن المؤلف نفسه لو أنه قام بهذا العمل العلى الجليل . وصديقنا الجليل الأستاذ الشيخ محمد دهمان هو الذى عهد إليه المجمع العلى الدقيق بدمشق تحقيق المجلد الثالث من تاريخ دمشق لابن عساكر ، فحضر إلى القاهرة لمقابلة الأصول التى تحت يده بالمخطوطة الثمينة من الموجود كثير من مجلداتها فى المكتبة الأزهرية . فنشكره على عنايته السابقة بتاريخ الصالحية لابن طولون ، ونرجو له التوفيق فى مهمته اللاحقة لإنجاز جزمه تاريخ ابن عساكر . ولا يعرف قدر هذه الجهود العلمية إلا من يكابد أمثالها .

### فرائد إسلامية نافعة

للأستاذ حمدى عبيد - مجموعة فى ستة كتب - المكتبة العربية بدمشق

زار القاهرة فى الشهر الماضى الأديب المسمى العاضل السيد حمدى عبيد ، وأنحفنا بمجموعة من منشوراته القيمة ، إحداها رسالة فى ٢٠٨ صفحات بعنوان « إلى الحياة » ، وهى آيات من كتاب الله تدعو إلى الإصلاح والإصلاح ، أنبعا كلمات توهمها وتبيل فهمها ، وكل كلمة منها مما ينفع المسلمين فى الدنيا والآخرة .

والثانية فى ١٨٤ صفحة بعنوان « من تراث النبوة » فى العلم والحكمة والأخوة ، وهى طائفة من أحاديث الرسول ، اختارها من صحيح البخارى ورتبها وعلق عليها .

والثالثة فى ٩٦ صفحة بعنوان « الأحاديث النبوية فى الأخلاق والاجتماع والمدنية » ، وهى مائة حديث يحتاج إليها الخطيب والواعظ والتاجر والعامل والمحكوم والحاكم ، اختارها من صحيح البخارى ومسلم ورتبها وعلق عليها .

والرابعة فى ٣٢ صفحة بعنوان « المختار من الأدعية والأذكار » ، اختارها من مختصر صحيح البخارى للزبيدي ومن كتاب الأذكار للتوى ، وألحق بها مسكاً مختصراً فى ترتيب أعمال الحج .

والخامسة فى ٢١٦ صفحة بعنوان « من عيون الأخبار » وهى كلمات سياسة وعدل ، وعلم وفصل ، وأدب ونبل ، وجد وهزل ، اختارها من كتاب عبرن الأخبار لابن قتيبة .

والأخيرة فى ١٢٠ صفحة بعنوان « من صميم الحياة » فى التوجيه الخلقى والاجتماعى والسمو الروحى والمادى ، وهى كلمات فى النصيحة والتذكير تربية على مادة كلمة مستمدة كلها من مبادئ الإسلام وتوجيهاته . فترجو الله أن ينفع بها .

# الأدب والعلوم

## تخطيط جديد شامل للتعليم الابتدائي

عقد السيد كمال الدين حسين اجتماع مع خبراء وزارة التربية والتعليم استمر ثماني ساعات لوضع الخطوط الرئيسية لتخطيط مشروعات التعليم الابتدائي وأهداف الدولة في إعداد جيل المستقبل. قال لم الوزير: إن مرحلة التعليم الابتدائي تعتبر من أخطر المراحل التعليمية التي يجب أن يمد فيها الطفل إعداداً سليماً، لأنه قد ثبت أن ٨٠ ٪ من تلاميذ المرحلة الابتدائية يكتفون بها وتكون معارفهم فيها هي سلاحهم الوحيد في الحياة.

إن المدرسين والنظار والمناهج والمباني يجب أن تتخذ كلها لإعداد تلميذ المرحلة الابتدائية إعداداً صالحاً، ومن أهم أهداف المدرسة الابتدائية أن لا يتفصل الطفل عن البيئة التي يعيش فيها، وأن لا يتعالى عليها في المستقبل أو يهرب منها. نريد أن نمد جيلاً يحترم بيئته التي عاش فيها وتعلم في مدارسها. ولذلك يجب أن يدرس الطفل كيف يحترم العمل اليدوي الذي هو أساس المجتمع، والذي سيقتضى

على كل نوع من أنواع البطالة باشتراكه في عمل الحقل وفي المصنع ضمن برنامج الدراسة، وأن يراعى مستوى البيئة التي يعيش فيها. وسيتعلم الطفل الآداب والسلوك والعادات الصحية والاجتماعية لتكوين جيل يحسن التصرف مع الأفراد والجماعات، وسيعنى في تدريسه بالمبادئ التعاونية الاشتراكية وتدعيم القومية العربية حتى إذا اكتمل متخرج المرحلة الابتدائية بذلك والتحق بالعمل في بيئته كان مواطناً مستقيماً وعضواً صالحاً في المجتمع.

## وتخطيط للإعدادى والثانوى والتعليم الفني

وعقد السيد كمال الدين حسين اجتماعاً آخر مع خبراء وزارة التربية والتعليم استمر عشر ساعات، لوضع الخطوط الرئيسية لتعليم الإعدادى والثانوى العام والتعليم الفني. وطلب من الخبراء أن توضع مواصفات معينة للتلميذ الذى يقبل بكل مرحلة، والمستويات التي يجب أن يصل إليها. وأن توضع مناهج جديدة تلام وحاجة البلاد، ومواجهة زيادة عدد المقبلين على التعليم، ودراسة توحيد امتحانات القبول للإعدادى، وأن يراعى في مناهج



وسيصدر قرار وزاري يحرم على المدارس استعمال الكتب غير المعتمدة .

### صاروخ يبلغ المدار الشمسي

في يوم الجمعة ٢ يناير أطلقت روسيا صاروخا موجها إلى القمر بلغ وزن الجزء الأخير منه ١٤٧٢ كيلو جراما ، وهو مزود بأجهزة لمعرفة الحقل المغناطيسي للقمر ، وكثافة الأشعة الكونية خارج الحقل المغناطيسي للأرض ، واكتشف عن النشاط الإشعاعي للقمر ، ودراسة توزيع النويات الثقيلة في الإشعاع الكوني ، والعناصر الغازية بين الكواكب ، وذرات الأشعة الشمسية ، وجزئيات الشهب .

وقد عبر الصاروخ حدود روسيا الشرقية عقب إطلاقه ، ومر فوق المحيط الهادي وجزر هاواي وفوق جنوب سومطرة على ارتفاع ١١٠ آلاف كيلو متر من سطح الأرض . وهو يسير بسرعة ٧ أميال في الثانية ، وقطع حتى مساء السبت ٣ يناير أكثر من ٢٨٤ ألف كيلو متر ، أي حوالي ٨٠ في المائة من المسافة بين الأرض والقمر .

وفي يوم الثلاثاء ٦ يناير أعلن نويشيف نائب رئيس أكاديمية العلوم الروسية أن الصاروخ وصل إلى أقرب نقطة من القمر في الساعة الخامسة والدقيقة ٥٩ من صباح ٤ يناير بتوقيت موسكو ، وبعد مضي ٦٢ ساعة على إطلاقه وصل إلى مداره حول الشمس .

المراحل الإعدادية والثانوية العامة موضوعات الفنون التطبيقية والأعمال اليدوية .

وقد تقرر أن يبدأ فوراً إنشاء المدارس الثانوية الشاملة التي يدرس فيها الطلبة المواد النظرية والعملية . وستكون الدراسة في العلوم عملية بحتة ، وستلحق مدرجات العلوم ويستعاض عنها بالدراسة في المعامل .

وأثار الوزير في التعليم الفني موضوع تخريج العامل الفني الذي يعمل يديه في الحتل والمصنع والشركة ، ويقوم بصناعة وإعداد الآلات البسيطة التي لا يستطيع العامل البسيط القيام بها . وأن توضع مناهج جديدة لتخريج الفنيين اللازمين لمشروعات السد العالي والوادي الجديد ، ومشروعات التصنيع على أساس أنه حقيقة واقعة .

وطلب دراسة إنشاء مدارس إعدادية تجارية للبنين لتخريج باعة وموظفين فنيين في المؤسسات . وإعداد مناهج ثقافية جديدة تحمس المهنة من حيث احترام العمل اليدوي . وإعداد كتاب للمعلم به نماذج يسهل له العمل في التدريس .

### الكتب المدرسية

أعدت وزارة التربية والتعليم مشروع قانون بتحريم طبع كتب مدرسية إلا بعد عرضها على الوزارة ، ويوجب هذا القانون على المطابع أن تقدم - خلال ستة أشهر - جميع مالنسها من كتب مدرسية خارجية إلى الوزارة لمراجعتها

# اتفاق السد العالي

إلى الاتحاد السوفيتي وتقوم حكومة الجمهورية العربية المتحدة بتكوين هيئة خاصة تتولى الشؤون الإدارية والفنية والمالية للمشروع .

وبعد توقيع الاتفاق خطب المشير عبد الحكيم عامر فقال :

إن مساعدة الاتحاد السوفيتي في بناء السد العالي دليل جديد على المساعدة المخلصة التي يقوم بها الاتحاد السوفيتي بمساعدتنا في بناء اقتصادنا القوي بلا قيد ولا شرط .

## الجيش العراقي

احتفل العراق بالذكرى الثامنة والثلاثين لتأسيس جيشه وخطب اللواء عبد الكريم قاسم رئيس الحكومة العراقية في هذه الذكرى فأكد تصميم العراق على انتهاج سياسة التعاون والتضامن التام مع البلاد العربية المحررة في جميع الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، لتقف هذه الأمة صفاً واحداً في العمل على تحقيق أهداف القومية العربية وإعلاء كلمة العرب .

## اتفاق

## السد العالي

تم في يوم ٢٧ ديسمبر توقيع اتفاق المرحلة الأولى من بناء السد العالي بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة ، وصدر بذلك بلاغ مشترك . وينص الاتفاق على أن حكومة الاتحاد السوفيتي تقوم بتوريد ما يلزم لهذا المشروع من آلات ومعدات وماكينات وكذلك المواد التي لا تتوافر بالجمهورية العربية المتحدة . وستوفد العدد اللازم من الإخصائيين الفنيين للقيام بالإدارة الفنية لتنفيذ بناء السد .

والنظية النفقات التي تتكبها الهيئات السوفيتية فيما يتعلق بتنفيذ التعهدات المشار إليها فإن حكومة الاتحاد السوفيتي تقدم إلى حكومة الجمهورية العربية المتحدة قرصاً طويل الأجل في حدود أربعمائة مليون روبل بتسهيلات كبيرة ، على أن تؤدي قيمة هذا القرض عن طريق توريد السلع المحلية

المواصلات لنقل الأفراد والمواد والمعدات اللازمة إلى مناطق التعمير ونقل منتجات الوادى الزراعية .

وإن مشروع الوادى الجديد لا يدخل ضمن مشروعات استصلاح الأراضي التي تعتمد على المياه التي يوفرها مشروع السد العالي ، وإن كان المشروعان سيرتبطان في النهاية بالطاقة الكهربائية التي ستستخدم في إدارة المضخات والإنارة وتشغيل المولدات في أراضي المشروعات .

وسوف يستخدم الفنيون جميع الوسائل لاستخراج المياه الجوفية ورفعها لرى الوادى الجديد الذى بدأ فعلاً بزراعته ، وسجلون القوة الرافعة باستخدام الوقود والكهرباء والمراوح حتى الطاقة الشمسية .

**مقاتلاتنا تسقط طائرة إسرائيلية**  
في الساعة الواحدة بعد ظهر ٨ يناير اجتازت ٦ طائرات إسرائيلية حدود سيناء فوق منطقة القسيمة ، قصفت لها أربع من طائراتنا المقاتلة ، ودارت معركة جوية أسفرت عن إصابة طائرتين شوهدت إحداها وهي تسقط داخل الحدود الإسرائيلية عند « بيرين » بينما اختفت الثانية في السحب ، ولأدت الطائرات الإسرائيلية الأربع الأخرى بالفرار داخل الحدود الإسرائيلية .

وقد سجلت هذه المعركة بأجهزة التصوير المثبتة في طائرات الجمهورية العربية المتحدة .

## أنوادى الجديد

### الموازى لوادى النيل

أشار الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه يوم ٢٣ ديسمبر في بورسعيد إلى أن الوادى الجديد الموازى لوادى النيل سيكون هو المشروع الذى يأخذ الأولوية الثانية بعد السد العالي . وكان معلوماً أن مياهها جوفية تقرب كميات هائلة من منطقة بحيرة نضاد ونحدر متدفقة إلى المناطق الواطئة في اتجاه البحر ، وطوال العام الماضى كلف سلاح المهندسين والجيش بإرسال بعثات إلى المنطقة وحفرت آبار تجارية بين الواحات .

وتعبد نتائج هذه الأبحاث أن أقل الاحتمالات الممكنة هي الحصول على مليون فدان جديدة تررع وتصل الواحة الخارجة بوادى النيل الأصل ، ويمكن أن يصل هذا الرقم إلى ثلاثة ملايين فدان . وقد تقرر البدء بدراسة المشروع على أعلى مستوى على ممكن ، وسوف تبحث الوزارات المختصة ، ويعرض على خبراء عالميين ليبدوا آراءهم فيه . وإن كنائب الخدمة الوطنية التي تضم الشباب الثافض عن حاجة القوات المسلحة وغيرهم من المتطوعين سوف تكلم بالاشتراك في تنفيذ هذا المشروع الكبير .

وقد تم وضع مشروع كامل للسكك الحديدية يربط بين وادى النيل والواحات ، إذ يعتمد تعمير الوادى الجديد على سهولة

وقد تبودلت البرقيات بين الهيئة العامة  
لمشروعات السنوات الخمس بالإقليم المصري  
والسلطات المختصة بالحكومة السوفيتية  
في موسكو بالموافقة على أن يقوم الجانب  
الروسي بهذا المشروع ، وإلحاقه باتفاقية  
التصنيع بين البلدين .

## الحرب

### على الإسراف

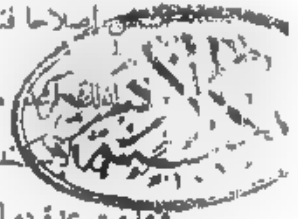
بثت رئاسة الجمهورية خطابات رسمية  
إلى جميع الوزراء المركزيين والتنفيذيين  
تطلب فيها إليهم أن يدرسوا جميع الأوضاع  
في وزاراتهم على ضوء ما ذكره الرئيس  
جمال عبد الناصر في خطابه في المؤتمر التعاوني  
فيما يختص بموضوع الإسراف ، وطلب فيه  
إلى جميع الوزراء أن يكتبوا إلى رئاسة  
الجمهورية تقارير مفصلة عن اقتراحاتهم  
العملية - كل في دائرة اختصاصه - لضبط  
هذا الإسراف وتلافيه ، ويتظر أن تشكل  
لجنة عليا لدراسة هذه التقارير ، وستدرس  
هي بنفسها الموقف في جميع الوزارات  
على ضوء تقارير الوزراء ، وترسم خطوط  
السياسة العامة للحد من الإلقاء الذي يزيد  
من حدوده في كثير من النواحي .

## صناعة

### السفن بالإسكندرية

تبين لحكومة الثورة سنة ١٩٥٥  
أن البلاد في حاجة إلى إنشاء دارصناعة بحرية  
تناسب مع احتياجات الدولة ، لا سيما بعد  
أن تعرضت البلاد لضغوط اقتصادية وسياسية  
شديدتين إبان حرب فلسطين لعدم توافر  
السفن وناقلات البترول وتعذر إصلاح هذه  
السفن إصلاحاً فنياً في المياه المصرية .

من مروع لإقامة دار صناعة  
السفن بالإسكندرية وطرح في مناقصة عالمية  
وتمت عدة دول بعروض لإقامته ثم رسا  
المشروع على الاتحاد السوفيتي ليقوم بتنفيذه  
في عام ١٩٥٩ / ١٩٦٠ على أساس أن تبنى  
دار الصناعة لبناء سفن تجارية وسحرية  
و ناقلات بترول ، ويخصص ٧٠٪ من كفاءة  
العمل لبناء و ٣٠٪ للإصلاح ، ويسمح  
التصميم ببناء سفن مختلفة النوع يصل طولها  
إلى ١٦٠ متراً ويصاقل إنتاجها السنوي  
ما حوله ٥٠ ألف طن ، ويستخدم في بنائها  
١٥ طن من الصلب الناتج من مصانع الحديد  
والصلب بحلوان .



١٢  
٢٠٢٢  
درجہ

# آراء و احادیث

لصاحب الفضيلة الأستاذ الأکبر

الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر



# فضيلة الأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر

- يوضح حكم الشريعة الإسلامية في المسائل الدقيقة التي تهم المسلمين وغيرهم .
- ويشرح الخطوط العريضة للسياسة التي وضعها فضيلته ، ليقوم الأزهر بأعباء رسالته العالمية .
- ويبين الحلول الصحيحة للمشكلات الدولية والمحلية

هديت الأستاذ الأكبر مع مندوب جريدة البوبولو في إيطاليا :

الدكتور دليوكا انجيلو مندوب جريدة البوبولو صحفي إيطالي، طلب مقابلة فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، لا بوصف كونه صحفياً لحسب ، إنما ينضم إلى ذلك أنه صحفي يريد أن يضع كتاباً عن النهضة الإسلامية في العالم ، وأثر هذه النهضة في دعم السلام وخاصة النهضة الإسلامية في الجمهورية العربية المتحدة ، التي تضم الأزهر قبلة العالم الإسلامي العلمية ، والذي يتطلع إليه المسلمون والعرب على أنه بيده أمانة القومية العربية ، والمكان الذي تنبثق منه الأشعة التوجيهية ، البلد الذي أنجب جمال عبد الناصر ، باعث القومية العربية ، ورافع لواء نهضتها ومذكي شعلة التقدم فيها .

قال الصحفي : لقد سمعت عن الشيخ الأكبر شلتوت وأنا في إيطاليا ، وتاقت نفسي لأن أرى إمام المسلمين ، ورائدهم ، وأن أجلس إليه لأستمع إلى حديث يتدفق معه سيل يحدد المسائل التي تعلق بالأذهان في هذه الحقبة من الزمن ، وتوضع أمامها علامات الاستفهام ، لأرفع علامات الاستفهام التي تحيلها الأذهان وترسمها أمام بعض المسائل ، تمتد ذلك كثيراً وعندما حدد لي الموعد الذي سألقى فيه الشيخ الأكبر ، وأستمع إلى إمام المسلمين تنبأت ليكتاني بأنه سيؤتي أكله ويفيد فائدته ، ويحقق الغاية العلمية من ورائه .

## أحاديث الأستاذ الأكبر

جلس الزائر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر وحياء تحية عبقة في احترام وعمق تقدير ،  
قابندره فضيلة الأستاذ الأكبر بحسن ترحيب قائلاً : إننا نحبي فيكم البحث عن الحقائق ،  
وميلكم إلى الوصول إليها في دقة مهما كلمتكم الأمر ، وهذا هو الأمر عندنا في الشريعة  
الإسلامية ؛ تستحثنا على بذل الجهد وتحري الحقائق ، وتنبعها أينما كانت ، وحيثما وجدت ،  
كما يأمرنا الله بالدقة في الأخبار بحيث لا يتهجم الإنسان على العلم والمعرفة ، إلا بعد انتهاله  
من مناهلها الصحيحة ، ولذا يقول الله تعالى : « ومن أظلم ممن اقترى على الله الكذب .  
ولا تقف ما ليس لك به علم ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « رأيت مثل الشمس فاشهد  
والإفدع » .

واستطرد فضيلة الأستاذ الأكبر قائلاً : إن الأزهر وشيخه ليفقد الصحافة حق قدرها ،  
فإنى أراها موجهة ومرشدة ومبصرة للناس والشعوب ، ودا بما يتفق إلى حد كبير ، وطبيعة  
رسالة الأزهر التي تقوم على المعارف الإلهية ، تثير طريق الناس وتأخذ بأيديهم إلى الخير  
والسداد ، إن رسالة الصحافة تدفع إلى الطريق المستقيم حينما يحسن القصد وتخلص النية  
وبذا تصبح الأهداف قريبة والغايات سهل الوصول إليها .

وإنني أعتقد يا أخى أن مقالا واحداً من محقق يؤمن بفكرته ، ويأمل الوصول إلى غاية  
سامية ، لأجدى على المجتمع من آلاف الدروس والمحاضرات ، حيا الله الصحافة الحرة ، وبارك  
لها في أهدافها وقوى أجنحتها في كل مكان ؛ لتتعاون جميعاً على البر والتقوى إن شاء الله .

قال الصحفي الإيطالي مسيو دايوكا أنجيلو : إننى لعزور بما طفرت به الصحافة من جميل  
تقديركم لها ، وسامى شعوركم نحوها ، وأود أن أقول لكم : إننى بالرغم من أننى إنما جئت  
لأبجل ما أظفر به في كتاب أعلن فيه عن انهضة الإسلامية ، فأكتب مقالا في أوسع  
الصحف انتشاراً لأننى أعلق على كل ما أظفر به من توضيح لرسالتكم في الأمر آمالاً كباراً ،  
بقدر ما يشاركنى في ذلك الصحفيون والمسلون في أنحاء الدنيا .

« ما مدى التطور الذى يستطيع الناس أن يلبسوا فيه تحقيقاً للبادئ التي منحوس  
عليها الأمم الحرة الآن لتكون دعائم السلام الذى تنشده ؟

## أحاديث الأستاذ الأكبر

- وهنا قال فضيلة الأستاذ الأكبر بصوته الجمهوري في ثقة وإيمان واعتزاز، وقد رفع المصحف بيده : هذا هو القرآن الكريم ، ثالث الكتب ، أنزله الله سبحانه على محمد صلى الله عليه وسلم ، ليرشد الناس به إلى ما يجب أن يأخذوا به أنفسهم ، ويوحّدوا به حياتهم ، ويكونوا به مجتمعهم ، على الوجه الذي سعدهم في الدنيا بالعزة والسلطان ، والتسكين والهيمنة على الحق . إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، القرآن وضعت فيه مبادئ هامة وقوية ، يجب على البشرية أن تعلمها وأن يعرفوا إليها ، فإنه مهما تقدمت المدنية وانتصرت فلن تصل إلى ما حمله القرآن للبشرية جمعاء ، إن القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم تستطيع أن تجد فيه كل ما تعتبره المدنية حديثاً وجديراً ، فأليك النظام الذي جمع المصالح المشتركة ودافع عنها ، يأياها الناس إننا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، وفي سبيل ذلك يؤلف قلوبهم يارجعهم إلى أصل واحد حيث يناديه بتموله تعالى : يا بني آدم ، في آيات كثيرة تنبه إلى أنهم من أصل واحد فأول بهم التقارب والتآلف والتعارف والتناصر والتآزر ، وفي هيات التحكيم وفي البوائس الأولى تستطيع أن تجد ذلك في قوله تعالى : وإن طائفتان من المؤمنين اختلفوا فاصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فماتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، ثم تراه وقد نادى بالسلام نداء صريحاً واضحاً : ولا تقولوا لمن أتى إليكم السلام لست مؤمناً ، وإن جنحوا لقلم فأجنح لها وتوكل على الله ، يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين .

## من دعائم السلام نشر العدل والإحسان

الظلم هو أساس الحروب وطريق من طرق نشر الفوضى وعدم الاستتباب ، بل هو أساس الاشتباكات التي تحدث بين الأفراد والجماعات ، لكن العدل هو اليد البانية ، والقلم الذي يخطط خطوط الاستقرار والهدوء ، والذي يرسم الحق واضحاً : فلا يأخذ من أحد ليعطى غيره إلا عن حق من غير ما ظفیان أو ظلم . إن الله يأمر بالعدل والإحسان ،

## موقف الدين الإسلامي من الأديان الأخرى

إن الشريعة الإسلامية إنما جاء القرآن بها مصداقاً لما بين يديه من الكتب ، كما أنه يحث



## أحاديث الأستاذ الأكبر

على علم التنازع بالأديان ، شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، .  
والإسلام دائماً يدعو إلى الوحدة وينهى عن التنازع ، وينبه إلى التكتل ، وإذا قاتل فإنما هو قتال الدفاع لا قتال العدوان ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، .  
وإنك ترى أن الدين الإسلامي لا يرغب أحداً ولا يكرهه على الدخول فيه ، لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، ، ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تنكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، .

### أوثق الروابط بين الشريعة الإسلامية والأديان الأخرى

ولعلك تستطيع أن تدرك مدى ما يحرص عليه الإسلام من توثيق الصلات وتقوية الارتباطات بينه وبين غيره من الأديان ؛ لتصفو الأمة وتتحد كلمتها وتحافظ عناصرها بعضها على بعض ، فربط بينها وبينهم برابط المصاهرة التي يترتب عليها أن يكون خال الوالد من أهل الكتاب ، وإذا وجدت هذه الختلة توصلت العلاقات وقويت الصلات ، وكذلك ترى التبادل في المأكل والمشرب ، إذ أن التبادل دائماً مهمته تقريب القلوب وتحبيب النفوس ، اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ، ، وأحل في مقابلة هؤلاء هؤلاء إظهار الود وحسن تقريب القلوب .

• كيف تفرق بين كلة الإسلام والجهاد الإسلامي ، وبين النورة الحالية في سبيل التطور نحو مبادئ الاشتراكية والقومية العربية ؟

إن أساس الاشتراكية في الإسلام الزكاة ، والزكاة في حقيقتها وواقعها نقل الأمة بعض مالها من إحدى يديها وهي المستغفلة على حفظه وتميته إلى اليد الأخرى وهي اليد العاجزة عن الكسب والانتفاع ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، ، وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ، ، فأنت ترى من هذا أن الزكاة في نظر الإسلام أخذ للال من الأمة في شخص أغنيائها إلى نفس الأمة في شخص فقرائها . وهذا الوضع في الإسلام أقوى ما يحقق للأمة وحدتها .  
وتكافلها الاجتماعي الذي تسمى إليه الأمم ومظهر هذا التكافل أن الله جلت قدرته قد أوجب الزكاة في النقدية ، وأوجبها في المواشي: في الإبل والبقر والغنم وفي الزروع والثمار والسلع

## أحاديث الأستاذ الأكبر

التي يتجر فيها التجار من أى نوع ، وهذه هي الاشتراكية المنظمة في أجلى معانيها وفي أسمى مقاصدها ؛ ذلكم أنها ربطت الغنى بالفقر كما هي تعاون للشعب مع الحكومة والحكومة مع الشعب في الإصلاح والنظام العام ، فالاشتراكية في الإسلام إذن تعاون مالى قوى وليست نهياً ولا قوة ولا غصصاً ، فزكاة الروبح عامة في الروبح كلها في كل ما يخرج من الأرض ، وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، والنخل والزرع مختلفاً أكله ، والزيتون والزمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره إذا أثمر ، وآتوا حقه يوم حصاده .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « فيما سقت السماء العشر » ، وهذا التعميم هو الذى يحقق التكافؤ الاجتماعى ، وتلكم هي الاشتراكية التى يوضح معالمها الإسلام ؛ فيما يحقق الألفة والإخاء بين أفراد الأمة وجماعاتها ، وهي التواخى الاشتراكية التى تعمل الثورة على تركيزها ، ونشر التكافؤ الاجتماعى بين أفراد الأمة .

يا أخى إن الثورة الحالية : تلكم الثورة البيضاء ثورة إذا ما تبنت أهدافها وغاياتها وسبل الوصول إلى تلكم الغايات والأهداف ، لوجدت ألافارق مطلقاً بين الإسلام والجهاد الإسلامى ، وثورتنا المصرية .

ذلكم أن من مبادئ الثورة : —

١ — سلام لا استسلام .

٢ — الضمان الجماعى .

٣ — التعاون .

٤ — لا إقليمية ولا عرقية ولا مذهبية .

وتلكم كلها بما يدعو إليها الإسلام فهو يرى ، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، ولا تقولوا لمن أتى إليكم السلام لست مؤمناء .

ومظهر الضمان الجماعى في الإسلام هو ما ربط بين أفراد الإنسانية برباط قلبى يوحده بينهم في الاتجاه والهدف ، ويجعل منهم وحدة قوية متماسكة بأحد بعضها برقاب بعض ، سداها المحبة ولحمها الصاخ العام وهدمها السعادة ، قال تعالى : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين

## أحاديث الأستاذ الأكبر

أخوكم ، ، المسلم أخو المسلم ، لا يظله ولا يخذله ولا يكذبه ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه ، إن هذه هي الأخوة التي يعقدها الإسلام عن طريق واحد هو طريق الإيمان والعقيدة الصحيحة ، وعلى كل فإن الصواب لا يعود إليها دائما مجدها وعظمتها إلا إذا ظهرت نفوسها من الذاتية والغرور .

ومبدأ التعاون هو الذي يقوم على أساسه بناء الدولة الإسلامية مترابطة متماسكة في عون ونظام ، والذي من أجله ينادى الإسلام ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، ويقول صلى الله عليه وسلم : المؤمن للؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

والمجتمع الذي تترابط أطرافه وتماسك أجزأه مجتمع يستحق أن يحيا ، والإسلام يمتد الإقليمية والعصية ، فقد نزل القرآن وفي العالم مجتمعات مختلفة الأسس والغايات ، استمدت حياتها من أوضاع بشرية ، على أن العصية وليدة نزعات خاصة لامحت إلى القلب الإنساني ولا إلى الصالح العام ، وفيما بينها يذوب الضمير العالمي والروح الإنساني ، ويقضى على الرحم وصلات القرى ، وبذا يصير أفراد الإنسان ومجتمعاته كالحيوانات المفترسة ، وكل من رحمة الله أن أنزل الكتاب إرشادا وهداية ؛ لنسلك في تطهير حياتنا الجنسية العصية والإقليمية ونحوها .

وإن المتنبع لهذه النواحي ليجد الثورة ثورة لم تخرج في خطواتها وتحقق أهدافها إلا وفق الشريعة من جميع نواحيها ، ومن ثم هيا الله لها النجاح والتوفيق في كل خطواتها التي خطتها لإصلاح هذا الوطن ، الذي طالما تطلع إلى الإصلاح حتى هيا الله لمصر الشاب القوي المؤمن جمال .

• ما موقف الإسلام من التقدم الذي أحرزته المرأة المسلمة حتى اشتركت في الانتخابات ؟

— الإسلام هو الذي رفع المرأة ومكن لها من حقوق لم تكن لها ، ورثها ولم تكن ترث ولا كانت تعطى ، للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا .

ليس لأحد أن ينقص منه شيئا ، وبذا أنقلها من إبلامهم لها ورفضها من وهنتها فأخذت دورها في الحياة ، ويمكن أن تعرف مدى عناية الإسلام بها تلك التي تظهر في إبراز شخصيتها .

## أحاديث الأستاذ الأكبر

فينزل الوحي برأيها في قوله تعالى : قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ، وهي خوله بنت ثعلبة ، حين ظاهرها زوجها ، وكانت حالها كما وصفت للنبي صلى الله عليه وسلم إذ قالت : إن أوسا تزوجني وأنا شابة صغيرة مرغوب فيها ، فلما كبرت وكثر عيالي جعلني عليه كظهر أمه في سورة غضب ، ثم رجع وندم ، قال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل على فيك شيء ، وكانت في هذا كله تتمس طريقا تعود به إلى زوجها ، وفعلنا نزل الوحي بما أرادت ، وهو الطهار الذي جعل له كفارة ، والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقة من قبل أن يتأسا . وأشركها سبحانه مع الروح في الحقوق ، يقول تعالى : ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف .

كما سوى القرآن بين الرجل والمرأة في العمل الصالح ، من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فنحنينه حياة طيبة ، ويجعل عليها القرآن مسئولية مستقلة فلا ينفعها عمل زوجها الصالح إن كانت فاسدة ، ولا ينفع الرجل الفاسد صلاحها هي إن كانت سالحة ، يقول صلى الله عليه وسلم : يا فاطمة اعلمي لا أغنى عنك من الله شيئا .

• هل في نية الأزهر تدريس اللغة الإيطالية مع ما أدخل من لغات ؟

• فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : نعم وسنعمل على الانتفاع بهذه الدراسة لدعم الصلة بين الجمهورية العربية المتحدة وبين جمهورية إيطاليا ، وإن اليوم الذي يتبادل تعلم الإيطالية والعربية فتشبهوا معاني القرآن الجنة ، وتفهم بعض ما عندك ، فتجاوب وتتقارب ، فهو يوم سعادة إنسانية بما يحقق ذلك من خير للبدين ، أسأل الله تعالى أن يكتب الخير للإنسانية جمعاء .

• إلى أي حد اكتسب الإسلام بواسطة بعثاته ثقة الدول الإفريقية والآسيوية ؟

• اشترأت الدول الإسلامية : الآسيوية والإفريقية جميعها نحو أزهر الجمهورية العربية المتحدة تطلب منه الأساتذة المرشدين ، وتوفد إليه أبناءها ليعودوا إليهم هداة ومرشدين ، وكذلك يتجهون إليه يستفتونه في كل مشاكلهم الدينية والدنيوية .

• ما هي وجهة نظر الإسلام تجاه مشكلة تحديد النسل التي تعتبر ضرورية في مصر ؟

• إن كلمة تحديد النسل بهذا التقيد وبمعنى إيقاف النسل إلى حد معين لا يتفق مع أمة تريد النهوض والقوة ، واتساع العمران ، وكثرة الأيدي العاملة في الزراعة والصناعة ،

## أحاديث الأستاذ الأكبر

والمشروعات الهامة العامة ، وهو فوق ذلك لا يتمق وما حثت عليه الشريعة الإسلامية من الزواج ، وما ينته أيضا من امتنان المولى على الناس نعمة البنين والحفدة ؛ كآثر من آثار الزواج مع طمأنينة النفوس على الرزق إذ يقول جل شأنه : **وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ، وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَجَاءَ فِي وَصَايَا الرَّسُولِ ( تَنَاجَوْا تَنَاسَلُوا تَكَثِّرُوا )** فإن مباءة بكم الأمم يوم القيامة ( ، وسوداء ولود خير من حسناء عقيم ) و ( من ترك الزواج مخافة العيال فليس منا ) ، والقرآن ينهى على أهل الجاهلية قتلهم أبناءهم مخافة الفقر ، ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، وفي آية أخرى : **نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ،** وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى قد أعد مائدة لعباده في ظاهر الأرض وباطنها ، ولا يمكن أن تصيق عن حاجتهم وحاجة نسلهم مهما كثروا ومهما عاشوا ، وبذلك ترى أن التحديد بهذا المعنى العام تأباه طبيعة الحياة ، وحكمة الحكيم تأباه ، وتنبه الوعي القوي لا يرصاه ، وكذا فإن الشريعة الإسلامية كما تبين من الآيات والأحاديث ، تمنعه ولا ترصاه .

أما تحديد النسل بمعنى تنظيمه بالنسبة :

( أولا ) للسيدات اللاتي يسرع إليهن الحمل .

( ثانيا ) بالنسبة لذوى الأمراض المنقولة .

( ثالثا ) بالنسبة للذين تضعف أعصابهم عن مواجهة المسؤوليات .

أقول : إن تنظيم النسل لشيء من هذا ، وهو تنظيم فردي لا يتعدى مجاله شأن علاجي تدفع به أصرار محققة ، والتنظيم بهذا المعنى لا يجاق الطبيعة ولا يأباه الوعي القوي ولا تمنعه الشريعة ، إن لم تكن تطلبه وتحث عليه .

ذلكم أن القرآن حدد مدة الرضاع بحولين كاملين ، وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يرضع العفل من ابن الحامل ، وهذا يقتضى إباحة العمل على وقف الحمل مدة الرضاع ، وإذا كانت الشريعة تتطلب كثرة قوية لا هزيلة ، فهي تعمل على صيانة النسل من الضعف والهزال ، وتعمل على دفع الضرر الذى يلحق الإنسان في حياته ، ومن هنا قرر العلماء إباحة منع الحمل - مؤقتا - بين زوجين - أو دائما بهما أو لأحدهما - من شأنه أن يتقل في الذرية والأحفاد ، وهكذا نرى أن الشريعة تحافظ على قوة الأمة ، وقوة أفرادها ، وتباعد بينها وبين أسباب الضعف ، فإن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

## أحاديث الأستاذ الأكبر

والجمهورية العربية المتحدة مع هذه المشروعات الضخمة الصناعية والزراعية أشد حاجة إلى النسل الكثير القوى .

وبهذا يتبين لنا أن الشريعة الإسلامية تبيح « تنظيم النسل » لا تحديده .

« ما رأى فضيتكم في كيفية حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ومشكلة إسرائيل ؟

وهل توجد قرابة بين اليهود والعرب ؟ وهل يمكن العيش في ظل الخلافات والمنازعات الدائمة

بين العرب واليهود ؟

لا حل لهذه المشكلة إلا بأن يعود اللاجئين إلى أوطانهم التي منها أخرجوا نفيًا وعدوانًا ، وأن يتحلى الاستعمار عن دسائسه ، فهو الذي أوجد هذه المشكلة وأثار هذا الخلاف ؛ ليستطيع أن يعيش في الشرق العربي ؛ لأنه لا يستطيع أن يعيش إلا مع هذا الخلاف وذلك الانقسام ، ولو ترك الاستعمار العرب واليهود لعاشوا في نألف وتعاون إخوة متحابين كما كانوا يعيشون قلا ، وكما يعيشون اليوم في الأقطار العربية المختلفة .

وإذا كثر الناس جميعاً يرجعون إلى أصل واحد « يأياها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً » ، « يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » ، ويناديهم المولى دائماً في القرآن ، إثارة لمعانى الود ، وتقريباً للنفوس « يا بني آدم ، « يأياها الناس » ، فيردم إلى أصل واحد ، ويربطهم برحم واحد ، ويخضع عليهم وصف الإنسانية منبع العلم والحكمة ؛ فإن واجب رجال الاستعمار إن كانوا يؤمنون بمعنى الإنسانية الفاضلة التي يزعمون أنهم وضعوا حقوقها وأنهم حراس عليها ، إن واجبهم يقضى عليهم بالتخلي عن موقفهم من إثارة نار العداوة والبغضاء بين العرب وغيرهم ، وأن يتركوا للعرب أرضهم التي جعل الله لهم فيها معاش ، وطلب منهم أن يعمروها ، فيعود الوتام والسلام إلى هذه المنطقة بل إلى الإنسانية كلها ، وهذا ما تطله الأديان ، وتدعو إليه الشرائع ، وهذه دعوتنا نعلنها على زعماء الأديان وقادة السياسة ، وهي دعوة السماء إلى أهل الأرض ، « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه » ، ولا تقبموا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذاكم وصاكم به لعلكم تتقون » ؛ حتى يستقر السلام ، ويظهر العالم من البغي والعدوان ، ويعيش في أمن ورفاهية وطمأنينة .

وفق الله الجميع لخدمة الإنسانية ، وأزال عنها كابوس البغي والعدوان .

## الأستاذ الأكبر يشرح رسالة الأزهر في العصر الحديث

وكتب مندوب « المساء » يقول :

بدأت حديثي مع الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر ، بسؤال عن الوسائل العلمية التي يراها كفاية بأداء الأزهر رسالته في عصرنا الراهن فأجابني بقوله :

رسالة الأزهر رسالة ضخمة فهي ليست من الرسائل الخفية ، وإنما هي أعم من ذلك وأشمل . فهي رسالة تتجاوز ظاهر الحياة إلى باطنها ، وتتجاوز توصيل المعرفة للفرد والجماعة إلى تنمية العلاقات بين الشعوب الإسلامية من ناحية ، ونشر ثقافة الإسلام في جميع ربوع العالم من ناحية أخرى .

والأزهر في وضعه الحاضر لا يؤدي هذه الرسالة إلا بالأسلوب التقليدي القديم وإلا في نطاق ضيق محدود ، ونحن الآن أمام هذا الوضع بين عاملين . . إما أن تعدل الأوضاع ونيسر للأزهر مهمته ، وإما أن نبقى في ظل هذه الآفاق الضيقة ، ونخضع للأساليب القديمة ، ونظل هكذا حتى يفوتنا القطار ، ثم تندب الخط بعد ذلك ونعتب على الأيام .

وقد لمست والحمد لله من السيد الرئيس عنايته الشاملة بالأزهر ، ورعايته له ومساعدته على أن ينهض برسالته ويؤديها خير أداء ، وأمام هذه الروح الكريمة لم يبق أمامنا إلا أن نسارع لتحقيق أمل المسلمين في العالم الإسلامي في هذا المعهد الكبير .

تخرج علماء أقداد :

ومن أجل تحقيق هذه الغاية ، لا أريد أن يخرج الأزهر المتعلمين فيه تخرجاً مدرسياً فقط ، وإنما نعمل على أن يخرج أئمة في اللغة وفروعها ، وأئمة العقيدة والأصول ، لا نريده تخرجاً تلزم فيه غلظة الماضي من آراء ومذاهب ، بل يجب أن نجتهد وأن نؤمن بأن حاجة اليوم في العقيدة واللغة وعقائد الدين غيرها بالأمس .

قلت لفضيلته : إن الرأي السائد أن باب الاجتهاد قد أغلق وأن لا مجال للاجتهاد الآن ، فرد علي في غضب وقال :

## أحاديث الأستاذ الأكبر

هذا غير صحيح إنه إفلاس من الذين يذيعون مثل هذا القول . . غير صحيح ما يقال من أن السابقين جاءوا على كل ما يمكن أن يجيء به الزمن ، وما يحدث للناس من أقدسية وحاجات ، علينا أن نؤمن بأن فضل الله لم يكن وقفا على الأولين .

### تعديل المناهج :

قلت هل أفهم من هذا أنكم بصدد تعديل مناهج الدراسة . فأجابت قائلاً :  
هذا إجراء لابد منه ، وعندنا كنوز مطمورة أو ضائعة في غمرة نظام التأليف القديم ، فالفقه الإسلامى كما تعلم ثروة من ثرواتنا الثالية ، ولكن محاسنه غير واضحة المعالم في الكتب الموجودة الآن ، ولا بد من تنظيم هذا الفقه تنظيمًا يسر الانتفاع به لكل من يريد الانتفاع . وعلى سبيل المثال أسوق لك أننى فى مؤتمر لاهائى الذى عقد فى سنة ١٩٣٧ للقانون المقارن ، قدمت بحثاً عن المسؤولية المدنية والمسؤولية الجنائية فى الشريعة الإسلامية ، وقدمت لهم نوعاً جديداً من المسؤوليات لا تعرفه القوانين ، موجود عندنا فى الفقه الإسلامى وهو المسؤولية السلبية ، وهو تمصير الإنسان فى عمل توجبه الإنسانية ، وذلك كما لو منع إنسان الماء عن آخر حتى مات . أو ترك مبصر أعمى يتردى فى هاوية ولم ينقذه ؛ فالشريعة الإسلامية تحاسب على هذا العمل ولا تعفى صاحبه من المسؤولية .  
هذا النوع من المسؤولية الإنسانية فى روايات كتب الفقه غير مبرز وغير واضح لمن يريد الوقوف عليه .

### تنظيم الفقه الإسلامى :

وراجبنا أن نعيد تنظيم الفقه الإسلامى ، وأن نوضح مقاصده ، وأن ننظم مسائله . وليس هذا لحسب ولكنه جزء من مهمتنا ، وعلينا بعد ذلك واجب آخر لا يقل أهمية عن هذا الواجب ، وهو ربط الفقه بالحياة العامة ، ومعرفة رأيه فى كل مسألة من المسائل المستحدثة . وعلى هذا النحو سيكون نظرنا لجميع مناهج التعليم فى الأهر حتى نسمو بها ، ونفيد منها ويستفيد .

### التنظيمات الجديدة :

وقلت لفصيلته : أريد أن أعرف المغزى من وراء التنظيمات الإدارية الجديدة التى صدرت أخيراً فأجاب بقوله :



## أحاديث الأستاذ الأكبر

هذا التنظيم كان ضرورة لا بد منها لتنسيق الأعمال وتوزيع الاختصاصات ، فكلية الأزهر لم يكن لها من قبل إدارة خاصة بها ، وكانت شئونها موزعة هنا وهناك بين الإدارات المختلفة بالأزهر ، فسمكت على أن تستقل هذه الكليات بإدارة خاصة تعنى بشئونها وتنظيمها وبتسيير أمورها ، وسيكون مديرها على صلة وثيقة بعمداء الكليات ، وكذلك الحال بالنسبة لشئون المعاهد الدينية مع مدير إدارتها .

قلت : وهل سيتبع هذا التنظيم إعادة النظر في تكوين هيئات التدريس بالكليات ؟

فقال فضيلته :

بطبيعة الحال ، سيكون من اختصاص مجلس الجامعة الأزهرية إعادة النظر في هيئات التدريس وتنظيمها من جديد ، تنظيماً يحقق الغاية المنشودة ، ويزيل كل أسباب الشكوى ، ويعمل على حفظ حقوق الأساتذة .

### تعديل قانون الأزهر :

وقلت للأستاذ الأكبر : إن التنظيم الجديد سيستدعى بالطبع تعديلات في قانون الأزهر فقال :

إن قانون الأزهر يحتاج إلى مراجعة عامة ، لا فيما يتعلق بهذه التنظيمات والاختصاصات لحسب ، ولكن في كل ما يتعلق بشئون الأزهر .

واستطرد فضيلته قائلاً : إن نظام التعليم والمناهج الحديثة التي سيدرسها الطلاب مع إتقانهم للغات الأجنبية ، ستؤهلهم لأن يكونوا أئمة في ناصيتهم ، مطلوبين للعمل في كل مكان ، ومن لم يجد منهم عملاً في الداخل سيجد أمامه في كافة أنحاء العالم الإسلامي مجالاً للعمل والخدمة العامة .

والذي أطلبه من إخواني الأزهرين جميعاً ، أساتذة وطلاباً أن يؤدي كل واحد على وجه يرضى الله ويرضى الضمير ، مع شعور بالمسئولية الكبيرة الملقاة على عاتقهم نحو وطنهم العربي ، ونحو العالم الإسلامي . فالعمل الخالص لوجه الله أساس كل نجاح .

فإنه لما وضع رجال ثورتنا هذه المبادئ الخالصة لوجه الله نصب أعينهم ، مد الله إليهم يد المعونة ووفقهم ، ووصلت البلاد على أيديهم إلى ما نراه اليوم من عز وسؤدد .

## حديث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر ، مع مندوب جمعية الشعب

جلست إلى الشيخ الأكبر . . إلى شيخ الجامع الأزهر . . إلى إمام المسلمين ورائدهم . . إلى الصيحة القوية التي ظلت تدوى أعواما طويلا ، مطالبة بالخروج بالأزهر من روتينه العتيق ، ومسايرته لتطورات العصر الحديث بما يستحق من علوم وآداب .

وكان لابد من سؤال أبدأ به حديثي ليكون أول رد في حديث الشيخ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بعد توليه منصبه الكبير . قلت لفضيكت :

• ما هي رسالة فضيلتكم في العهد الجديد ؟

— إن الحديث عن رسالة الأزهر ليطول بقدر ما سلح الأزهر في الحياة العامة من قرون تاوأت فيه الأحداث ، فصمد أمامها ، ووقف دونها محامضا على كيانه وقوته ، مؤديا مهمته في الحفاظ على اللغة والدين ، منخليا العقبات التي اعترضت طريقه ، حتى سلطنا هذه الأمانة في عصرنا الحديث ، إنني إذ أحدثك عن رسالة الأزهر فإنما أجعل لك القول في نواح خاصة أحدها بها هذا الموضوع فيما يأتي :

١ — رسالة الأزهر في ذاتها ، وما يجب أن يكون عليه الأزهر حتى تؤدي هذه الرسالة . وإن رسالة الأزهر في ذاتها هي تراث الفكر الإسلامي العميق الأصيل ، بل هي الحياة الإسلامية السليمة ؛ لأن مصدر هذه الثقافة هو القرآن الكريم وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، إن الأزهر بقيامه بهذه الرسالة إنما يحقق أمل المسلمين ، ويحمي آمال العروبة التي خدمها ، وقام على نهضتها والحفاظ على تراثها عن طريق دراسة القرآن العربي المبين ، الذي جعل الله له القدوة على أن يحمل من غير المسلم مسلما ، واستطاع أن يحمل من غير العربي عربيا ، وبذلك اتفتت العروبة والإسلام في صحن الأزهر وفي أروقه ، وفي كل مكان تنبض فيه الحياة العلمية . وإن مهمة الأزهر لم تسكن في يوم ما مهمة تخريج مدرسين ومعلمين فقط ، إنما تنظم أول ما تنظم أمرين هما أهم ما يجب أن يناط بالأزهر :

أولها : تخريج أئمة مبرزين في اللغة وفروعها ، ورجال بحث واجتهاد سليم ، وإبتكار مفيد ، وإنني لا نريده تخريجنا نلتزم فيه مخلفات الماضي من آراء ومذاهب ، بل يجب أن

## أحاديث الأستاذ الأكبر

نجتهد وتؤمن بأن حاجة اليوم في الفقه واللغة وعقائد الدين غيرها بالأمس ، وأن فضل الله لم يكن قصرا على أولئك الأولين .

ثانيا - تخريج دعاة ومرشدين أقوياء في العلم والإدراك والتدين ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن الدعوة إلى الله .

ومن هنا يتضح لنا جميعا ما يجب أن يكون عليه الأزهرى - من أنه ليس أستاذ فصل أو فرقة ، إنما هو قبل ذلك أستاذ علم وبحث ، وأستاذ دعوة وإرشاد . وبذلك كانت مدرسته الشعب كله ، والعالم الإسلامى أجمع ، وكان طلابه المسلمين في جميع بقاع الأرض بكل طبقاتهم وأجناسهم ولغاتهم وأقطارهم ، وهذا هو ما يجب أن يشاد عليه صرح الأزهر في نهضته في عهد النهضة المباركة للجمهورية العربية المتحدة .

ومن هنا يتبين أن رسالتى هي تحقيق هذه الآمال ؛ ليؤدى الأزهر مهمته السامية نحو وطننا العربى والإسلامى ، هذه وجهتى وتلسم طريقي ، وإننى والمسلمين في أنحاء الأرض لتتجه إلى الله في تحقيق هذه الرسالة على يد الشباب المؤمن القوى الرئيس جمال ، الذى أحيا موات هذه الأمة ، وجعل في كل ناحية نهضة ، لتتجه إلى الله أن يديم له التوفيق في خدمة لغتنا ودينتنا وقوميتنا ، بما يمد به الأزهر من ثنون وتوجيه .

## برنامج الأزهر

• في محاضرة عامة عام ١٩٤٢ تحدثت عن برامج الأزهر وطالبتهم ببحثها وتغييرها ، فهل لازلتُم عند هذا الرأى ؟

- أجل يا أخى : فإننى متمسك بنظرى في وجهة الإصلاح ، ولا أحيده عنه إلا لما هو أكثر صلاحية ، وإننى وإن كنت قد أبدت وجهة نظرى في إصلاح الأزهر في الوقت الذى أشرت إليه ، فإن الأزهر اليوم لسميد بأن تحقق له هذه الآراء ، وأن تجد لها مجالا من الحياة ، إذ قد شمع من الشرق على العالم كله نور الإصلاح الذى حملته ثورة مصر الحديثة ، على يد قائدها وبطلها الذى يولى الأزهر عنايته الكبرى ؛ إيماناً منه بدينه وعنايته القوية .

هذه هي وجهتى في إصلاح الأزهر كما قدمت ، وكما ذكرت في رسالة الأزهر ، التى يبيتها في المؤتمر الثماني في الصيف الماضى - وهى مهمة كبيرة ، وععب يحتاج إلى التعاون ، وإن

## أحاديث الأستاذ الأكبر

تفق في إخواني وأبنائي الذين يتعاونون معي ، ويشاركونني تحمل هذا العبء ، بعد إيماني بالله وتوجهي إليه ، ثم معاونة رجال الحكومة وعلى رأسهم الرئيس العظيم ، وهم أمل هذه الأمة ، وروح هذه النهضة . لتجعل الأمل قوياً في أن يصل إصلاح الأزهر إلى غايته التي يعلق المسلمون عليها آمالاً كباراً .

## رسالة الجامعة الأزهرية

• الجامعة الأزهرية - ولاشك - من أقدم الجامعات في العالم فإذا أعدتم لها تتويجاً رسالتها في عهدكم نحو المسلمين في جميع بقاع العالم ؟

— الأزهر يا أختي هو الجامعة الوحيدة في العالم التي تضم أمم الأرض بين أحضانها ، وتحنو عليهم وتوجههم ، ثم يعودون إلى أوطانهم التي تفروا منها مفقدين لقومهم . الأزهر فيه السوداني والمصري ، والحبشي والسنغالي والجزائري ، وفيه اليمني والأندلسي ، والفلبيني ، وفيه التركي واليوناني والألباني ، واليوغسلافي والروسي ، وفيه الصيني والهندي ، وفيه وفيه . الخ . وأود أن يعلم الناس جميعاً أنني معني كل العناية بمعهد البحوث الذي يضم هؤلاء جميعاً ، فإنهم رسل بيننا وبين بلادهم ، بل هم نشرات حية إلى الأمم المحبة للسلام في الأرض ، ومن أجل ذلك كله عنت كل العناية بإصلاح مناهج الدراسة في هذا المعهد ، بحيث يفيد كل وافد إلى الأزهر ، ويبدأ لأن يعيش في بيئته على الوجه الذي يحقق له حياة سعيدة ، فأمرت بتشكيل لجان لبحث المناهج فيه ، ورسم الخطط التي تحقق هذه الغايات جميعها ؛ وذلك ليحقق الغاية التي لأجلها بعث المسلمون بأبنائهم إلى الأزهر . وحتى يكونوا نشرات متطورة إلى أممهم ، رابطين بيننا وبين أممهم بألوان الصلات والود ؛ بما يحقق السلام في الأرض .

وأما البحوث التي يرسلها الأزهر إلى البلاد العربية وغير العربية ، فإنني حريص على ألا أرسل إلا الصالح الذي يستطيع أن يؤدي رسالة الجمهورية العربية المتحدة في عصرها الزاهر ، ونهضتها المباركة ، ولعلك عرفت بعض ذلك عند ما تكلمت معك عن مسابقة اللغات ومعهد الإعداد والتوجيه .

## الكتب الصفراء

• الكتب الصفراء تشغل الآن كثيراً من الأذهان ، فهل لكم رأي فيها يوضح الرأي والاتجاه حيالها ؟

## أحاديث الأستاذ الأكبر

— إن الكتب الأهرية القديمة التي تركها لنا الأولون ، والتي خرجت جهابذة العلماء ذات قيمة علمية ، ولا دخل للون الورق فيها بياضا أو صفرا ، وإنما قيمة الكتاب فيما يحويه من أفكار سليمة أو غير سليمة ، وإتنا لا ننكر أن بعض الكتب للأساور موضوعاتها ، ولا طريقة عرضها روح العصر ، ولذلك فإنني حريص كل الحرص على أن يوجه الطلاب إلى النافع منها ، وأن تقوم اللجان التي ستؤلف لبحث المناهج والكتب بالعمل على أن تصل الطالب بيئته وبالجزء المحيط به ، من ناحية دينه ووطنه وقوميته ، فإن عقلية الأزهرى تنسج لما توجه إليه من علوم ومعارف ، فأولى بها أن توجه التوجيه الصالح .  
ويذكرني هذا الحديث بما دار حول « غطاء الرأس » واختلاف الرأى فيه . وكان ردى « أن العبرة بما فى الرأس وليس بما يغطى الرأس » .

## مسائل تربوية

• لقد اجتمعتم بالسيد كمال الدين حسين ودام الاجتماع وقتا غير قصير . فهل دار بينكما حديث حول الثقافة والتعليم ؟ أم كانت الزيارة للتهنئة بالشفاء وخالص التحيات ؟  
— إن السيد كمال الدين حسين من حيرة الشباب الناهض الواعى ، وقد تحدثنا فى كثير من المسائل التربوية ، وقد شكرت لسيادته حرص الحكومة على تثقيف أبناء الأمة تثقيفا دينيا ، وما أجل هذا الحرص عندما يأتى من الحكومة والأزهرى وقت واحد .

## ترجمة القرآن

• هناك محاولات فردية يبذلها البعض لترجمة القرآن الكريم . . فما رأيكم فى ذلك . ؟ وهل تقومون من جانبكم بهذا العمل الجليل وتحمل مسئولياته ؟  
— إننى معنى كل العناية بإصلاح نظام جماعة كبار العلماء ، حتى تؤدي مهمتها ، وتحقق الغرض من وجودها ، وسهيا لها فى القريب العاجل إن شاء الله النظام الذى يمكنها من أداء مهمتها فى الثقافة التي يرجوها المسلمون على أيدي علماهم ، ويوم أن يتكامل هذا النظام سيكون ضمن مهمة الجماعة وضع تفسير سهل للقرآن الكريم . . منفع النور والهداية ، ثم يترجم هذا التفسير إلى اللغات الشرقية والغربية ؛ ليفضى على ماغرسه الاستعمار فى عقول كثير من أبناء المسلمين من أفكار خاطئة جعلتهم شيعا وأحرابا . . وغير ذلك من المشروعات المساعدة فى الوصول إلى هذا الهدف العظيم .

## أحاديث الأستاذ الأكبر

### العصية المذهبية

• يتخذ الاستعمار من العصية المذهبية وسيلة للفرقة بين المسلم والمسلم ، فهل وضعت أمام أعينكم هذا الاعتبار ، وحاربتم وقضيتهم على هذه العصية كوسيلة من الوسائل الاستعمارية التي يجب التخلص منها ؟

— يا أخى إن الاستعمار كما قدمت لك قد غرس مبدأ « فرق تسد » ، واستغل بعض الخلافات المذهبية في تنفيذ هذا المبدأ ، وإلى أرجو أن يهيا للأزهر الوقت الذى يستطيع فيه التمرير بين المذاهب المختلفة ، فكلها يتجه إلى غاية طيبة ، والكل يتفق فى المنبع الذى يتصل منه ، وهذه الخلافات إنما جرت للسلبين نتيجة لآراء المتأخرين المتعصبين من الفقهاء ، وفى المناهج التى أرجو أن تحقق إن شاء الله فى الكليات . من الفقه المقارن وغيره ، ما أمل أن يقضى به على هذه العصية التى أثرت فى وحدة المسلمين .

### النشاط الرياضى والاجتماعى

• يقولون إن العقل السليم فى الجسم السليم ، فهل فى برنامج فضيلتكم ما يقوى الأبدان من نشاط رياضى واجتماعى إلى جانب الثقافة النظرية ؟ . .

— فى علوم الأزهر وجهة البحث العميق ، والاستنباط من المصادر الأولى الشرعية واللغوية ، مع المقارنة بين الآراء والأفكار ، فيما قد يكون فى المسألة من مذاهب وآراء ، وهو كثير فى علمي الأحكام والعقائد .

وإلى وأنا المؤمن بأن ما للتربية الرياضية والاجتماعية من أثر محمود فى بناء الفرد الصالح للجموع ، فقد عنت العناية الكاملة بالنشاط الرياضى والثقافى والاجتماعى ، وقضيت على المركزية فجعلت كل معهد مستقلا فى ميزانية النشاط يوجهها فى طريق مصلحة الطلاب وخدمتهم ، تحت إشراف مراقبة أشد فى الأزهر لهذا الغرض . وهى تقوم بمهمتها خير قيام . وأحب أن أنبه إلى أن النشاط الرياضى يختلف أنواعه ونواحيه فى كليات الأزهر ومعاهده قائم على أتم وجه ، ولا أقول إنه بلغ السكال فأنتى معنى بأن يزيد ويتكامل ؛ فإن الدين الإسلامى يحث على هذا ، ويثبته إليه إذ أن العقل السليم فى الجسم السليم ، « والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

## أحاديث الأستاذ الأكبر

وأما النشاط الاجتماعي فهمة أساسية من مهمة الأزهر ، وذلك فضلا عن الدراسات الاجتماعية التي أقبل عليها طلاب الأزهر ، واتجهوا إليها فأثبتوا فيها نفوقا وتقدما ، وإن المجلس الأعلى لرعاية الشباب الذي يعنى بهذه النواحي ، ليجد في الأزهر الخاضعات الطيبة الأصيلة . وإننا نرجو أن يعنى المجلس إن شاء الله بزيادة ميزانيته في الأزهر في العام القادم ، فقد اتبعت أن أنشئ في الميزانية الجديدة مراقبة مستقلة للتربية العسكرية والنشاط الرياضي والاجتماعي ، وأظن أن الإقليم الجنوبي قد رأى القوة العسكرية التي أبداهها طلاب الأزهر في العرض العام الذي أقيم في يوم عيد النصر ، كما شهدنا أخيراً في العرض العام الذي أقيم بمناسبة مؤتمر الشباب الآسيوي الإفريقي ، الذي يضم مختلف الجنسيات الممثلة في الأزهر ، والتي تسهم في نشاطه الثقافي والرياضي والاجتماعي . ولعل ذلك كله قد لمسه حينما قرأت كتابي « منح القرآن في بناء المجتمع » ، فإن للقرآن الأثر القوي في خلق المجتمع المحي بالقوى السلم .

## سن القبول

• يتردد أن في النية تعديل سن القبول بالأزهر فما الغرض من هذا التعديل ؟ .

— إن ما سمعته صحيح فالتفكير جاد في أمر تخريج الأزهري ذي القدرة على مواصلة الدرس والشقيف ، وخاصة بمدى فهم جميعات المحاضرة على القرآن الكريم إلى الأزهر . وسيدرس هذا الموضوع ويبت فيه عند إعادة النظر في المناهج الدراسية .

## معهد الفتيات

• سمعنا عن فكرة إنشاء معهد للفتيات ولم نستبعد هذه الفكرة ، لأن في التاريخ الإسلامي ما يثبتنا بوجود قاصيات ومشروعات ومحدثات في الدين . . فما رأى فضيلتكم في هذا الشأن ؟

— إلى الآن لم نصل إلى الوقت المناسب لإنشاء مثل هذا المعهد . . ثم إن بعض الوعاظ في بعض المساجد يقومون بإلقاء الدروس على السيدات في أوقات معينة ، ولعل ذلك يكون النواة والتمهيد لإنشاء مثل هذا المعهد في الوقت المناسب .

## أحاديث الأستاذ الأكبر

### معهد المحلة الكبرى

• يقولون إن معهد المحلة الكبرى لم يفتح حتى الآن . وكان من الممكن أن يكون ذلك منذ بدء الدراسة أو بعدها بقليل . فما الداعي لهذا التأخير ؟

.. إن افتتاح مثل هذا المعهد أى خلقه وتكوينه يحتاج إلى وقت حتى لا يكون عملنا أرتجاليا ، ونواجه المشكلات الواحدة تلو الأخرى بعد التمهيل في افتتاحه .

إنما نحن سائرون في استكمال أجهزته وهيئة تدريسه وأدواته ؛ حتى يبدأ ويسير دون عقبات أو مشكلات ( كان هذا الحديث قبل افتتاح المعهد ) والآن قد تم بفضل الله ، ثم بمعونة السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، افتتاح هذا المعهد افتتاحا كاملا ، كما يريده المسلمون عامة ، وشعب الجمهورية العربية المتحدة خاصة ، وذلك تحقيقا لخطوط الإصلاح العريضة التي رسمها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

• تدريس اللغات الأجنبية في الأزهر خطوة جريئة . فما الداعي لتعجيل بها وإجراء المسابقات في هذه اللغات ؟

— أنت تعرف والمسلمون جميعاً أن الأزهر هو قبلة الأنظار في جميع الأنظار ، يفد إليه الطلاب من كل صوب ، ومن مختلف الجنسيات والبيئات ، ولما كان كثير من المسلمين في مختلف أنحاء الأرض لم تمكنهم ظروفهم الخاصة من تلقى ثقافتهم العربية والإسلامية من منابعها الأولى في الأزهر ؛ لأن الاستمرار عمل جامعا على إعدادهم عن لغة القرآن وتعاليمه ، التي تبعث في نفوسهم معاني العزة والكرامة ؛ لذلك فهم يتوجهون إلى مشيخة الأزهر بطلبات كثيرة يبررون فيها عن مسبب حاجتهم إلى الأزهر ، بمدى بعلمائه حيث يزودونهم بمصادر الثقافة الإسلامية بلغاتهم الخاصة ، ورسالة الأزهر تقتضيه أن يجيب هذه الرغبات ، مع ملاحظة أن يكون العالم المبعوث إلى هذه الجهات ملما بلغتهم فوق إلمامه بالثقافة الإسلامية . لذلك قد اتجهت لتحقيق هذا الغرض من طريقين . أولهما : اختيار من يصلح لأداء هذه المهمة من المتخرجين في الأزهر المجيدين للغات الأجنبية ، لبعثهم إلى هذه الجهات . وذلك عن طريق مسابقة أجراها الأزهر في شهر ديسمبر الماضي . وكانت نتيجتها طيبة ، تبعث الأمل في أن الأزهر يأنفقه سيحقق أمل المسلمين فيه ، وستعقد هذه المسابقة في كل ستة أشهر لاختيار الصالح من المتقدمين ليكون رسول الأزهر إلى إخوانه المسلمين .



## أحدث الأستاذ الأكرم

وقد نصح في هذه المسابقة تسعة وثلاثون أزهرياً في اللغات الثلاث ، الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وستحدد الإجراءات السريعة لهذه المتفوقين منهم فوراً ، وأما الباقيون من الناجحين فسيلاحظون بمهده الإعداد والتوجيه ، الذي يعتبر الأول من نوعه في تاريخ الأزهر ، والذي سيفتح أبوابه في الفصل الدراسي الثاني من هذا العام ، حتى يتم إعدادهم فيه إعداداً يلبون فيه بلغات البلاد التي يعيشون إليها ، وبعاداتها وتقاليدها ومذاهبها التي اتخذت سلاحاً في تقطيع ما بين المسلمين من صلات الرحم الثقافي الإيماني . . ويلبون أيضاً فيه بالثقافة الإسلامية الواسعة .

وأما الطريق الثاني فقد رأينا تدريس اللغات الأجنبية في المعاهد الدينية ، ومعهد البحوث الإسلامية والكتليات الأزهريّة ، وذلك ليتزود الطالب الأزهري مع ثقافته الدينية باللغات الأجنبية التي تمكنه مستقبلاً من أداء مهمته نحو إخوانه الذين لا يتكلمون العربية . وقد أدخلت فضلاً بالمعاهد الدينية والكتليات .

## نداء

وإنني لا توجه إلى إخواني وأبنائي الأساتذة والطلاب ، في أن يكونوا معاوناً لي في تحقيق هذه الغاية ؛ بأن يؤمن كل منهم بواجبه ، ويخلص الإخلاص كله في أدائه ، وأن يحرصوا على أداء الأزهر لرسالته نحو وطنهم العربي والإسلامي . وليكن لهم في رسولنا الأسوة الحسنة ، وفي زعيمهم وبطل نهضتهم ورجال ثورتهم القدوة الصالحة . والله المستعان ، عليه توكلت وإليه أنيب .

---

## أحاديث الأستاذ الأكبر

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شاتوت شيخ الجامع الأزهر يقول :

### الإسلام دين الوحدة

دعا الإسلام إلى الوحدة ، وجعل المحور الذي يتمسك به المسلمون ويلتصمون حوله هو الاعتصام بحبل الله ، وقد جاء ذلك في كثير من آيات الذكر الحكيم ، وأصرحها في ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

نهى عن التفرق ، والتفرق بعمومه يشمل التفرق بسبب العصية ، وقد صح « لا عصية في الإسلام » ، وبسبب المذهبية . وقد انبثقت المذاهب العقمية الإسلامية على كثرتها واختلاف طرقها من أصول واحدة هي « كتاب الله وسنن نبيه » .

#### الاجتهاد في الشريعة الإسلامية :

وقد كان للاجتهاد في الأحكام مجال واسع تفرقت به المذاهب وتعددت ، وعلى رغم تعددها واختلافها في كثير من الأحكام ، وتعدد الآراء في المسألة الواحدة ، فقد كان الجميع يلتفتون عند حد واحد وكلمة سواء ، هي الإيمان بالمصادر الأولى وتقديس كتاب الله وسنة الرسول ، وقد صح عن جميع الأئمة : « إذا صح الحديث فهو مذهبي » ، وأصبروا بقولي عرض الحائط » .

من هنا تعاون الشافعي ، والحنفي ، والمالكي ، والحنبلي ، والسني والشيعة ، ولم يندر الخلاف بين أرباب المذاهب الإسلامية إلا حينما نظروا إلى طرق الاجتهاد الخاصة وتأثروا بالرغبات ، وخضعوا للإيحاءات الوافدة فوجدت ثقبوب نفذ منها العدو المستعمر ، وأخذ يعمل على توسيع تلك الثقبوب ، حتى استطاع أن يلج منها إلى وحدة المسلمين ، يعزقها ويفرق شملها ويبيد العدواة والبغضاء إلى أهلها ، وبذلك دس فيها بينهم عقارب العصية المذهبية ، وكان من آثارها السيئة ما كان مما يحفظه التاريخ من تنازع أهل المذاهب بعضهم مع بعض ، وتحين العرص لإيقاع بعضهم لبعض ، والدين من ورائهم يدعومهم : هلبوا إلى كلمة الله « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ، وأصبروا إن الله مع الصابرين » .

## أحاديث الأستاذ الأكبر

### انتهى زمن هذه العصية :

هذا وقد مضى زمن تلك العصية الجاهلية ، واطلوت صفحاتها المظلمة ، وعرف المسلمون أن اختلاف الأشقاء لا يمكن أن يدوم ولا أن يطرد ، فلا بد أن يأتي عليهم يوم يحققون فيه نسبهم إلى أبيهم ، ويتنمون فيه إلى أصلهم الذي انبثقوا منه وتفرعوا عنه ، وأخذت هذه الروح تنمو ، وتضيق شقة الخلاف بين أهل المذاهب حتى اقتدى الحنفي بالشافعي ، والسني بالشيعة ، وتبذلت المنافع بينهم ، واتصلت الآراء وأخذ كل ينتفع بما في مذهب الآخر ، حتى وصلنا إلى وقتنا هذا ، وقد رأينا كتباً وخاصة كتب الحديث المعتبرة تعرض لمذاهب أهل السنة ومذاهب الشيعة المعتدلة من إمامية وزيدية ، وقد ترجع غير مذهب أهل السنة .

ولا أنسى أني درست المقارنة بين المذاهب بكلية الشريعة بالأزهر ، فكنت أعرض آراء المذاهب في المسألة الواحدة — وأبرر من بينها مذهب الشيعة ، وكثيراً ما كنت أرجع منهم خضوعاً لقوة الدليل .

ولا أنسى أيضاً أني كنت أقي في كثير من المسائل بمذهب الشيعة وأخص منها بالذكر ما نجد الناس في حاجة ملحة إليه ، وهو فيما يختص بالقدر المحصر من الرضا ، كما أخص بالذكر ما تضمنه قانون الأحوال الشخصية الأخير ، ونذكر على سبيل المثال المسائل الآتية :  
أولاً — الطلاق الثلاث بلفظ واحد فإنه يقع في أكثر المذاهب السنية ثلاثاً ولكنه في الشيعة يقع واحدة رجعية ، وقد رأى القانون العمل به ، وأصبحت الفتوى بمذهب أهل السنة لا يقيم لها وزن في نظر القضاء الشرعي السني .

ثانياً — رأى قانون الأحوال الشخصية في تنظيمه الأخير أن الطلاق المعلق منه ما يقع ومنه ما لا يقع تبعاً لقصد التهديد أو قصد التطلق ، ولكن مذهب الشيعة يرى أن تعليق الطلاق مطبقاً قصد به التهديد أو التطلق لا يقع به الطلاق وقد رجحت هذا الرأي ، وكثيراً ما أقيت به ، وكثيراً ما أذعته ، وكتبته في أحاديثي المتعلقة بالطلاق وأجوبة السائلين عن لم يقام الطلاق . وكم وكم . . . الخ .

والباحث المستوعب المصنف سيجد كثيراً في مذهب الشيعة ما يتسوى دليله ويلتزم مع أهداف الشريعة من صلاح الأسرة والمجتمع ، ويدفعه إلى الأخذ به والإرشاد إليه .

## أحاديث الأستاذ الأكبر

### دراسة الفقه بجميع مذاهبه المعروفة

ومن هنا قرأني إن شاء الله على أن أعمل على دراسة الفقه الإسلامي في كلية الشريعة بجميع المذاهب الفقهية المعروفة الأصول الفينة المعالم ، والتي من بينها دون شك مذهب الشيعة : إمامية وريدية .

وقد استجابت جماعة التفريب - القائمة في مصر من ستين ، والتي شاركت في تأسيسها من أول نشأتها ، وشاركت في رسالتها ودعوت إليها - لفكرة القضاء على العصبية بين أهل السنة والشيعة ، والرجوع بأهل المذهبين إلى الاعتصام بحبل الله ، والاتصاف حول المحور المقدس في رسالة محمد ( كتاب الله وسنة الرسول ) فطُبعت كتاب (مجمع البيان)

وقد دعا إلى طبعه من قبل أستاذنا المغفور له الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر الأسبق ، وقد كتبت مقدمته ، والكتاب لإمام من أئمة الشيعة وهو ( الإمام السعيد أبو الفصل ابن الحسن الطبرسي ) من كبار علماء الإمامية .

وبيني وبين كثير من أئمة الشيعة الإمامية رسائل تلافيت عند حد وجوب التفريب . ونزع ما بين الطرفين من عصبية أتهزها الأعداء والمستعمرون بين الشعوب الإسلامية في مصر وإيران والعراق .

ونذكر هنا من بين هذه الرسائل المكتوبة التي تبادلتها مع السيد المغفور له سماحة الإمام الأكبر ، محمد الحسین آل كاشغف الغطاء الشيعي النجفي صاحب كتاب ( أصل الشيعة وأصولها ) الذي طبع في مصر ، وكانت تلك المكتوبة في جمادى سنة ١٣٦٧ هـ ، على صاحبها أفصل السلام وأزكى التحية ، وقد نشر كتاب سماحته إلينا وردنا عليه في كتابه المذكور ( الطبعة العاشرة ) فيما بعد صفحة ٥٦ .

وها نحن أولاء ندعو باسم الله مرة أخرى ، وباسم كتاب الله وباسم الوحدة الإسلامية وباسم الاعتصام بحبل الله : ندعو علماء الفريقين إلى التفارب والمصافحة وأكرمهم عند الله أسبقهم إلى ذلك ، حتى تسد الثغوب التي فتحت في المصاحبي للمستعمر ، ويعود إلينا مجدنا وشعارنا وهو الوحدة الإسلامية .

وفق الله الجميع لما يرضى الله ، ويحقق هذه الوحدة ، ويبقى من بين أعضائها خيرٌ المستعمرين ، ودس الدسائس ، ويخلص الإسلام للسليين ، ويخلص المسلمين للإسلام .

الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر

# مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مجلة شهرية جامعة

بِصَدْرِهِمْ شَيْخُنَا الْأَزْهَرِيُّ أَبُو زَيْنَبٍ عَلِيٍّ

---

الجزء الثامن - القاهرة : شعبان سنة ١٣٧٨ - فبراير (شباط) سنة ١٩٥٩ - المجلد الثلاثون

---

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## شهر شعبان

إذا تحدثنا عن الأشهر والأيام والأمكنة ، وعن قيمتها في نظر الإسلام لحديثنا عنها في واقع الأمر هو حديث عما ارتبط بها من ذكريات وأحداث كانت لها دلالتها في تصوير بعض مبادئ الإسلام نفسه . ومن ذلك حديثنا اليوم عن شهر شعبان : فترى عائشة رضي الله عنها في حديث لها تقول فيه : « لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر أكثر من شعبان ، فإنه كان يصوم شعبان كله . وفي رواية كان يصوم شعبان إلا قليلا ، .

لحرص النبي صلى الله عليه وسلم على صوم شعبان أو صوم أكثره ، يعطى ما للصوم عامة من أهمية في حياة الإنسان وحياة المجتمع ، ثم ماله من أهمية على وجه الخصوص في شهر شعبان . وأهميته على وجه العموم ؛ لأنه وسيلة يصنع بها الإنسان نفسه وقلبه

ويجنب بها لسانه وسلوكه . ثم هو وسيلة من جانب آخر يلقى بها الإنسان أزمات الحياة الخاصة والعامة ، وما أكثرها وما أشدها في بعض الأحيان ، أما أهمية الصوم في هذا الشهر بخصوصه فهي : في أنه تمهيد لأداء واجب الصوم المفروض : وهو صوم رمضان . فإذا صام الإنسان بعض أيام هذا الشهر قلت أو كثرت . فسببشعر بأنه قد أعد نفسه لقبول صوم رمضان ، كما أعدها لأدائه إعداداً فيه رضا بنفسى وعدم مشقة في الأداء .

\*\*\*

ومما يربط بشهر شعبان أيضاً وله أثر في توكيد بعض مبادئ الإسلام ، ما يحدثنا به تاريخ الإسلام عندما اتصل المسلمون بغير المسلمين والتقوا بهم في بعض المواقع والحروب . فهو يحدثنا أنه في الأيام الأولى لولاية عمر رضى الله عنه التقى جيش المسلمين بجيش الفرس في شعبان ، في موقع يعرف « بالتمارق » في أرض الفرس ، وكان على رأس جيش المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفي . فلما انتصر المسلمون اتضح لأبي عبيد أن قائداً كبيراً من قواد الفرس وقع في الأسر ، وأمنه أحد المسلمين ، أى وعده بسلامة حياته من القتل . وهنا أشار بعض المسلمين على أبي عبيد بقتل هذا القائد فكان جواب أبي عبيد : « إني أخاف الله أن أقتله : وقد آمنه رجل مسلم ، والمسلمون كالجسد الواحد ، ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم » . وما صنعه أبو عبيد هنا هو تطبيق عملي لما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل « فيروى - في رواية البخارى - عن أم هانئ بنت أبي طالب أنها قالت : قلت يا رسول الله : زعم ابن أمي على ( رضى الله عنه ) أنه قاتل رجلاً قد أجرته ( أمنته ) فلان بن هبيرة - تعنى ( جعلة بن زوجها هبيرة بن وهب الخزومي ) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجرنا ( أمننا ) من أمن يا أم هانئ » .

فما وقع من أبي عبيد في خلافة عمر رضى الله عنه من أنه أحترم عهداً لأحد المسلمين ، أعطاه اليوم لمن وقف منهم بالأمس موقف العدو المحارب اللدود - وهو عهد تأمين سلامة والإبقاء عليه حياً لا يؤذى ولا يضار - هذا الذي وقع من أبي عبيد يدل دلالة واضحة على أن الروح الإسلامية ، وهى روح العفو والصفح عند المقدرة ، وعند الضر كانت سنة المسلمين الذين فهموا إسلامهم وأتبعوه في شئون حياتهم ، ثم يدل دلالة أخرى على أن الفرد

المسلم في المجتمع الإسلامي له كيانه وله احترامه ، لا يبلغه المجتمع ولا يضحى بإرادته ورأيه ؛ لأنها إرادة المسلم الذي يشعر في نفسه بمقومات مجتمعه ويحرص على كيانه كما يحرص على وجود نفسه ، ولذلك ما يلتزمه بعضهم يلتزمه البعض الآخر كما قال أبو عبيد نفسه : « والمسلمون كالجسد الواحد ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم » .

هذه الذكريات التي يرويها تاريخ الإسلام والتي تربط بشهر شعبان من شأنها أن تعيد إلى عقولنا صورة صحيحة سليمة لمبادئ الإسلام ، ومن شأنها أيضا أن تقوى في قلوبنا الإيمان به كنظام سليم للحياة الإنسانية التي لا صرح ولا انحراف فيها .

اليوم تحاول أن تغزو المسلمين - تغزو أسماعهم وعقولهم وقلوبهم - اتجاهات يحاول بعضها أن يلغى اعتبار الفرد كيانا في مجتمعه ، ويحاول البعض الآخر منها أن يجعل الفرد كل شيء ، يهون في سبيل فرديته وأنا نيته المجتمع الذي يعيش فيه .

ولكن الإسلام كما يبدو من هذا المبدأ وهذا التطبيق له الذي رويناه الآن - كما حدى ذكريات شعبان - يوضح لنا مدى احترام الفرد في مجتمعه ، شئ مدى حرص الفرد على هذا المجتمع .

الإسلام يريد فردا بتماما متعاوناً ، ويريد مجتمعا مكونا من أفراد لهم حريتهم ومشيتهم ، ولكن يعمر قلوبهم الإيمان بوجود هذا المجتمع وبالمثل التي يسعى إليها .

يقول القرآن الكريم : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . يريد أمة واحدة في مقوماتها وأهدافها ، أمة واحدة في عبادتها ربا واحدا ، أمة واحدة في تعاونها وتماسكها ، ولكن لأفرادها حريتهم ومشيتهم . حرية بعيدة عن الفوضى ومشية بعيدة عن الهوى والأنانية .

الدكتور محمد البهي

مدير عام الثقافة الإسلامية بالأزهر

## مسايرة القرآن للطبيعة الانسانية

من أم سور القرآن الكريم في جانب العناية بلفت الأنظار إلى المعاني النفسية التي تسيطر على الناس ، والتي تؤثر في تصرفاتهم واتجاهاتهم ومستقبلهم على وجه واضح بسورة الأنفال . نزلت هذه السورة بعد غزوة بدر التي كانت مبدأ انتصار المسلمين وبروزهم في الجزيرة العربية كدولة يحسب حسابها ، ولم يكن المسلمون قبل ذلك إلا جماعة من اللاجئين المضطهدين انحازوا إلى بلد آمن كثير من أهلها بما آمنوا به فأوهم ونصروهم ، وتقاسموا وإياهم مساكنهم وأسباب معيشتهم ، فعرف هؤلاء وهؤلاء باسم المهاجرين والأنصار : الأولون لهجرتهم ، والآخرون لنصرتهم .

كانت المثالية تسود هذا المجتمع قبل غزوة بدر على نحو رائج يحدثنا به أهل التاريخ ، وأصحاب السيرة والحديث ، وناهيك بمجتمع يصل التعاون فيه إلى أن ينزل الرجل عن إحدى زوجتيه فيطلقها لكي يمكن ضيفه من فرصة التزوج بها مكتفياً بالآخرى ، ثم لا ينزل عن زوجة ما ، ولكن يغير ضيفه بين الزوجتين كي يختار هو من تروقه منهما ، فينزل له عنها بالطلاق ، فيتزوجها .

وقد سجل القرآن الكريم هذا الخلق التعاوني الإيثاري الذي يبدو في مثل هذا المظهر فقال : « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم » .

فهناك حب متبادل بين أفراد المجتمع : الأنصار يحبون المهاجرين ، ولا يشعرون في أنفسهم بأية غصاصة أو أذى فقد عليهم فيما أوتوه ، بل يؤثرونهم على أنفسهم أعظم الإيثار ، والمهاجرون يحبون الأنصار فيرضون أكف الضراعة إلى الله تعالى أن يغفر لهم ولإخوانهم ، وأن يظهر قلوبهم من عوامل الغل والحسد التي تحتاج المحرومين حين يلقي صاحب النعم ، وهكذا يظل الجميع بحبة وسلام تابعان من القلوب ، باذيان في مظاهر التعاون الكامل ، والراحم التام ..



هكذا كان مجتمعهم قبل بدر ، يوم كانوا مضطهدين يخافون أن يتخلفهم الناس .  
وما أحسن ما كان يمثل به أبو بكر الصديق رضي الله عنه من شعر طفيل الغنوى  
في بني جعفر بن كلاب ، فقد روى المزياني في كتاب الشعر بإسناد قال : لما تشاغل  
أبو بكر الصديق رضي الله عنه بأهل الردة استبطأته الأنصار فقال : إما كلمتوني أخلاق  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فوالله ما ذاك عندي ولا عند أحد من الناس ، ولكني  
والله ما أوتى من مودة لكم ولا حسن رأى فيكم ، وكيف لا نحبكم ؟ فوالله ما وجدت  
لنا ولكم مثلاً إلا ما قال طفيل الغنوى لبني جعفر بن كلاب :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلت بنا نعمنا في الواطئين فولت  
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقى الذي لاقوه منا ملكت  
هم خلطونا بالنفوس وألجئوا إلى حجرات أدفأت وأظلت ا

• • •

تعرض هذا المجتمع المثالي المتضامن المترامح ، لأول مرة ، إلى ما تعرض له كل  
الجماعات من الوقوف أمام عوامل التخصيص والابتلاء ، وبجابهة الحوادث الطارئة التي  
تستدعي تفكيراً وتقديراً ، وموازنة وترجيحاً ، والتي تشتجر فيها دوافع الرغبة البشرية  
في إثارة السلامة والغنيمة ، ودوافع الواجبات الدينية والوطنية إلى التضحية وإنكار الذات ،  
وكان ذلك قبيل غزوة بدر ، وفي أثنائها ، وبعدها .

يصور القرآن الكريم موقف الرد في الإقدام على أخطار ملاقاته المشركين في بدر ،  
وينسب هذا الموقف إلى فريق من المؤمنين فيقول :

« كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك  
في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون . »

وإتنا لنلج الجهر المكفر الذي تشير إليه هاتان الآيتان ، فتدرك أنه كان هناك  
كراهية شديدة للانبعاث إلى القتال ، وأن فريقاً من المؤمنين كان يحمل لواء المعارضة ،  
وأن هذه المعارضة كانت من القوة والعنف بمنزلة كبيرة ، وما ظنك بمعارضة الرسول  
صلى الله عليه وسلم بصفها الله تعالى بأنها جدال له عن الحق بعد ما تبين ، ويصور مظهر  
أصحابها وهم يلحون فيها ويلجئون بأن مثلهم كمثل الذين يساقون إلى الموت وهم يشاهدونه

عيانا ، ثم ما بالك بمعارضة يقال في الانتصار عليها ، وإبطال ما يدعو إليه ، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، تصويراً لما احتاج الأمر إليه من الحسم بأن يكون الإخراج من الله لرسوله ، وبأن يعبر عن الله في هذا المقام باسم الربوبية إيماناً بما في هذا الإخراج من لطف الحبيب لحبيه ، وبأن يؤكد هذا الإخراج الرباني بأنه متلبس « بالحق » ، كل هذا يدل على أن الجوقيل هذه الغزوة كان جواً مليئاً بالمعارضة والخوف والتردد ، وأن هذه الغزوة ما كانت لتتم لولا لطف من الله وتدبير لرسوله ولدينه وللمؤمنين .

ثم يأتي بعد ذلك في القرآن الكريم تسجيل لموقف الإعراء الذي اقتضى الأمر أن يغري الله به المؤمنين ، وأن ينشط فيهم عوامل الأمل حتى تملب عوامل اليأس ، وأن يفسح المجال في هذا الأمل حتى للرغبات الشخصية البشرية تطلعا بهم في الحث على تحقيق أمر الله ، كل ذلك ندركه حين نسمع قوله تعالى :

« وإذا بعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » ، (١) .

تستطيع أن تدرك من هذا ما قاله المفسرون في أسباب النزول ، من أن القوم لم يكونوا يرغبون في قتال المشركين ، وإنما كانوا يقصدون طائفة العير التي كانت قادمة بالتجارة إلى مكة وعليها أبو سفيان بن حرب . وأن أبا سفيان أحس بذلك فأرسل إلى قريش أن أدركوا عيركم وأموالكم قبل أن ينير عليها محمد وأصحابه ، وأن قريشاً نفرت للنجدة ، وأن المسلمين وجدوا أنفسهم بذلك في موقف جديد : أيحولون وجوههم إلى الطائفة المحاربة وهي ذات الشوكة ، أم يمودون من حيث أتوا فإنهم لم يكونوا قد خرجوا للقتال ولا استعدوا للقتال ، وهذا هو موقف التردد الذي وقفوه ، والذي عرفناه .

ولقد أوحى الله إلى رسوله بوعد وعده المؤمنين وقطعه على نفسه : أن يظفرهم بإحدى الطائفتين ، طائفة العير أو طائفة النفير .

وهنا نقف وقفة يسيرة أمام ما يدل عليه هذا الوعد الإلهي :

إن الله تعالى هو خالق الإنسان ، وهو الذي يعلم ما توسوس به نفسه ، والإنسان

بطبيعته يكره القتال لأنه ينظر فيه إلى الجانب المؤدى إلى فئانه وبطلان سعيه ، فهو لا يخف إليه ، بل يحتاج إلى حث عليه ، وترغيب فيه ، ودعوة إليه باسم المعاني التي يؤمن بها ، أو باسم الرغبات التي يحب تحقيقها ، لذلك نرى القرآن الكريم يتحدث عن القتال وهو ناظر إلى هذه الطبيعة البشرية ، رام إلى علاجها ، فهو يقول : كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، [١] .

فقد احتاجت معالجة هذه الطبيعة الإنسانية إلى عدة أشياء جاءت بها هذه الآية الكريمة : احتاجت إلى بيان أن القتال فريضة مكتوبة ، ولا تجد التعبير عن المعروض بلفظ « الكتابة » إلا حيث يكون الأمر محتاجا إلى قوة في الإيجاب لتقله في التكليف ، مثل : كتب عليكم الصيام ، وكتبنا عليهم فيها أن النمى بالنفس ، [٢] وكتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين ، [٣] إلى غير ذلك [٤] ، واحتاجت إلى الاعتراف بأن القتال مكروه ، وهو كره لكم ، وهذا الاعتراف فيه فائدة تمهيدية لعلاج النفوس من هذه الكراهية ، فإني إذا اعترفت لمن تريد علاجه بالحقيقة التي يحس بها ولو كانت مرة أو كانت بما لا يثبت وما تريد عليه ، فإنه يأنس إليك ، ويسمع لتوجيهك ، إذ يعلم أنك منصف ، وأنت لا تنازع فيما لا مجال للزاع فيه ، فهي طريقة تربوية قائمة على الصراحة وعدم الهروب من مواجهة الواقع ، ثم تدرجت من هذا الاعتراف إلى بيان أمر لا تشكره النفوس ؛ لأنها جربت مراراً ؛ ذلك هو أنه ليس ما يكرهه الإنسان شرا دائما ، ولا ما يحبه الإنسان خيرا دائما ، فمضى أن يكون وراء المكروه خير والإنسان يحمله ، وعسى أن يكون وراء المحبوب شر وهو لا يعلمه ، واقموحده هو الذي يعلم عاقبة الأمور ، فإذا أمر بشيء أو نهى عن شيء ، فإن أمره ونهيه هما المصلحة والخير بدون شك .

هذا المعنى ، أو هذه الحقيقة ، وهي أن القرآن الكريم ينظر إلى النفوس وما هو من طبيعتها ، وأن الله تعالى ، وهو العليم الحكيم الرحمن الرحيم ، لا يمكن أن يسوس عباده سياسة قوامها التفاضل عن فطرتهم وما يعلمه من طبائعهم - هذا المعنى هو الذى اقتضى جدل الله أن يرعاه حين أوحى إلى رسوله بوعده المؤمنين إحدى الطائفتين : العير أو النفير

[١] الآية ٢١٦ من سورة البقرة . [٢] الآية ٤٥ من سورة المائدة . [٣] الآية ١٨٠ من سورة البقرة . [٤] راجع ص ٢١ من كتابنا دعائم الاستقرار في التشريع القرآني .

فهذا الوعد بالفطر من شأنه أن يثبت القلوب ، وأن يهزم عوامل التردد ، ثم يجيشه على هذا النحو من الإيهام بين الطائفتين ؛ من شأنه أن يوسع آفاق الأمل أمام المؤمنين ، وأن يراعي اختلاف الناس فيما يستهوهم ويأخذ بألبابهم ، فليس كل الناس مثالياً إلى الحد الذى يصلح معه أن يناشد الجميع باسم المثالية : وقد يقول قائل : كيف وقف القرآن هذا الموقف منهم وهو إنما قام على أساس تقديس المعاني الروحية ، وتقدير القيم الخلقية ، فهل يتفق مع هذا أن يلاحظ ما فى بعض النصوص من الميول الشخصية ، وأن يهتم فى مثل « إحدى الطائفتين » مراعاة لها ؟ قد يقول هذا قائل ، والجواب أن ملاحظة القرآن وجميع أصول الإسلام للميول الشخصية ، وإنشاء التشريع على الجمع بينها وبين ما هو من جنس المعاني الروحية ، والقيم المثالية ؛ إنما هو حيث لا تكون الماديات والشخصيات ممنوعة أو حراماً أو منافية للبادئ العاضلة ، وفى قضيتنا هذه نجد المؤمنين أمام أعداء لهم أخرجوهم من ديارهم وأموالهم ، وأصبحت بينهم وبينهم عداوة تغولهم حتى مصادرة ما يستطيعون مصادرتها من أموالهم ، فالذين كانوا يرون أن يتجهوا إلى طائفة الغير ، لم يخرجوا بهذا عن دائرة معاقبة المشركون وإيلاهم وإن كان فى ذلك ققع مادية لهم ؛ فإنه من حقهم ، وليسوا به خارجين على مثلمهم ومبادئهم . لذلك ليس هناك بأس فى مسيرة القرآن لهم نوعاً من المسيرة بهذا الإيهام فى الوعد بإحدى الطائفتين ؛ حتى يتسع أمام الجميع كما قلنا أفق الأمل كل على حسب ما يستهو به ، وحتى يبدو المؤمنون جميعاً فى موقف ثابت متوحد أمام أعدائهم دون تردد فى الإقدام على ملاقاته ، وبذلك يتم تدبير الله تعالى ، ويتم لطفه الخفى الذى تأتى به إلى نصر المؤمنين ، والله الحكمة البالغة .

وينبى ألا يفوتنا أن القرآن مع ذلك لم يترك المؤمنين لهذا الأمل الشخصى ، وإن كان مباحاً ، ولكنه مايرهم عليه نوعاً من المسيرة كما قلنا تدرجاً بهم ، ثم أعلى شأن المقصد الأكبر الذى من أجله دبر ، ومن أجله لطف ، وهو إحقاق الحق وإبطال الباطل ، وقطع دابر الكافرين ، وذلك حيث يقول « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » .

وناهيك بالتوجيه العظيم الذى يوحى به قوله جل شأنه « ونحبون » « ويريد الله » .

محمد محمد المدنى

أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة

# الْبَيِّنَةُ

عمل المرء لغيره

- ١ -

صلاح العمل عند الله - الأعمال أصناف ثلاثة -  
عمل الولد من عمل والديه - موت الولد العاق أيسر  
البلايا به ١١ - من شكر الوالدين .....

عن أنى هُريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا مات الإنسانُ  
انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو له .  
رواه مسلم (٥)

كثير الجدل قديماً وحديثاً - ولا يزال قائماً - في مشيئة الله تعالى وجزائه لعبده على  
عمل غيره ... فرجونا من الله أن يهدينا سبيل الرشاد ، حتى نخلفس إلى الحق من بين هذه المعركة  
الثائرة ، وأن يشرح بالحق صدورنا لا تزال بالجدل ضائقة حائرة ، والله يقول الحق وهو  
يهدى السبيل .

لا جدال في أن من أصول الإسلام البينة ، ألا يقبل عند الله عمل غير صالح ، سواء

---

(٥) في كتاب الوصية ، بهذا اللفظ ليس غير ، وهو الذى رواه ابن القيم في كتابه  
« الروح » ، لكن بلفظ « ثلاث » ، من غير هاء ، ورفع النوى في شرحه لمقدمة مسلم بلفظ :  
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية . . الخ ، ومن الغريب أن ينسبه  
صاحب كشف الخفاء إلى أبي داود والترمذى والنسائى والبحارى في الأدب المفرد ويترك  
« مسلماً » ، ولعله سهو منه أو من الناسخ ، ومن الخطأ نسبه إلى الشيخين أو إلى البخارى وحده  
فإنه لم يخرج في « صحيحه » وهو المراد عند الإطلاق .

أعماله المرء لنفسه ، وهو ما قدمنا الحديث عنه في الجزء الأسبق ؛ أم عمله المرء لغيره ، وهو ما نعرض له في هذا الحديث ؛ ولا جدال كذلك في أن صلاح العمل عند الله سبحانه ، إنما هو بينائه على العلم المأثور ، وخلوصه من الشرك أكبره وأصغره ، حتى لا ينتفى به عامله إلا وجهه ربه الأعلى .

ومن الأوليات التي يعرفها كل مسلم أن الإسلام بنى على الإيمان والعمل ، والتعاون على البر والتقوى .

وبما يجب التنبيه عليه في هذه المقدمة إحقاقا للحق وإيضاحا له ، أن عمل العبد قد ينتهي بانتهاء أجله ، وقد يمتد إلى أمد قريب أو بعيد بعد أجله ، وربما كان عظيما خالدا لا ينتقطع أثره . . . وقد يكون المرء سببا في عمل غيره له فينسب إليه كأنه عمله ، ويلحقه ثوابه وأجره من غير أن ينقص شيء من أجر العامل نفسه ، ومن هنا كان الدال على الخير كفاعله . . . وإذا فالأعمال أصناف ثلاثة :

١ — عمل المرء لنفسه كسبا وسعيا وتحصيلا من طريق متصل مباشر ، لا وساطة فيه ولا سبب ، كصلاته وصيامه وحجه ، وسائر أعماله البارة التي تنتهي بموته ، أو يمتد أثرها بعده إلى ما شاء الله لها أن تمتد ، مسجلة في صحيفته ، كعمله النافع ، وتأليفه الراشد ، وحجبه الخير على أهله . .

٢ — وعمل لم يعمل المرء لنفسه ، ولكنه كان سببا فيه أو داعيا له ودالا عليه ، ولولاه ما نبت هذا العمل ولا أثمر ، كمن أتقذ كفرا . أو أرشد حائرا ، أو هدى ضالا ، أو علم جاهلا ، أو دعا إلى الرشيد حاكما ، أو رد إلى العدل ظالما . . . لا جرم أن له أعمالا مباشرة متصلة ، هي الإنقاذ والإرشاد والحداية والتعليم والبعوة والرد ، وله وراءها أجور آثارها الحسنة إذ كان سببا فيها ، ولولاه لهدمها الكفر وما بعده . .

٣ — وعمل لم يعمل المرء ولم يكن له فيه سعى ولا سبب ، اللهم إلا السبب العام ، وهو الإيمان بالله وبما جاء به خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم .

والحديث شاهد عدل على أن المرء ينتفع بعمله الذي امتد أثره بعد موته ، كما ينتفع بعمله الذي انقطع ثوابه بموته ، وعلى بطلان ما ذهب إليه شذمة من أهل الكلام والبدع

زعموا أن الميت لا يتمتع بعد أن فارق حياته بشيء. ألبتة ؛ وشاهد عدل كذلك على أنه يتمتع بما كان سيبا فيه وداعيا له ؛ فإن استثناء هذه الأعمال الثلاثة من جملة عمله دليل على أنها منه وأن سبب العمل والسمي فيه يلحقه به ، لا جرم أن الولد من كسب الوالد وسميه ، وأن ما يعمل من الصالحات فلأبيه وأمه في صحائفهما مثل أجره ؛ إذ كانا السبب في وجوده وتربيته ومن هنا كان من أعظم الأعمال أثرا ، وأجليا قدرا ، تنشئة الأولاد على الهدى والاستقامة وتربيتهم على الصالحات التي يدخرها الوالدان لأنفسهما ، وليس عليهما بعد بلوغ الجهد والوسع في التربية على الهداية ، ألا يهتدى الولد ، فإن التوفيق للهداية بيد الله وحده ، وقد قال لنبيه صلوات الله عليه وسلامه : « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » .

ويؤيد هذا الحديث ويفصله ما رواد ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما نشره ، وولدا صالحا تركه ، ومصحفا ورثه ، ومسعدا بناء ، ويطا لابن السيل بناء ، ونهرا أجراه وصدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته » .

والاقتصار على الثلاثة في حديث مسلم ؛ لأنها أصول الصالحات المنخورة التي يرد إليها غيرها ، ويقاس عليها أمثالها ؛ أو لأن الله أعلمه بالثلاثة أولا ثم أعلمه بما زاد عليها ثانيا ، « وقل رب زدني علما » .

وفي الحديث التحريض على وقف الخيرات والمبرات الدائمة التي يبقى ذخرها وأجرها « ما بقيت أعيانها » . . .

وتقييد العلم بالمتنفع به ؛ لأن العلم الذي لا يتمتع به لا يثمر أجرا ، بل ربما كان وزرا وبلاء وإثما على صاحبه ؛ ومن سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء .

---

« اقتباس من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه . رواه مسلم ، وشرحناه في جزء رجب من المجلد ١٨ عام ١٣٦٦ » .

وإنما وصف الولد بالصلاح ؛ لأن الأجر قلما يكون من غيره ، اللهم إلا أجر الصبر على مصيبته والنكبة به والجهاد في تقويمه !! لا جرم أن فسق الأولاد وعقوقهم من أشد البليات والمصائب والفتن التي يمتحن الله بها آباؤه !! وإن موتهم لأهون هذه البليات وأيسرها على ذويهم !!

\*\*\*

ولا يلحق الوالد شيء من أضرار ولده وسببائه ، إذا كانت نيته في تربيته تحصيل الخير له والعمل على ما ينفعه في دينه ودنياه ، ولم يكن معينا له على فسادة . . .

وليس دعاء الولد شرطاً في حصول أجر الوالد ومثوبته ؛ فإن الأجر ثابت للوالدين كلما عمل ولدهما الصالح عملاً صالحاً وإن لم يدع لهما ، كمن غرس شجراً ، أو أجرى نهراً ، أو وقف خيراً . . . فإن له أجرهما سواء دعا له من انتفع به أم لم يدع له .

وإنما ذكر الدعاء تحريضاً للولد على الدعاء لوالديه ، برأ بهما ، وشكراً لهما ، ووفاء لبعض حتمهما عليه ، وامثالاً لأمر الله تعالى ، واقتداء برسله صلوات الله وسلامه عليهم ، فقد قال جل ثناؤه : « وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » ، وحكى عن شيخ رسله وأنبياؤه نوح عليه السلام دعاءه لوالديه خاصة ، وللمؤمنين عامة ، فقال عز من قائل : « رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً » . لا جرم أن الولد يؤثر على الدعاء لوالديه ، وأن الوالدين ينتفعان بدعاء ولدهما ، صلاة على انتفاعهما بكل عمل صالح يعمله .

\*\*\*

أما بعد ، فما هو ذا الحديث شمل صنفين من أعمال العباد ، أحجم المسلمون على مثوبتهما وعظم آثارهما والانتفاع بهما . . . ويتق النظر في الصنف الثالث ، ندخره للجزء القادم ، فما أجدره بحره مستقل . والله المستعان على قول الحق واتباع سبيل المؤمنين ، ولا حول ولا قوة إلا به ؟

طه محمد الساكت



## تشريع الزكاة

كما عني الإسلام بتطهير العقيدة من شوائب الشرك وإخلاص العبادة لله موجد هذا الكون ، عني أيضاً بتربية المجتمع وتنشئته تنشئة تدعو إلى ارتباطه برابط المحبة وتوثيق الصلة بين أفراده وشعوبه بصلة الأخوة ، وقد ظهرت آثار رعاية الإسلام بهذا المجتمع في كثير من تشريعاته الحكيمة وفي مقدمتها تشريع الزكاة الذي فرض للفقراء نصيباً مقدراً في أموال الأغنياء ، وحاجة الفقراء إلى هذه الزكاة قد تكون ملحة إذ يكون الحرمان شديداً بحيث لا يتنوق الفقير حلاوة اللذيذ من الطعام ، ولا يلبس ما يعتمد عليه في دفع وطأة البرد القاسي ، وقد تكون حاجته أشد وأشد حينما تتكاثر عليه المطالب لتربية أولاده ، أو علاجهم وعجارتهم أمراضه وأمراضهم ، فإذا ما أصده الغنى بما يستطيع من المساعدة بما فرض الله في ماله ، أو زاده على ذلك ، شعر الفقير بهذا العطف والحنو والعناية بشأنه واهتمام أخيه الغنى بإصلاح حاله ، وبذلك يفيض قلبه حباً للغنى وإخلاصاً ، ويتبادل معه المعونة الصادقة فيما يكون بينهما من عمل ، ويسود الوفاق جميع الشئون التي تربط بينهما ، فيرقى المجتمع ويتضاعف الإنتاج ويرتفع مستوى المعيشة لجميع أبناء الشعب ويعمهم السرور والسعادة .

فبالزكاة يمكن أن يدرك كثير من الشرور عن المجتمع بجميع طبقاته ، وبها تمكن المساهمة في تسليح جيش قوى أو إقامة قواعد حصينة لدرء الخطر عن الوطن إذا ما جمعت حصيلتها أو كمية كبيرة من حصيلتها .

لمثل هذا شرعت الزكاة التي هي إحدى دعائم الإسلام الحسن والتي هي فرض عيني من فروضه ، وكانت فرضيتها في السنة الثانية من الهجرة ، وثبتت بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين ، وصارت معلومة من الدين بالضرورة ، فمن أنكر وجوب الزكاة وكان عن يئس على مثله حكمها ، كأن كان حديث عهد بالإسلام ، أو نشأ بعيداً عن المسلمين عرفناه وجوبها وأخذناها منه إن كان عنده مال .

أما من أنكر وجوب الزكاة وكان ممن لا يخفى عليه حكمها كسلم عاش بين المسلمين ثم منع الزكاة جحداً لوجوبها ، صار بهذا كافراً تجرى عليه أحكام المرتدين فيستتاب ، فإن تاب وإلا قتل .

أما مانع الزكاة بخلاها مع اعترافه بوجوبها فإنه لا يكون كافرا ولكنه عاص يعزر  
وتؤخذ منه قهرا ، هذا إذا لم يكن له منعة وشوكة ، أما إذا منع الزكاة اعتمادا على منعته  
وشوخته ، فإنه يجب على الإمام والمسلمين قتاله حتى تروى منعته ويذعن للإمام ويؤدى الزكاة ؛  
لما ثبت في الصحيحين أن الصحابة حينما منع الزكاة من منعها من المسلمين في أول عهد أبي بكر ،  
اختلفوا في حكم قتال مانع الزكاة ، وكان رأى أبي بكر رضى الله عنه أنه يجب قتالهم ، وأقام  
الناس الدليل على وجوب قتالهم ، فلما طهر لهم الدليل واقتنعوا بحجته وافقوه في الرأى ،  
وقاتلوا معه مانع الزكاة حتى زالت شوكتهم وأذعنوا للإمام وأدوا الزكاة ، وصار ذلك  
اجماعا للمسلمين .

ويعتمد وجوب الزكاة أول ما يعتمد على ملكية المال الذي يجب فيه ، والمال أحد  
الكليات الخمس التي أجمعت الأديان على حرمتها ووجوب المحافظة عليها ، وهي : النفس  
والمال والعرض والدين والعقل ، فمن قتل دون شيء من هذه الخمس فهو شهيد كما صرح  
بذلك الأحاديث .

فالملكية الفردية محترمة في دين الإسلام وسائر الأديان ، وكتاب الله تعالى قد أضاف الأموال إلى ذوبها في آيات بلغت من الكثرة حدا كبيرا ، وخذ من أموالهم صدقة ، ، فإن أنتم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ، ، وري أموالهم حق للسائل والمحروم ، ، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، ، ولا توتوا السفهاء أموالكم ، ، ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم ، ، إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا ، ، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ، وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيض بلهبة المال إلى صاحبه ، وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال في خطبته على رؤوس الأشهاد : ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فليعلم أدناكم أنفساكم ، ألا هل بلغت اللهم اشهد .

وقد ظهر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف في أنه هل يجب على المسلم إنفاق كل ما فضل من ماله عن حاجته ، فمن أبي ذر يجب على المسلم ذلك وخالفه في ذلك سائر أصحاب رسول الله ، ومنشأ ذلك الخلاف قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب

والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، فمن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال : إن قوله والذين يكنزون الذهب غاص بالأخبار والرهبان المتقدم ذكرهم ، وكان هذا رأى معاوية حنبيا شجر بينه وبين أبي ذر الخلاف في الشام ، وجمهور أصحاب رسول الله يرى أن الآية عامة تشمل المسلمين ، ولهذا أشفقوا منها أول ما نزلت ثم زال خوفهم .

أخرج ابن أبي شيبة في مسنده وأبو داود وأبو يعلى وابن أبي حاتم والحاكم وصحبه وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية : والذين يكنزون الذهب والفضة ، كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحد منا أن يبقى بعده ما لا تولده فقال : عمر أنا أفرج عنكم فاطلقوا تبعه ثوبان فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله إنه قد كبر على أصحابك هذه الآية فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقى من أموالكم ، وإنما فرص الموارث من أموال تبقى بعدكم فكبر عمر رضى الله عنه .

وروى مرفوعا عن أبي هريرة ( إذا أدبت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك ) . وروى موقوفا على ابن عباس وعمر وابن عمر وجابر : أى مال أدبت زكاته فليس بكثر ، ومثل هذا لا يكون من قبيل الرأى فهو بتوقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخرج أحمد والبخارى وغيرهما عن ابن عمر إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما نزلت جعلها الله طهرة للأموال ثم قال : ما أبالى لو كان عندى مثل أحد ذهباً أعلم عدده وأزكيه وأعمل فيه بطاعة الله .

قال ابن عبد البر وردت عن أبي ذر آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش فهو كثر يلزم فاعله ، وأن آية الوعيد نزلت في ذلك ، وعالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم وحملوا الوعيد على ما نعى الزكاة وأصبح ما تمسكوا به حديث طلحة وعيره - ونصه عند البخارى ومسلم عن طلحة ( جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد نثر الرأس نسمع دوى صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات في اليوم والليلة . فقال : هل على غيرهن ؟ قال : لا إلا أن تطوع . وصيام شهر رمضان . فقال : هل على غيره ؟ قال : لا إلا أن تطوع . وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة فقال : هل على غيرها ؟ قال : لا إلا أن تطوع . قال فادبر الرجل وهو يقول والله

لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح إن صدق) قال: ابن عبد البر وإن نصوص الكتاب تأمر بالتصدق والاعتدال في الإنفاق، لا بإففاق كل المال من ذلك قوله تعالى: «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما»، وقوله: «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا». ومن الأدلة أيضا على رأى جمهور أصحاب رسول الله حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم وغيره ونصه عن عامر بن سعد عن أبيه قال عاذنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت. فقلت: يا رسول الله بلغنى ما ترى من الوجع وأنا ذو مال ولا يرئى إلا ابنتى واحدة. أما تصدق بثلى مالى؟ قال: لا. قلت: أفأصدق بشطره؟ قال: لا. الثالث، والثالث كثير. إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس. فما تقدم من نصوص الكتاب والسنة أدلة قوية على أنه لا يجب على المسلم إنفاق ما فضل عن حاجته من المال، ولعل ذلك إنما كان أول الأمر كما صرح بذلك ابن عمر فيما ذكر عنه سابقا، وقد نسخ هذا بتشريع الميراث، فهو كما نص على ذلك في الحديث إنما يكون في الأموال التى تبقى بعد موت ذوها، وقد أشار الحديث إلى أن الزكاة طهارة للمال فكل مال أدبت زكاته ليس بكثرة كما وردت بذلك النصوص وكما قرره العلماء.

فالكثرة هو المال المجموع الذى لم تؤد زكاته وقد توعد الله فاعل ذلك بقوله: «يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم» وروى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله إلا جعل له يوم القيامة صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجهه وظهره.

وروى البخارى عن أبي هريرة مرفوعا «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرح له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بهن منيه يقول: (أنا مالك أنا كنزك» وقد ذكر العلماء أن أبا ذر أخذ بالعزيمة التى وردت أولا بوجوب إنفاق ما فضل عن الحاجة ولم تبلغه الرخصة فبقى على مذهبه، فقد أخرج أحمد والطبرانى عن شداد بن أوس قال كان أبو ذر رضى الله عنه يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر فيه الشدة ثم يخرج إلى باديته ثم يرخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، فيحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر الرخصة فلا يسمعها أبو ذر فيأخذ أبو ذر بالأمر الأول الذى سمع قبل ذلك له، والسبب الحقيقي لتشدده استعداده الفطرى لتحمل الشدائد والأخذ بالعزائم

فإنفاق ما فضل عن الحاجة عزيزة الخواص وليس هو المشروع لكل الناس ، فإن نصوص الكتاب والسنة تنافي وجوب إنفاق كل ما يملك المرء كما تقدم ، ولعله من باب حسنات الإبرار سيئات المتقربين كما يذكر ذلك العلماء .

ومواء قلنا إن شريعة الإسلام رأسمالية محضة . أم قلنا إنها رأسمالية اشتراكية فإنها على كلتا الحالتين قد جعلت للفقراء حقا مقدرا في مال الأغنياء : هو الزكاة .

والشرط الأساسي لوجوب الزكاة أن يكون المال الذي يجب فيه مملوكا لمن يجب عليه ملكا تاما . فلا يجب الزكاة فيما ملك قبل قبضه ، كزخر صدق المرأة ، وكالمبيع قبل القبض ، وكالاجرة قبل مضي مدة الإجارة .

والمال الذي يجب فيه الزكاة أربعة أنواع : الذهب والفضة ، والزروع والثمار ، والنعم : الإبل والبقر والغنم ، وعروض التجارة من أى مال .

وهذه الأموال قبلها : أموال طاهرة وهي الزروع والثمار والأنعام ، وأموال باطنة وهي الذهب والفضة وعروض التجارة ، وكان الإمام يبعث السعاة لجمع الزكاة في المحرم من كل عام ، وكانوا يجمعونها من الأموال الطاهرة والباطنة إلى زمن الخليفة عثمان حيث كانت تجمع من الأموال الطاهرة فقط ، أما الأموال الباطنة فقد جعل ملاكها وكلاء عنه في أخذ زكاتها من أموالهم وصرفها إلى مستحقيها ، وصار الأمر من حينئذ على هذا . ومذاهب الأئمة لا توجب دفع الزكاة إلى الإمام إلا في الأموال الطاهرة دون الباطنة ، وجعلوا من الباطنة زكاة المعطر .

وهل يشترط لوجوب الزكاة البلوغ والعقل : المالكية والشافعية والحنابلة لا يشترطون ذلك فتجب الزكاة في مال الصبي والمجنون ، وقال أبو وائل وسعيد بن جبير والحنابلة لا يشترطون ذلك فتجب الزكاة في مال الصبي والمجنون مطلقا . وقال أبو حنيفة لا زكاة في مالهما إلا المعشرات من الزروع والثمار ، ونرى الأخذ برأى من لا يوجب الزكاة على الصبي والمجنون ؛ لأنهما ليسا من أهل التكليف ؛ ولأنها عبادة محضة وليس مخاطبين بها كالصلاة والصيام ، فلا زكاة في أموال القصر المودعة في المصارف بمعرفة المجالس الخيرية حتى لا تستهلك أو يستهلك جزء كبير منها ، وفي الجراء القادم إن شاء الله بقية لأحكام الزكاة .

عبد الرحمن عيسى

مدير التفتيش بالأزهر

## أمة ورسالة

جل الأمم الآن إن لم يكن كلها يسعى لرفع مستوى معيشته ، وتكثير الصناعات  
والمرافق المختلفة الطبقات ..

وهذا شيء حسن . فمن ذا الذي يكره العافية والسعة والاسترواح ؟ .

إن كدح الناس للحصول على مريد من خير الله ، والاستمكان في أرضه عمل مفهوم  
البواعث . إلا أننا لا نرضى لأبناء آدم ، ولا يرضى عاقل لنفسه أن تكون الغاية القصوى  
من الحياة هي البطن المלא . والبدن المزدان ، فذلك هدف حيواني لا إنساني .

ووقوف الحكومات والشعوب عنده هبوط بقيمة العالم ورسائله ، ونزول عن المكانة  
التي أرادها الله له ، وذهول عن الحق الذي يقول لنا في استنكار ..

« أخلصتم أنفسكم خطفناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق » .

إن للإنسانية غاية أرقى من توفير الخبز لأكله !

غاية ترادف النبوة لتوضيحها . ثم جاء عيديم الخاتم ، صاحب الرسالة العظمى ،  
ليصنع أمة تمثلها وتقوم عليها ، وترفع عليها في الآفاق ...

وطبيعة هذه الأمة بين شقي الأجناس والأوطان أن تدعم الخير وأن تعلل صوت  
المعروف وأن تحمي شارة الإيمان ، وأن تجعل من كيانهما مؤثلاً للفضائل ... !

وأن تنكره الآثام وتنتكر لفاعليها ، وتعقب على أخطائهم وخطاياهم بالتنفيذ والرد ..

وطبيعة هذه الأمة حراسة وحى السماء وإبقاء مناره عالياً يومض بالإشعاع الهادي  
كي ينتدى به السارون في ظلمات البر والبحر ..

والأمة التي تحمل هذا العبء أو تتولى هذا المنصب أو ترشح لهذا الشرف هي الأمة  
الإسلامية ..

وقد أوضح الله ذلك في كتابه العزيز « ولئن كن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، . وقال : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وبين أن منزلة الناس أجمعين من هذه الأمة كمنزلة هذه الأمة من رسولها ..

فكما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله معلماً ومبشراً ونذيراً ، وكما أخرج هذه الأمة بإذن الله من العمى إلى الهدى . فعلى أتباعه أن يشيعوا الحق الذي شرفوا به ؛ وأن ينشروا الرسالة التي زلت بينهم ، وأن يكونوا جسراً تعبر إليه الهداية لعم أرجاء الأرض ، وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ، والسلف الصالح الذي تلقى آيات القرآن وسمد بصيحة النبي صلى الله عليه وسلم فهم وظيفته على هذا النحو : فهم أن أداء الدعوة واجب ، وأن إبلاغ رسالات الله حق ، وأن حبس أنوار الإسلام في حيز من الأرض جريمة ...

وعلى ذلك الأساس تكونت الأمة الإسلامية تكوناً متميزاً بالطبيعة والحركة ، مستدين المبنى والمعنى ، تزدهج مثلها العليا مع قواها المادية ، كما يزدهج الروح والجسد ، لا يتصور بينهما فكاك .

\*\*\*

وشعور المسلمين بفرائض الإسلام عليهم جعل نشاطهم الأدبي يتخذ عدة طرائق ، تنهى كلها بخدمة دينهم في الداخل والخارج :

( أ ) فعمل الإسلام وتعلجه أحياناً آلاف المدارس لحفظ القرآن وتعمده ولفقه السنة ، وصيانة كل ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من توجيهات عامة .

( ب ) واستدعى ذلك نهضة شاملة لآداب اللغة العربية وقواعدها حتى ساوت علوم اللغة علوم الدين في درجتها ، ولا عجب فإن الوسائل والمقاصد متلازمة الوجود ، والإسلام إذا ضمرت العربية وذبلت فهو مهدد بأفتك الأخطار ، وسترى مصداق ذلك فيما نقصه عليك بعد حين .

( ج ) استبحرت المعارف التشريعية ، وتكونت مذاهب في صور العبادات وقوانين المعاملات من أقوى وأزهى ما عرفت الدنيا .

( د ) انتشرت دراسات الخلق والسلوك مع ما يسمى « بالتصوف » ، وشاعت بين العامة والخاصة شيوعاً واسع النطاق .

(٥) تطوع المسلمون من تدهاء أنفسهم للحفاطة على التجمع ضد السيئات والمآكر ؛ إذ أن طبيعة الإسلام تلزم كل مؤمن بإقرار المعروف ومطاردة المنكر ، وانقوى الشعبية لا السلطات الحكومية هي التي تولت حياة الأمة من شرور كثيرة ، وإن كانت الحكومات - من الناحية التنفيذية - هي صاحبة الاختصاص ، وقيام المخامير في الداخل بذلك الواجب أبقى شعائر الإسلام حية في المجتمع ، وجعل أمام العصاة والمنحطين حواجز مرهبة ، وفسح المجال أمام الخطوة الأدبية على الصائر والعواطف .

وكانت السعادة العظمى لأي مسلم أن يشرح صدر إنسان للإسلام ، وأن ينقله من كفره القديم إلى رحاب هذا الدين .

والمسلم الذي يوفى إلى إدخال شخص ما في الإسلام تراه مبتهج النفس ، بادی الفخر ، متألق الجبين .

وتعاون الجماعة المؤمنة غالباً على كعالة القادم الجديد ، وتوثيق الأواصر العاطفية معه .

° ° °

وقد امتد الإسلام إلى أغلب البقاع المعروفة في العالم ، ونشبت جذوره بألوف مؤلفة من المدائن والقرى في آسيا وإفريقيا وأوروبا .

وتراحت العصور عليه وهو ينساح في أرض الله بقوة رافعة ، ليس لها مدد إلا حماس المؤمنين ، وقدرتهم على الإقناع بالحق والمقاومة للباطل .

وقد عرضت للأمة الإسلامية فترات انهزمت فيها أمام أعدائها .

أو بتعبير أدق ، انهزمت فيها أمام نداء الواجب الذي يملئ عليها ضرورات الوفاء لرسالتها ، فكان تربطها في جنب الدعوة - التي زكت بها سبياً في ذهاب ريحها وانهايار مجدها ، لقد انحلت الخلافة التركية الأخيرة عن نيف وثلاثين دولة مبعثرة في قارات الأرض ينتسب أغلبها إلى الإسلام انتساباً اسمياً ، وتضطرب دعوته في أنحائها اضطراباً بعيد المدى ، يحتاج شرحه إلى قليل من الإسهاب .

يا عجبا ، كيف تبددت هذه القوة العظيمة . وأقمرت تلك المعالم النصر ؟

مدارس آيات حلت من تلاوة ومنزل وحى مفقر العرصات

الواقع أن ذلك الانكسار لم يقع بفتنة ، ولم تلق أسبابه فجأة .



إن الأمة الإسلامية - كما قلنا - صاحبة رسالة ، وحاملة دعوة ، وورثة وحى يجب أن تبلغه بالعلم ، وأن تظهره بالعمل .

بيد أنها نسيت ذلك أو تناسته . وضمعت أخذها به ، ووفاءها له على اختلاف الليل والنهار . وأطرد هذا التفريط أولاً فى شكل متواليات حسائية ، وأخيراً فى شكل متضاعفات هندسية . وقد تقفه بين الحين والحين نهضات المصلحين . وصيحات المذكرين ، إلا أن الأمر عز على العلاج فى المصور الأخيرة فلم تستمع هذه الأمة إلا والأجانب قد أحاطوا بها ، وأنشبوها أظافيرهم فى أعناقها ، وشرعوا فى الإجهاز عليها .

ولولا عناية من السماء مسمفة لكانت اليوم تحت أطباق التراب .

وظهرت بوادر الانفصال بين الأمة ورسالتها فى أكثر من ميدان .

ففى حقل التعليم ذبلت الدراسات الإسلامية ، ونبت خلالها أشواك كثيرة .

وفشت الظنون والخرافات والإسرائيليات والنصرانيات والإعريقيات ، حتى لكان حصاد هذه الدراسات طين لا قبح ، وحسك لا تمر .

والعلم الإسلامى اليوم متوارى فى معاهد خاصة ، بعد ما عزل عن الحياة العامة ، وساء تقويمه ، وفل التمويل عليه .

وفى حقل التشريع ساد القحط كل ناحية ، وعجز الفقه سنين عددا أن يحكم المعاملات المتجددة ، وأن يضبطها باسم الله فى مجراها العتيق .

ووقف الاجتهاد عند صور انقضى زمانها وأهلوها .

فلما زحفت الحياة الحديثة كل من الشلل بحيث لم تقم له حركة ، أو يحسب له حساب وهو الآن محبوس فى بعض قصايا الأسرة ، معزول أتم العزل عما وراءها من نشاط اجتماعى ، محلى أو دولى ! .

ونبع هوان المعرفة الدينية السحاب يكاد يكون شاملا من آفاق الحياة كلها ، وتنمضعت قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أمام مدنية وافدة عارمة تحمل الحرام وتحرم الحلال . . .

وتوقف - بداهة - سير الدعوة الإسلامية فى الأرض . وجهادها القديم لإدخال الناس أفواجا فى دين الله . . . وكيف لا تتوقف وهى تكافح لتحفظ بحياتها لحسب أمام سياسات

ماكرة وعداوات فاجرة . ويمكننا أن نوصي إلى عدة أمور ، هي في نظرنا مظهر لتفريط المسلمين التاريخي في رسالتهم ، وتقصيرهم في خدمتها :

١ - ضعف أجهزة الدعاية الخارجية للإسلام ، أو انعدامها ، وترك تعليم الأجانب لجهود الأفراد ونشاطهم الخاص .

ومعروف أن انتشار الإسلام في أواسط إفريقيا ، وأغلب آسيا يرجع إلى ذلك الجهاد الفردي المسلم الدؤوب .

وهو جهاد لم ترسمه خطط منظمة ، ولم تستفد من أرباحه عيون يقظة ، بل لم تحرس ثمراته قوى معدة .

والسبب في هذا التقصير المغيب ، أن الدول الإسلامية كثيراً ما شغلتها مفاع خاصة أو سياسات قصيرة النظر ، بل كثيراً ما قامت على أنقاض المثل الدينية الرفيعة .

وهذا الاعتلال في أداة الحكم أضرم لسيار الإسلام في أرجاء الأرض أبلغ الضرر ، والواقع ، أن كثيراً من الحكومات الإسلامية في التاريخ القديم ، كانت عقبات في طريق انطلاق الدعاة لأداء واجبهم على نحو واضح ونجح مرسوم .

٢ - مع أن أمما كثيرة عربها الإسلام ومحا عنها خصائصها القبلية والثقافية القديمة ، فإن العربية لم تلق ما ينبغي لها من رعاية وحماوة ، خصوصاً فنون الأدب المختلفة . فقد غلبت العجمة على عصور طويلة ، واصطبغت بها أداة الحكم حيناً من الدهر ، وتولى المناصب الكبرى أناس عاطلون من حبة البيان وسلامة المنطق ، وأوتت الكتابة والبلاغة والشعر إلى طبقات من المحترفين والمترقة .

ثم انتهى الأمر في القرون الأخيرة إلى أن علنا الإسلام - وفيهم جمهرة من خريجي الأزهر - كانوا غرباء على الأدب ، بل كانت حاستهم البليانية ميتة .

وغريب أن نكون معجزة الإسلام الكبرى آية بلاغية ، وأن تكون اللغة العربية أساس هذا الدين وترجمان عباداته ، ومع ذلك تهون إلى هذا الحد .

والواجب أن تعود للأدب مكانته ، وأن تتصاغر الجهود على تقوية مادته ، وتجلية رونقه ، وإمداده بأسباب النماء والازدهار .

٣ - هناك خلافاً عليّة ، ومنهية ، حضرت لجوات عميقة بين المسلمين ، وقطعتهم في الأرض أما متدبرة ، وهم في واقع أمرهم وطبيعة دينهم أمة واحدة .

والدارس لهذه الخلافات يتكشف له على عجل أنها اقتصت افتعالا ، وبولغ في استنباط آثارها وتفنيق جراحاتها ، ونقل حزازات شخصية أو نزعات قبلية إلى ميدان العقيدة والتشريع ، وذلك ما لا يجوز بقاءه إن جاز ابتدؤه .

وكما زادت حصيلة العلم الديني ، وتوفرت مواد الدراسة الصحيحة انكشبت هذه الخلافات ، واتحدت الأمة الإسلامية منهاجاً وهدفاً .

ولذلك نحن نرى التقريب بين هذه المذاهب فرضاً لا بد من أدائه ، وأخذ الأجيال الجديدة به ؛ كما نرى ضرورة إحسان النظر في دراسة التاريخ الإسلامي ، وتنقيته من الشوائب التي تمسك صفاءه .

٤ - الأمة صاحبة الرسالة لا تنسى وظيفتها الاجتماعية في تصرفاتها العالمية والمحلية على سواء .

بل هي تستصحب أهدافها الروحية والثقافية في علاقاتها القريبة والبعيدة ، وتؤكد شخصيتها المعنوية في كل اتجاه .

وتسخر أدواتها الخاصة في بلوغ غايتها كما يسحر الجسم أجهزته ومشاعره في تيسير مآربه ، ويقضي ذلك أن تساق وجوه شتى من النشاط العام لخدمة الإسلام وجمع القلوب عليه . وإذا كان الله جل شأنه قد جعل لتأليف القلوب سهما من الزكاة المفروضة فما ذلك إلا رمز للتوصل بصروب البر المختلفة كي يقبل الناس على الدين : وكى تدرك العامة أنه دين يعطى ولا يأخذ ، ويبدل المضول للحاجين ، ولا يرزوم شيئا .

وبعض الأديان الآن تدس عقائدها المعلولة وسط مساعدات كثيرة .

وكان حرياً بالمسلمين أن يسبقوا إلى نشر الحق وإلى تربيته في القلوب بألوان العون المادي والأدبي التي كلفوا بها .

بيد أنهم للأسف تركوا الحق يحدم نفسه بنفسه ، وينصر قضاياه اعتماداً على ما فيها من صواب .

وسواء أن تلصق الشبه وتجميع الخيل يمكن أن يصد الجاهل عن الإيمان ، ويعتق  
أبصارهم بمدح لا قيمة لها .

وقد كان ذلك من أسباب انحسار المد الإسلامي في بعض الأقطار .

إن قصة تفريطنا في رسالة الإسلام طويلة الفصول ضافية الذبول ، ولنا بعد سردها  
وإنما نشير إلى نقاط محدودة منها — مهيئين بأولى النهى ألا يجرؤوا أخطاء الماضي وهم  
يمهدون لمستقبل مرموق .

وللإسلام أعداء لا تهدأ لهم نفس ، ولا ينكسر لهم صنف ، وهم ينشئون الأذى إنشاء ،  
فهل نعينهم على أنفسنا باستدامة الأخطاء ؟

إن طماعية خصومنا في تحطيم ديننا ، وفي صرفنا عنه أكدتها ألوف الدلالات والأعمال  
وقد استغل الاستعمار ما طفر به من غلب ، فزادت جهوده لكي ينسى المسلمون أن لهم  
دعوة واجبة الأداء . بل لكي ينسى المسلمون أن لهم ديناً واجب الانبعاث .

إنه يريد أن يصربوا صفحا عن القرون التي خلت ، والتاريخ الذي مضى ، والحصارة  
التي أشرقت لها ظلمات الدنيا دحرا طويلا . . . !

ومن أحبت المؤامرات لصرف المسلمين عن دينهم ، الدعوة إلى تغيير الكتابة العربية .  
إما إلى الحروف اللاتينية كما فعلت تركيا بعد ارتداد حكامها ، وإما إلى حروف أخرى نحل  
مكان هذه الحروف التي عرفناها وعرفها آباؤنا وخطوا بها ألوف الألوف من المجلدات  
والرسائل . . . ولم ذلك ؟

قال الخبثاء : للتفاوت القائم بين لغة النطق وطريقة الكتابة

وهذا أقبح تعليل يمكن أن يذكره إنسان دارس للغات .

فإن التفاوت القائم بين ما يكتب وما ينطق هو أقل ما يكون في العربية ، وأسوأ ما يكون  
في الإنجليزية والفرنسية . . .

إن صيغ الأفعال الفرنسية - وعددها ثمانية عشر فعلا - تحمل كل صيغة منها عدداً من  
الحروف المينة يبلغ الستة أحياناً ، نكتب ولا نتلق ، وتنتشر في اللغة كلها كما تنتشر العثرات  
في طريق ردى .

وإلى جانب هذا فإن الحروف الساكنة تتجمع مثنى وثلاث في أوائل الكلمات وأواخرها بصورة مرئية لا يمكن تعليلها ، ولا يمكن أن يرتبط بها معنى محترم ، أو غير محترم وإثقالها للذهن في علم الإملاء لا شك فيها .

ويطرد كذلك في هذه اللغة إعمال النطق بعلامات الجمع في الأدوات والأسماء ، كما يطرد النطق بحروف كثيرة على غير ما تكتب به .

ومع هذه المفاج الفالغة الفرنسية في نظر البعض أيسر من اللغة العربية ، ويجب أن نحول لغتنا .

لتوافق لغة الكتابة مع ما ينطق . .

ونحن لا ندرى ما يقال لهذا الجور ، ولا ما يوصف به هذا التبجح ! !

والغرض من هذا النشاط ظاهر ، وهو فصل مسلمي اليوم عن تاريخهم الروحي والثقافي بعد إلقاء ستار كثيف على ماضيهم العلى كله . . .

وفي هذا الميدان نفسه يعمل آخرون من ذوى الثقافة الانجليزية . واللغة الانجليزية من ناحية الكتابة والإملاء أحط من زميلتها الفرنسية ، ولولا قوة أنها ما انتشرت . . ولكن التبشير الاستعماري يغطي كل عيوبها ، ويطيّل الألسنة في قدح لغتنا وذم قواعدها وإهانة حروفها . .

والغرض ؟ هو حمر لجوة غائرة بين ماضينا الإسلامى وحاضرنا .

بين ثقافة القرآن وروحه ، وهجوم الغرب الأخير المقعم بالمفاسد والحوادع . . . !  
وهناك ما نشرته إحدى الصحف اليومية :

قالت الصحيفة : إن الدنيا تتطور ، وهي تجري تحاول أن تلحق بالمستقبل . .

والمستقبل عبارة عن سرعة وصواريخ ، سرعة على الأرض ، وصواريخ تندفع إلى الشمس ، سرعة حتى في أسلوب العرض والقراءة والشراء .

اختزال لكل التفاصيل .

فالمصیغة التفرافية هی المفهومة المقررة الآن .

إننا تتسابق مع الزمن نحاول الجری مع عقرب الثواني قبل عقرب الدقائق . . .  
وتسأل أيها القارىء : ماذا بعد هذه الصیحات الممتعة كلها ؟ فإذا الاقتراح الذى یرحب  
به الكاتب ویروج له . أن المجمع اللغوى یمسك فى احتصار حروف لغة سیویه ١١١  
إن الدنيا نجرى وتلك من شدة الجری كما یقول الكاتب ، فیحب أن یعیر حروف  
اللغة العربیة وحدها .

أما اللغتان الانجلیزیة والعربیة ، وسائر اللغات الأخرى فإن الدنيا بالنسبة لها واقفة ؛  
إنها لغات مقدسة القواعد أو لغات لغات سبقت دنیا الجاریة ١١  
إلى لاستغرب الصفاة التى كست هذه الوجوه . . .

\*\*\*

ويعود إلى موضوعنا . .  
إن أمتنا لم نكن ذنباً لإحدى الامبراطوریات ، التى ظهرت فى التاريخ ، ولن نكون  
ذنباً لإحدى الجهات القائمة الآن فى العالم .  
إن أمتنا أمة ذات رسالة لا یجوز أن تتحلل عنها ، ولا أن تهمل قیمتها ، ولا أن تنهقر  
عن حملها .

وهذه الرسالة ثمر الخیر لأصحابها ، وللناس طراً .  
إنها رسالة الحق والسلم والعدالة .

إن الإسلام یوطد مكانة الإنسان فى الأرض إذ یحسن صله بالنساء ، وهو إذ یعد بالآجلة ؛  
فلکی یصلح هذه الدار العاجلة ، ویضمن ما بعدها ؛ تلك الدار الآخرة نجعلها للذین لا یریدون  
علواً فى الأرض ولا فساداً والمآبة للبتقین .

وإذا كانت حاجة العالم إلى إرشادات ربه لا تنقضى ، فإن بقاء أمتنا وبقاء رسالتها معها  
ضرورة إنسانیة ملحة .

ومن ثم ، وجب أن تدور جمیع أجهزتنا العاملة لتحقيق هذه الغایة ، ولنقضى قدما فى تلك  
السبیل ، سبیل الإسلام الخفیف ، ودعوته الجدیلة .

محمد الغزالی

مدير التفتیش بوزارة الأوقاف

## منهج السلوك في الإسلام

١ — تهذيب سلوك الأفراد وتوجيههم نحو المثل الأعلى هو الأسلوب الصحيح لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدور خطير في الحياة وتسهم بنصيب كبير في تزويدها بما هو أرفع وأرشد .

والدين بماله من سلطان على القلوب والنفوس وتأثير على المشاعر والأحاسيس وبما وضع من خطط عملية وتوجيهات حكيمة يستطيع أن يحقق هذه الغاية ويبلغ هذا القصد دون تعثر أو انحراف .

والدين في جلته وتفصيله ما هو إلا إرشاد لما يجب أن يكون عليه الإنسان ليأخذ من الكمال بحظ وافر في هذه الحياة وليعد نفسه لجوار ذي الجلال في حياة أرقى وأبقى .

وقد جاء الإسلام ليضع المنهج الرشيد في هذه الكلمات المباركة : يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، فالعبادة وفعل الخير والجهاد في الله هي دستور المسلم ورسالته في الحياة .

٢ — وعادة الله الواحد نتظم أفراداً بالحب والتوقير ، وإخلاص العمل له دون التفات إلى غيره ، والتوكل عليه فيما دق وجل من الأمور ، وإسلام الوجه إليه والرضا بقضائه وقدره ، وتعظيم أمره ونهيه ، وبذل النفس والمال ابتغاء وجهه الأعلى .

والعبادة على هذا النحو لا تتم إلا بفقه في دين الله ومجاهدة للنفس وحبها على المعاصي ؛ حتى تزكو وتسمو وترتفع عن الدنياه والخطايا .

وهذا الصرب من الرياضة الروحية يفضي على الحياة ثوب الجمال ، ويظهرها بظلال المحبة والسلام ؛ فنقطع الخصومة ، ويرتفع النزاع ، ويحل الوفاق محل الشقاق ، ويتقارب الناس ويتآلفوا ، ويسعى المرد لخير الجماعة ، وتحرص الجماعة على إصلاح الفرد وإسعاده ، ومن ثم تبدو الحكمة واضحة في جعل العبادة غاية الحياة ، وفي أن الله لم يخل جيلاً من الأجيال ولا أمة من الأمم من نذير يحبر فيهم باسم الله « لا إله إلا أنا فاقنوا » . كما تبدو في أن هذه الدعوة

إنما كانت تأتي بعد فساد الصير الإنساني، وبعد أن تتحطم كل القيم العليا في نفس الإنسان، وأنه في حاجة إلى معجزة تعيده إلى فطرته السليمة؛ ليصلح لمهارة الأرض وخلافة الله فيها.

٣ — والتعاليم الإسلامية تستهدف تحقيق الخلق العالي، والأدب الرفيع، وإشاعة الخير والرحمة والبر والإحسان، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، ومن أجل هذا المعنى نجد الارتباط الوثيق بين عقيدة الإسلام وتشريعاته، وبين هذا المعنى، فكلها وسائل لفصل النفس وتهذيبها وإقامتها على الصراط السوي.

فالعقيدة من إيمان بالله وتقدير له من شأنها أن توظف حواس الجسد، وترى ملكة المراقبة، وتبث على طلب معالي الأمور وأشرفها، وتأنى بالإنسان عن محقرات الأمور وسفاسف الأعمال.

والله سبحانه هو الكمال المطلق والرحمة الواسعة، ولا يدخل في حظيرة قدسه إلا من تخلق بأخلاقه وأنصف بصفاته، وفي الحديث: «تخلقوا بأخلاق الله».

وجميع العبادات والمعاملات وكل أوامر الله ونواهيها إنما توجه هذا الاتجاه، وتدور في هذا الملك، «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط».

فالآية تقرر أن العاية من إنزال الكتب وإرسال الرسل إقامة الحق والعدل في الأرض، ولا يدع الإسلام أي جانب من جوانب الخلق الحسن إلا ويدعو إليه بقوة، ويحث عليه في حماس.

ومقياس الإيمان الخلق. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أكل المؤمنين إيماننا أحسنهم حلقا، وخياركم خياركم لنسائهم»، وقد يجهد المرء نفسه في عادة يستمد منها دوام الثواب بحيث لا ينقطع لا في ليل ولا في نهار؛ فيديم صيام النهار فلا يفطر، وقيام الليل فلا يفتري، ولا ريب في أن المواظبة على هذا، والمثابرة عليه من عمل الصديقين. وليس كل إنسان بقادر عليه ولا يستطيع له. ولكن الإسلام يفتح باب هذا الخير من طريق الخلق فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم».

وإنما يثقل ميزان الفرد أو يخف حسب قيمته الخلقية. يقول الرسول صلوات الله



وسلامه عليه : « ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يفضي الفاحش البذي » .

وتفاضل الناس واقتسامهم المنازل والدرجات عند الله بحسب الحالة الخلقية التي وصلوا إليها ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محمًا ، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا ، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه » .

والخلق إنما يصدر عن نفس سمحة وصحير حي ، فكما يبدو حسنه في الأمر الكبير ، يتجلى كذلك في الأمر الذي يبدو وكأنه لا شأن له .

فالإحسان إلى المولى خلق حسن ، والابتسامه في وجه الصديق خلق حسن كذلك ، وإن النفس الفاضلة التي تنطلق على بحيمتها لا تفرق بين هذا وذاك . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » .

ونار الله الموقدة إنما يطعمها نصف ثمرة أو كلة طيبة ؛ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

وغفران الله يغمر المذهب الدنس إذا نفجر في قلبه نبع البر والرحمة ؛ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « بينما كلب يطيف بركية قد كاد يقتله العطش ، إذ رآته بغى من بغايا بنى إسرائيل فزعت موقها فاستقت له به فسقته فغفر لها به » وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يتنلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين .

والإحسان هو عاية من الغايات التي يريد الإسلام أن يجعلها جزءاً من الطبيعة الإنسانية ؛ بحيث يصدر الإنسان عنها في كل ما يأتي وما يدر . . يقول الرسول صلوات الله عليه : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرة وليرج ذبيحته » .

وإدخال السرور على الناس والاهتمام بضروراتهم من أقرب القرابات ، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال : « إدخال السرور على المؤمن ، قيل وما إدخال السرور على المؤمن ؟ قال سد جوعته وفك كربته وقضاء دينه » .

وهكذا يصبى الإسلام بصع الأسس الأدبية لحياة راقية رفيعة يمكن أن يكون عنوانها تلك الحكمة النبوية المشرقة ، الناس عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله .  
ولا يكتفى الإسلام بأن يطبع الناس على فضائل الأخلاق ومحاسن الآداب ، بل يمرض إلى جانب ذلك فريضة الجهاد من أجل استقرار هذه المبادئ والتدعيم لها ، حتى تكون القاعدة العامة والعرف الذى تنمى الجماعة به وتصدر عنه .

وهذا الجهاد يقتضى التعب والنصب والعرق والدموع والصبر والمصابرة ؛ لأن تثبيت معالم الخير ، ومحاربة الانحراف والشدوذ ، والعادات السيئة والتقاليد الفاسدة ، والآهواء المضلة والعقائد الزائفة ، ليس بالأمر السهل الذى يتم بكلمة تذاع أو مقال ينشر .  
ومن أجل ذلك أطلق الشارع على محاربة المنكر أيا كان لونه ، ومحاولة تغييره لفظ الجهاد المأخوذ من الجهد والمشقة ، وجعل ثواب المجاهدين المغفرة والجنة .

وقد ورد فى الحديث أن الجهاد هو رهبانية المسلمين : ، أى أن حقيقة الرهبانية فى هذا الدين ليست فى اعتزال الناس ، ولا فى الانطواء على النفس ، ولا فى هجر ما أحل الله من الطيبات من الرزق ، وإنما هى تضحية كريهة من أجل الحق ، واحتمام للشدائد فى سبيل الإنسانية ، وتحمل للتبعات الجسام إعلاء لكلمة الله .

فهى عمل إيجابى ، ومحاطة بتمرض الإنسان فيها لإتلاف نفسه وإزهاق روحه ؛ أداء للواجب وانتصاراً للحق .

هذه هى الحطة التى جاء بها الإسلام ، والتى اتخذها سبيلنا الصالح منهجاً عملياً لسلوكهم ، فعاشوا فى ظلها سعداء آمنين . قدموا للدنيا أحسن ما عندهم وأحذروا منها أحسن ما فيها . ثم خلف من بعدهم خلف جردوا هذه الألفاظ من معانيها ، فبعثت ألفاظاً ميتة لا تحيى نفساً ، ولا تنير قلباً ، ولا تهذب خلقاً .

صل للسليبي أن يحيو هذه الألفاظ بأحياء نفوسهم حتى يهيم الله الجدة والحياة ؟

**السيد سابق**

مدير الثقافة بوزارة الأوقاف

## الروحية الحديثة دعوة هدامة

- ٢ -

كانت تربطني بالأساذ أحد همى أبى الخير صلة قديمة إذ كان أحد أساتذتى الذين أحبهم وأحترمهم بمن تلقيت عليهم العلم فى مرحلة الدراسة الثانوية . وكان الأستاذ أحمد همى أبو الخير قد رزق وقته بك بولود سماه ( لبيب ) بعد طول تشوف وانتظار وحرمان . ثم لم يلبث أن توفى أبنه فى عام ١٩٣٧ وهو بعد فى المهد فحزن عليه حزنا شديدا . ووقع فى يده وقته كتاب انجليزى لأحد المشتغلين بالروحية والاتصال بالمولق وهو كتاب ON the Edge of the Ethenic تأليف قندلاى J. Arther Eindlay فارناحت نفسه الحزينة له ووجد فى دعاواه عزاء عن فقد أبنه وترجمه إلى العربية تحت عنوان : ( على حافة العالم الأثيرى ) . ودفعه إعجابه بما جاء فى الكتاب ، وتعلقه بأمل الاتصال بابنه ، إلى أن بدأ فى رسم طريقة مؤلفه . وقرأت الكتاب وقته وكنت على صلة بترجمه قبل وفاة ولده ، وشاركته الإعجاب به . فقد مهد لدعاواه بمقدمة بارعة فى الكشف الطبيعية الحديثة التى حطمت الفرة وانتمت ظلماتها وانتهت إلى أن العالم ليس إلا حركة ، فهو مجموعة من الموجات التى تختلف كما وكيفا ، والتى يمكن أن تتداخل ، ويمكن أيضا تحويلها وتغييرها من مادة إلى أخرى حسب ما اصطلاحنا على تسميتها فى واقعا الحسى المحدود . وقرن المؤلف ذلك بأن حواسنا لا تدرك من هذه الاهتزازات أو هذه الموجات إلا أقلها ، وأن ما تدركه لا يكاد يقاس فى تقافته وصاآته إلى ما لا تستطيع إدراكه . وأن بعض هذا الذى لا تدركه قد أمكن إدراكه بوسائل علمية مختلفة . ثم انتقل المؤلف من ذلك إلى أن للروح وجودا حقيقيا مستقلا ، وأنها تتداخل مع الجسم المادى الملبوس وتتخلله وتطابقه مطابقة تامة ، ولكنها فى اهتزازها خارجة عن المدى الذى تستجيب له حواسنا . وانتهى إلى أن عجز الحواس عن إدراكها لا يعنى إذن أنها غير موجودة ، أو أن من غير الممكن إدراكها بوسيلة من الوسائل التى تغلب بها على المجهول ، ونوسع بها المدى الضيق الذى تنحصر فيه حواسنا بحكم الفطرة التى فطرت عليها . وبهذه المقدمة البارعة التى تلبس ثوب العلم ، والتى تبعد عن المؤلف تهمة الشعوذة والمخادعة ، وتنقى

عن الموضوع الذي يمد له بهذا الكلام شبه الخرافة ، استطاع المؤلف أن يستدرج القارى بقصصه العريية فيما رواه عن تجاربه المزعومة وعما خصص إليه من صور فيما بعد الموت .

وكننت وقتذاك أجتار طورا من أطوار الشباب التي يشتد فيها الولع باقتحام المجهول وخوض طلباته والكشف عن جوانبه الغامضة ، وكننت شديد الولع باستكشاف ما وراء هذه الحياة الفارغة التي تكاد لتفاهة شأنها أن تكون وهما من الأوهام أو حلما من الأحلام القصيرة العابرة في عمر طويل مديد ، لذلك وقع منى هذا الكتاب بعد أن فرغت منه موقع الإعجاب . وزادني به إعجابا أن مؤلفه - وهو مسيحي - ينسب عن المسيح عليه السلام صفته الإلهية ويؤكد أنه بشر رسول على ما يؤكده الإسلام . وظننت أنى قد اهتديت للحل الذي يريح من كل شك وينقطع دابر كل دعوى إلى المادية والإلحاد والكفر برسالات الله سبحانه وتعالى إلى رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، بل يصحح ما علق ببعض هذه الرسائل من بدع وضلالات .

وأقبلت على مشاركة الأستاذ أحمد فهمى أبى الخير تجاربه في الاتصال بالأرواح منذ بدء هذه التجارب ، بدأنا بطريقة الكوب والمنصة ، فلم أجد فيها ما يبعث على الطمأنينة والإقناع . ثم لم يلبث أن دخل في هذه التجارب ممرض في مستشفى القصر العيني كان يدعى يس محمد عبد الله - ولا أدري كيف عثر به الأستاذ أبو الخير - فتحولت الجلسات منذ ذلك الوقت إلى الاعتماد على وسيط الغيبوبة . وانضم إلينا في هذه المرحلة الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله ، وحاولنا أن نضل إلى مشاهدة شئ من حالات التجسد أو الصوت المباشر التي يعطى بها دعاة الروحية ويرونها الدليل القاطع على صدق دعاوهم فلم نتجح في شئ من ذلك ، واكتفى الأستاذ أبو الخير بتحويل الجلسات إلى ما يسميه أصحاب هذا الفن بالعلاج الروحي ، ولا يزال واقفا حيث تركته لم يحصل هو ولا أى دائرة أخرى في مصر - على كثرة الدوائر التي تتحلل الصفة الروحية الآن - على حالة من حالات التجسد أو الصوت المباشر أو نقل المجلوبات البعيدة أو غيرها مما تقرأ عنه في كتب الروحانيين الأوروبية والأمريكية . والسبب في ذلك هو أن هذه الحالات لا وجود لها في حقيقة الأمر . فهمى الأعيب بحكمة متقنة تقوم على حيل خفية بارعة ، وسيعلم القارى من بعد أنها ترمى إلى هدم الأديان كلها - وفي مقدمتها المسيحية - على غير ما تكشف عنه النظرة الأولى الساذجة ، وأغلب ظنى أن أصبح الصهيونية العالمية الهدامة ليست بعيدة عنها .

ولم تسترح نفسي إلى ما كان يجرى من حولي في هذه الاجتماعات من حركات وإشارات ، ولم يعلمن عقلي إلى ما أرى وما أسمع ، ولم يلبث هذا الشك أن أصبح يقينا بأن هذا الذي يجري من حولي ليس إلا ضربا من الدجل والشعوذة ، فاكثفت وقتذاك بأن أنسحب في هدوء ، وخلاصة ما حدث وقتذاك مما صرفني عن هذه التجارب هو أنني لم أطمئن إلى الصوء الأحر الخافت الذي كان كل شيء يجري فيه ، ولم أستطع تعليل الحركات المتشنجة وأصوات النفخ المزيج والشحير المنكر التي تخرج من فم الوسيط عند قيامه بالعلاج الروحي المزعوم ، ولم أستطع أن أسيغ ما قيل في تعليل ذلك من أن العلاج يتم بإشعاعات غير متطورة ، تأتي من عالم الروح عن طريق الوسيط . فالإشعاعات لا تستزم هذه الأصوات التي لا تصلح إلا لأن تكون وسيلة من وسائل الاسترهاب ، وزاد في عجيبي وفي شكوكي أن الوسيط - وكان وقتذاك هو المدعو بس - كان يتعوه في غيبوبته المزعومة برطانات عامضة ، راعما أن هذا الخليط المضطرب من الأصوات هو اللغة التي يتفاهم بها الأرواح فيما بينهم ، وكان من السهل على أي مدقق أن يكتشف أن هذه الأصوات المتنافرة التي تخلو من أي ضرب من ضروب النظام أو التناسق لا يمكن أن تكون لغة ، وظل الشك يراودني زمنا حتى فوجئت في بعض الجلسات برجل غريب يقتحم علينا اجتماعنا راعما أن قوة خفية قد ساقته إلى ذلك المكان ، ثم لا يلبث أن يقع في عيبوبة فيرقد إلى جانب الوسيط الأول ويتبادل معه الرطانة .

وعند ذلك وجدت الفرصة سانحة للكشف عن حقيقة الأمر ، فأخرجت إبرة ذات رأس مما تعودت وقتذاك أن احتفظ به في ثنية الصدر بمعطني ، ودفعتها خلسة في ساق الوسيط الجديد وكررت ذلك مرتين فتمللم ولم يلبث أن أتبع ذلك بكلمات وحركات أدركت منها أنه يتمتع بكامل وعيه . ولم يلبث هذا الرجل الغامض أن اختفى لحاة كما ظهر لحاة . واسترصحت الأستاذ أبا الخير حقيقته فقال لي : إنه دجال لا خير فيه وأنه لم ينجي إلا طمعا في مغنم يصيه من وراء عمله . ثم إنني لقيت الرجل بعد ذلك مصادفة أثناء زيارتي لأحد أصدقائي بمسيل الروضة في سنة ١٩٣٩ قبيل شوب الحرب . ولم أجد ضغوبة كبيرة في استدراجه فقد كان حقه على الأستاذ أبي الخير لا يقل عن حق الأستاذ أبي الخير عليه . لذلك لم أكد أسأله جلية أمره حتى اندفع في الكلام بلا تحفظ يقص على كل ما حدث أثناء غيبوبته المزعومة في تلك الجلسة التي اختفى على أثرها ، وقدم لي من الدلائل ما تأكدت معه أنه لم يكن غائبا عن الوعي كما كان يتظاهر . وهذا يعني أن الوسيط الآخر الذي يقوم

بالعلاج الروحي المعروف لابد أن يكون غائبا مثله ؛ لأنه كان يبادل الرطانة في أثناء تظاهرهما بالغيوبة . واستنتجت وقتذاك أنه كان طامعا في أن يشارك في المغامرات والمكاسب التي توم أن القائلين على هذه التجارب يجنونها من وراء العلاج الروحي ، وأن الأستاذ أبا الخير لم يلبث أن تحصل منه حين تبين منه هذه النية .

والمهم في الأمر هو أن هذا المحتال كان يراطن الوسيط الأول الذي يبنى عليه أبو الخير كل نتائج بحوثه الروحية . فإذا ثبت أنه دجال فلا بد أن يكون الآخر دجالا مثله . ولا بد أن يكون ما نحن فيه باطلا من أوله إلى آخره . وقد صارت الأستاذ أبا الخير بكل ما حققته فلم أجد منه إقبالا على كلامي أو إصغاء إليه ، ورأيت فيه إسرافا في حسن الظن بالوسيط يتجاوز في تقديري ما ينبغي أن يتم به البحث العلمي الدقيق ، فاكنت وقتذاك بأن أعزل اجتماعاته في هدوء ؛ لما كنت أكنه له من تقدير واحترام منذ تلتذت عليه ؛ ولأنني قد رجحت حينذاك أنه ضحية الخداع الوسيط وقتته به وأنه غير مشترك في هذا الخداع ؛ ولأنني كنت لا أزال وقتذاك غخدوعا بدعوى الروحانيين لا تتجاوز شكوكي شخص الوسيط ، فكنت أقول لنفسي : إن فشل تجربتنا لا يدل على فساد الدعوى ، ولعل مواصلة التجربة تؤدي إلى نتائج سليمة . ولم ألبث أن نقلت إلى فرع كلية الآداب بالإسكندرية في العام التالي سنة ١٩٤٠ فانقطعت صلاتي بالجامعة إلا ما كان من زيارات متباعدة كلما سمحت الفرصة أثناء وجودي في القاهرة . ولكنني تلبثت أخبارها في الصحيفة التي أصدرتها من بعد باسم (عالم الروح) والتي ظل الأستاذ أبو الخير يتمصل بإرسالها إلى مشكورا حتى الآن .

عرفت منها أنه قد استبدل بالوسيط الأول وسيطاً آخر يدعى محمد أبو سريع عيد وهو صانع يعمل في تبيض الجدران وطلاء الأبواب . ثم انتهى إلى جماعة من المثقفين الذين أشرت إلى أسماء بعضهم منذ قليل ، فاستغلوا صفتهم هذه التي تمكنهم من إملاء ما يشاءون باسم الأرواح . وانحرفوا إلى النعابة للفرعونية وتمجيدها في شتى نواحيها الحضارية والثقافية ، بل الدينية أيضا ، حتى أصبحت بعض أعداد مجلة «عالم الروح» الشهرية مسخرة لهذا الغرض وحده في كل مقالاتها .

وأتاح الله لي بمنه وفضله بعد من أسباب الهداية ما ملأ نفسي يقينا وما أقامني على الجادة ، وكما في العرض لهذه المجازفات الخطرة المهلكة . وأعدت النظر في هذه المزاعم الروحية

فاذا هي شعبة من الدعوات المربية التي تأخذ الناس من كل جانب ، والتي تلبس مختلف الاثواب ، ونخفي حقيقتها تحت مختلف الاسماء ، محاولة بذلك أن تغطي كل الميادين ، وتتغفل إلى كل الاتجاهات . فهي تارة فتحل اسم العلم ، وهي تارة أخرى تتحلل اسم السلام أو الرحمة أو الإنسانية أو محاربة الإلحاد والمادية . وهي أبعد شيء حقيقة وهذا عن كل ما تستتر تحته من أسماء وأغراض . وهالتي الأمر حين تبينت حقيقة أمرها ، وكثرة المخدوعين بها والواقعين تحت سلطانها ، من الأبرياء الذين لا تزال تستدرجهم حتى تستل من صدورهم الإيمان ، وتسلبهم إلى خليط مضطرب من الظنون والأوهام ، يزعزع معه كل ما استقر في نفوسهم من عقائد دينية ومعايير أخلاقية . عند ذلك أيقنت أن في عنق أمانة لا تبرا ذمقي إلا بأدائها ، وهي أن أشهد بما علمت وأكشف عما عرفت من أمر هذه الدعوة الهدامة . فلعل في مقال هذا الذي أكشف فيه عن أباطيل هؤلاء الهدامين إيرادا لذمقي من تبعة كتمان الحق ، وقياماً بواجب الشكر على بعض نعم الله سبحانه وتعالى علي .

وبعد ، فإني أستمح القارئ عذرا عن إقحام شخصي في هذا الحديث ، فإلى التحدث عن نفسي قصصت . ولكنني أردت أولا أن أدل بشهادة يائمه قلبي بكتبتها ، ثم إنني أردت أن يعلم القارئ وأن يعرف المشتغلون بهذه الأوهام أني لا أجتزأ بالخوض فيما لا أعرفه ، وأنني غير مدفوع في كلامي هذا بالتشبث بالمألوف الموروث والإعراض عن كل جديد ، على ما يزعمه ويكرره أصحاب كل ضلالة تساق تحت اسم « جديد » . ومن الواضح أن كلامي غير موجه للشعاشين والمخادعين والمضللين والمعرضين من طلاب المغانم شهرة كانت أو مالا . فهؤلاء لا حيلة لي معهم ، وأمرى وأمرهم إلى الله سبحانه وتعالى . وكل ما أستطيعه إزائهم هو أن أبه الناس لشرم وأكشف القطاء عن الأعيهم . أما المخلصون والباحثون عن الحقيقة من المشتغلين بهذه التجارب ، بمن استهواهم بريقها الخداع ، وظهرها المزيف ، وغطاها المزورة ، فألهم يساق الحديث . والامل كبير في أن يراجعوا أنفسهم ، ويميدوا النظر فيما قرءوا وما شاهدوا ، وفيما يسمعون وما يشاهدون ، في ضوء ماسوف أكشف عنه أثناء مناقشة حججهم وأساليبهم ونفض أغراضهم . وإلى الجزء القادم إن شاء الله ؟

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية

## كلمة

### حول الاحتفال بليلة النصف من شعبان

كتب الأستاذ الشيخ محمد البنا في العدد الثاني عشر من مجلة لواء الإسلام لستها الحادية عشرة كلمة في حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، وما ورد فيها من الصلاة والدعاء اللذين يفعلهما المسلمون في مساجدهم وبيوتهم مع أهلهم لم يصب فيها كبد الحقيقة التي ينشدها المسلمون من الدعاة الهادين ؛ لأنه ظن أن الأحاديث الواردة فيها - وقد ذكر بعضها - صحيحة سالمة من التجريح ، مع أنها على ما نقل عن الحافظ ابن حجر لا تساوى سماعها ، وبكل أسف أرغى العنان لقله لجمع به وقد عن طريق الرشاد الذي يدعو إليه القرآن الكريم ، فرى صفوة العلماء أئمة الدين بالحاجة وسوء التصرف والبعد عن الحكمة وتفريق كلمة المسلمين ؛ لأنهم اختلفوا في حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان هل هو موسم ديني مشروع أو غير مشروع ؟ حيث قال ما ملخصه : إن ما يفعله المسلمون في هذه الليلة في مساجدهم وبيوتهم مع أهلهم من الصلاة والدعاء وقراءة القرآن تقليد لا أراه منانيا للدين أو مراغمة لسنة من سنن سيد المرسلين ، وفي الاحتفال بهذه الليلة تذكير الناس بالإفلاخ عن الرذائل والتحلل بالفضائل ، والاولى أن يدعو الإنسان في هذه الليلة بما ورد مع قراءة سورة يس .

ثم قال عن اختلافهم في حكمه : والعلماء قدوة للناس فإذا أوقدوا بينهم نار الخلاف لأمر صغير كانوا قدوة سيئة وشرأ مستطيرا ، وإذا غلبت الحكمة والتفوا على هدف واحد بالتفاهم والتعاون كانوا مثلاً صالحاً وخيراً للعالمين ، كيف وقد عرف من أخلاق سيد الخلق أنه كان لا يجبر أحداً إلا عن معصية ، وليس في هؤلاء العلماء من يدعى أن الدعاء في هذه الليلة منكر والابتهاال إلى الله فيها معصية ، وماذا عليهم لو قالوا كما يقول عقلاء الأمة : إن ما ورد صحيح ، لو قالوا ذلك لساد الوفاق وارتفع الشقاق وكان ذلك هو الحكمة وفصل الخطاب .

والرد على كلمته أقول للأستاذ محمد البنا : إن الدين رسم إلهي وتشريع سماوي ، شرعه العليم الحكيم على لسان رسوله بما يليق لعبادته وشكره ومصالح عباده ، مبين العبادات وكيفيتها



وزمانها ومكانها ومواسم اجتماعها ، فليس للرأى والقياس العقليين فيه دخل ، فمن أحدث زيادة أو نقصا في صحتها أو كيميئتها أو أحدث مواسم أو اجتماعات أو أحكاما من حلال أو حرام فقد جعل نفسه شريكا لله في التشريع كالأخبار والرهبان ، أو اقترى الكذب على الله إن نسب ذلك إليه تعالى ، وهذا ابتداع في الدين فهو ضلالة ، فقول الأستاذ محمد البنا : إن هذا « تقليد » اعتراف صريح منه بأن هذا الاحتفال غير مشروع ، وأنه تقليد لمبتدعيه كتقليد الكشائيين للكهنة في طقوسهم الدينية ، وقوله : لا أراه منافيا للدين ، قول بالرأى في الدين ، وتشريع بما لم يأذن به الله ، فهو ضلالة وفتنه . روى عوف بن مالك الأشجعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ( تفرق أمتي على بضع وسبعين فرقة ، أعظمها فتنة قوم يقيسون الدين برأيهم ، يحرمون ما أحل الله ، ويحلون ما حرم الله ) ، وقال عمر بن الخطاب « إياكم وأصحاب الرأى فإنهم أعداء السنن » ، أعيتهم الأحاديث أن يعوها ونفلت منهم أن يحفظوها ، فقالوا بالرأى فضلوها وأضلوا .

ويؤيد ما ذكرته من أن التشريع الديني لا دخل للرأى العقلي فيه ما وقع بين علي كرم الله وجهه وبين رجل آخر ، وهو أن رجلا يوم العيد في الجماعة أراد أن يصلي قبل صلاة العيد فتناه على فقال له الرجل : إني أعلم أن الله لا يعذب على الصلاة ، فقال له علي : إني أعلم أن الله لا يثيب على فعل حتى يفعله رسول الله أو يحث عليه . فاشبه قول الأستاذ محمد البنا بقول هذا الرجل فيرد عليه بما قاله علي رضي الله عنه ، وروى أن رجلا سأل مالك بن أنس من أين أحرم ؟ فقال له مالك من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له الرجل : فإن أحرمت من أبعد منه ؟ فقال له مالك : لا تفعل فإني أخاف عليك الفتنة . فقال الرجل : وأي فتنة في ازدياد الخير فقال له مالك : يقول الله تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة » وأي فتنة أعظم من أنك ترى أنك خصصت بفضل لم يخص به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودعوى الأستاذ البنا أنه ورد في ليلة النصف من شعبان صلاة ودعاء وقراءة قرآن دعوى غير مطابقة للواقع ، بل كل ما ورد فيها ابتداع الضالين المضلين على ما سنينها .

وقوله وقد عرف من أخلاق سيد الخلق أنه كان لا يزجر أحدا إلا عن معصية ، فيقال له أي معصية أعظم من الابتداع في الدين واقتراء الكذب على الله وتشريع ما لم يأذن به الله ؟

واقه يقول : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، والنبي يقول في خطبه « وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وعن مالك « من أحدث في هذه الأمة شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن محمداً خان الرسالة ؛ لأن الله يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دنيا » وعن حذيفة بن اليمان وابن مسعود « كل عبادة لم يتبعها أصحاب رسول الله فلا تمسوها ، فإن الأول لم يدع للآخر مقالا ، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم » . وعن ابن عمر « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة » .

والاحتفال ليلة النصف من شعبان بالطريقة التي يفعلها المسلمون في مساجدهم وبيوتهم مع أهلهم لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم بفعل أو قول ، ولم يجعل الشارع هذه الليلة من مواسم الاجتماع الدينية ، ولم يتبعها أصحاب رسول الله ، بل هو محدث في سنة ٤٤٨ هـ . فهو بدعة ضلالة .

وقوله وفي الاحتفال بهذه الليلة تذكير الناس بالإقلاع عن الرذائل والنهي بالفضائل ، سهو من الأستاذ البنا عن مواقع التذكير يحتاج الى تنبيه بأن تذكير الناس بذلك من قبيل الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو مطلوب من القادر على ذلك في جميع الأوقات لا في خصوص ليلة النصف من شعبان ، فنخصيها بذلك بدعة ضلالة .

وقوله وماذا على العلماء لو قالوا كما يقول عقلاء الأمة إن ماورد صحيح ؟ هذه عبارة نائية عن حدود آداب المناظرة ، ولا يليق صدورها من رجل أحد نفسه للإرشاد إلى مكارم الأخلاق مع الأمة المحدثين الحفاظ الدين بذلوا حياتهم وعقولهم لتأييد الحق من الدين ونبتذ الباطل الذي ألصقه المبتدعة به : كائز بن عبد السلام وتقي الدين بن الصلاح وأبو بكر ابن العربي وأبي شامة شيخ الإمام النووي وابن نيمية ، وغيرهم من أعلام المحدثين الذين بلغوا درجة الاجتهاد ، ويصعبهم بأنهم غير عقلاء ومفروقون للأمة الإسلامية ؛ لأنهم اختلفوا في الاحتفال ليلة النصف من شعبان هل هو موسم ديني له صلاة خاصة ودعاء وقراءة قرآن ؟ وكان عليهم أن يتفقوا على مشروعيته وصحة أحاديثه وإن ثبت عندهم أنها موضوعة . فأذكر الأستاذ محمد البنا - والذي ترفع المؤمنين - بأن الاختلاف الذي هو تبادل الرأي للوصول إلى الحق للعمل به دنيا أو دنيا جاز شرا مقبول عقلا ، وقد خلق الله الإنسان متفاوت العقل

مستعدا لتبادل الرأي ؛ لتحصيل العلم الذي تتحقق به إنسانيته ويصلح به أن يكون خليفة في الأرض ليصعدها . فطلب الأستاذ البنا من أعلام الأمة نبذ الاختلاف وتبادل الرأي بينهم كطلب ألا يكون الإنسان إنسانا ، وفي القرآن الكريم كثير من الاختلاف بين بني الإنسان بل وبين الملائكة ، فقد اختلف موسى مع أخيه هارون ومع الخضر ، واختلف النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في كثير من الشئون الدينية والدنيوية ، واختلف السلف بعضهم مع بعض ، وما الثوري في الإسلام إلا تبادل الرأي ، وما القضاء في الخصومات إلا بعد تبادل الرأي بين المتخاصمين أمام القاضي ، وما اختلاف العلماء في مشروعية الاحتفال بليلة النصف من شعبان وعدم مشروعيته إلا تبادل الرأي لإقرار الحق ونبذ الباطل الذي لا تقره الشريعة الإسلامية . فهم عقلاء الأمة وقادرونها ، وشمس هدايتها وطمعوا شتاتها ومنطقو عقدها ، فجرائم الله خيرا . وأختم كلمتي بمأروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا تزال أمتي بخير ما قر صغيرها كبيرها ورسم كبيرها صغيرها وحفظوا لعالمهم حقها ، ، سألت الله أن يحفظنا من الذين يحفظون حقوق علينا ثم يجهلون الانحراف عن صواب آرائهم .

وإليك بذمة ما قاله حفاظ الحديث وأهل التعديل والتجريح في حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان وما رد فيها وتاريخ حدوثها .

( قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : إنا أنزلناه في ليلة مباركة ، من سورة الدخان ما نصه : قال القاضي أبو بكر بن العربي وجمهور العلماء : إنها أي الليلة المباركة ليلة القدر ، ومنهم من قال إنها ليلة النصف من شعبان ، وهو باطل ؛ لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، فنص على أن ميعات نزوله رمضان ، ثم عيّن نزوله الليل ما هنا بقوله : في ليلة مباركة ، فنزعم أنه في غيره فقد أعظم القرية على الله . وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها ، فلا تنتفتوا إياها ) ١ . هـ .

وقال جمال الدين القاسمي في كتابه : إصلاح المساجد ، نقلا عن كتاب : الباعث على إنكار البدع والحوادث ، لأبي حامدة شيخ الإمام النووي في حكم صلاة رجب : وقد حزم حفاظ الحديث بوضع أحاديثها . ثم قال : وما ذكره الحافظ أبو الخطاب في أمر صلاتي رجب وشعبان من أنهما بدعتان وحديثها موضوع هو كان سبب تطليهما في بلاد مصر بأمر سلطانها الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب رحمه الله ؛ فإنه كان ماثلا إلى إظهار السنن وإماتة

البدع . وقال في بدعة زيادة التنوير في ليلة النصف من شعبان ونشر فضائلها وقرائة أدعية فيها : وهو من مقايما ما كان ابتدع فيها سنة ٤٤٨ هـ من الصلاة الألفية ، يقرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة ، في مائة ركعة تلي بعد الفاتحة عشر مرات سورة الإخلاص ، وكانت تنور المساجد لأجلها ويجمع الألوف لأدائها ، إلى أن أبطلها الملك الكامل ، ثم قال : قال ابن وضاح عن زيد بن أسلم : ما أدركنا أحدا من مشايخنا ولا فقهاءنا يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان ولا يهاؤنا يلتفتون إلى حديث مكحول ولا يرون لها فضلا على سواها ، وقال الحافظ أبو الخطاب بن دحية تروى الناس الأعمال في صلاة ليلة النصف من شعبان أحاديث موضوعة ، وكلفوا عباد الله بالأحاديث الموضوعة فوق طاقتهم من صلاة مائة ركعة ، وقال أهل التعديل والتجريح : ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يصح ، فتحنظوا عباد الله من منكر يروى لكم حديثا موضوعا يسوقه في معرض الخير ، فاستعمال الخير ينبغي أن يكون مشروعا من النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا صح أنه كذب خرج عن المشروعية ، وكان مستعملا من خدم الشيطان ، لاستعماله حديثا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل الله به من سلطان . ثم قال : وما أحدثه المبتدعون وجروا فيه على سنن المجوس واتحنوا دينهم لهوا ولعبا من الوعيد ليلة النصف من شعبان ، لم يصح فيها شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نطق بالصلاة فيها والإيقاد وصدق من الرواة ، وما أحدثه المتلاعب بالشرعية المحمدية راغب في دين المجوسية لأن النار معبودهم ، وأول ما حدث ذلك في زمن البرامكة فأدخلوا في دين الإسلام ما كان أصلهم عليه من عبادة النيران . ثم قال : وأما دعاؤها المشهور فلم يرد من طريق صحيح ولا عسيرة ، وإنما هو من جمع بعض المشايخ ، اه كلام العلامة القاسمي رحمه الله .

وعن النجم الفيضاني في فضائل ليلة النصف من شعبان : ( أن ما يروى في هذه الليلة من الأحاديث باطل وموضوع ) ١ .

وقد أنكر الإمام الشيخ محمد عبده الاحتفال بليلة النصف من شعبان وأحاديثها ودعاهما أشد الإنكار في درس التفسير الذي كان يقرؤه في الأزهر على ملاّ العلماء والنعطاء . ومن أهم ما استند إليه المبتدعون لهذا الاحتفال تهويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام في يوم النصف من شعبان ؛ فالاحتفال ببيلته تذكير بهذا الحادث العظيم وفي بهجة المحافل عن

المواهب اللدنية ( روى الإمام أحمد عن ابن عباس بإسناد صحيح أن تحويل القبة كان في رجب ، قال الواقدي وهو أثبت ) أى من القول بأنه في شعبان . وقال الحافظ أبو الخطاب وهو الصحيح وجزم به الجمهور ( ١ هـ . على أنه لو ثبت قطعا أنه في شعبان لم يكن هذا مسوغا لجعلها موسما يحتفل به دينيا ؛ لأن كل احتفال ديني لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة كالجمعة والعيد والحج ، ولم يكن له مسوغ شرعي ، كالاتعاظ والاعتبار أو التأسي والاستبصار بذكر حوادثه وأسبابها وما نجم عنها كذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، يكون عبثا وتشريفا بما لم يأذن به الله فيكون بدعة ضلالة ، وعلى علماء المسلمين أن يقاطعوها هذا الاحتفال ، وجميع الاحتمالات المبتدعة ، كاحتفالات المولد التي ابتدعتها أرباب طرق التصوف الباطلة ، التي شوهت جمال الدين المحمدي وسرت ضوؤه ، وأسأت سمعته لدى أعدائه بما اشتملت عليه من المفاسد وجعلت الأمة الإسلامية شيعا وأحزابا متفرقة متعادية ؛ لأنهم على غير المنهج النبوي ، فهم لا يرون إلا أكل أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ؛ فإن شهود العلماء لهذه الحفلات وهذه الموالد بدون إنكارها وهم أئمة الدين بما يومهم العامة أنها من الدين وهو منها براء ، بل وعلى العلماء خصوصا الوعاظ منهم أن يبينوا للناس أنها فتن وإلا كان عليهم إثم السكوت والإقرار على الباطل . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « وستعرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابي » . أسأل الله أن يوفقنا إلى اتباع هدى النبي صلى الله عليه وسلم .

### عمر عبد الوهاب الجندي

شيخ معهد دمشق سابقا

### صحابة الرسول

شم العرابين أبطال لبوسهم	من لسج داود في الهيكل مرايل
لبسوا مفاريح إن نالت رماحهم	قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا
	كعب بن زهير

## من تاريخ السنة النبوية

(١)

### حجية السنة ووجوب العمل بها

السنة معناها في اللغة الطريقة والعادة المتبعة ، وأما معناها في صرف المحدثين والاصوليين ، فهي قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره ، والمراد بتقريره سكوته وعدم إنكاره لقول أو عمل رآه أو علم به ، صدر من هو خاضع لحكمه وسلطانه ، فهذا السكوت يكون تقريراً لمشروعية ذلك القول أو العمل ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا يقر أحداً على باطل ، أما إذا صدر ذلك القول أو العمل من ليس خاضعاً لحكمه وسلطانه ، فلا يكون عدم إنكاره تقريراً لمشروعيته .

والسنة بهذا المعنى الاصطلاحي ، هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ، فقد أجمع أهل الحق من أئمة المسلمين وعلمائهم ، على أن السنة النبوية حجة شرعية يجب العمل بها ، وقد تحدث القرآن عن هذا الأصل في آيات كثيرة ، وأظهره في أساليب متنوعة ، فيها إيجاب وإلزام ، وفيها ترغيب وترهيب ، فأوجب علينا أمثال أمره واجتناب نهيهِ ، والافتداء به في قوله وصلة ، والالتفاف لحكمه والتسليم لقضائه ، كما في قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ، « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » ، « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلبوا تسليماً » ، « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول » قال العداء : معناه إلى الكتاب والسنة ، وجعل طاعة الرسول طاعة لله عز وجل كما في قوله « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا ، وجعل اتباعه مستتبعا لحب الله لنا ورضائه عنا كما قال تعالى « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » ، وحذرنا من مخالفة أمره وأوعد المخالفين بسوء العذاب ، كما قال تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وأكدته في كثير من الأحاديث ، كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم « فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ،

وفيا رواه البخاري : من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصي الله ، وقوله صلى الله عليه وسلم : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله .

الحجية السنة النبوية معلومة من الدين بالضرورة ، والإيمان بها أصل من أصول الدين ، والعمل بها واجب كالعمل بالقرآن الكريم ، لا يخالف في ذلك إلا من ضل سواء السبيل ، فكل حديث روى بطريق النقل الصحيح وتضمن حكما تشريعا ، فإنه يكون حجة شرعية فيما دل عليه من إيجاب أو نذب ، أو تحريم أو كراهة أو إباحة ، بشرط ألا يكون مناقضا لصريح العقل ، أو للنصوص القرآنية الصريحة ، أو الأصول الشرعية المجمع عليها ، أما إذا كان مناقضا لشيء مما ذكر ، فإن قبل التأويل بما يرفع عنه هذه المناقضة ، وجب تأويله مع المحافظة على قوانين اللغة العربية في أوضاعها ودلالاتها ، وإن لم يقبل التأويل وجب رده وعدم الأخذ به ؛ لأن هذه المناقضة التي لا تقبل التأويل المجهود في الأساليب العربية ، تدل على أنه حديث موضوع محتلق كما قال أئمة الحديث .

فما كل راو يعدل ضابط ثقة ، وما كل مروى بحديث صحيح ، بل الرواة منهم العدول الصابغون الثقات ، ومنهم الضعفاء وأهل الغفلة ، ومنهم الواضح أصحاب الأهواء والغايات ، والأحاديث الجارية على أسنة الرواة منها الصحيح المعروف ، ومنها الضعيف المنكر ، ومنها الموضوع المختلق ، هذا هو الحق الذي ينطق به واقع الحال فيما روى من أحاديث ومن ، فإن كل من عرف أحوال الصحابة الذين نقلت عنهم أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وعرف أحوال التابعين الذين نقلوا عنهم هذه الأحاديث ، وعرف أحوال الأئمة الذين رووها عنهم وجمعوها ودونوها في دواوينهم ، وأحاط بخير أمدى عناية هذه الصفوة القوية في عثمائدها وأخلاقها وتدينها ، والمتمترة في حفظها وعدالتها وضبطها ، بحفظ هذه الأحاديث والشبث في روايتها والتحدث بها ، ووقف مع ذلك على تاريخ المسلمين وما عرض لهم من أحداث وفتن ، وما تكشف عنه هذه الأحداث والفتن ، من أحراب وشيع ، وأهواء وإتذاع ، وعرف كيف هيمن على تفكير هذه الشيع طغيان التعصب والهوى ، ووقف على أحوال الطوائف التي كانت تكيد في الخفاء للإسلام والمسلمين ، فإن كل من عرف ذلك معرفة رسوخ وثبت ، فإنه يحكم حكما جازما لا يرق إليه الشك والارتياب ، بثبوت الصحة ووجوب الصدق ، في مجموعة كبيرة من الأحاديث والسنن ، التي جاءت مينة لمقاصد القرآن ومتممة لشرائع الإسلام ، كالأحاديث التي رواها الأئمة الراشدون وتلقاها الأمة بالقبول ، وتوارثها

المسلمون جيلاً بعد جيل ، وبوقوع الكذب والاختلاق من الوضع في كثير من الأحاديث كالأحاديث التي وضعها الزنادقة لإفساد الدين ، والأحاديث التي وضعها أهل الأهواء تعصبا لمذاهبهم وانتصاراً لأهوائهم ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فأياكم وإياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم ، غير أن هذه الطوائف على كثرتها وتعدد اتجاهاتها وتباين أغراضها ، لم يخف أمرها على أئمة السنة وحفاظها ، بل عرفوهم معرفة الناقد البصير ، وكشفوا للسلي عن سوء مقاصدهم وخبيث طوياتهم ، وبينوا لهم ما في هذه الأحاديث التي وضعوها من زيف وبطلان ، لحزام الله عن الإسلام وسنة نبي الإسلام أحسن الجزاء .

### أثر السنة في التشريع الإسلامي :

للسنة النبوية أثر كبير في التشريع الإسلامي . إذ هي المصدر الثاني له بعد القرآن كما قلنا ، ويتجلى هذا الأثر العظيم في الجوانب الآتية :

« الجانب الأول » : تبين القرآن وتوضيح أصوله وقواعده . كما قال تعالى « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » ، فالذكر هو القرآن المنزل من عند الله بلفظه ومعناه ، وهو الدستور الإلهي الذي أودع الله فيه الأصول العامة ، لإصلاح العقائد والأخلاق والأعمال . ونظمها في آياته القدسية بأربع الأساليب العربية وأدق التراكيب البلاغية ، ثم أفاض على نبيه بيانها بسنة المطهرة ، نارة بالسنة القولية ونارة بالسنة العملية ، كبيان كيفية الصلاة وأعدادها وأوقاتها ، ومقادير الزكاة وأوقاتها التي تؤدي فيها ، وأنواع الأموال التي تؤخذ منها ، ومناسك الحج وأحكام العقود والمعاملات ، وغيرها من شرائع الإسلام التي جاء القرآن بأصولها ، وجاءت السنة النبوية ببيانها وتفصيلها ، كما يتجلى ذلك في كتب الحديث التي عني جامعوها بفقهاء الحديث النبوي . فالموطأ ، وجامع الترمذي وسنن النسائي وسنن أبي داود ، والكتب الجامعة لأحاديث الأحكام ، كالمتنقى لابن تيمية وبلوغ المرام لابن حجر .

فالسنة النبوية هي التي وضحت مبادئ التشريع لقرآني وأصوله ، وبينت كيف كان يعمل الرسول وأصحابه بهذه المبادئ والأصول ، وكيف كان أثرها في حياتهم المدنية والاجتماعية .



والجانب الثاني: استقلالها بتشريع كثير من الأحكام العبدية، كما يدل لذلك قوله تعالى: «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» وقوله تعالى «ويعلمهم الكتاب والحكمة». قال العلماء الكتاب هو القرآن الكريم، والحكمة هي السنة النبوية. وما رواه أبو داود والترمذي من قوله صلى الله عليه وسلم «يوشك رجل منكم متكئا على أريكته، يحدث بحديث عني فيقول، يئنا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحلناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله» — زاد أبو داود في روايته — ألا إني قد أوتيت الكتاب ومثله معه. فقد دل هذا الحديث بمجموع طرقه ورواياته على ثلاثة أمور: أحدها، أن السنة مصدر تشريع كالقرآن الكريم، وأنه صلى الله عليه وسلم أوتي من هذا الوحي الباطني وهو السنة، مثل ما أوتي من الوحي الظاهري وهو القرآن الكريم، فالقرآن منزل من عند الله باللفاظ ومعانيه. والسنة معانيها وهي من الله تعالى، وأما ظاهرها الدالة على هذه المعاني من عند النبي صلى الله عليه وسلم وإشائه. كما يدل على ذلك عموم قوله تعالى: «وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى»، فلم تكن أحاديثه صلى الله عليه وسلم، تصدر عنه على نهج خطباء العرب وشعرائهم، وإنما كانت روحه العلوية تلقى من الملائكة الأعلى، ما شاء الله من معاني الحكمة، ثم يصوغها في تراكيب تعبر عن هذا الوحي الباطني الإلهي، بخلاف خطباء العرب وشعرائهم، فإن أرواحهم كانت تستمد المعاني التي تبحث في صدورهم، من عواطفهم وأحاسيسهم، وما يحيط بهم من العوامل والمؤثرات، ثم يعبرون عن هذه المعاني، بالأساليب التي تتفق مع هذه العواطف والأحاسيس والمؤثرات، «وثانيها» التحذير من مخالفة السنن التي سننها الرسول مما لم يذكر في القرآن الكريم، فالاحتجاج والعمل بالقرآن مع الإعراض عن السنة، إنما هو ضلال في الرأي وفساد في العقيدة وإلحاد في الدين، «وثالثها» أنه لا حاجة في الاجتماع بالحديث إلى حوزة على كتاب الله كما زعم بعضهم، بل هو حجة شرعية قائمة بنفسها، وأما ما يروى من حديث «إذا جاءكم الحديث عني فأعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه» فقد قال فيه القرطبي نقلا عن الخطابي، إنه حديث باطل لا أصل له، ونقل ابن عبد البر في كتاب جامع العلم أنه من وضع الزنادقة والخوارج.

والجانب الثالث: هو ما جاءت به السنة النبوية من الأخلاق العاضلة، والآداب

السامية ، والحكم البالغة ، والمواعظ الشافية ، فهي الناصح الأمين في نصحه ، والمرشد الصادق في إرشاده ، والقائد الحكيم في قيادته ، والرائد الذي لا يكتنب أهله ، والسلسل العذب الذي يحيي موات القلوب التي لم تستحكم فيها عبادة الجهل ، ولم تحجبها عن منهل حجب الأهواء والشهوات ، وهي النور الإلهي الذي يتغذى إلى أعماق النفوس المستعدة للحير والهداية فيملا جوانبها هداية ونورا ، فليس شيء بعد القرآن أهدى للنفوس ، وأنجع في شفاء الصدور وطهارة القلوب ، وأقوى في تمة مكارم الأخلاق ومواهب الخير والكمال ، من دراسة السنة دراسة رائدتها الإخلاص للدين والعلم ، والوصول إلى مكنون حقائقها وأسرارها . وغايتها ترقية الأرواح وتزكية النفوس ، وتقوية الأخلاق وإصلاح الأعمال ، وقوامها البحث العلمي الذي لا تشوبه شوائب الأغراض والأهواء ، ولا تحكم فيه عصبية المذاهب وتقديس الآراء ، ولا تلتوى به مسالك الزيف والانحراف ، ولا تذهب بفائدته معوقات الجدل الذي لا نفع فيه ولا جندوى ، فإذا تكاملت لدراسة السنة هذه العناصر التي لا بد منها ، تحدث عن مواقع الفيت ومواهب الخير ولا حرج ، حدث بما شئت وشاء لك الحديث ، عما شمره هذه الدراسة من طهارة القلوب وصفاء النفوس ، وكال الأخلاق واستقامة السلوك والإحاطة بأصول التشريع الإسلامي وفروعه ، والوقوف على أغراضه ومقاصده ، واحكم وأنت صادق في حكمك ، بأن كل قلب لا يمتلئ بتعظيم شأن السنة النبوية ، ولا يستضيء بنورها وهداياها ، ولا يعرف حق حفاظها ورواتها من الإجلال والإكبار ، هو قلب هواء لآخر فيه ، ولا يقين له ولا طمأنينة ، ولا نور فيه ولا هداية .

هذه هي خلاصة الجوانب التي تجلى أثر السنة في التشريع الإسلامي ، ونبي منزلتها من الكتاب العزيز ، ونعيم الحجة الواضحة على أن الكتاب والسنة صنوان لا يفترقان ، وكيف يفترقان وقد جمع الله بينهما في العقيدة والعمل ، فمن فرق بينهما أو حاول التشكيك في هذا الميراث النبوي ، فقد ضل في عقيدته وعمله ضللا بعيدا .

#### عناية المسلمون بالسنة :

عرف المسلمون الأولون أن السنة النبوية المطهرة ، هي معنم المسلمين وقبة أبطارهم بعد القرآن الكريم ، ولهذا عنى بها علماء المسلمين وأتمتهم عناية كبرى ، فلم يدعوا جانباً من جوانب حفظها وجمعها ، وتدوينها وشرحها ، إلا جاءوا فيه بأقصى ما تحتمله طاقة البشر ، فقد

قيض الله لها من خيرة الحفاظ المتفنين . والرواة الصادقين ، وأعلام الأئمة الراغبين ، رجالا عرفوا من توجيهات القرآن وتعاليم الإسلام ، أن الوجود الدنيوي بكل ما يتطلبه من عمل وكفاح ، وما يصل إليه من رقي وكال ، وما ينطوي عليه من حكم وأسرار ، إنما هو إعداد لوجود آخرى هو أرقى من هذا الوجود ، وحياة أبدية هي أكل من هذه الحياة فارقت بهم هذه المعرفة عن الرضا بالحياة الراكدة العاطلة ، وسمت بهم عن التطلع إلى الحمد الرخيص المبذل ، وفتحت أعينهم على أبواب هذا الإعداد ومسالكه ، وملأت قلوبهم بأجل المقاصد وأعظم الغايات ، ورأوا بنور بصائرهم ، واستقامة تفكيرهم ، أن الاشتغال بحفظ السنة وتدوينها ، واستخلاصها من كل دخيل مكذوب ، واستخراج ما انطوت عليه من علوم وقنون ، من أشرف المقاصد وأنبل الغايات ، فوهبوا حياتهم وجهودهم لخدمتها والعناية بها ، واتخذوا من رياضتها مسارج لعقولهم وأفهامهم ، وبنلوا في سبيلها كل ما تحتمله الطاقة البشرية من جهد عقلي واحتمال جثائي ، فبهرت حيونهم والجهال في نوم يغطون ، وتعبت أجسامهم وطلاب المسال والجاه في لهو يلعبون ، لأن نفوسهم كانت كبارا :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

فكانت نورا لعقولهم ، وغذاء لأرواحهم ، وسكنا لأفئدتهم ، ورائدا لهم في تدنيهم وسلوكهم ، ومرجعا لهم في فتاويهم واجتهادهم .

وبهذه الجهود التي تواصلت حلقاتها ، وسارت مع السنة في جميع عصورها وأطوارها ، والتي لم تعرف لكلام نبوي من قبل ، حفظوا على السنة جلالها وقداستها ، ونقوا عنها تحريف الغالين في الدين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، وصارت ميراثا غالدا في المسلمين ، وتراثا باقيا في العالمين ، وبذلك كانوا حماة الدين الصادقين ، والأئمة الهداة الراشدين ، ومصدقا لما رواه البيهقي من قوله صلى الله عليه وسلم : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » . وتجلي مظاهر هذه الجهود في ثلاثة أطوار : وهي طور الحفظ والاعتماد على الذاكرة ، وطور الجمع والتدوين ، وطور الشرح والتفسير ، وتفصيل ذلك فيما يأتي إن شاء الله .

يس سويلم طه

شيخ معهد الزقازيق

من أبطال التاريخ :

## أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

رضي الله تعالى عنه

يقف التاريخ وقفات طويلة ، عند كثير من الخلفاء والحاكمين المنصفين ، ويسجل لهم من محائف الحمد والمعار ، ما لا يئليه الجديدان ، ولا يحويه الليل والنهار ، ولقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - نضر الله تعالى تاريخه - من بين هؤلاء العادلين ، الذين دونوا تاريخهم بمداد من الفخر ، على صفحات من نور .

مولده ونشأته :

ولد عمر بن عبد العزيز بالمدينة المنورة ، على المشهور ، في السنة الثالثة والستين من الهجرة النبوية ، وأمه أم عاصم ، بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، رضي الله تعالى عنه ، ونشأ بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، نشأة عزيزة كريمة ، قل أن تنبأ لسواه ، ثم أرسل به إلى أبيه عبد العزيز بن مروان ، وإلى مصر حينذاك ، فكث بها عمر مدة ، يزهر مع نسيمها ، ويتمتع بخيراتنا ، وينعم بحملى مشاهدنا ، وصافى سمائها ، ورأى حسناتها وأثارها . فلما بلغ سن التعلم أرسله والده إلى المدينة ، محط الثقافة الإسلامية ، وموطن علماء اللسان العربي إرداك ، ومقر البتية الباقية من أصحاب الرسول الأعظم ، صلى الله عليه وسلم ، وعيهم من كبار التابعين ، وجعل صاحب بن كيسان رحمه الله ، مؤدبه الخاص ، فأخذ عمر علومه من المنايع العذبة العياضة ، واستقها من المواد الصافية .

زواجه وحكمه :

ولما ذاع فضله أعجب به الخليفة ، عبد الملك بن مروان ، فزوجه بنته فاطمة ، ولما مات عبد العزيز في السنة الخامسة والثمانين من الهجرة ، بعد أن حكم مصر باسم الأمويين زهاء عشرين عاماً ، ولي الخليفة عمر حاكماً على حاضرة ، وهي بلدة كبيرة تابعة للحلب ، ففرح أهلها كثيراً بحكمه ، لما سمعوه عنه وودع الخليفة الحياة ،

وولى الأمر بعده ابنه الوليد ، وضح أهل المدينة بالشكوى من واليهم ، فلم يجد الوليد أصلح لهم ، ولا أعلم بشئونهم من عمر ، الذى نشأ بينهم ، وأقام طويلا فيهم ، فولاه عليهم ، ثم ضم إليه بلاد الحجاز كلها ، لحكمها عمر قرابة ست سنوات ، من سنة سبع أو ثمانية للهجرة ، إلى سنة ثلاث وتسعين منها ، وتوخى الحق في أموره ، واختار حاشيته عشرة من الأئمة المشهورين في المدينة بالصلاح والتقوى ، وكان يرجع إليهم في الشئون العامة ، وحفر الآبار الكثيرة ومهد الطرق القديمة ، وشق أخرى جديدة ، وهدم المسجد النبوى ، وبناء ووسعه وحمله ، وسار في الناس سيرة حميدة ، فربته من نفوسهم ، ومكنت حبه في قلوبهم ، فأطاعوه وانصرفوا إلى أعمالهم ، وأمسى الأمن في الحجاز حديث القاصى والدانى ، ونزع الناس إليه من كل صوب وحطب ، فرأوا من ظلم الولاة وكان أهل العراق أسرع من سواهم ، فأقبلوا على الحجاز أفراداً وجماعات ، هاربين من الحجاج بن يوسف واليهم ، فأكرمهم عمر وسهل لهم سبل الإقامة والمعيشة ، وكتب للحنيفة يصف له قسوة الحجاج ويندب بأعماله ، فكتب الحجاج للوليد يشكو عمر ، وبنو قول : إن حاكم الحجاز يحمى ثوار العراق ، الأمر الذى يزلزل أركان الحكم بالعراق ويريد العن اشتعالا .

وكان الحنيفة مطمئنا إلى بلاد الحجاز ومماعة أهلها ، حريصا أشد الحرص على تهدئة الأحوال في العراق ، فعزل عمر ، وولى مكانه حاكمين بمكة والمدينة ، فبادرا بطرد العراقيين إلى بلادهم ، وشددا على كل من يؤوى عراقياً ، أو يعاونه .

### عمر في الشام :

رجع عمر ، رحمه الله ، إلى بلاد الشام ، حيث الأهل والعشيرة ، والجاه العريض والثراء الواسع ، ولم يؤلمه العزل ، لأن له من جاهه وحسبه وغناه ما يكفيه عن كل ولاية . ولكن الذى كان يحز في نفسه أن يرى الأمويين يؤيدون الطغاة ويمالتونهم على ظلم الرعية ، حتى ضج الناس بالشكوى ، واستعان الحكام ببعض القبائل على بعض ، ورجعت العصية التى استأصل الإسلام جذورها إلى ما كانت عليه .

وبرى عمر من كل ذلك إلى الله ، وانقطع للطاعة والعبادة ، وأعرض عن الدنيا وأقبل على مولاه برجو رحمة ويخشى عذابه ، وضرب في مضمار الورع والزهد بهم وإمر ، ورثه عن جده لأمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليه ، ونما فيه آئمة المدينة وزهادها .

### توليته الخلافة وزهده في مال المسلمين :

ولقد امتاز عمر بعلمه ووعظه ، وسيرته العطرة في الحكم ، وتقواه وصلاحه ، ورحمته بالمحكومين . واشتد الوجع بالخديعة سليمان بن عبد الملك ، وتوقع الناس موته ، ولم يكن هناك من يصلح للجلوس على الخلافة إلا عمر ، فدخل وفد من العلماء ، وذوى المسكنة والرأى على سليمان ، ودعوا إليه أن يعهد بالخلافة لعمر ، فزل على رأيهم وكتب وصيته بذلك ، ودعا وجوه الأمويين لإقرارها ، ولم يوضع لهم اسم من اختاره ، فوافقوا عليها وكل منهم يدور بخلفه أن الوصية له ، وصعدت روح الخليفة لبارئها ، في العام التاسع والستين للهجرة ، وفشت الوصية فأذا هي لعمر ، فاستبشر الناس وأقبلوا إليه مهئين ومبايعين ، وسار فيهم سيرة الخلفاء الراشدين ، حتى عده بعضهم خامس هؤلاء المهديين .

ولقد وجد أمير المؤمنين من سبقه من خلفاء الأمويين يتناولون من بيت المال ما يشامون ، ويعطون أقاربهم ما يريدون ، ويسكنون القصور العنيفة ويركبون الجياد المظهمة ، ويلبسون الثياب الفاخرة ، ويستعملون العطور الذكية ، ويستكثرون من الحرس ويحيطون أنفسهم بضروب مختلفة من الآلة ، فرد عمر إلى بيت المال ما أخذه بغير حق ، وأمر ببيع الخيول وأثاث القصور ، والثياب والعطور ، وجواهر روجته ، ورد أثمان ذلك لبيت مال المسلمين ، وصرف الحراس ولم يبق منهم إلا من تمس الحاجة إليه ، وخاف أن يكون في ضيعته شيء مغصوب أو حرام ، فضمها لبيت المال ، مع خاتم نفيس كان قد أهداه إليه بعض الخلفاء الأمويين .

ولقد حرم أمير المؤمنين على نفسه وأهله أن يأخذوا شيئا من مال المسلمين ، إلا إعطاءه القليل ، الذي قدره كثير من المؤرخين بما يساوي مائة جنية في العام ، وكان ما يصيب عمر منها في اليوم يقارب خمسة قروش 111

شفقته بالرعية وخوفه من الله :

ليس هناك أدل على شفقته بالرعية ، ورحمته بالمحكومين ، مما روته زوجته السيدة فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، قالت : دخلت على عمر يوما في مصلاه فرأيت يبكى ، والدموع تسيل على لحية ، فسأله ما يبكيك ؟ فقال : يا فاطمة لقد تقلبت أمر أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فصكرت في الفقير الجائع ، والمرضى الضائع ، والغارى اليهود ،

والمظلوم المقهور ، والغريب الأسير ، والشبح الكبير ، وذى العيال الكثيرة والمال القليل ،  
وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلت أن ربى سيئاتى عنهم يوم القيامة ،  
وخشيت ألا أجد حجة أدلى بها أمام الله ، فبكيت !!

ولقد رتب رحمه الله للفقراء معونات ثابتة وفرض للرضى عطاء خاصا ، وجعل  
للوالى منها تساعدهم على العتق ، وأمر بقضاء الديون عن العارمين ، وأقام ببعض النواحي  
أماكن عامة ، يلجأ إليها من أتعب السفر وأضناه الرحيل ، يقيم بها يوما وليلة ، أو يومين  
وليلتين ، فى رعاية الوالى يمه بما يحتاج إليه ويبلعه مأمنه .

واقدر كانت أعمال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، تنطق بعظيم خوفه من الله سبحانه ،  
وكان يقسم نهاره ومعظم ليله ، بين النظر فى أمور الرعية وعبادة مولاه وتعليم الناس ، حتى  
اعتراه الضعف وأصابه النحول ، وإذا ذكر فى مجلسه الموت وما بعده اضطربت أوصاله ،  
وانهمرت دموعه ، وأبكى من حوله . فإذا أوى إلى فراشه تململ فيه ساعات لا يألف النوم  
جفنه ، ويحاسب نفسه على ما قدمت وأخرت ، ويقول : يا ليت بينى وبين الخلافة  
بعد المشرقين .

ودخل عليه بعض المغربين إليه ، فى آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة ، وقالوا  
يا أمير المؤمنين إن أولادك كثيرون ، فلا تركهم يقاسون متاعب الحياة وشظف العيش ،  
فأوص لهم بشئ . فقرأ قول الله تبارك وتعالى : « إن ولي الله الذى نزل الكتاب وهو  
يتولى الصالحين » [١] .

فلن أوصى لهم بشئ . من كان منهم صالحا فافقه يتولاه . ومن كان خارجا على حدود الله  
فلا أعينه على خروجه . ثم استدعاهم وأسمعهم مثل ذلك . ثم ودعهم قائلا : انصرفوا  
عصمكم الله تعالى ، وأحسن الخلافة فيكم [٢] .

عدله وإنصافه :

لقد أقام أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من نفسه حارسا للعدل لا يفعل ، وحاميا  
للإنصاف لا يقصر ، وميزانا للحق لا يحابي ولا يجامل ، وجعل الناس أمامه سواء ، لا فرق

[١] الآية رقم ١٩٦ من سورة الأعراف .

[٢] جعلكم خلفا حسنى .

بين غنيهم وفقيرهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، وعظيمهم وحقيرهم ، وقريبهم وبعيدهم ، وحرهم وعبدهم ، فلا غرو أن ضربت الأمثال بعدله ، وسارت الركبان بإنصافه . وتلهف الناس أن يروا ذلك العدل العمري المأثور أو يظفروا ببعضه ؛ لتستقيم أمورهم ، وتنظم شئونهم ، ويسعدوا في حياتهم بالعدل والرفاهية ، والسعادة والطمانينة .

فقد استهل خلافته بعزل الولاة والحكام الطالمين ، من أمويين وغير أمويين ، ولم يثنه عن ذلك شعاعة ، ولا رحم ماسة ، ولما عزل رئيس الحرس تزامم عليه الأمويون ليحتار أحدهم ، فأعرض عنهم واحتار عمرو بن مهاجر الأنصاري ؛ لأنه كان يكثر من تلاوة القرآن العظيم ، ويعتمد بطاعته عن الرياء والسمعة ، وكان الموالي يحاربون قبله في صفوف المسلمين ولا يتألون من الفتناء شيئا ، فجعل لهم منها أنصبه معينة ، ولقد عرف فضله العلويون ، وحمايته لهم ، ومنعه سب على فوق أعواد المابر ، وكان قد درج على ذلك الخدماء الأمويون قبل عمر ، فكانوا يسبون عليا في نهاية الخطبة ، فأبطل أمير المؤمنين هذه العادة وأمر أن تختم الخطب بقول الله عز شأنه .

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون »<sup>(١)</sup> ، أو بقوله جل جلاله : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم »<sup>(٢)</sup> ، ولقد استطاع أمير المؤمنين بعدله وإنصافه ، أن يملك قلوب رعيته ، ويمحو الأحقاد من النemos ، ويميت العصية الحاهلية ، التي أو شككت أن تقضى على دولة المروانيين وتقوض دعائم الحكم فيها ، لولا أن تداركها الله تعالى بأعدل الأمويين .

وفاته :

ومما يملأ النemos أسى ولوعة أن المنية لم تمهله فأختطفه الموت في العام الواحد بعد المائة من الهجرة ، وقد قضى في حكمه الصالح ستين وخمسة أشهر ، وعمره تسع وثلاثون سنة وستة أشهر ، ودفن بدير سمعان قرب حمص ، فاشتد الجرع لوفاته ، وتبارى الشعراء والأدباء في رثائه ، رضى الله تعالى عنه ونصر تاريخه .

أحمد علي منصور

أستاذ البلاغة والأدب بمعهد شيبين الكوم



# رسالة الأزهر

« ٧ »

## تأنيع الرسالة العلمية :

الواقع أن المتحدث عن رسالة الأزهر العلمية ، إنما يتحدث عن رسالة مصر العلمية ؛ ذلك لأن الأزهر قدرت له ظروفه التاريخية أن يحمل هو رسالة العلم ، وأن تسمى باسمه ، وتنسب إليه . فقد ورث هذا المعهد تراث الجامع العتيق ( عمرو بن العاص ) ورسالة جامع ابن طولون ، ورسالة جامع الحاكم ، ورسالة المدارس التي أنشأها السلطان الأيوبي لتدرس فيها المذاهب الأربعة بعد أن عطل الأزهر من كل حلية علمية حتى من خطبة يوم الجمعة . ويسود أن تركيز رسالة مصر العلمية كلها في الأزهر هي النسق الذي انساب إليه تفكيرى في كتابة الرسالة العلمية لهذا المعهد ، حتى أنني في مقالى السابق استقام لى أن أعد المدارس التي أنشأها السلطان صلاح الدين بعد تعطيل الأزهر - استمراراً لرسالة الأزهر ( المعنوى ) وإن بعدت عنه ظاهراً كيفية مركبة من طوب وأحجار .

وخلاصة القول أن الرسالة العلمية لمصر قدر للأزهر أن يكون اسمه هو مظهرها ، وهو العلم عليها ، وهو المنطوق باسمه دون المساجد العلمية جميعاً . وقع ذلك في الماضى البعيد ، ووقع في أقرب الأزمنة الحديثة ، فلقد كان قبل تأسيس الكليات الأزهرية مساجد عدة تلقى فيها الدروس العلمية ، مثل جامع محمد بك أبى الذهب ، وجامع القلعة ، وجامع الحسين . وجامع العاكفانى ، وجامع المؤيد وكثير غيرها ، ومع هذا التعدد في الاسماء كانت النسبة إنما هي للأزهر . سواء في مصر أو في بلاد العروبة جميعاً .

بدأ الأزهر - كمعهد - يستعيد سيرته الأولى أيام كان معهد الفواطم . بدأ يستعيد ذلك في عهد الظاهر بيبرس البندقدارى ، مستمراً في أداء رسالة العلم إلى يومنا . فما الذى كان يدرس به من أنواع العلوم ؟ من العسير أن نحدد له في هذه الأزمنة منهاجاً معيناً ؛ لأنه كان معهداً حراً يدرس كل من أراد الدراسة في أى علم من علوم ذلك الوقت ، ويتخذ له فيه

(عموداً) كما كانوا يصطلحون يومئذ ، هذا ولأن هذا العهد لم يكن عهد وضع مناهج مكتوبة محددة حتى تدور حول البحث عنها ، تلتسها في أى مرجع تاريخي يعينها لنا تعييناً بصغة قاطعة . ولكن الباحث لا يعدم وسيلة لأن يجد ما يقربه مما يريد . فقد وجدت منها ما لم أكن يدرس في هذا العهد يقترب من أن يكون هو منهج الدراسة في الأزهر في هذه العهود المتباعدة .

ذلك المنهج هو ما أخذته من أوثق المصادر . إثنى أخذته من الإمام جلال الدين السيوطي لا من ترجمة غيره له ، وإنما من ترجمته هو لنفسه ، فقد عد العلوم التي صنف فيها الثلاثية كتاب ما بين مطول كالإتقان في تفسير القرآن . وكالمزهر في علوم العربية وما بين وجيز مختصر . عد الرجل أنواع العلوم التي ألف فيها ، ومن يؤلف في علم يكون - بالطبع - قد درسه حتى دراسته ، لا سيما في هذا العهد الذي هو عهد تحقيق وتدقيق في كل ما كان يدرس من العلوم ، هذه العلوم هي : التفسير وتعلقاته ، والحديث وتعلقاته ، والفقه وتعلقاته ، والأجزاء المفردة : ويريد بها رسائله القصيرة فيما لا يحتاج إلى تطويل . وفن العربية وتعلقاته والأصول ، والبيان ، والتصوف ، وفن التاريخ ، وفن الأدب .

هذا هو المنهج الذي رسمه لنا السيوطي في أهم العلوم التي ألف فيها ، وبما لا ريب فيه أن هذه العلوم كانت تدرس بالأزهر كأصول للدراسة العامة . ومعروف أن الشيخ السيوطي كان من علماء القرن التاسع الهجري .

هناك علوم أخرى جاءت في ترجمة معاصره وأخ وزميل ، هو شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، فقد عثرت على ترجمة له فيها : أنه درس بالأزهر علوم الطب والهندسة ، والحساب ، والجبر والمقابلة . ورأي أن هذه العلوم كانت تدرس في الأزهر لا على أنها علوم أصيلة ، وإنما هي توسع في المعرفة بطريقة نظرية بحث لا تطبيق فيها وليست كما كانت تدرس في عهد ابن سينا والكندي والرازي ، وغيرهم من الملاسعة الذين قد تخصصوا لها ووعوها حتى وعيها وطبقوها فيها العلم على العمل قدر الطاقة . وإلا فكيف استسيخ أن يعد الطب مثلاً علماً من علوم الأزهر في عهد السيوطي والأنصاري - ليدرس نظرياً في ( متن ) من متون العلوم التي شاع استعمالها في ذلك الوقت - كأساسات وجيزة لاختلاف العلوم ؟

إذا رجعنا برسالة العلم في مصر إلى عهد سابق على هذا العهد لوجدنا أن كثيراً من مسائل الفقه الإسلامي قد تناول أصول الحكم ، مثلاً كان يدرس في مدرسة الإمام الشافعي بجامع عمرو بن العاص ، فإنه تناول هذا الموضوع بالبحث ، مثل أن يعنى بأن الخلافة يجب أن تكون في قريش ، وهو يتابع في ذلك الرأي أهل السنة ، وأن كل قرشي أخذ الخلافة بالسيف واجتمع عليه الناس فهو خليفة . ولا ريب أن هذا فقه في نظام الحكم والحكومة ، كان يدرس بالأزهر لا على أنه دراسة للأوضاع الحكومية التي كان يجب التوسع في دراستها إلى أبعد الآفاق ، وأن تؤولف فيها الكتب من الأزهريين الذين يحملون وخدم مشعل العلم والمعرفة يومئذ اقتداء بالإمام الشافعي ، واقتداء بمن سبقه من العلماء الفلاسفة مثل المعلم الثاني أبي نصر لفارابي في كتابه ( آراء أهل المدينة الفاضلة ) ، وإنما كان يدرس ما كان يدرس منها بالأزهر على أنه مسألة فقهية ( من المذهب ) وكفى ، كالوضوء ولطهارة ١١ ولو أن علماء الأزهر اقتدوا بالأنفة والفلاسفة ، بل وبالعاظميين أيضاً في شر مذهبهم الديني الذي يحمل في ثيابه مقومات سياسة الحكم على مذهبهم ، لكونوا من ذلك نكوبنا سياسياً يضئ للناس سبيل الرشدي في عهد المالك الظلة العتاة ، الذين استغلوا جهل الناس بأحكام سياسة الحكم ، فأشبعوا رعباتهم الوحشية طمناً للناس وجبروتاً .

لا أنكر أن من بين العلماء الأزهريين في القرن السابع الهجري من وصدت به رفعة الحق إلى وصف مظالم الحكم ، وإلى الأنفة والكبرياء عليهم ، مثل الشيخ الصعدي القوصي ( ابن دقيق العيد ) ، فكان يحاطب السلطان بما يحاطب به من دونه - بقوله ( يا إنسان ) . ثم يأتي قبول منصب القضاء إلا بعد إلحاح بالغ غاية ، ثم يعزل نفسه منه ، ثم يعيدونه إليه شبه مرغم ؛ لأنه في زمن حكم المالك العاسد الظالم الذي وصفه كثيراً في شعره . ومنه قوله :

أهل المناصب في الدنيا ورفعتها	أهل الفضائل مردولون بينهم
قد أنزلونا لأننا غير جنهم	منازل الوحش في الإهمال عندهم
فما لهم في توقي ضميرنا نظر	وما لهم في ترقى قدرنا هم
فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم	مقدارهم عندنا أو لو دروه هم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى	وعندنا المتعبان العلم والعلم

ومثل الشيخ جلال الدين المحلى الذى كان لا يأنف من شئ أفتته من مجالسة الطلبة من الحكام ، وكانوا يقتربون إليه فلا يقترب منهم ، وكانوا يذهبون إلى داره لزيارته فيأتى عليهم الإذن بدخول مجلسه . وليس لذلك ترجمة في العالمين الجليلين اللذين ضربت بهما المثل - إلا أن العلم الدينى ومعرفة أسرار الإسلام رفعا عليهما إلى أعلى المراتب النفسية ، أمام من حضنت لهم رقاب الناس . وامتلات قلوب الأقسام منهم رهبة وفزعا . وهكذا يفعل العلم بالخواص من أهله .

ومزيد ذلك بياننا فى الموضوع الآتى إن شاء الله .

### عن الشيخ

عضو نقابة الصحفيين  
والمحرر الأدبى بجريدة الشعب

## • الشيخ سالم طلبه حجازى ،

جاءتنا كلمة جيدة من الأستاذ عبد الحميد المسلول ، أستاذ الأدب بسلكية اللغة العربية ، فى تأييد المرحوم العالم الجليل : الشيخ سالم طلبه حجازى ، نشرت صفحة زاهرة عن جهاده المشكور من أجل الدين والوطن ؛ فقد شارك - رحمه الله - كما جاء فيها - بحماس الشباب ، وحرارة الوطنية ، فى الحلقة على الاستعمار ، وكان نصيبه الاعتقال ، كما ألهم الشعور بما حرره قلبه فى كثير من المجلات الأدبية والسياسية ، ونصب نفسه لمحاربة عصابات المبربر التى كانت منتشرة حينذاك ، واعتمد فى إبطال كيدهم على المنطق والحجة والبرهان ، فهدى الله به الكثيرين ، ومكسبه من رددهوى المبطلين ، وظل يشارك - رحمه الله - طوال حياته فى الدعوة للخير ، ومساندة جمعيات المحافظة على القرآن الكريم . جزاه الله عن الإسلام والمسلمين والوطن خيرا ، وأنزله منازل الأبرار .

## مدح علي بن الحسين بين الفرزدق والحزبن الكنانى

- ٢ -

تعرض الحصرى في زهر الآداب لعل بن الحسين وذكر قصته مع هشام بن عبد الملك أو الوليد أخيه ثم ساق القصيدة وعددها عنده ثلاثون بيتاً ، تنفق مع أبيات ديوان الفرزدق في أكثرها ، وتزيد عليها أربعة أبيات ، ثم ذكر قصة الحزبن الكنانى مع عبد الله بن عبد الملك ، ونسب البيتين ( في كفهم خيزران - ينضى حياء ) له . ثم ردد ما ذكره ابن رشيقي في العمدة .

ومن الممكن أن يصل الباحث إلى النتائج الآتية :

- ١ - أن البيتين ( في كفهم خيزران - ينضى حياء ) للحزبن وليسا للفرزدق .
- ٢ - أن القصيدة المشهورة في مدح علي بن الحسين للفرزدق ، وأنه ارتجلها أمام هشام ابن عبد الملك .
- ٣ - لم يذكر أحد عن رجعتنا إليهم أن الكنانى مدح علي بن الحسين إلا ما ورد في بعض طبقات الحماسة ، وربما كان هذا صنيع أبي تمام ، وربما كان من زيادة الناشر اعتماداً على شهرة القصيدة في علي بن الحسين .
- ٤ - أن الحزبن ارتجل البيتين اللذين رجعتنا نسبتهما إليه أمام عبد الله بن عبد الملك في المدينة ثم أدخلهما في قصيدة مدحه بها وهو في مصر ، يدل على ذلك روايتنا الأغاني والتوفيق بينهما ، كما يدل على أنه مدحه وهو في مصر مطلع القصيدة حيث ذكر أنه جلب البلاد من يمن إلى العراقيين إلى الجزيرة أعلاها وأسفلها إلى الهجاز ( حيث تحلق عند الجرة العم ) إلى دمشق ثم أتى مصر حيث وجد النائل العم لحياه بالسلام وأنشده مدحه .
- ٥ - أن القصيدة التي قالها الفرزدق أو علي وجه الدقة ارتجلها والتي تريد فيها الرواة لم تنسب لأحد غيره في علي بن الحسين إلا للعين المنقرى حسب رواية ابن رشيقي .

٦ — أن الشعر نسب إلى جماعة من الشعراء غير الفرزدق والحزير ، نسب لداود ابن سلم في قثم بن العباس حسب رواية الأغاني والعمدة ، ونسب لخالد بن يزيد مولى قثم فيه حسب رواية الأغاني أيضاً .

٧ — أن المدحون الذين جاءوا في هذا الشعر هم علي بن الحسين وعبد الله بن عبد الملك وقثم بن العباس وعبد العزيز بن مروان .

٨ — صنيع التبريزي شارح ديوان الخنساء يدل على أن أبا تمام ذكره في أصل الخنساء ، المدحون لأنه - أعني التبريزي - بنى كلامه على أن المدحون علي بن الحسين فلم يذكره في شرحه اكتفاء بذكره في أصل الديوان .

٩ — صنيع صاحب الأغاني في تدوينه قصيدة الفرزدق يدل على أنه ينوي الإحاطة بالقصيدة كلها ، لا أنه يريد أن يكتب بعض أبياتها ، وهذا يدل على أنه لم يكن في حفظه غير ما ذكره ، وأن ما أضيف إليها - أو بعبارة أخرى - ما ورد فيها زائداً على ما ذكره أبو الفرج لم يكن يعرفه هذا المؤلف .

١٠ — ما رواه الأصمعي لا ينضد دليلاً ، فهو لم يقل أن الرجل أشأ ، وإنما قال ( ناداه ) فلا مانع أن يكون أخذ البيت الأول من قصيدة الفرزدق وضم إليه البيت الثاني .

وأرى - وأظن أن الكثير من يقرءون هذا البحث يوافقوني - على أن البيتين المشهورين إنما أضيفا إلى قصيدة الفرزدق من محب علي بن الحسين وهم عدد الرمل والخصي والتراب ؛ ولأنهما بيتان من عيون الشعر ، أو لعل الفرزدق أغار عليهما - وكان في الشعر غواراً - فأضافهما لنفسه ، وحوادث الفرزدق في الإغارة على شعر غيره كثيرة .

حدث محمد بن سلام قال ، قال جميل من قصيدة :

وكنا إذا مامشر جهموا بنا	ومرت جوارى طيرهم وتميفوا
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة	وسوف نوفيها إذا الناس طلقوا
ترى الناس ماسرنا يسرون حلفنا	وإن نحن أومأنا إلى الناس وقموا

قال : فشد الفرزدق على هذا البيت وقال ، أنا أحق به منك ، وقال : لا تعد فيه ولم يكثر له .

وروى محمد بن سلام أيضاً عن كرد بن الصري أن عريفهم عون بن ثعلبة علق بالفردق وقال : يا عدو الله ، سرتنا قول صاحبنا الأعلم العبدى ، وذكر تسعة أبيات ، ثم قال ابن سلام : وهذه الأبيات للأعلم كلها فأدخلها الفردق في قصيدته ( عرفت بأعشاش ) مع ماسرق من جميل فيها ، فقال له الفردق - أى لعون بن ثعلبة - اذهب فخذها من الرواة ! . قال ، غلى سليله .

وعلى يحيى بن المنعم صنيح الفردق هذا بأنه إذا مر به شعر جيد رأى نفسه أحق به من قائله لفضله عليه في الشعر ؛ ولأنه من جنس جيدة لا ردىء غيره .  
وقد لقيه أبو عمرو بن العلاء في المربد فقال : يا أبا فراس ، أحدثت شيئاً ؟ قال الفردق ، خذ ، ثم أنفذه :

كم دون مية من مستعمل قذف      ومن فلاة بها تسودع العيس  
فقال أبو عمرو : سبحان الله ، هذا للنلس ، فقال الفردق : اكتمها ، فضوال الشعر أحب إلى من ضوال الإبل .

هذه حال الفردق ، ونواده في هذا الباب كثيرة ، فيترجح عندي أنه حين وقع على البيت في شعر الخزير - ولم يكن الحزين من لحول طيقته - اهتلمها في قصيدته المترجلة ، فسارت في الناس ، ولم يتنبه لها إلا القليل ، كهاسب الأغاني .

والعجب من صاحب الأغاني حيث رد هذا المديح في البيت اللذين أشاد بهما ابن قتيبة بدليل في غاية الضعف ، حيث يرى أن هذا الشعر لا يمدح به مثل على ؛ لأن له من الفضل المتعالم ما ليس لأحد .

فأولاً : البيتان من الشعر الجيد ، ولا سيما البيت الثاني ( يفضى حياء ) حتى أن ابن قتيبة جعلهما مما جاد معناه وحسن لفظه ، وحتى أضيفا إلى الفردق ، أو اغتصبهما هو على ما أرى .

وثانياً : أن الشعر لا يرد لأنه دون مقام المدوح ، ولو كل ذلك صحيحاً لقضينا على كثير من المداخل النبوية بالوضع ؛ لأن أكثرها دون مقامه صلى الله عليه وسلم ، وأين الشعر الذى يليق به والبوصيرى يقول - وهو حق - :

غاية المدح في علاك ابتداء ليت شمرى ما تصنع الشعراء

وثالثاً : كان على صاحب الأغاني ألا يغفل عن المقام الذى قيلت فيه القصيدة ، فالفرزدق مرتجل ، والمرتجل يقول ما يلقى بالمدح وما لا يلقى ، على فرض تسليمنا بأن هذا المدح غير لائق .

وأما ما تنفج به ابن عبد ربه - وكان معجبا بنفسه - من تفضيله بيته ( قى زاده عز المهابة ذلة ) على بيت الكنانى ( يفضى حياه ) فلمرى ليس بذاك ، وبيته لا يقع بجوار بيت الكنانى ولا قريباً منه .

بقى أن قصيدة الفرزدق على حسب ما رويت في ديوانه تشمل على أبيات ضعيفة لا تليق بمثله ، والقصيدة كلها بعيدة عن طابع الفرزدق من إثارة الحشونة ، والغريب من الألفاظ ، ولكن يعمل هذا بأنها مرتجلة ، وهذه المسحة على هذه القصيدة ملوسة في كل ما ارتجله الفرزدق من مقطعات ، والارتجال غير الروية ، وفي ذلك يقول ابن الرومى :

نار الروية نار غير منضجة وللبديهة نار ذات تلويح  
وقد يفضيها قوم لسرعها لكنها سرعة تمنى مع الريح

لكننا - مع ذلك - لا يمكننا أن نقر أبياتاً وردت في القصيدة بلغت درجة من الضعف لا نعقل أنها تصدر عن شاعر كالفرزدق ، فالشاعر - وإن ارتجل - يحتفظ ببعض خصائصه على أن القصيدة على حسب رواية الديوان تبلغ سبعة وعشرين بيتاً ، وعلى حسب رواية زهر الآداب تبلغ ثلاثين بيتاً ، وما عرفنا الفرزدق حين يرثى رجل يوصل إلى هذا الحد أو إلى قريب منه فمن المرجح عندى أن القصيدة أضيف إليها كثير ، وأنها كانت حين ارتجلها الفرزدق في الحميم الذى دونه صاحب الأغاني أو تزيد قليلاً ، وهذا القدر هو الذى يتفق مع طبع الفرزدق ، ويتم على روحه ومشربه ، ويتمشى مع طريقته التى ألفها .

( وبعد ) : فهذه نظرة سريعة في هذه المدحة ، اهتمت فيها على بعض الكتب التى تيسر لي الاطلاع عليها ، ولعل هناك من الكتب . أو من الباحثين من ينبئنا بغير هذا أو أن يصيف إليه جديداً ، وفوق كل ذى علم عليم ؟

على العمارى



# نقد الكتب

## القرآن المقدس

### Der Heilige Qur-an

تقرير عنه بقلم

الدكتور محمد عبد الله ماضي

مدير المعاهد الدينية

عرفت هذه الترجمة البثثة الأحمدية في زيورخ وهامبورج ، تحت إشراف  
حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ، الملقبة الثاني لصبيح الموعود  
( كدا . ) مرزا غلام أحمد ، والرئيس الأعلى للحركة الأحمدية الإسلامية .

الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ بمطبعة أتوهرسوفتس (Attoharassowits)

بفيس بادن من مدن ألمانيا الغربية

هذه الترجمة أو هذا الكتاب يحتوى على مقدمة مفصلة وعلى ترجمة معاني القرآن  
باللغة الألمانية ، والمقدمة كتبها رئيس الطائفة الأحمدية الحالي ، حضرة مرزا بشير الدين  
محمود أحمد ، ، أما الترجمة نفسها فقد اختبرتها في مواضع مختلفة ، وفي كثير من الآيات في مختلف  
السور ، فوجدتها من خير الترجمات التي ظهرت للقرآن الكريم ، في أسلوب دقيق محتاط ، ومحاولة  
بارعة لأداء المعنى ، الذي يدل عليه التعبير العربي المنزل لآيات القرآن الكريم ، وقد نبه  
المترجم إلى أنه ليس في الاستطاعة نقل ما يؤديه الأسلوب العربي المحكم ، من الروعة البلاغية  
وسمات الإعجاز التي هي من خصائص القرآن إلى لغة أخرى ، فهي خصائص انفراد بها كتاب  
الله المنزل في أسلوبه العربي ، الذي نزل به من عند الله على نبيه المرسل . والذي لا يتبدل فيه  
ولا تحريف ، هو يمثل كلام الله في معناه وفي مبناه ، وهذا فن باب الاحتياط جعل النص

العربي بجوار الترجمة الألمانية ؛ حتى يستطيع العارى أن يقارن ويختار بنفسه المعنى الذى تطمئن نفسه إلى صحته .

وعلى وجه الخصوص اختبرت ترجمة الآيات التى تتعلق بالقتال والجهاد فى سبيل الله ؛ بحثاً عما عساه يكون قد ضمن الترجمة مما يتصل بما يراه الأحمدية فى الجهاد ، ويخالقون به جماعة المسلمين حيث إنهم يقولون : « إن الجهاد يجب ألا يقوم على امتشاق الحسام ، بل يجب أن يقوم على وسائل سلمية ، وعلى هذا أظهر الأحمدية دائماً ولا هم للحكومة الاستثمار البريطانية ، . اختبرت ترجمة هذه الآيات المشار إليها ، فوجدتها سليمة لا تتضمن أدنى الإشارات إلى هذا الذى كنت أخشى أن تتضمنه .

وفى المقدمة أورد كاتبها بحثاً إسلامية فلسفية قيمة ، وقسمها إلى قسمين تحدث فى القسم الأول منهما عن حاجة البشرية التى اقتضت نزول القرآن ، وبين أن الإسلام كان من تعاليمه وحدة الإله ، وكان من عوامل توحيد البشرية ، فذكر أنه لما ارتقت البشرية وأصبح الناس على اتصال يكوّنون جماعة واحدة ، أصبحوا فى حاجة إلى تعاليم سماوية شاملة ، تشمل الناس جميعاً ، وتصلح لهم فى كل زمان ومكان ، وتعلم على قدرة الله وعظمة رب الناس كافة ، فكان القرآن هو الذى أدى تلك الرسالة جميعها ، كما تحدث عن كتاب العهد القديم ( التوراة ) ، وكتاب العهد الجديد ( الإنجيل ) ، وبين أنه نالهما التحريف والتبديل فأصبحا معه لا يمثلان كتب الله المنزلّة ، وذكر بعض المتناقضات فهما وبعض المبادئ التى تحالف العقل ، وبعض الخرافات ، وبعض القواعد الخلقية غير الثابتة ، كما تحدث عما ورد فى التوراة والإنجيل من التبشير بظهور النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، إلى غير ذلك مما أورده صاحب المقدمة فى القسم الأول .

وفى القسم الثانى من المقدمة كان الحديث عن : بناء القرآن - فذكر المؤلف ما سبق أن تعرض له ، من بيان أن القرآن هو الكتاب المقدس الذى يمثل كلام الله المنزل ، والذى حفظه الله من كل تحريف وتبديل ، وتحدث فى هذا الصدد عن المحافظة على القرآن بكل الوسائل المختلفة فى عهد الرسول من كتابة الوحى وتقييده ، ومن وعى الحفاظ له . وتحدث كذلك عن ترتيب الآيات والسور ، مبيناً أن ذلك كان بوحي من الله نزل عن نبيه ، وتابع الحديث عن الأمور الآتية :

بعض النبوءات المصدقة التى وردت فى القرآن .

- تشخيص تعاليم القرآن .
- العقيدة عن الله الحى .
- الأنبياء والملائكة والشیطان وفكرتها فى القرآن .
- الخير والشر فى القرآن .
- الروح فى القرآن .
- المعجزات النبوية فى القرآن .
- الصلاة ومساجد الإسلام .
- الصيام والحج .
- الزكاة والصدقة .
- الحقوق والواجبات الاجتماعية .
- النظام الاقتصادى .
- حقوق المرأة .
- مسألة الرق .
- النفس الإنسانية أو الروح .
- طريق القرآن المرسوم لتكوين الحياة الروحية .
- طبيعة الإله .
- الله رب الشعوب جميعها .
- الله هو علة العلل فى الوجود .
- صفات الإله وبيان أنه لا تناقض بينها .
- أسماء الله الحسنى .
- الإنسان كنقطة ارتكاز الحياة .
- الغرض من خلق الإنسان .
- قانون الطبيعة وقانون الشريعة .
- القانون الخلقى والقانون الاجتماعى .
- القرآن هو الكتاب المقدس الكامل .

الحياة بعد الموت . . . إلى غير ذلك من البحوث الدينية . . . ١

وإذا صرفنا النظر عن بعض التليجات العامة غير الصريحة المتصلة بمنهج الأحدية في الجهاد، والتي وردت في صحيفة (١٣٤) من المقدمة تحت عنوان « المنازعات الدينية »، فإننا نجد أن المقدمة بقسمها اشتملت في الحملة على بحوث إسلامية رائعة. ونقلت صورة من الأفكار والتعاليم الإسلامية المتعلقة بالقرآن، في ثوب وإطار إسلامي إلى اللغة الألمانية.

### ولكن!

نعم ولكن مع الأسف الشديد ختمت هذه المقدمة بفصل عن المسيح المنتظر ( مرزا غلام أحمد ) وعن ابنه الذي بشره الله به من قبل مولده ( مرزا بشير الدين محمود أحمد ) . هذا الفصل الذي قد تضمن المبادئ الأحدية التي تحالف تعاليم الإسلام، والتي تدعى أن (مرزا غلام أحمد) هو المهدي المنتظر يتجسد فيه المسيح والنبي في وقت واحد، فيدعي الأحديه « أن (مرزا غلام أحمد) كان نبيا ينزل عليه الوحي ولكن رسالته لم تكن منعصبة عن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وإنما كانت امتدادا لها، فلا يظهر بعد النبي محمد عليه الصلاة والسلام رسول آخر يأتينا بمبادئ سماوية جديدة، لأن القرآن تضمن كل المبادئ السماوية، ولكن يظهر المسيح المهدي ليعيد للإسلام سلطانه من جديد، وليعيد لمبادئ الإسلام قوتها وليظهر صدقها، ويكون ظهوره دليلا على صدق آيات القرآن التي أحسرت ظهور المسيح كما تحدثت بذلك السنة النبوية. » (٢)

ولقد ظهر المسيح والمهدي المنتظر المعروف وهو حضرة ( مرزا غلام أحمد ) من سنة ١٨٢٥ - سنة ١٩٠٨ ميلادية.

كما ادعى ذلك وأخبر به عن رب العالمين مؤسس الحركة الأحدية الإسلامية في الإسلام، فلقد أوحى إليه من الله من مدة تزيد على السبعين عاما أنه بعث لخدمة الإسلام وخدمة نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، وللعمل على رفعة اسم الله في الأرض. أحذا بالوحي أن الله أعطاه النوة على شرط أن يبلغ تعاليم القرآن السماوية ويعمل على تنفيذها وألا يأتي بكتاب جديد؛ لأنه يعتبر خليفة لرسول الإسلام محمد عليه السلام (٣)

[١] ص ١٠٧ من المقدمة الألمانية.

[٢] ص ١٠٨ من المقدمة الألمانية.

ثم يتابع المؤلف حديثه عن بعض ما يدعى أنه أوحى إلى (مرزا غلام أحمد) ، مقتبساً ذلك من كتاب « حقيقة الوحي » ومن كتاب « براهين أحمدية » الذي ألفه « مرزا غلام أحمد » ، والذي ظهر المجلد الأول منه عام ١٨٨٠م وزعم المؤلف فيه أنه المهدي مع أنه لم يطالب أتباعه للبيعة إلا في ٤ مارس ١٨٨٩ .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن الصعوبات التي لاقاها (مرزا غلام أحمد) ، حينما أعلن اختياره للنبوّة وبمئة ، وعن مقدار تأييد الله له ، ووحية إليه بأنه سيؤيده بواسطة العلامات الكبرى ، وأنه سيملو اسم الله بدعوته ، ويدوى في أقصى انحاء الأرض ، ويذكر أن دعوة هذا النبي المزعوم تأيدت ، وأنها تتمد جذورها وتنسج ، وأن خلفاءه سوف يصلون إلى درجة القرب من الله ، كما أوحى بذلك إلى (مرزا غلام أحمد) .

ثم يذكر المؤلف أنه أوحى إلى (غلام أحمد) أن الله سيرزقه في ظرف تسع سنوات ومن تاريخ نبوته بولد ، وسيحقق الله على يد هذا الولد الكثير من التنبؤات التي تنبأ بها ، وأنه سيجعل اسمه إلى أنحاء الدنيا ، جميعها وسيخطو سريعا من نصر إلى نصر ، وسيبارك بروح من الله .

ثم يعيد الحديث عن تفصيل الصعوبات التي لاقاها (غلام أحمد) حينما جهر بدعوته وأعلن عن رسالته ، فيبين كيف قامت ضده عاصفة من المعارضة من كل جانب ، فتحالف ضده المسلمون والمهندوس والمسيحيون والسكر ، وأجمعوا أمرهم على إسقاطه والقضاء عليه ، ويدعى أن هذه المعارضة الإجماعية القوية كانت دليلا على اختيار الله له وبمئة إياه ؛ لأن مثل هذه المعارضة القوية الإجماعية لا تكون إلا للأنبياء الصادقين في دعواهم ، فهم وحدهم الذين عليهم أن يتحملوا مثل هذا الكفاح ، ثم يختم هذا بقوله « ولكن الله قوى هذا الوحيد المحارب من كل طائفة ، حتى أخذ أعداؤه الأقوياء يسلمون ، ويتبعونه واحدا بعد الآخر ، فكثر أتباعه وريدا وريدا ، وكان له شأن يذكر في البنجاب ، ثم في الهند جميعها ، ثم فيما وراء ذلك من أنحاء العالم .

وبهذه النتيجة يصل المؤلف إلى صدق (مرزا غلام أحمد) فيما ادّعاءه .

وفي الحديث عن ابن المسيح الموعود الذي بشر به (مرزا غلام أحمد) يتحدث هذا الابن (مرزا بشير الدين محمود أحمد) ، عن موت مؤسس الحركة (مرزا غلام أحمد) ،

سنة ١٩٠٨ ، وعن موقف خصوم الدعوة منه ، وتوقعهم بعد موته لحلول نهاية هذه الحركة واقترب انحلالها بموته ، ثم عن اختيار (مولوى نور الدين الخليفة الأول لمرزا غلام أحمد) ، وعن وفاته سنة ١٩١٤ ، وبعد ذلك يأخذ الابن الموعود في الحديث عن نفسه في تلك الظروف ، ويبين أنه كان حينذاك مجرداً من كل الإمكانيات المادية ، وأنه كان له خصوم أقوياء ، مدعياً أنه في هذه الظروف العصية أوحى الله إليه بمساعدته ونصره ، مذكراً بوعد الله الذي وعده أباه (مرزا غلام أحمد) ، في أنه سيرزقه بغلام سيدوى اسمه في كل الأرض ويحمل علم الرسالة ، ثم يعقب على هذا ويقول : وقد تحقق وعد الله وأصبحت كلمة الله هي العليا ، ومع كل صباح منحت ما جعل نجاحي كبيراً ، وكل يوم ينقضي يترك ما يجعل بالقضاء على خصومي ، وكان الله جعلني أداة لنشر الحركة الأحمدية في كل بقاع الدنيا ، ومع كل خطوة باركني الله بتوجيه من عنده ، وفي فرص ومناسبات كثيرة فضلى الله بوحى . وأخيراً حل اليوم الذي أوحى الله فيه إلى : أننى الابن الموعود الذى وعده الله به المسيح المنتظر (مرزا غلام أحمد) وقد وعده الله بتدوى في عام ١٨٨٤ ، قبل مولدى بخمسة أعوام ، ومن هذا اليوم أخذت المعونة والمساعدة من الله تزايد بأسرع مما سبق ، واليوم يمارس المبشرون بالأحمدية نشر الإسلام وكفاح الإسلام في كل القارات .

ثم يقول : « ولقد جعل الله القرآن الذى كان قد أصبح للمسلمين كتاباً مغلقاً - جعله الله لنا معشر الأحمدية ببركة النبي المقدس (محمد عليه السلام) وبواسطة المسيح المنتظر (مرزا غلام أحمد) كتاب هداية ، وفتح لنا مغاليقه من جديد ، وغدت بنابيع المعرفة تفتح لنا بواسطة القرآن ، ويستطرد فيقول : وعندما تفتد وتمتحن دائماً تعاليم القرآن بالنسبة للتطورات العلمية الحديثة المتجددة يلهمنى الله ، ويوحى إلى بالجواب الصحيح الذى تتضمنه تعاليم القرآن . فلقد اختارنا الله لرفع علم سيادة القرآن . »

وهكذا نجد أن الحديث في هذا الفصل الأخير من المقدمة كان إنكاراً وخروجاً على العقيدة الإسلامية ، التى تقرر أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان خاتم الأنبياء ، وأن رسالته كانت خاتمة الرسالات (فرزا غلام أحمد) فيما ذكر المؤلف نبي أوحى إليه وأيد بروح الله ، كما أن المؤلف نفسه (مرزا بشير الدين محمود أحمد) صاحب المقدمة ، والرئيس الأعلى لطائفة الأحمدية الحالى ، والخليفة التالى لوالده ، يدعى لنفسه أيضاً أنه يوحى إليه .

وهذا يكون المؤلف قد وضع السهم في العمل ، فأنسد بذلك هذا العمل القيم الذي نوهنا به في شأن الترجمة نفسها ، والبحوث الدينية الفلسفية القيمة التي وردت بالمقدمة .  
ولذلك فإننا نقول : إن هذه الترجمة أو هذا الكتاب بوصفه الحالي وبما تضمنه من الحديث المشار إليه عن ( مرزا غلام أحمد ) وعن ابنه ينبغي مصادرتة .  
وحبذا لو كان من المستطاع فصل هذا الجزء الأخير عن الترجمة ، وعن المقدمة ، والعمل على نشرها دون هذا الجزء ؛ فإنه لو أمكن ذلك لكان فيه خير كثير .

**الدكتور محمد عبد الله ماضي**

المدير العام للمعاهد الدينية

**رئيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ببيروت**

**يشكر فضيلة الأستاذ الأكبر**

« ويشيد بالتعاون الأخوي بين الجمهورية العربية المتحدة ولبنان الشقيق ،

حضرة صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد . فيبد السرويه الامتان استلنا كتابكم الكريم بتاريخ ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ الذي تسكرتم فيه بإعادة ندب الشيخ معوض عوض إبراهيم للوعظ والإرشاد في لبنان . ويسرنا أن نجد في فضيلتكم دوماً وأبداً ، كما وجدنا لدى حكومة الجمهورية العربية الموقرة ، بشخص وزارة التربية والتعليم ، وفي مختلف السلطات العليا كل عضد ، وسند لمشروع جمعيتنا الثقافي الإسلامي في بيروت والأوقاف ، هذا المشروع الذي يعتبر الدعامة الوحيدة للإسلام والعروبة في الساحل اللبناني ، ورى لزاماً علينا أن نشير إلى أن هذه الصلات ، التي ما برحت تعملون فضيلتكم على توثيقها يعود تاريخها إلى نيف ومائة عام تقريباً ، عندما كانت مختلف جامعات القاهرة تقبل مجاناً صغوفها بعثات الجمعية المدرسية ؛ لإتمام التحصيل العالي في مختلف الفروع ، وفي الختام نرى لزاماً علينا أن نشيد بالخدمات الجليلة التي ما برح الأزهر الشريف يقدمها في مختلف الحقول والميادين . ليس للعالم العربي في الشرق لحسب ، بل في كافة أقطار المعمورة ، أخذ الله يندكم وأبناكم ذخراً للإسلام والمسلمين والعرب قاطبة ، ووفئنا الله وإياكم لما فيه جمع الكلمة وتوثيق الصلات ، بين كافة الأقطار العربية والإسلامية . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته امضاء

( رئيس جمعية المقاصد الخيرية ببيروت )

## نقد كتاب «أغواء على السنة المحمدية»

- ٧ -

في ص ( ١٢٣ ) جعل مراجعة موسى لبينا محمد عليهما الصلاة والسلام في حديث الإسراء والمعراج من الإسرائيليات ، وجهل الدين يعتقدون صحة ذلك واعتبرهم من حشوية آخر الرمان إلى آخر ما نصح به قلبه من فز وسباب ، ولرد على هذا أقول لهذا المؤلف :

إن الرمي بالقول على عواهنه من غير حجة وبرهان لا يليق بالباحث المنصف المثبت ، وهل يقتضى ذكر موسى عليه السلام ومراجعته للنبي عليه السلام ليلة المعراج كي يحفف الله سبحانه على أمته الصلوات أن يكون من الإسرائيليات ؟ وعلى منطق المؤلف فتكون كل الأحاديث التي ذكرت فصيلة لموسى أو نبي من أنبياء بني إسرائيل من الإسرائيليات ، واعتقد أن هذا لا يقوله عاقل فضلا عن باحث ، وبحسب القارى ما ذكرته في المقال السابق من موقف علماء الإسلام من أخبار بني إسرائيل ، ولو أن حديث الإسراء والمعراج كان مرويا عن كعب الأحبار أو غيره من علماء بني إسرائيل لجاز في العقل أن يكون ذكر موسى عليه السلام من دسهم ، أما الحديث مروى عن نضع وعشرين صحابيا ليس فيهم ولا فيمن أخذ عنهم أحد من مسلمة أهل الكتاب فقد أصبح الاحتمال بعيدا كل البعد إن لم يكن غير ممكن في منطق البحث الصحيح ، وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بر دحية في كتابه «التنوير في مولد السراج المنير» الصحابة الذين روى عنهم حديث الإسراء والمعراج فوصل بهم إلى خمس وعشرين صحابيا واعتبر الروايات الواردة فيه متواترة ونقل كلامه الحافظ الناقد ابن كثير في تفسيره ووصفه بالإفادة والجودة (١) فهل يجوز عند العقلاء أن يكون للدس مجال في هذا ؟ وقد خرج حديث المعراج البخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب الكتب المعتمدة من طرق متعددة وقد استعرض هذه الروايات الإمام ابن كثير في تفسيره

[١] انظر تفسير ابن كثير والبغوى ج ٥ ص ١١٣ .



فليرجع إليه من يريد زيادة اليقين ، ولم أر - فيما أعلم - عن أحد من أهل العلم الموثوق بهم أنه ذكر أن مراجعة موسى لدينا عليهما السلام دسيسة إسرائيلية ، فهل خفي على علماء الأمة جميعهم ما تخيله هذا المؤلف ؟ !!! وكان الأولى به أن يبحث عن السر في المراجعة وحكمتها بدل التشكيك فيها ومحاولة بيان استلزامها لثبوت علم الله عز شأنه وعلم رسوله مبلغ احتمال الأمة وقدرتها على أدائها قبل التخفيف . وأى ضرر في أن يعلم موسى عليه السلام بما سبق إليه من تجربة الناس ومعالجة بني إسرائيل أشد المعالجة ما خفي على نبينا عليه الصلاة والسلام حتى أشار عليه بالرجوع إلى ربه وطلب التخفيف حتى يرتب عليه المؤلف ما رعم ؟ ثم من قال إن فرص الصلوات حمسين وتخفيفها إلى خمس بسبب المراجعة تستلزم أن يكون الله سبحانه لا يعلم مبلغ قوة احتمال عباده على أدائها حتى يرتب عليه ما رتب ؟ إن الله سبحانه يعلم كل ما كان وما يكون ، ويعلم أن نفيه محمداً صلوات الله وسلامه عليه سيأله التخفيف على العباد ، وسبب هذا السؤال سيخفف الصلوات من خمسين إلى خمس ، ولذلك سر وحكمة وهي إظهار رحمة الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة ومنته عليها بالتخفيف عليها بدليل قول الرب تعالى : أمضيت فرضتي وحضفت عن عبادي ، كما أن فيها إظهار منزلة النبي عند ربه وقبول شفاعته في التخفيف عن أمته وبيان رأفته ورحمته بأمته باستماعه إلى مشورة أخيه موسى ولا تسل عما في المراجعة من تكرار المناجاة بين العبد والمعبود والمحبة والمحبوب .

• • •

في ص ( ١٢٨ ) قال : الإسرائيليات في فضل بيت المقدس ، وذكر بعضها منها .

وفي ص ( ١٢٩ ) ذكر أن الأحاديث الصحيحة كانت في أول الأمر في فضل المسجد الحرام ومسجد الرسول ولكن بعد بناء قبة الصخرة ظهرت أحاديث في فضلها وفضل المسجد الأقصى واعتبر ذكر المسجد الأقصى في حديث : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، من الإسرائيليات الموضوعة واستند في دعواه إلى ما روى عن ابن عباس أن امرأة اشتكت شكوى فقالت : إن شفائي الله لأخرجن فلأصليين في بيت المقدس فبرئت ثم تجهزت تريد الخروج فجاءت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرتها بذلك فقالت : اجلسي فكلتي ما صنعت وصلي في مسجد رسول الله ، فإني سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد السكعة » قال : ولو أن المسجد الأقصى كان قد ورد فيه تلك الأحاديث لما منعت ميمونة هذه المرأة من أن توفى بتزويجها !!!

والجواب على هذه المزاعم قول :

١ — إننا لا نكر أنه وضع في فضل بيت المقدس والصخرة أحاديث وآثار كثيرة ولكن الذي نكره حقاً أن يكون ذكر بيت المقدس في حديث « لاشد الرجال » من قبيل الوضع والدس ، وأعتقد أنه من الإصراف في الحكم والشطط في البحث أن يجرّد باحث بيت المقدس من الفضيلة ويعتبر كل ما ورد فيه من صنع بني إسرائيل وكيف وفضل بيت المقدس لم يثبت بالأحاديث الصحيحة لحسب ؟ ولكنه ثبت نبوتاً قطعياً بالقرآن المتواتر الذي لا يتطرق إليه الشك قال تعالى : « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » . فلم يعد ثمة مجال للجدس والظن الذي لم يتم على أساس ولا يستند إلى دليل ، وبيت المقدس قبلة الأنبياء السابقين ومهاجرهم ، وثاني المساجد التي وضعت في الأرض وشرفت ، بناء حفيد الخليل يعقوب عليهما الصلاة والسلام وجده نبي الله سليمان عليه السلام ، وإليه توجه المسلمون في صلاتهم بعد الهجرة بضعة عشر شهراً ، فكيف يستبعد المؤلف أن يذكر هو ومسجد مكة والمدينة في حديث وإن كان دونهما في الفصل ؟ والمساجد الثلاثة يجمعها أنها آثار وتحمّل ذكريات مجيدة لبعض أنبياء الله ورسله الكرام ، ولو أن المؤلف كان باحثاً حقاً لنقده من جهة سند ومثله تقدراً عليها صحيحاً بذلك أن يلقى بالقول جواهاً .

٢ — هذا الحديث رواه الإمامان الجليلان : البخاري ومسلم في صحيحهما ، وهما من هما في علو كعبهما في التصحيح ، وممرقتهما التامة بالرجال والعلل ، ونظرهما الثاقب في الكشف عن خفايا الأحاديث وعظمها ، ورواه غيرهما كابن حبان في صحيحه ، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم ، ورواه أحمد والبخاري في مسنديهما ، والطبراني في المعجم الكبير والوسط ، وروى عن جمع من الصحابة كعمر وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وأبي بصرة الغفاري وأبيه وأبي الجعد (١) وقد تلقى الأمة هذا الحديث بالقبول ، واحتج به أئمة فطاحل

[١] انظر عمدة القاري على البخاري ج ٧ ص ٢٥٢ ط مطبع .

لا يحصيهم العدد ولا يشق لهم غبار في النقد والبصر بالأحاديث من عصر السلف إلى وقتنا هذا ،  
فهل كل هؤلاء خفي عليهم ملاح وظهر لهذا المؤلف ١١١٩

٣ — أما ما ذكره من قصة المرأة التي نذرت أن تصلي في بيت المقدس إن شفاها الله الخ .  
فما يضحك الشكلى ١ ومن قال يامن زعمت أنك طوفت في عشرات الكتب والمراجع  
إن الفتوى على خلاف ما يدل عليه حديث أو العمل على خلافه يكون دليلا على كذبه ؟  
لو كان الأمر كذلك لحكنا على كثير من الأحاديث بالوضع والاختلاق .

قال العلامة ابن الصلاح ، وهكذا نقول : إن عمل العالم أو فتياه على وفق حديث ليس  
حكما منه بصحة ذلك الحديث ، وكنك محالته للحديث ليس قدحا منه في صحته ولا في روايته  
واقه أعلم ، <sup>(١)</sup> والسيدة ميمونة استندت في فتواها إلى هذا الحديث الذي يثبت أن الصلاة  
في المسجد أفضل من الصلاة في المسجد الأقصى فيكون أداء النذر في الأفضل أولى  
ولا سيما أن فيه راحة من مشقة السفر وهي امرأة .

قال الإمام العيني ، واستدل قوم بهذا الحديث - حديث لا تشد الرحال - على أن  
من نذر إتيان أحد هذه المساجد لزمه ذلك وبه قال مالك وأحمد والشافعي في البربطي ،  
وقال أبو حنيفة لا يجب مطلقا ، وقال الشافعي في الأم : يجب في المسجد الحرام لتعلق  
النفس به بخلاف المسجدين الآخرين ، وقال ابن المنذر : يجب إلى الحرمين وأما الأقصى  
فلا واستأنس بحديث جابر أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إني نذرت إن فتح الله عليك  
مكة أن أصلي في بيت المقدس قال صل هنا <sup>(٢)</sup> ، فدار الفتوى في حديث جابر والسيدة  
ميمونة على أن من نذر الصلاة في مفضل أجزاء الصلاة في الأفضل ولا عكس (٣) .  
وها نحن نرى أن الشافعي رحمه الله في الأم أوجب أداء النذر في المسجد الحرام دون  
المسجدين الآخرين المشرفين مع أن الشافعي ممن يرى صحة حديث لا تشد الرحال ، وعلى منطلق  
المؤلف في البحث كان يلزم أن تقول استنادا إلى رأي الشافعي في الأم : إن فضيلة المسجدين :

١ — مقدمة ابن الصلاح ص ١٢١ ط حلب .

٢ — عمدة القاري ج ٧ ص ٢٥٢ .

٣ — المنى والدرج الكبير ج ١١ ص ٢٥٢ .

مسجد المدينة ، والأقصى غير ثابتة وإن ذكرها في الحديث اختلاق ، وهو منهج في البحث  
سقيم لم نر له مثيلا في القديم ولا في الحديث .

\*\*\*

في ص (١٢١) ذكر تحت عنوان « اليد اليهودية في تفضيل الشام » حديث الصحيحين  
المرفوع ولفظه « لا تزال طائفة من أمتي طاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من  
خالقهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » قال : روى البخاري هم بالشام .

ونحن لا نشكر في أن بلاد الشام وغيرها من بلاد الإسلام قد وضعت فيها أحاديث  
كثيرة بداعي المعصية الوطنية ، وقد سبق أئمة الحديث وصيافته إلى بيان ذلك من منذ مئات  
السنين ، ولكن الذي نشكره على المؤلف الطعن في الأحاديث الصحيحة بالظن من غير تثبت ،  
أو اعتمادا على تأويل مؤول للحديث .

وليس أدل على هذا من ذكره هذا الحديث واعتباره من صنع اليد اليهودية ، وأى فائدة  
تعود على اليهود من هذا ، وبلاد الشام ليست بلادهم وإنما هي بلاد العرب قبل أن تكون  
بلادا لهم ؟ وهل يعقل من اليهود في سبيل الترافف إلى بني أمية أن يصحوا هذا الحديث الذي  
يدل على بقاء الإسلام وبقاء سلطانه ، وبقاء هذه الطائفة الثابتة على الحق من الأمة المحمدية  
إلى يوم القيامة ؟ وكيف وهم يدعون أنهم شعب الله المختار - كذبا وزورا - وأنهم أحق  
الشعوب بالبقاء ، لقد وصفهم المؤلف بالدهاء والمكر ، فكيف يضعون أحاديث تعلى ببيان  
أعدائهم وتفوض بينهم من أساسه ؟ الحق أن المؤلف يريد منا أن نلغي عقولنا .

وهذا الحديث رواه الشيخان في صحيحيهما ، رواه البخاري في « كتاب الاعتصام »  
عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ « لا تزال طائفة من أمتي طاهرين حتى  
يأتيهم أمر الله وهم طاهرون » والرواية التي أشار إليها المؤلف رواها البخاري في باب بعد  
علامات النبوة يابيين ، عن عمير بن هاني أنه سمع معاوية يقول : سمعت النبي صلى الله عليه  
وسلم يقول : « لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى  
يأتي أمر الله وهم طاهرون » قال عمير : فقال مالك بن يخامر : قال معاذ : وهم بالشام فقال  
معاوية : هذا مالك يرغم أنه سمع معاذ يقول وهم بالشام .

ورواه مسلم في صحيحه عن ثوبان وعن المغيرة بن شعبة وعن معاوية وعن جابر بن عبد الله وليس في رواية مسلم عن معاوية قال معاذ وهم بالشام ، ورواه غير البخاري ومسلم .

ومما ينبغي أن يتنبه إليه أن قول معاذ ليس من الحديث المرفوع كما يوم صنيع المؤلف وإنما هو تأويل لمعاذ في الحديث ، أما المرفوع فليس فيه هذه الزيادة ، قال البدر العيني في شرحه على البخاري : وحديث مالك هذا - يعني مالك بن يخامر عن معاذ - غير مرفوع ، وقد فسر البخاري هذه الطائفة فقال بعد إيراد الترجمة للحديث : وهم أهل العلم ، وعن علي ابن المديني أنه قال : هم أصحاب الحديث ، وكذا روى عن الإمام أحمد ، وقيل غير ذلك ، وهكذا نرى أن الأئمة من لدن الصحابة اختلفوا في تعيين المراد من هذه الطائفة ، فتخرج الإمام البخاري لهذه الرواية عن معاذ في فهم الحديث لا ينهض دليلا للظعن في الحديث الصحيح واعتباره من دساتر اليهود .

وكذلك قول بعض العلماء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن سعد ابن أبي وقاص مرفوعا لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ، أن المراد بهم أهل الشام لا ينهض للظعن في الحديث ، وذكره مع أحاديث نبه العلماء على وضعها في قرن واحد .

ومن عجيب أمر هذا المؤلف أنه يعتمد في نقل بعض الأحاديث التي توافق هواه على كتب الأدب كنهاية الأرب ، وكتب التاريخ ، كالمعجب في تلخيص أخبار المغرب ، على حين يظعن في أحاديث في الصحيحين بالوضع ما دامت على غير هواه ، ولا أدري كيف غاب عنه أن كتب الأدب والتواريخ ونحوها تجمع الفث والسمين والمقبول والمردود فكيف يعتمد عليها فيما ينقل ؟ ألا إن المعول عليه في السنة هي كتب الحديث المعتمدة التي تبرر الأسانيد أو تعزو الأحاديث وتميز بين الصحيح والضعيف والمقبول والمردود ؟

محمد محمد أبو شهبه

الأستاذ بكلية أصول الدين

# تعليقات

## حول مؤتمر الأدباء

حينما أراد ابن عبد ربّه الأندلسي أن يبتدئ الحديث عن العلم والأدب في كتابه «العقد»، افتتح ذلك بقوله: «ونحن قائلون بحمد الله وتوفيقه في العلم والأدب، فإنهما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا. وفرق ما بين الإنسان وسائر الحيوان، وما بين الطبيعة الملكية والطبيعة الحيمية؛ وهما مادة العقل، وسراج البدن، ونور القلب، وعماد الروح...». ثم يقول: «والطفل الصغير لو لم تعرفه أدبا، وتلقته كتابا، كان كأبلة البهائم وأضل الفواب،!»:

ومن مثل هذا البيان نستطيع أن نفكر مكانة الأدب في الحياة، وتأثير الأدب في المجتمع ولقد شاء الله للأدباء في الأمة العربية أن يجتمعوا منذ سنوات فيكونوا لهم جماعة، ويفقدوا مؤتمرا يتدارسون فيه شئون الفكر والأدب؛ ولقد تلقت دعوة كريمة من حكومة الكويت الشقيقة للاشتراك في الدورة الرابعة لمؤتمر الأدباء التي انعقدت في الكويت، وبدأت يوم السبت ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٨ وانتهت في يوم الأحد ٢٨ من الشهر المذكور، وتفضل الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر فأصدر قرارا يقبولى هذه الدعوة وبالاشتراك في المؤتمر؛ وكان هذا الاشتراك فرصة للالتقاء بمجموعة ضخمة من أدباء الأمة وشعرائها ومعكبريها وذوى الرأي فيها، فوق اشتراكى في مناقشات المؤتمر واقتراحاته وبعض لجانه.

ولقد كان للمؤتمر موضوعان رئيسيان خصهما بالعناية والبحث: الأول منهما هو البطولة كما يصورها الأدب العربي في مختلف عصوره، والآخر هو مشكلات الكتاب العربي، وتشمل النشر والتوزيع والترجمة وبعث التراث... وقد بحث المؤتمر الموضوع الأول عن طريق بحوث تلقى، ويعقبها تعقيبات ومناقشات ومقترحات، وبحث الموضوع الثاني عن طريق لجان تقدمت في نهاية بحثها بتوصيات، ويبدو من هذا أن الموضوع الأول قد لاقى من كثرة المشتركين في الكلام والسامعين له أكثر من الموضوع الآخر الذي كان أمره محصورا داخل نطاق اللجان..

وعلى الرغم من النظام الذى كان مستتباً فى المؤتمر بفضل الجهود الكبيرة التى بذلتها حكومة الكويت ودائرة المعارف فيها ، وعلى الرغم من النجاح الذى ناله المؤتمر بصفة عامة ، ليس هناك ما يمنع من إبداء بعض الملاحظات التى لاحظتها ، وقد يكون فى تسجيلها وفاء بحق التاريخ من جهة ، وحق التوجيه الخالص من جهة أخرى .

ألاحظ أن أصحاب البحوث التى دارت حول البطولة لم يعرفوا البطولة تعريفاً كافياً شافياً ، أو تعريفاً جامعاً مانعاً ، كما تقول فى الأزهر ، فقد عرف بعضهم البطولة بأنها الشجاعة ، وأنها سمو وتشوف للشكّال ، ورياضة للروح والجسم ، وتعبير عن طاقة قوية منمردة . وهذا باحث ثان يقرر أن البطل هو ذلك الفرد الذى تتمثل فيه رغبات مجموع من الناس وآماله ، والذى يدرك بإحساسه المرهف وذكائه الوقاد وعبقريته النادرة مطامح مجتمعه وأمانيه ؛ فإذا به فى طليعة من يسعى لهذه المطامح ، ويكافح لتحقيق هذه الآمال ١١ .

وهذا ثالث يعرف البطولة بأنها مثل أعلى لا يزال البشر يسعون إليه ، وعنوان بارز من عناوين المجد والرفعة المعنوية ما حققه الإنسان يحرص على شرف الانتساب إليه والاتصاف به ، وروح ما انفكت المجتمعات تنفحه فى أجيالها ١١ . وهذا باحث رابع يعرف البطولة بأنها بطولة رأى وكفاح من دون هذا الرأى ، وبطولة تجرد وجهاد فى سبيل هذا التجرد ١١ .

وهكذا ظل الأعضاء الباحثون فى أغلب جلسات المؤتمر يطلعون علينا بتعاريف للبطولة بعضها يتقارب ، وبعضها يتضارب ولذلك قلت فى إحدى مناقشاتي : إن تنظيم البحوث عن البطولة كان يقتضى أن تبدأ هذه البحوث يبحث عن تعريف البطولة ونبیان المراد بها ، حتى يستقر الأعضاء فى ذلك على منهج وطريق ، وأبدت خشيتي أن نخرج من جلسات المؤتمر دون أن نتفق على تعريف للبطولة ، لأن كل باحث يصورها من زاوية رأيه الخاص أو اتجاهه الممين .

وقد يتصل بهذا الموضوع أن الباحثين فى المؤتمر لم يصنوا بأن يشيروا إلى المصادر والمراجع القديمة والحديثة التى بحثت موضوع البطولة ، أو كانت تحوم حول حماها من قرب أو بعد ، ولذلك اقترحت على المؤتمر أن يعنى بوضع قائمة تتضمن الكتب التى تحدثت عن البطولة والفروسية والعزة بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر ، وأنا أذكر من هذه الكتب كتاب « الفروسية » لابن القيم ، وكتاب « غرر الخصائص الواضحة » للوطواط ،

وديون الخامسة لأبي تمام ، وديوان الخامسة لأبي عبادة البحرى المتوفى سنة ٢٨٤ وديوان الخامسة لأبي السعادات الشجرى العلوى المتوفى سنة ٤٥٢ ، وكتاب الخامسة البصرية لأبي الحسن البصرى المتوفى سنة ٦٤٧ ، وديوان الخامسة للمسكرى ، وديوان الخامسة لأبي الحسن شميم الأندلسى المتوفى سنة ٦٥٣ ، وكتاب الفتوة عند العرب لعمر الدسوقي ، وكتاب أيام العرب فى الجاهلية ، وقصص العرب لعلى الجاوى وأبو الفضل إبراهيم ، وكتاب الملامية والصوفية وأهل الفتوة لأبي العلا عفيفى ، وكتاب المروءة لشرفاريس ، وكتاب الفتوة والفتيان قديماً وحديثاً لمصطفى جوار ، وكتاب بطل الأبطال لعبد الرحمن عزام ، وكتاب صور من البطولة لمحمد أحمد الحوى ، وكتاب الأبطال لسكارليل . الخ

• • •

ومن عرائف البحوث فى هذا المؤتمر أن باحثاً قد أتى بحثاً صبغه بصيغة التفسير المادى الصرف للتاريخ ، وأسرف فى الخروج على الموضوع المخصص له ، وقد قرر فى هذا البحث أن حركة القرامطة ، من حركات البطولة القليلة المثال فى المجتمع الإسلامى . وأنها حملت لواء الإصلاح الاجتماعى ، وكانت أدروع حركات الإصلاح وأكثرها تنظيماً . !

يقول الباحث هذا عن حركة القرامطة ، التى ظهرت فى عهد المعتضد فى البحرين والعراق والشام ، والتى أشعل أحماسها نار أفتنة التى أصابت المسلمين بالبلايا ، وأضاعت الأمن من طريق المسلمين إلى بيت المقدس ، وأحرقوا مسجد الرصافة ، وقتلوا الكثيرين ، وسلبوا البلاد والقرى .

والقرامطة هم الذين أعملوا التفتيل والتخريب فى البصرة ، وقطعوا الطريق على الحجاج ، وأخذوا منهم الجمال وما أرادوه من الأمتعة والأموال والنساء والصبيان ، وحبسوا الكثيرين منهم فى الصحراء ، حتى ماتوا جوعاً وعطشاً من حرارة الشمس ، وفعلوا مثل ذلك التحريب والتفتيل فى الكوفة والأنبار ، وعثوا فى أرض الجزيرة نهباً وقتلاً .

والقرامطة هم الذين كانوا يكسحرون المسلمين ، ويقولون : إن لهم إماماً هو المهدى . ووصل بهم الأمر أن زعيمهم كان يأمر الرجل بقتل أخيه فيقتله ، وكان إذا كره رجلاً يقول عنه : إنه مريض ، - يعنى أنه قد شك فى دينه - ويأمر بقتله !

والقرامطة هم الذين هاجموا مكة يوم التروية سنة ٢١٧ ولم يرعوا البيت الحرام حرمة



أو كرامة ، بل نهبوا الحجاج وقتلوه في المسجد الحرام ، وفي جانب الكعبة نفسها ، وخلعوا الحجر الأسود من مكانه ونقلوه إلى « هجر » . وقدسوا باب الكعبة أيضاً ، ورموا الكثير من القتلى في شر ذررم ، والباقرن دقنوم في المسجد الحرام بلا غسل ولا كفن ، وأخذوا كسوة البيت ففسموها بينهم ، ونهبوا دور مكة . ومن العجيب مع هذا أنهم كانوا ينسبون أنفسهم للتشييع لآل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام .

يقول المؤرخ المتصف المرحوم الشيخ محمد الخضرى في كتابه « تاريخ الأمم الإسلامية » تعليقاً على ذلك ما حبه : « ولم يحصل في التاريخ أن انتهكت حرمة هذا البيت إلى هذا الحد ، حتى إن المهدي عبيد الله العلوى لما علم ذلك كتب إلى أبي طاهر ينكر عليه ذلك ويأمره ، ويطلبه ويقيم عليه القيامة ، ويقول : « قد حفظت على شيعةنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت ؛ وإن لم ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم ، وترد الحجر الأسود إلى مكانه ، وترد كسوة الكعبة ، فأنا برى منك في الدنيا والآخرة ... » ولما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود ، واستعاد ما أمكنه من أموال أهل مكة فردّه وقال : إن الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج ، ولا أقدر على منهم » .

ولم يرد القرامطة الحجر الأسود إلا مضطرين خائفين ، بدليل أنهم قد طولبوا برد هذا الحجر قبل ذلك ولكنهم رفضوا ، وهذا هو المؤرخ المعتدل الشيخ الخضرى يقول في موضع آخر : « لم تزل القرامطة على حالهم في الإفساد والعيث واعتراض الحجاج ، وفي سنة ٢٣٢ أرسل محمد بن ياقوت رسولا إلى أبي طاهر - زعيم القرامطة حينئذ - يدعوهُ إلى طاعة الخليفة ليقره على ما بيده من البلاد ، ويقلده بعد ذلك ما شاء من البلدان ، ويحسن إليه ، ويتمس أن يكف عن الحاج جميعهم ، وأن يرد الحجر الأسود إلى موضعه بمكة ، فأجلب أبو طاهر إلى أنه لا يترضى الحاج ، ولا يصيبهم بمكروه ، ولم يجب إلى رد الحجر الأسود إلى مكة ، وسأل أن تطلق له « الميرة من البصرة ليحطب الخليفة بهجر » فسلر الحاج إلى مكة هذه السنة ولم يترضهم الاقره على ؛ ولكنه في سنة ٢٣٣ اترضهم فخرج جماعة من العلويين بالسكوة إلى أبي طاهر فسألوه أن يكف عن الحاج فكف عنهم ، وشرط عليهم أن يرجعوا إلى بغداد فرجعوا ، ولم يصب هذه السنة من المرائى أحد ، وحار أبو طاهر إلى السكوة فأقام بها سنة أيام ، ورعل عنها ، ... »

وهكذا نرى أن القرامطة كانوا يبعثون ويطفون كل ما تهيأت لهم الفرص ، وينكشون أو يتراجعون إذا لم تواتهم فرصة ، ومهما يكن فقد كان منهم ما كان من الكوارث العظمى التي حلت بالامة الإسلامية كما يعبر الشيخ الحصري في موضع ثالث .

أمثل هذه الحركة يقال عنها إنها حركة بطولة ، وإنها كانت أروع حركات الإصلاح وأكثرها تنظيماً ؟ ... ولو فرصنا وتصورنا أن كلاماً كهذا يقال في مؤتمر هدام أفصح أن يقال في مؤتمر عربي للأدباء العرب في بلد عربي إسلامي هو الكويت ؟ ...

وقد وقفت في نفس الجلسة التي ألقى فيها البحث السابق ، وناقشت صاحبه فيما ذهب إليه ، كما ناقشه غيري بعد ذلك . وكان من المضحك أن نسمع متحدثاً يصف محاولة « سجاح » ، المثبثة الكذابة بأنها بطولة ! . . نعم « سجاح » ، التغلبية التي كان لها مع « مسيلة » ، الكذاب مواقف مخجلة وأنباء مخزية ، وعلى الرغم من تزييد الكاتبين عن « سجاح » نجد أن ما ذكرته المصادر المترنة عنها شيء يستحي منه الإنسان وهو يطالعه فكيف وهو يقول أو يحكم بأنه بطولة ؟ ... ولماذا إذن لم يعد هذا الباحث « مسيلة » من بين الأبطال ، وقد كان مسيلة في ادعائه ونبيته وكذبه أرفع ذكراً وأوسع خطراً من « سجاح » ؟ ...

ووقف باحث آخر يتحدث عن ابن هاني الأندلسي وكيف صور البطولة في شعره ، فيقول : « لذلك نراه يرفع من منزلة المعز مثلاً ، ويسمو به عن مستوى البشر العام ، حتى يكاد يخرجهم عن دائرتهم ، لجاء شعره طامحاً بصفات البطولة النادرة ، ومغالياً في تشخيص آثارها ، ويكفي أن أذكركم بالقصيدة الشهيرة :

ما شئت لا ما شئت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار  
وكأنما أنت النبي محمد وكأنما أنصارك الأنصار ،

وهذان البيتان صريحان في أن قائمتها لم يتقيد بأصول الدين ، ولم يلتزم الأدب مع الله ، بل شطط الزنادقة والملاحدين ، فنسب إلى مدوحه - وهو بشر - صفات الألوهية الصريحة ، بل تبجح لجعله أقوى من الأقدار ، وفوق هذا فأسلوب المديح سمج نافر ، لأن المبالغة المحنونة الكسود التي جاءت فيه قبحة وشوّهة ، ولا يكفي في التعليق على هذا أن يقال : « إنه يسمو بمدوحه عن مستوى البشر العام » ، وهل هناك مستوى خاص لم يسم به عنه ؟ . ولا يكفي أن يقال : « حتى يكاد يخرجهم عن دائرتهم » ... لأنه قد أخرجه عن دائرتهم فعلاً ، بل بلغ

به حقه أن جعل مشيئة فوق مشيئة الأقدار ، وجعله « الواحد القهار » ١١... وإذا كان هذا الممدوح قد بلغ هذه المرتبة الخيالية التي توهمها تبجح المادح ، فكيف يقال إنها بطولة وقد أوغلت في التقمع الكاذب على سبي الألوهية ؟ ١٠ .

وفقاً بموازين الحكم الأدبي ووفقاً بالدقة في التعبير ، أيها الأدباء ١١ ... أيقال هذا في جمع له مكانه وقيمه ؛ ثم لا تقف لتفنيده وإطهار كلمة الحق أمامه ؟ ... تلك إذن قسمة ضئيلة ١١ .

وبينما يسرف أحد الباحثين في الحكم حير يقول : « وتخليد الأبطال إنما أريد به رفعهم إلى مستوى الآلهة ، وذلك تسليم مطلق بقدرتهم الخارقة » نحمد باحثاً آخر يناقشه فينص الحقيقة والواقع التاريخي بخساً شديداً حينما يقصر أمر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على البطولة والعبقرية فقط ، دون أن يدخل في حساب حكمه على الرسل أنهم أنبياء ورسول يوحى إليهم ١١ ...

الأول يتوسع توسعاً مؤلماً فيقرر أن تمجيد ذكريات الأبطال رفع لهم إلى مستوى الألوهية ، ويستعمل في ذلك لفظ « إنما » الذي يفيد القصر والحصر ، فكأنه لم يخلد الناس بطلاً من الأبطال إلا ليصلوه إلهاً أو كيلاً ؛ والآخر يهضم الرسل حقهم الأصيل ، وصفتهم المميزه وهي أنهم بشر صنعهم الله على عينه ؟ وعصمهم بالتبوة والرسالة ، وأوحى إليهم ما أوحى ..

وبطبيعة الحال وقفت لأناقش ، لا بروح رجل الدين الغيور فقط ، بل بروح المنصف الذي يهوله أن يرى الحقائق تشوه وتحرف .. واقترحت على المؤتمر أن يخصص بحث لتفصيل الحديث عن « بطولة الأنبياء » ؛ لأنها بطولة من نوع خاص ، اقترحت أن يكون هناك موضوع مستقل للحديث عن « بطل الأبطال محمد عليه الصلاة والسلام » ؛ لأنه بطل العرب جميعاً وبطل المسلمين بأسرهم فوق أنه نبي رسول ١١

وقد جاءت إشارات عابرة في أحد البحوث عن البطولة في القرآن ، ولم تكن تلك الإشارات غرضاً أساسياً للباحث كما ذكرت خلال المؤتمر ، ولذلك اقترحت أن يخص بحث للحديث عن « ألوان البطولة كما يصورها القرآن الكريم » . وهذا فوق قيمته الأدبية يحقق غرضاً له قيمته ومكانته وهو حسن الجمع بين العقيدة والأدب ، حتى يستمد الأدب

في بعض نواحيه من نبع الأدب الديني ، وحتى تتوثق الصلة بين رجل الدين ورجل الأدب ، ليلتقيا على شرفة سواء في خدمة العقيدة السامية والأدب الكريم ؛ ولعل هذا كان من بين الدوافع التي دفعتني إلى أن اقترح على المؤتمر جعل شخصية معنوية للأزهر الشريف ، فيوجه المؤتمر في الدورات القادمة الدعوة إلى الأزهر ليكون له وقد في هذه الدورات يشارك في بحوثها ويسهم في حسن الجمع بين رحاب الدين ورحاب الأدب ... وقد أبنت أن الأزهر الشريف بعمره الطويل الذي زاد على ألف عام قد حفظ تراث العرب والتراث الأدبي بجموار حفظه للتراث الديني ، وكان الأزهر خلال هذا العمر المديد حصنا حصينا لعلوم العربية ومواريتها الأدبية ، وما زال الأزهر ينهض برسائله حتى اليوم ...

ولاحظت أن مستوى الحفاظ على اللغة العربية السليمة وعلى قواعدها الأصلية يوحى بإهمال عدد كبير من الأدباء ، فهم في بحوثهم ولقاءاتهم لا يعنون العناية الواجبة بسلامة العبارة ولا بجودة الأسلوب ، ولا بالضبط اللغوي أو الصرفي للألفاظ ، ولا بمراعاة النحو في الكلام ، وقد تأذت النفوس والآذان مما سمعته أحيانا كثيرة من لحن وخطأ وتحريف ؛ وكان هذا داعيا إلى أن أتقدم باقتراح ظاهره العناية وباطنه الجد ، وهو أن يقف المؤتمر جلسته دقائق حدادا على المرحوم «سيويو» ، حتى تهدأ عظامه في قبره ... !!

إن اللغة من أقوى الدعائم في ميدان الأدب وميدان القومية وميدان الوحدة ، فلو اوجب علينا أن نعطى حقا من الرعاية والعناية ، وإذا كان هذا واجب الأمة العربية كلها ، فإنه على الأدباء أوجب ولهم أزم ؛ لأنهم ألسنة هذه الأمة ، وهم الذين يترجمون أفكارها وهوألفها بالكلمة والبيان . والأدب فكرة وصورة ، وكلها كانت العكرة جليلة احتاجت إلى عبارة سليمة وكريمة ، فلا تنسوا واجب اللغة والنحو أيها الأدباء ... !!

ومن الأمور الشكلية التي كانت في المؤتمر أن كثيرا من المتحدثين كانوا يبدؤون حديثهم بقولهم : « تحية أدبيه ، أو تحية الأدب ، أو تحية عربية ، أو تحية العربية » ؛ وكنا نقسمال : وما تحية الأدب ؛ وما تحية العربية ؟ ... ألا يصح أن تنفى عليها حتى نردها بدل الاختصار بعبارة مبهمة كهذه ؟ ... وما المانع من أن تكون تحية الأدب والعربية هي تحية الإسلام وتحية العرب المؤمنين وتحية الإنسانية الفاضلة كلها ، وهي تحية : « السلام عليكم ورحمة الله » ؟ .

إتينا لا نريد أن تظل تلك الفجوة المصطنعة بين القومية العربية والإسلام ، وليس واجبتنا أن نبحث عن وجوه التمايز بينهما ، إن كان هناك وجوه اختلاف ، بل واجبتنا أن نؤكد أسباب الاتفاق والوفاق والاتساق بين القومية والعقيدة ، لأن القومية تكسب بهذا قوة واعتزازا ، ولأن العقيدة تكسب بهذا تمكنا من نفوس العرب المؤمنين .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

## أضواء

\*\*\*

طريق السؤدد

بدراسة القرآن الكريم ، وما يتصل به من مصادر الرسالة الإسلامية ، وإعداد الأزهري لذلك على الوجه الأكمل ، نصل إلى الخير ، وإلى السعادة ، وتمتد الجمهورية العربية المتحدة في المجد .

الأستاذ الأكبر الشيخ

محمود شلتوت

\*\*\*

## أتباع ديوى

إن أتباع ديوى يعيشون على أرض هذا الوطن غرباء ، وآن هم أن يدركوا مقومات هذا الوطن العزيز ، وتوجيه هذه الثورة البناءة ، إن هم أرادوا تنظيم التوجيه ، وإيجاد دوى سليم عن طريق التربية .

الدكتور محمد البهي

\*\*\*

## اتحاد العرب والمسلمين

كل ما قصد إلى توحيين اتحادنا ( نحن العرب والمسلمين ) ، وبك روح العزة والمصية ، والشعوية الجماهيرية ، لا يخدم إلا أهداف لعمرو ، ولا يورثنا إلا الضعف .

الدكتور محمد محمد حسين

# الأدب والعلوم

## وقف تدريس الكتب

التي تتضمن مساسا بالقومية العربية

قال الأستاذ أحمد حلى المدير المساعد للتعليم الأجنبي: إن ٦٤ مدرسة أجنبية في الإسكندرية تضم ٢٤ ألف طالب وطالبة، تقدمت بإقرارات تتضمن عدم تدريس أى كتاب فيه مساس بالروح القومية العربية، كما تم جمع الكتب المخالفة لهذا الشعور وأُدمت.

## مؤسسة للثقافة العمالية

أعلن السيد وزير الشؤون الاجتماعية التنفيذي بالإقليم المصرى، في مؤتمر اتحاد العمال، أنه سينظر بعين الاعتبار، إلى المشروع الخاص بإقامة مؤسسة للثقافة العمالية.

## مدرسة لتدريس اللغة العربية بفيينا

قررت حكومة الجمهورية العربية المتحدة، منح إعانة مالية لإحدى الجمعيات بالفيينا، لبناء مدرسة لتدريس اللغة العربية بفيينا.

## دائرة معارف عن آسيا وإفريقيا

يقوم مجلس الفنون والآداب بإعداد دائرة معارف عن آسيا وإفريقيا.

## إنتاج المياه الثقيلة

أتم أحد الخبراء الألمان بتكليف من حكومة الجمهورية العربية المتحدة، وضع مشروع لإنتاج المياه الثقيلة، والمعروف أن هذه المياه تستخدم في صنع القنابل الذرية.

## تعمير الصحارى

تكونت لجنة بوزارة حرية الجمهورية العربية المتحدة، لدراسة تعمير الصحارى، وطلبت من سفارتى الجمهورية في موسكو وواشنطن موافقتها بالمطبوعات والنشرات الخاصة بتعمير الصحارى.

## زراعة الأشجار الخشبية

قرر المسئولون بالإقليم المصرى، تعميم زراعة الأشجار الخشبية على جوانب الطرق الرئيسية، للإكثار من خشب الأثاث والمصنوعات الأخرى.

## التخطيط العلمى للجامعات

تقرر تشكيل ٥٠ لجنة لتخطيط العلمى للجامعات الجمهورية العربية المتحدة.

## ٣٠٠٠ مدرسة ابتدائية

تتشأ الدولة في ٢٠ عاما

تعد الوزارة المركزية للتربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة ، مشروعا بما يحتاج إليه المباني المدرسية في المرحلة الابتدائية ، في السنوات العشرين القادمة على أساس بناء ١٥٠ مدرسة كل عام ، منها ٥٠ مدرسة بدل مدارس قائمة قديمة ، و ١٠٠ مدرسة جديدة .

## نفقات الطلبة اليمنيين

تعتبر معونة ثقافية

تقرر اعتبار نفقات الطلبة اليمنيين بالكلليات والمعاهد والمدارس العسكرية ، في الجمهورية العربية المتحدة بالإقليم الجنوبي معونة ثقافية .

## إعفاء طلبة جزائريين

من رسوم الدراسة

أعفت حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، تسعة طلاب جزائريين ملحقين بكلية البوليس من الرسوم طوال سنى الدراسة .

## أول قرية

يعاد تخطيطها بالإقليم المصرى

قامت إدارة تخطيط لقرى في وزارة الشؤون البلدية والقروية بالإقليم المصرى ، بإعداد مشروع تخطيط لقرى ، وستكون قرية « بنى هلال » بديرية الشرقية القرية الأولى التى تطبق عليها دراسات هذا المشروع .

## الكون كتاب ...

والقرآن كتاب

جاء في حديث نشر لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الجامع الأزهر : أن على الناس أن يربحوا أنفسهم من تكلف تطبيق القرآن ، أو تفسيره ، أو احتوائه على مظاهر الكون ، فالكون كتاب ... والقرآن كتاب . والقرآن يدفع بالناس إلى البحث عن مظاهر الكون ، وتقصى سنن الله فيه ، وليس من شأن الرسائل الإلهية سوى ذلك ، فلا تحملوها أكثر مما حملها الله .

## جامعة حرة بالإقليم المصرى

تقرر إنشاء جامعة حرة في الإقليم المصرى ، وستدعى الشركات والمؤسسات الكبرى المساهمة في تكاليف هذه الجامعة الجديدة ، التى ستحل مشكلات القبول ، واغتراب الطلبة في الخارج ، كما توفر النقد الأجنبى ، فضلا عن أنها ستضع الطلاب تحت رقابة أسرهم .

## التدخين

يسبب ضعف النظر

أعلن الدكتور « جيمس دوجارت » الجراح البريطانى ، أن التدخين يسبب ضعف النظر ، وأن معظم المصابين بالعمى الجزئى ، هم من مدمنى التدخين .

## إنشاء المجلس الأعلى

مهم هذه الذكرى ، وتعالى دماؤها مع دماهم بأن يصون الله تعالى الجمهورية العربية المتحدة ؛ لأنها سند القومية العربية وصنو التحرر والعزة في الوطن العربي الكبير .

### بعثة لبنانية

لجنة الرئيس بعيد الوحدة

قررت الحكومة اللبنانية إيفاد بعثة رسمية برئاسة السيد رشيد كرامي رئيس الوزراء ؛ لجنة الرئيس جمال عبد الناصر بعيد الوحدة ، ومستمع البعثة السيد بيير الجميل وزير الأشغال ورئيس حزب الكتائب ، وبعض الشخصيات اللبنانية .

### مؤتمر شباب آسيا وإفريقيا

افتتح صباح يوم الاثنين ٢٤ رجب ١٣٧٨ ( ٢ فبراير ١٩٥٩ ) مؤتمر شباب آسيا وإفريقيا ، المنعقد عن مؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية والإفريقية في العام الماضي .

فند الصباح الباكر أخذت وفود ٣٩ دولة من شباب القارتين ، طريقها إلى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ، حيث مكان الاجتماع ، فاستقبلها شباب الجمهورية العربية المتحدة : « يا قديميا » ، بالهاتف

### عيد الوحدة

احتفلت إقلييا الجمهورية العربية المتحدة في ٢٣ رجب ١٣٧٨ الموافق أول فبراير الحالي بعيد الوحدة الأول ، وشاركها في هذه الفرحة وهذا العيد شعوب العرب في كل مكان .

ويذكرنا هذا العيد بالتصميم الصادق ، الذي بعث هذه الجمهورية الفتية إلى الوجود ، ففاجأ بها أبناءها خصوم الوحدة من مستعمرين وانفصاليين ورجعيين ، هذا التصميم الذي رعى ولا يزال رعى جمهوريتنا ، ويدعم بنيانها ويؤكد ملامتها ، ويحقق لها النجاح تلو النجاح في كل خطوة تخطوها وفي كل إصلاح تقدم عليه .

وقد بثت هذه الوحدة الإحساس في نفس كل عربي بالقوة الذاتية وبالقدرة على إزالة كل أدران الماضي ومخلفاته .

وبعثت الثقة بأن وطن العرب لهم ، وروايتهم من حتمهم ، وبأن تلاعب النفوذ الأجنبي بأقدارهم أصبح أو يكاد يصبح خرافة عفا عليها الزمان . ولهذا لم يقتصر الاحتمال بقيام الوحدة على أبناء الجمهورية العربية وحدهم ، بل شاركهم هذه الفرحة أجزاء أخرى من الوطن العربي ، وابتهجت



وهذا نصها : إلى إخواني من شباب آسيا وإفريقيا : في اجتماعكم الأول ، الذي يضم دهرة شباب آسيا وإفريقيا وأملها المنشود ، أبعث إليكم بأخلص تحياتي ، متمنياً لكم النجاح في تحقيق الأهداف السامية التي اجتمعتم من أجلها ، وفي توطيد دعائم التضامن بين شعوبكم ، وتقوية أواصر المحبة والإخاء والتعاون في سبيل تحقيق الرخاء لشعوبنا ، والحرية للشعوب كلها ، والسلام للعالم أجمع .

### الرئيس جمال عبد الناصر

يخطب في مهرجان الشباب العربي

في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم الأول لمؤتمر شباب آسيا وإفريقيا ، ألقى الرئيس جمال عبد الناصر - في مهرجان الشباب العربي ، الذي أقيم بالنادي الأهلي ، بمناسبة افتتاح المؤتمر - خطاباً سياسياً جامعاً ، استمع له السادة الوزراء والسفراء وغيرهم من كبار الدولة ، وشباب المؤتمر الآسيوي الإفريقي ، وعدد ضخم من أبناء الجمهورية العربية المتحدة بإقليمها . وقد عدد الحاضرين بما يقرب من مائة ألف شخص ، غصت بهم مدرجات النادي الأهلي ، والسراقات الواسعة ، التي أعدت في الأماكن الخالية من ملاعب النادي . وحيّا الرئيس في خطابه العظيم ، شباب آسيا وإفريقيا ، وأكد أن مؤتمرهم

والتصفيق ، وعزف الموسيقىات ، وإطلاق الحمام الذي يرمز إلى السلام . والمؤتمر في ذاته تعبير مجسم عن وحدة الكفاح ، التي جمعت الشعوب الآسيوية والإفريقية ، التي قاست الاستعمار . وعاشت لتقاوم ما خلفه من فآخر وانحلال ، ومن تعصب وتفرقة ، ومن ضعف وجهل . وهذه الشعوب على اختلاف أجناسها ، وتباين نظم حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمنهجية ، قد اجتمعت على نصرة الحرية ، واحترام الحق ، وإقرار السلام . ومثلها في هذا المؤتمر شبابها ، لأن الشباب هم قوة الشعوب ، وهم الذين سيقرون المستقبل لها والإنسانية كلها ؛ ومن هنا كانت صيحة التضامن الآسيوي الإفريقي ، صيحة إنسانية ضخمة ، أفرغت أعداء الحرية ، وأثلجت صدور مجيها . وقد لوحظ لأبناء الأزهر ، في احتمالات المؤتمر مع إخوانهم طلبة جامعات الجمهورية العربية المتحدة نشاط حيوي مبارك ، كان له أثره في إنجاح المؤتمر ، وإدخال السرور على نفوس ضيوفهم من شباب الشعوب الآسيوية والإفريقية الصديقة .

### برقية الرئيس إلى مؤتمر الشباب

بعث الرئيس جمال عبد الناصر بالبرقية التالية ، إلى مؤتمر الشباب حيث تليت ،

## فلسطين بدلا من «إسرائيل»

أوصت اللجنة السياسية التابعة لمؤتمر الشباب الآسيوي الإفريقي ، بإطلاق عبارة « فلسطين المختصة » ، على الجزء المحتل من فلسطين بدلا من إسرائيل .

## جيش الجمهورية العربية المتحدة

نظر لكل عربي

زار السيد / إبراهيم شعبان وزير الدفاع الليبي بعض الوحدات العسكرية في الإقليم الجنوبي ، وصرح سيادته عقب ذلك : بأن هذه الريادة تركت في نفسه أثرا عميقا ، وأطلعت على مدى التقدم العظيم الذي أحرزته القوات المسلحة العربية ، مما يجعل كل عربي يزهو فخرا .

## العرب أمة واحدة

أدلى السيد / عبد الرحمن البراز حميد كلية الحقوق ببغداد ، بشهادته في محاكمة البطل العربي عبد السلام عارف ، وما جاء فيها قوله : أنا أؤمن بأن الأمة العربية أمة واحدة ، وأن ما أصنأ به من نكبات فيما مضى ، وما قد تعرض له في المستقبل سيه فرقتنا ، وأن حق الأمة العربية في التكتل حق طبيعي وأساسي ، وأنا أدعو إلى ذلك .

## عبد الناصر

أقوى من الأساطيل والجيش  
في محاضرة ألقاها النائب اللبناني ، أميل

تثبيت لمبادئ مؤتمر باندونج عن تقرير المصير والحرية والمساواة والتضامن .

وقال : إن الاتحاد هو سلاح الأمة العربية ضد الاستعمار والسيطرة والتحكم والاستغلال ، كما أعلن سيادته أن الجمهورية العربية المتحدة ، هدفها توحيد الأمة العربية كلها ، ونصرة الشعوب المغلوبة على أمرها . وعلى أثر انتهاء الرئيس من خطابه الرائع ، تعالت الحفافات بحياة الرئيس جمال عبد الناصر : وجعل السلام ، وزعيم الحياض الإيماني ، وبطل الوحدة .

## إذاعة خاصة بالجامعة العربية

استعان مؤتمر الأنباء العربي ، بالإدارة الهندسية بإذاعة الجمهورية العربية المتحدة ، لوضع مشروع جهاز للاستقبال والإرسال اللاسلكي ، خاص بالجامعة العربية .

## تركيا والجامعة العربية

اعتذرت الجامعة العربية من عدم تحقيق رغبة إحدى شركات البترول التركية ، في الاشتراك في المؤتمر الأول للبترول العربي . وصرح السيد محمد سليمان ، المشرف على إدارة البترول في الجامعة بأن المجلس الاقتصادي العربي ، حدد الدول التي تشترك في المؤتمر ، وهي الدول العربية ، وأمارات الخليج ، والشركات التي تتعامل معها .

ويعتقد أن هذه الاتفاقية ستقدم روسيا للجمهورية العربية المتحدة ، قرصاً يبلغ ٤٠٠ مليون روبل للبدء في بناء السد .

## رفض الشعوب العربية

للأنظمة الاجتماعية

المخالفة لأنظمتها لا يعتبر عملاً عادياً

قال السيد حسين العويني ، وزير خارجية لبنان في حديث له : إن لكل أمة خصائصها ، ولا يحق لأي أمة أن تخضع أمة أخرى لمبادئها ، ولا أن تتدخل في شئونها . وإذا كان التعاون بين شعبنا العربي والشعوب الأخرى مفروضاً فخير الجميع ؛ فإن رفضنا مبادئ أو تقاليد دولة ما - بما لا يتفق مع مبادئنا وتقاليدنا - لا يعتبر عملاً عادياً تجاه هذه الدولة .

## أندونيسيا

### تقوم المؤسسات الهولندية

قررت الحكومة الأندونيسية تأميم جميع المؤسسات الهولندية ، وعددها ٣٨٧ مؤسسة زراعية تشمل مزارع التبغ والمطاط والسكر .

### بعثات باكستانية للأزهر

أبدي السيد سمير باكستان في القاهرة للسشولين بالأزهر ، رغبة حكومته في إفراح المجال لبعثات باكستانية قادمة إلى الأزهر .

البستاني ، في جلمة اكسفورد ، في معرض الحديث عن الرئيس جمال عبد الناصر قال : إن الرئيس عبد الناصر هو بطل العرب الوطني العظيم ، وعلى بريطانيا ألا تعترض إذا اختاره العرب زعيماً لهم ؛ فقد أثبت الرئيس جمال عبد الناصر أنه أقوى من الأسطول السادس ، ومن القوات البريطانية .

## جيش التحرير الجزائري

يخترق خط الدفاع الفرنسي

اعترفت القيادة الفرنسية بأن مئات من الجنود الوطنيين الجزائريين ، اخترقوا خط الدفاع الفرنسي المعروف باسم خط موديس المكهرب ، وكان الفرنسيون قد بالغوا في تحصينه مما جعلهم يعانون مراراً استعالة اختراقه .

## القواعد الأمريكية بليديا

طلب الرسميون الليبيون من أمريكا ، فتح باب المفاوضات لتعديل اتفاقية عام ١٩٥٤ الخاصة بالقواعد الأمريكية والمعونة المالية التي تقدمها أمريكا لليبيا .

## موافقة روسيا على اتفاقية

السد العالي

وافقت الهيئة النيابية العليا في روسيا على اتفاقية بناء المرحلة الأولى للسد العالي ،

## الفهرس

صفحة	الموضوع	بسم
٥٩٣	شهر شعبان . . . . .	الدكتور محمد البهي مدير عام الثقافة الإسلامية بالأزهر . . . . .
٥٩٩	من الدراسات النقدية في القرآن : مسابقة القرآن للطبقة الانسانية : . . . . .	الاستاذ محمد محمد المدني أستاذ التربية الإسلامية بجامعة القاهرة . . . . .
٦٠١	السنة : عمل المرد لغيره . . . . .	الاستاذ طه محمد الساكن . . . . .
٦٠٥	تصريح الزكاة . . . . .	» عبدالرحمن عيسى مدير للتطبيقات بالأزهر
٦١٠	أمة ورسالة . . . . .	» محمد الدوالي مدير التفتيش بوزارة الأوقاف . . . . .
٦١٩	منهج السلوك في الاحلام . . . . .	» السيد سابق مدير الثقافة بوزارة الأوقاف
٦٢٣	الروحية الحديثة دعوة هدامة - ٢ - . . . . .	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية . . . . .
٦٢٨	كلمة حول الاحتفال بيلة للنصب من شعبان . . . . .	الاستاذ عمر عبدالوهاب - إحدى شيخ معلم دسوق سابقا . . . . .
٦٣١	من تاريخ السنة النبوية - ١ - . . . . .	» يس سويلم طه شيخ معهد الرقازيق
٦٣٣	أساطيل التاريخ : أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز . . . . .	» أحمد علي منصور أستاذ البلاغة والأدب بمعهد شيوخ الكوثر . . . . .
٦٤٠	الأزهر - ٧ - . . . . .	» من التبعة الحرر الأدبي بمجريدة الشعب . . . . .
٦٤٠	على بن الحسين بن النضر والخرين . . . . .	» علي الحارثي . . . . .
٦٥٣	الكسافي - ٢ - . . . . .	الدكتور محمد هبة الله باقر مدير للمناهج الدينية . . . . .
٦٦٠	تلك الكتب : القرآن المقدس . . . . .	الاستاذ محمد محمد أبو شهبة الأستاذ بكلية أصول الدين . . . . .
٦٦٦	تأليفات : حول مؤتمر الأدباء . . . . .	» أحمد الفراهمي المدرس بالأزهر . . . . .
٦٧٤	الأدب والمعلوم . . . . .	لمحة
٦٧٦	العالم الإسلامي . . . . .	»



# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

بقيادة د. محمد شحات الأزهرى في أول كل شهر ربيع

مدير المجلة ورئيس التحرير  
أحمد حسن الزيات  
العتوان  
إدارة أجمع المازر  
بالقاهرة

ت ٤٦٤١٤

يشترك في التحرير  
عبد الرحمن محمد العجاوي  
بدر الدين الشبراوي  
في الممزرية الجديدة  
خارج المحرمية  
والشيخين والمطابقين

الجزء التاسع - القاهرة في شهر رمضان سنة ١٣٧٨ - مارس سنة ١٩٥٩ - المجلد الثلاثون

## فهرس

١٤٤٤  
١٤٤٤  
١٤٤٤

صفحة

صفحة

١٢٠ ح



٦٨٩ الأهر كدي الله ولله العرب لا يتعلم

للأستاذ أحمد حسن الزيات

٦٨٥ مع سفير : الله العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

٦٨٩ معج فقهى سلم : أصول المعاملات الحديثة

للأستاذ محمد محمد المدي

٦٩٧ واعتصموا عمل لله جيبا ولا تفرقوا

للأستاذ محمد محمد عرفة

٧٠٦ الإسلام وحاجه لإساسة إليه

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

٧٠٧ من سهل الأندلس

للأستاذ كمال الموسوي

٧١٢ نظرية ارتفاع الأنواع والقطاب بعضها من بعض

عبد معكرى الإسلام

للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافي

٧١٨ الحركة الموسوعية في الإسلام

للأستاذ حسين على المداقوني

٧٢٤ أسرار التسم في القرآن الكريم

للأستاذ عبد الوهاب حمودة

٧٢٧ التعليم الديني في السودان

للأستاذ علي المباري

٧٣٢ موسيقى القرآن بين التبريل والتلحين

للأستاذ أحمد الفرياحي

٧٣٩ عصر سنه الإله الواحد توقع في شرك آلهة شتى

للأستاذ فتحي عثمان

للأستاذ الدكتور سليمان ديا

٧٦٥ دور من أدوار التاريخ في الكتابه عن الأندلس

للأستاذ عباس محمود العقاد

٧٧٢ يار رسول الله : أنت ، أنت !

للأستاذ محمد علي الحوامي

٧٧٤ الإسلام وحبية المسلم [ كتاب ] تأليف

أندريه سربيه

عرض وتطبيق الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد

الأمواس

٧٨١ آراء وأحاديث : الأستاذ الأكبر يستقبل شهر

رمضان ويبنى " المسميه به ، تحقيق محقق لدى

فصلية الأستاذ الأكبر ، موخر الحديث الذي

دار بين الأستاذ الأكبر وسفير كندا بالقاهرة ،

الكلمة التي ألقاها الأستاذ الأكبر على شباب

آسيا وإفريقيا .

٧٩٥ الأدب والطوم . . . . .

٧٩٩ الكتب : تاريخ الجامع الأزهر ، سلسلة الثقافة

الإسلامية . . . . .

٨٠٣ آباء الأهر . . . . .

# الآزهر كدين الله ولغة العرب لا يتخلف

## بقلم أحمد حسن الزيات

مؤمن ، وإنما أتيت من قبل القرد الطاغى على القديم لقدمه لا لفساده ، ومن تعصبك العنيد للجديد لجذته لا لصلاحه !

إنك مصاب بالألرجيا للأزهر ، لأنه مادام ، دام التراث الغالى وتمثل الماضى المجيد ، والألرجيا مرض لا يزال مجهول السبب فلا طب له ولا حيلة فيه . وإن يكون جوابى عما سألت رداً لا يقطع اللسان ، ومناقشتى إياك فيما قلت جدلاً لا يفتح المكابر . وإنك تعلم عن طريق اعتقادك بالقرآن وعلبك بالتاريخ ، أن الدين قوام الجماعة الإسلامية ، وأن اللغة نظام القومية العربية ، وأن رعاية الدين وحماية اللغة هما رسالة الأزهر . ومادام الإسلام يتجدد بحكم طبيعته على الزمن ، واللغة تتسع بفضل مرونتها على الحضارة ، فإن الأزهر لابد أن يتجدد مع الدين ويتسع مع اللغة وإن لم يفعل فما بلغ رسالته .

ولعلك لا تنسى أن الأزهر منذ انضمت الخلافة ، واستجمعت الثقافة ، ونشع السلطان واختلف اللسان وكاد يرفع القرآن ، كان وحده هو المنار الذى أضاء الطريق ، والحصن الذى حفظ التراث ، والمنهج الذى أوى إليه طلاب

لغتي منذ أيام في طريق إلى إدارة الأزهر أستاذ جامعى يعرفه الناس بمداونه للثقافة الإسلامية ، وكرامته للآداب العربية . فقال لي وهو يقلص شفاه عن ابتسامة ذات معنى : ماذا عسى أن تصنع لجنة الأزهر وهى إن كانت لسانا لحاله فلا بد أن تكون مرآة لوجوده وصورة لتخلفه ؟ وما دامت الثقافة الغربية قد نسخت الثقافة الشرقية ، واللغة العامية قد هزمت اللغة الفصحى ، فإن الأزهر وهو مدبر بوجوده وبقائه الدين واللغة لم يعد إلا طلالا من الأطلال وأثرا من الآثار ، والطلل يوقف عليه الذكري ، والآثر يحتفظ به للتاريخ ؟

فقلت له وأنا أجزيه على ابتسامة غاضبة بابتسامة عانية : إن رأيتك في ثقافة الإسلام وحضارة العرب ورسالة الأزهر قد يكون رأى الكثرة ممن فتنت قلوبهم وأغصية الفكر في أوربا ، وسحرت عيونهم مادى العلم في أمريكا فلوروا دوسهم عن رسالة الله الخالدة التى تجدد فيها كل دين ، وتكمل بها كل شرع ، فلم يدركوا منها إلا ما يدرك الأرمم من ضوء النهار !

ولكنك من دون هؤلاء لم توت من قبل الجهل لأنك عالم ، ولا من قبل الإلحاد لأنك

في جمع القلوب والشعوب على المحبة والتعاون ؛  
فإن نور الدين الذي يضئ البصيرة ، كنور  
الشمس الذي يضئ البصر ، لا يغير من طبعه  
تطور الزمن ولا اختلاف الناس ، وكلما تشعبت  
الأمور وتفرقت السبل واستهيمت المسالك  
افتقد الركب النور الإلهي الذي يهدي إلى سبيل  
السلام ويرشد إلى طريق الحق .

وهذه النهضة العامة التي تهرز الوطن العربي  
هزا أحوج ما تكون إلى الدين ينفضها بروحه  
حتى لا تضرب ، وإلى الأدب ينضمها بندها  
حتى لا تحجب . ونحن العرب لا نستطيع أن نفصل  
بين حضارتنا والدين اتعاظا بالفضل المروع  
الذي أصيبت به الحضارة المادية الغربية ،  
ولممانا بأن لنا رسالة روحية اصطفاها الله  
لأدائها جيل بعد جيل ، ليبقى الاتصال بين السماء  
والأرض ، ويدوم المدد بين الله والإنسان .  
أنا معك في أن انفلاق الذرة في الغرب دفع  
العالم إلى الأمام بسرعة الصاروخ ، وأن انفجار  
الثورة في مصر روج النيام في الشرق رجعة الزوال ،  
وأن الأزهر لا يستطيع أن يراكب ركب  
الإنسانية التائر الطائر ما لم يركب مركبه ويسرع  
إسراعه ، ولكن من ذا الذي قال إن السرعة  
التي تتفلق بها الروح أو العكرة أبطأ من السرعة  
التي يصل بها الصوت أو الضوء ؟ إن الأزهر  
لا بأس عليه ألا يرسل الطائرة ولا يطلق القذيفة ،  
فإن دعوته وكلته تنفذان من أقطار السموات

الفقه والعلم من جميع أقطار الأرض ، فوجدوا  
في كنفه العيش والأمن والكتاب والقلم ،  
ثم صدروا عنه صدور الشعاع عن الشمس ،  
يحملون نور الله إلى كل قلب ، وحرارة الإيمان  
إلى كل نفس ، وكان منهم الزعماء في كل نهضة ،  
والقادة في كل ثورة .

كان الأزهر منذ زحف الاستعمار إلى الشرق  
طليعة الجهاد القوي في ميادينه المختلفة ، فلم  
يتخلف أبداً عن مكانه من الصف الأول .  
كان ينبذ الوعى الغافى ، ويجمع الرأى  
الشكيت ، ويصل ما تقطع من الأسباب بين  
ديار الإسلام وأقطار العروبة .

وما أحسبك تجهل أب العرب حاولوا  
الوحدة مرتين في تاريخهم الطويل : مرة في  
القرن السادس بعد أن فرقهم العنصرية الجاهلية  
فقالوها بالإسلام ، ومرة في القرن العشرين بعد  
أن مزقهم الثورة التركية فأوشكوا أن يتالوها  
بالأدب . والدين والأدب يمسكهما الأزهر  
جميعاً لأنه وريث النبوة وخليفة النبوة .

تقول : إن الزمن قد استحال وإن العالم قد  
تغير ، وإن العلم المادى قد أنبسط سلطانه  
على الأرض ، وإن الوسائل التي كانت تغنى  
بالأمن ، أصبحت لا تغنى اليوم ، وأنا لا أنكر  
أن سنة الله في الكون أن يتقدم دائما وأن  
يترق أبداً ، ولكنى أنكر ألا يكون للوسائل  
الروحية من دين وأدب ما كان لها قبلا من الغناء

اتبع الأول وكان يحرق أسفا على تعويقه  
عن مقصده ، وأيد الثاني وكان يضيق ذرعا  
بطول تردده ، وعاون الثالث وكان يرتخص  
أسى على كف يده .

وكان هو وثلاثة من إخوان الرأى يجتمعون  
في دار (الرسالة) فينشأون ما حاق بالأزهر من  
ركود ربحه وانحسار طله . ويشفقون على يبيع  
الثقافة الإسلامية أن يعد تياره ما ارتكم  
في مجراه من الخطام البالي والغشاء الدخيل .  
وكانوا كسائر طلاب الإصلاح يرصدون  
الآفاق القاتمة ليرقبوا للقائد المنتظر الذي يبعث  
الحياة فيه ويدبراً الفساد عنه . وكان هذا الرجل  
قد تفرد بدعوة الإصلاح الأزهرى بعد فشل  
دعائه من قبله ، فرسم الخطط ، وسن المناهج ،  
وكتب الرسائل ، وجبر المقالات ، وقدم  
التقاريرات ؛ ثم جعل للإسلام الثنى الواضح قولاً  
في كل مسألة ، ورأى في كل معضلة ، وتوجيها  
في كل قصد ، تارة بلسانه في الإذاعة ،  
وأخرى بقله في الصحف .

ذلك الرجل الرابع هو الشيخ محمود شلتوت  
الذي اختارته ( ثورة الإصلاح العام ) شيخاً  
للأزهر ليدفع به إلى مكانه الحال من صف  
القيادة العامة .

وذلك مشيئة الله يا أستاذ ليدوم بورا الهدى  
مشرقاً من هذه المنارة ، ويظل دين الله وروحاً  
لهذه الحصار .

أحمد حسن الزيات

والأرض قبل أن تنفذ منها الطائفة النفاثة  
والقمر المصنوع .

على أن الأزهر يمتريه ما يسترى الكائن  
الحى من قصص الكمال وضعف القدرة ؛ فقد بلغ  
في العصر المملوك ذروة مجده العلى وسلطانه  
القوى ، ثم أدركه في العصر التركي ما أدرك  
العرب جميعاً من الغفوة التي أشبهت الموت فنام  
على موروث هله ومأثور طريقته ، حتى صما  
على مدافع نابوليون تقصف أبواب القاهرة ،  
فبعث في مصر روح المقاومة وتبوأ منها  
مكان القيادة .

ورأى الدين زاروا الغرب من أهله أن  
في أوروبا علماً أوسع من هله ، وتعلماً أوفى  
من تعليمه ، ففكروا في إصلاحه ليطل مرجع  
الأمر للسليين والعرب . وكان من بين أبناء  
النايفين النابهين ثلاثة انفردوا بمحاولة هذا  
الإصلاح ، ولكنهم منوا جميعاً بالمعجز عنه  
لاستبداد ( القصر ) يومئذ بسياسة الأزهر ،  
يجريه على هواه وينزله على حكمه ، فقتضى محمد  
عبده بحسرة من بنى عباس ، ومضى المراهقى  
بخيبة من هوى فؤاد ، وخرج عبد المجيد سليم  
بنزوة من نزق فاروق .

وكان هنالك رجل رابع جمع إلى عنفوان  
الشباب عنفوان الفكر ، فأدرك بحاسة المصلح  
الموهوب ما أدركوا من سوء الحال في الأزهر  
فاتجه بقله وقلبه إلى المشاركة في إصلاحه .



# لُغَةُ التَّغْيِيرِ، اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةِ

## لِلأُسْتَاذِ عَبَّاسٍ مُحَمَّدٍ الْقَعَّازِ

أولئك من كلاتهم وألفاظهم كما تراهي لنا  
أطوار المجتمع العربي من مادة ألفاظه ومفرداته  
في أسلوب الواقع وأسلوب المجاز .  
ونبدأ بالمجتمع نفسه فنعلم أن المجتمع العربي  
في قوامه الأصيل إنما كان مجتمع رحلة ومرعى ،  
وأن الكلمات التي تدل على معنى الجماعة في لسان  
العرب قلما تخلو من الإشارة إلى الرحلة والرعاية .  
فالأمة هي الجماعة التي ترم مكاناً واحداً  
أو تأتم بقيادة واحدة .

والشعب هو الجماعة التي تتخذ لها شعبة  
واحدة من الطريق ، والطائفة هي الجماعة التي  
تطوف معا . والقبيلة هي الجماعة التي تسير  
إلى قبة مشتركة ، والفصيلة هي الجماعة التي  
تفصل معا ، والفرقة هي الجماعة التي تفارق  
في مسلك واحد ، والفئة هي الجماعة التي تنقسم  
إلى ظل واحد ، والجيل من الناس هم الذين  
يشتركون في مجال واحد ، والبيتة هي الموطن  
الذي يورث إليه أصحابه بعد الرحلة عنه ، والنفر  
من القوم من يفرون معا للقتال أو للغيره ،  
والقوم في جملتهم هم الذين « يقومون » قومة  
واحدة للقتال خاصة ، ولهذا أطلقت أولاً  
على الرجال ثم شملت الرجال والنساء ، ومن هنا

يقال عن الشاعر البليغ إنه هو الشاعر  
الذي نعرفه من كلامه ، وإن لم يقصد إلى تعريفنا  
بسيرته وترجمة حياته ؛ لأنه يصف لنا شعوره  
بما حوله من الأحياء وسائر الأشياء ،  
ومنى عرفنا من كلامه ما يحب وما يكره وما  
يرفضه وما ينكره ، وما يحرك طبعه وفكره  
أو يمر بهما في غير اكتراث ، فقد بدت لنا  
حقيقة جليلة سافرة ، وكان لسان الحال فيها ،  
بحق ، أصدق من لسان المقال .

واللغة على عمومها أولى أن يقال فيها هذا  
الذي يقال عن الشاعر البليغ ؛ لأن اللغة هي  
قوام التعبير الناطق بين جميع المتكلمين بها ،  
فإن لم نعرف منها حقائق أحوالهم فما هي بأداة  
وافية بوسائل التعريف .

فليس من الغلو في وصف اللغة المعبرة  
أن يقال إنك تضع معجمها بين يديك فكأنما  
قد وضعت أمامك قواعدها وتاريخها ومعالم بيتها ،  
ولم تدع لمراجع التاريخ والجغرافيا غير  
تفصيلات الأسماء والآيام .

واللغة العربية في طليعة اللغات المعبرة بين  
لغات العالم الشرقية أو الغربية ، فلا يعرف علماء  
اللغات لغة قوم تراهي لنا صفاتهم وصفات

الطريق ، وكذلك الزميل من صحبته الزاملة ،  
والقريب الذي يقترب من منزلك ، وتناصبه  
كلمة العدو ، للخصم الذي يعدوك أو يعدو  
على جوارك .

وتتبع هذا المعنى ، أو نقراه ، في المعاني  
المجازية ، فنقول المذهب للطريقة الفكرية  
كما نقول المنهج والمثرب والنحو والمصدر  
والمورد والمقام والمقامة ، ونطلق السيرة  
على الترجمة وهي من ساريسر ، ونطلق القصة  
على الحكاية وهي من قص الأثر ، ونطلق  
الأثر على المخلفات وهي من بقايا المواطى  
والأقدام .

وقد قلنا - تتبع ، وتتفرع ، وقلنا المجاز  
وكلها مما لوحظت فيه هذه الدلالة في أصولها .  
فالتتبع من السير وراء الراحل ، والتتفرع  
من البحث عنه حيث كان مقره ، والمجاز من  
المبور . وما التعبير نفسه في أصوله ؟ هو العبور .  
ولا بد من مناسبة قريبة أو بعيدة تنتهي  
إلى هذه الدلالة في الألفاظ المعبرة عن الجماعات  
والأمكنة .

فنحن نقول « الجيش » من جيشان الحركة  
في الأمكنة المتعددة أو المكان الواحد .

وقول الجند ، والراجع أن الأصل فيه  
يرجع إلى « الجند » وهي الأرض الغليظة التي  
لا يسهل طروقها ، كأنهم استعاروه لمناعة  
المكان الذي يحويه المقاتلون المسلحون  
أو المستعدون للقتال .

قوله تعالى : « ولا نساء من نساء » بعد  
قوله : « لا يسخرون من قوم » . . . ومنه  
قول زهير :

وما أدري ولست أخال أدري

أقوم آل حصن أم نساء  
وإذا لاحظنا هنا المعنى في دلالة أسماء  
الأمكنة فهي دلالة مطردة على هذا المثال  
في أكثر البقاع التي نكن أو يرحل منها  
ولها . . .

فالمزول حيث ينزل الإنسان ، والبيت  
حيث يبيت بالليل ، وكذلك الموقع والمرجع  
والمأوى ، وكذلك المسافة بين مكان ومكان  
إنما هي الموضع الذي يماثل تراه للاهتمام  
إلى الطريق .

وقد يدل اسم المكان بمادته على عيشة  
« المشاع » في البادية الأولى ، فيطلق اسم  
« القصر » على المكان الذي يبنى مقصوداً  
على بانيه ، خلافاً للبيوت والخيام التي تقام  
في كل مكان .

واسم المكان قبل كل شيء مامعناه ؟ معناه  
من « التحكن » خلافاً للثقل والمتقل بغير  
استقرار .

ويلاحظ هذا أيضاً في التلخيص التي تدل  
على العشير أو على الرابطة الاجتماعية  
بين الأفراد .

فالمصاحب هو من يمشي معك في السفر ،  
وكذلك الرفيق الذي يؤخذ مع الطريق وقبل

والقصة والريشة مما يقلبه العرب ويتخذون منه القلامات ، فيحق لنا أن نفهم أننا بصدد هذه الكلمة أنهم لفظ أصيل في لغة العرب ، لا ينقلونه من لفظ آخر في لغة أجنبية .

وأذكر أن طبيباً فاضلاً تقيي في الإسكندرية فأخذ على بعض ما كتبت يومئذ عن القانون ، أن كلمة « القانون » دخيلة في العربية وأن « الشريعة » أحق منها بالاستعمال في كتابتنا ما دامت نظائرها ميسورة لدينا .

قلت للطبيب الفاضل : إن الكلمة من بضاعتنا التي ردت إلينا ، وأن القانون اليونانية ليست هي إلا القناة بصيغة التصغير عندهم ؛ لأن الغالب في لغتهم على معنى القانون أنه مستعار من القصة التي توضع بها الحدود وتقاس بها المواقع ، وهم يطلقون في اللغات الغربية كلمة *Ruler* على المسطرة التي ترسم الخطوط والحدود وعلى الحاكم الذي يقسم الأحكام ، ونحن في الشرق نستخدم القصة للقياس والفصل بين المواقع ، وتسمى عاصمة الحكم « قصة » في بعض اللهجات .

فالقانون *Canon* تصغير للقناة *Cane* لأن القناة الصغيرة هي التي تستخدم عندهم استخدام المسطرة لوضع الحدود والفصل بين الرسوم ، وإذا رجعنا إلى القناة أمكن أن نقول إن القانون هو « قناتنا » قد رجعت إلينا بعد أن صيغت عندهم في صيغة التصغير ، ولسنا نجزم بأن كلمة *Cane* مأخوذة من العربية بغير

ونعتقد أن النظر إلى ألفاظ اللغة من هذه الناحية تتم لكل دراسة من دراساتها ، سواء منها ما يراد للتاريخ أو لتحقيق أصالة الكلمات أو لتقرير قواعد « البلاغة » ... وهي كذلك من التبليغ أو البلوغ إلى المكان .

فإذا التبس علينا أمر كلمة من الكلمات ، فلم نعلم في ظاهر الأمر أي من ألفاظ العرب الأصيلة أم من الدخيل عليها ، فلدنا هذا المقياس الحاضر نقيس به دلالة الكلمة ونردها إلى حياة العرب وإلى المعهود من تعبيرها عن معالم تلك الحياة ، فلا يطول بنا العناء في الرجوع بها إلى أصل معقول فطمن إليه .

فيل - مثلاً - إن كلمة « القلم » مأخوذة من « كلوس » اليونانية وعن الاستناد في هذا القول إلى مرجع من مراجع التاريخ المحقق غير مجرد الظن القائم على التشابه في مخارج اللفظين ، وهو لا يدل على السابق إلى وضع الكلمة من اللغتين .

ولكننا نستطيع أن نرد الكلمة إلى القلم أو التقليم من القلامة في اللغة العربية ، نرى أنها أصيلة في هذه اللغة بهذا المعنى ، ونقصي المادة فنعلم أنها لا تنقل بحملتها من لغة إلى لغة . فمادة القاف والمم وما يتوسطهما مطردة في الدلالة على الشق والقطع ، ومنها قلم وقرم وقلم وقسم وقسم وقلم وقلم وهي آخرها في ترتيب الأبجدية .

ونعود إلى الشيء الذي « يقلم » فنعلم أن القناة

نقهم من تكرر المادة في أمثال هذه الألفاظ أنها نشأت في اللغة ؛ ولم تتمثل إليها بعد تداولها في لغة أخرى .

ففي الإنجليزية يدل لفظ «كت» على القطع كما يدل عليه لفظ «كسيه» باللغة العرسية، والمشابهة بين اللفظين وبين «القط» بهذا المعنى في اللغة العربية ظاهرة للسامع . ولكن القاف والطاء وما يثنيهما في لغتنا شائعة في الدلالة على القطع بأنواعه ، ومنها قط وقطر وقطف وقطم ، ويلحق بهذه الملاحظة أن القاف والطاء والقاف والذال والقاف والصاد تؤدي معنى قريباً من هذا المعنى ، فلا وجه للقول بالاستعارة في أمثال هذه الألفاظ .

\*\*\*

ومن الجائز أن يمتد القياس إلى أغراض أخرى في المقارنة بين الكلمات واللغات تحرياً لأصولها، أو للعلاقة بين معانيها ومعيشة أبنائها، ولكن البحث على هذا المثال ضرورة لا يحد عنها في اللغات التعبيرية واللغة العربية في مقدمتها، فإنه بحث يجمع بين أغراض التاريخ وأغراض البيان وأغراض الدراسات النفسية والاجتماعية ، ولا نحسب أن في اللغة العربية كلمة يطول الخلاف عليها مع الاحتكامها على هذا النحو إلى أصولها ودواعيها من حياة الناطقين بالعناد ، وأولها كلمات الفصاحة والبلاغة والنحو والصرف والإعراب ؟

عباس محمود العقاد

خلاف ، ولكنتا نجزم بأن «القناة» كلمة لم يأخذها العرب من اليونان ؛ لأن الآقية من النحل ومن عيدان الشجر ومن مسايل الماء ومن أسنة الرماح أصول عريقة في حياة العرب لا تستعار .

\*\*\*

وإن من أقنع ما تنفعنا به هذه المقارنة أن أصول عليها حين تتشابه الكلمات باللفظ ، أو تتقارب بالمخارج بين لغتين أو لغات عدة . فإن لم نستطع أن نعرف أيها السابق إلى وضع الكلمة فلمننا مستطيعون أن نعرف أنها أصيلة أو مستعارة في لغتها بالمقابلة بين تعبيراتها وأحوال معيشتها .

وقد كان زميلنا العالم المجتهد الأستاذ عبد القادر المغربي ، يرى أن كلمة المرج في العربية مأخوذة من كلمة «المرغ» الفارسية ، فكان مما يشككنا في هذا انظر أن مادة «مرج» و «مرغ» و «مرت» في اللغة العربية متقاربة في مدلولها وأنها على صلة بالمرع والمرعى على قدم الحاجة إلى المرعى في بلاد العرب ، فإن لم نستطع أن نجزم باستعارة الفرس كلمتهم «المرغ» من العرب ففي وسعنا أن نجزم بأن العرب أصلاً في كلماتهم غير مستعيرين .

وهناك كلمات تتشابه في مخارجها بين أبعد اللغات ؛ لأنها قد نشأت من الحكاية الصوتية التي تتمثل الأصوات كما تقع في الآذان ، وقد

# مِنْهُجٌ فَقْهِي سَلِيمٌ فِي أُصُولِ الْمَعَامِلَاتِ الْحَدِيثَةِ

## للأستاذ محمد محمد المدف

تشرع للناس بعد أن لم تكن، وتتغير أحياناً بتغير الزمان والمكان، وتقبل النسخ في عهد الرسالة. وإذا أردنا أن نعبّر عن هذا المعنى بالعبارة الفنية عند علماء الأصول قلنا: إن العقائد من باب الأخبار، والأخبار لا تقبل النسخ؛ لأن النسخ هو الإزالة والتغيير، والواقع يخبر عنه أو يوصف، ولكنه لا يغير ولا يرفع. فالألوهية وصفاتها حقائق ثابتة، والرسالة والوحي والكتب السماوية حقائق ثابتة، والبحث بعد الموت والحساب والثواب والعقاب حقائق ثابتة، والجنة والنار والنعم والعذاب، كل ذلك حقائق ثابتة، ليس للدين فيها دور يقوم به إلا دور الكشف عنها، والاستدلال عليها، والإقناع بها، فلا هو بالذي أنشأها، ولا هو بالذي يبدلها أو يزيلها وينسخها.

ومن هنا قالوا:

- إن العقائد لا تقبل النسخ
- ولا تتغير بتغير الزمان أو المكان.
- ولا يسوغ أن تكون محل اجتهد.

إن الشريعة الإسلامية لها ميادين ثلاثة في حياة الناس تصول فيها وتجول، ولها في كل ميدان من هذه الميادين أسلوب يختلف عن أسلوبها في غيره.

أما الميادين الثلاثة فهي:

١ - ميدان العقائد.

٢ - وميدان العبادات.

٣ - وميدان المعاملات.

وأما أسلوبها في كل ميدان من هذه الميادين فهو على الترتيب:

١ - أسلوب المخبر الواصف.

٢ - وأسلوب المثني المجدد.

٣ - وأسلوب الناقد المهنّب.

• • •

بيان ذلك:

١ - أن العقائد التي يفرض علينا الدين أن

نؤمن بها ما هي إلا حقائق ثابتة في نفسها لها وجود واقعي، وهي تفرق في هذا عن المبادئ والأحكام التي هي من قبيل الإنشاء والتي

ثم يعبد الله بذلك ، وفي هذا يقول القرآن الكريم ناعيا على المشركين : « أم لم شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » (١) . وبهذا الأصل أبطلت البدع في الدين والعبادات وما يتصل بها ، فكل من أراد القربة فعليه أن يتقرب إلى الله بما شرعه الله ، ومن تقرب إليه بما لم يشرعه ، ولو كان مظهره طاعة وقربة ، فإنه مبتدع متلاعب بالدين .

ومثل ذلك كما لو قال قائل : سأصلي الظهر خمسا بدل أربع ، أو أصلي المغرب أربعاً بدل ثلاث ، أو أجعل الركعة الواحدة ذات ركوعين بدل ركوع واحد ، أو أتجه إلى بيت المقدس ، أو إلى المدينة بدل اتجاهي إلى الكعبة ، أو أصوم شعبان بدل رمضان ، أو نحو ذلك ، فكل هذا اقتتات على الدين ، وعلى حق المعبود في أن يرسم طبقوس عبادته ، ولا يرتضى سواها .

• • •

٣ — وأما موقف المشرع في ميدان المعاملات ، فإنه يختلف اختلافا جوهريا عن موقفه في كل من ميدان العقائد ، وميدان العبادات :

إن الشريعة ليست هي التي أنشأت للناس صور التبادل والتعاون والتعامل ، ولكنها

(١) الآية ٢١ من سورة الفورى .

٢ — أما العبادات فهي تختلف عن العقائد في أنها إنشاءات أنشأها الله تعالى ، ورسم حدودها ، وهياها على صور خاصة ، وطلب من عباده أن يعبدوه بها .

فالصلاة عبادة منشأة مؤلفة من أفعال خاصة وأقوال خاصة على ترتيب خاص . والصيام إمساك عن الطعام والشراب وجميع الشهوات في زمان مخصوص .

والحج مناسك معينة لها رسومها وأوقاتها وأمكنتها وأركانها وشروطها . وهكذا . . .

ومن الواضح أنها ليست كالعقائد أى ليست حقائق واقعية مهمة المشرع أن يكشف عنها ، وإنما هي صور ركبها وهياها ورسمها وأنشأها بعد أن لم تكن ، وهذا محض حقه باعتباره هو الإله المعبود ، فمن حقه أن يشرع لعباده ما يعبدونه به ، وعليهم أن يرجعوا إليه في معرفة ذلك كما وكيفا ومكانا وزمانا .

ولهذا يقول أهل الشريعة في إحدى قواعدهم المشهورة : « لا يعبد الله إلا بما شرع » .

فالأصل في العبادات والقرب أنها ممنوعة حتى يرد من الشارع ما يدل على طلبها ، ويبين لها هياتها ورسومها الخاصة ، ولا يجوز لأحد أن يؤلف عبادة من عنده ، أو يتصرف في صورة من صور العبادة المشروعة ،

فيها ؛ فهي مقبولة ، ولا اعتراض عليها .  
وهذه المعاملة فيها ضررين ، أو تؤدي  
إلى الشحنا والبغضاء ، أو تنافي الفضيلة  
وما يجب من التعاون على البر والتقوى ؛  
فهي غير مقبولة .

وهذه المعاملة ليست خيرا كلها ، وليست  
شرا كلها ، فإذا استطعنا أن نخلصها إلى الخير  
أو نتجاوز عن بعض ما فيها من الضرر  
أو الفرر ملاحظة للصالح العام ، وأخذنا بجانب  
التيسير على الناس وتقدير حاجاتهم ؛ فلا بأس  
من الترخيص بها ، والازول على حكم العرف  
والمجتمع في قبول التعامل عليها .

هذا كان موقف الرسول صلى الله عليه وآله  
وسلم ، أي موقف الإسلام ، من مجتمع  
المدينة ووجوه التعامل فيه :

وقد عقد ابن قيم الجوزية فصلا في كتابه  
و أعلام الموقعين ، ذكر فيه أمثلة من إقراره  
صلى الله عليه وآله وسلم لأفعال الناس في  
المدينة ، كإقراره إياهم على تجارتهم التي كانوا  
يتجرونها ، وهي على ثلاثة أنواع : تجارة  
الضرب في الأرض ، وتجارة الإدارة ، وتجارة  
السلم ، وكإقرارهم على صنائعهم المختلفة من  
نجارة وخياطة وصياغة وفلاحة ، وكإقرارهم  
على ما يتعاملون به من الدراهم ، وربما كان  
عليه صور الملوك الذين ضربوها ، ولم يضرب

جاءت فوجدت صوراً يتعامل الناس بها ،  
فكان لها موقف منها ، غير موقف الإنشاء  
والرسم ، وغير موقف الإخبار والوصف ،  
وذلك الموقف هو موقف الإقرار ؛ أو التعديل ،  
أو الإلغاء ، وهو الذي سميناه في أول هذا  
البحث ، أسلوب الناقد المهدب .

وهي لا تتدخل في هذا الميدان إلا بمقدار  
ما تعمى مثلها ومبادئها التي جاءت بها ، من العدل  
والتيسير ، والرحمة ، ودفع أسباب التشاحن  
والبغضاء ، وربط أفراد المجتمع برباط  
من المحبة ، والتعاون على البر والتقوى ،  
لا على الإثم والعدوان .

إن هذا هو ما حدثنا به تاريخ التشريع  
الإسلامي عن موقف النبي صلى الله عليه وسلم  
حين قدم إلى المدينة ، وكان فيها مجتمع ،  
وفيها أسواق ، ولها صور معينة في البيع  
والشراء والتعامل والتعاون بالمزارعة ،  
والمسافة ، والمضاربة ، والسلم ، والقرض ،  
والرهن ، والهبة ، والمعري ، وغير ذلك .  
فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو  
الذي أنشأ ذلك باسم الشريعة ، ولم ينزل الله  
تعالى في شيء من ذلك آية أو آيات تصنيف  
إلى ما كان لونا آخر لم يكن .

ولإنما كان موقفه موقف الناقد المهدب فقط :  
هذه المعاملة تحقق مصالح الناس ولا ضرر

بيع جنين الناقة ، وهذا من باب النهي عن بيع المضامين والملاقيع ، والمضامين هي ما في بطون الخوامل ، والملاقيع ما في ظهور الفحول .

فهذه كلها يوع جعلية نهى رسول الله صلى عليه وسلم عنها (٢) .

وقد يكون النهي في بعض الأحيان واقعا على سبيل المشورة فلا يعد من باب التحريم ولكن من باب الكراهة .

ومن ذلك ما روى عن زيد بن ثابت قال : كان الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبايعون الثمار قبل أن يبدو صلاحها ، فإذا جذ الناس وحضر تفاضهم قال المتبايع أصحاب الثمر الزمان ، أصابه من ، أصابه قشام ، ومراض ، لعاهات يذكرونها ، فلما كثرت حصومتهم عند النبي قال كالمشورة يثير بها عليهم . لا تبيعوا الثمار حتى يبدو صلاحها . وهذا الحديث أيد الكوفيون قولهم بجواز بيع الثمار قبل أن ترضى ، فقالوا إن النهي فيه على طريق المشورة فقط لا على سبيل التحريم والمنع .

وقد ترد السنة بالتعديل والتهديب ومن ذلك ما رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن من حديث ابن عباس قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا خلفاؤه مدة حياتهم دينارا ولا درهما ، وإنما كانوا يتعاملون بما ضربه غير المسلمين (٣) .

وكما أقر النبي صلى الله عليه وسلم بعض المعاملات نهى عن بعض آخر ، فقد صرح أنه نهى عن بيع الملامسة ، وعن بيع المتابذة ، وعن بيع الحصاة ، وعن بيع حبل الحبلية ، وعن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها .

وكانت صورة بيع الملامسة أن يلبس الرجل الثوب ولا يفرسه ، أو يتاعه ليلًا دون أن يعلم ما فيه .

وسبب تحريمه الجهل بالصفة .

وصورة بيع المتابذة أن يبتذ كل واحد من المتبايعين إلى صاحبه ثوبه على غير تأمل منهما ويقول كل واحد منهما : هذا بهذا .

وصورة بيع الحصاة أن يقول المشتري أي ثوب وقعت عليه الحصاة التي أرمى بها فخولي ، وقيل أيضا إنهم كانوا يقولون إذا وقعت الحصاة من يدي فقد وجب البيع ، وهذا فارشيه بما يحدث الآن في بعض الأسواق والمواالد .

وأما بيع حبل الحبلية ففيه تأويلان : أحدهما أنها كانت يوعا يؤجلونها إلى أن تنتج الناقة ما في بطنها ، ثم ينتج ما في بطنها ، والفرق من جهة الأجل في هذا بين ، وقيل إنما هو

[٢] نهاية المجتهد لابن رشد ص ١٢٢، ١٢٣ ج ٧ .

[٣] أعلام الموقعين ج ٢ ص ٤٣٧ وما بعدها .



والمعاملات الصالحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم ، والفرق بينهما أن الله سبحانه لا يعبد إلا بما شرعه على ألسنة رسله ، فإن العبادة حقه على عباده ، وحقه الذي أحضه هو ورضى به وشرعه ، وأما العقود والشروط والمعاملات ، فهي عفو حتى يحرمها ، ولهذا فمضى الله سبحانه على المشركين مغالفة هذين الأصلين ، وهو تحريم ما لم يحرمه ، والتقرب إليه بما لم يشرعه ، وهو سبحانه لو سكنت عن إباحة ذلك وتحريمه لكان ذلك عفو لا يجوز الحكم بتحريمه وإبطاله ؛ فإن الحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرمه ، وما سكنت عنه فهو عفو ، فكل شرط وعقد ومعاملة سكنت عنها فإنه لا يجوز القول بتحريمها ، فإنه سكنت عنها رحمة منه من غير نسيان وإهمال ، (١) .

\*\*\*

وهناك أمر ينبغي ألا يغيب عنا ونحس بصدد موقف الإسلام من المعاملات التي رأى الناس يتعاملون بها ، ذلك فهو ما اصطلاح الفقهاء والأصوليون على تسميته بالترخيص ؛ فإنه مع الاعتراف بأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، قد نظر إلى بعض المعاملات نظرة أساسها الرفق بالناس ، وتقدير ما تدهو إليه الحاجة من تسامح وتيسير ، فأباح هذه المعاملات

[١] أعلام الموقعين ص ٣٤ ج ٢ .

التي ألتصت الستة والستين ، فقال : من أسلف فليسلف في كيل معلوم ، ووزن معلوم إلى أجل معلوم ، .

فالكيل المعلوم ، والوزن المعلوم ، والأجل المعلوم ، هي التعديل الذي عدل به الإسلام هذه المعاملة ، لأنهم كانوا يسلفون في ثمار نخيل بأعيانها ، فلا يدري هل تأتي هذه النخيل بالتقدير الذي يوفى أو لا تأتي إلا ببعضه ، أو لا تأتي في العام الأول بشيء أصلاً فيؤخر الوفاء لعام قابل ، وفي هذا ما فيه من الغرر المؤدى إلى الاختلاف والمشاحنة .

ومن ذلك حديث ابن عمر في الصحيحين وغيرهما : « أنهم كانوا يقبايعون الطعام جزافاً بأعلى السوق فنهأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعوه حتى يحولوه — وفي رواية : « حتى ينقلوه » — وقال : من ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يقبضه » .

\*\*\*

ومن هنا نرى أهل العلم بالشريعة كما وضعوا في جانب العبادات القاعدة التي ذكرناها ، وهي : « لا يعبد الله إلا بما شرع » ، ووضعوا في جانب المعاملات قاعدة أخرى مقابلة لها تقول : « المعاملات طلق حتى يرد المنع » .

وفي هذا وذاك يقول العلامة ابن قيم الجوزية : « الأصل في العبادات البطلان حتى يقوم دليل على الأمر ، والأصل في العقود

وكيف يعتبر ترخيصاً أى تخفيفاً وإحلالاً بعد التحريم والقرض أنه هو القاعدة ، وأن حكم الحل مصاحب له من قبل بمقتضى الإباحة الأصلية ، وبمقتضى القاعدة الآتفة المذكور في المعاملات ٤ .

إن منطق هذه القاعدة ، وهى كون الأصل في المعاملات الحل يجعلنا نقول إن الذى حرم هو الذى استثنى من الحل ، ويبقى كل ما وراءه حلالاً .

على أننا لو سلمنا أن هناك ترخيصاً بالمعنى الذى ذكره ، أى استثناء لبعض الصور من أصل حرم كما يقولون ، فإن للشككة حلاً فقهاً آخر هو أن نأخذ برأى من يميز القياس على الترخيص إذا فهم هنالك أسباب أهم من الأشياء التى علق الترخيص بالنص بها .

ويوضح هذا أن المساقاة مثلاً جائزة عند الجمهور خلافاً لأبي حنيفة ، والذين يجيزونها يعتمدون على حديث أخرجه البخارى ومسلم عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع إلى يهود خيبر نخل خيبر وأرضها ، على أن يعملوها من أموالهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم شرط ثمرها ، وأبو حنيفة يقول إن المساقاة مخالفة لأصول ممنوعة ، منها المزانة ، وبيع ما لم يحنق ، وكراء الأرض ببعض ما يخرج منها وهو المسروق عند الفقهاء بالمخابرة .

مغضياً عما يلابسها من بعض النخب أو الفرر أو الجهالة ؛ فإننا نجد الجهره الكبرى من علماء المذاهب الإسلامية يقفون أمام هذه المعاملات موقف من يعتبرها استثناء وترخيصاً على خلاف القواعد العامة ، ويرتبون على ذلك أن أحكامها خاصة لا تنسحب على غير الصور التى وردت فيها ؛ ولذلك يكثر فى كلامهم أن يقولوا : هذه رخصة والرخصة يقتصر فيها على ما ورد ، ولا تعدى موضعها ، ويضعون الشروط والأوصاف للحالة التى ورد فيها الترخيص بعينها حتى لا ينتقل الحكم إلى غيرها . وهذا مسلوك فيه من الحرج والتضييق ما لا يتفق وروح التشريع فى المعاملات ، ومظاهر التطور الزمنى فى الحاجات والضرورات .

وهو بعد عكس للفتنة التى شرحناها آنفاً من أن المعاملات على الإباحة حتى يرد النهى ، فالشارع لم يستعمل أسلوب النهى العام المطرد فى المعاملات حتى يسوغ لنا إدارة أينا صورة نخرج على هذا العموم أن نعتبرها استثناء وترخيصاً ، إنما العموم الأصل للإباحة ، وما جاء على خلافها إنما هو التعديل والاستثناء ، وإذن فالمنع من بعض الصور هو منع جزئى شخصى لا يسرى إلى غير الصورة أو الصور الممنوعة مهما تعددت ، فكيف يعتبر ما وراء هذه الصورة أو الصور استثناء وهو لم يدخل فى عموم ،

وأشبه ذلك ، فإنها راجعة إلى أصول حاجية أو تحسينية أو ما يكملها ، وهي أمور عامة ، فلا خاص في الظاهر إلا وهو علم في الحقيقة .

وقد علق على ذلك شارحه المرحوم الشيخ عبدالله دراز بقوله : « فمفهوم النهي عن الفروج ، وعدم مسئولية الشخص عن فعل غيره ، وفساد المعاملات المشتملة على الجهالة في الثمن أو الأجرة مثلا ، يشمل بطايره هذه المسائل ، ولكن لما كان لها في الواقع علل معقولة تجعل حكمها مغايرا لحكم العموميات المذكورة ، وقد أخذت حكمها المعقول على خلاف حكم ما يشملها في الظاهر ، أطلقوا عليها أنها مستثناة ، وقالوا إنها خاصة ، وهي في الحقيقة قواعد كلية أيضا أثبتت على أصول من مقاصد الشريعة الثلاث » (١) .

وبهذا يتبين أن تسمية الفقهاء لبعض ما أيسر مع اشتغاله على ما يقتضى تحريره « رخصة ، إنما هي تسمية ملاحظ فيها مجرد مغايرة حكم الصورة المباحة لمقتضى النهي الشامل لها ، وإلا فهي في الحقيقة أصل كلي متفق مع روح التشريع في التيسير ودفع الحرج .

• • •

قال الجمهور نعم إنها مخالفة للأصول ، ولكنها رخصة ثابتة بهذا الحديث .

ثم اختلفوا في محل المساقاة ، فالذين يرون أن الرخصة يقتصر فيها على ما ورد قالوا لا تكون المساقاة إلا في النخل فقط ، لأن المحل الذي ورد فيه الترخيص هو النخل ، والذين يميزون القياس في الرخص قالوا : تجوز المساقاة في كل أصل ثابت من نخل أو كرم أو رمان أو تين أو زيتون أو ما أشبه ذلك ، بل زاد المالكية أنه في حالة الضرورة تجوز المساقاة حتى في الأصول غير الثابتة كالفقار والبطيخ مع عجز صاحبها عنها ، وفي بيان سبب الخلاف يقول ابن رشد : « فسمدة من قصرها على النخل أنها رخصة فوجب ألا يتعدى بها عنها الذي جاءت به السنة ، وأما مالك فرأى أنها رخصة ينقذ فيها سبب عام فوجب تعدية ذلك إلى الغير » (١) .

وبهذا يتبين أنه قد يقاس على الرخص . وقد بين الشاطبي في كتابه الموافقات ذلك حيث ذكر أن الشريعة عامة « وإن فرض في نصوصها أو معقولها خصوص ما ، فهو راجع إلى عموم ، كالعرايا ، وضرب الدية على العاقلة ، والقراض ، والمساقاة ، والصاع في المصراة ،

(١) انظر ص ٧٨ ج ١ من الموافقات وتطبق المرحوم الشيخ عبدالله دراز عليها نفس الموضوع .

[١] بداية المجتهد لابن رشد ص ٢٠٣ ج ٢ طبعة صحيح .

**الدعامة الثانية :** أن الأصل في المعاملات الإباحة ، فلا يجوز المسارعة إلى تحريم بصورة من صور المعاملات المحدثه حتى يتبين أن الله حرمها .

**الدعامة الثالثة :** أن اشتغال المعاملة على ناحية من نواحي المنع والتحریم لا يكفي في القول بتحريمها ، بل لابد من دراسة هذه الناحية ، ودراسة حال الناس في شأنها ومدى ما تشتمل عليه من منفعة أو مضرة ، فقد يظهر أن منفعتها غالبية على مضرتها ، أو أن مضرتها من النوع الذي يمكن التغاضي عنه تيسيراً على الناس ، فيسلك بها مسلك الترخيص ، أو أنها من المعاملات التي يمكن تهذيبها وتقويم العوج فيها .

\*\*\*

بهذا المنهج نستطيع أن نعيد الشريعة إلى مجال التعامل والاقتصاد بعد أن نحيث عن هذا المجال منذ جدد المتأخرون من أتباع الفقهاء على ما ورثوا دون أن يتابعوا النظر ، أو يحاولوا درس الجديد من ألوان المعاملات . والله الموفق للصواب ؟

**محمد محمد المدي**

أستاذ الشريعة الإسلامية

في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

وثمرة هذا البحث أننا نستطيع أن نرسم على ضوءه منهجاً فقهيًا في دراسة المعاملات الحديثة ، يقوم على دعائم ثلاث :

**الدعامة الأولى :** أن من حق المجتمع الإسلامي أن يتكرم ماشاء من ألوان المعاملات ، وأن يجارى النشاط الاقتصادى العالمى بالمساهمة فيه حسب الطرق الحديثة دون تخرج ، وأن الله لم يوجب على الناس أن يلتزموا صوراً خاصة من المعاملات لا يتجاوزونها ، وليست الصور التي يبحثها أهل الفقه والحديث إلا ألواناً من المعاملات يمكن أن يضاهيها ويحذف منها ويعدل فيها ، في ظل أصول الشريعة من رعاية المصالح ، وحفظ النفوس والأموال والأخلاق وعدم الحرج والتعسير .

والمسلمون إذا عرفوا ذلك وعملوا بمقتضاه ، يدفعون عن أنفسهم ودينهم تهمة طالمها أخذ إليها الأجانب والمغرورون بهم ، فإنهم يقولون : إن الشريعة الإسلامية تمنع المؤمنين بها من مجاراة عالم الاقتصاد الحديث ، وتوجب عليهم أن يظلوا على أساليبهم القديمة في التجارة وشروط الشركات المعقدة التي ضيق بها الفقهاء على الناس ، وما دام المسلمون يرون هذا ديناً واجب الاتباع فسيبقون عاجزين عن مجاراة الأساليب الحديثة ، قابعين وراء أساليب القرون الخالية .

# نِهَايَةُ الْقُرْآنِ

وَاجْتَنِبُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة

و يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الدين أوتوا الكتاب ، يردوكم بعد إيمانكم كافرين ١٠٠ • وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ١٠١ • يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ١٠٢ • واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٣ • ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ١٠٤ • ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم ١٠٥ •

واجتناب نواهي ، وأن يلزم المؤمنون الإسلام ، حتى لا يموتوا إلا وهم مسلمون .  
ثانيا : أن يعتصموا بحبل الله جميعا وهو كتابه وعهده الذي صد إليهم فيه من الآلفة والجماعة .

ثالثا : أن يذكروا نعمة الله عليهم إذ جعلهم إخوانا متحابين بعد أن كانوا أعداء متباغضين ؛ وذلك أنه جعلهم وحدة اجتماعية . جمعهم على دين واحد ورب واحد ، فصاروا إخوانا متعاونين على دفع الأعداء ، يردون

هذه الآيات الكريمة من سورة آل عمران عظيمة الجدا ، كثيرة الفائدة ؛ فهي تحذر المسلمين من معاول لا تزال تنقض مجتمعهم وتحاول هدمه ، وهي سعاية الأعداء فيهم ، ونشر التباين بينهم . ولا سلامة لجمعهم إلا بعصيانهم والخسار منهم ورد نصيحهم عليهم ، وكيف يرجى النصح من ينطوى على غل وضغن وحسد وحقد ؟ ثم أمرهم الله بأوامر فيها قوة المجتمع وحسن على دفع كيد الكائدين : أولها : تقوى الله حق تقاته باتباع أوامره ،

فضة طرية ، وفيها العفة والإرشاد لما فيه  
نفعكم ، والنهي والتحذير عما يضركم ، وفيها  
الأمر بالاجتماع والألفة ، والتحذير من  
الانقسام والفرقة .

ومن يتعلق بأسباب الله فيتمسك بدينه  
وطاعته ، فقد وفق لطريق واضح ومحجة  
مستقيمة لا أمت فيها ولا اعوجاج .

والاعتصام من العصم وهو المنع ، فكل  
مانع شيئاً فهو عصمه ، والمنع به معتصم به .  
قال العرزدق :

أنا ابن العصمين بنى نعيم  
إذا ما أضطم الحديثان تابا  
ولذلك قيل للجل عصام ، والسبب الذي  
يتسبب به الرجل إلى حاجته عصام . قال الأعشى :

إلى المرء قيس أطيل السرى  
وأخذ من كل حي عصم

يعنى بالعصم الأسباب وهي الذمة والأمان .

روى الواحدى بسنده في سبب نزول هذه  
الآيات عن عكرمة قال : كان بين هذين الحيين  
من الأوس والخزرج قتال في الجاهلية ، فلما

جاء الإسلام اصطلموا وألف الله بين قلوبهم ،  
وجلس يهودى في مجلس فيه نفر من الأوس  
والخزرج فأنشد شعراً قاله أحد الحيين في  
حربهم ، فكأنما دخلهم من ذلك شيء . فقال الحى

الآخرون وقد قال شاعرنا في يوم كذا : كذا  
وكذا ، فقال الآخرون وقد قال شاعرنا في يوم

من أرادهم بسوء . أراد منهم أن يذكروا ذلك  
دائماً ليعلموا فرق ما كانوا عليه وما آلوا إليه .  
فبعلوا أن الخير الذى نالوه والشر الذى نجاهم  
الله منه إنما كان بنعمة الإسلام ؛ فيحافظوا  
عليه ويمضوا عليه بالتواجد ولا يفرطوا  
فيه .

وابسها : أن تكون منهم أمة يدهون إلى  
الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ،  
تتحافظ على هذه القواعد أن تهار فيهار البناء .  
وبذلك يكون المجتمع الإسلامى قوى البنيان  
متين الأركان ، كالجبل الأشم ينحدر عنه  
السيل ولا يرقى إليه الطير .

يبين الله لثييه والمسلمين في هذه الآيات :  
أن من أهل الكتاب من اليهود والنصارى  
من هم منطرون لهم على غش وغسل وحسد  
وبغض ، وأن الحيلة تقضى ألا يقبلوا منهم رأياً  
ولا نصحاً ، فإنهم يثبون النيمة بين المسلمين  
متنصحين ، وهم السم الناقع والبلاء النازل ، فإن  
أطاعوهم أضلواهم ورجعوا بعد إيمانهم كافرين  
يتعادون ويتقاتلون .

ثم قال : وكيف تكفرون وأتمت تلى  
عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم  
بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

المراد بالاستغهام هنا الإنكار والتعجب ؛  
أى من أين يتطرق إليكم الكفر والضلال  
وأتمت تلى عليكم آيات الله على لسان نبيكم

من الأوس، وجابر بن صخر أحد بني سلة من الخزرج، فقالوا لا وقال أحدهما لصاحبه إن شئت وددتها جذعا. وغضب الفريقان جميعا وقالوا رجعا. السلاح السلاح! موعدهم انظاهرة. وهي حرة خرجوا إليها، فانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعوائهم التي كانوا عليها في الجاهلية. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم. فقال يا معشر المسلمين أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟ الله افه...! فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا، وطاق بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين. فأنزل الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا، يعني الأوس والخزرج وإن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب، يعني شاسا وأصحابه، يردوكم بعد إيمانكم كافرين.

فهذا شاس بن قيس اليهودي الذي انطوى صدره على غل وحقد على المسلمين، قد غافله ألقتهم واجتماعهم، ففكر فيما يفرق بينهم ويصدع ألقتهم. وأى شيء أبلغ من أن يذكرهم بخروجهم في الجاهلية، وما قالوا فيها من أشعار يفخر فيها بعضهم على بعض، ويمير فيها بعضهم بعضا بمن قتل منهم؛ وذلك يبعث الانشقاق

كذا وكذا وكذا، فقالوا تعالىا نرد الحرب جذعا كما كانت قنادى هؤلاء. بآل أوس، ونادى هؤلاء. بآل خزرج، واجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا القتال، فزلت هذه الآية لجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصنفين فقرأها ورفع صوته، فلما سمعوا صوته أنصتوا وجعلوا يستمعون. فلما فرغ ألقوا السلاح وطاق بعضهم بعضا، وجعلوا يكون.

وقال زيد بن أسلم: مر شاس بن قيس اليهودي، وكان شيخا قد غبر في الجاهلية، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، فر على قعر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون فيه، فنأظه ما رأى من جماعتهم وألقتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام، بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، فقال قد اجتمع ملائكة بني قيلة بهذه البلاد. لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار. فأمر شاسا من اليهود كان معه فقال اعند إليهم فاجلس معهم، ثم ذكرهم بعات وما كان فيه، وأنشدهم بعض ما كانوا تناولوا فيه من الأشعار. وكان يبعث يوما اقتلت فيه الأوس والخزرج. وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج. فعمل فتكلم القوم عند ذلك. فتنازعوا وتفاخروا حتى تواتب رجلان من الحيين: أوس بن قبطي أحد بني حارثة

ثم لا يمنعها ما لآقت منه بالأمس أن تعود  
تصدق اليوم ، فهل آن للسليين أن يحذروا  
كيد الأعداء ، وتنصح البعداء . . .  
ألا صيحة توقف النائمين ، ونذير الحامدين !  
ألا قارعة من تلك القوارع تفرغ أسماعهم !  
ألا زجرة من تلك الزواجر توقف قلوبهم !  
ألا نفحة من تلك النفحات تفتح عيونهم على  
الأعداء والأصدقاء . . . فبروا هؤلاء الأعداء  
المتنصحين على حقيقة أنهم يصدعون الجميع ،  
ويفرقون الشمل ، ويرووا الضعف الناشئ من  
الفرقة ، والمصير السيئ المحتوم بالتشتت  
والانقسام ، فيعصوا الأعداء المتنصحين ويلبوا  
الشمل ويرأبوا الصدع ، قبل أن يلتهمهم العدو  
الفاغرة . . . وما ظلمهم الله ولكن كانوا  
أنفسهم يظلمون ؟

محمد هرف

عضو جماعة كبار العلماء

القديمة من مراقبها ، والإحن الكامنة من  
مكانها وكذلك كان .

لا تظنوا أيها المسلمون أن شاس بن قيس  
قد هلك وانقضى ، بل هو حي يرزق تجدونه  
في كل بيت وفي كل بلد وفي كل مملكة يمشي بينكم  
بالقيمة ، ويخوف الأخ من أخيه ، والولد  
من أبيه ، حتى يفرق جمعكم ، ويشعب ألفتكم .  
ومن عجب أن هذا الداء سائر الأمة  
الإسلامية من يوم وجدت إلى يومنا هذا ،  
ولا يزال دائرها العصال هو شاس بن قيس !  
ينفث سمومه كالأنبي ؛ فيحل العقد الوثيقة  
والروابط المحكمة بين المسلمين يفصم عرى  
التعاون والتراحم بينهم .

ومن عجب أن الله تقدم إلى هذه الأمة من  
يوم وجدت ، فعرها هذا الداء وعرها الدواء ،  
في تلك الآيات اللطيفة . فلم تظن له ولم ترد  
كيد في نحره وخدعت بدسائسه فيها ، فقال  
منها ما أراد من تمزيق ألفتها وتصديع وحدتها .

مثل المصلح في الأمة كالصباح في الصحراء لا ينشر ضوءه إلا إذا تركته الرياح آمنة .

\*\*\*

مثل المتكبر كمثل الرجل فوق قمة الجبل يرى الناس صغاراً وهم يرونه صغيراً .

\*\*\*

المحصل بمال السلطان كالسفينة في البحر ، إذا أخذت منه في جوفها أخذها في جوفه .

\*\*\*

الأرض لولا الرياض واحدة والناس لولا العمال أمثال



# الإسلام وَحَاجَةُ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَيْهِ

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

ويكونون في سرهم وعلايتهم مثلاً طيبة  
وقدنى صالحة تدعو بنفسها إلى الإسلام .  
هذا الدين لا يزال العالم في حاجة شديدة  
إليه ، ولا خلاص للإنسانية مما تعانيه  
إلا بالإيمان به واتباعه ؛ فهو الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر ، والداعي إلى الحق وإلى  
الصراط المستقيم .

وما أشبه اليوم بالأمس ! فقد ظهر الإسلام  
والعرب والعالم كله في أشد الحاجة إليه ،  
فأتاهم العقيدة الحقة بعد أن ضل القوم فيها  
ضلالاً بعيداً ، والشرعة الصحيحة بعد طول  
ما عصفت بهم النزعات والأهواء ، والنظم  
الصالحة لبناء أمة قادرة على أن تسهم في بعث  
العالم ونهضته ووحدته ، وكان من هذه الشرعة  
والنظم ما نسميه « الفقه الإسلامي » .

• • •

هذا ، وقد كنت على عزم أن أتناول  
بالبحث في مجلة الأزهر ، في هذا العهد المبارك  
بإذن الله وفضله ، الفقه الإسلامي ووجوب  
تجديده وتطوره على أسس كتاب الله وسنة  
رسوله ، واجتهاد فقهاء الصحابة والتابعين .

كانت الإنسانية تتطلع زمناً طويلاً إلى دين  
جديد ؛ دين يدعو إلى العقيدة الحقة ، ويبين  
للناس الشريعة العادلة السليمة ، والأخلاق  
الفاضلة ، والنظم التي تقوم بها الأمة . وكان  
هذا الدين هو الإسلام آخر الرسالات الإلهية ،  
فليس لنا أن نتنظر ديناً آخر توحى به السماء ؛  
كما كان رسوله صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل  
والمصطفين الأخيار . فليس لنا أن نرجو  
ظهور رسول آخر من لدن الله العلي الحكيم .  
ما الذي نرجوه إذن لإصلاح هذا العالم  
الذي نعيش فيه ، بعد أن أفلس كل  
نظمه السياسية والأخلاقية ، والاقتصادية  
والاجتماعية ، وبعد أن نجمت فيه فلسفات  
تدعو إلى إنكار وجود الله ، والتحلل من  
شريعته ومن الأخلاق الفاضلة ؟

إنه لا شيء إلا هذا الدين الإسلامي يؤمن به  
حقاً وتقديه حقاً ، ونعمل بما أتى به من  
عقيدة وشرعة وخلق ونظم ، ويكون له منا  
دعاة وزعماء مخلصون لله ورسوله ؛ دعاة وزعماء  
يحملون حياتهم وقفاً على الدعوة إليه ، ويرون  
سعادتهم في القيام بهذا الواجب النبيل المقدس

أو ملولا خاصا لا تعدوه ، وهو القول بإله واحد خلق السموات والأرض وما بينهما ، وإليه وحده يرد الأمر كله ، وهذا في مقابلة القول بإلهين اثنين أو آلهة متعددة .

على حين أن الإسلام لا يدعو إلى توحيد الخالق لحسب ، بل إنه قام على مد الوحدة في كل أمر وشئ . في الناحية الإلهية ، والناحية السياسية ، والناحية الاجتماعية ، إلى غير هذا وذلك كله من نواحي العالم والحياة .

فقد جاء والناس في العالم كله يعبدون آلهة شتى ، فكان أول ما عني به رفض هذه الآلهة جميعا ، وتقرير أنه ليس إلا إله واحد هو مالك الأمر كله ، فليس هناك آلهة كثر كما يرى المشركون بعامة ، ولا إله للخير وآخر للشر كما كانت عليه الديانة الثنوية بفارس ، ولا آلهة ثلاثة على ما يعتقد النصارى بعد أن حرفوا التوراة والإنجيل .

وقد قرر القرآن العظيم هذه العقيدة التي قام عليها في آيات كثيرة ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : « قل هو الله أحد » ، « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » ، « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » ، « قل إنما هو إله واحد وإني بريء مماشركون » .

ومن هذه الآيات أيضا قوله تعالى مخاطبا النصارى الذين كفروا بالمسيحية الصحيحة

ولكنني رأيت من الخير أن أبدأ بالحديث عن خصائص الإسلام : الدين العام الخالد على مدى الأزمان .

هذا الدين الذي ندعو إليه جلعدين ، والذي لا خلاص للعالم إلا بما جاء به من أخوة وإنسانية ، بعد أن انقسم العالم إلى معسكرات يتربص بعضها ببعض الدوائر ، وبعد ما اتناه من وعن وويلات لا يبدى طريق الخلاص منها ١

على أنه ليس من اليسير أن يستقصى الباحث كل خصائص الإسلام ؛ هذه الخصائص التي صار بها خاتم الرسالات الإلهية ، كما صار الدين الحق الذي ارتصاه الله للعالم والناس جميعا حتى تقوم الساعة ويكون الملك لله تعالى وحده .

ولذلك نكتفي هنا أن نتحدث بإيجاز من بعض هذه الخصائص التي تفرد الإسلام بها ، وهي أنه دين الوحدة الدينية ، والوحدة السياسية ، والوحدة الاجتماعية ، ودين العقل والوضوح ، ودين الحرية ، ودين الإنسانية وهو لذلك كله دين ودولة ووظلم ، والدين الذي صدع بحقوق الإنسان منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا ونصف من الزمان .

**الاسلام دين الوحدة الربنية :**

نعم الإسلام هو دين الوحدة لا التوحيد فقط ، فإن كلمة « التوحيد » قد أخذت معنى

ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى البيون من ربهم ؛ لا تفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون .  
ومثل هذا قوله تعالى في أواخر هذه السورة نفسها : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا تفرق بين أحد من رسله » .

ولنسمع كذلك في هذه الناحية إلى ما جاء في سورة الشورى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ، ثم إلى أمره تعالى في السورة نفسها لرسوله أن يقول : « آمنت بما أنزل الله من كتاب ، أي بالقرآن وسائر الكتب السماوية السابقة زمانا عليه .  
ففي هذه الآيات - ولو شئنا لأنينا بالكثير أمثالها في هذه الناحية - دليل أى دليل ، على أن الإسلام يعتبر أن رسالات الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام « واحدة » ، لا تحتل التفرقة ، وأن من لم يؤمن بإحداها لا يكون مسلماً قط . وأنه - نتيجة لهذا - يكون الناس جميعاً أمام هذه الديانات والشرائع وأمام الله سواء ، بلا تفرقة بين أتباع هذا أو ذلك من الرسل ، ما داموا جميعاً يؤمنون برسالة خاتم الرسل والأنبياء .

« ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم » ، وقوله في آية أخرى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد » . ومن العجيب حقاً ، الدال على فساد العقل وضلاله وعدم التمييز بين الحق والباطل ، أن أولئك المشركين - وقد جاءهم القرآن بمقيدة التوحيد وأقام عليها الأدلة العقلية والحسية التي لا ريب فيها - كانوا يقولون كما حكى القرآن عنهم : « أجعل الآلهة إلها واحداً ، إن هذا لشيء عجاب » !

يقولون هذا وهم يرون أن ما زعمهم آلهة لا تسمع ولا تبصر ولا تفق عنهم شيئاً ، وأنها لن تستطيع أن تخلق ذباباً ولو اجتمعوا له وكان بعضهم لبعض ظهيراً . ولكنه ضلال العقل ، وفساد الحس ، وساطان التقاليد .

ولم يكتب الإسلام بتمهيد هذه الوحدة في الإله الذي يستحق العبادة ، بل بين لنا أنه وسائر الأديان السماوية التي سبقته « وحدة » واحدة ، وأنها جميعاً رسالة واحدة من الله تعالى للبشرية عامة يكمل بعضها بعضاً طبقاً لسنة التدرج في التعاليم والريسة ، وكلها يصرف إلى غاية واحدة وإن اختلفت وسائل الوصول إليها باختلاف الأزمان والناس .

ولنسمع في هذا إلى قوله تعالى في سورة البقرة : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق

عامة إذ لا يخالف فيها دين ديننا ، ولنا يكون من صالح العالم كله أن يظل متبجها لها في كل زمان ومكان .

### وهو دبر المودة السياسية

ذلك من الناحية الدينية الإغية ، ومن الناحية السياسية نرى أن الله تعالى قد من على العرب بالإسلام وهم قبائل متفككة الروابط ، متقطعة الوشائج والأوصال ؛ فبعضهم لبعض عدو ، وبعضهم لبعض حرب ، وكان من هذا ما عرفه التاريخ باسم « أيام العرب » أي حروبها في العصر الجاهلي .

وكان لبعض البلاد العربية « إمارات » عليها أمراء يحكونها ويلون أمورها ، ولبعضها ضرب من الاستقلال ، وإن كانت تتبع سياسيا دولة العرس أو دولة الرومان ، فإذا صنع الإسلام تلك القبائل وهؤلاء الأقوام المتفرقين ؟

كان أن صنع منهم أمة واحدة حقا ، لها رئيس واحد ، وتنبع سياسة واحدة ، وتستهدف غاية واحدة ؛ وهذه الغاية في نشر الدين الحق للإنسانية جميعاً ؛ وذلك ليكون هاديا إلى الخير في الدنيا والآخرة .

وكان من أوائل ما صنع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الناحية ، وهو يدرك تمام الإدراك رساله وأهدافها وغايتها ، أن عمل

والإسلام بعد هذا ، لم يقل كما قال أنبياء موسى وعيسى عليهما السلام : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » بل رد على هذه المقالة بما يفصل بين الأديان وأصحابها ومتبعيها ، فقال : « بلى » من أسلم وجهه لله وهو محسن ، فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

كما قال قبل هذه الآية : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ومن البدهى أن الإيمان بالله يقتضى الإيمان بكل رسله وبما جاءوا به ، ومنهم طبعاً خاتم الأنبياء والمرسلين .

وهذا الأصل الذى تضمنته هاتان الآيتان الأخيرتان ، يقرر صراحة ما جاء به الإسلام من « الوحدة » فى الدين ورسالات الله لأنبيائه ورسله ، وما يتبع ذلك من « الوحدة » فى الحقوق والواجبات ، وفى المسئولية والجزاء فى الدنيا والآخرة .

ومن هنا نرى الإمام « الشاطبي » يلاحظ فى كتابه « الموافقات » أن السور المسكية من القرآن قروت من الأصول والتشريعات الأمور السكلية العامة ؛ يعنى الأمور التى لا تخص فردا دون فرد أو فريقا من الناس دون فريق . والى تبقى دائما أبداً لأنها كلية

وهكذا مضى الأمر أيام مجد الإسلام والعرب والمسلمين ؛ فلم يكن لإخليفة ورئيس واحد للأمة كلها ، على اتساع الدولة الإسلامية وتراعى أطرافها ، وكان هذا محافظة على « الوحدة » السياسية للأمة كلها .

وفي هذا السبيل ، سبيل الاستمساك بوحدة الأمة السياسية ، يرى فقهاء القانون الدستوري والإداري في الإسلام أنه لا يجوز أن يكون خليفتان في الأمة الواحدة ، حتى إنه يجب قتال من يخرج على « إمام » عصره طالباً الخلافة لنفسه بغير وجه حق .

فأين هذا عما نحن عليه اليوم من تجزئة الأمة الإسلامية العربية إلى دول ، حتى صار في كل بلد رئيس وصلم ، مع الحاجة القصوى إلى الاتحاد وجمع الكلمة وتوحيد القوى ؟

### وهو أيضاً دين الوحدة الاجتماعية

وإذا تركنا الجانب السياسي إلى الجانب الاجتماعي ، نرى « الوحدة » التي قررها الإسلام في هذه الناحية بلغت من الروعة والجلال حد الإعجاب ، وصارت مثلاً فريداً يتحدى التاريخ والأمم جميعاً .

فليس في الإسلام تقسيم أبنائه إلى طبقات ، على خلاف الديانة البرهمية في الهند التي تجعل متبعضاً طبقات على رأسها البراهمة أو الكهنة ، وفي الحضيض السفلة أو الانجاس . وليس بين المسلمين من يقول : نحن أبناء الله

على إزالة ما كان بين الأوس والخزرج بمدينة « يثرب » من عداوة ظلت دهوراً طويلاً مشوبة الأوار ؛ وذلك بأن وحد بينهم وجعلهم « الأنصار » له على أعدائهم من المشركين ، وهذا على ما هو معروف من تاريخ فجر الإسلام .

ثم كان ، بعد أن هاجر إلى « المدينة » ، أن آخى بين المهاجرين والأنصار ، فصاروا إخواناً في الدين وفي كل شيء ، وبدأ واحدة في الجهاد في سبيل الله ودينه الذي ارتضاه لهم وللناس جميعاً ، يؤلف الدين بين قلوبهم ، ويتعاونون في السراء والضراء .

وكان من أثر هذه « الوحدة » السياسية ، التي جله بها الإسلام وعمل لها الرسول والمؤمنون ، أنه لما لحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، واجتمع المسلمون في « سقيفة بني ساعدة » لاختيار خليفة له ، رأى الأنصار أن لهم حقاً أن يكون الخليفة منهم لسابق نصرتهم للإسلام ورسوله .

ولكن أبا بكر الصديق رضي الله عنه والمهاجرين جميعاً مع عرفاتهم فضل الأنصار وما ترم ، ذهبوا إلى أن يكون الخليفة من قريش بما أثر عن الرسول ، وهنا قال « الحباب بن المنذر » من الأنصار : « من أمير ومنكم أمير » فقال عمر بن الخطاب : « هيات لا يجتمع اثنان في قرن ! وكان أن انتهى الأمر بتولية أبي بكر الخلافة .

وأجأوه، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، كما يزعم اليهود والنصارى .  
في حادثة معروفة : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، »

بل إنه لا فرق في هذا كله بين المسلمين وبين غيرهم من المقيمين بدار الإسلام وتحت لوائه ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقرر أن لهم ما لنا من حقوق وعليهم ما علينا من واجبات . وإن كان لهم أن يتحاكوا إلى شرائعهم في مسائل « الأحوال الشخصية » ، فقد أمرنا الرسول بتركهم وما يدينون به . وكذلك نحمد الإسلام ساوياً بين هؤلاء وبين المسلمين في وجوب أن تعين الدولة مالياً من يحتاج منهم إلى العون والمساعدة ؛ لمجوره عن العمل أو لأنه لا يجد إليه سبيلاً ، وقد كان من عمر بن الخطاب أنه أمر في كتاب عام له أن يعطى العاجز عن العمل منهم ما يكفيه هو وعياله ما أقام بدار الإسلام . وهكذا كما رأينا ، جعل الإسلام كل أبنائه « وحدة » واحدة في كل حال ، من الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية ، وهذا ما لا نجد في دين آخر ؛ وذلك لأنه دين « الوحدة » الجامعة الشاملة ، ودين الإنسانية عامة .

**محمد بن يوسف موسى**

أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية  
بمحقق عين شمس

فقد دعا الإسلام من أول الأمر النعمة الجاهلية ، والتعاخر بالآصول والأنساب ، وإذ أبان أن أصل الناس جميعاً واحد ؛ وهذا إذ ينادى كتابه الأول : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وإذ لا يزال صوت رسوله المصطفى يجلجل بقوله : « كلنكم لآدم ، وآدم من تراب » ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

ومن أجل هذا ، ليس هناك طبقات في الإسلام سببها الجنس أو النسب أو الجاه مثلما ، وليس فيه تشريعات للعربي وأخرى لتعير العربي كما كان الأمر عند اليونان والرومان ، بل المسلمون جميعاً « وحدة » واحدة من هذه الناحية أيضاً ، تحكمهم شريعة واحدة ؛ لا فرق بين الشريف وغير الشريف ، أو الغني والفقير ، ولا بين الحاكم والمحكوم ، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم

# في التحليل النفسى للذنب .

## الشاعر الذليل بن سهل الأندلسي

### للأستاذ كمال الدينوني

دعامة الإسلام العزة والقوة .

ودعامة المسيحية الرحمة والشفقة .

ودعامة اليهودية الذل والإشفاق .

هذا عمل ما انتهت إليه دراسات الأديان المقارنة .

فبينما الإسلام يبعث في النفس الاعتزاز بالذات ، ويعلى من شأن الكيان الفردى بما يدعو إليه من الاعتداد بالرأى ، والحرية في الفكر ، وسلوك أى السيلين إلى الخير أو الشر بحض الرغبة والاختيار .

إذا المسيحية دين التسامح والخضوع - التسامح مع النفس ومع الغير خصوصاً فيما هو حق لك - ابتغاء المحبة ، واجتناب العداوة والبغضاء وإثارة السلام النفسى والإنسانى . والخضوع إلى حد التكفير والاستغفار حتى عن سيئات الغير ، من قد لا تعرف من بنى البشر اقتداء بحياة السيد المسيح التى كانت كلها نبلا وسمواً وتضحية . .

أما اليهودية فقد طبعت أتباعها - بما نشأت عليه من تقاليد صارمة قاسية ، وما جاءت به من تعاليم مهلكة - بطابع

الحرص والخوف ، والاستعباد ، وذلك لما باعدت بين العبد والرب ، وما جعلت من الصعوبات والمرافيل دون التقرب إليه أو الطمع في نيل ثوابه ورضوانه .

فأنت ترى أنه بينما الإسلام يجعل المرء بعقله وعمله وإيمانه على صلة مباشرة بالله أساسها العزة والكرامة ؛ فالمسيحية فصل العبد ( بالرب ) عن طريق الاقتداء والتشبه ( بالابن ) في التضحية والفداء ونكران الذات ؛ وعموماً تتمثل ( الروح القدس ) ؛ أما اليهودية فتوحى بقطع الصلة المباشرة أو بالواسطة بين العبد والرب ، وتوسع البون بينهما إلى حد يئأس معه الناس من أى أمل أو تفاهم أو غفران .

ومن هنا كان سلوك أصحاب هذه الأديان صدى واضحاً لما وقر في نفوسهم ، وتوارثوه عن أجدادهم ، من مقتضيات العمل للدنيا والآخرة . فاليهودى يائس من الآخرة مقبل

بلغ من إمكان تكلفه - إلى القلب والشعور :  
كم ليلة تبها - والنجم يشهد لي  
صريع شوق إذا غابته قلبا  
مردداً في الدجى لحنى أولو نطق  
نجومه ؛ وددت من حالي عجا

.....

ماذا ترى من محب ما ذكرت له  
إلا شكاً أو بكى أو حن أو طرباً  
يرى خيالك في الماء الزلال إذا  
رام الورد ، فيروى وهو ما شرباً  
وابن سهل على قلة ما شعر ؛ لموته حدثاً ؛  
ثم على قلة ما بقى لنا من شعره ؛ لضياح أغلبه ؛  
شاعر مقل غريب - يدور في فلك بعينه من  
الأفكار والألفاظ والأهداف الشعرية ،  
ولكن الطراقة والتجديد اللذين يصادفهما  
المرء أحياناً في ثنايا شعره بما يوحى بالخسارة  
من فقدته في هذه السن التي هي بداية النضج .  
استمع إليه يصف معشوقه :

لحظ يرى القتل متى نفسه  
والعاد أن يترك قلب الخلل  
صور من نور ومن قننة  
والناس من ماء ومن صلصل  
منسلب الخيلة والصبر لا  
يأوى إلى عقل ولا معقل  
فوق حنة يمنع بذل التي  
قولا ؛ ومهما قال لم يفعل

على الدنيا بمرص ونهم ، والمسيحي معرض  
عن الدنيا ؛ يميل إلى الرهبنة والانطواء  
والسكينة مهما يكن حظه من الجاه والمجد ؛  
أما المسلم فيجمع بين العمل للدين والدنيا في  
اعتدال وجرأة وشجاعة .

خطرت لي هذه التحليلات وأنا أتلى بقراءة  
ديوان ابن سهل الإسرائيلي الأندلسي هذا الشاعر  
العاطفي الرقيق - الفريد في نوعه - الذي مات  
غريقاً عن أربعين سنة ( ٦٠٩ - ٦٤٩ ) هـ .  
وعجيب من اليهودي أن يكون شاعراً ! فما  
أبعد عباد المادة والواقع الحلي الملبوس عن  
رياضة الخيال واصطلاح الأدب والفن - لدات  
الأدب والفن - أنا أفهم أن يكون من اليهود  
علماء في الفيزياء ، وأن يشغلوا في جامعات أوروبا  
وأمریکا كراسي كثير من العلوم والرياضيات ،  
بل أن يحتكروا في فرنسا علماً كالاجتماع طيلة  
القرن التاسع عشر - وحتى الآن - يتولاه  
فوكونه عن ديركايم عن أوجست كونت ،  
فيفسدونه بماديتهم أبشع إفساد... أفهم هذا  
ولا أنكره بقدر ما لا أسيخ أن أجد بين  
اليهود شاعراً... وشاعراً في العربية !

ولكن إبراهيم بن سهل لا شك شاعر ،  
وشاعر وجداني يمكن أن يعترف به تاريخ  
الأدب العربي ، وآية كونه شاعراً حقيقياً  
أنه لم يرص من فنون الشعر العربي - على  
كثرتها - إلا الغزل ؛ الفن الذي يحتاج - مهما



الأرض قد لبست رداء أخضرأ  
والطل ينثر في رباعها جوهراً  
هاجت ثقلت الزهر كافوراً بها  
وحسبت فيها الترب مسكا أذفراً  
والنهر ما بين الرياض تحفاه  
سيفاً تعلق في نجاد أخضرأ  
وأبرز ما يستوقفك في شعره عدا ما ذكرنا  
استفلاله الألفاظ وتلاعبه بها وتفنته  
في وصفها - حتى الألفاظ الفنية المستعملة  
في النحو والعروض وعلوم اللغة - مما يؤذن  
في النهاية بأن الشاعر دخیل على العربية حديث  
العهد بدراستها واستذكار علومها ؛ فهو  
يظهر براعة متسكفة :

لك الثناء ، فإن يذكر سواك به

يوماً ؛ فكأربع المعهود في البذل

• • •

خففت مكانى إذ جزمت وسائلى

فكيف جمعت الجزم عندى والخفضاء ؟

• • •

تأى وتدنو والتفانك واحد

كالفعل يميل ظاهراً ومقدراً

• • •

إذا اليأس ناجى النفس منك « بلى » دولا ،

أجابت ظنوني « ربما » و « حساني »

• • •

يا شرك الآلباب كنى بجملا  
واستح من منظرك الأجل  
أخنى عليك العار من قولهم  
معدل القامة لم يعدل  
أيت فرداً منك ؛ لكننى  
من المنى والذكر في محفل  
وقد رثى من سهرى في الدجى

شقيقك البدر ولم توث لى  
فناصر اشيلية ووشاحا - كما سمي إبراهيم  
ابن سهل ؛ تديراً لأثره في الشعر ومكانه بين  
الشعراء - خصوصاً الأندلسيين - رجل  
ذو حسن صاف ووجدان مشرق ؛ صفاء  
المدينة التي توجه وإشراقها ؛ الحب فيه  
طبيعة ، والطبيعة عنده حب :

انظر إلى لون الأصيل كأنه

لا شك لون مودع لفراق

والشمس تنظر نحوه مصفرة

قد خشت خدأ من الإشفاق

لافت بصمرتها الخليج فألفا

خجل الصبا ومدامع العشاق

سقطت أوان غروبها عمرة

كالكأس خرت من أنامل ساق

وله في الوصف هذه القطعة التي لم تخل منها  
محفوظات أحدنا أو أبنائنا ؛ لبساطتها وسهولة  
انسيابها وجمالها .

صعوبة قله ( وأين هذا من الثأر العربي ! )  
 بما يشكر في كثير من شعره :

إني له عن دى المسفوك معتذر

أقول حكمة في صفك تعباً  
 نفسي تلذ الأسي فيه وتألفه

هل تعلمون لغنى بالأسى نسا  
 وتبحث في شعره عن تبرير لهذا اليأس

القاتل في الحب ماسيه ؟ وهل ضاقت بالحب  
 الوسائل وأعوزته الحيل ؟ وهل الذي خلق

هذا الحبيب الذي لا يتعرف بوجوده لم يخلق  
 غيره ؟ فتفهم إيمان الشاعر بأن كل شيء مقدر

بقضاء يسبق كل حيلة أو وسيلة ، وأن لا يده  
 في رفع هذا الذل والمهانة في الحب ، فضلاً عن

غيره من الشئون :

حديث عنقاء : صب أدرك الأمل

حظي من الحب أني بعض من قتل

أما لقد نصح العذال ، لو قبلوا

السيف من لخط ( موسى ) يسبق العذلا

ذلت حيلة بره من محبة

فنصر لي لحظه الأمراض والملا

• • •

أشكو إلى الخلق المراض ، وحلة

أن يشتكي هدف إلى سهم مضى

بلوى على القلب المذبذب جرهما

لخطي الظلوم ولخط موسى والقضا

وأبادر فأقول إنه لم يرعني في شعر ابن سهل  
 كل هذه المزايما بقدر ما راعتني هذه الذلة

والمهانة في الحب التي أوحى إلي بالصكرة التي  
 قدمت بها بين يدي هذا المقال : حقاً إن التذلل

في الحب والاستسلام للهوى شيء لا يعاب ،  
 ولكن لا ينبغي لهذا الغل الناشئ عن طبع

فيه أصيل :

يقولون لو قبله لاشتيت الهوى

أيطعم في التقييل من يعشق البدر

ولو غفل الواشون قبلت نعله

أزعمه أن أذكر الجيد والثغرا

ومن لي برعد منه أشكو بخلفه

ومن لي بعهد منه أشكو به الغدرا

فأنت ترى أن حب الشاعر حب سلبى ذليل ،

حب بينه وبين التقييل ما بين السماء والأرض ،

حب حظ صاحبه منه مجرد ثم النحل ، مجرد

التماس الشكوى من الخلف والغدر ، حب كله

عليه غرم وليس له فيه أى غنى ، وهو في عرف

الشعر مما يستملح لو لم يصدر عن روح اليأس

والهوان التي تناولت تحليها . فالاستسلام إذا

صدر عن القوى المنتصر كان حلاً ، أما إذا صدر

عن الرعديد الجبان لم يعد إلا ضعفاً وجبناً .

والشاعر نفسه يبر عن ذلك وهو أنه على المحبوب

— وهو يعنى من باب أولى ذل اليهود على

سائر الناس — معتذراً لقائله عن أنه قد جشمه

بجانب لم تذكر: فنعناه مغرب وإقال موسى، أو زمان الصباردا وإن الشاعر ليرداد مشكلته النفسية تعقيداً بأن يسلّم. وسواء أكان إسلامه حقيقة أم رثاء الناس فإنه ارتداد عن دين آبائه وأجداده أملة ضرورة - ومهما يكن ارتد عن دين ذليل إلى آخر أقوى وأعز؛ فإن عقله الباطن لا يزال يتهمة بالخيانة بقدر ما يصدمه الواقع الحى بأنه دخيل على الإسلام.

لقد أعلن إبراهيم إسلامه وأسلم فعلاً، فقرأ القرآن ودرس العربية وغالط المسلمين ومدح النبي عمداً - وقال الشعر العربي، ولكن ذلك اليهودية قد تضاعفت بإسلامه وازدادت تعقيداً: استمع إليه يعترف:

نليت عن موسى بحب محمد  
هديت ولولا الله ما كنت أهتدي  
وما عن قلى قد كان ذاك وإنما  
شريعة موسى عطلت بمحمد

واختلف المؤرخون في حقيقة (موسى) الذى لم يرد في ديوان ابن سهل غير اسمه، ولم يتفرد إلا فيه ولم يتغن إلا به. فقالوا هو نبي اليهودية وقتلوا هو صبي أحبه، وأعجب ظنى أن الصباية بموسى والتمعذب في حبه والتألم لفراقه وتمنى وصاله الميثوس منه الذى أهر

منه العناء والعجائب ورجوع الصبا...  
كل هذا تنفيس عن هجر دين (موسى) وتكفير عن الخروج عليه والارتداد عنه.

وإلا فكيف نحل عكوف الشاعر على الغزل المصطنع المشكك لا يعدل عنه؟ لو أن موسى هذا كان له حسن يوسف وكان هو على صلة آئمة به أفلا كان لهذه الصلة نهاية بأن يكبر الصبي مثلاً وتقطع علاقته به فيحل غيره محله؟ أو ليسكن الشاعر منحرفاً يعشق الغلمان؛ ألم يشع له مرة واحدة أن يحب أو يخالط امرأة فيعدل عن التعلق بموسى هذا؟ إن اسم موسى في شعر ابن سهل ليس من الشعر، إنما يهتف في ذهنى وتحليل نفسيته بأنه دخيل على العربية والإسلام. ولك أن تعترض بأن كثيراً من أدباء العربية وشعرائها في المشرق كانوا أطاحم دخلاء؛ فأجيبك بأن فصاحة ابن سهل وورقة وتمكنه من اللغة والدين الجديد - إن صح - لم تخنه. إنما الذى فضحه ما لازمه وتضاعف عليه من ذل اليهودية.

فليس كالعربية لغة تريك المطبوع والمصنوع. وقرأ عينيه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم لتثبت مما أقول!

كمال دسوفى

# نَظَرِيَّةُ اِرْتِقَاءِ الْاَنْوَاعِ وَانْشِعَائِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ

## عِنْدَ مُفَكِّرِي الْاِسْلَامِ

### لِلْاُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ عَلِيِّ عَبْدِ الْوَاحِدِ وَافِي

أن يذكرها أشباها ونظائر عند بعض القدامى من باحثي الفرس والهنود واليونان ، وبعض المحدثين السابقين لدارون من علماء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وخاصة لامارك الفرنسي (١) .

ولكن لم يفتن أحد منهم إلى أن يحمل النظرية وكثيراً من تفاصيلها ، حتى ما تنق منها بأصل الإنسان وصلته بفصائل القرود ، قد قال بهما مفكر عربي ظهر قبل دارون بنحو خمسة قرون : ذلكم هو العلامة عبد الرحمن بن خلدون (٢) .

١ - هو جان بابتيست لامارك Jean Baptiste Lamarck Chevalier de من أشهر علماء فرنسا في علوم الطبيعة والحياة ووظائف الأعضاء . ومن أشهر مؤلفاته التي بسط فيها نظرية ارتقاء الأنواع كتاب «فلسفة علم الحيوان» Philosophie Zoologique وتاريخ الحيوانات عديدة الفقرات Histoire des Animaux sans vertébrés ولد سنة ١٧٤٤ وتوفي سنة ١٨٢٩

٢ - ولد ابن خلدون جونس سنة ١٣٣٢ وتوفي بمصر سنة ١٤٠٦ ( انظر تاريخ حياته ومكانته العلمية وإنشائه لعلم الاجتماع في كتابها : « ابن خلدون منشى علم الاجتماع » - مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ) .

يقترن اسم دارون (١) بنظرية ارتقاء الأنواع ، وانشعاب أعلاما من أدناها (٢) وتفرع الإنسان عن القرود العليا (٣) أو تفرعها هي والإنسان عن أصل واحد مجهول . وقد جرت عادة الباحثين في « علم الحياة » (٤) حيناً يعرضون لنظريات دارون

١ - هو شارل روبرت دارون Charles Robert Darwin من أشهر علماء الإنجليز في علوم الطبيعة والحياة ووظائف الأعضاء ، ولد سنة ١٨٠٩ وتوفي سنة ١٨٨٢ ومن أشهر مؤلفاته التي بسط فيها نظريته كتاب «أصل الأنواع» وقد تأمبه في مذهبه هذا عدد كبير من الباحثين

من أشهرهم من الإنجليز هكسلي Huxley ١٨٢٠ - ١٨٩٥ « وهربرت سبنسر

Herbert Spencer ١٨٢٠ - ١٩٠٣ « ٢ - اشتهرت هذه النظرية باسم النظرية الارتقائية Evolutionnisme واشتهر أنصارها باسم الارتقائيين أو أصحاب مذهب النشوء والارتقاء Evolutionnistes.

٣ - يطلق اسم القرود العليا Anthropoides على أنواع من القرود مجردة من الذنوب وتنبه الإنسان شها كبيراً في تكوينها الجسمي ، ومن أشهرها : القورولا ، والشيميزية ، والجييون ، والأورانج - أوطانج .

٤ - هو ما يسمى بعلم البيولوجيا Biologie

« اعلم ، أرشدنا الله وإياك ، أنا نقاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام ، وربط الأسباب بالمسيات ، واتصال الأكوان بالأكوان ، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض ، لا تنقض عجائبه في ذلك ولا تنهى غاياته . وأبدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجثائي . وأولا عالم العناصر المشاهدة ، كيف تدرج صاعداً من الأرض إلى الماء ثم إلى الهواء ثم إلى النار متصلاً بعضها ببعض . وكل واحد منها مستعد إلى أن يستحيل إلى ما يليه صاعداً وهابطاً ويستحيل بعض الأوقات . . ثم انظر

وبحسبنا دليلاً على ذلك أن نورد فيما يلي بعض ما جاء على قلم ابن خلدون خاصة بهذا الموضوع ، ونسنع خطاً تحت ما يشير منه إشارة صريحة إلى ارتقاء الأنواع واستحالة بعضها إلى بعض وإلى انطباق هذا القانون على الإنسان وصلته ببعض فصائل القردة . فقد جاء في المقدمة السادسة من الفصل الأول من الكتاب الأول من مؤلفه الشهير في التاريخ الذي سماه « كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » (١) ما يلي :

« الكتاب الثالث في تاريخ البربر ومن إليهم . » « وسادسها » هو ما سماه المؤلف « التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً » وهو القسم الذي ترجم فيه المؤلف لنفسه . وقد جمعت الأقسام الثلاثة الأولى في مجلد واحد اشتهر باسم « مقدمة ابن خلدون » . هذا ، ولأهمية هذه المقدمة ، وعظيم مكانتها في عالم الاجتماع ، ولما أساليبها في غتظف طبعتها من حذف وتحريف ، ولحاجتها في كثير من المواطن إلى الشرح والتطبيق ، قنا بنشرها « مع التمهيد لها ، ونشر القصول والفتقرات النافعة من طبعتها ، وتحقيقها ، وضبط كلماتها ، وشرحها ، والتطبيق عليها ، وعمل بهارسها » طبعة لجنة البيان العربي . وقد ظهر من هذه الطبعة جزمان يشتعلان على نحو ألف وخمسمائة تطبيق ، ويقتنع أولهما بتمهيد للمقدمة يلح في نحو مائتي صفحة من القطع الكبير ، وسيظهر في المقدمة في جرعين آخرين إن شاء الله .

[١] يشتمل هذا المؤلف على ستة أقسام . « أحدها » الخطبة أو الديباجة أو الافتتاحية ويشغل نحو سبع صفحات . « وثانيها » تمهيد يشغل نحو ثلاثين صفحة ، وقد سماه المؤلف « المقدمة في فصل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للدورحين من المدايح والأوهام . » « وثالثها » هو ما سماه المؤلف « الكتاب الأول في طبيعة العمران في الحقيقة . » ، ويشغل هذا القسم نحو ستائة وخمسين صفحة ؛ ويشتمل على تمهيد في نحو سبع صفحات ، وعلى ستة فصول رئيسية ينظم الفصل الأول منها ست مقدمات ، وينظم كل فصل من القصول الخمسة الأخرى عدة فصول فرعية . والنص الذي سنذكره قد ورد في المقدمة السادسة من الفصل الأول من هذا القسم . « ورابعها » هو ما سماه ابن خلدون « الكتاب الثاني في أخبار العرب وأجياهم ودولهم منذ بدء الخليقة إلى هذا العهد . » « وخامسها » هو ما سماه المؤلف : -

والفكر بالفعل ؛ وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده ، (١) .

وأشار ابن خلدون كذلك إلى هذا المعنى نفسه بعبارة أكثر وضوحاً في فصل من الفصول التي تزيد بها طبعة باريس للقدمة ( طبعة كازمير ) عن الطبقات المتداولة في العالم العربي (٢) ، وهو الفصل الذي جعل عنوانه : « علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » ، وهو الفصل الخامس من الباب السادس ، حسب طبعة باريس ؛ وذلك إذ يقول :

« وقد تقدم لنا الكلام في الوحي أول الكتاب في فصل المدركين للغيب ، وبيننا هناك أن الوجود كله في عوالمه البسيطة والمركبة على ترتيب طبيعي من أعلاها وأسفلها متصلة كلها اتصالاً لا ينخرم ، وأن النوات التي في آخر كل أفق من العوالم مستندة لأن

إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدرج ؛ آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا يدره ؛ وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الخيل والحصان ، ولم يوجد لهما إلا قوة الحس فقط ، ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن آخر كل أفق منها مستند بالاستعداد القطري (١) لأن يصير أول أفق الذي بعده . واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه ، وانتهى في تدرج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية ، ترتفع إليه من عالم القدرة (٢) الذي اجتمع فيه الكيس (٣) والإدراك ، ولم ينته إلى الروية

[١] في بعض النسخ « بالاستعداد القريب » ، وفي بعضها « بالاستعداد القريب » ، وكلتا الكلمتين تحريف لكلمة « القطري » .

[٢] في جميع النسخ السابقة لطبعتنا « عالم القدرة » بالفتح قبل الراء . وهو تحريف شنيع غير معنى العبارة تقريباً تاماً ، بل جردها من الدلالة ، وأخفى نظرية هامة قال بها ابن خلدون وسبق بها دارون وغيره من جماعة الارتقاين بتحو خمسة قرون ، وإن اختلف رأيهم عن رأيهم من بعض الوجوه .

٣ في جميع النسخ السابقة لطبعتنا : « الحس والإدراك » وصوابه « الكيس والإدراك » ، كما ورد في نسخة خطية محفوظة في دار الكتب المصرية وذلك لأن مجرد الحس تشترك فيه الحيوانات جميعاً ، وإنما يتميز أرقاها بالكيس وهو الخنزير .

[١] صفحات ٣٥٢ - ٣٥٤ من طبعة لجنة البيان العربي .

[٢] وذلك أن طبعة باريس للقدمة ، وهي الطبعة التي أشرف عليها المستشرق كازمير Quatremère وظهرت سنة ١٨٥٨ ، تزيد عن الطبقات المتداولة في العالم العربي « وكلها منقولة عن طبعة المهوريني التي ظهرت سنة ١٨٥٨ كذلك » بأحد عشر مملاً فرعياً ، كما تزيد عنها في ثانياً بعض النصوص للذكر بينهما وفي خواتيمها بغفرات كثيرة . وجميع الريادات التي محتس بها طبعة باريس منقولة من نسخ خطية موثوقة بها .

الارتقائين ، وإن اختلف رأيه عن رأيهم من بعض الوجوه .

• • •

هذا ، وفكرة تقسيم الكائنات إلى مراتب يتصل آخر كل مرتبة منها بأول المرتبة التالية لها ليست من مبتكرات ابن خلدون ، بل قد سبقه إليها كثير من الباحثين من قبله ، واستخدموا في تقريرها بعض الألفاظ ، والعبارات التي استخدمها وقسموا الكائنات إلى الأقسام نفسها التي قال بها .

فقد قرر هذه الفكرة القزويني ( وهو سابق لابن خلدون ) في كتابه « عجائب المخلوقات » إذ يقول : « إن المعادن متصل أولها بالجماد وآخرها بالنبات . والنبات متصل أوله بالمعادن وآخره بالحيوان . والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالإنسان . والنفوس الإنسانية متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالعوس الملكية » .

وأشار إلى هذه الفكرة نفسها من قبل القزويني ، ابن الطيفيل في كتابه « حنى بن يقطان » وأشار إليها من قبل ابن الطيفيل ، ابن مسكويه ( المتوفى سنة ٤٤٢١ هـ ) في كتابه « تهذيب الأخلاق ونظير الأعراف » . فقد ذكر مراتب الجماد والنبات والحيوان واستخدم لفظي « الأنثى » و « الاتصال » اللذين استخدمهما ابن خلدون . فمن ذلك قوله :

تقلب إلى الذات التي تجاورها من الأسفل والأعلى استعداداً طبيعياً كما في العناصر الجسمية البسيطة ، وكما في النحل والكرم من آخر أفق النبات مع الحززون والصدف من الحيوان ، وكما في القرود التي استجمع فيها الكيس والإدراك مع الإنسان صاحب الفكر والروية . وهذا الاستعداد الذي في جانبي كل أفق من العوالم هو معنى الاتصال فيها ، ( ١ ) .

• • •

ولعل الذي جعل الباحثين لا يفتنون لرأي ابن خلدون في استحالة الأنواع بعضها إلى بعض ، وفي انطباق هذا القانون على الإنسان وحده بفصائل القرود ، أن كلمة « عالم القرود » في النص السابق قد حرفت في جميع طبعات المقدمة المتداولة في العالم العربي في العصر الحاضر إلى كلمة « عالم القدرة » ، فجاءت العبارة على هذا الوضع : « واتسع عالم الحيوان وتمددت أنواعه ، وانتهى في تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية ، ترتفع إليه من عالم « القدرة » الذي اجتمع فيه الحس والإدراك ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل وهو تحريف شنيع غير معنى العبارة ، بل جردها من الدلالة ، وأخفى نظرية هامة قال بها ابن خلدون وسبق بها دارون وغيره من جماعة .

[ ١ ] طبعة كاترمير ص ٢٧٤ من المجلد الثاني .

ولكن من عدة وجوه : فمنها ما قارب رتبة الإنسان بصورة جسمه مثل القرد . ومنها ما قاربها بالأخلاق النفسانية كالفرس في كثير من أخلاقه ، وكالفيل في ذكائه ، والبيغاء الهزاز ونحوها من الطياريات الكثيرة الأصوات والألحان والنغمات ، وكانت حل لطيف الصنائع ، إلى ما شاكل هذه الأجناس . والقرد لقرب شكل جسمه من جسم الإنسان صارت نفسه تحاكي أفعال النفس الإنسانية ، أما الفرس بأخلاقه ، والفيل بذكائه ، وهذه الطيور بنغماتها وموسيقاها ، فقد صارت في آخر مرتبة الحيوان مما يلي رتبة الإنسان ؛ لما يظهر فيها من الفضائل . (١)

وأشار إلى هذه الفكرة نفسها من قبل هؤلاء جميعا أرسطو في نظريته في ترتيب الكائنات وتدرجها في سلم العالم ، فأدنى درجات السلم في نظره هي الأجسام اللاعضوية ، وفيها تضعف الصورة حتى لتكاد تكون هيولى بلا صورة ، وأول ما يسمى إليه الجسم العضوى ( وهو التالى في المرتبة للأجسام اللاعضوية ) تحقيق شخصه ونوعه ، وأحاطت درجات السلم في الأجسام العضوية هو ما اقتصر على الغذاء والتناسل وهو النبات ، ثم يليه

، فلهذا هي في أفق الجمادات ، ، وقوله ، ، ويصير في أفق الحيوان ، ، وقوله : « وأول هذه المراتب من الألق الإنسانية المتصل بآخر ذلك الألق الحيوانى مراتب الناس . . . » .

وأشار إلى الفكرة نفسها من قبل ابن مسكويه « إخوان الصفاء » في رسائلهم التى ظهرت بين سنتي ٣٣٤ و ٣٧٣ على الأرجح ، وذلك إذ يقررون أن أول مرتبة الحيوان متصل بآخر مرتبة النبات ؛ وآخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الإنسان ؛ كما أن أول المرتبة النباتية متصل بآخر المرتبة المعدنية ؛ وأول المرتبة المعدنية متصل بالتراب والماء . فأدون الحيوان وأتقصه في نظرم هو الذى ليس له إلا حاسة واحدة ، وهو الحلزون وأكثر الديدان التى تكون في الطين وفي البحار وأعماق الأنهار ، إذ ليس لها سمع ولا بصر ولا ذوق ولا شم ، فهذا النوع حيوان نباتي ؛ لأن جسمه يثبت كما يثبت بعض النبات ، ويقوم على ساقه دائما وهو من أجل أن يتحرك جسمه حركة اختيارية حيوان . ومن أجل أنه ليست له إلا حاسة واحدة فهو أقص الحيوان رتبة في الحيوانات . وقد يشاركه النبات في تلك الحاسة ؛ فلنبات حاسة اللمس فقط ؛ ويتمثل هذا في إرساله جذوره نحو المواضع التدية وامتناعه من إرسالها نحو الصخور واليابس . أما مرتبة الحيوان مما يلي رتبة الإنسانية فليست من وجه واحد

[١] رسائل إخوان الصفاء جزء ٢ صفحتي ،

١٤٤ ، ١٤٥ ، وجزء ٣ صفحتي ٢٢٢ ، ٢٢٥ ،

٤ - صفحتي ٢٧٨ ، ٣١٧ .



عقليا ومنطقيا ، حتى إن بعضهم ليضع الفيل والفرس والنحل والبيضاء وبعض الطيور الذكية في مرتبة قريبة من الإنسان وفي أعلى مراتب الحيوانية ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في مذهب إخوان الصفاء . أما ابن خلدون فيقصد الارتقاء من الناحية العضوية البيولوجية .

( وثانيهما ) أنه لم يقل أحد من هؤلاء باستحالة هذه الكائنات بعضها إلى بعض ، أما ابن خلدون فقد قرر في عبارات صريحة أن الكائنات الأخيرة من كل مرتبة قابلة بطبيعتها لأن تستحيل إلى الكائنات الأولى من المرتبة التي تليها ، وأنها قد تستحيل إليها بالفعل ، كما ورد في النصوص السابق ذكرها . وبهذين الوجهين نفسيهما تقرب نظرية ابن خلدون من نظرية دارون ومن تابعه من جماعة الارتقاءيين المحدثين بقدر ما تبعد عن آراء من عرض لهذا الموضوع من قبله ؟

وكنور

على عبد الوهاب واني

الحيوان إذ يزيد عنه بالإحساس ، ويتبع الإحساس الشعور بالثقة والطمأنينة .

وانتقل هذا الرأي إلى فلاسفة الإسلام وعلى رأسهم الفارابي في كتابه وآراء أهل المدينة الفاضلة ، إذ يقول : « إن ترتيب هذه الموجودات هو أن يتقدم أولا أخسها ، ثم الأفضل فالأفضل ، إلى أن تنتهي إلى أفضلها والذي لا أفضل منه ، فأخسها المادة الأولى المشتركة ، والأفضل منها الإسطقسات ، ثم المعدنية ، ثم النبات ، ثم الحيوان غير الناطق ، ثم الحيوان الناطق ، وليس بعد الحيوان الناطق أفضل منه (١) .

• • •

ولكن ابن خلدون تختلف نظريته من هؤلاء جميعا من وجهين :

( أحدهما ) أن الرق عند هؤلاء هو رق في المرتبة لحسب ، فهم يحاولون ترتيب الكائنات من الأسفل إلى الأعلى ترتيباً

[ ١ ] انظر كتابنا « أصول من آراء أهل

المدينة الفاضلة » صفحتي ٢٩ - ٣١ .

## من الحكم المأثورة

حاسبوا أنفسكم قبل أن تمسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم .

الموت لا يكون إلا مرة والموت أحل من حياة مرة

# الحركة الموسوعية في الإسلام

## للاستاذ حسين علي الباقوي

الكسائي ( المتوفى ٥١٨٩ ) ، أحد مؤسسي علم النحو واللغة مجلداً كبيراً باسم ( خلق الدنيا وما فيها ) بدأ فيه باللوح والقلم ثم ذكر السموات والأرض والعوالم الأخرى بسرد الآثار والأخبار ، واستند في ذلك إلى الحديث والمؤلفات العلمية الأخرى الموجودة يومئذ . (١)

وكتب أبو حاتم ابن حبان البسقي ( ٥٣٥٤ ) كتاباً في ( وصف العلوم وأنواعها ) في ثلاثين جزءاً .

ومن أقرب المؤلفات إلى الشكل الموسوعي ما ألفه أحمد بن أبان بن سعيد الأندلسي ( ٥٣٨٢ ) وهو عالم فاضل ، ولغوي كبير يكنى أبا القاسم كان صاحب الشرطة بقرطبة (٢) وكان في أيام المستنصر (٣) . روى عن أبي علي البغدادي وأخذه كتاب ( النوادر ) ، وروى عن سعيد

إن أغلب مصنعات علماء المسلمين وفلاسفتهم تقع على شكل موسوعات . ولما لم يكن في العصور الوسطى الاختصاص بمناه المعروف في الوقت الحاضر أخذ المفكرون وبوجه خاص الفلاسفة يتبعون خطى أرسطو ، ويرون وضع مؤلفات تحوي شتى أنواع العلوم كالغارياتي وأرسينا وأضرابهما . وقد صبر الشاعر العربي عن هذا الانجماء بقوله :

أحرص على كل علم تبلغ الأمل

ولا تخون بلم واحد كسلا  
النحل لما دعت من كل فاكهة

أبدت لنا الجوهرين : الشمع والعسلا  
انبعت الحركة الانسكوبيدية تطور الحياة في العالم الإسلامي ، وتنوعت كلما تغيرت عناصر الحياة في هذا العالم ، فبدأت بشكل بسيط إلى أن اتخذت شكلها الحقيقي الواقعي في كتاب ( العالم ) لأحمد بن أبان ، وفي رسائل إخوان الصفا .

ويقتضى تنظيم البحث أن نبدأ أولاً باستعراض الموسوعات العامة ثم نتطرق إلى الأنواع الخاصة منها .

وضع الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الله

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون و

H. Z. Ulken : Islam 365 .

(٢) ابن بشكوال : كتاب الصلة ٥ ٧ المجلد

الأول . مجريط ١٨٨٢

(٣) الفي : بنية المناس في تاريخ رجال أهل

الأندلس ٥٢٢ مجريط ١٨٨١ .

علية للقرن الرابع الهجري (١) حازت عند جماعة من الحكماء والجهالة قبولاً كثيراً وعرفوا مقامها فأحلوها محلها الرفيع واعتنوا بالتنويه بها والتبليغ عليها .  
تقسم الرسائل إلى أربعة أقسام : منها رياضية تعليمية وهي أربع عشرة رسالة ، ومنها الرسائل الجسائية الطبيعية وهي سبع عشرة رسالة ، ومنها الرسائل النفسائية العقلية وتشتمل على عشر رسائل ، ومنها الرسائل الناموسية الإلهية والشرعية والدينية وهي إحدى عشرة رسالة (٢) .

تعددت النظريات التخمينية فيها لعدد من الباحثين فمن قائل إنها تنسب إلى عالم في ما وراء الطبيعة من علماء المعتزلة (٣) . ومنهم من مزاعها إلى الإمام جعفر الصادق (٤) وبعضهم اعتبرها من إنتاج أبي القاسم مسلمة المجرى القرطبي المتوفى ٢٩٨ هـ (٥) . وما لاشك فيه أن هذه الرسائل تعبر عن آراء

ابن جابر الإشبيلي وغيرهم وأخذ عنه أبو القاسم ابن الإفريقي .  
كان ابن سيد مولى بالآداب واللغات وروايتها وتصنيفها مقدماً في معرفتها وإتقانها وكان مطلق القسماً بالتصنيف ، فمن آثاره كتاب (العالم) (١) ، وهو يقع في مائة مجلدة ، ومرتب على الأجناس ، ابتداء فيه بالكلام عن الملك لكونه أعظم الأجسام وختمه بالذرة (٢) . وله كتاب (العالم والمتعلم في النحر) (٣) وكتاب شرح فيه مؤلف الأخفش وغير ذلك (٤) .

وعلى نفس الشاكلة في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) تجد رسائل إخوان الصفا فإن هذه الرسائل وكتاب (العالم) يعتبران أقدم الأسكوليبيديات المكتوبة في العالم . أما المؤلفات السابقة لها فإنها ليست بمستواهما من حيث الاستيعاء والشمول .  
كانت هذه الرسائل دائرة معارف فلسفية

[١] O'Leary; Arabic thought and its Place History. P. 165. 1922.

[٢] مقدمة الرسائل ص ١ - ١٥ .

[٣] Flügel; ZD M G 20. [٤]

[٥] ابن حجر : إقتاوى ص ٩٣ طبعة القاهرة .

[٥] In Casiri 1, No. 364.

وراجع كشف الصور .

[١] القطبي : ألباء الرواة ص ٣٠ - ٣١ .

[٢] حاجي خليفة : فخر المرحم .

[٣] القطبي : فخر المرحم ص ٣١ .

[٤] السيوطي : بنية الوعاة في طبقات الفحول وابعاد .

وراجع : روضات الجنات ص ٦٥ - وسلم

الوصول ص ٦٢ ومعجم الأدباء : ٢٠٣ .

الوفاي بالوفيات ج ٢ مجلد الأول ص ٥٠ .

وكذلك كتاب (الفنون) لأبي الوفاء بن عقيل البغدادي (٥١٣ هـ) .

ولابن عقيل تصانيف كثيرة في أنواع العلوم وأكبر تصانيفه كتاب (الفنون) وهو كتاب كبير قال ابن الجوزي : هذا الكتاب مائتا مجلد وقع لي منه نحو من مائة وخمسين مجلدة ، وقال الحافظ الذهبي في تاريخه لم يستف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب . حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربعة ، هذا وفي رواية أخرى أنه ثمانمائة مجلد (١) .

وألّف أبو الفرج بن الجوزي (٥٩٧ هـ) في فنون شتى وخلف مؤلفات يزيد عددها على مائة كتاب (٢) وكتابه (النجدي) أقرب كتبه إلى الشكل الاسكلوبيدي العام ، وهو في أنواع من العلوم كالقراءة والسير ونحوه (٣) ومن التصانيف القيمة في هذا الباب كتاب (حداائق الأنوار في حقائق الأسرار) للإمام غفر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) الواظ البليغ والفقير الشافعي الكبير أورد فيه موضوعات ستين علماً ألقه السلطان علاء الدين تكشي الخوارزمي (٤) .

وكتاب (درة التاج لفرقة الدياج) فارسي للعلامة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي

(١) ابن رجب : كتاب القليل على طمحات الحنابلة ص : ٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٨ .

(٢) جورجى زينان : نفس المرجع .

(٣) حاجي خليفة : نفس المرجع ج ٢

(٤) كشف الفنون ، وتاريخ آداب اللغة العربية

ج ٣ .

وانجاء زمرة من الفلاسفة والمفكرين من رجال القرن الرابع كانوا أعظم المختصين في العلوم والفنون في عهدهم بما فهم متدينون مخلصون متكلمون ومتصوفة ، وبما فهم زنادقة ملحدون (١) .

حاولت هذه الزمرة جمع الأفكار الفلسفية والاجتماعية التي كانت قد تطورت في العالم الإسلامي حتى العهد الذي عاشوا فيه وهدفت إلى تنظيم هذه الأفكار والمزج بينها فأوجدت مصنفاً موسوعياً ضخمها مبسطة استهدفت فيه قبل كل شيء مقاومة تيار الانحطاط الذي أصاب المجتمع العباسي ؛ وذلك بنشر مقومات ومشارب أخلاقية وعناصر ثقافية راقية ، سلكوا في تحقيقها طريقة عليية وحاولوا فيها التوفيق بين أفكار سقراط وأفلاطون وأرسطو وفيثاغورث والفارابي من جهة ، وبين بعض المبادئ الشيعية من جهة أخرى لذلك يطلق على منهجهم في الفلسفة الإسلامية مذهب التوفيق والاختيار Eclectisme (٢) ومن الكتب المهمة أيضاً مفاتيح العلوم للخوارزمي (٣٧٨ هـ) ألفه لأبي الحسن عبد الله بن أحمد العتيبي (٣) ، وكتاب طبقات العلوم (لأبي المظفر الأبيوردي) (٥٠٧ هـ)

(١) (apud; Der Islam 1932) H.Z. Ulken: Op. cet. 365.

(٢) 2 Sosyoloji Dergisi No. 6-7.

(٣) جورجى زينان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢

ص ٢٢٢ .

كذلك في العالم الإسلامي طراز من التأليف الانسكلوبيدي يدعى غالباً بـ (الأمالي) . والأمالي جمع الإملاء وهو أن يحضر العالم ويحضر حوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم منتقلاً من بحث إلى بحث ومن شعر إلى شعر بطريقة التداعي الحر ويكتب التلاميذ فيصير كتاباً يسمونه الإملاء . والأمالي والمؤلفات من هذا الطراز كان يطلق على البعض منها اسم ( التعليق ) (١) .

وثمة ما يسمى ( بحال ) وهي أجمع من الأمالي لأن الموضوع لم يكن خاصاً بالرئيس لحسب ، بل فيما يدور بين من يضمهم المجلس كبحال ثعلب فهي أوفى من الأمالي إلى حد بعيد .

وكتب كثير من الفلاسفة نماذجهم الفلسفية على الطريقة الانسكلوبيدية ، ويذكر من هذا النوع كتاب ( تعليم الصنائع ) للفارابي ، وإحياء علوم الدين للغزالي وكتابا الشفاء والنجاة لابن سينا ، أو كتاب الكليات والجوامع لابن رشد .

ووضع العلماء المتخصصون التراجم والأنساب والتذكرة على هيئة انسكلوبيدية ، وكتباً حول جماعي الحديث وتدفيق سيرهم باسم علم أسماء الرجال . ووضعت مجلدات ضخمة حول النحاة والأدباء والحكام والفلاسفة

( المتوفى ٥٧١ هـ ) وهو المشهور بـ ( النموذج العلوم ) جامع لجميع أقسام الحكمة النظرية والعملية (٢) ألّفه إدياج بن فيلشاء (٣) .

ولا ينبغي أن ننسى بهذه المناسبة كتاب ( إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد ) لشمس الدين محمد الأنصاري الذي أصبح مصدراً لمعالم شكوى يرى زاده في ( موضوعات العلوم ) . وكذلك يتطلب التطرق إلى كتاب ( إتمام العداية لقراء النقاية ) لجلال الدين السيوطي الكاتب الذي بلغ عدد مؤلفاته أكثر من ( ٣٠٠ ) كتاب ورسالة (٤) .

ومن أجل ما يذكر من الجهود في هذا المضمار ، ومن أقربها إلى الإسلام بمخاضير ثقافة العصر مقدمة ابن خلدون ، تشكل المقدمة كتاباً مستقلاً بذاته بحيث إنها في مضمونها لا تتصل بالتاريخ برباطة ، تحوى معلومات واسعة الأطراف غزيرة الفائدة ، يقول عنها المسيو مونييه R. Maunier أستاذ علم الاجتماع في كلية الحقوق بباريس ، بأنها مركب عظيم من القوانين الكونية ودائرة معارف لعالم العصر (٥) .

(١) كشف الطنون ، وتاريخ آداب العرب ٢ - ٣

(٢) 2 H.Z. Ulken, Ibid.

(٣) حسن فهمي بك : المكتبة العربية المطبوعة في مكتبة الجامعة بدمشق .

(٤) مباحث علمية : من منشورات الجامعة اللبنانية في حيدر آباد ص ٧٤ .

[١] كشف الطنون .

الأصحاب) وعز الدين بن الأثير الجوزي (٦٣٠ هـ) (أسد الغابة).

وكتب حول سير المفسرين كتب أشهرها كتاب (طبقات المفسرين) للسيوطي (٩١١ هـ) وكتب كثيرة حول سير الفقهاء منها كتب خاصة باسم طبقات الحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية وأهم ما كتب في طبقات الحنفية كتاب لعبد القادر القرشي (٧٥٥ هـ) باسم الجواهر، وكتاب لقاضي نجم الدين إبراهيم بن علي الطرسوسي (٧٥٨ هـ) باسم (وفيات الأعيان من مذهب أبي حنيفة النعمان)، وكتاب لقاسم بن قوتلوبوغا الحنفي (٨٧٩ هـ) باسم (تاج التراجم في طبقات الحنفية)، ويحمد بالله ذكر من العهد العثماني كتاب (الشقائق النعمانية) وأذيا لها.

وأهم ما كتب في طبقات الصوفية كتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم (٤٣٠ هـ) وكتاب (تذكرة الأولياء) لعريد الدين العطار، وكتاب (نفحات الأنس) للملاحي وما يتعلق بالأدب يحدد ذكر كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة و (معجم الأدباء) لياقوت الحموي، وفي تراجم المفكرين الآخرين كتاب (طبقات القراء) للجوزي، وكتاب (عيون الأنبياء في طبقات الأقطاب) لابن أبي أصيبعة وكتاب (طبقات الحكماء) لابن القفطي، ولابن صاعد والشهرستاني آثار

والمفسرين والقراء والمتكلمين والمتصوفة الكبار، والطبيين والرياضيين، والفقهاء والمحدثين. وكثير غيرهم ممن نبغوا في مختلف الاختصاصات، وحققوا أنسابهم ومؤلفاتهم وسيرهم.

ومن الذين كتبوا في البلدانيات المفكر الكبير والمتكلم الشهير الجاحظ (٢٥٥ هـ) فوضع كتابه (الأمصار) والزغشري (٥٣٨ هـ) فكتب (الأمكنة والجبال والمياه) وياقوت الحموي (٦٣٠ هـ) فكتب معجم البلدان (١) وهو خزنة علم وأدب وتاريخ وجغرافية. وقد لخص هذا المعجم صني الدين بن عبدالحق (٧٣٩ هـ) فاقصر فيه على الجغرافية وسماه (مرامد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) وابن فضل الله العمري (٧٤٨ هـ) فكتب (مسالك الأبحار في عمالك الأمصار) وهو موسوعة في بضعة وعشرين مجلداً من الكتب الهامة في الأدب والتاريخ والجغرافية والتاريخ الطبيعي وغيرها (٢١).

وكتب في التراجم مؤلفات قيمة جداً فكتب ابن سعد (٢٣٠ هـ) (الطبقات في سير أصحاب الرسول) وكتب ابن عبد البر القمري القرطبي (٤٦٣ هـ) (الاستيعاب في معرفة

(١) H. Z. Uiken: Op. Cit. 366.

(٢) جيورجي ريمان، الواقع بالولايات القصدى.

جليلة في هذا الشأن ، وثمة كتب حول مذاهب الكلام لابن حزم والباقلاني ، وكتب في الأنساب للكلبي والبيلاذري والسماعاني وابن الغوطي ، وتعتبر كتب ابن خلكان (وفيات الأعيان) والصدقي (الوفيات) ، وابن حجر (الدور الكامنة) والسخاوي (الضوء اللامع) والمحيي والمرادي من ضمن هذه الكتب الجليلة في التراجم . وقد تألفت في العهد الأخير (دائرة المعارف) للبستاني وأخرى لفريد وجدي . وبوشر بترجمة (دائرة المعارف الإسلامية) ونشرت منها أجزاء .

وينبغي ألا يعزب عن الذهن من العهد العثماني كتاب (موسوعات العلوم) لطاشكوبري زاده و (سفينة الراغب) لمؤلفه راغب باشا و (كشف الطنون) لحاجي خليفة وقد تضام عدد المؤلفات من هذا النوع بعد التنظيمات حتى ألف شمس الدين سامي

( قاموس الأعلام ) ، والمترجم عاصم افندي ( أوقيانوس ) أو ترجمة القاموس ، وألف خواجه امحق قاموس العلوم الرياضية ، وبدأ أمر الله افندي بترتيب موسوعة باسم ( محيط المعارف ) ، إلا أن المنية واقتته بعد نشر الجزء الأول ولم تكمل الأجزاء الأخرى . واستطاع رضا توفيق نشر بضعة أجزاء من ( قاموس فلسفة ) . وفي الأيام الأخيرة حدثت حركة تأليف انسكلوبيدي جديد ونشاط أبرز ما فيها لجنة ترجمة ( دائرة المعارف الإسلامية ) ولجنة أخرى لوضع موسوعة أخرى باسم ( اينونو انسكلوبيديس ) وتبدل اسمها الآن فسميت بـ ( تورك انسكلوبيديس ) . (١)

### عن علي المرقوفي

مفتش معارف كركوك بالعراق

H.Z. Ulken: Op. cit. 368 (١)

رأى بعض العرب سيفاً فقال : ما أجوده لولا قصر فيه . . .  
فقال صاحبه : فصله بخطوة . . . فقال الرجل : تلك الخطوة  
أشق من مشية إلى الصين .

# أسرار القسم في القرآن الكريم

## للأستاذ عبد الوهاب جموذه

فعرّب الجاهلية عرفوا القسم واستخدموه في كلامهم وأحكامهم . فلما نزل القرآن بلغة العرب وعلى ما ألفوه من أساليبهم ؛ ليكون مفهوماً لديهم حبيباً إلى نفوسهم حتى إذا ما ظهر مجزؤه عن الإتيان بسورة من مثله كان ذلك عن أمر عروءه ، وأسلوب ألفوه ، وإنما مجزواً ؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد . فهو ليس من صنع البشر ، وإنما هو كلام خالق القوى والقدر . يقول تولدك في دائرة المعارف البريطانية . وفي كتابه « تاريخ القرآن » : « كُن غرض محمد الوحيد في السور المكية تحويل الناس بطريق الإقناع عن عبادة الأصنام الباطلة إلى عبادة إله واحد . هذا هو الهدف الأساسي في دعوته مهما نشعب الموضوع . إلا أن محمداً بدلاً من أن يتوجه إلى عقول سامعيه بقنمها بالبراهين المنطقية ، لجأ إلى الفن الخطابي ليؤثر على عقولهم من طريق الخيال والوجدان » .

نحن نعرف أنه من الأسلوب الخطابي الاستدلال بالحلف والأيان . وهذا خطأ من تولدك في زعمه هذا من أن القرآن المبني على الحجج والبراهين العقلية والمناقشة بالأدلة المنطقية . وقد روج هذا الزعم بعض

يستعمل القسم بين الإنسان والإنسان لدفع الشك بما يحدثه من التأكيد والتوثيق ؛ لأن الفكرة الأولى فيه هي أن الإنسان المقسم يحلف إما بشيء عظيم في نفسه ، أو بشيء عظيم في نفس السامع أو بهما معاً ، ويكون القسم عندئذ رباطاً متيناً ؛ لأنه وحي يصدق المقسم وجده ؛ وذلك لاعتقاد السامع أن القسم الكاذب يمتدحى إلى هلاك صاحبه ، وهذا ناشئ في البدء من ارتباط القسم بفكرة القداسة وهي فكرة دينية محضة ؛ ولذلك كان المعبود هو موضوع القسم الأول .

على هذا جاء الحلف عند العرب في الجاهلية ، فقد كانوا يقسمون بأكثر شيء قداسة لديهم ، حلفوا بالله ، ولقد سجل عليهم القرآن ذلك في مواضع متعددة فقال تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » وأقسموا بأصنامهم التي كانت تقربهم إلى الله زلي كاللات والعزى ومناة . ثم اتسعت الفكرة لديهم فلم تعد قاصرة على المعبود بل شملت بيوت العبادة ومنااسك الحج ، والإبل التي تحمل الحجاج والقرايين التي تقدم للآلهة . شملت كل أولئك ؛ لأن فيها قبساً من قداسة المعبود وعليها مسحة من عظمت في نظارهم .



الإنسان أشد تأثراً بما يسمع مما لو فاته بما تريد من طريق الجدل والفتاش؛ لأن الإقناع الدتلى فيه انتصار حاد لعقل على آخر، ومن الصعب على النمس الجامعة العقيدة، كنموس العرب فى جاهليتهم، أن تقر لأحد المجادلين، بالغلبة أو تسلّم له بالانتصار من طريق الإلحام. بل كثيراً ما يكون السامع غير عارف بأصول الإقناع العقلى، فلا فائدة إذن من فتح هذا الباب أمامه الدخول عليه من هذا الطريق الذى يجهله. فالقسم فى أوائل السور يعطيها نضرة فى بهجتها، ورواقاً فى ديباجتها فتلح الأقسام فى قسبات السور، كالنمرة البارقة. بل هى أشبه شىء بالمطالع الحسنة فى القصيدة الجيدة، وفى هذا رعاية لجانب المستمع؛ لكيلا ينفرد بفساد أذنيه. ومن كمال الحجة نلين القول وتأليف القلب، فقد أمر الله الانبياء بهذا كما قال تعالى لموسى وهرون حين أرسلهما إلى فرعون ( فقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى ) .

وقد أشكل أمر القسم فى القرآن الكريم على كثيرين؛ فذهب فريق من الناس إلى القول بأن القسم لا يصدق إلا بمن شك الناس فى صدقه، فهو يلجأ إلى اكتساب الثقة باليمين، وهنا لا يلقى بحلال الله، وهو قول محدود إذا تذكرنا شيئين .

أولاً - أن القرآن نزل بلغة العرب وغايطهم بالأساليب التى عرفوها ومنها القسم .

الباحثين المعاصرين على غير أساس فى بحثهم وثبت من قولهم، فقد جاء فى القرآن المسكى الإقناع بالحجة والجدل والبرهان ولا سيما فى السور الأخيرة من العهد المسكى، ورسم القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم أساليب الدعوة تختلف باختلاف من يدعوهم، فقال تعالى فى سورة النحل وهى مكية : ( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهلهم بالحق هى أحسن ) .

يقول الغزالي فى كتابه القسطاس المستقيم : « إن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم، وبالموعظة قوم، وبالمجادلة قوم؛ فإن الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطمع الرضيع التغذية بلعم الطير . وإن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمازوا منها كما يشمئ طبع الرجل القوى من الارتضاع بلين الآدمى .

وقد جاء القسم فى القرآن الكريم فاتحة للسور المكية خاصة فى خمس عشرة سورة نحو (والصافات، والذاريات، والسماء ذات البروج، والسماء والطارق) ووقوع القسم فى ابتداء السور له أثره النفسى؛ فإن البدء به هو جذب لا تلباء السامع؛ لوقوع القسم على سمعه فى شىء من الرهبة. فإذا حدث ذلك صحبه تهيؤ نفسى لتلقى ما يقال . خصوصاً وأن ما يقال مبنى على قسم والقسم شىء يهول . وفى هذه الحال يكون

الطبيعية؛ لتوصل منها إلى خالقها، وتأمل فيها تأملاً يبين مبلغ نعمتها، وأنها غير جدرة بالعبادة، وإنما الجدير بالعبادة هو خالقها؛ كالقسم بالسما ذات البروج، والسما والطارق، والشمس وضحاها، وكالقسم بالعجرو ليل عشر، وبالنجم إذا هوى، وما أشبه ذلك.

رابعاً - من أسرار القسم أنه لو كانت الاستدلال على أمور لا تتعلق بها الرغبة أو الرهبة، مثل ما نرى في العلوم الطبيعية ورياضية، كان ذكر الأدلة فيها أولى بالتصريح. فأما والاستدلال على أمور نفسية، من حب واستنكار وزجر وردع، فلاحتياج أكثر إلى إيراد الأدلة على وجوه مختلفة: من أساليب القول معاونة في الوصاحة والطلاقة والقوة والحدة، سريعة التأثير قرية الإقناع؛ لأن أكثر الآراء الاعتقادية إنما هي نتيجة التلقين. والتلقين هو في الحقيقة يتوقف على قوة الإقناع وأساليب التأثير.

هذا إلى أن في القسم إيجازاً في الاستدلال، والعرب لذلك هم كانوا يجهلون الإيجاز، وطبيعة لغتهم تساعدهم على ذلك، ولذلك لا ترى شيئاً من القرآن إلا ومعناه أو مر من اللفظ؛ فإن أظن قولاً من وجه، أو جزء من وجه آخر، فهو لا يمتصى عجائبه ولا تغني أسراراً.

عبد الوهاب محمود

ثانياً - لم يكن الغرض من القسم في القرآن دائماً التأكيد، بل يكون أحياناً بيان شرف المقسم به وعلو قدره؛ حتى يعرف الناس مكانته ورفعة منزلته: كالقسم بحياة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون)، وكالقسم بالنفس اللوامة في قوله تعالى (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة)، وكالقسم بالأماكن التي أنبتت الأنبياء، وكانت موطن إزال الوحي إليهم: كما في قوله تعالى (والذين والزيتون وطور سينين، وهذا البلد الأمين).

فأقسم سبحانه بهذه الأمكنة الثلاثة العظيمة، التي هي مظاهر أنبيائه ووسطه أصحاب الشرائع العظام.

فالذين والزيتون المراد منبتهما وهو أرض بيت المقدس؛ فإنها أكثر البقاع زيتونا وتيناً. قال ابن القيم في كتابه «التيان»:

«إن منبت هاتين الشجرتين حقيق أن يكون من جملة البقاع الفاضلة الشريفة، وهو مظهر عبد الله ورسوله وكلته عيسى بن مريم، كما أن طور سينين هو الجبل الذي أوحى إلى موسى فيه. وهذا البلد الأمين هو مكة.

ثالثاً - أحياناً يكون الغرض من القسم توجيه النظر إلى الآيات المكنونة، والمشاهد

(البحث بقبية)

## التعليم الديني في السودان

للأستاذ على المصاوي

- ١ -

وليس معنى هذا أن جميع السكان عرب ، وإنما معناه أنهم الكثرة الكاثرة ، والعند الأوفر ، وفي أيديهم الآن ومنذ زمن بعيد مقاليد الأمور في السودان .

جاء في تاريخ السودان لنجوم شمس ما يأتي : وأما العرب فهم معظم سكان السودان وأكرمهم أصلاً ، وأوفرهم عقلاً ، وأرقام حضارة ، وقد هاجروا إليها بعد الإسلام عن طريق مصر أو البحر الأحمر فاستولوا عليها تدريجاً وسكنوا أطيب بلادها وأسوا فيها سوءة بمالك ، سيأتي ذكرها ، وهم إما حضر أو بادية ، أما الحضر فأكثرهم على النيل الكبير والنيلين الأزرق والأبيض وفي الجزيرة بينهما . . . وأما البادية فأكثرهم في البطانة ومحمدي البيوضة وكردوفان ، ودارفور . . . واسم العرب في السودان إنما يطلق على بادية العرب فقط ، وأما حضرهم فيعرفون بأسماء قبائلهم أو بأسماء البلاد التي يسكنونها ، وهم يرجعون في أسابهم إلى الصحابة وآل البيت وغيرهم من الأصول الشريفة (٢) . .

لعل أحسن تعبير وأرجز في وصف الشعب السوداني أنه شعب عربي متدين . يعرف ذلك حق المعرفة أولئك الذين قد لم أن يعيشوا فترة من الزمن في ربوع تلك البلاد ، وأن يعرفوا العادات والتقاليد والأخلاق التي تميز شعب السودان عن غيره من الشعوب .

فإذا ذهبنا نستلحق التاريخ وجدنا تأييداً قوياً لهذه الفرضية ، وأسعفاً بالدليل تلو الدليل على عراقة هذا الشعب في العروبة ، واستجابته الصادقة لتعاليم الدين .

فالزورخون يكادون يجمعون على أن اتصال العرب بالسودانيين كان قبل الإسلام بزمن غير قصير ، فما هو ثابت أن تجار العرب دخلوا السودان عن طريق البحر الأحمر ، وعن طريق مصر في العصور القديمة ، وفي عهد البطالسة والرومان ، غير أن دخولهم السودان بعد الإسلام سواء عن طريق مصر أو البحر الأحمر أو من الغرب كان في هيئة جماعات كبيرة كبطون أو بدلات من القبائل (١) .

[١] [التريفة في السودان ج ١ ص ٢٠ لعبد العزيز عبد المجيد .

[٢] مصر المرحم ص ٥٢ .

هذه الأمثال ما لا تحريف فيه من مثل قولهم (يا حاعر حفرة السوء وسع مرافعها) وله نظائر كثيرة .

وقد دخل الإسلام بلاد السودان في أول عهده بمصر ، قال المقرئ في خطبه « وفي سنة ٢١ هـ بعث عمرو بن العاص عبد الله بن سعيد بن أبي السرح في عشرين ألفاً إلى النوبة فكث بها عبد الله بن سعد زماناً وصالحهم ، وقرر عليهم شيئاً معلوماً من المال » .

وقد جاء في كتاب الصلح الذي عقده عبد الله مع النوبة ، ما يصرح بأن المسلمين بنوا هناك مسجداً ، وأن المسلمين سيؤزلون بهذه البلاد ، ويحسن أن تختلف من هذا الكتاب بعض الفقرات ؛ لأنه أول وثيقة تاريخية تتضمن دخول المسلمين بلاد السودان « عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبي السرح لعظيم النوبة ، ولجميع أهل مملكته ، عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض أسوان إلى حد أرض علوة . إن عبد الله بن سعد جعل لهم أماناً وصدقة جارية بينهم وبين المسلمين من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة ، إنكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبي صلى الله عليه وسلم ألا نحاربكم ولا تنصب لكم حرباً ولا نفروكم ما أقمتم على الشرائط التي بيننا وبينكم ، على أن تدخلوا

على أن اللهجات العربية السائدة في السودان لا تدع مجالاً للشك في عروبة هذا القطر الشتيق فإننا لو أنعمنا النظر في كلامهم ظهرت لنا السمات العربية الأصيلة فيه ، وهذا طبعى ما دام القوم - لاسيما البادون منهم - لم يختلطوا بغيرهم من الأمم ، وقد ألف أحد علمائهم كتاباً سماه ( العربية في السودان ) حتى فيه برد كثير من الكلمات المستعارة عندهم إلى أصلها العربي ، وربما كان هذا ممكناً في كل البلاد العربية غير أننا نلاحظ أن الكلمات السودانية لم تبعد كثيراً عن أصلها العربي ، كما نلاحظ أن الكلمات الدخيلة قليلة بالنسبة إلى مثيلاتها في الأقطار العربية الأخرى ، ولعل ذلك يكون أكثر وضوحاً في الأمثال الشائعة هناك فإن الأمثال هي القدر الوحيد المشترك بين المن ولغة التخاطب ، أعني أننا إذا أردنا أن نعرف مدى تغلغل اللغة العربية في عامية أى قطر من الأقطار ، وأردنا أن ندرس بجزء ذلك فنا أديا ، فليس أمامنا إلا الأمثال التي تجري على ألسنة العامة ، فهي فوق إيفائها بما نريد من الدلالة على قوة الصلة أو ضعفها بالعربية الفصحى ، توقفتنا على معان سامية نظرب لها ونسجب .

وقد أطلت النظر في الأمثال السودانية ، بعد أن جمعت منها قدراً صالحاً قتيلاً لي أنها لا تبعد عن الفصحى إلا بمقدار يسير ، ومن

المسيحية بعد اتصالهم بالمسلمين نحو سبعة قرون - حين أحسوا في أنفسهم القوة على نقض هذا العهد تقضوه ، وهدموا المسجد . ولكن المسلمين لم ينهم وقوف النوبيين في وجه الإسلام عن دخول السودان من جهات أخرى ، فقد هاجروا في القرن الأول الهجري إلى قبائل ( البجة ) . وهم بادية الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر - وعلبوم الإسلام ، وكان ( البجة ) على الوثنية . كذلك انصل العرب بعد الإسلام بسكان دارنود ، وقد كانوا على الديانة ( الميثية ) فعلموم الإسلام ، فضلوه بقبول حسن ، وبالفوا في التمسك بأدابه وفنائه .

وكان من عادة المسلمين أنهم إذا دخلوا بلداً بنوا فيه مسجداً ، ( تؤدي فيه الصلوات ، ويعلم فيه القرآن . ويكون متدي لم يعتقدون فيه مجالس شوراهم ويجهزون منه سراياهم ، فاستنار السودان بنور القرآن في كل مكان ، وكان لمديرية دنقلة في ذلك القديح الملى إذذاك لأنها في بداية الطريق ، فبازت بالسبق في هذا المضمار ، وأسست فيها مساجد كثيرة ( ١ ) . ولعل من الإنصاف ألا نحصل الفضل كله أو أكثره لدنقلا ، فإن جهات أخرى من السودان كانت فيها مساجد كثيرة لهذه

بلدنا مختارين غير مقيمين فيه وتدخل بلدكم مختارين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو بطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم ، وأن عليكم رد كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى أرض الإسلام ، ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ، ولا تعرضوا لمسلم قصده وجلوره إلى أن ينصرف عنه . وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ، ولا تمنعوا منه مصليا ، وعليكم كنهه وإسراجه وتكريهه ، فإن أتم أو تم عبداً لمسلم أو قاتم مسلماً أو تعرضتم للمسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم ... فتدبرت منكم هذه الهدنة والأمان .

هذا أول مسجد بني في أرض السودان ، وقد كان في مدينة ( دنقلة ) وقد سألت عن هذا المسجد بعض سكان هذا الإقليم فلم يثبتني أحد بخبره ، ويبدو أنه لم يستمر طويلا ، ذلك أن النوبيين كانوا حين حاربهم المسلمون على المسيحية التي وفدت إليهم من مصر في منتصف القرن السادس الميلادي . وكانوا قبل ذلك على الوثنية يعبدون الكواكب ، وينصبون لها تماثيل ، وقد ظلوا على النصرانية حتى أوائل القرن الرابع عشر الميلادي ، فاعتنقوا الإسلام ، ولكنهم بقوا محافظين على لغتهم . فيبدو أنهم - وقد ظلوا على

[١] من مقال لعالم الفاضل الشيخ مجذوب حلال الدين بمجلة معهد أم درمان ص ١٠ العدد الأول .

في أول وقتها ، ولا تكاد ترى شاباً يتهاون في هذا الفرض الإسلامي ، وكما يحافظون على الصلاة يحافظون على غيرها من شعائر الدين . ومن أبرز صفاتهم الأمانة ، وقد آفت في مدينة أم درمان زهاء ست سنوات ما سمعت بحادث مرقه ، ولا اختلاس ، ولا ( ثل ) .

كما أني لم أسمع في هذه المدة بحادث قتل إلا مرة واحدة وكان القاتل غير سوداني ، وهم يسمرون في مجالسهم بالاستماع إلى المدائح النبوية ، ولهذه المدائح شأن كبير في حياتهم ، ينظمونها ، ويتقنون بها ، ويحتمعون عليها ، ولاحد مدائحهم ديوان عنوانه ( أبو شريعة في مدح صاحب الشريعة ) وهو قصائد منظومة باللغة العامية ، وكثير منهم يحفظون هذا الديوان ، وينشدون منه في مجالسهم الخاصة والعامة .

ومن مظاهر تدينهم إكرامهم للعلم والعلماء فهم يعظمون العلماء ويحلمونهم ، ومن عاداتهم الغريبة أن العالم إذا زارهم وأراد الرحيل قدموا له الهدايا ، وكثيراً ما تكون تقوداً يجمعونها له ، وأشد غرابية من ذلك أن الرجل منهم إذا زار عالماً قدم له شيئاً من المال حين ينصرف عنه ، وقد شهدت من ذلك حادثة ، فقد كنت جالساً في حجرة شيخ علماء السودان بمسجد أم درمان ، فأقبل رجل

الأغراض ، بل وبما مر عهد من العهود كان الفضل كله لغيره ثقلة من بعض أقاليم السودان وكان ملوك دارفور ، في عهدهم الزاهر فضل أي فضل على التعليم الديني في السودان ، وكذلك كان ملوك الفونج ، وكان في دارفور مساجد جملة في كل بلدة مسجد أو أكثر يعلم بها الكتابة والقرآن ، وكان لكل عالم مسجد قرب منزله يصل به الصلوات الخمس ، وفي لصفه خلوات للجواردين يعلم بها العلوم الشرعية ، وله ( حاكورة ) هبة من السلطان ، يعيش هو وتلاميذه من ريعها ، وكان بعضهم يجي إلى مصر ليلقي العلوم في الأزهر ولم يرواق معروف رواق دارفور ، ( ١ ) .

وقبل أن نتحدث عن أساليب التعليم الديني في السودان ومنهجه ، والعلوم التي شاعت دراستها تعود إلى تدين أهل السودان ، ليكون ذلك عوناً لنا على فهم عنايتهم بالتعليم الديني منذ دخل الإسلام في بلادهم .

السودانيون - إذا استثنينا فئة قليلة عن أصلهم الاستمرار - محافظون أشد المحافظة على تعاليم الإسلام ، فهم يؤدون الصلاة في أوقاتها لا يشغلهم عنها شاغل ، ومن المألوف حتى في العواصم الكبرى أن ترى جماعات المصلين أمام المحلات التجارية وفي الميادين العامة إذا كان المسجد بعيداً ، وهم يقيمون الصلاة

[١] تاريخ السودان لثوم - ١٤٦٦ .

من هذه الصفات جهم للضيف ، وشدة احتفائهم به ، وإعداد منازلهم - في بعض الجهات - إعدادا كاملا لاستقبال الضيف مهما كان صدمهم ، ومن تلك الصفات محافظتهم على الجار ، وصيانتهم للأعراس ، والعفة عما في أيدي الناس ، ذكر نعم شقير في كتابه قل : ومن غريب أخلاقهم أنه إذا أتى الجذب واشتد الجوع أغلق الواحد منهم بابا على نفسه وأولاده وانتظر الموت جوعا ولم يسأل أحدا خوفا من التعبير بذلك السؤال .

وفهم صبر عجيب على الشدة ، فالمرضى مهما اشتد ألمه لا يتعلق بكلمة تدل على تألمه ، وقد شهدت هنا عملية أجريت لعالم كبير من علمائهم من غير غدر ، ولم نسمع له أنه ، ولا توجعا فلما سألته في ذلك ، قال : أتريد أن ينقل عنى ابنى هذا أنى رفعت سوقى من الألم ؟

والمسوق إلى القتل لا يبدى أقل جزع أو خوف ، ومن هذا القبيل أن الرجل منهم إذا كان سائرا ، حدث خلفه صرخاء لا يلتفت كمن به جزع ، بل يتحول بجميع جسمه في غاية الهدوء .

والسودانيون في المذهب سنيون وفي العقائد على مذهب الإمام الأشعرى ، والصوفية في أخلاقهم آثار وآثار ، ولذلك اقتصرت للطرق الصوفية عندهم وعظم احترامهم لها .

على العمارة

المدرس بالأزهر

(للحديث بقية)

سوداني يزوره فلما هم الرجل بالانصراف أخرج من جيبه قطعة من ذوات الخسة القروش ووضعها على مكتب شيخ العشاء وسلم وانصرف ، وأدرك الشيخ - وكان لبقا فطنا - ما يدور بنفسه ، فقال : هذه عادة أهل السودان ، يرون ذلك من إكرام العلماء ، ثم نادى على حاجبه وأمره بأحد تحية الصيف التي قدمها للضيف !

ومما يكاد يكون فيصلا في إكرامهم للعلم والعلماء ، أن أحد رجال التعليم كان يريد بناء مدرسة فطاف في بلاد السودان يجمع المال لهذا الغرض ، وقابله بعد أن حضر من رحلته فوجدته غاضبا ، فقلت له في ذلك فقال : أتصدق أنى لم أستطع أن أجمع من الناس في هذه الرحلة الطويلة غير عشرين ألفا من الجنهات ... لقد قل الخير في الناس !

وقد أدركنا كبار الاساتذة في معهد أم درمان لا يتحركون من مقاعدهم في فصول الدراسة إذا كانوا يدرسون تفسيرا أو حديثا إذا زارهم غريب مهما كان مركز الزائر ، وذلك لإجلال الكلام الله ، وحديث رسوله .

والسودانيون يشتهرون بصمات يرجعها بعضهم إلى ما فهم من دماء العروبة ، وأرى أن للإسلام دخلا كبيرا في هذه الصمات ، وأيا ما كان فهي شواهد على عروبتهم وحسن إسلامهم .

## موسيقى القرآن بين الترتيل والتلحين للأستاذ أحمد الشرباصي

عريق القدم ، فقد رويوا أن نبي الله داود عليه السلام كانت له معرفة يتقن عليها ، فيبكي ويستبكي ، وكان يقرأ الكتاب المنزل عليه وهو : الزبور ، سبعين لحناً ، وكان يقرأ قراءة تطرب منها الجموع ورووا عن رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام أنه أحب الصوت الحسن ، ولما اتفق المسلمون على كلمات الأذان للصلاة كلف النبي بلالا بأن يرددها ويرتلها واصفاً له بأنه : أندى صوتاً من غيره ، كما وصف النبي أبا موسى الأشعري وكان حسن الصوت - بقوله : لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود .

ويروي صاحب : اتحاح الجامع للأصوات ، أنه جاء في رواية : دخلت دار أبي موسى الأشعري فما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا ناي أحسن من صوته ، والصنج آلة من نحاس كالطبقين يصرب بأحدهما على الآخر والبربط بوزن جعفر - آلة موسيقية كالعود والناي هو المزمار ، فلما سمع أبو موسى ذلك قال : لو علمت يا رسول الله أنك تسمع لغيرته لك تحبيراً ( أي لحسنه تحسبنا وزينه تزيينا )

الموسيقى هي لغة البشر الطبيعية العميقة الجنور في النفوس والقلوب ، وحب الناس للصوت الجميل أمر معروف مشهور ، ولا يتكر تأثير هذا الصوت إلا عليل أو مكابر ، وقد كثر حديث الكتب الفنية والأدبية عن هذا التأثير وذلك الحب ، ثم سرى الحديث من كتب الفن والأدب إلى كتب الدين ، والعقائد ، فزى كتباً كثيرة قد ألفها فقهاء أو علماء عن السماع وعن أحكام السماع ، وزى رجلاً كالغزالي يضرد للسماع وللغناء والموسيقى باباً طويلاً في كتابه : إحياء علوم الدين ، وهو يتنصر للسماع ويشيد بروعة الأصوات الجميلة ، ويرد على الذين يحرّمون السماع ويحاربون الصوت الجميل ، كما زى ابن القيم يصنع نحو هذا الصنيع في كتابه : زاد المعاد ، وكل من الغزالي وابن القيم معروف بفقهه وتدينه وغيره على الإسلام وكذلك نجد في كتب الصوفية وفي الكتب التي وضعها عنهم الواضعون فيها من الحديث عن الموسيقى والأصوات والغناء والسماع . واقتحام الموسيقى لبنة الدين أمر قديم



« الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه  
اليسان ، الشمس والقمر بحسبان ، والنجم  
والشعر يسجدان ، والسماء رفعها ووضع  
الميزان » . أليس من اتساق الصوت هذه  
النون المسبوقة بألف المدة التي تأتي في نهاية  
كل آية ؟ . وأليس اختيار حرف النون هنا  
لونا من ألوان هذا الاتساق ؟ .

وقل نحو هذا في قول الله عز وجل :  
« والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ،  
والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يشاها ،  
والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ،  
ونفس وما سواها ، فأنهملها لجورها وفتحواها  
قد أفلح من ذكرها ، وقد غاب من دساها ،  
أرأيت هذه الهاء المفتوحة المختلفة التي ختمت  
بها كل آية من آيات هذه السورة ؟ ألا تراها  
فاصلة لازمة مكررة ، فيها موسيقية وفيها  
اتساق ؟ .

وفي سورة القمر نرى هذا الإيقاع الموسيقي  
حين نسمع الحديث عن نوح عليه السلام :  
« فدعاه ربه أنى مغلوب فانتصر ، ففتحنا أبواب  
السماء بماء منهمر ، وجعلنا الأرض عيوناً فالتقى  
الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات  
الأواح ودرر » . فهذه الراء الساكنة التي  
تحدث في اللسان ذبذبة حين النطق بها تعطي  
الكلام رتيلاً وموسيقية خاصة ؛ ولأن حرف  
الراء حرف له موسيقية وذبذبة نجده كثير

وهذا عمر بن الخطاب القوي المتشدد في  
دينه كان يسمع قراءة أبي موسى الأشعري  
وهو يتلاحق فيقول عمر مسجياً به : « من  
استطاع أن يتقن بالقرآن غناء أبي موسى  
فليفعل » :

وقد اشتهر طائفة من صحابة النبي وضوان  
الله عليهم بحسن الصوت وحلاوة الثبرة ،  
فمنهم أبو موسى الأشعري الذي أوتي مزامراً  
من مزامير داود ، وعقبة بن عامر الذي  
وصفوه بأنه كان من أحسن الصحابة صوتاً ،  
وبلال بن أبي رباح مؤذن السماء وصاحب  
الصوت الندى الرحيم ، وأبو بكر الصديق  
صاحب الصوت الرفيق الحزين ...

وهذا هو القرآن الكريم الذي أمر الله  
المسلمين بأن يرددوه ويرتلوه ترتيلاً ، إننا  
ننظر إليه فنجد فيه كثيراً من الخصائص  
الموسيقية ، كاتظام الفاصلة في كثير من  
المواطن ، ووجود الانسجام الصوتي والإيقاع  
الموسيقى ، ولنقرأ مثلاً قول الله تعالى :  
« والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى  
وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى  
عليه شديد القوى ، ذورة فاستوى ... » .  
أليس من الانتظام والانسجام هذا الحرف  
المنطلق بالمدة المفتوحة ، وهو الواو في أغلب  
هذه الآيات ؟ .

وفي سورة الرحمن نسمع القرآن يقول :

لأننا نستطيع في سهولة أن نسمى علم التجويد ، وهو علم الترتيل القرآني باسم « علم الموسيقى القرآنية » .

وهذا العلم يتضمن أحكام تلاوة القرآن ، وتبيان مخارج الحروف ، وشرح صفاتها المختلفة ، ويتعرض لبحث المد بأنواعه ، وبحث الإخفاء والإظهار ، والملك والادغام ، والجهر والهمس ، والفن والإمالة ، والقفلة والإشمام ، والوقف والوصل ، والتفحيم والترقيق ، وتعلية الصوت وخفضه ، وغير ذلك من موضوعات هي من صميم المسائل الصوتية ؛ لأنها تتعلق بكيفية النطق وهيئة الأداء ، والمسائل الصوتية هي من صميم الموضوعات الموسيقية .

ومهمة « علم التجويد » أو « علم الموسيقى القرآنية » هي الهداية إلى الطريقة المثلى لترتيل القرآن الكريم ، إذ أن الله تبارك وتعالى يقول : « ورتل القرآن ترتيلا » ، والترتيل هو ضبط النطق ، وإتقان التلاوة ، وتجويد القراءة ، وتحسين الصوت ، ومناسبتها لمعوى الكلام ؛ ويقال إن الإمام عليا سئل عن الترتيل فأجاب : « الترتيل تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف » .

وقد وضع العلماء منذ العصور السابقة كثيراً من الكتب التي تبحث في علم التجويد ومسائله ، وعندى أنه يجب على الموسيقيين

الورود في فواصل الآيات القرآنية ، فنجد مثلاً - يأتي في نهاية أغلب الآيات الموجودة في سورة الإسراء ، وفي نهاية أكثر الآيات الواردة في سورة العنكبوت ، وفي نهاية كل آية من آيات سورة القمر ، وعددها آياتها خمس وخمسون ، فكأن حرف الراء جاء خمساً وخمسين مرة متتالية .

وجاء حرف الراء في نهاية أغلب الآيات الواردة في سورة النهر ، وفي نهاية جميع الآيات الواردة بسورة القدر ... الخ .

وأحياناً نرى حرفاً محذوفاً من آية لكي يتوافر هذا الاتساق الصوتي ، كما في قوله تعالى : « والفجر ، وليال عشر ، والشمع والوتر ، والليل إذا يسر » ، فالأصل : « يسرى » ، محذوف منها الياء لتتفق الفواصل ؛ وأحياناً نرى حرفاً زاد لنفس الغرض ؛ كما في قوله تعالى : « إذ جعلكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وأظننوا بآله الظنون » ، هنالك أبلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ، فالأصل هو « الظنون » ، ولكن زيدت في آخر الكلمة ألف المد لتتفق مع نهاية الآية المرافقة المختومة بكلمة « شديداً » .

وبعض الناس يقرر أن التلحين الموسيقي والاتساق الغنائي بما لا يمكن أن يلتقي مع ما يسمونه بالترتيل القرآني ، وهذا غير صحيح ؛

البارحة ؟ (أى اسررت) ، لقد أوتيت مزامراً من مزامير داود ( أى لقد أعطيت لحنا من حسن صوت داود عليه السلام ، وكان صوت داود فى نهاية الحسن ) .

أظن أن هذه الأحاديث تضيق كثيراً مسافة الخلاف بين أنصار التلحين وأنصار الترتيل ، وتخفف حدة العداوة بين الفريقين ، فإن الترتيل المستحب يتصن بمقتضى هذه الأحاديث شيئاً من التلحين والتغنى والتطريب والترجييع .

وقد ذكروا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتغنى بالقرآن ، ويرجع صوته به أحياناً ، كما رجع يوم الفتح فى قراءته : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » ، وكان يمد قراءته ويقطع فيها أى يحزنها .

وذكر الطبرى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقول لأبى موسى الأشعرى : ذكرنا ربنا ، فقرأ أبو موسى ويتلاحق ؛ ويقول عمر : من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل .

وكان عقبة بن حامر كما ذكرنا - من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، فقال له عمر : أعرض على سورة كذا . أى أقرأها على ، فعرض عليه بصوته وتلحينه ، فسكى عمر وقال : ما كنت أظنها نزلت .

وقد رووا أن الإمام أباحيفة وأصحابه

أن يدرسوا هذا العلم دراسة واسعة ، لأنه من صميم صناعتهم ، ولأنهم عن طريق هذه الدراسة يستطيعون أن يدركوا الصلة القوية الوثيقة بين علم التجويد وبين الموسيقى ؛ وإذا كنا قد طالبنا من قبل - ونطالب الآن - رجُل التلاوة القرآنية بأن يكون على شيء من الدراية لقواعد الموسيقى لينتفع بها فى ضبط تلاوته ، فمن الواجب أن نطالب رجُل الموسيقى بأن يفقه قواعد التجويد ومسائله ؛ لأنها من صميم الموسيقى والنغم الصوق .

وهناك طائفة من الأحاديث النبوية تشير فى وضوح وجلاء إلى أن تلاوة القرآن تحسن إذا كان فيها حلاوة صوت وجمال تغنى ، فمن هذه الأحاديث قول النبى صلى الله عليه وسلم : « زينوا القرآن بأصواتكم » ، وقوله : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » ، وقوله : « أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن بشعز فيه » ، وقوله : « ما أذن الله ( أى ما استمع ) لشيء كإذنه لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يمجهر به » ، وقوله : « تعلوا القرآن وغنوا به واكتبوه » ، والذى نفس بيده لمؤاخذة نفسها من الخاض من العقل ، « واستمع النبى ليلته لقراءة أبى موسى الأشعرى - كما سبقَت الإشارة - فأعجب بقراءته ، وأخبره فى الصباح قائلاً : لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك

الألحان المحددة التي كانت معروفة للأغاني ، والتي لا تناسب جلال القرآن ولا روح وعظمته وتذكيره ، إذ أن هذه الألحان بقواعدها المعروفة وهياتها المشككة المحددة لا تتلاءم مع عظمة القرآن ورسالاته ، وإذا كنا نقول : إن للقرآن موسيقى ، فنحن نقصد موسيقى القرآن الملائمة لجلاله وجماله من ناحية تحسين الصوت به والتطريب في إلقائه وإثارة العواطف والمشاعر بترتيبه وتلاوته :

وأظن أنه لا يحالف أحد يفقه روح الإسلام ويعرف جلال القرآن في وجوب امتناع التأتيل للقرآن عن استخدام لحون أهل الفسق في تلاوة القرآن وترتيبه ، وعن اتخاذ القرآن الجيد كالأغاني التي يراد منها مجرد الطرب والسرور فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر ، فإنه سيحىء أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والزبانية والنوح » .

ومن المشاهد أن بعض القراء المرتلين للقرآن الكريم هنا وهناك يسيئون التصرف في الترتيل ، إذ يرفقون في التطريب ، ويعتسفون في التلحين ، ويخرجون عن حد الأدب والنوق ، وأحياناً يخطئون من ناحية اللغة ومن ناحية النطق ومن ناحية التجويد ، ومن ناحية إعطاء المعنى المقصود ، فقد

كانوا يسمعون القرآن بالألحان ، وكذلك روى عن الإمام الشافعي أنه كان يستمع القرآن بالألحان ، وذكر ابن القيم في ( زاد المعاد ) تحليل الجيز لقرأة القرآن بالتلحين فقال : « لأن تزيينه وتحسين الصوت به والتطريب بقرأته أوقع في النفوس ، وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه ، فميه تنهيد للفظه إلى الاستماع ومعانيه إلى القلوب ، وذلك عون على المقصود ، وهو بمنزلة الحلاوة التي تجعل في الدواء تنمذه إلى موضع الدواء ، وبمنزلة الأفاويه والطيب الذي يجعل في الطعام لتكون الطبيعة أدعى له قبولا ، وبمنزلة الطيب والتحلل وتجميل المرأة لبعْلِها ؛ ليكون أدعى إلى مقاصد النكاح ؛ قالوا : ولا بد للنفس من طرب واشتياق إلى الغناء ، فموضت عن طرب الغناء بطرب القرآن ، كما موضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير لها منه ، كما موضت عن الاستقسام بالأزلام بالاستحارة التي هي محصر التوحيد والتوكل ، وعن السباح بالنسكاح ، وعن القمار بالمراهنة بالنصال وسباق الخيل ، وعن السباح الشيطاني بالسباح الرحمانى القرآنى ، ونظائره كثيرة جداً » .

نعم هناك فريق من الفقهاء مثل الإمامين أحمد ومالك يرى أن قرأة القرآن بالألحان بدعة ، ولم تعجهم هذه القراءة وكرهوها ، ولعل هذا الفريق يقصد بالألحان هنا تلك

وفصل النزاع أن يقال : التطريب والتغني على وجهين : أحدهما ما اقتضته الطبيعة ، وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم بل إذا خلى وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين ، فذلك جائز ، وإن أعان طبيعته فضل تزيين وتحسين كما قال أبو موسى ثني صلى الله عليه وسلم : لو علمت أنك تسمع لحبرته تحبباً .

والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة ، ولكن النفوس قبله وتستحليه لموافقته الطبع وعدم التكلف والتصنع ، فهو مطبوع لا متطبع ، وكلف لا متكلف ، فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه ، وهو التغني الممدوح المحمود ، وهو الذي يتأثر به السامع والتالي ، وعلى هذا الوجه نحصل أدلة أبواب هذا القول كلها .

والوجه الثاني ما كان من ذلك صناعة من الصنائع ، وليس في الطبع السباحة به ، بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرين ، كما يعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مختصرة ، لا تحصل إلا بالتعليم والتكلف ، فلهذه هي التي كرهها السلف وعابوها وذموها ومنعوا القراءة بها ، وأنكروا على من قرأ بها ، وأدلة أبواب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه .

يهمزون - في سبيل التطريب المدرف - ما ليس بهموز ، وقد يزيلون في المد حتى يختل أو يعتل ، وقد يثقفون حيث يجب الوصل ، وقد يصلون حيث يجب الوقف . وهكذا . وهنا أذكر أنه كانت تعجني تلاوة المرحوم الشيخ محمد وفيت ، كما تعجني تلاوة الشيخين الشعاعي والحصري أطال الله حياتهما ، وهناك من غير شك كثير من المحسنين للتلاوة ولست أحصى ولكنني أضرب المثل .

والواجب على كل مرتل للقرآن الكريم أن يتذكر قبل أن يتلو ، وأن يتذكر وهو يتلو أنه يرتل كلام الله ، وكتاب الله ، وقرآن الله وأنه يبلغ عن الله قيوم السموات والأرض ورب العالمين جميعاً ، وأنه يرتل لا للإشفاق أو التسلية ، بل ليذكر ويهتدي ويرشد ، وليذكر كل مرتل حين يرتل قول الله عز وجل : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد .

ليتذكر أن هناك تطريباً يراد به التأثير ، وتطريباً يراد به الإلهاء ، وأن الأول منهما هو الأليق بجلال القرآن ورسائله ، وما هو ذا ابن القيم بعد أن ذكر أدلة الميحيين للتغني والترجيع والتطريب والتلاوة ، وأدلة المانعين لذلك ، أراد أن يفصل في النزاع بين الطائفتين فقال :

وفيه وجهان : أحدهما أنه إخبار بالواقع الذي كنا نفعله ، والثاني أنه نفي لهدى من لم يفعله عن هديه وطريقته صلى الله عليه وسلم .

وإذن فليقرأ القراء كتاب الله عز وجل ، وليرثوا ترتيلاً ، وليحسنوا به صوتهم ما استطاعوا ، وليتغنوا به ما قدروا ، وليتمسوا بتطريهم وتلحينهم مواطن التأثير والوجع والعظة ، ولكن ليحفظوا مع هذا جلال القرآن المجيد ، وليتذكروا دائماً أنه كلام العزيز الخبير

**أحمد الشرباصي**

المدرس بالأزهر الشريف

وهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره ، وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعاً أنهم برآء من القراءة بالألحان الموسيقية المتكلفة التي هي إيقاع وحركات موزونة معدودة محدودة ، وأنهم أتقوا الله من أن يرموا بها ويسوعوها ، ويعلم قطعاً أنهم كانوا يقرءون بالتحزين والتطريب ، ويحسنون أصواتهم بالقرآن . ويقرأونه بشجي تارة ، وبطرب تارة ، وبشوق تارة وهذا أمر في الطباع تقاضيه ، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضى الطباع له ، بل أوشد إليه ونادى إليه ، وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به ، وقال : ليس هنا من لم يتغن بالقرآن

من روائع تمثيله صلوات الله عليه قوله في تقييد الحرية إذا أضرت بالغير : إن قوماً ركبوا سفينة فاقسموا ، فصار لكل منهم موضع ، فأراد أحدهم أن ينقر موضعه بفأس . فقالوا له : ما تصنع ؟ قال هو مكاني أصنع به ما أشاء ، فإن أخذوا على يده نجماً ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا .

# عَصْرُنْبِذَالِإِلَهِالْوَاحِدِ

## فَوْقَ فِى شَرِكِ الْمَهِ شَتَى

### لِلْأَسْتَاذِ فَيْحَى عُثْمَانِ

وقع المجتمع الأوروبي في أزمة ...  
وجاء عصر النهضة فاتفجرت الأزمة ، وتمرد  
الناس على كل وابطة تربطهم بطاغية : سواء  
أكان دوقاً إقطاعياً أم كافناً دينياً ... ثم جاء  
عصر الثورة الفرنسية والنهضة الصناعية فاشتمل  
البركان ضد الملوك ...  
وكانت النتيجة الختمية لرد الفعل أن يلتهب  
الجناس ضد كل علاقة تبعية بعد أن أضاع نور  
الحرية ، فرأى المهتمون في انطلاقتهم أن يشتقوا  
آخر ملك بأمعاء آخر قبيس ، وأن يتردوا  
على الله أيضاً : أفليس هو ملك الملوك الذى  
استمد منه الملوك والكهنة سلطانهم الذى طالما  
أذلوا به الرقاب وسمكوا الدماء ونهبوا  
الحقوق ؟؟

« لتخضع كل نفس للسلطين الفائقة ؛ لأنه

ليس سلطان إلا من الله ، أو السلطين الكائنة  
هى مرتبة من الله ، حتى إن من يقاوم السلطان  
يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون  
لأنفسهم دينونة ، فإن الأحكام ليسوا خوفاً  
للأعمال الصالحة بل للشريرة ، أقرت أن لا تخاف

وسبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ،

• • •

وقالت أوروبا ، تريد أن تعيش أحراراً ...  
فهل نجحت أوروبا فى أن تحتفظ بحريتها ،  
وهل استطاعت أن تعيش بغير دين أو إله ؟؟

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية ١٣ : ١ - ٧

والمجتمع الأوربي - ومثل ذلك في أمريكا ،  
هل استطاع العالم الغربي أن يعيش بغير إله  
وبغير دين ؟

إن فكرة الإله ليست إلا تركيزاً للاهتمامات  
والدوافع والعواطف حول محور أساسي ،  
تتبلور عنده كل المطالب الجزئية والمشاعر  
العرضية . وتكون هي المقياس والميزان لكل  
خاطر أو سلوك .

والفرد الذي يعيش لنفسه ، إنما يؤله  
ذاته . . . . ففي كل فكرة وعمل ، يزن  
الأمور وفقاً لمصلحته الشخصية ، وقد يتسع  
أفقه فيكون مركز اهتمامه أسرته وأطفاله .  
والفرد الاناني على هذا النحو لم يتحرر من  
الانقياد لإله ، بل إن هواء مطالبه بما لا يطالبه  
به رب السموات والأرض ، وهو في سبيل  
عبادة إلهه يقيد نفسه بالكثير ، ويتنازل  
عن الكثير ، ويتحمل من المخاطر الكثير .  
• إن الفرد الاناني يقيد نفسه (بوجوب)

إرضاء مطالب ذاته فوراً . . . . ولا يعترف  
بعقبة تحجزه ، أو اعتبار يستحق أن يدخله  
في تقديره . إنه أمام إلحاح من ضغوط مزاجه  
وهو لا يستطيع أن يؤجل أو يلقى مطالبه . . .  
كيف وليس في تقديره إلا حساب ذاته ؟ ؟  
نحن إذن أمام إنسان مسعور ، تورقه  
رغباته وشهواته ، ولا يزال يلج عليه الطلب

ما هو الدين ؟؟ وما أبرز خصائصه ؟؟  
إن روجيه باستيد Bastide يقول : للدين  
تعاريف لا تدخل تحت حصر ، وكل فيلسوف  
يعرض علينا تعريفه . . .

فهربرت سبنسر Spencer يعرف الدين  
بأنه الشعور بأننا نسبح في خضم من الأسرار ،  
وماكس مولر Mul er يعرفه بأنه الشعور  
باللاتهائي ، وشليرمارشر Scheleirmarsher  
يعرفه بالخضوع لوجود لا يناله إدراكنا ،  
وفيورباخ Feuerbach يعرفه بالفريضة التي  
تدفعنا نحو السعادة . . . ويقول دوركايم  
Durkheim : إن العنصر المشترك حقيقة بين  
جميع الديانات معنى أكثر اتساعاً من ذلك  
وهو معنى الأمور المقدسة ، (١)

ولنتكف الآن من عناصر الدين وخصائصه  
بعضير أساسيين متميزين :

١ - الاعتقاد ( بإله ) معبود يكون  
مركز الاهتمام الكلي وقبة الاتجاه الرئيسى  
في الفكر والعمل .

٢ - الاعتقاد ( بعالم الغيب ) الذي  
يحاوّر نطاق الحس ، لكن يكون موضع  
( الإيمان ) الذي يعتبر هذه الغيبيات مسلمات  
حقيقية ثابتة .

فلنتنظر الآن في جوانب الفكر الأوربي

(١) مبادئ علم الاجتماع الدينى - ترجمة الدكتور  
قاسم م ٢٢ - ٢٧ .



وهو يدفع ضريبة البشرية بالآلامها وتضحياتها  
وتقائصها ولكن في حدود الحلقة المقترضة  
والأفق المحدود والمجال الهزيل الذي ربط  
نفسه به .

إنه جحيم الدنيا يتحد في دركاته الملحد ،  
وتكلفه أهواله من الهزات والفلاقل  
والنقائص أضعاف ما يتطلبه الإيمان يوم  
الحساب !

« إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون  
وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله  
عليها حكيمًا » .

... .

وعاذا وفر الناس على أنفسهم إذن حين  
كفروا برهم ؟ .

آمنوا بأنفسهم ، فكلفتهم فوق ما يكلفهم  
دين الله . . . وربما اتسع نطاق عتائهم  
ومناهمم فأمنوا ( بالجماعة ) أو ( الأمة )  
أو ( الدولة ) وحدهما دون سواها ، فإذا  
بالحرب الضروس تقوم بين جماعة وجماعة ،  
أو بين أمة وأمة ، أو بين دولة ودولة . . .  
صراع بين الآلهة التي آمن بها من يريدون أن  
يؤمنوا بغير ( إله ) ، فكأننا فوق ( جبل  
الأولمب ) حيث لا تكف آلهة الإغريق  
الأسطورية عن القتال ! وتناثرت المدامم فوق  
الروس المتطائرة في الصراع ، فإذا بنا أمام

ويندفع إلى الإجابة فلا الطلب ينتهي ولا الإجابة  
تسعه في كل الظروف فيبنا نحمد إله السموات  
والأرض دجيمًا لا يكلف نفسًا إلا وسعها ،  
إذا ياله الهوى لا يقبل معسرة ولا يرضى  
بتسوية .

إن الفرائض التي تفرضها أهواء الملحد  
لا ضخم في كثير من أوامر الله الكبير المتعال ،  
والفرد الأناني يتنازل عن الكثير في سبيل  
عبادة هواه . . . يتنازل عن نزعاته الاجتماعية ،  
ولا يأبه لمكانه من قلوب الناس أو منزله  
من المجتمع ، ويتنازل عن أشواقه الخفية  
ومنطقه العقلي ، ويتنازل عن تقدير ما يسمى  
بالصالح الآجل أو الحساب النهائي ، ويقض  
النظر عن منفعة الجماعة التي تعود على جميع  
الأفراد ومنهم هو ذاته . . . إنه يعيش في الساعة  
التي هو فيها !

إن التواهي التي تفرضها أهواء الملحد ،  
وتحتم عليه أن يسقطها من اعتباره ، هي  
تضحيات وخسائر أكبر مما يريده الله الرحيم  
من العباد .

والفرد الأناني يتحمل الكثير من المخاطر  
في سبيل عبادة هواه . . . يتحمل مخاطر بدنية  
وعقلية ونفسية ، ويعيش في جحيم من  
الاضطراب والتخليط ، وقد يتعرض في سبيل  
تكليف عاجل من ( وحى ) إله الهوى إلى  
سفك دمه أو تعكير صفوه أو إلغاء عقله ،

دون نفاذ فعلي إذا كان ثمة متسع من الوقت قبل وقوعه ، وإما بأن تمحو ما يترتب عليه من الآثار ، أو تضعه في قالب طبيعي إذا كان قد نفذ بالفعل وكان جبره ممكنا ، وإما بأن تلزمي بالكفيرة عنه إذا لم يمكن جبره بحال.. وإذا كنت من أرباب الصناعة فليس ثمة ما يمنعني من استخدام الأساليب وطرق الصناعة التي كان يستخدمها الناس في القرن الماضي ، ولكنني لو فعلت ذلك لحق في اللوم ما في ذلك شك . ولو فرضنا أنني تمكنت في الواقع من الخروج عن هذه القواعد ومن خرقها بنجاح فلن أتمكن من ذلك إلا بشرط أن أضطر إلى صراعها ، ولو فرضنا أنني استطعت التغلب عليها في نهاية هذا الصراع فإنها سوف تشمرق بقوة قهرها إلى حد كاف ، وذلك بسبب ما سألناه من مقاومتها . وليس ثمة مجدد إلا واصطدمت بحارلاته بمقاومة من هذا القبيل ، حتى لو كان مجددا سعيد الطالع (١) ، فإن يذهب الإنسان ؟ ؟

هل في وسعه أن يعبد بغير دين وإله ، إلا إن استطاع أن يتخلع من كيانه ودوافعه ، وإن استطاع أن يتزح نفسه من الكون والحياة ؟ ؟

أديان جديدة بأسماء أخرى تملك على أتباعها مشاعرهم وتأخذ عيهم عقولهم وتفكيرهم ، وإذا بنا أمام عصيات جديدة مجنونة تسوق البشر إلى مجازر صليبية جديدة باسم ( سيادة الجنس ) أو ضرورة ( المجال الحيوي ) أو انتصارا ( لفلسفة من الفلسفات ) . . فاشية أو استعمارية ، فردية أو جماعية . . أو . . . حتى قال القائلون نحن في هذا القرن العشرين نخوض ( أزمة التذهب ism ) وتطلعا الرايات تحقق فوق رؤوسنا كل منها تريد أن تتزح لنفسها الولاء والالتقياد . . أو ( العبادة ) - مع الاعتذار لأعداء الدين والولاء الجماعي كلف الناس ما كلفهم الحوى الفردى من شطط . . . وليقل لنا ذلك دوركايم حتى نصدفه :

« تمتاز الظاهرة الاجتماعية بأنها خارج شعور الفرد ، وتمتاز أيضا بقوة أمرة فاعلة هي السبب في أنها تستطيع أن تفرض نفسها على الفرد أراد ذلك أم لم يرد . حقا إنني لا أشعر بهذا القهر أو لا أكاد أشعر به حين أستسلم له بمحض اختياري ؛ وذلك لأن الشعور بالقهر في مثل هذه الحال ليس مجدياً ، ولكن ذلك لا يحول دون أن يكون القهر خاصة تتميز بها الظواهر الاجتماعية ، ويدل على ذلك أن هذا القهر يؤكد وجوده بقوة متى حاولت مقاومته بالمقاومة . . . وذلك إما بأن تحول

(١) قواعد المنهج في علم الاجتماع - ترجمة الدكتور قاسم - ٢٢ - ٢٣ .

عبادة موجود افترض سموه وخشيته ما يعزى إليه من القدرة ، والانتقياد الأعمى لأوامره وتعدد الجدل في تعاليمه ، والرغبة في نشر هذه التعاليم وحد كل من يرفض ، اعتناقها عدوا ، وبظل ذلك الشعور الديني من جوهر واحد على النوام ، سواء أطبق على إله خفي أو على صنم حجري أو على مطلب أو فكر سياسي ، وتجد في ذلك الشعور ما فوق الطبيعة وما هو معجز على السواء ، والجماعات تلبس مثل هذه القدرة الدينية ما يفرها على التعصب من صبغة سياسية ، أو زعيم منصور حيناً من الزمن . ولا يكون الإنسان متديناً إذا عبد إلها فقط ، بل يصبح متديناً أيضاً عند ما يضع جميع منابع نفسه وجميع انتقيادات إرادته في خدمة قضية أو موجود

عندما غاية المشاعر ورائدها ويمكن أن يقال إذن : إن جميع المعتقدات ذات صبغة دينية . . .

لا بد للجماعات من دين ، ولا تستقر المعتقدات السياسية والإلهية والاجتماعية بالجماعات إلا باكتسابها شكلاً دينياً على الدوام فيكون به في حي من الجدل ، ولو أمكن حمل الجماعات على الإلحاد لا كتسب هذا الإلحاد ما في الشعور الديني من شدة تعصب ولاصحى

« يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تعبدوا من أقطار السموات والأرض فانفثوا . . . لا تتفنون إلا بسلطان . »

« قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا . . . ونزد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله . . . كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران . . . »

« ألا إن الله من في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ، »  
« مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرين ما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ، »

• • •

وإذا كانت الحضارة المادية قد صهت للأفراد آلهتهم التي لا يخطئون في قصد ، ولا ينفكون من ربقها في سلوك ، فإن لهذه الفلسفة المادية ( غيبها ) الذي يحاول أن يرضى في الإنسان أشواقه الخفية . . . . أو يحاول الإنسان باستسلامه لهذا الغيب أن يرضى أشواقه الخفية .

كتب جوستاف لوبون عن ( الأصبغة الدينية التي تصبغ بها عقائد الجماعات ) يقول : « ولهذا الشعور بميزات بسيطة جداً ، وهي

الضخمة ويكلف بالصيغ والتراكيب ويتشدد بالمصطلحات العلمية والفلسفية ويتوهم المراهق أن فكره معين لا ينضب في حين أن كتابه تكشف عن الضحالة والافتقار إلى وضوح الفكر... ولذلك ما يكاد يقع على مبدأ على أو مذهب فلسفي يرضى تطلعه ونزعه ، إلى التحرر ، حتى يتحسس له تحمسا هو أقرب ، إلى التعصب ، منه إلى الفكر العلي الرزير . فإن كان يفيد من الثقافة العلمية الموضوعية أو الأفكار الفلسفية المتحررة ، فهو لا يفيد اتجاهها موضوعيا أو منطقييا في التفكير ، بل يفيد منها ما يؤيد طموحه إلى عقيدة مطلقة ورأى نهاي . وليس يخاف علينا انتشار كتب وآراء بعينها بين جمهور المراهقين في الشطر الأخير من المراهقة من أمثال دارون ونيشة وماركس ، وليس يخاف كذلك كيف أن كتابات هؤلاء كانت لدى بعض المراهقين بمثابة كتب مقدسة تحتل في نفوسهم ما تحتله الكتب السماوية لدى المؤمنين من مكانة رفيعة .

ونحن نجد الدليل على ذلك من مذكرات رجل مثل ( سلامة موسى ) فهو يقول : ( ... ولكنني أذكر أنني وأنا دون العشرين أحسست أن نظرية التطور تأخذ مكانا دينيا في نفسي ، وأنها قد حملتني واجبا روحيا ،

في وجوهه الطاهرة ضربا من العبادة بسرعة . ولنا في تطور المذهب الوضعي مثال طريف على ذلك : ويشابه هذا المذهب ذلك العهد من Nihilisme الذي روى دستوفسكي لنا قصته فقد سلطت أنوار العقل على هذا العرض ذات يوم غطى صور الآلهة والقديسين التي كانت تزين هيكل معبد الصغير ، وأطفأ الشموع ولم يبدد من الوقت ثانية ١١ . . . فأحل محل الصور المحطمة كتب بعض الفلاسفة الملحدين كبوخز ومولشوت ثم أشعل الشموع ثانية بوزع ١١ .

أجل : لقد تحول موضوع معتقداته ، الدينية ، ولكن يمكن أن يقال . إن مشاعره الدينية تغيرت ١٩٩٠ ، ١١٠ )

هذه الحقيقة التي أبرزها العيلسوف لوبون يقرر ما علم النفس بالنسبة للفرد ، وعلم الاجتماع بالنسبة للجموع على السواء . يقول الدكتور عبد المنعم المليجي عن نفسية المراهق .

« ونحن نعلم أن المراهق - برغم إطلاقه العنان لتفكيره واستطلاع له ، يرى العالم من خلال مشاعره وتصوراتة ... واكتساب بعض العلم بالعلوم والفنون المختلفة دون أن يتمثلها تمثلا كافيا يضع تحت تصرفه مادة يستغلها في الجدال والحاجة ، فيتلاعب بالألفاظ

لأن الدين قد وجد قبل وجود الأوطان ولأن الحاجة النوعية بيولوجية تحقق أغراضها في كل زمن ومكان وأسبابها في كل حالة ولا زال الإنسان بعد تحقق أغراضها ، وتوفر وسائلها في حاجة إلى الدين . وغرائز الإنسان النوعية واحدة في كل فرد من أفراد النوع وكل سلالة من سلالاته ، ولكنه في الدين يختلف أكبر اختلاف ، لأنه يتجه من الدين إلى غاية لا تنحصر في النوع ولا تتوقف على غرائزه دون غيرها ، وليس الغرض منها حفظ النوع وكفى ، بل تقرير مكانه في هذا الكون أو في هذه الحياة . فالإنسان يتعلق من النوع بالحياة، ويتعلق من الدين بمعنى الحياة... فالإيمان ضرورة كونية لا تخلطها مشيئة أحد من الآحاد ، ولو كان في قدرة الرسل والأنبياء . فإذا أجمع الناس على الاعتقاد كيفما كان اختلافهم في الجنس والزمن والموطن والمصلحة - فليس هذا عمل فرد ، ولا هو مما يقع بين الحين والحين صرخا وانفقا من فعل الحيلة والتدبير ، ولكنه باعث من صميم قوى السكون ، لا يفلح الرسل والأنبياء في نشر دعوته ما لم يكن في تلك البهجة مطابقة لحكمة الخلق وسر التكوين...

وقد رأيت أناسا يطلون الأديان في العصر الحديث باسم الفلسفة المادية ، فإذا بهم يستمدون من الدين كل خاصة من خواصه

وقد نما هذا الواجب في نفس إلى واجبات [١] وهكذا يشغل الفرد ( الفراغ النفسي ) ويسد ( الجوعة الروحية ) بأي بديل يستغرقه نفس الاستغراق .

وكذلك الأمر بالنسبة للجمع أيضا ، جاء في كتاب ما كيفر ويبيع عن قواعد الدين وقواعد السلوك ) :

«... إن بعض العبادات الخلقية مثل عقيدة أوجست كونت بشأن ( المذهب الوضعي ) أو جمعية الثقافة الخلقية المعاصرة تدعى أنها دينية أيضا ، وإلى جانب ذلك يوجد ما يمكن أن نسميه ( الديانات البدئية ) حيث ترتبط الخصائص العاطفية التي تصاحب أداء الواجبات الدينية بعناصر لادينية - بل معنادة للدين ، كما هي الحال في بعض تعبيرات الشيوعية أو في أي دستور اجتماعي غير ذلك [٢] » .  
فأين يهرب الناس من نوازح أنفسهم ؟  
ألا يتواضعون للحقائق ويتأملون رصيد التجارب الإنسانية الذي خرج منه الأستاذ العقاد بتقريره الدقيق « الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية ... »

ولم يكن الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية ، لأنه مصلحة وطنية أو حاجة نوعية ،

[١] تطور الشعور الديني عند الطفل والمراهق

٣٠١ - ٣٠٢ .

[٢] المجمع - ترجمة الدكتور علي عيسى ٣٣٣ - ٣٣٤

عن كل ما اعتقده الإنسان في جميع الأزمان ، ولا سيما عقائد الأديان والأوطان . وأدخروها للزمن كله بل للأبد كله ، ولكنهم لم يصطنعوا صدمتهم الأولى في الحرب العالمية الأخيرة حتى لجأوا إلى الوطن وإلى الديانة . . .

ولحوى هذه العبرة البالغة أن أسرار العقيدة أصح وأصدق مما يدور بأوهام منكرها ، وأنها ذخيرة من القوة وحوافز الحياة تمد الجماعات البشرية بزاد صالح لا تستمدحها من غيرها ، وأن هذه الذخيرة ( الضرورية ) خلقت لتعمل عملها ولم تخلق ليعيب بها العابثون كل باطل بأحدم طائف من الوم أو طارت برأسه نزع طارضة لا تثبت على امتحان » ١٥

هذه الصورة الدقيقة للأديان البديلة الكلية الشاملة totalisme يرزعا نهرو . كذلك حيث يقول .

« ما هي الماركسية ؟ إنها طريقة لتفسير التاريخ والسياسة والاقتصاد والحياة والزاعات البشرية ، وهي نظرية ودعوة لعمل ما ، وفلسفة تتناول جميع نواحي النشاط الإنساني ، ومحاولة لجعل التاريخ بماضيه وحاضره ومستقبله نظاما منطقيًا يحمل في طياته مصائر محتمة كالقدر ، ولكن الناس يشكون في كون حياتهم منطقية بهذا الشكل ومعتمدة على قواعد مقطوعة مبتوت فيها » ٢٥ « وكمن نبوءات ماركس لم نصب التحقيق ؟ »

وكل لازمة من لوازمه ، ولا يستغنون عما فيه من عنصر الإيمان والاعتقاد التي لا سند لها غير مجرد التصديق والشعور ، ثم يجرّدونه من قوته التي يدها في أعماق النفس لأنهم اصطنعوا اصطناعا ولم يرجعوا به إلى مصدره الأصل . فالؤمنون بهذه الفلسفة المادية يطلبون من شيعتهم أن يكفروا بكل شيء غير المادة وأن يعتقدوا أن الأكوان تنشأ من هذه المادة في دورات متسلسلة ، تحصل كل دورة منها في نهايتها لتعود إلى التركيب في دورة جديدة وهكذا دواليك ثم دواليك إلى غير انتهاء .

ويطلبون منهم أن يتظروا النعيم المقيم على هذه الأرض متى صحت نبوءتهم عن زوال الطبقات الاجتماعية ، فإن زالت الطبقات الاجتماعية في هذه السنة أو بعدها يضع سنوات فذلك بداية العرّوس الأبدي الذي يدوم ما دامت الأرض والسموات وتنتهي إليه أطوار التاريخ كما تنتهي يوم القيامة في عقيدة المؤمنين بالأديان . ولا يكلف دين من الأديان أنبأه تصديقا أغرب من هذا التصديق ولا تسليحا أتم من هذا التسليم ، ولا يخلو دين الفلسفة المادية من شيطانه وهو الرأسمالية الخبيثة ، فكل ما في الدنيا من عمل سوء أو فكرة سوء فهو كيد من هذا الشيطان الماكر المريد . . . ولما طبقت هذه العقيدة على أيدي أصحاب الفلسفة المادية خيل إليهم أنهم ظفروا بحقيقة الحقائق واستغنوا بها

١٥ من مقدمة الفلسفة القرآنية .

٢٥ لخات من تاريخ العالم - طبع بيروت ١٦٨٠ .

يريد الإنسان أن يتحرر من الخوف حتى  
من الله . فإذا به يخاف من القطعة السوداء ،  
ورقم ١٣ ، وتشكيكة عجيبة من أوام النشاوم  
ويتفائل بتشكيكة أخرى أعجب من ألوان  
المشترات !!

• والذين كذبوا بآياتنا هم وبكم  
في الظلمات ، من يشأ الله يضلله ، ومن يشأ  
يحمده على صراط مستقيم ،

• سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في  
الأرض بنير الحق . وإن يروا كل آية  
لا يؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشده  
لا يتخفوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الفى يتخفوه  
سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين .  
والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ،  
حبطت أعمالهم ، هل يجهزون إلا ما كانوا  
يعملون ؟

• فذلکم الله ربکم الحق فإذا بعد الحق  
إلا الضلال ؟ ؟ غافى تصرفون .

• أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد  
القهار ؟ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها  
أنتم وأبائكم ما أنزل الله بها من سلطان ،  
إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ،  
ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون . ؟

فتمى عقابه

لا ملجأ من الله إلا إليه . . .  
تلك صبرة الواقع ، وما أهدح الثمن الذى  
دفعت البشرية للتخلص من الدين والإله . . .  
لقد وقعت فيما أرادت أن تتوقاه . . .  
وأمنت بأمتاع ما أرادت أن تتحرر منه  
حين تكفر بالله .

أما المؤمن بالله ، فهو كافر بكل ما عداه :  
يؤمن بالله فيتحرر من كل الضغوط  
والنزوات ، وتطلق قواه التى لا ترضخ لغير  
فاطرها ، والتى يكسبها الإيمان قوة دافعة إذ  
يرضى الأشواق الخفية ويحطم أغلال الآلهة  
الباطلة الظاهرة ويوازن بين شق الدوافع  
والاحتياجات :

فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر  
الناس عليها . ذلك الدين القيم ، ولكن  
أكثر الناس لا يعلمون . .

وكم تبدد طاقات الناس بين الضعف الكبير  
والكبر المغرور . . . وكم تضيع فى التخبط  
والتمزق قوى كانت تأتى بربح أو فربا أنفقت  
فى الاعتقاد المستنير المنهج إلى قبة واحدة  
ومعبود ليس له شريك .

• قل إن كان آباؤكم ، وأبناؤكم ، وإخوانكم ،  
وأزواجكم ، وحشيتكم ، وأموال اقترفتموها  
وتجارة تمخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ،  
أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى  
سبيله ، فربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله  
لا يهدى القوم الفاسقين .

منه زحالات الإسلام

## السيد أحمد خاتون مؤسس جامعة عليكم

دون أن يحقق أهدافه . وحاول اسماعيل جليبرنكي أن يقنع حكومة روسيا بانباع موقف ودي مع المسلمين الروس بينما قام مدحت ( باشا ) بتكوين حكومة دستورية في تركيا افتتح السلطان عبد الحميد نفسه أول برلمان فيها .

أحمد خاتون يهرب للعمل . . .

في مثل هذه الظروف هب السيد أحمد خاتون لقيادة حركة النهضة في شبه القارة الهندية الباكستانية . والسيد أحمد هو سليل عائلة عربية في دلهي ، وقد ارتقى مناصب الدولة حتى عين وزيراً لآخر ملك من ملوك الحصن الأحمر . وقد أوجعته الظروف إلى العمل في شركة الهند الشرقية وأن يظل في خدمة « التاج » ، بصد عام ١٨٥٧ . وقد أنقذ حياة عدد كبير من البريطانيين والبريطانيات وحرص نفسه في سبيل ذلك للأخطار . وشاءت الحكومة الجديدة أن تكافئه على هذه الخدمات

بلغ تدهور الشعوب الإسلامية أدنى درجاته في القرن التاسع عشر ، وما أن ابتدأت موجة المد ترتفع قليلاً حتى هبت بعض الشخصيات اللامعة فتود حركة التقدم في شتى الأنظار الإسلامية . وكان منهم من قاد حركات على نطاق دول وآخرون قصرُوا جهودهم على الميدان القومي . وكان بعض هذه الحركات يقوم على أساس ديني ، والبعض الآخر على أساس دستوري ، وحركات تقوم على أساس ثوري أو سلمي لاتعمدها . فحمد بن عبد الوهاب ، زعيم الحركة الوهابية في نجد ، كان زعيماً دينياً لم يغبأ بالشؤون السياسية والاقتصادية أما محمد أحمد ، الذي ادعى بأنه المهدي ، فقد شن حرباً في السودان قامت على أسس دينية سياسية ، كان القصد منها تحرير السودان من السيطرة الأجنبية . أما ثورتا عرابي في مصر والشيخ عبد القادر في الجزائر فلم تأتيا بالنتيجة المطلوبة . وحارب الشيخ شامل حكومة القيصري في جبال داغستان ( القوقاز ) سنوات عديدة



تسير إلى الاتجاه الذي يسلكه عقله المفكر . فقد أراد من المسلمين أن يطرحوا رداء اليأس والقنوط ويحاولوا إنقاذ ما يمكن إنقاذه . وكان من الطبيعي ألا يصادف تداؤه هذا أذانا صاغية لدى أمته في بادئ الأمر وخاصة وأنها كانت ساددة في نحوها وجهلها ، ناظرة بعين الازدراء إلى ذلك التطور الذي كان يصيب شتى مرافق البلاد ولا يستفيد منه إلا الهندوس فإذا ما هاجم القادة الاجتماعيون ، والرعماء الدينيون دراسة اللغة الإنجليزية والعلوم الغربية فإنهم إنما كانوا يفعلون ذلك تعبيراً عن خواطر الأمة وتغفياً عن حقد دفين لم يكن له ما يبرره .

وابتداً عمله الحقيقي بعد استقالته من وظيفته الحكومية لدى بلوغه التاسعة والخسين ، وقد بدأ هذا العمل فيما أطلق عليه « حركة عليكرة » وكان في ذلك الوقت قد تمكن من التفرغ لمتابعة تحقيق الحلم الذي طالما راوده . واستهل هذا العمل بإنشاء جمعية عليكرة العلمية وذلك لكي يفتح أذهان بني قومه ويصرم بشئون التقدم العلمي الذي وضع زعامة العالم في أيدي الدول الغربية . وابتدأت ترجمة هذه الكتب العلمية من الإنجليزية إلى الأوردية كما ألفت كتب عديدة حول الموضوعات الهامة كالتاريخ والدين ، ألّفها بعض العلماء المشهورين .

وإذا كانت عظمة الزعيم تقاس بالرجال

ولكنه رفض صلاياها الضخمة مكثفياً بما كان يناله من معاش ضئيل . وظل يعمل في خدمة الحكومة حتى عام ١٨٧٦ . وبعد أن شاهد حالة الرعب التي سادت عام ١٨٥٧ وأعمال الانتقام التي كان يقومها الحكام الجدد للقضاء على المسلمين في الهند ابتداً عقله الكبير ذو الحساسية الشديدة يبحث عن وسائل لقيادة حركة النهضة . ولما كان موظفاً حكومياً فقد حيل بينه وبين الاشتراك في نواحي الحياة العامة ، إلا ما تعلق منها بالشئون الثقافية . واختط السيد أحمد لنفسه طريقاً مناسباً للظروف ، وكانت جميع القرائن توحى بأن هذا الطريق سيؤتي أكله . وذلك لما عرف عن السيد أحمد من عبقرية نادرة . وقد شعر السيد أحمد منذ البدء بأنه إذا رغب مسلمو شبه القارة الهندية في إنقاذ أنفسهم من الفناء فإن عليهم أن يتعلموا اللغة الإنجليزية وأن يشتركوا في إدارة دفة البلاد بالقدر الذي يسمح به البريطانيون لرعاياهم من الهنود . كما أنه طلب من المسلمين أن يقدروا مدينة أسيادهم الجسد وثقافتهم حق قدرها ، وأن يدرسوا مختلف العلوم التي جعلت الغرب يسبغهم بمراحل طويلة ويتركهم في المؤخرة . واستهل السيد أحمد أعماله باقتراح مدارس ثانوية وعليا في بنارس وجزيبور ومراد آباد . وكانت هذه البداية محدودة ولكنها كانت

التي تنطوي عليها كتاباته الدينية في إمكانية تفسير الدين تفسيراً منطقياً يحتمل . وتشمل هذه المبادئ كذلك أن الدين إذا كان ديناً حقاً فيجب ألا يتعارض مع مكتشفات العلم الحديث لأنه يؤمن باستحالة تعارض ما يصدر عن الله جل جلاله من عمل وما يوحى به من الكلام . وقد أكدت هذه الآراء السيد أحمد صفة « الرجل الطيبي » وهي صفة فاضلة ترادف في معناها كلمة « الملمد » ، وهذا خلاف الواقع . ولكن السيد أحمد لم يسمح لهذه المعارضة الشديدة بأن تتأثر من عزمه ، واحتفظ بروحه العالية حتى النهاية . بل إن هذه المعارضة الشديدة قد زادت عزيمته مضاعفة وضاعفت من جهوده حتى قضى عليها . ولم يمتدح جيل واحد على وفاته حتى وضع زعماء مدرستى « ديوبانده » و « فرنگي محل » أيديهم في أيدي أتباع مدرسة طليكرة في حركتهم الجديدة .

### مركز سياسي

ويحتل كتابه « أسباب العصيان الهندي » الذي أسرف في إطراره مستر هيوم ، مكانة مرموقة على الرغم من صغر حجمه . وقد ألف السيد أحمد رداً على كتاب « مسلمي الهند » الشهير الذي ألفه و . هنتر وانتقد فيه المسلمين وطلب فيه من الحكومة أن تأخذ حذرهما منهم . وقد وضع هذا الكتاب

الذين يحيطون به فإن شخصيات شيراغ علي ، وحالي ومحسن الملك ، وذكاء الله ونذير أحمد وغيرهم من الخلفاء والمساعدين لجديرة بأن تمنح الرجل صفات العظمة . ولم يقتصر عمل السيد أحمد على حث الآخرين على النهوض بالأدب الأوردي بل إنه ألف بنفسه كتباً كثيرة باللغة الأوردية ، وقدم البلاد أسلوباً حديثاً لهذه اللغة . ولم يشأ السيد أحمد أن يقصر ميدان نشاطه على الطبقة المثقفة المتعلقة بل أراد أن يشمل هذا النشاط جميع طبقات الشعب ، فأشأ لهذا الغرض مجلة أسبوعية سماها « تهذيب الأخلاق » وراح يحاول فيها تهذيب فكرة الإسلام التي كانت قد علفت بها الشوائب في ذلك الحين . وقد أحدثت هذه الصحيفة نشوة خاصة بين طبقات المتدينين .

وكانت الخدمات الدينية التي قدمها السيد أحمد متعددة متشعبة أنارت بصيرة بني قومه الذين كانوا يغطون في سبات عميق . ومن بين هذه الخدمات صحيفة « تهذيب الأخلاق » التي غزت جميع الأوساط ومنها تعليماته العالية على القرآن التي ضمنها ستة مجلدات قبل وفاته ، ومنها كتابه الجري . ومقالاته عن حياة محمد الذي ألفه ونشره في لندن . وقد ألف السيد أحمد عن هذا الكتاب رداً على كتاب « حياة محمد » للسير ولیم مویر . وتتلخص المبادئ

مسترا . ميوم ، قال لصاحب زاده افتاب أحمد خان : « إني لم أشعر بحاجتنا إلى معرض للآراء في الهند إلا بعد قراءة كتاب السيد أحمد خان ( أسباب العصيان الهندي ) » . وتلا ذلك تأسيس حزب المؤتمر الهندي الوطني . أما النصيحة التي قدمها السيد أحمد خان للمسلمين بعدم الانضمام إلى حزب المؤتمر فقد جاءت بعد تأسيسه بفترة طويلة ، وكانت وليدة تجارب مريرة ، فقد بدأ حركته بتثنيه الهندوس والمسلمين بيني الدولة ، ولكنه ما أن اكتشف أن الهندوس يعملون على إزالة كل أثر للثقافة الإسلامية وعلى إزالة معالم اللغة الأوردية حتى غير موقفه وطلب من المسلمين الاعتماد عن هذا الحزب .

وقد جاء دفاعه المجيد عن تمثيل الهنود في الهيئات التشريعية بعد أن راقب عن كثب كيفية إدارة الحكم الديموقراطي في البلاد والسياسة التي يتبناها زملاؤه الهندوس في المجلس التشريعي . وقد ألقى السيد أحمد خان في يناير عام ١٨٨٣ خطاباً أثناء مناقشة مشروع قرار اللورد ريبون عن الحكم الذاتي فقال :

« إن نظام التمثيل الثنائي عن طريق الانتخاب يعني تمثيل رأى أغلبية الشعب ومصالحها . وهذا النظام هو أصلح النظم للبلاد التي تضم

البريطانيين ، بما فيه من تحليل رائع أعاد ، فداحة الأخطاء التي يرتكبونها في الهند ، وأبان لهم مسئوليتهم عن الحوادث التي وقعت عام ١٨٥٧ . فهو يقول أن أسباب وقوع هذه الحوادث ترجع إلى عدم إشراك الهنود في إدارة شئون بلادهم وانعدام الاختلاط الاجتماعي بين الحكام والمحكومين وتدخل الحكومة في الشؤون الدينية تدخلًا غير مرغوب فيه . وجدير بالذكر أن السيد أحمد خان كان يطبع هذه الآراء الجريئة وينشرها في وقت كانت كل الهند تن في تحت وطأة الأحكام العرفية . وعلى الرغم من جميع الخلافات التي كانت قائمة بين الهندوس والمسلمين حول المسائل الدينية والنظرة الاجتماعية فإن السيد أحمد خان كان يشعر دائماً بأن العمل المشترك لا بد وأن يؤدي في النهاية إلى وحدة وتوافق في الميدان السياسي . وقد قام زعيم حركة عليكرة بقيادة حركة المطالبة بحقوق الهنود وحررتهم في المجلس التشريعي للحاكم العام ، على الرغم من ضآلة ما يعرفه من اللغة الإنجليزية وكان ذلك قبل أن يسمع أحد « بالمؤتمر الهندي الوطني » بسنوات عديدة ، ولا يزال خطابه الشهير عن الحكم الذاتي في الهند يجد صدى لدى جميع الذين يطالبون بالحرية . ويرى أن مؤسس « المؤتمر الهندي الوطني » ،

دراوين الحكومة بقدر الإمكان والاستعاضة عنها باللغة الهندوسية . وكان السيد أحمد يقول دائماً : إنه ابتداء يشعر بعد هذا القرار بأنه قد أصبح من المعتذر على المسلمين والهندوس أن يكونوا أمة واحدة ، كما أصبح من المعتذر على طرف من الطرفين العمل من أجل الطرفين معا . وهذه هي كلماته في هذا الموضوع : « في هذه الأيام التي اشتد فيها الصراع بين اللغتين الأوردية والهندوسية في بنارس قابلت مستر شكسبير ، المندوب البريطاني هناك ، وكنت أحدثه عن شئون تعليم المسلمين وهو يستمع إلىّ والبهشة تعلو وجهه ثم قال : هذه هي المرة الأولى التي أستمع فيها إليك وأنت تحدث عن تقدم المسلمين وحدهم . لقد كنت دائماً حريصاً على أن تتكلم عن مصالح بني قومك جميعاً . فقلت : لقد اقتضت الآن بأن هاتين الأمتين لن يتدرج لهما الاتحاد حول أي موضوع أبداً . »

#### نضال من أجل التعليم :

وكان السيد أحمد يعتقد أن حاجة المسلمين إلى تعليم صحيح يقوم على أسس سليمة تزيد على حاجتهم إلى كفاية سياسية . ولهذا فقد أسس أعظم مركز للتعليم الإسلامي الحديث والثقافة الإسلامية في شبه القارة الأوروبية - جامعة عليكرة الإسلامية - وقد ابتدأت هذه الجامعة كدراسة صغيرة تضم اثني عشر

عنصراً واحداً يمثل عقيدة واحدة . أما في بلد كالهند حيث لا يزال التمييز العنصري سائداً ، وحيث ينعدم تمازج العناصر المتفرقة ، وحيث التمييز الديني لا يزال على أشده ، وحيث يحجز التعليم عن تقديم الفرص المتكافئة لجميع العناصر ، فإني أعتقد أن اتباع مبادئ الانتخابات المعروفة لتمثيل مختلف المصالح في المجالس المحلية والمجالس الإقليمية لن يؤدي إلا إلى نتائج وخيمة لا تقتصر على الناحية الاقتصادية وحدها . إننا لا نستطيع أن نأمن عثرات هذا النظام الانتخابي المألوف ما دامت الخلافات قائمة بين العناصر والأديان ، وما دام التمييز العنصري يشكل عاملاً هاماً من عوامل التكوين الاجتماعي السياسي في الهند ، ويؤثر على سكان الهند في المسائل التي تتعلق بإدارة شئون البلاد ورعاية مصالحها . ففي مثل هذه الحالة ستتحكم طائفة الأغلبية في مصالح الأقلية الضئيلة . »

ونقتطف فيما يلي نبذة من ترجمة حياة السيد أحمد التي ألفها « حالي » وهي تعطينا صورة واضحة عن رجل سياسي ثنباً بوقوع حوادث في المستقبل انتهت بتأسيس دولة الباكستان : « اتخذ بعض زعماء الهندوس في بنارس عام ١٨٦٧ قراراً بوقف استخدام اللغة الأوردية التي تكتب بأحرف فارسية في

وابتداً شبان المسلمين يدخلون وظائف الحكومة وميدان الأعمال الحرة . وارتقى البعض أرقى مناصب الدولة وتزعم البعض الآخر ميادين القانون والطب والهندسة والصحافة وغيرها من المهن . ولم يكن هذا ليحدث بدون هذه الحركة التي رفعت شأن المسلمين بعد أن طال عليهم الآمدوم في الخضيض من الناحيتين الاجتماعية والسياسية . وضمت حركة عليكرة فضلاً عن الطلاب الذين قدموا إليها من شتى أنحاء الهند طلاباً من بورما والملايو وسيلان وجنوب إفريقيا وشرقها وأفغانستان . وانبعثت عن هذه الحركة حركات وأقسام الكعبة ، و « حركة الخلفاء » ، وقد نظم حفلة تنصيب نائب الملك في عام ١٩٠٩ التواب محسن الملك خليفة السيد أحمد في عليكرة وكان ظهور حزب الرابطة الإسلامية نتيجة منطقية لهذه الحركة وكان زعماء هذا الحزب يستشيرون بأراء نواب وقار الملك في عليكرة .

وليس هناك أدنى شك في أن جميع مظاهر نهضة المسلمين في شبه القارة تعود في أصلها إلى حركة عليكرة . لقد أحيا السيد أحمد بحركته هذه نظاماً من الفوضى ، وكون كتلة إسلامية في العالم من بين أنياب البؤس وأعداها لتكون مصيرها على صورة « الباكستان » .

تليذا ، واتخذت أول مقر لها في أحد مساكن الضباط المهجورة في معسكر عليكرة . ثم نمت حتى أصبحت الكلية المحمدية الإنجليزية الشرقية عام ١٨٧٦ ، وكان مؤسس هذه المدرسة يهدف من وراء هذا المشروع إلى تكوين « قرطبة » جديدة في الشرق تحت على البحث الحر والتسامح وتدرس غير ما في الشرق والغرب معا ، وتحاول خلق فرع من الثقافة الإسلامية والعلوم الغربية ، لقد شاهد السيد أحمد أكسفورد وكبردج ودرس فيهما قائدة نظام الحياة الجامعية : وقد وقتت مياسة الحكومة العامة والقوانين التي تقيد تقديم المساعدات المالية للدارس دون تحقيق هذا المشروع . ولذا فقد قنع السيد أحمد بتأسيس أكبر كلية داخلية في البلاد ، وترك للمستقبل مسألة تحويل هذه الكلية إلى جامعة أحلامه .

وابتدأت بإنشاء هذه الكليات حركة عليكرة ، وهي أكبر حركة من نوعها صادفت نجاحاً كبيراً في العالم الإسلامي . وقد وضع السيد أحمد نصب عينيه منذ البدء ألا يقتصر نشاط هذه الكلية على الإقليم الذي أنشئت فيه وتحقيقاً لهذا الغرض قام بزيارة لجميع المراكز الإسلامية في الهند وحث مسلمي جميع الأقاليم في المؤتمر التعليمي الإسلامي على فتح المعاهد التعليمية في مناطقهم . وازداد نجاح الحركة

# الإسلام والفلسفة

## للاستاذ الدكتور سليمان دُنيا

ولن يحلّق كل ذلك على أن أنصب أو أتحمّل ؛ لأن قضية العلم التي أراها تسمو على الجمالة ، أرى أن أنصب لها بغير حق امتنان لها واقتيات عليها .

والآن ، هل في تأليف الغزالي لكتاب « تهافت الفلاسفة » ما يصح القول بأنه هو والإسلام معا عدوان للفلسفة ؟ لتأخذ الأمر مسألة مسألة ، ولننظر أولا في موقف الغزالي من الفلسفة . ولاضع بين يدي القارئ النص التالي من كتاب « تهافت الفلاسفة » يقول الغزالي ص ٧٧ ط ٣ دار المعارف :

« ليعلم أن الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق ثلاثة أقسام :

فم يرجع النزاع فيه إلى لفظ مجرد كتسميتهم صانع العالم ، تعالى عن قولهم ، جوهر ، مع تفسيرهم الجوهر بأنه الموجود لا في موضوع ، أي القائم بنفسه الذي لا يحتاج إلى مقوم يقومه ، ولم يريدوا بالجوهر المتحيز ، على ما أرادوه خصومهم .

ولسنا نخوض في إبطال هذا ؛ لأن معنى القيام بالنفس إذا صار متفقا عليه ، رجع الكلام في التعبير باسم الجوهر عن هذا المعنى

يبدو أن كتاب الغزالي المعلن « تهافت الفلاسفة » قد جر على الغزالي الاتهام بأنه عدو الفلسفة ، وجر على الإسلام بالتالي تهمة العداء للفلسفة .

فهل صحيح أن صاحب « تهافت الفلاسفة » عدو للفلسفة ؟ وأن الإسلام عدو للفلسفة كذلك ؟

أريد أن أعرض رأي في هذه المسألة آملا أن يصل صوتي إلى آذان كل أصحابها كلام عاجل حول هذه المسألة ، في مجلس ضئلي بهم ، ولكنه مع مجلته صريح فيما يريدون .

والظروف التي اضطرتهم إلى العجلة فيما يقولون هي نفسها التي حالت دون تعقيب على ما يقولون . ولكن إذا كانت فرصة التعقيب الشفوي قد فانت ، فلا أحب أن تفوت الفرصة كلية ؛ ذلك لأنني لا أعرف الجمالة في العلم ، فللم علم عندي قضية تسمو على الجمالة ؛ ولأن قضى لا تطلوحن أن أقف من آراء تبين لي صحتها موقفا سليما وهي تهائم ، ولا أن يعرف الناس حتى هذا الموقف .

وضعف أمره ؛ فإن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسابية ، لا يبق معها ريبه ، فمن يطعن عليها ويتحقق أدلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما إلى الانجلاء ، إذا قيل له : إن هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وإنما يستربى الشرع ، وضرر الشرع عن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره عن يطمئن فيه بطريقه ، وهو كما قيل عدو حافل خير من صديق جاهل .

فإن قيل : فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله وإلى الصلاة » . فكيف يلائم هذا ما قلوه ؟ قلنا : وليس في هذا ما يناقض ما قلوه ؛ إذ ليس فيه إلا نقي وفوق الكسوف لموت أحد أو لحياته والأمر بالصلاة عنده ، والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والطلوع ، من أين يبعد منه أن يأمر عند الكسوف بها استحباباً ؟

فإن قيل : فقد روى أنه قال في آخر الحديث : « ولكن الله إذا تجلى لشيء خضع له ، فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلى . قلنا : هذه الزيادة لم يصح نقلها ، فيجب تكذيب ناقلها ، وإنما المروى ما ذكرناه ، كيف ولو كان صحيحاً لكان

إلى البحث عن الفقه . وإن سوغت الفقه لإطلاقه رجوع جواز إطلاقه في الشرع إلى المباحث الفقهية ؛ فإن تحريم إطلاق الأساس وإباحتها يؤخذ مما يدل عليه ظواهر الشرع .

ولمّا قلنا : هذا إنما ذكره المتكلمون في الصفات ، ولم يورده الفقهاء في فن الفقه ، فلا ينبغي أن تتبس عليك حقائق الأمور بالمعادات والمراسم ، فقد عرفت أنه بحث عن جواز التلفظ بلفظ صدق معناه على المسمى به فهو كالبحث عن جواز فعل من الأفعال .

القسم الثاني : ما لا يصدّم مذهبهم فيه أصلاً من أصول الدين وليس من ضرورة تصديق الأنبياء والرسل — صلوات الله عليهم — منازعتهم فيه كقولهم : إن الكسوف القمري عبارة عن انمحاض ضوء القمر بتوسط الأرض بينه وبين الشمس ، من حيث إنه يقتبس نوره من الشمس ، والأرض كرة ، والسماء محيط بها من الجوانب ؛ فإذا وقع القمر في ظل الأرض انقطع عنه نور الشمس .

وكقولهم : إن كسوف الشمس معناه وقوع جرم القمر بين الناظر وبين الشمس ، وذلك عند اجتماعهما في العقدين على دقيقة واحدة . وهذا الفن أيضاً لسنا نخوض في إبطاله ؛ إذ لا يتعلق به غرض ، ومن ظن أن المناظرة في إبطال هذا من الدين ، فقد جنى على الدين

عن القسم الأول من أوجه الخلاف بين من ينصب نفسه مدافعاً عن الدين ، وبين غيره ممن لا يتخذ الدفاع عن الدين غرضاً من أغراض تفكيره ، يهتم بالمعانى أكثر مما يهتم بالألفاظ وإذا كان قد انتهى آخر الأمر إلى ضرورة الرجوع إلى الفقه لأخذ إذن منه باستعمال ألفاظ مستحدثة في مجالات الدين ، فهو يعلم أبلغ العلم - لأن له أبحاثاً في الفقه تنبئ عن تضلعه فيه - أن الفقه لا يمنع من هذا الاستعمال ؛ لأن من أقواله الراجحة ، أن هذا الاستعمال مباح ، متى سلم المعنى .

ولترك القسم الأول ؛ فإن خطره فيما نحن بصدده من أمر ، ضئيل ، ولنتقل إلى القسم الثاني ، وهو - عند الغزالي - كل أمر من الأمور التي لا تعالج أصلاً من أصول الدين . وما أوسع مجال هذا القسم وأبعد مداه ، فهو يشمل المسائل الطبيعية كلها ، يشمل بحسب الأرض وما تحتويه من معادن وعناصر ونبات وحيوان ، وإنسان ، ويشمل السماء وما تحتويه من كواكب وأفلاك وهواء ، ويشمل المنطق والرياضيات .

وإذا كان الاستثناء معيار العموم ، كما يقول رجال النحو القديم ، فإن الاختصار على إخراج المسائل التي تعالج أصول الدين ، من مجال هذا القسم إيدان بشموله وعمومه ؛ فإن المسائل التي تعالج أصول الدين محدودة محدودة .

تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية ، فكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التي لا تنتهى في الوضوح إلى هذا الحد ؟ وأعظم ما يفرح به الملاحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق إبطال الشرع إن كان شرطه أمثال ذلك .

وهذا لأن البحث في العالم عن كونه حادثاً أو قديماً . ثم إذا ثبت حدوثه فسواء كان كرة أو بسيطاً ، أو مستديماً أو مشتماً ، وسواء كانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة كما قالوه ، أو أقل أو أكثر ، فحسب النظر فيه إلى البحث الإلهي كنسبة النظر في طبقات البصلة وعددها ، وعدد حباب الرمان ، فالمتصور كونه من فعل الله فقط ، كيفما كان .

القسم الثالث : ما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين كالقول في حدوث المصالح وصفات الصانع وبيان حشر الأجساد والأبدان ، وقد أنكروا جميع ذلك .

فهذا الفن ونظائره هو الذي ينبغي أن يظهر فساد منهجهم فيه دون ما عداه .

وليعدرنى القارىء إذا أثقلت عليه بذكر نص طويل كهذا ؛ فإن المقصود أن نذكره في الأمر ، وأن نضع حيثيات حكمنا كاملة بين يديه ، والتلخيص وحكاية الرأى في غير عبارة صاحبه يفوتان هذا المقصد .

ومن النص يتبين أن الغزالي في حديثه



يا عجباً كل العجب ١١٤ كيف يقال عن  
يوجب تأويل النصوص الدينية إذا عارضت  
أموراً يقطع العقل بصحتها لأنه عدو للفلسفة  
وإني لأتساءل في دهشة : هل مسائل الفلسفة  
قطعية ؟ أم ليست بقطعية ؟ فإن كانت قطعية  
فالفزالي الذي يقال عنه : إنه عدو للفلسفة  
يرى ضرورة التمسك بها وصرف النصوص  
الدينية التي تتعارض معها عن ظواهرها ؛  
فإذا ينتظر منه أن يقول — لكي يرضوا عنه  
ولكي لا يكون في نظرهم عدواً للفلسفة —  
أكثر من هذا ؟ .

وإن لم تكن مسائلها قطعية ، فهل يريد  
دعاة التجديد — وقت ما يكونون هم أنفسهم  
في حيرة من أمر بحوثهم — أن يسبقهم  
الفزالي إلى الإيمان بها لكي يرضوا عنه  
ولا يتهموه بعداوة الفلسفة ؟ .

أستمع القاري عذراً إذ أخرج به قليلاً  
عن الحدود التي رسمتها للبحث وهي الوقوف  
مع كتاب التفات لمعركة هل يستحق الفزالي  
من أجله أن يصير عدواً للفلسفة ؛ لأضع بين  
يده فقرات من كتاب مقاصد الفلاسفة الذي  
ألفه الفزالي ليكون تمهيداً لكتاب تفات  
الفلاسفة ، حيث تبين هذه الفقرات رأي  
الفزالي صراحة في تمكين العقل من البحث  
في فروع الفلسفة المختلفة ، يقول الفزالي ص ٣٠  
ج ١ صبيح :

وفي هذا المجال الفسيح يعطى الفزالي للعقل  
البشري حرية مطلقة يبحث ويفتش ويستنتج  
ويقرر كل ما يمن له من أمر . ويحرم الفزالي  
تحريراً باتاً قاطعاً أن يتدخل إنسان في هذا  
المجال باسم الدين . ويسلك الفزالي في بيان  
ذلك التحريم مسلكاً يشعر بأن مصلحة الدين  
نفسه تقضي بعدم التعرض للباحثين في هذه  
المجالات ؛ ليكون ذلك أدخل في إقتناع من  
تحمليهم الضيقة المفرطة على الدين أن يزجوا  
باسمه في كل شأن من الشؤون ، بعدم التعرض  
باسم الدين للباحثين في هذه المجالات ،

وإذا كانت هذه المجالات واسعة كل السعة  
تتناول العلوم كلها وفروع الفلسفة كلها ما عدا  
فروعاً واحداً منها يسمى ما وراء الطبيعة وبعض  
مسائل تلابسه ، وإذا كان الفزالي يعطى للعقل  
حقاً مطلقاً في أن يتصرف في هذه المجالات  
كما يشاء ، وكما تهديه المناهج الصحيحة ، فلا يرضى  
الإيصال أن يقال عن الفزالي : إنه عدو للفلسفة  
لأنه ألف كتاباً اسمه تهافت الفلاسفة ، اللهم  
إلا أن يكون الكتاب يقرأ من ضوائه .

فأية جرأة يمكن أن تساند العقل وتقف  
بجانبه أكبر من قول الفزالي : كيف ولو كان  
صحيحاً ما قيل من أن الرسول صلى الله عليه  
وسلم قال : د إن الكسوف خضوع بسبب  
التجلى ، لكان تأويله أهون من مكابرة أمور  
قطعية ، فكم من ظواهر أولت بالأدلة  
العملية التي لا تنتهي في الوضع إلى هذا الحد ،

وفي قول الغزالي عن الإلهيات : « فأكثر عقائدهم فيها على خلاف الحق ، والصواب فيها نادر ، دون قوله : « فأكثر عقائدهم فيها على خلاف الدين » ، ما يشير أيضا إلى أنه يلتزم الحق والصواب ويبحث ضمنهما ، فهل يقال ممن يبحث عن الحق والصواب : إنه عدو للفلسفة إلا أن تكون الفلسفة تبحث عن شيء غير الحق والصواب ؟

وفي قول الغزالي عن المنطقيات : « إنها على منهج الصواب » ، ما يشير إلى أن الغزالي يحترم المنطق الذي كان معروفا في عصره ، وهو المعروف بالمنطق الأرسطي ، ولشد ما أنا متدهش عن أتحدث إليهم في مقال هذا ، أن أجدهم يقولون : إن الغزالي عدو لمنطق أرسطو وله تأليف في تقده وتزييفه ، ولم يك ذلك القول منهم يعني أن الغزالي بلغ شأوا يجعله قادرا على أن يستدرك على أرسطو ويصح بعض أخطائه ، وإنما كان يعني أن الغزالي بلغ من السخف مبلغا جعله يتناول على أرسطو - نعم لشد ما أنا متدهش أن أسمع من الغزالي ذلك ، وهو الذي يقول عن منطق أرسطو في كتاب « مقاصد الفلاسفة » : « إنه منهج الصواب » . وهو الذي يقول أيضا عن هذا المنطق نفسه في كتابه « تهاافت الفلاسفة » ، ص ٨٣ :

« فله تولى : إن المنطقيات لا بد من إحكامها

« إن علومهم أربعة أقسام : الرياضيات والمنطقيات ، والطبيعيات ، والإلهيات .

أما الرياضيات : فهي نظر في الحساب والهندسة ، وليس في ، مقتضيات الهندسة والحساب ما يخالف العقل ولا هي مما يمكن أن يقابل بإنكار وجحد ، وإذا كان كذلك فلا غرض لنا في الاشتغال بإيراده .

وأما الإلهيات ، فأكثر عقائدهم فيها على خلاف الحق ، والصواب نادر فيها .

وأما المنطقيات : فأكثرها على منهج الصواب ، والخطأ نادر فيها ، وإنما يخالفون أهل الحق فيها بالاصطلاحات والإيرادات دون المعاني والمقاصد ، إذ غرضها تهذيب طرق الاستدلالات ، وذلك مما يشترك فيه النظار .

وأما الطبيعيات : فالحق فيها مشوب بالباطل والصواب فيها مشتب بالخطأ فلا يمكن الحكم عليها بغالب ومغلوب ، ويستصح في كتاب التهاافت بطلان ما ينبغي أن يعتمد بطلانه .

وفي قول الغزالي عن الرياضيات : « وليس في مقتضياتها ما يخالف العقل ، ولا هي مما يمكن أن يقابل بجحد » ، ما يشير إلى أنه يتخذ العقل وسيلة في قبول ما يقبل ورفض ما يرفض ، وكيف يقال ممن يحكم العقل فيها يقبل ويرفض : إنه عدو للفلسفة إلا أن تكون الفلسفة تأتي حكم العقل ؟

كتاب « معيار العلم » الذى هو المختار بالمنطق عندهم .

وكتاب « معيار العلم » الذى هو منطق صرف على نهج أرسطو مطبوع موجود، وهو شاهد مادي على أن الفزائى ألف فى تأييد منطق أرسطو واحتكم إليه فى أعنف خصوماته .

نعود إلى القسم الثالث والآخر من الأقسام التى أوردنا الأول والثانى منها . ويعد الفزائى هذا القسم بأنه الذى تصطبغ فيه أفكار الفلاسفة بأصل من أصول الدين ، وحتى فى هذا القسم لا يقول الفزائى للفلاسفة : أنتم تقولون كذا ، والله يقول بخلافه ، فأنتم كاذبون والله صادق ، نعم لم يقل الفزائى للفلاسفة ذلك ، ولو أنه فعل لما جاز لنا أن ننسى ما فتح أمام العقل من ميادين متعددة فسيحة جعله فيها حراً طليقاً من كل قيد ، ونذكر له فقط مسائل معدودة قيد فيها العقل بقيود ، وننته من أجل ذلك بأنه عدو للعقل والفلسفة ، فما بالنا وهو لم يفعل ، بل حتى فى مسائل هذا القسم التى يرى أن الفلاسفة فيها يخالفون أصول الدين ، لم يلبأ إلى قدسية الدين يصوغ منها وجوده على الفلاسفة ، وكيف والدين خصم ، والخصم لا يكون حكماً ، نعم لم يبدأ الفزائى إلى الدين يفرض قدسيته على خصومه ، بل لجأ إلى العقل نفسه ورضيه حكماً بين الفلاسفة والدين

هو صحيح ، ولكن المنطق ليس مخصوصاً بهم وإنما هو الأصل الذى نسميه فى فن الكلام « كتاب النظر » فغيروا عبارته إلى المنطق تهويلاً ، وقد نسميه « مدارك العقول » فإذا سمع المتكلمين المستضعف اسم المنطق ظن أنه فى غريب لا يعرفه المتكلمون ، ولا يطلع عليه إلا الفلاسفة ونحن لدفع هذا الخيال ، واستئصال هذه الخيلة فى الإضلال نرى أن نفرد القول فى مدارك العقول فى هذا الكتاب ونهجر فيه ألفاظ المتكلمين والأصوليين ، بل نوردنا عبارات المنطقين ونصبا فى قلوبهم ونقتنى آثارهم لفظاً لفظاً ، وتناظرهم فى هذا الكتاب بلغتهم — أى عباراتهم فى المنطق — ونبين أن ما شرطوه فى صحة مادة القياس فى قسم البرهان من المنطق ، وما شرطوه فى صورته فى كتاب القياس ، وما وضعوه من الأوضاع فى إيساغوجى وفاتيفورياس التى هى من أجزاء المنطق ومقدماته لم يتمكنوا من الوفاء بشئ منه فى علومهم الإلهية .

ولكننا نرى أن نورد « مدارك العقول » فى آخر الكتاب ؛ فإنه كالألة لدرك المقصود الكتاب ، ولكن رب ناظر يستغنى عنه فى الفهم فتؤخره حتى يعرض عنه من لا يحتاج إليه ، ومن لا يفهم ألفاظنا فى آحاد المسائل فى الرد عليهم ، فينبغى أن يتبدى أولاً بحفظ

ولكنها طرائق ومناهج إذا صحت قبل ما تأدت إليه ، كان ما تأدت إليه ما كان .

• • •

هذا هو النزالي كما يطل علينا من كتاب التفاهت، فهل أنا صادق في تصويري له ؟ أريد أن أعرف . وإن أك صادقا ، فهل هو في هذه الصورة ، كما نعته الناعتون ، عدو للفلسفة ولينطق أرسطو ؟ أريد أن أعرف أيضا .

وأنتقل بعد هذا إلى الكلام عن الإسلام نفسه ، فهل الإسلام عدو للفلسفة ؟ إن فيما قلناه عن النزالي ما يتيح لنا القول في وضوح بأن الإسلام ليس عدو للفلسفة ، لأن المجالات التي أباحها النزالي للعقل لم يكن النزالي هو مصدر إباحتها ، ولكن الذي أباحها هو الدين ، فالدين هو الذي أباح للعقل حرية التصرف في هذه الآفاق الفسيحة بين الأرض والسماء .

وتعويل النزالي على العقل في نقاشه مع الفلاسفة بخصوص المسائل التي خالفوا فيها أصول الدين ، دليل على طوعية أصول الدين للعقل ، إذ لو كانت هذه الأصول على غير مقتضى العقل لما تأتى للنزالي أن يناصرها بالعقل .

ولترك النزالي جانبا ، وننتج إلى القرآن رأسا ، وحسبنا أن نجد القرآن لا يكتفى بأن يخول الناس حق تحكيم عقولهم في مشاكلهم بل يحصل عقولهم حكما بينه عز شأنه وبينهم .

فإذا بغضب الناس من النزالي إذا كان قد استطاع أن يكشف عن أن العقل قد تخلى عن الفلاسفة في المسائل التي صادموا فيها شيئا من أصول الدين ؟ هل بغضبهم منه أنه كشف عن أن أفكار الفلاسفة التي صادت أصول الدين ليست جدية بأن تسمى فلسفة ؛ لأن العقل قد تخلى عن نصرتها وتأييدها ؟ هل بغضبهم أن يكون النزالي قد توصل إلى معرفة أن للعقل حدودا إذا جاوزها ضل ؟ وهل البحث في قيمة العقل لإلحاق في صميم الفلسفة ؟ حتى ولو نادى البحث فيه إلى عدم الاغترار به ، والوقوف به عند حدوده ؛ إذ العبرة في الفلسفة ليست بالتأنيج ولكنها بالمناهج والطرائق . وقدما قال أرسطو :

( إن من ينكر الميتافيزيكا يتفلسف ميتافيزيكيا )

وقال : ( فلتتفلسف إذا اقتضى الأمر أن تتفلسف ، فإذا لم يقتض الأمر التفلسف ، وجب أن تتفلسف لتثبت أن التفلسف لا ضرورة له ) .

وحديثا قال بعض الفلاسفة الميتافيزيكيين عن خصومهم الوضعيين :

( إنهم الفلاسفة الذين يفاخرون بأنهم لبسوا بفلسفة ، إن موقفهم من إنكار الفلسفة موقف فلسفي لا محالة ) ؛ ذلك لأن الفلسفة ليست أفكارا معينة ،

## رسالة وجوابها بين إمام الشيعة وإمام أهل السنة

صدر عن جامعة ( مدينة العلم ) بالكاظمية في العراق رسالة سماحة الإمام الخالصي الكبير ، شيخ شيوخ الشيعة يهني فيها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بتوليته مشيخة الجامع الأزهر ، فأجابه الأستاذ عنها برسالة مشرقة الرأي سامية الدلالة .

والرسالتان تعبران عن فكر الإمامين في الإصلاح الديني والاجتماعي ، واتجاههما فيه إلى توحيد الكلمة وتأليف الأمة ، وتنقية الدين مما علق به من شوائب البدع والباطيل ، وإليك نص الرسالة والجواب :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد : فقد بلغني خبر جلوسكم على أريكة إدارة الأزهر الشريف والإشراف على سير علمائه ومدرسيه وطلابه ، وتربيتهم وإروائهم من منهل علمكم الزاخر ، وما تقدم الناس به إليكم في بقاء العالم من التبريك والإطراء والثناء .

الرسالة

سماحة العلامة المفسر المحدث الفقيه المتبحر الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .  
أدام الله أيام حياته ، ونفع المسترشدين بهداه وعميم بركانه .

استسلم لدون الغير عليه ولم يدافع عن نفسه كان غير جدير بالبقاء ، فالذين يريدون من الدين أن يتلقى الهجمات والطعنات مستسلماً لا يحاول أن يدافع عن نفسه ؛ كي لا يرمى بالجمود والرجسية ، يريدون له الفناء ؟

الذكر نور سليمان دنيا  
الأستاذ بكلية أصول الدين

وذلك حيث يقول : ( لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ) ففي هذه الآية تقرير لمبدأ حاجة العباد لله ، فإذا بعد هذا من تقدير يمكن ، للعقل ؟ وكلمة أخيرة أسوقها بين يدي أولئك الذين لا يريدون أن يعادى الدين من يعاديه أقول لهم : إن الدين ، ككل قانون آخر ، مشله مثل الكائن الحي ، والكائن الحي إذا

عن كل بدعة وخرافة ، لنسترشد بآرائكم ونسير معكم في طريق واحدة حتى أن يكون ذلك معينا على سرعة الوصول إلى الغاية المقصودة وهي معرفة الإسلام كما هو ، وإظهاره لأهل العالم على اختلاف شعوبهم ومللهم ونحلهم كي يكون لهم ملجأ ومنجى من المهلكات والبواقي التي تهدد أهل العالم بالفناء .  
 وأسأل الله تعالى أن يرينا الإسلام كما أرسل ، والقرآن كما أنزل ، ويوفقنا لإزالة الأستار الكثيفة عنه ، لتظهر أنواره المشعة ويخرج الناس به من الظلمات إلى النور ، ولوكره الملحون والمشركون والغافلون المبعدون .  
 وإني منذ رأيتمكم في دار المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم ( رضى الله عنه ) ، عند زيارتي للقاهرة ، كنت أجد في نفسى شعورا بأنكم من الذين وفقهم الله لهداية عباده ، وقد ظهرت آثار ذلك . وأسأل الله التمام ، وأشكره على الإحسان والإتمام . وأن يديه حياتكم لا تقاذ الأمة وإزالة النعرات الطائفية وجمع الكلمة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

• شعبان المبارك ١٣٧٨ هـ •

محمد الخالصي

وانتظار ما سوف تقومون به من الإصلاح الشامل العميق في الأزهر وفي جميع الديار ، ولم أكن بين أولئك الناس ؛ لأنى أرى في شخصكم منزلة تسمو على تلك الأريكة وتعلو . ويجدر أن أبارك للأزهر بكم لا لكم به ، وكنت أشاركم في انتظار الإصلاحات الشاملة لأقدم إليكم بالشكر ، وتقدير مساعيكم الجيلة ، ومازلت في الانتظار حتى قرطت سمى إذاعة صوت العرب بדרر مثورة من كلماتكم في توحيد كلمة المسلمين ؛ وإظهاركم الحق بانواع الكتاب والسنة بنفسيهما ، لا بما يقوله الرجل عنهما ، ومن وراء ذلك تمام الكلمة ، واتلاف الفرقة ، وجمع الشمل ، وتوحيد الصفوف تحت راية التوحيد الخالص ، والإسلام الصحيح المنزه عن شائبة البدع والأوهام حتى يظهره الله على الدين كله ، ويزيل عن العالم ما حدث من اضطراب في الآراء والأفكار المؤدى إلى البوار والنمار . وهيات أن تقوم للعالم إدارة أو يحصل له استقرار إلا بالإسلام ، وهنئني عن الاستدلال وبسط المقال عليكم بالحال ، ومن الضروري لنا ولجامعتنا أن نقف على آرائكم في الوصول إلى توحيد كلمة المسلمين ، وإظهار الإسلام بحقيقته مجرداً

## الجواب

حضرة الأخ الجليل صاحب السباحة الأستاذ  
العلامة المجاهد في سبيل الله الشيخ محمد الخالسي  
أدام الله توفيقه والنفع به .

سلام الله عليكم ورحته وعلى جميع إخواننا  
المؤمنين من تلاميذكم وحواريكم وسائر  
من تحبون .

أما بعد : فقد تلقيت ببالغ الفبطة كتاب  
سماحتكم الذي حيثمنى فيه بمناسبة تعييني  
شيخاً للجامع الأزهر الشريف ، ونفصلتم  
يابداء كريم ارتياحكم وعظيم أملكم وخالص  
دعائكم بأن يحقق الله للأمة الإسلامية ما نحن  
عشركون في الحرص عليه ، والدعوة إليه من  
توحيد الكلمة وتأليف القلوب تحت راية  
القرآن العظيم والسنة المطهرة .

لقد أعاد إلى كتابكم الكريم ذكرى لقائنا  
الأول في منزل أستاذنا المغفور له الشيخ  
عبد المجيد سليم ، وما كان لكم من حديث  
عذب بفيض إيماننا وغيرة على الإسلام  
والمسلمين ، وإنكم يومئذ كنتم في جملة  
إسلامية ودعوة إصلاحية تريدون بها أن  
تجمعوا المسلمين في طاعتهم العظيمة : السنة  
والشريعة على ميثاق واحد ، يعرفون أصوله  
التي هي أصول الإسلام فيتعاهدون عليها ،  
ويعذر بعضهم بعضاً فيما وردها على أن يكون

الروح بينهم جميعاً هو روح الأخوة التي  
قررها الله تعالى في كتابه الكريم حقيقة  
ثابتة حيث يقول : « إنما المؤمنون إخوة »  
فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلمكم  
ترحمون .

إن هذه الآية الكريمة يا سيدي الأخ  
ترسم للمؤمنين خطة الفلاح لو عملوا بها ،  
فهي كما لا يخفى عليكم تثبت الأخوة بين  
المؤمنين إثبات الحقائق ، ولا توردها مورد  
الامر يؤمر به ، وينهى عن التفريط فيه ،  
كما هو الشأن في مختلف الأوامر والنواهي  
التشريعية . فينبغي أن يدرك المؤمنون ذلك ،  
ويعملوا أنهم إخوة وإن باصت بينهم الأيام ،  
أو قطعت بينهم السياسة الماكرة ، فتلك  
حقيقة ثابتة والحقائق لا تمحى ولو طال على  
نسيانها الأمد ، وهي تدعو بثباتها إلى نفسها  
وتنتظر من تجاهها أو أغضوا عنها لعارض  
من هوارض الدهر أن يعودوا إليها .

ثم تعقب الآية الكريمة على هذه الحقيقة  
بما هو ألزم مقتضياتها من وجوب الإصلاح  
بين الآخرين إصلاحاً عاماً شاملاً مبنياً على  
دعائم هذه الأخوة ، منبثقة من عاطفتها  
القوية ، وتدعو إلى تقوى الله تعالى في ذلك  
ولاشك أن التقوى تلزم أصحابها بأن يكونوا  
مخلصين في تحقيق واجب الإصلاح ، عاملين  
عليه بكل ما يستطيعون من قوة ، بإذ وجدت

حلوها : أن يكونوا في العالم أمة داعية إلى الخير ، آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، لا أن يكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم .

وأسأل الله لي ولك ولجميع إخواننا المؤمنين أن يجعلنا من عباده المتقين ، حتى نستحق أن نكون أوليائه . إن أوليائه إلا المتقون . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تحريراً في

٢٠ من شعبان سنة ١٣٧٨ هـ

٢٨ من فبراير سنة ١٩٥٩ م

محمود ملتوت

شيخ الجامع الأزهر

الرغبة في الإصلاح ، واقترنت بتقوى الله وارتسام أوامره وتواحيه وصراطه المستقيم إخلاصاً في تحفة بها ، وسبيلاً إلى تدعيمها كانت رحمة الله تعالى مرجوة أن تنال المؤمنين فإن رحمة الله قريب من المحسنين .

تلك يا أخى في الله هي غايتنا ، أما وسيلتنا إليها فهي الدعوة إليها ، عن طريق العلم الخالص المنصف الذي لا يعرف التعصب ولا يرمى إلى العليج بالمجادلة والمخاصمة ، وتلوين الحقائق بغير ألوانها ، إن من أحرز أمانتنا أن يتعارف المسلمون ؛ لأنهم إذا تعارفوا تكشفوا ، وإذا تكشفوا توافوا الداء . وبحسبنا من الدواء وما الدواء لو علوا إلا الالتفاف حول كتاب ربهم ، والاهتداء بسنة رسولهم ، والاطلاع على أقوى صورة بالأمانة التي

قال ابن المقفع :

على العاقل ألا يصاحب من الناس إلا ذا فضل في العلم والأخلاق فيأخذ عنه ، أو موافقاً له على صلاح ذلك فيؤيد ما عنده وإن لم يكن له عليه فضل ، فإن الحصول الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمى إلا بالمواقفين والمهذبين والمؤيدين : وليس لدى العقل قريب ولا حميم هو أقرب إليه من واقفه على صالح الحصول فزانه وثبه . ولذلك زعم بعض الأولين أن صحة بليد نشأ مع العلماء أحب إليهم من صحة لبيب نشأ مع الجهال .



ما يقال عنه المهين والعرب

# دور من أذوار التاريخ في الكتابة عن الأندلس الإسلامية للأستاذ عباس محمود العقاد

عرض تحليل لكتاب | الأندلس ، أو أسبانيا في ظل  
المسيحية | الذي صدر سنة ١٩٥٨ لمؤلفه الأستاذ | أدوين هول |

القرون الوسطى ، فكان القائمون على ثقافة  
الغرب يتبعون خطة « الإخفاء والطمس »  
لمصادرة العلوم الإسلامية ، ويتعمدون  
مصادرتها وإبعادها ، وإن شهدوا بفضلها  
واعترفوا بمحاسنها ؛ لأنها مصدر قوة للإسلام  
وآية من آيات « صحراء » الذي يجتذب إليه  
قلوب المتعلمين من غير المسلمين .

ومضت القرون الوسطى ببقاياها لجاء  
بعدها عصر الكشف والتنقيب عن المجهولات  
في كل باب من أبواب المعرفة الإنسانية ،  
فانكشفت في هذا العصر مفاخر الحضارة  
الإسلامية في الشرق والغرب ، وكان للحضارة  
الأندلسية نصيبها الأوفر من عناية القوم  
لاتصالها بمواطنهم في صميم القارة الأوروبية ،  
وهنا تفرقت مواقف المؤرخين والنقاد من  
الغربيين مع تفرق المقاصد والمصالح أو تفرق  
النظرات والآراء :

أعجب من زوال دولة الإسلام في الأندلس  
بقاء آثارها سارية حتى اليوم في كل ناحية من  
نواحي الحضارة الأوروبية ، ويكفى أن نذكر  
من آثارها قيام دعوة الإنسانيين منذ القرن  
الثاني عشر لليلاد ، ثم قيام دعوة النهضة  
ودعوة الإصلاح الديني وما يليها من الثورات  
الاجتماعية والسياسية ، لنعلم بعد هذا الإجمال  
السريع أن آثار الإسلام في الأندلس قد  
أحاطت بأصول كل حركة من حركات الثقافة  
الغربية الحديثة .

وقد كان للورخين الأوروبيين مواقف  
مختلفة ، متناقضة ، في تقدير تلك الآثار  
بين الإنكار والاعتراف ، وبين التهوين  
والإكبار .

كان موقف العداء والمهاجرة أسبق تلك  
المواقف في عصر « التعصب الديني » من بقايا

ورغبات القراء ويمجرون مع العصر في مجراء  
العالم عليه ؛ وهو النزعة العالمية ، التي تؤثر  
الاطلاع على شئون العالم قديمها وحديثها  
وتوسع في طلب الأخبار والمعلومات من جميع  
المصادر والجهات .

فالذين يكتبون اليوم عن الأندلس  
الإسلامية يجمعون بين النزعة العالمية ونزعة  
« الهواة الشخصية » ، ولا يفسون مطالب  
النشر التي تتحرى ميول القراء ولا تقوم  
على التوجيه والإسلام من جانب الدول ،  
أو جانب الهيئات التي تشبهها في اصطلاح  
الدعاية .

\*\*\*

من أحدث المؤلفات التي ظهرت في هذا  
- النور - سنة ١٩٥٨ م - كتاب « الأندلس  
أو أسبانيا في ظل المسلمين » لمؤلفه الأستاذ  
آدوين هول Edwin Hole المستشرق  
المعروف .

عمل هذا المؤلف بمصر وسوريا وتركيا  
والبلقان ، ثم أختتم فرصة العمل في وكالة  
« ملقة » القنصلية فكلف على دراسة الحضارة  
الأندلسية من قريب وقضى في هذه الدراسة  
زهاء خمس سنوات ، خرج منها بهذا الكتاب  
الموجز الذي يقع في نحو مائتي صفحة  
ويشتمل على أحدث الأقوال والآراء  
في تاريخ هذه الحضارة ، وجملة ما يقال

فمنهم من كان ينظر إلى موضوعه من خلال  
النزاع بين الكنيسة والمنشقين عليها فينتصر  
لمن حرمهم الكنيسة واضطهدتهم ، وفي  
مقدمتهم أحرار الفكر المتأثرون بالثقافة  
الإسلامية ، ولا بد - مع النفاخ عن هؤلاء -  
من النفاخ عن فلاسفة الإسلام وعلماؤه وقادة  
الفكر والمعرفة في بلاده

ومنهم من كان ينظر إلى هذا الموضوع  
التاريخي من خلال النزاع على حقوق السلطة  
القائمة فيتخذ من المواقف ما يناسب هواه :  
إن كان من أعوان السلطة فهو من المحافظين  
الجامدين ، وإن كان من أعوان الحرية فهو  
في الجانب المقابل للمحافظة والجود .

ومنهم من كان يعمل لحساب الاستثمار  
السياسي فهو يتكر فضائل الإسلام أو يشهد  
لها الشهادة التي تقف عند حدود الماضي  
ولا تعداها إلى الحاضر الذي غلبت فيه  
سيادة المستعمرين . فلا حرج عنده  
من الشهادة للإسلام بالعظمة التي صلحت  
في زمانها لمعظم قومها ، ولكنها ذهبت  
مع زمانها فهي الآن في خبر كان .

منذ الحرب العالمية الثانية تغيرت هذه  
المواقف جميعا وخلعتا مواقف أخرى أقرب  
إلى الإنصاف والاستقلال النظري ؛ لأنها  
تصدر عن بواحي « عامة » يقل فيها التوجيه  
والإسلام ويستلهم أصحابها مطالب النشر

« الكتاب » ، أهر الهدايا التي يخطف بها ود الخليفة بين ملوك القارة وأمرائها ، وكانت السمارة الناجحة في بلاط قرطبة سمارة الملك الذي يزود رسوله بتحفة من تحف العلم والحكمة ويقول المؤلف في سياق كلامه عن الكتب : « إن الرغبة في المعرفة كانت مستبعدة لحدود لها . وقد حدث أن الامبراطور البيزنطي أرسل إلى عبد الرحمن الثالث كتاب : « ديو - تيريدس » ، في العقاقير . . . فهدى إلى جامعة الطب بترجمته وحل رموزه ، وكان الحكم ابن عبد الرحمن نفسه من كبار العلماء يشترك في البحث ويبحث بالفوفد إلى أطراف البلاد لشراء المخطوطات ودعوة العلماء إلى بلاطه حيث يعاملون معاملة السخاء والحماوة . فأصبحت أسبانيا قطبا قويا يجذب أساطين العلم من كل مكان . »

وظل الكتاب في المغرب الإسلامي ذخيرة مضموناً بها على الضياع حتى في أيام الإذبار والأفول بعد زوال الدولة في شبه الجزيرة الأندلسية . فلما استولى الإفرنج على سفينة محملة بالكتب والأمتعة لمولاي زيدان المراكشي في القرن السابع عشر ، أرسل الأمير يطلب الكتب ولم يحفل بما هداها من حولة السمنية ، ويتمول المؤلف إن المسألة أحييت على محكمة التفتيش وأرادت هذه المحكمة أن تبدى بعض السباحة في جوابها على الأمير

عن أقواله وآرائه أن الرجل أنصف حضارة الأندلس الإسلامية فيما فهمه ونأق له أن يحكم عليه ، ولكنه جهل منها بعض جوانبها - ولا سيما جانب الشعر والأدب - فأحال فيه التبعة على غيره وبلغ بذلك غاية ما يستطيعه جاهل الشيء من إنصافه وتقديره .

يكاد المؤلف أن يقول عن جانب الثقافة من حضارة الإسلام في الأندلس أن الدولة الإسلامية قد صنعت الخوارق في ترقية العقول والأذواق ، وإن ولاية الأمر فيها كانوا يعدون عدواً الجياذيت سار اللاحقون بهم في خطوهم الهزيل ، فيتعثرون وهم يندرجون .

ففي كلة « الكتاب » ، تلخص المعجزة التي صنعتها الدولة الإسلامية في القارة الأوربية . قال المؤلف عن مكتبة الخليفة « الحكم » إن عدد كتبها ومجاميعها قدر بنحو أربعمائة ألف كتاب ومجموعة . وقد حاول الملك الفرنسي شارل الملقب بالحكيم بعد الحكم بأربعة قرون أن ينشئ مكتبة فلم يستطع أن يجمع فيها أكثر من تسعمائة كتاب ، ستائة منها تبعت في اللاهوت .

وقد تجاوبت آفاق القارة الأوربية من مشرقها إلى مغربها بسمعة الخلفاء المسلمين في طلب العلم والتحصيل والحرص على اقتناء الكتب النفيسة والمذونات النادرة ، فكان

المعاشرة الطيبة في البيئة الإسلامية وغيرها من البيئات الأوربية ، ولعل السياسة التي اشتغل بها المؤلف في مهام القناصل والرسول المحسكين الذين يتولون أعمالهم بين الأعداء والأصدقاء في أيام الحروب والفتاقل هي التي انجحت به إلى البحث عن نصيب « الأندلسي المثقف » من مهام « الدبلوماسية » في تلك المصور المحفوفة بالظلمات والأخطار .

نقل المؤلف عن مخطوطة وجدت بمدينة فاس مما اطلع عليه المستشرق ليني بروفسال أخبار أول سفارة تبودلت بين الإمبراطور البيزنطي تيوفيلوس والخليفة عبد الرحمن الثاني فقال في فصل العلاقات الخارجية :

« أراد تيوفيلوس أن يثير حفيظة عبد الرحمن الثاني فذكره بذيح العباسيين لآبائه وأحب أن يرضيه بالزيارة من خلفاء بغداد فلم يسهم بالأسماء التي اشتهروا بها كالمأمون والمعتصم بل نسبهم إلى أمهاتهم من جوارى القصور ... ولكن الزناد لم ينقدح لأن آباء عبد الرحمن نفسه لم يكونوا ممن ينكرون التمرى بالإمام ، فأجاب جواباً مفزعاً في قالب المجاملة مع التحفظ والاحتجاز ، ووكّل أمر السفارة إلى الشاعر الشاب يحيى ابن الحكم البكري الذي كان لرشاقته وجماله بلقب بالغزال ... »

قال المؤلف : « وقوبل الوفد في القسطنطينية

المغربي ، فقررت أن ترد إليه كتب العلم والجغرافية وما إليها ، وأن تحجز الكتب الدينية التي قد تعزز سطوة الإسلام ، ورفع الأمر إلى مجلس الوزراء فرخص أكثر أعضائه اقتراح محكمة التفتيش ، وأشاروا بإحراق الكتب العلمية والدينية على السواء ، وتوسط النزيل المستنير المركز دى فيلادا De Velada عند الملك لإقناذ هذه الذخيرة ، فأمر الملك بحبسها وإغلاق الأبواب عليها في مكان حصين .

ويفيض المؤلف في استقصاء أخبار المكتبة الأندلسية من مصادرها ، ولكنه يعني في شرحه لآثارها وتعاليمها بجانب يقل المغنيون به من المؤرخين الغربيين ، فلا يدع القارئ يفهم من الإفاضة في ذكر الكتب والمطالعين عليها أن المدرسة الأندلسية مدرسة معقولات ومحفوظات ، قصارها أن تخرج العقلاء والحكماء وتحشروأذهانهم بمسائل العلم والأدب أو بمسائل الطب والهندسة وصناعات المرافق النافعة ، ولا يدع القارئ يفهم أن المقبلين على المطالعة في إبان النولة كانوا من تلك الرمرة التي يطلق عليها الأوربيون اسم « ديدان الأوراق » بل المفهوم من نواذر الكتاب وطرائقه أن الاطلاع على تلك الأوراق قد كان زاداً من أزواد المعيشة الصالحة ، والحياة الإنسانية : حياة الحس والعاطفة وحياة السلوك المذهب والكياسة العملية وما توجيه من آداب

الغزال أن تسمح له برؤية الحسان من خواتين المملكة ، فجعل ينظر إليهن من الفروع إلى الأقدام ، ثم قال ليلقي بحمكه المستنصر : لئن في الحق بجماليات ، ولكن لا وجه للقارة بينهن وبين الملكة التي تنزه عاسنها وشمائها عن النظيرات ولا يحسن وصفها غير المجيد من الشعراء ، وعرض عليها أن ينظم هذا الوصف في قصيد من شعره يتغنى بها الأندلسيون ، فوثبت الملكة فرحا ومنحته هدية نفيسة من حلاها ، فأبى أن يأخذها وقال : إنها على نفاسها وعلى اعتزازه بما تمنحه الملكة من هدية كائنة ما كانت ، بحسب أنها قد وقته فوق حقه من النعمة ، ومنحته غاية ما في الوسع أن تمنحه بسماحها له أن يتمل النظر إلى طلعتها ، وأنها إن شاءت أن تضاعف له العطاء لحسبها أن تزيد حظا من النظر إليها . ولم تكن الملكة تنظر ما هو أحب إليها من ذلك ، فلم تزل تدعوه إلى مجلسها كل يوم لتسأله عن مشاهداته ورحلاته وما وعاه من التواريخ والقصص ، ثم تبعك إليه بعد انصرافه بالتحف الثينة من الأسلحة والعطور . . . .

\*\*\*

وليس في كتابه د الأندلس في ظل الإسلام ، غير القليل مما لم يرد في المطولات من أخبار الترف والذخ وظواهر الرغد والرخاء التي اشتهر بها ذلك الفردوس المفقود ، ولكن

بالخفاوة الملكية ، ولكن الإمبراطور أخبر في نيته أن يضطر الغزال إلى الانحناء بين يديه على الرغم مما هو معلوم من تعذر ذلك . فأمر بفتح باب صغير في غرفة العرش لا يدخله القادم قائما . فلما أقبل الغزال جلس عند الباب وتقدم زاحفا حتى بلغ ساحة العرش فنهض على قدميه ، وكان الإمبراطور قد أحاط نفسه بمرص حافل بالأسلحة والنفائس يريد أن يروع السفير ويهوله ، ولكنه لم يروع ولم يستهول ما رآه بل مضى على أثر وقوفه في إلقاء رسالته وسلم الإمبراطور خطاب مولاه وودائع التحف والهدايا من المصوغات والآنية الفاخرة ، فكان لها أجل الوقع في نفس الإمبراطور وكفلت لفرد الأندلس طيب المقام وحسن الخدمة ، واهتم السفير اهتمامه الخاص بأهل البلد غير علماءهم بالمشكلات الفكرية والمناقشات الذكية ، وكال الضربات الموقفة لقادتهم وفرسانهم ، وشاع خبره حتى انتهى إلى مسامع الملكة فأرسلت تستدعيه إلى حضرتها ومثل أمامها فسلم متحنيا وأمن النظر إليها كلشدوه . فأمرت الترجمان أن يسأله : أترأى بمن النظر إليها بلهاها أو لغرابه مرآها ؟ فكان جوابه الحاضر : أنه قد رأى الحسان حافات بملكه فلم ير منهن من تضارعا في جمالها ، ودار الحديث بعد ذلك على هذه النغمة المحبوبة ، واستجابت الملكة لرعاء

عنها ، وهو بلاعتها الشعرية الشائقة : بلاغة الموشحات والألحان .

يقول صاحب الكتاب في الفصل الذي خصصه للكلام على الشعر الأندلسي : « إن أكثر هذه المنظومات مما لا يطيقه العقل الغربي ، وهو رأى يصرح به الخبراء بتلك المنظومات . ولا تعرف من هو أحق بالحكم عليها من جارسيا جوميز Garcia Gomez الذي يجمع بين الأستاذية في العلم والنوق المرفه لفهم القريض ، وهو يقول في فصل عقده للكلام على ابن قرمان أحد الشعراء المتأخرين : إن الصناعة اللفظية هي موضع العناية الكبرى في الأدب العربي ، بين ثمر مقيّد بالأسجاع وبين ألوان من المجازات والأشياء والطلاوات والوزام ، تموزها الحرارة والشعور ، وكأنما هي كلها عرض من العروض المقنعة بالبراقع ، حيث البسات لآلى العيون أزهار بنمسيجات والرياحين جواهر والمجدول سيوف . وأن الفارس ليجهت اجتاده بين ترجمات بير Peres أو شاك Schack فينوه ذهنه بما يطبق عليه من النسق المتفق المتواتر : قصور كالأغصان تنبت من آكام الرمال ، أو شاعر يشبه نفسه بالطير الذي أثقل ندى المندوح جناحيه فأعياه أن يطير ، أو برق يومض بين الغمام كأنه ضرام العشق في قلب الشاعر يتوهج من خلل دموعه ،

هكذا الكتاب الحديث يورد أنباء البذخ والترف ، ويحللها هنا وهناك بنادرة أو عبرة تم على إدراك معنى الحياة ، موكل بالصفو الرفيع من لذات الروح وأشواق العاطفة الإنسانية ، يتفقد الأندلسي المثقف ولو خلصت له نعمة الجاه والثراء ، ومسرّة الملك والسطوة . . . . فكان عبد الرحمن الناصر يقيم نفسه مقام الحكم المطاع بين ملوك المسيحية ، ويستقبل في عزته وحياته وفودهم المتنازعة ، كما يستقبل الملوك أنفسهم أحياناً وقد حنوا أعناقهم العصية لمراسم الاستقبال في بلاط الخلافة . ولكنهم وجدوا بين أوراثة بعد وفاته أنه لا يذكر من أيام حكمه الطويل - نحو خمسين سنة - غير أربعة عشر يوماً يعدهما من أيام الصغر التي لا تشوبها سحابة . »

• • •

كانت حضارة متاع ونعمة ، وكانت حضارة عقل وفهم وعاطفة .

كانت حضارة « إنسانية » كاملة . تلك الحضارة التي وصفها صاحب كتاب الأندلس في ظل الإسلام ، متوخياً لها الإيضاح غاية ما يستطيعه الكاتب الأوروبي المعتر بحضارته المصرية في القرن العشرين .

أما الذي فاته أن ينصفه من تلك الحضارة فهو الذي فاته أن يفهم من خيرة المأثورات

لهذا الشعر ولا يحاول أن يرجع بالعجب إلى نفسه قبل أن ينهم أمة كاملة بصلال الحس وسوء التعبير ، وهي - فيها يطم - من الأمم التي تفخر بلسانها وتكر الحجة من ألقائها ومعانيها .

ولقد كان من أقرب التفسيرات إلينا أن نرجع بأخطاء المستشرقين في فهم الشعر العربي إلى الفارق الأبدي ، المزعوم ، بين أذواق الشعراء في لغاتنا وأذواق الشعراء في لغاتهم على تباينها ، وكنا نستقرب ذلك التفسير لولا أننا نعلم أن قراءنا يتذوقون شعرهم كما يتذوقون شعرنا ، وأن الفوارق الكلامية لا تحول دون ظهور المعاني الإنسانية لمن يتسمها في مواطنها ويتعري أن يرثها بموارثها وأن ينفذ إلى مواطنها . فليس بين الأذواق الإنسانية من فاصل في تمييز فنون البلاغة الخالدة ، وإنما هو الفاصل بين « الحفظ » والذوق بحول دون الفهم الصحيح في اللغة الواحدة فضلا عن اللغات المتعددة ، وهذا هو الفاصل بين المستشرقين والحفاظ ، وبين محاسن الشعر العربي في ظواهره وخفائيه .

على أن العذر بمحمد لمن لا يستحسن ؛ لأنه يجهل ولا يدعى أنه يعلم ، وإنما اللوم على من يسمى النية قبل أن يسمى الفهم ، فلا يرجى منه إصاف .

**عباس محمود العقاد**

ونصفها - أو أكثر من نصفها - قوالب متقولة يحكيها النظامون من وحى الذاكرة . وهذا الخطأ الذريع في الحكم على الشعر العربي شائع غالب على أقوال المستشرقين ، نفهمه ولا نرى صعوبة في فهمه إذا ذكرنا أن الغالب على هؤلاء المستشرقين أنهم من ذرة الحفاظ يشتغلون بجانب « الحفظ » من الأدب ولا يشتغلون بلباب الأدب في لغاتهم ولا في لغات غيرهم من المشاركة أو المغاربة . فهم لا يحسنون الحكم على شاعر من أبناء جلدتهم وأحرى بهم ألا يحسنوا الحكم على الشعراء من أبناء اللغات التي تخالف لغاتهم في تراكيبها ومصطلحاتها ، ومن أبناء الأمم التي تخالف أمهم في أمرجتها وعاداتها ، وقد ينظر الكثيرون منهم إلى القصيدة الرائعة فيقفون عند مجازاتها ويشعرون « بالربكة » التي يشعر بها عندما من يقول مثلا : هات الاسطوانة فيحضر له السامع قرصا من أقراص الغناء المسجل ، فيختلط عليه الأمر بين ما توقعه من لفظ الكلمة وما رآه بعد ذلك من حقيقة المسمى .

وكنك بشعر المستشرق بالربكة حين يتوقف بذهنه عند مجازات التشبيه فيحسبها مقصودة لذاتها ويتقيد بقشورها اللفظية دون ثمراتها وبذورها ، فلا يدري كيف يطرب العربي

# يَا رَسُولَ اللَّهِ

## أَنْتَ أَنْتَ

### لِلْإِسْتِاذِ مُحَمَّدٍ عَلَى الْجُومَانِي

وتعالى مهينا يلقى	أيها الباني وعيت فأحكمت
حكمة الكون من أبي الأكوان	بناء الأذان في الأذان
ثم أموى يرق هذى الأناسي	إذ تحسست من وجودك حتى
حديث الملائكة الرباني	جلت في كنهه بغير كيان
فإذا فوق كل نهد من الأرض	وتغلغلت في النواميس حتى
جلال من روضة القرآن	دان منها لوعيك الخافقان
أنت أنطلقت هذه المقل الحر	أنت أسست دولة الفكر فاصح
س بما شئت من فنون البيان	بك العلم شاخ البيان
فميون من البصائر يجتز	ومثت حولك الملائك يملو
ن إلى الحق ضلة الأوثان	ن على الدهر سورة الإنسان
وعيون من الصائر تجناز	وتعالى هتافهم بالتساييح
إلى الروح عصمة الأبدان	عذارى التشيد والألحان
وعيون من السماء يهمن	• • •
فيكلان دفعة الربان	أنت غذيت كرمه الفن فاهتر
وهيون من الثرى يتفجر	ت دواليه غضة الأفتان
ن ، فني كل جنة عينان	وترات منها عناقيد ذمراء
تستمدان من معين أبي القا	الجاني بديعة الألوان
سم دي المسدله الظمان	كساعب طائر الفكر منها
أنت آمنت يوم كانت عاريب	جنحه قوام العقبان
د يهوذا ، صفرا من الإيمان	



فتناثت عوالم الأرض لي  
لك وثابروا إليك بالإيمان  
وتداعى لديك إيوان كسرى  
وهوى عنه صاحب الإيوان  
بم كنت المزمّل الفرد في الخلا  
ق وكنت المهيمن الروحاني ؟؟  
أسوى أن بين جنيتك عين  
ين يرى الكون بعض ماتريان  
تبصران الحياة أبهاء كسرى  
تداعى على يدي سليمان ؟؟

\*\*\*

أنت آثرت أن تقيم على الفقر  
نظام الرق والعمران  
فلبست الأيام لم تزه بالمه  
طف من خزها ولا الطليسان  
ولمست المحصى فتاء على الدر  
وأزرى بروعة المرجان  
وآثرت الهيجاء تعصف بالفقر  
س وتحتاج هيكّل الرومان  
فترامى إليك بالنصر من يدا  
نه كل جانح عريان  
فإذا أنت بالجياح تدكّ الآ  
رض من قيصر إلى ساسان  
وإذا بالتراث تحت أبي ذر ،  
مدلا على أبي سفيان ،

محمد علي الموراني

فبعثت الإسلام مخضوضا الرا  
دى نقي الجيوب والأردان  
وترامى إليك من كل فج  
كل ظمأى قريحة الأجفان  
فأغثت النفوس حتى روت وا  
ردما جنة بلا رضوان  
ومسحت الجفون حتى رأت غا  
لقها مقلة بلا إنسان  
فإذا أنت قائل بالغ الحجة  
في قوله بغير لسان

\*\*\*

أنت يا واضع الموازين بالقص  
ط لنا أنت سر كل اتران  
علتنا صراحة فيك أن نص  
لمح بين الضمير والإعلان  
علتنا أن السياسة قلب  
ولسان صنوان متحدان  
إن من جرد السياسة في النبا  
س عن الدين لمج في البهتان  
إن زعم النقي : لادين لنا  
نفس فينا ضرب من الهديان  
أى قصص في ساسة المثل العليا  
بما يشرعون من أديان ؟؟

\*\*\*

أنت جلهرت بالحقيقة ، والبا  
غى على الحق ثامر البركان

# ما يقابل عن الإسلام

الإسلام ونفسية المسلم

Islam And The psychology of The musliman

تأليف

andre Servier

أندريه سرفيه

٢٧١٠ صفحة من الحجم المتوسط

عرض له وتعليق عليه

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

من ٣٥٠ مليون مسلم من أقباع الرسول ورافقه لويس برنارد ، كاتب المقدمة ، على هذا الرأى ، إذ يقول : إن الغرض من الكتاب « خدمة قضية فرنسا في شمال إفريقيا » . ويعتبر بعد ذلك لويس برنارد : « أن الشيء الوحيد الذى أبدعه العرب هو دينهم وهذا الدين هو العقبة الرئيسية بينهم وبيننا . وفى سبيل حسن التفاهم مع رعايانا المسلمين ، ينبغي علينا أن نتجنب بكياسة أى شيء قد يؤدى إلى تقوية عصبيتهم الدينية . . . . »  
بمعنى آخر ، وبلفظة أكثر صراحة ، إن الطريق لخدمة الاستعمار الفرنسى فى شمال إفريقيا هو هدم الإسلام الذى يقف عقبة فى سبيل

صدر الكتاب فى عام ١٩٢٢ ، وظهرت الترجمة الإنجليزية عام ١٩٢٤ ، وهذه الترجمة الإنجليزية هى التى ترجع إليها فى عرض الكتاب . وصدرت الترجمة الإنجليزية بمقدمة قصيرة من قلم لويس برنارد lowis Bernard . ويقع الكتاب فى ستة عشر فصلا .

\* \* \*

الغرض الذى يهدف إليه المؤلف قد صرح به فى الفصل الأول ، حيث يقول إن فرنسا دولة إسلامية كبيرة Muhammadan power حيث إنها تحكم أكثر من عشرين مليونا من المسلمين ، غير أن هذه الملايين العشرين متحدون بضامنهم الدينى مع كتلة متينة مكونة

المسلم ونفسه . فالمسلم ليس شخصا منعزلا يقف عند حدود الأرض التي يعيش فوقها ، إذ أن المسلمين هم أولا مواطنون مسلمون ، وينتمون أخلاقيا ودينيا وفكريا إلى العالم الإسلامي ، وعاصمته مكة وحاكمه - نظريا - أمير المؤمنين . ( ص ٣ ) .

لقد نسجت هذه العقيدة على مر الزمن ، وصيغت ، في المذهب الديني الرسول ، ولما كان هذا المذهب ليس شيئا آخر سوى إفراز للعقل العربي Secretion of the Arab Brain فينبغي دراسة التساويح العربي لفهم العالم الإسلامي .

والعرب أعداء الحضارة . وما اكتسبوه في ظل الأمويين والعباسيين إنما يرجع إلى نقل علوم اليونان والرومان ، وبفضل المواطنين غير العرب الذين كانوا يعيشون في ظل الإسلام ، أو دخلوا الإسلام حديثا ، ولقد فقد السوريون والمصريون والبربر بعد إسلامهم ما كان لهم من نشاط وذكاء تحت حكم الإغريق والرومان ( ص ٥ ) .

فكيف فقد العرب أنفسهم - وهم الذين علوا الغرب في العصر الوسيط العلم والفلسفة - كل ما كان لهم من بريق ، وانزوا في غياهبات الجهل ؟

الجواب عن ذلك هو نفسية المسلم ، والدين الذي يعتنقه ، مما أصابه بالشلل والجمود ،

تحقيق أغراض المستعمرين . وليس هذا الحسب بل إنه يقف عقبة في سبيل الاستعمار الأوربي على جميع الشعوب الإسلامية . ومن أجل ذلك شرح المؤلف يبحث في الآليات التي تحصل المسلمين متماسكين فيما بينهم وتدفع بهم إلى مكافحة الاستعمار . ورأى أن البحث المجدى ينبغي أن ينصرف إلى تحليل نفسية المسلم .

فالإسلام دين وأمة Country وإذا كانت الأمة الإسلامية لم تملح في تهديد الإنسانية حتى الآن ، فذلك يرجع إلى سقوطه في مأوية من التأخر والانحلال يجعلها من المستحيل أن تناضل قوى العلم وتقدمه في العالم الغربي ( ص ٢ ) .

وعلى الرغم من جمود الإسلام ، فإن قبضته القوية على عقول المسلمين أدت إلى الشلل العقلي الذي يصاب به المسلمون ، وإلى انحطاط عقليتهم . ومع ذلك فلا يزال الإسلام مؤثرا في العالم والدليل على ذلك إسلام ملايين كثيرة أخيرا في الصين وتركستان والملايو وإفريقية . ولكن التساوسة يقاومون هذا التيار في إفريقية بنجاح .

من أجل ذلك يجب دراسة الإسلام دراسة بصيرة ، لا لوضع سياسة تواجه المسلمين في المستعمرات الإفريقية فقط ، بل في جميع أنحاء العالم الإسلامي . وذلك بمرقة عقلية

الفلسفية العالية ، فقد مزق وقطع كل شيء .  
وهذا الأثر المخرب هو الذي يفسر انحطاط  
الأمم الإسلامية ، وعجزهم عن الانفصال  
من البربرية . وهو يفسر كذلك الصعوبات  
التي يواجهها الفرنسيون في شمال إفريقيا .

• • •

في هذا الفصل الأول بيان واضح لحطة  
الكتاب ، وليست فصوله التالية إلا تدليلا  
على هذه القواعد العامة التي بسطها المؤلف ،  
والتي نجعلها فيما يأتي :

١ — حاجة الاستعداد إلى فهم تقسية  
المسلمين للتغلب عليهم .

٢ — تماسك المسلمين جميعا برابطة  
الإسلام .

٣ — الإسلام إفراس لعقلية العرب .

٤ — عقلية العرب فقيرة ، لاخيال لها  
ولا ابتكار ، ولا حضارة .

٥ — لا فضل للعرب وللمسلمين على  
الحضارة مطلقا .

٦ — ينبغي محاربة الإسلام وهدمه  
ليتسنى التغلب على الشعوب الإسلامية وحكمها  
بعد ذلك بسهولة .

• • •

الفصل الثاني عرض لعقلية العرب ونفسياتهم ،  
وأنهم صورة للصحراء التي نشأوا فيها . ونزع  
عن العرب كل فضيلة ، ونسب اليهم كل رذيلة .

حيث كان هذا الدين يسيطر على كل شيء  
في الحياة .

ومع ذلك فكل ما نقل عن العرب في العصر  
الوسيطة ، لم يكن إلا ترجمة كتبت بحروف  
حرية لفلسفة اليونان الإسكندرانية . وبعد  
فليس هناك حضارة عربية ، وإنما هناك  
حضارة يونانية ، أو رومانية . أما فتوحات  
العرب وانتصاراتهم الباهرة ، فلا تدل على  
شيء ، كما لا يدل انتصار المغول تحت راية  
جنكيز خان .

ثم إن العربي لاخيال له ، بل هو محدود  
بما يراه يحواسه ويحفظه بذكرته ، فهو عاجز  
عن تصور ما وراء الحس . ( ص ١١ )

والدين الإسلامي نفسه ليس منهجا أصيلا  
فهو جمع وتلفيق من التقاليد اليونانية  
والرومانية والتعاليم المسيحية . وعند ما تمثل  
العربي هذه المادة المختلفة المتباينة ، نزع عقله  
عنها كل ما فيها من حلية شعرية ، ولم يستطع  
فهم ما فيها من رمزية وفلسفة ، ثم أخرج منها  
منهجا دينيا باردا ، جليدا كأنه نظرية هندسية ،  
وهي : الله والرسول ، والإنسانية ( ص ١٢ ) .

٧ — والخلاصة ( ص ١٣ ) لقد نقل العرب  
عن الأمم الأخرى كل شيء : الأدب والفن ،  
والعلم ، بل الأفكار الدينية . ولقد مررت  
هذه الثقافات كلها من خلال عقله الضيق ، ولما  
كان عاجزا عن السمو إلى منزلة التصورات

وما بساطة الإسلام إلا انعكاس لعقلية العرب ، على حين أن عقائده مستمدة من الأديان الأخرى: فالوحدانية من الصابئة ، وكذلك الصلاة والصوم في رمضان .

ولسنا ندري كيف يجهل المؤلف أن الصابئة كانوا يعبدون الكواكب إلى جانب قولهم بإله واحد . ولكنه التعصب الأعمى ضد الإسلام مما جعله يزيغ التاريخ .

وهنا فصل إلى نهاية ما يمكن أن يبلغه الحقد على صاحب الرسالة ، حين يقول إن محمدا كان بدويا من مكة ، ولكنه بدوى منحل .

Mobamet was a Bedowin of mecca' But a debenerate Bedowin. ص ٤٣ . كان يبي كالنساء ، وكان عصيا وكان فقيرا معدما « اضطر إلى الاشتغال برعى الغنم ، فلما شعر بمحنة هذه المهنة قبل أن يكون مساعدا لتاجر اقشة يسمى « سائب » ( ١ ) Sapi وساقط الصدف سائب ومساعدته الجديد الى « حياشا » ( ٢ ) Hayacha وهي سوق عامة في جنوب مكة حيث تعرف محمد بن حديجة التي كانت تتاجر في القوافل . قد دخل خدمتها ، أولا كسائق جمل ، ثم ككثير ، ثم

وقد سقنا هذه العبارة بتمامها لتبين جهل المؤلف بالتاريخ ، أو زيفه له إن كان على

[١] لعله يريد عمار بن ياسر .

[٢] لعله يريد الحرور .

فهم محبون السلب والنهب ، وسفك الدماء . ونسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قوله لأحد أسرى بدر ، حين أمر بقتله وطلب الأسير منه الرحمة ، أحمد الله أنه منع صيني برؤية قتلك . فلما سأله الأسير ومن يرحى أولادى من بعدى ، أجابه الرسول « فليذهبوا إلى النار » ( ص ٢١ ) .

والحديث واضح الضعف ، وهو من تشنعات المستشرقين للطعن في الرسول ، والطعن في الإسلام ( ١ ) .

ولأنود أن نشير إلى طعن المؤلف على الرسول الكريم من جملة تعدد الزوجات ، واللفه على النساء ، فهو كلام معروف من المستشرقين . يقول المؤلف إن النبي وهو في الثالثة والحسين وقبح في فحرام عائشة ، وهي فتاة صغيرة في الثامنة من عمرها ص ٢٥ . وتعرض المؤلف كذلك لزواجه من زينب ، ليثبت أن العرب جميعا يحبون الانهباك في الذات الجنسية ، وأن هذه الصفة من صفاتهم الأصلية المنافية للحضارة .

ومن صفات العرب انعدام الخيال والبساطة

[١] هو عتبة بن أبي سفيان ، وكان من جيران النبي في مكة ، وكان من انفرادهين يؤدون النبي وهو في بيته يصل ، ولم يلم قسطنطين حتى بعد أسره . في السيرة لابن عمام ، عن ابن اسحاق « قال عفا حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله . في القصبة يا محمد ؟ قال النار - السيرة - ص ٢٩٨ .

الحال من الخيال أن يتمثله من العقائد المسيحية . ص ٦١ .

ولم يهتم محمد بالأخلاق ، بل كان اهتمامه الأول بالسياسة ، فقد كان رئيس حزب يكافح لغرض سلطانه ، واعتمد في الوصول إلى أغراضه على القوة Force ص ٦٤ .

ولما كان المؤلف يكرر الفكرة ويعيدها خلال الكتاب ، فقد نسي أو تناسى أن الإسلام لم يكن الذي انتشر أولاً بقوة السلاح ، بل بالدعوة والإقناع . جاء في القرآن الكريم .

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وقال تعالى : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » . وسمى أن انتشار الإسلام في أمم كثيرة ، حتى في الوقت الحاضر ، لم يعتمد أبداً على السيف ، مثل إسلام أندونيسيا والصين ، وكثيرين من أهل إفريقيا ؛ وذلك لأن الإسلام هو دين الحق ، وهو أكثر الأديان موافقة للعقل ، وأكثرها دعوة إلى الفضيلة

والعدل والأخلاق الكريمة . وهل يمكن أن يدوم الإسلام هذه القرون الطويلة لو لا أنه يدعو إلى تهذيب الأخلاق ، والسمو بالفرد . وهذا خلاف ما يقوله المؤلف : « ليس الإسلام في ذاته منهجاً يدعو إلى تكميل الفرد ، وإنما هو منهج يدعو إلى الانضمام مع أولئك الذين يعترفون بمحمد على أنه رسول الله » ص ٦٥ . وبذلك نزع عن الإسلام كل فضل .

علم به ، ثم حاولته الطعن في شخصية الرسول واتهامه إياه بالوصولية ، ونفى صفة النبوة عنه ، وصفه « الرجولة » ، وكل ذلك لتحويل أنظار المسلمين عنه . ونحن نعلم صبر الرسول على أذى المشركين ، ومشاركته في الغزوات ، وشجاعته غير أن المؤلف يقول عنه إنه كان « يتهاوى في ساحة القتال » ، وإن بعض العرب رآه يبكي كالنساء . وجملة القول إن فريشا كانت تنظر إليه على أنه شخص أدنى منهم « ص ٤٧ »

They looked upon him as an inferior being

أما نزول الوحي ، فالمؤلف يرجعه إلى أحلام محمد وأوهامه وخيالاته وإلى مزاجه العصبي وإلى الثوبات التي تصيب في الغالب أهل المناطق الحارة ، وإلى حالة من التهويم ، حين يكون الإنسان بين النوم واليقظة half-sleep تفضي به إلى الأحلام وإلى رؤية الرؤى . ص ٤٩ .

° ° °

ومن البديهي وقد طعن المؤلف في محمد ، أن يمتد طعنه إلى القرآن . وإلى الإسلام . وقد سبق أن ذكر ذلك إجمالاً ، وفي الفصل الخامس يذكره تفصيلاً . فالإسلام هو المسيحية وقد اصطفتها العقلية العربية ، أو بوجه أكثر دقة ، هو كل ما استطاع عقل البدوي ( يريد الرسول عليه الصلاة والسلام )

لا إلى الأسباب التي توهمها المؤلف بل إلى صدق العقيدة الإسلامية ونهذيتها للنفوس وتصميمها لها . أما الأمر الثاني ، فيخالف كل ما درفه التاريخ عن المسلمين ، فإن روح الاستشهاد Martyredom في سبيل الإسلام ، هي الالة الحقيقية في انتشاره وبخاصة في الصدر الأول . يريد المؤلف أن يرعى المسلمين بالجبن . وإذا قد زرع المؤلف عن الإسلام كل فضل ، فهو يقول : « إنه من الخطأ البين الزعم بأن الإسلام قد اتخذ طريقه إلى عقول الناس منجذبين إليه بسحر عقائده » (ص ٨١) يريد أن يقول إنه فرض بالحرب والقتال ، وذلك بصدد الحديث عن هزيمة الفرس والروم أيام أبي بكر وعمر . وهنا يظهر جليا التناقض في كلامه ، إذ كيف يصف الجيوش العربية بسوء النظام ، والتنظيم ، والتفاسك ، ثم تقتصر على الجيوش المجيشة التي تبلغ من العدد عشرة أضعاف ؟ ولقد نسي أنه وحف المسلمين من قبل بالتضامن ، وهو هنا يصفهم بضم التضامن . ونسي أنه وصفهم بعدم الاستشهاد ، فكيف يحاربون دون أن يموتوا شهداء ؟

أما عرضه للأحداث التاريخية في زمن الخلفاء الراشدين ، والأمويين والعباسيين ، فإنه يلتبس لها أسباباً تحط من شأن المسلمين ، وترميمهم بكل قبيصة ، ويصور الحكم الإسلامي أنه صادر عن الدين .

ويبدو أن السر في قصد المؤلف على الإسلام هو فشل المبشرين من المسيحيين الذين ينلون حابة جهنم في نشر المسيحية بين ذنوج إفريقيا ، بإزاء القوة الساحقة للإسلام بغير تبشير . وهو يرمي أن المسلمين في أرضنا ، وفكتوريا نياتزا اتبعوا أسلوبا في العناية ( البروباغندا ) يفصح عن الروح الحقيقية للإسلام ، أي ملاطفة شهوات الشر عند الزوج ص ٦٥ .

يقول المؤلف (ص ٧) إن محمدا باعتباره سياسيا معنكا ، أراد أن يرضى كل إنسان ، فلم يفرض لإسلامه سوى شرطين ، الاعتراف بالإسلام والإقرار برسالته . وغاب عن بال المؤلف أن أبا بكر حارب المرتدين الذين قبلوا الإسلام وأقرؤا بنبوة محمد ، ولكنهم رفضوا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة . حاربهم لأن « الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » .

وفي هذه الآية ما يرد به على المؤلف فيما زعمه من أن الإسلام ليس دين أخلاق ، بل دين سياسة فقط .

ثم يقول بعد ذلك إن هم الرسول أن يضم الأتباع تحت لوائه وذلك بأمرين : الأول نشر روح التضامن بين المسلمين ، والثاني تحريره الاستشهاد . ص ٧١ — ٧٢ .

أما الأمر الأول فصحيح ، وهو راجع

وقد دعا إلى ذلك بصراحة ، بعد تحليل الحركات الوطنية ، وبخاصة في مصر ، بزعامة مصطفى كامل ومحمد فريد ، وأحمد لطفي السيد ، وأن هذه الحركات الوطنية إنما يرجع السر في نجاحها إلى التمسك بالإسلام ، وأن هذه الحركات الوطنية تنعكس على المسلمين في تونس والجزائر ومراكش وتسبب للمستعمرين قلقاً شديداً .

فما السبيل إلى إيقاف هذه الحركات في الدول العربية ؟

السبيل في نظر المؤلف هو مساعدة تركيا ، اعتباراً مما قلب الإسلام ( في الوقت الذي كان يكتب فيه هذا الكتاب ) . لأن الأتراك « أقل المسلمين إسلاماً » . ( ص ٢٦٢ )

The least Islamized of all Musulmun people.

وفي هذا الفصل الأخير تعليل للحركات التي نشاهدها اليوم على مسرح الاستعمار الأوربي ، من احتضان الغرب لتركيا ودخولها في حلف بغداد ، واتفاقها مع إسرائيل ضد العرب . ولهذا السبب فظن أن الكتاب له أهمية كبيرة تقضح أساليب المستعمرين وخططهم بإزاء العالم الإسلامي كله .

أحمد فؤاد الأهواني

ولا يعني كثيراً رأي المؤلف في العرض التاريخي للأمم الإسلامية ، إذ ليس هذا هو المقصود من الكتاب ، وتفرز إلى ص ١٨٥ حيث يصور عقلية العرب بعد ذلك العرض لتاريخهم السياسي ، ويذكر أسباب انحطاطهم وسقوطهم .

فهنالك أسباب عامة : منها أن العرب لم يكونوا أبداً أهل سياسة يستطيعون وضع الأهداف الكبيرة مع الصبر على تحقيقها .

ومنها عجز العربي عن الاختراع ، والتقدم ، فهو ليس مهندساً ، بل مقلداً .

ومنها أن العربي ليس إدارياً ، ولا منتظماً ، فهو يحكم بمساعدة الأجانب .

ومنها أنه بربري لا ينشئ حضارة .

ومنها أن الدين عقبة في سبيل التقدم .

• • •

وفي ص ١٩٧ ، يزيد المؤلف نظريته القائلة بأن الإسلام عقبة في سبيل التقدم فيقول : « أن القرآن مكتوب بلغة ميتة لا يستطيع المسلم أن يفهمها إلا بدراسة خاصة » . وهنا بداية الخطأ التي يريد المؤلف أن يعلنها ، أي الطعن في العرب الذين يتكلمون اللغة العربية ، وفي إسلامهم ، والاتجاه إلى مسلمين لا يتكلمون اللغة العربية ، ومن ثم لا يفهمون القرآن ، وهم الأتراك .



# أَرْكَاءُ وَاحِدَةٍ

الأستاذ الأكبر يستقبل شهر رمضان  
ويهنئ المسلمين به

في أول ليلة من شهر رمضان العظيم أذاع صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر  
من (صوت العرب) على العالم الإسلامي هذا الحديث الجامع بصوته المبرر  
للؤثر وأسلوبه القوي النابض بداء بقوله :

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمة وبركاته

وبعد : ففي مطلع هذا الشهر المبارك ،  
وباسم الإسلام الذي هو دين الوحدة  
والتوحيد ، ودين العلم والعمل ، ودين العزة  
والكرامة .

وعلى موجات هذا الصوت الأنيرى الجهير  
« صوت العرب » صوت الدعوة إلى الحرية  
والثقة بالنفس ، والإيمان بالعروبة والإسلام .

وبلسان الأزهر الشريف الذي ظل أكثر  
من ألف عام مورداً غذاء للثقافة الإسلامية ،  
وموتلاً حصيناً للحرية الفكرية ، والذي  
يتلقى فيه المسلمون من كل شعب ، ومن كل  
مذهب ، طلاباً للعلم ، رواداً للبحث ، إخواناً  
متعاونين ، لافرق بين شرقي وغربي ، ولا بين

عربي وعجمي ، ولا بين أبيض وأسود ،  
بجامعة الإسلام يجتمعون ، وبظلال أخوة  
الإيمان يستظلون ، وإلى حنان أمهم مصر  
العربية الإسلامية يسكنون ويطمثون .

في قبض من هذا كله ، أفتح « صوت  
الأزهر » الذي سيوجه إليكم إن شاء الله بين  
برامج « صوت العرب » كلماته المنبثقة من تعاليم  
الإسلام الراشدة التي لا هدف لها إلا إسعاد  
البشر ، والاختد بأيديهم إلى كل ما يهديهم  
ويصلح بهم .

أيها السادة :

إن الصوم ولا شك يوحد بين المؤمنين  
في مشارق الأرض ومغاربها ، في أوقات النوم  
واليقظة ، وفي أوقات الأكل والشرب ،  
وفي أوقات الذكر والتسبيح والعبادة ،  
وهو يوحد بينهم في إحياء المراقبة القلبية

ويهديك صراطا مستقيما. وينسرك الله نصرا عزيزا ، هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ؛ ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ، والله جنود السموات والأرض ، وكان الله عليهما حكيمًا ، ، « ليندخل المؤمنون والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ويكفر عنهم سيئاتهم. وكان ذلك عند الله فوزا عظيما. »  
فما أجل أن يسمع المؤمنون وهم على حتبة هذه الفريضة أن انبأوا إلى ربكم وأعبده ، ووجدوا مهاجكم في الحياة ؛ اتصلوا إلى هدفكم الموحد ، وعانتكم المشتركة يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله والرسول ، إذا دعاكم لما يحْيِيكم ، ، « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ، « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . »

وإذا كان رمضان وما وقع فيه من أحداث ، وما نزل فيه من هداية ركزت سلطان الحق ، وزعزعت عروش الباطل ، وزلزلت كيان الضلال والبهتان ، وربطت قلوب الموحدين بالله من أكبر نعم الله على عباده المؤمنين ، التي أخرجتهم من الظلمات إلى النور ، وهدتهم إلى صراطه المستقيم ، فإن أبلغ الشكر على تلك النعم ما كان من جنسها : هداية وإرشاد وتقويم وإيمان ، واعتصام بحبل الله ، وجمع للشمل

الله رب العالمين ، فترى المؤمن فيه خاشعا ، قانتا ، محببا ، داعيا مستغفرا ، مرتلا لوحيه وقرآنه منبيا إلى ربه ، ثم هو بعد ذلك يصلهم بماضى ذكرياتهم المجيدة - يذكرهم بأن النصر حليف الصبر ، وأن الوحدة رائد القلب ، حينما يمر بهم السابغ عشر من شهر رمضان ، ويذكرون به غزو الحق للباطل في موقعة بدر التي تركز بها سلطانهم في جزيرة العرب ، والتي امتد بها سلطان التوحيد حتى أشرقت الجزيرة بنور ربها ، « ولقد نصركم الله يدر وأتم أذلة فأنقوا الله لعلكم تشكرون . »

وحينما يذكرون أن القرآن الذي جمع كلمتهم ، وربط قلوبهم ووجههم إلى سبيل العزة والسيادة ، وقضى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين نزل في رمضان ، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وفيه يذكرون ذلك الحادث العظيم الذي عاد به أولياء الله وأنصاره والمؤمنون به إلى بلدهم الذي منه أخرجوا بضيق حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ذلك الحادث هو فتح مكة ، الذي سجله القرآن أبلغ تسجيل ، وجعله سبيلا للغفرة والسكينة تملأ قلوب المؤمنين « إنا فتحنا لك فتحا مبينا : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ،

## تحقيق صحفي

قامت به محررة في جريدة أخبار اليوم لدى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، اشتمل على رأى الإسلام في طائفة من الأمور الاجتماعية والنسائية .

قالت المحررة :

وأشرق وجه الشيخ شلتوت بابتسامة كلها  
نساخ .. كلها حب .. كلها رضى ، وقال  
بصوت لا يرتفع عن الحمس إلا قليلا :

لما عجزت ثلاثة أشهر عن مقابلة فضيلة  
الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أرسلت  
إليه أقول : أريد أن أعرف إن كان سبب  
امتناعكم عن مقابلتي هو أنني فتاة ؟ لجأنى  
الرد في اليوم التالى لأن فضيلة الأستاذ الأكبر  
قرر أن يقابلني ؛ لكي يثبت لك أنه لا فرق  
عنده في المعاملة بين فتى وفتاة ..

يا ابتى : إن البشرية في كل عصر .. وفي كل  
طبقاتها .. فيها الخبيث المحقوت ، والطيب  
المحبوب .. وما خلقت البشرية من الخبيث قط ،  
وما خلقت البشرية من الطيب . قط وعلى العاقل  
أن يتفقد الخير والشر ، وأن يمحس حياته  
ويسلك سبيل الهدى والرشاد ؛ بما يحفظ قيمته  
ويعل كرامته . هذا مبدؤنا ولا فرق بين هذا  
الجيل وغيره في خضوعه لهذا المبدأ .

قلت لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود  
شلتوت : أريد أن أعرف رأى فضيلتكم  
في شباب هذا الجيل .. أم أفضل أم أسوأ  
من شباب الجيل الماضى .. وما رأيكم فيه  
من الناحية الأخلاقية .

قلت لشيخ الأزهر : الدين الإسلامى دين

أوائها - والله يهدينا جميعا إلى سواء السبيل ؛  
ويوفق قادتنا إلى خير الإسلام والعروبة .

أيها الأحوة :

أحييكم أحييكم ، وأمنيكم أمنيكم ، وأدعوكم  
إلى كلمة الله ودعوة رسوله النبي الأمين ، وكل  
حلم وأتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

وتوحيد للكلمة ، وتحمل بالصبر والمصابرة  
والمروءة .

فالجميع إخوتائى المسلمين أقدم أطيب  
التحيات ، وأعق التهانى القلبية ، وأضرع  
إلى الله أن يتم عليهم نوره ، وأن يكمل لهم  
وحشتهم حتى يعم خيرها الإنسانية كلها ، وأن  
يتنفع بهم آخر الإنسانية - كما انتفع بأوتلهم

الفهم ولا نحكم فيه رغباتنا وشهواتنا ، والإسلام على وجه عام يدعو إلى التقدم وإلى النهوض وإلى العزة والكرامة والقوة والمجد . وحسب الشباب من فتیان وفتيات أن يفهموا هذا وأن يعملوا على التحل به .

قلت : أريد أن أعرف . هل يمنع الإسلام اشتغال المرأة . وإذا لم يكن يمنع فهل هناك أعمال معينة بالذات يحرمها عليها ؟ مثلاً . . هناك ضجة في هذه الأيام بسبب عدم تمييز الفتيات في السلك الدبلوماسي . فهل يسمح الإسلام بأن تمثل المرأة بلادها في الخارج . وأن تعيش هناك وحدها بلا رقيب ؟

قال : اسمي . سأضع لك قاعدة عامة تطبقها على كل ما يتعلق بأمر المرأة في هذا الخصوص . فالإسلام يعمل أساساً على حفظ الأخلاق وصيانة الأعراض وعلى ألا تبرز الآثى بمظاهر الإغراء التي من شأنها إثارة الفرائز . فكل اجتماع لا يتحقق فيه هذا المعنى عمل بموت . وكل عمل يفتح على الفتاة أبواب الرب وبالفرائز البشرية عمل بموت . وللعنة داخل هذا الإطار أن تقوم بما يتفقها ، وبما تحتاج إليه في معاشها وتنظم أسرتها وتربية أطفالها حين الزواج ومشاركة مجتمعا . أما الجزئيات فأمرها بعد هذا الأصل هين . ومن السهل أن تعرف كل فتاة ما يحفظ كرامتها ويصون عرضها .

يسر ومن مقتضاء التطور مع الزمن فهل يمكننا أن نطوع النصوص الدينية لمقتضيات العصر فيما يتعلق بكثير من الأوضاع الاجتماعية التي أصبح من الصعب تنفيذ نصوص الشريعة بخصوصها تنفيذاً حرفياً ؟

قال : اضرب لي مثلاً . .

قلت : مثلاً الطريقة التي تلبس بها السيدات في هذا العصر تختلف كثيراً عن الطريقة التي قروتها الشريعة . والسيدة التي ترتدى ثيابها على الطريقة الإسلامية في هذه الأيام لابد أن تصادف حرجاً ومضايقات في كل مكان تنهب إليه . . بل إن ذلك قد يمنعها من تلقى العلم أو العمل . . فما هو الحل في رأيكم لتوفيق بين النصوص الدينية وبين مقتضيات العصر ؟ وهناك مشاكل أخرى مثل العلاقات الاجتماعية التي أصبحت تربط الثبان بالشابات مثل الاختلاط في الجامعة ، وفي العمل وفي الأندية وهناك أيضاً مسألة مشاهدة الأفلام السينائية الغرامية والاستماع إلى الأغاني العالقية ؟

فرد شيخ الأزهر وفي صوته انفعال :

لا أحب أن أسمع أن الجيل الجديد من الشباب يتطلب كذا ولا بد أن نطوع أحكام الإسلام لمقتضيات هذا الجيل . لأن تطويع أحكام الإسلام لغير الجهة التي حددها خروج بالإسلام عن وضعه وإفساد لتعاليمه . إنما علينا أن نهتم به حق

ومظاهر قدرته وأفعاله في خلقه . وكم لله من آيات في الأرض والسماء يستطيع المسلمون الناجون المؤمنون أن يفرسوا شجرتها في قلوب التلاميذ . وهناك جهة أخرى، وهي أن تعمل الحكومة وجميع معاهد التربية والتعليم على تهية الفرص للتلاميذ في القيام بواجبات الإيمان العملية وأداء الشعائر الإسلامية من الصلاة والصوم وكل ما من شأنه أن ينمي الإيمان في القلوب . فالمطلوب أمران علم ومعركة ، وعمل وتدريب ، وبذلك ينهض الشاب مؤمناً قوياً في قوله وعمله وحياته . وما دامت دراسة الدين في مدارسنا ومعاهدنا دراسة شكلية صورية لا تصل إلى القلب ، وما دمننا نسخر من الصلاة ومن المصلين ومن الصوم والصائمين كذلك فبحال أن نصل إلى الهدف ، وهو تقوية الإيمان في قلوب الشباب . وإذن ستظل أمتنا وشعبنا تعاني من وجود شباب ورجال يعمل الإيمان في قلوبهم كما يحب الله ويحب الرسول : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » ، فالمطلوب إيمان يبعد عنه الشك والريب . ولا يفتونا كبح جراح الصحافة ولا مؤاخذه المجلات التي تعرض صور الإغراء في إفساد الأخلاق والآراء الشاذة الوافدة إلينا من يور أو من آفاق تضمحل لشعوبنا العربية

قلت : يعني يجوز الفتاة أن تعمل في أي مهنة ما دامت تحفظ كرامتها وتصون عرضها ؟  
قال : نعم . .

قلت : هل يجوز للفتاة أن تعمل بالوعظ والإرشاد ؟  
قال : نعم . .

قلت : وما هو رأيكم في الوسيلة التي يمكن بها محاربة موجة الإلحاد التي تبتلع العالم : وما هو السبيل إلى إعادة الإيمان للقلوب التي أصبح يهزها الشك .

قال : هذا سؤال جدير أن تشرئب إلى الإجابة إليه الأعناق ، وجدير أن يجتمع في سبيل الإجابة العملية عنه رجال التربية ورجال التعليم ورجال الحكم . ولا أريد أن يفرس رجال الحكم الإيمان في القلوب بالقوانين وإنما أريد أن يكونوا قدوة عملية يقتدى الناس بهم وبأمرهم في الإيمان وآثاره ومظاهره ، وأن يسدوا التوافد التي فقد منها إلى الشباب دواعي الإلحاد . فالمقيدة أسمى ما يملكه الإنسان في حياته ، والشباب المشر في وطنه المكافح هو من قوى إيمانه ، ومن هنا نرى أن بيئات التعليم ملازمة بفرس شجرة الإيمان في قلوب التلاميذ من مبدأ نشأتهم حتى تنمو بنموهم وتزدهر وثمر ، ولا أريد الإيمان التلقيني ، وإنما أريد الإيمان النابع من القلب بلفت الأنظار إلى سنن الله في الكون

يصغر ثم يكبر ويكبر ثم يصغر ويتخذ أشكالا مختلفة ، وراعتهم هذه الظاهرة ولم يعرفوا عن أسبابها شيئا اتجه بعضهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه عن الحلال ما باله يبدو صغيراً ثم يكبر يطلبون كشف هذه الحقيقة الكونية . . . فكان جواب الحكمة الإلهية أن أخذت بهم عن البحث في هذا الجانب إلى بيان الثمرة والحكمة المترتبة على صغر القمر وكبره ، ونرى ذلك فيما يتعلق بشرح الآية الآتية وهي قوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ، وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . . » والآية تشير إلى أن التوجه إلى بحث الكائنات أو تفسير الشرائع السماوية بالسخر الكونية إتيان للبيوت من ظهورها . . . فعلى الناس أن يرجعوا أنفسهم من تكلف تطبيق القرآن أو تفسيره أو احتوائه على مظاهر الكون ، فالكون كتاب والقرآن كتاب ، والقرآن يدفع بالناس إلى البحث عن مظاهر الكون وتقصى سنن الله فيه ، وليس من شأن الرسالات الإلهية سوى ذلك فلا تحملوها أكثر مما حملها الله .

• • •

قلت للأستاذ الأكبر : ترى ما هو رأى الدين ورأى فضيتكم في الحب ؟  
قال في تجاهل : الحب ألوان متعددة .

الإسلامية كل الشرور وما هي بعيدة عنا . . . باسم الحرية وما هي بالحرية ، وإنما هي الفوضى الممقوتة والحياة المكذوبة والعجور المنكر . وهذه يدى أمدتها لعقلاء الصحفيين وفى مقدمتهم الأستاذ على أمين راجيا أن تعاود على إخلاء الطريق للإيمان الحق ليصل إلى قلوب أبنائنا وبناتنا وأسرتنا ، فتنبئ بذلك أمة قوية لا يهكم الأعداء في اقتحام أسوارها . ونرجو الله بعد هذا أن يوفقنا جميعا لما يحفظ كيانتنا ويفرس مصافى الاستقرار في نفوسنا والله المعين والمستعان .

• • •

قلت : يريد الناس أن يعرفوا رأى الإسلام في محاولة الوصول إلى القمر . . هل هي حلال أم حرام . . وهل هناك في القرآن الكريم آيات فيها ذكر لهذه المحاولات التي يبذلها الإنسان للوصول إلى الكواكب الأخرى ؟

قال : هذا جانب بشري تركه الإسلام في ذاته وفي وسائله للعقل البشري ولم يحدد له طريقا ولم يبين له فيه حقيقة . نعم حث الإسلام بوجه عام على النظر في الكائنات وعلى البحث في ملكوت السموات والأرض في الشمس وآثارها ومحورها ودورانها والقمر وآثاره ومحوره ودورانه . وترك ما وراء ذلك للعقل البشري . وليس من شأن الديانات السماوية أن تكشف الحقائق الكونية . وأقرب مثال لنا أن القوم في زمن التنزيل حينما رأوا القمر

والأولاد، وأنه يطب من المصلحة أو المؤسسة التي يحصل فيها الزوج المطلق أن تتعهد بأن تدفع هذه النسبة آلياً للزوجة المطلقة عند الطلاق، وبذلك يقل عدد قضايا النفقة المنظورة أمام المحاكم ونحصى الزوجات من استتار الأزواج، وعلى الزوج المطلق أو الزوجة المطلقة أن ترفع الأمر إلى القضاء بصد ذلك إذا كان لديه اعتراض على قيمة هذه النسبة المعينة كسفقة.

وسكت شيخ الأزهر قليلاً ثم قال : واضح أن هذه الفكرة ترى إلى هدف معين محدد هو صيانة المطلقة من التردد على أبواب المحاكم التقاسا لحقها في مؤخر الصداق وقد فاتتها الإقامة بالطلاق في حظيرة الزواج، وليس من شك في أن الإسلام يعمل بكل تشريعاته على حفظ كرامة المرأة : متزوجة أو مطلقة، وهي فكرة بعد هذا لا تمس شرعية الطلاق ولا تمنع الزوج من حقه في أن يطلق، وإنما هي مجرد تنظيم يقصد به حفظ حق المستحق كما يقصد به صون كرامة المرأة بعد طلاقها وفوات الإنفاق عليها. والإسلام في تنظيماته كلها يدور حول محور حفظ الحقوق وحفظ الكرامات للرجال والنساء. وكل من منظمات مثل هذا التنظيم تضمنها قانون الأحوال الشخصية ولائحة المحاكم الشرعية، وما كان القصد منها سوى حفظ الحق وتمكين صاحبه منه. فمقتضى تحديد سن الزواج وعدم سماع الدعوى بالزواج العرفي

قلت في إصرار : أنا أعني بالحب تلك العاطفة التي تنشأ بين قى وقتاة .

قال : لو كنت أتق أن العتيان والعتيات لا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا أن الصحافة لا تتخذ من تصريحات أمثالنا طريقاً لدعوتها الخاصة التي تريدها، لتحدثت معك في جواب هذا السؤال . ولكنني تعودت من الصحافة أنها تجعل من «الحبة قبة» وأن فنسب الرأي الذي تريده إلى الكلمة التي أدل بها مهما كانت دلالة الكلمة، فتخرج عن العائدة المرجوة لنا والصحيفة ولما نؤيده للصاب.. فلذلك أرجو إعفائي من الحديث في هذه المسألة .

قلت : ولكنني أهدك ألا أحرف كلمة واحدة من كلماتك .

قال : لا . . . لن أتكلم في هذا الموضوع . . . سأبقي في موضوع آخر أكثر جدية .

قلت : إذن . . . سيكون سؤال الأخير جاداً للغاية وهو . . . ما رأى فضيلتكم في الفكرة التي نادى بها على أمين والتي طالب فيها بحماية المرأة المطلقة من الانتظار طويلاً والتسكع على أرصفة المحاكم حتى يحكم لها القضاء بمؤخر الصداق والنفقة، وذلك عن طريق إصدار قانون يقضى بمنع المأذون من تسليم الزوج ورقة الطلاق إلا إذا تسلم منه إذن بريد بقيمة مؤخر الصداق، وطالب بها أيضاً بأن يحدد القانون نسبة معينة من دخل الزوج كسفقة للزوجة

حقوقها وبذلك تنعم الأسرة وتقوى وتصبح  
لبنة قوية في بناء الأمة وكم رأينا من زوجات  
طلقن وفارقن أزواجهن ومن فتيات فقشن،  
وأخشى أن أقول : « بين واشترين بأغلى  
الأثمان وأحقر المدايات » .

وقت واقفة بعد أن أخذت من وقت  
فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر  
أكثر من ساعة . . . وعند الباب أتاني صوته  
الهامس قائلا : « حدي يا ابنتي ألا تحرفي شيئا  
من حديثي » .

والنصف إليه : « وحيث رأسي في صمت »  
« وخرجت » .

ولعل الأستاذ الأكبر قد علم الآن أنني قد  
وفيت بوعدى له . . . وهل كنت أستطيع  
أن أخلف وعدا قطعت على نفسي أمام  
شيخ الإسلام .

حسن شاه

الحررة بصحيفة أخبار اليوم

الذي لم يكون في وثيقة . . . هذان وأمثالهما  
من باب هذا التنظيم الذي يرى إلى حفظ الحق  
وحفظ الكرامة . وفي خصوص ضمان راحة  
المطلقة من جهة المعاش جاءت آيات في سورة  
البقرة تحتم مراعاة هذا الجانب بعد الطلاق فيها  
قوله تعالى : « وإذا طلقتم النساء فبينهن أجهلن  
فأمسكنهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف »  
وليس من شك في أن هذا التنظيم مما يدخل  
تحت التبرج بالمعروف ومنها طلب تقديم  
التمتع للزوجة المطلقة بعد الطلاق وفي ذلك  
يقول الله تعالى : « وللطلقات متاع بالمعروف  
حقا على المتقين » والمراد ما تعارف في أسرة  
المطلقة وانظري كيف عبر عنه بالحق ، وكلمة  
على واعتبره من علامة التقوى والإيمان  
القوى بعد التعبير عنه باللام ( وللطلقات )  
فهم هذه آيات ، وهناك نصوص أخرى كلها  
صريحة أو توحي بتركيز هذه المعركة على أصول  
شرعية قوية ، وما علينا إلا أن نفهم كتاب  
الله وإرشاد رسوله في تكوين الأسرة وحفظ

## من حكم الصوم

يروى أنه قيل ليوסף الصديق عليه السلام : لم تجوع وفي يدك خزائن الأرض ؟  
فقال : أخاف أن أشبع فأنتى الجائع .

وقيل للأحنف بن قيس . إنك شيخ كبير ، وإن الصيام يضعفك . فأجاب الأحنف :  
إني أعدده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه .



## موجز الحديث

الذى دار بين الأستاذ الأكبر وسفير كندا بالقاهرة

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، ، ، ، ومن ذلك في القرآن كثير .  
ثم سأل السيد السفير عن العلاقة بين المؤمنين بالله وكيف ينبغي أن تكون لمقاومة المادية في كل صورها الاعتقادية والفكرية والسياسية .  
وأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر : بأن الموقف بالنسبة للمسلمين في غاية الوضوح والبساطة .  
فالإسلام يؤكد في غير موضع من القرآن وحدة الدين الإلهي ، ويقرر في أكثر من مناسبة وحدة الإنسانية ، ويدعو إلى الأخوة الصادقة والراحم ، وينهى على المتفرقين من اليهود والنصارى تناذهم ، ويحثهم على أن يجتمعوا مع المسلمين على كلمة سواء . « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » .

والقرآن الكريم في آياته الواضحة يتأدى جميع الضعوب والأجناس بقوله « يا أيها الناس ، « يا بني آدم ، ويكرر ذلك دائما ، فهو لا يفرق بين جنس جنس ، ولا بين لون ولون ، وإنما يدعوهم لأب واحد وينسبهم إلى إنسانية واحدة ، تعبد رباً واحداً وتسمى إلى هدف مشترك لسعادة الجميع . وأكثر من هذا يبيح الإسلام

سأل السيد السفير عن طبيعة العلاقات بين الإسلام وبين غيره من الأديان الإلهية الأخرى .

فعلق فضيلة الأستاذ الأكبر على ذلك بقوله :  
إن الإسلام لا يرى أن هناك أديانا أخرى تختلف عنه في الجوهر ؛ لأن دين الله واحد ، جاء من مصدر واحد ، هو المعبود الواحد .  
وليس هناك - في نظر الإسلام - أديان سماوية مختلفة ، وإنما فقط هناك رسالات متعددة كان لكل منها ظروف اجتماعية وثقافية وإنسانية خاصة . وهناك رسل عديدون جاء كل منهم استجابة من السماء لمواهل أرضية خاصة ، تقلبت على تاريخ البشرية . أما دين الله فواحد وسيتق كذلك إلى ما شاء الله .

« وشرح لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه .

« قولوا آمنا بالله وما أنزلنا إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم ، لا تفرق بين أحد منهم ونحن لهم مسلمون » .

بما قرره الإسلام أولاً من حيث المبدأ أو بما اتخذته الأزهر أخيراً من خطوات عملية نحو تعليم اللغات الأجنبية ، حتى يستطيع طالب الأزهر وخريجوه وابن الإسلام أن يتغلغل في ميادين الثقافة الأجنبية ويفهم ما عند غيره من أفكار وقيم وتجارب تساعد على القرب منهم والتعاون معهم .

وبعد أن أشار فضيلة الأستاذ الأكبر إلى بعض الأمثلة في هذا الصدد قال : إن على غيرنا أن يسيروا في اتجاه مماثل فیتعلموا لغتنا ويدرسوا ثقافتنا ويعرفوا ما عندنا من عقائد ومبادئ وقيم حتى يقفوا على حقيقة أمرنا ، وحتى يمكن أن نلتقي معهم في منتصف الطريق ، ونعاون على إسعاد البشرية ، والتعفيف من آلام الإنسانية ، ونكون بحق أصحاب رسالات إلهية ومن المؤمنين بالله رب الإنسانية جماء .

وما كاد فضيلة الأستاذ الأكبر يفرغ من حديثه حتى قال السيد السفير إنه سعيد بأن كندا قد بدأت فعلاً تسير في هذا الطريق وضرب لذلك مثلاً به معهد الدراسات الإسلامية ، في جامعة ماكجل بمونتريال ، الذي أنشأه ويشرف عليه شقيق السيد السفير ، والذي يتكون أساتذته وطلابه من مجموعة مختارة من المسلمين والمسيحيين .

ثم استأذن السيد السفير في السؤال ( عن خطر الشيوعية في البلاد الإسلامية ) .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر إن الشيوعية

زواج المسلم بالكتابية وجعل أحوال ابنته من غير المسلمين ، وهذا كله دليل واضح على مدى فهم الإسلام لمشكلة الإنسانية واتخاذ الخطوات الإيجابية لحلها والتقريب بين المتنافرين ، وبناء مجتمع عالمي قائم على حسن النعام والأخوة والمساواة .

وعندئذ قال السيد السفير : إذا كان الأمر كذلك فما هي الوسائل الفعالة لتنفيذ هذه التعاليم الحكيمة لتقريب بين المؤمنين بالله ولصالح الإنسانية ؟

وأجلب فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الوسائل الإيجابية ليست في عقد مؤتمرات ولا في لقاء جابر ، وإنما هي أهم من ذلك وأعمق . ثم ذكر فضيلته أنه أخبر بعض الصحفيين الإيطاليين أنه لا يوافق على فكرة البابا ، في عقد مؤتمر عالمي لممثل الأديان : لبحث وسائل حسن النعام والتعاون بينهم ؛ لأن المؤتمرات - أيا كانت طبيعتها - تبدأ بكلام وتنتهي بكلام لا تتبعه نتائج عملية .

وبعد أن ذكر فضيلته الأمثلة على ذلك قال : إن الطريق الإيجابي هو طريق الفكر المستنير والثقافة الرشيدة ، طريق التفاهم المباشر ، وذلك بأن يسعى كل فريق لمعرفة ما عند الفريق الآخر من مبادئ وقيم وتعاليم ، معرفة بعيرة بعيدة عن الهوى . ثم ذكر فضيلته أن المسلمين قد بدأوا فعلاً يسير في هذا الاتجاه الموضوعي

أدعواهم أن يتذكروا دائماً أن صواعق العدالة الإلهية أشد تدميراً وفتكاً من صواعق الإنسان ، وأنهم إن لم يكفوا عن ظلم الشعوب الصغيرة واستعمارها فسيكون مصيرهم مصير قوم نوح وعاد وثمود وما ذلك بعيد والتاريخ يعيد نفسه واقعه لا يففل عن دعوة المظلوم أبداً . ستنهض الشعوب الصغيرة وترتقي وتنتقم لنفسها وكرامتها إن لم يصرح قادة الدول الكبرى بتغيير سياستهم ومساعدة الضعفاء على التحرر والاستقلال . إن حل الموقف اليوم في أيدي الدول الكبرى فهي تستطيع أن تواصل سياسة البطش والظلم والعدوان ولكن ذلك سيكون على حساب الإنسانية كلها لأن الشعوب المظلومة ستنتقم لنفسها يوماً ما وتستمر اللازمة ويدوم الثور . أما إن غيرت الدول الكبرى موقفها واستغلت التقدم العلمي والحضارى فى أغراض سلبية إنسانية فإن الإنسانية ستكون سميكة هائلة . وأتخذ يسود مبدأ الأسرة الإنسانية الواحدة وهو المبدأ الذى قرره الإسلام كواحد من تعاليمه الخالدة . وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة والنصف تقريباً فشكر السيد السفير فضيلة الأستاذ الأكبر من أعماقه وعبر لفضيلته عن بالغ سروره بهذا الحديث الممتع وتمنى له عاجل الشفاء ودوام الصحة لخدمة الإسلام والسلام والإنسانية .

نبات قاسد لا ينمو إلا فى أرض فاسدة وتربة ميتة . وهى مهما تطلعت لا تستطيع أن تعيش فى بلد إسلامى ؛ لأن الإسلام فيه الغناء وفيه العلاج ، وطريقنا لمقاومة الشيوعية هو طريق الإسلام . ندعو الناس - وقد دعوناهم فعلاً إلى التمسك بتعاليم الإسلام وتطبيق تعاليمه فى شتى جوانب الحياة وهى كفيلة لا بأسعاد المسلمين وحدهم ولكن بإسعاد البشرية كلها . وبعد ذلك سأل السيد السفير عما إذا كان الجيل الحاضر بين المسلمين أكثر تدبناً أو أقل من الجيل الماضى مثلاً .

وعلق فضيلة الأستاذ الأكبر على ذلك بقوله : إن التدين لا يقاس بالأجيال ولا بالسن ولا بالزمان أو المكان ، وإنما هو نشئة صالحة فى بيئة طيبة تحت قيادة وشيعة مؤمنة . وهذا كله يوجد دائماً حيث يكون هناك إسلام صحيح ومسلمون صادقون .

وأخيراً سأل السيد السفير عن الكلمة التى يمكن أن يتوجه بها فضيلة الأستاذ الأكبر إلى الأفراد والشعوب لتخفيف أزمة التوتر العالمى .

فقال فضيلته : (تلى أدعو أبناء الشعوب الصغيرة المستضعفة ألا يفقدوا ثقمتهم بالله ، ولا يضيعوا إيمانهم فيه فهو عادل لا يهمل العالم وإن أمهله . وعلى هؤلاء أن يلتفتوا حول رسالة السماء إذ هى المنقذ الوحيد للبشرية . أما كلتى إلى قادة الشعوب الكبرى فهى أنى

## الكلمة التي ألقاها الأستاذ الأبر

على شباب إفريقيا وآسيا

زاهرة تلى فيها مبادئ السلام ليحبها الذين  
شربوا من دماء الإنسانية وهم يدعون حمايتها  
والزود عنها .

أتم اليوم في الأزهر الذي تلاقت في حلقات  
دروسه الدينية العلية ، أبناء آسيا وإفريقيا  
يجمعهم ويكون منهم كتلة مترابطة تفهم معاني  
الحرية ، وتبني الضيم وتنتصر للظلم وترد  
كيد الظالمين .

الأزهر الذي يسره استقبالكم ، يسره  
أن يلتقي كل منكم أبا من إخوانه في الجنس  
والوطن في الأزهر المسمود .

إننا جميعاً نرجع إلى أصل واحد يجمعنا  
ويدفعنا إلى التضامن ، التضامن منبع القوى  
الداقة ، والفرات الكريم نادى الناس  
بما يشعرون بهذا المعنى فقال « يا بني آدم »  
وياها الناس إننا خلقناكم من ذكر وأنثى  
وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ،  
أياها الشباب .

لقد لبس الاستعمار كل لون يعرض به نفسه  
ليغزو وحدتكم ويفرق شملكم ، ويضرب  
بعضكم ببعض ، ولترسخ أقدامه وتقوم حياته  
في أوطانكم ، تدخل مرة باسم التضامن ،  
وباسم التحالف ، ولكنها لغة رديئة لم تعد

أبنائي وإخواني :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته  
هذه هي نعمة الإسلام تحمل أسى المعاني  
التي تنشدها ونسعى إليها ، تحمل السلام وهو  
هدفتنا جميعاً وتحمل الرحمة التي ينبغي أن تكون  
في قلب كل مؤمن بحقوق الإنسان .

إن الشباب حياة تنفجر منها كل القوى .  
وأتم اليوم بتضامنكم واتحادكم وتراصكم  
واجتماعكم ، لاشد قوة وأعز جانباً وأمضى  
عزماً وأشد بأساً .

لقد فرق بينكم الاستعمار يا أبناء آسيا  
 وإفريقيا ، وأبى إلا أن يمزق بلادنا وبلادكم ،  
ويجعلها أجزاء متناثرة . فأيتهم إلا أن تنضوا  
تحت قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا  
في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان  
إنه لكم عدو مبين » ، وتكونوا وحدة ترد  
سيوفهم إلى نحورهم ويعود بغيرهم عليهم .

لقد وحد بين إفريقيا وآسيا كفاح  
ونضال ، وديانات روحية ، ورسالات سماوية  
وشباب وقوة ، وجهاد في ميادين الحرية .

والآن وقد تقاربت صفوفكم ، وتضامنت  
آراؤكم ، وجمعتكم الطلوع لمستقبل باسم ، وأيام

وإن الأزهر ليعاهدكم جميعا على أن يكون  
في خدمة شعوب آسيا وإفريقيا يستقبل أبناءهم  
ويبعث إليهم بالأساتذة وكل منطلع الثقافة  
يزودهم بكل ما يحتاجون إليه في التبصير بشئون  
الإسلام الذي يجمع الجميع إلى هدف واحد  
هو خير الدنيا وسعادة الآخرة .

والأزهر يعلن على الملأ أن الإسلام غني  
بتعاليمه وآرائه الإصلاحية عن تلك الآراء  
والمذاهب التي تفقد نارة من هنا ونارة من  
هناك وليس لها من هدف سوى تفريق شملنا  
وتوهين عزمننا وصرقنا عن قوميتنا التي بها  
حياتنا ، والتي قبض الله لإحيائها ، وتوجيه  
قلوبنا إليها ، ذلكم الشاب القوي في إيمانه  
وعزيمته ، الصادق في نيته ، واشد العروبة  
والإسلام جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية  
العربية المتحدة .

حياكم الله وأدام التوفيق لرئيس النهضة  
الضامنية والقوة الإخائية وراشد القومية  
العربية السيد الرئيس جمال عبد الناصر المؤمن  
بمخفوق الإنسانية جماء .

والسلام عليكم ورحمة الله

صالحه ، ولا يجدية ، لأننا في نقطة تزايد  
وفي وعى يشب إلى ذرى مجده .  
ومرة أخرى لبس ثوب الاقتصاد ودخل  
به . ولكنه ارتد على عقبيه وانهدم أمام  
صلابتكم وقوتكم .

احذروا هؤلاء . وهؤلاء ، واضربوا فوق  
الأصناق واضربوا منهم كل بنان إذا كتمتم قد  
أظهروا والحمد لله قوتكم في الإيمان بحقكم وبرهنتهم  
للعالم على مدى هذه القوة في الذود عن أوطانكم  
وعن أرواحكم التي جعلها الله لكم ، فلتعمل  
أيديكم القوية في البناء والتعمير ، وفي كل ما  
يعود على البشرية والإنسانية من خير .

وإن الإسلام لمليء بتعاليمه التي تسكنل  
للشريعة جماء الخير والسعادة وتضمن للشعوب  
الأرض والسلام والرخاء .

إن الإسلام لا يضيق صدره بما فيه  
صلاح الشعوب جميعا وقد صلحت به في الماضي  
ووسع كل شئونهم وكل ما يحتاجون فلنصلح  
به حاضرنا ومستقبلنا .

أحييكم من الأزهر مهد الثقافة وجامعة الأمم  
الإسلامية والعربية الإفريقية والآسيوية ،  
وأدعو الله أن يشر مؤتمركم ثمرته التي يعلق  
عليها كل حب السلام أملا كبيرا .

# الأدب والعلوم

## دائرة معارف عربية

من العجيب أن يكون لكل دولة من دول الحضارة دوائر معارف شق منها الكبير والمتوسط ، ومنها العام والخاص ، ولا يكون للتراث العربي على ضحاياه وتنوعه دائرة معارف تجمعهم وتضمه وتسهل للناس الاطلاع عليه : نعم إن هناك دائرة المعارف الإسلامية التي وضعها المستشرقون من علماء هولندا

وفرنسا وألمانيا وانجلترا ولكنها لم تترجم كاملة إلى اللغة العربية ولقد اهتمت

في العهد الأخير وزارة الثقافة والإرشاد بوضع موسوعة عامة تستعين فيها بجميع دوائر المعارف في العالم وعددها ١٧ دائرة في انجلترا وأمريكا وفرنسا وإيطاليا وروسيا وألمانيا وستشملها ٤٥٠ رجلا من مديري الجامعات والعلماء والأساتذة من العرب والأجانب ، يضعون الخطط ويسدون البحوث ويختارون المختصين وينفذون المشروع وقد قيل إن الوزارة

أرصدت لها من المال مليون جنيه على عشر سنوات وستبدأ العمل فيها قريبا .

## أكثر جامعات العالم

تدرس اللغة العربية

احتلت اللغة العربية مكانة ممتازة في جامعات الأمم بعد أن أصبح للعرب صوت مسموع في سياسة العالم . ففي الولايات المتحدة ست جامعات تعلم اللغة العربية ، وقد جعلت الحكومة

الأمريكية معرفة العربية شرطا في شغل المناصب الدبلوماسية في الشرق.

## بريد المجلة

سيفتح هذا الباب ابتداء من العدد القادم ليتصل منه القراء بالمجلة بسألونها وتوجيههم ، ويستفتونها وتفتيهم ، وتتيح لهم الفرص ليتعرف بعضهم إلى بعض .

وفي يوغوسلافيا تعلمها جامعات بلغراد وزغرب وسراجيفو وسكوبلا .

وفي روسيا ثلاث جامعات تدرسها وهي : جامعة موسكو وجامعة لينينغراد وجامعة قازان بطشقتند .

وفي الهند تدرس العربية إجباراً في المرحلة الابتدائية واختياراً في المرحلة الإعدادية ،

أما المنظمة العالمية لحرية الثقافة فهي هيئة مستقلة تضم طائفة من أهل الفكر والعلم من الأمم المختلفة وغرضها كما تقول تعزيز التبادل الثقافي وتحرير الفكر على نطاق عالمي .

### في مسابقة الشعر والأغاني

في عيد الرحلة

أعلن المجلس الأعلى للأدب والفنون والعلوم الاجتماعية عن مسابقة في الشعر والأغاني ، فتلق من الشعر ماتي قصيدة ومن الأغاني ماتي أغنية لمجتها لجنة خاصة ثم قدمت تقريرها إلى المجلس ، فأقام حفلة لتوزيع الجوائز على الفائزين افتتحها السيد وزير التربية والتعليم المركزي بكلمة وجهها إلى الشباب . ثم قدم السيد يوسف السباعي الشراء المشرة الأول فالتقى كل منهم قصيدته ، وكان الفائز الأول أحمد عبد المجيد الغزالي ، والثاني أحمد عجير ، والثالث محمد التهامي . أما الأغاني فقد سقطت كلها من عيون الغربال .

ومن قول الغزالي في أول قصيدته :

صحا الشرق وانطلق المارد

وهز الوري صوته الراعد

وضجت مآذنه بالنساء

وشع بها حجره العائد

بني الشرق من يعرب لا تتوا

فقد زحف الجنند والقائد

وفي المرحلة التالية ٣٧ كلية تشتمل على أقسام لدراسة العربية منها كلية عيسكرة .

وفي إيطاليا تدرس اللغة العربية في جامعة روما وفي ( معهد الدراسات الشرقية ) بها ، وهناك معهد آخر للدراسات العليا الشرقية في نابلي . ومنذ شهرين أخذت جامعة بالرمو تدرس اللغة العربية وذلك غير المعاهد الشرقية التي تدرسها وتدرس غيرها في لندن وباريس من قبل .

### المنظمة العالمية لحرية الثقافة

في النصف الأول من هذا العام ستقيم المنظمة العالمية لحرية الثقافة سلسلة من الحلقات الدراسية جعلت لها موضوعا رئيسيا واحدا وهو التقاليد والتطور ، وخصصت ثلاث حلقات لدرس هذا الموضوع في أوروبا : في رودس وفيينا والبندقية .

أما حلقات الشرق الأوسط فهي في كراتشي عن الإسلام والعالم المعاصر . وفي القاهرة : الإدارة العامة والكفايات المهنية ، وفي بيروت : الأوضاع التشريعية وتجاوبها مع التطورات الحديثة . وفي بغداد : التقدم الاقتصادي والاجتماعي في الدول العربية . وفي الخرطوم : التقدم القوي والنظم التقليدية . وفي شيراز : مسؤوليات رجال العكروأوضاعهم في المجتمع المعاصر .

والدكتور فلاك بجامعة جراتز بالنمسا ،  
والدكتور هوايت من منظمة الكونوك  
للبحوث العلمية بأستراليا ، وبيلا لونجيمال نائب  
رئيس جامعة بودابست بالمجر ، والبروفسور  
ناوتو كامياما رئيس معهد البحوث العلمية  
ببطوكيو باليابان والدكتور إينجا أرفيدسون  
بمعهد الأرحصاد بالسويد ، والبروفسور  
كريشنان مدير معمل الطبيعة القوس في نيودلهي  
بالهند ، والبروفسور ايفيريت هاو أستاذ  
الهندسة الميكانيكية بجامعة كاليفورنيا  
بالولايات المتحدة وغيرهم كثيرون من  
علماء العالم ١١

### ترجمة القرآن لغات الإفريقية

تم ترجمه القرآن الكريم إلى اللغات  
الإفريقية قريبا أمضى الإمام محمد أمين بكر  
في هذا العمل أربع سنوات . ستساعد الترجمة  
الأطفال المسلمين الذين لا يعرفون اللغة  
العربية على تعلم شعائر الدين . والإمام محمد  
عميد مدرسة سيمونز تاون الإسلامية .

### منبر وكريسي مصحف لمسجد في أمريكا

أعدت وزارة الأوقاف منبرا وكريسي  
مصحف ، لإهداءهما لمعهد توليد ، في  
الولايات المتحدة الأمريكية وتبعت الوزارة

لقد سادها وحدة الشعوب  
فبورك مصانفها الشائد  
إن علماء العالم أصبحوا يجندون في نشاط  
القاهرة العلى حافزا يدعوهم إلى زيارتها ،  
ويجندون في إقنيم مصر علماء يستحقون أن  
يقابلهم ويتناقشوا معهم .

إن علماء زاروا المركز القوس للبحوث  
بالق . . من كل بلاد العالم وفي كل فروع  
العلم ، وأدهشهم المعركة التي تدور الآن على  
أرض الجمهورية بين علمائها وبين مشاكل  
الزراعة والصحة والهندسة والطب ، وأدهشهم  
التقدم البارز الذي يحرزه العلماء العرب ،  
في تخطيط البلاد على أسس علمية ، ولم تعد  
بلاد العرب ، كما كانوا يعتقدون ، مراكز  
للجهل والخرافات ، وتماشي النيل وجمال  
الأهرام ، وأساطير الصحراء .

ومن أمثلة الذين جاءوا القاهرة . . علماء  
من روسيا وألمانيا وفرنسا والمجر وبورما  
والولايات المتحدة والنمسا واليابان والسويد  
وأستراليا والهند وبولندا ومن الأمم المتحدة  
واليونسكو .

ومن العلماء العالفة الذين جذبهم مغناطيس  
القاهرة ، جون مايبك مدير مركز بحوث  
مالغوس ، وريتشارد فيوج رئيس جمعية الطبيعة  
الفنية بألمانيا ، وسيرجونيك أستاذ البترول  
بالجمعية العلمية السوفيتية بالاتحاد السوفيتي ،



العلماء والقراء للوعظ والإرشاد إلى البلاد العربية والإسلامية لإحياء ليالي شهر رمضان المعظم .

موضوع إيفاد واعظ ومؤذن لهذا المسجد بناء على مشاورات دارت بين الوزارة والمعلق الثقافي الأمريكي .

## ٨٠ مؤتمراً علمياً

يبدأ انعقادها يوم ٢ مارس

حدد يوم ٢ مارس لبدء عقد ثمانين مؤتمراً لمناقشة التقارير التي أعدها لجان السياسة العلمية بالمجلس الأعلى للعلوم . وذلك في مختلف فروع العلم . وستحدد بعد ذلك السياسة العلمية للبلاد .

## برامج دينية جديدة

تقدمها الإذاعة في رمضان

تقدم المراقبة الثقافية في إذاعة القاهرة بمجموعة من البرامج الدينية الجديدة منها : أحسن القصص ، ، ومن بيوت الله ، ، ومجالس وأسما ، .

أما أحسن القصص فمادته مستوحاة من قصص القرآن الكريم . وبرنامج : من بيوت الله ، سيتناول موضوعه ما يدور في بيوت الله من نشاط ديني في ليالي رمضان المباركة .

أما برنامج : مجالس وأسما ، فسيكون حورا حية للأسما العربية ، وكذلك الندوات التي كانت تحفل بها مجالس العرب في أزهي عصور الإسلام وما كان يجري في قصور الخلفاء من محاورات أدبية وطرائف وحكم .

## بعثات الوعاظ والقراء

للبلاد العربية خلال رمضان

اتفق الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر مع الأستاذ كمال رفعت وزير الأوقاف بالنيابة على إيفاد بعثات من

## هدية من الهند

أهدت حكومة الهند للجمهورية العربية ١٥٠ كتاباً في الأدب والفن قلم السفير الهندي بتسليمها إلى ثروت عكاشة وزير الإرشاد التنفيذي . قال السفير : إن هذه الكتب تزيد الروابط بين البلدين ، وقال الوزير إن تنمية الفكر ترفع مستوى الإنسانية . أقيم حفل شاي بهذه المناسبة حضره يوسف السباعي وكبار رجال وزارة الإرشاد .

## إجراءات جراحات القلب

بعد تشجيع المريض

توصل بعض الأطباء في جامعة ديوك إلى طريقة جديدة لإجراء الجراحة في القلب ،

في الأسبوع الماضي وسيبحثونها من جهاتها  
الثلاث : الفلسفية والقانونية والآثرية .  
ويحاولون الحصول على ما تسرب منها إلى بعض  
المتاحف والمعاهد الأجنبية .

### موسم ثقافي

#### للجامعة الأزهرية

قرر فضيلة الشيخ محمود شتوت شيخ  
الجامع الأزهر تنظيم موسم ثقافي يقام كل  
عام تلقى فيه المحاضرات الثقافية بقاعة  
المحاضرات الكبرى بالجامعة الأزهرية .  
يلقيها صفوة من رجال الدين والأدب والعلم  
من الأزهر والجامعة وجميع اللغة العربية ،  
وسيجدد موعد الموسم الثقافي الأول من ثم  
الإعداد له والدعوة إليه .

### المرشحون

#### لجائزة الدولة التقديرية

بلغ عدد المرشحين لجوائز الدولة التقديرية  
في الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية ثمانية :  
طه حسين وأمين الخولي في الأدب . ولطفي  
السيد ، وعبد الواحد وافي ، وعبد الحكيم  
الرفاعي ، ومحمد كامل في العلوم الاجتماعية ،  
وحسن فتحي ومنصور فرج في الفنون ،  
ويجب أن يفوز ثلاثة منهم . ومقدار الجائزة  
لكل فائز ٢٥٠٠ جنيه وميدالية ذهبية .

بخفض درجة حرارة المريض إلى ما يقرب  
من الصفر قبل إجراء العملية التي تكون في  
هذه الحالة سهلة . إذ تكون الدورة الدموية  
قد توقفت وكذلك نبض القلب .

### لجنة دولية

#### لدراسة المخطوطات القبطية القديمة

عثر في أحد الأديرة القديمة بنجع حمادى  
عام ١٩٤٦ على ١٢ مجلداً من أوراق البردى  
مكتوبة باللغة القبطية القديمة منذ ١٩٠٠ سنة  
وقد دل البحث الأول فيها على أنها تشتمل  
على مذهب ديني فلسفي كان شائعاً  
في الإسكندرية القديمة وفي مصر يومئذ وكان  
معروفاً باسم (الفنوسطية) ومعناها المعرفة ،  
ثم انتشر مذهبهم في اللغة العربية باسم  
(مذهب العارفين بالله) وخلاصة هذا المذهب  
الاعتقاد بالله واحد تآتى معرفته عن طريق  
العقل لا عن طريق الإيمان ، وهذه المعرفة  
كفيلة بتخليص الروح من الآلام وتطهيرها  
من الآثام .

وهذه هي الفكرة العامة المعروفة عن  
هذا المذهب حتى الآن ، ولعل هذه المخطوطات  
تلقى ضوءاً على جميع جوانبه يتضح ويكشف  
عن حياة الإسكندرية قبل خمسة عشر قرناً .  
لذلك اهتم وزير الثقافة بهذه المخطوطات  
وألف لدراساتها لجنة دولية من علماء أوروبا  
 وأمريكا وإفريقيا وقادوا إلى القاهرة

# الكتيب

## كتاب تاريخ الجامع الأزهر

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

٢١٦ ص . مؤسسة الخانجي بالقاهرة

صدر أخيراً كتاب في « تاريخ الجامع الأزهر » بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان وكان المؤلف قد أصدر قبل ذلك في ١٩٤٢ ( ١٣٦١ هـ ) كتاباً عن تاريخ الأزهر في العصر الفاطمي مع تكملة له حتى العصر الحاضر، وذلك لمناسبة حلول عيد الأزهر الألفي يومئذ .

ولكن المؤلف يخرج في كتابه الجديد من هذا التخصيص الذي قصده في مؤلفه السابق إلى التعميم ويقدم إلينا تاريخاً شاملاً للجامع الأزهر منذ إنشائه في فاتحة العصر الفاطمي حتى يومنا . ويشمل الكتاب أربعة عشر فصلاً كبيرة تتضمن تاريخ الجامع الشهير في مختلف العصور والنور العلمي الخطير الذي اضطلع به خلال القرون ، ومختلف الأنظمة الدراسية التي توالى عليه ، ومختلف المواد والعلوم التي كانت تدرس به ، والكتب الدراسية التي كانت متداولة به في كل عصر . كما يتضمن سير طائفة

كبيرة من العلماء الذين تولوا التدريس به في مختلف العصور ، وطائفة من أعلام العلماء الوالدين عليه من المشرق والمغرب .

ويعنى المؤلف عناية خاصة . فمثلاً عن بيان مكانة الأزهر ، ومآثره العلمية على كرم العصور ، والنور العظيم الذي لعبه في تكوين الحركة الفكرية بمصر الإسلامية ، وفي حماية اللغة العربية والعلوم الإسلامية ولاسيما خلال العصر التركي ؛ يعني بإبراز المكانة المرموقة التي كان يشغلها الأزهر في الحياة العامة ، والنور القومي العظيم الذي اضطلع به في قيادة الأمة في مختلف المواقف ، ولا سيما أثناء الاحتلال الفرنسي . ففي هذا الفصل الذي يشغل وحده من الكتاب خمسين صفحة ؛ تبدو شخصية الأزهر في القيادة الوطنية والشمعية في أروع صورها ، ويبدو علواؤه وطلائه على رأس حركة الكفاح القومي ضد المحتلين ، وهي حركة لبس الأزهر يرحاها ويضرم وقودها حتى انتهت بحلاء المحتلين عن البلاد .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن حركة التطور والإصلاح التي مر بها الأزهر في العصر الأخير وعن نظمه المحدثه حتى يومنا .

وموضوع الأستاذ « محمد أبو زهرة » عن الوحدة الإسلامية ، فالإسلام كما يرى المؤلف دين الوحدة ، كما هو دين الوحدةانية ؛ ( وهو كما يقرر الوحدة الدينية يقرر أيضا الوحدة السياسية بين الشعوب التي آمنت به ) فقد ربط بين الشعوب التي آمنت به برباط وثيق من الأخوة الإسلامية ، ( تكافأ دماؤهم ، ويسمى بذمتهم أدناهم ، وهم يد واحدة على من سواهم . وإذا كانت الأهواء قد فرقت شمل الأمة الإسلامية حتى صارت دويلات ، إلا أن مبدأ الوحدة الإسلامية لم تزل له قدسيته ) والمسلمون جميعاً مسئولون أمام الله والتاريخ عن تحقيق مبدأ الوحدة الإسلامية .

وكان موضوع الدكتور عثمان خليل أستاذ القانون العام بجامعة القاهرة ، عن : الديمقراطية الإسلامية ، ويرى الدكتور أن التراث الإسلامى فى شأن الحكم هو حلقة أصيلة فى صميم سلسلة التطور التى مرت بها الفكرة الديمقراطية المردة خلال القرون المتعاقبة ( والمنلول العظمى للديمقراطية : هو أنها « حكومة الشعب » ، إلا أن الأفكار قد تشعبت فى فهم معنى ( حكومة الشعب ) . وإذا كانت الديمقراطية تعتمد على أساسين هما ، الديمقراطية السياسية ، والديمقراطية الاجتماعية ، فإن من الواضح أن للديمقراطية

كل ذلك بأسلوب جزل قطبته نزعة علمية واضحة يغلب عليها التحقيق والاستيعاب . ويختتم الكتاب بطائفة من الوثائق والبيانات والإحصاءات الهامة ، عن أساتذة الجامع وعلاجه وميزانيته ومكتبته وأروقته وحاراته ، وعن مدينة البعوث الإسلامية وصلات الأزهر بالعالم الخارجى .

وليس من شك فى أن هذا السفر الجديد الذى يقدمه الأستاذ عثمان إلى المكتبة العربية يعتبر أوفى مرجع على من تاريخ الجامع الشهير وعن نظمه ومآثره العلمية .

### سلسلة الثقافة الإسلامية

هذه السلسلة الشهيرة يصدرها المكتب الفنى للنشر بالقاهرة ، ويشرف عليها الأستاذ محمد عبد الله السان . وهى تهدف إلى تقديم زاد من الثقافة الإسلامية الخالصة ، لإبراز القيم الإسلامية العظيمة ، وقد اختير للإسهام فيها الأعلام من الكتاب الإسلاميين . الذين لهم مكانة فى الميدان الفكرى الإسلامى .

وقد صدر منها إلى الآن : سبعة أعداد للأساتذة : الشيخ « أبو زهرة » والدكتور عثمان خليل . والأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت ، والدكتور محمد يوسف موسى ، والدكتور محمد الهبى ، والدكتور سليمان دنيا ، والدكتور عبد الحليم محمود .

أستاذ الشريعة بكلية الحقوق : « الإسلام ومشكلاتنا الحاضرة » .

وقد تناول البحث جانباً مهماً من المشكلة الاقتصادية ، ناقش على ضوء الإسلام أعمال « البورصة » ، وعمليات القطن ، والأسهم والسندات والتأمين على الحياة .

أما منهج الدكتور في هذا البحث ، فيتركز في إيمانه ، بأن الإسلام جاء ليكون ديناً عالمياً إنسانياً ، ولذا كان لا بد أن يكون في طبيعة رسالته ما يجعلها حقا صالحة للإنسانية كلها في كل جيل وعصر ، وبأن رسالة الفقيه تقتضيهما عميقا للكتاب والسنة ، وإحاطة بأدلة الأحكام ، ومعرفة بعلم هذه الأحكام ومسالكها . .

وكان موضوع الدكتور محمد الهبي مدير عام الثقافة بالأزهر ، عن الإسلام والفلسفات المعاصرة .

تحدث الدكتور في هذا البحث عن ماهية الفلسفة المعاصرة ، وحلها تحليلا دقيقا ، واعتبر أن قيمتها في جانب العلم والتطور الصناعي ، وليس لها قيمة ما ، جانب الضمير والدفع الذاتي للإنسان ، إذ لم تصل بالاجتماع الاشتراكي إلى أن يكون ذا ارتباط فعلي واقعي كما لم تصل بالاجتماع الرأسمالي إلى تقليل الهوة بين طغيان الرأسمالية واستغلال من ليسوا أصحاب رموس الأموال ، أما الفلسفة

الإسلامية تراثا جليلا في هذين المجالين ، وقد كانت ولا ريب - أحب ما يتصور الإنسان ، إذ امتدت منذ أمد بعيد ، إلى شق صور الديمقراطية التي عرفها الإنسان إلى اليوم .

وكان موضوع الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت عن : الإسلام ، والوجود الدولي للسلمين . . والأستاذ الأكبر يرى أنه قد كان للسلمين باعتبارهم جماعة ، أحداث كبرى في المرحلة الإسلامية الأولى ، هي بمثابة عناصر قوية في بناء الوجود الدولي لهم ، وكان شأنهم في تذكريها شأن كل مجتمع بشري يتحسس مواضع الضعف في سيره فينتقيها ، وعوامل القوة فينميها ، والإسلام عقيدة وشرية ، أقمنا معا بناء عالميا إنسانيا ، للإسهام في مد البشرية بإشاعات تضيء لها الطريق إلى الخير والحق والجمال .

وإذا كان هذا البناء قد تعرض - ولا زال - لكثير من العواصف ، فيجب أن يعلم المسلمون أنهم مسئولون عن صيانه ، ويجب أن تكون المبادئ التي اعتنقوها أقوى أسلحتهم ، والمبادئ السليمة القوية ، متى تركزت وآمنت بها القلوب ، وامتلاّت بها النفوس ، كانت طاقات كبرى من التضحية والفدائية ، وأصبحت أعز لدى أصحابها من نفوسهم وأموالهم ، ومن كل ما يملكون . .

وكان موضوع الدكتور محمد يوسف موسى

والذين تحملهم الغيرة المفرطة على الدين حتى إنهم لا يريدون للناس أن يتحركوا إلا إذا صادفوا في الدين نصا يأذن لهم بالتحرك ، هؤلاء يتجاوزون بالدين حدوده التي رسمها الله له . .

أما موضوع الدكتور عبد الحليم محمود أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين فهو عن : أوربا والإسلام . . وهذا البحث جاء نتيجة لما لمسه الدكتور خلال سنواته التي قضاها في جامعة السوربون من تباين العقليات الغربية نحو الإسلام ، لاسيما العقليات الناضجة التي تصطلع بتدريس مادة تاريخ الأديان بالسوربون ، وإذا كان الكتاب قد كتبوا كثيراً في خلافه الشرق بالغرب سياسياً ، واقتصادياً ، ولكن التفكير في صلتها دينياً لم يسترح عنايتهم إلى الحد المناسب للجلال الموضوع وخطره . ويرى الدكتور أنهم الممكن للإسلام أن يغزو الغرب ؛ فليعلم إمكانيات كبرى تؤهل لذلك ، ولكن حين يتوافر الفتاة الذين يتمتعون بأفاق واسعة وثقافات عالية ، وحين تتوافر التسهيلات لترجمة البحوث الإسلامية إلى لغات الغرب لاسيما بحوث الكتاب المنصفين منهم الذين أنصروا الإسلام ، ليكون ذلك أدعى لقبوله لديهم .

المعاصرة في الشرق الآن ، فليست فلسفة أصيلة فيه ولا منبثقة من حاجات وضرورات الحياة ، بل هي فلسفة أوجدها الغرب ودعت إليها ظروفه الخاصة .

أما فلسفة الإسلام ، فهي فلسفة تحررية تقدمية ؛ لأن مبادئه هي مبادئ البشرية الفاضلة المهدية . ولو كان للإسلام في حياته ما يجب أن يكون ، لكننا في غنى عن استيراد الفلسفات المعاصرة وتنازعها وصراعها .

وكان موضوع الدكتور سليمان دنيا أستاذ الفلسفة المساعد بكلية أصول الدين : « عن الدين والعقل » ، ويرى الدكتور أن الدين نظام وثقافة ، وقانون وعمل ، والإسلام قام في تشريعه على أساس رعاية مصالح الإنسان في حياته باعتبارها طوره الراهن ، إلى جانب رعاية مصالحه في حياته الآخرة باعتبارها طوره اللاحق ، والدين والعقل يتناهيان دائماً في رحاب الإسلام ، إذا ما فهم العقل على أنه قوة في الإنسان تكشف له عن الواقع ، لا على أنه الانطلاق المتحرر من كل قيد .

والذين يدرسون الإسلام دراسة واعية ، يؤمنون إيماناً كاملاً ، بأنه لا يقف في سبيل نهضة ، ولا يعوق وثبة ، ولا يعرقل حضارة ،

# أَنْبَاءُ الْأَزْهَرِ

برقية شكر من السيد رئيس الجمهورية  
إلى فضيلة الأستاذ الأكبر

أرسل السيد الرئيس جمال عبد الناصر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر  
الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر برقية شكر هذا نصها :  
تلقيت بحالص التقدير برقيتكم المعريين فيها باسمكم وباسم  
رجل الأزهر عن أصدق التهانى وأكرم المشاعر بمناسبة العيد  
القوى ، وإنا لتوجه إلى الله بقلب مفعم بالرجاء أن يشد أزر  
العرب والمسلمين حتى ترتفع منارة القومية المصرية ويتحقق  
ما نرجوه لها جميعا من شرف المئزلة ورفع المكانة ، ويسرنى أن  
أكتب إليكم وإلى السادة رجال الأزهر بأجل الشكر مقرونا  
بأطيب التحيات .  
جمال عبد الناصر

## جامعة شيلى

فضيلة العلية التي يذلها خدمة العلم وقصدا  
لتوجيه الناس إلى المبادئ الإنسانية القويمة  
التي اشتمل عليها الإسلام الحنيف ، ولقد حيا  
الدكتور ماركوس فضيلة الأستاذ الأكبر تحية  
عميقة ملؤها الاحترام والتقدير قائلا : إن  
تحيتي إليكم إنما هي تحية الأكاديمية الكبرى  
في شيلى ، تحية العلم والمعرفة والخبرة وقوة  
البحث ، إن من ورأى من جامعة شيلى يحبيكم  
أعمق من تحيتي إليكم وأقوى من تقديرى

تمنح الأستاذ الأكبر درجة زميل فخريه  
استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود  
شلتوت شيخ الجامع الأزهر الدكتور  
ماركوس دى باربيار ممثل أكاديمية العلوم  
السياسية والإدارية بجامعة شيلى وقد جاء  
الدكتور ليقيم لفضيلة الأستاذ الأكبر درجة  
الزمالة الفخرية من الأكاديمية تقديرا لجهود

أن نكون أسبق منكم في البدء بهذا التواصل وذلك الود الذي يدعم الصلات العلمية ولكنه حظكم جعلكم أسبق في هذا المضيء الذي يعتبر السبق فيه شرفاً لا يعد له شرف .  
ثم قال الدكتور : وأنا أطور بأن أكون قطرة لتوصيل الصلات العلمية .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : كل الذين يدعون إلى سلام دائم وأمن مقيم يمدون القناطر بينهم وبين غيرهم والإسلام يدعو إلى السلام والأمن ويقم وشائج المحبة بين الناس وأنت اليوم قطرة بين أشخاص ولكنها مع هذا تعتبر صلة وثيقة بين دول وقارات برابط من أقوى الرابطة لا تنقسم هراء ولا تفك روابطه .

وتلك ذخيرة تجمعها جامعة شيلي وهيئاتها العلمية باعتبارها تقديراً للهيئات العلمية وتسجل أن الاختلاف في الدين لم يمنعها من أن تمد يدها للأزهر حصن الدين المسكين واللغة العربية لغة القرآن والسنة .

فقال الدكتور : إنني أشعر بالفخر لأنني سأقل الكلمات العظيمة والمبادئ السامية التي أنشأها الأستاذ الأكبر لشدائد والمسامين جميعاً .  
فقال فضيلة الأستاذ الأكبر بلقبهم تحياتي وليعلموا أن الإسلام ينظر إلى العلم باعتباره فكرة بقطع النظر عن الدين ، ولقد رفع الله شأن العلماء وأعلى من قدرهم فجعل لهم

لكم وإنه لشرف عظيم أعطته لي الأكاديمية لأقدم للأستاذ الأكبر عضوية الشرف لأكاديمية العلوم السياسية والإدارية ، كما كن لي عظيم الشرف في أن أكلف بأن أكتب بحثاً عن الجامعة الأزهرية ينشر في شين ويكون محل دراسة وبحث .

كما سأعد مقالا أنشره في جريدة ميركوري التي هي أوسع الصحف الشيلية انتشاراً .  
وهنا قال فضيلة الأستاذ الأكبر : يا أخى حياك الله وحيا لك ما بذلت من جهود مشقة إيماناً منك وعزم ورائد بحق العلم والعلماء .  
والجاعات البشرية والأمم والدول ترابط بروابط السياسة والاقتصاد والجنس وروابط أخرى كثيرة ولكن أقوى هذه الروابط كلها وأسماها وأبقاها على الزمن وأوتتها صلة وأكثرها إنتاجاً إنما هي روابط العلم .

وإنني لأشكركم وأشكر أعضاء الأكاديمية جميعاً على هذا التقدير الشخصي الذي قد يكون من الدوافع التي تدفعني لمضاعفة الجهد في البحث والإنتاج بحثاً يؤكد أواصر الود بين العلماء على أنني أرفع درجة هذا التقدير إلى درجة أعلى وأسمى من ذلك فأسميه تعاوناً واتحاداً بيني جيلاً تعرف عليه رايات السلام ويحفه الإنتاج والرخاء .

إن العلم رحم بين أهله لأنه يوحد الناس جميعاً ويربط بين العقل والعلم وكنت أتمنى



محتضين بالشيليين ، وقد أدخلت اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية وتستدخل الأسبانية وخاصة لأنه بينا وبين الأسبانيين وشائج وصلات عليّة وثيقة ولو كان في وقتكم سعة لأطلعناكم على بعض الكتب التي تدرس في الأزهر كآثر من آثار أسبانيا ، فالفقهاء ادين ألفوا لهم عدنا إنتاج عظيم والأدباء كذلك ، فالرباط بيننا قوى ومن ثم لا تعجب لقوة الصلة بيننا وبينكم .

فقال الزائر : لكم كنا نود أن نجلس معكم كثيرا ولكن حرصنا على وقتكم بحسبنا نحافظ عليه شاكرين لكم مقدّرين لجهودكم والامل كبير في أن نرى علماء الأزهر في شيلي يوجهون إخوانهم المسلمين وعددهم كثير جداً يتعلمون إليكم وإلى حلّكم وتوجيه الأزهر .

وكان يقوم بالترجمة الأستاذ عبد القادر حافظ مدير شئون أمريكا اللاتينية في مصلحة الاستعلامات .

وقد انصرف الزائر شاكرًا حسن للقاء .

روحانية خاصة حتى أن القرآن ليذكر العلماء بعد ذكر الله والملائكة ، قال تعالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط » . لأنه من الألوهية خلق العالم والعلماء ينظمون الخلق وهذا يكون الائتفاء عند ناحية خاصة هي الروحانية المنظمة . ويسرى جداً أن تقابل جمهورية شيلي مع جمهوريتنا العربية المتحدة في عهد البطل الشاب المؤمن القوى رجل السلام جمال عبد الناصر . أن تقابل الجمهوريتان نواحي العلم والتثقيف كما آمل أن تقدم لهم قريبا ما تؤكد به وجدنا العلى رداً على ما بددونا به إن شاء الله .

فقال الدكتور ماركوس : إن جالية عربية كبرى في شيلي اختلطت بهم ومنهم العلماء والأطباء والمهندسون ويذكرون الأزهر بأنه الموجه الأول في العالم الإسلامى أفلا ترون فضيلتكم أن تمدوا إليهم يد العون الثقافى ؟

فقال الأستاذ الأكبر : أنت سترى قريبا هذا التبادل وهذا العون ، سترى علماء الأزهر

ووزارة الأوقاف بشأن الوعاظ والقارئين الذين سيذهبون إلى البلاد العربية الإسلامية لإحياء شهر رمضان المبارك تم الاتفاق بين السيد وزير الأوقاف وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر على

تعاون الأزهر ووزارة الأوقاف

على إحياء شهر رمضان بالبلاد العربية والإسلامية

رغبة في تيسير العمل بين الجامع الأزهر

(ب) دراسة التخطيط العام والمفاسد المنتشرة والعادات الممقوتة .

(ج) تلقى بحوث السادة المفتشين والوعاظ .

(د) صبح موضوعات العناية للإدارات الثقافية الشعبية والخدمات في وزارات الثقافة والإرشاد ولشئون الاجتماعية والصحة ، والداخلية ، والزراعة ، بصيغة دينية والارتفاع بما ليسها من وسائل النشر والدعاية .

(هـ) تتبع ما ينشر في الكتب والصحف والمجلات والنشرات للرد على ما ينشر من طعون في الإسلام ، وتوضيح ما اشتمل عليه من مبادئ سمحة في العقائد والتشريع .

(و) إخراج دراسات إسلامية سهلة مبصرة لبعض المشكلات والشخصيات .

ثانيا : تكوين لجنة عليا للوعظ العام من بين الوعاظ المتنازين

ثالثا : تكوين لجنة عليا للمصالحات .

رابعا : إنشاء دراسة سنوية تلقى فيها سلسلة من المحاضرات على السادة الوعاظ .

خامسا : إجراء مسابقة تجميعية للمفتشين والوعاظ .

سادسا : إعداد دفتر تحضير لكل وعاظ ، حتى يكون تحت يد المفتشين .

سابعا : يسمح للوعاظ ، بعد ، إذن وزارة الشؤون الاجتماعية يجمع التبرعات لإقامة مكتب للوعظ والإرشاد

تكوين لجنة برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر ويمثل الأزهر في هذه اللجنة .

١ - السيد الدكتور محمد البهي

مدير الثقافة الإسلامية

٢ - السيد الأستاذ الشيخ عبد الله المشد

مدير الوعظ

ويمثل وزارة الأوقاف :

١ - السيد الأستاذ البهي الخولي

مراقب الشؤون الدينية

٢ - السيد الشيخ سيد سابق

مدير الإدارة الثقافية

على أن تختار هذه اللجنة المبحوثين إلى البلاد العربية والإسلامية وأن تضع لهم المنهاج الذي سييسرون عليه ويعتمد قراراتها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر .

## قرارات

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر القرار الآتي تدعيا للوعظ وتمكينه من أداء مهمته وتنفيذ سياسة فضيلة في الإصلاح :

أولا : إنشاء مكتب فني لإدارة الوعظ والإرشاد من بين السادة المفتشين والوعاظ يختص بما يأتي .

(١) الإشراف على مجلة نور الإسلام ورفع مستواها .

- والثقافة الإسلامية ، في كل عاصمة  
من عواصم المحافظات والمراكز -  
على أن يكون لهذه التبرعات صندوق  
خاص تشرف على حساباته إدارة  
الحسابات بالأزهر ويكون خاضعا  
لتفتيش وزارة الشؤون الاجتماعية  
وديون المحاسبة ، وعلى أن تودع  
التبرعات في أحد المصارف .
- هذا وقد أمر فضيلة الأستاذ الأكبر بنقل  
الوعاظ المقيمين على درجات تذكارية إلى  
درجات أصلية حتى يستفيدوا بذلك من الترقية  
والعلاوات الدورية في مواعيدها المحددة وضم  
مدة خدمتهم السابقة كما أمر فضيلته بالكتابة  
إلى من لم يكن قد استوفى الاجراءات القانونية  
لتقديمهم إلى إدارة المستخدمين في مدى أسبوع  
وذلك لتمكينهم من أداء أعمالهم على وجه  
يحقق المصلحة العامة .
- كما أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود  
شلتوت شيخ الجامع الأزهر قرارا بتدب  
الأستاذ أحمد عبد المنطى نصار المدرس بمعهد  
القاهرة مديراً لمكتبه .
- كما وافق فضيلته على حركة الترقيات الآتية :  
إلى الدرجة الأولى الأستاذ الشيخ عبد الله  
المشد مدير الوعظ والإرشاد .
- وإلى الدرجة الثالثة الأستاذة المدرسين
- ١ - أحمد أبو العلا حسين  
٢ - إبراهيم حسن قنديل
- ٣ - عبد الطيف محمود أمباني  
والأستاذة المراقبين .
- ١ - أحمد محمد النحراوى  
٢ - بيوى الشوشى  
٣ - محمود عطية
- وإلى الدرجة الرابعة الأستاذة  
المدرسين .
- ١ - حسن شلبي  
٢ - أبو زيد سليمان  
٣ - عبد العظيم محمد شبيب رزق  
والأستاذة المراقبين .
- ١ - محمد محمد بركات سلامة  
٢ - أبو العلا طه  
٣ - اسماعيل جمال الدين
- وإلى الدرجة الخامسة الأستاذة  
المدرسين .
- ١ - عبد الحميد محمد على ندا  
٢ - عبد المولى عبد العزيز هلول  
٣ - محمد أحمد شحاته نوفل  
والأستاذة المراقبين .
- ١ - على اسماعيل محمد اسماعيل  
٢ - أحمد محمود أبو حسين  
٣ - إبراهيم محمد إبراهيم بدير
- وإلى الدرجة الخامسة الكتاتبية  
الأستاذة .
- ١ - السيد حسين سرحان الديب  
وإلى الدرجة السادسة الكتاتبية

الأساتذة .

١ - محمد العبدى أمين الدفاتر .

٢ - صلاح الدين على سليمان .

٣ - عبد الله إبراهيم الشريبنى .

٤ - على بكر رزق .

٥ - محمود على سليمان .

٦ - سيد مهدى يوسف .

كما وافق فضيلة الأستاذ الأكبر على إيفاد  
جماعة من الرعاظ الممتازين للسفر إلى الوجه  
القبلى للوعظ العام واللجنة مكونة من :

١ - فضيلة الشيخ على جعفر

مفتش وعظ القاهرة

٢ - فضيلة الشيخ خلف السيد

مفتش وعظ الزقازيق

٣ - فضيلة الشيخ محمد إبراهيم السعدنى

مفتش وعظ دمنهور

٤ - فضيلة الشيخ محمد الأباصيرى

واعظ المنصورة

١ - محمد على مغيث

٢ - محمد على عمارة .

٣ - نصر أمين نصر .

٤ - محمد عبد الغفار حنفى .

٥ - طاهر الخولى .

وإلى الدرجة السابعة الكتابية الأساتذة :

١ - عبد العزيز سنحج .

٢ - محمد إبراهيم القمى .

٣ - عبد المطلب على محمود عطيه .

٤ - حسين مراد .

٥ - صلاح الدين البكرى .

٦ - كلعل عبد الواحد قطب .

٧ - محمد عبد القوى حسن .

٨ - بيومى الصار .

وإلى الدرجة الثامنة الكتابية السادة :



# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

بصيرة عن شيخنا الأزهرى في أول كل شهر جمادى

يتشرك في التحرير  
عبد الرحمن محمد العقاد  
بذل الاشتراك  
٤٠ في كمبيوتر التحرير المتحدة  
٥٠ خارج الجمهورية  
ولم تستن أو طلاء بتخفيض ثمن

مدير المجلة ورئيس التحرير  
أحمد حسن الزيات  
المستشار  
إدارة إجماع الأزهر  
بالقاهرة

ت ٤٦٩٤

الجزء العاشر - القاهرة في شهر شوال سنة ١٣٧٨ - أبريل سنة ١٩٥٩ - المجلد الثلاثون

## الفهرس

١٢٢٢٢  
١٢٢٢٢



للأستاذ على الهادي

للأستاذ محمد إبراهيم الجبوتى

٩٠٤ رسالة وحواسنها :

بين الأستاذ الأكبر وصاحب المرقان

٩٠٧ دعوة للسيرة

للأستاذ عباس محمود العقاد

٩١٤ ملخص عن الإسلام والسياسة بين الفرق والغرب

٩١٥ وقالت أجرني : قصيدة

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

٩١٨ أنا شعب عربى : قصيدة

للأستاذ إبراهيم محمد نجما

٩٣٠ بريرة الخلة :

العالم الأدب الذى فطنناه - الكتب

الساوية - إلى الشيخ أحمد العناني - ( من

صاحب الموشح على آل نبي ) - الجملة

الأخيرة من سهر ومعا - المصنف المرتل -

بويسة أو بيسة

٩٣٧ الكتب : محمد ، الرسالة والرسول تأليف الأستاذ

الدكتور ظلى لونا ( تطبيق الأستاذ محمد عبد الله

السياس ) - الشاعر الناصر عبد الحميد الدليم

تأليف الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عثمان .

٩٣٣ الإسلام والمسلمون في صحف العالم :

التيوعا وان اسلام - اسمون في مائيد -

لو كان هناك شعور بالإسلام .

صلحة

٨٩٠ مثل من الإلهاد الأحمر

للأستاذ أحمد حسن الزيات

٨٩٣ الخلق والصح

للأستاذ عباس محمود العقاد

٨١٨ التوجيه القرآن والمجتمع الحديث

للأستاذ الدكتور محمد البهى

٨٢٨ تخليق في أسفار الهد الجديد

للأستاذ الدكتور على عبد الواحد ولى

٨٣٥ ابن خلدون في مصر

الأستاذ محمد عبد الله عثمان

٨٤٠ المائدة بين العلم التجريبي والفكر المجرد

للأستاذ الدكتور سليمان دنيا

٨٤٤ الإسلام والقومية العربية - ١ -

للأستاذ محمود اللايضى

٨٥٩ الحاجة إلى الدين بالإسلام

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

٨٦٢ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - ٢ -

للأستاذ محمد عمره

٨٦٨ موقف الأديب من اللغة

للأستاذ الدكتور تمام حسان

٨٧٨ أسرار القسم في القرآن الكريم - ٢ -

للأستاذ عبد الوهاب حمودة

٨٨٢ الريح عند الفراء

للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوى

٨٩٠ حول حقوق المرأة : بيا من رواسب الحادلية

للأستاذ أحمد الشرباصى

# مَثَلُ مِنَ الْجَادِ الْإِحْمَرِ

بقلم : أحمد حسن الزيات

منذ أسبوعين اثنين أذاع راديو موسكو حديثاً للمحرر الأول في مجلة العلوم السوفيتية قال فيه : إن القمر الروسي الذي انطلق أخيراً بين أجرام السماء مروداً بالأجهزة العلمية الدقيقة التي تبصر وتسمع وترصد لم يرسل بين أنبائه ما يشتمن قريب أو بعيد تلك الدعوى التي ادّعتها الأدبيات المختلفة من وجود ملكوت أعلى في السماء يستوى على عرشه إله ، وتحف من حوله ملائكة ، ويطوف بأبوابه رسل ، وقوم على أرجائه الجنة والنار ، وتصدر عن محكمته الأحكام والأحكام . فلم يكن هناك إذن إلا وهم جسمه الجهل في عقول الناس ، أو خداع تذرعه به الطامعون إلى ملك الأرض !!

في السماء ، وسمع الملائكة وهم يسبحون الله في غيايات الفضاء ، وشم روائح الأحاديث التي تحترق في سعي جهنم ، وذاق ثمار الجنة وهي تتدلى من شجر الخلد ، وشم حدود الحور وهم يتخطون في خفافيل عدن ؟ قطعة من الجاد يبلغ وزنها ملتا وبض طن ، أفلحوا في قذفها إلى ما وراء الجاذبية الأرضية فالتحنت لها مداراً اضطرارياً حول القمر أو حول الشمس ، فجلالها محدود وبقاؤها موقوت ، وما كان محصور المكان أو موقوت الزمان استحال عليه أن يحيط باللانهاية أو يشعر بالأبدية .

وماذا تعرف الهباءة عن الأفق الذي لا ينتهي ، أو القطرة عن المحيط الذي لا يحد ؟ !

إن الإله الذي (وسع كرسى السموات والأرض) لا يجوز في العقل أن يحتويه منها موضع ، وإن الجنة التي (عرضها

وليت شرى ماذا كان ينتظر هذا الأحق الأحمر من قره أن يفتنه به ؟ أكان ينتظر منه أن يقول له إنه رأى الله جالاً فوق كرسى

همها الأول إطفاء النور الإلهي في القلوب بإشاعة الإلحاد ونشر الإباحية وتسييل الترائز وتمسكهم الشهوات وإثارة الفتن ؛ لتكون النفوس مهتأة بعد ذلك لقبول كل مبدأ وسلوك أى مسلك .

وكان الإسلام هو عدوها الألد ؛ لأنه الدين العسل الذي ينظم الدنيا بالدين في السياسة والاجتماع والاقتصاد ، قائف بين القلوب ، وآخى بين الناس ، وسأوى بين الأحرار ، وعلخ الفقر وهو علة المال بما لو أخذ به المصلحون لوقام شرور هذه الحروب ، وكفاهم أخطاء هذه المذاهب : عالجها بالسفارة بين الفنى والفقير على أساس الاعتراف بحق الملكية والاحتفاظ بحرية التصرف ، فلا يُدفع ملكك عن ملكه ، ولا يمارض حر في إرادته ، وإنما جعل للفقر في مال الفنى حقا معلوما لا يكل دينه إلا بأدائه .

فالأرض التي تشرق بهذه المبادئ لا تستطيع خفافيش الشيوعية أن تعيش فيها ، لذلك عانت لهدم الإسلام قوى الباطل وأسلحة الصلال فافترت عليه الأكاذيب ، وطيرت حواليه الشكوك ،

وقالت في كتبها ومصحفها وإذاعتها : إن الإسلام لا يعرف العدل لأن القرآن يقول : « والله صلل

السموات والأرض ) لا يدخل في الإمكان أن يستوعب طولها موقع ، وإن ( القبة ) التي تطلق بها العلماء على مسابح الأجرام إنما تمسكها قدرة الله لا قدرة الإنسان ، وتديرها قوة ( النظام ) لا قوة العلم ، فهي شاهد إثبات لا شاهد فنى ، ودليل إيمان لا دليل كفر ، ولكن المسألة ليست مسألة عقل ولا علم ، إنما هي الشيوعية التي كفرت بالله وآمنت بماركس ، وفرطت في الروح وأفرطت في المادة ، وأرادت أن تسلب نبي آدم في جميع أقطار الأرض نعمة الحرية وعزة الإرادة ولذة الاعتناء ؛ لتجعلهم قطعيا واحداً من العبدان على جباههم سمة ( المطرقة والمنجل ) ، يصمون كما تعمل الآلات ، ويأكلون كما تأكل الأنعام ، ثم يهلكون كما تهلك البواب ، وتلك هي حياة كل شيوعى وحاله : أرض ولا سماء ، ويوم ولا غد ، وطريق ولا غاية ، وعمل ولا نعمة ، ودنيا ولا أخرى !!

\*\*\*

لقد رأت الشيوعية أن الأديان هي العقبة السكاداء في سبيل إرادتها وقيادتها فجعلت

الشاة والمذاهب الهدامة . تثبت فيه كاليات  
 السام . أو تقد إليه كالوباء الفاشي . ثم تتقل  
 منه قهدد روح الإسلام . وتبدد شمل العروبة ؟  
 قال القرامطة فيه بالأمس ما يقول  
 الشيوعيون فيه اليوم : ( لا حقيقة في هذا  
 الوحد وكل أمر مباح ) وكان أول من بند  
 هذه البذرة الخبيثة في الشرق الاسلامي بابك  
 الخرمي في القرن الثالث من الهجرة ، ومن بعده  
 عبد الله بن ميمون . ومن بعده الحسن الصباح  
 شيخ الحيل ، وأغروا بيارها الحرمه عباد اللذة  
 ورواد المنكر من ضنار العقول وضنار الأنفس  
 وأمعنوا في النقي والضلال ، واشتركوا في النساء  
 والأموال . وفي سبيل ذلك نشروا الإرهاب  
 وبددوا النظام وزعزعوا الأمن .

\*\*\*

وفي هذه الأيام تجددت في العراق البابكية  
 باسم الشيوعية ، فدعت إلى الإلحاد والإباحية  
 حبراء بعد الحفوت . وقهرا بعد الحيلة ، وأخذت  
 تهاجم الله وكتابه ، والإسلام وأهله بسفاهات  
 من القول البديء والفعل الفاحش ، وهي فتنة  
 حمراء لن يتحرق في لظاها إلا الطامعون  
 [ النقية في المنحة الثالثة ]

بعضكم على بعض في الرزق » ، ولا يعرف المساواة  
 لأن القرآن يقول : « ورفنا بعضكم فوق بعض  
 درجات » ، ولا يعرف الحرية لأنه قيد كل  
 شيء بقيد : قيد الرزق بالملكية ، وقيد المرأة  
 بالزوجية ، وقيد تصرف النفوس بالعقيدة ،  
 وقيد تداول الأموال بالإرث . وزعمت أنها  
 براء من كل هذه ( النقائص ) لأنها تقول :  
 كل شيء مشاع ، وكل أمر مباح ، وكل شهوة  
 حليلة ، فالمرارح والمصانع والنساء وسائل عامة  
 للإنتاج العام ، يُتكل على كل على حسب كفايته ،  
 ويأخذ كل على حسب حاجته !

وهكذا يزعم الشيوعيون أنهم أعلم من الله  
 بأحوال خلقه ، وأعدل منه على تقسيم رزقه ،  
 فهم لذلك ينكرون دينه ، ويضربون شرعه ،  
 ويحاولون أن ينسخوا ما حمله الأنبياء والحكماء  
 من الشرائع والعقائد والقيم ، ليأتوا بنظام آخر  
 لا يقصدون به العدل المطلق ولا الخير العام ،  
 وإنما يقصدون به طغيان بشر على إله ، وسلطان  
 شعب على عالم .

وما أدرى لم كتب الله على العراق الحبيب  
 أن يكون في ماضيه وحاضره مائة للنحل



# الخلق والصنع

## للاستاذ عباس محمود العقاد

وصل الاختراع الصناعي إلى غاية الخصائص الإلهية ، ولا غاية لهذه الخصائص أعلى وأبعد من خلق السماء ، وخلق الحياة .

قلوا بعد اختراع القذيفة المسماة بالقمر الصناعي إن هذا الاختراع قد أترع حصة السماء من جانب القدرة الإلهية ، وأثبت أن الكواكب الدوارة عمل من أعمال الصنعة في قوامه وتكوينه ، ولا صبرة بالكثرة أو بالكبر والفخامة بعد ذلك !

ومن العجيب أن يحظر هذا الخطر على فكر يحتم إلى العقل والواقع كما يقولون ، إذ لو جاز أن يكون اختراع « القمر الصناعي » دليلاً مبطلاً للخلق الإلهي لاستغنى الماديون عن انتظار هذا الاختراع ، ولوجدوا من قبله ألوفاً من الأدلة تساويه في هذه الدلالة وتزيد عليه .

من دعاوى الماديين أنهم يتأثرون بالعقل ويتمنون المتدينين بالسذاجة والاستعداد لقبول الخرافة وتصديق العقائد بغير دليل .

فإذا كانت السذاجة هي الخلق من العقل فالمادية في الواقع منهج يحمل طابع السذاجة على وجهه ؛ لأن المادى يستطيع أن يفهم أن العقل نافذة طارئة على هذا الكون وأنه عنصر يأتى بعد عناصر المادة في تاريخ الوجود ، وفي أثره بين الموجودات .

وحقيقة الأمر أن خرافات المنكرين أشد وأكثر من خرافات المصدقين ، ومن خرافات المادية، المنكرة في هذا العصر أن الاختراعات العصرية تلغى القدرة الإلهية وتفسر الخليفة تفسيراً يبطل وجود الإله الخالق ، بصد أن

البعيدة - يمثل هذا الدنس أقل العيوض الإلهي فطير مأوه النقي كل رحس . وحرف تياره القوى كل حاجر . « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

أحمد حسن الزيات

الخداعون الذين أضرموها نقاب التسويبين ووقود الروس ، ولكن الإسلام الذي تطلب على كل محلة وفحة نجمت في العراق من قبل ، سيتطلب على هذه الفتنة اليوم ، فإن له منيعين من كتاب الله وسنة رسوله لا يزالان يتدهقان بالصفاء والطهر ، فكما تلوث مجاريه

بغير فائدة تجارية أو اقتصادية مما تولاه الشركات ويكتتب له المساهمون . فإذا لم تكن هناك دولة غنية تتفق على القذايح والصواريخ والأقمار الصناعية ، لاعتبارها إياها من الأسلحة التي ترصد لها تكاليف الدفاع والقتال ، فليس من المنطوق أن تصدى لهذا العمل شركة مساهمة ، تجمع المال للتجارة وتوزيع الأرباح على أصحاب السهم ، وعليها قبل أن تتفق صناعة الأقمار والصواريخ وما إليها أن تتفق مئات الملايين بين الشك واليقين ، وقد يكون الشك أغلب من اليقين ! فالقمر الصناعي إذن ليس بالفتح العقلي الذى ألهم عقل الإنسان شئنا جديداً فى مسألة الخلق والوجود ، ومسألة القدرة الإلهية والقدرة الإنسانية ولكنه تكرار واستطراد لكل عمل من أعمال الصناعة عالجها الإنسان ، عملاً وتفكيراً منذ مئات القرون ، وقد تكون « فكرته » أيسر وأقرب من فكرة المقلاع واللوب والدراجة يوم ظهرت لأول مرة على أيدي المخترعين .

إن اختراع « القمر الصناعي » إذن لم يزعم دعاهم العرش الإلهي ، كما وهم الماديون المفكرون ، ولكنه خلق - إذا صح التكسير - أن يجدد في الأذهان نساءها القديم عن تلك الحكمة التي خلقت من يصنع الأقمار الصغار ، وخلقت « الجاذبية » التي

إن الفكرة التي يقوم عليها اختراع السراع أو اختراع اللوب المعروف بلوب أرخيدس أدق وأسبق من المعركة التي قام عليها اختراع القمر الصناعي في العصر الحديث ، وليس في اختراع هذا القمر الصناعي نظرية واحدة لم تمثل في تسخير الريح والجاذبية بصنع السفن الشراعية ، وليس هناك نظرية واحدة من نظرياته لم تمثل في لوب أرخيدس الذى يستعين بمعظم قوانين الحركة على جلب الماء من الأسفل إلى الأعلى بالحركة اللولبية .

والقمر الصناعي إنما يقوم على الموازنة بين الجاذبية وبين قوة الدفع من المركز في الأجسام المتحركة ، وليس في هذه الموازنة شئ جديد لا يعرفه العالم الذى ينظر إلى « نحلة » العطل اللاعب أو مقلع الحجر والحبل أو الضجال الذى يمتلئ بالماء ولا تسقط منه قطرة وهو يدور في أيدي الحواة .

كل أولئك علم قديم ، بل تطبيق للعلم قبل أن يعرفه علماء المختصون . وقد كان من المستطاع إبداع القمر الصناعي قبل القرن العشرين ، لولا أمران لا علاقة لهما بالمعرفة العلمية ولا بالقدرة الفكرية ، وهما :

( أولاً ) تطور الآلات التي تستخدم في أوقاتها حسب الحاجة إليها .

( ثانياً ) وجوب الاتفاق على الاختراع

لا تولد من اللحم إلا إذا وصل إليها بعض الذباب والحشرات التي تقع على غشاء الخبز، فأعلن في سنة (١٦٦٨) أن الحشرة - مهما تبلغ من الدقة - لا تولد بغير مولد حتى ينقل جرثومة الحياة في بويضات تفرخ على اللحم كما تفرخ على غيره، وتأيدت هذه التجربة بمباحث المخترع الهولندي لويينجوك Leeuwenhoek الذي اخترع المجهر ورأى به جرائم الحياة التي لم يكن يبدى الإيطالي يراها بعينه، ثم تقررت هذه الحقيقة وراء كل شك بعد اكتشافات باستور في القرن التاسع عشر وظهور الخلايا الحية التي يتولد منها جميع الأحياء، أو جميع الكائنات العضوية، كما اصطالحوا على تسميتها تمييزاً لها من المادة التي لا حياة فيها.

وبعد هذه الكشوف انقسم العلماء إلى فريقين في القول بأصل الحياة: فريق الحيويين الذين يجزمون باستحالة ترسيب الحى من الأجسام المادية بغير جرثومة موانة، وفريق الآليين الذين يقولون إن تركيب الأجسام الحية بالوسائل الكيمية والآلة مستطاع يتبصر متى تسرت وسائله التي وجدت في الزمن القديم قبل مئات الملايين من السنين. ولم لا تبصر الآن؟ لم لا توجد الآن أوائل الخلايا الحية التي تطورت منها سائر الخلايا قبل وجود الأحياء العليا؟

لا تزال سرّاً من الأسرار، لا مدار بغيره للنجوم الصغار، ولا للنجوم الكبيرة.

• • •

يعتقد الغربيون في أساطيرهم أن القمر يشير الجنون، وأن له سلطاناً على عقول المهوسين وأصحاب الأهواء.

والظاهر أن الأقار الصغار، ودرت عندهم هذه الخاصة على الأقل من القمر الكبير، فما ذاع خبرها حتى انطلق معها وم الواهمين وغرور المغرورين، فأعلنوا أنهم سيخلقون الحياة في المعمل كما صنعوا في القمر، وأن إثبات هذا الخلق الحى وشيك أن يتم في مدى سنوات، ولن ينتهى القرن العشرون حتى يكون في العالم كائنات حية من صنع الكيميين والبيولوجيين، أو علماء الحياة.

منذ ثلثمائة سنة نشأت هذه المسألة في بيئة البحوث العلمية، بعد أن كانت في حداد الأقاويل والتخمينات.

هل يمكن توليد الحى من الأجسام التي لا حياة فيها؟

أول من نفي إمكان ذلك بالدليل المستمد من البحث العلمى طبيب إيطالى، يسمى ريدى (Redi) عاينه الشك في تجارب بعض المتجهدين الذين حسبوا أن الهوام تولد من اللحم بغير جرثومة حية، ففزل اللحم وغطاه بالحرير الشفاف، وثبت له أن الهوام

الاجسام الحية، ولكن هذه المادة البولية خاصة بأجسام الأحياء.

وشعر الآليون بنجدة أخرى حين ظهرت الخلايا التي تسمى « بالفيروس »؛ لأنها في درجة متوسطة بين الجماد والنبات، فقال قائلهم: إن هذا « الفيروس » هو أول درجة من درجات الأحياء ظهرت على الكرة الأرضية ومنها تطورت جراثيم الأحياء.

إلا أن « الفيروس » لا يمكن أن يكون أول درجة من درجات الحياة، إذ قد ثبت للآليين أنفسهم أنه مخلوق طعيل لا يعيش على حدة، ولا ينمو في غير الكائنات العضوية، التي يتعلق بها ويفتدى حياته من حياتها، فلا بد أن تسبقه في الوجود تلك الكائنات العضوية التي يستكثرون ظهورها من مادة عالية من الحياة.

وقد ينحى لنا مبلغ البعد التاسع بين دعوى الآليين وبين طاقة علم الكيمياء حين نعرف الفرق بين خلايا « الناسلات » من الوجنتين الكيميائية والحيوية:

فالناسلات: هي خلايا دقيقة لا ترى الألوف منها بالعين المجردة، تتشابه في تركيبها الكيميائي ولا توجد في إحداها مادة معدومة في غيرها.

ولكن الفرق بين الناسلة Gene والناسلة الأخرى، أكثر وأعق من أن تحصره الكلمات؛

قلوا: إن هذه الخلايا لا تقوم طويلا لو وجدت اليوم؛ لأن البحار ملوثة بالأحياء التي تلتهما عند ظهورها ولا تبقى عليها حتى يتم لها التطور كما تم قبل ملايين السنين.

ولا بد أن يسأل السائل: ألا يوجد مكان على الأرض تكس فيه طائفة من الخلايا سلبت من افتراس الأحياء البحرية الكبيرة كما سلبت مئات الأحياء الصغار التي لا تستطيع الاختباء من مفترسيها كما تستطيعه الخلايا الدقاق؟

ألا يوجد لتلك الخلايا أثر في التربة السافية أو الحفريات المتحجرة، أو المعادن المهمة، على صورة من الصور التي تدل عليها وإن ذهبت منها الحياة؟

وليس عند العلماء الآليين جواب مقنع لهذه الأسئلة، ولكنهم شعروا بشئ من النجدة حين تمكن بعض العلماء الآليين في ألمانيا من توليد توكية عضوية ( سنة ١٨٢٨ ) وهي مادة البولية Vree وكل ما في هذه التركيبة المصنوعة أنها توجد في الأجسام الحية أو الأجسام العضوية، ولكن هل هي مادة حية تولد الحياة؟ وهل هي ذات جرثومة تعيش وتقدر على التولد والتوليد؟

كلا. إنما مثلها في جميع تركيباتها مثل العناصر التي توجد في الأجسام الحية وفي غير

لأن كل ناسلة تحمل في طياتها عناصر الوراثة التي يختلف بها إنسان عن إنسان . وقد يكون منها الأصل الذي ينشأ منه عال على الخلد أو أصبح زائدة في اليد أو القدم ، أو علامة جملدية على الذراع ، أو ملسكة ذهنية لا يدري أحد أين تكون .

وربما كان الفرق بين خلية وخلية كالفرق بين الفيلسوف ابن سينا والقدم الغبي الذي لا يتعلم ولا يجدى فيه التعليم ، فكيف يمثل الكيمى هذه الفوارق الحيوية في مزيج الكيمى . وكيف تظهر في لغات المنع مثلا كلمات اللغة التي يعرفها هذا ولا يعرفها ذاك ، أو التي يجهلها الإنسان الواحد في زمن ويتعلمها في زمن آخر ؟

ولا بد - على كل حال - لمن يدعى أن التركيب الكيمى يجمع كل صفة من الصفات في البنية الحية أن يعترف بأن خلق المخ يحتوياته الكيمية يحفظ كل ما فيه من المعاني والأفكار والكلمات ، فهل في وسع من يدعى ذلك أن يجعل صاحب المخ الذي يحكيه المعمل بتركيبه الكيمية يتكلم اللغات التي يتكلمها العارفون بها ؟ هل تؤدي محاكاة مخ الإنسان الصنعي إلى وجود إنسان يتكلم الصينية ؟ فإن لم تكن هذه المحاكاة مؤدية إلى ذلك فأين كانت كلمات اللغة قائمة في غير الأمزجة الكيمية

التي شملت كل ما كان في الدماغ ؟ . هذه المسألة البعيدة بين الخلايا الناسلة من الوجهتين الكيمية والحيوية تدلنا على مبلغ التطوح في دعوى الآلين المنكرين . ولكنهم - على هذا - يتطوحن غاية التطوح ثم لا يصلون إلى نتيجة تستحق هذا العناء الطويل .

إن الناس كانوا يؤمنون بالله يوم كانوا يعتقدون أن الجرذان تولد من طينة الشيطان ، وسيؤمنون بالله يوم يحصل ما لا يخطر على البال لو صدق ظن الآلين المنكرين وثبت لهم أن خلايا الأحياء تتولد في معامل الكيمياء .

فلم يلزم أن يكون السكون بغير عائق لأن ذرة منه تصنع ؟ ولم تكون قدرة الإنسان منافية لقدرة الله ، ولا تكون دليلا على قدرة الله ؟ وكيف يكون التقليد مجتلا للفضل الأصيل أو يكون صنع الشيء على مثال ومن مادة قائمة مساريا لصنعه على غير مثال ومن غير مادة لها قوام ؟ .

إن مسألة الخلق والصنع باقية حيث كانت عند آخر شوط ينتهي إليه الآليون المنكرون لو بلغوه ، ولكنهم لن يبلغوه ؟

عباس محمود العقاد

# التوجيه القرآني والمجتمع الحديث

للأستاذ الدكتور محمد البهي

## المجتمع الحديث :

يتميز المجتمع الحديث بأمرين أساسيين :  
يتميز بالحصارة المادية الصناعية ، وبالتوجيه  
الفكري المثل في نزعاته الفلسفية المختلفة .  
والمجتمع الحديث هنا هو المجتمع الغربي ،  
سواء ذلك المجتمع الذي ينتمى إلى الكتلة  
الغربية ، أو ذلك الآخر الذي يكون الكتلة  
الشرقية .

١ - أما الحضارة الصناعية فهي حضارة  
الآلة والبحث العلمى التجريبي . وقد خطا  
تطور الآلة خطوات فسيحة في حياة المجتمع  
الحديث ، كما تقدم البحث العلمى التجريبي تقدما  
عبر عنه انفجار القدرة ، وإطلاق الصواريخ  
والأقمار الصناعية في الفضاء العلوى في محيط  
كوكب القمر ؛ لرصد طبقات الجو وكثافته  
ورصد اقربا من واقعه . أو رصدا يعبر عن  
واقعه كما هو .

جديدها نتيجة مباشرة لتقدم البحث العلمى  
التجريبي . وإذن العلم التجريبي في مجال الطبيعة  
هو القوام الدائى للحضارة الصناعية التي يتميز  
بها المجتمع الحديث . هو القوام الدائى لآلة  
الحرب ووسيلة السلم على السواء . إنه القوام  
لصنع الطائرة وإحداث نوع النفاثة منها ،  
ولصنع السفينة وإيجاد ما يسير بالمدة منها  
فوق الماء أو تحتها ، ولصنع السيارة سواء  
ما يصلح منها للسير على الأرض فقط ، أو ما  
تجاوز صلاحيته الأرض إلى السير فوق الماء  
والأرض معا . إن العلم التجريبي في مجال  
الطبيعة هو الذى جعل من الطائرة ما يحمل  
الإنسان في سرعة البرق الخاطف من مكان  
إلى مكان رغبة في تيسير أمر التنقل البعيد  
المدى عليه ، وهو نفسه الذى جعل من  
الطائرة ذاتها وسيلة لإهلاك الإنسان وإبادته  
وذلك مسكنه الذى يأوى إليه ، ويحرق  
بملكاته التى يفتن بها .

هو الذى جعل من السفينة ما يسير فوق  
الماء ، أو في قاعه خدمة للإنسان . فاخترع سفن  
الركاب والبضائع وصيد الأسماك والأصداف

وإذا كانت الحضارة الصناعية في المجتمع  
الحديث هي حضارة الآلة والبحث العلمى  
التجريبي ، فالآلة في تطور قديمها وفي اختراع

حضارة صناعية قوامها العلم التجريبي - وهي طابع المجتمع الحديث - لم تنق في عزلة عن تقدير الإنسان ، كما كان يقدر بالأمس على أنه أسوأ الكائنات . بل هزت قيمته من هذه الزاوية ، ووضعت تقيمه في الميزان .

٧ - أما الأمر الثاني الذي يتميز به المجتمع الحديث فهو التوجيه الفكري الذي يمثل في النزعات الفلسفية المختلفة التي تجاذبه والتي يخاضع بعضها بعضها ، والتي اصطنع المجتمع الحديث الحرب الباردة بسبب ما بينها من اختلاف ومفارقات :

(١) هناك النزعة التي تؤمن بالمجتمع دون الأفراد ، وهي النزعة التي يضحى الفرد عن طريقها بماله من حرية في الرأي ، وحرية التعبير عنه ، وحرية الاعتقاد ، وبماله من حرمة أو حق في التملك في سبيل المجتمع أو الدولة .

هي النزعة التي تحصل من عقل الإنسان وروحه أمراً تابعا لجسمه ، وليتة التي يولد وينمو فيها هذا الجسم .

هي النزعة التي تنكر الله ؛ لأنه قوة روحية تجردت عن الجسمية وملابسات الجسم . هي النزعة الشيوعية .

فالشوعية فلسفة ونزعة فكرية ليس مجالها الاقتصاد لحسب . وإنما هي نزعة موجهة ، لها

تحملة فوق الماء وتحصل له من قاعه ما يقتات أو يترن به . وهو نفسه الذي جعل من السفينة نفسها قوة ضاربة تبيد الإنسان أينما وجدته ، تصيبه من فوق الماء أو من تحت ، فاخترع البارجة والمسيرة والمروحة .

هو الذي جعل من السيارة وسيلة لراحة الإنسان وترفه ، فاخترع سيارة الركوب ، ونقل الأثقال ، وسيارة الرحلات في الجبال وعلى رمال الصحراء . وهو نفسه الذي اخترع الدبابة الخفيفة والثقيلة ، وقاذفة القنب .

العلم التجريبي الحديث سحر الأرض والماء والهواء للإنسان ، وهو نفسه الذي يستختم الأرض والماء والهواء ضد الإنسان . يقيم العمران ويبيد العمران . يوجد أسباب الرفاهية للإنسان . ويفند بالإنسان ويشقيه . يجعل الإنسان سيذا ، ويلد الإنسان ويستعبده . يمكن الإنسان من الإنسان ، ويدفع الإنسان إلى ظلم الإنسان . ولذا كان العلم التجريبي معبود الإنسان في المجتمع الحديث : محرابه المعمل وكهنته رجاله ، وطقوسه استسلام العقل البشري لقيادته . ومن شدة استسلام العقل البشري في المجتمع الحديث للعلم التجريبي كاد يعيش الإنسان للعلم ، ولم يعد هذا العلم في خدمة الإنسان ، وكادت الآلة تفضل الإنسان ، ولم يعد الإنسان ذا فضل على الآلة .

والشاهد، وتكفراً بما وراء الحس والشاهد وتراء خداعاً أو خرافة. فالاعتقاد بالله خدعة أو خرافة، ولأنها لا تؤمن إلا بالحس والشاهد ترى أن الواقع المحسوس هو مصدر المعرفة الصحيحة، وأن وحى الحس هو الوحي الصادق. ولذا العلم التجريبي، وهو ما ينشأ عن التجربة في المحسوس، هو اليقين الذي لا ينكر، ويجب الإيمان به في مقابل الإيمان بالله وبوحى رسالته.

وفي جانب التقييم الخلقية لا ترى ثباتاً لها وإنما تراها متطورة. وما يأتي به الفرد هو أفضل مما كان بالأمس. والحديث الخلقى مثلاً عن حرمة الشخص في ماله وعرضه، وعن وجوب صيانة هذه الحرمة له، هو حديث في هذا الوقت معاد؛ لأنه يتصل برؤية الدين التي فرضت مقاييس خلقية أصبحت عديدة الجدوى الآن. إذ مبدأ التطور - وهو مبدأ الحياة - يعطى الأفضلية للحاضر في مواجهة الماضي، وللمستقبل في مواجهة الحاضر. والحديث عن علاقة الرجل بالمرأة في جانب من جوانب هذه العلاقة، سواء عما يقال من شرعية هذه العلاقة بالزواج أو عدم شرعيتها بغير زواج، أو ما يقال عن اختلاف في وضع أحدهما بالنسبة للآخر، أو في وضعهما معاً بالنسبة للأولاد، هو من رواسب الماضي التي لا يستسيغها مبدأ التطور.

مكان العقيدة في التوجيه، بعد ما رسم الفكر الفلسفي خطوطها في جوانب الحياة الإنسانية. هي في جانب الفرد تحد من حريته وفرض عليه قبول الجبر. ولذلك تصغر من قيمته. وإن قيمته فلا تقيم فيه إلا مادته الجسمية دون عقله وروحه. فليس الذي له من عقل وروح سوى طاهرة تعمل في طورها بنشأة الإنسان المادية التي يساعد عليها وضع المجتمع الاقتصادي الذي يعيش فيه.

وهي في جانب المجتمع أو الدولة تمنح المجتمع أو الدولة سلطة مطلقة في قهر الأفراد على الطاعة، وتتيح لها اتخاذ التدابير التعسفية ضدكم في سبيل الإبقاء على النظام الشيوعي للدولة. وكرامة الأفراد، وحرمانهم، وكيانهم الشخصي، أمور لا وجود لها في ظل المجتمع؛ لأنها من القيم والمثل التي يتخضع بها العقل دون الواقع.

وفي جانب الاقتصاد تقل مطلق الإقطاع الزراعي، ولرأس المال في الصناعة من الأفراد إلى الدولة، وتشغيل من الدولة للأفراد ثانية في المصانع والمزارع. يؤجر الأفراد حسب إمكانياتهم في الإنتاج كما وكيفا. وحسيلة الفرق بين الأجر وما تفضله المزارع وتنتجه المصانع يبقى في حوزة الدولة، التي هي قيمة حوامة مطلقة على أفرادها.

وفي جانب الاعتقاد لا تؤمن إلا بالحس



والدولة هي كل الوجود الذي يفنى فيه الأفراد .

والشيعي هو الكافر باقائه والمؤمن بالعلم ، وهو المجبر على التنازل عما يملك ، وعما له كإنسان : من حق التفكير والتعبير . هو المؤمن بالفناء في غيره ولكن ليس عن اختيار ، وهو المضحي بحقه لغيره ولكن دون طوعية . وافرقت إذن بينه وبين الصوفي . إذ هذا يتنازل عن دنياه برضى منه ، ويفنى في الله بحسبته إياه وهو في تنازله عن الدنيا وفنائه في الله . ذلك الإنسان : الحر المختار . لم يخرج عن إنسانيته ، ولم يتبدل إلى تقيض آخر يشاركه الحياة ولكن ليست له ميزة الإدراك والإرادة .

تعتمد النزعة الشيوعية على قانون التطور . ولكن لماذا تؤمن بوقوف التطور عند حد المجتمع المال ذي الطبقة الواحدة ، وهو مجتمعها القائم ؟ لم لا يتحول هذا المجتمع المال يوما إلى ملكية ، فأقطاعية ، فأسمالية مرة أخرى ؟ ولنفي الإيمان بالله وتؤمن بالعلم ، بالعلم الذي رأيت أن يكون مرة في خدمة الإنسان ورفاهيته وسلامته ، ومرة في سبيل شقوته وإهلاكه وفنائه ، ولكن ما هو صمام الأمان عندنا ضد أن يكون العلم في سبيل شقوة الإنسان وفقره ومهلكه وقلقه واضطرابه ؟

سليت ما في يد الإنسان مما يملك وجعلته ذا حاجة إلى غيره ، وإن كان الدولة . وأفرغت

التطور خضع له المجتمع في الانتقال من الملكية الاستبدادية الممثلة في الحكام والعبيد ، إلى الإقطاع الممثل في المزارع الكبيرة والمستأجرين ، إلى الرأسمالية الممثلة في المصانع والعمال ، إلى المجتمع ذي الطبقة الواحدة وهو المجتمع المال .

كذلك هو المبدأ الذي يجب عن طريقه أن يتحول الفرد ويندب في المجتمع ، وتنفى بذلك شخصيته لتبقى شخصية المجتمع .

وهو المبدأ نفسه الذي خضعت له المعرفة فتحولت من رسالة السماء إلى موازين العقل ، إلى تجربة الواقع والحس . كذلك هو المبدأ الذي يجب أن يتحول عن طريقه الإيمان من الله إلى العلم التجريبي . وتحول العبادة والقداسة إلى هذا دون ذاك . كما تتحول المقاييس الخلقية من اعتبارات الدين ومثالية العقل الإنساني إلى الوجودية في السلوك والتقييم الخلق .

وهنا تخلص النزعة الشيوعية إلى تبرير إلغاء حرية المردو إلغاء ملكيته ، وإلى نقل الإيمان بالله وحده إلى الإيمان بالعلم وحده وإلى تغيير القيم الأخلاقية في السلوك .

كما تخلص إلى تبرير سيادة الدولة سيادة مطلقة إزاء الأفراد فيما يملكون ، وبمقتدون ، ويفكرون ، وفيما ينتقلون ويقيمون .

العلم هو الإله !

هذه الحرية الفردية في المجتمع الديمقراطي الحديث ساعدت على نمو الفردية والانانية ، وكادت تحول المجتمع إلى مجتمع بدائي في السلوك والترابط ، لولا ما هناك من سلطات قضائية ونيابية وتنفيذية . وهي السلطات التي تعد مظهر المجتمع صاحب المدنية .

الفردية أو الانانية في المجتمع الديمقراطي الحديث أوصلت الرأسمالية إلى الاحتكار والتحكم في الطبقتين العاملة والمستهلكة على السواء ، وجعلت لها سيادة غير مباشرة وتوجيها من خلف الستار على السلطات الثلاث القضائية والنيابية والتنفيذية ، تلك السلطات التي يفترض فيها أن تكون سلطات عليا مستقلة . كما مكنت لها من التحكم في توجيه الرأي العام عن طريق الكتاب والصحافة ، والإذاعة ، والتلفزيون .

وبذلك آل المجتمع الديمقراطي الحديث ، عن طريق الحرية الفردية فالانانية ، إلى عصابة تحكم فيها عداها من أفراد المجتمع ، على نحو ما آل إليه الأمر في المجتمع الشيوعي . عن طريق نقل الحرية الفردية والملكية الفردية إلى الدولة - إلى عصابة باسم الدولة تحكم فيها عداها من أفراد المجتمع ، وأصبحت هنا عصابة وهناك عصابة ، والفرق بين العاصبتين أن إحداها سافرة والأخرى مقنعة .

وإذا كانت المجتمع الشيوعي ألغى القيم

خلبه من الإيمان بالقيم الخلقية ، وملأت نفسه بأن السيد عليه هو الحس والشاهد ، وأن القيادة لهذا دون أن تكون لعقله ، وأخرست لسانه الناطق وأوقفت مشيئته من الانطلاق في اتجاه آخر غير الاتجاه الذي تملية الدولة . وركزت الحرية والمشيئة والتوجيه والمال في الدولة . تلك الدولة التي تأخذ ولا تعطى ، وتقبل التضحية ولا تجازى عليها ، تلك الدولة التي ليست راعية ولا مسئولة فيها ترعى ؛ لأنها دولة بغير أفراد !

(ب) وهناك في مقابل النزعة الشيوعية في المجتمع الحديث نزعة الرأسمالية أو الديمقراطية الغربية ، وهي نزعة تضاد النزعة السابقة في تقييم الفرد وتقديره . وبقدر ما تهدر الأولى حياة الفرد ، وحرمة ، وحرية في سبيل المجتمع ، بقدر ما تترك الثانية من مصالح المجتمع في سبيل حرية الفرد . تتركه ينمو حيث يشاء ، ويتصرف حسبما يبدؤه ، وإن كان في إطار من الحدود والقيود . لا تمنعه الحركة ، ولا تعوقه دون تخطيط الاتجاه الذي يتحرك فيه . تتركه يؤمن في دائرة الاعتقاد بما يريد ، ويمارس من ألوان حرية التفكير والتعبير عما يفكر ما يرغب في ممارسته منها . والدولة من وراء هذه الحرية ترعاها ؛ لأنها في خدمة الأفراد . وليس الأفراد في خدمة الدولة إلا بقدر ما ترعى مصالحهم وتصون حريتهم .

من المساعدات الفنية والاقتصادية للبلاد العربية ، تضاعف هذه الدول نفسها المساعدة في السك والنوع لإسرائيل .

والفلاسفة الذين قيموا هذا النظام أو ذاك من الوجهة الفلسفية هم من معكرو اليهود . والشيوعية الدولية التي ينادي بها النظام الاشتراكي الشيوعي لا تفرق عن الحكومة العالمية التي تنادي بها الدول الديمقراطية الغربية . فالهدف واحد ، والوسيلة مختلفة . الهدف هو إضعاف القوميات في المناطق المختلفة كي تنوب الشعوب الصغيرة ، وتضع إمكاناتها البشرية والاقتصادية في خدمة إحدى الكتلتين: إما الشيوعية الشرقية أو الديمقراطية الغربية . وهنا لانعجب إذ رأينا كلتا الكتلتين تحارب القومية العربية ، بينما كلتاها تعلن المحافظة على استقلال الشعوب الصغيرة ، وتمكين الشعوب الأخرى التي تحت الوصاية أو الاحتلال من حق تقرير المصير . فاستقلال الشعوب في حرف الكتلتين هو فصل بعضها عن بعض ، كي يسهل امتصاصها واحدة إثر الأخرى .

الرأسمالية إذن عادت بالمجتمع الديمقراطي الحديث إلى مجتمع تسيطر عليه الفردية والأنانية والتخلف في القيم والمثل العليا ؛ لأنه كلما سيطرت الأنانية كلما خف وزن القيم والمثل العليا . إذ هذه القيم والمثل هي حوافظ

الأخلاقية في حياة الأفراد ، ألغائها بناء عن منطق خاص لفكرة فلسفية اعتنقها ، فإن المجتمع الديمقراطي الرأسمالي تغاضى عن اعتبار هذه القيم في حياة الأفراد وأهمل النظرة إليها بناء أيضا عن منطق خاص لفكرة فلسفية يتشدك بها الرأسماليون ، وهي أن الشعب كلما انصرف إلى إشباع رغباته ومادس مقدارا أوسع من حريته الشخصية كلما انصرف عن التفكير والبحث عن تلك العصابة المستورة ، التي تحكم بغير حكومة وتحتكر بدون قانون وعرف ، إلا قانون السيطرة عن طريق المال واكتنازه في يد حفنة غاصة متشابهة في المنزوع والاتجاه ، ومتعاونة على تحقيق هدف معين .

والعصابة هنا وهناك في المجتمعين هي حفنة من اليهود تؤثر أن تعمل في سميت ووراء حجب ، من غير إيمان بهذا النظام أو بذاك ، وهذا هو السر في محافظة النظامين على قيام إسرائيل وجناتها بأنواع المساعدات الحيوية المختلفة ، إذ في الوقت الذي عقدت فيه تشيكوسلوفاكيا من بلاد الكتلة الشيوعية صفقة الأسلحة مع مصر ، عقدت روسيا نفسها مع إسرائيل صفقة من البترول لا تقل في القيمة والحجم عن صفقة الأسلحة ، وفي الوقت الذي تقدم فيه الدول الديمقراطية الغربية — تحت ضغط الرأي العام — بعضا

الذى يضع القرآن أسسه العامة وخطوط نظامه فهو المجتمع الذى يقوم على « العدل والتوازن » ، ويهدف إلى الخير ومنع الأذى والضرب . هو المجتمع الذى يقوم على المشاركة فى السراء والضراء ، ويدعو إلى الحرص على هذه المشاركة والنفع عنها . وبالموقف على وضع هذا المجتمع يتحدد موقف التوجيه القرآنى من المجتمع الحديث فى الشرق والغرب .

### التوجيه القرآنى والحضارة الصناعية :

التوجيه القرآنى ينتد الحضارة الصناعية القائمة على العلم التجريبي . يقول الله فى كتابه الكريم : « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفسك مواخر فيه ، ولتبغوا من فضله . . . » هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، وإليه النشور . . . فهو إذ يعبر هنا فى مواجهة الإنسان بأنه سخر للإنسان ما عداه فى الكون ، يطلب منه أن يتمكن وأن تكون له السيادة عليه . ولا تكون سيادة على شيء لجاهل به ، إنما تم السيادة حيث يكون له علم يكشف عن جوانبه . والعلم التجريبي هو ذاك العلم الذى يسعى للكشف عن جوانب الكون .

والتوجيه القرآنى إذ ينتد الحضارة

للعلاقات الإنسانية فى أحسن صورها بين الأفراد ، وهى علاقات المشاركة فى السراء والضراء ، والتعاون فى سبيل بقاء هذه المشاركة والنفع عنها .

والزرعة الشيوعية ألغت مباشرة اعتبار هذه القيم ، ووضعت مكان الدفع الذاتى لها . وهو دفع الضمير والخشية من الله . دفع القانون والسلطة الخارجة عن ذات الإنسان ، لمشاركة الأفراد بعضهم لبعض فى الإنتاج للدولة ، وتقديم ما تطلبه من خدمات فى صور جماعية .

والإيمان باقى فى المجتمع الديمقراطى لا يؤتى ثمره طالما تكون هناك أناية وفردية . وهو بعد قد ألغى صراحة ، وإلغاء مباشراً ، فى المجتمع صاحب الزرعة الشيوعية .

وهنا إذن قدر مشترك بين المجتمعين :

١ : عدم وجود أثر للقيم والمثل العليا ، سواء فى ظل سيطرة الديمقراطية ، أو سيطرة الاجتماعية الاشتراكية .

٢ : وعدم وجود أثر للإيمان بالله ، سواء فى ظل حرية الإيمان به أو فى ظل الحجب على الإيمان به . أما الاختلاف بينهما فهو فى شعار فقط . شعار الشيوعية : الفرد للمجتمع . وشعار الديمقراطية : المجتمع للفرد .

### المجتمع القرآنى :

هذا هو المجتمع الحديث . أما المجتمع

على العلم التجريبي ، هداية الله للإنسان .  
 « الر كتاب أنزله إليك لتخرج الناس  
 من الظلمات إلى النور ياذن ربهم إلى صراط  
 العزيز الحميد » . « إن هذا القرآن يهدي للتي  
 هي أقوم ، ويشرح المؤمنين الذين يعملون  
 الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » . وبذلك  
 يجمع المؤمن به بين سيادة العلم وهداية الله .  
 وهداية الله تحيط لسلوك الأفراد ولعلاقاتهم  
 بعضهم ببعض .

#### التوجيه القرآني والتمزعات الفلسفية :

وهنا نتقل إلى التوجيه القرآني وموقفه  
 من المجتمع الحديث فيما له من نزعات فلسفية  
 مختلفة ، رأيناها متبلورة في اتجاهين متقابلين :  
 اتجاه : الفرد في سبيل المجتمع ، واتجاه :  
 المجتمع في سبيل الفرد .

القرآن الكريم يقول : « إنما وليكم الله ،  
 ورسوله ، والذين آمنوا ، الذين يقيمون  
 الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن  
 يتول الله ، ورسوله ، والذين آمنوا فإن حرب  
 الله هم الغالبون » فأفادت هذه الآية أن هنا  
 ثلاث حقائق : الله ، ورسوله ، والذين آمنوا  
 بالله وبرسوله . أما الله فهو غاية المؤمنين .  
 وأما رسوله فهو صاحب رسالة الله بينهم ،  
 وأما المؤمنون فهم أفراد اجتمعوا على الإيمان  
 بالله وبرسوله . وهنا في النقطة الأخيرة تتحدد  
 في نظر القرآن قيمة الفرد المؤمن في مجتمع

الصناعية القائمة على العلم التجريبي ؛ بغية تمكين  
 الإنسان من سيادته على الكون ، ينشد العلم  
 الدقيق بالكون أيضاً للاعتراف بالله  
 وبوحدانيته في العبادة والربوبية ؛ لأن في  
 الاعتراف بالله وفي قوة الإيمان به يكن  
 صمام الأمان من أن يتجه علم الإنسان  
 بالكون إلى تدمير الكون ، ومن أن تتحول  
 سيادته به على الكون والاتفاح به إلى أن  
 يكون عبداً له ، شقياً تعسا به . ففوله هنا :  
 « لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه  
 حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه  
 ولتبتغوا من فضله » ، وقوله : « فامشوا  
 في مناكبها وكلوا من رزقه » - يدل على أن  
 غاية العلم الذي يمكن لسيادة الإنسان على  
 الكون هي خدمة الإنسان وإسعاده ، وليس  
 إذلاله وشقوته .

الإيمان بالله وحده هو الذي يقيم العلم ،  
 ويجعله نعمة وذا فضل على الإنسان . هو  
 نفسه الذي يحول دون أن يقيم الإنسان  
 من العلم معبوداً لا شريك له . وبالتالي  
 يحفظ للإنسان قيادته له وسيادته عليه .  
 وبذلك يبقى الإنسان هو ذلك الكائن المكرم :  
 « ولقد كرمنا بني آدم » ، « وعلّمناه من لدنا  
 علماً » وليس الإنسان الذي يخضع للآلة  
 التي ينتجها العلم التجريبي .

التوجيه القرآني يضيف إلى حث الإنسان

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحبه حياة طيبة . » وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقرا ومقاما . والذين إذا نفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدعون مع الله ألها آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما .

والعمل الصالح هو العمل من أجل توازن العلاقات . والعدل في الترابط . وإذا تحقق التوازن في العلاقات ، والعدل في الترابط لا يصير استقلال الفرد إلى أنانية ، ولا يتحول اعتبار كيانه الخاص إلى فردية عدامة . وبالتالي لا يصير الوضع في المجتمع القرآني إلى ذلك الوضع الذي صار إليه المجتمع الديمقراطي الرأسمالي .

ولكني يحفظ التوجيه القرآني وضع المؤمن في مجتمع المؤمنين به . وهو وضع المستقل صاحب العلاقات المتبادلة على أساس من الإيمان بالله وهداياته . جعل القرآن نفسه هو المصطلح والحكم عند الاختلاف بينهم في الأفهام أو في الاتجاه . فيقول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى

المؤمنين ، كما تصحح علاقة الفرد بالمجتمع ، وعلاقة المجتمع بالفرد .

القرآن في توجيه خطابه ، أو في إخباره لم يتجه به إلى « مجتمع المؤمنين » كما لم يخبر عن هذا « المجتمع » بلفظ « المجتمع » . بل كلن تعبيره دائما بلفظ « المؤمنين » في صيغة الجمع . وهذا يدل على أن الفرد في جماعة المؤمنين له شخصيته وله كيانه الخاص ولكن بما أنه ضمن الجماعة المؤمنة فله حقوقه من الآخرين وعليه التزاماته وواجباته نحو الآخرين وهنا يمكن أن نقول : إن القرآن ضد إفساء الفرد في المجتمع ، وبالتالي ضد إهدار حريته وإلغاء اعتبار كيانه الخاص . وذلك يستلزم حتما أنه ضد انتقال ملكية الأفراد إلى ما يسمى بالمجتمع . فهو ضد النزعة الاشتراكية الشيوعية . وفضلا عن أنه ضدها فهو يدعو إلى تركيز إيمان الإنسان في الله وحده ، لا في شيء آخر سواه .

ولكنه لا يدع اعتبار كيانه الفرد الخاص يتدرج به إلى أن يكون ذا فردية وأنانية ، كما تركت الديمقراطية الرأسمالية الفرد يتطور إلى أناني ، وتركزت النظام الديمقراطية نفسه يتطور إلى عصابة تمارس الاحتكار والتحكم فيما عداها . لأنه إلى جانب الإيمان بالله الذي يدعو إليه دعا إلى العمل الصالح ، وراوج تقريرا في كل الآيات التي تحدثت عن أوصاف المؤمنين بين الإيمان بالله والعمل الصالح

بأنه ليس لحسب التمسك بهدايه الله كما جاء في كتابه - ولكنه قبل ذلك في عدم الحاجة وراء ذات الإنسان وضميره - من سطوة القانون أو رقابة السلطة التنفيذية - إلى دافع يدفعه نحو السلوك المستقيم، ونحو الغاية العامة للمجتمع، وهي السيادة والخير معا .

وبجانب أنه تفادى ذلك - وما تفاداه شر خطير - فإنه يدعو في تشجيع إلى العلم وما يأتي به العلم من ثمرات لرفع مستوى الإنسان، على أن يظل الإنسان ذات سيادة وقيادة .

إن التوجيه القرآني للمجتمع المؤمنين به توجيه مستقل، لاهو شرقي ولا غربي، يكاد ربه يضيء ولولم تمسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء .

**دكتور محمد البرهي**

مدير عام الثقافة الإسلامية بالأزهر

الأمر منكم ( أصحاب الاجتهاد ) فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلاً .

فلم يرض أن تتحكم نزعة إنسانية في توجيه المؤمنين، حتى يتغير الوضع الذي ارتضاه الله لهم. وهو وضع الحر الكريمة، صاحب المعاونة والمشاركة فيما يعود على المؤمنين جميعاً من خير وحرمة وكرامة. بل أحال النزاع إلى ما أوحى به الله إلى رسوله .

\*\*\*

وهذا تضادى التوجيه القرآني للمجتمع المؤمنين ما ندعو إليه الفرصة الاجتماعية الاشتراكية ( الشيوعية )، وما تصير إليه الديمقراطية الرأسمالية مما من عدم وجود أثر للقيم والمثل العليا في حياة المجتمع، وعدم وجود أثر للإيمان بالله فيها وأثر الإيمان .

كان الناس في مكة، بعد هجرة الرسول قد مكثوا أياماً لا يدرون أين توجه الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى سمعوا صوتاً يتغنى بهذه الآيات :

جزى الله رب الناس خير جزائه

رفيقين حلاً خيمتى أم معبد

هما نؤلا بالبر وارتحلا به

فأطلع من أسى رفيق محمد

سلوا أختكم عن شاتها وإناتها

فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

فلما سمعوا ذلك أدركوا أن وجهته المدينة .

# تحقيق في أسفار العهد الجديد

يبين اللغات التي ألفت بها والتي ترجمت إليها  
وما وقع فيه مؤرخو العرب وغيرهم في هذا الصدد من أخطاء

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد ذوافي

طوائف الناطقين بها أن انشعبت إلى عدة لهجات . وترجع لهجاتها هذه إلى مجموعتين رئيسيتين يفصلهما العرات وصحراء الشام : إحداهما مجموعة اللهجات الآرامية الشرقية وتشمل اللهجات الآرامية ببلاد العراق ؛ والأخرى مجموعة اللهجات الآرامية الغربية وتشمل اللهجات الآرامية بسورية وفلسطين وشبه جزيرة سينا ... وما إلى ذلك .

وتتسم المجموعة الشرقية إلى لهجات كثيرة يهمنها في موضوعنا اللهجة السريانية ، فقد ترجمت إليها أسفار العهد الجديد من اللغة اليونانية كما سيأتي بيان ذلك .

وتتسم المجموعة الغربية كذلك إلى لهجات كثيرة يهمنها منها في موضوعنا اللهجة التي يطلق عليها علماء اللغة اسم « الآرامية الفلسطينية الحديثة » ، وهي التي كتب بها أقدم إنجيل في العهد الجديد وهو إنجيل متى ، والتي استخدمها المسيحيون ، سورية وفلسطين في

يطلق اسم « العهد الجديد » على مجموعة أسفار مقدسة عند المسيحيين . وقد كتب سفر واحد من هذه الأسفار ، وهو إنجيل متى ، باللغة الآرامية ثم ترجم إلى اليونانية ؛ وأما باقيها فقد كتب باليونانية ، ثم ترجم إلى الآرامية .

ولذلك سنمهد لبحثنا بكلمتين موجزتين عن هاتين اللغتين .

## - ١ -

### نظرة مجملة في اللغة الآرامية

أصبحت اللغة الآرامية ، بعد تغلبها على اللغتين الأكادية والعبرية ، أي منذ أواخر القرن الرابع ق م ، اللغة السائدة في جميع بلاد العراق من جهة ، وفي سورية وفلسطين وما إليها من جهة أخرى . فقد كانت إذن اللغة التي يتكلم بها المسيح ويتكلم بها أهل فلسطين في عهده . وقد نجم عن اتساع مناطقها وتعدد



- ٣ -

## العهد الجديد

اعتمد المسيحيون من أسعارهم سبعة وعشرين سفراً قرروا أنها هي وحدها الأسفار المقدسة أى الموحى بها ، وأطلقوا عليها اسم « العهد الجديد » ، للقبالة بينها وبين ما اعتمد من أسفار اليهود المقدسة التي أطلقوا عليها اسم « العهد القديم » .

وبجانب هذه الأسفار التي يتألف منها العهد الجديد توجد أسفار مسيحية أخرى قررت كنائس المسيحيين وبجامعهم عدم إدخالها في أسفار هذا العهد ، ويطلقون عليها اسم « الأسفار الخفية » ، "Apocryphe" du grec "Apokruphos" de "Apokruptien" cacher وبعض هذه الأسفار الخفية يعتقد المسيحيون أنه موضوع كإنجيل برنابا (١) St Barnabé الذي جاءت فيه بشارة المسيح بالرسول محمد عليه السلام (٢) ، وكتاب

ترجمة أسعار العهد الجديد من اللغة اليونانية كما سيأتى بيان ذلك (١) .

- ٢ -

## نظرة مجملة في اللغة اليونانية

كانت اللغة اليونانية القديمة لغة الحديث والكتابة في جميع البلاد اليونانية الأصل وفي جميع مستعمرات اليونان بأوروبا ، وآسيا وإفريقيا ، كما كانت لغة الكتابة والثقافة في كثير من البلدان غير اليونانية اللسان وخاصة في بلاد العراق والشام وفلسطين وشمال إفريقيا وفي مصر نفسها ؛ فقد كان المصريون منذ عهد البطالسة إلى الفتح العربي ، يتكلمون القبطية ، بينما كانوا يستخدمون اليونانية في شئون الكتابة والثقافة والآداب والعلوم .

وباللغة اليونانية ألفت جميع أسفار العهد الجديد ما عدا إنجيل متى ، فلراجع أنه ألف بالآرامية كما سيأتى بيان ذلك ، وإلى اللغة اليونانية تحت أقدم ترجمة لإنجيل متى في العهد الجديد (حوالى سنة ٩٠ ميلادية) من أصله الآرامى ، ومن اللغة اليونانية ترجمت أسفار العهد الجديد إلى اللغة اللاتينية ، وعن اليونانية واللاتينية ترجمت هذه الأسعار إلى معظم لغات العالم قديماً وحديثاً .

[١] انظر تفصيل الكلام عن لغة الآرامية في الباب الثالث من كتابنا « لغة الله » | الصفحة الرابعة صفحات ٥٢ - ٦٧ | .

[١] | انطونيوس برنابا من التلاميذ الاثني عشر والسمين وهو قريب الرسول مرقس مؤلف أحد الأناجيل الأربعة للكنيسة التي سيأتى ذكرها .

[٢] | هي البشارة التي أشار إليها القراآت الكريم إذ يقول « وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل إني رسول الله إليكم صدقاً يريد من التوراة ومبشراً رسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » آية ٦ من سورة الصف .

البينات والمهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون [١] ، وإذ يقول : « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترُونَ به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ولم يذهب عنهم أليهم [٢] » ، ومن هذا يظهر أن السفر قد يكون « خفيا » و « مقدسا » في آن واحد عند اليهود ، ولكن لا يمكن أن يجمع بين هاتين الصفتين عند المسيحيين .

وتنقسم أسفار العهد الجديد خمسة أقسام : ( القسم الأول ) الأناجيل الأربعة ، وهي : إنجيل متى ؛ وإنجيل مرقس ؛ وإنجيل لوقا ؛ وإنجيل يوحنا .

١ — أما إنجيل متى فتؤلفه هو الرسول متى St matthieu وهو أحد الحواريين الاثني عشر [٣] Les douze apôtres ،

( ١ ) آية ١٥٩ من سورة البقرة .

٢١ . آية ٧٤ من سورة البقرة .

( ٣ ) تطلق كلمة « الحواريين » على الذين صاحبوا المسيح ودروا عنه بطريق مباشر أو غير مباشر . ولم يكن منهم في المبدأ الرسول متى صاحب هذا الإنجيل . ولكن بعد أن استبعد منهم يهوذا الإسخريوطي Judas iscarote ( الذي تقول الكتب المسيحية إنه خان المسيح ، وأرشد الرومان إلى مقره وسهل لهم عليه ، —

« أعمال الرسل » ، ( أى تاريخ الحواريين ) المنسوب لبرنابا كذلك ، فإن المسيحيين لا يعترفون بصحة ما جاء فيهما من حقائق ولا بصحة نسبتها إلى برنابا ؛ وبعضها الآخر يعترف المسيحيون بصحة ما جاء فيه من حقائق وبصحة نسبتها إلى صاحبه ، ولكنهم يعتقدون أنه غير مقدس . فكلما الخفي عند المسيحيين تطلق على غير المقدس من الأسفار سواء أكان صحيحا أم موضوعا .

وهذا يختلف الاصطلاح المسيحي في مدلول كلمة « الخفي » عن الاصطلاح اليهودي . وذلك أن اليهود ، مع إطلاقهم كلمة الخفي على جميع الأسفار التي لم يدخلوها في العهد القديم ، يعتقدون أن بعض هذه الأسفار مقدس أى موحى به ، ولكن رأى أجيالهم وجوب « إخفائه » في الهيكل وقرروا أنه لا يجوز أن يقف عليه الجمهور . وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول في صدد اليهود : « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً [١] ، وإذ يقول : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كتمتم تخفون من الكتاب [٢] » ، وإذ يقول : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من

( ١ ) آية ٩١ من سورة الأمام .

( ٢ ) آية ١٥ من سورة المائدة .

لهذا الإنجيل كان الرسول يوحنا صاحب الإنجيل الرابع الذي سنذكره <sup>(١)</sup>.

٢ — وأما إنجيل مرقس فؤلفه هو القديس مرقس St-marc وهو أحد التلاميذ أو الأنصار (٢)، وقد ألفه حوالي سنة ٩٣ أو ٩٥ باللغة اليونانية لا باللغة اللاتينية كما

[١] انظر في ذلك مثلا ابن خلدون صفح ٥٩٠، ٥٩١ من الجزء الثاني من طبعة لجنة البيان العربي لإد بقول: «كتب متى إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية وعلمه يوحنا بن زبدي منها إلى اللسان القبطي» واطر لطيفنا رقم ٧٣٨ على هذه العبارة.

[٢] يقول التاريخ المسيحي إنه قد تألف من السابقين الأولين إلى المسيحية بحاج الحوارين الاتني عشر اثنان وسبعون أطلق عليهم اسم التلاميذ أو الأنصار لأهم كانوا ملازمين لمسيح في السبع والأخذ عنه أو عن الحوارين ولأنهم قد قاموا بنشر المسيحية والدعوة إليها ومن هؤلاء القديس مرقس الذي صاحب الرسول بولس « من كبار الحوارين الاتني عشر، ويُسب إليه في العهد الجديد أربعة عشر سفرًا سيأتي ذكرها » والقديس برنابا « الذي ترجمنا له في تعليق سابق »، ثم صاحب الرسول بطرس كبير الحوارين الاتني عشر ويسب إليه في العهد الجديد سفران سيأتي ذكرهما « ونسب إلى روما، وبعد استشهاده الرسول بطرس شخص مرقس إلى مصر وعمر فيها للمسيحية وأنشأ بها بطريركية الإسكندرية « السكراة الرقسية » التي يتولاها الآن بطريرك الأقطاط بمصر. وقد اختاره أهل البندقية « فينسيا » حاميًا لمدينتهم. وله في البندقية كنيسة تسمى من أجل كنائس العالم وأغنيها وأدائها عمارة وأغناها بالآثار الفنية. وله في بيت المقدس واستشهد في مصر حوالي سنة ٦٧ م.

وإنجيله هو أقدم الأناجيل الأربعة جميعا، إذ يرجع تاريخ تأليفه إلى سنة ٩٠ بعد الميلاد. وقد ألفه متى باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الفقرة الأولى من هذا البحث. ولكن هذا الأصل الآرامي لم يصل إلينا، وإنما وصلت إلينا ترجمته إلى اللغة اليونانية التي تمت عقب تأليفه مباشرة أي حوالي سنة ٩٠ بعد الميلاد. ولا يظهر في هذه الترجمة إلا آثار ضئيلة للهجة الآرامية التي كتب بها. وتمثل هذه الآثار في نحو ست عشرة كلمة آرامية مدونة بحروف يونانية - ولا يعرف بطريق يقيني مترجم هذا الإنجيل إلى اليونانية.

وقد أخطأ مؤرخو العرب في صدد هذا الإنجيل خطأين إذ قرروا أنه قد ألف باللغة العبرية وأنه قد ترجم بعد ذلك مباشرة إلى اللاتينية، ولا ندرى صلام اعتمد هؤلاء المؤرخون فيها ذكره من أن أول مترجم

== ونقاضي منهم أحرا على ذلك، وجازاه الله على فعلته، بأن أمانه نبر مينة، وعمر دمه وأمهائه في مساحة واسعة من الأرض تسمى « حقل القمامة » اجتمع نحو مائة وعشرين من كبار المسيحيين تحت راية الرسول بطرس. ووقع اختيارهم على اثنين يكمل أحدهما عمدة الحوارين الاتني عشر، وهما برساباس للقب جوستوس Barsabbas, justus ومتى Matthieu، ثم ضربوا القرعة بينهما فخرج سهم متى، فاختير حواريا - وقد استشهد حوالي سنة ٧٠ ميلادية.

يوحنا (١) St-jean أحد الحواريين الاثني عشر باللغة اليونانية مباشرة حوالي سنة ٩٠ بعد الميلاد.

ويشتمل كل إنجيل من هذه الأناجيل على تاريخ المسيح ونشأته ورسالاته وتبشيره بدينه ومعجزاته وما حدث له وقصة صلبه وبعثه (أو قيامته كما يعبر المسيحيون) ، عقب دقته وتاريخ المسيحية في أول عهودها . وما إلى ذلك ، كما تشتمل على بعض ما أثر عن المسيح من أقوال يتمثل معظمها في نصائح وعظات خفية ، ويشتمل قليل منها على بعض أحكام تشريعية ينسخ بها بعض أحكام التوراة ، وهي تقر ألوهية المسيح وأنه ابن الله ، كما تقر عقيدة التثليث وقصة صلب المسيح ، وأنه صلب ليفدى العالم ويظهره من الخطيئة التي

يذكر مؤرخو العرب ، وكان تأليفه إياه تحت إشراف أستاذه الرسول بطرس وبارشاده . وقد رجوع إليه في بعض حقايقه واستمد منه بعض الذكريات وبعض حقايق التاريخ .

ولا ندرى صلام اعتمد بعض مؤرخي العرب إذ ذكروا أن هذا الإنجيل قد كتبه بطرس نفسه ونسبه إلى تلميذه مرقس (١) .

٣ — وأما إنجيل لوقا فتأليفه هو القديس لوقا St-luc وهو أحد التلاميذ أو الأنصار (٢) وكان تأليفه إياه في العصر نفسه الذي ألف فيه مرقس إنجيله السابق ذكره أي حوالي سنة ٦٣ أو ٦٥ م . وقد ألفه باليونانية مباشرة لا باللاتينية كما يزعم بعض مؤرخي العرب (٣) .

٤ — وأما إنجيل يوحنا فقد ألفه الرسول

[١] هو الرسول يوحنا من كبار الحواريين الاثني عشر . وكان أبوه زبدي Zébédée من الدعاة الأولين للبعثة ، وكانت أمه سالوى Salomé قديسة شهيرة ورد ذكرها في الأناجيل ، وهي قريبة صدم الممدراء أم المسيح . وقد جاءت من زبدي بالرسول يوحنا الذي تحدث عنه وبالرسول يعقوب الأكبر أو حاك الأكبر . ويعقوب الأكبر هو كذلك من كبار الحواريين الاثني عشر وقد استشهد سنة ٤٤ م ، وليس له أي سفر في العهد الجديد . ويقول التاريخ للمسيحي إن المسيح نفسه قد بارك هذين الأخوين منذ طفولتهما لما قدمتهما إليه أمهما - الولى فوجع أحدهما على عنقه اليمنى والآخر على عنقه الأيسر وباركهما ، ويقول كذلك إن يوحنا كان أحب الحواريين إلى المسيح وأقربهم إلى قلبه — وتوفي يوحنا بين سنتي ٩٨ و ١٠٠ م

[١] انظر في ذلك مثلا ابن خلدون إذ يقول في مقدمته (آخر ٩٩ وأول من ٩٩٢ من امره الثاني من طبعه - قصة الناب العربي : ٥ وكتب بطرس إنجيله بالخطى ونسبه إلى تلميذه مرقس ، واطر تمبقتا رقم ٧٤٩ على هذه العبارة

[٢] انظر في شرح كلمة التلاميذ أو الأنصار Disciples التطبيق الأسبق . - وقد صاحب لوقا الرسول بولس واحد معه ، واستشهد سنة ٧٠ م .

[٣] انظر مثلا ابن خلدون إذ يقول في مقدمته (ص ٩٩ من الجزء الثاني من طبعة دار البيان العربي) : ٥ وكتب لوقا منهم إنجيله بالخطى إلى بعض أكابر الروم ، واطر تطبيق رقم ٧٣٩ على هذه العبارة .

واستشهدا في سبيل عقيدتهما ونشر دينهم... وهلم جرا. ويسميه بعض مؤرخي العرب «الإيريكيس في قصص الرسل»، وهو تعريب للكلمة اليونانية بركيس Praxis بمعنى الأعمال.

(القسم الثالث) رسائل الرسل بولس (من كبار الحواريين الاتقي عشر، استشهد سنة ٦٧ م)، وعددها أربع عشرة رسالة كتبها باليونانية وبعث بها إلى عدة بلدان وشعوب وأفراد لبيان أصول العقيدة والآداب والأحكام المسيحية وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبعث. وهي رسالة إلى الرومان، ورسالتان إلى أهل كورنثوس، ورسالة إلى أهل غلاطيا، ورسالتان إلى تلميذه تيموثاوس، ورسالة إلى تلميذه تيطس، وأخرى إلى تلميذه فيليمون، ورسالة إلى أهل إفسوس، ورسالة إلى أهل فيليبي، ورسالة إلى أهل كولوس، ورسالتان إلى أهل تسالونيكي، ورسالة إلى العبرانيين... وقد طهر للحدثين من الباحثين والنقاد أن من هذه الرسائل ثلاث رسائل موثوقة بصحتها. وبصحة نسبتها إلى بولس وهي رسالته إلى الرومان ورسالته إلى أهل كورنثوس، وأربع رسائل مقطوعة بعدم صحة نسبتها إليه: وهي رسالته إلى أهل إفسوس ورسالته إلى

ارتكها آدم إذ أكل من «عجرة»، والتي ظلت عالقة بالإنسانية حتى طهرها منها المسيح بدمه، فهي بذلك تختلف كل الاختلاف عن الإنجيل الذي يذكر القرآن أنه كتاب مقدس أنزله الله على عيسى. وقد أشار القرآن في أكثر من موضع إلى أن هذا الإنجيل قد حرف وبطل وزيد عليه ونسب كثير منه في الأسفار التي يتداولها أهل الكتاب باسم الأناجيل. والأناجيل الثلاثة الأولى متقاربة في تاريخ تأليفها (أولها حوالي سنة ٦٠ والآخران حوالي ٦٣ أو ٦٥ م). ولا يكاد يختلف أحدهما عن الآخر فيما يشتمل عليه. ويمتاز عنها الإنجيل الأخير. وهو إنجيل يوحنا الذي تأخر تأليفه عنها بأكثر من ربع قرن، بمزيد من التفصيل في كثير من العقائد والتاريخ الديني وبعنايته بالرد على الأخطاء والبدع الدينية التي استحدثت في عصره.

(القسم الثاني) كتاب «أعمال الرسل» Actes des Apôtres (ويقصد بالرسائل الحواريون والأنصار)، وقد ألفه باللغة اليونانية القديس لوقا (مؤلف الإنجيل الثالث المتقدم ذكره) حوالي سنة ٦٣ بعد الميلاد (أي في العصر نفسه الذي ألف فيه إنجيله). وهو سفر في تاريخ الحواريين والأنصار، وما بلّوه من جهود في نشر المسيحية، وما قاموا به من معجزات، وما لاقوه من اضطهاد وتعذيب

( إمبراطور الدولة الرومانية الغربية  
من ٨١ إلى ٢٩٦ ) .

هذا ، وقد ترجم العهد الجديد ترجمة حرفية من اليونانية إلى السريانية (وهي إحدى شعب المذاهب الآرامية الشرقية كما سبق بيان ذلك في الفقرة الأولى من هذا البحث) على يد آباء الكنيسة المسيحية السريانية، وتم ذلك في الفترة الواقعة من القرن الثاني إلى الرابع بعد الميلاد .

وترجم المسيحيون بفلسطين العهد الجديد  
من اليونانية إلى اللهجة الآرامية الفلسطينية  
الحديثة التي أشرنا إليها في الفقرة الأولى  
من هذا البحث ، وهي النسخة التي كانت  
مستخدمة في منطقتهم ، وذلك بعد أن  
استقروا في ثماقتهم وشئونهم الدينية عن  
الكنيسة البريانية . وقد تم لهم هذا الاستقلال  
في أواخر القرن الخامس الميلادي . واستغرقت  
ترجمتهم هذه فترة طويلة تمتد من القرن الثامن  
إلى الحادي عشر بعد الميلاد .

وجاءت ترجمتهم حرفية كالترجمة السريانية ، بل تريد في حرفيتها عن هذه الترجمة وقتل عنها في مبلغ تمثيلها لروح اللغة الآرامية وأساليبها ، وذلك على الرغم من أنها تمت في الموطن الأول الذي ظهر فيه المسيح وانبثقت منه الأناجيل .

وفي القرون المسيحية الأولى ترجمت أسفار العهد الجديد من اليونانية إلى اللاتينية. وعن اليونانية واللاتينية ترجمت هذه الأسفار إلى معظم لغات العالم قديماً وحديثاً.

دکنور علی عبد الوہاب وانی

تيموثاوس ورسالته إلى تيطس ، وأن ما بقي من هذه الرسائل مشكوك في صحته نسبتة إليه .

( القسم الرابع ) الرسائل الكاثوليكية ،  
وهي من نوع رسائل القسم الثالث ، وألفت  
مثلها باللغة اليونانية ، وعددها سبع رسائل ،  
وهي : رسالة الرسول يهتوب الصغير  
St-jacques lemineur ( من الحوارين  
الاثني عشر استشهد سنة ٦٧ ) ؛ ورسالة أخيه  
يهوذا St jude ( وهو كذلك من الحوارين  
الاثني عشر ) ؛ ورسالتان لبطرس الرسول  
( كبير الحوارين الاثني عشر ، وإليه يرجع  
أكبر قسط من الفضل في نشر المسيحية  
في النبوة الرومانية الغربية ، وهو الذي أسس  
كنيسة روما التي يتولى شئونها بابوات  
الكاثوليكية . ولد سنة ١٠ قبل المسيح  
وقله نيرون امپراطور روما سنة ٦٧ على  
الأرجح ) ؛ وثلاث رسائل ليوحنا صاحب  
الإنجيل الرابع السابق ذكره .

( القسم الخامس ) رؤيا يوحنا أو أبوكاليبس  
 يوحنا ( apokalupsis كلمة يونانية معناها  
 الوحي أو الرؤيا ومنها الكلمة الفرنسية  
 apocalypse ) وهي رؤيا رآها الرسول  
 يوحنا صاحب الإنجيل الرابع السابق ذكره ،  
 وأوحى إليه فيها بأهم ما سيحدث للسيحية  
 وقالعالم إلى قيام الساعة ، ومن ذلك خبر  
 الدابتين الغريبتين اللتين ستخرج إحداهما  
 من الأرض والأخرى من الماء وتكلمان  
 الناس . وقد ألف هذا الكتاب باليونانية  
 في عهد الامبراطور دوميسان Domitian

# ابن خلدون في مصر

تدريسه بالازهر والمدرسة القمحية

وأثره في التفكير المصري

للاستاذ محمد عبد الله عنان

حتى بدأ حياته الجديدة ، في ذلك الميدان ،  
الذي حرمت السياسة منه حقبة طويلة ، ميدان  
القراءة والدرس .

وكانت مصر يومئذ موئل التفكير الإسلامي  
في المشرق والمغرب ، ولبلاطها شهرة واسعة  
في حياة العلوم والآداب . وكانت الحركة  
الفكرية المصرية يومئذ في أوج قوتها  
واردها ، وقد اجتمعت في ظلها جمهرة  
من أكابر العلماء والكتاب . وكان الجامع  
الازهر ، كعنده دائما ، قبلة الوافدين من كل  
قطر : وكان لعلماء المغرب بنوع خاص صلة  
وثيقة بالجامع الشهير ، وقد لبث رواقهم  
القديم - رواق المغاربة - الذي ما يزال قائما  
حتى يومنا ، عسورا ، ندوة من أهم ندوات  
الازهر العلمية . وإذا فقد كان طبيعيا أن يحتل  
ابن خلدون ، وقد سبقه صيته إلى مصر ،  
مكانته في أدوة الازهر وبين علمائه .

ويشير ابن خلدون إلى ذلك في « التعريف »  
أو ترجمة حياته بقوله : « واتكال على طلبه »

وفد العلامة الفيلسوف ولي الدين عبد الرحمن  
ابن خلدون على مصر في أواخر سنة ٧٨٤ هـ  
( ١٣٨٢ م ) ، وأقام بها ثلاثة وعشرين عاما  
حتى وفاته في سنة ٨٠٨ هـ ( ١٤٠٦ م ) .

وكان ابن خلدون قبل مقدمه إلى مصر ،  
قد خاض في ظل الدول المغربية المختلفة ،  
في قصور تونس ، وتلمسان ، وفاس ، حياة  
سياسية عاصفة ، يتبوأ خلالها أحيانا ذروة  
النفوذ والسلطان في منصب الوزارة أو الحجابة  
وأحيانا تعبس له الحوادث ، فيعزل من  
منصبه أو ينفي ، أو يلقي إلى ظلمات الاعتقال .

وكان قدومه إلى مصر ، بعد أن علف  
أحداث السياسة وتقلباتها ، شبه قرار ، مما  
كابدته خلال هذه الفترات العاصفة من حياته ،  
ومما كان يحشا من تجديد ، إذا بقي في وطنه  
وسمعا إلى ذلك الاستقرار الهادي الذي لم  
يظهر به في تونس أو غيرها من حواضر  
المغرب . وقد ظفر ابن خلدون بما كان يشهد  
من هدوء ودعة ، فماكد يستقر في القاهرة ،

المدرسة القديمة من المدارس التي أنشأها  
السلطان صلاح الدين ، وتقع على مقربة من  
جامع عمرو ، وكانت من مدارس المالكية ،  
ولها أوقاف جليلة ، منها ضياع بالقيوم تغل  
القمح ، ومن ثم فقد سميت بالقمحية . وكان  
ابن خلدون قد سعى منذ مقدمه إلى الاتصال  
بالسلطان وهو يومئذ الملك الظاهر برقوق ،  
وساعده على تحقيق أميته أمير من البلاط  
يدعى الطنبغا الجوباني ؛ فأكرم السلطان  
وفادة المزرع وشمله برعايته . وأغدق عليه  
أو على قول المؤرخ « ووفر الجبراية  
من صدقاته ، شأنه مع أهل العلم » . ولما  
توفي علم الدين البساطي ، مدرس المدرسة  
القمحية ، عين السلطان ابن خلدون مكانه  
لتدريس الفقه المالكي ، وكان ذلك في أوائل  
شهر المحرم سنة ٧٨٦ هـ .

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر  
المحرم المذكور ، افتتحت الدراسة بالمدرسة  
القمحية ، وألقى ابن خلدون درسه الأول  
بها ، ولم يكن افتتاحا عاديا ، بل كان احتفالا  
فخا شائعا ، شهده الأمير الطنبغا الجوباني ،  
والأمير يونس ابنوداد نيابة عن السلطان ،  
كما شهده القضاة الأربعة . وجمهرة كبيرة  
من رجال الدولة ، ومن الأعيان والعلماء .  
وافتح ابن خلدون ذلك الحفل الحاشد بخطاب  
بليغ يورده لنا نصه في « التعريف » . وقد

العلم بها « أي بالقاهرة » . يتمسون الإفادة  
مع قلة البضاعة ، ولم يوسعوني عنرا ، جلست  
للتدريس بالجامع الأزهر بها . وكان جلوس  
المؤرخ الفيلسوف بالجامع الأزهر ، حادثا  
عليا خطيرا ، نوهت به جميع الروايات  
المصرية المعاصرة واللاحقة . ودرس عليه  
يومئذ جماعة من أكابر العلماء المصريين ،  
مثل ابن حجر ، والقلقشندي ، والمقريزي ،  
وكان ابن خلدون محاضرا بارعا بأخذ سامعيه  
بذلاقة وطلاوة أسلوب ؛ وقد نوهت بهذه  
الصفة سائر الروايات المصرية المعاصرة .  
فوصفه ابن حجر ، بأنه « كان لسانا فصيحيا » ؛  
ووصفه الجلال الدين السيوطي ، بأنه « كان فصيحيا  
مفوها جميل الصورة » . وقال الذكراكي « إن  
محاضراته إليها المنتهى » .

وبالرغم من أن المؤرخ عين بعد ذلك بقليل  
للتدريس بالمدرسة القمحية حسبا لذكريه ،  
وأجريت عليه الرواتب المجهزية ، فإنه لم يترك  
دروسه بالأزهر ، وقد كان يدرس الحديث ،  
والفقه المالكي ، ويشرح للخاصة من تلاميذه  
نظريات في العمران والعصبة ، وأسس الملك ،  
ونشأة الدول ، وغيرها مما عرض إليه  
في مقدمته الشهيرة ، وكانت كلها من الموضوعات  
الطريفة التي لم يكن للعلماء عهد بها من قبل .

ولم يمض قليل على ذلك حتى خلا منصب  
التدريس بالمدرسة القمحية . وكانت هذه



وإنه لمنظر شائق ذلك الذي يقدمه إلينا ابن خلدون ، عن مجلسه الأول في ذلك اليوم المشهود ، ومن حوله الأمراء ، والقضاة ، والعلماء ، يستمعون إلى الدرس الأول ، لذلك المفكر والمحدث المبدع . وهو يحرص على تدوينه ، كما يحرص على تدوين الأثر الذي يعتقد أنه أحسنه في نفوس الحاضرين إذ يقول : « وانفض ذلك المجلس ، وقد شيعتني العيون بالثجلة والوقار ، وتناجت النفوس بالأهلية للنائب ، وأخلص الاحترام في ذلك الخاصة ، والجمهور ، وفي ذلك ما يدل على ما كان يشعر به ابن خلدون في كبرياء وثقة من أنه كان شخصية ممتازة ، تجب إحاطتها بمظاهر خاصة من الرعاية والتكريم .

ثم عين المؤرخ بعد ذلك في وظيفة جليلة أخرى ، هي مشيخة غاتماه بريس ، وهي يومئذ أعظم الخواصق ، أو ملاحي الصوفية ولها أوقاف ومراتب واسعة ، فزادت جراته واتسعت موارده . والظاهر أنه انتقل على أثر ذلك من مسكنه القديم بحي بين القصرين إلى منزله الفخم الواقع على النيل ، على مقربة من جزيرة الروضة .

واستمر ابن خلدون يضطلع أحواما طويلة بالتدريس بالجامع الأزهر والمدرسة القمحية ، ويضطلع في نفس الوقت ، بالقيام بمنصب قاضي قضاء المالكية ، الذي وليه وعزل منه

اتباع فيه أسلوب القسمل المسجع الذي كان دائما يومئذ بالمشرق ، والذي يحمل عليه ابن خلدون نفسه في مواضع كثيرة من مقدمته .

ويتحدث ابن خلدون في خطابه بعد الديباجة عن فضل العلماء في شد أزر الدولة الإسلامية وعن تغلب الدول . ثم يشيد بما للدول السلاطين المصرية من فضل في نصرة الإسلام وإعزازه ، ومن همم عالية في إنشاء المساجد والمدارس ، ورعاية العلم والعلماء والقضاة ، ويدعو بعد ذلك للبك الظاهر ويشيد بعزمه وعدله وعقله ، ثم يعطف بعد ذلك على نفسه وما أوليه من شرف المنصب في تلك العبارة الشعرية : « ولما سبحت في اللجج الأزرق ، وخطوت من أفق المغرب إلى المشرق ، حيث نهر التبار ينصب في صفحة المشرق ، وشجرة الملك التي اعتز بها الإسلام ، تهتز في دوحه المشرق ، وأزهار الفنون تسقط علينا من غصنه المورق ، وينابيع العلوم والفضائل تمدنا من فرائه المندق ، أولوني عناية وتشريفا ، وغمروني إحسانا ومعروفا ، وأوسموا بهمي إيصاحا ، ونكرتي تعريفا ، » ، ويختتم ابن خلدون خطابه بالإشادة بذكرى السلطان صلاح الدين مؤسس هذه المدرسة ، وما كان له في سبيل النود عن الإسلام من عظيم الجهاد ، ثم يدعو كره أخرى للسلطان وللأمة الإسلامية والحاضرين .

وأقسام في تحريجه ، ومع ذلك فقد كان ابن خلدون يحظى في نفس الوقت بتقدير فريق كبير من العلماء المصريين ، بل لم يتردد خصومه أنفسهم في التثويه بعتمرته وغزير عليه .

ومن الغريب أن نجد الحافظ ابن حجر ، وقد كان كثير الطعن على ابن خلدون والتعريض به ، يتقدم مع جماعة من أصحابه إلى ابن خلدون في طلب إجازته ، وما زال هذا الاستدعاء الذي كتبه ابن حجر بخطه محفوظا إلى اليوم في بعض كتب ابن حجر الخفية المخطوطة بمكتبة أيا صوفيا باستانبول وقد أصدر المؤرخ لابن حجر وأصحابه الإجازة المطلوبة مكتوبة بخطه ، وبمهوره بتوقيعه وإليك نصها :

« الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أجزت هؤلاء السادة ، والعلماء القادة أهل التحصيل والإفادة ، والفضل والإجادة ، والإبداع في الكمال والإعادة ، جميع ما سأله ورجوه من الإجازة وأملوه ، على شروطه المحببة عند العلماء البررة ، وأخبرهم أن مولدي في شرة رمضان عام اثنين وثلاثين وسبعمائة ، والله تعالى ينفعنا وإياهم بالعلم وأمله ، ويجمعنا من سالكى سبيله ، وكتب بذلك عبد الرحمن ابن محمد بن خلدون الحضرمي المالكي في منتصف شعبان عام سبعة وتسعين وسبعمائة .

مراراً وتكراراً ، ونحن نعرف ما لقيه ابن خلدون خلال ذلك من خصومات أدبية ومخاضة كثيرة ، سببها المناصب والنفوذ ، وما كان يديه ابن خلدون من كبرياء وصلابة وإعراض عن الشفاعات في أعمال القضاء .

وقد كان من الطبيعي ، أن يلتقى ابن خلدون وقد ظفر بأرفع مناصب التدريس والقضاء وما تدره من الأرزاق الواسعة مالتى من برادر الخصومة والحسد ، ويحدثنا المؤرخ عن ذلك بإفاضة وصراحة في « التحريف » ، ويشرح لنا هوامل تلك الخصومة التي كدرت صفو الألق من حوله ويشرح لنا بالأخص موقفه في مزاوله القضاء وكيف أنه كان ياتزم العدالة المطلقة ويسوى بين الخصمين دون النظر إلى أى اعتبار ، وكيف أنه لم يوفق في اتباع هذه الطريقة الصارمة ، فظرا لما كان يسود القضاء بمصر يومئذ من هوامل الفساد والتأثير ، ونفوذ الكبراء ، وأثر الشفاعات ، وتشهد الروايات المعاصرة كلها بحزم ابن خلدون ونزاهته في مزاوله القضاء .

وقد تردد صدق هذه الخصومة في كتابات كثير من العلماء المصريين المعاصرين ، أمثال القاضي جمال البشيشي ، والحافظ ابن حجر ، وبدر الدين العيني وغيرهم . ثم بعد ذلك في كتابات شمس الدين السخاوي ، وقد كان أشد الكتاب المصريين وطأة على ابن خلدون

فيه عن عمر مصر وأسباب خرابها منذ أقدم العصور حتى عصره ، وفيه ينحو في الشرح والتليل منحي شيخه وأستاذه ، ويحاول على طريقة ابن خلدون أن يستخرج القوانين والظواهر من الحوادث المتشابهة ، بل هو يستعمل ألقاظ ابن خلدون وتعبيراته مثل « أحوال الوجود » و « طبيعة العمران » وما إليها ، ويقتبس كثيرا من آرائه في طبيعة الملك ، وعوامل فسادة ، وأثر الظلم في خراب العمران ، وغير ذلك من نظرياته العمرانية والاقتصادية ، بل نجد هذا التأثير الذي به ابن خلدون في المدرسة المصرية ، يمتد إلى خصومه أنفسهم ؛ فقرأ السخاوي وهو أشد خصوم المؤرخ ، وأكثرهم تحاملا عليه ، متأثرا بنظريات ابن خلدون وأسلوبه . ويبدو ذلك جليا في كتابه « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » ، حيث يتحدث بطريقة فلسفية عن التاريخ وأثره في دراسة أحوال الأمم ، وذلك بنفس الأسلوب الذي يتحدث به ابن خلدون في مقدمته .

محمد عبد الله هاشم

وقد ترك ابن خلدون أثره العميق في التفكير المصري المعاصر ، وكان مؤرخ مصر الكبير تقى الدين المقرئ أشد الكتاب المصريين تأثرا بمنهجه وأسلوبه ، ويتحدث المقرئ عن شيخه ابن خلدون بمنتهى الخشوع والإجلال وينعت « بشيخنا العالم العلامة قاضي القضاة ، و ترجمه في كتابه « درر العقود الفريدة » بإفاعة ، ويعرب عن عجب إعجابه وتقديره للقدمه ويقول لنا : « إنه لم يعمل مثلها ، وإنه لعزير أن ينال مجتهد مناها ؛ إذ هي زبدة المعارف والعلوم ، ونتيجة المعقول السليمة والفهم ، توقف على كنه الأشياء ، وتعرف حقيقة الحوادث والأبناء ، وتعبر عن حال الوجود ، وتنبئ عن أصل كل موجود » . وترجمة المقرئ لابن خلدون هي أصدق دفاع مصري عن المؤرخ إزاء الحملات العنيفة التي وجهت إليه من خصومه ، وفي مقدمتهم الحافظ ابن حجر ، التي تردد صداها فيما بعد ، فيما كتبه السخاوي في « الضوء اللامع » .

ويبدو تأثر المقرئ بمنهج ابن خلدون وتمكيده ، قويا واضحاً في كتابه « إغاثة الأمة بكشف الغمة » وهو الذي يتحدث

## كتاب الله

قال الحسن رضي الله عنه : رحم الله رجلا خلا بكتاب الله ، فمرض عليه نفسه ، فإن وافقه حمد ربه ، وسأله الزيادة . وإن خالفه أعتب وأتاب ورجع من قريب .

## المادة بين العلم التجريبي والفكر المجرد للأستاذ الدكتور سليمان دنيا

يقرر العلم : « أن المادة لا تفنى » ، ويقرر رجال الدين : « أن العالم حادث » ، وجد من عدم ، ويمكن أن يصير إلى عدم . ويرى جمهرة المتعلمين من المتدينين أن لاسبيل إلى إنكار ما أثبتته العلم ، كما لاسبيل إلى تكذيب ما ينسب إلى الدين . ولكنهم لا يدرون إلى أي حد يلتقي العلم مع الدين بخصوص هذا الأمر ، وإلى أي حد يختلفان ؛ ولذلك فهم تارة يتعمسون للعلم فيشرحون قضيتهم شرحاً يخرج بها عن الحدود التي رسمها لها العلم نفسه ، وهم بذلك الشرح - من حيث يدرون أو لا يدرون - يحيقون من حقوق يمتصونها بها للدين ، وتارة أخرى يستشعرون قدرة الله شاملة قاهرة ، لا يصجزها شيء ، ولا تعجزه عن شيء ، ويندفعون في حماس ديني لا يسألون معه أن يتفكروا العلم ولما يعترفون هم أنفسهم أنه حق ثابت لاسبيل إلى إنكاره . ولو أنهم فهموا الأمر على حقيقته لأمكن لهم أن يتحدثوا عن العلم بما لا يشعرون معه بافتيات على الدين ، وأن يتحدثوا عن الدين بما لا يشعرون معه أنهم يعارضون العلم .

فالعلم في هذه المسألة لا يعادى الدين ولا يعاديه الدين ، ولعل العلم في جميع مسائله ، حين يكون باتماً قاطعاً ، لا ظاناً مفترضاً ، لا يعادى الدين ولا يعاديه الدين .

والأمر في مسألة المادة أن العلم حين يتحدث عن عدم فناء المادة ، إنما يتحدث عن مدى سلطته وسلطة الإنسان الذي يستعمله فقط ؛ ذلك أن العلم حين يسلط النار على قطعة من الشمع مثلاً ، حتى يبدو للعين أن جراً كبيراً منها قد ذهب وتلاشى ، يكشف بأجهزته التي تدرك مالا تدركه العين المجردة ، أن هذا الجزء الذي ظن أنه فنى وتلاشى كلية ، قد تحلل إلى عناصر بسيطة فنى إدراكها ، لا أنه فنى وتلاشى .

والعلم إذ يقرر ما وصل إليه في تجربته تلك ، إنما يقرر حادثة جزئية : يقرر أن النار التي أشعلها بواسطة غاز الأكسوجين مثلاً لم تستطع أن تفنى الشمعة . وهذه النتيجة التي ينتهي إليها العلم في مثل هذه التجربة لا يمكن أن توصل إلى نتيجة كلية قائلة : « المادة بجميع أنواعها لا يمكن أن تفنى بأية وسيلة من الوسائل » ، ذلك لأن إجراء تجربة على الشمع لا تسوغ القول بأن جميع أنواع المادة كالشمع في ذلك ، والقول بمساواة جميع أنواع المادة - مما اكتشفناه وما لم نكتشفه من أنواعها - للشمع في ذلك ، مجازة لا توصل إلى يقين ، هذا إلى أن العلم ليس من شأنه أن يتحدث إلا في حدود تجربته . كما أن القول بأن جميع الوسائل - مما اكتشفناه وما لم نكتشفه - في مثل

أو عدم إمكان وجود وسيلة أخرى سوى النار ، تكون سلطانها أقوى من سلطة النار . وليس في هذا القدر ما يمكن أن يتعارض مع ما يقول به رجال الدين - من أن العالم وجد من عدم ، وأنه يمكن أن يصير إلى عدم - في قليل أو كثير ؛ لأن رجال الدين حين يقولون ذلك ، لا يريدون أن الإنسان هو الذي أوجده من عدم ، وأنه هو الذي يمكنه أن يصيره إلى عدم ؛ حتى يكون حكمهم بالوقوع والإمكان منافضا لحكم العلم بعدم الوقوع وعدم الإمكان ، وإنما يريدون أن الله هو الذي يفعل ذلك ، وليس يلزم من عجز البشر وعجز وسائله عن تحقيق أمر من الأمور ، أن يعجز الله - عند من يعتقد أن هناك إلها قادرا ، والحديث معه - عن تحقيق ذلك الأمر ، فالمقارنة بين قدرة الله وبين قدرة البشر مقارنة فاسدة ، والوقوف بقدرة الله عند الحد الذي تقف عنده قدرة البشر ، ذهاب إلى أن الله بشر ، أو إلى أن البشر آله .

والذي ينبغي التنبيه له هو أن العلم لم يدع التعميم ولا سبيل له إلى التعميم ، وأنه في حكمة يقف عند المواد التي أجرى عليها تجاربه ، وعند الوسائل الخاصة التي استعملها في هذه التجارب . ولم يدخل ضمن وسائل العلم طبعاً قدرة الله ، فجمال حكمة هو نطاق تجربته فقط ، فهو باختصار يقرر أن الإنسان ووسائله

قوة النار التي ولدناها من الأكسوجين ، بجارة لاسبيل معها إلى يقين ، وهو أيضا قول خارج عن مهمة العلم التي يتحدث فقط في حدود تجربته .

والأمر الذي ينبغي أن يتأكد في قس القاري ، هو أن العلم ليس من وظيفته التعميم والإطلاق ، فهو إنما يعطى حكمة على خصوص المادة التي أجرى عليها تجربته ، وعلى خصوص الوسيلة التي استعملها ، بالشروط التي توافرت له والتي أجرى تجربته في نطاقها . أما الإطلاق والتعميم فإنما هو من وظيفة الفلسفة التي يقال عنها - بين ما يقال - : إنها تبدأ حيث ينتهي العلم ، فهي تجمع النتائج المتشابهة وتصوغ منها حكما كليا ، ويقوم العقل في هذه العملية بدور قد يسلم له ، وقد لا يسلم له ، ونضع المجال الفيلسفي الآن ، لنعود إليه فيما بعد .

وتابع حديثنا عن العلم الذي يعطى بحكم وظيفته أحكاما جزئية ؛ ففي الحكم السابق : مادة الشمع لا تنفخ بنار الأكسوجين ، وإنما تتحلل فقط ، يعطى العلم حكما جزئيا بمعجز نار الأكسوجين عن إقناء الشمع ، أو بمعجز الإنسان عن الظفر بوسائل يتوصل بها إلى إقناء الشمع ، أو بمعجز الإنسان ووسائله المعروفة له عن إقناء الشمع . وليس من شأن العلم أن يقول أكثر من ذلك ، فليس يدخل في حدود سلطته أن يقول بإمكان

ولا ينبغي أن يغيب عنا أن من يقول ذلك ، يذهب - أو يجب أن يذهب - إلى أن المادة واجبة الوجود بذاتها ؛ لأن ما تأتى طبيعته الفناء ليس إلا الواجب ؛ وأما الممكن فلا تستعصى طبيعته على العدم ، وأما المستحيل فلا يوجد أبداً ، وثلاثها هى كل ما مالمالك .

والذى يرى أن المادة واجبة الوجود ينكر وجود الإله ؛ إذ لا حاجة بالمادة إذا كانت واجبة الوجود إلى موجد يوجدها . والذى يجعل المادة واجبة الوجود يوصد الباب فى وجه من يحاول إثبات وجود إله ، ولذلك كان القول بإمكان المادة هو السبيل إلى إثبات وجود الإله عند الفلاسفة الإلهيين ؛ إذ مادام العالم يمكننا فى نظرهم فلا يصح أن يكون هو مصدر وجود نفسه ؛ إذ الممكن هو ما كان وجوده من غيره ، لا من ذاته .

أما علماء الكلام فقد جاوزوا القول بإمكان المادة إلى القول بحدوثها ، وعن طريق إثبات حدوثها أثبتوا وجود الإله ؛ لأن كل موجود من عدم لا يمكن أن يكون هو موجد نفسه .

• • •

فالحلاف إذن فى أن المادة تفتى أولاً تفتى ، إنما هو بين فلاسفة ماديين ينكرون وجود الله ، ويرون أن المادة واجبة الوجود بذاتها

عاجزان عن إقناء المادة ، ورجل الدين يقرر أن إعدام المادة ووجودها من عدم يدخلان فى نطاق قدرة الله . ولا تعارض بين هذين القولين ؛ لأن رجل الدين لم يحكم على قدرة الإنسان ، ورجل العلم لم يحكم على قدرة الله ، ولا سبيل لرجل العلم أن يحكم على قدرة الله ؛ لأن مجال العلم هو المادة التى تخضع للتجارب ؛ وقدرة الله لا تخضع للتجارب .

• • •

لكن إذا كان الحال بين رجال الدين ورجال العلم هو ما رأيت ، فالحال بخلاف ذلك بين رجل الدين ورجل الفلسفة ، فالفلسفة ومن طبيعتها اتعميم والإطلاق تتخلص من القيود والشروط التى يلقى رجال العلم أحكامهم فى نطاقها ، فهى تلقى قضية المادة ، عامة غير مخصصة ولا مشروطة ، تقول : « المادة لا تفتى ، وهى لا تفتى - كما كان العلم يعنى - أن الإنسان ووساطته بجزآن عن إقناء المادة ، وإنما تعنى أن الفناء والمادة متقابلان تقابل العدم والوجود ، فكما لا يجامع عدم شئ - وجوده ، ولا وجود شئ - عدمه ، لا يجامع المادة الفناء ، ولا يجامع الفناء المادة ؛ فالجمع بينهما كالجمع بين الضدين أو بين التقيضين . والأحكام العقلية لا تقبل الاستثناء ، فمن وجهة نظر الزاهيين إلى هذا رأى ، يستوى فى هذا الحكم جميع القدر .

ولا عدمه ، تقديمها وأبديتها عندم يرجعان إلى علة خارجة عن ذاتها ، هي الإله .  
فالصرع إذن بين كون المادة يمكن أن تفتى أولاً يمكن أن تفتى ، هو صراع بين الفكر لا تدخل للعلم التجريبي فيه ، فعلماء الكلام دليلهم العقلي على أن المادة مع إمكانها حادثة أى وجدت من عدم ، والفلاسفة الإلهيين دليلهم العقلي على أن المادة ممكنة ، أى ليست مقتضية للوجود بذاتها ولكنها عندم غير حادثة . وللباديين شبههم الساذجة على أن المادة واجبة الوجود بذاتها فلا هى حادثه ولا هى ممكنة وربما حدثت في مقال آخر إلى بيان وجهة نظر كل فريق ؟

دكتور سليمان دينا  
أستاذ الفلسفة المساعد  
بكلية أصول الدين

في طرف ؛ وبين علماء الكلام الذين يرون أن العالم حادث ، والفلاسفة الإلهيين الذين يرون أن العالم يمكن ، في طرف آخر ، وهذا الطرف بقسميه يعترف بوجود الإله . أما العلم فليس طرفاً في هذه الخصومة رغم أنه يقول . إن المادة لا تفتى ؛ لأنه إذ يقول ذلك إنما يقوله حكماً جزئياً في فطاق خاص هو قدرة الإنسان ، لا حكماً كلياً عاماً شاملاً لقدرة الإله .

وبما هو جدير بالذكر أن الفلاسفة الإلهيين إذ يقولون : إن المادة قديمة لم تكن في وقت من الأوقات معدومة . وإنها أبدية لن تكون في وقت من الأوقات معدومة ، لا يقولون : إنها واجبة ، بل يصرحون بأنها ممكنة ؛ وإنهم إذ يصرحون بأنها ممكنة لا يستطيعون أن يردوا الأمر في قدمها وأبديتها إلى طبيعتها ؛ لأن الممكن لا يقتضى ذاته وجوده

## الحق والباطل

إن الحق لن يتقلب باطلا مهما قل متبعوه ، وإن الباطل لن يتقلب حقاً مهما كثر مشايعوه !

# الإسلام والقومية العربية

للأستاذ محمود البايدي

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم  
شعوبا وقبائل لعارفوا ؛ إن أكرمكم عند الله أتقاهم »  
[ الفرقان ]

ليس رأيتهم مستند على ؛ ولأن الرسالة  
الإسلامية — في نظره — وإن وجدت  
المغرب ونفتت على أسباب بغضاتهم  
وانقساماتهم ، لكنها لم تجعل منهم أمة بالمعنى  
العلمي لهذه الكلمة ؛ لأن الأمة فيما زعموا  
تمثل مفهوماً تاريخياً لم يظهر ، إلا في عهد  
الراسمالية ؛ وهذا زعم باطل .

والواقع أن التيارات الفكرية التي هبت  
وما تزال تهب من أوروبا على الوطن الإسلامي  
منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى اليوم ،  
هي التي حملت إلى بلادنا فكرة القومية فيما  
حملت .

والظاهر أن هذه الفكرة ، قد حملت عمل  
الخبرة في أنعمان الفئة المثقفة من سكان هذا  
الوطن . وعندما استطاعت هذه الفكرة ،  
كثيرها من الأفكار التي لها مثل قوتها أن  
تهز الشعوب العربية هزاً عنيفاً مثلما هزت  
شعوب الإسلام الأخرى ، بدأ هذا السؤال

الإسلام ، كذهب للحياة ، ظل وسيظل في  
صراك وخضام مع المذاهب الأخرى ، مادام  
الأساس الذي قام عليه ، يختلف كل الاختلاف  
عن الأساس الذي قامت عليه هذه المذاهب .  
لذلك ، فإنه كلما قام مذهب جديد أو نظرية  
حديثة ، ينشط التساؤل العلمي ليقول : ما هو  
موقف الإسلام من هذا الحدث ؟

يقول مؤرخو الحركات القومية : إن  
القومية ولدت في القرن التاسع عشر ، فهي  
حديثه عهد في البنية السياسية ، ولهذا  
وجدنا من الكتاب (١) العرب من يزعم  
بأن الأمة العربية ليست قديمة العهد ، وإنما  
لم تولد إلا في أواخر القرن الماضي كغيرها  
من الأمم الحديثة ، على اعتبار أن مفهوم  
الأمة هو مفهوم القومية ، حتى أنه يعتبر أن  
الذين يعتقدون بأن الأمة العربية قديمة العهد  
تكونت مع ظهور الإسلام محضون ؛ لأنه

[١] طاهر حياض الحاي بحلب . نحو عروبة  
منحرفة ص ١٤٤ في المتن والمهامش ، مطبعة الفرق  
بحلب سنة ١٩٥٦



وهكذا لا تجد أى اتفاق بين العلماء على تحديد مفهوم للقومية ، يدفع عنها القموض والإبهام وأحسب أنهم لن يتفقوا .

ولا بأس أن نعطي القارىء مثلاً من هذه التعاريف التى تقرب مفهومها من ذهنه . فقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية ( الطبعة ١١ ) فى مقال ( القومية ) ما يلى :

« القومية ، مفهوم يتوره بعض القموض .

ولكنه يستعمل فى معناه الدقيق فى الحقوق الدولية للدلالة على حالة ثابتة تعين التبعة فى داخل الأمة أو الدولة . وبمعنى أكثر شمولاً ، يستعمل فى المناقشات السياسية والبحوث للدلالة على مجموعة متدرجة ، موحدة ، من الأشخاص الذين يحسون فيما بينهم ، وحدة فى الجنس ، والأرض ، واللغة ، وسواها ... ولو لم يعترف أحياناً بهذه المجموعة بصفاتها دولة ، أو وحدة سياسية . وهذا المعنى الأخير ، أطلقت كلمة قومية فى كثير من الأحيان على شعوب كإيرلنديين والأرمن والتشيكيين والعرب والسوريين ...

إن القومية بهذا المعنى تمثل شعوراً مشتركاً ووجداناً عميقاً موحداً ، ورغبة منظمة ، أكثر مما تمثل صفات مميزة ، يمكن حصرها فى تعريف دقيق .

أما التعريف الذى يظن أنه أكثر شهرة من غيره ، وأكثر دوراناً فى المؤلفات

أكثر إلحاحاً وأشد دوراناً على شفتى كل عرب وكل مسلم ، هذا السؤال هو : ترى ما هو موقف الإسلام من القومية ؟

أعتقد أن هذا السؤال ما زال بلا جواب إلى اليوم ! ولو أن بعضهم قد أبدى رأيه فيه مجرد إبداء رأى .

ولكى نجيب نحن على هذا السؤال ، لابد من التمسك إلى ذلك ، هذا التمسك يتألف من عدة أسئلة وأجوبتها فى مثل ما هى القومية ؟ ما تعريفها ؟ ما أركانها ما عناصرها ؟ ما تاريخها ؟ ما نتائجها ؟ .

### ما هي القومية وتاريخها

لم يتفق العلماء فى الغرب بعد على ماهية القومية . وبالتالي لم يتفقوا على تعريف جامع مانع لها . وهذا الخلاف ليس سطحياً كما يمكن أن يتوهمه بعضهم . بل هو خلاف عميق . ذلك أن بعضهم يقرر أن القومية قائمة على أساس مادى ، بينما بعضهم يؤكد أنها ليست أكثر من شعور نفسى .

كذلك يختلفون على تصورها ، فيذهب بعضهم إلى أنها هى ( الدولة ) وبعض يذهب إلى أنها ( الأمة ) وبعض آخر يتصورها على أنها ( الوطنية ) !

منهم من يقول إنها تكون تكويناً طبيعياً . ومنهم من يقول إنها تكون بفعل إرادى !

غير أننا نجد أن النظرية الفرنسية قد اتجهت اتجاها آخر ، وكان الباحث عليه المصالح السياسية والاقتصادية واستقرت على ما يسمونه بنظرية الإرادة أو المشيئة .

فقد قال (أوليفيه) (١) ، إن نظرية القوميات لا ترجع بمبادئها الأولية إلى الإحساس والوجدان . بل إنها تنحصر في مبدأ اشتراعي فكري صرف . وهذا المبدأ يقول بأن كل مجتمع من الناس يعرف باسم « شعب » هو شخصية مستقلة ، سيادة ، حرة ، يتمتع بحقوقها الكاملة في التصرف بذاتها ، وتقرير مصيرها ، سواء في الداخل أم في الخارج .

أما في الداخل ، فلها ملء الحرية في التحالف مع من تشاء ، وبالشروط التي تراها أكثر ملاءمة لها ، بل لها الحق في الانضمام إلى أي دولة أو الاتحاد - إن كانت صغيرة - مع أي جزء آخر ، لدعم كيانها وحماية أراضيها . إن إرادة السكان تنتج عنها ، ولا شك ، تجمعات كبرى ، ولكن ليس ثمة ما يمنع من أن تؤدي هذه الإرادة إلى إنشاء أوطان صغيرة ، أو المحافظة على كيانات صغيرة ، على أن تكون قد نمت نمواً طبيعياً ، إن نظرية القوميات تنطبق على هذا المزيج انطباقاً على ذلك ، وهي ليست مستحيلة التطبيق على

القانونية ، فذلك هو التعريف الإيطالي للأستاذ باسكال ما نسحق عندما أطلقه في محاضراته في جامعة تورينو عام ١٨٥١ وقال فيه .

« الأمة ، مجتمع إنساني طبيعي ، مؤسس على وحدة الأرض ، والمناخ ، والتقاليد ، واللغة ، المتدفقة كلها اندفاعاً حيوياً ، باتحاد كامل ، متفاعل بين الحياة وبين الوعى الاجتماعي » .

وقد شاع هذا التعريف حتى اكتسب وضوحاً أكثر في المؤلفات القانونية التي صدرت بعده ، فقد جاء في أحد هذه المؤلفات تعريف القومية كما يلي :

« الأمة ، هي اجتماع سكان مقاطعة واحدة لم لغة واحدة ، وقوانين واحدة ، وأصول واحدة ، يجمعهم انسجام جسدى ومؤملات أخلاقية واحدة ، ووحدة في المصالح ، تفاعلت منذ زمن طويل ، وانفصهار الوجود الناتج عن حقبة زمنية موعلة في القدم ، تعود إلى ما قبل التاريخ الجلي ، وبكلمة (قومية) نفهم وجود (الأمة) (١) .

وتكاد تكون هذه التعاريف قريبة من الدستور العلى في تعريف القومية أو الأمة .

(١) براديه فورديره ، الحقوق السياسية والاقتصاد الاجتماعى .

(١) إميل أوليفيه . الامبراطورية الحرة .

من الوحدة السياسية التي تجمع بين الناس أو تفصل بينهم ، فالقومية تولد فيهم بواسطة اللغة ، والتقاليد ، والتاريخ المشترك ، والعادات والآداب ، أحوة تفصلهم عن الأجناس الغريبة ، وتصور لهم قبح الرابطة التي تجمعهم بشعب ليس شعبهم ، (١) .

ولكي تكون الصورة : التي نضعها أمام بصيرة القارئ واضحة أكثر فأكثر عندما يعبر عنها أناس عثمانيون ، لابد لنا من تقديم تعريفها في نظر العالم الشيوعي الاشتراكي قال جوزيف ستالين :

« إن الأمة الحديثة ، جماعة من الناس ثابتة ، ليست عرقية ، تألفت تاريخياً : وهي ذات لغة مشتركة ؛ وذات أرض مشتركة ؛ وذات حياة اقتصادية ؛ وذات تكوين نفسي مشترك يحد له تعبيراً في الثقافة المشتركة : »

وإذا عرفت أن هذه التعاريف على شهرتها سواء منها التي ذكرنا والتي ضربنا عنها صفحا لم يطبق واحد منها تماماً ، اتضح لك أن الأمم لا تسير بمقتضى هذه التعاريف .

وأوضح مثال لذلك تعريف القومية الذي صاغه قمر ستالين عام ١٩١١ - ١٩١٢ المشار إليه آنفاً ، وهو كما ترى يخالف تمام المخالفة ما سارت عليه الأمور في الاتحاد السوفياتي

أية حالة قومية طبيعية ، وفي سياسة القوميات ليس ثمة من حدود طبيعية جغرافية .

فالحدود الحقيقية ، هي إرادة السكان . أما الحدود الأخرى فجدران هجوت والقوميين الحق في تحطيمها ساعة شاءوا ، !

ولا بأس بأن نضع تحت بصر القارئ عينة من تعريف القومية في النظرية الألمانية فنجد أن فلاسفة الألمان وعلماءهم يحاولون الدقة العلمية على عاداتهم ، ولكنهم يفرقون في هذه الدقة قال ( نختن ) عن القومية : « إنها القوة المقدرة المحتومة التي تقود الفرد ، ثم أوضح فكرته بتفصيل أكبر فقال :

« إن من ينطق بلغة واحدة ، هو كل ، وحدته الطبيعة الصادقة المحض ، وأوجدت من قبل بين أجزائه روابط عدة غير منظورة ومثل هذا الكل ، لا يمكن أن يتقبل في وسطه شعباً آخر ، من أصل آخر ، يختلف عنه باللغة فلا يختلط به ، ولا يمكن أن يريد الاختلاط به أو الانتماج ، واللغة في أفضل صفاتها وأسمى درجاتها ، إنما هي اللغة الأم التي تتحد في جوهرها مع الجنس ، إنها اللغة الألمانية ، اللغة الأصلية غير المستعارة ، إنها ليست كالفرنسية المشتقة من اللاتينية . »

وقد أفرغ القانونيون الألمان هذه النظرية في كتبهم التي تتناول الدولة فقال ( نيوبوهر ) : « إن القومية الموحدة لم يأسى كثيراً

[١] هذه هي القومية . أرنولد فان جينيب وريبه جوهانيه . ترجمة محمد عبياني . بيروت ١٩٥٣ .

بأن الدولة السوفياتية المتحدة القوميات ،  
هي دولة هزيلة ، وكانوا يبنون أملهم على  
حدوث انشقاق بين شعوب الاتحاد السوفياتي  
وينبشون للاتحاد السوفياتي بالانهيار الحتمي .  
« إن نظام الدولة السوفياتي الذي انتصر  
على محن الحرب الفاشستية ، وأصبح للعالم  
بأسره قدوة ومثالا للتساري الحقيقي في الحقوق  
والوحدة الحقيقية بين الأمم ، يقيم الدليل  
على انتصار الأفكار الليبرالية والستالينية  
في المسألة القومية » .

#### أركان القومية أو عناصرها

يختلف مؤرخو القومية أشد الاختلاف ،  
حول الأركان التي تقوم عليها فكرة القومية  
فبعضهم يقول : إن أركانها على التوالي وحسب  
الأممية ( الجنس أو العرق ) ثم ( الأرض )  
ثم ( اللغة ) ثم ( الدين ) ثم ( الأمر المالكه )  
ثم ( الأبطال وعظماء الرجال ) .

وبعضهم يخصص الأمر في ( الجنس والأرض  
واللغة والدين ) مع اختلاف في الترتيب من  
حيث الدور والاممية .

وبعضهم يسقط من حسابها الجنس والدين  
ويجمع الأمر في اللغة والأرض والتاريخ  
والاقتصاد .

وبعضهم يسقط الجنس والدين والأرض  
ويحتفظ باللغة والتاريخ وشيئا اسمه المصير

في عهده إلى اليوم . إذ قامت الدولة السوفياتية  
على القوميات المختلفة وعلى تعدد اللغات ،  
واختلاف التاريخ وتقاليد الحياة . ونجد  
مصادق ذلك في خطاب أقطاب السوفيات .

ففي مناسبة الذكرى الثانية والعشرين للثورة  
الاشتراكية في السادس من تشرين الثاني ١٩٤٥  
ألقى ( مولوتوف ) نائب رئيس مجلس مفوضي  
الشعب للاتحاد السوفياتي خطابا قال فيه :

« إن دولتنا التي تتألف من قوميات عديدة  
مع اختلاف في اللغة وتقاليد الحياة والثقافة  
والتاريخ ، قد أصبحت أمم اتحادا كما أصبحت  
الشعوب السوفياتية ، أكثر قربا بعضها من  
بعض ولم يكن باستطاعة أية دولة ، أخرى  
متعددة القوميات ، أن تثبت أمام المحن التي  
واجهناها خلال الحرب » .

مثل هذا التقرير للحقائق الواقعية ، نجد  
في إحدى فقرات تقرير ، لقطب آخر من  
أقطاب السوفيات ( ج . م . مالينكوف )  
نائب رئيس اللجنة المركزية للحزب الشيوعي  
في الاتحاد السوفياتي ، الذي تلاه في المؤتمر  
التاسع عشر للحزب ، المنعقد في تشرين الأول  
من عام ١٩٥٢ حيث جاء فيه .

« إن نظام الدولة السوفياتي ، هو نموذج  
للدولة المتحدة القوميات . ولقد كان  
الكثيرون من أعدائنا والمشتغلين علينا في  
المعسكر البوردجوازي ، لا يكفون عن التردد

الاجتماعي الذي يدور حول تلك الذات السياسية المستقلة للأمة .

ففي أوروبا حيث كان مفهوم القولة يحتلط بمفهوم الأمة ، وكان مفهوم الأمة خليطاً من القوميات المختلفة ، كان الملك بمعنى الممالك لرقاب شعبه ولأرض الدولة ، يتصرف بها تصرف صاحب العقار بعقاره ، فيبيع ويهب ويهدى مقاطعات برمتها لمن شاء من ملوك عصره بما شاء من عوض أو من غير عوض ، تبعاً لأهوائه وزوائيه ، أو تبعاً لتقاليد الإرث وأنظمة الزواج في بلاطه . في هذا الوسط ، حيث كان الملوك مصدر السلطة والقانون ، كانت تقتل المدن والبلاد والسكان من ملكة إلى أخرى ومن حكم ملك إلى حكم ملك آخر ، تبعاً لمشيئة الملوك وظروف زواجهم وشروط وراثتهم ، دون مبالاة بمشئته شعوبهم ؛ لأن الكنيسة كانت تظاهرهم دوماً وتضفي على تصرفاتهم هذه رداء من القدسية الدينية وتخصص الدماء من أجل ذلك .

في هذا الوسط الذي يجمع حقوق الملوك مقدمة على حقوق الأمم والشعوب ، ظهر صوت أحرار العلماء ينادي بالعكس تماماً ، متأثراً بفكرة حقوق الأمة عند المسلمين . تلك الحقوق التي كانت قد اختمرت في أذهان الصفوة من علماء أوروبا بفعل ذلك الجوار

والمصلحة ؛ لتبرير اتجاه معين ، وليس انسياقاً مع العلم .

ومع هذا التباين والاختلاف ، نجد أن الأمر المتفق عليه والذي لا شذوذ معه هو ركن ( اللغة ) فقد أجمع مؤرخو القومية على أن اللغة هي الركن العلى في موضوع القومية . ونحن من جانبنا نرى أن القومية تتطور حول العناصر الثابتة الأربعة وهي : ( اللغة ) و ( الأرض ) و ( الدين أو الثقافة ) و ( التاريخ ) وكل ما عدا هذه العناصر ، فهي فروع وتبع وليست أصلاً من الأصول الثابتة .

### تاريخ القومية في الغرب

نستطيع أن نقرر استناداً إلى ما نعرفه من سير التاريخ والمخاضات في العالم إلى حدود عصر النهضة الأوروبية ، أن القومية وإن قدر لها أن تولد عريقاً في أحضان القرن التاسع عشر ، إلا أن أصولها عميقة الجنود في القدم ، فهي لا ترجع إلى هذا العصر ولا إلى غيره من العصور ، بل ترجع إلى أول أقسام تخلف من أول مجموعة بشرية اجتماعية ، فاكتمل هذا الفرع الاجتماعي ببعض المميزات . وإن ولادتها عريقاً في أحضان القرن التاسع عشر ، لا يعني إلا بروز الذات المتشعبة بالإنانية والآثرة بشكل أقوى في الذمنية السياسية . وهو ما يعبرون عنه بالوعي

عن أجزائها الضائعة لتؤلف منها أمة منسجمة ، تحكم نفسها بنفسها . فإذا لم تستجب الدولة لهذه الرغبة بالانفصال ، جرى تنفيذه بالقوة ، كما هو الواقع . وهكذا ولدت ( القومية ) وسمى القرن التاسع عشر ، على هذا الاعتبار ( عصر القوميات ) .

### تاريخ القومية في الشرق

أما في الشرق ، وأقصد الشرق الإسلامي ، فقد سارت الأمور فيه على خلاف ما سارت عليه في الغرب ، لاختلاف الأسباب والأوضاع التي انبثقت منها القومية .

ففي هذا الوطن ، لم يكن للملك حقوق تختلف عن حقوق الأفراد ، كما لم يكن لهم حق التصرف فيما تحت أيديهم من المدن والبلاد والمباد ، مثلاً لم تكن لبلاطاتهم تقاليد إرثية أو زواجية خارجة عن القانون العام ، ولا كانوا كذلك مصدر القانون والسلطات - بل كانت الشريعة الإسلامية هي القانون النافذ ، وحقوق الأمة ، هي المحور الذي تدور عليه هذه الشريعة ، ونجد مصداق ذلك في المبدأ الشهير ( التصرف على الرعية منوط بالمصلحة ) وهي مصلحة الأمة لا مصلحة الملك أو مصلحة البلاط . ومعنى الرعية هنا ، ليس كما صورده بعضهم ، بل معناه الأمة الواجب مراعاة مصلحتها ليس إلا .

الطويل الأمد للحضارة العربية التي كانت تشع بقوة من مراكزها في جنوب أوروبا ، من أسبانيا العربية المسلمة ومن صقليا ثمانية قرون .

حدثنا التاريخ ، كم من الدماء سفكت في سبيل القضاء على حقوق الملوك وامتيازات رجال الدين وحواشيهم من الأشراف ، للظفر بحقوق الأمة . وبعد هذا الظفر والتسليم للأمة بأنها مصدر السلطات كافة ، انفسح المجال أمام العلماء للتساؤل ، ولكن ما الأمة ؟

وإذا كانت النزعة العلمية التحليلية قد قويت ، برز للوجود عدد من النظريات وفيها الإجماع والتأكيد على ( الوحدة ) أي أن الأمة وحدة في الجنس والعرق والدم ، وحدة في اللغة ، وحدة في الشعوب ، وحدة في الدين ، وحدة في العادات والتقاليد ، وحدة في الأرض الخ . ومن هذه النظريات التي تفرض في الأمة الواحدة ، أول ما تفرضه ، التجانس والانسجام ، اعتبرت الفئات غير المنسجمة ، فئات غريبة عن جسم الأمة ، حتى قوى منع أفرادها أن يكون لهم من الحقوق ما للأفراد الآخرين ، بل قبح وجودهم أو الاعتراف بهذا الوجود !

ولما كانت الدول القديمة ، تضم أمماً متعددة ، صارت كل واحدة من هذه الأمم ، تنادي بالانفصال ، ثم تفتش هي بدورها

من الثابت أن العرب لم يحاولوا الانفصال عن الدولة العثمانية إلا بعد اليأس المرير . فقد استيقظت القومية التركية أولاً ، ولم يمد من الممكن التفاهم معها ؛ لأن الروابط الدينية التي كانت تجمع بين العرب والترك ، أخذت تنحل في نفوس الفئة الموجهة من الترك لتحل محلها الرابطة القومية . وقد تبع ذلك حوادث مؤسفة أكدت أن الرابطة الدينية بين العرب والحكام من الترك لم تعد تجمعهم بل على العكس أصبح في نظر بعض القوميين الأتراك ، أن العرب هم علة تأخر الأتراك بما أعطوهم من مثل وبما منحوهم من عقائد وتقاليد .

ومع ذلك ، فإن العرب لما عقدوا مؤتمرهم الأول في باريس بين ١٧-٢٣ حزيران ١٩١٣ انتهوا إلى طلب الإصلاح في الولايات العربية ولم يبحثوا في الانفصال . وقد ركزوا طلبهم للإصلاح في منح اللامركزية الإدارية لهذه الولايات واعتبار اللغة العربية لغة رسمية فيها وفي مجلس النواب ولكن دون جدوى .

يقول الأستاذ ساطع الحصري : لقد اتفق الترك مع العرب على تنفيذ هذه الإصلاحات أولاً ولكنهم نكلوا بعدئذ . ثم جلت الحرب العامة الأولى فتحى العرب فكرة هذه الإصلاحات جانباً ، ليتفرغوا لشئون النطاق عن البلاد ، فتجد أبناء العرب

وعليه فإن الانفصالات التي وقعت لبعض البلاد عن الخلافة وفيها بعض القوميات ( إيران مصر . الأندلس . إلخ ... ) كانت انفصالات سياسية وليست قومية .

وأما انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية ، فقد كان هو الانفصال الوحيد الذي قام على أساس القومية ، ومع ذلك فقد دفعت إليه دفعا واضطراباً ، أى لم يقع إنشاءً .

وتوضيح ذلك أن الدولة العثمانية ، كانت من الدول القديمة التي تضم أعما متعددة ، ذات قوميات مختلفة ، تنبأين لغاتها ، وتقاليدها وعاداتها ، ناهيك عن عقائدها ، كالعرب والترك ، واليونان ، والبلغار ، والرومان ، واليوغوسلاف ، والألبان ، والأرمن ، والشرس ، والأكراد . إلخ ...

وقد استيقظ أول ما استيقظ من هذه

القوميات ، تلك التي لها عقائد تحالف عقيدة الإسلام ، بتأثير الحركات القومية في الغرب تارة وبتشجيع الدول الأجنبية ووسائلها تارة أخرى ، حتى سرت العدوى إلى الأتراك أنفسهم ، مع أنهم المنصر الحاكم في الدولة العثمانية . وكان آخر من استيقظ على دق طبول القومية في الدولة العثمانية بطبيعة الحال هم العرب ؛ لأنهم كانوا أكثر شعوب الدولة تسامحاً وفهماً للروابط الدينية مع الأتراك .

كان مما قاله رئيس المؤتمر عبد الحميد الزهراوى إلى مراسل جريدة الطان الفرنسية: «إن المؤتمر ليس له صفة دينية، وكل أعماله تنحصر في الدائرة المحدودة له من البحث في شئوننا الاجتماعية والسياسية. ولذلك ترى عدد أعضائه المسلمين والمسيحيين متساوياً، وعلى كل حال فإن فكرة الاتحاد بين المسلمين والمسيحيين قد ولدت وأبنتها حوادث بيروت الأخيرة».

وكان مما قاله في الخطاب الذى ألقاه في المؤتمر:

«إن الرابطة الدينية عجوت دائماً عن إيجاد الوحدة السياسية. وأنا لا أرجع إلى التاريخ لأبرهن على هذا. بل حسبي ما لدينا الآن من الشواهد الحاضرة. انظر إلى الحكومتين العثمانية والفارسية، كيف لم تقو رابطةهما الدينية على إزالة خلاف بسيط من بينهما، وهو الخلاف المتعلق بالحدود».

والعاطفة الإسلامية لم تقدر مرة من المرات أن تحمل أميراً مسلماً على التنازل عن حقوقه لأمر آخر من المتدينين بدينه، حتى لو كان هذا خليفة».

وقد أراد تدره مطران أن يؤكد أن العصية الجنسية أقوى من العصية الدينية، فكان مما قاله في خطابه في المؤتمر:

«إذا كانت النعمة الجنسية فضيلة في النفس،

إلى جانب إخواتهم الترك لمقاتلة العدو المشترك. ولكن ظهرياً بعد أن هؤلاء الترك قد استغلوا ظروف الحرب وبيتوا النية» على الانتقام من زعماء العرب الذين وضعوا ذلك الاتفاق، بغية نفس فكرة تلك الإصلاحات من أساسها (١٩)».

ولتحقيق هذه الفكرة وتمهيداً للنوايا الخفية (٢٠) التى كان يهضمها السفاح جمال باشا تندرج بمحاكمة أعضاء المؤتمر بمحاكمة عرفية، بحجة اتصالمهم بالعدو، ثم علقهم على أعواد المشاق.

وهكذا، كانت هذه القافلة أمثال شكرى الصل وعبد الكريم الخليل وعبد الحميد الزهراوى والشيخ أحمد طهارة وعبد القى المريسى وتدره مطران وغيرهم، أول ضحايا القومية العربية.

لإيهنا تفصيل هذه الوقائع بقدر ما يهمنى مفهوم القومية العربية عند المؤتمرين. فإذا رجعنا إلى خطبهم في قاعة المؤتمر وإلى تصريحاتهم للصحف، أدركنا أن الدين ليس من أركان القومية عندهم.

[١] سامح المصري. محاضرات في نشوء الفكرة القومية، الطبعة الثالثة من ٢٢٨.

[٢] كشفت وثائق وزارة الخارجية السوفياتية بعد الثورة أن جمال باشا خاطب الروس في استعداده للعضاء على السلطة الثانية لقاء معاونته بإعلان سوريا ملكية مستقلة وراثية له ولأولاده من بعده.



هل العرب حق جماعة ؟ إن الجماعات في نظر علماء السياسة ، لا تستحق هذا الحق ، إلا إذا جمعت على رأى علماء الألمان : وحدة اللغة ووحدة العنصر ؛ وعلى رأى علماء العلمانيون : وحدة التاريخ ووحدة العادات ؛ وعلى مذهب ساسة الفرنسيين : وحدة المطبخ السياسي . فإذا نظرنا إلى العرب من هذه الوجوه الثلاثة علمنا أن العرب تجمعهم وحدة لغة ووحدة تاريخ ووحدة عادات ، ووحدة : مطبخ سياسي : لحن العرب بعد هذا البيان ، أن يكون لهم على رأى كل علماء السياسة دون استثناء ، حق جماعة ، حق شعب ، حق أمة .

« نساء ملون عن ماهية هذا الحق لجماعة الأمة العربية . فبياننا لهذا الحق أقول : أول حق لجماعة الشعوب ، حق الجنسية . »

« فنحن عرب قبل كل صبغة سياسية . حافظنا على خصائصنا وميزاتنا وذاتنا منذ قرون عديدة ، رغما عما كان يتأبنا من حكومة الآستانة من أنواع الاضطهاد ، كالامتناع السياسي أو التمييز الاستعماري ، أو الذوبان العنصري . فكل ما نذرته به الآستانة من الوسائل ، لم يؤد إلى غير نتيجة واحدة . وهو الحصر على مكانة حق الجماعة وإحياء هذا الحس الشريف النبيل : ( حس الجنسية ) . فاقامه الباضى فقرر مناهضة كل ما يشول إلى إضعاف هذه القومية ، والتنزع بكل ما فيه

فلست أدري أمة أشد تأثراً بمعاملها في الأمة العربية . لما قدم أبو عبيدة بن الجراح وعالمه ابن الوليد بجيوش العرب المسلمين إلى الشام ، وجدوا حراساً على أبوابها من الضانين ، وهم عرب نصارى ، يتقدمهم منكمهم المسيحي جبلة بن الأيهم ، إلا أن هؤلاء بدلا من قتال المسلمين والوقوف في وجوههم ، عطفوا عليهم عطمة الأخ ، فركوا الجامعة الدينية والرابطة السياسية التي كانتا تقضيان عنهم بمساندة الروم . وخطبوا ود وولاء الناطقين بلسانهم من بني أمهم العرب ، فهدوا لهم السبل وفتحوا الطرق ، ومكنوهم كل التمكن من فتح البلاد . إن لمرى فيما أبداه نصارى غسان في العصية العربية في هذا الشأن الخطير ، لأعظم شاهد على أن العرب متحمسون بالجنس قبل الدين ، وهي فضيلة الشعوب الحية . فضيلة الشعوب التي لا تريد أن تموت . »

ولكن نستقصي مفهوم القومية وأسباب انبعاثها عند أعضاء المؤتمر يجب أن ترجع إلى خطاب عبد الحى العريسي . فما قاله في هذا الخطاب المعلن : « حقوق العرب في المملكة العثمانية » :

« الحق في كل تكوين سياسي قائم على نوعين : حق فرد وحق جماعة . والجماعات كثيرة . وأجلها مكانة جماعات الشعوب . فلهذه الشعوب حق غير حق الأفراد . »

العثمانية أسموه (الاتداب) على البلاد المختلفة  
 قم لها اقتسام هذه البلاد ، فلسطين والعراق  
 لبريطانيا ، وسوريا ولبنان لفرنسا ، وبذلك  
 قضيا على الدولة العربية الفتية ، متخليين عن  
 شرف وعودهم بدعم استقلال البلاد العربية .  
 وهكذا اضطرت هذه البلاد أن تكافح  
 من جديد عدواً جديداً لقفوز بالقومية  
 العربية .

ولما قدر لبعض هذه البلاد أن تتخلص  
 نهائياً من العدو وتحرر من سلطة الأجنبي  
 تألفت القومية العربية أيما تألق .  
 ولما كتب أبناء هذه البلاد بأيديهم قانونهم  
 الأساسي (الستور) انضح أن مفهوم القومية  
 العربية في بعض (١) هذه الدساتير ، يخرج  
 الدين عن أن يكون أحد أركان هذه القومية ،  
 بينما يؤكد دستور (٢) آخر أنه ركن حديد  
 من أركانها .

### نتائج القومية في الغرب

أوضحنا في البحث السابق العوامل التي  
 أدت إلى ظهور القومية في أوروبا . وكان  
 من أبرزها تمتع الملوك بسلطة مطلقة في التصرف  
 في أرض الوطن ومكانه بيعاً وشراءً وهبة  
 ومقايضة . وكان العامل الثاني في البروز تأييد

حياة لخصائص العرب وميزات العرب .  
 فنحن كتلة حية ، نأتمسك بذاتها وخاصتها ،  
 لا تدع أية قوة تمس هذا الركن الركين ...  
 فنصرح في هذا اليوم بملء الأفواه : أننا خلقنا  
 لأنفسنا ... والبلاد العربية لا تكون بعد  
 اليوم سداً للطامع الأجنبية وبلاد أخرى .

بعد أن انضمت اتجاهات الترك للانتقام  
 من زعماء العرب وخاصة أعضاء المؤتمر ،  
 وتأمنت مؤامرتهم على القومية العربية بإعدام  
 أولئك الزعماء في دمشق وبيروت في شهر  
 أيار ١٩١٦ . عندئذ أعلن الحسين بن علي  
 شريف مكة استقلال البلاد العربية بمشور  
 أذاعه بعد أيام (١٠ حزيران ١٩١٦) .  
 وعاض غمار الحرب ضدهم ، مقترأ برعود  
 بريطانيا المكتوبة !

ولما وضعت الحرب العامة الأولى أوزارها  
 انضمت معالم القومية العربية تمام الوضوح  
 فقامت في سوريا أول دولة عربية حديثة  
 وتوج المؤتمر السوري فيصل الأول ملكاً  
 عليها .

ولكن البول التي كسبت الحرب ضد ألمانيا  
 وتركيا وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا استطاعتا  
 بدسائيهما ونعوذهما تنفيذ الاتفاق السري  
 بينهما المعروف باتفاق (سايكس - بيكو)  
 فنصهما مؤتمر الصلح المنعقد في باريس نوعاً  
 من الحكم على الأراضي المنسلخة عن الدولة

[١] الدستور السوري الصادر في ١٠ أيلول ١٩٥٠ .

[٢] الدستور المصري .

والطبقات المقسمة التي تكون في وضع متنازع . وكانت النتيجة من وجه آخر ، أن أبطلت القومية إغراء آخر شليهاً بالسابق ، هو إغراء استعمال السلطة السياسية لفرض دين واحد على جميع أفراد الدولة . وربما كان قول القرآن الكريم : « لا إكراه في الدين » ذا صلة بهذا الموضوع .

• إنه لو أمكن الإبقاء على الصلة بين الدين والدولة ، دون أن يؤدي هذا المعنى إلى محافظة متعصبة تخرج وتبطل أى فكرة أو نظرية جديدة ، على أساس أنها معارضة للبادئ الدينية المصطلح عليها أو لعرف الدين المؤلف ؛ ولو أمكن كذلك أن تخلص الصلة بين الدين والدولة من العصبية ومن السياسة الاجتماعية الرجعية ؛ لو أمكن هذا كله ، لكانت هذه الصلة قوة حقيقية في المجتمع . • ومهما يكن من شيء ، فالظاهر أن التاريخ يدل على أن كل هذه الأخطار كانت قائمة ، حيث كانت الهيئات الدينية تتدخل في الإدارة السياسية .

نخلص من ذلك لقول : إن مثل هذه النتائج التي يشير إليها الكاتب المذكور ويعتبرها سارة ، كانت خاصة بأوضاع الحياة الداخلية للمجتمع الغربي . أما الوطن الإسلامي ، فلم يعرف في داخله تلك الأوضاع المشار إليها ، ليكون للقومية فظير تلك النتائج . والآية

الكنسية لهذا التصرف تأييداً كاملاً مقروناً بإحفاء الصبغة الإلهية المقدسة عليه ، مهما بلغ من فداحة وظلم ، دون أن يحسب للتعصب أى حساب .

ولهذا كان من أولى نتائج هذا الكفاح الدعوى المرير الذي خاضته الشعوب الأوروبية في سبيل الحصول على حقوقها ، هو فصل الدين عن الدولة ، تخلصاً من طغيان الملوك ووقفاً للذابح التي كانت تخوضها الكنائس المختلفة بعضها ضد بعض باسم الدين وضد المؤمنين من أتباعها على السواء .

وترك القلم لتفصيل هذا الأمر إلى الأستاذ هارولد ب . سمث نائب رئيس قسم الديانات في كلية دوستر بولاية إهايو في أمريكا حيث يقول :

• عندما سار الغرب في طريق فصل الدين عن الدولة مستبدلاً به القومية ، خرج منها بنتائج مختلفة . ففي بعض الأحوال كانت النتيجة تقليل سلطان الدين ووطأته على الحياة الدينية المشتركة للأمة . وكانت النتيجة في حالات أخرى ، حماية الأقليات الدينية من ضغط الأغلبية الدينية القوية سياسياً . كذلك كان من آثارها تقدم إطلاق الحرية للأنظمة الدينية ، لتصبح وعياً يقطباً في ضمير المجتمع ، دون أن تغرى ذلك الإغراء المخاض المستتر على إعطاء قسمة إلهية للنظام القائم ،

# الحاجة إلى التدين بالإسلام

للاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

الإسلام هو دين، الوحدة الدينية والسياسية والاجتماعية، كما قلنا في الكلمة السابقة، وهو على هذا دين الفطرة السليمة، ودين العقل والوضوح، ودين الحرية والإعلاء والمساواة، إلى آخر الخصائص التي يتميز بها هذا الدين الخفيف من غيره من الأديان الأخرى.

وإذا كان تاريخ الإنسانية بما فيها من أمم وشعوب يثبت هذا الذي نقول، وإذا كانت الأديان السابقة قصصاً تثبت بكتبها، فإن القرآن يؤكد في آيات كثيرة، فهو يقول، مثلاً، في سورة الأنبياء: «ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرنا للذين».

ولكن مع هذا كله، فإن الأمر الجدير بالنظر والتقدير، والذي له أهمية لا يقدر قدرها في النجاح الحق في هذه الحياة، وفي السعادة في الدار الآخرة، هو التدين بالدين والعمل به، لا مجرد الانساب إليه.

ويقول في سورة المائدة: «وقفنا على آثارهم (أي آثار الرسل والأنبياء السابقين)

نم إن كل دين سماوى فيه هدى ونور؛ فيه هدى للناس فيما يختلفون فيه من أمر العالم

ويستهدف هذا الدفاع بالدرجة الأولى سلامة اللغة العربية والوطن العربي، الذين أصبحا هدفاً للتدمير والتخريب.

القرآنية التي أثبت الكاتب نفسها، تعبر بوضوح عن القانون الذي كان يسود هذا الوطن.

ولا شك أن في سلامة العربية والوطن العربي سلامة الإسلام لا محالة.

ولهذا فلا ينتظر في البلاد العربية التي يسودها مفهوم هذا القانون، أن تكون قومية نتائج كالتى حصل عليها المجتمع الغربي. وأما النتيجة المتظار حصولها من المناداة بالقومية العربية، فهي تقوية الدفاع عن كيان الأمة العربية ولم شتاتها.

محمد البايدي

(تمة البحث في العدد القادم)

من عقائد وانحطت سهولة الفهم والإدراك، ومن عبادات تنظم صلة العبد بربه على نحو لا عسر فيه ولا حرج، وأصول محكمة عادلة تقوم عليها المعاملات بين الناس؛ فلا ينبغي بعضهم على بعض، وأخلاق ينبغي أن يأخذها الأفراد والجماعات أنفسهم، ونظم ينبغي أن تحكم شئون السلم والحرب وسائر العلاقات الدولية، إلى آخر ما نعرف مما جاء به الإسلام في هذه النواحي وغيرها مما لا بد منه لصالح الفرد والمجتمع في كل زمان ومكان.

• • •

هذا، وقد كان لهذه العقائد والأصول والمبادئ الإنسانية التي قام الإسلام عليها، وكان لما قام عليه هذا الدين من المساواة والعدالة والإحسان، كان لذلك أثر بالغ في سرعة انتشاره، وحسن تقبل الناس له في أقطار العالم المختلفة، كما كان ذلك من العوامل الحاسمة، والأسباب القوية، فيما أدركه الإسلام والعرب من عز ومجد وسلطان سعيده العالم الذي عاش تحت لوائه.

وإذا كان لا بد من شهادة غير المسلمين لهذا الذي تقرر وتؤكد، فإننا نكتفي هنا بشهادة واحدة أداها «تايلور» المؤرخ الإنجليزي إذ يقول (١):

(١) راجع كتاب الدعوة إلى الإسلام، للمير توماس أرنولد، الترجمة العربية ص ٦٧.

بمعنى بن مريم مصداقاً لما بين يديه من التوراة، وآتيته الإنجيل فيه هدى ونور، ومصداقاً لما بين يديه من التوراة، وهدى وموعظة للمتقين.

إلا أن هذه الكتب المقدسة قد نالها من التعريف والتبديل ما لا نرى ضرورة للكلام عنه هنا، وما أذهب غير قليل من ذلك الهدى والنور والفرقان بين الحق والباطل. ومن ناحية ثانية، قد نزل كل من التوراة والإنجيل لأناس محدودين في زمن محدود، وقد انتهى هذا الزمن ببعث محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم للعالمين كافة.

ولذلك، لم يكن كل من هذين الدينين، اليهودية والمسيحية، من أول الأمر ديناً عالمياً للناس جميعاً في كل زمان ومكان. ومن ثم، لم يكن فيهما من التثريعات وأصول الفضائل ومقاييس الأخلاق ما ينبغي بحاجات الناس جميعاً على اختلاف الأمم والعصور.

ومن أجل ذلك كله، وفضلاً عن ضياع وجه الحق فيما جاء به هذان الدينان بفعل الأهواء وتطاول الزمن، كان لا بد من دين جديد يكون غاتم الأديان السابوية، ويكون لهذا السبب ديناً عالمياً، وفيه من التثريعات والنظم ما يناسب البشرية في كل عصر، وكان الإسلام هو هذا الدين الذي وفي بذلك كله.

ويكفي هنا أن نشير إلى ما جاء به الإسلام

وما أشبه اليوم بالأمس ، واليلة بالبارحة  
إن الإنسانية ، مثلها مثل الفرد ، قد تصاب  
في سيرها بالأمراض التي تبرأ من بعضها  
أحيانا وتنكسر أحيانا أخرى ، وقد يعنى  
عليها الواقع فتحسب أن بعض أعراض  
المرض هي مظاهر العافية وأمارات تبشر  
بعودة الصحة والقوة .

ومن ثم ، فهي لا تكاد تعرف المرض  
الذي استحكم فيها وهي - لذلك طبعاً - لا تبحث  
عن العلاج الناجع له ، ولهذا تمكن له من  
نفسها وهي لا تدرى حق يوشك أن يقضى  
عليها ، ونعتقد أن ذلك هو ما نحن فيه في هذا  
المصر .

وفي الحق ، ماذا ترى في العالم الغربي ،  
على اختلاف شعوبه وأمه ودوله ، وقد خرج  
من حضارة الأديان السماوية وتكررها وتحرد  
من قواعد العدل والإنصاف والأخلاق ،  
هذه القواعد التي يجب أن تقوم عليها الأفراد  
والأمم والشعوب والدول .

نرى القوم في ذلك العالم الغربي ، في أوروبا  
 وأمريكا ، قد استبدلوا بعبادة الله الواحد  
الأحد ، عبادة آلهة شتى ترجع في مجموعها  
إلى المادة والقوة في مختلف ضروبها ، ونرى  
تحللاً عما عرفته الإنسانية من مقدسات  
في ناحية العقيدة والأخلاق .

كلن الناس في الواقع مشركين ، يعبدون  
دمرة من الشهاء والقديسين والملائكة ؛ كما  
كانت الطبقات العليا محتثة بشيخ فيها الفساد ،  
والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب ، ولم يكن  
للعبيد ومن في مستواهم أمل في حاضرهم ولا  
مستقبلهم ، فأزال الإسلام ، بعون من الله  
هذا كله ، كما أزال هذه المجموعات من الفساد  
والخرافات .

لقد كان الإسلام حقاً ثورة على المجادلة  
الجوفاء في العقيدة ، وحقبة قوية ضد تمجيد  
الرهبنة باعتبارها رأس التقوى ، وقد بين  
أصول الدين التي تقول بوحداية الله وجلاله  
وعظمته ، وأن الله رحيم عادل يدعو الناس  
إلى الإيمان به والامتنال لأمره وتفويض  
الأمور إليه .

وأعلن أن المرء مسئول عما يعمل ، وأن  
هناك حياة أخرى ويوما للحساب ، وأعد  
للأشرار عقاباً أليماً ، وفرض الصلاة والزكاة  
وقبل الخير ، ونبذ الفضائل الكاذبة والدجل  
الديني ، والنزعات الأخلاقية الضارة ،  
وسفسطة المتنازعين في الدين .

وأحل الشجاعة محل الرهبنة ، ومنح العبد  
رجاء ، والإنسانية إحاء ، ووهب الناس  
إدراكاً للحقائق الأساسية التي تقوم عليها  
الطبيعة البشرية .

أيضا لا ريب فيه ، ولكن هذه الأمم والشعوب والدول لا تجرد إلى الأمن والاستقرار سبيلا ، فهم يلهثون ويلهثون وفي شقاء دائم متيم .

فهم منقسمون على أنفسهم إلى معسكرات مختلفة متعارضة ، وبعضهم لبعض عنو يترصد به الدوائر . وإنهم مع هذا وذاك ، صاروا عبيدا للآلات التي صنعوها بأيديهم ، ومسخرين للعلوم التي كشفوها وظنوا أنها وسيلة الهناء والسعادة ، فإذا بها وسيلة التدمير والهلاك !

ذلك ، بأنهم تركوا الدين وتعاليمه وراءهم ظهرياً ، وجعلوا أخلاقهم وعلاقاتهم وليلة المجتمع الشره الظالم الذي خفقوه وأصبحوا يعيشون فيه ولا يستطيعون عنه حولا ، وهذا بدل أن تكون هذه الأخلاق والعلاقات تابعة من الدين الذي أنزله الحكيم العليم بالنفوس وما يصلحها ، وما يجلب الهناء والسعادة لها .

• • •

ولست الحال في الشرق والبلاد العربية بأحسن منها كثيراً في الغرب وأمريكا ، فقد انحرف الكثير منا عن الدين في غير قليل من شئون الحياة ، والأمر من الواضح بحيث لا يحتاج إلى حديث طويل أو تدليل ، فهو

ونرى حياة مادية خالية من المعاني الروحية النبيلة السامية ، وطفاة يسوقون الأمم والشعوب إلى حروب فائكة تقوم على تسخير العلم في سبيل الطغيان والاستبداد . كما تقوم على أشد ما عرفته البشرية من آلات التدمير ؛ وشعوباً حائرة لا تدري غايتها من هذه الحروب ، ولا مصائرنا التي تنتهي إليها .

لقد تقدمت العلوم بلا ريب بفضل الغرب وحضارته ، ولكن هذه الحضارة التي علتنا كيف نسبح في الماء بالفواصات الجبارة ، وكيف نطير في الهواء وفوق السحاب بفضل الطائرات القوية العملاقة ، عجزت حتى اليوم عن تعليم ناسها وشعوبها كيف يسرون على الأرض في طريق الخير بغير عوج أو التواء أو تعثر !

لأنهم اليوم في حيرة بالغة ، وقلق واضطراب شاملين ، وكل ذلك يأخذ عليهم عقولهم وقلوبهم . وأصبح الضمير هناك لا يطمئن إلى عقيدة أو مبدأ أو نظام ، فلم يجد اليقين الذي يفيء إلى ظله في جو من الهدوء والراحة والاستقرار .

وإن الغرب بما فيه الولايات المتحدة الأمريكية ، يملك من القوى المادية والعلمية ما قد يستطيع به أن يسيطر على الشرق ، وهذا ما لا ريب فيه ؛ وإن شعوبه وأمم ودوله تنتج كثيراً وتربح كثيراً ، وهذا

ومن هذا البحث تطالعنا حقائق واقعة تحزن قلب المسلم العامر قلبه بهذا الدين وشرعته ، ويكفيها أن تشير إلى بعض هذه الحقائق الواقعة المؤلمة وكلها تتعلق بالأعراض والدماء التي لها خطورها في التشريع الإسلامي .  
١ - من المعروف أن عقوبة القتل العمد ، الإعدام قصاصا ، وأن عقوبة القتل الخطأ ، دفع الدية ، وأن هذه الدية لا تختلف في مقدارها باختلاف الأشخاص في المنزلة ، فإن الإسلام قد سوى بين الناس جميعا في الحقوق والواجبات والتبعات .

ولكن الأمر في بعض القبائل والعشائر في العراق مثلا جد مختلف ، بل مناقض لحكم الله ورسوله في هذا الأمر الخطير . فإن عقوبة القاتل عمدا ومع سبق الإصرار فقيه عن حدود العشرة سبع سنوات ، وإعطاء أرضه لأهل القتل يستغلونها هذه المدة . وإذا كان القاتل من عشيرة غير عشيرة القتل ، كانت العقوبة - ولا تقى أن القتل هنا كان عمدا أيضا - دفع الدية دون إمهال .

وهذه الدية يختلف قدرها من قبيلة إلى أخرى ، كما لا تدفع كلها لأهل القتل ؛ بل يدفع لهم الثمان فقط ، والباقي يوزع بين الأقارب إلى الدرجة الخامسة في القرابة ، أو إلى الظفر الخامس حسب تعبير الكاتب نفسه ، كما أن الدية تتضاعف فيما يخص الرؤساء .

ملبس مشاهد وأمر واقع ، ومرجع هذا إلى أننا قد قنننا المدنية العربية زمنا طويلا . ونحمد الله هذه الأيام أن برتنا من هذا الداء الذي كان عضالا ، وأن تيقظ العرب وفتنوا إلى أنفسهم ، وعرفوا ما يملكون من تراث روحي عظيم ، وقوى معنوية ومادية حرة بأن نجعلنا حقا خير أمة أخرجت إلى الناس ، وبأن نعيدنا إلى مقام الصدارة والتوجيه كما كنا في ذلك الزمن المجيد .

ولكن مهما طويلا الحديث في هذه الناحية فإننا نشير إلى أمر جدير بالملاحظة والتدبر ، ولعل في ذلك عظة وتذكرة لقوم يعقلون .

والأمر أنه لا يزال في البلاد العربية الإسلامية من يعتبر المحافظة على ما جاء به الإسلام من شريعة وآداب ورجعية ليس من العقل أن نعود إليها ، بل لا يزال في بعض هذه البلاد أحكام من الجاهلية الأولى ، ولها قداسها وسيطرتها على الآخذين بها ؛ كأن الإسلام لم يفرج آذانهم ، ولم يمس قلوبهم وعقولهم .

فقد ظهر منذ سنوات بحث قيم موجز للدكتور عبد الجليل الطاهر ، وقد ألقاه على طلاب قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بمعهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية ، واسم هذا البحث هو : « البند والعشائر في البلاد العربية » .



ومن هذه الحقوق أيضا ، أن له الحق في قتلها إذا أراحت الزواج من غيره دون إذنه وموافقته ، ثم لا يكون مطالبا بدفع الدية أو بدبل منها .

هذه بعض الأحكام والقواعد التي تسيّر عليها قبائل في بلاد عربية إسلامية ، ولعلنا لا نعدو الواقع إذا قلنا : إن لهذه الأحكام والقواعد الجاهلية ما يشبهها في أقاليم وبلاد أخرى من الوطن العربي الإسلامي .

وبعد : إن لنا من هذا ، ومن نواح عديدة أخرى ، أن نقرر حقا بأن العالم اليوم في حاجة ماسة إلى الإسلام لا بكل مقوماته ، نعمى عقيدته ، وشريعته ، وأخلاقه وآدابه ، وتقاليده الصالحة .

ولاحل لنا نحن فيه إلا بالعودة حقا إلى هذا الدين الذي به خرج العالم فيما مضى من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الهدى ، وانه يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم ؟

**المركنور محمد يوسف موسى**

رئيس وأستاذ قسم الشريعة الإسلامية  
بمحقوق عين شمس

٢ - وهناك عقوبات خاصة بحالات إهانة العرض أو انتهاكه ، وهي عقوبات تعارفوها مع معارضتها تماما للإسلام . مثلا ، إن وقع اعتداء على امرأة متزوجة كانت العقوبة أن يدفع المعتدى امرأة لأهلها ، أو عشر ليرات حسب العرف الجارى .

ولو اغتصب رجل نهارا امرأة ، كن من حق قبيلتها أن تقتل الناصب أو أحد أقاربه حتى المجد الخامس ، وأن تستحل أموالهم مدة ثلاثة أيام .

٣ - إذا خطف شاب فتاة ليتزوجها وظفر به أهلها وقتلوه ذهب دمه هدرا . وإن كانت متزوجة ، حق لأهلها قتلها وقتل الخاطف أيضا إن ظفروا به ، فإن لم يظفروا بهما ، أو احتما بقبيلة ذات جاه ومنعة ، كن على أهل الخاطف بتمصى العرف العشائرى أن يؤدوا إلى أهل المرأة ثمانى نساء قد يستعاض عن بعضهن بالدية .

٤ - ولابن العم حقوق على ابنة عمه من آثار الجاهلية الأولى حقا ، ومنها أنها عند ما تولد تكون زوجة له ( لعله يريد تعتبر أنها ستكون زوجة له ) ، إلا إذا تنازل عنها فتستطيع في هذه الحالة أن تزوج بمن تشاء ، وفي هذه الحالة لابد من موافقة قبل الإقدام على زواجها .

## من قصدي الكتاب العزيز

# وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

## لِلأَسَازِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عَرَفَهُ

- ٢ -

وروى عن ابن عباس ما يفهم منه صمد  
النسخ فقد فرما بأن يجاهدوا في الله حق  
جهاده ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ،  
ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم  
وأبنائهم . فهي بمعنى الآيات التي جاءت بهذه  
الأمور الثلاثة ولم يقل أحد منها .

« واعتصموا بحبل الله جميعا ، وتعلقوا  
بأسباب الله جميعا ، يريد بذلك وتمسكوا بدين  
الله الذي أمركم به وعهده الذي عهده إليكم  
في كتابه من الآلة والاجتماع على كلمة الحق .  
والحبل هو السبب الذي يوصل به إلى البنية  
والحاجة ، ولذلك سمي الأمان حبلًا لأنه  
سبب يوصل إلى زوال الخوف والنجاة من  
الفزع والذعر .

ومنه قول أئشي بنى ثعلبة :

وإذا تجاوزها حبال قبيلة

أخنت من الأخرى إليك حبالها

ومنه قول الله « لا يحبل من الله وحبل

من الناس » .

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته  
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

يقول يا أيها الذين آمنوا خافوا الله حق  
خوفه وراقبوه بفعل ما أمر واجتنب ما نهى  
وتقوى الله حق تقواه أن يطاع فلا يعصى ،  
ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى . « ولا

تموتن إلا وأنتم مسلمون ، مذعون مخلصون  
لربكم أي داوموا على الإسلام حتى إذا جاءكم  
الموت جاءكم وأنتم مسلمون فإن قيل كيف أمر  
بتقوى الله حق تقواه وهذا أمر لا يقدر  
عليه وهو من قبيل التكليف بما لا يطاق؟ قيل إن  
ذلك نسخ بقوله تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم »

وروى ذلك عن سعيد بن جبير قال إنها  
لما نزلت اشتد على القوم العمل فقاموا حتى  
ورمت عراقيهم وتقرحت جباههم فأزل  
الله تخفيفا عنهم « فاتقوا الله ما استطعتم » .

والظاهر أنه لا نسخ وأن التكليف كلها  
ما أخذ فيها شرط القدرة والاستطاعة ، فالمعنى  
اتقوا الله حق تقاته فيما تستطيعون .

فهذا هو الإسلام عصم غالباً من الفرقة وانقسام الكلمة ، فإذا أخذ المسلمون به عصمهم كذلك ، وكما هو عصم من الفرقة والانقسام عصم من الفحشاء والمنكر ، وعصم من غضب الله ومن ناره وعقوبته ، ومن البلاء والفقر التي تصيب الناس بذنوبهم . والقرآن هو قانون الله الذي ضمن أوامره ونواهيه ، فإذا مس المسلم طائف من الشيطان تذكر أمر الله ونبيه فمصمه ، فكلما الإسلام والقرآن عصم ، نصح أن يقال اعتصموا بحبل الله الذي هو الإسلام ، واعتصموا بحبل الله الذي هو القرآن .

ولا تفرقوا كما كنتم متفرقين في الجاهلية ، يعادى بعضكم بعضاً ويحاربه ، وإدراك ذلك يكون بالامتناع عما يكون منه التفرق وترك ما يصدع الوحدة ويزيل الاجتماع والآلفة . نهى الله عن التفرق؛ لما في التفرق من زوال الوحدة ، والوحدة هي القوة . والقوة هي الغلب والامتناع ، والحق بحاجة إلى قوة تذب عنه وعن أهله ؛ ليسلم لهم حقهم وليستطيعوا نشره في العالمين .

وقد قال الشاعر ينصح بنيه عند الموت .  
كونوا جميعاً يا بني إذا اضرتي  
خطب ولا تفرقوا أحاداً  
تأني الرياح إذا اجتمعن تكسراً  
وإذا انقصدن تكسرت أفراداً

واختلف العلماء في المراد من الحبل فقال بعضهم القرآن والعهد الذي عهد فيه ، قال قتادة : حبل الله المتين الذي أمر أن يعصم به هو القرآن ، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ( عليكم بكتاب الله فإن فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم ، وحكم ما ينشكم ، من يدعه من جبار قصمه الله ، ومن ينتهك الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وأمره الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لما سمعته الجن لم يقتلوا أن قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد ، هو الذي لا تختلف به الألسنة ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ) .

وقيل هو الإسلام وقيل هو الجماعة . والظاهر أن المراد به القرآن أو الإسلام ، وهما عصمان للسلم من الشرور والآثام والفرقة والانقسام .

يروى أن أبا بكر مات وعالده بن الوليد قائد جيش المسلمين في حرب الروم ، فلما تولى عمر بن الخطاب عزل خالد بن الوليد وولى أبا عبيدة وأرسل إلى خالد بذلك فقال : الحمد لله الذي أمات أبا بكر وكان أحب إلينا من عمر ، واستخلف عمر وكان أنفض إلينا من أبي بكر وأزمتا طاعته ، ثم تنحى عن قيادة الجيش ، وحارب جندياً مع المقاتلين ،

قلنا إن علماء الإسلام من القديم إلى الآن قد قصرُوا في حق الوحدة الإسلامية وأخوة الإسلام والتعاون الإسلامي فلم يبحثوها بحثاً مستقصى وبينوا أسبابها وموجباتها ، وما الموانع التي تحول دونها ، وما الدور العظيم الذي قامت به في التاريخ ، وما حيل الأعداء في تشتيت الوحدة وقطع المحبة وبث الإحن والأضغان ، قصرُوا في ذلك وقصروا في أن يقيموا مجعاً مهمته أن يدرك المحبة ويحافظ على الوحدة ، لأنهم شغلوا بالطهارة ونواقض الوضوء وموجبات الغسل فأعطوها من العناية ما لم يعطوه لجمع كلمة المسلمين وبث المحبة بينهم ، كأن الأخوة الإسلامية أقل شأنًا من نواقض الوضوء وموجبات الغسل ، مع أن الأخوة الإسلامية فيها عزم ونصرهم وبقاؤهم .

كنا نريد أن نفرّد بالتأليف وتساط عليها الأضواء ويدعى لها حتى يعلم المسلمون شأنهم ، ويكونوا على بينة من أمرهم وتدرس في جميع معاهد التعليم .

ولعلنا نقوم ببعض هذا الواجب ويكمل العلماء ما بدأناه وبحسبنا أن نبداً وبحسبنا أن تنبه .

« واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمة إخواناً » .

وخير ما يديم الوحدة بين المسلمين هو المحبة ، وخير ما يحقق المحبة هو العدل ، وشر ما يفرق الناس هو البغض ، وشر ما يجلب البغض هو الظلم والجور ، وقد أوصى الإسلام بالتحاب والعدل والرحمة ، ونهى عن التبغض والتظالم بعد أن وحد المسلمين وجمعهم على عبادة إله واحد ، ووجد مشاعرهم وعقائدهم ومثلهم العليا ، ونهى عن المصبات المفرقة وجعل لهم عصية واحدة ، هي الإسلام وأن يستظل المسلمون جميعاً بظله ويقفون تحت رايته الخفاقة . فإن قيل :

إذا كان الإسلام كما ذكرت فما الذي جعل المسلمين أحزاباً متعادية أو شيعاً متفرقة ، فهذا سني وهذا شيعي ، وهذا معتزلي وهذا خارجي . الخ ؟

وما الذي جعلهم يتعادون حتى على الأمور السياسية ؟ وما لهم وهم محبسون في المصيدة ، يتعادون ويتنازعون ، وقد تركوا عدوهم المشترك الذي لا يريد منهم إلا أخذ أرضهم وطردهم منها يتشردون تحت كل سماء ، وفوق كل أرض كما فعل إخوانهم في فلسطين ؟

إن من طاردتهم الدواب والسباع والحيات والأفاعي لا يحسن بهم أن يابو عن ذلك كله ، ويشغلوا بزأهم الداخلي عن الخطر المحقق بهم ؟

أن يكون أعز شئ لديكم؛ بمنزلة ما كونكم أمة وحافظ على وجودكم وبقائكم.

«وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون، شفا الحفرة حرفها، ويقال أيضا شفة والمعنى أنهم لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار هكذا قال المفسرون وهذا تقصير بالآية.

والظاهر أن المراد بالحفرة التي كانوا على وشك أن يتردوا فيها: المصير الذي كان ينتظرهم في الدنيا والآخرة؛ لما كانوا عليه من البغضاء والتفريق، وذلك يؤدي إلى حرهم وتقايهم وظلم لأعدائهم. وما كانوا عليه من ظلم وفساد وجمل بالله وذلك يؤدي إلى عذاب الله.

فسميت حالهم لذلك بحال من هم على حرف حفرة يوشكون أن يتردوا فيها، لجاء منقذ فأخذ بحجزهم وحال بينهم وبين التردى في الهاوية، فهو تمثيل ولا يخفى ما فيه من جمال إذ عرض هذه الصور المحسة من الحفرة والنار وقوم على حرفها يشفق المشفق أن يتردوا فيها؛ والنفس تأنس بالمحسات؛ لأنها ألفتها في أول وجودها وإذ عرض ذلك بطريق التشبيه المطابق والنفس تلتذ بالتشبيه والمحاكاة، وبمطابقة التشبيه وجوده، ولا سيما إذا كان تشبيه قصة بقصة في مغزاها، والمغزى هنا إنجاء عتق بعد توقع هلاك كان محققاً،

ذكرنا الرواية التي تقول إن هذه الآيات نزلت في الأوس والخزرج، لما كاد اليهود يوقعون بينهم نار الحرب بعد أن أطفأها الله بالإسلام، فيكون معنى الآية: واذكروا أيها المؤمنون من الأوس والخزرج نعمة الله عليكم؛ إذ كنتم أعداء في جاهليتكم، لكم أيام مشهورة ينال فيها بعضهم من بعض، فتكون بينكم ترائفا ودما. تورثكم أحفاداً وأضغاناً، فجاء الإسلام ففصل صدوركم من الغل، وظهر قلوبكم من الحقد، فأصبحت بنعمة الله إخواناً، بينكم من المحبة والألفة ما بين الأخوة من النسب.

والرواية التي ستأتي عن قتادة تفيد أنها ليست في الأوس والخزرج خاصة بل هي عامة، وعلى ذلك يكون المعنى: واذكروا أيها الذين آمنوا نعمة الله عليكم، إذ كنتم أعداء في جاهليتكم، تقوم الحرب بين القبيلة والقبيلة، فتمكنت ما شاء الله من السنين. فألف بين قلوبكم بالإسلام فأصبحت بنعمة إخواناً، وتكون الآيات نزلت في تحذير المسلمين؛ أن يحتلمهم الذين أوتوا الكتاب عن دينهم، بمجادلتهم فيه وإلقاء شبه إليهم فإن أظاعوهم كفروا. وقد طلبت الآيات تقوى الله حق تقائه؛ ليستمنوا على الثبات على دينهم، ثم قالت: لم إن هذا الدين أنفس ما حزنتموه، وأجل ما منحنوه، فقد حولكم من أعداء إلى إخوان تغلبون ولا تغلبون، وتقاتلون ولا ينال منكم. وشي هذا شأنه يجب

كانوا أعداء متناغضين . وماتبع ذلك من عزم وفوتهم ؛ لأنهم أدركوا العصرين : عصر الجاهلية وعصر الإسلام ، وعلوا ما في التفرق من الدلة وما في البغضاء من القلة ، ثم ما في الأخوة الإسلامية من الاتحاد والتعاون ، وما في الاتحاد والتعاون من القوة والمنعة ، والدفاع عن البيضة ورد الأعداء الطامعين . كذلك من كانوا على مقربة من عهد الجاهلية كانوا بعين .

روى ابن جرير الطبري بسنده عن قتادة في تفسير قوله « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته » .

( كان هذا الخي من العرب أذل الناس ذلاً وأشقاء عبداً ، وأبينه خلافة وأعراة جلوداً وأجوعه بطونا ، على رأس حجر بين الأسدين : فارس والروم ، لا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه ، من عاش منهم عاش شقياً ، ومن مات ردى في النار ، يؤكلون ولا يأكلون . والله ما نعلم قبيلة يومئذ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغر حظاً وأدق شأناً منهم ، حتى جاء الله عز وجل بالإسلام ؛ فوئدكم به الكتاب وأحل لكم به دار الجهاد ، ووضع لكم به من الرزق ، وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس ، وبالإسلام أعطى الله ما أريتم ، فاشكروا نعمه فإن ربكم منعم يحب الشاكرين وإن أهل الشكر في مريد الله ، فتعالى ربنا وتبارك . ١٠ ) .

وهو في المثل أظهر ؛ لأنه في أمر حسي ، ومن يشك في توقع هلاك قوم كانوا على شفا حفرة من النار ، وأن من أخذ بحزمهم ومنهم من التردى قد نجاهم ؟ وفي المثل أخفى وهو حال العرب من جهل وبغضاء كانت تردهم ، وحالم بعد الإسلام من حبة واجتماع قد نجتهم ، وتشبيه الأخفى بالأظهر يكسبه ظهوراً ، ويصد التفتن للاقتناع به . وهذه اللذة الدورية تعدها أيضاً للاقتناع ، وكذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، كهذا البيان المقنع البليغ بين الله لكم آياته إرادة أن تردادوا هدى .

يذكر الله المسلمين بنعمه عليهم إذ آلف بين قلوبهم ، وآخى بينهم بعد العداوة والبغضاء ، وكان الله يذكرهم بنعمته هذه ، نعمة المحبة بعد العداوة ، ونعمة تأليف القلوب بعد تافرها واختلافها ، يذكرهم بعزم بعد ذلهم ، وبغناهم بعد فقرهم ، وبسيادتهم على الأمم بعد أن كانوا مسودين ، وبقيامتهم بعد أن كانوا متودين . يذكرهم بالبعث الروحي : بعثهم بعد أن طالت عليهم الغفلة وطال عليهم الندم ، نعم هذا كله جاءهم بعد أن تألفت قلوبهم ، ونصافت نفوسهم ؛ بفضل الإسلام : هذا الدين الجديد . وكان من أنزل فيهم القرآن أعرف الناس بقيمة نعمة تأليف القلوب بعد تفرقها ، وجعلهم إخواناً متحابين بعد أن

رب إنه وهى بيانها ، وضعف سلطانها ،  
وانهارت أركانها ، وإن هذا الانقسام والتفرق ،  
والعداوة والشأن يزيدان ضعفا على ضعف ،  
وهنا على وهن . وإن الأمم تدعى عليها ،  
تدعى الأكلة إلى قصعتها فاقسموها أشلاء  
وتوزعوها فرقا ، وما لها إلا أن تتوحد وتلم  
شعثها ، وترأب صدعها وتتحاب فيما بينها ،  
فتعود إليها قوتها ويرجع إليها مجدها ، وترد  
عنها أيدي الطامعين وغارة المغيرين ، ولكن  
من لها بأن تعلم ذلك ثم بأن تفعله ؟

### محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

رب إن هذه الأمة التي ذكرتها بنعمتك عليها  
إذ ألقت بين قلوبهم بعد العداوة والبغضاء ،  
وجمعتهم بعد الفرقة والثقة ؛ فأصبحوا  
إخوانا متحابين بعد أن كانوا قوما متباغضين ،  
وأصبحوا جميعاً بعد أن كانوا متفرقين ، قد  
عادوا إلى سابق أمرهم وما كانوا عليه في  
جاهليتهم : فرقة وتباعد ، وحزبية وانقسام ،  
 وعداوة وشحناء ، وشأن وبغضاء ، وإن الأمم  
الآخري تذكى بينهم نار العداوة كلها أطفأها  
المصحون وأولو الرأي عادوا فأوقدوها !  
رب إنا نتمسح بنورك ونرجو أن تعصمنا  
من الفرقة والتباعد ، والحقد والتباغض !

## الرجل وعشيرته

في نهج البلاغة : إنه لا يستغنى الرجل - وإن كان ذا مال - عن عشيرته ودفاعهم عنه  
بأيديهم وألستهم ، وهم أعظم الناس حيلة من ورائه ، وألمهم لشعثه ، وأعظمهم عليه عند  
نازلة . ولسان الصدق يحمله الله للبر خير من المال يورثه .

ألا ، لا يمدن أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة بالذي لا يزيد إن أمسكه ،  
ولا ينقصه إن أهلكه .

ومن يقبض يده عن عشيرته فإنما تمبض منه عنهم يد واحدة ، وتقبض منهم عنه أيد  
كثيرة ، ومن تلن حاشيته يستمد من قومه المودة .

# موقف الأديب من اللغة

للدكتور تمام حسان

مهاجمة من أهانه إن كان هو شاباً قوياً  
المضلات عدواني الطبع ، وقد تدفعه إلى البكاء .  
إن كان ضعيفاً مستخدماً ، وقد تدفعه إلى إهانة  
مثلاً يردّها بها يجعلها سوية مسفة إن كان  
سليط اللسان ساقط الهمة ، وقد تدفعه إلى  
اصطناع الحلم وانغماس الإغضاء إن كان رجلاً  
واسع الحيلة حسن التآقي ؛ ولكنه إذا كان  
ذا نفس فنانة متمرسه بالأدب فزع إلى قلبه  
وروقه ، فكسب قصيدة في الهجاء ،  
أو في الفخر ، أو في التياهي بالحلم .

يمكن بهذه النظرة أن نفهم طبيعة العمل  
الأدبي من الناحية النفسية ؛ فالعمل الأدبي  
الأميل نتيجة انفعال نفسي معين ، أو استجابة  
لهذا الانفعال الذي سمينه من قبل مثيراً ؛  
غير أننا نلاحظ أن هذا العمل الأدبي يختلف  
في طبيعته عن الاستجابات الأخرى التي قد  
يثيرها نفس المثير . فالانفعالات المختلفة تمتاز  
بطابع ود الفعل من السرعة والاختصاص ،  
وهذا ما نلاحظه فيما أشرنا إليه من ردود  
مختلفة على الإهانة : كالمهاجمة ، أو البكاء ،  
أو الإهانة الماثلة . أما العمل الأدبي فطابعه  
الترث ، والتعمد ، واستدامة الحالة الانفعالية

المعروف أن النفس الإنسانية أبعد شيء  
عن الاطراد والخضوع للقواعد ، وأن هذه  
النفس تكيف بكيفيات لا تلتقي أولها  
بآخرها ، وأن هذه الكيفيات أو الاتجاهات  
النفسية نتيجة لعوامل متشابهة من التربية  
والبيئة . فالإنسان عرضة للتأثرات التي تؤثر  
في تكوينه النفسي وهو جنين في بطن أمه ،  
ثم بعد أن يولد ، وفي عهد الطفولة ، والمراهقة  
والشباب ، والرجولة ؛ فلا يزال ما يصادفه  
في حياته ينعكس على تركيبه النفسي حتى آخر  
لحظة من حياته .

وما دام الإنسان يحيا في مجتمع فلن يستطيع  
الحرب من التعرض للتجارب المختلفة ؛ ما يسر  
منها وما يسوء . وإذا كان لنا أن نستخدم  
اصطلاحات السلوكيين من علماء النفس فإن  
هذه التجارب التي يمر بها الإنسان تعتبر مثيرات  
يتطلب كل منها استجابة معينة ، ولكن عدم  
اطراد النفس الإنسانية ، وعدم خضوعها  
لقواعد يحيل المثير الواحد بعينه يثير استجابة  
ما عند امرئ ، واستجابة أخرى تحالفها  
عند شخص آخر ، واستجابة ثالثة عند ثالث .  
فالإهانة يسميها المرء موجة إليه قد تدفعه إلى



وحين نذكر الصواب نذكر العرف ،  
والمعايير ؛ لأن فكرة الصواب والخطأ نفسها  
توحى بميار تكون مطابقتها هي الصواب ،  
ومخالفته هي الخطأ . فإذا علمنا أن اللغة  
مجموعة من الأجهزة التي صنعها المجتمع  
وتعارف عليها ، وأن أصوات اللغة تنظم في  
جهاز صوتي ، وأن أبوابها تنظم في جهاز  
صرفي ، وأن أبوابها تنظم في جهاز نحوي ،  
وهم جرا .. ، وإذا علمنا أن كل جهاز من هذه  
الأجهزة قد حده العرف تحديداً دقيقاً ،  
ورصد له من وسائل المحافظة عليه ما لا يمكن  
الاستهانة به ، وإذا علمنا أن المجتمع نفسه غيور  
أشد الغيرة على هذه المعايير العرفية ، أدركنا  
أن الأديب ليس له من الحرية ، في الإبداع  
اللغوي ما يحلو لبعض الناس أن ينسب إليه ،  
وأن التعبير الأدبي محكوم بعرفية الصيغة ،  
وعرفية الكلمة ، وعرفية التركيب ، وعرفية  
الإيقاع ، والعرفية البيانية ، ثم هو محكوم  
فوق كل أولئك بعرفية المسالك الأدبية .  
وستناول ذلك على الترتيب .

إن اللغة العربية قد حدثت لنفسها صيغاً  
صرفية معينة منها العرف ، فكانت هذه  
الصيغ قوالب تضغط الكلمات فيها ، وتتخذ  
لنفسها مظهراً عربياً يناسب إيقاع النطق  
العربي ، ولا يبدو غريباً على الأذن العربية  
حين تسمعه .

المعينة التي في النفس طول المدة اللازمة لإنتاج  
النص . وإنما يتفاضل الأدباء بمقدار  
ما يستطيعون استدامة هذه الحالة الاعمالية ،  
أو بمهارة أخرى من لغة السلوكيين ، بمقدار  
إطالة مدة الإثارة . وإن القدرة على إطالة  
مدة الإثارة في نفس الأديب تعتبر ناحية من  
ناحيات تكوينه الفني التي لا يمكن أن ينجح  
بدونها ، أما الناحية الأخرى فهي قدرته  
على استعمال اللغة استمالاً يجتمع له فيه  
الصواب والجمال .

ويظن البعض أن الإبداع الأدبي حين  
يتصل بشكل الأدب وموضوعه إنما يتصل  
بهما دون قيد ولا شرط ، وأن الأديب بحكم  
كونه مبداً يتمتع بحرية الخلق والابتكار ،  
وأن العلاقة بين الأديب وبين مجتمعه هي علاقة  
الفاعلية المطلقة بالقابلية المطلقة ؛ فالأديب  
يستوحى ويبدع ، والمجتمع يتلقى ويستمتع ؛  
وما دامت اللغة وسيلة التعبير عن هذا الوحي  
الأدبي فقد خيل لقوم أن الإبداع يحس لغة  
الأديب كذلك . ولست أرى شيئاً أبعد عن  
الحق من هذا الزعم ؛ لأن التعبير الأدبي  
مطلوب إذا لم يتحقق له في النص فقد صفة  
الأدب ، وانحط إلى المستوى السوقي وأصبح  
من الفوق الفني يمكن الشك من الجنوب .  
ذاتك المطلبان هما الصواب ، والجمال .  
وسنحاول هنا أن نبين موقف الأديب من  
صواب النص ، وموقفه كذلك من جمال النص .

فجعل الكلمة على وزن «فعل» ، وخرج بها عن نطاقها الإنجليزي إلى وزن يناسب المعايير الصرفية العربية ويقول حافظ :

فياويل القناة إذا احتواها

بنو التمايز وانحصر الثمام

فيحول الكلمة الإنجليزية إلى وزن «فاعيل» ؛ لأن نطاقها الإنجليزي لا يناسب الصرف العربي . ويقول :

طاحت بها تلك المدافع تارة

لما أمرت وقارة ذبلين

فيحول الاسم الألماني إلى وزن «فعليل» ، ويقول :

وأقيموا للعسف في كل شهر

( كنستبلا ) بالسوط يفرى الأديما

فيسلك بالكلمة مسلكا يناسب الإيقاع الصرفي العربي .

وليس الأمر مقصوراً على الشعر وحده ، ولكن النثر كذلك قد شهد الكثير من التعريب والمقصود بكلمة التعريب هنا ما ذكرناه من ضغط الكلمات الأجنبية في القالب الصرفي العربي ، حتى تبدو كأنها عربية الأصل

والاشتقاق . ومن ذلك الفلسفة ، والمهرطقة ، والهيولى ، والنيروز ، والسرائط ، والقسطاس

والمسندس ، والإستبرق ، والموسيقى ، والبوطيقا ، وحشد آخر من الكلمات الرومية

والفارسية والهندية ، دخلت إلى اللغة العربية والأدب العربي من خلال مخالطة العرب لهذه

الأمم . وإذا كان لنا أن نستخلص من هذه

والأديب ملزم بمراعاة حرفية هذه الصيغ في الكلمات ذات الاشتقاق العربي ، وهو ملزم كذلك بمراعاة ذلك قدر الطاقة في الكلمات الأجنبية التي يستعملها في النص . انظر إلى قول داود بن رزين الواسطي :

قوموا لمنزل هو

وظل بيت كنين

فيه من الورد والثر

جس والياسمين

وربح مسك زكي

وظامح المرزجوت

وستجد أن المرزجوت قد تحول عن نطقه

الفارسي إلى وزن « الحيزبون » ، وهو وزن عربي أصيل . ولست أمليل النظر إلى الترجمس

والياسمين ؛ لأن لفطيهما قد اشتبرا في العربية ، حتى لم يعودا أجنبييين عنها . ثم انظر شوقي

كيف حرف لفظ « كوك صو » ، ليتناسب مع طريقة البناء العربي في قوله :

تحية شاعر ياماء جكسو

فليس سواك للأرواح أنس

وليس في وزن الشعر هنا ما يلزمه بأن يغير صيغة الكلمة الأصلية ، ولكن المعيار الصرفي

هو السبب في هذا التغيير . وهو يقول

لكرور :

أو كنت عضوا في الكلوب ملاه

أسفا لفرقتكم بكاء وعويلا

حدد معين في الارتجال اللغوي ، وفي تحويل الكلمات من الناحية الصرفية ؛ وإنما يلجئه العرف إلى ما يسمى بالصوغ القياسي لمفرداته التي يستعملها في النص . وأقصد بالارتجال هنا اشتقاق لفظ من مادة ما على مثال صيغة صرفية حددتها العرف ؛ أما خلق كلمات جديدة لا مادة لها في اللغة ، واختراعها اختراعا ، فهذا من الندرة بحيث لا أرى ضرورة لأن أخوض فيه هنا . ولا شك في أن ارتجال ألفاظ على مثال الصيغ اللغوية مأخوذة من مادة مستعملة في اللغة يعتبر ظاهرة من ظواهر النشاط الأدبي والعلمي ، ومنبعاً من منابع ثروة اللغة . ولكن العلماء أشد جراحة في هذا الميدان من الأدباء ؛ لأن الأسلوب العلمي خاضع لعرف ضيق الدائرة ، يتكون مجتمعه من عدد من العلماء ، قل أو كثر . وإن محدودية الدائرة العرفية هنا لتعين على سرعة تطور التعارف . وسرعة قبول الألفاظ المرتجلة ، ويساعد على ذلك أيضا أن العلم في تحول وتطور دائمين ؛ فلا تكاد نظرية علمية تقبل قبولا مطلقاً إلا ريثما تنفضها نظرية علمية أخرى .

أما الأدباء فيحول بينهم وبين مثل هذه الجرأة في ارتجال الألفاظ سعة الدائرة العرفية ، وبطء التطور في المجتمع الأكبر الذي يكتبون له ، إذا قيس بما لاحظناه في مجتمع العلماء .

الكلمات نتيجة ما . فإن هذه النتيجة هي أن الصيغ الصرفية يحددها العرف ، ولا يرضى عن كلمة إلا إذا صيغت صياغة صرفية سليمة . وليس للأدب قدر كبير من الحرية في هذا المجال ؛ لأن المجتمع الذي خلق العرف يقف لحمايته في وجه كل من يعيث به ، ولو كان من أشهر الأدباء . على أن العرف بدوره يتطور بتطور الحياة الاجتماعية . ولقد دفعتنا الجري وراء الحضارة العربية إلى استخدام مصطلحات ، وأسماء أعلام في صحافتنا وكتبنا العلمية ، والقصص المترجمة عن الأدب الغربي ، فنقلنا هذه الكلمات بألفاظها الأصلية في معظم الحالات ، ووجد القارئ العربي نفسه أمام تجربة من نوع جديد ، هي قراءة كلمات أجنبية بحروف عربية ، فذهب القارئ في قراءة هذه الكلمات مذاهب تختلف بين القرب من نطقها الأجنبي حيناً ، وبين نسخها في صورة تقرّبها في نظره من العادات النطقية العربية . وفي شعر شوقي وحافظ حشد من الأسماء الأجنبية التي وردت في صورتها الأصلية حيناً ، ومعرفة في كتابتها حيناً آخر ، ويختلف نطقها قرباً وبعداً من العادات النطقية العربية ، بحسب موقعها من النص ، وبحسب صورتها الكتابية .

ولقد حدد العرف العربي كلمات اللغة ومفرداتها ، وصنفاً بطرق المعاجم ، فصار الأدب بها خاضعاً لمعايير معينة ، واقفاً عند

لا أراها إلا عرضاً من أعراض عدم اكتمال  
الملكية الأدبية في الأدب من ناحية ، وعدم  
وضع النوق الأدبي في جمهوره من ناحية  
أخرى . ومن ذلك مثلاً قول الراجز :

الحمد لله العلى الأجل

المناخ الفضل الوهب المجزل

وهو يلجأ هنا تحت ضغط الضرورة  
الشعرية إلى فك المدغم في غير موضع العك .  
ومنه قول العجاج :

ورب هذا البلد المحرم

والقاطنات البيت غير الريم

أوالفا مكة من ورق الحى

ولفظ « الحى » هنا بفتح الحاء وكسر الميم  
ومدحاً ، والمقصود به الحمام ؛ أى أن لفظ  
« الحمام » قد لحقه التحوير والمسخ حتى صار  
في صورة « الحى » .

ويذكر في هذا بما تصادفه الألفاظ من مسخ  
وتشويه في مواويل الأرفق والصعيد ، حيث  
يتحول الاستمتاع بالنص إلى كد اللحن في  
سبيل الكشف عن المقصود بالمفردات  
المشوهة .

ليس الأديب إذاً حراً في خلق ألفاظه  
أو الخروج بها عن دائرة العرف ، بل إنه  
لينبغي له أن يلازم جانب العرف ، ما دام  
يخاطب بأدبه المجتمع الذى صنع هذا العرف ،  
والذى يفرض أقصى العقوبات على من

ثم التزام هذا المجتمع الأكبر بموقف محافظ  
حيال اللغة إذا وازنا بينه وبين مجتمع العلماء  
كذلك . والذي يبدو لي أن جمهرة الأعمال  
الرباعية في اللغة قد بدأت تأتى عن طريق  
الارتجال اللغوى في عصر سابق على بداية  
ما تناوله تاريخ الأدب من العصر الجاهلى ؛  
لأن هذه الأعمال الرباعية في معظمها تستعمل  
جنباً إلى جنب مع ثلاثيات من نفس مادتها  
قريبة منها في المعنى ، وقد بينت ذلك بشيء  
من التفصيل في كتابي «مناهج البحث في اللغة»  
ومن أمثلة ذلك : «دحرج - دوج ، وسقلب -  
قلب ، وزغرد - غرد ، والمنحونات كطلبق ،  
وحوقل ، ودمعز ، وسمل . وقد روى  
أن رؤية كائن يرتجل ، وأن مما ارتجله لفظ  
«اقمنس» ، وأخذه من «قمنس» ، في قوله :

تفامس المز بتا فاقمنسا

وقد ارتجل الإسلام بعض الاصطلاحات ،  
وارتجل العباسيون في ترجمتهم عن اللغات  
الأجنبية ألفاظاً كثيرة ، ولا زلنا نرتجل  
إلى الآن ، كلما جد علينا جديد من مسميات  
الحضارة ، ومظاهر الحياة الاجتماعية ؛ وأكثر  
الجهات ارتجالاً في عصرنا هذا مجمع اللغة  
العربية .

وثمة ظاهرة أخرى من طواهر مخالفة  
عرفية الكلمة هي تحوير شكل الكلمة ، والبعد  
بها عن صيغتها الأصلية . وتلك ظاهرة

بحور إيقاعية محددة التركيب والترتيب والزخافات والعلل، لا يستطيع الشاعر العربي أن يخرج عليها، إلا إذا كان مخاطراً بمستقبله الأدبي. وقد كانت المحافظة على الأوزان التقليدية في الشعر العربي عنصراً هاماً جداً؛ بما كان النقاد يعرفونه باسم «عمود الشعر». وكلنا يعرف المصير الذي صارت إليه المحاولات المختلفة للإبداع في هذه الناحية، وأشهر هذه المحاولات ابتداء أوزان الموشحات الأندلسية. ويشهد هذا الجيل من طلاب الأدب محاولة أخرى للخروج على الأوزان التقليدية أن تكون في النهاية أسعد حظاً من سابقتها.

قلنا إن المقصود بمرقية الإيقاع أوسع في مدلوله من مجرد الأوزان الشعرية، وإنما يتناول كذلك الإيقاع في الكلام العادي، والنثر الأدبي. والإيقاع في النص المنشور يرتبط بظاهرة لغوية هامة جداً هي ظاهرة «النبر». والمقصود بالنبر أن يجعل المتكلم صوتاً من أصوات الكلمة أوضح في السمع من بقية أجزائها، كالمغزة في «أحمد»، والميم الثانية في «عمود»، واللام الأولى من «استقلال»، والقاف من «مقاتل». وينتظم موقع النبر من الكلمة في قواعد لا تقل صرامة ولا تحديداً عن قواعد الصرف، ولا عن قواعد النحو. ومن شاء أن يطلع على هذه القواعد فليقرأها في كتاب «مناهج البحث في اللغة».

يخالفونه ويخرجون عليه؛ ومن هذه المقويات المقاطعة، والإهمال، والسخرية، وغيرها.

وتأتي بعد هذا عرقية التركيب. وإن لكل لغة طريقته المحددة في الصياغة؛ وفي اللغة العربية مثلاً ما يسمى «حفظ الرتبة»، فلا يأتي الوصف قبل الموصوف، ولا التوكيد قبل المؤكد، ولا المعطوف قبل المعطوف عليه، ولا البديل قبل المبدل منه، ولا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، ولا يأتي المفعول به قبل الفاعل عند خوف اللبس، ولا الخبر قبل المبتدأ في هذه الحالة كذلك، ولا تقدم الصلة على الموصول، ولا الفاعل على الفعل، وهلم جرا. والأديب ملزم بأن يراعى ذلك ويحرص عليه كل الحرص، ولا يعرض نفسه للمقويات الاجتماعية التي أشرنا إليها. وليس تأثر الأديب بالمعايير هنا قاصراً على الارتباط بشكلية التركيب ارتباطاً متعمداً، وإنما يتناول كذلك ارتباطاً شبه آلي غير متعمد بطريقة معينة من طرق هذا التركيب تعتبر أسلوباً خاصاً بالأديب، ولستنا سنترك الكلام عن الأسلوب إلى موضعه من هذا المقال.

وثمة ما يمكن أن يسمى «عرقية الإيقاع». وليس الإيقاع هنا خاصاً بالشعر لحسب، وإنما يتناول النثر كذلك. وللشعر العربي

والتشبيه ، حددتها كتب البيان في صورة تشبه القواعد . وإن الأديب ليراعى هذه المعايير العرفية البيانية في إنتاجه ، ولا يستطيع الخروج عليها . هذا على الرغم من أن أسس النقد الأدبي يجب ألا ترتبط بالقواعد من هذه الناحية بالذات ؛ لأن الذوق الأدبي شخصي نفسى ، والنفس الإنسانية - كما قلنا - أبعد شيء عن الاطراد والخضوع للقواعد . ولقد كنت ولا أزال أرى أن علوم البلاغة العربية قد منيت بالفشل باعتبارها أساساً من أسس النقد ؛ لأنها حاولت أن تخضع النقد للقواعد . وسيكون الفشل نصيب كل محاولة نقدية أخرى تحاول إخضاع الذوق للقاعدة .

أما عرفية المسالك الأدبية التي يسلكها الأديب فمنها التزام الشعراء العرب بمقدمة غزلية يقفون فيها على الأطلال ، ويكون الأحباب الراحلين ، ثم التخلص بعد ذلك من هذه المقدمة إلى الغرض المنشود . ومنها بدء الخطبة بحمد الله والثناء عليه ، ثم الدخول في الغرض . ومنها الوقوف أو الركوب أثناء الخطبة . وإن كل مخالفة لهذه القواعد العرفية كانت تستحق التسجيل في نظم التاريخ باعتبارها ظاهرة غريبة ، كتخطي زيادة البتراء ، وخروج أى نواس على المقدمة الغزلية إلى مقدمة أخرى خيرية .

وإذا أراد القارئ وسيلة يفهم بها ارتباط النص في النص المنشور ، بفكرة الإيقاع ، فليستمع إلى أجنبي يوناني أو طلياني مثلاً يتكلم اللغة العربية ، فيمد قصار الحركات ويطيلها ، ويقتصر من أصوات المد ويترها ، وسيرى القارئ حينئذ أن الذى يشكره من كلام هذا الأجنبي ليس إلا قدانه الإيقاع التقليدى العرفى في الكلام العربى .

ولقد نشأ الأدب العربى في مبدأ وجوده على الرواية والمنشأة ، وارتبطت الفكرة السمعية التى فى الرواية بهذا الأدب ، حتى إن النقاد العرب يطلقون على جمال الإيقاع فى النص المنشور اصطلاح « السلاسة » . فالكلام السلس هو الذى يبدو فيه جمال الإيقاع إلى جانب اعتبارات سمعية أخرى ، كعدم التناثر ، والبعد عن الحوشية والغرابية ، وفى المزهى للسيوطى ترتيب للخارج بحسب القرب والبعد والتوسط ، وتحديد للتناثر وعدمه فى الكلمة عن طريق تجاور هذه المخارج فى الكلمة الواحدة . والذى يهمنا من كل هذا أن الأديب لا يستطيع الخروج على العرف فى هذه الناحية كذلك ؛ لأن الخروج على العرف يعنى بالنسبة إليه عدم احتفال المجتمع بأدبه على أقل تقدير .

وهناك عرفية بيانية أيضاً ، تتضح فى تحديد شكلية خاصة للجزء ، والاستعارة ، والكناية ،

تلفت نظره بجمالها ؛ لأنه تعلم في نفسه أن الزهرة بشير بالثمرة ، ولم تعلم أنها منبع من منابع المتعة الجمالية ، أما المدنى الذى تعود منذ صغره أن يستمع إلى تقدير من حوله لجمال الأزهار ، فإنه يشب وقد انعكست أهواء من حوله على نفسه ، فيرى الجمال مثلهم في الأزهار ، ويراها في كل شيء اعتبروه جيلا ، ومثل ذلك يقال عن النص الأدبى ، قالنى تعود على أن يسمع الناس يسبحون بنص معين ، لا بد أن يرى الجمال في هذا النص ، والذي شب وهو يرى المحيطين به يستحسنون طريقة خاصة في صياغة الجملة ، لا بد أن يستحسن معهم هذه الطريقة ، والذي نشأ ولم يحتك بالأدباء ولا بعملى الأدب ، يظل موقفه من الأدب موقف الذى لا يبالى به ولا ينغمس فيه ، وهذا هو السبب الرئيسى في وجود شركة في الإحساس بجمال شيء ما ، ويقع شيء آخر بعينه ، أى أن العرف الجمالى إنما ينشأ عن طريق التربية والبيئة .

وهنا نقسمال عما إذا كان العرف الجمالى محمدا بدقة كالعرف القوى ، الذى تضبطه القواعد أو أنه عرف يتسم بالشركة في الاتجاهات العامة ، دون دقائق التفصيلات . الذى يبدو لى كذلك أن العرف الجمالى عرف اتجاهات عامة ، وأن الشخصين قد يتفقان على رؤية الجمال في الرشاقة ، والنج في المزال بوجه

نقد ينأ عند هذا الحد موقف الأديب من صواب النص ، ونود الآن أن نبين موقفه من جمال هذا النص ، والجمال في كل صورة مما يخضع في دعوى وجوده للهوى لا للدليل ، فتقديره ذاتى أولا وقبل كل شيء . أما المقاييس والمعايير ، والنظرة الموضوعية إلى الجمال ، فكانها فلسفة الجمال ، لا الإحساس الشخصى بالجمال . ونود هنا أن ننظر في صلة الجمال بالعرف العام ، وما إذا كان ثمة شيء يتفق الناس جميعا على وصفه بالجمال ، وشيء آخر يتفق الناس جميعا على وصفه بالقبح . وهل الجمال قائم بالجميل ، أو هو معنى ينبعث عن النظرة الخاصة إلى هذا الموصوف بالجمال ، نظرة تحمدها البيئة والتربية ؟ الذى يبدو لى أنه كما لا تمكن السماعية في المسموع وإنما يحمدها تأثر الأذن به ، وكما لا تمكن الإبصارية في المنظور وإنما يحمدها تأثر العين به ، كذلك لا يمكن الجمال في الجليل وإنما يحمده تأثر النفس به ، فإذا كان الجمال محمدا لموقف النفس ، وكانت النفس الإنسانية غير مطردة في أهوائها كما ذكرنا ، فما الذى يجعل جمهورا من الناس يجمع على الإعجاب بمنظر طبيعى بعينه ، أو قطعة موسيقية ، أو قصيدة شعرية ؟ الجواب كما يخيل إلى أن التربية تتدخل في هذا المجال ، إن الفلاح في حقله قد تعود بحكم تربته ويسته أن يرى الأزهار كل يوم فلا

لأننى طفرة واحدة ، وإنما يثابر المرء على تكوين أسلوبه بحفظ النصوص ، وكثرة القراءة ، والتمرس بالكتابة . فلا يزال يحفظ ثم ينسى ، ويقرأ ثم يترك ما قرأ . وهو لا ينفطن إلى أن الذى نسيه عقله الذاكر لا يزال مخزناً فى عقله الحافظ ، وأن كل محفوظاته وقراءاته تتجه مباشرة إلى جهازه العصبى ، فتتظم فيه مسلكية أدبية خاصة تتضح عند مباشرة الإنتاج ، وتصل بمجموع ما حفظ وما قرأ ، صلة المحلول الكيمايى الناتج من التفاعل بين مواد مختلفة بمجموع هذه المواد ، فهو ليس مادتها ، وليس مجموعها ، وليس لخصائص أى منها ، وإنما كانت جميعاً من وسائل تكوينه ، وقد جاء مختلفاً عنها جميعاً . فهذا هو الأسلوب الأدبى الناشئ عن القراءة والحفظ والمران على الإنتاج .

ولكل امرئ "عفوظاته وقراءاته ، والموضوع الذى يستحوذ على اهتمامه ، والكاتب الذى يعجبه ، والشاعر الذى يحفظ له ، وله بعد ذلك مزاج خاص ، وتربية تختلف عن تربية غيره ، وتجارب نفسية وحسية لا تتفق لسواه ؛ ومن ثم كان لكل إنسان أسلوبه الأدبى الخاص . فما التواحي التى تتضح فيها فردية الأسلوب ؟ الذى لا شك فيه أنها ليست التواحي العرفية التى شرحناها

طم ؛ ولكنتك إذا عرضت عليها صورة فتاة ذات قوام عشوق فقد يرى أحدهما فيها جمال الرشاقة ، ويرى الثانى قبح المزال . وإذا عرضت بيتاً من شعر المتنبي على رجلين فقد يجد فيه أحدهما جمال براعة العسكرة ، ويرى الثانى قبح التوائها . فالصلة بين الأديب وبين العرف الجمالى صلة بينه وبين الأصول العامة لهذا العرف فقط ؛ وبظل الهوى الشخصى فى تقدير جمال الأدب بعد ذلك سيد الموقف فى النقد الأدبى . ومن هنا اتهمنا كل محارلات تعميد النقص بأنها مخالفة لطبيعة الأشياء ، وجرمنا لها جميعاً بالفشل .

وإذا نظرنا إلى جمال النص فى إطار عنوان هذا المقال «موقف الأديب من اللغة» وجدنا أن أهم ما ينصرف إليه كلامنا هنا هو جمال الأسلوب . فكيف يتكون هذا الأسلوب ؟ وما معنى فردية وبعده عن العرف ؟ أو بعبارة أخرى ، كيف يصح لنا أن ندعى أسلوباً خاصاً لكل أديب ؟ نحن نقول : إن لفلان أسلوباً معيناً فى مخالطة الناس ، وله أسلوب خاص فى مشيه ، وهو ذو أسلوب فى علاج المصائب ، ويعجبنى أسلوبه فى تربية أولاده ، وإن أسلوبه الأدبى غاية فى الجمال ؛ وتقصد بالأسلوب فى كل أولئك طريقته الخاصة التى تميزه عن غيره . وإن اكتساب المرء طريقة معينة أو أسلوباً خاصاً فى إنتاج الأدب



بالمجاز، ومنهم البسيط، ومنهم عاشق المحسنات اللفظية. كل أولئك أمور فردية في الأسلوب بعيدة عن حدود العرف، ويوجد الأدباء فيها فسحة لإظهار شخصياتهم الأدبية المتميزة في أساليبهم التي يمتاز بعضها عن بعض.

ونخلص من بعد إلى أن موقف الأدب من اللغة يمكن أن ينظر إليه من زاويتين: أما الأولى منها فهي القواعد اللغوية التي حددها العرف، والأدب هنا مقيد لا حرية له، وكل خروج منه على المعايير في هذه الناحية لابد أن يصادف أشد السخط من المجتمع الذي صنع هذه المعايير، ويقوم على حفظها مع أتم الحفاظ والغيرة. وأما الناحية الأخرى هي الناحية الأسلوبية، التي يجد الأدب فيها نفسه مختاراً بين ما يأخذ وما يدع من التراكيب وطرق التعبير، والأدب هنا حريص على نفسه أو يختار له ذوقه الذي حدده التربية والبيئة، ما يمتاز به شخصيته الأدبية من الأسلوب. وهذه هي الناحية الفردية في مقابل العرفية فيما يتصل بالشكل وإن شئت فقل هي الذاتية في مقابل الموضوعية.

من قبل، وذلك لأن العرف اجتماعي والأسلوب شخصي. فلا يتفاضل الأدباء في اختراع الصيغ، ولا في ارتجال الكلمات، ولا في اختراع قواعد للتركيب اللغوي، ولا في ابتداع إيقاع، ولا في إبداع أسلوب ياتي، ولا في اقتتال مسلك جديد في الشكليات الأدبية؛ لأن كل أولئك عند من الناحية العرفية ولا حيلة للأدب فيه. إن التواصي التي تظهر فيها فردية الأسلوب هي التي لم يتناولها العرف بالتحديد، وإنما ترك الخيار فيها للأدب. فالعرف مثلاً حدد لنا نوعين من أنواع الجملة، أحدهما الجملة الاسمية، والثاني الجملة الفعلية. والأدباء يترددون بين هذين النوعين؛ فبعضهم يكثر في كتابته من إيراد الجملة الاسمية ومنهم من يشق الجمل الفعلية، ومن الأدباء من يفصل أن يأتي باسم الإشارة بين الموصوف وصفته فيقول: تليذني هذا النجيب، ومنهم من يفضل تأجيل اسم الإشارة إلى ما بعد الوصف فيقول: تليذني النجيب هذا، ومن الأدباء من يلجأ إلى المبالغة ومنهم من يحجم، ومنهم من يحزم بأحكامه على الأشياء، ومنهم من يترقب أو يشكك ومنهم من يعتمد على موضوعه مباشرة، ومنهم من يدور حوله ولا يكاد يلج، ومنهم الصريح المكشوف، ومنهم الغامض المبهم، ومنهم الجاد الصارم، ومنهم المازح الخفيف الظل، ومنهم من يولع بالحقيقة، ومنهم من يولع

دكتور تمام همام

أستاذ مساعد بكلية دار العلوم

جامعة القاهرة

# أسرار القسم في القرآن الكريم

## للاستاذ عبد الوهاب حمودة

- ٢ -

جاءت امرأة - هي أخت أبي سفيان - فقالت متبكة : يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قرَّبك منذ ليّتين أو ثلاثاً ، فأنزل الله عز وجل :

« والضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

فأحرته صلى الله عليه وسلم تعبيرها وعدم رؤيته جبريل مع مزيد حبه إياه ، فزلت السورة لإيناسه وإزالة وحشته ونفي ما زعموه على أبلغ وجه .

فأقسم تعالى لئله على أن تلك الفترة لم تكن عن ترك ، ولا عن قلى . وأشار سبحانه في القسم إلى أن ما كان من إشراق الوحي على قلبه أول مرة هو بمنزلة الضحى - وهو ضوء الشمس في شباب النهار - تقوى به الحياة وتتمويه الناميات ، وما عرض بمعد ذلك من فترة ، فهو بمنزلة الليل إذا سكن لتسريح فيه القوى ، وتستمد فيه النفوس لما يستقبلها من العمل .

من أسرار القسم في القرآن الكريم أنه لا بد أن تكون هناك مطابقة بين القسم والمقسم عليه وانسجام في بين صورة القسم وجوابه . وهذا ملحوظ من ملاحظ البلاغة الإجمالية في القرآن ؛ لأن الكلمة لا تفسر بالعقل وحده بل تفسر كذلك بالقلب والخيال ، فينبغي لمن يريد أن يتنوق بلاغتها أن يستخرج من أجوافها كل الصور التي ترتبط بمعانيها ، وكلما ازداد القارئ معرفة بالحياة والعالم ، ازداد قدرة على التعمق في الالفاظ ، واستخراج ما في أحشائها من معنى مدخر ، ومن مرام فنية كينة .

فلأمر ما أقسم الله تعالى بالضحى والليل إذا سجى في هذا المقام . والوقوف على سر ذلك ينبئ أن نبحث أولاً عن الأحداث التي كانت سبباً في نزول هذه السورة ، ثم عن الظروف التي اكتنفها ، ثم عن تقسية الرسول صلوات عليه حينذاك .

ورد في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فلم يقم للهجد ليّتين أو ثلاثاً

ومن أعجب الأقسام في ذلك ، القسم بالخيل وهي أعز شيء لديهم ؛ لأنهم أمة قتال وإغارة ، لحياتهم قائمة عليها ، وأكثروا في شعرهم من أوصافها فقال تعالى :

« والعاديات ضبحا ، فالمويات قدحها ، فالغيرات صبحا ، فأثرن به نعقا ، فوسطن به جمعا ، إن الإنسان لربه لكنود ، وإنه على ذلك لشهيد ، وإنه لحب الخير لشديد . »

فأقسم الله بالخيل وهي متفجرة ، ووصف النقع الذي تثيره بحوافرها ؛ ليذكرهم بنعمته عليهم ويطلبهم بالسكر عليها ، والاعتراف بوحدانيته وعظيم آلائه .

ليس هذا فقط هو سر القسم بالعاديات - وهي الخيل تضبح في صدورها ، والضبح صوت أنفاس الخيل عند جريها ، فيسمع صوت أنفاسها في أجوافها والشرر يتطاير من حوافرها عند جريها - وبالمغيرات على العدو وقت الصباح فتفاجئ بهجومها فتثير غبارا وتوسط جمعا .

بل أقسم بالخيل متصفة بهذه الصفات لينوه من شأنها ويعلى من قدرها في نفوس المؤمنين .

ثم ليطلب بين القسم والمقسم عليه ، فإن المقسم عليه هو كنود الإنسان لنعمته به ، وجحوده لآلائه وكفرانه بنعماته ، وفي ذلك جرح من القلب وعنف في الطبع ، وشراسة

وتخصيصه تعالى الوقتين بالإقسام ليشير سبحانه بجملها إلى حال ما وقع له عليه السلام ويؤيد عز وجل نفي ما توهم فيه .

فكأنه تعالى يقول : الزمان ساعة فساعة ، ساعة ليل وساعة نهار ، ثم تارة تزداد ساعات الليل وتنقص ساعات النهار وأخرى العكس ، فلا الزيادة لموى ، ولا النقصان لقل ، بل كل لحكمة وكذا أمر الوحي مرة إنزال وأخرى حبس ، فلا كان الإنزال عن هوى ولا الحبس عن قلى بل كل لحكمة .

وفي ذلك تسلية منه تعالى لرسوله صلوات الله عليه فكأنه سبحانه يقول : انظر يا محمد إلى هذين المتجاورين لا يسلم أحدهما من الآخر بل الليل يغلب تارة ، والنهار أخرى ، فكيف تطمع أنت أن تسلم من الخلق ومن تنغيصهم .

ثم في استعمال الفعل ( ودع ) وهو مأخوذ من التوديع . والتوديع أصل مأخذه من الدعة وهو أن تدعو للسافر بأن يدفع الله تعالى عنه كآبة السفر ، وأن يلبسه الدعة وخفض العيش كما أن التسليم دعاء له بالسلامة .

ففي استعمال ( ودع ) هنا من اللطف والتسلية والتعظيم والتبجيل ما لا يخفى ؛ فإن التوديع إنما يكون بين الأحباب ومن تميز معارفهم .

في الخلق ، وغرور من النفس واقتان بالقوة .

وهذه كلها من أوصاف الخيل حين عدوها وإغارتها .

ثم ختم السورة بما يلائم لإثارة النقع .  
وقدح النار من الصخر وإخراج النفس بشدة وسرعة فقال تعالى :

« أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ، وحصل ما في الصدور » .

فالفاظ السورة كلها ألفاظ حية متحركة ، وفي صورها نشاط وثورة وأخذ ورد وكر وفر ومجوم ودفع وإثارة لما كان مستوراً وبهترة لما كان مجموعاً وجمع لما كان مبثراً .

والذي يدعونا إلى كل هذه التليجات والإشارات هو اعتقادنا أنه لا بد أن تكون هناك مطابقة بين القسم والمقسم عليه كما صرح بذلك مراراً ابن القيم .

وهنا إشكال في أسلوب القرآن قد يبلبل أفكاراً كثيرة ويدخل عليها حيرة واضطراباً وذلك هو دخول ( لا ) على فعل القسم في مثل قوله تعالى ( لا أقسم يوم القيامة ) وقوله ( لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ) .

فالجواب عن هذا أن دخول ( لا ) على فعل القسم مستفيض في كلامهم وفي أسلوبهم وأشعارهم ، وهو صورة من صور التأكيد ، فإنهم يزيدون حروفاً في الكلام يقصد بها التأكيد وزيادة الثبوت .

يقول شاعرهم وهو امرؤ القيس :

فلا وأبيك أبة العاصري

لا يدعى القسم أنى أفسر

( فلا ) زينت لمجرد التوكيد وتقوية الكلام .

وقد قرئ : ( لأقسم يوم القيامة ) على أن اللام للابتداء والتوكيد ، وأقسم خبر لمبتدأ محذوف معناه لأننا أقسم .

وعند الزحشرى أن يكون الكلام إخباراً لا إنشاء . والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشئ إلا إعظاماً له فيكون المعنى في الآية . لا أعظم يوم القيامة بالقسم بل بأكثر من ذلك كما قال تعالى ( فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لاقسم لو تعلمون عظيم ) فعلى هذا تكون ( لا ) للتفي ويكون منفيها الفعل ( أقسم ) .

وقال أبو حيان في تفسيره :

والأولى عندي أنها ( لام ) أشبعت ففتحها فتولدت منها ألف كقوله : أعوذ بالله من العقراب . وهذا وإن كان قليلاً فقد جاء نظيره في قوله تعالى ( فاجعل أفتيد من الناس ) ياء بعد المعزة وذلك في قراءة هشام . فالمعنى فلا أقسم بكراءة الحسن وعيسى .

ولنتختم هذا البحث بمثال سهل يبين مبلغ صلة القسم بالمقسم عليه وهو إقسامه سبحانه وتعالى بالعصر في قوله ( والعصر إن الإنسان

فتحقيق التعاون بين طبقات الإنسانية وأفرادها هو ما عبر عنه القرآن بالتواصي بالحق وبالصبر .

وإنما أقسم الله في هذا المقام بالعصر لأنه مسرح هذا التعاون في أدواره المختلفة ، وعد الإنسان الفردي الأناثى عاصراً ؛ لأنه عضو أشل في المجموع الإنساني .

وفي القسم بالعصر إشارة إلى أنه أهم من القسم بالعمر ، وأنه إن كلن الإنسان يختلف بالعمر وهو جزء بسيط من العصر ، فما أخرى أن يكون العصر قطعياً دافعا .

هذا إلى أن العصر من الأوقات التي كانت لها أهمية في حياة العرب التجارية وله في قلوبهم مكانة حيث يستريحون فيه بعد تعب النهار في الكد والسعي ، فهو سبحانه قد أقسم إذن بوقت له في نفوسهم أثر واضح وفي أذهانهم التجارية مركز يانع .

وبعد فمجانب القرآن الكريم لا تنتهي ، وأسرار ملاغته لا تنتهي .

عبد الوهاب محمود

لني خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ) .

في سورة التكاثر بين الله تعالى اشغال الناس بأمور دنياهم ومعاشهم وانهماكهم في أموالهم وأولادهم . وقرر أنهم مسئولون عن النعم ورغد العيش الذي هم فيه مقيمون .

وأقسم على أثر ذلك بالعصر وهو الدهر في رأي الجمهور . أقسم به على أن هذا الإنسان عاصر ، واستثنى من ذلك الخسران فريفا ، والمستثنى هنا هو الأصل والمهدف ، ولكن أسلوب الكلام دعا إلى تأخير الأهم والأصل

ليشوق الأسماع إليه فاستثنى سبحانه من الخسران ( الذين آمنوا وعملوا الصالحات )

وهم الذين أحسنوا علاقاتهم مع الله تعالى ( وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ) والحق

هو الخير المطلق ، والصبر هو المثابرة على طلبه ، والتواصي هو تفسير لعلاقة الإنسان

بأخيه الإنسان هذه العلاقة التي بناها سبحانه على التعاون ، وهو آخر نظام تصلح عليه

حال الإنسانية وتستقر ، وفي سبيله تقوم المبادئ وتتوطد .

## المجلة في المملكة العربية السعودية ،

نوجه أنظار السادة قراء المجلة بالمملكة العربية السعودية الشقيقة - الذين بشوا إلينا في طلبها - إلى أن المجلة تورع بمعرفة مؤسسة التعاون العربي الثقافي بالرياض ، أول شارع محمد عبد الوهاب .

# الرَّبِيعُ عِنْدَ الشَّعْرَاءِ

لِلأَسَازِ الدُّكُورِ أَحْمَدَ أَحْمَدَ دُورِي

مطر يذوب الصحو منه ، وبعده  
صحو يكاد من الغضارة يحطر (١)  
غيثان : فالأنواء غيث ظاهر  
لك وجهه ، والصحو غيث مضمحل  
والشاعر يعبر عن إحساسه عندما يجد  
الصحو يتلاشى في رفق كأنه يذوب في المطر ،  
ويجد الصحو ليس جديداً كأيام الصيف ،  
ولكنه ملء بذرات المياه تكاد تتجمع فتطر ،  
ويريد أبو تمام أن يعمق في نفوسنا هذا  
الشعور ، ويريدنا إحساساً به ، لجاء بيته  
الثاني يصف الغيثين : الظاهر ، والمضمحل .  
وإن كان البيت الأول في وصف هذه الظاهرة  
أكثر شاعرية من بيته الثاني بهذا الصحو  
الذائب ، وتلك الغضارة التي تكاد تطر .

ويوجه الشاعر إلى وصف ظاهرة أخرى ،  
هي تغير وجه الأرض بازدهار الرياض ،  
فيرى أن الدنيا كانت تظل دائمة البهجة لو دام  
حسن هذه الرياض :  
ما كانت الأيام تسلب بهجة  
لو أن حسن الروض كان يعمر

لفصل الربيع أثر كبير في نفوس الناس ،  
ففيه يتبدل الجو بعد أشهر طال بردها ،  
ويخرج الناس إلى الرياض يستمتعون بأريجها  
ونضارة أزهارها ، وبشرون بحياة دافئة  
وأمال متفتحة .

وقد عبر الشعراء عن إعجابهم بهذا الفصل ،  
وتركوا لنا شعراً رائعاً يصور هذا الإعجاب ،  
ومن هؤلاء الشعراء خمسة لم في فصل الربيع  
شعر خالد لا يزال نستمتع به إلى اليوم : وهم :  
أبو تمام ، والبحتري ، وابن الرومي ، وابن  
هاني ، وشوقي .

والربيع عندهم هو الفصل الذي يعقب  
الشتاء ، وأبو تمام يحدد مقدم هذا الفصل  
في قوله :

نزلت مقدمة المصيف حميدة

وبد الشتاء جديدة لا تكفر (١)  
فالربيع هو الجزء الأول المحمود من الصيف ،  
لم يخلص للحر ، كما أنه لم يخلص للشتاء ، بل  
يقارح زمينتين مطر وصحو ، ويسجل أبو تمام  
هذه الظاهرة إذ يقول :

[١] الغضارة : المصطب .

[١] تكفر : نمت .

أولا ترى الأشياء إن هي غيرت

سمعت ، وحسن الأرض حين تغير  
ويحسن أبو تمام بما حدث للأرض في هذا  
الفصل من تغير ، ويشعر بهذا الضوء الخافي  
ترسله الشمس ، وتخفف من شدته أزهار  
الربيع ، فيبدو الكون كأنما هو مضاء  
بنور القمر .

لقد أعجب أبو تمام بهذا الكون الباهر  
الجمال : بغيته ومحموه ، وروضه وحنو  
ضوئه ، فهتف من أعماق قلبه بأن الدنيا  
في غير أيام الربيع قد خلقت ؛ ليثي الناس  
في منابها ، (١) ويأكلوا من رزق الله ، فإذا  
جاء الربيع لم تعد أرضنا يسمى فيها إلى الرزق ،  
ولكن صحيفة قد صورت وأجيد رسمها ،  
لتبتهج برؤيتها العيون والقلوب ؛ وذلك  
إذ يقول :

يا صاحبي تقصيا نظريكا

تريا وجوه الأرض كيف تصور  
تريا نهاراً مشمساً قد شابه  
زهر الربيع ؛ فكأنما هو مقمر  
دنيا معاش للورى ، حتى إذا

حل الربيع فإنما هي منظر  
لمح للشارع ظواهر الوجود بعمامة في هذا  
الفصل من العام ، وبجل ما لمح ، ثم وقف

[١] منابك : جمع منكب ، وهو نجمة كل  
شيء ، وجوانه .

ينظر إلى ما على وجه الأرض من مظاهر  
جمال الأزهار تصوغها الأرض فتفتح لرؤيتها  
القلوب ، وتهمو إليها الأبصار ، ويصور  
أبو تمام ذلك الجمال في قوله :

أضحت تصوغ بطونها لظهورها  
نوراً تكاد له القلوب تنور  
من كل زاهرة تفرق بالندى

فكأنها عين إليك تمحدر  
تبدو ، ويحجبها الجيم كأنها  
صفراء تبدو تارة وتخفى (٢)

حتى ضللت وعداتها ونجماتها  
فتبين في خلع الربيع تبخر  
مصفرة ، بحمرة ، فكأنها

عصب نيم في الوشي ، وتضرب  
من فاقع غصن النبات كأنه  
در يشفق قبل ، ثم يدعفر

أوساطه في حمرة ، فكأنما  
يدنو إليه من الهواء مصفر  
صبيغ الذي لولا بدائع لطفه

ما عاد أصفر بعد إذ هو أخضر  
وقد استرحى فطر الشاعر من بين ألوان  
الأزهار اللونان : الأصفر ، والأحمر ؛

ولعلهما من أكثر الألوان شيوعاً ، وأشدّها  
أسراً للأبصار .

[١] الجيم : الثبت الكثير .

[٢] العصب : ضرب من البرود

كما أعجبه الشجر قد اكتسب بورقه وزهره ،  
فأصبح كأنما اكتسب بثياب موشاة منمنمه ،  
وذلك إذ يقول :

أناك الريح الطلق يختال ضاحكا  
من الحسن ، حتى كاد أن يتكلم  
وقد نبه التبروز في غسق الدجى

أوائل ورد كن بالأمس نوما  
يفتقها برد الندى فكأنه  
يبك حديثا كان قبل مكتما

ومن شمر رد الريح لباسه  
عليه ، كما نشرت وشيا منمنما  
أحل ، فأبدى للعيون بشاشة

وكان قذى للعين إذ كان محرما  
ورق نسيم الريح ، حتى حجب  
يجى ، بأفئاس الأحبة بها

والشاعر في البيت الأخير يصف نسيم  
الريح الهادئ وما يبعث في النفس من  
بهجة ، كذلك التي يحس بها المرء إذا اقترب  
من أنفاس الحبيب .

وقد أجاد الشاعر في عرض صورته ، عندما  
رسم لنا الريح ضاحكا يكاد يتكلم ؛ وكأنما  
الريح ينبه الورد في غلس الدجى ؛ كي

يستيقظ في الصباح الباكر ، ليرى جمال  
الحياة من أول النهار ، ولا يفوته منها وقت  
وإن قصر ؛ وعندما نشر الوشى المنمنم على

الأشجار ، وعندما أثار فينا الشعور بلذة

والشاعر جيد الخيال في شعوره بالرهرة ،  
تبدو وتختفي كأنها عذراء يملؤها الحياء ،  
وفي إحساسه بالوهدات والنجاد كأنها تلبخر  
في رياض رائعة الجمال ، وفي تصويره الزهر  
الغض كأنه در شقق وزعفر .

ولكنني آخذ على الشاعر أن هذا المنظر  
الساحر في فصل الربيع ، لا يثير في النفوس  
ذكر الحرب التي ثارت في نفس أبي تمام

عندما جعل الوهاد والنجاد كأنما خلج عليها  
برود مما يلبسه البنيون والمضربون في  
حروبهم . وجدير بمثل هذا المنظر ذى الضوء

الهادئ ، والأزهار تشبه العذارى أن يبعث  
في النفس الطمأنينة والهدوء .

لقد صور أبو تمام الأرض في الربيع  
لوها مصورا ، يهوج بالأزهار الحمراء  
والصفراء ، يسطع عليه ضوء رقيق ، ويظله

صحو يكاد يطر ، أو مطر يذيب صحو السماء .  
أما البحترى فقد راحه من جمال الربيع  
أزهاره وأشجاره ونسيمه ؛ فيرى الربيع

جديراً بأن يختال بحسنه ، وبصوره كأنه  
قادم بينه الورد من نومه ، فيفتتح مذيما  
حديث الجمال . ولم يتجه البحترى اتجاه

أبي تمام في وصف أزهار الربيع يأخذ عينه  
ألوانها المتنوعة أو غزارتها ، أو حركتها  
الرشيقة ، ولكن ملك عليه قلبه هذه البقعة

المتفتحة بعد طول الرقاد .



ويعود الشاعر مصوراً هذا المنظر الذي يروق، راسماً الأرض بأنها روض من النوار والزهر، وهو يشبه أبا تمام أيضاً، ولكنه لا ينجح نهجه في الوقوف عند الألوان والأصباغ بل يحمل ولا يفصل، ولا يعرض للأزهار من ناحية أخرى، كذلك التي عرض لها البحترى.

وإذا كانت الدنيا تدبّر تها عند أبي تمام، وتختال ضاحكة تكاد تكلم عند البحترى، فإنها، عند ابن الرومي تبرز، ولا تخفى من ذبتها شيئاً كالآتي لا تدمع شيئاً من ذبتها عند ما تريد أن تغرى رجلاً.

والشعراء الثلاثة متفقون إذاً في شعورهم بما يكن في هذا الكون من حيوية متدفقة.

أما ابن هاني فيصف الربيع بقوله :

ألوؤ دمع هذا الغيث أم قط ؟

ما كان أحسنه لو كان يلتقط

أهدى الربيع إلينا روضة أنما

كما تنفس عن كافوره السقط (١)

غمام في نواحي الجو حاكفة

حفل تحنو منها وابل سبط (٢)

أنفاس الحبيب، لتدرك جمال أنسام الربيع. ولكنني أشعر بقلق في استخدام الشاعر للاصطلاحين المعنيين: من الإحلال والإحرام ولا سيما أن الإحرام ليس تجرداً من ثياب. صورة الربيع عند أبي تمام أتم وأوفى من صورة البحترى، ولأحدهما تتم صاحبها، أما ربيع ابن الرومي ففيه :

أصبحت الدنيا تروق من نظر

بمنظر فيه جلاء البصر

فتت على الله بآلاء المظر

فالأرض في روض كأفواف الخبر (١)

نيرة النوار، زهراء الزهر (٢)

تبرجت بعد حياء وخفر

تبرج الآتي قصدت للذكر

والشاعر هنا كما في تمام يرى الدنيا في الربيع

باعتة للسرور في عين من يراها. ولكن

أبو تمام يرى الدنيا في الربيع كأنما خلقت

لإمتاع العين لحسب.

ويرى ابن الرومي أن هذا المنظر الساحر

الذي أصبحت فيه الأرض إنما هو مظهر

لشكر الأرض لله على ما أنعم به عليها من مطر

الشتاء.

(١) الألف من الراس : ما لم يرعه أحد .  
والسقط : ما يبعث به الضيق وما أشبهه  
من أدوات النساء .

(٢) حقل : مليحة بلاء ، والوايل : المضر الشديد  
وابسط من المطر : الغدير .

[١] ثوب أفواف : فيه خطوط ييض على الطول  
والخبر : جمع حبرة ، وهي ضرب من برود الخين .  
[٢] الزهراء : المشرقة اللون .

عندما تحدث عن الروضة الأنف ، يفوح  
عبيرها ، وعن الريح تحمل إلى الأنف عطر  
ألوان من الطيب ، قد اختلطت بماء الورد .  
وأغلب الظن أن الشاعر يصف بذلك آخر  
الشتاء عندما بدأت الأزهار تتفتح ، فظن  
الريبع قد أقبل ، مع أنه لا يزال على بعد  
خطوات .

وأبو تمام أدق منه عندما وصف غيثك  
الريبع وصحوه وكأنهما يتداولان النهار  
فيما بينهما ، والبحترى أدق منه عندما جعل  
أنسام الريح رقيقة ، كأنها أنفاس الأحبة ،  
ولم يصور بينها وبين السحاب ملحمة عنيفة .  
وإن كان ابن هاني قد تبه إلى طيب رائحة  
الجو ، وأنها تحمل إلى الجو أنفاسا معطرة ،  
ووجد في ذلك هدية الريع إلى الكون .

وينشئ شوقي قصيدة طويلة في الريع ، يرى  
فيها مقدمه مدعاة لانفاس المتعة ، وانتهاج  
لذائد الحياة ، إذ يقول :

صفوا أتبع ، غلظ لنفسك قسطها  
فالصفو ليس على المدى يحتاج  
ويرى الكون جديراً بأن تتجاوب فيه أغاني  
البهجة ، وأن يشترك الإنسان والطير في ترديد  
الألحان والتفريد :

ما بين شاد ، في انجبالس أيكه  
ومحجبات الأيك في الأدواح (١)

[١] الأيك : العجر الكثير اللثف والأدواح  
جمع دوحه ، وهي : الشجرة العظيمة .

بين السحاب وبين الريح ملحمة  
معامع وظي في الجو تخفط (١)  
كان تهانها في كل ناحية  
مد من البحر يعلو ، ثم ينبط (٢)  
ولجديدين من طول ومن قصر  
جبلان : متقبض عنا ، ومنبسط (٣)  
والأرض تبسط في خد الثرى ورقا  
كما تنشر في حافاتنا البسط  
والريح تبع أنفاسا معطرة  
مثل الصير بماء الورد مختلط (٤)

لا إخال ابن هاني قد وفق في تصوير الريع  
كما وفق زملاؤه السابقون ؛ فإن ذلك الوصف  
أقرب ما يكون إلى وصف الشتاء : فهذه العائم  
العاكفة في نواحي الجو ، والخافلة بالماء ،  
والتي تتحدر منها المطر قريبا دافقا ، وهذه الريح  
التي يلدور بينها وبين السحاب معارك عنيفة  
تسل فيها السيوف ؛ إذ يرى البرق في السماء ،  
وهذا المطر الغزير يبط في كل ناحية كأنه  
مد البحر ، كل ذلك خليق أن يبحث في النفس  
صورة الشتاء بسحبه المتراكمة ، وورده وبرقه  
وأعطاره .

ولكن الشاعر خلط ذلك بمظهر الريع

[١] انحطط السيب : سبه .

[٢] التهتان : تنازع الضر واصحابه

[٣] الجديدان : الليل والنهار .

[٤] الصير : أخلط من الطيب .

في ذلك يعود بلا ريب إلى حقيقته المتأقنة ،  
حول داره ، تزدحم بهذه الأزهار في تلك الأيام  
الخافتة بالجمال . وإن كنت أرى أن إدخال  
الياسمين في تلك الباقة مد لآيام الربيع إلى  
فصل الصيف ؛ لأن الياسمين يكثر ويفزر في  
فصل الصيف .

وفي وسط هذا المهرجان من الجمال والبهجة  
يمر بالشاعر خاطر حزين عندما يتأمل أشجار  
الورد ، فيرى الورد متفتحا فوق فصوصه كأنه  
يشكر خالقه ، ويبصر أشجاره عالية بين أزهار  
الروض يميزها بين الأزهار شوكتها كأنه  
سلاح لها يحميها ، ويحس بالنسيم كأنه يقبل  
صفحة كما تمر الشفاء بخدود الملاح ؛ ولكن  
هذا الجمال الضاحي لا يلبث إلا ريثما ينزل به  
الليل فيبدد حسنه وبهاءه ، فيتأمل الشاعر  
ذلك ، ويرى أن الحياة قصيرة المدى واستمع  
إليه يقول :

الورد في سرور الفصوص مفتوح  
متقابل يثنى على الضاح  
ضاحي المواكب في الرياض يميز  
دون الزهور بشوكة وسلاح (١)  
مر النسيم بصمغتيه مقبلا  
مر الشفاء على خدود ملاح  
هتك الردى من حسنه وبهائه  
بالليل ما فسجت يد الإصباح

{ ١ } الصالحى : البارز ، الظاهر .

غرد على أوتاره يوحى إلى  
غرد على أغصانه صداح  
وبعضى « شوق » إلى أم مظهر من مظاهر  
الربيع ، وهو اخضرار النبات ، وازدهار  
الروض . وقد تفضل الشاعر الربيع ملك  
النبات تلتقاء الأرض بالأعراس والأفراح ،  
ولما كان ملكا فله أعلام منشورة ، هي هذه  
الأزهار بسيقانها العالية ، وألوانها الحمراء  
والبيضاء ؛ ومن الواجب لهذا الملك أن تلبس  
الخاتل لمقدمه أجل ما تزين به :

ملك النبات ، فكل أرض دائرة  
تلقاه بالأعراس والأفراح  
منشورة أصلامه من أمر  
قان ، وأبيض في الربى لماح  
لبست لمقدمه الخاتل وشيا

ومرض في كنف له وجناح  
وربما كان لقرب « شوق » من دور  
الملكية ومظاهرها أثر في هذا الخيال ، فقد  
قربه إليه ما يراه من مشاهد الجمال ، ومظاهر  
الفرح والبهجة ، والأعلام المنشورة وارتداء  
مستقبل الملك أجل ما يمكنه من الحلل .  
ثم يأخذ الشاعر في تعداد تلك الأزهار  
التي تزدحم بها الخاتل من زرج وأقحوان ،  
ومشور وورد ، ونسرين وجناد ، وبنفسج  
وياسمين ، وربما كان شوق أول من جمع هذه  
الباقة من الأزهار في فصل الربيع ، والفضل

في صفائه وتألّفه كالدر ، و د الياسمين ، نقي  
لطيف كسيرة الرجل الصالح الكريم ، وهكذا  
استطاع شوقي بهذه التشبيهات أن يبين عن  
إحساساته إزاء هذه النباتات .

ولا يقف شاعرنا في وصف مهرجان الطبيعة  
في الربيع عند حدود الأزهار ، بل يشرك  
في هذا المهرجان أيضاً هذه النباتات الدائمة  
الاخضرار كالسرو والنخل ، وهومن النباتات  
التي كان شوقي معجبا بها أيما إعجاب .

ولم يلق شوقي بنظرة إلى الأرض يتأمل  
جمال نباتاتها لغس ، ولكنه كما في تمام رفع  
بصره إلى السماء يتأمل الفضاء ؛ فراء كلوح  
رسم أبدي في تصوير مناظره ، ففي أحد ألواحه  
نجد محبا منها الضخم لا يكاد يتحرك ، ومنها  
ما يسبح في الفضاء خفيفا كأنه الطائر ، وفي  
أحد ألواحه نرى الشمس مجلوة كأنها العروس :

ونرى الفضاء كحائط من مرمر

نضنت عليه بدائع الألواح  
الغيم فيه كأنعام : بدنة  
بركت ، وأخرى حلقت بجناح  
والشمس أبهى من عروس برقت

يوم الزفاف بمسجد وضاح  
والماء بالواحي يخال مساربا  
من ذئبق ، أو ملقيات صفاح (١)

[١] الصفاح : جمع صفح ، وهو عرس السيف .

ينبيك مصرعه ، وكل زائل  
أن الحياة كغدوة ورواح  
ولكن هذا المخاطر الحزين لا يلبث أن  
يزول ، عند ما انتقل الشاعر من وقوفه أمام  
الورد المتفتح فوق الغصون ، وقد تناثرت  
على الأرض أوراق بعض أزهاره ، إلى  
ما بهوار الورد من يقائق النسرين ، والجلتار  
والبنفسج :

ويقائقي النسرين في أغصانها

كالدر ركب في صدور رماح (١)  
و د الياسمين ، لطيمه ونقيمه  
كسيرة المتسزده المساح  
منالق خلل الغصون كأنه

في بلجة الأفنان ضوء صباح (٢)  
و د الجلتار ، دم على أوراقه  
قاني الحروف ، كحاتم السفاح (٣)  
وكان محزون ، البنفسج ، ثاكل

يلقى القضاء بحثية وصلاح  
ومما هو واضح في هذه الآيات رغبة  
الشاعر في التشبيه ، وهو بذلك يسجل الأثر  
النفسي لمسايراه من هذه الأزهار ؛ « فالنسرين ،

[١] يقائق : جمع يقق ، ويقال : أبيض يقق أي  
شديد البياض ، والنسرين : ورد أبيض  
عطري الرائحة .

[٢] البلجة : آخر الليل .

[٣] الجلتار : زهر الرمان .

بعثت له شمس النهار أشعة

كانت حل د النيلوفر ، السباح

يزهو على ورق النضون ثيرها

زهو الجواهر في بطون الراح

وهكذا كان مهرجان الطبيعة في هذا المصل

عاصراً بألوان الجمال ، تزدحم فنونه بين

الأرض والسماء ، لا يكاد الشاعر يرفع بصره

إلى السماء ، ليرى جمال الغضاء ، حتى يهبط مع

أشعة الشمس الساطعة على المياه ، ترقص تحت

أشعة الشمس ، كأنها ذئبق أو صفاح ملانة ،

وعلى النيلوفر ، فيستقبلها ورقة ، وتشرق

كما تشرق الجواهر .

ولكنني لست أدري ما الذي جعل

« شوقي » يضم إلى صور هذا المهرجان الباسم

صورة السواق في القرى باكية نازية شاكية .

والسواق ليست من خصائص فصل الربيع ،

وإذا كان فصل الربيع لا يخلو من هذه السواق

في القرى أفلا تأثر هي أيضاً بجمال هذا

الفصل ، ولا يوحى صوتها إلى سامعه أنها

كالنواذب ش وتوح . ولذلك أرى أن هذه

الصورة الحزينة شاذة في وسط هذا المهرجان

الضاحك الزاخر بألوان الجمال ، وذلك إذ

يقول :

وجرت سواق كالنواذب بالقرى

وعن الشجى بآنة ونواح

الشاكيات وما عرفن صباة

الباسكيات بمسمع صحاح

إن جمال الربيع الساحر يذكر شوق بجمال

الشباب ، وما يملأ أيامه من الهبة والمرح ،

ولكن الشباب لا يلبث أن ينقضى كأنه زهرة

من أزهار الربيع ، يسجل إليها الفناء ولا

يرى أنه قد أتى بذلك إنما .

إني لأذكر بالربيع وحسنه

عهد الشباب وطرفه المراح

هل كان إلا زهرة كزهوره

عجل الفناء لما يغمر جناح

ولشوق وصف آخر للربيع بدأ به القصيدة

التي ألقاها في حفلة افتتاح المؤتمر الذي انعقد

لشكريه ومطما :

مرحبا بالربيع في ريعانه

وبأنواره وطيب زمانه

ولعلنا نوفق في القريب إلى الموازنة بين

قصيدتي في أخيلتهما وممانهما وطريقتهما

عرضهما . وشوقي من أكثر شعراء العربية

إعجاباً بفصل الربيع ، وإشادة بجماله ، وبعض

شعرائنا الأحياء آثار في ذلك نرجو أن

ندرسها ، وأن نعقد بينها الموازنات ، ونعرف

ما بين بعضها وبعض من الصلات بمحنة الله ؟

أحمد المحمدي

وكيل كلية دار العلوم

# حول حقوق المرأة

## بقايا من رواسب الجاهلية

للأستاذ أحمد الشراصي

« اتقوا الله في المرأة »

من حديث شريف

الملكة المطلقة من غيره ، حتى لا يقال إن فرداً من أفراد الشعب - مهما كان - قد تزوج الماسكة ، ولو كانت ملكة سابقة ١١ ...

إن هذا يذكرنا بأن هناك موارد ثقيلة من ظلم الرجال للنساء ، وتحكم الأزواج في الزوجات ، حتى بعد انفصام عروة الزواج ، بلا مسوغ من دين أو عقل . ولقد كانت هذه الموارد طاغية باعية في ظلمات الجاهلية ، فأقبل الإسلام العظيم الحنيف المنصف ليزيلها عن كاهل المرأة الرقيق الضعيف ؛ وبرغم هذا بقي هناك من الرجال من يحاول انتهاك المرأة سلعة تباع وتشترى ...

\*\*\*

لقد كان الطلاق في الجاهلية لا نظام له ولا ضابط ، فالرجل يطلق المرأة ثم يراجعها وهي في عدتها ، بلا عدد أو توقف ؛ وحدث أن قال رجل لامرأته في بدء الإسلام : والله

لعل أخطر الأمور التي يأتيها الإنسان في حق الدين أن يعطى نفسه حق التحليل لما حرم الله ، أو التحريم لما حل ؛ لأن هذا يعد تدخلا في اختصاص الخالق جل جلاله ؛ وألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين . وإذا استباح الإنسان - كاتنا من كان - أن يشرع للناس ما ليس من الدين ، فقد بلغ الأمر مبلغه من الفوضى والاضطراب .

ولقد نشرت الصحف أن أحد الملوك قد طلق زوجته وفارقها منذ زمن ، ولكنه يحرص على منحها من الزوج بأحد ، ويشترط عليها ألا تزوج حتى يزوج هو ... ومتى يكون زواجه هذا ؟ الغيب يعلمه الله ! ...

وهذا يذكرنا بما فعله ملك طاغية من قبل ، إذ طلق زوجته أيضاً في ظروف مؤسفة ، ثم طلب من شيخ علم من شيوخ الإسلام أن يصدر له فتوى خاصة تقضى بتحريم زواج

امرأته السابقة عند رجل غيره ، فكان يمنحها من الزواج ، ويصدقها الأزواج بضروب من الصدق والمنع ، بقاء الإسلام فأبطل هذا الظلم وهذا الإجحاف ، فقال القرآن : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أذكى لكم وأطهر والله يعلم وأتم لا تعلمون » . فمن ذا الذي يريد أن يشارك الله في حكمه ليحل حراما أو يحرم حلالا ؟ الحكيم الجاهلية يبنون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ، ١٢ . ومن المؤسف المؤلم أنه لا يزال في أجزاء من بلادنا من يعضل الفتاة قبل زواجها بصورة لا يرتضيها دين ولا عقل ، وذلك أن يكون للشباب بنتهم فيعلن أنه يريد زواجها وقد لا يكون بينهما وفاق أو انسجام ، وقد ترفض الفتاة زواجه لهذا العذر أو ذاك ، فإذا حدث هذا فإن التقاليد العنيفة المعتسفة تقف في وجه هذه الفتاة ، فتصدما عن الزواج بأي شخص كان ، فإذا أن تزوج ابن عمها ، الحاكم بأمره ، ١ وإما أن تظل « حائسا » بلا زواج حتى يتزوج ابن عمها ... ومتى يتزوج ؟ ... لا يدري ذلك أحد ، وربما أصر على عدم الزواج نكاحية فيمن رفضت الزوج منه ١١ .

• • •

لا أطلقك ففيني ، ولا أويلك أبدا . قالت له : وكيف ذلك ؟ قال : أطلقك فكلما صمت عدتلك أن تنقصي راجعتك ... فذهبت المرأة المسكينة فأجبرت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك . فزل قوله تعالى : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » .

وقال الإسلام لأتباعه : إذا أوقعتم الطلاق حل المرأة لداع دعا إلى ذلك ، وقاربت انتهاء العدة ، فلما أن تميدوها إلى صصتكم برفق وطريق أليف معروف ، وإما أن تخلوا سبيلها بمعروف ، وإحسان ، حتى تستطيع المرأة المطلقة التي انتهت عدتها زواج رجل آخر إذا أرادت ... يقول القرآن : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لمتكوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله ، واعلموا أن الله بكل شيء عليم » . وفي موضع آخر يقول مخاطبا الرجال في حسن معاملتهم لمطلقاتهم : « ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن » .

وقد كان من عادة الجاهلية الجهلاء أيضا أن الرجل يعضل زوجته المطلقة ، أي يمنحها أن تزوج غيره أفقة منه ، وكبراً أن يرى

عديها ، ولو كان الوضع بعد طلاقها أو موت زوجها بأيام ، والقرآن المجيد يقول : «وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ...» ولقد ألقى النبي صلى الله عليه وسلم امرأة ( وهي سبيعة الأسلية ) بأنها حلت للزواج حين وضعت حملها ، وكانت قد ولدت بعد موت زوجها بنصف شهر ! . . .

• • •

إن الإسلام يقرر أن الزوج إذا طلق زوجته ثلاث تطليقات ، وبانت منه بينونة كبرى ، فإنها لا تعود إلى عصمته إلا إذا تزوجت غيره . زواجا صحيحا ، وطلقها أو مات عنها ، وانقضت عدتها ، وفي هذه الحالة يجوز له أن يراجعها ؛ وجعل الإسلام ذلك تأديبا للرجل وتهديبا ، حتى يرعى حرمة الزواج ، ولا يقدم على فسخ عقده فسادا نهائيا إلا عند الدافع الضروري الذي لا مفر منه .

وكان الإسلام يريد أن يقول للزوج المطلق : إن الزوجة لم تكن زوجة كي تصير العوبة في يد زوجها ، يطلقها كل حين ، فيحرمها مئة اطمئنان الحياة الزوجية ، واستقرار المعيشة المشتركة ، بل كانت هذه الزوجة زوجة لتساعد بحياة زوجية ، فيها إرضاء لحسها ونفسها ، وقلها وعقلها ، فإذا تكرر من الزوج التطليق لها حتى بلغ ثلاثا ، كان من حكم الله أنه يحرم عليه إعادة

إن المرأة ميلها الجنسي ، ورغبتها الطبيعية في الرجال كـرغبة الرجال في النساء ، وليس بعيب من المرأة أن تطلب إرضاء هذه الرغبة بطريق مشروع سليم ، بل إنه يجب عليها إرضاء هذه الرغبة بالطريق المشروع إذا أيقنت أنها سترضيها بطريق غير مشروع ... وماذا تفعل فتاة جميلة شابة مترفة إذا طلقت وعاشت بلا رجل مثلا ؟ . . . ألا يكون هذا مدعاة لسوء الظن والريب فيها ؟ . . . ألا يفتح هذا أبواب الانحراف والزلل أمامها ؟ . . . لو كان المطلق رجلا حافلا ومنصفا لرحب بتزوج مطلقة طلاقا نهائيا من زوج آخر ، بدل أن تبقى بلا زواج ، فتشور حولها الشكوك والتهمم ، ثم يقول الناس عنها بالحق أو بالباطل : هذه مطلقة فلان تفعل كذا وكذا ؛ فيناله شيء من طارها وشنارها ، ولو أنها تزوجت من بعده لنفسها الناس إلى زوجها الثاني وتركوا زوجها الأول : « وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » .

والإسلام يذكر في هذا الباب أنه متى انتهت هذه المرأة المطلقة ، وانتهت علاقتها بزوجها الأول ، فلا مانع يمنحها شرطا ولا عقلا من أن تزوج بغيره ، بل يكون ذلك في الغالب أستر لها وأصلح ، والعامية تقول : « ظل الرجل ولا ظل الجبل » . . . ولو كانت المرأة حاملا من مطلقها ووضعت حملها بعد ذلك انتهت



ويضرب المفسرون مثلاً للتعريض قول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس: «كوفي عند أم شريك، ولا تسبقيني بنفسك»... وكذلك يروى أن الرسول قال لأم سلة: «وهي متأمة من أبي سلة»... لقد علت أبي رسول الله، وخيرته، وموضعي في قومي»... وقال أهل السنن كانت تلك خطبة...!

وروت سكينه بنت حنظلة أن محمد بن علي ابن حسين استأذن عليها ولم تنقض عدتها من مهلك زوجها فقال: «قد عرفت قرأني من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقرأني من علي، وموضعي في العرب». فأجابته: «غفر الله لك يا أبا جعفر! إنك وجعل يؤخذ عنك، تخطئي في عدتي». فقال: «إنما أخبرتك بقرآني من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن علي...! أي أنه لم يصرح وإنما اقتصر على التلميح.

ولمّا أمر الإسلام بعدم الزواج أثناء العدة لكي يتحقق المطلوب منها وهو استبراء الرحم وما تعلق به، وبعد تمام العدة يجوز للزوج الجديد أن يتم زواجه منها...!

ذاك حكم الإسلام، وفيه إنصاف للمرأة وصيانة لحقها في الحياة، فإذا بعد الحق إلا الضلال؟! والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب...!

أحمد الشرباصي

إلى عصمته حتى تزوج زوجاً غيره، وتحباً معه حياة زوجية صحيحة. وإذا مرضنا وطمعنا الزوج الثاني - وهذا نادر - أو مات عنها فإن الزوج الأول يجوز له بعد هذا أن يعيدها إلى عصمتها...!

ولا شك أن الزوج يغار ويأنف أن تكون زوجته حليلة لزوج آخر، ومن أجل ذلك يجب عليه أن لا يعرضها لهذا الوضع، فإذا حدث هذا بمحافته أو بظروفه السيئة، فلا يجوز له أن يقف في وجه زوجته المطلقة، بل لها أن تزوج غيره، ولا يجوز له - أي الزوج الأول - أن يستردها ويعيدها إلى عصمتها إلا إذا تزوجت بسواه...!

هذا، ولقد أباح الإسلام للرجل الراغب في زواج المرأة المتوفى عنها زوجها أو المطلقة نهائياً بلا رجعة، أن يعرض لها بمحدث زواجه منها وهي ما زالت في العدة، حتى إذا انتهت عدتها شرع في زواجها، يقول الله تعالى: «ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم، علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا، ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله»...!

يقول القرطبي عند حديثه على هذه الآية: «أي لا وذر عليكم في التعريض بالخطبة في عدة الوفاة، والتعريض ضد التصريح، وهو إتمام المعنى بالشئ المحتمل له وغيره».



الأمراض صح حكنا على الشعب السوداني في جعله أنه شعب متدين ، لكن الخطر يأتي من أن سكان المدن هم المتصرفون في مقادير هذا الشعب وهم الذين يوجهون حركة التعليم فيه .

ولا ننس أن نذكر هنا أن الإنجليز كانوا يعملون جاهدين على نشر النصرانية في بلاد السودان ، وهم كغيرهم من الاستعماريين يرون الإسلام أعدى أعدائهم ، حتى كان (غوردن) أحد قوادهم المشهورين ، يرى أن رسالته في الحياة هي تصدير جميع المسلمين وقد ابتلى السودان بهذا الاستعماري الحقود .

وكما يلي الإسلام بالاستعمار ، بليت كذلك اللغة العربية به ولم يمد هنا من يحسن النية بأي شعب مستعمر ، ومحاربة اللغة لا تقل عنفا عن محاربة الدين ، وقد كان أول هدف للإنجليز في السودان أن يقضوا على اللغة العربية ليجعلوا التعليم في المدارس بلغتهم وكانت أوراق الامتحانات العامة ترسل إلى إنجلترا لتصحيح فيها وفتتوا بجمهرة من المتعلمين فأخذوا يعيبون العربية وينفرون منها ؛ ويتأمررون على قتلها وفي ذلك يقول شاعرهم :  
أرى الضاد في السودان أمست غريبة

وأبناءؤها أمست لها تنجهم  
تولت وما دمع عليها بفائض  
وما أحد منهم لها يتألم

ومع ذلك فإني لا أنسى أن أذكر لهذه المناسبة أننا من أكثر الشعوب تهيؤا للإصلاح بعد المهنود (١) .

كما دفع بعض الثمراء السودانيين أن يتكروا على قومهم بعدم عن الدين ويحثهم على الأخذ بيد المضيلة ، وفي ذلك يقول أحد شعرائهم :

بعدنا عن الدين الحنيف وهديه  
فياويلنا إن دام هذا التباصد  
إذا رسمتم إصلاحكم فتدينوا  
وإن رسمتم بنيانكم فتساندوا  
وإن لم تكونوا قاذرين لمحاولوا  
وإن لم تكونوا واجدين تواجدوا  
ويقول :

خذوا بيد المضيلة وانثروها  
فإن من المرة أن تهونا (٢)  
ومن الحق أن نقول إن هذه العيوب والأمراض كما يراها صاحب ديوان الطبيعة ، والبعد عن الدين وهوان المضيلة كما يراها صاحب ديوان الفجر الصادق ، أقول إن كل هذه كانت في المدين أظهر منها في الريف فإذا كانت أكثرية الشعب السوداني تسكن القرى وهذه الأكثرية لم تتمكن منها هذه

[١] مقدمة ديوان الطبيعة لحزرة الملك .

[٢] ديوان الفجر الصادق للشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن .

وبهذا أمكن للإسلام أن ينشر تعاليمه بسهولة وساعده على ذلك أن الفاتحين من المسلمين نظموا الحياة السياسية والاجتماعية في السودان وأوجدوا فيه إدارة منظمة استقر بها الحكم ونشروا مبادئهم العادلة ، فاستتب الأمن ، وزاد الرخاء ، وأمن الضعيف غائلة القوى .

وأقدم مظهر للتعليم الديني في السودان هو مكاتب تحفيظ القرآن ، وتسمى في السودان ( الخلاوى ) جمع خلوة . وقد كانت منتشرة انتشاراً واسع المدى حتى لاحتلوا قرية أو حلة منها ، ولها نظام يختلف بعض الشيء عن المكاتب عندنا نحنى - أولاً - تلحق بمسجد فكل من بنى مسجداً ألحق به خلوة ، يقوم عليها فقيه - ويسمى عندهم الفسكى - وقد يكون هو صاحب المسجد ، وهو يحفظ القرآن للتلاميذ ، ولا تقتصر الخلوة على أبناء القرية أو الحلة ، بل تضم تلاميذ من البلاد المجاورة وربما وفد بعضهم من بلد بعيد ، ويقوم أهل القرية بإيوائهم وكسوتهم والإنفاق عليهم إلى أن يحفظوا القرآن ، ومن عاداتهم أن يقرأوا القرآن على ضوء النار ، فهم يحفرون حفرة في وسط الخلوة ويضمون فيها الحطب ويوقدونه ويقرون على ضوئه وقد تستمر هذه النار موقدة لسنين طويلة ، وقد حدثني من أئق فيه من علمائهم أن خلوة أم ضبان - وهي بلدة تقع شرقي

وسات متاما فهي تشكل حزينة وعيت جواباً فهي لا تسكلم ونبتت بالسودان قوما تأمروا على الآفة الفصحى أساءوا وأجرموا هذه مقدمات أوضحت بعضها في هذا المقال وأوضحت بعضاً آخر في المقال السابق وهي تعطينا فكرة بحلة صحيحة عن التعليم الديني في السودان ، فهو يسير مع هذه المقدمات طرداً وعكساً - كما يقول المناطقة - وحيث هانت اللغة العربية نرى تخلفاً في التعليم الديني وحيث أجملها قومها ، وأحلوها من أنفسهم المحلل اللائق بها ، نرى ازدهاراً وتقدماً في التعليم الديني .

ومنذ نزل الإسلام بلاد السودان وهو يثمر لفته وتعاليمه، وإذا كان قد وجد النصرانية في بعض الجهات السودانية فقد وجد الوثنية في أكثر الجهات ، فجاهل إفريقية لم يدخل فيها دين يحمل كتاباً منزلاً قبل الإسلام ، وقد كان إقبال الزوج عليه عظيماً ، فالزنجي لا يستطيع ( أن يعيش طويلاً بلا ديانة ، لحياته الروحية دائمة التعطش إلى التعب ... لذلك فإننا نجده يسمى حينئذ للانضمام إلى الدين الأكثر شيوعاً بين الأهالي ، والمسلم لمطرته ، وهو الإسلام (١) .

[١] من مقال مترجم عن الألمانية في مجلة « اسام الإيلاى » .

الخطيب الشريفي ، قدم من مصر في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري واستقر في دار ( بربر ) وجاء معه بذهب الشافعية وقام بتدريسه وأخذ عنه كثير من الطلبة (١) .

وأما المذهب الحنفي فدخل السودان حين أنشئت كلية الحقوق التابعة لجامعة الخرطوم وجعل فيها قسم للشرعية ، وقد كان رؤساء هذا القسم دائما من العلماء المصريين الأحناف .

طلت الدراسة مقتصرة على الخلاوى والمساجد ، ويحكي الفقيه محمد ضيف الله في مقدمة كتابه ( الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين ، والعلماء والشعراء في السودان ) يقول : ( ولم تشتهر في تلك البلاد - قبل تأسيس مملكة القونج - مدرسة علم ولا قرآن ، ويقال إن الرجل كان يطلق المرأة ويتزوجها غيره في نهاره من غير عدة حتى قدم الشيخ محمود العركي من مصر وعلم الناس العدة ، وسكن البحر الأبيض ...

وفي أواخر النصف الثاني من القرن العاشر ولي الملك عمارة أبو سكيكين ... وفي أول حكمه قدم الشيخ إبراهيم البولاد من مصر إلى ديار الشافعية ودرس فيها خيلا والرسالة وانتشر علم الفقه في الجزيرة ... ثم قدم الشيخ محمد المصري دار بربر ودرس فيها علم التوحيد والنحو والرسالة ) .

الخرطوم وبينهما مسيرة ساعة في السيارة هذه الخطوة لا تزال نازها موقفة منذ ماتت سنة .

والسودانيون يقرءون القرآن بقراءة أبي عمرو في بلاد الشافعية ، وبقراءة ورش في مديرية دنقلا ، وبما يؤسف له أني لاحظت أثناء إقامتي في أم درمان خطأ في تلقين التلاميذ ، فهم يحفظون بعض الآيات ملحونة . وبعضهم لا يفرق بين القراءات فيقرأ الآية الواحدة بقراءتين أو أكثر ، كما لاحظت قلة الحماس بين طلبة المعهد .

وبجانب تحفيظ القرآن كان الفقيه يدرس بعض علوم الشريعة كالفقه والتوحيد وربما اتخذ من المسجد أو من بيته مدرسة يعلم فيها ، وكان التلاميذ يلتفون حوله ، ويمثلون أوامره ويطيعونه أشد الطاعة .

وكان تلاميذ الشيخ يبنفون الآلاف في بعض الأحيان ، ومن أولئك الشيخ أرباب بن هون الذي شئت إليه الحال في علم التوحيد والتصوف .

والمذهب السائد في الفقه - في السودان - هو مذهب الإمام مالك ، وأهم الكتب التي تدرس في هذا المذهب هي رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، وهي مشهورة عندهم ( بالرسالة ) أما المذهب الشافعي « فأول من أدخله في السودان الشيخ محمد بن علي بن قرم تليذ

إنشائها : وقد رأى المجلس الخصوص أن تؤسس بالآقاليم السودانية مدرسة إنقاذاً لأولاد أهلها والمستوطنين بها من جميع الجبل فيمتازوا باكتساب العلوم والمعارف على أن يتقبل ويقتد فيها مائتان وخمسون غلاماً ، واستحسن أن يولى رفاعة بك ناظرأ على هذه المدرسة ، وأن يصطفى مدرسوها من هنا (١) .

وكان هذا القرار في ١٥ رجب عام ١٢٦٦ . ولما جاءت المهديّة ، أوجبت على الناس الجهاد ، وحرمت عليهم في سبيل ذلك الاشتغال بأي شيء غير الجهاد ومن ذلك العلم ، ولم يسمح للناس إلا بحفظ القرآن ، وتلاوة روايت المهدي ، وقد حدثني غير واحد من السودانيين أن العالم من علمائهم كان يخفي الكتاب بين مليات ثوبه كما يخفي الآخرون أي شيء محظور ، بل كان يلجأ إلى الأماكن غير المطروقة وربما إلى بيوت الخلاء ليقرأ في كتاب ، فلما انتهت المهديّة عاد العلماء يدرسون في بيوتهم وفي مساجدهم دراسات إسلامية ، حتى كانت سنة ١٩١٢ م فقام كبير من علماء السودان هو الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم بجمع الطلاب في المسجد الكبير بأمر درمان ، وأخذ يدرس لهم بمساعدة بعض إخوانه ، وأخذ يزداد عدد الطلاب ، وعدد المدرسين حتى أصبح معهداً له شأنه ، ولكنه نقي أشد العنت من

ونستفيد من هذا النص ومن نصوص أخرى كثيرة أن أصحاب الفضل في نشر العلوم الإسلامية في السودان على طريقة منهجية سليمة هم العلماء القادمون من مصر سواء كانوا مصريين وحلوا إلى السودان أم كانوا سودانيين وفدوا على مصر ثم عادوا إلى قومهم ليعلموهم وإنا نجد في أسماء علمائهم لقب (الأزهري) ومن أشهر علمائهم الذين جاءوا إلى مصر وتعلموا في الأزهر الشيخ حسين الزمرا قاضي الإسلام في عهد المهديّة ، وكان من أهم دعاة المهديّة بجزيرة سنار والشيخ عمر الأزهري وقد تقلد منصب القضاء في حكومة المهدي وكثيرون غير هذين .

على أنه ليس معنى ذلك أنه لم يكن في السودان علماء غير هؤلاء ، بل الحقيقة كما يقول بعض المؤرخين أنه لم يخل بيت من بيوت الأشراف في السودان من فقيه يرجع الناس إليه في أحكام دينهم ، ولما معناه أن الذين نشروا العلم بطرق صحيحة هم الأزهريون الذين أخذوا العلم عن كبار المشايخ في الأزهر ، وقد كان عدد قليل من السودانيين يفسد إلى الحرمين الشريفين حيث يتلقى علومه هناك ثم يرجع إلى السودان ناشرأ فيه أصول الدين وتعاليم الإسلام .

أما أول مدرسة رسمية في السودان فكانت في عهد عباس باشا الأول ، وبلغ في كتاب

وكما أن تلاميذ الخلوة كانوا ينزلون ضيوفا على أهل الخلوة كذلك كان طلبة المعهد العلى بأم درمان أو على وجه الدقة كان أكثرهم . فإن الطلاب إلى هذه السنة سنة ١٩٤٨ م لم يكن لهم أى عون من الحكومة فكانوا يفتقون من كل أنحاء السودان لينزلوا في أم درمان عند أقربائهم أو ذوي معارف أهلهم وربما نزل الطالب عند رجل لا تربطه به أية صلة ، بل كان يتسابق أهل المروءة إلى إيواء طلبة العلم ، ينفقون عليهم ويكسونهم ويشتررون لهم الكتب ويعاملونهم كأبنائهم ، وكانوا يفردون لهم حجرات خاصة في منازلهم ، وربما أعدوا لهم منازل خاصة فيها كل أسباب الراحة ، وكان أحد التجار في أم درمان يزوى خمسة وثلاثين طالبا ، ويمجى عليهم النفقة ويسكنهم منزلا خاصا بهم . وهذا شيء لا أعرفه في بلد آخر غير السودان ، وقد سمعت عن قصص كثيرة في هذا الصدد تدل على كمال المروءة ، ومنتبى الكرم ، وغاية الحفاوة بطلاب العلم .

وقد تضائل هذا التقليد الجليل منذ أجرت الحكومة نفقات على طلاب المعهد وأعدت لهم مسكنا مع سوء الحال الاقتصادية في السنوات الأخيرة ، ولكن لا تزال بقايا منه قائمة في أقاليم السودان .

المستعمرين ، فضيقوا عليه في النفقات ، ولم يعملوا للتخرجين فيه شأنا يذكر في الوظائف ويكفى أن تقارن ميزانية المعهد بميزانية الإرساليات التبشيرية سنة ١٩٤٩م فقد قدرت ميزانية مدارس الإرساليات في ذلك العام بمبلغ عشرة ومائتي ألف من الجنيهات ، في حين لم تزد ميزانية المعهد العلى الديني عن واحد وعشرين ألفا .

وقد أنشئ هذا المعهد على نظام الأزهر القديم ، ابتدائي وثانوي وطال ، والكتب التي كانت تدرس فيه هي نفس الكتب التي كانت تدرس في الأزهر . غير أنه حدث في سنة ١٩٤٨ م أن قام طلاب المعهد بإضرابات رغبة في إصلاح أحوالهم وأحوال المدرسين ، وأحوال المتخرجين في المعهد فأمرت الحكومة الإنجليزية بإغلاق المعهد ثم أجرت فيه إصلاحا . كما زعمت . فقللت من العلوم الدينية والعربية وأدخلت اللغة الإنجليزية ووسعت منهج العلوم الرياضية ، وقبيل قدامى المعهد هذا التغيير بشيء كثير من الضيق والريبة ، والآن حول القسم العالى فيه إلى كليات ، والدراسة الآن قائمة في كليتين إحداهما للغة العربية والأخرى للشرعة . ومنذ عهد غير بعيد فتح قسم الشرعة بكلية الحقوق أبوابه للحائزين على الشهادة الثانوية من المعهد ليكونوا طلابا فيه

# حَقِيقَةُ السَّيِّدِ أَحْمَدَ خَانَ

لِلأستاذ محمد إبراهيم البجوشي

كتب الأستاذ م. ح. تحت عنوان من رجالات الإسلام . مقالا ضافيا ينظم فيه عقود الثناء للسيد أحمد خان ، ويلصق به صفة المصلح الإسلامي في شبه القارة الهندية ويرجع إلى جهوده أساس النهضة الإسلامية في الهند . وبالتالي في دولة باكستان الإسلامية . هذه هي الخطوط العامة التي أخذ ينسج منها وسداها الأستاذ م. ح. في تمجيد رجل جر كثيراً من الوبال على

أساتذتهم لكرامية التعليم الديني ، وصلى أن يتخلص السودان من بقاياهم . ولا يمكن للباحث في التعليم الديني في السودان أن يغفل الإشارة إلى ما كان للطرق الصوفية من آثار محمودة ، وإرشاد الناس وتعليمهم ، وما تم على أيديهم من إقامة الروايات والمساجد والخلوى . وإن كان لهذه الطرق أثر سيئ في عقائد الناس ، وقد بدأت طبقة المتعلمين تتحلل من سيطرة هؤلاء . ولكن سلطانهم على العامة لا يزال قويا ، ولا يزال الاعتقاد فيهم وفيما يمكن أن يفعلوه كبيرا ، والزمن والتعليم كفيلان بأن يهصر الناس بالطريق القويم ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

علي العمري

المدرس بمعهد القاهرة

وفي السودان معاهد أخرى أنشأها الأهلون على تقائهم الخاصة ، وتمدها الحكومة ببعض العون وهي تنيف على الحسنيين معهما .

والذي لا يزال يحز في النفس أن الحكومة الإنجليزية كانت قد ضالكت من شأن الخلاوى التي يحفظ فيها الأولاد القرآن الكريم ، تحولت كثيراً منها إلى مدارس أولية ، ومنحت لطارها روائب فقل بذلك حفظة القرآن ، ولا أدري إذا كانت الحكومات التي جاءت في عهد الاستقلال قد تنهت هذه الخدعة الاستعمارية أم لا يزال الأمر كما رسمه الإنجليز ؟

ولا أجهل أنه كان من كبار رجال وزارة المعارف السودانية قبل الاستقلال وبعده تلاميذ للإنجليز ، بل هم أشد تحملاً من



ودينه لقاء مركز أو جاهد يقدمه له أعداء بلاده ودينه .

وقد كافأه الإنجليز على هذه اليد التي لا تدنى واعتبروه ركنا وكيانا لهم في شبه القارة الهندية فمدوا إليه أيديهم بالتأييد المادي والأدبي حتى يقوم بالنور الذي أضوه له ، وينهض للرسالة التي نصب نفسه للقيام بها ، من توهين عقيدة الإسلام في نفوس المسلمين ، وبذر بذور الريبة والشكوك في قلوب أبناءه ومحاولة جذب طائفة من أبناء المسلمين في شبه القارة الهندية إليه ، وإغرائهم بالمناصب والجاه ليكونوا له أروانا في هذه السيل التي ينكرها الإسلام أشد الإنكار ، وينفر منها كل النفور .

وفي ظني أن السيد أحمد خان رأى من خلال نظراته الانتهازية أن الثورة على الإنجليز لن تبلغ غايتها ، فأحب أن يقدم لهم يدا تشفع له عندهم ، وترفعه إلى مصاف خدمتهم وليست هذه الانتهازية من أخلاق المصالحين وأحباب الدعوات .

وليت السيد أحمد خان وقف عند هذا الحد إذن لقننا إنها نزوة غلبت على الرجل في ساعة من ساعات الضعف التي تتأب طلاب الشهرة وعجب الرئاسة ، قد دفعهم إلى ارتكاب الأخطاء في حق بلادهم وذريهم .

الإسلام والمسلمين ، وكان خنجراً مسموماً في أيدي المستعمرين وأعداء الإسلام يحاولون به الإجهاز على ما تبقى لهذا الدين من رمق يدافع به الفناء في هذه البلاد التي نكبت بالاستعمار الغربي فأزال الحكم الإسلامي عن ربوعها ، وأجرى دماء المسلمين أنهارا ، تسكيلا بهم وتحطيا لشوكتهم ، وتنعيسا لاحقادهم التي لا تنطفئ على الإسلام ورجاله . ويجدر بنا أن نعرض لبعض مواقف السيد أحمد خان ، ونقف على طرف من آرائه عليها تكشف لنا عن حقيقة الرجل وكنهه ، ويبدو لنا من خلال أعماله وأقواله بدون هرج أو ذخرف ، ومن ثم ينكشف للناس أمره ، وتبطل تلك الدعاوى العريضة ، التي تحاول جاهدة - بأي دافع لست أدري - أن تضيق عليه ثوب المصلح ، وتلبسه لبوسا ليس من أهله .

إننا لا نستطيع بحال من الأحوال أن نرى رجلا خان أمته ، وكان حربيا عليها ، وعونا للمستعمرين الناصبين على إذلالها وتحطيم عزتها يسلك في نظام المصلحين ، ويعد في أحباب الدعوات ، وإن نسينا فإن التاريخ لن ينسى للسيد أحمد خان موقفه العدائي من ثورة الهنود على الاستعمار البريطاني ، وبذله أقصى الجهد في سبيل حمايتهم والدود عنهم ، وبجأهرته بالعداء لبني وطنه

التعصب الديني ، ليطفئوا بذلك نار حيتهم ،  
ويبددوا جمعهم ، ويمزقوا شملهم ، وساعدوا  
تلك الطائفة على إنشاء مدرسة « عليكرة »  
ونشر جريدة لبث هذه الأباطيل بين الهنديين  
حتى يتم الضعف في العقائد ، وتتن الصلات  
بين المسلمين فيستريح الإنجليز في التسلط  
عليهم » (١)

هذا ما كتبه أكبر المدافعين عن الإسلام  
وأعلام صوتا في عهد السيد أحمد خان  
وهو صريح في خروجه على الإسلام ، وسعيه  
في الكيد له ، فكيف يتقن لنا بعد هذا  
أن نرى من يقول عن السيد أحمد خان إنه  
من رجال الإصلاح الإسلامي الذين حلوا  
لوائه ورفضوا رأيه (٢)

ويبدو أن السيد الكاتب قد افتر بما كتبه  
المشترقون عن حركة السيد أحمد خان ، ووقع  
في الخطأ الذي وقع فيه من قبل الأستاذ أحمد  
أمين في كتابه « زعماء الإصلاح » ، وليس بخاف  
عيننا جميعا محاولات المشترقين الدائبة في بث  
سومهم ، ونشر ظلال الشك في قلوب المسلمين ،  
وإصفايتهم ثوب الإصلاح على كل خارج  
على الإسلام .

وتكشف طوايا السيد أحمد خان الدفينة  
ضد الإسلام من كتاباته التي حاول جاهدا

ولكن الرجل تفلح لخدمة ساداته الإنجليز  
وقدم لهم ما عجزوا هم عن تحقيقه ، فذلوا له  
ما شاء من العون والتأييد ليبلغ ما يريد من  
كيد الإسلام وتفريق المسلمين ، لحمل معوله  
وأخذ يعمل الهدم في صرح الإسلام المنيع ،  
سالكا طريقا تخفى على كثيرين ، وتفري  
بعض ضعاف الأحلام ، وهو في مأمن من  
حماية الإنجليز له ، وتشجيعهم له على المضي  
في طريقه سواء أن يحقق ما أجهزم من بث  
المرقة والوهن في صفوف المسلمين الهنود  
وعقائدهم .

وعمد الرجل إلى نشر أفكاره الضارة  
بطريقة منظمة في ظل الاستعمار وعلى عينه ،  
فأنشأ مدرسة « عليكرة » وأصدر صحيفة تروج  
لدعوته في صفوف المسلمين الهنود ، وقد تنبه  
السيد جمال الدين الأفغاني لخطره وفساد  
طويته ، فشر مقالاً يحذر منه ويكشف  
عن مداخله وتأيد المستعمرين له قال فيه :  
وما دام الاعتقاد المحدث والعصية الملية  
فيهم « المسلمين » ، فلا تؤمن بعثتهم إلى طلب  
حقوقهم فاستهدوا « الإنجليز » طائفة من  
يتسمون بسمه الإسلام ، ويلبسون لباس  
المسلمين ، وفي صدورهم ظل ونفاق ، وفي قلوبهم  
زيغ وزندقة ، وهم المعروفون في البلاد الهندية  
« بالدهريين الطبيعيين » ، فاتخذهم الإنجليز أعوانا  
لهم على إفساد عقائد المسلمين . وتوهين علاقتهم

[١] الفكر الإسلامي الحديث الدكتور محمد الهادي ص ١٥٥ .

في الهند ، وقيام غلام احمد بدعوته المارقة عن الإسلام .

أيعقل بعد هذا كله أن نسمح لقائل أن يقول عن السيد احمد خان إنه من زعماء الإصلاح الديني في الإسلام . بعد ما رأينا جهده في الكيد للإسلام ، وتوهين عقائده وهذا هو السيد جمال الدين الأفغاني يصرح بأنه ما ألف رسالته : « الرد على الدهريين » إلا ليضل مزاعم هذا الرجل ، ويذهب المسلمين إلى ضلال دعواه ، فيقول : « ولما كنا بحيال الدين في الهند سنة ١٨٧٩ أحسننا من بعض ضعاف العقول اغترارا بترهات الرجل وتلامذته فكتبنا رسالة في بيان مذهبهم الفاسد ، وما ينشأ عنه من المفاسد وأثبتنا أن الدين أساس المدنية وقوام العمران ؟ (١) »

وبعد : فهذه خاطرة أثارها مقال الأستاذ م . ح . أردنا من ورائها أن يقف المسلمون على الحقائق التي تتعلق بتاريخهم ، ونبذ الدخلاء عن تاريخ الإسلام حتى يقين من يعمل للإسلام وينود عن حماه ممن ضل السيل وتسكب الطريق ؟

**محمد ابراهيم الجيوشي**

المشرف على الشؤون الدينية بالإذاعة

أن ينفذ من خلالها سمومه تحت ستار البحث العلمي والإصلاح الديني .

فتراه في تفسيره للقرآن الكريم يقرر أمورا خطيرة لو أمعنت النظر فيها لوجدتها تهدف في جوهرها إلى صرف النظر عن مناوأة المستعمرين ، كما يبدو ذلك جليا عند تفسيره لآيات الجهاد في القرآن الكريم وتوهينه من فرض القتال على المسلمين والتفليل من شأنه ، تحت ستار التعاون العالمي والتساعج الإنساني مما ترى نظائره في دعوى الجمعيات السرية أمثال الماسونية التي تهدف إلى القضاء على الإسلام ، وتفكيك العرى بين أبنائه متخفين وراء الأستار الكاذبة والشعارات المضللة .

ثم يذهب السيد احمد خان بعد ذلك كله - نتيجة لما سار عليه من المنهج الطبيعي في تفسير القرآن الكريم يذهب إلى القول بنفي المعجزات لأنها خوارق غير طبيعية ثم يخطو خطوة أخرى أشد وأنكى حين يقرر أن النبوة غاية إنسانية يصل إليها المرء بالرياضة النفسية والمجاهدة (١) ، ومعنى هذا نفي الوحي والتلقي عن السماء ، وقد كان السيد احمد خان بأرائه هذه مهدأ لظهور المذهب القادياني

[١] الفكر الإسلامي الحديث لـ دكتور محمد البهي

[١] الفكر الإسلامي الحديث لـ دكتور محمد البهي

## رسالة وجوابها

### بين الأستاذ الأكبر وصاحب العرفان

المرسل

أخي في الله تعالى ووالي فيه عز وجل : فضيلة  
الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شتوت شيخ  
الجامع الأزهر أيدك الله في مساعيك وسددك  
في مراميك .

والسلام عليك وعلى المتخلفين بأخلاقك ،  
المقتفين أثرك ، وعلى من حملهم على جلدتك المثل ،  
ونجحت لهم سبيلك المستقيم ، وعلى من قاموا معك  
أوقفت معهم في مهمة التقريب بين المذاهب  
الإسلامية ، تقسرون شرفات الشرف ،  
وتقولون في معارج العز ، فتنون في الإسلام  
خطط البصاة والسلام على أسس سيد الأنام  
وخاتم الرسل الكرام عليه وعلى آله أفضل  
الصلاة والسلام . فما أكرم مقامكم عند الله  
تعالى وما أشرف متقلبكم إليه .

أشهد أنكم نصحتم بهذا لله تعالى ولكتابيه  
عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم  
ولأئمة المسلمين ولعلمائهم . وإن الدين بكنهه  
وحقيقته يتمثل في هذا النصع .

لقد عشقت الأذن ثم تبعها العقل والقلب  
لما سمعناه وقرأناه لكم وعلمكم : علم غزير

وفصل عميم : ولذلك كان سرورنا عطيا حينما  
أسندت لكم مشيخة الأزهر ، فقال القوس باريها  
وأعطيت المسئولية إلى ابن جعدتها ، والذي  
يعرف بإخلاص كيف يتحمل عبثها وما هي  
المقدمات المحسنة تدل على النتائج الباهرة ،  
حين قرأنا تصريحكم لجريدة الشعب المصرية  
قلنا : شفقة أعرفها من أخزم . وهذا من  
فضل ربى ، فأنا باسم علماء الشيعة جميعا في  
لبنان وسورية والعراق وإيران ... الخ أهد  
يدي معاصفا وأفتح قلبي وصدرى داعيا  
ومؤيدا ، وأعدكم أن أعمل في مجلتي وبنفوذى  
الدينى والديوى للوصول بكافة الطرق إلى  
ما تصبو إليه نفسك ونفسنا من العودة  
بالمسلمين جميعا إلى جوهر الدين وتعاليمه  
السامية ، إلى كتاب الله وسنة رسوله لا فرق  
بين سنى وشيعة . وأن نعمل معا على النصع  
والإرشاد لنعود بالغلاة والمتخلفين إلى الخطيرة  
الإسلامية الصحيحة .

ما أجل كنسكم في فضيلة السنة والشيعة :  
عرقم - متع الله يعرفكم وهوادفكم - مذهب  
الإمامية بكنهه ، وأدركتموه بكل حواسكم ،  
فلم تأخذكم لومة لائم في الاعتراف به ، لا في

صاحب العرفان :

سلام الله عليكم ورحته وبركاته - أما بعد :  
فقد تلقيت بمريد القبة والارتياح كتابكم  
الذي ضمنتموه اغتباطكم بإسناد مشيخة  
الأزهر إلى ، وشهادتكم لي بأني من الناصحين  
لله عز وجل ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه  
 وآله وسلم ، ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وذكركم  
ما كنن من تأييدي لوحدة المسلمين على كتاب  
ربهم وسنة نبيهم ، لا فرق بين سني وإمامي  
وزيدي .

وإني أيها الأخ الجليل لأحمد الله تعالى على  
ما أولاني من نعمته ، وأسأله التوفيق  
لما يرضيه ، وأن يجعلني أهلاً لما ظنتم بي من  
الغن الحسن ، فإن المرء مسئول عما استتراه  
الله ، رهين بالنصح لله وأداء أماناته ، كما أشكر  
لكم هذا الروح الكريم الذي استقبلتم به أمري ،  
وهذه الثقة العالية التي قوتم بها قلبي وأدعو  
الله تعالى أن يجزىكم عن الأخوة والوفاء  
والمؤازرة على الحق موفور الجزاء .

إن المسلمين يا أخي قد استناموا في كثير  
من حقب تاريخهم إلى سوء حالهم النائم عن  
فرقتهم وتقطع الروابط بينهم ، والاستجابة  
إلى نداء عدوم المآكر المترص بهم ، وقد  
طال عليهم الأمد في ذلك حتى ضعفوا  
واستكانوا وظنوا أنهم قد أحيط بهم ، لولا  
أن فيض الله لأمة الإسلام في كل شعب قادة

تحريره وتقريره ولا في إقامة الدليل على العمل  
به كغيره من مذاهب الجمهور . ولعل الله  
يهدي بك هؤلاء المرجفين الذين يحملوننا من  
أوزار الفلاة الكفرة ما يعلم الله عز وجل  
أنا براء بما يأفكون . وعسى أن يكون ما قد  
رأيتموه من عملكم الإيجابي بتدريس فقه  
الإمامية بالأزهر الشريف سدا لهذه الفجوة  
التي اصطفتها الأوامم وإنهاء لهذه الجفوة  
التي خلفتها الأهواء .

وفي الختام ترجو أن ترسلوا رسمكم الكريم  
لذين به صدر العرفان مع تاريخ حياتكم  
وكلمة موجهة إلى المسلمين جميعاً من سنة  
وشبعة في أقطار الأرض بواسطة مجلة العرفان  
المنتشرة في جميع أنحاء العالم ، تدعوم فيها إلى  
الوحدة والتآلف وإلى كلمة سواء .

والسلام عليكم طليعة الأمة وحملة مشعلها  
وعلى جماعتها وقائد ثورتها ، وعلى المجاهدين  
بين يديه وعلى من تهوى قلوبهم إليه ورحمة  
الله وبركاته .

المحب المخلص

أحمد عارف الزين

صاحب العرفان

الجواب

إلى السيد الأخ المجاهد في سبيل الله بعمله  
وقله وحيد سعيه : الشيخ أحمد عارف الزين

الموقف الذي أقرأتمونا السلام عليه في كتابكم: جمال عبد الناصر.

إن قيام جمال عبد الناصر في الأمة إنما هو فرصة سانحة يجب أن تنتهز لمصلحة الإسلام، ولمصلحة الأوطان الإسلامية، ولمصلحة الشعوب التي تؤمن بالقرآن وبخاتم النبيين، إن هذه المصالح كلها تلتصق الآن في مبدأ واحد يجب أن يرسخ في القلوب هو الائتلاف ونيل الخلاف.

فنادبه يا أخى في صيفتك، واجهر بدعوتك، وقل لإخواننا وإخوانك من المسلمين في أى شعب كانوا، ومن أى مذهب كانوا: إننا جميعا مسلمون، كلنا سنة، لأننا جميعا نأخذ بالسنة، وكلنا شيعة لأننا ندين بحب آل البيت حبا منبثقا من حبنا لرأس هذا البيت، وإن الله يتأدبنا جميعا فيقول: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون»، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون». والسلام عليكم ورحمة الله.

محمد شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

مصلحين ودعاة راشدين - شهد الله أنك يا صاحب العرفان منهم - فكانوا يصرونهم بعاقبة أمرهم، ويدعونهم إلى إصلاح ذات بينهم، وإلى الوقوف صفوا واحدا أمام أعدائهم المهاجرين بلادهم ولثة أفتهم ولديهم، وشاء الله تعالى أن تنبعث فيهم جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية، تلك الجماعة التي عرفت كيف تشخص داء المسلمين، وكيف تصف لهم الدواء، فكنت والحمد لله من مؤسسيها الأوابين، ووجهت معها ندامها الأعظم المستمد من كتاب رب العالمين، إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون، فاستمع إليسه الشيعي والسني واستجاب له العربي والعجمي، تبادل العلماء في كل شعب رسائل العلم، ورسائل الدين يبحثونها في ظل من الأخوة الإسلامية التي أثبتها الله في كتابه للؤمنين، لا يهدفون إلا إلى الحق ولا يريدون إلا الوصول إلى حكم الله الذي هم به جميعا مؤمنون، لم يعد يقام للمصيبة وزن، ولا يحسب للشقاق المذهبي حساب.

إن الله تعالى قد أذن لهذه الدعوة المباركة أن تسرى في المسلمين، وجعل مسراها في عهد مبارك هو عهد الرجل الذي ضرب مثلا عمليا مصدقا لما يستبشر به المسلمون دائما، من أن أمة محمد ما تزال بخير؛ ذلكم هو الرئيس

# مَا يَقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

## دَعْوَةُ الْمَنَارَةِ

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرض تحليل لكتاب (دعوة  
المنارة) لمؤلفه د. كيث كراج.

كما يقتضيه تقدم الزمن في مناهج الكتابة  
ودواعي المعرفة والاطلاع .

فالمؤلفون الأسبقون كانوا يؤلفون كتبهم  
وهم ينظرون إلى الفتح والغلبة ، ويطمحون  
في إقناع الشرق والغرب معا بضرورات الفتح  
والغلبة من وجهة السياسة ووجهة الثقافة  
على سواء ، وليس هذا الملمع من مطامع  
كتاب الغرب اليوم ، فإنهم يعلنون أن إخضاع  
الأمم الإسلامية في هذا العصر لسلطان الحكم  
الأجنبي مطلب عسير كثير التكاليف قليل  
الأمل في البقاء ، وغاية ما ينظرون إليه  
أن يلتمسوا الأسباب إلى كسب المودة وتقريب  
مقاصد السياسة ومقاصد الثقافة إلى هذا  
الجانب أو ذاك من جواب الدعوات  
العالمية .

كذلك كان المؤلفون الأسبقون يهجمون

كتاب جديد من الكتب الكثيرة التي  
تصدرها مطابع الغرب في هذه السنوات  
عن الإسلام والام الإسلامية ، وعما يتصل  
بها من المسائل العالمية ، ولا سيما مسائل  
العقائد ومذاهب الاجتماع .

وقد كثرت هذه الكتب في الربع الثاني  
من القرن العشرين كثرة لم يسبق لها مثيل  
في غير أيام الاستشراق الأولى ، وهي الأيام  
التي انفتحت فيها جهود الباحثين في اللغة والدين ،  
وجهود المبشرين ، وجهود العناية الاستعمارية  
على غاية واحدة ، وهي الغلبة على بلاد  
الإسلام .

ولكن حركة التأليف الحديثة عن الأمم  
الإسلامية تخالف الحركة الأولى ، في عدة أمور  
تقتضيها أحوال الزمن ، وتغير العلاقة بين الأمم  
الإسلامية ودول العالم الغربي بشطريه ،

أقل الكتب غلطا في النقل والرواية ، كانه لا يستند عقيدة الإسلام بطبيعة الحال ، ولكنه يحاول أن يفهمها أحسن ما يستطيع هذه المحاولة رجل يدين بدين آخر ، وينشأ في غير البيئة الإسلامية ولا يشعر بشعور أهلها ، وكثيراً ما يجتهد في تصوير هذا الشعور من الناحية الموضوعية ، كما يقولون في مصطلحاتهم ، ثم يشفع ذلك بشرح الخلاف بين الآراء والميول حسب الخلاف بين الأديان والأوطان .

واسم الكتاب يدل عليه في جملة ، فهو يسميه دعوة المنارة The Call of the minaret ويعني بها منارة المسجد ، ويتوخي في فصوله أن يجعل دعوة الأذان أساساً لدعوة الإسلام ؛ لأنها هي الدعوة التامة إلى هذا الدين ، منوعاً ما إجمالاً لم يخرج بالتفصيل عن غايتها وأما دعا .

فالأذان - أو نداء المنارة - يقوم على الشهادة بالتوحيد واثباته بنوة محمد عليه السلام ، والدعوة إلى الصلاة ، والدعوة إلى الملاح ، ومحيط بما اشتملت عليه هذه الكلمة من الفرائض والسنن والآداب ، فلا يستوفيا المسلم الصادق إلا كان مستوفياً لكل ما يندبه الإسلام إليه .

وقد جعل كل فقرة من فقرات الأذان عنواناً لفصل من فصول الكتاب ، وأثبت

على تشويه الحقائق وهم في أمان من التكذيب ؛ لأنهم كانوا يكتبون عن بلاد يعلمون أن العارفين بها قليلون ، وأن أصوات ألسنتها لا تعبر حدودها إلى ما وراءها ، وكانوا يفهمون أن قراءهم يسيغون الأعاجيب والتناقض التي يفرقون في خفيها أو الجالفة فيها ، بل كانوا يفهمون أن قراءهم ينتظرون من كل كاتب عن الشرق أن يزودهم بأكبر زاد من غرائب ألف ليلة وليلة وأسرار الكشوف المجهولة على فهار تلك الأسرار التي تعودوها من كتاب الرحلات في القرون الوسطى .

أما قراء القرن العشرين فهم يتطلعون إلى زاد من أخبار الشرق غير ذلك الزاد العتيق ، ولا يأمن الكاتبون لهم إذا هم بالغوا في الإغراب والتلفيق أن يأتيهم بمسهم - أو معهم - كاتبون آخرون ينتظرون ما أبرموا ، وينكتون ما لعقوا ويكشفون القناع عما وراء تلك المبالغات من الوقائع والأخبار .

فالخلاف الغربي اليوم حريص على سمعة الدقة العلمية والملاحظة الصادقة ، ويعمل له في هذا الحرص أن مناهج البحث قد تقدمت مع الزمن ، فعمل الكاتب باختياره وبغير اختياره أن يتجنب الشطط ، ويتلمس التشويق من باب غير باب الاقراء والتزويق .

والكتاب الذي بين أيدينا الآن ، من



القوامة، فالمسلم يعني حين يصف الإله بالقيوم أنه مستغنى بذاته عن كل ما جده ، وأنه قائم أبداً بتدبير الخلق ، وأنه قوام جميع الكائنات . وإذا أجاز المسلم لنفسه أن يصف الخالق بأسماء يوصف بها المخلوق ، فالمعنى مختلف . لغةً وهما . في الحالتين ، فالإنسان الشكور هو العارف بنعمة الله عليه ، والله شكور لأنه يحمد للإنسان هذه المعرفة ويعلمها ، ويكون العبد مؤمناً لأنه يوقن بالله ، ويكون الإله المعبود مؤمناً لأنه حقيق بالإيمان ، وكل ما وصف به الإله في الدين الإسلامي من أسماء المطلق ينق المشاركة ولكنه لا ينق نعمة المخلوق وعمله الذي ينط به الثواب والعقاب .

وأما الصفات التي تدم في الإنسان ومحمد في الإله كالجبروت والكبرياء فإنما تنم في المخلوق لأنها مجاوزة لحدود محمد في الإله لأنها في حدودها ترد من مجاوزها ، وقد تتقابل الصفات الإلهية فيسمى الإله بالأول والآخر والظاهر والباطن للإحاطة بالسكال الذي لا تحيط به الحدود . قال : « وربما أجملت صفات التوحيد الأولى كلمة الرب التي كان النبي عليه السلام يرددها في صفاته الكبرى ،

• • •

ويلغ المؤلف بالتحفظ أشده حين يعرض للكلام على محمد صلوات الله عليه في شهادة

الكلمة العربية إلى جوار الكلمة الإنجليزية ، وألم بالمعاني المتمدة لها عند تعدد هذه المعاني أو تعدد أقوال المفسرين في شرحها ، ومن الأمثلة على طريقتيه في هذا الشرح كلامه على شهادة أن « لا إله إلا الله » وهو فاتحة الفصول .

قال بعد الإشارة إلى ما يقابل كلمة « إله » في اللغات السامية : إن « الله » و « الإله » في اللغة العربية نفيك أن معنى الإله الواحد الذي لا إله غيره ، وله « سبحانه وتعالى » صفات يسميها بالصفات الجلية ترجمة للصفات الحسنى ، يؤمن بها المسلم ليستوفي معاني السكال الإلهي في اعتقاده .

ومن أمثلة اجتهاد المؤلف في دراسة هذه المعاني أنه يشير إلى رأى بعض الغربيين في تكرار وصف الرحمة في البسمة فيقول إن التكرار هنا لا غنى عنه ؛ لأن « الرحمن » أقرب إلى أن تكون اسماً من الرحمة وأن الرحيم أقرب إلى أن تكون صفة مشتقة من مادة الكلمة نفسها ، ثم يقابل ذلك في اللغة الإنجليزية بما يفيد معنى « خالق الرحمة الرحيم » أو معطى الرحمة الرحيم ، وليس بعد شهادة التوحيد كلمة أجرى على ألسنة المسلمين من البسمة التي يستحب بها كل افتتاح .

ومن معاني « القيوم » التي نقلها المؤلف معنى الاكتفاء بالذات « ومعنى القيام ، ومعنى

على كتب اليهود والنصارى ، وأقتباسه منها ما كان يعلمه من عقائد الديانتين ، ويستصنف كل قول يرد لعقائد الإسلامية إلى هذا الاطلاع إلا أن المؤلف قد التبس عليه الأمر فيما نحسب فوهم أن حكم القرآن الكريم في مسألة صلب السيد المسيح مطابق لعقيدة «المعرفين» المشهورين بين أصحاب المذاهب المسيحية الأولى باسم الطاهريين Docetists ؛ لأن إنكارهؤلاء لصلب السيد المسيح قائم على اعتقادهم أن الروح الإلهي لا يحل في جسد من أجساد المادة ، وأن الجسد الذي تراءى به السيد المسيح للناس منذ ولادته كان «غليفاً نورانياً» يشبه الأجساد الآدمية في الصورة وبخالفها كل المخالفة في التركيب ، وكل ما عاينه الناس من صورة السيد المسيح منذ ولادته لم يكن هو كيان المسيح حقاً وإنما كان مثالا منظوراً بالعين الحقيقية روحانية لا تراها العيون ، وذلك هو معنى التشبيه عند المعرفين Gnostics المشهورين باسم الطاهريين ، وليس هو - كما يعلم المسلمون - بمعنى التشبيه الذي ورد في الآية : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » ؛ لأن الطاهريين لا يتفقون حصول الصلب للسيد المسيح نفسه ، وإنما ينفون أن الصلب أصاب جسداً محييطاً كالأجساد المادية الإنسانية التي يحيا بها الناس وعامة الأحياء .

و أن محمداً رسول الله ، فيشير غير مرة إلى تأكيد الإسلام « لبشرية » النبوة واشتغال وصف « الإنسان » للنبي ولسائر الأنبياء ، ولكن المسلم يرتفع بفضائل نبيه إلى الذروة العليا من الكمال الإنساني والغاية التي لا تعلوها غاية من مراتب التزيه التي تدركها المخلوقات ، ويتعري المؤلف في هذا الفصل أن يسند الصفات النبوية إلى كتاب السيرة من المسلمين الأقدمين والمحدثين ، ومنهم من كتب عنها في هذا العصر من الهنود والمصريين .

ويبدو تحفظ المؤلف في نقل أخبار النبي من تعليقه على آية النجوى من سورة المجادلة حيث أمر المسلمون الذين يناجونه عليه السلام ، أن يقدموا بين يديهم صمغاً يسر لهم ؛ فإن المؤلف لا يجعل هذه الصمغة - كما جعلها بعض المترجمين للقرآن الكريم - رسماً مفروضاً على إتمام الرسول - بل يقول في التعميق عليها : « إن لقاء النبي كان ميسوراً في كل آونة ، ولكن في الأيام الأخيرة قد كثر منغلط شواظله واتسع مجال توقيفه فكان من المستحب أن يمدد لقائه بعمل من أعمال الإحسان » .

ويورد المؤلف مختلف الأقوال في أممية الرسول فيذكر منها أنه لم يكن يكتب ، كما يذكر منها أنه بمك إلى أمة غير ذات كتاب ، وينقذ ما زعمه أناس من المبشرين عن اطلاعه

ولكن الصدقة اختيارية والزكاة قاعنة من قواعد البناء الاجتماعي في الإسلام ، وقد ظهرت في المجتمع الإسلامي بمكة قبل الهجرة فذكرتها السور المكية ووصفتها .

قال : « ونضع المصطلحات جانباً فنقول : إن الزكاة مفهومة بين دعاة الإسلام في العصر الحاضر على أنها أساس فلسفة عامة تقوم على التبعة الاجتماعية ، وأنها هي الشاهد الروحاني على الواجب الذي تنطوي عليه الملكية ، وكلما شرعت الحكومات العصرية في التمرير بين الناس ، أو تقرب المساواة الاقتصادية بينهم بفرض الضرائب التصاعدية ، وتقرير إعانات المقراء وما إليها ، كانت هذه المشروعات بمثابة تطبيق للفكرة التي تدل عليها فريضة الزكاة ، ويعلم المزمع أنه بعد أداء هذه الإعانات مطالب بأداء الزكاة ولكنه يقتبط بـسريان النظام وإحاطته بمبادئ

الضريبة ، ودلالته على شعور الدولة بأثة الفاقة . وإن هذه السمة الثالثة من دعائم الدين الإسلامي تعتبر من الناحية الإسلامية علاجاً لشرور الرأسمالية وشرور الشيوعية في وقت واحد ، إذ هي تكفب أذى رأس المال وتجعل الشيوعية خطة لا ضرورة لها .

ويلج المؤلف في فصوله على فكرة واحدة يعود إليها بعد كل استطراد من مبحث إلى مبحث ، وبعد كل مقارنة بين عقيدة وعقيدة

ونظن أن اليسر إنما سبق إلى ذهن المؤلف من ترادف كلمة الفقه في الآية وفي فلسفة المحرفين الظاهريين .

\*\*\*

ويفرق المؤلف بين معنى الملاح المقصود في دعوة الأذان وبين معنى « الخلاص » الذي يدين به المسيحيون ، فإنه يعلم أن المسلم لا يعتقد الخلاص المرهون بعمل غيره ، وأن الخلاص في اعتقاده ، إنما يكون بعمله وتكفيره عن ذنوبه ، ولكن « الفلاح » كلمة قد تجمع النجاة وحسن الحال والخير واليسر والعقيدة الصالحة ، ولا يراد بها التكفير عن الخطيئة بل ترادفها السعادة الروحية والاجتماعية ، أو سعادة الإنسان فيما بينه وبين ضميره ، وسعادته فيما بينه وبين أهله وقومه .

ويفيض المؤلف في بيان « الفلاح الاجتماعي » كما تطلبه العقيدة الإسلامية وكما تؤديه فرائضها وأحكامها ، فيقول : « إن حياة الملك لا تعتبر حياة زكية ، مطهرة إذا كان قوامها مجرد التحصيل دون التزام بواجب من الواجبات ، ويستخلم القرآن كلمة أخرى للزكاة ، هي كلمة الصدقة التي تكاد ترادف الزكاة في المعنى مع ما تقيده من الصدق والصدقة ، أو من الاستقامة والمودة ،

ومن جانب الإلحاح على هذه العكرة يتطرق إلى كتاب « دعوة المثارة » كل خطأ يصرفه عن فهم الروحانية الإسلامية على أصفاها وأكملها ، وليس المطلوب منه - وهو على دينه - أن يلغى عقيدته ليؤثر عليها عقيدة دين سواها ، ولكنه مطالب كيفما كان اعتقاده بأن ينظر إلى الكلمات - على الأقل - بحروفها ومدلولها الواضح ولا عليه من أسرارها وخفاياها ، وهذا ما صنعه في معظم مباحث الكتاب حيث يطلع على المصادر الإسلامية ويبحث في فهمها وتجربتها من شبهات المتقولين عليها ، فإذا هو استطرد ناحية إلى شيء يحوم حول فكرة الخلاص والفلاح ، فهناك تلصق وكأنه يضع كفيه على بصره ؛ لكي لا يرى الحقيقة من جانبيها ، ولهذا تخلل كلامه عن « الخدمة العامة » بالإشارة نحو الإشارة إلى « فراغ » في العالم الإسلامي ينتظر أن يملأه التعلم والإرشاد ولو من غير موارده ، وكأنه يظن أن العالم الإسلامي لا يملأ ذلك الفراغ بمزيد من الجهد والعناية أو بمزيد من القدرة والوسيلة ، وإنما يمتلئ ذلك الفراغ بمعدن من العارفين المقتدرين الذين يحسنون القيام عليه في غير مساواة أو عدوان ، بل مع العطف والمودة والإنصاف .

وليس في العالم الإسلامي من يأبى علما

في الديانتين الإسلامية والمسيحية ، وتلك هي فكرة التفرقة بين الإسلام والمسيحية في عقيدة الخلاص وعقيدة الفلاح ، ووجهته في هذه التفرقة بين مضامين كلامه وبين أمثاله الصريحة أن عقيدة الخلاص تشتمل على ناحية روحانية لم تشتمل عليها عقيدة الفلاح وأبعد ما يكون الفارق بينهما في أمر الخطيئة والفداء وارتباطهما بضمير بنى آدم وحواء . وقد عرّض في صدد هذه المقابلات لكتابنا « عبثية المسيح » فقال إن مؤلف عبثية المسيح يقرر « أنه لا يوجد سند تاريخي بمسؤول عليه بعد حادث اعتقال السيد المسيح ، ويخطئ مسألة الصلب ومسألة الصعود من الأموات ، ثم يمزو انتشار المسيحية إلى غير التلاميذ وموافقة رسالتهم لأحوال العالم في تلك الحقبة . ومع أن الكتاب مفرغ في قالب النهاية يلوح منه أنه يدل على رغبة خالصة مشبعة بالتوقير في إدراك حقيقة المسيح في نطاق الإسلام ، فهو تفسير للإنجيل بغير استرسال إلى القمة التي تنتهي عندها التعاليم إلى غايتها وتولد منها البشارة التي قامت عليها الكنيسة ، فهو شهادة لا تزال مع ذلك تهتف بالانزول من الصليب ، وهي على ما تدل عليه من استعداد حسن مقياس لمسافة البعد بين كثيرين من المسلمين - حتى أصحاب النية الطيبة منهم - وبين المسيح الذي يدين به المسيحيون » .

الغربي من وجهة النظر التي طالما أعرض عنها منذ قرون ، ويخطر لنا ذلك كلما اطلعنا على دراسة للإسلام يتحرج كاتبها من حملات الاقتراء والتلفيق التي كانت إلى سنوات قليلة مقبولة ، بل مطلوبة عند الأكثر من قراء الغرب المثقفين وغير المثقفين ، فإن الأذن التي تأنف من قبول الطعن وتنفر من الطاعن وشيكة أن تفتح للقول الحسن ، وأن تفتح من بعده للقول المقنع والدليل المبين .

\*\*\*

وبعد : فقد آن في ختام هذا التلخيص السريع لدعوة المئارة أن نلخص القول من مؤلفه في بضعة سطور .

مؤلف هذا الكتاب الدكتور كنيث كراج Kenneth Cragg الذي كان أستاذا للفلسفة بجامعة بيروت ، ثم عمل أستاذا للغة العربية والإسلاميات ، مؤسسة هارفورد منذ سنة ١٩٥١ ، وقد ألف كتابه هذا بعد سياحات متتابعة في الشرق الأدنى ، وتولى تحرير المجلة التي تصدر في بيت المقدس باسم العالم الإسلامي ، ونما في تحريرها مثل هذا المنحى الذي نراه في كتاب دعوة المئارة ، جاسما للتحفظ والمحافظة ؟

من العلوم يتنفع به أحد من أبناء الأمم الإنسانية ، وليس في الدين الإسلامي ما يصد عن معرفة يفتح لها العقل والضمير .

فإذا قصرت جهود المسلمين عن نشر المعرفة كما ينبغي أن تنشر فإنما هو قصور الوسيلة وليس هو بقصور العقل الإسلامي عن الإيمان بأسرار خلاص الروح وهداية الضمير ، فليس لضمير الإنسان مرتقى للهداية والخلص أرفع من المرتقى الذي يفتحه له دين ينوط خلاص الإنسان بعمله ، وينهض بأمانته وتبعته ، ولا يسوى في بلوغ الخلاص بين من يعمل ومن لا يعمل ، أو بين من يسعى إليه بفداء الجسد والروح ومن يتلقاه منحة تساق إليه .

ولقد خطر لصاحب دعوة المئارة ، أن الألوان قد آن لتقريب العالم الإسلامي من وجهة نظره ، وخطر له ذلك ؛ لأن المسلمين في هذا العصر يبحثون وينظرون ولا يمرضون من دراسة الكتب الغربية التي كانوا فيما مضى يتمردون من فتح صفحاتها إلى زمن قريب . ويحق لنا نحن - من الوجهة الإسلامية - أن نقول : نعم قد آن الألوان لتقريب العالم

## ملخص عن الاسلام والمسيحية بين الشرق والغرب

وخل الرخم من هذه الاسئلة الواضحة  
فالكاتب لا يجيب عنها إجابات واضحة ، وإن  
كان يقرر أن الدافع وراء التطورات الأخيرة  
المتعددة الجوانب في آسيا الصغرى وإفريقيا  
الشمالية هو الإسلام ، الذي يمتد بثبات من  
جاكرتا إلى الدار البيضاء ويكثر أنصاره كل  
يوم . ثم ذكر أهمية التعايش بين الإسلام  
والمسيحية ، وأشار إلى المهمة الضخمة التي يجب  
أن تضطلع بها المسيحية الأوروبية ، وإلى  
أن جانباً من العالم الإسلامي - كاندونيسيا -  
يشعر بفضيل الغرب عليه . وقرر الكاتب  
أن الإسلام هو دين التوحيد الوحيد الذي  
يستطيع في القرن العشرين أن يحصل شعوباً  
بأسرها تدين به ، وقال إن هذه ظاهرة تدعو  
الأوروبيين إلى التفكير .

وقد حذر الكاتب من تهوين شأن الإسلام  
وحضارته ، وإيجابته مع الحياة وقرر أن  
الإسلام أكثر الأديان استقلالاً وإبداعاً  
في قانون الشعوب ، وأنه لا يسمح لغير المسلم  
بالسيادة على أرض إسلامية وأن ذلك هو سر  
النزاع الإسرائيلي . ثم دعا الغرب إلى إعادة  
( البقية في صفحة ٩٢٠ )

نشرت صحيفة سالزبرجر ناخريختن وهي  
من أوسع الصحف النمساوية انتشاراً  
وأكثرها اتزاناً في الرأي ، مقالاً عن  
الإسلام وهل ينتمي إلى الشرق أم الغرب ،  
والمقال في أصله كان بحثاً قانونياً لأحد كبار  
رجال القضاء النمساوي نشر في المجلة القضائية  
ثم حوره صحفي مشهور ووضع له بعض  
العناوين الفرعية وصاغ منه مادة صحفية جذابة .  
وقد مهد الصحفي للبحث بقوله إن آسيا  
الصغرى وإفريقيا الشمالية لا نتميان إلى  
الشرق ، وإنما هما مهد الحضارة الأوروبية  
وأن عالم هذه المنطقة أخذ يصحو وإن كان  
أحد لا يعرف إلى أين سينتهج هذا العالم .  
ثم تساءل الكاتب :

- ١ - هل يتجه العالم نحو تكتل أوروبا  
 وإفريقيا ، أم نحو تكتل إفريقيا وآسيا .
- ٢ - هل المسيحية والإسلام متجهان  
 إلى التعاون كقوة روحية هائلة ، أم إلى الصراع  
 الذي سينجم عنه الضعف بعد ذلك ؟
- ٣ - أيهما أكثر رجحاً المسيحية  
 أم الإسلام ؟

مَحَنَّا مِنْ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

# وَقَالَتْ أَجِرْنِي !

لِلأَسَازِ مَجُودِ حَسَنِ اسْمَاعِيلِ

وَقَالَتْ : أَجِرْنِي أَفْقَلْتُ : اخْشَى

فَنُ غَيْرُ رَبِّ السَّمَاءِ الْمَجِيدِ !

لَعَامِيَتْ حَتَّى رَكِبْتُ الظَّلَامَ

عَلَى هَوْدِجٍ مِنْ ضَبَابِ الْغُرُودِ

بِجَنَاحِهِ مِنْ شَهَوَاتِ الْحَيَاةِ

وَمِنْ يَأْسِهَا فِي إِقْدَاءِ الْمَصِيدِ

مَوَى بِكَ فِي قَاعِ لَيْلٍ بِهِمٍ

تَدْوِينٍ فِيهِ يَخْطُو الضَّرِيرُ !

دَعْنِي .. فَالِي يَدِّي فِي أَسَاكِ !

وَلَا حَبْرَتْ فِي طَرِيقِ خُطَاكِ

وَلَا حَمْنِي فِي طَرِيقِ قَرَاكِ

تَسَكَّرْتُ .. حَتَّى وَهَى سَاعِدَاكَ

فَأَقْبَلْتَ نَادِيَةً تَسْتَجِيرُ ! !

...

تَسَكَّرْتُ فِيَّ ، وَصَوَّرْتَنِي

لِوَجْهِ الْحَيَاةِ كَمَا تَشْتَهِي ..

فَنِي الرُّوضِ .. كُنْتُ نَدِيمَ الرَّبِّي

وَأَنْتِ الَّتِي بِالْشَدَى تَسْكُرِينَ !

تَقُولِينَ : هَذَا رِيحُ الْجَمَالِ !

فَاعْلَمَا .. وَأَنْتِ الَّتِي تَشْرَبِينَ !

وَأَسْرَى بِدَرْبِ الْحَيَاةِ الْعَمِيقِ

فَارْتَوْ .. وَأَنْتِ الَّتِي تَقْبُرِينَ

أُنَادَى .. وَالسَّيْرُ يَمْضِي صَدَاكَ  
وَأَشْدُو .. وَبِالسَّحْرِ يَحْطَى غِنَاكَ  
وَأَشَقَّ وَمَا كَانَ إِلَّا شَقَاكَ  
وَأَدْعُو .. وَمَا كَانَ إِلَّا دُعَاكَ  
يَدَايَ إِلَى اللَّهِ مَبْسُوطَةً

وَأَنْتِ الَّتِي طَلِمَا تَضْرَعِينَ ۱ ۱  
لِبَشْتٍ فِي الشَّبَعِ الْمُسْتَعَارِ

وَذَوْبَتِي بَيْنَ ذَوْرِ الْحَيَاةِ  
أُصَلِّي فَأَسْمَعُ فَحَ الذُّنُوبِ

عَلَى شَفَنِكَ يُسَلِّي الْعُصَا  
وَأَبْكِي بِدَمْعِكَ لَكْتُي

أَرَى لَكَ سُرْبَةً مِنْ أَسَاهِ

تَلْتَمِسُ بِي فِي مُدَوِّهِ الظَّلَامِ

وَفِي الْمَوَلِ الْقَيِّمِي فِي دُجَاهِ

وَجِئْتَ تُتَادِيْنَ غَوْثَ الْهَلَكَ

وَمَنْ؟ مِنَ الْمَشْتَكِي مِنْ لَفَاكَ؟

وَمِنْ غَدَا رُزُوهُ مِنْ نِدَاكَ

وَمِنْ غَدَا دَعْوَةٌ فِي سَمَاكَ ..  
مَضِيْعَةٌ أَرْجَعْتَهَا الْغُيُوبُ  
إِلَى صَدْرِهَا مِنْ طَرِيقِ الْإِلَهِ ۱

\*\*\*

دَخَلْتَ بِي الْحُلَا فِي مَرَّةٍ ..  
وَكُنْتَ أَنْجَاهِي إِلَى الْمَعْبَدِ

وَكُنْتَ صَلَاتِي قَبْلَ الصَّلَاةِ

مِزَامِيرَ عَلَوِيَّةِ الْمَسُودِ

نَخَطَفْتَهَا مِنْ دَمِي لِلرَّحِيقِ

وَقُلْتَ لِي: الْيَوْمَ قَبْلَ الْغَدِ ۱

إِذَا كُنْتَ لِنُورِ صَبَّ الْحَسَانِ

فَقَرَّبَ شَفَاهَكَ مِنْ مَوْقَدِي ..

وَقَرَّبْتُ .. حَتَّى مَلَوَانِي هَوَاكَ

وَذَوْبَتِي قَطْرَةً فِي صَفَاكَ

وَلَمَّا انْتَهَى السَّرُّ .. طَارَتْ خُطَاكَ

وَأَوَّمَتْ بِنُورِ بَعِيدِ عَصَاكَ

فَوَلَّيْتُ وَجْهِي إِلَى شِرْهِ

كَأَنِّي مَصَلٍّ بِلَا مَسْجِدٍ ۱ ۱

\*\*\*



فَلَا حَتَّ لِقَلْبِي سُفُوحٌ وَضَاءٌ	وَأَوْمَاتُ شَوْقًا لِعَلِّي أَرَاكَ
وَرَوْضٌ عَرَفَاءُ مِنْذُ الْأَزَلِّ	لَعَلِّي أَرَى شَافِعًا مِنْ لِقَاكَ
أَزَاهِيرُهُ مُؤَمَّنَاتُ أَنْبِيرِ	لَعَلِّي .. بِقَبْصَةِ نُورٍ يَدَاكَ
وَأَطْيَارُهُ قَانَتَاتُ الرَّجُلِ	لُعْنِي أَلْسِيلُ ! أَفَصَلَّتْ سَمَاكَ ..
وَأَنْهَارُهُ مِنْ ضَعْفِ الْمَتَابِ	وَتَخَلَّفَنِي فِي الْفَلَاحِ أَنْتَجِيرُ ..
تَحْدَرْنَ بِالنِّدَمِ الْمُشْتَعِلِ	وَأَذْمَعْتَ بَيْنَ رَيْبٍ وَظِلِّ ١١
فَأَلْقَيْتُ عُمْرِي بِأَعْيَابِهِ	
وَنَادَيْتُ حَتَّى تَلَاشَى الْأَمَلُ ..	محمود حسن إسماعيل

## أنا شعبٌ عرني

للأستاذ إبراهيم محمد نجما

ليس في الإمكان أن أفلح إلا ما أريد  
 ليس في الإمكان أن أحيى كما يحيا العبد  
 فأنا لا أقبل الضيم ، ولا أرضى القيود  
 ويدي يسنو لها الصخر ، ويخشاها الحديد  
 وورائي مجد آهائي ، ولى مجدى الحديد  
 هكذا دانت لى الدنيا ... من الماضى البعيد

أنا عملاقٌ قد استيقظَ من نومٍ صيقٍ  
ورمى الأوهامَ والإطلامَ ، في الكهفِ السحيقِ  
وتجلى رائعَ الخطوة .. في رَحْبِ الطريقِ  
ملؤه عزمٌ فتي ، وبهيمه برقُ  
فاخشى يا أرضُ للسرِّ في سَطْرِ وثيقِ  
واخضى ياظلمةَ الأيامِ للفجرِ الطليقِ

\* \* \*

أنا قد رُزْتُ على الظلمِ ، وحطمتُ حصونه  
ثورة قامت لكي تنبئ للشرِّ عريسه  
ثورة لم تعرف الشرَّ . ولم تعرف جنونه  
وطردت الناصبَ المحتل .. من أرضِ المصونة  
وأقت العدلَ يقوى بالسماتِ للتيه  
ثم أقسمت بربي وبلادي أن أضوئه

\* \* \*

أبدا لن يملك المحتل أرضي ... أبدا  
أبدا لن تذهب آمالي وأعمالي سدى  
إني أبني لنفسي ولن يأتى كفدا  
علما لا يعرف البغضاء أو يلقى العدى  
والذى ييند جهدا ، سوف يبنى رَعدا

\* \* \*

إني أزرع أيايَ في أرضِ القويَّةِ  
ثم أدويها بما ينبع من هسى القتيَّةِ  
ذاقدا عنها أعاصيرَ البلادِ الأجنبية

نزعاً من بينها ما تعرس الأيدي الخفية  
ثم تفلو هذه الأيام أغراساً تحية  
يلتقي الحب لديها بسلام الشربة

\*\*\*

باركي يا حنتي الخضراء سعي وكفاحي  
باركي خطوي على الشوك رهيا كالزماح  
أنا لو أخرج من أجلك ، أشدو بهجراحي  
إنني أسهر إلى ديك في عصف الرياح  
ومنى شوق وإيماني وعزى وسلاحى  
إن يئم غبرى ، فإني في ظلام الليل صاح

\*\*\*

لست فرداً حينما تهف أعماق : أنا  
أنا شعب عربي يتحدى الزمانا  
قام بيني فوق هامات المال موطنا  
ودعا الجمد ، قلباه ، وحيا ، ودنا  
فسلاما يا رفاق ، وإخاء مملنا  
وسراعا يا عدائي ... إن أثبتتم أرضنا  
قد عرفتم مالدينا ، وشهدتم بأننا  
إن تكونوا وحدكم أنتم ، فلنا وحدنا  
معنا الحق ، وأسباب المال عندنا  
وستبقى الوحدة الكبرى ، وتبقى مجدنا  
فإذا خضنا لهيب الحرب ، فالتصر لنا

ابراهيم محمد نجا

# بريد المجلة

وقد قال صفوة الزناد بعد موت حافظ  
وشوق :

قالوا قضى الشعر بعد الشاعرين ولم  
يعمر بمثلها ميسدانه الخالي  
ونحن نقول - والاسف يملأ قلوبنا - لقد  
حرم الأزهر من شاعريه ، وخلا ميدانه من  
الشعراء الكبار ، وأصبح من أحر أمانينا  
أن نجد لها خلفا .

كان الشيخ عبد الجواد علما واسع الاطلاع ،  
ألمى الذهن ، بمتنهى ويالغ ، فاذا ورد

العالم الأديب المنى فقراءه :

منذ طامى طوى الموت عليا من أعلام  
الأزهر هو الشاعر المرحوم محمد الأسمر ، وفي  
هذا الشهر ( شهر رمضان المبارك ) مضى إلى  
جوار ربه طم من علماء الأزهر ، وأديب من  
صفوة أدبائه ، وشاعر رائع الديباجة ، يجترى  
الأسلوب ، هو أستاذنا المرحوم الشيخ عبد  
الجواد رمضان .

الشاعر المبدع والكاتب الممتد  
مع والأروع الأسمر

الإسلام بالنسبة لأديان التوحيد الأخرى ،  
وأن محمداً عليه الصلاة والسلام نهى عن  
إرغام موحد على اعتناق الإسلام ، وحى  
الأديرة المسيحية ، وكان ذلك غاية في النبيل  
اتباعها بعض الحكام المسلمين مثل السلطان  
سليمان وحلحله الدين .

وختم الكاتب مقالته بقوله : إن هذا كله يبين  
إلى أى مدى يستطيع المسيحيون الأوروبيون  
أن يؤثروا في الإسلام لكي يتحول بنفذه  
لصالح الغرب في معركة الشرق والغرب ؟

( نية المنشور في صفحة ٩١٤ )  
النظر في علاقة الأوروبيين بالمسلمين ، وخاصة  
في النواحي السياسية والقصائية التي لم تدرس  
بعناية حتى الآن . والتعرف على الآثار العظيمة  
التي خلفها العرب للحضارة ؛ لأن ذلك هو  
السبيل لإدراك قوة الكتلة العربية إدراكا  
صحيحا .

وبعد أن ذكر الكاتب أن الخليفة عمر بن  
الخطاب بذل جهده لإتقاذ مكتبة الإسكندرية  
بينما عمد الصايبيون إلى حرق ما تبقى منها - قال  
إن الأوروبيين يحاولون دائما إخفاء تسامح

### الكتب السماوية

أرسل إلينا الأستاذ السيد كامل أحمد حسين  
كتاباً يقول فيه :

تعددت الآيات بالقرآن المجيد في هدد من  
السور بالقول عن الكتب التي أنزلت على  
الرسل ويدعوننا الإسلام بالإيمان بها ونحن  
لا نعلم إلا الكتب التي أنزلت على موسى  
وعيسى وعمد صلوات الله وسلامه عليهم . فما  
هي الكتب التي أنزلت على إدريس وعلى نوح  
وعلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب  
والآسباط ودود وسليمان عليهم وعلى رسولنا  
أزكى الصلاة والسلام وأين نجد هذه الكتب ؟

والقرآن ينص على كتب أنزلت على  
هؤلاء . من ذكر الله وربما على غيرهم من لم  
يذكرهم الله ، غير أننا لا نعلم لا بالتاريخ ولا  
بالنقل عن السلف كنه هذه الكتب وبما أن  
الدين الإسلامي يدعونا أن تؤمن بها فوجب  
علينا معرفتها ، وقد بحث هذا إليكم رجاء  
توضيح هذا الأمر لنا أو السماح لأحد  
العلماء أن يكتب عنها وليبين لنا وخاصة أن  
كتب التفسير المتداولة يتناهم تخط شيئاً عنها .  
وبهذه المناسبة فهل كتب الديانات بالهند والصين  
واليابان وغيرها هي من بين هذه الكتب أو  
هي من بين الكتب التي لم يذكر الله أصحابها

عليه ما لم يعرف وقف عند حله ، ولم أره على  
كثرة ما قرأت له ، وطول ما سمعت منه ادعى  
رأياً ليس له ، أو تعرض لفكرة دون أن ينوه  
بصاحبها .

وكان كاتباً حسن الترسيل ، متخير الألفاظ ،  
معنياً أشد العناية بجزالة اللفظ ، وخشونة  
الكلمة ، وكان واضح الحجة ، قوى البيان ،  
هف اللسان .

وكان شاعراً ، أتيق الشعر ، نبيل العواطف  
مع خلق جميل ، وتواضع جم ، تمالسه ، أو  
تسايره ، أو ترأسه فلا يشعر أنه أستاذ كبير  
وربما كنت كأصغر أبنائه ، ولكنه يشعر  
أنك كما كبير أصدقائه .

ولم يكن يحرص على الشهرة ، لذلك لم يجمع  
منشأته في كتاب ، ولا شعره في ديوان .  
وقد لزم بيته في السنين الأخيرة يقرأ القرآن ،  
أو يطالع في كتب التفسير ، فإذا ذهبت إليه  
تزوره تلقاك بالبشر ، وغمرك بالأنس ،  
وجرى معك في شئون السياسة والأدب  
والعلم ، يطالملك بالرأى السديد ، والفهم  
الثاقب ، والنظر البعيد .

رحمه الله رحمة واسعة كفء ما قدم للإسلام  
والعلم والأدب وللأهر من جليل الخدمات .

على العمري

التوراة فيها هدى ونور ، وأوضح لنا أن التوراة أول كتاب أنزل ، وأنه كتاب موسى عليه السلام ، ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أمكننا القرون الأولى : بصائر للناس ، وهدى ورحمة لعلمهم يتذكرون ، وصرحت الآيات بأن التوراة ظلت كتابا يتوارثه الأنبياء المرسلون من بني إسرائيل ، يحكم بها النبيون ، الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله - التوراة - الآية ، ولم يذكر في جانب التوراة أنها جاءت مصدقة لما بين يديها كما ذكر في جانب غيرها بعد .

٢ - ثم بين القرآن أن الإنجيل كان الكتاب التالى للتوراة وقد أنزل على عيسى عليه السلام بعد أحقاب من إزال التوراة على موسى ، ثم قمينا على آثارهم برسنا ، وقمينا بعيسى بن مريم ، وآتينا الإنجيل ، وقمينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتينا الإنجيل ، فيه هدى ، ونور ، ومصدق لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للتقين ، ففى جملتين من هذه الآية يتكرر وصف الإنجيل بأنه مصدق لما بين يديه - يعنى لما سبقه من الكتب ويصرح فيها بأن ما سبقه هو التوراة .

٤ - ثم ذكر القرآن كتابا ثالثا أنزل على رسول الله داود عليه السلام ، وآتينا داود

من الرسل الذين لم يذكرهم الله ؟ نوجو بياننا شافيا تأييدا لما هو مطلوب منا بالإيمان بها والسلام عليكم ورحمة الله ؟

### ثامن - محمد عيسى

الجيرة - شارع الربيع الحيرى

وقد أجاب صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء عن سؤاله بقوله :

١ - للقرآن الكريم عناية مشهودة بذكر الكتب السماوية ، وبالنسوة إلى الإيمان بها عامة وتسجيل الكفر على من تشكك أو شكك غيره فيها أو فى بعضها ، وقد وصف الله الإيمان الحق فيما ذكره من مناقب الرسول والمؤمنين الصادقين بقوله تعالى .

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون : كل آمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله - الآية ، ووصفه بمثل ذلك فى حديث جبريل فى صورة إنسان ثم وجه إلى النبي أسئلة ، منها : وما الإيمان ؟ فقال النبي : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره الخ .

٢ - ومع أن القرآن حافل بالآيات فى ذكر هاتيك الكتب فإنه لم يذكر منها بالتفصيل غير ثلاثة : التوراة ، وإنا أنزلنا

وملائكته الخ وبين القرآن غافة، بل هي هي، أو الدين كله قائم على تلك الأصول، وكله إسلام فقط - إن الدين عند الله الإسلام - وتسمية الدين بأسماء غير هذا إنما هو من الناس بعد أن غيروا أو بدلوا، وتعصبوا، وتنازعوا، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم » ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه « فكلمة يهودية، أو نصرانية من قبيل التحزب، والانقسام.

وفي ذكر الكتب السماوية والدعوة إلى الإيمان بها تصديق للأنبياء والمرسلين من قبل « لا تفرق بين أحد من رسله ».

وكذلك في ذكرها، وفي التصديق بها نبذ لجهود منكريها، وترفع عن مجاراتهم فيما كانوا يهرفون به من قولهم « ما أنزل الله على بشر من شيء ».

هذا وليس بلام أن يكون لكل رسول كتاب كما نؤمن البعض، بل كانت دعوة الرسل الأولين مبنية على الوحي. ومستمدة منه، ومؤيدة بالمعجزات، فمن الناس من آمن واعتدى، ومنهم من ضل وغوى، وكانت لله ستة فيهم بمهلهم حيناً، ثم يأخذ كلا بذنبه، حتى تقدمت الإنسانية نوعاً، وتطورت الحياة شيئاً فشيئاً أذن الله سبحانه أن ينزل التوراة على عبده موسى كما سبق، الخ.

أما الكتب الأخرى التي يزعمونها كتب دين في بلاد الهند، أو الصين، أو سواما،

زبوراً، وكان كتاب داود - كما قال العلماء - كتاب تهذيب ووعظ، لا كتاب تشريع الأحكام، ولم يكن لرسول آخرين كما كانت التوراة، ولا كان ناسخاً لكتب سواه كما كان الإنجيل، ثم القرآن.

هـ - أما القرآن فهو كتاب محمد خاتم الأنبياء والرسل، وهو رابع الكتب السماوية وليس بعده أولاً غير هذه الأربعة كتب سماوية، ولو كانت لأذكرها القرآن غالباً، كما ذكر هذه الثلاثة.

وفي صدد القرآن نفسه ذكر غير مرة بأنه مصدق لما بين يديه - يعني لما سبقه، وقدمه - فأن ما سبقه هو الكتب الثلاثة - وأرسلنا إليك - يريد محمداً - الكتاب بالحق، مصدقاً لما بين يديه من الكتاب - يريد الكتب - ومبيناً عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم الآن.

والمراد من الإيمان بالكتب الاعتزاز بها، وبأنها حق من عند الله دون تبديل فيها، أو تحريف منها، إذ المعروض فيها أنها كانت في أمم خلت قبل القرآن، وأنها لم تكن تعرضت لما يشوبها من مساوئ المحرفين... فتحن مؤمن بها على هذا الوصف كما تحدث عنها القرآن، وكما ذكرت لنا على لسان محمد - صلوات الله عليه وليس بين هذه الكتب فيما جاءت به من أصول الإيمان بالله

جرأتكم على نسبة ذلك إلى ، فذكرتم أقوالا في التفسير آيات الله غير ثابتة ، وذهبت من مذهب الجهمية في الإيمان ، وأنه تصديق القلب ولم تذكروا بقية الأركان . وذكرتم مسألة العلو ولم تسلكوا فيها مسلك أهل الحق . وذكرتم التوسل بالذوات وهذا غير صحيح ، فإن التوسل الصحيح لا يكون إلا بالأعمال الصالحات . وذهب بكم العلو إلى أن ذكرتم خروج اليد الشريفة لأحد الرفاعي وحروج الصوت من القبر الشريف في حجة ثانية . ثم ختمتم الكتاب بطريقة النقشبندية وذكرتم كيفية الذكر عندهم والرابطة الشريكة إلى غير ذلك مما أعرضنا عن ذكره ؛ لأن المتقصد إعلان إنكارنا نسبة طبع هذا الكتاب إلينا ، بل نحن نبرأ إلى الله من هذا الذي ذكرنا وأمثاله ، فلا يحل لك أن تبعت إلينا منه شيئا ولا توزعه باسمنا . والسلام ؟

على بن عبد الله الثاني

حاكم قطر

### الجمعة الأخيرة من شهر رمضان

أدى السيد الرئيس جمال عبدالناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة فريضة الجمعة الأخيرة من شهر رمضان في الجامع الأزهر الشريف وبصحبة : السادة الوزراء المرموقين والتنفيذيين ، وكبار العلماء ، وقد ضاق

فإنها كتب موضوعه من عمل الناس ، ومهما صادف الناس فيها من عبارات معجبة ، أو أفكار ناضجة فإنما هذه تفحات عقلية لا ترقى بها إلى احتسابها كتباً سلوكية من عند الله وما كان من عند الله فهو الحق ، والحق أحق أن يتبع ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، هكذا أنزل الله على خاتم رسله ، وأنزل عليه . وما أنت بهادي العمى عن ضلالهم ، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

### إلى الشيخ أحمد الواسم الضماني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ! فقد وصل إلى كتابكم ومعه نسختان من كتابكم المسمى « سؤدد الإسلام باتباع سيد الأنام » وذكرتم بخطابكم أنه طبع على شرف صاحب السمو الشيخ على الثاني حاكم قطر . وحيث أنكم نسبتم طبعه إلى قبل موافقتي وعرضه على . فهذا عمل غير صواب وخلاف الأمانة الدينية . يأتي رجل سلفي العقيدة صحيح المذهب ، فلا اعتقد ضلالات الجهمية وطوائف الصوفية المبتدعة ، ولا أسلك مسالك القبورية دعاة الأموات . وكتابكم اشتمل على جميع هذه الضلالات والجهالات . وعجبت من



ونحن الآن في يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك ، وهي الجمعة التي درج طاعة المسلمين على تسميتها بالجمعة اليتيمة لأن مثلها لا يعود في رمضان ، ونحن الآن في نقصات الذكرى العاطرة والانتعاش ليلة القدر التي وصفها القرآن المجيد بأنها خير من ألف شهر وفي هذا اليوم المشهود المجموع له الناس ، ومن جوف هذا المسجد الكبير العتيق والجامع الأزهر ، الذي طاول القرون وسحب الأحداث ، والذي طالما انبعثت من داخله خلال العصور المتوالية والقرون المتعاقبة صيحات التحرير والانطلاق ، ودعوات الحق والخير والبر ... توجه إلى الله العلي الأعلى بقلوب تلمس دواءها وغذاءها في هدى القرآن ، ونفوس تجد تركبتها وتعليتها في شرعة الإسلام ؛ وعزائم تستضعف نفسها إذا انفردت وحدها ، وتعز كل الاعتزاز إذا وثقت صلتها ورباطتها بالله سبحانه وتعالى ، وفيه العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ...

توجه إلى الله مولانا وعالقنا أن يبارك لهذه الأمة في وحدتها وأن يؤيدها في كفاحها ونضالها من أجل جمع الكلمة وتأييف القلوب ، وأن يؤيد دعونه ونصره حريتها وكرامتها وغلبتها على كل من يريد بها كيداً ، أو يضم لها حقداً أو يتربص بها الدوائر وأن يقهر بسلطانه الذين يلحدون في آيات الله

الأزهر على صعته بالكوف التي سمعت للصلاة وسماح الخطبة . كما امتلأت الشوارع في طريق موكب الرئيس بألوف من أبناء الشعب يهتفون للرئيس ويحيونه .

وقد ألقى فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصي خطبة الجمعة ، وكان موضوعها في سبيل الحق ، وقد تحدث فيها عن المكانة السامية للعقيدة التي يؤمن بها الإنسان ، وأن المبادئ تكون عديمة القيمة إذا لم يصاحبها كفاح موصول لتطبيقها وتحقيقها ، وأن تاريخ الأمة المسلمة حافل بشواهد النضال من أجل عقيدة الإيمان وضرب عدة أمثلة على ذلك ، ثم تحدث عن جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكيف قضى حياته مناضلاً في سبيل المسئلة الغراء والدعوة السمحة التي كلمه الله بها ليخرج الناس عن طريقها من الظلمات إلى النور .

ثم قال إننا الآن في مرحلة فاصلة من مراحل جهادنا ونضالنا ، ولذلك نحتاج إلى تكتل العرائم ونضافر القوى وتلاقى الأيدي كلها على إعراز العقيدة ونصرة الوطن ومقاومة الذين يريدون لنا أن نكفر بربنا وقرأتنا ومواردنا الدينية ، لأنهم لا يريدون لنا بذلك إلا الضلال والخسران .

ثم قال نحن الآن في اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان الجليل العظيم ، شهر الصيام والقيام ، وشهر القرآن والفرقان

وعينة . فهل ورد مثل هذا الاستعمال عن العرب وهل تميزه القواعد ؟ أرجو الجواب على صفحات مجلة الأزهر .  
والسلام عليكم ورحمة الله ؟

على محمد عثمان

مدرس

( المجلة ) تصغير بيضة على بويضة مسموع عن العرب وعلى هذا السماع أجلا الكوفيون في كل مصر فيه يا . ان متعاقبتان أن تغلب الياء الأولى منهما واوا فيقولون في تصغير شيخ : شويخ وفي بيت : بويت ، وفي عين : عوينة كما قال العرب في بيضة : بويضة . نص على ذلك الأستاذ في على الألفية عند شرحه قول ابن مالك ( واردة لأصل ثانيا لنا قلب ) .

### تصريب في الجزء السابع

في السطر ١ من العمود الثاني ٧٨٩ ، ومن بعض النسخ التي تم طبعها في البداية ، سقطت أداء الاستثناء « إلا » من الآية الكريمة « قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله ، فزوم التحويه لأهمية هذا التصريب والله المهادي إلى الصواب .

١ - ص

أو يتجرأون على حرمان الله ، أو يسعون في الأرض بالفساد ليهلكوا المحرث والنسل والله لا يحب الفساد . ثم دعا الأستاذ الشريفي أن يوفق الله ولاية المسلمين للعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وأن يوفق ولاية الأمور لمخافه رضا الله ولما فيه خير البلاد والعباد . ثم أم المصلين بعد ذلك ، وانصرف السيد رئيس الجمهورية من الجامع الأزهر عقب الصلاة بمثل ما استقبل به من تحية وحفاوة .  
أ - ش

### المصنف المرسل

قدم السيد الأستاذ لبيب السعيد رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم اقتراما إلى فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر يتخلص في أن يسجل القرآن الكريم تسجيلًا صوتيًا مجردًا ، وذلك ليتمكن المسلم العادي من تلاوة آي الذكر الحكيم تلاوة مجردة في سهولة ويسر ، ومعنى الترنيل المرسل القراءة على نحو ما يكون في الصلاة . وقد أبدى فضيلة الأستاذ الأكرم ارتياحه ورضاه عن هذه المعركة لأنها طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده .

### بويضة أو بيمضة

السيد الأستاذ ورئيس التحرير :

يصف بعض الكتاب والعلماء بيضة على بويضة وعينا على عويضة والقياس ببيضة

# الكتاب

## نقد وتعريف

وصنفوا المؤلفات فيه ، والإسلام مع ذلك  
وحب الألفى ، لا يحقد على من ينالون منه ، ولا  
يتملكه الغرور لآراء من يرفعونه إلى القمة ،

ولا نظن أيضاً أن الدكتور نظمي  
قد كتب هذا الكتاب من قبيل المجاملة ،  
إذ ليس هناك ما يدعو إليها ، فهو مجموعة  
من الآراء الباصحة والأفكار الواعية التي  
تفاعلت في ذهنه وأحماق نفسه سنين عددا .

تحدث الدكتور إجمالاً أولاً - عن الأديان  
الكتابية الثلاثة : اليهودية ، والمسيحية  
والإسلام ، وقال عن اليهودية : وإن كانت  
دين توحيد وثري ، بيد أنه اختص به شعب  
معين دون سائر الشعوب ، فهو إذن ليس  
الدين الذي يهتدى به الناس كافة ، ويجدون  
فيه شبع حاجتهم الفطرية إلى العقيدة . .

ثم تحدث عن المسيحية : وأنها دين القلب  
الإنساني - والحياة الدنيا برمتها لم تدخل له

محمد : الرسالة والرسول

للدكتور نظمي لوقا

المؤستاذ محمد عبد الله السمان

هذا كتاب جديد للدكتور نظمي لوقا ،  
جديد من حيث الزمن والموضوع ، ونحن  
نعرضه ونناقشه على صفحات مجلة الأزهر ،  
لا من قبيل المجاملة لأن المؤلف مسيحي . .  
والموضوع إسلامي بحث . . بل من قبيل  
الإنصاف الأدبي لمادة الكتاب ، فالإسلام  
قبل كل شيء عقيدة وفكرة ، والعقيدة  
والفكرة إنما يلازمهما - ما عاشتا - الدراسة  
والبحث لكل من تؤمله ثقافته واستعداده  
لتكثيف القيم التي تنبثق منهما . ولا نظن أن  
عقيدة الإسلام وفكرته بضاعة محكرة لصنف  
من الناس ، فأعظم الناس ثقافة من علماء  
الغرب قد عنوا في دراساتهم بالإسلام ،

الواحد . . جوهر واحد له ثلاثة أقانيم ، إلا أنه لم يرد على لسان المسيح في أقواله الواردة في بشارات حواريه ، كما لم يرد ذكر النبوة فيه إلا على سبيل المجاز المطلق . . .

والإنسان وقف بعد اليهودية والمسيحية موقفا لم يحسد عليه كثيراً ، بسبب ما التصق به من وزر أبيه الأول آدم ، الذي اعتبر خطيئة باقية موروثة ، لا يذهبها من كفارة وفداء حتى لا يذهب بجزئيتها أبناء الجنس البشري كافة ، فكان لا بد من عقيدة ترفع عن كاهل البشر هذه اللعنة ، وتطهريهم إلى العدالة التي لا تأخذ البرى بالمجرم ، وقد حمى القرآن هذا الأمر حين أكد قبول توبة آدم ، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى .

وليس في معنى النبوة الإسلامية تأليه ، وهي مسألة كانت تحتاج إلى توضيح وحسم ، وقد درجت شعوب الأرض على تأليه الملوك والأبطال . فكان الرسل أيضاً معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين الألوهية ، ولقد أكد القرآن بشرية الرسل ، حتى تستطد دعوى الناس في التفسير عن الاحتذاء به ، فلو كان يجرى عليه غير الذي يجرى على البشر ، لكانت لبعضهم الحجة بأن استطاعتهم دون استطاعة هذا الرسول .

وفي يقين المؤلف : « أن تأييد دعوة حق يجب أن يقوم على العقل ، أما الخوارق غير

في حساب . لهذا بقيت في حقيقتها بين قلة من الأفراد مبشرين لها ، وكانت نقيضتها المنطقية تلك الرهبانية المنعزلة عن الدنيا . . أما انسود من الناس فراحوا يلبسون أو ثائهم الحسية وعقائدهم المادية ، ولم يستطيعوا الارتفاع إلى المستوى الروحي العالي الذي هو مضمون دعوة السيد المسيح .

وتحدث عن الإسلام الذي جاء والناس لم يزالوا بحاجة إلى عقيدة جديدة ، يجتمع إليها العقل والقلب جميعاً ، وتصحح ما تردوا فيه من الأخطاء في تفهم ما سبق من عقائد ورسالات ، ولا بد أن يكون الدين الجديد عقيدة تصلح للكافة : العامة منهم والخاصة ، يشمر كل منهم أن له عقيدة يطعن إليها ، وهي رباطه بالدنيا . . وبالأخرة ، باق . . والإنسان ، فالناس أمة واحدة في هذا الدين الجديد . . وهذا الدين المرموق هو دين البشر ، وكان الإسلام هو الذي انبرى للنهوض برسالة هذا الدين .

ولكن كيف نهض الإسلام بهذه الرسالة ؟

يرى المؤلف : « أن القرآن لم يدع شائبة من ريب في مسألة وحدانية الله ، وفي ذلك نقض لعقائد الشرك ، وتصحيح لعقائد أهل الكتاب ، وإذا كان أتباع المسيح قد صاروا إلى القول بألوهية وأنه ابن الله ، وأنه الإله

وأن كل ما التصق بالمسيحية بعد ذلك كان من عمل تابعيه ، إذ لم يرد في نصوص أقواله ما يبرر قيام الكهنوت ، ومن أسف أن العكرة الدينية السابقة على المسيح استطاعت أن تنسل إلى تعاليم المسيح وتنبغ عليها طقوسها واحترام الدين وقوامتها على العقيدة ، وكانت نكبة وخيمة ، وكان لابد من مقيل لها يرد البشر إلى سواء السبيل .

وفي أوائل صفحات هذا الكتاب رد المؤلف ودحض محاولة الشك في نبوة محمد : « فمن اعترف بوحى من السماء إلى رسول من البشر لزمته الحجة ألا يتكرر نزول الوحي على محمد من حيث المبدأ . ولا يتبقى بعد سقوط الاعتراض على الوحي من حيث المبدأ إلا النظر في مضمون ذلك الوحي ، فإن كان هذا المضمون حاوياً آية صدقه في ذاته ، وليس فيه ما ينقض طمأنينة العقل أو يريبها فلامفر من الإقرار بصدقه . . »

وتساءل بعد ذلك : هل تكرر تلك النبوة على ذلك الأسلوب ؟ وأجاب : لا حاجة للبشرية بذلك التكرير ، فإن طود الأسلوب العقلي المجرد هو آخر أطوار البشرية ، لقد تمت فكرة التوحيد ، وتم خطاب العقل ، وتم البلاغ إلى الناس كافة ، وتمت كرامة الإنسان وصلته بربه ، وبدنياء ، وترك لمصالحهم المرسلة يعالجونها على هذا الأساس حسبما

الطبيعية فسألة لا تستاع إلا في حالات انحطاط العقل البشرى ، وهذه قريبة على أن دعوة الإسلام جاءت موافقة للطور الطبيعى للبشرية تاريخياً ونضوجاً ورشداً ، لأنها أتت إلى الهداية بأسلوب عقلي صرف يحترم نظره وبداهته . وقد استشهد المؤلف بكلام للإمام محمد عبده في كتابه : الإسلام والنصرانية ، جاء فيه : إن الإسلام في هذه الدعوة لا يعتمد على شئ سوى الدليل العقلي والعصر الإنساني الذى يجرى على نظامه المعطرى . فلا يدعشك بخارق العادة ، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة . . »

والإسلام لا يلغى العقل ولا يجمد المادة ، ولسكنه يضمنهما في حدودهما ، فهما بغير القيمة الروحية لا يجديان الإنسان قبلاً ، وإن التقدم المادى بغير السمو الروحى عوى مطبق ، وإس التنظيم الإسلامى لأمور الدنيا بنظام مقفل جلد ، بل هو التنظيم الجوهرى الذى لبابه قول صاحب الرسالة الكريم : « لا ضرر . . ولا ضرار . . »

وقد أثار الكاتب قضية الكهانة التى ألغاهما الإسلام تماماً ، ويعتقد أن المسيح أعلن الحرب على مظهريات اليهودية ، وهدم شكليات الطقوس ، ونادى بعبادة الضمير النقى . ولقد نقض الكهانة لأنها تناقض عبادة الضمير والصلة الخاصة المباشرة بين الإنسان والله ،

للقارىء أن المعلومات التي أثارها المؤلف سطحية ، ولكنه قد يدرك - لو تعمق - أن المؤلف قد ألقى عليها ضوءا من التحليل المنطقي ألبسها ثوبا من الجدة ، والمؤلف أيضا في بحثه كان ذا شجاعة أدبية حين تعرض لأصول من عقيدته التي ينتمى إليها ، لأن الأداة التي استعملها في صياغة هذا البحث كانت العقل والمنطق دون سواهما ، والعقائد السليمة لا يضيرها أن ترد إلى الحقائق التي قامت عليها ، وإنما يضرها الآثواب الزائفة التي يفرضها عليها جمود العقل وضيق الأفق ، وللكتاب بعد ذلك تقديره من الناحية الفنية والمجهود الأدبي الذي بذل من أجله .. ١

محمد عبد الله السامح

## الشاعر البائس

عبد الحميد الديب

تأليف الدكتور عبد الرحمن عثمان

دراسة تحليلية للشاعر الشعبي عبد الحميد الديب كتبها أستاذ من أساتذة الأدب غاطله طويلا وبلاء كثيرا فوقف على خفي أسرارده ، ودرس دقائق حياته ، وروى جملة شعره ، وصوره للقارىء في مبادئه ومساوئه ومغامراته ونزواته وعلاقاته مستعينا على جلاء الصورة بذكر القصيدة وما لابسها من الظروف التي قيلت فيها والأحوال التي دعت إليها وكل ذلك بقلم سلس ومنطق سليم وتشويق جذاب .

يستجد لهم من الأمور ، فكل رسالة بعد ذلك قول معاد . . .

وفي معرض الحديث عن الوحي المحمدي ذكر المؤلف : أنه لم يطلب من رسول قبل محمد برهانا حيانيا على وحيه ، كي يطلب به محمد ، ولست أدري كيف فأت المؤلف هذا ، فالواقع أن كل رسالة سماوية كان لها معارضون طالبوا بالبراهين العيانة كدليل على صدق نبوتهم ، لا سيما طه عهدي موسى وعيسى ، ومحمد نفسه طلب المعارضون لصدوقه الآيات السادية مرارا : « وقالوا لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب تفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي باله والملائكة قبلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى نزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا سويا . . » ولئن كان الله قد استجاب في غير رسالة محمد للمعارضين ، إلا أنه لم يستجب في رسالة محمد لهم ، لأن البشر كان قد وصل إلى طور الأسلوب العقلي المجرد ، ولذا وجب أن يكون العقل أساسا في الإيمان لا سيما وأن الخواص لم تكن من قبل سبيلا للإيمان : وما متعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون . وبعد - فهذا عرض سريع ، وقد يخيل

ولقد أفلتت حتى  
حل أكلى أعيالى  
من رأى شيئاً عالياً  
فأنا حين المحال

وأبى فرعون الذى يقول :

وصية مثل فراخ الذر  
سود الوجوه كسواد القدر  
ماد الشتاء وم بشر  
بغير قص وبغير أذر

حتى إذا لاح عود المجر  
وجاءنى لصبح فصدوت أسمى  
وبعضهم ملحق بصدى  
وبعضهم منحصر بحجرى  
أسبقهم إلى أصول الجدر

هذا جميع قصى وأمرى  
أما أبو الفقر وأم الفقر

وهؤلاء المفاليك المجان الذين جعلوا الشعر  
وسيلة إلى العيش بالمجاء الفاحش ، والمدح  
المكذوب ، والشكوى المستمرة ، كانوا  
طبعيين فى المجتمع العربى القديم الذى كان  
يفهم الشعر على هذا النحو . فلما ذهبت بقايا  
هذا النوع بذهاب خليل فظير ، وإمام العبد ،  
وأحمد قزاد وأضرابهم ، وأصبح الشعر فى  
الادب الحديث مفهوم آخر وأغراض آخر ،  
كان شعر الديب شفوذاً فى نسق مطرد ،

وقد كبر المؤلف كتابه على تسعة فصول ،  
تحدث فى الفصل الأول منها عن نشأة الشاعر  
وأثرها فى شخصيته وقته ، وفى الثانى عن بدء  
المحنة التى أصابت الشاعر وتأثيرها فيه ،  
وفى الثالث عن مشكلات الشاعر ومغامراته ،  
وفى الرابع عن ثورته وحققه ، وفى الخامس  
عن فكاهاته وأهاجيه ، وفى السادس عن  
زواجه وما عاناه من كرار البيت ، وفى الثامن  
عن حياته فى الوظيفة ، وفى التاسع عن جملة  
أراى فى أمر الديب .

والكتاب مصدر بمقدمة وجيزة للأستاذ  
أحمد حسن الزيات أجمل فيها رأيه فى  
عبد الخيد الديب وفى الكتاب نثرها فيما يلى :

\*\*\*

كان الشاعر عبد الخيد الديب - غفر الله له -  
نمطاً وحده فى شعراء العصر ، كان ظهوره  
رجعة إلى نوع انقرض من الشعراء المجانين  
المستهترين المكدين الذين لم تهيئهم طلباتهم  
للمعمل الكاسب فأخطوا إلى التبطل ، وحلوا  
بجزم وعوزهم على لؤم الناس وظلم القدر ،  
من أمثال أبى الشمقمق الذى يقول :

إنى أعيال تركتهم  
بالمصر خبزهم الفضارة  
وشراهم بول الحمار  
مزاجه بول الحمار  
ويقول :

ولقد أهزلت حتى  
محت الشمس خيالى

المظلوم ، والزجاجة عن الساعط ، ولم يفهم الشعر على أنه فن بلذ أو رسالة تؤدي ، وإنما فهمه على أنه سلاح يحصى ، أو شخص يصيد . وكان منشأ ذلك الفهم القديم الشعر الخديوي . أنه كان كالكثير الشعراء القدماء لم يعرف الحياة على أنها جدوك ، وإنما عرفها على أنها لهو وصعلكة ؛ ولذلك قضى حياته البوهيمية البهيمية مشغولاً لا ينالم إلا على المسكر والمخدر ، ولا يتيقظ إلا على الجوع والظلم .

ولعل حظ العاثر المتخلف لم ينض به في حياته وبعد مماته إلا مرة واحدة ، تلك المرة هي التي أتاح له فيها قلم صديقه الدكتور عبد الرحمن عثمان ، فخلد ذكره بهذا الكتاب القيم ، ذلك الكتاب الذي لم يظفر بمثله شوقي ولا حافظ .

رسم الكاتب فيه صورة الديب غافقار هيكلها من شعره ، ثم جعل فيها اللون والظل والبروز بما عرف من سيرته ، واكتنه من سريره ، وكشف من أموره بلجاء الصورة واضحة الملامح ، بينة الحدود ، واقعية الدلالة ، يترجم عنها بيان مشرق ، ويدلل عليها منطق صائب . فإذا تأملت هذه الصورة أو قرأت هذا الكتاب بدالك الديب هريان على الفطرة بمجره وبجره ، بنابه وقرمه ، بموائه وجولانه ، بسره وعلنه ، وذلك غاية ما ترجوه من كاتب يكتب للتاريخ ، ومن كتاب يترجم لشاعر .

ونشوزا في نعم مؤلف ، ولكنه كان ككل شاذ وكل غريب متجه الأنظار ومضطرب الأسس .

ذلك إلى أنه كان يجرى على أسلوب الخطيئة وابن الرومي في قوة الهجاء ، وعلى أسلوب ابن حجاج وابن سكرة في غش المجون ، وكان يختلف عن هؤلاء جميعاً بألوان من الصور والتشبيهات تزعمها من بيت ، وتقلها عن واقعه .

نشأ الديب في أسرته الصغيرة الفقيرة كالتبنة البرية في الرملة الجافة ، لا يحسها أصل راسخ ، ولا يستند لها جذع قوي ، ثم طاشت على علالة الجذب وبلاغة الندي فاخضرت من غير فضاورة ، وأشوكت من غير زهر ، وظلت في العراء تقاسي السموم والقيظ ، وتكابد السغوب والظلم ، حتى اقتلعتها الريح وأثقت بها هشياً في أخدود من أعادي الأرض .

قست الطبيعة على الديب فلم تزوده بما تزود به الحى الكامل المامل بالكفاية الكافية لا ابتغاء العيش السانغ الحى ، فكان رغبة جامحة لا تحققها قدرة ، وشهوة حارمة لا تضبطها إرادة ، ورأى نعم الله تفيض من حوله على من يرام مثله أو دونه ، وليس له منها مورد ولا فضل ، فأطال لسانه الحقد ، ورفع عبقرته الجوع ، وأهلب شعوره الألم ، وأمض نفسه الحرمان ، فصدر عنه شعره كما يصدر الآن من المجروح ، والصراخ من



# الإسلام والمسلمون في صحف العالم

## للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

### الشيوعية والاسلام

كان موقف الشيوعية من الإسلام هو الموضوع الرئيسي في جميع صحف العالم طوال الأسابيع الماضية وكانت أحاديث المعلقين السياسيين كلها تدور حول موقف الإسلام بعد تلك الشنايع التي اقترنها عملاء موسكو في العراق الشقيق من انتهاك الحرمات المقدسة ، وإهدار لجميع القيم التي شرعها الإسلام لصيانة الكرامة الإنسانية .

ولقد كان الجواب واضحاً عن هذا التساؤل في ذلك النداء التاريخي الذي وجهه فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى العالم الإسلامي بإعلان الكفاح المقدس ضد الشيوعية الخربة وضد الإرهاب الذي تفرضه لامتهان الجنس البشري وقد وجد هذا البيان الجري صداه في العالم الإسلامي من أقصاء إلى أقصاء ، فأعلنت جميع الطبقات الإسلامية في سائر الأقطار والأمصار استجابتها لدعوة شيخ الإسلام والمسلمين ومن الملايو أعلن حاجي أرشد

زعيم المسلمين في لامبور تأييده لهذه الدعوة المباركة ، وقال إن خطر الشيوعية لا يمكن السكوت عليه ، وفي سنغافورة قال الزعيم الإسلامي حاجي علي معقباً على دعوة الشيخ الأكبر : إذا تعرض الإسلام للخطر من جانب الشيوعية ، فإن شعوب العالم أجمع - لاشعب سنغافورة وحده - ستبذل لتلحق بها الهزيمة .

وفي الحق أن الشيوعية ليست بخطرة على الإسلام وحده ، بل إنها خطر على كل دين ومعتقد في العالم فالشيوعيون يصرحون جهاراً نهائياً بأن الأديان كلها ليست إلا خرافات وأساطير ورجعية ، ويقول : كارل ماركس في كتابه « رأس المال » إن وجود الله ماهو إلا انعكاس خيالي لضعف الإنسان أمام الطبيعة ، وقد وصف زعيمهم « لينين » الدين بأنه أفيون الشعوب ، وفي عام ١٩٤٩ نشرت مجلة « العلم والحياة » مقالاً للستول عن البطاية الروسية قال فيه : « إن الشيوعية والدين يتعارضان ولا يمكن أن يتفقا » .

للجيل الجديد بأن يعرف شيئاً عن الإسلام ،  
حتى لا يبقى للإسلام ذكر في تلك البلاد .  
إن الشر قد يأتي بالخير ، فلعل ما صنعه  
الشيوعيون في العراق قد جاء إنذاراً للمسلمين  
حتى يتدبروا موقفهم إزاء هذا الخطر ، ولعل  
في هذا حظة ترفع الغشاوة عن عيون بعض  
الخدوعين الذين كانوا يحسنون الظن بعدالة  
ماركس ومساواة لينين .

#### المسلمون في مالديف :

تحدثت الصحف في الأيام الأخيرة حديثاً  
مقتضباً عن ثورة قائمة بين الاستعمار البريطاني  
والمسلمين في جزر مالديف .

وجزر مالديف جزر صغيرة متناثرة في جنوب  
الهند وسيلان ، وبعد عنها بما يقرب  
من خمسمائة ميل ، ويبلغ عددها مائتي جزيرة ،  
ويسكنها حوالي ٨٥ ألف نسمة كلهم يدينون  
بالإسلام ، ويمشون من الصيد ، ورئيسهم  
الاستودى هو السلطان ، ويحكمهم مجلس  
من ٦٥ عضواً ينتخبون كل خمس سنوات .  
وكان سكان مالديف يعيشون عيشة هادئة  
آمنة ، قانعين بحياتهم البسيطة ، وبرزقهم  
من البحر ، فلما قررت سيلان تصفية القاعدة  
البريطانية فيها ، قرر الاستعماريون البريطانيون  
بناء قاعدة بحرية في جزر مالديف لصيانة  
مصالحهم في تلك المنطقة .

وعاد الاستعماريون يفتشون في دفاترهم

والشيوعيون بعد هذا يعتمدون الإسلام  
بحملة أشد وأقوى ؛ لأنهم يعرفون أن الإسلام  
بما فيه من تعاليم اشتراكية ، ومن مبادئ  
تزيل الفوارق المادية بين الطبقات ، وتربط  
حياة المجتمع الإنساني برباط متين من الإخاء  
والعدالة والمساواة والمودة والمحبة ، إنما تقف  
سداً منيعاً أمام الشيوعية وأغراضها ، وأمام  
تلك الشعارات التي يتاجر بها الشيوعيون ،  
ويحاولون أن يخدعوا بها بعض البسطاء  
والخاقدن عن جهل من قضايات المجتمعات  
البشرية ، ولهذا نراهم يركزون دعاية قوية  
ضد الإسلام والمسلمين لعلهم أن يحطموا ذلك  
الطود الذي يقف في سبيل أطماعهم وأغراضهم  
ومبادئهم .

ونحن لا يمكن أبداً أن نقس ما صنعه  
وما تصنعه الشيوعية مع حوالي ثلاثين مليوناً  
من المسلمين شاءت الأقدار أن يعيشوا في جميع  
الاتحاد السوفيتي ، فأنزل بهم الشيوعيون  
الويلات ، وأذاقوهم من الموان والمذاب  
ما لا يتحملة ضمير إنسانى أو وجدان مهذب ،  
ولكنها شناعات البربرية ووسائلها الحمجية ،  
فقد حرموا عليهم صلاة الجمعة ؛ لأنها تربطهم  
برباط الوحدة في الشعور ومنعواهم  
من الاحتفال بعيداً لأضحى ؛ لأنه يحيى في موسم  
جنى القطن فيعطل العمال عن أعمالهم ، وصيروا  
المساجد إلى آثار تاريخية ، وهم لا يسمعون

مكانه إبراهيم ناصر رئيس الوزراء الحالي ، وطالب رئيس الوزراء الجديد مرتين بوقف العمل في إقامة القاعدة البريطانية في جزيرة جان ، ولكن المستعمرين البريطانيين مضوا في تحديقهم وما زالوا يواصلون العمل في بناء القاعدة .

إن القاعدة البريطانية الجديدة ليست خطراً على جزر مالديف وحدها ، ولكنها كذلك تهدد بطريقة مباشرة الهند وأندونيسيا ، وجميع البلاد التي تطل على المحيط الهندي ، ثم هي خطر على آسيا كلها إذا صح ما تردد من أن البريطانيين سيؤدون القاعدة بالأسلحة والمعدات الذرية ، وهذا ليس بعجيب من الاستعمار البريطاني العجيب .

والمعركة الآن قائمة : الاستعمار البريطاني سادر في تحديه وإرهابه ، وشعب مالديف صابر في كفاحه ونضاله بكل الوسائل التي في طاقته ، وإن من حق هذا الشعب المكافح في معركة الحرية والاستقلال على جميع المسلمين في أقطار الأرض أن ينهضوا لنصرته ، وأن يبادروا لتجديده قبل أن يقع فريسة في براثن الاستعمار البريطاني الذي لا يتورع أبداً عن التضحية بحرية الشعوب في سبيل أغراضه ومطالبه .

فهل أتم أيها المسلمون فاعلون ؟ .

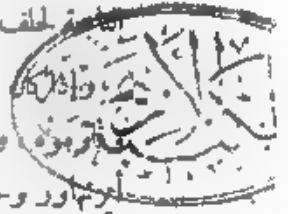
القديمة كما يقال : فزعموا أن هناك معاهدة عقدت عام ١٨٨١ م بين السلطان الذي كان يحكم جزر مالديف في ذلك الزمن وبين البريطانيين ، وعلى أساس هذه المعاهدة . زعم حاكم سيلان البريطاني أن له الحق في توجيه السياسة في جزر مالديف والإشراف عليها ، وطلب من رئيس وزراء مالديف أن يسمح ببناء قاعدة بريطانية في جزيرة جان ، وقبل أن يرد رئيس وزراء المالديف على هذا الطلب الاستعماري كانت هيئة من سلاح الطيران البريطاني قد حضرت وبدأت في العمل . وكان من الطبيعي أن يقف شعب مالديف ضد هذا العمل الاستعماري لبلادهم ، فانقض البريطانيون على الشعب الآمن في غير شفقة ولا رحمة ، وأخذوا يتمسكونه بكل وسائل الإرهاب والاضطهاد ، حتى إنهم اضطروا جميع سكان جزيرة جان ويبلغ عددهم ثمانية آلاف مسلم إلى الانتقال إلى جزيرة أخرى لإنشاء القاعدة البريطانية فيها دون أن يقدموا لهم أية مساعدة ، ودون أن يتخذوا أية ترتيبات أو احتياطات لإسكانهم في الجزيرة الجديدة .

واستمر شعب مالديف الحر في غضبه ، ولم يستسلم لأعمال الإرهاب والعسف ، ولما رأى من رئيس وزرائه الاستكاثرة أمام أعمال البريطانيين قرر عزله ، وعين

### لو كان هناك شعور بالاسموسم

لو كان هناك شعور صادق بالإسلام يعمر القلوب لم يحدث هذا أبداً ، فقد تقلت وكالات الأنباء أن تركيا وإيران وباكستان قد عقدت مع أمريكا اتفاقيات حرية ثنائية وقالت جريدة « الدبلي تلغراف » البريطانية إن هذه الاتفاقيات الحرية التي وقعت في أنقرة قد حلت محل حلف بغداد ، وأصبحت جريدة « دافار » الإسرائيلية عن سرورها بعقد هذه الاتفاقيات ، وقالت إنها خطوة حاسمة في تحقيق مشروع أيزنهاور ، وذكرت جريدة « هيرالد تريبون » الأمريكية أن أعضاء حلف بغداد قد أعطيت لهم ضمانات أوسع بمقتضى هذه الاتفاقيات ، وأن القوات المسلحة الأردنية المسلحة ستضم إلى القوات المسلحة المسلحة لحلف بغداد إذا اقتضى الأمر ذلك .

وإذا كان العرب قد رفضوا حلف بغداد وإذا كانوا كذلك قد رفضوا مبدأ أيزنهاور وحطموه ، فإنهم لا شك يرفضون هذه الاتفاقيات الثنائية الحرية ، ويرون فيها ما كان يتمثل في حلف بغداد وفي مبدأ أيزنهاور من خطر مباشر على كياناتهم وعلى



مصالحهم ، والعرب لا شك هم قلب العالم الإسلامي ، وخط الدفاع الأول في الجبهة الإسلامية ، والدول التي وقعت هذه الاتفاقيات الحرية مع أمريكا ، هي تركيا وإيران وباكستان ، وهي لا تزال تذكر في فاتحة الدول الإسلامية ، ولا تزال تحسب في كتلة العالم الإسلامي ، فلو كان هناك شعور صادق بالإسلام عند حكام هذه الدول لما ارتضوا أبداً أن يفتروا هذا الجرم ، وأن يمثلوا هذا الخطر المباشر الذي يهدد إخوانهم المسلمين في العالم العربي .

تقول هذا ، وإننا نفني بالحديث حكام تلك الدول ، لأننا نعتقد أن المسلمين في إيران وباكستان وتركيا بنحير ، وأنهم ما زالوا يعتنقون الإسلام عقيدة على أساس التداهي لأي أذى يصيب أي عضو من أعضاء الجسم الإسلامي المجيد في أرجاء آسيا وإفريقيا . وإن الروح الإسلامية في هذه الشعوب ستجعل من هذه الاتفاقيات مجرد حبر على ورق ، ويوم يجد الجسد ستظهر هذه الحقيقة واضحة للذين يدبرون ويقتلون بعيداً عن شعورهم ؟

محمد فهمي عبد المطلب

# مَجَلَّةُ الْأَنْهَارِ

مجلة شهرية جامعة

تَبَصُّدٌ عَنْ شَيْخَةِ الْأَنْهَارِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

مدير المجلة ورئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

العتوان

إدارة اجتماع الأزهر  
بالقاهرة

ت ٤٦٤١٤

يَشْرَكُ فِي التَّحْقِيرِ

عَبَّاسُ مَحْمُودٍ الْعَقَّادُ

بَدَلُ الْأَشْرَافِ

٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة

٥٠ خارج الجمهورية

ولمدة سنتين أو ثلاثاً بتفويض خاص

الجزءان الحادي عشر والثاني عشر — ذو القعدة سنة ١٣٧٨ هـ — مايو سنة ١٩٥٩ م — المجلد الثلاثون

لِسَيِّدِ الْمَوْلُودِ الْمَرْمُومِ

دِينًا فِي مَحَنَةٍ وَوَطَنًا فِي خُطْبَةٍ

بقلم : أحمد حسن الزيات



فتح الحر من حكام العراق للشيوعية مصراعى الباب الشرقى للوطن العربى وقالوا لها : ادخلى جبهة ، ولا تقسلى خفية . لقد مهدنا طريقك بالأجساد المسجوبة ، ورفصنا لواءك على المشاقق المنصوبة ؛ وأظهرنا دينك على دين الله بتمزيق المصاحف فى الشوارع ، وقتل الملاء فى المساجد ، وتسليط الذهب والركب على الضمائر ، وإفراء الشبه والأكاذيب على العتائف ؛ وجعلنا كلتك هى العليا بالحاكم الذى لا يعزى ، والقاضى الذى لا يستجى ، والجلاد الذى لا يكتفى ، والمدفع الذى يرش الموت ، والخنجر الذى يمج الدم ، والهول الذى يخلاج القلب ؛ فأعداؤك ( القوميون ) ، وهم تسعة أعشار الشعب ممن يؤمنون بالله ، ويخلصون للعروبة ، ويعملون للوحدة ، قد أنت عليهم ربحك العاتية لجعلتهم أبائيد بين صريع فى الطريق ، وطريح فى السجن . وحبيس فى الدار ، ومتردى فى القفر ، ولعلنا بهذه القرايين قد أخلصنا الدين لثيك ( لينين ) الذى قال فى بعض رسائله إلى مكسيم جوركى : « إن قتل ثلاثة أرباع العالم يهون فى سبيل أن يصبح الربع الباقى شيوعيا » .

نعم يا حمر العراق ، أحلصتم الدين لآلهة النار والدمار والنشر ، وأسرفتم في هذا الإخلاص حتى فعلتم بدار السلام والإسلام ما لم يفعله من قبل مزرك وبالك والمقنع وصاحب الزنج وشيخ الجبل وهو لا كو حتى أو شكنتم أن تجعلوا من البلاد كلها سجزاً ومجزرة ١ .

أحداً بنى عمومته في العراق اشترىم الشيوعية بالإسلام ، واستبدلتم الفرقة بالجماعة ، واستجرتكم لرجل من عامة الناس نفخه الشيطان وأسكركم السلطان لمجس هواه بمقله جموح الفرس الحرون ، لا يسمع الصوت المهيّب ، ولا يطيع اللجام الكابج ، معاذ الله أن يصدق فيكم ما قاله الحمر عنكم من العسوق بعد الإيمان ، فإن المؤمن لا يرتد عن دينه وهو سليم العقل . وإذا جاز الخبال على فرد فلن يجوز على أمة . وإذا كانت الخديعة قد جازت عليكم بالموازنة بين نظام ونظام ، فعمالوا بذكركم إن نسيتم أن الإسلام نظام إلهي شرعه فاطر الأرض وبارئ الخلق ومنزل الوحي دستوراً كاملاً تصالح عليه شؤون الفرد وأحوال الجماعة من كل جنس وفي كل عصر وعلى كل أرض ، يوحد الله ولا يشرك به أحداً من خلقه ؛ ويقدر الشرائع التي أنزلها الله ولا يفرق بين أحد من رسله ؛ ويؤاخى بين الناس جميعاً في الروح والعقيدة لا في الجنس والوطن ؛ ويسوى بين الإخوة في الحقوق والواجبات ، فلا يميز طبقة على طبقة ، ولا جنساً على جنس ، ولا لوناً على لون ؛ ويجعل للفقير حقاً معلوماً في مال الغنى يؤديه طوعاً أو كرهاً ليستقيم ميزان العدالة في المجتمع ؛ ويجعل الحكم شورى بين ذوي الرأي ، فلا يحكم بأمره طاغ ، ولا يصر على غيه مستبد ؛ ويحرر العقل والنفس والروح ، فلا يقيد النظر ولا يحصر الفكر ولا يقبل التقيد ولا يرضى العبودية ؛ ويأمر معتقديه بالإقساط والبر لمن سألهم في الدين وعارضهم في الرأي ، ويوحد الدين والدنيا ، ليجمع للضمير السلطان القاهر في المعاملة ، وللإيمان الأثر الفعال في السلوك .

وجملة القول فيه أنه النظام الذي يحقق الوحدة الإنسانية ، فلا يمتزج بالمصية ولا بالجنسية ولا بالوطنية ، وإنما يجعل الأخوة في الإيمان ، والتفاضل بالإحسان ، والتعاون على البر والتقوى .

أما الشيوعية فليست عقيدة تقوم على الخير ، ولا طريقة تعتمد على الحق ، ولا رسالة تؤدي بالمعروف ، وإنما هي أطماع من عمل الشيطان وسوس بها في صدور جماعة من مغامري الروس كابندوا استبداد القيصرية ، وقاسوا استعباد الأرستقراطية . فلم يكادوا

يثلون عرش المسند ، ويفوضون صرح المستعد ، حتى أدركهم مركب النقص وأخذتهم سورة الانتقام ، فتغاسموا بينهم جبروت القياصرة وصلف الأشراف ، وسخروا كل ما تنتج العقول وتخرج المصانع وتبث الأرض للجيش والأسلحة ليتخذوا عباد الله كلهم عبيدا ، ويجعلوا أرض الله كلها لهم ضيعة !

حزب من ستة ملايين فيصر قد أعد الحديد والنار والقلق والفرع والاضطراب والفوضى لتنفيذ هذه الخطة وبلوغ هذه العاية ! فهل يقدر الله أن تهزم القوى الخبيثة أمام هذا الشر ، وتتحلز المبادئ الصالحة أمام هذا الفساد ؟ لا يابى العمومة في العراق ، وبالأحوه للعقيدة في كل قطر ، ان العقلية العربية معمرة فلا تقبل الهدم ، وإن العقيدة الإسلامية نيرة فلا ترضى الضلال ، وإن النحل الهدامة التي انتشر ظلامها حيناً في سماء العراق كانت خارجة عن الإسلام طارئة على العرب ، وإن الوطن العربي سيظل بفضل عقليته وعييدته آمناً من كل سوء ناييا على كل فتنة .

لبس الخطر إذن من الشيوعية في أنها نظام بطاوط شرع الله ، فشتان بين النور والظلام والبصر والعمى ، وإنما خطرها في أن وسيلتها الأولى في الدعوة بعد الإلحاد والإفساد إماتة القومية وإحياء العصية ، والعصية هي داء العرب الموروث كانت في تاريخهم الحافل بالأحداث والغيرة العلة للعلل في انحلال العقدة وانقسام الرأي وتمدد الدول . كانت هي التمصرة التي قالت يوم ( السقيفة ) منا أمير ومنكم أمير ، وكانت هي الهامة التي خرجت من قبر عثمان وطلت تصيح على دار الخلافة : نحن هاشميون وأمويون ، نحن قيسيون ويمنيون ، نحن علويون وعباسيون ، نحن عرب وشعوبيون ، نحن اثنتان وسبعون فرقة تتقاطع في الدين وتتعادى في الدنيا ، وتزعم كل فرقة منها أنها هي الناجية ، نحن ثلاثة خلفاء في وقت واحد : عباسي على عرش بغداد ، وأموي على عرش قرطبة ، وفاطمي على عرش القاهرة ، ولكل خليفة منهم شأن يغنيه ، وعدوان مع الباغيين على أحبه .

والعصية هي التي تنعق اليوم في مدن العراق تقول على ألسنة الفئة الباغية : ( قاسم هو الزعيم الأوحد ) و ( جمهورية عبد الكريم . ما تنصير أبداً إقليم ) يريدون بما ينعمون أن الزعيم هو قاسم لا جمال ، وأن العراق أعظم من أن يصير إقليماً ثالثاً في الجمهورية العربية المتحدة كإقليم مصر وسوريا ، وحب الرئاسة وشهوة الحكم هما شر أدواء العصية وبالا

وأشدّها استمجالاً في الشرق القديم والحديث ، ولو ذهبت تستقري عوامل الشقاق والانشقاق بين العرب في جميع الأطوار والأقطار لما عدت ما ركب في طباع السادة والقادة من حب الظهور ورغبة التفرد ورذيلة الحسد ، فإذا أردنا مخلصين أن ندفع الشيوعية عن ديننا ووطننا فنعالج العvisية بما عالجها به الإسلام : نخفّض في نفوسنا صوت الأثرة ، ونسكر في رءوسنا عصف الهوى ، ونجهد في أذهاننا ما انطمس من معاني الإيثار والأخاء والفداء والمروءة ، ونحدد في أفعالنا ما انهم من هذه المبادئ الإسلامية الصريحة : « إنما المؤمنون أخوة » ، « وأمرهم شورى بينهم » ، « وماولوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » ، « المؤمن للؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » . الناس سواسية كأسنان المشط » . وتلك هي المثل العليا للسلام والنظام والحكم تطلبها الشعوب المكروبة المستخرجة بالثورة بعد الثورة ، وبالحرّب عقب الحرب ، فتحول بينها وبيننا تصادم القوى وتعارض المنافع . وإذا ذهبت العvisية جملت الوحدة كما كانت الحال في عهد الرسول وصاحبه ، ولو أن معاوية لم يعدها لتوثيق أمره وتثبيت ملكه لظلت كلمة العرب واحدة وخلاصة المسلمين جامعة ، على أن تحقيق الوحدة العربية كمن عملا لم يقو عليه من قبل غير محمد ، ولن يقوى عليه من بعد غير رجل يسير على هدى محمد : يكون لغيره لا لنفسه ، ولأمة قبل أسرته ، ولإنسانيته بعد وطنيته . تموت ( أنا ) في لسانه وتحيا في ضميره ، ويتحد في ذهنه وجود ذاته بوجود شعبه ، فهو يحس ألمه لأنه يجتمع شعوره ، ويدرك نقصه لأنه يجتلي عقله ، ويملك قياده لأنه مظهر إرادته ، وهو في سمو نفسه ونزاهة هواه ، يرتفع عن أوزار الناس وأقدار الأرض ، فلا يطمع لأن عرضه أبعد من الدنيا ، ولا يحقد لأن همه أرفع من العداوة ، ولا يجاني لأن فضله أوسع من العvisية ، وهو في ألمعية ذهنه وصلابة عوده وبعد همة يعظم على الأحداث ويعلو على الحوائل ، فلا ينضج رأياً إلا أمضاء ، ولا يرمى غرضاً إلا أصابه ، ولا يروم أمداً إلا أدركه - هذا هو الرجل الذي طالما انتظره العرب ليجمع لهم في شخصه الراضى الذي يطرد الدث ، والخيط الذي يمسك العقد ، والدليل الذي يحمل المصباح ، والقائد الذي يرفع العلم ، والأستاذ الذي يعلمهم كيف يصنعون الإبرة والمدفع ، ويشقون المنجم والحقل ، ويلتصمون بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة ، هذا الرجل الذي آناه الله هذه السجايا والمزايا هو الزعيم ، فقيمتمجدها بربك ؟ في عيد الناصر أو في عيد الكريم ؟

أحمد حسن الزيات



# إفلاس مذهب لا طاقة للمادية الشيوعية بالبقاء للاستأذع عباس محمود العقاد

قام المذهب الشيوعي في روسيا قبل نهاية الحرب العالمية الأولى منذ اثنتين وأربعين سنة . فكل من في روسيا اليوم من رجال ونساء ولدوا في ظل هذا المذهب ، وتربوا على عقائده وآدابه ، وانزلوا منذ طفولتهم إلى أن جاوزوا سن الرشد عن كل مذهب يعارضه أو يصدده عن طريقه ، لا يستثنى منهم أحد غير الشيوخ الذين تاهزوا الستين وما بعدها .

فالذين بلغوا الأربعين من الرجال والنساء ولدوا بعد إعلان المذهب بستين ، فلم يعرفوا مذهبا غيره منذ تعلموا النطق بالحروف .

والذين بلغوا الخمسين كانوا عند قيام المذهب في الثامنة من العمر ، فتعلموا القراءة في مدارسهم ولم يتعلموا شيئا قبل أن يتعلموه ويعيشوا عليه .

وانذين تاهزوا الستين كانوا في نحو الثامنة عشرة يوم قام المذهب الشيوعي في بلادهم ، مضى عليهم ثلاث سنوات منها في الحرب العالمية ، وبلغوا الأربعين فالتحقوا بها فوقها وهم شيوعيون ظاهراً وباطناً ، أو شيوعيون بالتعليم والتربية والمحيشة ، لا يعرفون مذهبا يخالف الشيوعية ويدعو إلى عمل ينقضها .

أمة كل من فيها من رجال ونساء وشيوخ وشبان وأطفال تخضع للدعوة الشيوعية ولتربية الشيوعية ، ولا تسمع شيئاً يعارض الشيوعية .

فإذا قلنا : إن الثورة الشيوعية أبقت على أحد من غير أنصارها فالذين أبقت عليهم هم الآحاد المتفرقون أبناء الستين وما فوقها ، لا يقدرّون على مناهضة المذهب بدعوة ولا نفوذ ولا وسيلة عملية أو أدبية يحسب لها حساب .

والغرض مع هذا بعيد الاحتمال . فإن الثورة الشيوعية أعلنت منذ قيامها أن من

ليس معها فهو عليها ، وأبادت كل من توقف عن تأييدها وإن لم يكن له عمل في مقاومتها ولكن سواه كان فرضاً بعيد الاحتمال أو ممبولا في الحساب لا ينتهي إلى نتيجة ذات بال ؛ وكل ما ينتهي إليه أن يكون عدد المخالفين للشيوعية في قلوبهم بضعة ألوف معزولين عن وسائل النفوذ بين الملايين من الرجال والنساء الأشداء بة ودون أزمة الأعمال والآراء .

مائة وخمسون مليوناً ، أو يردون ، كلهم مولودون في ظل المذهب منقطعون عن مذاهب العالم ، هائشون في جوه نيفا وأربعين سنة .

تلك ، وحدة مذهبية ، لم يعرف لها نظير في تواريخ الأمم منذ كانت ، وتلك فرصة أتت للثورة الشيوعية لم تنهأ قط لحركة من حركات المبادئ والدعوات الاجتماعية ؛ فلو كان في هذا المذهب الشيوعي صلاح للاستقرار على دعائم الحرية وضمان الحقوق لوجب الآن أن يكون على غاية من الاستقرار والطمانينة ، وأن يكون ولاته جميعاً من الكفاءة القادرين على تديره المخلصين في تنفيذه ، الصادقين في الإيمان به والقيام على شؤنه ، وإلا فكم من الزمن يكفي لتخريج الكفاءة المخلصين الصادقين ، ومن أى المذاهب تستعيرهم الشيوعية ، إن كانت لا تستطيع أن تنشهم في مهادها بين أبناء العشرين إلى أبناء الستين ؟

نعم - يجب أن تكون للذهب اليوم حكومته الحرة المطمئنة وحكامه الكفاءة المخلصون !! فهل هذا هو الواقع المشاهد في البلاد الروسية ؟ هل هذا هو الواقع المشاهد في أقوال الروس أنفسهم . بل في أقوال حكام الروس أنفسهم ، فصلا عن أقوال الأعداء والمعارضين ؟ كلا . ليس هذا هو الواقع المشاهد كما يصفه حكام الروس ، ولا يفرغون من وصفه وإعادة وصفه منذ عهد ستالين إلى عهد خروشييف الأول والآخر .

ستالين قضى على المئات والألوف بتهمة الخيانة والغدر بالشعب والعدوان على مصالحه وشرعية حكمه ، وخليفته خروشييف يقول إنه كان ظالماً عاتياً سماحاً بخوض في دماء الأبرياء ويفترى الكذب على خدام الأمة الأمانة ، ولكن خليفته هذا لم يلبك أن صنع بشركائه في الحكم مثل صنيع ستالين ، ولم يزل يقتل وينى ويعزل ويلقى بهم الخيانة على زملائه وأعدائه قبل أن يفرغ من حملته على السياسة التي سماها سياسة البنى والإجرام والتفريق والافتراء .

أعادل زعيمه ستالين أم ظالم ؟ وصادق خليفته أم كاذب ؟

كلا الأمرين سواء .

إن كان ستالين عادلا فهناك ألوف من رؤساء الشيوعية خونة أنذال معسدون .  
وإن كان ستالين ظلما فهناك حكومة تتولى أمور البلاد على سنة الإرهاب والغش والتضليل .  
أما خروشيف فصدقه طامة وكذبه طامتان ، وعما كانه لستالين بعد الحلة عليه دليل  
بحيب ، على تأصل الشر في أركان الدولة إلى أعماق الجنور .

إن صدق هذا الرجل يدمع المذهب الشيوعي في أساس تكوينه ، لأنه يريدنا أن الحكم  
الشيوعي يقول الحاكم المستبد طغيانا لم يخوله أعق القياصرة في أظلم عصور الظلم والاستغلال .  
وأشد من ذلك أن يكون كاذبا على زعيم وعلى أمة وعلى حكومة كاملة ولا يفتضح له كذب  
ولا يمتنع عليه بعد ذلك أن يتبادى في السياسة التي أنكرها كاذبا على جميع هؤلاء .

وعلى أى وجه من الوجوه لا مفر من الجزم بأن الشيوعية أفلس في سياسة مجتمعها  
غاية الإفلاس الذي يصاب به مذهب مجهول لسياسة المجتمعات ، وأن الشيوعيين في بلاد كلها  
شيوعيون لا يقدرّون بعد أربعين سنة أن يجدوا للحكم إلا باغيا كاذبا سفاحا ، بين قائم منهم  
بالأمر أو معزول ، وأن نظام الشيوعية من أساسه شر من كل نظام عرف في ظل الاستبداد  
ورأس المال ، لأنه لا يأتي أن تتولاه أداة حكومية قائمة على الإرهاب . والتضليل ، يتأتى فيها  
للحاكم الفرد ما ليس يتأتى ولا تأتي من قبل ، لأمثال ، نيرون وجنكيزخان .

هذا هو الواقع الذي تبديه لنا أعمال الحاكّمين في روسيا وأقوالهم ، ولا حاجة به إلى رأى  
يقول به عدو أو ناقد من بعيد .

مذهب قامت على قواعده أمة كاملة من الرضيع إلى الشيخ الذي جاوز الحسين ، ولم يزل  
حكاه بين خونة وظلة ، ولم يزل في وسع الإرهاب والتضليل أن يتيح لحاكمه المطلق أن  
يجنى على الأرواح والأعراض والأرزاق كما يشاء .

ومن الواضح أن التضليل هنا يستند إلى الإرهاب ولا يقوم على براعة الخيلة التي تجوز  
على غير المنظر للخنوع . فإن دعواهم - ظالمين ومظلومين - على السواء أظهر من أن يقبلها  
سامع برى من الخوف أو التغفيل .

\* \* \*

وليس هذا هو الواقع الذي تنكشف عنه نتائج الحكم في صميم البلاد الروسية وحدها ،  
بل هو الواقع في كل مكان بسطت عليه روسيا شيئا من نفوذها وحسبته بين ملحقاتها ونظرة

## رأى السيد رئيس الجمهورية في الشيوعية

وتؤمن بأن لكل فرد في كل جماعة كيانا في ذاته ، وكيانا في أهله ، وكيانا في قوميته العامة وفي بلده ...

وتؤمن بحرية العمل وحرية الكسب وحرية النفقة فيما لا يعود على المجموع بمضرة ! وتؤمن إلى كل ذلك بالأخوة الإنسانية ، وبالتكافل الاجتماعي وبالإيثار القائم على الاختيار لتوثيق الروابط الإنسانية .

وتؤمن بأن لكل فرد في الدولة حقا وحليه واجبا يكافئ هذا الحق ، وأن على الدولة لكل فرد فيها واجبا ولها عليه حقا يكافئ هذا الواجب ، فهي تباعد متبادلة بين الحكم والمحكومين ، ليس فيها قهرا ولا إذلال ولا تسلط ولا طبقات قليلة العدد من السادة وطبقة ضحلة من العبيد !

هذا ديننا وذاك دين الشيوعية ... فنؤمن من الشيوعية بما تشاء وتكفر بما تشاء ، فليس يعني ما تؤمن به وما تكفر ، إنما يعني أن نؤكد إيماننا بديننا الذي ندين الله عليه وتوسم دستورنا بما نعمل لأنفسنا ولقومنا . كل ما بيننا وبين الشيوعية في مذهب الحكم أو في مذاهب الحياة ، أن الشيوعية دين ولنا دين ، ولنا تاركين ديننا من أجل دين الشيوعية .

جمال عبد الناصر

إن الشيوعية حين أصبحت نظاما للحكم انقلبت إلى شيء آخر غير ما كان يأمله دعاؤها ، وما أكثر النظريات التي تفتن وتخدع ، حتى إذا دخلت في دور التطبيق العمل انحسر عنها لثامها ، وأسفرت عن حقائقها الالهية . كل ما كسبه الشيوعيون من شيوعيتهم أنهم صاروا آلات في جهار الإنتاج العام . وكانوا بشرا ذوي إرادة !

قد كفروا بالدين ؛ لأن الدين في عرف الشيوعية خرافة !

وكفروا بالفرد ، لأن الفرد في دين الشيوعية لا كيان له ولا حقيقة لوجوده ، وإنما الكيان للدولة ! وكفروا بالحرية ، لأن الحرية نوع من إيمان الفرد بذاته ، وليس للفرد في النظام الشيوعي ذات ولا إرادة .

كفروا بالمساواة في نظام الدولة ، لأن الدولة في دستور الشيوعية طبقات تنظم في هرم يتربع على قمة فرد ويمتد ملايين الشعب في القاعدة !

ألا ما أبعد واقع الشيوعية من دعوة دعايتها ! ونحن المصريين . نحن العرب .. نحن المسلمين والمسيحيين في هذه المنطقة من العالم ... تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ...

وتؤمن بأن لكل عامل جزاء عمله ، ولا تؤخر وازدة وزر أخرى .

## نداء من شيخ الأزهر إلى علماء المسلمين

وإلى تمسك المسلمين به قبل أن يستفحل الخطب ويعظم الخطر ، وحيثما يتجرد المسلمون من شخصيتهم ، ويصبحون أثرأ بعد عين ، يذكركم التاريخ ويسجل علينا جميعاً — نحن معشر علماء هذا العصر — الخزي والعار . وإنكم لتقرءون في كتاب الله عهد الله الذي أخذته الله عليكم بالبيان والدعوة ، فقال تعالى : إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ، وyleعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحو وينوا ، فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم . . . وأن هذا صراطي مستقيماً تتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون . . . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، ويا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحْيِيكم . . . واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب . . .

اللهم قد بلغت . اللهم فاشهد .

وفقنا الله جميعاً لما يحفظ دينه ، ويثبت عقائده ، ويصون كتابه ، ويجمع شمل الموحدين . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمد وسكنوت

في هذه الأيام المعصية التي يقاسى عنها الإسلام . يتجه الأزهر إليكم جميعاً وقد سلخ — كما تعلمون — من حياته عشرة قرون كاملة في خدمة الإسلام والمسلمين ، وفي العمل جاهداً على حفظ كتاب الله ودين الإسلام ، وتمكين عقائده من قلوب المسلمين . يتجه إليكم جميعاً باسم الدين وباسم الله أن تتحموا النظر القوي فيما يهدد الإسلام من خطر يقوض دعائمه ويرزول أركانه ، ويعرض كتابه وأحكامه وأخلاقه للانحياص ، ويرجع المسلمين إلى الإلحادية والوثنية الجاهلية الأولى ، ذلكم الخطر الذي بلغت نباشيره فيما يقض مضاجع المؤمنين ، ويرزول قلوبهم ويسلم حياة الأمن والاستقرار ، وحياة الحرية الإنسانية في هذا الشعب الإسلامي العريق ، شعب العراق الذي احتضن الإسلام في عهد الأروايل من أصحاب رسول الله . هذا الشعب الذي استشهد من أبنائه المشات والالوف في سبيل نشر الدين والدعوة إليه وصيائته من أبدى العابثين ، والملاحدين . يتجه إليكم مستصرخاً دينكم وإيمانكم في أن تهبوا قومة واحدة ، وأن تعلموا كلمة الله في جميع الشعوب الإسلامية ليتخذوا عدتهم في حفظ كيان هذا الدين . كل يعمل بما يطمئن إليه قلبه ويختاره ، من وسائل التوجيه والدعوة إلى صيانة الإسلام

## ( بقية المنشور على صفحة ٩٤٣ )

عاجلة على المستعمرات الروسية ، وأشياء المستعمرات الروسية ترىنا أنهم لا يسيطرون فعوذهم على بلد يفسلهم منه حاجز من الحواجز الجغرافية . فكل مستعمراتهم وأشياء مستعمراتهم في آسيا وأوربة تقع من بلادهم على مد الذراع من قوة الإرهاب المسلح ، ولم يستطيعوا بالتضليل وحده أن يستعوا عن الإرهاب المسلح أو الجاسوسية المسلحة ، ولهذا تمكن د قنن ، في يوغسلافيا من الخروج عليهم والاستحفاف على نطمهم وتعليانهم ، فتقدم وأفلق في تحديهم ، وهويدس مع هذا بمذهب من المذاهب الاشتراكية .

وكلنا استطاع هؤلاء الشيوعيون أعداء الاستعمار والاستغلال كما يقولون - أن يخضروا بلدا غربيا بقوة السلاح ، حكموا فيه لقمع والإرهاب تحكما لا يستبيحه شر المستعمرين في القرون الفائرة ولا في هذا القرن العشرين ، فالبلاد التي دخلها المستعمرون تعاني من عسهم ما يثيرها عليهم للقاومة والانتقاص ولكنها على أية حال تقاوم ويسمع لها صوت وتذاع لها في العالم قصة . أما حيث نزل الروس فلا بقية بعد السيف للقاومة والانتقاص ، وخطتهم هنالك للحق والإبادة لن تكون أرحم من خطتهم في صميم بلادهم . أين بلجانيين ؟ أين برابا ؟ أين ملنكوف ؟ أين مولوتوف ؟ أين قبل هؤلاء مئات ومئات من الأنداد والنظراء ، وعن تخشى محاسنهم أو مقاومتهم في وقت من الأوقات ؟ إن الحاكم الذي يزيل هؤلاء عن طريقه في وضع النهران يترك في بلاد المغلوين وأساير تقع للحساب والمقاومة ، وإن يدع فيها أحدا يهم بالحركة أو يقدر عليها إن هم بها .

غول من الوحشية والشيطنانية تبلى به الأمم في هذا الزمن ولا سلامة لها منه إلا بالنصاء عليه ، وتلك هي « تصفية الختام » للذهب الذي ملك أمة فلم يقدر على حكمها بغير الإرهاب والتضليل ، ويريد أن يحكم الأمم جميعاً والعياذ بالله - على هذا المقال ؟

عباس محمود العقاد

## فكاهة

سئل عالم تركي عن معنى قوله تعالى : ( إنا لله وإنا إليه راجعون ) فقال والله إني لا أعلم معناها ، ولكني أعلم أنها لا يقال في الأفراح !  
وسئل مرة أخرى عن ( قسورة ) في قوله تعالى : كأنهم حمر مستنمرة فرت من قسورة فقال : القسورة : الزرية !

# مركز الأم في الإسلام

للاستاذ الدكتور محمد البهي

مقدمة :

لأن هناك عنصراً أساسياً في الكفالة يفقده المجتمع ، وهو عطف الأبرة وحنان الأم نفسها . فبها تكفل المجتمع بالمساعدات المادية . للأبناء غير الشرعيين ، فليس له عطف الأب في الرعاية .

أما الأم فهي وإن كانت ولدت ابناً غير الشرعي ، تشعر في قرارة نفسها أن هذا الابن ينسب لها متاعب كثيرة ، أيسرها أنه يرتبط به في تصورهما عدم الوفاء من أبيه في الظلام ، وهو الأب المجهول أو المنكر أو المنقذ والمهارب من المسؤولية الأدبية والاجتماعية .

وعندئذ يقل حنانها على الولد أو يكاد ينعدم ، فتلقى به في الطريق ، أو تتركه في المستشفى ، أو تحول بينه وبين الاستمرار في الحياة في صورة ما .

والمجتمع الذي يقصم على الأمومة غير الشرعية إذن ، مجتمع مادي ، تعتمد فيه روح الأسرة والرعاية الإنسانية الخاصة التي تتمثل في عطف الوالدين الصريحين .

الأم هي التي ولدت ذكراً أو أنثى على سواء . « إن أمهاتهم إلا اللائق ولدنهم » . والأم التي يقف منها الإسلام الموقف الذي سنحده هنا ، هي التي أنجبت الولد عن طريق زواج شرعي . هي التي قام بينها وبين زوجها عقد صحيح ترتب عليه التزاماته . ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، ويستحسن في نظر الإسلام من أجل ذلك أن يكون هناك إعلام بالزوجية ، سواء عن طريق ما يولم من وليمة . أو عن طريق إشاعته بين الأهل والجيران .

الإسلام لا يعترف بالأمومة غير الشرعية ، بمعنى أنه لا يقرها ولا يرتب عليها آثارها . لأنه لا يريد أن تشيع هذه الأمومة غير الشرعية في المجتمع ، إذ بذلك تختلط الأنساب من جانب ، ونقص الالتزامات التي على الرجل قبل الولد وأمه من جانب آخر ، والمجتمع حينئذ لا يستطيع بحال أن يتكفل بهذه الالتزامات نيابة عن الآباء ، المجهولين ؛

ابن يسار وحكى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ! أصبت امرأة ذات جمال وحسب ، وإنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ قال : لا ! ثم أتاه الثانية فنهاه . ثم أتاه الثالثة فقال : تزوجوا الودود الودود ( وهى التى تعرف بالوراثه فى أهلها ) فأتى مكاثركم بالأم .

كشفت هذا الحديث هنا عن الغاية التى من أجلها يبارك الإسلام الرابحة ذات الإنتاج البشرى ، وهى غاية تعسود على المجتمع الإسلامى نفسه ، تلك الغاية هى نمو هذا المجتمع بحيث يكون ذا قوة يدفع بها العدوان ، ويحفظ عن طريقها بماله من سيادة . والقوة التى يبنها الإسلام قوة السكم والنوع معا . . . . . أخشى أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصتها . قلنا يا رسول الله أو من قوة نحن يومئذ . قال : لا ، بل أنتم كثيرون ، ولكن كثرة كغثا السيل . . . . . فإذا كان الحديث السابق مجد الكثرة ، فهذا الحديث مجد النوع ، ويجمعهما معا تحمل الأم عبء مسئولية القوة العددية والتنوعية التى ينشدها الإسلام لمجتمعها . وهى مسئولية ليست هينة . فهل أعانها الإسلام على أداء هذه المهمة ؟ أم تغاضى عنها وأهملها وبذلك يكون متناقضا مع نفسه ؟ إذ هو فى الوقت الذى

ونظرة الإسلام إلى المجتمع نظرة إنسانية . ينظر إلى المجتمع على أنه وحدة متعاونة ، متجاوبة متساونة على أساس من التعاطف والمودة والأخوة . واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله آياته لعلكم تهتدون . . وليس المجتمع فى نظره أنه مركب تركيبا ماديا ، ليس أفرادا بعضهم يحوار بعض ، دون أن تكون هناك لحمة من معاني الإنسانية الخالصة . الإسلام لا يريد مجموعة من القطعان تنفد فيما بينها أو أصر القربى ، على أنها المجتمع .

### الأم فى الإسلام :

والأم التى يتحدث عنها الإسلام إذن ويقف منها موقف الرعاية ، ويحملها مسئولية كبرى فى تكوين المجتمع . هى الأم الصريحة التى جاء ولدها عن رواج صريح ، لم تفقد فيه كرامتها ، ولم تنزل بها أنوثتها إلى وضع الطريد أو الشريد ، أو على الأقل إلى وضع الساخط على الحياة المقتشاة فيها .

وهناك الأمومة فى الإسلام إذن هى زوجة لها ولد . والزوجة التى يباركها الإسلام هى الزوجة التى تشر الولد . يروى عن معقل



تقوم بمسئوليتها إزاء المجتمع الإسلامي، وهي مسئولية خطيرة كما رأينا .

وهذه القاعدة : أن يكون البناء بالزوجية قائما على اعتبار يتصل بأمر ذاتي في الزوجة كأم مثبلة ، وليس بأمر يخضع فيها . فليس المال ، والجاء ، وجمال الوجه ، إلا عناصر إغراء تنزلب إلى أسباب للكرهية ، إذا لم يكن لصاحبة المال أو الجاء أو الجمال خلق قوي تصون به قيمة مالديها من مال أو جاه أو جمال ، وتجعله نعمة أخرى بالإضافة إلى خلقها ، بدلا من يصير الأمر إلى نعمة تسبب الشقاء للرجل والمرأة على السواء . وهو شقاء الرجل بسبب خلقه إذا لم يستأثر وحده بالمال ، أو الجاء ، أو الجمال وشقاء المرأة بسبب شعورها بأن الرجل لا يقدّر فيها إلا المال أو الجاء أو الجمال . فيوم يفرغ مالها أو ينطفيء جالها ، أو يذو جمالها - يوم ينعدم وفاؤه لها ، ويقل تقديره إياها . وهذا الشعور بدوره يجعلها تنفق في حياتها ، مترددة بين أن تعطى وتمنع من مالها وجمالها . فإذا أثمرت ريجتها الولد كانت نهسا مع ولدها هي النفس الحائرة التي لا تعرف استقرارا في علاقاتها بزوجها وبولدها معا .

والمرأة ذات الدين هي التي تستطيع إذن أن تكون متجاوبة مع المجتمع الإسلامي

ببغى القوة للمجتمع ويمجد مصدر هذه القوة في الأم ، يتخلل عنها في الوقت نفسه .

### الأم كزوجة :

أي شيء صنعه الإسلام للآم وهي زوجة ، ثم وهي حامل ، ثم وهي مرصع ، ثم وهي راعية وموجهة لمن أرضعته ؟ . مراحل أربع في حياة الأم ، تتبدى بالعلاقة الزوجية وتتطور حتى نظام الطفل وتوجيهه .

ينصح الإسلام الرجل في مرحلة الزواج بأن يتخير ذات الدين لتكون الأم المثابة لولده . ويروي في ذلك أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تشك المرأة ( أي بزوجها الرجل ) لأربع : لما لها ، ولحسها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاطفر بذات الدين تربت يداك ، أي التصقت بالتراب إن لم تظفر بها . وهذا تعبير يكفى به عما ينظر من يؤس وشقاء الرجل الذي يتقاضى من حال الدين لمن يتزوجها ، ويؤثر مالها ، أو جاهها ، أو جمالها الجسدي . وفي حديث آخر : « إياكم وخضراء الدين » قالوا : ومن هي يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء . »

ومن هذين الحديثين يضع الإسلام القاعدة السليمة التي تبني عليها الأمومة الناجحة وهي التي

تحكما يبعده عن الاتجاه السليم غير البنائي .  
 فإذا قدر للعامل أن تنفصل أو يتفصل  
 عنها زوجها بعد استنفاد وسائل المراجعة  
 لكل منهما ، أوجب لها الإسلام النفقة على  
 الرجل طول مدة الحمل . . . . . وإن كن  
 أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضمن  
 حملن . . وهذا بالانضمام إلى ما طلبه منه  
 أن يكون تسريحها بإحسان . « أو ترجيح  
 بإحسان ، أى يكون الانفصال عنها في تهذيب  
 بحيث لا تؤذى ولا تضار في شعورها  
 كإنسان كريم .

وبما أوجه على الرجل من إتفاق طول  
 مدة الحمل ، وبما طلبه منه من المعاملة بالحسنى  
 إذا انفصل عنها على الإطلاق - رغب أن  
 يحيط الأم بحو من الرعاية المادية والنفسية ،  
 بحيث تتمكن من أداء رسالتها الكريمة .

### الأوم في فترة الرضاعة :

فإذا ولدت الحامل فالرعاية التي يطلبها  
 الإسلام لها كآم ، قائمة ومستمرة بعد أن  
 تضع وتتمهد ابنها بالرضاعة . وهي تلك  
 الرعاية التي يفرضها على الرجل قبل زواجه .  
 فإذا قدروا انفصل عنها أو انفصلت عنه وقت  
 الرضاعة - راعى ظروف الرضيع وظروف  
 والدته التي ترضعه ، بحيث لا يضار أحدهما  
 أوهما معا . قالت الآية الكريمة : « والوالدات  
 يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن

باعتبار أنه مجتمع قائم على نظام معين وله  
 وضع خاص حددته تعاليم الإسلام . وتجاوبها  
 مع المجتمع هو الذى سيكون لها القيام  
 بمسئوليتها إزاءه كآم .

تفضيل الإسلام المرأة ذات الدين لتكون  
 زوجة ، وأما فيما بعد - تدخل منه في بناء  
 الزوجية ، على أساس من الرعاية العامة للأم  
 عندما تؤدي دور الأمومة . ولو أنه أغفل  
 هذا التدخل وأجل التوجيه في اختيار الزوجة  
 لكثير عدد الأمهات في المجتمع من لا يستطعن  
 أن يؤدي دور الأمومة على النحو الذى يطلبه  
 مجتمع قوى في كنه ونوعه .

### الأوم كعامل :

فإذا ما تخطت المرأة نقطة البداية في حياتها  
 كآم ، فقامت علاقة زوجية بينها وبين الرجل  
 عندئذ يطلب الإسلام من الرجل أن يراها  
 ويعاملها بالحسنى « فأمسك بمعروف أو تسريح  
 بإحسان » .

ويروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يفرك مؤمن  
 مؤمنة ( أى يفضب منها ) إن كره منها خلقا  
 رضى منها آخر » . وذلك حتى يكون لها نفس  
 المعلن الراضى . فإذا حملت عندئذ ثوقت  
 لها ولجنها الظروف الموانية لنمو جنين نمواً  
 صالحاً بعيداً عن الأسباب التي تؤذيه مستقبلاً  
 في أعصابه ، وتتحكم في غزائره وميوله ،

على السواء ، إذا ما أرضعت ولدها فترة كافية وقامت بحضاته فترة أخرى بعد الرضاعة . وتمكينها من ذلك جانب من رعاية الإسلام إياها . وذلك عند ما فرض الإنفاق عليها وعلى الولد مدة الرضاعة وألزم به الرجل ، كما ألزمه بالإنفاق على الولد مدة الحضانه ، وبأجر والدته نظير قيامها بحضاته ، وإن كن ذلك العمل مما يلزم لها وتتوق إليه من طبيعتها .

### الأم في توجيهها :

هنا بعد الزواج ، والحمل ، والولادة ، والإرضاع — تأتي الأم الموجهة التي شملها الإسلام برعايته حتى الآن . تأتي الأم التي ستصوغ ولدها وستتقن بتوجيهه حسبما يطلب المجتمع . والمجتمع آتذ هو المجتمع الإسلامي صاحب النظام الخاص والأهداف المحددة المميزة له عن مجتمع آخر . تأتي الأم التي اختارها الإسلام زوجة . أو حدد على الأقل للرجل عنصر اختيارها . تأتي الأم ذات الدين ، التي تقي لدينها ولشئله أكثر مما تقي لمالها أو جاهها أو جاهها أو لآلى عامل آخر من عوامل الإغراء الظاهري وإذا كانت ذات دين فلا شك أنها ستسير بتوجيه الولد المسلك الذي رسمه الإسلام للمؤمن به ستير به في جانب العبادة المسلك الذي

يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف . . . وقالت الآية الأخرى : . . . فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ، واشتروا بينكم بمعروف . .

ثم يأتي بعد ذلك دور الحضانه واختصاص الأم بها فترة تختلف في الطول حسب نوع المولود لو فازت زوجها وانفصل كل منهما عن الآخر .

حرص الإسلام على أن ترضع الأم ابنها ، وأن تختص هي وحدها بحضاته في صغره ، لا لتساعده على نموه المادى . وإلا فهذا النمو المادى سيتحقق ما لو أرضعته أخرى ، أو قامت بحضاته غير والدته . وإنما قصد الإسلام من ذلك إلى تكوين العواطف الإنسانية الكريمة في الطفل عن طريق الرضاعة من الأم وقيامها بأمر حضاته . هذه العواطف الإنسانية الكريمة هي عواطف الترابط بين إنسان وإنسان ؛ بين الأم هنا وبين الولد . ولكن إذا تكونت في الإنسان الصغير عواطف الترابط بينه وبين إنسان آخر قريب منه وله — فإنه عند ما ينمو معه عواطف الترابط هذه ويتجاوز والدته إلى قريبه في الأسرة وإلى جاره القريب والبعيد . وبذلك تقوم لمة الإنسانية في المجتمع العلم . والأم حينئذ هي مصدر النمو الجسمى والنفسى

دائرة سلوك الحيوان ويمثل الرشد في الإنسانية .

والأم في توجيهها الولد أكثر إيجابية فيه من الأب ؛ لأن ملازمتها له أطول ، ولا لأن اختلاطها به أكثر من اختلاط الأب به بل قبل ذلك لأنها مرت بمحادثتين معه سوف لا تنساها طول حياتها وسوف لا يفساها الولد ، إذا وجه توجيهها سلبيا . والحادثتان هما : حادثة الحمل وحادثة الوضع ولذا تشير الآية الكريمة في سورة الاحقاف : ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا . حله أمه كرها ووضعته كرها ، إلى هاتين الحادثتين تأكيداً لقوة الرابطة بين الأم وولدها ، سواء في أثر توجيه الأم على الولد ، أو في أثر وفاة الولد لأمه على وجه الخصوص .

وبهذا نرى أن خط اتصال الأم بالولد خط مستقيم غير منقطع ، ترى فيه الأم من بدء علاقتها الزوجية بالرجل وكأنها بها تمنح عليه وتصوب نظراتها في استمرار إليه وهو بين أحشائها أو بين يديها أو ملتصق بصدرها أو وهو يحبو في رحابها ، أو وهو يستمع إلى نصيحها وتوجيهها . إنها الأم التي أنتجت وإنه الولد الذي انبثق منها بعد أن كان لطفة فعلاقة فضضة .

لهذا تقديرا لهذه الأم المنتجة المثمرة يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جاء

بؤكد صلبه بالله وينعى عنده الخشية من الله . وبذلك يتكون له ضمير يدفعه إلى السلوك المستقيم دفعا ذاتيا ، دون حاجة إلى أن يدفع من الخارج بسطوة القانون أو سلطة الحاكم : وستتبره في جانب المماثلة للغير مسلك المتعرف بوجود هذا الغير ، وبوجوب التعاون معه ، بامتياز المماثلة في الإيمان والأهداف المشتركة وبذلك تنفح حدة أنانيته ، فلا يظن على نفسه ولا على غيره ، أبداً كل ذلك الغير أو أما أو ذا قرابة أو ذا جوار له .

وباستقامة الولد في السلوك ، ويتكوين شعور المشاركة للغير ، عنده يتمثل في أطوار حياته المختلفة من مرحلة إلى مرحلة ، دون تعثر أو وجود أو تخلف . إذ أن هوائق التطور عند الإنسان من مرحلة طفوله إلى مرحلة رشده ونضوجه سيادة الأنانية عنده والذي يحده من هذه الأنانية لديه خشية من الله ، وتعوده العادات الحسنة ، وهي تلك العادات التي تقوم على عدم إغفال شأن الغير في السلوك .

والأم بهذا التوجيه أرضت الله والمجتمع الذي تعيش فيه ، كما أرضت نفسها . فليس لها من رضاء نفس وراء أن ترى ولدها ناجحاً ذا عزيمة وإيمان بالحياة وذا مستوى مهذب رفيع ، وهو مستوى الإنسان الذي تخطى

في الإسهام في بناء هذا المجتمع وفي استمراره  
فهي الأم . وإن تميز أحدهما عن الآخر  
في السعي وفي الحركة فيه من أجل الأم ، وكى  
تنهض بأعباء الأمومة الإيجابية فهو الرجل .  
وإن كان هناك واحد منهما يمتن به على الآخر  
في هذه الدائرة - وهي دائرة العلاقة بينهما -  
فهي الزوجة المثلى والأم المثالية : « ومن  
آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا  
لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » .  
فالزوجة في حياة الرجل هي مصدر استقراره  
واطمئنانه وهدوئه ووقايته من القلق  
والاضطراب ، كالبيت الذي يأوى إليه  
الإنسان ليقية أعاصير الجور وتقلباته .

وأخيراً : « المؤمن للؤمن كالبنيان يشد  
بعضه بعضا » . هذا هو شعار الإسلام .  
فليس هناك تقص في أحد منهما ، وإنما  
هناك انحراف في فهم الإسلام ، أو في تطبيقه ،  
أو في كليهما معا إن بدا خلاف حول قيمة  
كل منهما .

دكتور محمد البهي

المدير العام للثقافة الإسلامية بالأزهر

رجل إليه فقال : يا رسول الله ! من أحق  
الناس بحسبى ؟ قال : أمك . قال ثم من ؟  
قال : أمك قال ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم  
من ؟ قال أبوك .

والمجتمع ليس إلا فردا تنتجه الأم . وتوجيها  
لهذا الفرد تسهم فيه الأم بالنصيب الأوفر .  
هي بانية المجتمع إن كانت ذات توجيه سليم  
لولدها ، وهي حامل لإفئائه الأول إن أسامت  
التوجيه . ولا تنسى التوجيه إلا إذا لم تدرك  
خصيصة المجتمع الذي تعيش فيه : إلا إذا  
كانت متنافرة معه . ومن هنا كانت ذات الدين  
في المجتمع الإسلامى هي التي تدرك خصيصة  
ولهذا كانت أولى بالتوجيه والرعاية .

والأم في المجتمع الإسلامى - وهو مجتمع  
الإيمان بالله والعمل الصالح الخير - هي  
والرجل سواء . « ومن يعمل من الصالحات  
من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون  
الجنة ولا يظلمون شيئا » ، « من عمل صالحا من  
ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة  
ولنجزيهم أجراً بأحسن ما كانوا يعملون » .  
والإيمان والعمل الصالح هما قوام المجتمع  
الإسلامى وخصيسته . وإن تميز أحدهما

من الدراسات النفسية ...

## تحت ضوء القرآن والسنة

للأستاذ محمد محمد المدني

عميد كلية الشريعة

ما دام حيا فلا بد له من إرادة وعمل -  
إرادة ما ، وعمل ما - فإذا لم توجه نفسه إلى  
الحق اتجه إلى الباطل ، وإذا لم تشغل نفسه  
بعمل الخير انحدر إلى عمل الشر ، فلا واسطة ؛  
لأن الواسطة هي فراغ النفس ، وتحتل  
صفات الفطرة . والغرض أن الحى « حارث » ،  
بفطرته ، أى عامل كاسب ، و « همام » ،  
بفطرته . أى مرید قاصد .

ولما كان فراغ النفوس محالا ، حرص  
علماء النفس وحذاق المربين على أن يشغلوا  
الشباب بالأعمال الحادة ، وألا يتركهم  
ينحدرن بحكم هذه الفطرة إلى الأعمال الهائلة  
أو التافهة أو الفاسدة ، كما حرصوا على أن  
يملئوا القلوب بالعقائد الصحيحة ، والمبادئ  
السليمة ، والمثل القويمة ، لئلا يندفعوا إلى  
ما يناقض ذلك ؛ فإن الذى لا يؤمن لا بد  
أن يجهل ، والذى لا يمتلئ قلبه بالفضيلة

فى بعض ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « أصدق الأسماء حارث وهمام » .

قالوا : والحارث : الكاسب العامل ،  
والهمام : المرید القاصد .

يريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الإنسان بمقتضى فطرته لا ينفك عن أن يكون مریدا ؛ لأنه حتى له استمساك بحياته وتجاوب معها ، ولا بد له نيعا لذلك من أن يكون ذا مراد يسمى إليه ، ويعمل على تحقيقه فإذا سمي إنسان باسم « الحارث » أو باسم « الهمام » فقد طابقت هذه التسمية وصفا حقيقيا فطريا فى الإنسان فيكون قد سمي بما فيه حقا وصدقا .

ومن هذا القول النبوى الكريم ، ينبع أصل نفسى تربوى عظيم التفت إلى علماء النفس والتربية أخيراً ، ذلك هو أن الإنسان

يقول : « فذللكم الله ربكم الحق ، فإذا بعد الحق إلا الضلال ، فأني تصرفون » (١) .  
وذلك واضح في أنه لا واسطة ، وأن من انصرف عن الحق عامداً أو غير عامد ، فقد وقع في الضلال معنوراً أو غير معنور .

ويوضحه قوله تعالى في سورة الحمد : « إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » (٢) . فالصراط المستقيم واحد خصص أولاً « بال » ، التي للتعريف والعهد ، ثم خصص بالثمة الكاشف الموضح عن طريق إثبات أنه هو صراط المنعم عليهم ، ونفي أن يكون هو صراط المعاندين الذين سادوا عن الحق عمداً . أو الضالين الذين انصرفوا عنه جهلاً .

وإذن فمن ترك الصراط المستقيم ، فقد حاد عنه إلى صراط الجاهلين ، أو صراط المعاندين . ويقول الله جل شأنه : « ومن يمش عن ذكر الرحمن تنقيض له شيطاناً ، فهو له غريب » (٣) .

وقد جاءت هذه الآية بأسلوب الشرط والجزاء ، وهما كالتقدمة والنتيجة .  
والمعنى الذي نريد أن نلفت إليه هو أن

لا يلبث أن يقع في مهاوى الرذيلة ، والذي لا يسير في الطريق المستقيم ، لا بد أن يسير في طريق الضلال أو الفساد .

ومن هنا نشأت فكرة اتخاذ الأندية لتنظيم هو برىء للشباب ، ونشأت فكرة تعليم الرياضة وشغل ذوى الأجسام الصحيحة بها ؛ لكيلا يستغلوا فراغة أجامهم ، وصحة أبدانهم فيما يعود عليهم أو على المجتمع بالشر والفساد ، ونشأت تبعاً لذلك في المدارس والجامعات وجوه النشاط الجماعي ، ونشأت في المجتمعات فكرة التعاون والترغيب في عمل الخير ، لئلا يتجه فائض الأغنياء إلى مصارف أخرى ترضى الشيطان .

ومن هنا أيضاً يرى الحذاق من أرباب القيادة والتوجيه أن يفرسوا في النفوس بذور الإيمان بدعواتهم ، والثقة بنزاهة أغراضهم وأعمالهم ، وبأنهم على صراط مستقيم ؛ لكيلا يدرك النفوس فراغ منهم ، فتقصد إلى ملء هذا الفراغ بغيرهم ، وإلى التماس الزاد القلبي الإنساني من دعوة غير دعوتهم ، وفكرة غير فكرتهم .

كل هذا توحى به إشارة الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى أن الإنسان « حارث مهمام » .

وفي القرآن الكريم آيات يفهم منها هذا النظر الذي نظرناه : فالله سبحانه وتعالى

[١] الآية ٣٧ من سورة يوسف .

[٢] الآيتان ٦ ، ٧ من سورة الفاتحة

[٣] الآية ٣٦ من سورة الزمر .

المادية ، أو لوساوس الليل الشيطانية ، في أن تنشأ فراغا من قلبه فتملاؤه وتسيطر عليه .  
فالآية تجعل الصبر والتسليم بحمد الله ، أى استشعار عظمته وجلاله ، واعتقاد إشارته على جميع ما سواه ، هما الحصانة من التأثير بقالة السوء يلقى بها الأعداء تثبيطا للمصدقين ، وإدراجا عليهم ، وترشد إلى أن هذا هو السبيل المرجو إلى رضا النفس ، وأطمئنان القلب .

فإذا قال قائل : كيف يتصور أن يظل الإنسان طول نهاره ومن آتاء ليله ذاكرة مسبحا ، قلنا : إن الذكر والتسليم لا يراودهما عمل اللسان لحسب ، ولكن يراد بهما ذكر القلب وتسليم القلب . والمرء قادر على أن يجعل عمله حين يعمل ، ونشاطه حين ينشط ، وسكونه حين يسكن ؛ ذكر الله ، وتسليحا لله ، إذا قصد بكل ذلك السير على الصراط المستقيم ، واتباع سبيل المؤمنين ، وبذلك يمتلئ قلبه بالله ، فلا يجد الشيطان منه فراغا ينفذ إليه .

وقريب من هذا قوله تعالى : « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » (١) .

الله تعالى يقابل بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والصلاح والفساد ، على هذا النحو من الإيجاز مقابلة يفهم منها كل ذى عقل سليم أنه لا واسطة ولا فراغ ، فالإنسان إما في هذا الجانب أو ذاك .

هذا هو المعنى النفسى التربوى الذى يقرره القرآن الكريم ويبنى عليه وتنشأ عنه السنة وقوى إليه ، وإن كان يعد جديدا عن الذين يغفلون عما عندنا ، وتنحطف أبصارهم لما يرد علينا من غيرنا .

• • •

وللقرآن الكريم فى الانتفاع بهذه الفطرة التى تهدى إليها دراسة النفس الإنسانية ، نهج مرسوم ، والسنة مقفلة على أثره :

إنظر إلى قوله تعالى : « فاصبر على ما يقولون ، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آتاء الليل فسبح وأطراف النهار لعنك ترضى » (١) .

فإن الله تعالى يأمر رسوله بأن يصبر ويسبح بحمده فى أول النهار وفى آخره ، ومن آتاء الليل ، وفى أطراف النهار ، أى أنه يدعو إلى أن يكون ذاكرة ربه ، مسبحا بحمده فى غالب أوقاته لا يغفل عن ذلك ؛ لكيلا يترك الفرصة لشواغل النهار



فيقول : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ، وإخوانهم يمدونهم في النفي ثم لا يبصرون ، (١) فنعلم أن الذكرى تنفع المؤمنين ، وأن الاسترسال في العصيان بعد العصيان إنما هو مد من الشيطان .

وهذا هو السر في أن القرآن يذكر ، ويضرب الأمثال ، ويصرف الآيات ، ويتهز كل فرصة تواتره ليحتذب القلوب ، ويسترعى الأنظار ؛ لأنه دعوة واعية مبصرة ، تعرف أن القلوب إذا لم تشغل بها شغلت بغيرها ، فإن الفراغ محال .

\*\*\*

والسنة المطهرة تنقى على أثر هذا النهج : فما أثر من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تفكروا في ذات الله ، ولكن فكروا في صفاته » .

إن رسول الله يعلم أنه لا بد للإنسان من التفكير في الإله ، ويعلم أن ذاته لا تدرك ، كما قال في كتابه الكريم : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير » [٢] . وإذن قلن ينال من يفكر في الذات إلا الحيرة والاضطراب ، فلذلك صرف عن التفكير فيها إلى التفكير في صفاتها

(١) الآيات ٢٠١ و ٢٠٢ من سورة الأعراف .

(٢) الآية ١٠٣ من سورة الأنعام .

فليست الصلاة هي تلك المعروفة فقط ، ولكن كل تفكير في الله صلاة ، وكل انهماج إلى الله صلاة ، وقوله تعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات » تعبير شامل للمعنى الذي ذكرناه ، وهو أن الحسنة تطرد السيئة ؛ لأنها تحتل مكانها ، وتدفعها عنه ، وقوله جل شأنه : « ذلك ذكرى للذاكرين » تنبيه على أن المراد بذلك هو إصلاح النفس البشرية عن طريق تذكيرها بالله والعمل الصالح لتستحضره أبداً ، ولا تنفك عنه فيزغها من الشيطان نزغ .

ويوضح ذلك قوله تعالى ، معلماً رسوله كيف يتقى نزغ الشيطان : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، وإما يزيغوك من الشيطان نزغ فاستمذ بالله إنه سميع عليم » (١) .

يقول له : سر في طريقك والزم مثلك ، ولا تعباً بالجاهلين : جهل سفاهة أو جهل عماية وإذا راودتك الوسوس الشيطانية التي من شأنها أن تعترى البئر ، فاذكر ربك واجعله حصنك ومعادك ، إنه تعالى سميع لمن يستعيز به ، علم بذات نفسه .

وبعد هذا يذكر الله عز وجل هذا المبدأ مقارناً في شأنه بين المتقين وإخوان الشياطين

(١) الآيات ١٩٩ و ٢٠٠ من سورة الأعراف .

لماذا أرق خالد؟ لا بد أن يكون قد أدرك تفكير ما أقض مضجعه، ولا بد أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عرف لون هذا التفكير أو لمح فحاشته بما يمرقه من أحوال خالد، لذلك أرشده إلى دواء خاص فيه توجيه لفكره عن الله وقدرته وعظمته، وخضوع كل شيء لجلاله وربوبيته، ثم من جوار الله وحضائه، فإذا استبدل خالد بالتفكير الذي كان يؤرقه هذا التفكير، فلا شك أنه يطمئن قلباً، ويسرى إليه سكون الإيمان فينام آمناً مطمئناً.

فانظر كيف أدرك الرسول بثاقب بصره أن التفكير المقلق لا يطرده إلا التفكير المطمئن، فلم يقل لخالد: إترك التفكير الذي فكرت، وإلا لكان أمراً سلبياً لا يؤدي إلى الغاية، ولكنه وجهه توجيه إيجابياً: إلى دواء فيه إجماع، ومن ثم أمن فنام؟

محمد محمد المهدي

عميد كلية الشريعة

بالجامعة الأزهرية

والمراد آثار الصفات لاحقاتها أيضاً خلافاً لما يتخبط فيه كثير من المتفلسفين وأهل الكلام، وذلك ما يرشد إليه القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: «الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجمعه كسفاً، فترى الودق يخرج من خلاله»، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون، وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين، فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها، إن ذلك للحى الموتى وهو على كل شيء قدير، (١).

ومما أثر في السنة أيضاً في ذلك ما رواه خالد بن الوليد رضى الله عنه من أنه أصابه أرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أهلك كلمات إذا قلتن نعم؟ قل: اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لي جاراً من شر خلقك أجمعين، أن يفرط على أحد منهم أو يطغى: عز جارك وتبارك اسمك).

(١) الآيات من ٤٨ إلى ٥٠ من سورة الروم.

# يا قاسم العراق ويك آمن!

أحمد أحمد جلباية

مبعوث الأزهر ببلنجان

بالمدافع أبناء عمك ، وتحول وطنك الغالي  
إلى خرائب وتلال. الحناجر التي كانت تهف  
بجياثك جثت تمازيها بالشق ، والأيدى  
التي كانت تلتب من التصفيق لك أصبحت  
تسكتها بالتر ، والمبادئ التي من أجلها  
قامت ثورتك أصبح ترديدها والعمل لها جرم  
لا تغفر ، وعارا لا يغسله إلا الدم. والذين  
بادروا إلى تأسيسك وتسابقوا إلى غوثك ،

وحملوا أرواحهم على أكفهم من أجلك  
أصبح جزاؤهم الحق عندك وعند زبائتك  
أن تربطهم بالسيارات ، وتجرم في شوارع  
بغداد ، فإذا دهاك يا قاسم ؟ ماذا دهاك ؟ ؟

ماذا دهاك يا قاسم العراق حتى تحاول أن  
تفهم العروة ، والعروة وثقى . وأن تبيد  
الامة ، وهي خير أمة . وأن تمحو الدين ،  
وهو الدين القيم. وأن تمزق القرآن ، والقرآن  
محفوظ . وأن تطفى النور ، وبأي الله إلا أن  
يتم نوره ولو كره أمثالك . وأن تريد للحنيفة

السمحة الهوان ، ولقد تمرقت دونها عروش ،  
وتساقطت على حواشيها الخضرة تيجان ،

ماذا دهاك يا قاسم العراق حتى حدث عن  
الطريق الذي اختاره لك الله وذبحت تضرب  
في الأرض على غير هدى ، وقد اتوت أمامك  
المسالك ، والتفت حولك المهالك ؛ حتى  
وجعت نفسك في مسجة وهية لا أول لها  
ولا آخر ، حيث القانون للغاب ، والحكم  
للناب ، وأنت الفريسة يا قاسم . فإذا دهاك  
يا قاسم ؟ ماذا دهاك ؟ ؟

ماذا دهاك يا قاسم العراق حتى انقطعت  
عن القامة ، والقائمة تميز . وبعدت عن  
الراعى ، والراعى بصير . وسرت خلف  
دليلك ، ودليلك شيطان ، بفرك ويمنيك ،  
ويصلك ويرديك ، ويتربص بك اللواثر ،  
حتى إذا انقطعت من حولك الأصوات راح  
يمزق بأظافره لحمك ، ويروى الأرض من  
دمك ، والقتل في شريعته طاعة ، والظلم في  
أخلاقه قربى ، والقوة في رأيه حق ، فإذا  
دهاك يا قاسم ؟ ماذا دهاك ؟ ؟

ماذا دهاك يا قاسم العراق حتى تخرب بيتك  
بيدك ، وتصوب سهمك إلى صدرك ، وتحدد

وكنيت كالميكروب ؟ حتى إذا صنعت لك  
الفرصة انطلقت كالسحور بعينين زائفتين ،  
وفم يتقاطر منه الدم ، يريد أن يلتهم كل  
ما حوله ، واستندت كالحية الرطقاء على من  
صنع لها الجليل وأشعل لها المدفئة .

لقد كانت أهداف هذه الثورة - وأغلب  
ظنى أنك لا تعرفها - أن تزج الكابوس الجاثم  
على صدر العراق الذي ظل يش من تحته السنين  
الطوال .

أن تفتح الأبواب والنوافذ ؛ ليستشق  
الشعب نسيم الحرية العليل .

أن تحطم الاسوار التي وضعها الاستعمار  
ليعزل العراق عن الوطن الكبير .

أن تتخلص من أخطبوط العملاء والأذئاب  
والخونة الذين يتناوبون الحكم فيه لحساب  
الأجنبي الغريب .

أن تكسر الأغلال التي تربطه بالأحلاف  
والمعاهدات لتسير السفينة باسم الله بحريها  
ومرساها .

أن تريح النفوس من الكبت والعصف  
والطغيان ؛ لتندفع نحو التاريخ تضيف إلى المجد  
التليد طريقا ، وإلى مفاخرنا الخالدات عزما  
أكيدا وقتحا جديدا ونصرا مؤزرا .

أن تخرج من وراء القضبان العملاقة ،  
الكبار الذين عذبوا وأهينوا وسجنوا وسيموا  
وضاقت بهم المعتقلات ، أن تخرجهم حتى

وسارت تتحدى القرون واحدا بعد الآخر ،  
وكم بليت في كل قرن بظالم ، فإذا دهاك يا قاسم ؟  
ماذا دهاك ؟ ؟ .

ماذا دهاك يا قاسم العراق حتى تنسكت  
للقراية ، وأسأت إلى الجسوار ، ونسيت  
المهود والمواثيق ، ووليت صدرك إلى غير  
قبلتك ، وذهبت تلقى الوحى عن ينكر وجوده ،  
ويكفر بمصادره فيحل لك ويحرم ، يحل لك  
الدماء ، ويحرم عليك الإغناء ، ويزين لك  
الكفر ، ويينص إليك الإيمان ، ويفرق  
بك ما تجمع ، ويوزع بك ما اتحد ، ويهدم  
بك ما تم بناؤه أو كاد ، ولكنك آثرت  
أن تكون في يد العدو السلاح الذي أعطيناك  
إياه بأيدينا ، وأن تكون في ظهورنا الخنجر  
الذي وضعنا فيه السم بأنفسنا ، وأن تكون  
في طريق الحياة النور الأحمر الذي ينسدر  
بالخطر ، وكنا نعدك لتكون في سماء الحرية  
نهما ساطعا يتألق فإذا دهاك يا قاسم ؟ ماذا  
دهاك ؟ ؟ .

حدثني بربك : هل كنت في ثورة العراق  
أصيلا أم كنت عليها دخيلا ؟ ؟ فإن كنت  
الأول ، فما الذى غيرك ؟ لحوالك من بر إلى  
فاجر ، ومن مسلم إلى كافر ، ومن زعيم إلى  
خائن ، ومن قائد إلى عميل ، ومن ملاك إلى  
شيطان ؟ وإن كنت الثانى فكيف سريت  
كاسم ، واثقلت كالألم واختفيت كاللص

المسرح وبئس الدور ، ثم كانت نهايتهم على يد الشعب يوم حكم عليهم بالإعدام .

تذكر أن الذين يبايعونك اليوم هم الذين سيبيعونك غدًا في سوق النخاسة عندما يترامى لهم من هو أذل منك نفسًا وأشد فتكًا وأكثر خيانة وأتس عبودية . وأن الذين يبحرونك كما يبحرون قطع الشطرنج ، هم الذين من قبل حركوا لك الأساطيل وحشدوا لك الجنود وجمعوا ما لا قبل لك من الطائرات والدبابات ولكنك نسيت . . . فلماذا نسيت ؟ .

أتذكر يوم وقفت بثورتك في مهب الريح وفي مفترق الطرق تصغر من حولك الدروب وتضيق عليك الأرض بما رحبت ، حتى حصدت في منتصف الطريق من الهم . وفر الجرذان الحر إلى بيوتهم من المزع . فإذا بدولة تشق الظلام إليك كالعصر ، وتبدد الشكوك من رأسك كاليقين ، وتطرد الأشباح من حولك كالقذرة . وتجدد في نفسك الهممة كالأمل ، وتطل عليك وعلى ثورتك من بعيد كأنها ملاك الرحمة . لا شك أنك تعرف هذه الدولة فلماذا نسيت ؟ ؟ ؟ .

أتذكر غداة ثورتك حين هب أهداؤك لا لينجدوك وإنما ليقطوك ؟ وفقر حله أوك لا ليؤيدوك وإنما ليخنلوك ، وأسرع زملاؤك في حلف بغداد لينحروا بغداد . فإذا بدولة

يزول عصر الطغمان ، ويتجلى عهد الأفرام ، وينهب إلى غير رجعة حكم العبيد .

هذه هي أهداف ثورتك ، ولكن العصابة الخراء التي وضعوها على عينيك حجبك عنك نور الشمس ، فبت تنكر وجودها عن عمى . والشمس ساطعة ( يارفيق ) . ولكن وحدانية زعامتك التي خطموها عليك أنستك حقائق الأحداث فبت تنساها عن عهد ، والحقائق ناطقة ( بياسادة الرعيم الأوحده ) .

نسيت أن الشعب العربي كله صفق لهذه الثورة لأنها ثورته ، لأنها حصاد غرسه وتناج فكره وثمره كفاحه ، فيها صلاح وجهه وصدى قوميته وانقطاع دمه ومضاء روحه . صفق الشعب هذه الثورة بحرارة حتى دميت يداه ، وحسف لها من الأعماق حتى التهب حنجرتة ، وأقام لها الأفراسح والرينات ، وحلش الشعب العربي في عرس بهيج ، وبات في حلم لذيد ، وراح ينفى بهضه بعضا ولكنك نسيت فلماذا نسيت ؟ .

نسيت أن الذين يحرقون لك البخور اليوم هم الذين لو عرفوك أيام عبد الإله لجلسوا هسبا .

وأن الذين يقدمونك اليوم على مسرح الخيانة ؛ لتقوم بدور البطولة في النداما الحزينة هم الذين قدموا غيرك على نفس

يا قلم العراق ، فوحشت إليك في تمهد ، وعلينا  
في هيئة الأمم قضية مشهودة ولو ضبطت  
رصاصه واحدة لدفع باطلهم حقنا ، لفضل  
سعيناعن هداية ، لالصقت بنا التهم ونحن براء ،  
لصرنا مضغة في أفواه الأمم بلا جريرة ، فهل  
تذكر كل ذلك أم نسيت ؟؟؟

كلا لم تنس - يا سيادة الزعيم الأواحد -  
ولكنك وجدت العراق مريضاً فأردت أن  
تعالجه بالموت ، ورأيت فيه كسراً فأحببت أن  
تجبره بالبر . وشاهدت فيه رمفاً فكنت  
أفكسه ليسترخ . ولاحظت أن جماعة من  
الشعب لا يزالون خارج الأسوار فألصقت  
عليهم بالاعتقال ، ليكون العراقي كله داخل  
سجن كبير وتكون أنت - يا سيادة الزعيم -  
بجانه الأواحد ، وجلاده الفرد ، وعرفت أن  
سلفك الشهيد نوري السعيد قد قتل دون أن  
يتم ما بدأ ، دون أن يؤدي الرسالة على وجهها  
الصحيح ، ولأن في طريقته أخطاء ما كان مثله  
أن يقع فيها . . .

كان يهدم بالمعمول فرأيت أن نهدم  
بالصواريخ . . . وكان يقتل بالأفراد لجنت  
تخصمهم بالآلاف ، وكان ينحر كالسوس فكنت  
أنت كالسرطان . . . وكان يقتل الشعب  
فرادى فأحببت أن تنتهي منه بين يوم وليلة ،  
وكان يريد أن يسلم العراق للاستعمار ، فجعله  
أنت نهبا مشاعا بين الشيوعية والرأسمالية

تركب الاخطار وتجر بين الحديد والنار  
وتحصدى الأسطول السادس ، والحصار  
المضروب وترسل إليك بياخرين محتلين  
بالسلاح وأنت أخرج ما تكون إلى السلاح .

دولة تدفعها الرحمة وتهزها القراية ويفرض  
عليها الجوار . فتويدك بدون حلف ، وتقف  
إلى جانبك بدون غرض ، وترفع أول صوت  
في العالم بأن الاعتداء على العراق اعتداء عليها  
فهل تعرف الفرق بين الحلف والحياد ؟ بين  
الطمع والتجرد ؟ بين الغريب والقريب ؟  
هل تعرف هذه الدولة ؟ لاشك أنك تعرفها  
فلماذا نسيت ؟؟؟

أذكر يوم كنت تتطلع في لحظة وحيرة  
حيناً إلى إقليمنا الجنوبي ، وحيناً إلى البحر  
الأبيض ؛ لتسمع كلمة واحدة من رئيسنا جمال  
يهدى بها روعك ، ويثت بها قلبك ؟  
فإذا به يقطع رحله من أجلك ويترك أفلاذ  
كبده في عرض البحر في سبيلك ، وبطير إلى  
دمشق والطائرات الأمريكية تحجب السماء . .  
وقطع أسطولها تنظي سطح الماء ، والجنود  
الإنجليز ينهثون من وراء حدودك الجنوبية  
في الأردن ومع ذلك يطير الرئيس إلى دمشق ؛  
ليكون إلى جوارك يملأ للآلات استكون مع  
العراق ضد أي عدوان ، ويأمر بأن يضع  
نحت تصرفك ثلاثين ألف رشاش وعدداً  
كبيراً من طائرات الميج ، وطلبتها أنت بنفسك

ليخرج قاضل الجمالي ونديم الباجهجي  
وعبد الوهاب مرجان ، وليدخل إليها الذين  
عرضوا صدورهم لرصاص نوري السعيد  
وبطلته . . .

ثم اتفقت في لؤم إلى العرس البهيج لحولته  
إلى ماتم ، وإلى الحلم اللذيذ فقطعت بالكارثة ،  
وإلى التهاقي الطبية لجمعها عزاء ساراً . وإلى  
اليدين التي أنقذتك من غرق نعلها بحرارة ،  
وإلى الملاك الذي هبط عليك بالرحمة ترجمه  
بالحجارة ، وإلى الدولة التي وقفت وحدها  
إلى جانبك تتأمر عليها ، وإلى السلاح الذي  
حملناه إليك بلا مقابل ترفعه في وجوهنا ،  
وإلى الأبطال الميامين الذين قاموا بالثورة  
وقدموا لك الرئاسة على طبق من ذهب -  
وكنتم يومها تتحق كالنعامة - قت تكافتم  
بالإعدام ، وإلى الشعب الذي هتف لك وصفق  
وحللك على كنفه ، جئت تمزق أضلاعه  
بالرصاص ، وتجره في شوارع بغداد . وإلى  
المولى سبحانه وتعالى تضعه في قصص الاتهام ،  
وإلى الحنيئة السمحة تسلط عليها المارقين  
من أتباعك ؛ يهتفون ضدها بأن لا عروبة  
ولا إسلام . . . وإلى عاصمة الرشيد تفرقها  
بالدماء ، وتفرشها بالآشلاء ، لتلقى على يدك عالم  
تلقه على يد هولاء كوا .

إله يا رب ( أولم يسيروا في الأرض  
فينظروا كيف كن عاقبة الذين من قبلهم كانوا

والصهاينة ، وكان عبداً لشیطان واحد فصرت  
عبداً لآلهة متعددين ، وشركاء متشاكسين  
وشياطين لا أول لها ولا آخر . وكان يحكم  
الشعب بنفسه ويدير أموره بهواه ، فأجبت  
أن يحكمه من ليس منه ، ويتحكم فيه الدخيل  
عليه ، ويصير أمر الموت والحياة فيه إلى الرطع  
والسفلة والمجانين . . . وكان يحارب الشيوعية  
بالدين واللغة ، فصرت تحارب القومية  
العربية بالكفر والإلحاد والجهود . . .  
وأردت أن لا يعيش العراق بدون نوري  
السعيد فكنت صورته البشعة . كنت للعرب  
المقتول ذنبه المنتفخ من السم ، وكنت للآل  
الذين البسيط جرثومة السل . وكنت أمتدادا  
للرمم الذي صار حي ، وللشر الذي صار قننة ،  
وللشرارة التي صارت حريقاً مروعاً يأكل  
الأخضر واليابس ، حتى بقنا نردد :

رب يوم يحكى منة فلما

صرت في غيرة بحكيت عليه  
وخرجت علينا بأهداف ثورتك فإذا بك  
بدلاً من أن تزج الكابوس جئت تزبده هولاً  
وشدة . بدلاً من أن تفتح الأبواب جئت  
تغلقها بالسمع الأحمر . بدلاً من أن تنخلص  
من الأخطبوط صرت تنسدم إليه الضحايا  
والقرايين . بدلاً من أن تتمذ السفينة  
أصبحت تفرقها في الوحل . وفتحت أبواب  
السجون - كما يقول سفيرك في القاهرة -

أقوى من أيديهم تطوح بهم في عالم الزوال ،  
 أين هم الآن ؟؟ منهم من قتل ومنهم من اعتقل ،  
 ومنهم من فر ذهبوا ، فأصبحوا لا يرى  
 إلا مساكنهم . . . .

وكان قبلك ناس أوتوا أثارة من علم  
 لجمعتم بهم على غير هدى ، حتى ارتفعت  
 عليهم جهلا . . . .

... رأوا النار من بعيد فظنوها نوراً ،  
 وأرادوا أن يسלטوها على الوطن الآمن .  
 وجلبوا القتاد من كل صعيد فظنوه زهوراً ؛  
 ليغرسوه في البلد الطيب . وجسوا اليوم من  
 التلال والخرائب وظنوها طواويس ليملقوها  
 في القصور الثم . وأرادوا أن يحبسوا الدين  
 في المتاحف ، وأن يحجوا القرآن من المصاحف  
 وأن يطفئوا نور السماء على الأرض . فإذا  
 كان ؟؟ لم تحرق النار إلا أصابعهم ، ولم ينبت  
 الشوك إلا في جلودهم ، ولم تنق اليوم إلا على  
 مسامهم . . . . وارتد القرآن عليهم عني يسرى  
 في الآذان التي ليس فيها قر في برادة وصدق  
 وطهر : ( ومثل كلبة خبيثة كشجرة خبيثة  
 اجثثت من فوق الأرض ما لها من قرار ) .  
 وبعد : فإذا بسد الحق إلا الضلال ؟؟  
 لو كانت القوة لغة البقاء لما بق على ظهر  
 الأرض إنسان ، ولا كلت السباع لحوم البشر ،  
 لو كانت القوة لغة البقاء لبقى فاروق حتى الآن  
 يقول في كبر وصلف ( أليس لي ملك مصر

هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض ، فأخذهم  
 الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ) -  
 أين ( الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها  
 الفساد ) أين يا قاسم لعراق ؟؟ أين ؟؟ .

لقد كان قبلك ناس أوتوا نصيباً من الأرض  
 فأدعوا الألوهية في السماء ، وورثوا مجموعة  
 من الألقاب فظنوا أنهم يملكون الرقاب ،  
 وأشرقت عليهم الدنيا بومضات من الحياة  
 لحكموا على غيرهم بالموت . . . . حكموا  
 لجاروا ، وأسروا فقهمروا ، وملكوا فاسترقوا ،  
 وخافوا على ملكهم من الزوال فثبتوا عرشه  
 على الجناح . واستوحوا دستورهم من الغابة ،  
 وقنعوا بملكهم في خضم هائج من السماء ! أين  
 هم الآن ؟ ؟ ؟ لقد خرت عليهم عروشهم  
 فهلكوا ، وانكفأت بهم سفيتهم ففرقوا ،  
 وأسدل عليهم الزمن ستاراً حالكا من النسيان .  
 ( فما يكت عليهم السماء والأرض وما كانوا  
 منظرين ) .

وكان قبلك ناس فرضهم علينا الأجني ،  
 ليسكنوا عينه التي تبصر ، ويده التي تبطلش ،  
 وقدمه التي يركلنا بها ، يستمدون قوتهم من  
 ضعفنا ، وعزم من ذلنا ، وبقاءهم من إبادتنا .  
 هم من بنى جلدتنا ويبرءون منا ويعيشون  
 معنا ولكن علينا . صبرنا على ظلمهم قادرين  
 فأولوا صبرنا بالعجز ، وسكتنا على ظلمهم  
 نائرين فصرخوا سكوتنا بالموت . فإذا بسد



# إلى من قال في بغداد: لا عروبة ولا إسلام!

للأستاذ علي الطنطاوي

المستشار بمحكمة النقض

ولقد لبثت ساكناً لا أتكلم مع المتكلمين،  
أكره أن أنظر إلى القوم نظر الخصم،  
وأعاطيهم خطاب العدو، وكنت أرجو  
أن يفثوا ويرجعوا فراجع كما كنا يداً  
واحدة على إسرائيل، على عدونا، بدلاً  
من أن نشغل عن عدونا بأنفسنا، ونكون  
عدونا له علينا، حتى سمعت خبر العدوان على  
تليذى الحبيب الذي جزوه على ما قام به  
جزاء سنار، التليذ الذي نسيته فذكرني

إن في عنق ديناً قليلاً للعراق الذي عشت  
فيه من عمرى سنين نلت فيها من خبره، وأكلت  
فيها من خبره، لا أستطيع أن أسكت فلا أوفى  
قليلاً منه بالكلام عن العراق، ودينا  
للأصدقاء الذين نالهم الأذى من يحكم اليوم  
العراق، ودينا أكبر وأقل للإسلام الذي  
تطاولوا على اسمه، وامتدت ألسنتهم الدنسة  
إلى الطعن به، وأيديهم الآثمة إلى تمزيق  
مصحهه ...

القافلة تسير . . وأن البقاء للحق: ( فأما  
الزبد فيذهب جفأً وأما ما ينفع الناس  
فيمكث في الأرض ) ثم ماذا وإن دم الشهداء  
لا يضيع؛ لأنه نور وحق . .

( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله  
أموالاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ) .

**أحمد أحمد جبارية**

مبعوث الأزهر ببلنجان

وهذه الأنهار تجري من تحتي) لبيق الشيشكلي  
حتى الآن يرغى ويزبد، يرق ويرعد، ويحكم  
ويستبد . . لبيق بوري السعيد حتى الآن ينشر  
الذعر والرعب والفساد ولا أظنك تجهل .

فسد إلى عقلك واتعظ . . أنت في غفلة  
فتدبر . . أنت في غفوة فتبصر . . أنت  
في غمرة فتذكر . . تذكر أنك تدفن كل يوم  
بعضك . . وأن الديان لا يموت . . وأن

في القدس ( من خمس سنين ) لولب المؤتمر ، وكان له فيه أظهر الأثر ، والذي بعث الإيمان في نفوس شباب العراق بعد ما حسبناء قد مات في نفوسهم .

رأى هذا الصديق ما يجري في العراق من عدوان هذه الشيوعية الباغية القاهرة ، على الدين والحرية والحق وكل ما يميز به البشر من الفضائل ، وعلم أن الساكت عن الحق شيطان أخرس ، فلم يرد أن يكون شيطانا فذهب إلى حرين الأسد ، وكان يعلم أن القتل في هذا المسمى أقرب إليه من الحياة ، ولكنه كان يروى قوله صلى الله عليه وسلم ( أفضل الشهداء رجل قال كلمة حق عند ملك جائر يقتله بها ) فطمع في منزلة الشهداء .

وكان العشية في داره ، وكان حوله أهله وأولاده ، وكانوا يرقبون الأذان ليفعلوا ( وكان ذلك في رمضان ) فسمعوا النجدة ، وزلزلت الأرض ، لقد جاء المجرمون ودعوه ليخرج أو يدخلوا عليه ، لحى عياله بنفسه وخرج ، فتناولوه بالسب والشتم من ألسنتهم وبالختاجر والسكاكين من أيديهم ، وتطلع ولده الصغير ليرى ما الخبر ، قبلت القسوة من نفوسهم أن حملوه ورفعوه ليرى مصرع أبيه ، وعاد الولد يسأل أمه :

- ماما ، ليش ضربوا بابا ؟ متى يرجع بابا لياكل معنا ، فقد أذن المغرب ؟ .

بنفسه وهو في أوج سلطانه ، وذروة عزه ، وجعل يقول لكل من يلقاه في دمشق لما جاءها إثر ثورة تموز ( يوليو ) ومن يلقاه في العراق من المحامين والأدباء لما ذهبوا إلى بغداد في المؤتمرين : أين فلان ؟ ( أين حل الطنطاوي ) الذي كان لنا من توجيهاته ودروسه حافزا لما صنعنا ؟ يقول هذا كرامنه ونبلا ، وليس هذا واقعا ولا حقيقة ، وبلغني ذلك وسأولت أن أتذكره فما ذكرته . لم أذكر الإسم لما سمعته من الناس ، ولا الصورة لما رأيته في الصحف ، حتى جاءني رفيق من رفاقنا في العراق لما كنا مدرسين فيه ( من بصع وعشرين سنة ) فنظر إلى صورة طائفة من الطلاب كانت صدى ، فقال : هذا عبدالسلام عارف ، فردت على هذه الكلمة ذكرياتي عنه كلها ، وعرفت التليذ الحبيب النجيب ، وكان طالبا في الفصل الذي تسلمته من الأستاذ الأثرى .

فيا أغني عبدالسلام عارف ، عليك السلام من وراء القيود والسدود سلام القلب ، سلام الحب ، سلام الوفاء .

وقرأت في جرائد مصر خبر الفجيرة بالصديق العزيز العالم الذي قتله قاسم ، فأحسست لما رأيت الخبر كأن صدحا انصدع في كبدي ، الصديق الكريم الوفي المتخلص المؤثر على نفسه الذي عرفته في السفر والحضر ، والذي كان

العروبة والإسلام ، بهما قامت من العدم ،  
وبهما بلغت المجد الذي نطح النجم ، وزاحم  
في الخلود النهر ؟  
فماذا يبقى من العراق إن خلا من العروبة  
والإسلام ؟

لا عروبة ولا إسلام يا أولاد الحرام ؟  
كلا . بل عروبة وإسلام لا ينفصلان ، ولا  
يختلفان : إسلام نبيه من العرب ولغة كتابه  
العربية . والحج فيه إلى البلد العربي القفر  
الذي لا تعدل منزلته في قلوب أتباعه جنات  
الأرض كلها ، وعروبة ما أعزها ولا سماها  
إلا الإسلام ، عروبة دستورها القرآن ما أحله  
أحطائه ، وما حرّمه حرمناء ، وما أمر به فعلائه .  
عروبة قائدها ورائدها محمد عبد الله ورسوله ،  
لا يخالف عن أمره ، ولا تتبع غير سبيله .  
وتاريخها ، التاريخ الذي به نخرها وعزها  
تاريخ أمة محمد .

\*\*\*

إن هذا الإسلام عجب من العجب ! إنه  
يأخذ من كل أزمة قوة جديدة ، لقد استفدنا  
قوة للإسلام مما يجري اليوم في العراق . كان  
دعاة الشيوعية حين يدعون إليها المغفلين  
من الناس يزينونها لهم ، ويرونهم الحكم  
الشيوعي جنة فقد رأوا آيات هذه الجنة ،  
إنها كجنة النجاش في ما تشق به الأتقى  
وتقتدى به الأعين ، فيها الدماء الجارية ،

وصاح المؤذن : الله أكبر . الله أكبر .  
« الله أكبر » على كل من طغى وبغى  
واستكبر . وقضى صديق محمد محمود الصواف  
الذي كان في شباب العراق « ابن الأزهر  
البكر » .

وأسدل الستار على فصل من المساءة التي  
تمثلها الشيوعية على مسرح العراق ، والتي  
لا تحصى من كثرتها فصولا .

\*\*\*

وقرات جريدة « الأيام » في الشام ، من  
أيام ، أنه قد صار هناك هؤلاء الحفوة  
الأوغاد في شوارع بغداد : « لا عروبة  
ولا إسلام » .

لا عروبة ولا إسلام ؟ يا أولاد الحرام ؟  
ماذا يبقى من العراق إن خلا من العروبة  
والإسلام ؟ وأى أرجاء العراق يقركم على  
هذا النداء ؟ ألوية السليمانية وأربيل وكركوك  
التي تمتلئ كلها بزوايا النقشبندية حيث القوم  
جميعاً شافير المنصب ، نقشبنديو الطريقة ،  
لا يعرفون إلا الإسلام ؟  
أم الفرات الأوسط ومن فيه شيعة « على »  
المسلم العربي .

أم البصرة ، والبصرة دارة العربية ،  
ومثابة علائها ؟

أم بغداد ، وبغداد غرسة من غرسات

ضعاف الإيمان أنها نهاية الإسلام فأين المغول اليوم وأين التتر ؟ .

وأير الصليبيون المستعمرون ، لما انتقلت جعافهم من أوساط أوروبا إلى القدس ، وملكوا ديارنا نحواً من مائة سنة ، وأعلموا فيها دولا ، وحسب ضعاف الإيمان أنها نهاية الإسلام فأين الصليبيون اليوم وأين دولهم في بلاد الشام ؟ .

لقد قال هؤلاء كلهم كما يقول الشيوعيون في بغداد : لا عروبة ولا إسلام ، فذهبوا هم حتى صاروا أحاديث ، ثم نسيت عنهم الأحاديث فلم يعد يذكر أكثرهم ذكر وبقيت العروبة في ظلال الإسلام .

مآثر العرب العرباء خالدة

والدهر يسهم والإسلام إسلام

إن الله قد تعهد بحفظ هذا الدين ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) وما يتولى الله حفظه فلن يضيئه أحد ، وإن الله يدافع عن الذين آمنوا ، ومن يدافع عنه الله فلن يقدر عليه أحد .

لقد صنعت تركيا الكالية ما صنعت في عمارية الإسلام ، ودأبت على ذلك ثلاثين سنة ، وحزرت لذلك المدرسة والمحكمة والسوق

فيها البيوت الخالية ، فيها السجون الخالية ، فيها للإرهاب الغرف المبوثة ، فيها اليهود المنسكوثة ، فيها الجوع والخوف ونقص الأموال والأنفس والثمرات !

فأى أحق ، بل أى حمار ينخدع بدعوى الشيوعية بعد اليوم .

ومستذهب الشيوعية من الأرض حتى لا يذكرها ذاكر ، ويبقى الإسلام ، لقد حاققت بالإسلام نكبات أشد وأقى ، وحسب ضعاف الإيمان كما يحسبون اليوم أنها نهاية الإسلام ، فما هي إلا أن يتفرض الإسلام انتفاضة يقطع بها حبالها ، ويلقى عنه أنقالها ، ويمشي في طريقه . إن فتنة القرامطة التي امتدت واشتدت حتى نصيد أهلها الحجاج من حول الكعبة ، وذبحهم فيها فسالن دماؤهم من ميزاب الرحمة ، وقلعوا الحجر الأسود ، وكسروا عسكر الخليفة . وفعلوا الأفاعيل . وحسب ضعاف الإيمان كما يحسبون اليوم أنها نهاية الإسلام ، فأين القرامطة اليوم وأين من يعرف خبرهم ؟ .

أين مصيبة المغول والتتر لما استباحوا هي الإسلام ، على يد هولاء كواولا ، وتيمورلنك ثانياً . وذبحوا رجاله ، وسبوا نساءه ، وهدموا مدنه ، وأسروا ملوكه ، وحسب

دعائهم حتى جعلوا هذه الأرض عربية مسلمة ،  
ووضعوها أمانة في أعناقنا وإن نقرط إن  
شاء الله في هذه الأمانة ، لا ندعها للشيعوية  
الأنجمية المملوكة ولا لغير الشيعوية ، بل  
سنحفظها حتى نسلها لمن بعدنا عمدية مسلمة  
ترفر عليها راية القرآن .

إنها لا تزال طائفة من أمة محمد على الحق  
لا يضرها من عالفها حتى تقوم الساعة ، وإننا  
نرجو أن نكون من هذه الطائفة .

وبعد يا سيدي رشيد عالي ! ويا أخى  
عبد السلام طارف ! أسأل الله أن يفرج عنكما ،  
ويرفع عنكما أبدى الظلمة البغاة أعداء الله ،  
ويا أخى الشهيد السعيد الشواف عليك  
رحمة الله وسلامه .

اللهم عليك بالقتلة الظالمين أعداء الدين ، اللهم  
إنهم لا يعجزونك ، اللهم إنهم لا يعجزونك ،  
اللهم من أراد الإسلام وأهله بخير فوفقه  
لكل خير ، ومن أرادهم وأهله بشر غفده أخذ  
عزيز مقتدر . . . ١ .

اللهم إنه دينك ، اللهم انصر دينك .

**على الطنطاوى**

المستشار بمحكمة النقض

والبيت ، وحسبت أنها قد نجحت وأنها قد  
نشأت نفاً معادياً للإسلام ، قد عى الدين من  
قلوب شباب ، كما عيت ألفاظ العربية من  
ألسنتهم ، فهاهى إلا أن أروحت الحبل قليلاً ،  
ووصعت السوط قليلاً ، حتى امتلأت المساجد  
بشباب المصلين ، وإذا الدين لا يزال قويا  
كما كن ، ما صنعت هذه البرامخ وهذه القوانين  
وهذه السنون في عمارته شيئاً

فيا من تحكمون العراق ، إذا كنتم تظنون  
أنكم تستطيعون أن تبدلوا العراق خير  
العراق ، وأن تغيروا نفوس أهله ، وتمحووا  
تاريخه ، وتمسخوه شيوعياً ، بعشرة آلاف  
أزهر تطلقونهم في الشوارع ، ويمسرح هؤلاء  
سيتموه محكمة - فأنتم في ضلال بعيد .

إنكم لا تستطيعون ذلك إلا إن قتلتم كل  
نصير للإسلام عدو للشيعوية في العراق ، هم  
أربعة ملايين وتسعمائة وتسعون ألفاً من  
الملايين الخمسة التى تسكن العراق ، هؤلاء  
( فقط ) هم الذين يكرهون حكمكم ويعلمون  
أنهم عليكم وما عداهم المؤيد لحكمكم النصير  
لكم ، وترعون بعد أن الشعب معكم .

لقد أراق أجدادنا العرب - الذين شرفهم  
الله بحمل رسالة السماء - أراقوا أنهاراً من

# نفاية القرنين

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

— ٦٧ —

دين، وكرامة، وتفاهم  
لا شيعية، ولا تبعية، ولا مداينة

- (أ) أفغير الله أبغى حكا ، وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا ٩٤ .  
(ب) أفغير دين الله يغنون . وله أسلم من في السموات والأرض ٩٤ .

ويضح من صدره ، ويناقش مجادليه في رفق حتى يقيم عليهم الحجة في موادة ، وفي قوة ، فيستجيب للحق أناس ، وينأى عن الحق آخرون ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى .  
٢ — وكان من حجاج الرسول أن يقول للقوم في ذبانه عن الحق ما عليه ربه ، وأفغير الله أبغى حكا ، يعني : أتريدون أن أنازعكم وأحكم إلي غير ما أنزل الله ؟ وكيف — وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا — يعني في دين الله كفاية لنا جميعا ، فلا وجه للعدول عنه إلى ما تواضعتم عليه .

وكان من مؤازرة الله لرسوله في جهاده للبطلين ، ودفعته لمفترياتهم أن يزيد تمسكا بحقه واطمئنانا إلى نصرته ، فيزل عليه قوله سبحانه — أفغير دين الله يغنون — يعني هل

١ — من المفروغ منه أن الدعوة الإسلامية كانت قديما بين أنصارها وخصومها سبب أخذ ورد ، وسبب دخول في أزمات جاثمة طالما انتهت بنصرة الحق على الباطل ، كما هي سنة الله في تدبير هذا الكون ، وكما وعد الله عباده ، إن الباطل كان زهوقا .

وكثيرا ما كان يحال خصوم الدعوة في استدراج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جانبهم ، وإخضاعه لتقاليدهم وأهوائهم ، أو زحزحته عن الأخذ بما أنزل الله عليه من دين وأحكام .

وكانت سياسة الرسول — صلى الله عليه وسلم — التي تعلمها من توجيهات ربه ، وكان يلقيها لأصحابه وأمة أن يسطر من حله ،

من الغير بشيء من ذلك . . ولا نسمع لأحد باستدراجنا إلى الانحراف عن سبيلنا ، أو ديننا ، والتقدم بمذاهب تأباهم تقاليدنا ، ولا نستريح إليها مهما تكن مألوفة عند سوانا .

هذا منهجنا الذي همت به ثورتنا وشعبنا ، وهو شعارنا الذي يتوشع به زعيمنا ورجلنا في كل ما يتحدثون به عن الأمة ، ويعربون به عن أمانيتها ومصالحها . . وقد قطعنا شوطا غير قصير ، واتفق مسلكنا في غير شبهة ، ولقينا ما لقينا من مقاومة أو تأييد . . . وشكرنا للحسن إحسانه ، وعرفنا للسيء إساءته .

فإزاء هذا كله يكون من المؤسف أن نضجنا سيامة جديدة تتحول بها حكومة صديقة إلى غير ما ظننا .

٥ — ظفرنا بصداقة الروس ، وانفعنا بهم ، وشكرنا لهم أن وقفوا بجانبنا ، وعتفوا بحقنا وما برح كل منا - فياوراء الاقتصاد والمعونة — حل نظامه الاجتماعي ، ومازلنا على عقيدتنا وديننا ، ولم يدر بخلدنا أن يتهاوت الروس على استدراجنا إلى مذهبه الشيوعي ، وأن يشعرونا بأن معوتهم كانت شباكا يتصيدون بها ، وأنها فصرة تدفع ثمنها من دينتنا ، وأجنادنا ، وحریتنا . . . وفاتهم

يتفنون ديننا وضعيا غير دين الله الذي شرعه وحدا إليه ، وكيف يدلون عن مطاوعته تعالى وهو الذي أسلم إليه ، وخضع لسلطانه كل مخلوق في السموات والأرض .

وهذا جانب من النهج الديني الذي نرسمه في شأننا مع الغير كلما جئت مناسبة لمثل هذا الجدل .

٣ — وقد تعاقبت الأزمان ، وتماوجت بثورات ، والناس يرون من أعراض المجتمع البشري في يومه شباها قويا بما كان في أمسه ، فيقوم للحق أنصار ، ويؤور عنه آخرون .

٤ — ونحن اليوم لنا بصدد دعوة جديدة ، وإنما نحن في أعقاب ثورة منزلة : ثورة على الفساد كله ، وعلى الاستعمار والتحلل ، وفي إبان نهضة نقطة شامة ، نسعى إلى أهداف مرموقة ونسلك إليها سبل عدة ، ولكنها السبل المشروعة .

ونحن في وجهتنا إلى الغايات الكريمة لا نتحاذ إلى الشبهات ، ولا نخيد عن الجادة ، وسنظل جميعا بما لنا من دين سماوي ، ونسير في ضوئه نحو إغاثة إنساني ، وتضامن عراني ، وتعاون حميد : في الثقافة المجدية ، وفي الاقتصاد المادي مع كل هيئة أو حكومة ذات نية ومروءة . . لا نتخالجنا مع الغير ألاعيب ، ولا نعرف المداهنة ، ولا نرضى

بها أمام العالم كله فإذا لم يكن الثالثة التي وضعت في زعيمنا قدر عند السوفيت ، أو غيرهم ، أو إذا كانت الصداقة البريئة من جاننا شركا للصيد في اعتبار أولئك الأصدقاء: فما حيلة الزعيم العربي إلا أن يترفع ، وأن ينبذ الصداقة المدخولة ، ويصارحهم بقول الرسول - صلوات الله عليه - لكم دينكم ولي دين - وهذا ملتقى الوطنية مع الدين ، وملتقى الإخلاص مع الصداقة ، وملتقى الوفاء مع الصراحة ، ولنا من جانب الله عون مكفول بعد ذلك وقبله ، إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، إن الله لا يحب كل خوان كفور .

٧ - ثم ما هي الشيوعية التي يدعوها إليها؟ قرأنا عنها شيئا، وسمعنا من دارسها كثيرا، وفيما قرأناه وسمعناه كفاية لفهمها ، والحكم عليها فالشيوعية - طبعا ليست ديناً ، ولا سياسة ، ولا اجتماعاً صحيحاً ، وإنما هي في حقيقتها أنانية وجشع ، وميول شهوانية تجسمت في صدور أناس من المتطرفين في عصور مختلفة ، وظهرت في ألوان عدة .

فهو كما يقول الفيلسوف الإسلامي جمال الدين الأفغاني مع الإيجاز : مذهب الطبيعيين الذين زعموا أن الدنيا وما فيها من كائنات عاضدة لنظام الطبيعة فلا إله ، ولا خالق ، ولا مؤثر في تلك الكائنات بوجود ، أو تطور ، أو قناء سوى الطبيعة وعلى ذلك

أنا حينما نظارد استعماراً ورضى عنه باستعمار آخر إنما نكون كمن يتداوى من مرضه بالسقم الزعاف .

وشاعرنا يقول :

إذا استشفيت من داء بداء

فأقتل ما أهلك ما شفاك

٦ - دبتنا بعلنا دائماً أن نحسن الصلة بالله ، وبالناس ، وأن نصامل بالوفاء والصراحة مع من ينضوي معنا في عقيدة واحدة ، ومع من لا ينضوي .

لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبرؤم ، وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين - العادلين .

وحينما اتجهت ثورتنا إلى الاستعانة بالسوفيت . أو بغير السوفيت كان زعيمها - جمال مستجيباً لمصلحة وطنه ، ومسترشداً بدينه : لا متجاهلاً ، ولا منحرفاً ، فهو يتعامل في جند ، وزراعة مثالية ، ولكن في خطواته مع السوفيت غير متكرر ، بل كان ملداً صريحاً ، وسياسياً صدوقاً .

وكان على السوفيت أن يؤمنوا به كبدأ ، ويعلمثون إليه في يقين . . حتى لا ينكصوا معه في الموقف ، ولا تتأرجح بهم الميول ، وتعتمد تحت أقدامهم المبادئ التي تظاهروا



وطبعا : كانت هذه الفلسفة مناقضة للدين ، عند اليونان ، وفاتنة للكثير منهم عن تدينه ، فانطلقوا حيناً من الزمن وراء فلسفة أبيقور ، حتى لعبت دورها في حياة الشعب اليوناني وزحزحتهم عن كثير جداً من تقاليدهم الأولى ، إلى ميوعة ، وتخلل ، وفساد ذريع . ثم تسربت هذه الموجة الطاعية إلى الفرس ، وأخذت مجالها في الإفساد ، وترعها فيلسوفهم - مردك - حتى أطاح بالعصائل كلها ، وضمضت كيان الفرس بعد قوة ، وحضارة ، وكان لهذا التهم والضعف دخل كبير في زحف العرب عليهم واحتلالهم بلادهم ، وانتشار الإسلام في ربوع تلك الدولة العتيقة التي أصبح لها شأن رائع في المحيط الإسلامي بما لها من ثقافة وحضارة .

ثم ظلت جرائم الفساد تنحدر من رأس إلى رأس ، وتسمى بأسمائها المختلفة ، حتى ظهرت في ألمانيا وفي محيط المال ، وراجت بينهم باسم - تحسين حالة المال الخاه ملخصا . ٨ - ونحن نعلم أن الوسط المال ، وعاصق في البلاد الصناعية كالألمانيا أكره الأوساط عندما وأشد حساسية بالجهود العمل ، وبالفنك المالي ، وأبعد عن الثقافة والهدوء .

ظهر فهم - كارل ماركس - وكان مولده سنة ١٨١٨ وامتدت حياته إلى سنة ١٨٨٣ واستغل سخط المال وحققهم على أصحاب رموس الأموال ، وألهب فهم روح التمر ،

لا يكون هناك آخرة ، ولا حساب ، ولا جزاء ، وإنما هي حياة دنيوية تنهى في كل شيء بالتدريج حسب طبيعتها . وما دام الأمر كذلك فالحياة كلها متاع مباح ، ولا يختص أحد دون أحد بشيء بل الكل شركاء في متع الحياة الخ .

وهذا بعينه هو مذهب الدهريين الذين يقولون بكل ذلك ، غير أن المؤثر عندهم هو الزمن وإذا انقضى زمن شيء ، أو زمن الدنيا فلن يعود لها وجود ، فلن تكن الحياة إباحية مطلقة إذ لا خوف من حساب ولا جزاء الخ ثم قال : مع الإيجاز أبعنا .

وهذان مذهبان عريقان في الفساد ، والإفساد ، لبثا زمنا طويلا ينعثر فيهما بعض المبطلين ، والجهلة ، ثم ظهرت بعدهما فلسفة - أبيقور - في اليونان ، وقد كان اليونان أهل دين ، يتخرجون من المآثم ، ويحترمون الحقوق الفردية ، ويرضون من الدنيا بما قسم لهم من حظ فيها ، ويدأبون في أعمالهم صير مآخطين ولا متمردين . . . تخرج فيهم أبيقور بفلسفة سماها حكمة ، وتبعه أناس سمو أنفسهم حكماء ، وسموا زعيمهم الفيلسوف الحكيم - أبيقور - .

كانت فلسفة أبيقور أو حكمته دعوة إلى التحلل من الدين واستباحة المنافع بكل ما يخص الغير من مال وغير مال الخ . .

حزب الأكثرية ، وهو يعيش اليوم في غير دين ، ويتحدث عنها من خالطوا الروس في بيتهم أحاديث غير مشوقة ، ويضربون الأمثال من الواقع على جفوة الشيوعية ، والامتعاض منها لدى المغلوبين على أمرهم هناك .

١٠ - وأيا ما كان : فمنحن تدين بدين الله الحق ، ولا نجد في طباقتنا وميولنا جنوحا إلى شيء من هذا التطرف والمعاداة للأديان السماوية التي تروينا في ظلالها ، فالمسلم على إسلامه ، وغير المسلم كذلك على دينه : حقوق مصونة ، وحرية مكفولة ، وعدالة وإخاء ورجوع إلى الله قدرا المستطاع .

واجتهاد وتنافس وعمل للدنيا في تعاون وبجانبه للطغيان ، بل رفق ، ورحمة ، وقناعة بما يتاح من كسب .

إذ ليس في استعدادنا أن نتجاهل قول الله تعالى « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » - ليتفع بعضهم بخدمات البعض وهذه توجيهات تلائم الفطرة وتنتظم بها الحياة ، وبدونها يتذبذب المجتمع وتهتز قواعد الاقتصاد ، وإذا نجحت يوما تلك النظم التصفية وهانت بجانبها اللادينية ، فإن المواقف غير مأمونة ، وكل ذلك لا يعجز الله أن يأخذ الدنيا بومضة من برق ، أو إحصاء من الريح ، فتصح دنيانا أثرأ بعد عين ، كما فعل الله بأمم خاليه كانت أشد منا بأسا وقوة ، والله عاقبة الأمور .

هبة المطيف البكي  
عضو جماعة كبار العلماء

ووضع لهم نظاما يطالبون بتنفيذه وسماه - الشيوعية - ومعناه : إلغاء الملكية الفردية ، والمساواة بين الناس في الأموال وراجت هذه الدعوة بين العمال في ألمانيا ، وحسبوا فرصة تفسح لهم مجال الرزق ، وتنتج لهم أن يملكوا نصيبا من أموال الأغنياء .

غير أن هذه الشيوعية نعثرت في معارضة الممارسين لها ، وتسكر في وجهها رجال الحكم في الغرب كله ، فاكثفوا عنها بتعديل نظام العمل وحالة العمال .

وبقيت فكرة الشيوعية تكبوتة عند أنصارها حتى كانت الثورة الأهلية في روسيا أواخر القرن التاسع عشر . وكان ماركس قد مات سنة ١٨٨٢ .

٩ - ففي أواخر هذا القرن كانت روسيا مع اليابان في خصومة وحروب ، فانتدز العمال الروس هذا التلق ، وخطط الجماهير على الحكم الفيصري ، وتألفت جموعهم ، وهتفوا بالشيوعية الماركسية ، وقام على رأس هذه الحركة - لينين ، ووضع لهم نظاما شيوعيا مؤلفا من مبادئ ماركس ، ومن رغبات جديدة ، فاستهوى العمال ، وهون عليهم أن ينبذوا التدين ، لأنه يحول بينهم وبين مطامعهم ولا يسمح لهم بالطغيان على أموال الغير أو الإسراف فيما يشتهون .

وظلت الشيوعية في مد وجزر بين دعايتها ومعارضتها ، وبقيت تحمل أسماء متنوعة ، وتتلون في أوضاع مختلفة ، حتى تركت ظاهرا فيما يسمى بالبلشفيك ، ومعناه :

# الدين والإنسان

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

المصدق لما سبقه من كتب سماوية ، ورسوله هو الذي جاء مصدقاً لما جاء قبله من رسل بعثهم الله لهداية الإنسانية ، وقد ضلت سواء السبيل ، وهو الذي جاء بالعقيدة الحققة بعد أن كان الناس منها في أمر مريج ، كما جاء بالأمن والسلام وبحرية الإنسان وحماية سائر حقوقه الطبيعية .

هذه العقيدة في الله الواحد الأحد ، الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، والذي ضمن للإنسان حريته وكرامته ، والضعيف حقوقه إزاء المقتدر بقوته وسلطانه ، فهو لهذا يتصرف للظلم متى آمن به ولجأ إليه ، وهو الذي وهب للعبد رجاء ، وللإنسانية إعاء ، وللناس إدراكاً للحقائق الأساسية التي تقوم عليها الطبيعة البشرية .

ولنسمع في هذا إلى بعض ما يقوله القرآن :  
« وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » ، « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » ، « وإذا سألك

الإيمان بدين ما حاجة من حاجات النفس البشرية متى كانت على فطرتها السليمة ، لا بد من تليتها ، بل لعله يكون في طبيعته غريزة لا بد من أن تجد لها مظهراً ومتنفساً ؛ وذلك لأن الإنسان طلمة بطبعه . فليس في تاريخ البشرية جماعة إنسانية إلا كان لها رأى في تعليل ظواهر الكون وأحداثه ، وفي مبدأ الإنسان ومصيره . ومن ثم يكون لها تصور للتموه التي تهيم على الكون ، وحيثما تؤمن بها وتدين لها ، وتحققها وترجوها ، وتقدم لها مختلف القربات والمبادات .

والإسلام هو الدين الحق ، وخاتم الرسالات السماوية والشرائع الإلهية . وبه تمت نعمة الله على الإنسانية جميعها ، وفي هذا يقول كتابه العظيم : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » ؛ كما يقول : « إن الدين عند الله الإسلام » ، ويقول : « ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » .

ولا عجب في شيء من هذا : فالقرآن هو

إلى ذلك الوعود الكاذبة يلوحون لهم بها ، كما يلوح السراب في الصحراء المهلكة للمسافر العطشان ، ثم لا يكون من وراء الطمع فيه ومحاولة الوصول إليه إلا الهلاك المحقق .

إن الشيوعية نظام أو فلسفة تقوم على إنكار الدين ، أى دين ، وبخاصة الإسلام الذى فصل الحقوق والواجبات بين طبقات الناس المختلفة ؛ ومن ثم فهم يعادى الدين وتحارب به بكل سبيل ، حرباً لا سلام معها ، ولا هوادة فيها ولا مهادنة ؛ لأنها لا تؤمن إلا بالمادة وبالقوة .

إنها لا تعترف بخالق الأرض والسماء ، ولا بقوة غيبية عليا تهيمن على العالم ، وتوجه الناس إلى ما يصيرون إليه حسب إرادة أزلية وعلم بما كان وما سيكون . فالدين فى رأيها ليس إلا خرافة من الخرافات وأسطورة من أساطير الأولين . وما رجال الدين أو دعاة فى رأى الشيوعية إلا خدعة يكررون بالناس ليستقيموا إلى ما يحمل به من ظلم . أو ينوبهم من استغلال الأقوياء لهم .

ومما جرى مجرى الأمثال التى تلوكها السنة الشيوعيين ، وتؤمن بها عقولهم وقلوبهم قوله « كارل ماركس ، المأثورة » الدين هو أفيون الفقراء » ، وقوله « لينين » : « الماركسية هى المادة ، وهى - لهذا - معادية للدين » ، وقوله أحد أعلام الشيوعية الآخرين وهو يقدم

عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون » .

والإسلام ، وكذلك كل دين سماوى بصفة عامة ، يمنع الإنسان من اتخاذ إله هواه ، ومن الانسياق لزعات الشر والسوء والشهوات الجامحة ، ويمنحه القوة على اقتحام المصاعب والشدائد ، ويمده بالعزيمة على المضى بنجاح فيما يريد من الخير ، ويحول بينه وبين اليأس إذا استحسنت حلقاته حتى يأتى الله بالفرج من عنده . والإسلام هو الذى يجعل الناس جميعاً إخوة متعاونين متحابين على اختلاف أجناسهم وألوانهم وطبقاتهم ، إلى آخر ما نعرف من المزايا التى لا تسعد الإنسانية بدونها . فإين هذا كله من الفلسفات الخاطئة الضالة ، والنزعات الشريرة الآثمة ، التى تجعل العالم جميعاً يصلها الأحياء ، والتى فرقت بين الناس بعضهم وبعض ، وبين الزوج وزوجه ، والآب وأبنائه ؛ أين ما جاء به الإسلام والأديان السماوية من تلك الفلسفات التى جعلت كل مقدس ، وأذكرت القيم الإنسانية الرفيعة ، واتى امتنت الإنسان وحرية ، وأضاعت قيمته وكرامته . وأصدق مثال لذلك كله هو الشيوعية التى يحاول أصحابها نشرها بالخداع ، والتفريز بالسدح من الشباب ، والكادحين من العمال والصناع ، وسبيلهم

العامة ، بل صارت شراً ورباً لا يجب بذل كل جهد للحد منه والوقوف دون استشرائه . إنه لا يمكن أن يحيا العامل حياة إنسانية تحت هذا النظام الذى يسلب حريته ويجعله مسخراً كأنه آلة من آلات الإنتاج ، بل إنه صار حقا فى روسيا وما والاها جزءاً من الآلة البشرية الهائلة ، وأصبح تحت رقابة طاغية مستبدة ، لا هم لها إلا سوقه بمصا من حديد لكي يعمل وينتج ، ثم لا يناله من ذلك الإنتاج الضخم إلا ما يسد رمقه ويكسو عورته ويجعله قائماً بالإنتاج ما بقى قادراً عليه .

والفناء الطبقات الاجتماعية فى نظام الشيوعية ليس إلا أسطورة أو وهما من الأوهام . وهو أمر يخالف كل مخالفة طبائع الأشياء ؛ فإن الله لم يجعل للناس سواسية فى العقل والتمكيز والقدرة على العمل والنجاح فيه ، وهذا هو الواقع فعلا فى كل زمان ومكان منذ وجد العالم والناس ؛ فمحاولة تغيير هذا الواقع منذ عهد البشر بالوجود ليس إلا عبثاً وأمرأ مقضيا عليه بالإخفاق ، لمناقضته للطبيعة وواقع الحياة .

وكل ما فعله النظام الشيوعى فى هذه الناحية حتى اليوم ، هو أن العمال ، وسائر الطبقات الضعيفة من الشعب قد استبدلوا بالذين كانوا سادة عليهم بحكم المولد وبحكم العراقة فى الحكم والسلطان ، سادة آخرين

لكتاب ، لينين ، عن الدين و الإلحاد جزء طبيعى من الماركسية لا ينمصل عنها . والشيوعية وقد أنكرت كل دين من أساسه ، ولا ترى معبوداً إلا المادة والقوة على اختلاف مظاهرها تنكر طبعاً ما جاء به الإسلام بخاصة ، من أصول ومبادئ معنوية روحية . وهى مبادئ لا يكون للإنسان وجود وكيان إلا بالاعتراف بها .

لأنها تنكر ما جاء به الإسلام ، من عدل يتساوى فيه الضعيف بالقوى ، ومن رحمة تجعل الحياة محتملة والإنسانية مقسamente . كما تنكر الحياة العائلية التى تقوم على الأسرة وما يربط بين أفرادها من الألفة والمحبة والتعاون والإيثار . وتنكر كذلك الحياة الأخرى التى يبنى الإنسان فيها جزء ما يعمل فى دنياه من خير أو شر ، إلى سائر ما يتصل بهذا كله من المبادئ والمثل الإنسانية العليا .

وإذا كان دعاة الشيوعية الأولون يحلون بما كتبوه ودعوا إليه من قيام مجتمع لا طبقات فيه ، ولا سادة فيه ولا مسودين ، بل كل يعمل ويحيا حياة طيبة لا استعباد فيها ولا استغلال ؛ فإنها قد انقلبت شيئاً آخر حين دخلت دور التطبيق العملى ، وصارت نظاماً للحكم فى بعض البلاد ، وبخاصة روسيا وما والاها من البلاد والدول الأخرى ، ولم تحقق ما وعد به أولئك الدعاة الأولون من خير الشعب وللأيدي

والرسول صلى الله عليه وسلم يوصى بالضعفاء خيراً ، ويقول في هذا : « فإِنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم » كما يوصى بالعمل والأجر ولو كان صداً مملوكاً ، ويؤكد أنه خصم من يظلم الأجير والعامل ويخسه حقه ويقول في هذا : « وإذا كلفتموهم ما لا يطيقون فأعينوهم » .

وافتح سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذه بكلمة قال فيها : « الضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله » . وكذلك كان يفعل رضي الله عنه هو وسائر الخلفاء الراشدين .

وإذا كان النظام الشيوعي لا يقيم وزناً للشعب بجانب السادة أصحاب القوة والجبروت ولا يعترف بحقوق الأولين إلا كما يعترف بحقوق للألة المسخرة تجعلها قادرة دائماً على العمل والإنتاج : ولا يزال « لينين » أن يكتب إلى « مكسيم جوركي » أحد مشاهير الكتاب الروس رسالة يقول فيها : « هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء » ، وإِنما المهم أن يصبح الربع الباقي منهم شيوعيين . . . » نقول إذا كننا الأمر في الشيوعية هكذا ، فإن الدين الحق غير ذلك كله ، إنه يعرف للفرد حقه ، كما يعرف للمجتمع حقه ويعرف للوالد حقه ، كما يعرف للشعب حقه . ها هو ذا

بحكم القوة والإرهاب ، سادة لا يقولون عن الأولين ظالماً وبطشاً .

أما الدين الحق ، أما الإسلام فهو يعترف بالواقع حين اعترف بنظام الطبقات الاجتماعية ، ولكنه سوى في الحقوق والواجبات على اختلاف ظروفها وأنواعها بين الفقير والغني ، وبين الضعيف والقوى . ثم بعد هذه القسوة فرض في أموال الأغنياء القادرين حقوقاً للفقراء والمحتاجين ، وذلك بنص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، كما هو معروف .

ولم يجعل الدين الإسلامي الغني فضلاً بسبب غناه ، ولا للشریف ميزة لنسالة مولده ، بل وسع للجميع عدله ورحمته ، واتصف من لقوى للضعيف ، وأخذ من الغني للفقير ، وحث الجميع على أن يعيشوا إخواناً تؤلف المحبة بين قلوبهم ويؤكد التعاون في السراء والضراء ما بينهم من وشائج وصلات ؛ وذلك بأنهم جميعاً لآدم ، وآدم من تراب .

ها هو ذا القرآن الكريم يقول : « يأها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كلكم لآدم وآدم من تراب . لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » كما يقول : « والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » .

قد جعلنا كلامنا من الزوجين سكنًا للآخر وموضع  
طمأنينة له ، وجعل بينهما مودة ورحمة تعين  
على الحياة وتذلل ما يقوم فيها مصائبه ،  
وإنما ما به من الأبناء قوة أعين لأبائهم وأوصى  
الدين جميع الناس بالرحمة والمحبة ليدوم  
ما بينهم من صلوات .

ولكن الأمر في الشيوعية على غير هذا  
كله ، فقد تناقلت الأخبار الواردة من روسيا  
أن ليس لمسلم أو مسيحي هناك أن يكون أسرة ،  
تقوم على ما يوجهه آفدين من أصول وشعائر ؛  
بحيث يكون لها كيان وقومية ووجود  
مشروع ، وبحيث تضم الزوجين وما يكون  
لها من أبناء يكون لكل منهم حقوقه وعليه  
واجباته ، بل الأمر هناك اتصال ذكر بأشئ  
زمنًا طويلا أو قصيرا ، ثم ما أيسر ما يكون  
الاتصال إن رغب أحدهما فيه ، وكفى بهذا  
هدما للفنية الأولى في المجتمع الصالح الحياة .  
وبعد ! لعل من أفضل ما نتخذه بهذا البحث  
هو هذه الكلمات التي هي ختام كتاب « حقيقة  
الشيوعية » وهي : إن الشيوعية هي انطلاق  
من كل قيود الروح ، وانقطاع في طريق المادة  
يقطع كل سبب بالأخلاق الفاضلة ، ويجري  
على كل فاحشة ، وينسى الله وثوابه وعذابه ،  
ويرد الإنسانية المتحيرة إلى بهيمية الغاية .

محمد بن يوسف موسى

رئيس وأستاذ قسم الشريعة الإسلامية  
بمخفق عين شمس

أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله  
عنه يقول : « والله لو هلك جل بشط الفرات  
ضياحا لخشيت أن يسألني الله عنه » .

كما خطب مرة فقال : « اللهم إني أشهدك  
على أمراء الأمصار ؛ فإنني إنما بعثتهم ليعلموا  
الناس دينهم وستة نبيهم ويعلموا عليهم ،  
ويقسموا فيهم بينهم . . ثم أمر بعد هذا أن  
يرفع من يظله أميره أمره إليه ليتص له منه .  
وحينئذ قال له عمرو بن العاص وهو والي  
مصر : يا أمير المؤمنين ! أرايت إن أدب  
أمير رجلا من رعيته أتقصه منه ؟ فقال عمر  
ومالي لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقص من قصه ! » ومن  
نافلة القول أن تذكر هنا كيف كانت رأفته  
بالرعية ، وكيف كان يخدم بنفسه الضعفاء  
والمحتاجين في كل حال ، فهذا شيء عرفه  
التاريخ ، ويذكره الناس حتى اليوم ، وقد  
كان يستوحى في ذلك كله الإسلام وستة  
الرسول صلى الله عليه وسلم .

والشيوعية بعد ذلك كله لا تعترف بالأسرة  
التي تعتمد على الزواج المشروع ، بل لا تعترف  
بالحياة الأسرية بصفة عامة وعلى أي أساس  
تكون ، وبهذا تصادم الطبيعة ، كما تصادم  
الدين ، وتقطع ما يجب أن يكون من صلة  
القربى وذوى الرحم .

إن الدين وإن الطبيعة والفطرة السليمة

# المذاهب المادية عاجزة عن تفسير نفسها

للدكتور سليمان دنيا

المنافسة الشريفة ويكتسبون ويملكون ثم يودون بدورهم إلى غيرهم ، بمن يكونون قد أصيبوا بمثل ما أصابهم من قبل ، حقوقا تفرضها الأخوة ، وتؤكدها المروءة ، ويباركها الدين .

تلك الحرية التي لست أدري كيف يكون علم الحياة بدونها ؟ إنى لأنصورها حياة كحياة البهائم والعجاوات ؛ ذلكم لأن البهائم والعجاوات لا تعرف ذلك الضرب من الحرية الذي تركز في فطرة الإنسان وصار مصدرا أصيلا لتصرفاته ، ومعيارا يصرّف على وفقه شئونه ، حتى صارت حرية الفعل عنده أهم لديه من نتائجه ، فما أيسر أن يتنكر الحر للفعل لأنه جبرى على غير إرادته ، دون انتظار لما يترتب عليه من آثار ؛ وما ألد أن يتقبل الحر آثار فعله وإن كانت مريرة ؛ لأنه جبرى على وفق تديره .

تلكم هي طبيعة الإنسان لا سبيل إلى إنكارها ، ولا إلى تغييرها . ولكن الشيوعية أبى عليها تمردا على الإنسانية ، وعلى الواقع التي لا سبيل إلى دفعها ، إلا أن تحمل محل ذلك

المذاهب المادية - سبما شيوعية ، أو وجودية أو ما شئت من أسماء - تقوم على أساس مشترك بينها هو إنكار وجود الإله ككائن مجرد عن المادة حتى عالم قادر مريد ، إليه يرجع الأمر كله في تصريف شئون الكون ؛ ويتبع ذلك بطبيعة الحال إنكار الرسل والرسالات وما وعدوا به من حياة بعد الموت ومن مسئولية أخروية ؛ لإثابة المطيع وعقاب العاصي .

تنكر المذاهب المادية كل ذلك ، وتنكر تبعاً له شرائع الله للناس ، ودساتيره إليهم ، وتحل محل الإيمان بالله ورسله وكتبه جعوداً مطلقاً بكل هذه الحقائق . وتحل محل دستور السماء الذي يكفل للناس حرية الفلك والاكسباب والتصرف ، في حدود لا تتأدى إلى طغيان فئة على فئة ، أو استئلال فريق لفريق ، بل على أساس يجعل للعاجزين من الكسب والمحتاجين حق العيش الكريم ، ويشعرهم بأنهم حقاً مكفولاً وكرامة مصونة ، إلى أن يتخلصوا من أسباب عجزهم وحاجتهم وينزلوا إلى معترك الحياة يستدقون لذة



تدل عليه صنعه . هب أن هذه البداهة التي قيل : إنها مركوزة في طباع الحيوانات قد خفيت عليهم ، فما لهذا واعتبار الإنسان الذي يمرت السكشوف العلمية الحديثة الوقوف على تركيبه النفسى المعقد ، آلة صماء تسير بنفس الطريقة التي تسير بها الآلات الصماء ؟ .

وليعلم القارىء أنى إذ أقول : إن الحيوانات قد ركز في طباعها معرفة أن للأثر مؤثراً وأن للأثر العظيم مؤثراً عظيماً ، وأن للأثر الضئيل مؤثراً مثله ، لا أقصد التشنيع أو التهويل ، بل أكرر قولاً فرغ منه العلماء ؛ إذ قد تبين لهم أن الصوت الذى ينبعث من خلف حيوان أعجم يثير في نفسه الفضول إلى التفتت خلفه ، لا يرى الصوت الذى أدركه بأذنيه ، بل يرى مصدره ؛ والحيوان يتلفت في غير أكتراث حين يكون الصوت غير مرصع ، أما إذا كان الصوت مزعجاً فإنه يتلفت في خوف وذعر ؛ لأن الصوت الذى وصل إلى أذنيه قوياً عالياً أشعره أن مصدره عنيف مثله ، وأنه لذلك قد يكون خطراً عليه ؛ لأنه لا بد أن يكون فيه من العنف مثل ما في الصوت الذى انبعث عنه ؛ وهكذا يدرك الحيوان أن الأثر العظيم لا بد له من مؤثر عظيم ؛ لهذا صبح أن نقول : إن هذه البداهة التي هي مركوزة في طباع الحيوانات قد خفيت على

كله فظالماً يفترض أن الناس - والحرية من مقومات وجودهم - آلات صماء يسخرون كما تسخر الآلات . ويصلون من وسائل العيش ما يلزمهم فقط كآلات لا كإناس ؛ فكما يلزم أن تطلق الآلات ببعض المواد الدھنية ، حتى لا تتآكل أو تحترق ، يعطى الفرد في النظام الشيوعى ما يحتاجه ليحيا لا ليموت .

ولست أدري أى الأمرين - في الشيوعية - كان أصلاً للآخر ؟ هل تفلسفت فاتهتت تفلسفها إلى إنكار الإله والنبوات والبعث وما يتبعه من مسئولية وجزاء ، ثم أقامت نظامها المالى على أساس من تفلسفها هذا ؟ أم تبجلج بتخاطرها هذا النظام المالى أولاً ، ثم رأت أنه يقوم على التقيض من النظم التي أقامت عدالة السماء ، فكان لا بد لها أن تتنكر للسماء وعدالة ؟ .

ولست أظن أن هناك ارتباطاً وثيقاً الصلة بين إنكار وجود الإله ، وبين محاولة تفويض أهم أصل من مقومات الطبيعة البشرية ، ألا وهو الحرية : حرية التصرف ، وحرية التملك ، وحرية الكسب ، وحرية الرأى في الحدود التي لا تتعيف من حقوق الآخرين . فهب أن أخطأهم التوفيق ، وسدت عليهم منافذ التفكير السليم ، فلم يدركوا أن صنعة على أكبر جانب من العظمة والجلال ، لا بد أن يكون لها صانع له من العظمة والجلال بمقدار ما

المسالى الذى يتجاهل ما للنفس البشرية من حقوقه فى الحياة والحرية ؛ فإن نظامهم العقيدى الذى ينكر الألوهية والنبوات وما جاءت به أشد من ذلك تحاذلا وتهاويا .

وقبل أن أقول كلمة موجزة عن تحاذل آرائهم العقيدية أحب أن أشير إلى أن الصورة التى قد يتخيلها بعض من لم يشاهدوا الآثار السبئية للنظام الشيوعى الاقتصادى والمتاعب الجمة التى بها أنها أولئك الذين يرزحون تحت أفعاله ، ويتصورون بها الناس هنالك مقضى الحاجات ، متساويين فى الأوقات والأرزاق خالين من المصوم والمنقصات ، هى صورة شعرية لا تمت إلى الواقع بصلة ، فالتناس هنالك يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم .

وليعلم أولئك الذين قد يساعدونهم ما هم فيه من فقر أو ضيق على أن يتوقعوا أن يكون فى النظام الشيوعى ضمان لهم من الصيق والفقر أنهم وأهملون فى تصورهم ؛ لأنه لو كان الأمر كما يتصورون لما برم بالنظام الشيوعى الآن من يرزحون تحت أفعاله عن كانوا من قبل فى فقر وضيق .

وليعلموا فوق ذلك أن فى نظام الإسلام ضمانا للحياة أكرم من الحياة فى أى نظام آخر وحسبهم أن يعرفوا أن عمر بن الخطاب كان يقول :

أولئك الذين أدركوا فى عهد الفدرة ما أدركوا من خفايا الكون وأسرار الوجود ، ثم جملوا هذا الإدراك بعبار تطفخوا به وجوعهم حين أنكروا أن يكون لهذه الخفايا ، وتلك الأسرار ، صانع له من أوصاف الكمال والجلال ما يتناسب وما لهذه الآثار ؛ وإنه ليزيدهم خزيا وعاراً أن يردوا هذا النظام المحكم إلى المسادة التى هى فى نظرم صماء صماء غير مدركة ولا شاعرة .

أقول : هب أنه قد أخطأ التوفيق فى إدراك هذا الأمر ، فأية علاقة بين ضلالم فى مسائل الألوهية والنبوات ، وبين نكرهم للطبيعة البشرية يحاولون أن يسلبوها أنخص مقوماتها ، وأن يحولوها عن طبيعتها نحو لا ؟ إن الأمر - فيما أظن - ليس خطأ تفكير وضلال رأى ، ولكنه أمر متعمد مقصود ، بحيث أرادوا للناس أن يكونوا آلات صماء ، كان لابد لهم أن يتخلصوا من كل ما يفرق حقوق الإنسان فى الحرية والتملك والكسب ، والعيش الكريم . وأصبحت هذه الخطوة فى نظرم ، خطوة الجحود والإنكار والتمرد على الأديان ضرورية لتأمين نظامهم المسالى ؛ لأن الذى يعنى الإنسان من ظلم هذا النظام وصفه إنما هو شريعة السماء التى كفلت لكل حى نوح الحياة التى تناسبه .

وإذا كانت الفطرة السليمة تأبى نظامهم

تصرفها وتدبرها . لا مناص إلا أن تقول :  
إن المادة واجبة الوجود بذاتها ، وهي أصل  
كل ما في الكون من حوادث وأحداث .  
فليت شعري هل المادة عندهم ميتة لا حياة  
فيها ولا شعور ؟ أم هي حية مدركة ؟

فإن تكن ميتة غير شاعرة ولا مدركة  
فكيف تولد منها مدركون شاعرون ؟ .

وإن تكن حية مدركة ، فهل هي كذلك  
ككل ؟ أم كل جزء من أجزائها حي مدرك ؟  
فإن يك كل جزء من أجزائها مدركا -  
والإدراك عند الماديين مادي - فكيف  
يتسع كل جزء من أجزاء المادة ، بل كل  
جزئ ، لأن ينطبع فيه صورة الوجود كله ،  
وصورة كل ما جدد ويحدث من أحداث ،  
وهي عند الماديين أحداث غير متناهية ؟  
وكيف يتسع جزئ في غاية الصغر لأن تطبع  
فيه صورة الكون كله ، وصورة كل ما جدد  
ويحدث من أحداث ؟ وإن تلك المادة مدركة  
ككل ، فالمادة ككل منفردة بين أرض  
وشمس وقر ونجوم ، والإدراك مادي ،  
فكيف يمكن أن يقوم إدراك واحد مشترك  
بين هذه المتفرقات ؟ .

ثم ما شأن هذه القوانين التي تحكم المادة  
وتسيطر عليها ، ولا سبيل لها إلى الإفلات  
من سلطانها ، كقانوني الجاذبية والحركة ؟  
هل المادة مصدرها ؟ وكيف يكون الشيء

« والله لو جاءت شاة بالعراق لوجدتني  
مستولا عنها أمام الله يوم القيامة » ، فالإسلام  
يعتبر الحاكم مستولا عن حاجات رعيته  
ويبلغ من شمول مسئولية الحاكم في الإسلام  
أنه يعتبر مستولا عن حاجات شاة تكون في  
إقليم غير الإقليم الذي يقيم هو به . وحسبهم  
أن يعللوا أيضا أن عمر كان يسير في ظلام  
الليل يتسمع للتأوهات والشكايات التي ينادي  
بها الناس ربههم أو ينادي بها بعضهم بعضا  
وهم في خلوة بأنفسهم ؛ لأن في الليل والظلام  
والخلوة مشجعا على إطلاق الرغبات المكبوتة  
والآهات الحبيسة ، فيسارع عمر إلى تحقيقها  
بنفسه .

ذلكم هو الإسلام ، وتلكم هي السعادة  
في ظلاله الوارقة ، إلى جانب ما فيه من إيمان  
بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب  
والنبيين ، وإلى لست أدري كيف يمكن أن  
تستمر بإنسان حياة ، وقلبه هواء ، خال من  
إيمان بالله ، خال من عقيدة حقه ، خال من ثقة ،  
في مستقبل هنيء . خال من يقين مطمئن ؟  
ولكن لعل الإيمان بأن لا إيمان . ولا عقيدة ،  
ولا ثقة ولا يقين ، هو نفسه إيمان يفتى عن  
الإيمان ، والعقيدة ، والثقة واليقين ، فتعالوا  
تنظر هل قدمت الشيوعية وسائر المذاهب  
المادية بين يديهما ما يصحح الإيمان بأن لا إيمان ؟  
فإذا تقول المادية ؟ لا مناص إلا أن  
تقول ما يتمنئها إسكارها لقوة وراء المادة

من ثلاثة صفوف من الخلايا العصبية المتشعبة أو النيورونات ، أول صف أطرافه متفتحة مكونة لما يسمى بالعصى والمخاريط التي هي الطبقة الخارجية من الشبكية الحساسة. والصف المتوسط جسم خلاياه أكبر نوعاً منها في الصف الأول ، ثم الصف الثالث أو الداخلي ، وخلاياه كبيرة جداً ، وهذا الصف الأخير ينتهي في الداخل ، أى من جهة الجسم الزجاجي بألياف عصبية رقيقة متزاحمة .

فمن وجهة التشريح والمنطق يجب على الضوء أن يؤثر أولاً على العصي والمخاريط بما أنها هي أول الجهاز الشبكي ، ولكنه حتى يصل إلى هذه العصي والمخاريط يتحتم عليه أن يخترق الشبكية الحساسة كلها ، وهو شىء حقيقة مغاير لنظام الحواس الأخرى ، كاللس والذوق والشم مثلاً ، حيث يشاهد أن أول الجهاز العصبي معرض مباشرة للنبيه الخارجي .

والألياف العصبية الرقيقة المتزاحمة المكونة للطبقة الداخلية في الشبكية الحساسة تتجمع وتكون العصب البصرى الذى يخرج من العين من الجهة الخلفية ، وبعد قليل توزع ألياف العصب البصرى إلى قسمين . قسم يبقى في جهة وقسم يهاجر في الجهة الأخرى ، ويحصل هذا في العضو المسمى بالتصالب البصرى ، ويعقب التصالب البصرى حبل عصبى في كل جهة يسمى بالطريق البصرى ، أو الشريط البصرى .

مصدر قانون يهزمه ويرعجه ؟ أم مصدرها شىء غيره ، وماذا عساه يكون ؟ .

وأخيراً أضع بين يدي القارئ تصويراً لثىء صغير جداً في الكون هو عين الإنسان ، كتبه واحد لا من رجال الدين ، بل من رجال العلم الآلى التجريبي ، قال :

« لنستعرض أولاً - في إيجاز - تركيب الجهاز البصرى - أى العين - وما يتبعها من الطرق العصبية داخل المخ في الإنسان .

يدخل الضوء العين فيخترق طبقات شفافة متتابعة ، هي القرنية ، ثم القرعة الأمامية ، ثم البلورية ، وهي جسم عدسى قابل لأن يزداد في تحدديه ، أو يقل ، حسب قرب الأشياء المضادة ، أو بعدها ، ثم الجسم الزجاجى حتى يصل على الطبقة الحساسة في قاع العين ، أو الشبكية .

وتنقسم الشبكية إلى قسمين : غشاء خارجى رفيع أسود سمير عصبى ، وغشاء داخلى عصبى حساس .

والغشاء الخارجى الأسود يحاط من الخارج بطبقة تسمى المشيمية سوداء اللون ، كثيرة الأوعية ، ولوجود هذين الغشائين الأسودين كان تمويه العين مطلقاً .

أما الطبقة الحساسة من الشبكية فهي مركبة

في الفحص المؤخر للبحر ، وتسمى بمركز الإبصار عند كثير من العلماء (١) .  
هذا هو وصف موجز - كما يقول النص نفسه - لجزء من تركيب الإنسان ، فهل تصدق أيها العاقل أن يكون هذا الخلق الدقيق هو من عمل المادة ؟ وأمة مادة هذه التي صورت عين الإنسان هكذا ؟ أم النطفة ؟ أم الرحم التي أودعت فيها النطفة ؟ أم الأرض التي تنشى عليها صاحبة الرحم ؟ أم الغذاء الذي تتناوله ؟ أم المريح ؟ هل يستطيع المذهب المادى المنكر لوجود الإله أن يقول لنا : أى هذه المواد هو الذى صنع عين الإنسان ؟ سبحانه وفي صانع الكون . ما أظهر وجودك ! وما أعظم قدرتك ! وما أصدق قولك :  
« ولقد خلقنا الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين » .

دكتور سليمان دنيا

أستاذ الفلسفة المساعد في كلية أصول الدين

ونظرة في الشكل (١) تدل على أن الجهة اليمنى من كل شبكية عين - أى القسمين اللذين يصل عليهما الضوء الآتى من الجهة اليسرى من مجالى البصر - تكون أليافها بعد التصالب الطريق البصرى الأيمن ، وأن الجهة اليسرى من كل شبكية عين - أى القسمين اللذين يصل عليهما الضوء الآتى من الجهة اليمنى - تكون أليافها بعد التصالب الطريق البصرى الأيسر وتنتهى ألياف الطريق البصرى بالتفرغ أو بالتشجر ، نسبة إلى الشجرة - حول خلايا عصبية في الأجزاء المسماة :

(١) وسادة السرير البصرى (٢) الجسم الركبى الوحشى (٣) الجسمين الرباعين الأماميين ثم تخرج المجاور العصبية في خلايا هذه الأجزاء وتكون أليافا عصبية متشعبة تسمى تشمع جراسيولية ، وهذه الألياف الأخيرة تنتهى بأن تشجر حول الخلايا العصبية في البقعة المخططة وهي موجودة في الجهة الأنسية

(١) رسالة العلم ، صحيفة خريجي كلية العلوم بالجامعة للمبرة - العدد الثالث السنة الثانية - يناير سنة ١٩٣٥ .

(١) معنى الشكل للرسوم في الأصل الذى عكس عنه .

# اشتراكية الإسلام

## خير وقاية للعالم من الشيوعية

### للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

بذلك دائرة الانتفاع بها من جهة ، وبحول من جهة أخرى دون تجمع ثروات كبيرة في يد فئة محدودة من الناس . فبفضل هذا النظام الحكيم لا تلبث الثروات الكبيرة التي يتفق تجمعها في يد بعض الأفراد أن تتوزع ملكيتها بعد بضعة أجيال على عدد كبير من الأنفس ، وتستحيل إلى ملكيات صغيرة ، وهذه هي أمثل طريقة لتقليل الفروق بين الطبقات ، وتقريبها بعضها من بعض ، وتحقيق الاشتراكية المعتدلة في أمثل صورها .

ولحرص الإسلام على الوصول إلى هذه الأغراض حظر كل تصرف يؤدي إلى الإخلال بقواعد الميراث . وفي هذا يقول الله تعالى بعد أن قرر هذه القواعد : « تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم » . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ، [١] .

عننت الشريعة الإسلامية إلى حقوق المالك في ملكيته فقيدتها بقيود كثيرة ، وفرضت عليه في مقابلها عدة واجبات ، لكي تصون بهذا وذاك حقوق المجتمع ، وتعلم أظفار رأس المال ، وتحول بينه وبين السيطرة والنفوذ ، وتحقق تماكؤ الفرص بين الناس ، وتقلل الفروق بين الطبقات وتقربها بعضها من بعض ، وتحول دون تضخم الثروات وتجمعها في أيدي قليلة ، وتقرر الاشتراكية المعتدلة في أمثل صورها .

وترجع أهم الوسائل التي اتخذها الإسلام لتحقيق هذه الغايات النobile إلى تسع وسائل .

(الوسيلة الأولى) : تمثل فيما قرره الإسلام من نظم حكيمة بصدد الميراث وما يتصل به . فقد وضع الإسلام لليراث نظاماً اشتراكياً جليلاً يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعاً عادلاً ، وبحول دون تضخمها وتجمعها في أيدي قليلة ، ويفتح دوس الأموال إلى ملكيات صغيرة . وذلك أنه يقسم التركة على عدد كبير من أقرباء المتوفى ، فيوسع

[١] آتق ١٢ ، ١٤ من سورة النساء .

وقرر أن الواقف إذا علق الوقف بموته ، بأن قال إذا مت فقد وقف دارى على كذا ؛ فإنه يصبح وصية لا وقفا وتزوم من الثلث ، وإذا لم يعلقه الواقف بموته وجبت قسمته على الورثة بعد وفاة المالك كل على حسب قريضته<sup>(١)</sup> . وقد اعتمد على هذه المذاهب القانون المصرى رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢ إذ ألغى جميع أنواع الوقف الأهلى وحظر إجراؤه وقرر أن كل وقف من هذا القبيل يعد باطلا في المستقبل<sup>(٢)</sup> .

ومن أجل ذلك حظر الإسلام على المالك أن يوصى لأحد ورثته بما يعطيه أكثر من حقه الشرعى بعد وفاته ، وفى هذا يقول عليه السلام : لا وصية لوارث ، كما حظر عليه أن يوصى لغير ورثته إلا فى حدود الثلث من تركته<sup>(٣)</sup> . وقد توخت الشريعة الإسلامية من هذا وذلك حماية القواعد

[١] انظر البدائع للكادى والميدانى على القدورى فى باب الوقف .

[٢] انظر مقالاتى نعر بالأهرام قبل صدور هذا هذا القانون بصفة أيام عنوانه : « الوقف الأهلى نظام فاسد يجب إلغاؤه » ( أهرام ٢٨ / ٨ / ٥١ ) ، وانظر كذلك فى هذا الموضوع مقالا نعر لى فى مجلة « الإصلاح الاجتماعى » عدد مارس سنة ١٩٤٤ برسان « الوقف الأهلى » .

[٣] انظر خاميل هذا الموضوع واختلاف الفقهاء بشأنه فى كتب الفقه .

ومن ثم ذهب كثير من فقهاء المسلمين إلى تحريم الوقف الأهلى ، وهو أن يحبس المالك غلة ملكه بعد وفاته على قشة محدودة من أقربائه أو غيرهم بتأدير وشروط يعينها هو وفق ما يشاؤه وتشاؤه له أهرائه ؛ لما فى ذلك من حبس للثروة عن التداول الطبيعى ومن إخلال بقواعد الميراث . ومن هؤلاء ابن عباس رضى الله عنهما فقد قال : إنه لما نزلت سورة النساء وفيها الفرائض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حبس عن فرائض الله ، أى لا مال يحبس بعد موت صاحبه عن القسمة بين ورثته وتمليكهم إياه . ومنهم كذلك القاضى شريح (وهو من كبار التابعين ومن أشهر فقهاء المسلمين ، وقد ولاه عمر رضى الله عنه قضاء الكوفة وظل بمنصبه هذا أمدا طويلا) فقد قال بعدم جواز الوقف وقرر أن شريعة محمد عليه السلام قد قهضت على هذا النظام . ونص عبارته : أن محمداً -

قد جاء ببيع الحبس ، وهذا منه رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يجوز بيع الوقف . ومن هؤلاء كذلك إسماعيل ابن السكندى الذى ولاه الخليفة المهدي قضاء مصر ، فقد ذهب إلى المنهوب نفسه الذى ذهب إليه شريح . ومنهم كذلك الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان فقد ذهب إلى عدم جواز الوقف الأهلى فى صورة المعهودة لنا

بين أعباء الرجل الاقتصادية في الحياة وأعباء المرأة . فمسئولية الرجل في الحياة من الناحية المادية أوسع كثيراً في الأوضاع الإسلامية من مسئولية المرأة . فالرجل هو رب الأسرة ، وهو القوام عليها ، والمسكف الإنفاق على جميع أفرادها بالفعل إن كان متزوجاً ، أو سيصبح مكلفاً ذلك بعد زواجه ، وعلى الرجل وحده كذلك تجنب نفقة الأقرباء . على حين أن المرأة لا يكلفها الإسلام حتى الإنفاق على نفسها . فكان من العدالة إذن أن يكون حظ الرجل من الميراث أكبر من حظ المرأة حتى يكون في ذلك ما يعينه على القيام بهذه الأعباء الثقيلة التي وضعها الإسلام على كاهله وأعفى منها المرأة رحمة بها وحداً عليها وضماناً لسعادة الأسرة . بل إن الإسلام قد بالغ في رعايته للمرأة وصطفه عليها إذ أعطاهما نصف نصيب نظيرها من الرجال في الميراث مع إعفائه لها من أعباء المعيشة وإلتائها جميعاً على كاهل الرجل .

(والوسيلة الثانية) تتمثل في تحريم الإسلام بجميع طرق الكسب غير المشروع . فقد حرم الإسلام تحريماً قاطعاً جميع الطرائق التي تؤدي عادة إلى تضخم رموس الأموال بإهزاز الناس ، أو غشهم ، أو التحكم في ضروريات حياتهم ، أو استغلال عوزهم وحاجتهم ، أو عن طريق استغلال النفوذ

الاشتراكية السامية التي وضعها للميراث ووقايتها من عبث المورثين وأهوائهم .

فأين من هذا النظام الاشتراكي الحكيم الذي وضعه الإسلام للميراث وأحاطه بسياسات قوى من الحماية ، أين منه نظم الغرب الحديث التي يتقل بعضها جميع ثروة المتوفى إلى البكر من أبنائه ، ويدع بعضها المالك حراً في أن يوصي بجميع ما يملك لمن يشاء ، فتجمعت من جراء ذلك ثروات ضخمة في يد أفراد عسودين من الناس ، وأثار هذا حفيظة الفقراء وأورثهم الحقد على المجتمع ونظمه ، فنشأت المذاهب المتطرفة الهدامة والاتجاهات الشيوعية الفاسدة ، واضطرب نظام الحياة الاقتصادية أيما اضطراب ، وأدى هذا إلى معظم الانقلابات والثورات العنيفة التي تعرضت لها أوروبا في العصور الحديثة .

وقد فرق الإسلام بين الذكر والأنثى في الميراث . فجعل للذكر في الغالب مثل حظ الأنثيين المساويتين له في القرابة [١] . وقد بنيت هذه التفرقة على أساس التفرقة

[١] توجد بعض أحوال يسوى فيها الإسلام بين نصيب الذكر والأنثى في الميراث كما في حالة وجود أبوين مع ابن أو مع بنتين فصاعداً فإن كلا الأبوين يأخذ في هذه الحالة النصف ، وكما في حالة وجود إخوة وأخوات لأم فإنهم يستحقون ثلث التركة يقسم عليهم بالتساوي لأمرفق بين ذكورهم وإناثهم .



الله ، فيأتي أحدكم فيقول هذا لكم وهذه هدية  
أهديت لي ، فبلا جلس في بيت أبيه أو بيت  
أمه فينظر أيهدى إليه أم لا ؟ ١٤ .

فترك ابن التبية ما أهدى إليه ولم يمسه  
وأضافه الرسول عليه السلام إلى بيت مال  
المسلمين . وطبق هذا المبدأ في نطاق واسع  
من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر  
ابن الخطاب في أيام خلافته . فقد كان يصادر  
ما كان يكسبه الولاة من أعمال لا يجوز لهم  
الاشتغال بها كالتجارة وما إليها ، وما كان  
يأتيهم من هدايا وأموال نتيجة لاستغلال  
نفوذهم وجلبهم . فمل ذلك رضي الله عنه مع  
ولائه على البصرة ، وفعله مع أبي هريرة نفسه  
عاطله على البحرين ، وفعله مع عمرو بن العاص  
عاطله على مصر .

( والوسيلة الثالثة ) تتمثل فيما فرضه الإسلام  
من أنواع الضرائب والزكاة . فقد فرض  
الإسلام على مختلف أنواع الثروة وشقي مظاهر  
النشاط الاقتصادي من أنواع الضرائب  
والزكاة ما يكمل تحقيق العدالة الاجتماعية ،  
ويسد حاجات المحوزين ، ويحول دون تضخم  
الثروات .

هذا ، وتمتاز الزكاة في أنها لا تفرض على  
ما تنتجه وحوس الأموال الخسب ، بل تفرض  
كذلك على وحوس الأموال المنقولة نفسها

والجاء والسلطان . وهذه هي أم الطرائق  
التي تؤدي عادة إلى إيجاد الفوارق الكبيرة  
بين ثروات الأفراد ، فني تحريمها تحقيق  
لتوازن الاقتصادي من أمثل طريق .

فقد حرم الإسلام عمليات الربا تحريماً  
قاطعاً ، وجعلها من أكبر الكبائر ، وتوحد  
مرتكبها بحرب من الله ورسوله ، وحرم جميع  
المعاملات التي تنطوي على غش أو رشوة ،  
أو أكل أموال الناس بالباطل ، أو تطفيف  
في الكيل والميزان ، وحرم احتكار ضروريات  
الناس لتحكم في أسعارها ، وفي هذا يقول عليه  
الصلاة والسلام : « من احتكر طعاماً أربعين  
يوماً فقد هوى من الله وبرى الله منه » .  
وحرم الإسلام كذلك ، استغلال النفوذ  
والسلطان للحصول على المال ، وأجاز  
مصادرة الأموال التي تأتي عن هذا الطريق  
واستيلاء بيت المال عليها لإنفاقها في المصالح  
العامة للمسلمين وعلى ذوي الحاجات منهم .  
وقد سن هذا المبدأ الجليل رسول الله صلى  
الله عليه وسلم نفسه . فقد أقبل يوماً على  
النبي عليه السلام رجل من الأزد يدهي  
ابن التبية كلن النبي قد استعمله على الصدقة ،  
فقسم الرجل ما معه قسمين ، وقال للنبي هذا  
لكم وهذا أهدى إلي ، فظهر الغضب في وجه  
النبي وقام وخطب الناس فقال : « أما بعد  
فإنني أستعمل رجلاً منكم على أمور مما ولاني

(والوسيلة السادسة) : تمثل فيما قرره الإسلام من مظاهر التكافل والضمان الاجتماعيين فقد أوجب الإسلام على الأغنياء من الأقرباء ، الإنفاق على الفقراء والعاجزين عن الكسب من أقربائهم على ما هو مفصل في كتب الفقه وأوجب على أهل كل حي أن يعيش بعضهم مع بعض في حالة تكافل وتعاقد ، يرق غنيهم لفقيرهم ، ويسد شعبانهم حاجة جائفهم حتى لقد ذهب ابن حزم ومن تابعه من فقهاء المسلمين إلى مسئولية البلاد الذي يموت أحد أفرادها جموعاً ، فيؤدى أهله جميعاً الدية متضامنين كأنهم شركاء في موته ، وفي هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « أيما أهل عرصة أمسوا وفيهم جائع فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله » .

وأوصى الكتاب في أكثر من آية وأوصت السنة في أكثر من حديث بالجوار القريب والجار البعيد ، وأوجب الإسلام على بيت المال الإنفاق على الزمن ، وهو العاجز عن الكسب ، والشيخ الفقاهي والمرأة إذا لم يكن ثمة من أقربائهم من يجب عليه نفقتهم ، ولا يفرق الإسلام في ذلك بين المسلمين وغير المسلمين ، فقد حدث أن عمر رضي الله عنه مر يوماً بباب قوم وعليه سائل يسأل وكان شيخاً ضريب البصر ، ويبدو عليه

فإذا تعطل رأس المال المنقول عن الكسب فإنه لا يلبث أن يذهب كله ذكاة بعد نحو أربعين عاماً ، وذلك في الأموال التي تقدر ذكاتها سنوياً بربع عشرها ، وهي تشمل الذهب والفضة وعروض التجارة ، وحتى إذا لم يتعطل رأس المال عن الكسب فإن متابعة أخذ الزكاة منه سنوياً بالمقدار المقرر تقتضيه دائماً من أطرافه ، وتحول دون تجمع ثروة كبيرة في يد صاحبه .

(والوسيلة السابعة) : تمثل فيما سنه الإسلام من صدقات موسمية ، فقد شرع الإسلام للأغنياء في بعض مواسم تسكر كل عام أن يخرجوا من أموالهم صدقات للمعوزين ، ومن ذلك زكاة الفطر ، والضحايا التي يجب نحرها في عيد الأضحي ، والهدى الذي يجب أويسن الحاج نحره ، وكلاهما يطعم الناحر وأهله منه ويتصدق بمظله على الفقراء والمساكين .

(والوسيلة الخامسة) : تمثل في الكفارات التي أوجها الإسلام على مرتكبي بعض الخطايا والمخالفات ، فقد عمد الإسلام إلى طائفة من الخطايا والمخالفات التي يكثر حدوثها وجعل كفارتها التصديق على الفقراء والمساكين ، لجعل ذلك تكفيراً للحدث في التيمم وللمعظم أنواع الفطر في رمضان ، ولطلاق الظهار وبعض المخالفات في مناسك الحج على ما هو مفصل في كتب الفقه .

والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم، أي حتى لا تكون الأموال وقفاً على الأغنياء منكم يتداولونها فيما بينهم. ويقصد بالأغنياء الأنصار. ويقول بعد ذلك : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب . للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون [١] » .

( والوسيلة الثامنة ) : تمثل في ترغيب الإسلام في التصديق على المعوزين فقد حجب الإسلام إلى الأغنياء التصديق على الفقراء ، وجعل هذا من أكبر القرب وأعظمها أجراً ، وجعل اكتناز الأموال وعدم إنفاقها في سبيل الله من كبائر المعاصي ، وتوعده المكتنزين بأشد عقوبة يوم القيامة . والآيات القرآنية التي وردت في ذلك تجعل من الحصر ، ولا تكاد تخلو منها سورة من سور القرآن .

بل لقد جعل الإسلام هذا النوع من الإنفاق حقاً واجباً للفقراء . فقال تعالى يصف المؤمنين : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » . وقال : « فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين

أنه غير مسلم . فضرب عمر بعضه ، وقال من أي أهل الكتاب أنت ؟ قال يهودي . فأخذ عمر بيده وذهب إلى منزله وأعطاه بما وجده . ثم أرسل إلى عازن بيت المال ، وقال له : انظر هذا وضرباه ، فوالله ما أنصفناه إذ أخذنا منه الجزية وهو شاب وتركناه يتسول وهو شيخ . إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب . وأجرى له رزقا من بيت المال .

( والوسيلة السابعة ) : تمثل فيما أباحه الإسلام للإمام أن يتصرف في توزيع الأموال العامة على وجه يحقق التوازن الاقتصادي بين الطبقات ، ولو أدى ذلك إلى أن يخص بعض الأموال طبقة دون أخرى . وقد سن هذه السنة الحكيمة وأنفذها عملياً رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه بروحه من الله تعالى في أي الذكر الحكيم . فقد منح عليه السلام جميع أموال النبي . من بني النضير للمهاجرين خاصة ولرجلين فقيرين من الأنصار ، ليقترب بذلك بين ثروات المهاجرين وثروات الأنصار ويحقق شيئاً من التوازن في ملكية الأموال بين هذين الفريقين اللذين كان يتألف منهما أول مجتمع إسلامي . وفي هذا يقول الله تعالى : « ما آتاه الله على رسوله من أهل القرى فلله والرسول ولذي القربى واليتامى

[١] آيتي ٧ ، ٨ من سورة الحشر .

مثل أحد ذهابا يموت وفي يده منه قيراطان لم ينفقهما بعد في سبيل الله .

ومن أجل ذلك قام أبو ذر الغفاري في عهد عثمان بن عفان يدعو الأغنياء إلى أن ينفقوا في سبيل الله والبر بالفقراء والمساكين وذوى الحاجة جميع ما فضل من أموالهم من ضروريات حياتهم ، وينهاهم عن الترف والسرف واكتناز الأموال والرفع عن المستضعفين والفقراء من الناس .

ولم تشمل دعوة أبي ذر هذه على إفراط ولا مبالغة إلا من ناحية واحدة : وذلك أنه كاد يوجب على الأغنياء أن ينفقوا جميع ما فضل من أموالهم من ضروريات حياتهم في سبيل الله وسد حاجات المعوزين ؛ على حين أن الإسلام قد حبيب إلى الناس هذا المسلك ، كما تقدم بيان ذلك ، ولكنه لم يوجب عليهم إيجاباً ، بل يعتبر المسلم مؤدياً لواجبه المالي مادام لم يتصرف فيما فرغته الشريعة أو أوجبه عليه من زكاة وضرائب ونفقة على الأهل . بيد أن هذا كما لا يخفى هو أضعف الإيمان ؛ ومن بعده منازل رفيعة في الإسلام تتدرج في سموها وقرورها إلى الله حتى تصل إلى المثل الأعلى الذي حدث عليه أبو ذر الغفاري وأوحى إليه به مثالية الإسلام .

وقد أخطأ كثير من الباحثين إذ يعدون

يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون (٢) . وكثير من آيات القرآن تدل على أن الإسلام ينظر إلى التملك على أنه مجرد وظيفة اجتماعية يقوم صاحبها بإتفاق ، المال على مستحقه ، وينظر إلى المالك على أنه مجرد مستخلف على ثروته من قبل الله لإتفاقها في سبيله ، وفي هذا يقول الله تعالى : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير (٣) »

( والرسيلة التاسعة ) : تتمثل في ترغيب الإسلام في إتفاق جميع ما زاد عن الحاجة في سبيل الله . فقد حبيب الإسلام إلى الناس أن ينسلحوا عما زاد من أموالهم عن حاجتهم وينفقوه كله في سبيل الله فقد روى عن أبي أبي ذر الغفاري أنه قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً نحو أحد ( وهو جبل مشهور بالحجاز ) وأنا معه ، فقال يا أبا ذر فقلت ام : بأى أنت وأبى يا رسول الله ! قال ما يسرنى أن فى مثل أحد أنفق في سبيل الله أموت وأترك منه قيراطين . قلت : أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال بل قيراطين [ ١٢ ] ؛ أى إنه ليؤله أن يكون له

[١] آية ٣٨ من سورة الروم

[٢] آية ٧ من سورة الحديد

[٣] رواه مسلم والبخارى والنسائي .

وإلى جعل المالك مجرد مستخلف في ماله  
ينفقه فيما يحقق النفع للجموع ويكفل الصالح  
العام ، وأن النظم التي قررتها الشريعة الإسلامية  
في شئون المال ، تعلم اشتراكية حكيمة تشجع  
على العمل وتعطي كل مجتهد جزاء اجتهاده من  
ثمرات الحياة الدنيا ، وتفسح المجال أمام  
المنافسة والتفوق والطموح ، وتذلل السبل  
لذلك ؛ ولكنها من جهة أخرى تحقق التكافل  
الفرص بين الناس ، وتعمل على استقرار  
التوازن الاقتصادي ، وتحرص على تقليل  
الفروق بين الطبقات وتقريبها بعضها من  
بعض ، وتحول دون تضخم الثروات وتجمعها  
في أيدي قليلة ، وتقيم العلاقات الاقتصادية بين  
الناس على أسس متينة من التكافل والتعاقد  
والتواصي بالبر والخير والعدل والإحسان ،  
وتضع أمثل نظم الضمان الاجتماعي ،  
وتكفل لكل فرد حياة إنسانية كريمة ، وتقي  
العالم شرور الاتجاهات الشيوعية ومذاهبها  
الهدامة : ذلك الدين القيم ولكن أكثر  
لا يعلمون .

على عبد الوارث والي

تعاليم أبي ذر واتعاليم المشبهة لها في الإسلام  
من قبيل الاتجاهات الشيوعية . والحق أنها  
هي والشيوعية على طرق تقيض . فهذه التعاليم  
إذ تحث الملاك على أداء زكاة أموالهم وعلى  
البر بالفقراء وذوي الحاجة ، تعمل بذلك على  
تثبيت الملكية الفردية وحمايتها من كل  
ما يهددها من ثورة أو انتفاض من جانب  
الفقراء والمهمومين ، كما تعمل بذلك أيضاً  
على انقضاء الصراع بين طبقات الأغنياء  
والفقراء . على حين أن الشيوعية تعمل على  
إلغاء مبدأ الملكية الفردية نفسه ، وتنادي  
بحمل الملكيات ملكيات جماعية ، وتمهد  
لذلك بإثارة الصراع بين الطبقات . ومن أجل  
ذلك نعتبر دعوة أبي ذر الغفاري وجميع  
التعاليم السمحة التي من طرازها من أد  
خصوم الشيوعية ومن أشدها بوضع في سبيل  
انتشارها من معوقات .

\*\*\*

ومن هذا كله يظهر أن الإسلام يهدف  
بمأسسه من أحكام في هذا الصدد إلى جعل  
الملكية وظيفية اجتماعية لا تمتع للمالك ، وإلى  
تغليب ناحية واجباتها على ناحية حقوقها ،

### لله نفقات

ذكر الجاحظ في « البيان والتبيين » أن داود عليه السلام قال : إن لله سطوات ونفقات  
فاذا رأيتوها فداؤوا قروحكم بالدعاء فإن الله تبارك وتعالى يقول : « في الحديث القدسي ،  
لولا رجال خشع ، وصديان رضع ، وبهائم رتع ، لصيبت عليكم العذاب صبا .

# الشَّعُوبِيَّةُ الْجَدِيدَةُ

للأستاذ على المارِى

عليهم ، وإن جهد في ذلك ، ولقى منهم عتا ،  
وجهم عليه ( "نتر" ) بوحشيتهم ومهجيتهم فردم  
على أعقابهم ، وجاءت « الصليبية » بأحقادها  
وأجنادها فانتصر عليها ، وسلط عليه الاستعمار  
الغربي جيوشه ومبشره - ولا يزال يسلط -  
فما لانت قناته ، ولا وهن عوده ، وإذا كان  
يبدو في بعض المستعمرات مهيض الجناح ،  
فما هو إلا ألمجرة تحت الرماد لا تلبث أن تشع  
بنارها فتحرق كل يد امتدت إليها بسوء ،  
واليوم تطل الشيوعية بوجهها الكالح ومبادئها  
البغيضة ، على دياره فيعبي لها قواه ، وينازلها  
منازلة الواثق من النصر ، وسيستصر عليها كما  
انتصر على أخوات لها من قبل .

وقد اقترنت في هذه الأيام - كما اقترنت  
في الماضي - الشيوعية السافرة ، بالشعوبية  
المساكرة ، فهما مبدآن خطران ، إن اختلفا  
مدلولاً ، فقد اتحدا هدفاً ، وأنه ليحوتنا أن  
تكون دولة إسلامية عربية مرتما لهدنين  
الوبادين الفناكين ، وإن يقع شعب عريق  
في المجد ضحية لأخطارهما ، وإن كنا على ثقة

المتأمل في تاريخ الإسلام يرى أنه دين  
كفاح ومناضلة ولد بين خصوم له وأعداء  
روق العيون ، غلاظ الأكباد ، قد تمكنت  
الوثنية من نفوسهم . ورسخت المصيبة في  
قلوبهم ، وسيطرت الضلالات على عواطفهم  
فصامم بالقي هي أحسن ، وصابرهم وأطال  
المصابرة ، وناشدهم الله والرحم ، فلما أعيته  
الحيلة فيهم ، وأخفق اللين في إقناعهم ،  
وصرح منهم الشر عريان متوثباً ، فقمهم  
بالسيف وواجههم بالقوة ودانهم كادانوا .

ولكن الدين لم ينعم بالاستقرار بعد فتح  
مكة ، ودخول الناس فيه أمواجاً ، إلا زماناً  
يسيراً ، فواجه ردة العرب ، ودعى إلى قوم  
ذوى بأس شديد ، قاتلهم حتى أسلبوا ،  
وناضلهم حتى رددم إلى محجة البيضاء .

وشب ، واكتهل على ما نشأ عليه تشب  
نيران الفتى فيطفتها ، وتفرس بذور الشر في  
أرضه فيقتلعها ، وتحيط به المكاره والمكائد  
فيقتضى عليها الواحدة تلو الأخرى ، نازله  
( القرامطة ) بفوضاهم ، وسوء نخلتهم فتغلب

العرب ، أما صاحب اللسان فيخطط بين صنفين ذلك أن من الشعوية من لا يفضل العرب على غيرهم ولا يفضل غيرهم عليهم ، وهؤلاء يستندون في دعواهم إلى مبادئ الإسلام ، ومنهم من يحتقر العرب ويفضل الأجناس الأخرى عليهم ، وهؤلاء يستندون إلى عصية جنسية ثم شاع إطلاق اللفظ على الصنف الثاني وأصبحنا نفهم - كما صنع صاحب القاموس - من كلمة شعوي أنه الذي يتعصب على العرب ويحاول أن يسلبهم كل قضية .

وقد قويت هذه النزعة في قلوب الأجناس غير العربية في العصر العباسي ، ولا شك أن أكبر وزرها يقع على كامل الخلفاء العباسيين وإن كفروا هم عن هذه الزلة فقتلوا على دعايتها

استعان الدعاة الأولون لنقل الخلافة إلى أبناء العباس بغير العرب ، وقد يكون لم بعض العذر في هذه الاستعانة إذ كانوا يرون أن الأمصار العربية ، من مكة والمدينة والبصرة والكوفة ودمشق ليست مكانا صالحا لبث دعوتهم .

وقد كان محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال لدعائه حين وجههم إلى الأمصار للدعوة أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده ، وأما البصرة وسوادها فثمانية تدين بالكف نقول كن عبد الله القاتل ولا تكن عبد الله

أن الله ناصر دينه وغايل أعداءه ، وأن مبادئ الإسلام بما فيها من قوة الروح ، وسلامة المنهج ، وشرف الغاية ، وقديسية التعاليم ، متعلو كلتها ، ويسطع نورها ، ويتغلب حقها على باطل المبطلين وحماقات المضللين وبلاهة المخضوعين ( إن الذين يهادون الله ورسوله أولئك في الآذلين ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ) .

ومن عجب أن هذه الشعوية التي نبتت في أرض العراق هي صورة مكبرة من الشعوية القديمة التي عاشت على شواطئ الرافدين منذ أكثر من اثني عشر قرنا ، فهذه تشبه تلك في مظهرها وأهدافها وسيات القائلين بها والأمل قوي أن يكون مصير شعوية القرن العشرين الميلادي كصير شعوية القرن الثاني الهجري والتاريخ يبيد نفسه ( والله من ورائهم محيط ) . ولعلنا نرسم الصورة الكاملة لهذه الشعوية الناشئة إذا نحن رسمناها لتلك الشعوية التي طويت في أعماق التاريخ .

جاء في لسان العرب : « والشعوي هو الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلا على غيرهم ، وجاء في القاموس المحيط : « والشعوي بالضم محقر أمر العرب ، وهم الشعوية » . وعبرة القاموس أدق ، وعبرة اللسان أوسع ، فتحريف القاموس ينطبق على صنف واحد من الشعوية ، وهم الذين يحتقرون

ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم  
حتكم السادة المنسوبة الحشد  
قوم هم الجندم والأنساب تجمعهم  
والحمد والدين والأرحام والبلد  
إذا قرئش أرادوا شدة ملكهم

بغير قسطنطين لم يبرح به أود  
لهذا كله أحسن جماعة من الفرس بمكاتبتهم  
في الدولة فأرادوا إستعادة مجدهم القديم ،  
وحدثت هذه الفكرة في رؤس السادة والقادة  
ولكن الخلفاء تنهوا لهم ، فقتل أبو سلمة  
الخلال ، وأبو مسلم الخراساني ، وأوقع  
الرشيد بالبرامكة .

ولما لم تنجح الخطة عسكريا مهدوا  
لها سلبيا ، فبدأوا يقولون بالمساواة بين  
العرب وغيرهم من الشعوب ، ثم تطرف  
جماعة منهم فأخذوا يسخرون من العرب ،  
ويؤلفون الكتب في مثالبهم . وحمل الراية  
نصار بن برد والحسن بن هاني أبو نواس ،  
واسماعيل بن يسار الشاعر وكان أرسخ الناس  
عداوة وأشدم للعرب نصبا - كما يقول ابن  
قتيبة - السفلة والحشوة وأوباش النبط ، وأبناء  
أكرة القرى .

ولعل هؤلاء وأولئك من الشعراء والكتاب  
لم يدخل الإيمان في قلوبهم ، بل ظلوا على  
دينهم القديم يظهره حيناً ويخفونه أحيانا ،  
فأخذوا من تقصص العرب ، والنص من

المقتول ، وأما الجزيرة لحرورية مارقة  
وأهراب كأعلاج ، ومسلمون في أخلاق  
النصارى ، وأما أهل الشام فليس يعرفون  
إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان ، عداوة  
واسطة ، وجمل متراكم ، وأما مكة والمدينة  
فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن  
عليكم بخراسان ، فإن هناك صدورا سليمة ،  
وقلوبا فارغة لم تنقسمها الأهواء ، ولم  
يتوزعها الدغل .

غير أن من جاء بعده بالغوا في التشكر  
للعرب ، وإبعادهم عن شئون الدولة . فترى  
إبراهيم الإمام يوصي أبا مسلم الخراساني  
حين وجهه لنشر الدعوة بأن يأخذ حذره  
من مضر ، ويقتل من شك في أمره منهم ،  
فإنهم الصلوا القريب الدار ، بل يبالغ  
فيقول له : وإن استطعت ألا تمنع بخراسان  
لساننا عرييا فافعل ، وأيما غلام بلغ  
خمسة أشبار تنهه فاقته .

ولم يسكن أمر العرب في عهد الخلفاء فيما  
بعد خيرا منه في مبدأ الدعوة ، فهذا يزيد  
المهلب يبعث على بني العباس تقريب الموالي  
وإبعاد العرب في رثائه للخليفة المتوكل على  
الله ، الذي قتل بيد الأتراك ، فيقول :

لما اعتدته أناسا لا حلوم لهم  
ضعتم ، وضيعتم من كل يعتقد



والحق أن الذين عملوا على محاربة الإسلام من الفارسيين ، من ذوي الرأي عدد قليل ، والحق كذلك أن الخلفاء العباسيين قاتلوا الأمر بحزم وصرامة ، وتصوا على الرندة في مهدها ، وانتقموا شر انتقام من دعاة الشعوية وعمدها .

واليوم تدأب صحف العراق ، وجماعة من الفوغاء وقادة الرأي على ترديد هذه الزعة الشعوية ، فيذيعون أن العرب في العراق إنما هم طائفة من طوائف كثيرة ، ولا فضل لهم على غيرهم فليس لهم أن يفرضوا قوميتهم على سائر القوميات ، وبالتالي ليس لهم الحق في طلب الوحدة العربية لأن العراق ليس لهم وحدهم ، بل هو أيضاً للأكراد والآرمن والآشوريين واليزيديين وغيرهم ممن يطلقون عليهم الشعوب العراقية أو القوميات العراقية وقد ضل هؤلاء ضللاً بعيداً فإن أشد الناس تحسباً للقوميات لا ينكر أن أية أمة من الأمم ليست إلا خليطاً من جنسيات مختلفة ، وعلماء الأجناس يعملون الأمة الفرنسية مثلاً للأمة الموحدة ومع ذلك يقولون أنها تتكون من أكثر من ستين عرقاً .

والإنجليز لا يدعون أنهم من سلالة واحدة ، ومع ذلك لم نر أحداً منهم قام ينادى بالقومية ( السلية ) أو القومية ( الزندية ) أو القومية ( الجرمانية ) ولم نسمع ألمانيا

تقاليدهم وعاداتهم وسيلة إلى العمل في الإسلام ، والتمرد عليه ، قال الجاحظ ، وربما كانت العداوة من جهة العصبية ، فالعامة من ارتاب في الإسلام إنما كلن أول ذلك من الشعوية ، فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله ، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة ، وإذا أبغض تلك الجزيرة أحب من أبغض تلك الجزيرة فلا تزال الحالات تثقل به حتى ينسلخ من الإسلام إذ كانت العرب هي التي جاءت به فكانوا السلف والقدوة (١) .

هذا فيمن أسلم أولاً ، أما الذين لم يتبعن الإسلام قلوبهم ، فهم على ما رأينا يتنفسون في ذم العرب ، فإذا استطاعوا أن يعلتوا عن أنفسهم تزدقوا ، فالتظرة العابرة في أخبار الزنادقة في ذاك العصر تدلنا بما لا يدع مجالاً للشك على أن الزندقة كان من أسبابها الرتبسية الزعة الشعوية ، وقد ظهر مزرك الشيعي في فارس على عهد قباد وكسرى أنوشروان ، وكاد يقلب نظام المجتمع الفارسي رأساً على عقب لولا عزم أنوشروان وحزمه ، فلما تمكن العرس من سياسة الدولة العباسية ، واستقرروا سياسياً رأوا أن يعيشوا ديارهم القديمة من مزدكية وما نوية ، ففشت الزندقة .

(١) الحيوان - ص ٢٢٠ ط ٢ - هرون - يمس تصرف .

متنبين يحطمون كل رأس يرفعه الشيطان ،  
أما قاسم فلا أدري بماذا أضفه ، أهو التجرد  
من الإسلام والعروبة ، أم هو الضعف  
والاستخذاء ، ورد الجليل ؟ أن الشعوية  
القديمة لم تستطع في أزهي أوقاتها أن تمزق  
المصحف بل لم تستطع أن تقول فيه قولا  
لا يليق بجلاله وقديسه ، أما شعوية قاسم  
فقد مزقت هذا الكتاب الكريم على مرأى  
ومسمع من رجال الحكم ، وبين ظهرائي  
مسلح العراق ، واستعلنت أحقادها على الله  
وعلى كتابه ، ولا أدري ما الذي هيجها على  
هذا الكتاب المقدس ، وكيف عجزت أن تجد  
شفاء لها في قوس أصحابها من النخل ،  
والاضطغان على كل فضيلة إلا أن تتوح  
تمزق كتاب الله .

لعل الذي غاظها من القرآن أنه كتاب :  
« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »  
نزيل من حكيم حميد . « وأن فيه خبر من  
قبلنا ، ونبأ من بعدنا ، وحكم ما بيننا ،  
وأه جبل الله الممدود ، وصراطه المستقيم ،  
وأن فيه تومئياً للشكليات ، وفصلاً  
للشبهات .

ولعل الذي غاظها منه أن الله تكفل  
بحفظه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له  
لحافظون » وليس أحق من رجل قرم حثير

نادى بالعصل بين الجرمانين الصغالة  
المتجنسين بالجنسية الألمانية والفرنسيين  
اللاجئين ، بل نرى الألمان - مع اختلاف  
السلالات التي تتكون منها ألمانيا - أشد  
الشعوب تمسباً للعنصرية ، حين تقول أن  
العراق عربي لا نفي أن للعرب وحدهم  
المكونون للشعب العراقي وإنما معناه أن  
الصبغة العامة للدولة هي العروبة ، ولا يخرج  
عن المنطق الطبيعي إلا من يريد أن يمزق  
وحدة الأمة ، وأن يمكن أصداءها منها ،  
وحين تفرق بالأمة السبل ، وتختلف بها  
الشعاب تغفل طريقها التويم ، وتصبح  
لقمة سائقة لمن يريد أكلها وهم - ولا كرامة -  
كثيرون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :  
« عليكم بالسواد الأعظم ، عليكم بالجماعة ،  
يد الله على الجماعة ، إياكم والشذوذ ، الشيطان  
مع الواحد ، وهو عن الإثنين أبعد ،  
والثلاثة ركب » .

وقد سمعت حديثاً عن رجل كان يعمل  
بالإذاعة العراقية في بدء الثورة ، قال : إن  
سيطرة الشعوية ودالتها على حكومة قاسم  
ظهرت في الأيام الأولى ، وهذا ما كان  
بالضبط من بعض الفارسيين عند قيام الثورة  
العباسية ، ولكن الخلفاء العباسيين كانوا  
مسلمين وكانوا عرباً فتنهوا بسرعة وفي الوقت  
المناسب للخطر المحدث بدولتهم ، وظل الخلفاء

والنساء ، فتنادى بالتساوى بين الناس في  
الأرزاق ، ونسبت أن الشيوعية لا تغنى  
الفقير ، وإنما تفقر الغنى ، وتنادى بإباحة  
النساء فنقرأ نشيدها العجيب ( بعد شهر ،  
ما كوهمر ، والقاضى نذبه في النهر ) وتجاهلت  
أن الحيوانات لا تزال - كما فطرها الله - تغار  
ويدافع كل منها عن أشائه ؛ فإذا أرادوا  
الشعب العربى المسلم أن يكون دون الحيوان  
في هذه الفطرة فما ينبغي أن يجادلهم بالحجة ،  
وإنما علينا أن ندافع عن ديننا وحرماننا  
بكل ما نملك من قوى ، ولا يحق لمسلم أن تنام  
عينه وبجوارنا شعب مسلم يراد له أن يتغلب  
عن دينه ، وعن تقاليده الفاضلة ، ومبادئه  
السمحة ( يأبى الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم  
من الكفار وليجذوا فيكم علقته واعلموا أن  
الله مع الخفين ) .

على العمادى

يطاول عملاقاً جباراً فلا يجد متفصلاً روحه  
إلا أن يكيل له السباب ، ثم يظن أنه بذلك قضى  
عليه : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ،  
والله ممن نوره ولو كره الكافرون » .

ولعل الذى غاظمها منه أنه يدعو إلى الحق ،  
ويهدى إلى الرشاد ، ويجمع المسلمين على كلمة  
سواء ، وليس آلم لصاحب المبدأ لعل  
المختل من أن يجد المبدأ الذى يجاربه واضحا  
لا عوج فيه ولا أمت ، متينا لا ضعف فيه  
ولا خور ، مقبولا عند العقول الراجحة  
والعطر السليمة ، فهذا ما يقض مضغه ،  
وينقص عليه حياته ، وما نقول لم إلا ما قال  
الله تعالى ( قل موتوا بغيظكم ) .

إن الشعرية الجديدة تصيق ذرعا بكتاب  
الله ، وبكل تعاليم الإسلام ، لأن الفوضى  
الأخلاقية التى تريد أن تبسرها حتى تقضى  
على هذه التعاليم ، الشعرية الجديدة صورة  
من المردكية القديمة ، تريد أن تحل الأموال

## نقطة مصدور

قال شاعر قديم :

فكل جديد ما خلق  
فما أدري بمن أتق  
ت سدت دوماً الطرق  
ولا دين ولا خلق

تولت بهجة الدنيا  
وغارت الناس كلهم  
رأيت معالم الخير  
فلا حسب ولا أتب

# النظم الفردية الحرة بين الإسلام والشيوعية للأستاذ محمد عبد الله عنان

الشيوعي، إن حالة المجتمع الحاضر، وما يميز به من العروق بين طبقات المجتمع، وما ستأثر به الأقلية من التمتع بالثروات، وتساويه الأكثرية من شطف العيش، يرجع إلى نظام الملكية الخاصة، وأن هذا النظام في ذاته، ليس نظاماً طبيعياً، وإنما هو نتيجة لثروات عديدة قامت بها الطبقات القوية حتى استطاعت أن تخضع الطبقات الضعيفة لصولتها، وأن تضع يدماً على الثروات العامة، وأن تخلق لها في المجتمع طبقة خاصة هي طبقة «البورجوازي»، أو طبقة أصحاب الأموال.

ولهذا يرى الشيوعيون، أنه ما دامت أوضاع المجتمع الحاضر، قد قامت نتيجة للثروة، فيجب أيضاً أن تحطم وأن تلغى بنفس الوسيلة، أي بطريق العنف والثورة، وأن يحل المجتمع الشيوعي على أنقاضها.

فلنر الآن ما هو موقف الإسلام من هذه المبادئ، والتعاليم الشيوعية.

إن الإسلام يخافم الشيوعية في جوهرها

لكي نعرف موقف الإسلام من الشيوعية يجب علينا أولاً أن نعرف ما هي الشيوعية، وما الذي ترمي إليه بالنسبة للدولة والمجتمع.

إن الشيوعية منذهب اجتماعي اقتصادي يرمى إلى تنظيم المجتمع على أساس الشيوع والإنتاج الجماعي، أو بعبارة أخرى ترمي الشيوعية إلى إلغاء الملكية الخاصة وحرمان الفرد من أن يكون مالكا، أو ممتناً بثمار مجهوده الخاص، وترى أن تكون الدولة، دون سائر الأفراد، هي المسيطرة على الثروات القومية والخاصة.

وفي ظل المجتمع الشيوعي، يعمل الفرد -ويكده- لا لحسابه الخاص، ولكن لحساب الدولة أو المجتمع، ولا يجني من عمله وجهاده إلا ما تسمح الدولة أن يعطى له، وذلك وفقاً لما يقدر نظيره عمله وإنتاجه، والدولة وحدها هي صاحبة الرأي الأعلى في تقدير هذا الجزاء.

هذا ما ترمي إليه الشيوعية في جوهرها.

ويقول المركيون، أو أنصار المنذهب

على المواهب والمزايا الشخصية وبحول دون  
تفتح المبقرات الخاصة التي لا يمكن أن  
تفتح إلا في الآفاق الحرة الطليقة وفي معترك  
العاقبة والطمسوح أى التعوق والسكال ،  
والإسلام بتأييد الحرية الفردية والإنتاج  
الفردى واستثمار الفرد بشجرة عمله ، عن  
طريق تأييده للملكية الفردية وحمايتها ، بتجه  
إلى تدعيم هذه الآفاق الحرة الطليقة ، التي  
كانت وما زالت على كر المصور ، أئمن  
وأسمى ، ما تطمح إليه النفوس البشرية  
الكريمة .

ثم أن البشر ليسوا كلهم سواء ، كما يفترض  
مبدأ الإنتاج الشيوعى ، والأفراد يتفاوتون  
في تكوينهم العقلى والجسمى ، كما يتفاوتون  
في المواهب والمزايا الخاصة ، وفي كفاية  
الإنتاج . ومن المستحيل أن تحقق الحرية  
الشاملة أو العدالة الاجتماعية التي يزعم  
الشيوعيون أنها من مزايا المجتمع الشيوعى ،  
وهذا ما وجاه الإسلام وأكده . فالإسلام  
يفرق بين العاملين وبين غير العاملين ، ولا  
يقر أن يحرم عامل من ثمرة عمله وكده ، وهو  
كذلك يرى أن يترك البشر أحرارا ليعملوا  
ويتجوا ، كل وفق قدرته وكفائاته ، ولا  
يقر بحال أن تؤخذ ثمار عمل العاملين لتمنع  
للكسالى والمشعوذين ، وهو من خصائص  
النظام الشيوعى .

الأساسى ، وهو مبدأ إلغاء الملكية الخاصة .  
وذلك أن الإسلام يقر الملكية الخاصة  
ويعطيها بمختلف الضمانات والحمايات  
الشرعية .

وإقرار الملكية الشخصية هو إقرار لمبدأ  
الفردية الذي يرى أن يترك الفرد حرا ليعمل  
ويبتج وفقا لمجهوده وكفائاته ، وأن يتمتع  
دون غيره بثمار هذا المجهود ، وبذلك يمتزف  
بشخصية الفرد المستقلة وبحقوقه ، وكرامته .  
وقد قامت المجتمعات المتمدنة كلها منذ فجر  
التاريخ على مبدأ الفردية ، ومبدأ الملكية  
الخاصة ، وما زالت الأعلية الكبرى من أم  
العالم ، تعيش حتى اليوم في ظل هذا النظام  
الفردى .

هذا من جهة الناية . وأما من جهة الوسيلة  
فإن الإسلام لا يقر أعمال الثروة والعنف  
وهي التي تراها الشيوعية وسيلة وحيدة لتحقيق  
مثلها . ولا يقر اغتصاب الأملاك والأموال  
الخاصة ، باعتباره عملا منافيا للحق والعدل ،  
وامتنانا صارعا على شخصية الفرد ، وهي التي  
يحترمها الإسلام ، ويحفظ مكانة خاصة من  
الكرامة الإنسانية .

إن الفرد في ظل المجتمع الشيوعى ، يفقد  
شخصيته ، وكل مظاهر استقلاله ، ويغدو آلة  
صماء للإنتاج الذي تفرضه الدولة . ومن المسلم  
به أن هذا الإنتاج الآلى في ظل الشيوع يحق

فوق ذلك حق المحتاج في الحصول على الطعام أو الكساء أو المسكن أو الآلات الزراعية أو غيرها مما يحتاج إليه سواء بأجر المثل أو بدون أجر إذا كان في وسع صاحبها أن يستغنى عنها .

وفي هذه الأحكام الشرعية ، ما يدل دلالة واضحة على أن الإسلام يعنى بمحاربة الاستغلال الاقتصادى بجميع صوره ، سواء أكانت فردية أو جماعية ، وأنه لا يرى تناقضاً بين ضمان الحرية الفردية في تحييد الفرص المشروعة للاستثمار والكسب ، وبين حماية الطبقات الفقيرة أو المحتاجة من استبداد صاحب المال - إن هو جنح إلى الاستغلال غير المشروع .

وكذلك لم ينس الإسلام حق الفقراء والمعدمين على المجتمع ، فقد شرع الزكاة وكنا من أركانه الأساسية ، يجب على القادرين أدائها وفقاً لأحكام وشروط دقيقة . ولونعم أداء الزكاة في الأمم الإسلامية بطريقة صحيحة عادلة ، لكنت حصيلتها من أعظم الموارد لمحاربة الفقر والعوز ، وتخفيف آلام المعوزين والبؤساء في المجتمع الإسلامى .

بل لقد ذهب بعض الفقهاء المسلمين ، وفي مقدمتهم الفيلسوف ابن حزم القرطبي ، إلى أن للمقرء حقاً مقدراً في أموال الأغنياء ، وأنه يفرض على الأغنياء من أهل كل بلد ،

ولم يغفل الإسلام شيئاً مما تزعم الشيوعية أنها انصرفت بالتفطن إليه من قيام الفروق الحادة بين طبقات المجتمع ، ومن محاولة الحد من استغلال الطبقات القوية للطبقات الضعيفة ، ومعالجة البؤس الذى تمتاز به الطبقات الفقيرة .

ونلاحظ أولاً أن أحكام الموارد الشرعية هي وسيلة طيبة لتوزيع الثروات - ومنع تكديسها في أيدي قليلة - خصوصاً إذا ذكرنا أن الأسرة في المجتمع الإسلامى ، تمتاز بكثرتها العددية . وقد لبثت هذه الأحكام في كل عصر ، وكل قطر ، وسيلة من وسائل التوازن الاجتماعى والاقتصادى .

والإسلام لا يفر الاستغلال غير المشروع بأي حال ، ولكنه لا يزعج في محاربه إلى العنف والنصب كما فعل الشيوعية ، بل يلجأ في ذلك إلى وسائل وأحكام سلبية عادلة ، فهو يحرم الربا ، ويحرم الاحتكار ، ويحث على محاربة المحتكرين المتواطئين على رفع أسعار الحاجيات والسلع ، ويحدد لوالى ( أى الحكومة ) في مثل هذه الأحوال ، إرغام المحتكر ، أو الجعاعة المحتكرة على بيع السلع بشمن المثل - أو بمباراة أخرى فقد أجل لولاء الأمر تسمير الحاجات في مثل هذه الظروف - وحماية المستهلك من الإرهاب والتعسف والاستغلال غير المشروع . وقرر الإسلام

وبالرغم من أن الدستور السوفيتي الجديد يعود  
فينص من الناحية الشكلية على ضمان حرية  
الاقتصاد، وحتى منازعة الشعار الدينية، فإنه  
في نفس الوقت يسمح للأفراد أن يقوموا  
بالنضال الدينية ومهاجمة العقائد الدينية، ويحث  
الدعوة الإلحادية على هذا النحو - من أبرز  
خصائص النظام الشيوعي في سائر البلاد التي  
يسيطر عليها .

والخلاصة أن الشيوعية سواء بمبادئها  
وغاياتها الاقتصادية، المنافية لكل الأوضاع  
الحرة العادلة أو بوسائلها العنيفة القائمة على  
النصب والقسر، والقضاء على شخصية الفرد  
وحرياته وكرامته تصطدم ليس فقط مع الإسلام  
وتعاليم السمحة المستنيرة، ووسائله السليمة  
في تنظيم المجتمع، ومعالجة مشاكله؛ ولكنها  
تصطدم في نفس الوقت مع سائر النظم  
الديمقراطية والفردية الحرة، وهي التي تعتمدها  
وتدافع عنها معظم أمم العالم ؟

محمد عبد الله عناية

أن يقوموا بعمل قرائهم، ولولي الأمر  
أن يجبرهم على ذلك إن لم يتم حصيله الزكوات  
أو قبي المسلمين بهم، فيقام لهم من القوات  
الذي لا بد منه، ومن الكساء المناسب صيفا  
وشتاء، وفي هذا الرأي ما ينم على اتجاه  
النظام الاقتصادي الإسلامي إلى نوع  
من الاشتراكية الإنسانية، ترتفع بوسائلها  
الرفيعة المشروعة، على ذلك الطابع العنيف  
الذي تتميز به الوسائل الشيوعية .

هذا كله من جهة النواحي الاقتصادية،  
وتنظيم المجتمع، ولكن الشيوعية تمتاز فوق  
ما تقدم من مثلها الثورية الهدامة بطابع ذميم  
آخر، هو طابع الإلحاد الديني .

وقد ظهر هذا الاتجاه الإلحادي بأشنع  
حسوة، منذ قيلم الثورة في روسيا،  
حيث شجرت الحرب العنيفة على الدين،  
وأغلقت معظم الكنائس، والمساجد في  
المناطق الإسلامية، وألغى منصب البطريرك  
وسمح للأفراد بنشر الدعوة الإلحادية وتنظيم  
الجماعات على الدين في الكتب والصحف وغيرها

## من حسنات الحجاج

قال الحجاج : نس أطمرني الله سعيد بن زبارة وعبد الله بن زياد لتبني لتقرب إلى الله  
به مهيا : مرت بالاول امرأة قتالت له : يا عبد الله كيف الطريق إلى مكان كذا ؟ فقال لها  
يا هناه ! أمثلي يكون من عبيد الله ؟ وخطب الآخر الناس يوما فأحسن فقال السامعون :  
أكثر الله فينا مثلك . فقال : لقد كلمتم الله شططا .

# الإسلام والقومية العربية

## للأستاذ محمود البايدي

تمة ما نشر في العدد الماضي

### القومية في نظرنا

لقد ألقينا في كلامنا السابق إلى أن القومية ليست حدثاً جديداً في تاريخ البشرية ، وليست كذلك من مواليد القرن التاسع عشر وإنما قلنا ، يعود وجودها إلى أول تجمع بشري ظهرت له سمات ثابتة .

والقومية في نظرنا ، شعور عاطفي أكثر منه حقيقة مادية . أي أنها ليست شعوراً نفسياً فقط ، ولا هي حقيقة مادية لحسب . بل إنها خليط من الحقيقة المادية والشعور العاطفي معاً . وهذا الشعور العاطفي نفسه يتولد من الحقيقة المادية الثابتة .

والعنصر المادي الثابت في القومية هو ( اللغة المشتركة ) التي يفهم بها أفراد الأمة ، وكذلك ( الأرض المشتركة ) التي عاش عليها هؤلاء الأفراد جنباً إلى جنب متفاعلين ، قروناً طويلة .

وأما العنصر النفسي أو العاطفي في القومية

فهو ( الدين المشترك ) ( ١ ) و ( التاريخ المشترك ) اللذان تطبعهما الحياة المشتركة المتفاعلة وتوثر في مجراها تأثيراً يئناً .

فالقومية في نظرنا تألف من عناصر أربعة أساسية : اللغة ، والأرض ، والدين ، والتاريخ .

أما لماذا أستطعنا من تعريف الجنس أو العرق والعادات والاقتصاد وغير ذلك من العناصر التي جاءت في بعض التعاريف فلذلك أسباب .

ففيما يتعلق بنظرية الجنس أو العرق ، فلأنه ثبت علماً أن ليس للعرق ولا للدم أي خصائص مميزة ثابتة . فصلاً عن عدم وجود أعراق صافية اليوم يمكن دراستها . والحقيقة أن العلماء الذين افترسوا بتقرير خصائص مميزة لبعض الأعراق كانوا أسيرى أوهام أوحاها إليهم التحصب الكريه مع ما وراء ذلك من المطامع السياسية .

[١] باعتبار أن الأديان السائدة كلها مصدرها واحد هو الله .



الألفاظ ، فالذين أسقطوا الدين من عناصر القومية ووضعوا الثقافة المشتركة محله ، لم يفعلوا شيئاً أكثر من أنهم عبروا عن الدين في صيغة أخرى . كذلك فعل مثاليين في تعريفه ، فإنه يقول : إن الأمة الحديثة أى ( القومية ) جماعة ثابتة ليست عرضية ، تألفت تاريخياً . . . . ذات تكوين قسوى مشترك ، يجد له تعبيراً في الثقافة المشتركة . فإنه لم يفعل أكثر من التعبير عن الدين بالثقافة .

ونحن نعلم أن ليس من عامل يستطيع أن يجعل شعباً من الشعوب ذا تكوين قسوى مشترك كالدين أو الثقافة ؛ لأن الدين في حد ذاته أحد طريق المعرفة . وليس ضرورياً أن يكون الدين والعلم متعارضين ، ليكونا شيئين مختلفين .

أما التاريخ فإنه لا غنى عن عبء أصلا من أصول القومية ، لأنه الجزء العملي من الحياة الاجتماعية والسياسية للأمة . والذين أغفلوا ذكره ، استعاضوا عنه باسم آخر ، إذا بحث وجدته لا يخرج عن كنهه أو فرع من فروعها ، فنحن رجحنا الاعتماد على الأصول ومن خالفنا ركن إلى الفروع .

#### الافتاوت فى مفهوم القومية :

بين الغرب والعرب  
وإذا أوضحنا رأينا فى العناصر الأساسية

وفما يتعلق بنظرية العادات والتقاليد المشتركة ، فإنها ليست أصولاً وإنما هي فروع تولدت من أصل آخر هو الدين المشترك أو التاريخ المشترك . مثل ذلك مثل التكوين النفسى الذى يجد له تعبيراً في الثقافة المشتركة ، فهو يتبع الأصل الذى يتمثل في الدين أو التاريخ .

وفما يتعلق بنظرية الاقتصاد المشترك ، فالأمر كذلك ، إذ لا يعتبر الاقتصاد أصلا من الأصول وإنما هو فرع يتبع أصلا هو الأرض . والشعوب كافة ابتدأت حياتها الاقتصادية بفلاحة الأرض وزراعتها وعاشت من غلاتها . ولما انتقلت بعض الشعوب إلى الحياة الصناعية ، كانت الأرض هي الأصل أيضاً ، فمنها خرجت كافة المعادن التى أسست الحياة الصناعية . وأما مسألة الجوارك والتقدم وحرية التنقل ووحدة التشريع الضرائفى التى يجعلها بعضهم من عناصر القومية أيضاً فهى لا تعدو هذا السيل ، لأنها فرع لا أصل .

وقد يتساءل بعضهم ، أنه إذا سلمنا بأن وحدة اللغة ووحدة الأرض أصلان من أصول القومية ، فلماذا جعلنا الدين والتاريخ من هذه الأصول فى الوقت الذى أسقطهما بعض التعاريف ؟

والجواب على ذلك هو أن أغلب تعاريف القومية تتفق فى المصهور وإن لم تتفق فى

وأعتقد جازماً ، أنه لقوة تفضل روح  
العنصرية في القوميات الغربية ، لم تستطع  
روح الدين المسيحي الصحيحة على سماحتها ،  
أن تؤثر في هذه القوميات لتجعلها أقرب  
إلى الإنسانية . بل إننا نلاحظ بآ كيد  
أن روح المسيحية السمع لم يقو على تلطيف  
روح العنصرية الجنسية في هذه القوميات .  
خذ مثلاً المسيحيين الملونين فإنهم اضطروا  
لبناء كنائس خاصة بهم لئلا يخلطوا  
الكنائس الخاصة بالبيض ! بقطع النظر عن  
منعهم من غشيان الأماكن العامة كالمدراس  
والمطاعم والفنادق حتى بقوة القانون في بعض  
الولايات المتحدة . وبعبارة أخرى أن الروح  
اللا إنسانية الذي يفود القوميات الغربية  
هو المستول عن إنسان روح الدين المسيحي .

أما القومية العربية فعلى خلاف ذلك .  
تكن فيها الروح الإنسانية حتى تظهر بوضوح  
في أعمال العرب ونصرفاتهم عبر التاريخ .  
وهي تدل فيما تدل على أن الإنسانية طبيعة من  
طبايعهم . فلما أكرمهم الله برسالة الإسلام ،  
كانت هذه الرسالة ملائمة لطبايعهم ، فوادت  
إنسانيتهم وسوخاً وعمقا . ولما فتحوا  
الأمصار ظهر ذلك وكأنه نفحة جديدة  
من نفحات الدين الجديد . لقد حفظوا لكل  
إنسان من حيث هو إنسان ، كرامته ، فلم  
ينهبوا رزقه ولا حاربوا لغته ، ولا حاولوا

التي تكون القومية ، نجد أن هذه القومية  
من حيث أن نصفها عارفة ، تغل في التعصب  
وتفرط في الأنانية ، أو تنساع ، بمقاييس  
مختلفة تبعاً لرقى فطرتها وأحبابها ومعتنقيها بالنسبة  
للإنسانية . فالقومية في نظر الشعوب الغربية  
عاطفة نيلية ، ولكنها في الواقع ضيقة ،  
شرسة ، متعصبة ، بل مفرطة في التعصب  
وبالتال مغلقة نحو الإنسانية . ولا أدل على  
ذلك من شيوع روح الاحتقار الشديد بين  
مختلف القوميات الغربية بعضها تجاه البعض  
الآخر . على ما يبينها من الروايف العديدة .  
الامر الذي يسمح لنا بأن نقرر أن روح  
النظرية الألمانية المتهمة بأنها وحدها ذات  
طابع ذاتي حقيق ، اتهام مغالى فيه ؛ إذ يجب  
أن ينسحب هذا الوصف على هذه القوميات  
جميعاً وإن كان ينسب متفاوتة في العمق  
والشراسة . والتاريخ السياسي الغربي أكبر  
شاهد على ذلك ؛ لأنه غارق في الدم .

أما للقومية العربية ، فعلى الرغم من الخلاف  
على إدخال الدين بين عناصرها ، فإن روحها  
إنسانية . أى أنها في مجال دفاعها عن كيانها ،  
لا تحتقر القوميات الأخرى ، ولا تهاجمها  
ولا تسعى لتدميرها كما تفعل القوميات  
الغربية ، كلما آنتت في نفسها القوة . والآية  
الكريمة التي صدرت بها هذا المقال تعبر أحسن  
تعبير عن روح القومية العربية .

الطوائف ، فصدوا إلى إسقاطه من العناصر التي تكون القومية . ولكن بقى هذا التعصب طابع القومية الغربية ، فما معنى هذا ؟

الحقيقة أن المسيحية ديانة صالحة ، كالديانة الإسلامية ، والتعصب ليس في المسيحية ، ولكنه في الرسومات الوثنية التي حملها التراث اليوناني القديم خلال عصر النهضة الأوروبية ، ولهذا فإن إغفال الغربيين لعنصر الدين من أغلب تعاريف القومية ، لم يأت بما كان يقدر له من زوال التعصب أو تخفيف حدته ؛ لأن حقيقة الروح التي تسيّر القوميات في الغرب ناشئة عن العنصرية المتغلغلة في أعماق النفوس وليست منعكسة عن المسيحية الصحيحة .

يقول بعض أحرار الفكر من الغربيين : إن المسيحية ديانة لم تلامس الشعوب الغربية . وهذا صحيح ؛ لأنها ديانة شرقية سامية . والتفسير العلي لهذا التقرير ، هو أن المسيحية كالإسلام ديانة إنسانية وروحها تتفانى العنصرية ، ولما كان طابع الروح الغربية مغلقاً ، أي ما كفا على نفسه غير متفتح نحو الغير وغير متسامح ، لم يستطع روح المسيحية أن يؤثر فيه إلا تأثيراً ضئيلاً جداً لا يعتد به . وحكاية ذلك ، أن اليونانيين القدماء ، والذين يعتبرهم الغرب آباء تراثهم الروحي ، كانوا يحسبون أنفسهم الشعب المختار وما عداهم من الشعوب برابرة ؛ حتى كان فيلسوفهم الكبير

أن يدمروا قوميته ، بل تركوه وشأنه ليعيش حراً ، له ما لهم وعليه ما عليهم . بل استعانوا به إن كان من أصحاب الصناعة وأهل العلم ، موفور الأجر ، موسع المكافأة ، شريف المنزلة ، لأن دستورهم ( لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ) .

يقول ( متز Mitz ) ( ١٦ ) : « من الأمور التي تعجب لها كثرة عدد المال والمصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية . حتى لكان النصراني هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام . والشكوى من تحكم أهل الذمة في أشياء المسلمين وأموالهم ، شكوى قديمة » .

ولهذا يقول للذين يتخوفون من استيقاظ القومية العربية وتمتعها في هذا العصر : لا تفرقنا روح القومية العربية بروح القوميات الغربية ؛ ولو قامت هذه القوميات على عناصر وأركان واحدة أو متقاربة ، لأن العبرة في الروح التي تسيّر هذه القوميات ، لا في تشابه الركائز التي ترتكز عليها .

لقد اتهم الدين في الغرب بأنه سبب التعصب الذميم الذي يفرق بين أبناء الوطن الواحد ، بل بين أبناء الطوائف المسيحية نفسها ، بين الكاثوليك وبين الأرثوذكس وسائر

( ١٦ ) متز : الحصار الإسلامي في القرن الرابع الهجري . ص ١٧

يحد ما يوجب أن يقوم أى حد أو مانع بينه وبين هذه الأقوام . بشر واحد من نسل واحد تباينت لغاتهم وجلودهم وحنهم من هذه العوارض بسبب مساكنهم قياساً على قبائلهم . مختلف مساكنهم فى أطراف جزييرتهم .

وهذه العقلية البسيطة التى انعكست عن بيئة العرب وحياتهم سواء فى الجزيرة أو فيما وراء الجزيرة ، نبتت شجرة الإنسانية فى قلوبهم ، فلم يستقيموا الحدود المصطنعة ولا الفضاء المغلق ، وتعلقوا بفنائيل النفس الكريمة ، ومجدوا القيم الأخلاقية الرفيعة ، حتى جاء رسول من أنفسهم يلخص رسالته بتواضع إنسانى بليغ ( إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق ) .

ولو لم يكن العرب عند ظهور الإسلام أمة مطبوعة على كثير من فضائل النفس ومنها سعة الصدر وسماحة الخلق وكرم الطبع ، لما استطاع المؤرخ البصير أن يفهم كيف تنسب هؤلاء الجياع المرأة الصابرين فى جزييرتهم بين فلول الزمالة المحرقة ، أن يستقبلوا الشريعة الإسلامية بمثل ما استقبلوها به من حرارة الإيمان والنهوض بما أمرت به ، خصوصاً من اعتبار شعوب الأرض كافة ( خلق الله وعباده ) وأن العمل الصالح هو الذى يميز بعضهم عن بعض . لا اللغة ولا الأرض ولا الجلود والسحنة .

أرسطو يقول باطمئنان ظاهر : الحمد لله الذى خلقنى يونانياً لا بربرياً . ورجلاً لامرأة . هؤلاء اليونان كانوا يقدسون المدنية وهى كل وطنهم (١) ، فنشأت عندهم حقوق المواطن وكذلك كل شأن الرومان ، أخذوا بهذه النظرية . وحنهم اقتبس الغربيون تعبير ( الوطن الأم وحقوقه ) فعمقت أحاسيس الوطنية الإقليمية الضيقة والعصية المفرطة ، حتى طبعت القوميات الغربية بطابعها ؛ فلا تقع على أى تسامح منها نحو القوميات الأخرى . بل نجد على الدوام أن طابع هذه القوميات يفيض بالمظاهر اللا إنسانية .

ومثل هذه الأحاسيس الشديدة الضيق ، لا تجد لها مقابلاً فى النفسية العربية ؛ لأن الصحراء ، وحياة الصحراء ، والتجوال فى ذلك المحيط الفسيح الذى ليست له حدود ولا أبواب ولا حرس ولا موانع ولا حدود كل ذلك جعل العربى لا يفهم أى حد لحرته ولا أى أفق لعقله يقف دونه . فهو لا يستطيع أن يفهم بأية حدود فى الأرض أو لقوم آخرين . كما لا يستطيع أن يسل بأية موانع تقف دون تعامله مع أى صنف من أصناف البشر . فقد ضرب فى البر والبحر طويلاً ، واتصل بكافة الأمم القريبة منه والبعيدة ، وأخذ وأعطى مع كل هذه الأمم ولكنه لم [١] وكذلك كان العالم القديم قائماً على المدنية .

مع روح القومية الغربية المتعصب ، فغلبت على أسرها تمهله صلابة القوميات الغربية وشراستها واضطرت أن تسير في ركابها أينما سارت ؛ بل زادت على ذلك أحياناً فأضنى رجلها على مذابح هذه القوميات المتطاحنة القداسة المسيحية ، ولم نكتف بذلك ، بل قامت هي نفسها بزعماء أكليروس الكنيسة بمذابح دينية محضه اتسمت بكثير من القسوة والغرارة .

وإني لأقرر وأنا مرتاح الضمير ، أن مبعث هذه المذابح التي أغرقت أرض أوروبا بسيل من الدماء وعصمت بأرواح آلاف الآلاف من الضحايا البريئة هو التعصب الكامن في روح القوميات الغربية لاني روح المسيحية .

إن رجل الدين المسيحي الذي ينساق إلى التعريض على هذه المذابح ينسى تماماً تعاليم المسيحية الصحيحة ، ولا يفسر عمله هذا إلا بأن رواسب القومية الغربية أقوى في نفسه من أن تلتقيها هذه التعاليم ؛ إن مقارنة بسيطه بين ممالك أكليروس الشرق وأكليروس الغرب يكشف البر الذي نحن بصدده !

ما موقف الإسلام من القومية الغربية ؟

إن اللغة — كما أوضحنا — أعظم مقومات القومية ، ومع ذلك فإن العرب لم يحاولوا أن

لهذه الأسباب لا يمكن أن نكتسب القومية العربية صفة الضيق ولا صفة التعصب على ما نعرف في القوميات الغربية .

لو أن الروح العربية كانت روحاً متعصبة لفرضت باسم الإسلام على الشعوب التي دخلت الإسلام من غير المتكلمين بالعربية أن تهجر لغاتها ، وتتخذ العربية لغة رسمية . ولكن الواقع يدل على أن الروح العربية كانت إنسانية متسامحة ، حيث اكتفت من المسلمين غير العرب أن يفهموا رسالة الإسلام سواء تعلمت العربية بأنفسهم أو عن طريق الذين يتعلونها من إخوانهم . وبعبارة فصحية : إن تعلم العربية قد اعتبر فرض كفاية لا فرض عين ، وهذا على ما نعلم سبب قول أبي حنيفة أكبر أئمة المسلمين بجواز الصلاة بغير العربية .

ونستطيع أن نقرر هنا أن القومية العربية ما دامت متسامحة ، فقد زادت الإسلام كدين في تسامحها ومكن لهذا التسامح في قرارة النفس العربية ، فبدأ تاريخ العرب في ظل الإسلام سواء في السلم أو في الحرب مثلاً بارزاً من التسامح القوي والديني على السواء ، وذلك للتعاون الوثيق والتلاقى الصحيح الذي وقع بين روح القومية العربية وتعاليم الإسلام .

أما المسيحية المعروفة بتسامحها ، فكانت أقل حظاً من الإسلام ، فلم تستطع التلاقى

تساعح القومية العربية ، تلفت النظر إلى أن دراسة بعض المستشرقين قد أدت إلى تأكيد هذا التساعح فتجد أن المؤرخ الألماني كريجه Kremer يقول : أن قضية التساعح لم تكن خاصة بالخلفاء والرؤساء وحدهم ، بل كانت سارية في الشعب عامة . وقد عرض لتحليل طبيعة هذا التساعح وتعرف أسبابه فبنى نقياً قاطعاً أن تكون له بواصت سياسيه ، وأن يكون هدفه في نظر أولى الأمر المسلمين هو تسكين قلوب الرمايا غير المسلمين حتى لا يثود على الحكم ... وحتى ليقول أن هذا التساعح لم يقتصر على عصر المسلمين القدامى فحسب ، بل شمل سائر العصور ... وينتهي في تحليله إلى هذه النتيجة : وهي أن المسلم يفصل فصلاً تاماً بين العقيدة ، التي يحترم حريتها عند الآخرين ، وبين المصالح الدنيوية التي تعتمد السكفافية والأمانه ، والتي لا تميز بين دين ودين في سبيل التعاون . (١)

وقد أيد هذه النتيجة المؤرخ الفرنسي غوتيه (Gautier) (٢) حين قارن بين التساعح

(١) الدكتور عبد الله دواز في مقال « حضارة الإسلام وأثرها في الحضارة الحديثة » في العدد الرابع إبريل ١٩٥٧ من « المجلة » تلاه عن كريجر في كتابه : « حضارة العراق في عهد الخلفاء » .

Kulturgeschichte des Orients unter den Chalifen.

(٢) أخلاق المسلمين وماماتهم

Onocuss A cantume des musul.

يدمروا لغات الشعوب التي دخلت تحت سلطانهم أو دخلت في الإسلام ، ولو أرادوا لها أنجزهم خلق المبررات والوسائل عن طريق فرض اللغة العربية بأمر سعاوى أو باسم الدين كما تفعل القوميات الغربية متنوعة بشق الذرائع .

ولا أدل على تساعح القومية العربية من محافظة الفرس الإيرانيين على لغتهم إلى اليوم ، على الرغم من دحولهم الإسلام في وقت مبكر جداً واشتراهم في الحكم طول أيام العباسيين .

ناهيك عن الشعوب الأخرى التي دخلت الإسلام وحافظت على لغاتها دون أن تلقى أيما حرج في الاستمساك بلغاتها إلى اليوم . ولو كانت القومية العربية حقيقة متعصبة ، أو لا انسانية ، كالقوميات الغربية ، لذابت تلك اللغات أمام حرارة الدين .

ولكن القومية العربية - كما قلنا وكما تؤكد متساعحة إلى أبعد الحدود مع اللغات الأخرى حتى كانت بعض الخلفاء يتعلون بعضها ويتداولون بعض صيغها في كلامهم ؛ وحتى أن الأمويين المتهمين بالعصية لقوميتهم أكثر من غيرهم ، لم يعربوا دواوين ما ليتم سواء في الشام أو في العراق أيام الخليفة عبد الملك بن مروان إلا بعد إنذارهم وتوقيعهم الأذى من جيرانهم البيزنطيين كما هو معلوم . ولكي لا نذهب بعيداً في التدليل على

فإن أمرها كان يحزن عليهم لو بقيت محصورة في دائرة الاختلاف النظري . .

لهذا فإن الجواب الطبيعي للسؤال الذي وضعناه آنفاً وطال انتظاره ، هو أن الإسلام لا ينافي مبدأ القومية العربية ، فضلاً عن القوميات الأخرى إذا برزت من التحصب الجنسي .

إن ظهور القومية العربية في هذا العصر ، عصر القوميات ليس له إلا تفسير واحد ، هو المحافظة على كيان الأمة العربية ( المائل جملة في لغتها ) بصد أن فرقها الأحداث ، وأصبحت هدفاً للتخريب والتدمير الكاملين . وفي سبيل هذه المحافظة إنقاذ لثراث الإسلام الذي تحتضنه هذه القومية وتسال عنه وحدها أمام العالم الإسلامي بلغائه المختلفة .

لو أن الشعوب المسلمة غير العربية تستطيع أن تحفظ على اللغة العربية كيانها من دون العرب ، لما كان للعرب حاجة في الدفاع عن هذه القومية اليوم . ولكن ما العمل ؟ إن التخريب والتدمير الذي تستهدف له القومية العربية بات حقيقة واضحة . وقد كشفت عنه أحداث العالم اليوم ، إذ وضحت بشكل بارز النسوايا الخبيثة المتسكرة وراء مشاريع الديبلوماسية الغربية التي كانت تصاغ منذ الحروب الصليبية بقصد تطويق العالم الإسلامي وتدميره . فلما بدأ مفهوم القومية العربية

الديني عند العرب وبين ما عرف عن التسامح الديني عند مسيحي الغرب فقال ... لم يفكر العرب ولا المسلمون يوماً ما ، حتى في أشد أوقات حبيتهم الدينية أن يلفثوا بالدم ديناً منافساً لدينهم ... أنه مهما تكن الأسباب والبراهن على هذا التسامح الديني عند المسلمين ، فإنها فضيلة تستحق كل إعجاب وتقدير ... ولأنه لمن الخطأ في القياس أن نقارن بين هذه الفضيلة عندهم وبين ما فسميه نحن أحياناً بالتسامح الديني عندنا ، فإن هذا التسامح المزعوم ليس له أدنى قيمة خلقية ، بل ليس له وجود حقيقي ، لأنه يقوم على أساس التحلل الديني وعدم المبالاة بشؤون العقيدة ، فلكي تقبل وجود ديانة أخرى في بلادنا يجب أن تكون ديانتنا قد ماتت من قبل في نفوسنا . أما المسلم فإنه يتسامح مع اعتنازه بدينه واستمساكه بعقيدته . أما ما يشاهد عادة في المستعمرات من مقت المسلمين للمسيحيين فرنسيين كانوا أم إنكليزاً أم هولنديين فإنما مرده إلى أنهم لا يمتنون فينا مسيحيتنا وإنما يمتنون أوريثنا . فإن أوروبا منذ قرن أو يزيد أصبحت خطراً يهدد سلام الكرة الأرضية ، فالأوروبيون عندهم رمز للتدخل الذي يجرح كبرياءهم ويحطم استقلالهم ويهدد أسلوب معيشتهم . أما عقائدنا الدينية وآراؤنا الفلسفية ، المخالفة لعقائدهم وآرائهم .

حتى غدت هذه اللهجات قوميات مختلفة تتخاصم وتتعادى ويدمر بعضها بعضا .

هكذا يريدون من وراء إقناعنا باتخاذ اللهجات العامية لغات شعبية عليا ، لتصبح أقطار بلاد العرب قوميات مستقلة ، قومية سورية وقومية عراقية وقومية مصرية وقومية حجازية وقومية يمنية وقومية تونسية وقومية جزائرية وقومية مراكشية و . . . الخ وهذه تنقسم إلى قوميات أخرى ، شمالية وجنوبية أو غربية وشرقية ويدسون أنوفهم على عاداتهم فتعادي هذه القوميات وتتخاصم ويستغل الأجنبي المستعمر هذا الوضع وتمزق القومية العربية التي تشدها العربية العظمى .

لقد هاتهم بقطة القومية العربية ، فقاموا ينشرون الشبهات القنوية للقضاء على العربية المصحى ، عن طريق الترويج للهجات العامية المحلية الكثيرة العدد حتى ألف أحدهم كتاباً عنوانه ( في مثلها لكتاب ؟ ) .

وإذ رأوا أن نشر اللهجات العامية عن فرص الأخذ به ، لا يمكن أن يفي بتدمير القومية العربية ، فكبدوا إلى هذا الحرف العربي الجليل فأرادوا تدميره أيضاً .

في عام ١٩٢٨ على ما أذكر ، زار المستشرقان الفرنسيان المعروفان بيار وماسينيون الجامعة السورية ، وكان مما بشر به واقترحاه في هذه

في الظهور جلياً ، وجدنا يفتنا سواء من المخدوعين أو من المأجورين من يقول : السوريون ليسوا عرباً بل فينيقيون ودعوا للفينية . ثم وجدنا من هؤلاء سواء كان مخدوعاً أو مأجوراً من يقول : إن المصريين ليسوا عرباً بل فراغة ودعوا للفرعونية مع أن الفينية والعرونية لا أثر لهما اليوم في عالم الحياة ؛ كل ذلك بقصد هدم اللغة العربية ؛ حتى لا تكون ذلك الجبل المتين الذي يشد هذه الشعوب إلى بعضها بعضا .

ولم يكتفوا بذلك ، فقام من هؤلاء من يقول : إن اللغة العربية ، لغة صعبة ، وقاصرة عن أن تفي بحاجة العصر ، لأنها لغة الخواص والملوك وليست لغة الشعب ؛ ودعوا لاتخاذ اللغة العامية لغة رسمية ، بقصد تدمير العربية النصحي ، لتحل محلها اللهجات العامية المحلية . فلا يمود السورى يفهم العراقي ولا المصرى ولا الحجازى ولا اليمنى ولا التونسية ولا الجزائرى ولا المراكشى وبالعكس بل لا يمكن لسكان القطر الواحد من هذه الأقطار أن يفهموا لوجود خلافات في هذه اللهجات العامية بين شمال وجنوب ؛ كما حدث في أوروبا يوم خلت هذه اللهجات العامية المحلية محل اللغتين اللاتينية والجرمانية فنشأت عنهما الفرنسية والإيطالية والألمانية والإنكليزية والإسبانية والهولندية و... الخ



ليس هنا مجال الرد على مثل هذا التقرير  
الفاضح ، لأن صاحبه فقد منطقاً ، كما فقد  
كرامته بتقرير مثل هذا الهديان !

وتحت ستار تيسير العلم وتيسير العربية قام  
آخر (١) فقال في كتاب خصمه للدعوة  
لاتخاذ لهجة عربية عامة مكتوبة بأحرف  
لاتينية مقائلًا : ولكن ماذا سيحل بالتراث  
العربي القديم ؟ فأجلب : إن هذا أخطر  
ما تواجهه أمة تحاول أن تحمل لغتها العامية عمل  
لغتها المعصية . وقد جابه غيرنا هذا السؤال .  
ولكن الحياة أجابت عنه : ماله قيمة بقائية  
يبقى ، وما هو حرقى بالخلود يخلد ، وما فيه  
فكر وعاطفة يعيش مادام هناك فكر وعاطفة  
ولك أن تعكس فتقول ما ليس له قيمة يموت  
هذه سنة الحياة .

ثم قال : ولكن للناس أن يسألوا :  
وماذا سيحل بالقرآن الكريم ؟ وأجلب  
أن القرآن الكريم (٢) ، سيبقى حل

الزيارة أن يحنوا العرب حنوا جلتهم تركيا  
بالغاء الحروف العربية واقتباس الأحرف  
اللاتينية ، وأذكر أن الأستاذ فارس الخودي  
رد عليهما بمقال طويل نشرته إحدى الجرائد  
السيارة ضمنه تفصيلاً طلياً ، لهذه النصيحة  
الجريئة وعجز نوابها الحبيثة بإيراد البيت  
الآتي :

كناطح صخرة يوماً ليومها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوهل

وإلى اليوم مازال هذا المشروع حياً كغيره  
من مشاريع الاستعمار ، يلحون به ليجنوا  
منفذاً في النفوس العربية ، حتى انتقل التبشير  
بهذه المشاريع الهدامة تحت ستار العلم  
من المستشرقين إلى أبناء العرب الذين لديهم  
استعداد لترويج مثل هذه المشاريع المخزية .  
فقال أحد هؤلاء (٣) : « إن نستطيع  
أن نكون أمة علمية ، ثنا مصانع ولنا كتب  
ولنا لغة علمية ، إلا إذا ألغنا هذه الكتب  
بالحروف اللاتينية ، وليس بالحروف العربية !  
ذلك لأن العلوم الآن لاتينية ، تصنع كتاباتها  
أي أفكارها لأن الكلمات أمكارة من مقاطع  
لاتينية تفهم عند النظرة الأولى . وهي حين  
تخرجها بالحروف العربية لا تفهم . » ١

(١) الدكتور أنيس فرجة أستاذ اللغات السامية  
في جامعة بيروت الأمريكية . هو عربية  
ميسرة . معاصي الوطن في بيروت ١٩٥٥  
ص ١٩٧ - ٢٠٠

(٢) كلمة حق أريد بها باطل . لأن الخلود الذي  
يقصده الكاتب هو أن تبقى نسخة القرآن العربية  
للتعصب ليس إلا . كما حاث لسانه التوراة الإنجليزية  
التي يشير إليها . إذ ما القائدة منها إذا تغيرت لغة  
الناس وأحرفهم !

[١] سلامة موسى . مجلة العلوم - بيروت عدد  
كانون الثاني ١٩٥٧ .

ثم يوضح : إن الفارق بين هذه الكنائس التي احتفظت بلغاتها القديمة وبين الإسلام عظيم جداً وذلك لأن العامة المحكية لا تختلف عن لغة القرآن الكريم اختلاف السريانية عن العربية أو الإغريقية أو عن العربية اللاتينية عن الفرنسية فلن تكون لغة القرآن الكريم غريبة [١] على إلهام الناس ، وسيظل الناس (٢) يتعلمونه ويحفظونه غيباً ويدرسون حرفه ونحوه وسهر يباهه كما يفعلون اليوم . وسيظلون يقرأونه ويستظهرونه تبركا ويشعرون وهم يرتلونه أنهم يرفعون قلوبهم إلى الله بالصلاة !

ثم أضاف : هذا فيما يتعلق بالمستقبل القريب ، ولكن ماذا سيحدث في المستقبل البعيد ، بعد مئات من السنين ؟ هنا ندخل في نطاق الخدس والتخمين ، ولكن يرامى لى أن فى ذلك الزمن البعيد لن تكون الحياة الروحية وفقاً على الكلمة ولفظ وشكل الكتابة ، بل تكون الروح الإنسانية قد انفتحت من الحرفية وخرجت إلى آفاق روحية مستمدة من روح الدين والفلسفة والفن الموسيقى . سيكون التركيز على الحياة الفضلى ،

[١] كيف لا تكون غريبة ولغة القارى وتحدث عامة وبأحرف لاتينية ، ولغة القرآن عربية فصحة وأحرفها عربية ! ولكن التضييل والافراء [٢] يقصد انتحاصهم ، كما يجرى الأمر فى الكنائس ، يقرأ القسيس الكتاب المقدس بلغة لا يفهمها المؤمنون المحصور !

ما هو عليه كما بقيت كتب دينيه حديده رغم انحراف لغة الناس عن لغة هذه الكتب المقدسة . فقد حافظت على روعتها وجلالها ومقامها الدينى ، هاك لغة التوراة الإنكليزية المعروفة بترجمة الملك جيمس ، فإنها على قدمها تعتبر فى الإنكليزية إلى جانب مقامها الدينى ، قطعة أدبية رائعة ، لها أثر بعيد الغور فى الأدب الإنكليزى على مدى الأجيال . ولكنها ( لغة التوراة الإنكليزية ) لغة تخالف لغة الناس !

ثم قال : « وقل مثل هذا فى لغة شكسبير ، فإنها حافظت على كيانها ومقامها ، وفى لندن اليوم مررت شهور يعرف oed vie لا يمثل فيه إلا روايات شكسبير بلغتها القديمة ، وبشعرها القديم وتعايرها القديمة ، وإنك إذا قست هذه اللغة بلغة جرائد لندن أو إذا قستها بلغة الشارع فى أكسفورد أو كبريدج وجدت فروقاً شاسعة ، وهما هى الكنيسة الكاثوليكية فإنها تعتبر الترجمة اللاتينية للتوراة لغة الكنيسة الرسمية ولا يكون القداس إلا باللغة اللاتينية ! وقل مثل هذا فى الكنيسة الأرثوذكسية التي حافظت على اللغة اليونانية التقليدية ، والكنيسة المارونية التي احتفظت باللغة السريانية ، والكنيسة المسيحية الحبشية التي احتفظت باللغة السامية القديمة المعروفة بلغة الجفر .

الغربي وأمثاله ، عن يروجون المشاريع الاستعمارية لحدم القومية العربية تحت ستار العلم .

ولا أريد أن أرد الآن على هذا الكلام الطويل الخبيث ، فلعل إليه رجعة . ولكن لابد بأن أقول : إنه مشروع كامل ، يكفى وحده - لو وقع به العرب - لأن يدمر قوميتهم ، وبالتالي ، لأن يدمر كل ما بناه الإسلام .

لذلك ، فإن إذ أخذ أبناء العرب مرة ، أخذ المسلمين ألف مرة ، أن يدخل في دوعهم لحظة واحدة ، أن القومية العربية ، منافية للعقيدة الدينية في الإسلام ؛ بل هي السياج العمل الوحيد الذي سبق هذه العقيدة ، ويحفظها من كل ما يراد بها من شر وتخريب وتدمير .

لأن القومية العربية ، لا تدعوا إلى عصية جنسية ، بل تدعو للحفاظ على كيان العرب الذي يتمثل أول ما يتمثل في أرضهم ، وفي لغتهم وفي كتابهم ( القرآن ) كي يبق صالحاً لقراءة عامتهم وخاصتهم على السواء ، لا للتخصيص منهم ، كما يريد النامرون عليهم ؟

على الحياة القائمة على حسن المعاملة ، على المحبة ، على الإخاء . عندها يكون للناس الحرية أن ينظروا إلى الدين من خلال نظاراتهم ، لا من خلال نظاراتنا نحن .

وفي الختام يقول : إن أغرب ما في طبع الإنسان من الأنانية والحرص هو شعوره أنه خالد لن يموت ، وشعوره بأن أفكاره وعقائده ومثله وأسلوبه في العيش يجب أن تفرض على ذريته بالشكل الذي يريده ويألفه إلى ما شاء الله ، ولكنه اليوم بعينه ، نحن زائلون والحياة للأجيال القادمة ، وليس لنا أن نفرض عليهم ، وإن فرضنا فإنهم لن يغيروا أفكارنا أقل انتباه . وهذا ما نلاحظه بين جيل وجيل . ألا نحرص أن تفرض على ابنك عقائدك وعاداتك ومقاييسك وذوقك ونظرك إلى الحياة ؟ ولكن كيف ينظر ابنك إلى هذه العقائد والمقاييس ؟ قد يسارك بعض الطريق ، ولكنه في قراءة نفسه يضحك من حرصك هذا ويسير في طريقه الخاص وهذا هو سبب كل خصومة بين القديم والحديث ، . . .

لقد أحطت النقل حتى أشقى نفوس القراء عما يجتبه لهم القدر ، لو طبقت مقاصد وأحلام هذا المدرس في إحدى جامعات الشرق

# مكانة العلم ومنهجه ومجالاته في القرآن

## للدكتور السيد علي السيد

رئيس مجلس الدولة

في هذا الرمان ، الذي أحنث تدب فيه أفاعي الإلهاد ، لتنفث سمومها في السكيان العربي ، يكون لراما على كل مؤمن يدين بالإسلام ، أن يحلّ مزايا هذا النظام السكامل الذي ارتضاه الله للبشر كافة في دينهم وديارهم ، وأن يكشف عن إعجاز القرآن وهو معجزة الإسلام الخالدة ، في مختلف تلك الشؤون . وفي هذا السيل ، سيل الله ، أتقدم بهذا البحث للؤمنين والمحلدين على السواء ؛ ليزداد المؤمنون إيمانا ، وعسى أن يرجع المحلدون إلى الله .

### ١ - مكانة العلم والعلماء في القرآن

كان في تقدير الحكيم العليم أن تكون الأرض مستقرا للإنسان ، يستخلفه عليها في أولاه ، ومستودعا يقادها بعد حين إلى أخراه .

قال تعالى : « ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين » ٣٦ البقرة . وهو الذي أشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع » ٩٨ الأنعام . « وإن الآخرة هي دار القرار » ٣٩ غافر .

فالإنسان مستصلح للدارين . أوجده الله في الأولى ليؤدي مهمة ، فاستخلفه على الأرض ليعمرها ، واتلاه في هذا الاستخلاف ليستصلحه للدار الآخرة .

قال تعالى : « وإذا قال ربك لللائكة إني جاعل في الأرض خليفة » البقرة . وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيها آتاكم » الأنعام / ١٦٥ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقاما ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا » ( ٢٩ ) فاطر . « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهن أيهم أحسن عملا » ( ٧ ) الكهف . « تبارك الذي بيده الملك وهو

على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ، الملك

والإبتلاء في هذا الاستخلاف هو حير وسيلة لأشرف غاية ؛ ذلك أن كنهان الإنسان في الحياة هو بونقة التجربة والمتناساة ، تتصارع في نفسه خلالها نوارع الخير والشر ، وفي هذا الصراع نكتمل للشخصية الإنسانية ذاتيتها المستقرة ، فالتفكير التي تتعرض لشيئ مشكلات الحياة فتعالجها بما ينبغي لها من حلول على هدى المثل العليا وأحكام الدين ، والتي تقاسي الألم والمرص والآسى ، فتصبر وتثبت وتطمئن وتسكن إنما تعلم وتتعلم وتدرج في طريق السمو الروحي ، فتخرج من التجربة إن اجتازتها بنجاح ، أكثر علما وأوسع آفاقا وأزكى عنصرا ، وأظهر معدنا ، على عكس النفس الغائلة المترفة الجزوع المتردية في الجهالة والضلالة . وهذا التاموس الإلهي ، تاموس الاستخلاف في الدنيا ، ثم الجزاء على قدر العمل في الآخرة إن خيرا وخيرا وإن شرا فشر ، هو الميزان الحق الذي به يستقيم الأمر في الدنيا دار الاستخلاف والصفاء ، والذي به تستكمل الشخصية الإنسانية ذاتيتها وتأهل للترتبة التي تستحقها في الآخرة دار الجزاء والبقاء . يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ٨٦ ، الزلزلة ) .

وتأمل في قوله تعالى : أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون . من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم . ومن يجاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين . والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ، ٢ - ٧ العنكبوت . وفي قوله تعالى : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للبقين . من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ، ٨٣ - ٨٤ القصص .

• • •

وكان من رحمة الله بالناس أن هداهم بالهداية السليمة التي ركوها فيهم وبالرسل من حين إلى حين كلما انطمست فيهم البصيرة : ليرجعوا إلى عبادة الله . قال تعالى : « ونفس وما سواها . فألهمها فجورها ونقاها ، قد أفنح من زكاتها ، وقد غاب من دساها ، الشمس .

وقال تعالى : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » الإنسان . وقال تعالى .  
« وهديناه النجدين » البلد . وقال تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » الحديد .

وتابعت الرسائل وسارت التطور في البشرية ، فكان الرسول يبعث إلى قومه مختصم بدعوته « لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه » . « وإلى عاد أحام هوداً » . « وإلى ثمود أحام صالحاً » . « وإلى مدين أحام شعيباً » . وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ، العنكبوت .  
« ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه ، الأعراف . « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم ، الصف .

• • •

ولما تطورت البشرية في بؤنة الصقل والإعداد قبلت الدرجة التي تؤهلها لاستقبال النظام الكامل الذي ينتظم شئون الدين والدنيا معاً ، بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام هدى ورحمة للعالمين . « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ١٠٧ الأنبياء .  
« قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً » ١٥٨ الأعراف . « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » ٢٨ الفتح ، ٩ الصف ، ٢٣ التوبة دين يرد الناس إلى حظيرة التوحيد بعد أن اختلت العقيدة ، وحرف الناس الرسالة أو عبدوا الرسول .  
« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » الإخلاص .

دين يؤكد الإخوة البشرية ، ويحقق الكرامة الآدمية ، ويحطم التمييز العنصري فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى . « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، الحجرات دين يجمع بين القوة والسلام ، والعلم والعمل ، والدنيا والدين .

دين يصلح للبشر كافة في معاشهم ومعادهم دين يقول عنه الدكتور نظمي لوقا المسيحي في كتابه ( محمد الرسالة والرسول ) .

لقد تمت فكرة التوحيد ، وتم خطاب العقل ، وتم البلاغ إلى الناس كافة أحرم وأسودهم وتمت كرامة الإنسان وصلته بربه وبدنيته ، وتركت لهم مصالحهم المرسله يعالجونها على ذلك حسبما يستجد لهم من الأمور ، فكل رسالة بعد ذلك قول معاد ، ليس فيه جديد يستفاد ،

وبسبب من طبيعة الرسالة ، ومن الحاجة الطبيعية للناس إليها ، كان من الطبيعي أن يكون هذا الرسول خاتم الرسل ، لأن رسالته كانت خاتم الرسالات ، .

قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً .  
٣ — ( المائدة )

وكان من الطبيعي ألا يحتكم هذا الدين الخالد إلا إلى العقل والمنطق والعلم ، لإثبات صدق الرسالة ، وتحقيق أهدافها ؛ ولا يعتمد على خوارق الطبيعة من المعجزات ، كما كان الحال بالنسبة إلى ما سبق من رسالات وذلك من وجهين : أن العلم نور يهدي للإيمان ، ثم يثبت ويقويه . وهو قوة في الحياة التي هي للعرمان كالأساس من البنيان . والإسلام كما سلف البيان ، نظام يجمع بين القوة والسلام ، والدنيا والدين .

والعلم يخدم تلك الأغراض جميعاً بقوة ، ومن هنا كانت مكانة العلم والعلماء في نظر القرآن ، فحفل بالآيات التي تعلل من شأنهم .

قال تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ( ٩ - الزمر ) .  
« وما يعقلها إلا العالمون » ( ٤٣ - العنكبوت ) . « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » ( ٤٣ - الرعد ) . « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك » ( ١٦٣ - النساء ) . « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ( ٢٨ - فاطر ) .  
« إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً » ( ١٠٧ - الإسراء ) .  
« ولعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به » ( ٦٤ - الحج ) . « ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد » ( ٦ - سبأ ) .  
« بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » ( ٤٩ - العنكبوت ) . « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ( ١١ - المجادلة ) . « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم » ( ١١٨ - آل عمران ) . « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » ( ١ - العلق ) .  
« وقل رب زدني علماً » ( ١١٤ - طه ) .

وقال الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : [١] فضل العالم على العابد كمفضل على أدنى رجل من أصحابي . [٢] طيب العلم فريضة على كل مسلم . [٣] اطلبوا العلم ولو بالعين . [٤] من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطي . [٥] لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها . [٦] لأن تعدوا فتعلم بابا من العلم خير من أن تعبد مائة ركعة . [٧] لا ينبغي لجاهل أن يسكت على جهله ، ولا لعالم أن يسكت على علمه . [٨] من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فينبه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة . [٩] أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن احتج إليه نفع ، وإن استغنى عنه أغنى نفسه . [١٠] أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد ، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل ، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسياهم على ما جاءت به الرسل . [١١] العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم . [١٢] إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً ، وترفع العبد المملوك حتى يجلس مجالس الملوك . [١٣] لكل شيء فترة فمن كانت فترة إلى العلم فقد نجا . [١٤] كونوا علماء صالحين ، فإن لم تكونوا علماء صالحين فاحسبوا العلماء ، واسمعوا علماء يدلكم على الهدى ويردكم عن الزي . [١٥] إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب . [١٦] استرذل عبداً حظر على العلم . [١٧] يعث العالم والعابد ، فيقال للعابد : ادخل الجنة ، ويقال للعالم : انتد حتى تشفع للناس .

• • •

بنور العقل والعلم وقف ستمراط على عتبة التوحيد ، إذ يقول : « إن كل جزء من أجزاء هذا الكون يتجه نحو غاية ، وتلك الغاية تتجه إلى غاية أعلى منها ، حتى يتم الوصول إلى نهاية ممردة وحيدة ، وليس من الممكن أن يحبل ذلك على المصادفة » .

[١] إحياء علوم الدين لغزالي . واسطر جهادته لغزو المراف . [٢] الإحياء وأدب الدنيا والدين لماوردي . [٣] الإحياء [٤] النفاذى ومسلم عن معاوية [٥] النيطان عزير عبد الله بن مسعود . [٦] الإحياء [٧] الإحياء [٨] الإحياء [٩] الإحياء . [١٠] الإحياء . [١١] الإحياء وأدب الدنيا والدين . [١٢] المصدر السابق (١٣) أدب الدنيا والدين (١٤) أدب الدنيا والدين . [١٥] المصدر السابق . [١٦] المصدر نفسه . ولا يخفى أن المراد العلم النافع (١٧) المصدر نفسه .



وكان سقراط وجلا عالما يستعمل عقله في أوسع نطاق ، حتى في الشك ليصل إلى الحق ، ومع ذلك كان يعنى لصوت غير صوت العمل أسماء الإشارة الإلهية ، ففسر الحياة تفسيراً دينياً ، وقال إنها ليست النهاية ، وفسر الموت وقال إنه دفن للجسد وحده ، أما الروح فلها السلود ، وآمن برؤية قادرة تدعو الناس إلى معرفة الحق وفعل الخير .

وانظر إلى الدكتور كروني ، الذي بدأ منحدا ثم اهتدى بالعلم ، إذ يقول : « إذا تأملنا هذا الكون وأسراؤه وعجائبه ، ونظامه ودقته ، وخصامته وروعته ، لابد أن نفكر في الله خالقه . من ذا الذي يتطلع إلى السماء في ليلة صيف صافية ، ويرى لنجوم اللانهاية ، تألق بعيداً ، ثم لا يترنم بأن هذا الكون كله ، لا يمكن أن يكون وليد المصادفة العمياء . ؟ »

وعلمنا هذا ، وهو يدور في الفضاء ، في حركة دقيقة منتظمة ، وفي فصول متتابعة ، لا يمكن أن يكون مجرد كرة من المادة خالية من الدلالة ، أقيت في الفضاء بلا معنى وبلون سبب .

انظر وابعث في العالم وتتبع سير الحياة ، فإنك ستواجه لغزا عامضاً وسراً عميقاً . إذ لا يمكن أن يكون هذا قد نشأ من العدم ، فلا شيء يخرج من لا شيء .

وانظر إلى لابلاس العالم الفيلسوف إذ يقول : « إن القدرة التي شكلت الأجرام السماوية وحددت كشافها ، وأقطارها ومداراتها ، بنظام مستمر إلى الأبد ، لا يمكن أن تنسب إلى المصادفة . »

وانظر إلى آرثر كومتون ، أحد حائزي جائزة نوبل في الفيزياء للكشوف الذرية إذ يقول : « إنني في معنى ، لا أعنى بإثبات حقيقة الحياة بعد الموت ، ولكنني أصادف كل يوم قوى عاقلة ، تجعلني أحس إزاءها بأنه يجب علي أن أركع احتراما لها . »

وانظر إلى العالم أدنجتون إذ يقول : « إن من وراء هذا الكون عقلا مدبراً حكماً ، هو العقل الأعظم ، وروح سام ، هو الروح الأعظم ، هو الله سبحانه وتعالى . »

وانظر إلى أينشتاين ، أعلم علماء الأرض ، في الكون وظواهره إذ يقول : « إن أعظم حاجة من حاجات النفس وأجلها . تلك التي تستشعرها النفس ، عند الوقوف في روعة أمام هذا الخفاء الكوني ، إن الذي لا يجيش نفسه لهذا ولا تحرك عاطفته هو حي كيت ، إنه خفاء لا تستطيع أن تشق حجب ، وظلام لا تستطيع أن تطلع لجره ، ومع هذا قدرك

أن وراءه شيئاً هو الحكمة أحكم ما نكون ، ونحس أن وراءه شيئاً هو الحال أجل ما يكون ، وهي حكمة ، وهو جمال ، لانستطيع أن ندركهما عقولنا القاصرة ، إلا في صور لها بداية وأولية ، وهذا الإدراك للحكمة ، وهذا الإحساس بالجمال في روعته ، هو جوهر التعبد عند الخلائق . وإذ يقول : « إن الشعور الديني ، الذي يستشعره الباحث في الكون ، هو أقوى حافز على البحث العلمي وأنبى حافز » ، وإذ يقول : « إن ديني هو إعجابي في تواضع تلك الروح السامية ، التي لاحد لها . تلك التي تترامى في التفاصيل الصغيرة القليلة التي تستطيع إدراكها عقولنا الضعيفة العاجزة ، وهو إيماننا بالعالم "مميز بوجود قدرة عاقلة مهيمنة تترامى حيثما نظرنا في هذا الكون المعجز للأفهام . إن هذا الإيمان يؤلف عندي معنى الله . ( كتاب مع الله في السماء للدكتور أحمد زكي ) .

وانظر إلى السير جيمس جينز ، العالم الإنجليزي الشهير وهو بين كيف انصهرت موجة الإلحاد المادي التي طغت في القرن الماضي فيقول : « أما الآن فالآراء متفقة إلى حد كبير ، في الجانب الطبيعي من العلم ، يكاد يقرب من الإجماع ، على أن نهر المعرفة بدأ يتجه نحو حقيقة غير مادية وغير آلية ، وقد بدأ الكون يلوح أكثر شبيهاً بفكرة عظيمة ، منه بآلة عظيمة : ولم يعد العقل بعد دخيلاً ألقت به المصادفة في عالم المادة بل بدأ يحول بخاطرنا أن من واجبتنا أن نحسبه ونعده خالق العالم ، المسيطر عليه ، ولنا نقصد بهذا العقل ، بطبيعة الحال ، عقولنا الفردية ، بل نعني ذلك العقل الكلي الذي توجد فيه على شكل فكر ، تلك الذرات التي نشأت منها عقولنا ، وتلك المعرفة الجديدة تضطرنا إلى أن نعدل عن رأينا السابق الفطير ، ونحن واجدون في الكون دلائل على وجود قوة مدبرة مسيطرة ، يوجد بينها وبين عقولنا الفردية شيء مشترك ( الكون الغامض - ترجمة وزارة التربية ) .

وانظر إلى العالم الأمريكي كريس موريسون في كتابه الذي سماه ( الإنسان لا يقوم وحده ) الذي ترجمه الأستاذ محمود صالح العليكي بعنوان - العلم يدعو للإيمان ، أنظر إليه إذ يدل من واقع مختلف الحقائق العلمية ، أن الله باري الكون وخالق كل شيء ، وإذ يرد بمنطق العلم على جوليان هكسلي المادي الملحد الذي كان قد كتب كتاباً سماه ( الإنسان يقوم وحده ) فيقول هذا العالم المؤمن في مقدمة كتابه - إن وجود الخالق تدل عليه التنبؤات الانتهائية التي تكون الحياة بدونها مستحيلة . وإن وجود الإنسان على ظهر الأرض والمظاهر الفاخرة لذلك . إنما هي جزء من برنامج ينفذه باري هذا الكون بمشيئته وقدرته

وإن تحطيم الدرة ، التي تعتبر أصغر قالب في بناء الكون ، إلى مجموعة من الجسيمات هي في نظامها كمنظومة المجموعة الشمسية سواء سواء ، فتألف من جرم مذهب هو النواة ، والكترونات طائفة تدور في فلكها ، قد فتح المجال لتبديل النظرية القديمة عن الكون تبديلاً جوهرياً ، ولم يعد التناقض الميت للذرات الجامدة يربط تصورنا بما هو مادي بل أن المعارف الجديدة ، التي كشفت عنها العلم ، تدل على وجود جبار مدبر وراء ظواهر الطبيعة ، وهذا الضوء يقودنا إلى الاعتراف بوجود عقل أسمى ، أي إلى وجود الخالق .

وانظر إليه ، بعد أن عدد في إيجاز جميل ، كما يقول الدكتور أحمد زكي في مقدمة الترجمة المشار إليها ( هذه الأساق التي تجمع بين الخلاق جميعاً ، بين الحى والحى ، والحي والجامد وغير الأرض وفي السماء يربط ما بينها وبين الحياة على هذه الأرض ، فالصابع لا بد واحد فهما كالمفتاح وقفله اتساقاً ، لا يمكن أن يكون قد ابتدعهما إلا عقل مبتدع واحد ) .

أنظر إلى هذا العالم المؤمن بالله إذ يحتم كتابه فيما اختتمه به بقوله : إن كون الإنسان في كل مكان ، منذ بدأ الخليقة حتى الآن ، قد شعر بحافز يحفز به إلى أن يستنجد بمن هو أسمى منه وأقوى وأعظم ، يدل على أن الدين ضروري فيه ، ويجب أن يقر العلم بذلك ، ويجب أن نأخذنا الروعة والدهشة والإجلال لإجماع البشر في شتى أنحاء العالم على البحث عن الخالق والإيمان بوجوده أو ليست روح الإنسان هي التي تشعر باتصالها بالله ؟ . إن وجود هذا الحافز هو برهان على قصد العناية الإلهية . إنها العطرة السليمة المركزة فيه ، والتي لا تقل شأنًا عن عقله العجيب ، هذا العقل الذى يملك قدرات واستعدادات قابلة للنمو والتقدم الذى لا حده ، إن أى اتحاد مادي للعناصر ما كان يمكن أن يتولد عنه أى رأى أو فكرة اله ، ولكنه القبس الإلهي ، هذا الشيء غير المادي وغير الملبوس هو الذى أنتج ما أنتجه الإنسان من عجائب ، وهو يختلف في جوهره عن كل ما هو مادي عما صنع منه العالم ، فهو لا يرى ولا يوزن ولا يقاس ، ولكن نشعر به ، وبصلته بالمصدر الأعلى لوجوده إن تقدم الإنسان من الوجهة الخلقية ، وشعوره بالواجب إنما هو أثر من آثار الإيمان بالله ، والاعتقاد بالخلود ، وإن غريزة الدين نكتشف عن روح الإنسان وعن ترقيته ، خطوة خطوة حتى تشعر بالاتصال بالله ، وإن دعاء الإنسان الغريزي لله ، أن يكون في عونته هو أمر طبيعي ، وإن أبسط صلاة تقسمو بالإنسان وتقره من خالقه . إن الوتر والكرم والنبل والفضيلة والإلهام وكل ما يسمى بالصفات الإلهية ، لا يمكن أن ينبعث من الإلهاد .

لأنها المثل العليا التي يكونها تفلس المدنية ، وينقلب النظام فوضي ويضيع كل ضابط ، ويسود العالم الشر ، فقلنا أن تثبت علم إيماننا بالله ، وعلى محبة ، وعلى الأحوة الإيمانية ، فإن ذلك يسمو بنا نحو الله تعالى ، إذ نعمد بذلك مشيئة ، وثبت أننا جديرون حقاً بعنايته . إن خيرة التقدم تسير بالإنسان سيرا طيبا ، ولكن سيرا مؤكدا نحو زيادة الإدراك لما يجب أن تكون عليه علاقاته ببنى جنسه .

ثم انظر إلى المرحوم الدكتور علي مصطفى مئرفه ، في كتابه « العلم والحياة » ، إذ يقول من ارتباط العلم بالدين : « وعندى أن ما وصل إليه الإنسان من العلم ، وما ترتب على ذلك من قدرة واختراع ، إنما جاء على قدر الإنسان من العلم ، وما ترتب على ذلك من قدرة واختراع ، إنما جاء على قدر طلبه الحقيقة ، ونفعه الحق ، كما أن حب الحق ، وحب الخير ، إنما يتفرعان عن حب الجمال ، فالحق واخير جميلان ، ولذلك من أجل الجمال أحبهما جميعا ، وودعت لو استطعت أن أصور للقارى فيض ذلك الجمال ، الذى يدركه طالب الحقيقة العلمية ، فى ذلك التناسق البديع بين أجراء الكون ، حتى إن السير جيمس جيز ليصممه بأنه فكرة عظيمة ، أو إن شئت فقل فكرة جميلة ، ومن الخطأ الفاحش ، أن يصور العلم على أنه شئ مادي يعنى بالأجسام والمسافات والأبعاد وما إلى ذلك فقط ، وأن يقال إن العلماء ينفون عند المظاهر المادية العامة . فالعلماء إذ يبحثون عن الحقيقة يسمون بعقولهم إلى المنتهى ، وهم إذ يكشفون عن أسرار الكون ، تمتزج نفوسهم بالحق والجمال . »

ويقول فى موضع آخر من كتابه « إننا إذا نظرنا إلى حقائق الحياة وجدناها تدفنا دفعا إلى الإيمان بالقيم الروحية ، بل إن العلم نفسه ليقوم على إحدى القيم الروحية الأساسية . ألا وهى حب الحق والشغف بالحقيقة ، فالعلم إذ ينظر إلى الحياة ، شغوف بأن يصورها تصويراً حقيقياً . وهو إذ يعمل ذلك ، يقدم للإنسان أجل خدمة . فقد قمت أن اختلاف الناس فى تصورهم للحياة إلا أن يمدوا جميعا باستخلاص صورة حقيقية لها ، وهى الصورة التى يرسمها العلم »

ومن سوء الحظ أن بعض علماء القرن الماضى وفلاسفته ، صور الحياة على أنها صراع بين القوى والضعيف ، وتكلموا عن مبدأ بقاء الأصلح ، وقد فهم ذلك على أنه بقاء الأقوى . . . . وهو تصوير يخلط لا يتركز على أى أساس علمى ، بل الحياة تتدرج نحو

السمو ونحو النور . وقد حدث في تاريخ البشرية ، أن تغلبت القوة المادية على المدنية الروحية ، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث عند انهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية في الغرب ، والدولة العباسية في الشرق . إلا أن مثل هذه الانتصارات ، إنما كانت انتصارات مؤقتة ، ساعد عليها انحطاط رجال الأمم المغلوبة ، وابتعادهم عن المثل العليا الروحية . واليوم وقد امتزج العلم بحياة الأمم والأفراد ، قد صار لزما على رجال العلم أن يرفعوا اللواء المثل العليا ، وأن يتعدوا عن الفلسفة المادية في جميع صورها وأشكالها . كما صار لزما على الشعوب أن يتقبلوا رسالة العلم ، وأن يستمعوا بها عن محاربة الشر . وقد بينت أن الأرض لا تزال رحيبة ، تلج للناس جميعا ، وأن القوى الموجودة على سطحها تقوى عظميها ، فإذا استعان بها الناس على قضاء حوائجهم ، وسحروها لخيرهم ورفاهيتهم ، مستمعين بالعلم وبالروح العلية كان لنا أن نتنظر للبشر مستقبلا يكمل طمأنينتهم وسعادتهم وسعوتهم .

وانظر إلى الدكتور أحمد زكي في كتابه « مع الله في السماء » إذ يقول : « العالم هو أكبر عابد ؛ لأن العلم هو السبيل لمعرفة الله ، وهو السبيل الأول والأقوم ، وهو آخر سبيل يجوز أن ترتفع إليه رية ، وإن المعرفة في ذاتها عبادة لأن الباحث في العلم إذا استهدف في هذه الكشف ، ولو به بعض كشف ، في بعض جوانب الألوهية فهو أكبر عابد ، وأكرم قائم وراكع وساجد . وإن القاريء العلم يريد به استكناه حقيقته هذا القائم الأعظم على الكون والقائم فيه ، فهو يعبد الله على أسلوب هو في صفوف العبادات فوق الأساليب ، لأن العقل فيه يتحرك نحو الله عن علم ، ويمتلئ به قلبه عن معرفة ، ويمتزج به قلما وعقلا ، وجامعها النور . . . »

ويقول : « إن العلم الحديث ولد منذ ثلاثة قرون ، والأضواء التي صباها على نواحي هذا الوجود كانت أضواء شديدة ، كشف بها لأعيننا ، وبالأخص لأفهامنا ، فيما لا تراه العيون الشيء الكثير ، واستعان الإنسان بكثير مما كشفه العلم في مطعمه ، وفي ملبسه ، وفي زرع ، وصناعته وتجارته ، وفي ريفه وفي حضره ، وفي صحته وفي مرضه ، وفي عمله وفي فراغه من عمله ووضع العلم مدنية غامرة تتضائل إلى جانبها ما مضى مما عرفناه من مدنيات ، ولكنها مدنية مادية ، وما أحرانا بإيمان العالم ، أن نجعلها مدنية روحية . ذلك الإيمان الذي يدرك ما في الكون من تنظيم وتنسيق ، ومن وراء ذلك عقل منظم ، منسق ، مدبر ، ونذكر أن هذا

النظام ، وإن هذا المنطق فيه . يجرى على أسلوب واحد مهما اختلف المراضع من هذا الكون ، فسلم أن العقل المظم المنطق المدبر في هذا الكون واحد ، هو الله الأحد الفرد الصمد .

أنظر إلى أقوال هؤلاء العناء ، من آمن منهم بعد إلحاد . ومن زاده العلم إيماناً فوق إيمان ، ثم تدبر قوله تعالى : « سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » ٥٣ فصلت . « وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربكم بغافل عما تعملون » ٩٣ النمل . « خلق الإنسان من عجل سآريكم آياتي فلا تستعجلون » ٣٧ الأنبياء .

ثم سبح اسم الله وأنت تتلو قوله تعالى : « قل من الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا نقول . قل من يده ملكوت كل شيء . وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون . بل أنبتناهم بالحق وإنهم لكاذبون . ما اتخذ الله من ولد وما كان منه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصنعون عالم الغيب والشهادة فعلى عما يشركون » ٨٤ - ٩٢ ( المؤمنون ) . وقوله تعالى : « أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هو قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجراً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون . أمن يدبكم في طلبات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون . أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون . بل إدراك عليهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون ٦٠ - ٦٦ انفل .

وقوله تعالى : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعين . لو أردنا أن نتخذ لهم ألائعنا من لدنا إن كننا فاعلين . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق

ولسلك الويل مما تصفون . وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحشرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون . أم اتخفوا آلهة من الأرض هم ينشرون . لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فببجان الله رب العرش عما يصفون . لا يسأل عما يعمل وهم يسألون . أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعطون الحق فهم معرضون . وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون . وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، ١٦ - ٢٧ الأنبياء .

الإسلام دين القوة والحياة ، يدعو المؤمنين إلى الأخذ بأسبابها ، ومن هنا كانت حكمة الحديث الشريف : المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير . أحرص على ما ينفعك ، واستمع بأفه ولا تعجز ، ولئن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ؛ ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان . (١)

فالإسلام لا يرضى للإنسان أن يسلك مسلك الرهبانية والتجمل ؛ لما في ذلك من تعطل يتناقض مع عمران الأرض التي استخلفه عليها ؛ كما يأتي الإسلام تكالب الإنسان على الجمع لنفسه ؛ لما فيه من أثره وطفنان مادي ، وإنما يقيم نظامه على الاعتدال في القصد بين الدين والدنيا إلى الحد الذي يوفق بين حظوظ الجسد المعتدلة وحظوظ الروح المعتدلة بلا إفراط ولا تفريط .

وليس كالعلم قوة تحقق هذه الأغراض . فالعلم يكشف عن أسرار الكون ويسخرها لمنفعة الإنسان ويستخرج كنوز الأرض ويستغلها لخير البشرية . وبحكمة العلم تستقيم السياسة فتتجه وجهة الخير ، والعلم يحفظ على الصناعة قوتها ويمجد شبابها ويمممل على إنهاضها وتقدمها ، والعلم أساس التقدم ، في كل أوجه النشاط الزراعي والمالي والتجاري والاقتصادي ، وهو حجر الزاوية في حسن القيام عليها ، والعلم أمضى سلاح في محاربة الملأ الثلاث : المرض والجمل والعقر .

من أجل ذلك كله حث القرآن على العلم ، ووجه النظر إلى بحث الكائنات وتعرف خصائصها وأسرارها والانتفاع بها في بناء الحياة .

وقد ربط القرآن في الوقت ذاته ، بين العلم والعبادة التي من أجلها خلق الله الجن والإنس .

ورضى عن القول أن من عبادة الله تحقيق إرادته في عمارة أرضه ، وإظهار أسرارهِ الدالة على عظمتِهِ ووحْدانيته ، واستحقاقهِ وحده للعبادة ، والإحسان في هذا كله إنما هو شكر الله على نعمائه ، وهو خير عبادة يقرب بها العبد الشاكر إلى الله . أما إذا تنكب الجادة وسخر عليه فيما يحقق لنفسه الطغيان على بني جنسه ، كان كافراً بنعمة الله .

ومثل الأول كمثل سليمان عليه السلام . وهب الله له حكماً وعلاً ، وسخر له الجن والريح ، وعلمه منطق الطير والحَيوان . قال تعالى : « ولقد آتينا داود وسليمان علماً ، ١٥ ( النمل ) » . وسليمان الريح عاصفة تجري بأمره ، ٨١ ( الأنبياء ) . « وورث سليمان داود وقال يأبها الناس علمنا منطق الطير ، ١٦ ( النمل ) » وقال : « رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ، ١٧ ( النمل ) » قال هذا من فصل ربّي ليولوني أشكر أم أكفّر . ٤ ( النمل ) . ومثله كذلك قتل دى المريخ ، مكنته الله في الأرض وآماه من كل شيء . سبياً فأُبيع سبياً . أقام العدل في أرض الله ، وحارب الفساد والمفسدين واستعمل عليه في إقامة السد ، لمنع الثوم المستضعفين من شر يأجوج ومأجوج المفسدين فيها ، ولم يقبل خراجاً على عمله شكر الله على ما مكنته فيه .

ومثل الثاني أى العالم الباغى الكافر بنعمة الله كمثل قارون ، قال تعالى : « إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناهم الكنوز ما إن مما تحته تنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب المرححين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندى أو لم يعلم أن الله قد أمّلك من قبله من القرون من هو أشد منه تموة وأكثر جمعاً » . وقال تعالى : « نخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . » ثم قال سبحانه : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للذين » . القصص .

## ٢ - منهاج العلم في القرآن :

منهاج العلم في القرآن ، هو منطق النظر والاستقراء ، أى هو المنهاج الصحيح في لغة العلم الحديث ، وهو يقوم على المشاهدة والبرهان الحسى والتفكير المنظم المبني على الواقع أى على الحقيقة الخارجية .



ويقول المرحوم الدكتور على مصطفى مشرفة ، إن الغرب يدعم أن الفضل في صياغة هذا المنهج المستحدث يرجع إلى العالم الإنجليزي السير فرنسيس بيكون الذي ألف كتاباً باللاتينية عام ١٦٢٠ م سماه « Novum Organum » أى الأداة الجديدة . وقوام هذا المنهج المشاهدة والتجريب ، وامتحان المقدمات وتمحيصها ، وسلوك سبيل الحس والمشاهدة والعناية بالحقيقة الخارجية ، وإطراح التقليد والإذعان .

والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تأمرنا بالنظر في الطواهر المحيطة بنا ، ونحسنا على استخدام العقل والحواس معا ، والتأمل في ملكوت الله وقد سفه القرآن التقليد والإذعان ، وجرى الخلف وراء السلف دون نظر أو برهان .

« وإذا قيل لم اتعوا ما أنزل الله قلوا بل نتبع ما أليننا عليه آباءنا أولو كن آباءهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » ١٧٠ - ( البقرة ) . ولذا لم يحتكم الإسلام في إثبات رسالته ، إلا إلى التأمل والمنطق والعقل ، وحظر اتباع الظن ، وجعل البرهان والحجة أساس الإيمان . قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن نتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرون . » ١٤٨ - الأنعام . وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً . يونس . وما لم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً . ( النجم ) . ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ، ٣٦ الإسراء . وآيات النظر في القرآن كثيرة منها قوله تعالى « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض » ١٨٥ الأعراف . « أنم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بيناها وزيناها وما لها من فروج » . « فينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا ، عيس ، فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . إنه على رجله لقادر . الطارق . أفلا ينظرون إلى الإبل كيف حملت ، الغاشية » فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحى الأرض بعد موتها . ٥٠ الروم . انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه . ٩٩ الأنعام . قل انظروا ماذا في السموات والأرض ، ١٠١ يونس . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ، ٢٠ العنكبوت . فالقرآن يأمر باستخدام العقل وسائر الحواس استخداماً أساسه المشاهدة : فالعين يجب أن ترى ، والأذن يجب أن تسمع ، والعقل يجب أن ينظر ويفكر وهذا هو منطق الاستقراء ومنهاج ، العلم الصحيح . وقد نبه القرآن إلى هذه الحواس ودل على نعمة الله على

الإنسان إذ منحه إياها : « وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ، ( ٧٨ - النحل ) » . ألم نجعل له عيين . ولسانا وشفيتين . وهديناه التجدين ، ( البلد )

كما نبه القرآن على ما يسمى في العلم الحديث بالمنطق الرياضى ، وهو غير المنطق العادى ، بل هو أعمق منه غوراً وأبعد أثراً ، وقواعده مبنية على البدايات الأولية التى أصبحت نظريات رياضية ، يعرفها كل رياضى ويستخدمها فى استنتاجاته ، فيستخرج المجهول من المعلوم عن طريق الرموز ، مستعيناً بالبدايات فى علوم الجبر والمهنتسة والرياضة .

ولعل هذا هو أعجب ملكات الإنسان فهو يدرس رموزاً لايهمه معناها ، ويستنتج بواسطة منطق الرياضى وبالقلم والقرطاس نظريات للعمل بهذه الرموز ويصنفها أسفاراً فى الرياضة البحتة حتى إذا جاء بعده مهندس كهربائى مثلاً استعمل هذه النظريات فى تصميم شبكات التوصيل ومحطات التوليد ، وهو ضامن للنتيجة التى يصل إليها قلبه ، كما يضمن مثل هذه النتيجة الصحيحة عالم الفلك مثلاً إذا استعمل هذه النظريات فى حساب أوقات الكسوف والخسوف قبل أن تحدث وبهذا المنطق الرياضى وبالقرطاس والقلم ، صنف ماكسويل قوانين الكهرباء المغناطيسية ، ومنها استنتج أن التذبذبات فى المجال الكهربائى المغناطيسى تنتقل بسرعة الضوء . وهى ١٨٠ ألف ميل فى الثانية فى كل أجزاء الكون . واعتمد العالم هارتز ، ومن بعده ماركوفى ، على ذلك فى الاختراعات اللاسلكية وفى إرسال هذه التوجات إلى كافة أنحاء العالم . وهذا العلم الحديث علم اللاسلكى ، إنما نبه عليه فلم ماكسويل فى القرن التاسع عشر .

وبالقلم والقرطاس ، وبالاكتفاء على المنطق الرياضى ، صنف أنيشتين قوانين النسبية ، ومنها استنتج أن المادة يمكن تحويلها إلى طاقة ، وبالعكس ، وأن وحدة المادة تعطى مربع سرعة الضوء من الطاقة ، واعتمد الرياضيون على معادلته فى فتح الذرة وتحويل المادة إلى طاقة رفعت الجبال ودكت الحصون وسيرت السفن وحفرت الأنفاق وأزالت المدن من الوجود ( راجع كتاب العلم والإيمان لصالح خشبة ) .

إذا علمت هذا فتدبر قوله تعالى « الذى علم بالقلم » . علم الإنسان ما لم يعلم ، فى أول سورة أنزلت على النبي الأسمى صلى الله عليه وسلم ، وتدبر كذلك قوله تعالى : « ن . والقلم وما يسطرون » . فأقسم سبحانه بالقلم والقرطاس ، وما كان هذا القسم العظيم إلا لعلم الله

بما أودعه إياهما من أسرار ستكون بالغة الأثر في مستقبل الإنسان . ألا نخفى الرأس بعد ذلك إجلالا لإعجاز القرآن ، في هذا الشأن . ؟ ؟

### ٣ - مجالات العلم في القرآن :

كان إعجاز القرآن عاما شاملا ، لا يختص بعصر دون عصر ، ولا بقوم دون قوم ، ولئن أنزل في قوم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم أرباب الفصاحة والبيان بعربية معجزة بهرتهم وبهتهم ، إنه كان أساساً ، كتاب نور وهداية وعلم وإرشاد ، احتوى من المبادئ السامية والمثل العليا ما تصح به النفس البشرية وتطهر وتزكى وتبلغ القمة في السمو الروحي ، كما احتوى من الأصول الكلية ما يصلح الناس ويصلح لهم في كل زمان ومكان ، واحتوى من الآيات الكونية ما يبه الأذهان ويوجه النظر إلى البحث والتنقيب واستكناه حقائق الأشياء واستكشاف أسرار الكون وتطبيقها فيما ينفع الناس ، واستغلال ثروات الأرض وما أودعها الله من كنوز وقوى كونية .

قال تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ٢٨ ( الأنعام ) « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء . وهدى ورحمة وبشرى للسلين » ٨٩ ( النحل ) « ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل » ٥٩ ( الروم ) ٣٧ ( الزمر ) « وفزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » ٨٢ ( الإسراء ) « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » ٥٢ ( الأعراف ) « بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » ٤٩ ( العنكبوت ) .

فالعلم في القرآن ، يشمل كل أنواع المعرفة ، ومجالاته تصل بكل ما ينفع الناس : في دينهم ودينام ، في معاشهم وفي معادهم في أجسادهم وفي أرواحهم . وهذا أمر طبيعي باعتباره نظاماً كاملاً خالداً للبشر كافة ، يتنظم شئون الدين والدنيا معاً . وليس أبلغ في بيان هذه المجالات من قول صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم : « إن الله أنزل على القرآن أمراً وزاجراً ، وسنة حالية ، ومثلاً مضروباً ، فيه نبؤكم وخبر ما كان قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، لا يخلفه طول الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الحق ليس بالهزل ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن غاصم به قلع . ومن قسم به أقسط ، ومن عمل به أجر ، ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ، ومن حكم

بغيره قصه الله ، هو الذكر الحكيم ، والنور المبين والصراط المستقيم ، وحل الله المتين ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن أبى ، لا يموج فيقوم ، ولا يزيع فيستعيب . ولا تنفضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ( ١ ) .

وفي الحديث : قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وفيها ينابيع العلم . وفهم الحكمة ، ودريع القلوب ، ( ٢ )

### ألا ما أحلى ذلك وأبلفه وأروعه . . .

ونأمل قوله تعالى في سورة النبئة : « رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة » وما الكتب القيمة إلا ينابيع العلم وفهم الحكمة ودريع القلوب كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم . فليس إعجاز القرآن مقصورا على حسن تأليفه وانثام كله ، وفصاحته ووجوه إعجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب ، مع ما خصوا به من البلاغة والحكم ، ولا على صورة نظمهم العجيب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها وشعرها وبهجتها ورجزها وهزجها وقريضها ، ومبسوطها ومقبوضها ، كما قال الوليد بن المغيرة لقريش عند اجتماعهم ، ولا على ما اطلوى عليه من الإحبار بالمغنيات فوق ، ولا على ما أنبأ به من القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع للمدرسة بما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا من مارس العلوم من أهل الكتاب واطلع على الكتب المنزلة القديمة ، ولا على الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه ، والهيبة التي تعترهم عند تلاوته .

قال الله عز وجل : « نقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلتين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » ٣٣ ( الزمر ) .

وقال تعالى : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ، ( الحشر ) ولا على كونه آية باقية لا تقدم ما بقيت الدنيا ، وقد تكفل الله بحفظه فقال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ١٠ الحجر . « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ١٣ هود . فصحت . وسائر معجزات الأنبياء . اقتضت باقضاء أوقتها ، فلم يبق إلا خبرها ، ولا على

أن قارئه لا يمل قراءته ، وسامعه لا تحجه سامعه ، بل الإكباب على تلاوته وترديده يزيد حلاوة ومحبة ، ولا على أن الله تعالى يسر حفظه لتعليمه وقربه إلى متحفظيه .

قال الله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » ( القمر ) ولا على مشاكلة بعض أجزائه بعضها ، وحسن ائتلاف أنواعها والثام أقدامها وحسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه ، بل بإيجازه يشمل كذلك جمعه لعلوم ومعارف لم يعدها العرب ولا علماء أهل الكتاب ، ولم يشتمل عليها كتاب من كتبهم فاحتوى حقائق الأشياء ، وكان أصلا لسائر العلوم (١) .

وليس المقصود من ذلك كما يقول المرحوم الشيخ المراعي : « أنه اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلا بالأسلوب التعليمي المعروف ، وإنما المقصود أنه أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان معرفته لصالح دينه ودنياه ، ولبلوغه درجة الكمال جسداً وروحاً ، وترك لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ليعينوا الناس جزئياتها » .

وكما يقول المرحوم الدكتور عبد العزيز اسماعيل في كتابه ( الإسلام والطب الحديث ) إن القرآن ليس بكتاب طب أو هندسة أو فلك ، ولكنه يشير أحيانا إلى سنن طبيعية ترجع إلى هذه العلوم ، وبما أنه صادر من واضح السنن كلها ، كل جميع ما جاء فيه حقا لاشية فيه ، وإن لم يكن مدركا وقت نزوله إلا على طريق الإجمال والتأويل لعدم استبحار العلوم وقتذاك ، ولكن مع الترقى في العلوم قلنا كان يعتمد إلى تأويله ، وكثر ما وجب أخذه على طاهره في ذلك العهد .

وقد حمد المرحوم الشيخ المراغي للمرحوم الدكتور عبد العزيز اسماعيل هذه النزعة العلمية التي لو نحلى بها كل مبرز في فرع من فروع العلم لاجتمع لدينا ذخير عظيم من هذه التطبيقات الثمينة تستفيد منه الثابتة الحديثة زيادة معرفة بإعجاز القرآن ، وإيقان بأن ما فرط في كتابه من شيء ، حمد له هذا المجهود كذلك المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى بقوله : « وهذا الكتاب يفتح للتدبرين آيات القرآن محالا فيحيا لفهم آياته المشيرة إلى الكائنات الأرضية بما يسيغه العلم الحديث ويستهوى عقول الذين يقصدونه ، فما أجدره أن ينتشر

(١) راجع نهاية الأرب في أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم ج ١٨ ص ٣٠٣

وما بعدها .

بين طلبة الجامعات ليكون باعثاً لهم على تلاوة القرآن والاستهداء بنوره ، وما أخلفه أيضاً أن يذاع بين طلاب العلم الديني ليحبب إليهم العلم الحديث ، ويثبت لهم أنه أصبح أداة لإظهار مكنونات الكتاب الكريم وإذاعة آياته وإثبات إعجازه .

وقد ظهرت بعد ذلك جهود محدودة في هذا الميدان ، كجهود الأستاذ صلاح الدين خشبة في رسالته ( العلم والإيمان ) . وجهود الأستاذ محمد محمود إبراهيم في رسالته التي ينشرها من حين لآخر بعنوان ( إعجاز القرآن في علم طبقات الأرض ) وجهود الأستاذ عبد الرزاق نوفل في كتبه ( الله والعلم الحديث ) ، ( الإسلام والعلم الحديث ) ، ( القرآن والعلم الحديث ) . وكذلك ما نبه إليه الدكتوران محمد جمال العنبدى ومحمد يوسف حسن في كتابهما ( قصة السموات والأرض ) من معاني الآيات المتصلة بموضوع كتابهما . نحمد لهم ولغيرهم ممن لم تصل إلى علنا جهودهم في هذا السبيل . وجزام الله خير الجزاء .

وقد اشتمل القرآن على ٢٢٣٦ آية منها حوالى ٧٥٠ آية كونية وعلمية ، احتوت أصولاً وحقائق تتصل بعلم الملك والطبيعة وما وراء الطبيعة والأحياء والنبات والحيوان ، وطبقات الأرض ، والأجنة ، والوراثة ، والصحة ، والصحة الوقائية ، والتعدين ، والصناعة والتجارة ، والمال والاقتصاد الخ . . . واحتوت باقى الآيات على الأصول والأحكام في المعاملات ، وعلاقات الأمم والشعوب في السلم والحرب ، وفي سياسة الحكم ، وإقامة العدل ، والعداة الاجتماعية ، والتصامن الاجتماعى ، وكل ما يتصل ببناء المجتمع ، وفي رسم شخصية المسلم الكامل خلقاً وأدباً وعلماً ، وفيما يجب أن يحتديه من المثل العليا ، وما يتحلى به من مكارم الأخلاق .

وهذا كله بخلاف العبادات والمعتقدات والتكاليف وبخلاف القصص وما احتواه من مواظب وأمثال ، وغير ذلك من شتى أمور الدين والدنيا ، بما كان محلاً للدراسة والاستنتاج ، والتحرى ، والتأصيل ، والبحث والتنقيب ، وكان أساساً لعلم العقيدة والتفسير والحديث والأصول والأخلاق والاجتماع ، والبلاغة والأدب وغيرها ، سواء أكانت عقيدة أم تقليد ، وكانت معانيه دائماً كلماء الصافي الزلال في بلور الإناء ، ومهما تشكل الماء بلون الإناء بحسب الزمان والمكان ، فهو هو نفس الماء ، الذى لا يتغير لونه ، ولا ينضب معينه ، ولا يتسنه طعمه ، ويظل هو نفس القرآن الذى لا نبلى على الزمان جده ، ولا تنقص

عجائبه ، ولا يخلفه طول الرد كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام ، ذلك أنه من العمق والاتساع ، ومن العموم والشمول ، بما يقبل تفهم البشر له أيا كان مبنيهم من العلم ، وبما يفي بحاجتهم في كل عصر ، يتجاوب في سر مع فهم أهل البدوة ، لأنه لا يتوى على الأفهام ، ويهر في عمقه أهل المدنية الذين صعدوا في سلم الرقى ، وبرعوا في فنون العلم والمعرفة ، لأنه يزخر كما يزخر البحر ، وفي قاعه الدرر واللآلئ لمن استطاع الغوص إليها في الأعماق ، أليس هو من عند الله ؟ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ويضيق المقام عن الإفاضة في هذه المجالات ، فلا مندوحة من الاجتزاء والاكتفاء بإيراد بعض الأصول والحقائق في بعض المجالات على سبيل المثال لا الحصر .

قال تعالى : في سورة الإسراء « وقصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا ، وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ، وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتعبد ملوما محسورا ، إن ربك يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خيرا بصيرا ، ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا ، ولا تقربوا الرنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ، وأوفوا الكيل إذا كنتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ، ولا تهف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ، كل ذلك كتب سيئه عند ربك مكروها . ٢٣٠ - ٣٨

وقال تعالى في سورة الفتح : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيئاتهم في وجوههم من أثر السجود

ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزراع أحرق شطأه فأزده فاستعطف فاستوى على سوقه ، يعجب الزارع ليفيط بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا .

هل تجدون أبلغ وأروع من هذا في رسم الصورة المثاليه للشخصية الإنسانية ؟ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : بعثت لأتم مكارم الأخلاق (١) .

وثانيا : الأخوة البشرية وعدم التمييز العنصرى والعلاقات الدولية في السلم والحرب . قال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ، الحجرات . وقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب » ٢ المائدة . وقال تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين أقتلتا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن قامت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ، الحجرات . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » ٢٠٨ البقرة . وقال تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » ٦١ الأنفال . وقال تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم » ١٩٠ البقرة . وقال تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكنتهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور » الحج ٤٠ - ٤١ . وقال تعالى : « فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوك وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » ٩ النساء .

وقال تعالى : « فإن لم يعتزلوكم ويقتلوا إليكم وسلم يدينهم فغزاهم واقتلواهم حيث

(١) مالك في موطئه . انظر كشف الخفاء .



تقفتموه وأولتكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ، ٩١ ( النساء ) وقال تعالى : « وقال لهم حق لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير » الأنفال وقال تعالى : « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر لأنهم لا أيمان لهم لعلهم يتقون . ألا تتقون قوما نكثوا أيمانهم وعموا بإخراج الرسول وهم بدوكم أول مرة اتخضوهم قاله الحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ، التوبة .

وهذه الآيات تؤكد : الأخوة البشرية ، وعدم التمييز العنصري ، والتعاون والتمايش السليين ، ومحاولة الإصلاح بين المتقاتلين ، ومساندة الفئة المظلومة على الفئة الباغية ، والدعوة إلى السلام في غير استسلام ؛ والحرب الدفاعية لا الهجومية ، والجهاد في سبيل الله .

#### الديمقراطية الاشتراكية التعاونية في الإسلام

قال تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » ٢٨ الشورى وقال تعالى : « وشاورهم في الأمر » ١٥٩ آل عمران وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بآحقه واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلا » ٥٩ النساء وقال تعالى : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ولا يحرمكم شأن قوم على ألا تعبدوا اعدلوا هو أقرب للتقوى . ٨ المائدة . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأسوا وتسلبوا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم » ٢٧ - ٢٨ - النور . وقال تعالى : « هو الذي جعل لكم الأرض دولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ، الملك وقال تعالى : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ٢٥٦ البقرة وقال تعالى : « أما أنت نكراه الناس حتى يكونوا مؤمنين » ٩٩ يونس وقال تعالى : « ولئن كنتم أممة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ١٠٤ آل عمران . وقال تعالى : « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » الذاريات . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيات ما كسبتم » ٢٦٧ البقرة . وقال تعالى : « إنما أنت مدكر لست عليهم بمسيطر » الغاشية . وقال تعالى : « وما أنت عليهم بجبار » ق .

هذه الآيات تضع أصول الديمقراطية الاشتراكية التعاونية : التي تكمل أن يكون الحكم

من الشعب وإلى الشعب لصالح الشعب ، وثبت أركان التعاون والنظام والعدالة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي . وتكفل الحقوق والحريات العامة ، وهي : المساواة أمام القانون بغير تمييز .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع : يا أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أبائكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي عن عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحر على أبيض ، ولا لأبيض على أحر ، فضل إلا بالقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد (١) .

وقال : من آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة (٢) .  
وقال عمر لعمر بن وهب وهو يقتص للقبلى من ابن الأكرمين : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟

كما تكفل المساواة والعدل أمام القضاء ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : إنما أهلك من قبلكم إنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها (٣) .

وتفرض الزكاة في مال الغنى لصالح الفقير فالكل في حق الحياة سواء ، وتكفل حرية العقيدة ، وحرية الرأي ، وحرية المسكن ، وحقوق الأسرة ، وحق التملك وتكفل حرية العمل ، وسائر الحريات ، ولكنها حريات وحقوق نجد حدها الطبيعي في صيانة حقوق الآخرين وفي أنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وعرضه وماله .  
وقال : إن قوماً ركبوا سفينة فاقسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له ما تصنع ؟ قال : هو مكان أصنع فيه ماشئت . فإن أخذوا على يده نجا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا .

(١) الحديث مشهور في كتب السيرة والتفسير وغيرها .

(٢) رواه أبو داود أطر كشف الحفاء

(٣) رواه البخاري ومسلم عن عائشة ، من رواه المالين

ورسم نبي الإسلام ، عليه الصلاة والسلام ، الحد الفاصل لطاعة ولي الأمر ، فقال :  
السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية  
فلا سمع ولا طاعة (١) .

### الحقائق الكونية والعلمية في القرآن :

سبق أن قمنا أن القرآن حفل بالآيات التي تنبئ الأذهان على ظواهر الكون تدليلاً  
على باريه ومصوره ، وإظهاراً لمعظمته وقدرته ، وتبياناً لرحمته بخلائقه ، وتفصيلاً لآلائه  
ونعمائه ، وحثاً على اكتشاف الأسرار والقوى الكونية وتطبيقاتها وتسخيرها واستغلال  
كنوز الأرض وثرواتها فيما يعود بالخير على البشر ، وقد احتوت تلك الآيات على حقائق  
كونية وعلمية في شتى مجالات العلوم : من فلك وطبيعة وما وراء الطبيعة ، ومطبقات الأرض  
والأحياء والنبات والحيوان ، والأجنة والوراثة والصحة والزراعة والتجارة والصناعة  
والمال والاقتصاد الخ .

نذكر منها على سبيل المثال في بعض تلك المجالات ما يلي :

(١) « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا  
من الماء كل شيء حياً أفلا يؤمنون . وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها  
لجاناً سبلاً لعلهم يهتدون . وجعلنا السماء سقفا محفوظاً وهم عن آياتها معرضون . وهو الذي  
خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ، ٣٥ الأنبياء .

« أأنتم أشد خلقاً أم الماء بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحائها ،  
والأرض بعد ذلك دحاًها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها ، متاعاً ولأنعامكم .  
( النازعات ) .

« تبارك الذي جعل في السماء بروحاً وجعل فيها سراجاً وقراً منيراً ، وهو الذي جعل  
الليل والنهار خلقة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ، ٦١ ( الفرقان ) .

« ألم نجعل الأرض كفاتاً ، أحياء وأمواتاً ، وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم  
ماء فراثاً ، ( المرسلات ) .

(١) الأحاديث الثلاثة صحيحة ، من روايات الشيخين وغيرهما .

«والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء مودون ، وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له برازقين . وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . ( ٢١ - الحجر ) .

« قل أنكم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها والأرض انثيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » ( ٩ - ١٢ فصلت ) .

« إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون » ١٦٤ البقرة .  
« ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والملك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه » ( ٦٥ الحج ) .

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ، والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » ( ٣٧ - ٤٠ يس ) .

« والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على نطئه ، ومنهم من يمشي على رجلين ، ومنهم من يمشي على أربع ، يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير » ( ٤٥ - النور ) .

« ونرى الجبال نحسبها جامدة وهي تمر مرّاً السحاب ، صنع الله الذي أتقن كل شيء » .  
( ٨٨ - النمل ) . « ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » ١٢ لقمان .  
« خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار » ٥ - الزمر .

وهذه الآيات البينات تتصل بمولد لكون وتمده واتساعه المستمر ، وبكيفية خلق السموات والأرض ، وأنها كانت جميعاً في يوم من أيامه سبحانه وتعالى أصلاً واحداً

كالدخان (السديم) في حالة الرق والاتصال ، ثم أوحى إليها سبحانه وتعالى ، في يوم من أيامه بالفتق والانفصال ، فكان الفتق ثم الرق يومين من أيامه ، مرهما كونه ، سماؤه وأرضه ، على ما شاء . وقدر - وكيف دعا الله الأرض فصارت كالذخيرة أي البيضة ، وفي ذلك الإشارة إلى كرويتها المنبججة ، وكيف مرت الأرض بعد ذلك بأربعة أيام لله ، أي أربعة أطوار ، قدر فيها أوقاتها وأزاقها ، مع الإشارة إلى النسبية في حساب أيام الله ، فهو كألف سنة مما يعبده البشر أو كخمسين ألف سنة كما في سورة المعارج ، أو هو أكثر من ذلك على ما يقدره الله ، وكيف أن الحياة بدأت من الماء ثم تطورت وتنوعت وتفرعت في شتى الصور ومختلف الأشكال والألوان سواء في النبات أو الحيوان أو الإنسان ، وكان التزاوج وكان التطور من سنن الله في خلقه . وأشارت الآيات إلى نواحي المجاذبية والحركة التي يمسك الله بها السموات والأرض ، ويسير بها الأجرام السماوية في أفلاكها ، ووصف المجاذبية بالمد غير المرئية ، مع الإشارة الخاصة إليها ، لا من الناحية الوصفية ولكن من الناحية الحسابية ، فلا أفهم بمواقع النجوم ، ففي ذلك تنبيه إلى أثر الأبعاد في قوى التجاذب والدفع بين الأجرام السماوية ، وفي حركة دوراتها في أفلاكها ، كما أشار إلى حركة دوران الأرض حول الشمس مما نتج عنه تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل ، وأن لو شاء الله لجعل الليل سرمدا والنهار سرمدا ، كما هو الحال مثلا بالنسبة لكوكب عطارد ، فلنقرب موقعه من الشمس صار في قبضتها ، لا ينعكس عنها حولا بحيث يصبح نصمه المواجه لها في نهار سرمدي ونصمه الآخر في ليل سرمدي ، كما أشارت الآيات إلى الموازين والضوابط التي تنظم كل ما خلقه الله ، لمخلفه بميزان ويقدر معلوم . وأشارت إلى أهمية الجبال في إرساء الأرض وثباتها فكانت لها بمنزلة الأوتاد وذلك حتى لا تميد بما عليها ، وكيف أودع الله الأرض أوقاتها خلال تلك الأيام الأربعة ، أي الأطوار الأربعة ، كي تستقبل حياة الإنسان ، وهو الذي سخر الله له ما فيها . ولعل هذه الأيام الأربعة هي دهور الحياة في علم طبقات الأرض .

كل أولئك حقائق لا شية فيها لأنها من عند الله . وإنه ليطمئن قلبك إلى إعجاز القرآن إذا فهمت هذه الحقائق ، في ضوء العلم الحديث الذي لا يتعارض مع أية حقيقة منها . « أخرج منها ماءها ومرعاها » ( النازعات ) « وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا . وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله

نسباً وصبراً وكان ربك قديراً (٥٣ - ٥٤ العرقان) . وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء . فأخرجنا منه خصباً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ، (٩٩ الأنعام) . ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير ، (٦٣ الحج) . وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون . فأشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها غواكه كثيرة ومنها تأكلون ، (١٨ - ١٩ المؤمنون) . ألم تر أن الله يرحم عباده ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار . يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعلبة لأولى الأبصار ، (٤٣ - ٤٤ النور) . وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ونجسنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ، (٢٣ - ٣٥ يس) . ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياناها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير ، (٣٩ فصلت) . وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون ، (٧٨ - ٨٠ يس) . أفرايتم الماء الذى تشربون . ألا أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جملناه أجاباً فلولاً تشكرون ، (الواقعة) . أفرايتم النار التى تورون . ألا أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للذين . فسبح باسم ربك العظيم ، (الواقعة) .

وهذه الآيات البينات تتعلق بكيمية خلق الغلاف المائى للأرض وكيف أخرجه الله منها بتكاثف أبخرتها ، بعد برودة فئرتها . وبكيمية تسلسل دوران المياه بعد ذلك على سطحها وفى باطنها ، وفى حياة النبات والحيوان والإنسان ، وكيف يتكون الماء بالرياح التى تثير السحاب من مياه البحر الملح ثم يؤلف الله بينه ، ثم يجعله ركاماً يخرج الودق من خلاله ، ثم ينزله من السماء من كسف السحاب ، التى هى كالجبال فى أحجامها وأشكالها . ينزله بقوة الجاذبية ثم يسلكه أنهاراً على سطحها وينابيع فى باطنها ، ويجعل بين البحرين :

حاجزا وحجرا محجورا لا يفيان ، وكيف يتحدد نطاق الأراضي الميتة أى الصحارى ،  
وهي التي لا يصيبها الماء ونطاق الأراضي التي تحيا بالماء ، كل ذلك حسبما يشاء الله ، وكيف  
تتأثر جزئيات الأرض بالماء فتتوزع وتربو وتنبث النبات الذي يحيا عليه الحيوان والإنسان ،  
وكيف يخرج الله النبات مختلف الألوان والأشكال فنه الحب المقراب ومنه الأعناب والتفاح  
والزرع صنوان وغير صنوان ، وهو يسقي بماء واحد . ثم كيف يهيج النبات ، ثم يصبح  
مصفرا ثم حطاما — وتتضمن الآيات الإشارة الخفية إلى التأثير الكيميائي للضوء في حياة  
النبات المعروف بالتمثيل الحضري ( الكلوروفيل ) وكيف تقوم الحياة على نواتج التحلل  
والتحلل من بقايا الحياة السابقة من نبات أو حيوان ؛ وكيف يرد الله بذلك على من ينكر  
البعث ، إنه يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ذلك أن الأرض بعد نزول الماء  
عليها تصبح عظيرة ويجعل الله من الشجر الأخضر نارا ، ومفتاح المعنى وصف الشجر  
بالأخضر وترتيب النار على خضرة الشجر ، فالخضرة ( الينخضور أو الكلوروفيل ) تساعد  
على النمو وعلى بناء الكيان الخشبي واخزان ما في هذا الكيان من طاقة تبدو نارا عند  
الاستيقاد . وبعد فهم التمثيل الحضري وأثره ، وكيف تقوم الحياة على نواتج التحلل  
والتعفن ، من بقايا النبات والحيوان السابق الذى مات وتحلل تدحض حجة منكرى البعث  
الذين يقولون كيف يحيي الله العظام وهي رميم ؟ فهذا بعث للنبات .

واقعد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا  
النطفة عانة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا مضغة عظما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا  
آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . ١٤ - ( المؤمنون ) .

يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك  
لا إله إلا هو فأتى نصر فون ٦ - الزمر .

وهذه الآيات : تصل بعلم الأجنة وتقرر حقائق كشف عنها العلم الحديث وفصرها  
المرحوم الدكتور عبد العزيز اسماعيل وغيره من العلماء المجتهدين :

د - الطريقة الصحيحة لتفسير القرآن في ضوء العلم الحديث

وأرى لزما قبل أن أختم هذا الحديث أن أنه هنا على الطريقة الصحيحة في تفسير آي  
الذكر الحكيم في ضوء العلم الحديث .

وقد قال المرحوم الدكتور عبد العزيز اسماعيل في هذا الشأن : إن العلوم مهما تقدمت عرضة للزلل . فينبغي ألا يطبق على القرآن إلا ما يكون قد ثبت ثبوتاً قطعياً ولم يعد يقبل الشك . فكثير من النظريات العلمية عرضة للتغيير والتبديل ، وهذه لا يجوز تطبيقها على الآيات ولو اتفقت مع ظاهرها إنما يطبق منها ما يكون قد اجتاز دور النظريات وصار حقيقة علمية ثابتة لا شك فيها ويشير إلى قول المرحوم الشيخ المراعى : يجب ألا نجر الآية إلى العلوم كي نفسرها ، ولا العلوم إلى الآية ، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها . .

ثم يستطرد إلى القول بأن العالم كثير الاعتراض بعلمه فإذا لم يتفق ظاهر الآية وما يعرفه من النظريات ركن إلى علمه وشك في الآية أو أوثقها ، مع أن كل علوم العصر الحاضر لا تعد شيئاً مذكوراً بالنسبة لحقائق الأشياء ، فقد انتصح الإنسان بالكهرباء وبالحرارة والضوء ولكنه لا يعرف شيئاً عن حقائقها ، فهو يعرف كثيراً عن ستنها وسيزداد معرفة بها بتقدم العلوم ولكنه لا يعرف من كنهها أكثر مما يعرفه عن الروح والحياة ونظام الكون . فكل آية لا تتفق ونظريات العلوم يجب أن نترك حتى تتقدم هذه العلوم . ولم أعثر للآن على آية واحدة لا تتفق وآية حقيقة علمية . .

والواقع من الأمر أن الإنسان وإن كان طليعة ، يبحث دائماً عن الحقيقة ، إلا أن مداركه محدودة وعرضة للزلل ولذا كانت نظريته إلى أساس طبيعة الأشياء تختلف من وقت لآخر . فمثلاً كان يفسر الكون وطواهره في القرن الماضي تفسيراً مادياً وآلياً ، ولكن العلم اتجه اتجاهاً مغايراً منذ أوائل القرن العشرين . فاتجه نحو رد مادة الكون كلها إلى موجات وأن هذه الموجات نوطان :

موجات معبأة أو حيوية تسمى المادة ؛ وموجات طليعة تسمى إشعاعاً ، وايسر عمية إثناء المادة إلا مجرد الإندراج عن الطاقة الموجبة الحبيسة وإطلاقها حرة تسرح في الفضاء ؛ ولكن العلم الطبيعي حتى الآن لا يتعدى دراسة السلوك الظاهري للأشياء ، دون معرفة كنهها . وقد قال أفلاطون في جمهوريته : إن الحقيقة ليست إلا ظلالاً لصور ، ولست أقول ذلك على سبيل الحقيقة . .



والحق — أن الله سبحانه وتعالى هو الحقيقة المطلقة ، وكل ما في الوجود إنما هو من آثار صفاته وأن ما عداه باطل زائل ، وأنه وهو مبدع الكون ، سن النواميس وأطلقتها فيه ، لا تشد ، وإن تجد لسنة الله تبديلا . فكان منها الذي كان في كل زمان ومكان ، وهذا هو الأصل الذي سارت عليه الخليقة منذ الأزل ، وهذا في ذاته آية الوحدانية والأحادية المنفرد بها الخالق جل شأنه .

وإن هذا العلم — وهو فهم الدين — هو الذي يعطي الكون معناه الحقيقي ، وبهذا المعنى لا يمدو الكون أن يكون مطهرا من مظاهر الألوهية وإن شئت قلت إن الله سبحانه وتعالى هو الأصل ، وهو الغاية ، فكل شيء في الكون إنما هو إشعاع ، منه خرج وإليه يعود . وإن الدار الآخرة هي التي تفسر الدار الأولى ، وإن الإنسان مرتبط في أولاه بأخراه ، وفي أخراه بأولاه .

ومن هنا نعود على بدء ؛ لنمهم حكمة العزيز الحكيم في جعل الإنسان مستصلاحا للدارين ، ليحصد في أخراه ما زرعه في أولاه .

وتدبر بعد ذلك قوله تعالى : « وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بقاء ربهم لكافرون » ٦ — ٨ الروم .

**السيرة على السبيل**

رئيس مجلس الدولة

من شعر إقبال ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام :

يا أيها المسلم إن	الأرض والسماء لك
ضياؤك القمسي	أعلى من شرارات الفلك
ما جنت في الدنيا لتفنى	وهي بالخلد تدوم
هل تصبح الشمس أقل	قيمة من النجوم ؟

# أصول الإسلام

## والتقريب بين الأئمة وشرائعهم المختلفة

### للأستاذ عباس طه

أحبارهم ورحبناهم أربابا من دون الله ،  
وقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى  
اتخاذهم أربابا أنهم أخذوا كل ما سمعوه عنهم  
بدون جدال أو تمقل .

كل هذا ليتوصل الإسلام به إلى تخلص  
العقل من العوائد القائمة فيه ، وإذا تم للأمة  
أن تحترم حكم العقل الكامل المستضيء بنور  
العلم ، سهل إقامتها على الطريق السوي ،  
وتوجيهها إلى باحات الكمال الصوري والمعنوي  
من أقرب الطرق ، وأبعدا عن القواطع ،  
فأصبحت أرواحها خالصة من كل شائبة  
عبودية ، فإن لاح لها أصل جديد فيه خير  
أسرعت إليه بأوسع الخطى ولم تتأخر  
عن القيام عليه . ولم تجد في نفسها حرجا  
من الاندفاع في نياده ، بل رأت أن من الدين  
أن تتجه إلى وجهه ، ابتغاء الاهتداء إليه  
وحيا إلهيا ، وإلهاما ربانيا .

هذا على خلاف الأمم الجامدة على القديم  
البالي ، المقدسة لكل ما نقل عن أسلافها  
بدون نظر فيه ، فهي كلما لاح لها أصل فيه

شرح الله الإسلام غائما للأديان . وعهداً  
عالمياً للإنسان ، فلم يبع أصلا من الأصول  
المقربة بين العقائد الموحدة بين النزعات ،  
الجامعة بين مختلف المقاصد والغايات إلا أتى  
به الإسلام على قدر ما تسمح به الفطرة  
السليمة ، والطريقة القويمة ، والخطوة المثلى ،  
فدعا إلى تحكيم العقل في كل خلاف ، والرجوع  
إلى النظر في كل موضوع تترك فيه الموروثات  
القديمة ، والميول الجديدة .

وهو لأجل أن يرفع من طريق العقل  
المخالص كل ما يعترضه من العوائد الوهمية  
أنهى على مبدأ التقليد فتقصه ، وعلى أصل  
تقديم القديم الرثب فهدمه ، ونهى عن الواقفين  
مع هاتين العقبتين جودهم ، فقال تعالى :  
زاريا بالمفسدين ، وإذا قيل لهم اتبعوا  
ما أنزل الله قلوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ،  
أولوكلن آباءهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ،  
وقد بالغ في الزاوية بالتقليد إلى حد أن سماه  
عبادة ، وهذا نهاية ما يمكن أن توصم به نزعة  
من النزعات الخاطئة فقال تعالى : واتخذوا

إلى بعض كنتيجة طبيعية لاختيار الأحق والأحسن ، والمقل المطبوع في جميع الأفراد واحد ، فيكون ذلك مقدمة لأقرب بعض الأمم من بعض ، واجتماعهم جميعا على بساط واحد ، من البحث الحر ، وتكون النهاية توحيدهم في العقولات والعقائد ، لأن الحقائق لا تعدد كما هو الصحيح .

ومن الوسائل التي نذرع بها الإسلام التقريب بين الأمم المختلفة ما نص عليه كتابه في مسألة الإيمان برسالة محمد خاصة ورسالات المرسلين عامة فقد صرح سبحانه وتعالى أنه لم يرسل خاتم رسوله بدين جديد ، ولكنه أرسله بالدين الذي أنزل على جميع من تقدمه من المرسلين فقال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم . وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع ( أى لتوحيد الدين فادع ) ، واستتم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا

حياتنا لم نزنه بجزان عقلا ، ولم ننظره بعين مصلحتنا . ولكن ننظر إليه من خلال تقاليدنا ، فإن رأته ينطبق على ما ورثته من أقوال أسلافنا أتبعته مراقبة ، ولم تحسن الاندفاع فيه ، شأن المستعبد المثقل بالقيود والأغلال ، وإن لم تبعده ينطبق على ما عندها من هذه الأقوال ثارت عليه متأثرة بعوامل الجود ، وربما كان الأخذ مما يطل شيئا من أصولها الأولية ، ولكنها لشدة كلفها بالتقديم والقدماء تراج إلى معارضة كل جديد ، لا لعلة غير كونه جديدا ، لم يعرفه آباؤها من قبل .

هذا من أكبر عوامل انحلال الأديان ، وصيرورة أهلها في مؤخرة الأمم في كل ضرب من مظاهر الحياة ، حتى الأخلاق التي يفخرون بأنهم أحسن القاصمين بحقوقها ، والمهيمنين عليها فيكثر فيهم الخلل والخطر ، والكذب والنفاق ، وسوء الملكة والقوم ، ويتمى بهم الأمر لأن بعدهم مواطنهم خطرا على الأخلاق والاجتماع فانظر كيف يدهورم جودهم على التقليد إلى عكس ما كانوا يرمون إليه بتشددهم فيه ؟ من الأمور التي رى الإسلام بها إلى تقريب الأمم المختلفة ، تحليم حتم هذا التقليد الأعمى ، لأن العقول متى انتفضت من آثاره اندفعت إلى قبول كل ما تراه موافقا للعقل ، ملائما للحياة ، فيسيل بعضها

وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم .

في هذه الآية نص صريح على وجوب الإيمان بجميع رسل الله وجميع كتبه التي أنزلها عليهم بلغات مختلفة ، وهذا أبغ ما يعرف من الأصول المقررة بين البشر ، فإذا أجلت نظرك في جميع الأمم لا تجد ديناً لواحدة منها يعني بدين واحدة أخرى ، فما ظنك بأديان الأمم كافة ، على حين أن المسلم لا يستطيع أن يكفر برسول أرسل لواحدة منها قال تعالى : « إن الذين يكفرون بالله ورسوله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقا، وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً ، فالدين في نظر الإسلام كل لا يتجزأ أساسه الإيمان بالله وبجميع رسله ، من بلغتنا أسماؤهم ومن لم تبلغنا ( منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ) فلا أخفيل أن في العالم أصلاً علياً يحمل الوحدة الإنسانية ماثلة في عقلية أمة ونفسيها مثل هذا الأصل ، فهو وضع إلهي محض ، يكشف

أعمالنا ولكم أعمالكم ، لاجبة بيننا وبينكم . الله يجمع بيننا وإليه المصير . » نصت هذه الآية على أن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم كانت إطاعة ما سبق به الوحي على السنة لجميع المرسلين من الدين الحق والصراط السوي ، لحرفه أنباهم وخرجوه عن حقائقه .

ولا مشاحة في أن هذا التصريح يقلل من تشدد أصحاب الملة في مناقضة الإسلام ، ويلفتهم إلى ما يقول رسوله ، ويعملهم على النظر فيما بين أيديهم من الكتب ، وكل هذا مما يقرب بين الأمم ويجمع بين متفرقاتها ، لذلك جمع الإسلام في حظيرته في أقل من قرن بين أمم كانت على أشد ما تكون من الاختلاف والتباين ، فبعد أن كان من المحال أن ترى العارسي إلا زوادشتياً ، والمهندي إلا بوذياً ، والصيني إلا كونفوشيوسياً أو لاوتسيا والسوداني إلا فتشياً ، أصبحت ترى حظيرة الإسلام جامعة بين جميع هذه الأمم ولو كان المسلمون الأولون دعاة بالفضائل الأوربية لكان له بين ربوعها اليوم شأن أي شأن .

وما قصد به الإسلام إلى التقريب بين الأمم لإجابه على الآخذين به الإيمان بجميع رسل الله وعدم التفرقة بينهم والإيمان بما جاءوا به من الكتب إجمالاً فقال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم

أما الفرق بين الإسلام وهذه المذاهب ، فهو أن الإسلام عرض الكتب السبوية الموجودة بين أيدي أصحابها ودل على وجوه التحريف فيها . أو على سوء تأويلهم لها ، ودعا إلى الكتاب الذي جمعها جميعا ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو القرآن الكريم ؛ وأما تلك المذاهب فترى إلى توحيد الأديان بتأويل النصوص التي تختلف عليها ، تدعى إلى التوفيق بينها ، وهذا التأويل يشر بتكلف شديد ، وعنت ظاهر بالانفاط لا يبتنى عليه الإيمان ، فتكون النتيجة تشكيك الناس في جميع الأديان .

ومن هذه المذاهب محاولة توحيد الناس في عبادة الله بحجة أن جميع الأديان تدعو للعبادة ، وهي في نظرم ترقى ثمراتها على أية ضروب كانت ، أما الكتب الموجودة بين أيدي الأمم فتترك لأهلها مع كل ما بنوه عليها من أهواء وأوهام .

فالتاقد البصير يرى أن مذهب الإسلام في توحيد الأمم هو خير المذاهب وهو دعوتها إلى كتاب جديد شامل لجميع ما تقدمه عما لم تحسه أيدي التحريف ، ذلك لأن التقدم العلمي كشف من أحوال تلك الكتب من ناحية ضعف رواياتها ، وضياح أصولها ، ومناقضة ما فيها لأبسط قواعد العلم ، ما لا يستطيع معه الإيمان بها فتكون النتيجة الطبيعية من تقرير

عن إلهيته وهو مقصده ، وبعد غايته ، فهو من هذه الناحية ليس في حاجة إلى دليل يؤيده ، فهل بعد هذا غاية في قطع ذرائع الخلاف بين الأمم ، وحسم مادة لتلاحي بينهم ؟ أليس هذا يجملته ونفسيه يحمل الإسلام ديننا عاما ، ويهيئه لأن يكون نقطة اتصال بين الجماعات البشرية ، فتسكن الأرواح منه إلى عقيدة عادلة لا تذهب بأصحابها مذاهب الجور في هضم حقوق الأمم ، ولا تنزع بهم إلى تمزيقها من خصوصياتها ؟ إنك بينما ترى اتباع الأديان الأخرى يتنازعون في أديانهم فيكفر بعضهم بأنبياء بعض ، ويهزأ الأولون بكتب الآخرين ، والآخرون بكتب الأولين ، تجمد المسلمين في مستقر من العدل ممكن ، يؤمنون بجميع رسل الله وكتبه لا يخسرون أمة حقا ، ولا يكرون لطائفة واجبا لم يؤمروا إلا بأمر واحد وهو أن يعملوا فيؤمنوا بجميع كتب الله ورسله ، فن لم يقبل ذلك من الناس كانوا من أهل الشقاق المؤثرين لتخصام على الوفاق ، وليس هذا من الإسلام في شيء .

فلا مشاحة بعد هذا البيان في أن الإسلام هو الدين العام ، المؤاخى بين جميع الأنام ، وكل ما حدث بعده بأكثر من ألف سنة من المذاهب التي تخرجها التوفيق بين الأديان تحت أسماء مختلفة فلن يبلغ مبلغه في هذا الباب .

ما في الكتب الموجودة من الحقائق المقررة في كتاب واحد ، وزاد عليها ما فتح الله به عليه ، ثم دعا إلى تداول كتابه المنقح ، وترك ما لديهم من الكتب الأولية المطبوعة بطوايع أزمانها المختلفة .

فهل كان يستطيع هذا العالم أن يقر كل طائفة على كتابها العلى على ما فيه مما يحافى روح العصر الحاضر ، وبما وضعه الوضاهون بين حقائقه من الأكاذيب والوساوس ؟

« أفنير دين الله ينفون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » . فأما طوعاً فباستخدام العقل وأعمال الفكر ، وإما كرهاً فتحت ضغط الحوادث والمثالات .

عباس ط  
انحامي

تركها وشأنها ، خروج أهلها عن حظيرة الأديان مجلة كافية ، ثم إن المذهب الإسلامي في هذا الشأن أرسخ قواعد ، وأشبه بسنة الوجود ، وأقوى على حملات الشبه والشكوك لأنه بعد أن قرر أن الأديان كلها وحى من الله وأن الذين أتوا بها كلهم رسل الله ، وأن كتبها كلام الله عاد فقرر أن طول الزمان أوجب أن يتساعوا فيها بالتحريف والتبديل ، والإسلام في هذه القضية موافق للنقد العلى كما رأيت ، بعد هذا أخذ الإسلام يدعو الناس إلى كتاب يجمع ما في تلك الكتب ويزيد عليها ما اقتضاه وما يقتضيه تطور الأمم ووعده بحفظه من التحريف والتبديل على مدى الأجيال .

كان شأن الإسلام في هذا كشأن عالم نبغ في أمة كانت من علومها على مذاهب شتى كل طائفة منها تنازع الأخرى باسم مذهبها العلى وعالمها الرسمي ، فجاء هذا العالم النابغ ، لجمع

## كرم العرب

قال مروة بن الورد :

بوجهي شحوب الحق والحق جاهد  
وأنت امرؤ طافى إناذك واحد  
وأحس قراح الماء والماء بارد

اتزأ مني أن سمعت وأن ترى  
فإني امرؤ طافى إنائي شركة  
أقسم جيسى في جسوم كثيرة

# مَائِقَاتُ الْإِسْلَامِ

## الإسلام بين أديان الأمم

للأستاذ عباس محمود العقاد

مرض تحليل لكتاب [ديانات الإنسان]  
ل مؤلفه الدكتور [هستون سميت]  
أستاذ الفلسفة بجامعة الأمريكية .

في تأليف كتابه هذا عن ديانات العالم الكبرى ،  
وهي البرهمية والبوذية ومنصب كنغشوس  
ومذهب الطاوية في الصين ، والإسلام واليهودية  
والمسيحية .

وقد حاول جهده في الحق أن ينظر  
إلى الإسلام ، وهو الذي يعنينا في هذا المقال ،  
نظرة كاتب لا ينحصر في عقيدته ولا يتمصب  
عليه لمخالفته إياه بضمكيره أو بإيمانه ، فسار  
على منح المؤلفين العلبين الذين يخطون أمام  
قرائهم من تشويه الحقائق وتبديل الوقائع  
بمجازاة لذوى الجهل في تمصهم الاعمي  
أو لذوى الطمع في سياستهم التي لا تسمى  
عن مصالحها ولكنها تفتح صيونها جميعاً  
لشيء واحد لا ترى سواء ، وهو اقتناص  
الفريسة واغتنام الأسلاب .

يقول مؤلف هذا الكتاب في مقدمته إنه  
يود لو استطاع الناس أحياناً أن ينظروا  
إلى جلائل الأمور ودقائقها بأعين غيرهم .  
فإنهم يصححون بذلك آراءهم وآراء غيرهم  
ويرون تلك الأمور من جوانبها المتعددة  
فلا يقفون منها عند جانب واحد .

ويقول في تلك المقدمة إن بعض القراء  
المحدثين قد تمردوا أن يصطنعوا قلة الاكتراث  
للديانة في أفكارهم وفي أعمال حياتهم ،  
فهؤلاء خلية من أن يعطوا الديانة حقها  
من الاكتراث إذا عرفوا مبلغها من الجدد  
ومبلغ العناية بها والغيرة عليها عند أصحاب  
الديانات الأخرى .

وعلى هذه الخطة التي تمناها لقراءته جرى

يغضب المسلمين إذا أريد به نسبة الدين إلى محمد عليه السلام . فإن تسمية « المسيحية » بهذا الاسم معقولة عند أتباعها الذين يدعون بإلهية المسيح وصدور العقائد من قبله ، ولكن « المحمدية » بمثل هذا المعنى اسم لا يقبله المسلم وهو يؤمن بأن « محمداً » بشر يوحى إليه ، وأنه لا يملك مع الله شيئاً في دينه ولا دنياه .

وليس فهم الإسلام بمعنى الاستسلام أو خضوع المقاتل لمن يتصر عليه صحيحاً في مدلوله ، وإنما أصل الكلمة من السلام والإناثة إليه ، ومدلول الإسلام على هذا هو « سلام الروح الشامل بتسليم حياة الإنسان جميعاً إلى الله » .

قال : إن محمداً قد ظهر في زمان تحسب فيه المعجزات بضاعة لازمة لا يعجز عنها أصحاب الولاية فضلاً عن أصحاب النبوة والرسالة . ولكنه أتى لدعوته أن يجعلها تنهارة بهذه البضاعة ، ونادى غير مرة أنه يبشر وينذر ولا يتوصل إلى الهداية بأية معجزة غير آيات الكتاب المبين : « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى ، إني قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون » .

قال : وإن أثر دعوته آية من آيات التاريخ

وهذا هو الكتاب الثالث من كتب المؤلفين التي تذكرها في هذا الباب على هذه الخطة من « الحيدة العلمية » في مسائل الأديان ، ويعنيها من هذه الخطة أنها تدل على استعداد في العقول بين قراء اللغات الغربية تحقيق بالثقات المسلمين إليه ، لأنهم - دون غيرهم - أقدر على البلاغ والإبلاغ في أمر الإسلام . وعندهم من الدعاية به وبمحاسنه ما ليس عند أحد من كتاب الغرب ، قصاراه أن يتجنب في شرحه وتبليغه أن يفتى عليهم التهم والعيوب .

• • •

اسم الكتاب باللغة الإنجليزية « ديانات الإنسان » The Religions of man ومؤلفه الدكتور هاستون سميث Huston Smith أستاذ للفلسفة بالجامعات الأمريكية وعمر لأبوابها في المجالات الأدبية ، ولد في الصين ومات في الشرق ، وعاش في بلاد الأمم التي درس أديانها وكتب عنها في هذا الكتاب .

• • •

بدأ كلامه عن الإسلام بتصحيح الآراء عن معنى اسمه كما يفهم المعنيون بالإسلاميات من المدارس وطائفة القراء ، فقال إن اسم « المحمدية » الذي يطلقه الغربيون على الإسلام



يدين له بالحب والطاعة .

يقول الدكتور سميت إن الخاصة المميزة للإسلام لا تقوم على الأمثلة العليا التي يرفعها أمام أتباعه بمقدار قيامها على الوسائل العملية التي يرشد بها المسلم إلى إدراك تلك الأمثلة العليا ، « ولو كان بنو الإنسان قد بلغوا في عهد المسيح درجة من الارتقاء تمكنهم من العطية لمزيد من التهذيب لجعل أفكاره كما قال ( أمير علي ) قائمة على نظم مفصلة ، ولكنه في الحالة التي وجد العالم عليها قد أتى ذلك - على قول ( أمير علي ) ليتولى تنظيم القوانين الأخلاقية » .

وقد أورد المؤلف هذه العبارات في أقوال الكاتب الهندي في سياق شرحه كأنه يصدر بها فكرة لا يعترض عليها ولا يناقشها ، ولكن يصبر عن رأيه حين يصف الوسائل العملية التي توسل بها الإسلام لإصلاح الأحوال الاجتماعية ورياضية الأمم على قوانين الأخلاق والمروءة ، وينوه المؤلف بالزكاة منها إلى مقدارها بالنسبة المتوية للثروة المملوكة ، فليس هذه النسبة عسوية بمقدار الربح والمورد المتجدد ، ولكنها في جهتها تصل إلى جزء من أربعين جزءا من الثروة المملوكة على اختلاف المنافع والمخاطم ، وهو مقدار كاف لسداد دخل المجتمع في هذا الباب ،

لا يعرف لها مثيل فيها وعاء من أطوار الأمم قبل الدعوات الدينية وبمدها ، إذ لم يسبق فيها حرف من هذه الأطوار أن دعوة قلقت الأمم من حال إلى حال كما نقل الإسلام قبائل الجزيرة العربية إلى تلك الحضارة التي ارتقى إليها أتباع الإسلام خلال سنوات معدودات . وقد حكم النبي قومه في جزيرتهم وقام بالأمر زمنًا في المدينة . « غير هذا ملك - لا على قلوب فئة من المحبين المخلصين وحسب ، بل على حياة مدنية بجمعة ، هو قاضيا وقائدها ، وهو كذلك مصلها وهاديا ، وإن أعداءه أنفسهم ليعترفون باضطراره بهذا العمل الجديد في براعة وكفاية ، وقد واجهه خطر، معتدة نادرة فإذا هو يواجهها بمقدرة نادرة على التدبير والإدارة . وقد أصبح قاضيا الأعلى ولكنه ما برح كما كان أيام خفاء أمره بنجوة من الزهو والبذخ ، وكان في وسعه أن يملك الثور والقصور ولكنه ارتضى له ولأهله بيتا من الطين يحلب فيه معزاته بيديه ويستقبل من شاء من ضفار أتباعه ليل نهار ، وكثيرا ما كان يرى وهو يصلح ثيابه . . .

وقد حفظت عنه ماثورات أخباره أنه كل في حكم يجمع بين العدل والرحمة ، يعاقب من جنى ويفتر لمن أساء إليه . . ويرى فيه أهل المدينة ولما لا يملك من يتولاه إلا أن

غيرها من البلاد الشرقية والغربية ، وكل ما يدعون أنه هذا الدين قد أباح تعدد الزوجات وأمر بالحجر على النساء ، وأن شرائع العهد الحديث عندهم تحرم هذا وذاك ، فمن شاء أن يسيء النية ذكر الأحكام ولم يكلف نفسه أن يقابل بينها ما كان من قبل وما يكون الآن حيث لا نرى تلك الأحكام ، وهذا هو الصمت الذي يشبه الاختلاف الصريح مع النية السيئة ، وإن لم تظهر فيه دلائل الاختلاف المقصود .

لقد كان الدكتور سميت فضله في اختيار موقف غير هذا الموقف المريب أو الموقف الصامت من قضية المرأة في الإسلام . فإنه بدأ بتقرير الواقع عن زواج الجاهلية فقال : إن المسألة هنا لا تدور على الكثرة والقلّة في عدد الزوجات ، لأن الزواج لم تكن له قداسة ولم يكن في الحقيقة زواجا مرجى الحق ، بل كان ملكا كذلك الرقيق وكان الرجل بعد الزوجة الأولى والثانية أن يتصل بمن شاء من النساء ، وإنما تدور المسألة هنا على مكان المرأة في الاعتبار والكرامة وحقوقها في بيتها وبين أهلها وقومها ، وهذه هي المسألة التي يظهر فيها فضل للإسلام لا يستهان به ولا يقبل الإنكار .

قال الدكتور سميت : إن الإسلام - لمجرد كونه أباح تعدد الزوجات - قد انهم بتحقيق

ولا يقل عن الزكاة شأنها سياسة المجتمع ورياضته على الأخلاق الصالحة إن الإسلام يقرن الملكية بالعمل ويحرم الربا الذي كان يؤخذ أيام الجاهلية أضغافا مضاعفة بغير عمل يعمله صاحب الدين ، وشيئ بهذا الحكم في سياسة المجتمع توصية الإسلام بتداول الثروة وكرامته لحصرها واحتكارها وإيجابه على المسلم أن يعمل للأمة عملا يستحق به لقمة من الطعام ، فلا يمز عليه أن يجيب إذا سئل وهو يتناول غذاءه : هل صنع الناس شيئا يستحق عليه أن يأكل ما بين يديه ؟ .

وبعض المؤلف على أسلوب كهذا الأسلوب في شرح معلوماته عن الديانة الإسلامية ، ولكن يكاد يقتل من الشرح - على مثل هذه الحيلة - إلى الدفاع الحسن عن قضية المرأة في الإسلام ، فإن في هذه القضية امتحانا صعبا لإنصاف الكتاب من الغربيين كلما عرضوا للشبهات الشائعة عن الآداب الإسلامية فمن كان منهم سوء النية لم يصبر عليه أن يجاري نية السيئة في كلامه عن هذه القضية دون أن يتورط في الادعاء المختلق والافتراء المكشوف وقد يصطنع الإنصاف الطاهر إذا اكتفى بسرد الأحكام ولم يجاوز سردها إلى بيان أسبابها ومسوغاتها ، إذ كانت هذه المسوغات تخفى على كثير من قراء الغرب الذين يجهلون حالة العالم قبل الإسلام في بلاد العرب وفي

لا من الدين . غم يحز - كما يقول المسلم - أن يكون الإسلام مشحولا من هذه الحال .

« ويأتى الإسلام في نظام الزواج بأكبر مساهمة له في قضية المرأة . فإنه أساط عقد الزواج بقداسته إذ جعله دون غيره وباطلا للعلاقة المشروعة بين الجنسين في ديانة تعاقب الزانى بالرجم ، ولا يزال القى حتى اليوم يراقص فتاته مواجهة ولا يمس جسدها لأنه ممنوع بغير زواج ، وليس لاتهم الإسلام بين بعض القرابين بأنه دين سهولة في علاقات الجنس موقع صواب في السمع ولا مراة . والمساهمة الأخرى في الإسلام في قضية المرأة أنه يعطيها حق الموافقة على زواجها ، فلا يستطيع حتى السلطان ، أن يبنى بها كرها على غير قبول منها . ثم يأتى الإسلام بميثاق مكن للرابطة الزوجية وإن لم يمنع الطلاق منها باتا إذ هو حلال بغض في أدب النبي صلوات الله عليه وإنما يلجأ إليه كما يلجأ إلى آخر الحلول فما من شيء يغضه الله كما يغض الذرة بين الزوجين . وقد أوجب من التدبير الشرعى ما يصون عقد الزوجية . إذ أوجب على الأرواح قبل الزواج أن يذبحوا حصاة كافية باسم المرأة تقول إنها عند الطلاق ، ويحصل الطلاق بعد الاحتكام إلى الأهل والمصلحة على الوفاق وفترات من المهلة والإنظار ، مما يراد به الإقلال من دواعى الفصل بين

المرأة فإذا نحن نظرنا إلى المسألة بحكمة الزمن الواجبة مقابلين بين منزلة المرأة قبل النبي وبعدة فالتهمة باطلة . إذ كان عقد الزواج أيام الجاهلية من الوهم والوهن بحيث يكاد لا يعترف به ، وكانت الانفصالات الموثوقة تهرم وتنقض كل يوم ، والنساء محسوبات في حكم الناشئة التي يجوز للآباء والأزواج أن يتصرفوا بأموالهم كما يحبون ، ولم يكن للبنات وراثة ولا حق من الحقوق ، وكثيرا ما كانت البنت الوليدة تدفن في طفولتها ، وعلى هذه الحالة التي كانت ولادة الأثني فيها نكبة من النكبات البغيضة جاء الإصلاح الاجتماعى على يد محمد ، صلوات الله عليه ، فرفع من شأن المرأة كثيرا وامتنع وأد البنات وأعطين حقا من الميراث لا يساوى حق الأبناء - نعم - ولكنهن لئذا ذلك معفيات من تكاليف البيت ، وذلك من قضاء العدل عنده ( عليه السلام ) .

« أما حقوق المرأة المدنية في التعليم والانتخاب والعمل فالقرآن يفتح لها أبواب المساواة التي تنالها كلها تقدمت الأمم الإسلامية في عاداتها ومعاملاتها . فإن كانت المرأة المسلمة لم تنل تلك الحقوق بعد قرن أو بضعة قرون كما نالت المرأة الأوروبية فهذه أيضا لم تنل حقا منها قبل عصر الصناعة الحديثة ، وإنما نالت هذه الحقوق من الديمقراطية

وقد يحدث أن تصاب الزوجة بمرض يقطعها ويمنعها عن واجباتها البيتية ، كما يحدث في أعقاب الحروب أن يرقى عدد الإناث على عدد الذكور ، وربما أشار المثاليون في أمثال هذه الظروف بحل من حلول البطولة العالية يستقيم بها الرجال . إلا أن البطولة العالية ليست من الشرائع التي تعم بين الألوف من العامة والخاصة ، وإنما الخيارات في المسألة بين زواج متعدد ينهض بقبعاته ويصون حياته وبين تعدد في العلاقات على غير شرع وبغير نية . . . . .

• • •

وأهم من شبهات الغربيين على قضية المرأة في الإسلام شبهاتهم على القدسية أو الاستسلام للقسمة هو المكتوب ، و « المقدر » الذي يجعل المسلم في رأيهم كالخمر الملقى أو الآلة المسخرة لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا يختار لها مصيرا إلى الإصلاح أو الفساد . وقد راقى بعض المتعصبين منهم أن يتهموا الإسلام بهذه الآلية ، العقيمة وأن يعيبروا عليه مع ذلك أنه الدين الذي يدعو أتباعه إلى حل السيف وبذل الحياة وهما غاية ما يقدم عليه الإنسان في حياته من سعى وهمة ، وطالب لم أن يجعلوا الإسلام مشغولا عن هذين التقيضين لأنهم يريدونه مشغولا عنهما على أية حال .

المرأة وزوجها جهد المستطاع . ويحق للمرأة كما يحق للرجل أن تعتمد إلى هذه الوسائل للتوفيق .

« وتبقى بعد ذلك مسألة التعدد ، فيصبح المسلم بعدد من الزوجات تحتلف الأحوال في حالات جوازها ، وإن تكن لاختلاف على الحالة العائلية وعلى الاكتفاء بالزوجة الواحدة استناداً إلى نص القرآن على وجوب العدل بين الزوجات وسعه به مع الحرص عليه . ولما كان العدل في القرآن لا يقتصر المساواة على الأمور المادية بل يشمل المودة والعطف والرعاية فمن الواضح أن القرآن يفضل الاكتفاء بالزوجة الواحدة في عموم الأحوال كما كان معهوداً منذ القرن الثالث للهجرة ويزداد الأخذ به مع الزمن . وقد ينص على ذلك في العقد اجتناباً للاختلاف وتعهداً من الزوج ببقائه على شرطه . أما الآيات الأخرى التي تميز المسلم أن يجمع بين اثنين إلى أربع ولا يريد . والنسب قد عدد زواجه . فإنها إذا أباح بها بعضهم أن يجمع بين عدد من الزوجات في جميع الأحوال أفير ضروره فانهرة المتزايدة من المسلمين ترى فيها مثالا لمرونة الإسلام واحتياطه لاختلاف العواض والضرورات . إذ لا تخلو هذه الدنيا على ما هو عليه من نقص وخلل من سالات ، حتى يسكن فيها تعدد الزوجات ، خيراً وأسلم من الحالات الأخرى .

أن ينفذوا إلى أسرار الإعجاز القرآني كما يحسها المسلمون من انطباعهم على روائع البلاغة هند الفريين . ونحن نعتقد أن القوم معذورون في حيرتهم لمبب غير سبب المخالفة في الدين أو المخالفة في النظر إلى مصادر الكتاب الكريم . فإن القوم - فيما نرى - أشبه بمن يقرأ السكتة بالصور ولا يخلص منها إلى مدلول تلك الصور من الحروف الأبجدية ، وكأنهم لا يزالون في عصر الصور . الحير وتلقية ، بعد أن أصبحت هذه الصور حروفاً تألف منها المعاني والكلمات ولا تقتنى العين إلى أشكالها وأشياءها إلا وهي عبارة مسرعة إلى الكلمة المركبة من رسوم تلك الأشكال والأشياء .

إن الجيم - مثلاً - لا تزال سافطة لشكل الرقبة التي تدل على الجمل ، ولكن القارئ العربي لا يمسك في الجمل وهو يقرأ الجيم ويعلم اليها الميم واللام . وكذلك تفعل نحن قراء العربية حين نقرأ القشيبات بالشموس والأقمار والبحار والأغصان وسائر المجازات التي تحكى لنا معانيها بالإيماء والإيماء . فندرك فهمها بمدلولاتها - مباشرة - ولا نتوقف عند أشكالها - ومنها المحسوسة للعيون والأسماع . أو نحن كما تقدم مبرور الصور المبررة عينية إلى دور الحروف والمقاطع والكلمات ، ولا نشعر من أجل هذا

هذه الشبهة على القصدية الإسلامية بما عرض له صاحب هذا الكتاب وجوز فيه حد . الصمت ، والحيدة المربية ، فقال إن المسلم يؤمن أشد الإيمان بعظمة الله وقدرته وسلطانه في خلقته ، ولكنه يحمل تبعته ويحاسب نفسه على هدايته ومناله ويعلم من آيات كتابه الكثيرة أنه صاحب إرادة يتعمد إليها . انقلب من الله ، فن انتهى فإنيما ينتهي لنفسه ومن مثل فإنيما يضل حليها .

• • •

إلا أن العثرة الكبرى أمام هذا المؤلف وأمام غيره من كتاب الغرب ، من يعرف منهم العربية بعض المعرفة ومن يجهلها كل الجمل ، إنما هي عثرة الحكم على بلاغة القرآن وبلاغة العربية على عزها في شعرها وثورها وفي كلامها المطول وكلها الوجيز ، ومنه ما يرتفع في البلاغة إلى الندوة التي لا يصلح عليها في كلام معروف بين أبناء الحضارة .

وقد أشرنا إلى هذه العثرة الكبرى عند تلخيصنا لكتاب الأندلس الإسلامية ، ونعود إلى الإشارة إليها بعد التعليق الصريح الذي أورده مؤلف هذا الكتاب بعد رواية بعض الآراء الغربية المتواترة في هذا الموضوع ، ومنها آراء أناس يحسنون القول في رسالة النبي عليه السلام ويوردون لو استطاعوا

ويهمنا من تقدير المؤلف لانتشار الإسلام في الصين أنه ولد هناك واشتغل بشؤون العقائد على أوسع نطاق. فهو أحرى أن نستمع إليه وأن نقبل من تقديره أن مصادر الإحصاء الرسمية تعتمد المبالغة في الإقلال من عدد المسلمين من أهل الصين، وقد وضع ذلك كل الوضع من تقديرهم كلهم بنحو عشرة ملايين وم كما جاء في بعض الإحصاءات المرتجلة يقاربون مائة مليون أو يزيدون، فإن حسبنا للبالغة حسابها في الإحصاء فالتوسط بينهما أقرب إلى التقدير الصحيح وأولى أن ترجحه هذه الملاحظة - ملاحظة الزيادة المطردة في عدد المسلمين - يديها خير مختص بالامر شديد العناية بأحوال الديانات والمثدين .

إن المسئولين عن مستقبل الإسلام في عصرنا هذا عملاً يلحق في جلالته وعظمه بعمل أمثالهم في عصر الدعوة الأولى ، ونحسب أننا نزيد من أقوال شراحه لأهم الغرب فائدة تساوى عناء الاطلاع على تلك الأقوال إذا نيقظنا في أوان اليقظة لتلبية الدعوة المقبلة :

إن الأسماح مفتحة من حولنا ، والسامعون يقبلون علينا . فهل من مسمعين ؟

عباس محمود العقاد

بالخبرة أو الزبكا العنلية والحسية كلما عرضنا تلك التشبهات المجازية وهي تتابع أماننا واحدة تلو الأخرى بصورها الذهنية مجردة من صورها المحسوسة للأبصار والآذان . وعلى هذا النحو يسمع الموظف الذي يتلقى الإشارات البرقية شروطاً وتقاطعاً يتبع بعضها بعضاً على عجل وهو يكتب على الورق حروفاً وكلات يفهمها على الأثر كأنه يستمع إلى متكلم في المذياع ، ولعل المرأة صاعدة في تبليغ ، البلاغة العربية إلى أذهان التفريرين ما يعينهم على تقدير الآيات المعجزة التي يحارون في تعليل إعجابنا بها واستيلاتها على شعورنا ، وإن كانت المرأة وحدها لا تفنى غناء السليقة المطبوعة والنشأة الطويلة والتلقين المسموع والموروث .

• • •

ويحتم المؤلف كتابه بنظرة شاملة إلى مستقبل الإسلام بين الأديان ، فيقول : إنه في هذا العصر - كما كان في العصور الغابرة - أسرح الأديان إلى كسب الأنباع المصدقين ، وأنه على الرغم من قلة دعائه وكثرة الدعاة إلى المذاهب المسيحية تكاد نسبة الداخلين فيه بين الإبريتيين تساوى نسبة عشرة إلى واحد ممن يتحولون من عقائدهم البدائية إلى الأديان الأخرى .

# آراء وأحاديث

للأستاذ الأكبر

## حديثه إلى الأهرام

قال فضيلة الأستاذ الأكبر، الشيخ محمد شلتوت شيخ الجامع الأزهر «للأهرام، مستخرج الشيوعية حتماً من العراق، وسيقتضى على الصهيونية في إسرائيل يأذن الله، وسترتفع راية القومية العربية فوق بغداد، وفوق أرض الميعاد، وسيصدق الله وعده، وينصر أمانى عبده جمال عبد الناصر، لأن تربة الشرق العربي غسلتها الأديان بماء الخلق والإيمان، ولن تنمو فيها أية بذرة فاسدة.

ثم قال الأستاذ الأكبر: إن لعب الشيوعية في العراق من أساليب الجهر بالسوء، ولن يلبث أن ينطفئ لأن نور الله أقوى منه.

وهناك شيان متلازمان متعاونان لافضاء على البشرية والأديان والمثل الإنسانية وهما الصهيونية والشيوعية.. والصهيونية معول يهزم الصلة بين أبناء البشرية ويمكن للطغيان والعدوان، والشيوعية أشد المعاول هدماً للصلة بين الناس وبين الله.

وهذان الخطران لا يحلان بأرض إلا ضاح فيها الأمن وذهبت الطمأنينة والاستقرار. ومن هنا وجب على كل عربي مسلم في كل

قطر، وكل بيت، وكل شارع، أن يحارب هذا الخطر بكل ما أوتي من قوة، وأن يبذل كل ما يستطيع من جهد ومال ونفس، لتطوير الأرض الطيبة، أرض النبوات ومهبط الرسالات، من هذا الدنس الشيوعي والصهيوني على السواء، وقد أذن الله في رد هذا العدوان بما يدفع العدوان.

واستطرد فضيلة الشيخ يقول: إن التناقض بين مبادئ الإسلام، والشيوعية واضح كل الوضوح، فأول ركن من أركان الإسلام الاعتراف بوحداية الله، والشيوعية تهدم هذا الاعتراف من أساسه، والذي لا يؤمن بالله يستحيل انتهاك الأعراض وقتل النفس وأكل أموال الناس بالباطل إذ لا وازع له من دين أو ضمير.

وقد حرصت الأديان كلها على احترام الحرمات الخمس لكل فرد، وهي الدين، والعقل، والعرض، والمال، والنفس، واعتبرت الاعتداء على أية واحدة منها في الفرد الواحد اعتداء على الإنسانية كلها.

قال الله تعالى: «من أجل ذلك كتبنا على

وقد ظلت للسفير الكندي ، حين سألني عن مدى انتشار الشيوعية في البلاد العربية والإسلامية ، إن أرضنا هي مهبط الأديان ومستقر الوحي والرسالات ، وقد غسقت الأديان تربتها بماء الطهر والخلق والإيمان . . . وهي أرض « مالحمة » تقتل كل بذرة فاسدة ولا تقبل بذرة الشيوعية . . . ولن تنمو فيها ، فكل بلد دخله الإسلام لن تقيم فيه الشيوعية ولن تعمر طويلا ، ولن تستمر الشيوعية في العراق ، وسينم إجلالها والقضاء عليها حتما .

واستطرد شيخ الأزهر يقول : إن عهد المسلمين ببغداد منذ زمن بعيد أنها أرض الإسلام ومدينة الأخلاق ، وعرف العراقيون منذ دخل الإسلام بلادهم أنهم أشد تمسكا بدينهم ومحافظة عليه ، وأشد الناس تعصبا لعروبهم وإيمانها بها ، وإن على يقين من أنهم سيقذفون بالشيوعية خارج ديارهم ، وسيجحدون من عروبهم وإسلامهم قوة ومنعة وأمانا وسلاما ،

وانجبه فضيلة الأستاذ الأكبر في ختام حديثه إلى قاصم العراق ، فقال : « إنني أريد أن أوجه كلمة خاصة لأخاطب فيها إسلام قاسم وعروبة قاسم ، وأدعوه إلى أن يعود إلى الله ويسترد عروبته التي سابها الشيوعية ، ويسؤمن إيمانا راسخا بأن يد العروبة اليبغضاء أظهر من أي يد استعمارية عمراء ، وأن شعب العراق

بنو إسرائيل . أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » ، فالمسؤولية جماعية ، وكل فرد منا مسئول عن أي حدوان يقع على قفس أخيه أو عرضه ، في أي مكان من الوطن الأكبر . . فإن وطن العروبة لا يتجزأ ، والإسلام لا يعرف حدودا من أجزاء الوطن العربي ، والقومية العربية .

ومضى شيخ الأزهر يقول : إذ أحداث العراق الأخيرة تهز كل مسلم في الوطن الإسلامي الكبير ، وإن حوادث الإرهاب التي يرتكبها بعض معتنقي الشيوعية في العراق لا يرضى عنها الله ، ولا يرضى عنها رسوله ولا المؤمنون ، فإن استباحة المسلم قتل أخيه المسلم أو تعذيبه بغير حق ولجورد أنه يقول ( ربنا الله والعروبة وطني ) إجماع لا يرفكه الشيوعيون أنفسهم في بلادهم على هذه الصورة المثيرة

قال تعالى :

( ومن ينتل مؤمنا متعمدا لجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما . وما هي إلا سخابة حمراء مظلمة في سماء العراق العربي الحبيب لانبث أن تنقشع وتصفو السماء ، وتشرق أرض العراق بنور ربها وتفسل كل ما علق بها من أدران .



وأن يقدر ما أدى زعماء العراق الأحرار من تضحيات للإسلام وللوطن العربي والعراق الحبيب وأن يؤمن أن علماء العراق أشد علماء المسلمين حرصاً على دينهم ، وأنهم أولى الناس بالاتباع ، وأحقهم بالاستماع والانصياع .  
وأما الزيد ، فيدعج جفاء ، وأما ما يذم الناس فيك في الأرض ، هداى الله وإياه ونهى العراق العربي من عنته ، وطهر أرضه من هذه الفتنه الموحشة .

المسلم يرفض هذه التفوضى ، ويمقت العدوان وروح البغضاء ، وأن الإسلام عصمة من الخطأ والزلل .

وأن يحذر كل الحذر قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ( ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ) وأن يضع نصبه موضع من يصدر الأحكام عليهم ، وأن يدرس الأمور دراسة موضوعية من الوجهة الواقعية والوجهة التشريعية الإسلامية وأن يعتمد على الهوى

## نداءه الى العالم الاسلامى في يوم فلسطين

إخوانى وأبنائى :

يجمعا شيئا فارتد بصره غاسقا وهو حدير .  
إخوانى وأبنائى :

لقد استقبلنا هذا اليوم منذ أحد عشر عاما بآراء شديدة متفقة ، وقلوب عذبة ، ونخطط مبعثرة ذات البين وذات الشبال . لا يحدوها إلا صالح الفرد لا صالح المجموع ، بما أدى بنا إلى نتيجة هذا شأنها وتلك حالها من قيام دولة اليهود في أرض العرب تنفث سموم الصهيونية التي تؤمن الصلات بين الأفراد . وتنتشر الفساد والخراب في البلاد . وهام أولاء الذين تحملوا فداحة العبء ، وضائق عليهم الأرض بما رحبت ، فخرجوا عن أوطانهم وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا هذا وطننا الذي نشأنا فيه وتلك ديارنا التي أقمنا بها .

إننا نستقبل هذا اليوم ( الخامس عشر من مايو ) بقلوب قوية ونفوس مطمئنة . فقد كان درسنا لا ينسى . كان درسنا كشفنا به نيات أولئك الذين ذكروا . مصالحهم ونسوا مصالح أوطانهم . أجل لقد كشفنا به عن نيات كل حجابها كشيما وضغطوها معينا مظلما . دميت منه نفوس ونفوس حزنا على ما رأيت وألما على ما أحاط بها ، ومع ذلك لم يخرجوا من الميدان الذي دخلوه إلا رجالا يخطون بأيديهم للتاريخ ويرسمون لأمتهم أهدافها وغايتها ، وتامت أشباح في غضم من الأصايل والباطيل والوعود الخادعة التي جبروا وراءها حتى إذا جاءها كل واحد منهم لم

ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ،  
ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى  
عزيز ، ، وتعاونوا على البر والتقوى  
ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، .

إن هؤلاء اللاجئين المشردين الذين أهزم  
العائل والنصير ، ومل أطفالم العرى والمجوع ،  
يطلبون منا أن نكون حلولنا لقضية الإنسانية  
حلولاً عاجلة وناجزة ؛ فإن فلسطين التي ضاعت  
أمام الفرقة وجب أن تعود لأصحابها بيد الجماعة .  
لقد أخرجوا من أرضهم بغيا وعدوانا بغير  
حق بمسائل الاستعمار التي لو ترك العرب  
واليهود من غير إثارة ولا تفريق لماشوا  
جميعا في نأف وتعاون أخوة متحابين ، كما  
كانوا يعيشون قبلا ، وكما يعيشون في كل بلد  
من البلاد العربية .

إن واجب رجال الاستعمار - إن كانوا  
يؤمنون بمعنى الإنسانية الفاضلة التي طالما  
زعموا أنهم وضعوا حقوقها وأقاموا من  
أنفسهم حراسا عليها - إن واجبه يقضي  
عليهم بالتخلي عن هذه المواقف التي تولد نار  
العداوة والبغضاء بين العرب وغيرهم ، وأن  
يتركوا للعرب أرضهم التي جعل الله لهم فيها  
معايش وطلب منهم أن يعمروها ؛ فيعود  
السلام والوثم إلى هذا الجزء من العالم بل  
يمود إلى الإنسانية كلها .

ولا غرض لنا من هذا إلا أن نعرف  
موطن الداء ، ونجشته من جذوره بأن نعود  
نحن العرب - أجمعين إلى وحدتنا التي تشد  
أزربنا وتدفع بها أعداءنا - أعداء القومية  
العربية ، ولا مناص لنا من هذه الوحدة ؛  
فإننا أمة تجمعنا والحدقة جمعة من تفاعل  
الأحداث واتحاد اللغة ووحدة القبلية  
ووحدة المشاعر . لا بل نحن أمة متكاملة  
متجانسة متجاوبة اختصنا الله بهداية الناس  
بأن جعل أرضنا مهبطا للرسالات التي تحمل  
وحي الله فيأخذ بأيدينا يوم أن يحقق لها  
الوحدة الشاملة لتقوى بها ونقضي بهذا  
التنازع على أحلاف الشر وأبناء الشيطان  
وأنصاره . ولكن الأمم الاستعمارية التي  
طالما فادت بأبها ترعى الإنسانية وتحافظ  
على حقوق الإنسان - هذه الأمم لا تريدنا  
إلا متفرقين ؛ فهم يحرصون دائما على غرس  
أسباب الفتنة والفرقة بيننا ، وبك أسباب  
الخلاف بين صفوفنا . ونحن نقول لم إتسا  
صف واحد وأمة واحدة ذات اتجاه واحد  
وهدف واحد ، لم يعد للاستعمار مكان  
بيننا ولا للفرقة ثغرة في صفوفنا .

ومن ثم فإننا نحس جميعا أن الوحدة  
أصبحت من لوازم الحياة عندنا في هذه  
الحقبة من الزمن ، ولولا دفع الله الناس  
بعضهم ببعض لمضت صوامع وبيع وصلوات

## حديثه إلى مجلة « تايم » الأمريكية

ولما سأل فضيلته عن دور الأزهر قال :  
إن للأزهر جانبين : جانباً يختم اللغة العربية  
لنهم القرآن ونذكر ما فيه من أسرار ،  
والجانب الآخر فهم المبادئ التي اشتمل  
عليها القرآن والعمل على نشرها ، إذ نحن  
مكلفون بإبلاغها إلى الناس كافة حرصاً على  
الإنسانية ورخائها ودعماً لكيانها ، فقد حمل  
الإسلام ما تسعد به الإنسانية من آداب  
وسياسة واقتصاد واجتماع وعلم ودين ،  
وللأزهر مركزان ثقافيان في واشنطن ولندن ،  
غير ما هنالك من بعثات أخرى .

وتحدث فضيلته عن مدى تعاون الإسلام  
مع الأديان الأخرى فقال : إن الإسلام يحترم  
كل رسالة منزلة من السماء ، ويوثق الصلات  
بين المسلمين وغير المسلمين ، وقد أباح  
للمسلمين الزواج بالكنائيات وأباح طعام  
أهل الكتاب وأحل ذبائحهم وزيارتهم  
والتعاون معهم للتخير العام . قال تعالى :  
( ولتجدن أقرهم مودة للذين آمنوا الذين  
قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين  
ورهباناً ) وقال : وطعام الذين أوتوا الكتاب  
حل لكم وطعامكم حل لهم ) .

ثم قال فضيلته : إن مناهجى في الأزهر .  
هو إعداد الأزهرى إعداداً يمكنه من التفاهم

سأله مستر وليام ماكيل عن رسالة الصحافة  
فقال فضيلته : أنا أعتقد أن الصحافة لسان  
من ألسنة الدعوة الحقة للترابط الإنساني  
وتوثيق صرى المحبة بين الناس أجمعين ، وتنقية  
العلاقات الإنسانية وتصفيتها وتوجيهها لثباتها  
العليا وقيمها النافذة وأدعو الصحافة في كل  
مكان إلى أن توجه العالم إلى الخير وأن يكون  
دستورها قوله تعالى : ( يا أيها الناس إنا خلقناكم  
من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل  
لتعارفوا ) .

وسأل فضيلته عن رأيه في الموقف الدولي  
فقال : إن من خير المبادئ التي أخرجت  
للناس مبدأ الحياد الإيجابي بين جميع  
المسكرات وهو المبدأ الذي دعا إليه الرئيس  
جمال عبد الناصر ليصون منطقة الرسالات  
السموية ومهبط النبوات من التيارات  
الدولية المتباينة . أما هذه المؤتمرات الدولية  
التي تعقد لحل المشكلات بين المسكرين فالخير  
يرجى منها إذا كانت لخير البشرية ولم تكن  
لتقسيم العالم إلى مناطق نصود والله سبحانه  
وتعالى يقول : ( لا خير في كثير من نجواهم  
إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح  
بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة  
الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ) .

وقال : إنني أدعو إلى التعاون العلمى العام بين جميع الدول والجامعات ، وأنا شخصيا بينى وبين جامعات أمريكا صلات علمية وثيقة فمثلا فى جامعة كولجان فى نيويورك كان الدكتور كينيت مورجان قابلى فى القاهرة وطلب إلى أن أكتب عن الإسلام ( الصراط المستقيم ) الذى قام بدوره بنشره ، وهكذا ترانى قد تعاونت معه حين طلب منى ذلك وكذلك مبدؤنا تعاون وتجاوب ما دام فى طريق الخير .

ورأيتي أحمل على وضع تفسير سهل ميسور لمعانى القرآن الكريم وترجمته إلى اللغات الأجنبية وأتمنى فى تحقيق ذلك بعد توفيق الله على معونة رجال حكومة الجمهورية العربية المتحدة وعلى رأسهم السيد الرئيس جمال عبد الناصر .

وسئل فضيلته متى يفتح الأزهر أبوابه للمرأة تعلم فيه وتهل من دراساته الدينية ؟ فأجاب فضيلته :

إن هذا واجب دينى ، فعلينا أن نعلم المرأة تعليما دينيا واجتماعيا لتقود الأسرة وتوجهها التوجيه السليم وتجنب المزالق والأزلال وحتى تسهم فى بناء مجتمع سليم صحيح أساسه الفضيلة والخلق القوي والدين الصحيح والعقيدة السليمة فبشئ لنا جيل صالح يرعى حقوقه ويحافظ فيؤدى حقوق الوطن عليه أداء صحيحا .

مع الناس جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها بلغاتهم ، ولأنك جعلت اللغات الأجنبية إجبارية فى الأزهر وسأعمل على تشوية العلاقات مع المسلمين الذين لا يتكلمون العربية . وأحب أن أقرر هنا أن الإسلام لا يعرف إكراه الناس على اعتناقه ، بل ينفر من ذلك ويرفض إرغام أحد على التخلي عن دينه ، والإسلام يحترم التعصب ويعتق فلا تعصب اللون ولا الجنس ولا لغير ذلك ( إن أكرمكم عند الله أتقاكم ) والشرعة الإسلامية نفسها تشكر التعصب . وفى الإسلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول : ( ليس منا من دعا إلى عصبية ، ولا عصبية فى الإسلام ) وما روى أن الرسول بلغه أن أبا ذر الغفارى عير خاتما له بسواد أمه فنضب عليه السلام لثناك وقال لآبى ذر : ( إنك امرؤ فيك جاهلية . ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح ) .

ومضى فضيلته يقول : لذلك أتوجه إلى أمريكا وشعبها مطالبا بمسح عار التفرقة المنصرية ، ويعرف الشعب الأمريكى والشعوب كلها أنه لا عبوة بسواد أو بياض ، وأن الناس عند الله كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أحمري ولا لأحمر على أبيض إلا بالتقوى ، ألا إن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته والناس شريفهم ووضيعهم أمام الله سواء .

القول إلى سائر الدول القوية أن تعمل على نشر السلام وتوجيه قواها للتمهيد لا للتدمير . وأنا مسرور بهذه الزيادة وأرجو أن تكون حمزة وصل صالحة لتوصل ما قصده إلى إخواننا في البشرية وإخواننا في الإنسانية .

### حديثه إلى الندوة . . .

قال مندوب الندوة بالقاهرة : ذهبت إلى الرجل الورع صاحب الصوت القوي، والرأي السديد ، والذي كان لتعيينه شيخاً للجامع الأزهر صدى طيب في العالم الإسلامي .

لم أستطع أن أقاله في مكتبه بإدارة الأزهر، فذهبت إلى منزله في مصر الجديدة، فيلا صغيرة متواضعة ليس عليها حراس على الرغم من منصبه الخطير، الهدوء يسود المكان، ويضئ عليه جلالا، وعندما دخلت عليه في غرفة الاستقبال أحس أني في حضرة عالم زاهد فعلا . فالقرفة أثاثها قليل، وقد جلس الشيخ على إحدى الكنبات متدبرا بشال كشميري وبالرغم من مرضه فإن عينيه لم تفقد قوتها ولا لمعانها ولا إشعاعها .

وبعد التحيات والتعارف، توجهت إليه بأسئتي . . .

س : بدأ الأزهر الشريف في عهد الجديد يرسل مبعوثين دينيين في السفارات ، فهل يمكن اعتبار هذه الخطوة بداية بعوث تبشيرية مستقلة ؟

ولكم عن الإسلام بالمرأة فأنشأ لها حقوقا لم تكن لها . فورها، وكانت لا تترك الرجل نصيب مما ترك الوالدان والأقربون والنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو أكثر نسيا مفروضا ) .

وعلى وجه الإجمال أعطاهما كل حقوقها في حدود العلم والشرف والفضيلة .

وسئل فضيلته في ختام حديثه عن رأيه في الصراع القائم بين الشيوعية والقومية العربية فقال : إني مؤمن بأن الإسلام والقومية العربية قد حكما على الشيوعية بالإعدام في أرض العرب . وأن أساس الإسلام الإيمان بالله وبالشرائع السماوية فكل من ذهب ينافي ذلك فالإسلام يرفضه ، والمسلم حريص على دينه وعلى عقيدته فمن مطلحنون إلى أن الشيوعية أو غيرها لا يمكن لها أن تعيش بيننا ولا أن تحيا في أراضينا ، وأنا أتوجه إلى أقطاب العالم جميعا من سياسيين ودينيين بأن يتحدوا ويتجردوا من المسائل الفردية والأعمال الشخصية إنقاذاً للبشرية ونهوضاً بها . وعلى أمريكا القسط الأعظم من هذا، بما لها من إمكانيات ، لقد عرفنا أمريكا بمبادئ ولسون وعرفناها داعية إلى الحريات حامية لها ، فأين هي والعالم يضطرم ويغل كالرجل ؟ لا .. ولا أقول أمريكا وحدها، وإنما أوجه

وأحب أن يعنى المسئولون وأولو الأمر بدفع الأمة إلى دينها الصحيح ، وأن ينشأ الناشئة على التربة الدينية السليمة ، وأن ينهوا إلى ما فيها من معان سامية ومثل عليا يسرون عليها في حياتهم وأن الله يزرع بالسلطان أكثر مما يزرع بالقرآن .

س : نشبت مذاهب الأمة الإسلامية فهل يمكن توحيد هذه المذاهب ؟

ج : هذه دعوة سبق أن دعوت إليها كثيرا لأنى أؤمن أن الخلاف بين المسلمين ، وتفرق مذاهبهم ، وهذه العصية الجاهلية التى تبدوا فى بعض الأحيان - مفرقة للشمل ، مبدعة للقوى ، وقد استغلها المستعمرون وأذكروا نارها ليفرقوا كلة الأمة الإسلامية ويبدحوا شملها ولكن عقلاء المسلمين وكبار العلماء ، وقفوا بالمرصاد لهذه النطاة الخبيثة ، فكونت جماعة التقريب بالقاهرة ولقد عملت فيها جهادا من يوم أن أنشئت إلى يومنا هذا وللبستقبل إن شاء الله راجين تحقيق أهدافها فى التقريب بين وجهات نظر المسلمين ، وجمع آرائهم رأب الصدع بينهم ؛ حتى تعود إليهم كلمتهم الموحدة ، وجمعهم القوى . وما نحن أولاء قد خطونا خطوات مباركة فى هذا السبيل مؤمنين أن المصادر الأولى للدين الإسلامى إنما هى كتاب الله وسنة رسوله . والأزهر يرى من جانبه أن من واجبه

ج : إن مهمة الأزهر إنما هى الدعوة إلى الله فى جميع أنحاء الأرض برفق ولين . ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، واقد طلبت دول كثيرة من الأزهر هداة ومرشدين وعلماء ومثقفين ، والأزهر يستجيب لها تحقيقا لرسالته وأداء لواجبه ، وأن ولاية الأمر فى الجمهورية العربية المتحدة ليؤيدون الأزهر ، ويمدونه بكل الأسباب التى تمكنه من أداء هذه المهمة ، وبهؤلاء الدعاة ترابط البلاد الإسلامية بعضها وتعمز مع بعض جانبا .

س : ما هى الطرق التى تراها فضيئتكم كفيلة بنشر الوعى الدينى ؟

ج : لاشك أن تربية النشء تربية دينية هى خير ما توجد به جيلا قويا يعتمد عليه الوطن فى نواحيه كلها لأن جيش المؤمنين أصلب عودا وأقوى على تحمل الأحداث ، والعقيدة الصالحة أثمن ما تفتنيه الأمم وأقوى سلاح يواجه به الشباب الحياة ؛ ولا أحب أن يكون إيمان الشباب إيمانا تلقينيا ، وإنما أريده إيمانا ثابتا ، عن طريق القدوة الحسنة من الذين يتطلع إليهم الشباب جميعا ، فى بيوتهم وفى مدارسهم ، وفى مجتمعاتهم التى يعيشون فيها ، وهذا الوضع نجد أمامنا أمة مترابطة متماسكة الأطراف ، تحيا على قلب رجل واحد ، لا تهزها الأحداث ولا الأعاصير .

س : ما رأى فضيلتكم في تعليم المرأة . هل يكون نصيباً منه نصيب الرجل ؟

ج : إن الشريعة الإسلامية شريعة تثقيف وتعليم وتوجيه ، لا تفرق بين ذكر وأنثى ، ولا بين فق وفتاة . . ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولا عمل إلا عن علم ومعرفة ، والرسول يقول ( خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء ، وراويات الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرات ، قال لم مورد مباح للجميع . . لكن أريد الفتاة التي تهمل من مناهل العلم أن تعمل كل ما يحفظ كرامتها ، ويصون لها عفتها ومن غير ما إرزاخها فتأتي تثير بها الشباب ، وتدفعهم إلى الفتنة ، وتقوض نظام الأمة وفي هذا الاطار الفتاة أن تعلم وأن تتفقه وأن تنفع أمتها .

س : هل يمكن اعتبار الوحدة العربية خطوة أولى للوحدة الإسلامية ؟ وهل تقتصر دعوتنا الآن للوحدة العربية فقط أو نربط بين الدعوتين ؟ وما دور الأزهر الشريف في هذا المضمار ؟

ج : وسكت الشيخ قليلاً ثم انفتحت إلى وقال ... هذا سؤال سياسي ، وأنا لا أجييب عن الأسئلة السياسية .

وانتهت المقابلة ، وما زال صدى صوته يترامى القوية بملأ قلبي ثقة وأملاً برجال الدين ورسالتهم السامية .

السهر على فكرة التقريب ، ولذلك سأعني إن شاء الله بدراسة المذاهب البيته الأصول الراضية المعالم ؛ حتى يقف عبأؤه على السبل المقربة ؛ وخاصة في عهد هذه النهضة المباركة والدعوات الطيبة التي تدعو إلى توحيد كلمة المسلمين والعرب .

س : قامت دعوة لتقنين الشريعة الإسلامية وفق الأصول القانونية المتبعة ، واستنباط الأحكام للسائل المستحدثة في حياتنا الحاضرة فما رأى فضيلتكم في هذا الرأي ؟ وكيف يمكن تحقيقه ؟

ج : إن الشريعة الإسلامية شريعة الزم كلهم إلى أن تقوم الساعة فصالح لكل عصر وأوان ، وأن الفقه الإسلامي ملئ بالكنوز والفخائر ولكنه يحتاج إلى الفاحصين لأصول الشريعة وقواعدها الدارسين لحياة المجتمع ، المحيطين بأحوال التشريع وملابساته مع فهم صحيح دقيق لكتاب الله وسنة رسوله ، والأمة الإسلامية . والحمد لله . مليئة بالكثير من هؤلاء فإذا ما صحت النيات ، وخلصت الاجتماعات ، وجدنا الفقه الإسلامي مقتناً تقنياً عصرياً ، يمد فيه الفاضل حاجته ، والمتقاضى طلبته . والشريعة الإسلامية لا تمنع شيئاً من ذلك ؛ وفعلنا نوجد الآن بعض المؤلفات جرى أصحابها على هذا النحو مما يسر الاطلاع لكثير من محبي المعرفة .

## مَحْنًا مِنْ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

# رَبِّاه ... بعض النور!

لِلأستاذ محمود حسن إسماعيل

إلى القاصي للوراء وأشواقهم تنسحب بالفلاحة

حملت أنسى وعدي وسرتُ نحو الموعد  
 حتى وصلت شاطئاً يهمس بالشهد  
 وترتوي آفاقه بالنور والتعبير  
 فقلتُ : طيري واصدي يا ضئ .. حان مؤردي  
 فاجهشت .. وانفصت بأحبا المتشهد  
 كل الخطايا في يدي يارب أجمل مؤعدي  
 فتوتني مؤودة في مهدها لم تولد  
 مارلتُ أدعو الله عراً نايابا لجسدي  
 أعيدُ فيه سيرة الروح منذ مولدي  
 نقيّة من كل ما يفضي في سرّ قدي  
 بريئة من كل ما يشوي الرؤى في خلدي  
 ويحمل الإيمان في خفي غرب السلي  
 يعيش كالصوم السجين في سكون المعبد  
 يديره أغلاله لقاية لم توجر !  
 معذناً كأنه سريرة المصطفي



أَوْ طَامِيءٌ إِلَى سِرَابٍ ظَالِمِي مُصَفَّدٍ  
أَوْ طَارِئٌ عَلَى خَرِيفٍ هَالِكٍ مَبْدُودٍ  
صَبَّ الْأَسَى فِي نَايِهِ أَيْنَ حُلْمٍ أَسْوَدٍ  
يَطْفِرُ مِنْ قُصَاةِ كَسْتَنِثٍ مُقَمَّدٍ ..  
أَوْ طَارِقٌ أَسْرَارِ بَابٍ فِي الظَّلَامِ مُوصَدٍ  
يَصْرُ ثُمَّ يَمْحَى فِي الْيَأْسِ وَالتَّرَدُّدِ ..  
أَوْ سَاحٍ فِي لَجَّةٍ مَطْمُورَةٍ بِالزَّبَدِ  
فِي جَيْبٍ بِعَصَارٍ عَلَى الْأَفْقِ يَتِيمٍ الرُّشْدِ  
يَزِنُ كَالنَّيْظِ بِصَدِّ الظَّالِمِ الْتَقِيدِ ..  
أَوْ بَاحِثٌ عَنْ أَمَلٍ فِي ضِيءٍ مُصَفَّدٍ  
أَضَاعَهُ الْأَمْسُ .. وَضَاعَ الْأَمْسُ فِي تَهْوِيَةِ الْقَدِ ..  
أَوْ حَارٌّ عَلَى ظِلَامٍ قَائِمٍ مَسْبُودٍ  
جَنِيرٍ نَارِ الْيَأْسِ لَمْ يَنْتَجِعْ وَلَمْ يُوسَّدِ ..  
أَوْ قَائِمٌ لَمْ يَمُتْ وَلَمْ يَنْتَدِ  
تَتَقَاتِ أَشْوَاقُهُ مِنْ مُوقَدٍ لَمَوْقَدِ  
وَالْعَاصِي حَوْلَهَا أَجِنَّةٌ لَمْ تُؤَلَدْ  
تَهْرُ فِي أَحْشَائِهَا مَحْدُودَةٌ لَمْ تَتَحَدَّ .  
أَوْ رَاحِلٌ نَعِيرٌ تَبْرُ الدَّرْبِ لَمْ يَرَوْدِ  
وَعَبْرَ لَيْلٍ كَافِرِ الرَّاحَاتِ مَصْلُوبِ الْيَدِ  
نَجْوَاهُ مَمْنُونَةٌ فِي أَهْلِهَا الْحَرْدِ  
يُطْلُ مِنْ شَطْعِهَا السُّحُودُ أَلْفُ رَصَدِ

وَأَلْفُ شَيْطَانٍ بَعِيٍّ الْوَحَى بَانِي الْجَسَدِ  
 مُحَرَّمٌ مِنَ الْخَطَايَا شَهَابٌ أَسْوَدُ  
 يَخْطِفُ كُلَّ تَائِبٍ يَسْهَمُهُ الْمَسْدَدُ  
 وَيَحْمِلُ الْعَصِيَانَ لِلدَّمَامَانِ أَشَقَى مُورِدِ  
 وَيُفَرِّقُ النَّاسِكَ فِي مَحَرٍّ أَثِيمٍ الْمَدَدِ  
 يَظْلُ الْإِيمَانَ فِي جَنِيهِ مَوَاحٍ إِلَيْهِ  
 مَلُوحًا الدُّسْكُ وَالصَّلَاةُ وَالتَّهَجُّدُ  
 وَكُلُّ زَهْدٍ وَتَقَى لِلرُّوحِ أَوْ تَعْبُدُ  
 فَتَصِفُ الرِّيحُ عَلَى دَعَاةِ الْمَدَدِ !!

\* \* \*

رَبَاهُ .. بَعْضُ النُّورِ قَدْ طَمَّ الدَّجَى فِي خُلْدِي  
 سَبَّحْتُ بِالْإِيمَانِ فِي تَيْهِ عَمِيقِ أُنْدَى  
 قَلْبِي إِلَى مَوْكِ شَوَانٍ بِحَبِّ سُرْمَدِي  
 مَنْطَلَقٌ إِلَى سَمَاءٍ نَاهِيَا لَمْ يُوصِدْ ..  
 وَجَسَدِي مَحْمَلٌ بِكُلِّ ذَنْبٍ مُبْعِدِ  
 وَاصِلٌ دَقَّ الْبَابَ ، حَتَّى كَدَّ يَتَصَى مَوْعِدِي  
 وَكَادَ يُقْلِبِي الشَّجَى وَالنُّوحَ حَوْلَ مَوْعِدِي  
 رَبَاهُ بَعْضُ التَّوْبِ وَالْفَرَافِ السَّهْدِ  
 زَمَعْتُ ذَاتِي ! وَانْتَهَتْ حَقِيقَتِي لِلْأَبَدِ  
 وَجِئْتُ أَدْعُو اللَّهَ عَمْرًا ثَابِتًا لِحَسَدِي !!

محمود حسن اسماعيل

# بريد المجلة

بارتياح عظيم ، ولذة كبرى ، لأن هذا الوصف الصادق يطابق واقعاً عملياً قرره قرآن الكريم في صورة قوية واضحة ، حيث يقول الله عز وجل : « إنما المؤمنون إخوة » .

ولذلك لا أجد وصفاً أحر على نفسى وأحب إلى قلبى من هذا الوصف الذى آثرت أن أعاطبكم به فى هذا الحفل المبتهج بقدمكم المتعقد لتكريمكم :

لقد وصف الله المؤمنين فى كتابه العزيز بأنهم خير أمة أخرجت للناس ، وأن بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وبقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، ولم يكن نفعيهم إلا بأنهم أمة مبادئ ، ولم تكن عظمتهم إلا بأنهم مؤمنون بالله والإيمان بالله هو مبدأ التمرد بالكرامة لأنه هو الذى يشعر المؤمن بأنه مساو لكل من سواه ، فى العبودية لله ، وهو مبدأ المراقبة والتهنؤ ، لأن الذى يعلم أن له إلهاً يراه ، هو الذى من شأنه أن يراقبه ويخشاه .

بهذا كله كان المؤمنون أمة واعية قوية متكافة على الحق والخير لا تأذن للشر

## الأزهر يكرم السيد إمام خالد

فى صباح الثلاثاء ٢٠ من شهر شوال سنة ١٣٧٨ احتفل فى قاعة الاحتفالات الكبرى بالأزهر بتكريم السيد أدم خالد نائب رئيس وزراء أندونيسيا ورئيس جمعية العلماء بها ، وقد حضر الحفل فريق من كلية القوم وكبار علماء الأزهر وعدد ضخم من طلابه وافتتح بتلاوة آى الذكر الحكيم ، ثم نهض الدكتور محمد الهبى مدير عام الثقافة الإسلامية بالأزهر فقدم الضيف الكريم بكلمة موجزة ذكر فيها خدمته للإسلام وجهاده فى تحرير بلاده وأشار إلى التشبه بينه وبين عالم الإسلام محمد ابن تيمية فى جمعه بين حرية الفكر فى بحوثه الدينية وقيادته للعواطف الإسلامية ووقفه فى وجه الغزوات التارية والصليبية .

ثم قام صاحب الفضيلة الأستاذ وكيل الجامع الأزهر فألقى كلمة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت فى الترحيب بالزائر الكريم وهذا نصها :

أخى فى الله :

إلى - إذ أعاطبكم بهذا الوصف المحبب إلى نفسى ، وهو وصف الأخوة فى الله - لأشعر

قرون بل تزيد، والتي ما زالت تؤدي رسالتها السامية المقدسة في رعاية الله بتأييد الشاب القوى المؤمن بالله المحاهد في سبيل الله . الرئيس جمال عبد الناصر .

إن الله جمع بيننا في أخوة الإيمان ، وجمع بيننا في النضال من أجل الحرية والكرامة والاستقلال ، وجمع بيننا في الأهداف التي نرى إليها من أجل خير البشر وحقهم في الإصلاح والطمأنينة والسلام ، وجمع بيننا في التحذير من الذين يربصون بنا دوائر السوء : أن نطيعهم أو نركن إليهم ، أو نخضع بهم . والآن يصرني أن أرى في أنفسنا معنى جليما جديدا ، ذلكم هو التعاون العلمي في ظل الإسلام وهدى القرآن ، وأن الأزهر الشريف الذي أتشرف بقيادته ليبارك هذا التعاون وبرجوله النور والكمال إن شاء الله . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، والسلام عليكم ورحمة الله

وبعد ذلك قام السيد المحتفل به ف شكر السيد سكرتير عام المؤتمر الإسلامي أن أتاح له بدعوته لزيارة الجمهورية العربية المتحدة أن يرى الأزهر حصن الإسلام والعروبة ومبعث النور والهداية ، ثم شكر الأستاذ الأكبر والسادة العلماء على حيل ترحيبهم به وتكرمهم إياه ، ثم أخذ يلقى محاضراته عن ( التضامن الإسلامي ) .

ولا للباطل أن يجد مكانا فيها ، كما كانوا أمة اتلاف وأخوة واعتصام بحبل الله تربط بين قلوبهم ورباط المحبة الصادقة الصافية في ظل الإيمان وهداية القرآن .

وإننا وإياكم لمربطون بهذه الرابطة القوية المشتركة ، لا فرق بين من يعيشون في ربوع أندونيسيا المجيدة ، ومن يعيشون في ظلال الجمهورية العربية المتحدة العتيقة ، كما أن هذه الرابطة نفسها هي العلاقة المقدسة بين المؤمنين ، في مشارق الأرض ومغاربها حيث تقام الصلاة وتؤتى الزكاة وينادي لله وحده على مآذن المساجد ، الله أكبر الله أكبر حتى على الصلاة حتى على الفلاح .

فإذا وجدتم - أيها الأخ الكريم - علامته البشر في هذا الحفل بادية ، وروح المحبة في جنباته رائحة غالية ، فاهذه إلا مظاهر ابتهاج الأخ بأخيه ، والولى لوليه .

ونحن نعتقد أن لنا إخوانا كثيرين في أندونيسيا ، يشاركوننا بالآرواح ، وإن بعدت الديار وتفرقت الأشباح .

فرحبا بكم من إخوانكم ، وبين أصفياتكم وأولياتكم .

وسلاما وتحية لرئيس أندونيسيا العظيم المجاهد المناضل ، من الجامعة الأزهرية المجيدة التي حافظت على تراث الإسلام الخالد حشرة

ويشرف على حركة التوجيه الدينى والثقافى فى بلاده ، وبكافح ليجعل الفكرة الإسلامية مصدر التوجيه فى المجال السياسى والوطنى ، ويمجاهد ليفقد للجمهورية العربية المتحدة لواء الزعامة على البلاد العربية والإسلامية .

والضيف العظيم يحيد اللغة العربية إجابة تامة إذ ينحدر من أسرة دينية عريقة ، ويعتبر من أنشط الزعماء فى الوطن الأندونيسى يعمل بكل إخلاص على تشجيع الثقافة العربية والإسلامية فى بلده .

### الأزهر يعقد مؤتمرا لبحث شؤون فلسطين

دعا فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى مؤتمر عام حضره رجال السياسة وأعلام الأدب وكثير من الهيئات والطوائف وفى مقدمتهم علماء الأزهر ورجال الاتحاد القومى .

وفى تمام الساعة الثامنة مساء انعقد المؤتمر فى قاعة المحاضرات الكبرى برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر نائبا عن الأسناذ الأكبر

بمناسبة يوم فلسطين . . . يوم ارتكاب الجريمة النكراء والمأساة المروعة والاعتداء العاشم على الحقوق الإنسانية . فقد اغتصبت أرض فلسطين العربية وسلبت أموالها واغتيل شعبها وشرذم من بقى حيا من أهلها . وقد استعرض المجتمعون أسباب تلك

فقال : إن التضامن الإسلامى ليس كالتضامن الذى يفهمه الغرب أو الشرق معتمدا على المادة والتسلح وإنما يقوم على أسس سماوية سليمة تهدف إلى سعادة الشعوب . وقال إن ثورة الأمة العربية وضمت حدا فاصلا للاستعمار فلم يعد يستطيع العبث بمقدرات الشرق ، وإن العالم كله اعترف بعدالة القضية المصرية ، وقد أسهمت أندونيسيا فى الدفاع عنها دوليا وأعلن أن ٧٥ مليون مسلم فى أندونيسيا يتبعون تيار الوطنية الذى يكتسح مقايما الاستعمار من الوطن العربى .

وبعد الفراغ منها قلم صاحب المضيئة وكيل الأزهر فتلا قرار مجلس الأزهر الأعلى بمنح السيد إدهام شهادة العالمية الفخرية من درجة أستاذ بناء على اقتراح الأسناذ الأكبر ، فتقبلها شاكرًا . ثم مضى هو وكبار المحترفين إلى دار الأسناذ الأكبر فأجزل له الشكر على ما طوق به جيبه من جميل ترحيبه وعظيم فضله .

والضيف الكبير له ماض مجيد فى قيادة الحركة الاستقلالية فى أندونيسيا وهو عضو فى البرلمان الأندونيسى منذ عام ١٩٥٠ حتى اليوم ، وزعيم حزب نهضة العلماء أحد الأحزاب السياسية الأربعة الكبرى فى أندونيسيا .

رسول الله فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم - نعم الشريك كُن السائب اكان لا يشارى ولا يجارى .

وقال صاحب الاصابة إن السائب بن الحارث قال الزبير بن بكار عنه عن عمه زعموا أنه كان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة . وقال المعلق على قول المؤلف ( وسأقت الصدف سائب ومساعدته الجديد إلى حياشا Hayacha وهي سوق هامة في جنوب مكة .. )

قال المعلق : لله يريد الحزورة . بيد أن السوق التي ذكرها المؤلف هي حياشة بالباء التحتية الموحدة لا بالياء المثناة التحتية ؛ فحياشة سوق من أسواق العرب كانت جنوب مكة وظلت تقام إلى عهد داود بن عيسى أمير مكة سنة ١٩٧ هـ كما يقول المؤرخ الأزرق - عم ألقاها بأمر من فقهاء مكة على أثر اعتداء وقع على أمير لهذه السوق من قبل القبائل المجتمعة بها غربت .

وليس غريبا على المؤلف الفرنسي أن يخلط ويخلط ولا سيما وقد كتب كتابه وهو يكاد يتميز من الغيظ حقداً على الإسلام والمسلمين غير أنه في هذا الإسمين كان أقرب إلى الصواب أحمد على

مدير كلية الشريعة بمكة

المزينة من الفرقة والانتقام والحياشات الداخلية، والخارجية والمؤامرات الاستعمارية والصهيونية . ومن ضعف القوى الروحية والعسكرية ومن الحرص على مظاهر الملك والسلطان واتهوا إلى اتخاذ القرارات الآتية :  
١ - تأييد السيد الرئيس جمال عبد الناصر في سياسته الحياضية ودعوته إلى القومية العربية  
٢ - الاستمرار في بث الوعي واليقظة في نفوس المسلمين والعرب حتى يعود الفلسطينيون إلى أرضهم العريضة ، وأنه لا استقرار في الشرق ولا سلام مع بقاء هؤلاء مشردين .  
٣ - الدعوة إلى الاستمساك بأسباب القوة المادية والروحية .

### هو السائب لا عماد بن ياسر

ذكر الدكتور أحمد قزاد الاصواني في مقاله القيم الذي نشره عن كتاب أندريه سرفيه في مجلة الأزهر وقد علق الدكتور على قول مؤلف الكتاب أنه - أي الرسول صلى الله عليه وسلم - كان مساعدا لتاجر أقمشة يسمى سائب علق على هذا القول بالهامش بقوله : ( لله يريد عماد ابن ياسر ) والصحيح أن الذي يقصده المؤلف هو السائب الذي قال عنه صاحب الاستيعاب ( ابن عبد البر ) أن عبد الله بن السائب قال : كان جدي أبو السائب ابن عاتذ شريك

## زعماء من الأزهر ..

إن مؤتمر التضامن الآسيوى الأفريقى قد لعب دورا كبيرا فى تدعيم العلاقات بين القاهرة والحركات التحريرية فى قلب القارة الإفريقية ..

وهى علاقات قديمة .. علاقات ساهم بمعوث هذه البلاد من درسوا فى الأزهر الشريف فى وضع بلدها الطيبة منذ سنوات طويلة ..

والشئ الذى لا يعرفه كثيرون أن عددا كثيرا من متزعمى الحركات الوطنية فى القارة الأفريقية تلقى علومه فى الأزهر الشريف منهم . أحمد الشيخ موسى .. وهو أحد زعماء الحركة الوطنية فى الصومال الإنجليزى حصل على شهادة العالمية فى سنة ١٩٥٦ .

وكان الوحيد من أعضاء وفد بلاده الذى استطاع أن يصل إلى القاهرة للاشتراك فى مؤتمر التضامن الآسيوى الإفريقى .

أما بقية زملائه فقد منعهم الإنجليز من السفر ..

ولما عرف الإنجليز باشتراكه فى المؤتمر أصدر الحاكم البريطانى قراراً بمنع عودته إلى بلاده ..

هـ وزعيم آخر درس فى الأزهر الشريف اسمه على جلو .. لقد مثل السودان الفرنسى فى مؤتمر التضامن الآسيوى الإفريقى ...

وهو يشرف فى مدينة باماكو عاصمة السودان الفرنسى على مدرسة افتتحها على أثر عودته إلى بلاده بعد دراسته فى الأزهر لتعليم اللغة العربية ..

وكان الكولونيل موريست مدير الأمن العام الفرنسى فى مدينة باماكو قد حاول منعه من السفر للاشتراك فى المؤتمر الآسيوى الإفريقى ولكنه خدعه وسافر

## المؤتمر المسمى والتسمية :

عقد المحمديون مؤتمراهم غير العادى من أعضاء مجالس العشيرة وفروعها بالقاهرة وبحضور ممثل فروع الأقاليم ومثل الفروع فى بعض البلاد العربية والإسلامية ؛ وبعد بحث الموقف الجديد بين الشيوعية والإسلام وبين العروبة والانتماء أصدر المؤتمر بالإجماع القرارات الآتية :

أولا : تعهد بيعة السيد الرئيس جمال عبد الناصر على التأييد المطلق لسيادته فى موقفه الحازم من الشيوعية والإلحاد ومن دعوات المروق من العروبة والإسلام وتغذية موقفه هذا بكل ما يملك المحمديون من الدعاء والأرواح والأموال والتوسل إلى الله أن يحفظه دعوا واثقا للإسلام والعروبة .

ثانياً : التوجه إلى المسلمين برجاء الابتهاال إلى الله والقنوت فى الصلوات الخمس واجمع

والحياة الفاضلة وعلى الروابط والتاريخ  
والموارث المقدسة .

عامساً : انتهاز هذه الفرصة لمضاعفة الجهد  
في الدعوة إلى فضائل الإسلام وروحانيته  
الكبرى وبيان كنوز أسرارهِ وحكمه تشريعه  
ومدى ارتفاعه بمستوى الإنسان وتكريمه  
والعدالة المطلقة في قوانينه والأمن الشامل  
في الاعتصام به .

سادساً : دعوة الهيئات الدينية والاجتماعية  
والتقافية والأزهر والطرق الصوفية إلى التحليل  
بعقد مؤتمراتهم لمواجهة الخطر الشيوعي  
والصهيونية التي تآزده واتخاذ القرارات  
اللازمة لحياة الدين والوطن في هذه الفترة  
التاريخية الخطيرة .

سابعاً : الإلحاح في دعوة الهيئات الإسلامية  
بمصر لإعادة تكوين اتحادها العام على أصول  
جديدة يحفظ لكل هيئة ميزتها وتأخذ بيدها  
إلى غايتها وتبني للاتحاد فرصة المقاومة الجماعية  
للدعوة الشيوعية وما يليها من المذاهب الهدامة  
والاتجاهات الفاضية على موارث الإسلام  
والعروبة مع دعوة الهيئات الإسلامية بالشام  
إلى الإسهام في هذا الاتحاد .

ثامناً : عقد مؤتمرات فرعية للعشيرة  
بمناطق يجمع العمال في الأقاليم والمدن لتحسينهم

يمتثل المساجد أن يقسم الله ظهور الجبابرة  
المتبردين على العروبة والدين وحماة الشيوعية  
الفاجرة بالعراق وأن يجعل بأسهم بينهم  
وأن يغمد برحمته الشهداء من علماء الإسلام  
وزعماء العرب وأن يتولى أسرهم وذرياتهم  
بجمعته ورعايته حتى تتجلى هذه النخبة المبررة .

ثامناً : مناقشة فروع العشيرة بالجمهورية  
العربية المتحدة ثم بالبلاد العربية والإسلامية  
مضاعفة الجهد في تبصير الناس أثناء الخطب  
والدروس وعقب الصلوات بالذمار المهائل  
الذي تضمنه الشيوعية لدين الله ولكرامة  
البشرية فهي دعوة هدامة لا تعترف بألوهية  
ولا بقوة ولا كتاب سماوى ، ولا تحفظ  
للإنسانية حرمة ولا تعرف لقيم الأخلاقية  
وزقا ولا عرق إلا بالإرهاب والوحشية  
والفتك والدم والإباحية المنحونة ، فمقاومة  
هذه الدعوة فرض عين على كل مسلم ومسلمة  
لا يقبل الله عنها عند معتذر .

رابعاً : استصدار نشرات عامة توزع  
في كافة أماكن التجمعات باستفكار  
أعمال الشيوعية بالعراق والتعريف بمخائفها  
ومبادئها وأهدافها وما أصاب المسلمين  
ومقساتهم منها وبخاصة في الجمهوريات التي  
حرب عليها السار الحديدي مع عقد ندوات  
بمختلف الأندية لمناقشة هذه الدعوة وبيان  
خطرها على كل المصالح الرفيعة في البشرية



من المارقين . يحاربون العرب ويحصنون  
الإسلام . ينجل . البنى ، ويحطمون العروبة  
« بمطرقة ، الظلم .

أيها العربي ! إن دين الله ومنهـب الشيوعية  
ضدان لا يجتمعان . إن دين الله يحصى  
الأعراض ويصون النفوس ويحفظ  
الإنسان ، ويحفظ لكل امرئ بما جنى من  
سعى حميد وكسب مشروع ( كل المسلم على  
المسلم حرام دمه وماله وعرضه ) ويؤيد  
المساواة الصحيحة ، ويقوى إرادة الفرد ،  
ويؤكد العلاقات الاجتماعية ، ويحترم نظام  
الأسرة .

ومذهب الشيوعية يهتك الأعراض  
ويرزق الأرواح ، ويضيع الأنساب ،  
ويقضى على مواهب الناهين ويدع حرية  
الفرد كريشة في مهب الريح ، تتقاذفها الأهواء ،  
وتقوشها الأطلح ، ويحطم العلاقات الاجتماعية .  
ويقطع الصلة بين الآباء والأبناء . فقل لحؤلاء  
( إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضرروا  
الله شيئاً ولهم عذاب أليم ) .

أيها العربي : تقرر الشيوعية أن الدين أفيون  
لتخدير الشعوب ، وتزعم أن الله من خلق  
الإنسان ، وتجعل للبادة في حياة الناس المكان  
الأعلى ، والمزلة السامية ، وترى أن الديانات  
هي العقبة الأولى في طريق التقدم المدني فقل  
لحؤلاء :

هند الشيوعية والاحتلال الاجتماعي والديني  
واخذ يبعثهم على كفاحها واجتثاث أصولها .

تاسعاً : التوجه إلى الحكومات والشعوب  
العربية والإسلامية برجاه التعاون الجماعي على  
مكافحة الوباء الشيوعي والفضاء عليه في مهده  
قبل أن يمد سبيلا إلى الحياة في أية منطقة من  
مناطق العروبة والإسلام .

محمد زكي إبراهيم  
رائد العشيرة المحمدية

نداء منه شيخ المراد الميني بر مصر

( إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك  
في الأذلين ، كتب الله لأغلبن أماً ورسلى إن  
الله قوى عزيز ، لانجسد قوما يؤمنون بالله  
واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله  
ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم  
أو عشيرتهم ) .

أيها العربي ! في هذه الآونة العصية ، تحرر  
عاصمة الحضارة وهيبة ، حول لإقليم عزيز من  
الوطن الكريم . . .

إن بغداد التي شهدت الخلافة في أبهى ظلها  
وأعظم عصورها ، ورأت أمجاد الدين تعاقب  
أمجاد الدنيا ، وشمت منها أضواء الثقافة  
الإسلامية ، وأنوار المعرفة العربية . أصبحت  
اليوم تموج بأخلاق من الملحدن ، وأمشاج

بترحيبكم بالتعاون الوثيق بين مشيخة الأزهر  
الموقرة ومعارف الكويت في مجال نشر الثقافة  
الإسلامية — وإني أشكر لفضيلتكم ما  
أبدىتموه من معانة صادقة لمعارف الكويت،  
سواء في وضع الأسئلة لامتحان المعهد الديني  
الكويتي أو في اختيار الاساتذة للتعليم لدينا،  
أو في استقبال طلبتنا الذين يدرسون  
في الكليات الأزهرية . ويسرني أن أشيد  
بالتفاتكم الكريمة في دفع تكاليف وضع  
أسئلة الامتحانات لمعهد الكويت من  
ميزانية الأزهر .

هذا ويطلب لي في الختام أن أدعو الله أن  
يسد خطاكم ويديم توفيقكم لخدمة الإسلام  
والعروبة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الله الجابر الصباح

رئيس معارف الكويت

( هـ أفن يمشى مكباً على وجهه أهدى .  
أم من يمشى سوياً على صراط مستقيم . وأومن  
كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في  
الناس كن مثله في الظلمات ليس بخارج منها .  
كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ) .

أيها العربي: لقد مرت بنا من قبل أحداث  
جسام . وخطوب عظام . أبطل الله بها الأمة  
الإسلامية ليبلو صدق الإيمان من زيف  
الآراء . ويختبر قوة اليقين من ضعف الأهواء .  
( ونبلوكم بالشر والخير فتة ) .

وسينتصر شعب العراق على طغمة البغي .  
وشرذمة الفساد فالنصر دائماً للحق .

و فأما الزيد فيذهب جعاً وأما ما ينفع  
الناس فيمكث في الأرض ،

شيخ المعهد

عبد العزيز محمد سحك

إلى الأستاذ الأكبر :

من رئيس معارف الكويت

صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر  
الشريف .

تحية من عند الله مباركة طيبة : وبعد لقد  
تأثرت جمعية علماء سوس بتدائكم التاريخي  
الموجه إلى المسلمين في سبيل الدفاع عن الإسلام

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر  
الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد  
فقد تاتيت كتابكم الكريم الخاص

السرور ، ما علمته بلسانكم ، حين تشرف وفد  
مديري مدارسها بمقابلتكم ، عن استعداد  
الأزهر الشريف لتزويد مدارسها بالأساتذة  
لتلقين كتاب الله وتعليم الدين الحنيف .

إتانا نشكركم ، سائلين المولى عز وجل ، أن  
يحقق على يديكم الآمال ، وأن يقيمكم ذخراً  
للإسلام والعروبة .

صائب سلام  
رئيس جمعية المقاصد الخيرية  
الإسلامية في بيروت

وإذ نهتكم الجمعية على هذا الموقف الشريف  
ترجو الله تعالى أن يوحد صفوف المسلمين  
ويهديهم إلى ما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية .  
تارودنت الحسين وجاج

ومن رئيس جمعية المقاصد الخيرية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد ، فإن جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية  
في بيروت ، التي وقفت قسماً لتعليم أبناء  
المسلمين في لبنان أمور دينهم ، قد سرها غاية

## من طرائف الحكمة

الدنيا كالنار ، قليلها متاع وكثيرها بوار .

الدنيا كالماء المالح ، كلما ازدادت منه شرباً ازدادت عطشاً .

المتصل بحال السلطان كالسفينة في البحر ، إذا أخذت منه في جوفها أخذها في جوفه .

المصلح في الأمة كالصباح في الصحراء ، لا ينشر ضوءه إلا إذا تركت الرياح آمناً .

# الكتاب

## نفد وتعريف

مرآة الإسلام للدكتور طه حسين  
بقلم الأستاذ محمود الشرقاوى

٣٩٩ ملحة . مطبع متوسط طبع دار المعارف

بين جازع ومنكر وجلد يذكر قول الله تعالى :  
إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَيِّتُونَ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ  
من القرآن .

فإذا انتهينا بالقراءة إلى الصفحة المائة  
والثلاثين ، انتهى بنا المؤلف في إنجاز شديد  
وفي وضوح شديد أيضا إلى وفاة النبي هذه .  
ثم يبدأ بعد ذلك نرى في مرآته الصافية المعبرة  
ما كان من أمر صحابة النبي وأمر الإسلام  
بعد وفاته عليه السلام ، ثم ينتهي الكتاب  
الأول من « مرآة الإسلام » بعد ذلك  
بست عشرة صفحة حين ينصر الله أبا بكر  
في حروب الردة . وحرب الكاذبين من المنتهين .  
وحين نجد جزيرة العرب قد عادت كلها خاضعة  
للإسلام لا نسمع فيها غير كلمة التوحيد .

ثم يبدأ بعد ذلك الكتاب الثانى عن  
أصل الإسلام : الكتاب والسنة ، التي ثبتت  
عن النبي ثبوتا قاطعا أو واجعا ، كما قال .

١ - كتاب عن حياة العرب في الجاهلية ،  
قراها ومدنها ومصارها وقبائلها الكبيرة  
وعلاقات العرب هؤلاء بمن حولهم من الناس  
والحضارات . وعن صدر الإسلام وإدخالها  
النسبة وحياة الرسول وشبابه ونبوته ،  
والقرآن والوحي والصحابة وحديث  
الرسول وأثره في المعاصرين له الذين عرفوه  
وأخذوا عنه وتأدبوا بأدبه وتابعوا -  
بكل ما يستطيعون من الجهد - يريته ، وتحلقوا  
بخلقه ، والذين عرفوه وأخذوا عنه وعاشروه  
ولكنهم لم يتأدبوا بأدبه ولم يتابعوه . بل  
خالعوا عن أمره وناقضوه وآذوه وآذوا  
صحابه والمسلمين أذى شديدا ، لأن الله شاء  
ألا يهديهم وألا ينفعهم بما بين أيديهم من  
أعظم الهدى وأكرم المثل فاخترنا لأنفسهم  
شرا مما يختار المرء لنفسه . ثم يذكر بعد ذلك  
وفاة النبي وأثرها في الصحابة وكيف تلقوها

حديثه من الفتنة التي فرقت أمر المسلمين بقتل عثمان وحروب على طائفة ومعاوية . وهي صراحة لا نجد لها مثل هذا الوضوح والإفصاح في غير هذه المواضع من الكتاب . وأبرز مثل وأقواء عن هذه الصراحة والإبانة ما تحدث به عن عائشة في موقعة الجمل ، وعن معاوية وصحبه وابنه يزيد من بعده .

ثم يبلغ الكتاب ذروته وينتهي إلى غاية من الصدق والعقوة التأثير والتأثير عندما تقترب من نهايته في ذلك الحديث الرائع الصادق عن اختلاف المسلمين إلى فرق في السياسة ، وفرق في المذاهب والآراء . تبلغ بهم هذه وتلك مبلغ الخصومة والحرب وسفك الدم ، وكلهم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وكان حرياً بهذه الشهادة أن نعص دماء بعضهم من بعض ، وحسابهم بعد ذلك على الله كما قال النبي عليه السلام في بعض الحديث . ولكن الله إذا أراد بقوم سوءاً فلا مرد له .

وهو في ذلك يلخص في إيجاز شديد ولكنه واضح بين أمر هذه الفرق المختلفة من المعتزلة والجسمة والمشيبة والمزولة والمتصوفة والمرجئة والشيعة وأصحاب المذلة بين المذتئين ، وتأثير المسلمين في ذلك بما عرفوا من ثقافة اليونان وفلسفتها خاصة . ومن مجادلة اليهود والنصارى في دينهم .

وفي ذلك الفصل نجد حديثاً قيماً دقيقاً واضح البيان عما سماه المؤلف « خصائص الإيمان والإسلام والإحسان وما يجب على من يتصف بها أن يعمل لنفسه وللناس من الفضيلة والخير » ، وأن يجتنبه من الأذى والشر . وفي هذا الفصل نجد الكلام من الحديث وقوله وحجته قصيراً معتمداً في القصر ولكنه واضح حاسم في الأخذ بالحقيقة والحذر في ذلك ، فعلى رغم ما بذل أهل الحديث من الجهد في تصنيته وتنقيته والتحرى عن روايته في صدقهم وكذبهم وعدالة سيرتهم وضعف ذاكرتهم أو قوتها وقلة الثبوت أو الأخذ عن لا يصح الأخذ عنه ، على رغم هذا كله ، ظل من الواجب على كل مسلم حين يروى له الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتاط قبل الأخذ به ، وأن يمرضه على القرآن ، فإن كان لا يناقض القرآن في قليل ولا كثير ، ولا يناقض المؤلف ، من سيرة النبي وعمله ، أخذه ، وإلا وقف فيه .

وبعد أن قرأ حديث المؤلف عن دعوة الإسلام هذه التي بشر بها النبي عليه السلام وطاش لها وفصلها بالقول والعمل . يقتل بنا الكتاب إلى حديث آخر عن تلك الفتنة المحزنة التي أصابت حياة المسلمين بعد مقتل عثمان .

صراحة في الحديث نجد لها قوتها وصحة في

التي تطالعها عن الإسلام نجد بعض الملاح  
مبسوطة معروضة متأثر بها النفس ويتألمها  
العقل ، ونجد بعضها الآخر قريبا مسيطراً  
يأسر النفس أسراً ويستولى على العاطفة  
استيلاء تاماً . نجد صوراً تفيض بالروعة  
والصدق والبراعة يكاد القارىء لا يستطيع  
حبس دمه أن ينساح على خده مسحوراً بها  
مأخوذاً بقوتها وروعها وصدق تصويرها  
ودقة التمسك فيها ، كذلك التي صور فيها المؤلف  
عودة النبي من وفادته على تقيف محزوناً  
مكروباً وقد آوى من التعب والجهد إلى ظل  
بستان من العنب ، وما كان بينه وبين عداس  
يوم ذاك . وذلك التي قص فيها قصة كعب  
ابن مالك الأنصاري وزميله الذين تخلفا معه  
عن غزوة تبوك ، وكيف صدق كعب  
رسول الله فلم يعتذر كذباً ، وكيف فوض  
النبي عليه السلام أمر كعب وأمر صاحبيه  
إلى الله . ثم أمر صحابه بمفوتهم ومجرم  
خمسين يوماً حتى نزل فيهم قرآن غفر الله لهم  
فيه . وهي قصة رائعة حقاً لكعب . صورها  
قلم المؤلف تصويراً لا يجارى ولا يبارى  
في الصدق والعمق وبراعة الأداء لم أستطع  
معه حبس دمي كما لم أستطع حين قرأت  
حديثه عن عودة النبي من وفادة تقيف .  
وكذلك تلك التي تحدث فيها عن حديث النبي

وهو في هذا الفصل الموجز الواضح البين  
قد تلخص بمقدرة فائقة هذه المذاهب المختلفة التي  
شقي الناس وما زال بعضهم يشقي في فهمها  
وإدراك معانيها عن تلك الكتب الكثيرة  
المعقدة التي قصصها وتحدث عنها في توسع  
أو إيجاز ، أو توسط بين التوسع والإيجاز .  
وأشهد أني فهمت من حديثه هذا الواضح  
الدقيق عن قول المعتزلة في خلق القرآن  
أكثر وأدق وأوضح عما فهمت عن هذا القول  
فيما قرأت من الكتب في ذلك . وما هي بقليلة .  
وفهمت هذا الذي فهمته كثيراً دقيقاً واضحاً  
في صفحة وبعض صفحة من «مرآة الإسلام» .

ثم ينتهي الكتاب بصفحات موجزة أيضاً  
عن حاضر الأمة الإسلامية وعن السبل إلى  
يفظتها ونهوضها ، وهو حديث يوشك أن  
يكون ثورة ، سنعود للحديث عنه في ختام  
هذا المقال .

وبسكني أن أقول إن هذه الأجاذب كلها  
نطالعها في «مرآة الإسلام» بقلم طه حسين ،  
وما أنا بحاجة بعد ذلك لأن أصف ما فيها  
من الرقة والدقة والصفاء والخلاصة الأخاذة  
الأسرة والوضوح .

٢ — والمرأة من شأنها أن تظهر وتوضح  
وتبرز ، وليس من شأنها أن تعلل وتحلل  
وتظهر على الأصول والأسباب . وفي المرأة

كان خيراً لنا وللقارئ أن نسمع فيها منه شيئاً من الإبانة والتفصيل والتعليل : كذلك القضية التي سجل فيها أن « أمراً ما جعل المسلمين » يأخذون كثيراً من العلم عن زوجات النبي بعد وفاته ، وكما كنا نفيد ونفهم لو أن الدكتور المؤلف شرح لنا هذا الأمر .

وهناك أشياء تحتاج كذلك إلى شيء من الإيضاح والبيان ، فإني لم أفهم مثلاً قوله في إيجاز القرآن : « إن الذين يقرءونه أو يسمعونه دون أن يؤمنوا به يكذبون على أنفسهم ... الخ ( ص ١٥١ - ١٥٢ ) » وبعد هذه الصفحة نفسها أمور يمكن أن تناقش ونتمن وتتمحور .

٣ - على أن هناك أشياء أخرى قرأتها ووقفت عندها ولعل لأهل العلم والخبرة فيها رأياً . فهو يرى أن السورة التي نتناول موضوعاً واحداً من سور القرآن « ترجيح » أنها نزلت جملة ( ص ٨٩ ) وكذلك تلك التي « تداعي موضوعاتها تداعياً شديداً ويلزم فيها نسق بعينه » . وكذلك العكس . وما أدري في سور القرآن ونزولها هل يمكن التفهم والاستنتاج والترجيح ؟ أم الأمر كأنه أمر توقيف لا مدخل فيه للفهم والاستنتاج والترجيح ثم نجد فوق ذلك آراء لا يذكرها الدكتور المؤلف على أنها « ترجيح » بل يذكرها بوضع يكاد أن يكون ملزماً قاصداً .

قبل موته عن ذلك العبد الذي خيره الله بين هذه الدنيا وما عنده فاختار ما عنده : ذلك الحديث الذي أدرك منه أبو بكر وحده أن رسول الله وأهل عندهم إلى ربه فقال : بل قد يدرك بآبائنا وأمهاتنا . وتلك الصفحات الرائعة من أول الكتاب الثاني ، التي بين فيها أن معجزة النبي الكبرى هي القرآن .

وإلى جانب هذه الصفحات الرائعة البينة ، نجد بطوى بعض الأمور طبعاً ويتحاشى بذلك المسالك الشائكة والأمور التي يتجادل فيها أهل التفسير وأهل السيرة وأهل العقيدة فهو يروي قصة الإسراء ونكذوب قريش لها واستهواها قول النبي فيها ، يروي ذلك كله في سطور قليلة ولكنها تسير على القول بأن الإسراء كان بالجد . وبذلك يتحاشى كل هذا الذي قيل من أنها كانت بإسراء الروح أو أنها كانت قريباً منام . إلى آخر هذا الجدل الذي نجده عند أهل التفسير وأهل السيرة وأهل العقيدة . والدكتور المؤلف متلائم بذلك مع دعوة التي يدعو إليها في الكتاب . وهي أن نأخذ القرآن بظاهر لفظه ونفهمه كما فهمه صحابة الرسول يوم نزل على النبي فتلاه عليهم . وأن نقف عند ذلك . ونجد كذلك من الأمور التي طواها وتحاشاها حديثه عن الإيمان .

وبمر كذلك مروراً عابراً على قضايا

من السخف لا ينبغي أن يقبل أو يطمأن إليه .  
ثم نجده يقول بعد ذلك بقليل إن العرب  
« لما يكادوا يتأثرون تأثراً ذابال بمن جلورهم  
من اليهود والنصارى ، وبجعل حكمه هذا  
شاملاً لأهل اليرب وأهل المندر على السواء » .  
ويقول إن قريشاً « لم يثبتوا ، وفروا »  
عند ما قدم أبرهة لحدم الكعبة . ثم يقول قبل  
ذلك بصفحة واحدة إن عبد المطلب « أشار  
على قريش أن تغل مكة وتلوذ بشعاف الجبال  
وتغل بين هذا الجيش وبين ما يريد » فقريش  
على ذلك لم تحارب ولم تواجه أبرهة بقتال حتى  
يقال إنها « فرت ولم تثبت » ولا أريد أن  
أقول - وحاشاى - إن في هذا الذى ذكرته  
شيئاً من التناقض . وقصارى أن أقول إنه كلام  
يحتاج ، كما يقول العلماء ، إلى « تحرير » .

وكذلك يقول الدكتور إن علياً رضى الله  
عنه امتنع عن بيعه أبى بكر أول الأمر لأن  
هذا منع فاطمة ميراث أبيها عليه السلام .  
فغضبت لذلك وغضب معها على . وحديث  
مطالبة فاطمة أبى بكر بميراث أبيها حديثه  
واقع صحيح لعرف جواب أبى بكر عنه وأنه  
قال إنه سمع رسول الله يقول : « نحن معاشرة  
الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة » . وواقع  
صحيح أيضاً أن فاطمة غضبت من أبى بكر  
وغضب معها على وظلام غضبين له حتى ماتت  
فاطمة بعد ستة أشهر . ولكن المؤرخين الثقات  
- ونحن معهم - ينكرون أن يكون منع

فهو يرى مثلاً أن سورة يوسف « أنزلت جملة ،  
وكذلك يقول القول نفسه في سورة هود ،  
و « الانفصال » ، ويذكر لذلك أسباباً  
شرحها . ولكننا حين قفتح المصحف  
بين أيدينا على مطلع سورة يوسف نجده  
يسجل أنها « مكية إلا الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٧ »  
فدنية ، وحين نبدأ في القراءة من الآية  
الرابعة - حيث تبدأ قصة يوسف نفسها - نجد  
الآية السابعة في موضوع القصة أيضاً . وهي ،  
كما نجد في المصحف مدنية . بين آيات مكية  
« تتحدث عن موضوع واحد » ، وكذلك الأمر  
في سورة هود ، و « الأنفال » ، فالأول  
منهما نجد المصاحف تسجل أنها : مكية ،  
إلا الآيات ١٢ ، ١٧ ، ١٤ ، فدنية ، والثانية  
يسجل المصحف أنها : « مدنية إلا من آية ٣ »  
إلى غاية آية ٣٦ فمكية .

وإني أجمل هذا الذى قرأته في « المرأة »  
ووقفت عنده لأقول إن أهل العلم والخبرة  
قد يكون لهم فيه رأى آخر .

ويقرر الدكتور المؤلف في صدر الجزء  
الأول من الكتاب أن العرب كانوا يعرفون  
كثيراً من شؤون الفرس والروم والحبشة  
أيضاً ، ويذكر من تنصر من قريش كورقة  
وزيد بن عمرو . كما يذكر شعر النابغة ودهير  
والأعشى وأمية بن أبى الصلت الذى كاد أن  
يسلم كما تحدث عنه النبي عليه الصلاة والسلام .  
يقول : إن القول بعزلة الأمة العربية مخف



.. ما قل - عليها ، ويلزم ، ويدعو لأن نلزم ،  
هذه القاعدة في فهم وتفسيره .

وهذه دعوة فنقد أنها صواب وحق .  
وأنا جئت في وقت الحاجة إليها . فقد نجد  
الآن اتجاهها أو رغبة أو لهفة على تفسير القرآن  
بالعلم أو في فهم الآيات التي تعرضت للكون  
والحياة والخلق فهماً عليها . وهي نزعة نزعتها  
في العصر الحديث المرحوم الشيخ طنطاوي  
بجوهري . فلقيت رواجاً وتقديراً في بعض  
البيئات الإسلامية الثانية . ولكنني اعتقد  
أنها تطوى على مخاض نحن في غنية عنها وعن  
تريض القرآن والعقيدة لها .

وقد رأينا قبل مائة سنة مفسراً عظيماً يفسر  
آية من كتاب الله مستخدماً ما عرف من العلم ،  
فحدث عن تجربة . وصل إليه خبرها عن  
الطيران وأن من حاولها سقط بطائرته ،  
ففرح صاحبنا المفسر الشيخ وقال إن هذا  
الذي حاول الطيران قد ذهب ، إلى حيث  
ألفت ، ودون تلفت جهنم ، لأنه أراد أن  
يستخدم الريح التي يحركها الله لسليمان وحده  
وجعلها له معجزة وكرامة .

ولذلك ينكر الأستاذ الدكتور طه حسين  
تفسير الإمام محمد عبده للطير الأبايل التي  
ذكرت في سورة الفيل ، وأنها كانت من  
المكروبات التي تحمل المرض . وكذلك نجد

أبي بكر فاطمة من ميراثه أدياً هو السبب في  
أن يحجب على البيئة حتى تحوت فاطمة .

١ - والدكتور المؤلف يستخدم القرآن  
استخداماً جبلاً موقفاً في رسم الصورة عن  
حياة النبي وعن سير الدعوة أول أمرها  
خاصة ، وعن علاقة النبي عليه السلام باليهود  
وما لقي منهم من شر وأذى ونكر .  
وما صنعوا معه من المكر والخيل ، ومجادته  
لم والنصارى عن إبراهيم وعيسى وغير ذلك  
وتصوره نفوس المتألفين وحياتهم وموقفهم  
من النبي والمسلمين تصوير رائع سهل عميق .  
وقد استخدم المؤلف آيات القرآن الكريم  
أصدق استخدام وأجمل في مواضعها من ذلك  
كله . كذلك استخدم شيئاً غير قليل من العلم ،  
وعلم النفس خاصة في تحليل الصور التي عرضها  
أو تحليلها . كذلك الذي فعل عند حديثه عن  
رأس الشوك : عبد الله بن أبي بن سلول  
وكيده للسليين وشفاء حقه عليه السلام .

ويرى أن القرآن هو معجزة النبي الكبرى  
والتي تحدى به ثم يجز قريش من تقليده  
والإنبياء بمثله مما دليل صدقه والآية على  
أنه من كلام الله ، وكذلك الملائمة بين  
موضوعات الآيات وبين سياغة القول ونسقه  
ويرى - كما أشرنا من قبل - أن القرآن  
يجب أن يفهم كما فهمه صحابة الرسول أول

صحيحة . ونحن نعرف أن ذلك قول الإمام  
ابن حنبل رضى الله عنه

هـ - وفى « مرآة الإسلام » أشياء  
أحسست وأنا أقرأها أنها قد تشير إلى شيء .  
وأنها تشير بعض التأمل والتساؤل . من ذلك  
قول المؤلف إن العرب قبل الجاهلية لم يكونوا  
بدائيين ، بل كان لهم شيء من حضارة نالوها  
بحكم صلاتهم بمجاوريهم من الفرس والروم ،  
وأهم كانوا يتصلون بأهل اليهودية والمسيحية  
كما كان أهل مكة يتصلون « بأهم متحضرة  
في الشام ومصر وفى العراق وبلاد فارس  
أيضاً . وكانوا « يرون ، مذاهب هذه الأمم  
في الحياة ومذاهبهم في الدين أيضاً . فلم يكن  
من الممكن - كما يقول الدكتور - أن يؤمنوا  
بهذه السحافات التي كان يؤمن بها العرب  
الوثنيون ، . وكذلك قوله إنه كان في مكة  
أجانب أكثرهم من المسيحيين وفيهم اليهودي  
والمجوسى . وأن قريشا كانت تحس ، قبل  
البعثة بقصور حياتها الاجتماعية عن إقامة  
العدل بين الناس ، ولذلك كان تحالف طائفة  
من خيارهم وسادتهم في حلف الفضول الذي  
شارك فيه النبي وأثنى عليه . فهل لهذه الحقائق  
والإشارات صلة بقضية الدين وتأثره  
بالبينة . . . ؟

وفى المرآة أشياء كان فيها المؤلف حذراً  
حذراً يلائم المقام ولا يتعارض مع آراء

الدكتور طه متشياً مع قاعدته تلك في تفسيره  
للآية الكريمة : « وما يصلح تأويله إلا الله »  
والراحمون في العلم يقولون آمنا به كل من عند  
ربنا ، فيجعل علم تأويله لله وحده . والراحمون  
في العلم يؤمنون به من غير علم بتأويله .  
وكما يضع هذه القاعدة في فهم القرآن  
- أو يختارها - كذلك يضع أو يختار قاعدة  
في علم الحديث وهي أن صحة السند ليست  
دليلاً على صحة الحديث نفسه . ويقول إن  
« القرآن جامع لما يحتاج له المسلمون » وهو  
كما يتشد هذا التشدد في فهم القرآن وفى نقل  
الحديث يتشد كذلك في فهم - أو في قبول -  
الإيمان وفى حقيقة العقيدة وأداء التكليف .  
فهو يرى أن « حسن النية وصدق الإيمان »  
حين أداء العبادة شرط لصحة هذه العبادة .  
ويقول فى ذلك كلاماً جليلاً وددت لو اقتبس  
كله لولا أنى أطلت إطالة لم تسكن لى على بال .  
وخلاصة هذا الكلام الجليل أن إخلاص  
النية لله فيما يؤدى الإنسان من الفرائض  
وما يأتى من أعمال الخير والبر شرط لصحة  
ما يأتى وما يدع ، وقبول ذلك من الله تعالى ،  
والنية لا تكون بالآلة وحدها وإنما يجب  
أن نكون فى أعماق القلوب ، بإخلاص النية  
وصدق الإيمان عند العبادة ليسا عنده شرط  
كامل فقط ولا قبول فقط ، بل هما « شرط  
صحة » لهذه العبادة . وهى بدونهما فاسدة غير

فإذا بدأنا نطالع الصفحة التاسعة والثلاثين بعد المائة فنحن نبدأ الكتاب الثاني من «مرآة الإسلام» فنجد فصلاً جميلاً مفصلاً موجزاً معاً عن الأصل الثاني من أصل الإسلام : الحديث . وفي هذا الفصل الجليل المفصل الموجز نجد شرحاً بيناً واضحاً لمسائل من شئون الدين والعقيدة أغنانا بها المؤلف عن مراجعة مسيرة شاقة لعشرات من الكتب والشروح والحواشي والتقارير إلى آخر هذه الأسماء التي عرفها ودرقناها ويعرفها من يريد أن يقرأ هذه المسائل من شئون الدين والعقيدة في المؤلفات القديمة التي ابيض ورق بعضها وبقي ما في هذا الورق من العلم والجدل والخلاف كما هو .

نجد شرحاً بيناً واضحاً للسنة الفعلية والقولية وأن « ما ثبت منها » قد أمر المسلمون بأن يعتقدوه ويعملوا به ، وأن النبي بحديثه هذا كان أول مفسر القرآن بالقول والعمل . ونجد شرحاً موجزاً ولكنه واضح عن الإيمان وأنه يزيد وينقص ولا داعي لتكلف الدليل على ذلك قصد نص الله على ذلك في القرآن . كما نجد شرحاً بيناً موجزاً عن فرق ما بين الإيمان والإسلام . وهو في هذه الأحاديث كلها لا يعتمد إلا على القرآن ولا يستدل بشيء غيره . ثم تيسر في أحاديث بارعة صادقة خلاصة مفيدة أشرنا إلى شيء

قررهما من قبل في كتب سابقة له معروفة قائلها الناس يوم قرأها بقليل من الرضى وكثير من الغضب ؛ ولكنها كانت مثار اهتمام من هؤلاء وهؤلاء جميعاً ، نحمد لذلك مثلاً من قوله : « إن صح ما نسب إليهم من الشعر ، يفصد بذلك الشعر الجاهلي . وهو يذكر في مكان آخر كلمة « الشعر » مجردة من نسبتها ووصفها . وهذه قضية قديمة بمسما الدكتور مساً هيئاً رقيقاً . ونحمد لذلك مثلاً آخر حين يتحدث المؤلف عن الخصومة بين قريش وعبد المطلب وعن احتكامهم إلى الكهان في هذه الخصومة وعن تلك الآيات التي ظهرت لقريش - فيما يقول أصحاب الأخبار - فأقنعت هذه الآيات قريشاً بأن عبد المطلب ليس متكذباً ولا متكلفاً . وهو في هذه المواضع وأمثالها يكثر من ذكر كلمات : « فيما يقول الرواة » و : « قال أصحاب السيرة » و : « ويقال » و : « يحدث رواية السيرة » وأمثال هذه الجمل والكلمات . ويذكر بعض ذلك في حديث الفار يوم الهجرة ثم يكتل بعد هذه الجمل الاعتراضية انتقالاتاً بارعة فيقول : « والشيء الذي لا شك فيه أن أبا بكر قد كان فلقاً في الفار يخشى أن يدركهما المطلب » ثم يذكر قول الله تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الفار » الآية .

## النَّبَاتُ الْبَقَا فِي الْأَزْهَرِ

محاضرات عامة وخاصة :

ليستمعوا إلى برامج المحاضرات التي نسقتها  
الإدارة العامة للثقافة الإسلامية . .

والحياة التي مرت في أرجاء هذه القاعة  
الفسحة تسد فراغا كان أولو الغيرة يشعرون  
معه بالضييق ، فإن الجامعات الكبرى بالشرق  
الإسلامي - وفي طليعتها مثلا الجامعات

بدأت قاعة المحاضرات الكبرى بالجامع  
الأزهر تؤدي رسالتها المنشودة ودب النشاط  
مضاعفا في هذا المكان العتيق ، فإذا هو بعد  
ركود طال أمسه يستقبل أنوف الوافدين

٧ - هذه نظرات في مرآة الإسلام ،  
نقول بعدها إن هذا الكتاب هو أصلح  
ما يمكن أن يوضع بين أيدي تلاميذ المدارس  
وطلبة السنوات الأولى من الجامعات ومن  
في مستواهم ليعرفوا منه ما لا بد أن يعرفوا  
عن الإسلام وزوله ودعوته . وعن القرآن  
وحديث الرسول وأصول العقيدة . ثم هو  
بعد ذلك خير ما يمكن أن يترجم إلى اللغات  
الأوربية وغيرها ليعرف منه غير المسلمين  
ما يجب أن نعرفهم به من ذلك . هذه المرأة  
أعتقد أنها خير ما يمكن أن يترجم إلى اللغات  
الأخرى للتعريف بالإسلام ، لولا أني أخشى  
سوء الأثر وسوء الفهم من ترجمة فصوله  
الآخيرة التي صور فيها انحراف المسلمين عن  
قرآنهم ودينهم وستة نبيهم .

محمد الشرفاوي

منها من قبل ، حتى ينتهي بنا الكتاب إلى  
حاضر الأمة الإسلامية ، فإذا نحن أمام  
حديث مخلص يوشك أن يكون ثورة جارئة .  
وتنبه وإنذار شديد الوقع قوي صادق  
العاطفة يتلوه ما يراه صاحب المرأة - وزوا  
معه - سيلا لليفة والنهوض وإصلاح  
حاضر الأمة الإسلامية . وبذلك يوفي  
الكتاب على غايته .

ولعل هذا الكتاب أول كتاب يقرأه  
الناس للدكتور طه حسين وعن تلك الدار  
التي أخرجته وطبعته خاصة نحمد فيه خطأ  
ولحناً وقصوراً في الفواصل ، وقد كان ذلك  
معتلا لولا أنه أحسن في الكثرة ، ولولا أنه  
تعدى حديث المؤلف إلى الخطأ في آيات  
القرآن الكريم ، كما نجد في صفحات ٨٦ ،

على عبد الواحد وافي ، وكان الموضوع الذي نسلت فيه محاضرات الدكتور محمد البهي هو : « الشيوعية - الاستعمار - الصهيونية » أما الأستاذ المدني فتحدث تحت عنوان « من القرآن » وتولى الدكتور وافي الكلام عن نظام الملكية في الاسلام .

ولا تزال دورات هذه الدراسة الأسبوعية تحصل بها قاعة المحاضرات . بين وفود متجددة من أمعاء القطر يذهب فريق ليحل مكانه آخر أما المحاضرات العامة فقد ألتقى خلال هذا الشهر عدد منها مساء كل ثلاثاء ، فتحدث الأستاذ السيد علي السيد رئيس مجلس الدولة عن الاسلام والعلم ، ومحاضرته منشورة في هذا العدد ، والأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوي عن فكرة الدولة في الاسلام ، والدكتور محمد البهي عن الاسلام دين المستوى الكامل في الانسانيه ، والدكتور علي عبد الواحد وافي عن الاسلام في المجتمع العربي ، كما ألقى الأستاذ الحاج آدم خالد نائب رئيس وزراء أفونيسيا ، ورئيس حزب نهضة العلماء محاضرة حول التضامن الاسلامي . كما ألقى الدكتور / محمد عبد الله العربي محاضرة موضوعها - الإلحاد الشيوعي وآثاره في النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وألقى الأستاذ / محمد فريد ابو حديد محاضرة جيدة عن الموارث الثقافية في حياتنا .

الأمريكية بالقاهرة وبيروت - تولى قاعات المحاضرات اعتناء خاصا ، وتخدم لروادها زادا معينا من الأفكار والمشاعر ، فكان لابد أن يضطلع الأزهر وهو الأمين على تراث العروبة والاسلام بمسبب التوجيه الصحيح وأن يصل الأجيال المعاصرة بمصادر انبعاثها الروحي والعقلي مصفاة من كل شائبة ، وأن يدفع التيارات الدخيلة على بنى تاحلاد نهضتها المرجوة بآمن من الريب والمثار . . وقد عني المشرفون على القاعة بإقامة نشاطها الثقافي على تلك الأسس الواضحة . فقدموا لوفين متميزين من المحاضرات .

(أ) البرامج التي يحتشد لها جماهير الوفاة وأئمة المساجد وتعتمد على التبعة العلمية المنظمة ونسب أن تكون استكالا للدراسات العليا التي يحتاج إليها الدعاة والخطباء في صلاتهم بمجسور الشعب .

(ب) المحاضرات العامة ، وهي علاج لثقى الفضايا الاجتماعية والتاريخية على ضوء الحقائق الإسلامية ، ويدعى لها جماهير ضفيرة من المؤمنين بهذه الشؤون ، وغيرهم .

وانتظمت الدراسات العليا بالقاعة ابتداء من صباح ٥ شوال سنة ١٣٧٨ ، في حصص رتيبة ، قام بالجهد الأكبر فيها الأستاذ الدكتور محمد البهي ، والأستاذ محمد المدني ، والدكتور

## التعبئة الروحية في الأزهر

اجتمعت اللجنة المشتركة للتعبئة الروحية برئاسة فضيلة الأستاذ وكيل الجامع الأزهر الشيخ محمد نور الحسن وعضوية السادة : الدكتور محمد البهي مدير عام الثقافة الإسلامية بالأزهر والسيد مراقب عام الشؤون الدينية بوزارة الأوقاف والسيد مدير عام الوعظ والإرشاد بالأزهر والسيد وكيل قسم المساجد وذلك بعد ظهر يوم الاثنين الموافق ٢٨ من رمضان المعظم الموافق ٩ من أبريل سنة ١٩٥٩ وقررت ما يأتي :

١ - أن يعد الوعاظ والأئمة إعداداً قصير الأجل لمدة أسبوع على أن يوضع لهذا الإعداد برنامج مفصل ويقوم بهذا الإعداد أساتذة متخصصون ممن عرفوا بالبحث في مثل هذه الموضوعات على أن تلقى المحاضرات بالأزهر وأن يقوم ثلاثة من الأساتذة المحاضرين بإلقاء ثلاث محاضرات يومية .

٢ - أن تقام ندوات علمية يشترك فيها عدد من الأساتذة لمناقشة بعض الفكر والمبادئ التي تتم بطابع الاعتداء على التوجيه الإسلامي والتي من شأنها أن تغري الشباب وتعرف به عن الصراط المستقيم . والأمكنة لإقامة هذه الندوات على سبيل المثال ( قاعة المحاضرات ) ، ( الليسيه فرنيه ) ( مدرجات

الجامعة ) ( قاعة الجمعية الجغرافية ) ( الشبان المسلمين ) بعض أندية الضباط .

٣ - تقوم بعض المجلات الدينية كمجلة الأزهر ، والمساجد ، ونور الإسلام ، بنشر الفكر الموجهة ضد الانحراف والمبادئ الخاطئة التي من شأنها أن تفسد عقول الشباب والمجتمع ومن أجل ذلك رأت اللجنة استعراؤ إصدار مجلة الأزهر في شهر ذي القعدة ونفى الحجة بالإضافة إلى مجلتى المساجد ونور الإسلام . على ألا يقف هذا النشاط الكتابي عند حد هذه المجلات وإنما تزود المجلات الأسبوعية والمصحف ببعض المقالات التي لها طابع على معالجة هذا الجانب ومواجهة آثاره الضارة .

٤ - وبجانب هذا كله ترى اللجنة الاتصال بمراقبة شئون الثقافة بالإذاعة للإسهام عن طريق المذيعين المجددين في هذه الموضوعات في برامجها وعلى أن يخصص بعض الوقت لإذاعة بعض الندوات السابقة .

## بيان لعلواء الوعظ والإرشاد

عقد علماء الوعظ والإرشاد مؤتمراً عاماً بالجامع الأزهر برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله المشد مدير الوعظ واستعرضوا ما وصلت إليه الحالة في العراق من طغيان الشيوعية الهدامة وسفكها لنماء الأحرار فأصدروا هذا البيان واتخذوا هذه القرارات :

من قلب العروبة ( دمشق ) فولدت قلوب  
الهدامين والمملاء المأجورين .

أما هذه الدماء التي بذلها الأحرار في العراق  
في سبيل دفع عدوان الشيوعية وفوضى  
الإلحادية فهي دماء طاهرة زكية كتب الله  
لأصحابها الخلود في جنات النعيم .

وليس جديداً على المسلمين أن يتمتعوا  
في عقائدهم ومقدساتهم فلطالما نالهم الشدائد  
وتجمعت عليهم الأحداث فما وهنوا لما  
أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا .

وإننا نثيب بجميع العرب والمسلمين  
في شق أقطارهم أن ينهضوا للدفاع عن دينهم  
وأوطانهم وأن ينلوا في هذه السبيل نفوسهم  
وأموالهم حتى يؤدوا واجب الجهاد المقدس  
الذي فرضه الله على المسلمين في مثل هذه  
المواقف الحاسمة في تاريخ الإسلام

وما هي ذي القرارات التي أصدرها المؤتمر :  
١ - استنكار ما تقوم به حكومة العراق  
ضد شعب العراق من إرهاب وتقتيل  
وتخريب .

٢ - تأييد الرئيس المحبوب جمال عبدالناصر  
في وقته الخالدة ضد الشيوعية الباغية ونصرته  
لدين الله ومقدسات العروبة .

٣ - تلبية نداء الأستاذ الأكبر شيخ  
الجامع الأزهر بالعمل على أداء الرسالة  
وتبليغ الأمانة في هذه الساعات العاصلة  
حتى يتم النصر لله ولرسوله وللمؤمنين .

في هذه الساعات الحاسمة من تاريخ الأمة  
العربية يتحن المسلمون بحوادث العراق  
استحساناً يظهر ما في قلوبهم من غيرة على دينهم  
ومقدساتهم وما لديهم من قوة كامنة يدفعون  
بها الأخطار والشدائد ... لقد اختار أعداء  
الإسلام وأعداء العرب ، العراق الإسلامي  
ميداناً لجرائعهم ووحشيتهم فلما منهم أن ذلك  
يمكن لجباذهم الهدامة وشیوعيتهم المخربة ..  
وظاب عنهم أن وجه العراق وجه إسلامي  
عربي ، منذ أشرق على العالم نور هذا  
الدين العظيم ، والمسلمون اليوم في وعي كامل  
ونهمزة شاملة لا تنطلي عليهم الأعيب الاستمرار  
وهم مطمئنون إلى قوة مبادئ الإسلام  
كما يعرفون عن الشيوعية خطرها الهدام  
في إنفائها شخصية الفرد واتخاذها آلهة صماء  
تتحركها دكتاتورية طاغية لا تؤمن بالله  
ولا تترف بشيء من القيم الروحية  
والمسلمون لن يرضوا أن يكونوا عبيداً  
لأحد ولا أنبساطاً لقوة تستمد سلطانها  
من المادية والفوضى .

إننا سنقف إلى جوار مبادئ الدين الخالدة  
مؤيدين بالفطرة السليمة والحجة الواضحة  
مقدين مسئوليتنا في الدعوة . مجاهدين  
في سبيل دفع الخطر الدخيل عن بلادنا .  
وإن لنا من مبادئ الإسلام التي تحملنا  
أمانتها أقوى حافز للكفاح ولنا في قيادة  
الرئيس المحبوب جمال عبد الناصر مثل رائع  
في وقته الموفقة وصيحه المدوية التي أطلقها

# الإسلام والمسلمون في صحف العالم

أكبر مركز ديني ؛ لما يتمتع به من سلطة وكثرة الطلاب الذين يتلقون علومهم الدينية فيه من أنحاء البلاد ؛ ولأن استرقاء النظر إلى الشيوعية الملعنة التي وصفت بأنها أكبر خطر على شعب متدين كالشعب العربي يأخذ في حياته المدنية بتعاليم القرآن ، سيكون حافزاً لاتخاذ موقف سريع إزاء الشيوعية .

ثم أوردت الجريدة بعض الشواهد التي تريد دعوة شيخ الأزهر فقالت : إن موقف زعيم الحزب التقدمي في أوغندا الذي أعلن أن الشيوعية إنكار لكرامة الفرد ، وأن مضاعفة الجهود في تثقيف الشبان الإفريقيين في « براغ » تثقيفاً مناهضاً للدين على أيدي معلمين شيوعيين يؤكد أقوال الشيخ شلتوت .

## الاسموم والشيوعية :

وتحت عنوان « الإسلام والشيوعية » قالت جريدة « البوبولو » الإيطالية : لقد أعلن شيخ الجامع الأزهر في القاهرة هذه الحرب المقدسة على الشيوعية ، والأمم — كما ترى — يتعلق بمحدث قد يؤدي إلى نتائج لم تكن متوقعة ، صحيح إن الحرب المقدسة

استمرت الصحف العالمية طوال النهر الماضي في اهتمامها بالحديث عن الموقف بين الإسلام والشيوعية ، ولكن مدار الحديث عن النداء الذي أذاعه فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بتعبئة العالم الإسلامي ضد الشيوعية والعمل لإفقاد البشرية من هوة الفوضى والإلحاد ، وقد أثار المعلقون السياسيون أكثر من سؤال عن المدى الذي يمكن أن يبلغه الإسلام في هذا المجال ، والنتائج التي يمكن أن يحققها إذا دعاوى الشيوعية وأساليها ، وقدرته على التمسك مع مطالب الحياة المصرية ، والاستجابة لما يؤثره الناس في مصالحهم العامة والخاصة ، ولوحظ أن الصحف الإيطالية كانت أكثر الصحف اهتماماً بهذا الموضوع ، وتناوله من نواحي متعددة .

## نعت الاسموم روحياً :

فقد قالت جريدة « السيكلو » الإيطالية : إن نداء الشيخ شلتوت سوف يحمّد أذا ما مصغية في جميع أنحاء العالم الإسلامي ؛ لأن جميع الأوساط العلمية الإسلامية تعتبر الأزهر



الإسلام من المعركة سلباً ؟ وهل لديه المرونة وروحية الأفق حتى يتسع لشعب يسير نحو عصر صناعات عظيم على غرار ما فعلت الولايات المتحدة وبلدان غرب أوروبا .

ثم تصدت الجريدة للإجابة عن هذه الأسئلة فأهربت عن شكها في قدرة الإسلام على مواجهة التحدي الشيوعي ، وزعمت أن أعظم نقطة ضعف في الجبهة التي يجب على الإسلام أن يفوقها في مواجهة التحدي الشيوعي هي فشله ، أو فشل العلماء المسلمين ، في إيجاد فلسفة دينية متطورة تناسب العصر الحديث أو خلق أدب قادر على نقل الأفكار الحديثة وترجمتها لأهل .

ومضت الجريدة فوجهت إلى الإسلام بعض الانتقادات هي في الحقيقة انتقادات للسليبي في حياته لا إلى الإسلام في جوهره ، وقد اعتمدت الجريدة البريطانية في إيراد هذه الانتقادات على كتاب « حياة محمد » الذي ألفه المستشرق الفرنسي « درمنيم » وهو كتاب مملوء بالأخطاء في الحكم على تعاليم الإسلام وتقدير أثرها في حياة المسلمين ، وإن كان مؤلفه قد كتب بروح الإنصاف لتي الإسلام الكريم ، وقد نقل الأستاذ عادل زعير هذا الكتاب إلى اللغة العربية ، وكان المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل قد اعتمد عليه عند ما يبدأ بؤلف كتابه « حياة محمد » .

ليس من الضروري أن تعني الحرب المسلحة ، ولكن الجدير بالملاحظة هو أن مبادئ الجامع الأزهر ترمي إلى تعبئة العالم الإسلامي بأسره تأييداً لأمانى الوحدة في العالم العربي . هذا هو المعنى الحقيقي للحرب المقدسة التي ينوون شعلتها على الشيوعية ، وهناك دافعان يبرزان هذه الحرب . أولاً : الخطر الذي يهدد بالقضاء على العالم الإسلامي في هوة الإلحاد ، والثاني : حماية الإسلام من الخطر المقبل من العراق حيث يهدف الشيوعيون إلى القضاء على الدين الإسلامي ودفع سكان العراق إلى ظلمات الإلحاد والكراهية ، ومن هنا ندرك أن الحرب المقدسة أعلنت كوسيلة لتنشيط وحدة الإسلام ضد أخطار الانحلال السبائي والديني وهو الرأي الذي ينادى به حكام الجمهورية العربية المتحدة . وختمت الجريدة مقالها قائلة : ونحن إذا لاحظنا أن آيات الجهاد في القرآن ، وهو الكتاب المقدس عند المسلمين تتحدث عن الحرب المقدسة في لهجة قوية نارية ، وأنه لا يمكن في هذه الحال مهادة العدو أدركنا أن الشرق أصبح ميداناً لمعركة بين عقيدتين .

### الاسموم والنمري السبوهي :

أما صحيفة « جويش أورزفر » البريطانية فقد أثارَت في الموضوع أكثر من سؤال ، فتساءلت قائلة : هل يقدر الإسلام على مواجهة التحدي الشيوعي ؟ وهل سيخرج

ويبدو أن كاتب المقال في الصحيفة البريطانية يجهل كل الجمل حياة المسلمين ، وتعاليم الإسلام . الحقيقة التي يشير إليها ، وأنه اعتمد فيها أورده من كلام على ما كتبه « درمنج » وتلقفه عما كان يقال عن حياة المسلمين منذ نصف قرن ، ولو كان الكاتب على علم بحقيقة حال المسلمين اليوم ، وبما يمثل في تعاليم الإسلام ، من سماحة تسع آفاقها لكل ما تشهده المدنية الحديثة من جد ، لأدرك أنه يتحدث في قضية غير ذات موضوع وأنه أورد كلاما لا يمت إلى الحقيقة بسبب ، ونحن نقول لهذا الكاتب ولأمثاله من المرتابين : اطمئنا ، فإن الإسلام أقدر ما يكون على مواجهة التحدى الشيوعي وكل تحد يقنكب طريق الخير . فإن الإسلام دين الإنسانية الكريمة ، وكل غاية إكرام هذه الإنسانية وإعزازها ودعمها ، ولن تهون الإنسانية أمام أية دعوى باطلة ، إلا إذا هان العالم كله .

#### مطامع روسيا في الدول الإسلامية :

وتناولت جريدة « فيوريوك تايمز » الأمريكية موضوع الإسلام والشيوعية من ناحية ثانية ، هي الناحية السياسية ، فكتبت تحت عنوان « مطامع روسيا في الدول الإسلامية » تقول : من الأشياء الغريبة

وبما أخذته الجريدة البريطانية على الإسلام في هذا الصدد مسألة إباحة الطلاق ، ومسألة تعدد الزوجات ، ووقوع الطلاق من جانب واحد ، وهي مسائل طال فيها الأخذ والرد ، فطالما شنع بها المتحاملون على الإسلام ، وطالما تصدى لتفنيدها المكالمون عنه ، حتى أصبح الحديث فيها من قافه القول ، وكان الصحيفة البريطانية ترى أن تعدد الزوجات في الإسلام أشنع مما هو سائد في الاتحاد السوفيتي من الإباحية الجنسية ، والشيوع في الصلة بين الرجل والمرأة ، أو بما هو سائد في الولايات المتحدة التي يتحدث عنها وفي عرب أوربا من تعدد الأزواج أو على الأصح تعدد المعاشرة الجنسية سواء بين الزوجة وأصدقائها ، أو بين الزوج وصديقاته .

ثم تحدثت الجريدة البريطانية عن قضية التجديد في العالم الإسلامي فقالت إن المجددين يحدون أنفسهم أمام جمهور غير مستعد أو غير قادر على تفهم إنتاجهم . وفي مطلع هذا القرن دعا المصلح العظيم محمد عبده إلى السير بأمور الدين في طريق التطور الإنساني إلا أن هذه الإمكانيات كما يوضح « درمنج » لم تستغل استغلالا كاملا ، مع أنها لو استغلت صوف تقود إلى نهضة اجتماعية ودينية ، وتغلب على الجود الذي يعتبر في الحقيقة أكثر خطراً على تقاليد الإسلام الحقيقية من الإفراط في المدنية .

المسلمين الذين تخدعهم الدعاية الشيوعية عن حقيقة الشيوعية ومطامعها في البلاد الإسلامية وأهابت بالمسلمين أن يعتبروا بما صنعه وما تصنعه روسيا مع إخوانهم الذين شاء لهم سوء الطالع أن يكونوا تحت حكمها .

والحقيقة أن الجريدة وإن كانت عالجت الموضوع من وجهة النظر الأمريكية ، وحسبت حساب الغرب وتقوذه في هذا المجال إلا أنها كتبت على أساس صحيح حين أبرزت المقارنة الواضحة بين دعاوى الشيوعيين مع المسلمين خارج بلادهم وشنائعهم مع المسلمين داخل بلادهم ، ونحن نقول للجريدة الأمريكية إن هذه الحقيقة لا تخفى على زعماء المسلمين ولا على عامتهم ، غير أن المسلمين لا يقفون تجاه الشيوعية لحساب الغرب ، كما أنهم لا يقفون تجاه الغرب لحساب الشيوعية ، ولكنهم يشهدون شخصيتهم المستقلة ، ويطلبون حريتهم الخاصة ، وهذه الدعوة التي نبعث من القاهرة اليوم بالوقوف أمام أطماع الشيوعية وأمام أطماع الغرب على السواء أكبر دليل على ذلك ، لقد انطلقت الإسلامية في طريقها ، ولن تكون الإسلامية ، في الغد إلا كما كانت في أمس . قوة خالقة متميزة في خدمة الإنسانية والحضارة ، وثبتت دعوة الحق والخير .

محمد قنمى عبد المطلب

في وقتنا الحاضر أن الدول الإستعمارية الكبرى في العالم الإسلامي ، وهي روسيا والصين وما زالت تقوم بدعاية منحنة بين العرب الذين يعتزون بدينهم ، فقد استطاع عملاء موسكو وبكين أن يتوصلوا سياسياً في الدول العربية من العراق إلى مراکش ، وقد بدأت حكومة بغداد تعتمد اعتماداً وثيقاً على الاتحاد السوفيتي ، ويستطيع أى إنسان أن يدرك لأول وهلة زيادة النفوذ السوفيتي الصيني على طول شمال إفريقية باستثناء تونس .

ثم قالت الجريدة : ومن العجيب أنه على حين أن روسيا والصين الشيوعية تحاولان الظهور أمام الدول الإسلامية والحرة بأنهما أبطال الحركات الوطنية في كل مكان من مصر وسورية والعراق وعمان وعدن وإيران وأندونيسيا فأنهما في الوقت نفسه يقمعان جميع الحركات الوطنية الإسلامية داخل أراضيهما . ثم أوردت الجريدة ما قامت به روسيا من قمع شديد ضد الحركات الوطنية في أندونيسيا وشمال القوقاز وأذربيجان وتركستان ، فضلاً عما صنعه من القضاء على دول إسلامية بأكملها . وقالت الجريدة إن في الاتحاد السوفيتي والصين الشيوعية أكثر من ٧٥ مليون مسلم يعدون في الدرجة الثانية بالنسبة لسكان هذه البلاد .

وختمت الجريدة مقالها بالتهديد بزعماء

# الفهرس

صفحة	ملاحظة
١٠٠٠	٩٢٧ دينا في محنة ووطاق خطر
للأستاذ أحمد حسن الزيات	
١٠٠١	٩٤١ إلتباس مذهب
للأستاذ عباس محمود العقاد	
١٠١٦	٩٤٤ رأى السيد رئيس الجمهورية في الشيوعية
مكاشفة العلم ومنهاجه ومجالاته في القرآن	
للككتور السيد علي السيد	٩٤٥ نداء من شيخ الأزهر إلى علماء المسلمين
١٠٢٩	٩٤٧ مركز الأم في الإسلام
أصول الإسلام	
١٠٥١	للأستاذ الدكتور محمد البهي
للأستاذ عباس محمود العقاد	٩٥٤ تحت ضوء القرآن والسنة
١٠٥٩	للأستاذ محمد المدني
آراء وأحاديث	٩٥٩ يا قاسم الرقاق وبلغك آمن
للأستاذ الأكبر	
١٠٦٨	للشيخ أحمد أحمد جيلانية
رباه ... بمن النور : قصيدة	٩٦٥ إلى من قال في بغداد : لا عروبة ولا إلام
للأستاذ محمود حسن إسماعيل	للأستاذ علي الطنطاوي
١٠٧١	٩٧٠ فضائل القرآن
ريد الهبة :	
الأزهر يكرم السيد إدحام خالد - الأزهر	للأستاذ عبد المظيف السبكي
يقدم مؤتمراً لبحث مشئون طلبة - هو السائب	٩٧٥ الدين والإنسان
لا عمار بن ياسر للأستاذ أحمد علي - زعماء	للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
من الأزهر - رسائل إلى الأستاذ الأكبر	٩٨٠ للذاهب الساديه عاجزة عن تحسیر قسمها
١٠٨٠	للأستاذ الدكتور سليمان دينا
الكتب : حياة الإسلام للدكتور طه حسين	٩٧٩ اشتراكية الإسلام خير ولاية للعالم من الشيوعية
للأستاذ محمود الفرافوي	للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي
١٠٨٨	٩٩٤ العموية الحديثة
النشاط الثقافي الأزهر	
١٠٩٢	للأستاذ علي المصاوي
الإسلام والمسلمون في نصف العالم :	
للأستاذ محمد فهمي عبد الطيف	

*These articles were translated and prepared  
by Hammudah Abd al-Ati & Abd El-Muhsin  
El-Biyall, both of the Islamic Culture Department,  
AL-Azhar University.*

He is the sole aim of the believers, while His messenger is the conveyer of His message, as for the believers they are individuals who agreed with the belief in God and His messenger, and in this last point the value of the believing individuals in believing societies is defined from the Quranic point of view as well as the relationship between the individual and the society

The Qur'an is against annihilating the individual in society and consequently against the abolition of his freedom and personality. This by necessity means that it is, unlike Communism, opposed to the transformation of individual property to the State. In addition to that, it urges man to concentrate his faith in God alone, and not in anyother thing or being. Yet it does not allow man to develop his personality until it becomes egoistic and individualist. It is not like capitalist democracy which has amounted to egoism. Nor is it like the democratic system itself which has developed into a gang of monopoly and exploitation.

This unique attitude of the Quran is the natural result of the fact that its call for faith in God is almost invariably accompanied by a fervent appeal for good deeds. These good deeds are meant to maintain justice and balance in relationship.

And when these are maintained individual liberty cannot develop to the extent of egoism or destructive individualism nor can the Quranic society decline like that of capitalist democracy.

The Quranic guidance in order to assure the believing individuals in a believing society of his right position, a position of an independent man with mutual relations based on faith in God makes the Qur'an itself the deciding authority among its followers when ever they have to refer to some authority, it says: "Oyou who believe obey God and obey the messenger and those of you who are of (intellectual) authority; and if you have a dispute concerning any matter, refer it to God and the messenger if you are (in truth) believers in God and the last day. That is better and more seemly in the end." (Surah, 4. Verce, 56.)

Thus the Quranic guidance for those who believe in it is free from the defects and weaknesses of both Communism and Capitalist democracy. And above that, it encourages science and welcomes its result as a means to improve the ot of mankind and ascertain man's mastership over the universe. The Quranic guidance is neither Oriental, i-e., communist nor Occdintal, i-e., capitalist. It is unique and independant.

### Qur'anic Guidance and Industrial Civilization.

Qur'anic guidance encourages experimental science and protects man from the abuse of that science; the Qur'an says "And He it is who has Constrained the sea to be of service that you eat fresh meat from thence and bring forth thence ornaments which you wear and you see the ships ploughing it that you (mankind) may seek of His bounty and that haply you may give thanks" ( Surah, 16 V. 14 ).

"He it is who has made the earth subservient unto you, so walk in the paths thereof and eat of His providance" ( Surah, 76. V. 15 ).

The Qur'anic instruction, thus, cannot be realized by man without complete knowledge of what is to be subservient and useful to him, and while the Qur'anic guidance encourages experimental science it enjoins accurate understanding of Being, So that man can find the right way to God, His lordship, His uniqueness. The acknowledgment of God is the "*Balladium Sociale*" to avoid the destruction of the Universe over which he is supposed to exercise complete power.

Faith in God alone is the creator of science and it makes it a blessing

to man, accordingly man can retain his leadership, his authority and his dignity. The Qur'an dignifies man as it says "Verily we have honoured the children of Adem" ( Surah, 17. V. 70 ), and the dignified man in the Quran is not the man who yields to the machine. The Quran goes encouragement of science with God's guidance "Lo! this Quran guides unto that which is straightest and gives tidings unto the believers who do good works that their's will be a great reward" ( Surah, 17. V. 97 ), it also says "This is a Scripture which we have revealed unto you [ Mohammed ] that thereby you may bring forth mankind from darkness unto light, the owner of praise" ( Surah, 51. V. 1, )

### The Qur'anic Guidance and Philosophical Trends

Here we move to the Qur'anic guidance and its attitude towards philosophical trends of modern society crystallised in two opposite directions: the individual for society and the society for individual; the Qur'an says : " Your friend can be only Allah; and His messenger and those who believe for friends ( will know that ) Lo! the party of God, they are the victorious " ( Surah 5. V. 55—59 ) This verse refers to three facts: God, His messenger and the believers in God and His messenger. As for God

aids to Arab nations, they double the very aids, whether in quantity or quality to Israel. The philosophers who evaluated the two systems, from the philosophical point of view, are Jews and international Communism. This international Communism supported by the communist social system is in parallel with universal government supported by western democratic countries. Thus we see that the target is one but the mean is different: the target is to subdue nationalities in the different spheres of the world; so little countries may be annihilated and their man-power and economic potentiality may be put in the service of one of the two blocks. There is no wonder, therefore, if we noticed that both blocks are fighting Arab Nationalism, whereas they declare that the independence of little countries should be maintained, and the right of destiny of the countries under Trusteeship or Occupation should be reserved. So independence in the two blocks view point is the separation of each other to be easily swallowed and dominated.

Capitalism, then has changed the modern Democratic society into another type being dominated by individualism, egoism and retrogression of values and ideals. The more egoism mastered, the sooner values and ideals became useless; because they are the defenders of the

human relations in its best form. Communism trend abolished the exercise of these values, inactivated the conscience and wiped up the fear from God. It suppressed all these by misusing law and authority. Faith in God in Democratic society cannot be fruitful so long as there are individualism and egoism. Yet these values have been concealed in the Communist society.

Apparently both Communist and Democratic societies are different in that they both go to the extreme, but in fact there exists a surprising harmony between them in regard to: (a) the absence of all results of moral values, (b) and the non-entity of any actual application of belief in God.

#### Qur'anic Society.

From examining these two ideologies we noticed that there was a gap to be filled and it is Qur'an that effectively fills this gap by laying down the solid bases. The Qur'anic society which is founded on justice and balance and seeks goodness with avoidance of harm. It is the Society which stands for complete cooperation, and in knowing the structure of this society, the attitude of the Qur'anic guidance, towards modern society, in Orient and Occident, is defined.



behave, and to move within certain scope of restraints and limits which do not hinder him from realizing his wishes and desires. It gives him liberty to believe and to exercise freely his own rights, taking, in the same time, care of the freedom because it is at the service of individuals.

Thus individual liberty, in the modern democratic society has greatly contributed in the growth of individualism and egoism, and was about to divert this society to a primitive one in behaviour and association, unless there are judicial, parliamentary and executive authorities which are considered symptoms of the civilised society. Individualism and egoism in modern democratic society mounted, by Capitalism, to monopoly and subjugation against the workers, and authorized it with an indirect sovereignty and hidden direction, over the three authorities, which are supposed to be ultimate and independent. It also gave it the privilege to steer up public opinion through writers, press, broadcasting and television.

Thus the modern democratic society as well as the communist society has established gang holding complete influence over the rest of society. And the difference between these two gangs is that one of each is unviold and the other is apperent-

While the communist society has

abolished the moral values in man's life according to particular logic of philosophical thought. The more the people fulfil their desire and exercise much of their own freedom, the more the Capitalist society diverts them from searching about that secret gang.

This gang has the authority of the government and it misuses the power of monopoly. It has the power of government without law or usage, save the law of domination through money and the keeping of money within the hands of similar group alike in trend and way, and cooperating for the realization of certain aim.

The gang in both societies is a squadron of Jews preferring to work in scilence and behind curtain without having faith in both regimes. And that is why the two systems are so desirous to protect Israel and safegaurd its rise through different and vital aids.

Therefore, when a weapons agreement was signed between an Arab state and any nation of the communist block, simultaneously an oil agreement was signed in the welfare of Israel. It is as valuable as weapons agreement. And while the western democratic countries offer, under the pressure of the public opinion, some technical and economic

Idealism of human reason to the Existentialism in behaviour and moral values.

Here the Communist trend justifies the abolition of liberty, the ownership right of the individual, the transformation of faith in God and concentrate it on science only, the change of moral values in the conduct, and the absolute sovereignty of the state over the individuals as well as their human right; and the result is: Science is God.

The State is the supreme authority including all individuals.

The Communist is that who does not believe in God and believes in science, who has been compelled to abdicate his human rights, who has been forced to dissolve in the State, who sacrifices unwillingly his rights. Then we must differentiate between "the Communist" and the "Mystic" whereas we see the latter gives up world lusts satisfactorily and melts in God complacently, we find that he is still free, choosing, having complete humanity and not transfiguring to some body else participating life with him and not having the power of reasoning and will

The Communism doctrine believes in the principle of evolution but: why does it believe in it to the stage of labour unique - class society? what

would prevent this society to divert once again to monarchy; feudalism or capitalism? It eliminates faith in God and believes in science which we saw that it is once in man's service, luxury and security and once more in his unhappiness his destruction, and his annihilation. But what is its, "*Balladium Sociate*" to prevent science from being a factor for the unhappiness, poverty, humiliation, anxiety and disturbance of man.

It plundered human being of his possessions and made him in need to some thing else, it emptied his heart of belief in moral values and filled it with the idea of being mastered and directed by the sensation and not by reason, it restricted his tongue suspended his will. Communism has concentrated man's liberty, will, guidance and wealth in the State's hand that takes and does not give and accepts sacrifice without enumeration, which is not looking after or responsible for any thing because it is a state without individuals.

B — In equivalence to Communism is Capitalism or the Western Democracy which is on the contrary of Communism. It treats the human being with great consideration; and so long as the first violates & encroaches, man's life, consecration and freedom for the sake of Society, the latter gives him more than he deserves: he is allowed to live, to

are non-entities in the domain of the Communist society, because they are values and ideals that affect mind but not reality

With regard to economy it transforms completely the agrarian feudalism, as well as the industrial capitalism from the individuals to the State on the one hand, and imposes work upon them in farms and factories on the other hand. They are hired and paid according to their own capacity of production in quantity and quality, and the outcome of the residue after the wage as well as the harvests of farms and production of factories, is to be kept in possession of the State which has absolute influence upon the citizens.

As to belief Communism believes only in sensation and pays no attention to what is left behind sensation, because it is a mere illusion or superstition. Sensation is the only source of correct knowledge and its inspiration is thoroughly true. Therefore the experimental science, which is the "Son in law" of sensational experiments, is the only truth that cannot be denied and should replace faith in God and His revelation.

The moral values in Communism are not static, but they are subject to developments. Its future has a great effect on the past, i.e. what will happen to-morrow is better than what had happened yesterday, and the

ethical discourse concerning the consecrations of man in his property as well as honour, and the necessity of maintaining these rights are a tedious talk because it concerns the reactionary religions which have decided vain moral criteria, because the evolution principle gives superiority to the present in regard to the past, and to the future in face of the present. The discourse about the relation between man and woman, in any particular side, whether legal by marriage or not, is a remainder of the past which cannot be accepted by the evolution principle. Society has surrendered to evolution in the transition period from the dictatorial Royalty, represented in rulers and slaves, to Feudalism represented in big estates and tenants to Capitalism represented in factories and workers, to the One Class Society, that is labourers society. According to the evolution principle, the individual ought to be melted in the society, so his personality is abolished for the sake of society.

It is the same principle to which knowledge has yielded and secured its aspirations from the judgement of reason and the experiment of reality as well as sensation instead of securing it from the Heaven's message. It is also the principle through which faith, in God, His worship and holiness, have to divert into experimental science as the moral criteria divert from the consideration of religion and the

It makes of him master and slave in the meantime.

Therefore experimental science has become the idol of man in modern society : its niche is the laboratory, its vicars are the scientists and its rituals are the capitulation of human mind. Man has been living almost for science which is no longer confined to the service of mankind, and the machine is about to excell them. Thus, we see that industrial civilization is based on experimental science; such civilization is the distinguishing phenomenon of modern society, and has not left the status of man, who was considered previously the most supreme creature, without effect. On the contrary it has shaken the values of mankind.

### Philosophical and Intellectual Trends

The second characteristic feature of modern society is intellectual instruction represented in the different philosophical doctrines which have caused disputes and cold war because of the divergence of views among them.

a. There is the trend that believes in State rather than individuals, it is the trend through which man is to sacrifice his freedom of thought, his expression of belief and his consecration of ownership for the sake of the State. It is the

doctrine that binds mind and soul to the body, and to the environment in which that body exists and grows. It is the doctrine which refuses the existence of God. It defies God as a spiritual force free of embodiment and of the circumstances encompassing the body. This doctrine is called "Communism".

Communism is not a philosophy and ideological doctrine dealing only with economy, but it is a conductive doctrine with the power of faith as regards guidance, after having been laid down by the philosophical thought, in the different aspects of human life. As for the individual, it restricts his liberty and imposes upon him the acceptance of determinism ; so it reduces his values, if it happens to evaluate him, and such evaluation is bound to his corporeal matter and not his mind and soul which are but a phenomenon inter-acting, in its evolution, with the material origin of human being, helped by the economic situation of the society in which he lives.

As for the State or society it grants it an absolute authority to impose submission and obedience upon individuals. It allows the State or the Society to take drastic measures against them in order to maintain the Communist "System" in power. But the individual's dignity, their sacred beliefs and their personality

# THE QURANIC GUIDANCE

and

MODERN SOCIETY

by

Dr. Mohammed El-Bahay

Director General, Cultural Department

Modern Society: Modern society is distinguished by two principal features: The industrial materialistic civilization, and the intellectual guidance represented in the different philosophical trends. We mean by modern society that of the west, whether it belongs to the democratic block or the Communist one.

## Industrial Civilization .

The principle of industrial civilization is based on mechanism and experimental scientific research. The development of mechanism, as well as the experimental scientific research, have occupied a great space in the life of modern society, through the splitting of atom and the launching of satellites and artificial moons into the sphere of planet moon, for astrological purposes. Experimental science in the physical field is the main pillar upon which industrial civilization is built as it is the only way leading to the construction of peaceful instruments. It is in parallel with the construction of destructive weapons, as well as the manufacture of different types of planes and Jets, the

building of steamers with atomic energy as well as submarines, the production of automobiles to be used on the earth and others to be used in the air & water. Through the experimental science we can travel by aeroplane to every far point of the globe in a speedy and comfortable manner. Through the same invention, i. e. the aeroplane, our properties are burnt and our lives are lost.

Experimental science has guided us easily to float on waters and beneath the bottom of the sea to serve mankind. Also it has helped us to invent destroyers & submarines. Therefore cruiser, destroyer and submarine were invented. Modern science has provided man with luxurious and comfortable life; it made cars, trucks, touring cars as well as tanks and spitfires. It has harnessed earth and air for the use of man, and it is the same modern science which utilised land, water and air against man. It constructs civilization, and causes its destruction. It supplies man with happiness and unhappiness,

worthy of them, and that when you judge between people you judge with justice, (Surah, 4-V-58).

As for consultation the Quran says : " O you who believe be upright for Allah bearers of witness with justice; and let not hatred of people incite you not to act equality. Be just". (Surah, 5, V, 8).

" And consult them ( in important matters ) . ( Surah, 3 V 258).

"And whose affairs are (decided) by council among them" ( Surah 42. V. 37 ).

As for the sources of legislation the Quran says : " Oyou who believe , obey Allah and obey the Messenger and those in intellectual authority from among you, then if you quarell about anything, refer it to Allah and the Messenger". ( Surah, 4-V,59 )

" And that you should judge between them by what Allah has revealed, and follow not their low desires, and be cautious of them lest they seduce you from part of what Allah has revealed to you " (Surah, 5-V. 49)

Islam has not stopped within the margin of these principles, but has urged individuals to regard their God and not break the Alms and to try their best to keep these principles into force by oppsoing the ruler's wish if it is not matching with Islamic principles. the Quran refers to that by saying "And obey Allah and His messenger end dispute not one

with another, lest you get weak - hearted and your power depart and be steadfast. Surely Allah is with the steadfast" ( Surah. 8-V.46 ).

At last, this is Islam, the religion of God which He appeases it to His creatures; to organise their lives, and to bring them forth from darkness to light in order to keep them out of the present world crises.

These beliefs inspired from the Islamic religion make us decide that those individuals who are not adopting such principles and beliefs are not true Muslims and they should be deprived of their Islamic rights. This is our call to-day for which we draw the attention of all hearts to follow:-

We have to conclude our call by quoting the following Qurânic quotation. "Clear proofs have indeed come to you from your Lord; so whoever sees, it is for his own good; and whoever is blind, it is to his own harm. And you not be keeper over you" ( Surah. 6. V.105 ).

Has not the time yet come for the believers that their hearts should be humble for the remembrance of Allah and the Truth that is revealed, and ( that ) they should not be like those who were given the Book before, but time was prolonged for them, so their hearts hardened, and most of them are transgressors " ( Surah. 57. V. 61 ).

in some cases is sin; and spy not nor let some of you backbite others. Does on of you like to eat the flesh of his dead brother"? ( Surah, 49, V. 12 ).

(B) As for the moral principles of visiting, Qur'an says "O you who believe, enter not houses other than your own houses, until you have asked permission and saluted their inmates. This is better for you that you may be mindful - But if you find no one therein, enter them not, until permission is given to you; and if it is said to you, Go back, then go back; this is purer for you. And Allah is Knower of what you do" ( Surah, 24 — V. 27 — 28 ).

(C) As for the sexual dissension, Quran says: " Say to the believing men that they lower their gaze and restrain their sexual passions. That is purer for them. Surely Allah is Aware of what they do. And say to the believing women that they lower their gaze and restrain their sexual passions and do not display their adornment except what thereof. And let them wear their head-coversings over their bosoms" (Surah, 24. V. 31 ).

(D) As for the moral principle of social parties and assemblies, Qur'an says " O you who believe when it is said to you, Make room in assemblies make room. Allah will give you ample. And when it is said, Rise up, rise up (Surah, 58-V, 11).

(E) As for the moral principle concerning the hearing of news, Quran says: " O you who believe, if an unrighteous bring you news, look carefully into it, lest you harm a people in ignorance, then be sorry for what you did" ( Surah, 49. V. 6)

(F) Quran implies to a serious social value by saying "O you who believe, let not people laugh at people, perchance they may be better than they. Neither find fault with your own people, nor call one another by nick - nams - Evil is a bad name after faith, and whoso turns not, these it is that are the iniquitous" ( Surah, 49 V. 11 ).

(G) As for the treatment of the peaceful unbelievers, Qur'an says: "Allah forbids you- not respecting those who fight you not for religion, nor drive you forth from your homes, that you show them kindness and deal with them justly. Surely Allah loves the doers of justice" ( Surah, 60. V. 8 ).

XIV Jurisdiction :- Ruling System and the sources of legislation, are the basic principles which have been stipulated and established by Islam for decent life. Justice and consultation were the foundations on which Islam relied and when directing the muslim thinkers to approach the sources for legislative resolutions.

The Quranic guidance as regards justice says: "Surely Allah Commands you to make over trusts to those

as a means for humiliating people, for destroying thier homes and for blundering their properties or forcing people to adopt certain religion, the Qur'an says "There is no compulsion in religion, the right way is indeed clearly distinct from error. So whoever disbelieves in the devil and believes in Allah, he indeed lays hold on the firmest handle which shall never break and Allah is Hearing, Knowing" (Surah, 2. V. 256).

#### X. Equality.

Islam stipulated that there is no difference among mankind in obligations & duties, and equality should prevail "O people, keep your duty to your Lord, who created you from a single being and created its mate of the same (kind), and spread from these two many men and women. And keep your duty to Allah by whom you demand one of another (your rights) and (to) the ties of relationship. Surely Allah is ever a Watcher over you (Surah, 4 V. 1)

#### XI. Legislation.

Islam outlined legislations that organize the human life through stipulating personal opinion and through freedom of thought. It gives the human mentality the right to discuss, to laydown laws according to the interest of the society. In this matter Islam aims at reserving human dignity and security.

#### XII. The Formation of Society :

Obligations and rights are excha-

nged in the Islam. The individual is considered an element for the welfare of the society. Islam gives its follower the right to defend his properties and life. On the other hand Islam has obligated the rulers (i.e, the governments) to safeguard his life, wealth and honour. Therefore we can gather that Islam has exchanged obligations and rights

#### XIII. Ethics.

Islam has urged man to follow moral values and has prohibited him strictly from doing any vice, so that mankind might get out of the present deterioration.

(A) As for the common behaviour Qur'an says "And turn not your face away from people in contempt, nor go about in the exulting. Surely Allah loves not any self-conceited boaster. And Pursue the right course in the going about and lower the voice. Surely the most hateful of voices is braying of asses (Surah, 13, V. 18-19).

(a) And follow not that of which you have not knowledge. Surely the hearing and the sight and the heart of all of these it will be asked. And go not about in the land exultingly, for you can not rend the earth, not the mountains in height. All this, the evil there of, is hateful in the sight of your Lord. (Surah 17. V. 36, 37, 38).

"O you who believe, avoid most of suspicion, for surely supicion



pure earth, and breaking the fast is permissible in cases of travel, illness pregnancy sucking and old age.

Islam being a practical religion and based on facts, as previously outlined, depends on good health to teach its followers to learn, to struggle for their faith and to work for the interest of the community.

### VII. MIND

Mind should be kept revived because it is the measure of good and evil in this life. Islam has prohibited all things that spoil it. We quote here—under a Quranic quotation in this respect:—

“O you who believe, intoxicants and games of chance (and sacrificing to ) stones set up and (dividing by) arrows are only uncleanness, the devil's work; shun it that you may succeed”. (Surah 5 Verse 90).

And the Prophet said: “Anything that leads to intoxication is forbidden”

### VIII. The Maintenance of Body and Soul

Islam allows man to eat and drink, to enjoy life according to his own potentiality without extravagance. In this connection the Quran said:—

“O children of Adam attend to your

adornment at every time of prayer and eat and drink and be not prodigal; surely He loves not the prodigals. Say: Who has forbidden the adornment of Allah, which He has brought forth for His servants, and good provisions? Say: These are for believers in the life of this world, purely (theirs) on the Resurrection day. Thus do We make the messages clear for a people who know. My Lord forbids only indecencies, such of them as are apparent and such as are concealed, and sin and unjust rebellion and that you associate with Allah that for which He has sent down no authority, and that you say of Allah what you know not” (Surah 1. V. 31-32-33).

IX Power: Islam ordains its followers to strengthen themselves and to be cautious and ready for any hostile eventualities. The Quran outlines that by saying “And make ready for them whatever force you can and horses tied at the frontier, to frighten thereby the enemy of Allah and your enemy and others beside them, whom you know not—Allah knows them. And whatever you spend in Allah's way it will be paid back to you fully and you will not be wronged” (Surah. 8. V. 60). This verse indicates that power from the Islamic viewpoint is not but a means for imposing peace and reforming societies. It is not considered in Islam

are believers. And if you do not, then be apprised of war from God and His messenger; and if you repent, then you shall have your capital. Wrong not and you shall not be wronged. And if ( the debtor ) is in straitness, let there be postponement till ( he is in ) ease". ( Surah. 2, Vs. 278-280 )

In addition to all that, Islam makes it clear that lavishness is the cause of evil and universal destruction. In the quran we find verses such as these: "And how many a town which was iniquitous did we demolish and raised up after it another people! So when they felt Our might, Lo! they began to flee from it. Flee not ( it was said unto them) and return to the easy lives which you led and to your dwellings that you may be questioned. They said: O woe to us! Surely we were unjust. And this cry of theirs ceased not till We made them as reaped corn, extinct." ( Surah 21, Vs-11-15 ) " Till when We grasp their luxurious ones with the punishment, behold! they supplicate. Supplicate not this day! Assuredly you will not be helped by Us. My revelations were recited unto you but you used to turn back on your heels. (Surah 23, Vs. 64 - 66 ) "And We never sent a warner to a town but those who led easy lives in it said: We are disbelievers in that with which you are sent. And they said: We have more wealth and children, and we cannot be punished", ( Surah. 34, Vs. 34 - 35 ).

Thus Islam combats lavish and wasteful expenses of those who are in a position to spend be they possessors or just custodians, and authorizes the rulers to arrest all actions of such nature. This is a precautionary measure to preserve the property in which God has made man a mere regent and to purify the hearts of the deprived and poor people of envy and hatred bound to proceed from seeing the course of life led by squanderers.

## V. HONOUR

Islam has commanded that honour should be maintained as a symbol of dignity and for extirpating the seeds of sexual disorder which abolishes family system and breaks the unity among individuals. It decided that the authority in the sexual life is similar to the individual ownership. Both are the elements to the peaceful and honest life. By ignoring any of them the human bounds will be dissipated, and man will envisage absolute libertinism or brutal cruelty.

## VI. HEALTH

Islam has commanded that health must be looked after very carefully, its reservation is commanded, contagion is warned of, and remedy is recommended. And those who suffer from illness are permitted to perform their ritual purity with

of worship in a thoroughly detailed and equal manner, so that people may be united in feeling as well as in purpose.

**III. Knowledge :** Islam urges for science and knowledge. It frees human mind from the fetters of blind imitation and intellectual stagnation. It instigates the mind to discover the secrets of God in His universe in all its aspects, earth and sky, marine and air. All this is designed to strengthen faith in God through the knowledge of His creatures and make people happy by means of using the secrets of the universe which God has rendered subservient to man.

Thus Islam exalts the ranks of scientists and scholars who explored the unknown aspects of the universe and put in the service of man what they discovered. The Qur'an says: "Say: Are those who know and those who know not alike?" (Surah 30, V. 9)

"The erudite among His bondmen fear God alone" (Surah 35, V. 28) "God will exalt those of you who believe, and those who are given knowledge, to high ranks" (Surah. 28, V. 11).

**IV. Wealth :** Islam demands the making of wealth and considers it to be the substance of life and makes it, when obtained through lawful means, - agriculture, commerce and industry, - equal to the worship of God; "But when the prayer is ended then disperse in the land and seek

of God's bounty, and remember God much, that you may be successful" (Surah. 63, V. 10) "He it is Who made the earth subservient unto you, so walk in the paths thereof and eat of His providance. And unto Him will be the resurrection (of the dead)".

(Surah, 67, V. 15).

Conversely, Islam ordains maintenance of property and combats lavish and extravagant expanses. It strictly forbids exploiting the condition of people in need to property and gives the disable poor as well as the common interest a right to it. Regarding this point the Qur'an says: "And give the kinsman his due, and the needy, and the wayfarer, and squander not (your wealth) in wantonness. Surely the squanderers are ever brothers of the devils, and the devil is ever ingrate to his Lord. (Surah, 17, Vs. 26-27). "And be neither penurious nor prodigal, lest you be rebuked, denuded,, ( Surah 17, V. 39 ) "And spend in the way of God and cast not yourselves to perdition with your own hands and do good (to others). Surely God loves The doers of good" (Surah 2, V.195) " And swallow not up your property among yourselves by false means, nor seek to gain access to the judges, so that you may swallow up a part of the property of men wrongfully while you know". ( Surah 2, V. 188 ) " O you who believe ! observe your duty to God and relinquish what remains of usury, if you

he is a useful member of his national society. Each of these two personalities entitles man to certain rights and tasks him with certain duties. The happiness of man is never realized unless body and soul both enjoy their rights completely and until man makes a balance between his duties and rights in regard to himself and his society without excessiveness or carelessness. All beliefs, injunctions, morals and laws of Islam are meant to provide man and his society with happiness. And in the light of his general and practical principle and for achieving such a supreme aim Islam has advanced the following teachings.

I. Belief: Islam demands faith in God, the source of goodness and origin of being, to whom everything is to be referred and to whom worship, glorification and supplication should be confined. This is meant to avoid subjection of man to another and to make him enjoy the sense of dignity without going astray by placing mediators between him and God. Islam further demands belief in the Day of Judgement, the angels, the Scriptures and the prophets through whom He conveyed His message to mankind and showed the straight path leading to their happiness in this life and the Here After. The Qur'an says: "It is not righteousness that you turn your faces to the East and the West; but righteous is he

who believes in God and the last day and the angels and the Scripture and the prophets" (Surah 2, V. 177).

II. Worship: Islam draws the lines of worship of which it enjoins different forms, physical and fiscal, to strengthen faith and be a means of thoughtfulness of God and thanks to Him for His graces. It enjoins (i) five daily prayers during which man stands in the presence of God to seek His aid and experience His greatness and liberate himself in repeated periods from the yoke of his material life; (ii) fasting of one month every year, the month of Ramadan, in recognition of the grace of God's revelation of the Qur'an and to accustom man to patience without which life would be unbearable; (iii) alms-giving, which is the distribution of a certain percentage of the property in the way of God and for the common interests, in recognition of the grace of property and in execution of the social duty; and (iv) pilgrimage to decree the general slogan of faith which slogan is taking refuge along with other believers in God free from the attraction of property, relatives, children and luxurious life, seeking God's content, remembering the Day of Judgement, uniting all monotheists and commemorating the early reformers whom God had chosen to save His bondmen from the ditch of sins and wrongness. Islam enjoins these forms

# THIS IS ISLAM

BY

His Eminence Shaykh

MAHMOUD SHALTOUT

Rector of Al-Azhar University

In a previous article we argued that the world is entangled in a universal catastrophe on account of which the world is suffering different kinds of evils and defects. This notion is unquestionable. Peoples everywhere supplicate with complanits over the disasters emerging from moral looseness and the rejection by man of God. These disasters have inactivated the conscience, suppressed human virtue and authorized evil and despotism to destroy the soul, desecrate the honour and dignity of man, usurp his property, enslave his conscience and fetter his freedom, which is God's natural gift to man and with which he is born as superior to all other creatures and beings.

We suggested then that the only way out of this catastrophe is to get rid of the systems invented by man and dictated by his lust and capricious inclinations. Such systems were made without taking into consideration the interests of man or the sequences of his human nature. Thus they came inconsistent, disruptive and people-dividing systems.

There is no doubt that as long as man cherishes such systems they

will lead the universe to a wide-spread danger and cause war throughout the world so much so that man will not be able to breathe comfortably or peacefully.

In our opinion and in view of the long, costly and bitter experience the world has had, there is only one solution to this problem, and that is to adopt the Divine system, i. e., the system of religion which God Himself perfected and invited people to adopt, so that they can save their lives, enjoy happiness and gain the content of God.

The Qur'an, to prove this, says : " If they (the Jews and the Christians) had observed the Torah and the Gospel and that which was revealed into them from their Lord, they would surely have been nourished from above them and from beneath their feet" ( Surah V, Verse 66).

The Divine order of life is based on the principle that man is composed of soul and body, each of which has certain rights to enjoyment, and that the individual is in possession of a personality of his own independent of his fellow-men and also has a social personality by which

"every thing is publicly exposed and permissable, and every passion is free". Farms, factories, and women are public utilities for mass production and every one will be paid according to his own capacity and will be given according to his need.

Thus Communists pretend that they are completely aware of the conditions of human beings than God Himself, and more just than He in distributing sustenance; so they denied His religions, distorted His law and tried to abrogate laws, tenets and values which prophets and philosophers bequeathed to mankind, to introduce another "system" by which they do not seek absolute justice and common good, but rather aim at placing man over God and the domination of one people over all other peoples.

I do not know why our sister state IRAQ has been destined in the past and the present to be a swamp in which the abnormal sects and destructive principles grow like a poisonous plant or come in as an epidemic disease, hence they pass through it to threaten the spirit of Islam, and to dissipate the unity of Arabism. The "Karamita" in the past had said what the Communists reiterated today "No reality is beyond this existence and every thing is permissable". It was "Babik El-Karmy" who had sowed that bad seed for the first time in the Islamic Orient in the third century A. H., followed by "Abdullah

Ibn Maymoun" and afterwards by Alhasan Ibn El-Sabbah.

These three persons attracted the adorers of world lust and the stooges of the "forbidden" of the simple-minded and low-spirited people, to eat from the forbidden fruits; they indulged in passions and participated in women and properties and for this purpose they disturbed peace. "Nowadays the Babikies" revived in Iraq under the name of Communism, it propagated atheism in public after secrecy, and libertinism by force after tactfulness to attack God, His Scripture, Islam and its followers by base words and bad deeds. It is a Communist dissension in the flame of which the greedy and deceivers only will be burnt who have set it by the match of cosmopolitanists using a Russian fuel. But Islam which triumphed over every sect and dissension before in Iraq, will triumph over this dissension to-day because it has two sources: the Scripture of God and the tradition of His prophet which are still pouring in purity and sanity. The more its deep strains are defiled the sooner the Divine inundation flows to purify with its pure water all stains and spots, and to remove by its strong tide all barriers. "Then, as for the foam, it passes away as scum upon the banks, while, as for that which is of use to mankind, it remains in the earth". (Surah 13,V.17)

It is Communism which has no faith in God but maintains complete faith in Marx; it gives its back to Spiritualism and tendered exceedingly towards Materialism. Communism wanted to rob mankind off the grace of liberty, the power of will and the happiness of possession to make them a herd of slaves and serfs branded with "Hammer and Scythe" working as machine, eating and perishing as animals. In such a way of life and condition every communist lives: earth without sky, day without morrow, way without destination, work without responsibility and life without revival.

Communism has realised that religions are an impassable obstacle on the way of its will and leadership; therefore, it concentrates on extinguishing the "Divine Illumination" by propagating hearesy, and spreading libertinism, by exploiting the influence of passions and instincts, by fomenting dissensions and disorder so as minds will be ready to accept every principle or behaviour. It considers Islam its bitterest enemy; because it is the practical religion which completes and perfects life with religion in faith, sociology, politics and economy, that it befriends all hearts of the people and equalizes, in brotherly manner, all human races, and treats the acutest problem of poverty in such a way that if it is adopted by reformers they would avoid all evils

of wars and defaults of all these doctrines. It solved this problem by giving the poor the right to a religious tax "alms-giving" payable by the rich on basis of recognition of ownership right and the right of enterprise; so that owner would never be expelled out of his belongings, and no free man would never be questioned. It has authorised that the poor is to receive a certain percentage in the wealth of the rich without which the rich's faith will be incomplete. Such a land that shines with these principles will be an inconvenient place on which the communist bats can exist; and that is why Communism has mobilized all malicious powers and misleading weapons in the attempt to destroy Islam, so it lied against it, spread doubt around it, and said in its publications, press and broadcast that Islam does not know justice because the Quran says: "We have exalted some of you in rank above others" nor does it know equality because the Quran says: "God has exalted some of you in sustenance above others", nor does it know freedom because it restricted every thing by a restraint: it chained woman to husband, sustenance to what man possesses only, behaviour to belief and transformation of properties to inheritance.

Communism claims to be exempted from all these "defects" as it says

# An Example of Communist Athiesm

By

AHMED HASSAN EL ZAYAT

Editor - in - Chief

A few weeks ago Moscow radio broadcast an article by the Editor-in-Chief of the Soviet Sciences Review in which he said that the Russian Satellite recently launched amidst celestial planets, equipped with the minute odioptical and astrological scientific instruments, did not send any information whatsoever to prove the allegation of the different religions concerning the existence of a Supreme Kingdom having God on His throne, surrounded by angels, with prophets wondering through His door, in which Paradise and Hell exist, and from which Doom and Fate are decided. Accordingly the editor concluded that there was nothing but the fancy formed by ignorance in the minds of people or an illusion exploited by the ambitious people to justify their own desire to dominate the Globe.

I wonder what information did this Communist idiot expect his Satellite to tell him? Did he expect his Satellite to say that it had seen God on His throne, and heard angles extolling Him in the darkness of the skies, and felt the smells of burning bodies in Hell fire, and tasted the fruits of Paradise hanging from their immortal trees, and touched the cheeks of

seraphim strolling boastfully in the hedges of Eden??

This Satellite, which they have successfully launched beyond the gravity of the earth, is a block of stuff, weighing about one ton and a half, which compulsurily made its orbit round the moon or sun. Its sphere is limited and its existence is temporary: and how can it be that the limited in space and time comprehends infinity or appreciate eternity? What a molecule knows about the infinite horizon? Or what a drop of water knows about the unlimited ocean? God Whose throne extends over heavens and earth cannot reasonably be confined to one particular position, and the Paradise which is as wide as to include heavens and earth together can not possibly be measured by any means.

The "Toy" which has been designed by scientists to intrude amidst celestial planets is only held by God's power not by human power, it is regulated by the force of the "Godly System" and not that of science; it is evidence of affirmation not a negation witness, and a proof of faith not a demonstration of blasphemy. It is not the question of reason or science but

